صحيفه

صحيفه

صحيفه

فهرست الجلد السادس من التفسيرين الجليلين الاول المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل الثانى المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل

الا ان يراد به الناسى كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى انزلها الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

م م
م

ينفق منه آناء الليل واطراف النهار * عن ابن عباس قال قيل يارسول الله اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

م م
م

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصلى الله على محمد وعلى آله مصابيح الانام واصحابه مفاتيح دار السلام

م م
م

فى شأن لبيد بن الاعصم اليهودى الذى سحر النبى فقرأ النبى صلى الله عليه وسلم على سحره ففرج الله عنهما فكأنما انشط من عقال

م م
م

وقد تم طبع هذا التفسير الشريف فى شهر جمادى الاولى لسنة اربع وعشرين وثلثمأة والف من هجرة من له العز والشرف



﴿الذى يوسوس فى صدور الناس﴾ فى محل الجر على الصفة او الرفع او النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس ﴿من الجنة والناس﴾ بيان للذى يوسوس على ان الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن ابى ذر رضى الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس روى انه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال احدهما لصاحبه ما باله فقال طب قال ومن طبه قال لبيد ابن اعصم اليهودى قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذى اروان فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه واسنان من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان السورتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام عند انحلال العقدة الاخيرة كأنما نشط من عقال وجعل جبريل يقول باسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ولهذا جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا اعتماد عليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيآت اعمالنا واقوالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه ارسله

ربه ﴿الذى يوسوس فى صدور الناس﴾ اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم ﴿من الجنة والناس﴾ بيان للوسواس اوللذى اومتعلق بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد مايعم الثقلين وفيه تعسف

رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويجذبه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى ﴿الذى يوسوس فى صدور الناس﴾ يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب ﴿من الجنة﴾ يعنى الجن ﴿والناس﴾ وفى معنى الآية وجهان احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا فى قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثانى ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس فكما ان شيطان الجن قد يوسوس للانسان تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد فى الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكأنه تعالى امر ان يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات * عن عائشة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وامسح عنه بيديه رجاء بركتهما أخرجه مالك فى الموطأ ولهما بمعناه (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو

الذى) اذا ذكر الله خنس نفسه وسترها واذا لم يذكر (يوسوس فى صدور الناس) فى صدور الخلق (من الجنة والناس) يقول يوسوس فى صدور الجن كما يوسوس فى صدور الناس نزلت هاتان السورتان

﴿قل اعوذ برب الناس﴾ اى مربيهم ومصلحهم ﴿ملك الناس﴾ مالكهم ومدبر امورهم ﴿اله الناس﴾ معبودهم ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله ملك الناس عطف بيان لرب الناس لانه يقال لغيره رب الناس وملك الناس واما اله الناس فخاص لاشركة فيه وعطف البيان للبيان فكانه مظنة للاظهار دون الاضمار وانما اضيف الرب الى الناس خاصة

وان كان رب كل مخلوق تشريفا لهم ولان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم امورهم وهو الههم و معبودهم وقيل اراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثانى الشباب ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه ﴿من شر الوسواس﴾ هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كانه وسوسة فى نفسه لانها شغله الذى هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ﴿الخناس﴾ الذى عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لماروى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل رجع ووسوس اليه (رأسه)

﴿قل اعوذ﴾ قرأ ورش فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ﴿برب الناس﴾ لما كانت الاستعاذة فى السورة المتقدمة من المضار البدنية وهى تعم الانسان وغيره والاستعاذة فى هذه السورة من المضار التى تعرض للنفوس البشرية وتخصصها عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك امورهم ويستحق عبادتهم ﴿ملك الناس اله الناس﴾ عطفا بيان له فان الرب قد لايكون ملكا والملك قد لايكون الها وفى هذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر فى المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل فى النظر حتى يتحقق انه غنى عن الكل وذات كل شئ له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لاغير ويتدرج فى وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الا فة المستعاذ منها وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان ﴿من شر الوسواس﴾ اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس سمى بفعله مبالغة ﴿الخناس﴾ الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذ اذكر الانسان

قوله عز وجل ﴿قل اعوذ برب الناس﴾ انما خصص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما امر بالاستعاذة من شر الوسواس فكانه قال اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذى يعيذ من شرهم وقيل ان اشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر ﴿ملك الناس اله الناس﴾ انما وصف نفسه اولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لايكون ملكا فنبه بذلك على انه ربهم وملكهم ثم ان الملك لايكون الها فنبه بقوله اله الناس على ان الالهية خاصة بالله سبحانه وتعالى لايشاركه فيها احد والسبب فى تكرير لفظة الناس يقتضى مزيد شرفهم على غيرهم ﴿من شر الوسواس﴾ يعنى الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفى ﴿الخناس﴾ يعنى الرجاع الذى من عادته ان يخنس أى يتأخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿قل اعوذ﴾ يقول قل يا محمد امتنع ويقال استعيذ ﴿برب الناس﴾ بسيد الجن والانس ﴿ملك الناس﴾ مالك الجن والانس ﴿اله الناس﴾ خالق الجن والانس ﴿من شر الوسواس﴾ يعنى الشيطان ﴿الخناس

شر النفوس او النساء السواحر اللواتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روى ان يهوديا سحر النبى عليه الصلاة والسلام فى احدى عشرة عقدة فى وتر دسه فى بئر فمرض عليه الصلاة والسلام فنزلت المعوذتان واخبره جبرائيل بموضع السحر فارسل عليه السلام عليا كرم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة فى انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد ﴿ ومن شر حاسد اذا حسد ﴾ اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد فى طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث فى العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة * عن النبى عليه الصلاة والسلام لقد انزلت على سورتان ما انزل مثلهما وانك ان تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعنى المعوذتين

﴿ سورة الناس مختلف فيها وآيها ست ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة التفل والنفث فى الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغى للراقى ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث فى العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه ﴿ ومن شر حاسد اذا حسد ﴾ الحاسد هو الذى يتمنى زوال نعمة الغير وربما يكون مع ذلك سعى فلذلك امر الله تعالى بالتعوذ منه واراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبى صلى الله عليه وسلم او لبيد بن الاعصم وحده والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الناس وهى مدنية وقيل مكية والاول اصح وهى ﴾

﴿ ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بمقتضاه لانه اذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الاسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق اشعار بان شر هؤلاء اشد وختم بالحسد ليعلم انه شرها وهو اول ذنب عصى الله به فى السماء من ابليس وفى الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلهذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد فى الخيرات والله اعلم

﴿ سورة الناس مختلف فيها وهى ست آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ومن شر حاسد اذا حسد) لبيد بن الاعصم اليهودى اذا حسد النبى صلى الله عليه وسلم فسحره واخذه عن عائشة

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الناس وهى كلها مدنية آياتها ست (قا وخا ٧٧ س) وكلماتها عشرون وحروفها تسعة وسبعون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ من شر ماخلق ﴾ خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشرفيه فان عالم الامر خير كله وشره اختيارى لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعى كاحراق النار واهلاك السموم ﴿ ومن شر غاسق ﴾ ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها ﴿ اذا وقب ﴾ دخل ظلامه فى كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ ومن

فى التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ مايخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجيئ الفرج فكما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر فى هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكانه يقول قل اعوذ برب الوقت الذى يفرج فيهم المهمومين والمغمومين وروى عن ابن عباس ان الفلق سجن فى جهنم وقيل هو واد فى جهنم اذا فتح استعاذ اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروى عن ابن عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحرم العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكانه قال قل اعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات ﴿ من شر ماخلق ﴾ قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لايتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذى شر وقيل من شر ماخلق من الجن والانس ﴿ ومن شر غاسق اذا وقب ﴾ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذى بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل فى الخسوف اواخذ فى الغيبوبة وقيل سمى به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل فى المحاق وهو آخر الشهر وفى ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اى اقبل بظلمته من المشرق وقيل سمى الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا امر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ يعنى السواحر اللاتى ينفثن فى عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل والمراد بالنفاثات بنات لبيد بن الاعصم اللاتى سحرن النبى صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلفوا فى جواز النفث فى الرقى والتعاويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة

(من شر ما خلق) اى النار والشيطان وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ ابو حنيفة رضى الله عنه من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر بدل من شر اى شر خلقه اى من خلق شر اوزائدة (ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه ووقوبه دخول ظلامه فى كل شئ وعن عائشة رضى الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فاشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده (ومن شر النفاثات فى العقد) النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة فى انكار تحقق السحر

(من شر ماخلق) من شر كل ذى شر خلق (ومن شر غاسق اذا وقب) من شر الليل اذا دخل وادبر (ومن شر النفاثات) المهيجات الاخذات الساحرات النافخات (فى العقد

يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان زال الله بظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ به مايخافه ولفظ الرب ههنا اووقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية

والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ماروى الترمذى عن ابن ابى خزامة عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ارأيت رقى نسترقى بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هى من قدر الله تعالى قال الترمذى هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى

فصل

وقد انكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذى ادعاه باطل لان الدلائل القطعية والنقلية قدقامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ماقام الدليل بخلافه باطل واما مايتعلق ببعض امور الدنيا وهو مايعرض للبشر فغير بعيد ان يخيل اليه من الامور الدنيا مالاحقيقة له وقد قيل انه كان يخيل وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل مايتخيله الانسان فى المنام فلا يبعد ان يتخيله فى اليقظة ولاحقيقة له وقيل انه يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لايعتقد صحة مايخيله فتكون اعتقاداته على السداد قال القاضى عياض وقدجاءت فى بعض روايات هذا الحديث مبينة ان السحر انما سلط على بدنه وظواهر جوارحه لاعلى قلبه وعقله واعتقاده وليس فى ذلك مايوجب لبسا على الرسالة ولاطعنا لاهل الزيغ والضلالة * وقوله ماوجع الرجل قال مطبوب اى مسحور * قوله وجف طلعة ذكر روى بالباء وروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل واما الرقى والتعاويذ فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان بآيات من القرآن او اذا كانت وردت فى الحديث ويدل على صحته الاحاديث الواردة فى ذلك منها حديث ابى سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبى صلى الله عليه وسلم ومنها ماروى عن عبيد بن رفاعة الزرقى ان اسماء بنت عميس قالت يارسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افأسترقى لهم قال نعم فانه لوكان شئ سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح وعن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول اعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بها وترك ماسواهما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب فهذه احاديث تدل على جواز الرقية وانما المنهى عنه منها ما كان فيه كفر اوشرك او مالايعرف معناه مما ليس بعربى لجواز ان يكون فيه كفر والله اعلم * واما التفسير فقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه

وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمته العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النهار ومحاكاة فاتحة

انه كان يرى انه يأتى النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذلك عن زيد بن ارقم قال سحر رجل من اليهود النبى صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك اياما فأتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فى بئر كذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاءبها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما انشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى ولا رآه فى وجهه قط اخرجه النسائى وروى انه كان تحت صخرة فى البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم واسنان من مشطه وقيل كان فى وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابر فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبى صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروى انه لبث ستة اشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (م) عن ابى سعيد الخدرى ان جبريل اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس اوعين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك

فصل وقبل الشروع فى التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وماقيل فى السحر وماقيل فى الرقى

قولها فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ ولم يصنعه قال الامام المازرى مذهب اهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف مايقع منه الى خيالات باطلة لاحقائق لها وقد ذكره الله فى كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر مافيه اشارة الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لايمكن ان يكون مما لاحقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولا يستنكر فى العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق اوتركيب اجسام اوالمزج بين قوى لايعرفها الا الساحر وانه لافاعل الا الله تعالى ومايقع من ذلك فهو عادة اجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره ام لا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يأمر بالاستعاذة مع ان ماقدر لابد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح فى القدرة قلت كل ماوقع فى الوجود هو بقضاء الله وقدره

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل اعوذ برب الفلق ﴾ مايفلق عنه اى يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول

هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القرآن ايضا وانه من اول السورتين بعد البسملة وقد اجتمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه (خ) عن زر بن حبيش قال سألت أبي بن كعب عن المعوذتين قلت يا ابا الوليد ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لى فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبدالله بن حبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فخرج فقال قل قلت ماأقول قال قل هو الله أحد الله الصمد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح تكفيك كل شئ وفى رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ماأقول قال قل أعوذ برب الفلق حتى ختمها ثم قل أعوذ برب الناس حتى ختمها ثم قال ماتعوذ الناس بأفضل منهما اخرجه النسائى عن جابر بمثله ومعنى الطش والطشيش المطر الضعيف وهو قول أبى الدرداء

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من أسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ ولم يصنعه وفى رواية انه يخيل اليه فعل الشئ ومافعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله ودعاه ثم قال أشعرت ياعائشة ان الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه قلت وماذاك يارسول الله قال جاءنى رجلان فجلس احدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ثم قال احدهما لصاحبه ماوجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودى من بنى زريق قال فيما ذا قال فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال فى بئر ذروان ومن الرواة من قال فى بئر بنى زريق فذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى اناس من اصحابه الى البئر فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤس الشياطين قلت يارسول الله فاخرجه قال اما انا فقد عافانى الله وشفانى وخفت ان أثير على الناس منه شرا وفى رواية للبخارى

(بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أعوذ برب الفلق) اى الصبح او الخالق اوهو واد فى جهنم اوجب فيها

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (قل اعوذ برب الفلق) يقول قل يامحمد امتنع ويقال استعيذ برب الفلق برب الخلق ويقال الفلق هو الصبح ويقال جب فى النار ويقال هو واد فى النار

وفى ذلك وصفه بانه حى لان المتصف بالقدرة والعلم لابد وان يكون حيا وفى ذلك وصفه بانه سميع بصير مريد متكلم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا باضدادها وهى نقائص وذا من امارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله احد وصف بالوحدانية ونفى الشريك وبانه المتفرد بايجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غنى لا يحتاج الى احد ويحتاج اليه كل احد وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة وقوله ولم يولد نفى للحدوث ووصف بالقدم والاولية وقوله ولم يكن له كفوا احد نفى ان يماثله شئ ومن زعم ان نفى الكفء وهو المثل فى الماضى لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه فى الحال فقد تاه فى غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن فى الحال ضرورة اذ الحادث لا يكون كفوا للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤل الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما قررنا واستحسن سيبويه تقديم الظرف اذا كان مستقرا اى خبرا لانه لما كان محتاجا اليه قدم ليعلم من اول الامر انه خبر لا فضلة وتأخيره اذا كان لغوا اى فضلة لان التأخير مستحق للفضلات وانما قدم فى الكلام الافصح لان الكلام سيق لنفى المكافأة عن ذات البارى سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الاهم تقديمه وكان ابو عمرو يستحب الوقف على احد ولا يستحب الوصل قال عبد الوارث على هذا ادركنا القراء واذا وصل نون وكسر او حذف التنوين كقراءة عزير ابن الله كفؤا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفوا مثقلة غير مهموزة حفص الباقون مثقلة مهموزة وفى الحديث (هذه)

من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الاوامر والنواهى وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه ومالا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا فى زمرة العاملين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل يارسول الله ماوجبت قال وجبت له الجنة ﴿ سورة الفلق مختلف فيها وهى خمس آيات ﴾

حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك * وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يارسول الله وماجبت قال وجبت له الجنة

﴿ سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس ﴾

صلى الله عليه وسلم قال قال الله عزوجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدانى وليس اول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الفلق وهى مدنية وقيل مكية والاول أصح وهى ﴾

﴿ خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة واربعة وسبعون حرفا ﴾

(م) عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر آيات أنزلت

ولاند ولاشبه ولاعدل ولا احد يشاكله ويقال لم يكن له كفوا احد فيمازه فى الملك والسلطان ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الفلق وهى كلها مكية وقيل مدنية آياتها خمس وكلماتها ثلاث و عشرون وحروفها تسعة وستون حرفا ﴾

مطلقا وكل ماعداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى اوالدليل عليها ﴿لم يلد﴾ لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله اوليطابق قوله ﴿ولم يولد﴾ وذلك لانه لايفتقر الى شئ ولايسبقه عدم ﴿ولم يكن له كفوا احد﴾ اى ولم يكن احد يكافئه اى يماثله من صاحبة اوغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفى المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى كفؤا اوخبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لان المراد منها نفى اقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرأ

ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد الذى ليس بأجوف شيآن احدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثانى اشرف من الانسان واعلى منه وهو البارئ جل وعز وقال ابى بن كعب الصمد الذى لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخارى فى افراده عن ابى وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذى انتهى سودده وهى رواية عن ابن عباس ايضا قال هو السيد الذى كمل فيه جميع اوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود فى جميع الحوائج المرغوب اليه فى الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل فى جميع صفاته وافعاله وتلك دالة على انه المتناهى فى السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقى بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذى ليس فوقه احد وهو قول على وقيل هو الذى لاتعتريه الآفات ولاتغيره الاوقات وقيل هو الذى لاعيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذى ليس له زوال والآخر الذى ليس لملكه انتقال والاولى ان يحمل لفظ الصمد على كل ماقيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضى ان لايكون فى الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شئ وانه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * قوله عزوجل ﴿لم يلد ولم يولد﴾ وذلك ان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عزوجل ونفى عن نفسه ماقالوا بقوله لم يلد يعنى كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة النسب من جميع الجهات فهو الاول الذى لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذى لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذى لم يكن له كفوا احد اى ليس له من خلقه مثل ولانظير ولاشبيه فنفى عنه بقوله ﴿ولم يكن له كفوا احد﴾ العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن ابى هريرة ان النبى

(لم يلد) لانه لايجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لان كل مولود محدث وجسم هو قديم لااول لوجوده اذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر الى محدث وكذا الثانى والثالث فيؤدى الى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للمتركب ولايخلو حينئذ من ان يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء الها فيفسد القول به كما فسد بالهين او غير متصف بها بل باضدادها من سمات الحدوث وهو محال (ولم يكن له كفوا احد) ولم يكافئه احد اى لم يماثله سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه مايحتوى على صفاته تعالى فقوله هو الله اشارة الى انه خالق الاشياء وفاطرها وفى طى ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام

ولا يستغنون عنه وهو الغنى عنهم الذى (لم يلد ولم يولد) يقول لم يرث ولم يورث ويقال لم يلد ليس له ولد فيرث ملكه ولم يولد وليس له والد فورث عنه الملك (ولم يكن له كفوا احد) يقول لم يكن له كفوا احد ليس له ضد

عاجزا والعاجز لايكون الها وان قدر احدهما دون الآخر فالآخر لايكون الها وان قدرا جميعا فاما ان يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا اوجده احدهما فاما ان يبقى الثانى قادرا عليه وهو محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول مزيلا قدرة الثانى فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلايكون الها فان قلت الواحد اذا اوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم ان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلت الواحد اذا اوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لايكون عاجزا واما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا (الله الصمد) هو فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو وهو السيد المصمود اليه فى الحوائج والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد لاشريك له وهو الذى يصمد اليه كل مخلوق

بدل اوخبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقى مايكون منزه الذات عن انحناء التركيب والتعدد ومايستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه فى قل يا ايها الكافرون ولايجوز فى تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول عليه السلام وموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلايناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى ﴿ الله الصمد ﴾ السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اليه اذا قصده وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره

اخرجه الترمذى وقال وقد روى عن ابى العالية ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فأتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابى بن كعب وهذا اصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال عامر الام تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه السورة واهلك الله اربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون وقد تقدم ذكرهما فى سورة الرعد وقيل جاء ناس من احبار اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى انزل نعته فى التوراة فأخبرنا من اى شئ هو وهل يأكل ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة قل هو الله احد يعنى الذى سألتمونى عنه هو الله الواحد فى الالوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لايوصف احد بالاحدية غير الله تعالى فلايقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل فى الاحد ولاينعكس وقيل ان الواحد يستعمل فى الاثبات والاحد فى النفى تقول فى الاثبات رأيت رجلا واحدا وفى النفى مارأيت احدا فتفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلايضاهيه احد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلايشاركه فيه احد ﴿ الله الصمد ﴾ قال ابن عباس الصمد الذى لاجوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشئ المصمد الصلب الذى ليس فيه رطوبة ولارخاوة ومنه يقال السداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول ان الصمد الذى ليس بأجوف معناه هو الذى لايأكل ولايشرب وهو الغنى عن كل شئ فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على انه تعالى بخلاف من أثبتوا له الالهية الاشارة بقوله تعالى ما المسيح

(الله الصمد) السيد الذى قد انتهى سودده واحتاج اليه الخلائق ويقال الصمد الذى لايأكل ولايشرب ويقال الصمد الذى ليس باجوف ويقال الصمد الصافى (ابن) بلاعيب ويقال الصمد الدائم ويقال الصمد الباقى ويقال الصمد الكافى ويقال الصمد الذى ليس له مدخل ولامخرج ويقال الصمد

(بسم الله الرحمن الرحيم) (قل هو الله احد) هو ضمير الشان والله احد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشأن هذا وهو ان الله واحد لا ثانى له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولا يحتاج الى الراجع لانه فى حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى انه هو المبتدأ فى المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشأن الذى هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق ﴿٦٠١﴾ فان زيد والجملة يدلان {سورة الاخلاص} على معنيين مختلفين فلابد

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل هو الله احد﴾ الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هى هو او لما سئل عنه اى الذى سألتمونى عنه هو الله اذ روى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت واحد

للصفات فهى ثلث القرآن وجزء من ثلاثة اجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف * قوله يتقالها يقال استقللت الشئ وتقللته اى عددته قليلا فى بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله احد سورة الاخلاص اما لانها خالصة لله تعالى فى صفته او لان قارئها قد اخلص الله التوحيد ومن فوائد هذه السورة ان الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهى متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل ما يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير * عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتى مرة قل هو الله احد محيت عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وفى رواية عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدى ادخل عن يمينك الجنة اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * وعنه ان رجلا قال يا رسول الله انى احب هذه السورة قل هو الله احد قال حبك اياها ادخلك الجنة اخرجه الترمذى * عن ابى هريرة قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله احد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿قل هو الله احد﴾ عن ابى بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذى لم يلد ولم يولد لانه ليس شئ يولد الا سيموت وليس شئ يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شئ

مما يصل بينهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت يعنى الذى سألتمونى وصفه هو الله تعالى وعلى هذا احد خبر مبتدأ محذوف اى هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا والدليل على انه واحد من جهة العقل ان الواحد اما ان يكون فى تدبير العالم وتخليقه كافيا اولا فان كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص ولان العقل يقتضى احتياج المفعول الى فاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد اولى من عدد فيفضى ذلك الى وجود اعداد لا نهاية لها وذا محال فالقول بوجود الهين محال ولان احدهما اما ان يقدر على ان يستر شيأ من افعاله (قا وخا ٧٦ س) عن الآخر اولا يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا ولانا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود فان لم يقدر واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (قل هو الله احد) وذلك ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك من اى شئ هو من ذهب ام من فضة فانزل الله فى بيان صفته ونعته فقال قل يا محمد لقريش هو الله احد لا شريك له ولا ولد له

قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

﴿ سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع ﴾

يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت لها خرزات في عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الاخلاص وهي مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات ﴾

﴿ وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا ﴾

﴿ فصل في فضلها ﴾

(خ) عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أيعجز أحدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله احد الله الصمد ثلث القرآن (م) عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزأ القرآن ثلاثة اجزاء فجعل قل هو الله احد جزأ من القرآن (م) عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله احد الله الصمد حتى ختمها وقد ذكر العلماء رضي الله عنهم في كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن اقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القرآن العزيز لايعدو ثلاثة اقسام وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه اوصفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لان منتهى التقديس في ان يكون واحدا في ثلاثة امور لايكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولايكون حاصلا ممن هو نظيره وشبيهه ودل عليه قوله ولم يولد ولايكون احد في درجته وان لم يكن اصلا له ولافرعا منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله احد وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا سر من اسرار القرآن المجيد الذي لاتتناهى اسراره ولا تنقضي عجائبه وقال الامام فخر الدين الرازي لعل الغرض منه ان يكون المقصود الاشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قيل معناه ان القرآن على ثلاثة انحاء قصص واحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله احد متمحضة

﴿ سورة الاخلاص اربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند اهل البصرة ﴾

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الاخلاص وهي كلها مكية آياتها اربع وكلماتها خمس عشرة كلمة وحروفها سبعة واربعون حرفا ﴾

(للصفات)

(سيصلى نارا) سيدخل سيصلى البرجمى عن ابى بكر والسين للوعيد هو كائن لامحالة وان تراخى وقته (ذات لهب) توقد (وامرأته) هى ام جميل بنت حرب اخت ابى سفيان (حمالة الحطب) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشى بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم وانا احب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لانها عطفت على الضمير فى سيصلى اى سيصلى هو وامرأته والتقدير اغنى حمالة الحطب وغيره رفع حمالة الحطب على انها خبر وامرأته اوهى حمالة (فى جيدها حبل من مسد) حال اوخبر آخر والمسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد اوغيرهما والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة والله اعلم

وقوعه ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ اشتمال يريد نار جهنم وليس فيه مايدل على انه لايؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا ﴿وامرأته﴾ عطف على المستكن فى سيصلى اومبتدأ وهى ام جميل اخت ابى سفيان ﴿حمالة الحطب﴾ يعنى حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول عليه السلام وتحمل زوجها على ايذائه اوالنميمة فانها توقد نار الخصومة اوحزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم ﴿فى جيدها حبل من مسد﴾ اى مما مسد اى فتل ومنه رجل ممسود الخلق اى مجدوله وهو ترشيح للمجاز اوتصوير لها بصورة الحطابة التى تحمل الحزمة وتربطها فى جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها فى نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفى جيدها سلسلة من النار والظرف فى موضع الحال اوالخبر وحبل مرتفع به * عن النبى عليه السلام من

ثم اوعده بالنار فقال تعالى ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ اى نارا تلتهب عليه ﴿وامرأته﴾ يعنى ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابى سفيان بن حرب عمة معاوية بن ابى سفيان وكانت فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿حمالة الحطب﴾ قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لتؤذيهم بذلك وهى رواية عن ابن عباس قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها فى نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاترى انها تستعين فى ذلك بأحد بل تفعله هى بنفسها وقيل كانت تمشى بالنميمة وتنقل الحديث وتلقى العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغرى به وقيل حمالة الخطايا والآثام التى حملتها فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب فى مصيرها الى النار ﴿فى جيدها﴾ اى عنقها ﴿حبل من مسد﴾ قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذى كانت تحتطب به فبينما هى ذات يوم حاملة الحزمة اعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن

(سيصلى) سيدخل فى الآخرة (نارا ذات لهب) تشتعل وتغيظ (وامرأته) معه ام جميلة بنت حرث بن امية (حمالة الحطب) نقالة النميمة كانت تمشى بالنميمة بين المسلمين والكافرين ويقال كانت تأتى بالشوك فتطرحه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد وطريق المسلمين (فى جيدها) فى عنقها فى النار (حبل من مسد) سلسلة من حديد ويقال فى عنقها رسن من ليف الذى اختنقت به وماتت

(وتب) وهلك كله اوجعلت يداه هالكتين والمراد اهلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك
وحصل كقوله * جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات

وقدفعل * وقددلت عليه قراءةابن مسعود رضي الله عنه وقد تب روى انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقى الصفا وقال ياصباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال عليه الصلاة والسلام يابني عبد المطلب يابني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابولهب تبالك الهذا دعوتنا فنزلت وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم اولكراهة اسمه فاسمه عبد العزى اولان مآله الى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته ابي لهب مكي (ما اغنى عنه ماله) ما للنفي (وما كسب) مرفوع وما موصولة اومصدرية اى ومكسوبه او وكسبه اى لم ينفعه ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروى انه كان يقول ان كان مايقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي

عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابولهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته او لان اسمه عبدالعزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله وليجانس قوله ذات لهب وقرأ ابن كثير ابى لهب بسكون الهاء وقرئ ابولهب كما قيل على بن ابوطالب ﴿ وتب ﴾ اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقدفعل

ويدل عليه انه قرئ وقد تب اوالاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه ﴿ مااغنى عنه ماله ﴾ نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكارله ومحلها النصب ﴿ وما كسب ﴾ وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه اوولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابولهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ميتا ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه

فصعد الجبل فنادى ياصباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشئ عن كله وجميعه وقيل انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وابولهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكنى بأبي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه احدها انه كان مشهورا بالكنية دون الاسم فلوذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه لما كان من اهل النار وما له الى النار والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها ﴿ وتب ﴾ قيل الاول اخرج مخرج الدعاء عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا ابي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه اى وقداهلكت نفسه ﴿ مااغنى عنه ماله وما كسب ﴾ قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرباءه الى الله تعالى قال ابولهب ان كان ماتقول يا ابن اخي حقا فانا فتدى نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى مااغنى عنه ماله اى اى شئ يغني عنه ماله اى ما يدفع عنه عذاب الله وما كسب يعني من المال وكان صاحب مواش اى ما جمع من المال او ما كسب من المال اى ربح بعد رأس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي

(وتب) خسر نفسه عن التوحيد (مااغنى عنه) في الآخرة (ماله) كثرة ماله في الدنيا (وما كسب) يعني كثرة الاولاد (ثم)

لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه الصلاة والسلام مايبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهى كقوله اليوم اكملت لكم دينكم اولان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذاجاء اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة شرفها الله تعالى

﴿ سورة ابى لهب مكية وآيها خمس ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تبت ﴾ هلكت اوخسرت والتباب خسران يؤدى الى الهلاك ﴿ يدا ابى لهب ﴾ نفسه كقوله ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه الصلاة والسلام لما نزل

وهو ماصلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هى صلاة الضحى وفى الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا فى اداء ماوجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت مامعنى هذا الاستغفار وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدى به غيره اذلايأمن كل واحد من نقص يقع فى عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبى صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ماكان يستغنى عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو من ترك الافضل والاولى لاعن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى ان يكون قدوقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب امته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره بذلك فى قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة أبى لهب وهى مكية وخمس آيات وعشرون كلمة ﴾

﴿ وسبعة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ (ق) عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يابنى فهر يابنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ارسل رسولا لينظر ماهو فجاء ابولهب وقريش فقال ارأيتكم لواخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقى قالوا نعم ماجربنا عليك الاصدقا قال فانى لكم نذير بين يدى عذاب شديد فقال ابولهب تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابى لهب وتب مااغنى عنه ماله وما كسب وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء

﴿ سورة أبى لهب مكية وهى خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت يدا أبى لهب) التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اى هالكة من الهرم والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها أبو لهب وهى كلها مكية آياتها خمس وكلماتها ثلاث وعشرون وحروفها سبعة وسبعون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (تبت يدا ابى لهب) وذلك انه لما قال الله لنبيه عليه السلام وانذر عشيرتك الاقربين فقال لهم بعدما دعاهم قولوا لااله الا الله فقال له عمه اخوابيه من امه واسمه عبد العزى كنيته ابولهب تبالك يامحمد الهذا دعوتنا فانزل الله فيه تبت يدا ابى لهب يقول خسرت يدا ابى لهب من كل خير

﴿ فسبح بحمد ربك ﴾ فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامداله عليه اوفصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمانى ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده اوفأثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام ﴿ واستغفره ﴾ هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام انى استغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله ﴿ انه كان توابا ﴾ لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وتعظيماله كبيت الله وناقة الله * قوله ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ﴾ يعنى فانك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم قال وما رأيت انه كان دعانى يومئذ الا ليريهم قال ماتقولون فى قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لى اكذلك تقول ياابن عباس قال قلت لاقال فما هو قلت هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذاجاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر مااعلم منها الا ماتعلم (ق) عن عائشة قالت ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان انزلت عليه اذاجاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى يتأول القرآن وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القول من سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال اخبرنى ربى انى سأرى علامة فى امتى فاذا رأيتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبى صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة فى العمل الصالح قيل عاش النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل فى معنى السورة اذاجاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سببا لمزيد درجاتك فى الدنيا والآخرة وفى معنى التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لايليق بجلاله ثم احمده والثانى فصل لربك لان التسبيح جزء من اجزاء الصلاة ثم قيل عنى به صلاة الشكر

(فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامداله اوفصل له (واستغفره) تواضعا وهضما للنفس اودم على الاستغفار (انه كان) ولم يزل (توابا) التواب الكثير القبول للتوبة وفى صفة العباد الكثير الفعل للتوبة ويروى ان عمر رضى الله عنه لما سمعها بكى وقال الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين والله اعلم

(فسبح بحمد ربك) فصل بامر ربك شكرا لذلك (واستغفره) من الذنوب (انه كان توابا) متجاوزا رحيما فنعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة بالموت

﴿ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا ﴾ جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت

اذا فتح الله عليه مكة ارضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا (ق) عن ابى هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام الفتح بقتيل لهم فى الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين الا وانها لم تحل لاحد قبلى ولاتحل لاحد من بعدى الا وانما احلت لى ساعة من نهار الا وانها ساعتى هذه فلا ينفر صيدها ولايختلى خلاها ولايقطع شوكها ولاتحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفتدى واما ان يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام ابوشاه رجل من اهل اليمن فقال اكتبوا لى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابى شاه قال الاوزاعى يعنى الخطبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم * واما التفسير فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعنى اذا جاءك يامحمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجئ النصر ان جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها اوتأخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعنى فتح مكة فى قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المؤمن وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا ابدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر هو اكمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذى هو تمام النعمة ﴿ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ﴾ يعنى زمرا وارسالا القبيلة باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمدا باهل الحرم وكان قد اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله افواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل اراد بالناس اهل اليمن (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام واضافه اليه تشريفا

(ورأيت الناس يدخلون) هو حال من الناس على ان رأيت بمعنى ابصرت او عرفت اومفعول ثان على انه بمعنى علمت (فى دين الله افواجا) هو حال من فاعل يدخلون وجواب اذا فسبح اى اذا جاء نصر الله اياك على من ناواك وفتح البلاد ورأيت اهل اليمن يدخلون فى ملة الاسلام جماعات كثيرة بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا او اثنين اثنين

(ورأيت الناس) اهل اليمن وغيرهم (يدخلون فى دين الله) الاسلام (افواجا) جماعات القبيلة باسرها فاعلم انك ميت

وان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف الى فقال مرحبا واهلا بأم هانئ ماجاء بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر على بن ابى طالب فقال قد اجرنا من اجرت وامنا من امنت فلا نقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده فلما قضى طوافه دعا عثمان ابن طلحة واخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس فى المسجد فقال لا اله الا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة اودم اومال يدعى فهى تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطا شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل اربعون منها خلفة فى بطونها اولادها يامعشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية ثم قال يامعشر قريش ماترون انى فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وقد كان الله امكنه منهم عنوة فبذلك سموا اهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه على بن ابى طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يارسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان ابن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه يأخذ على الناس فيبايعونه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن امية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحى يارسول الله ان صفوان بن امية سيد قومى قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه فى البحر فامنه يارسول الله فقال هو آمن قال يارسول الله اعطنى شيأ يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال ياصفوان فداك ابى وامى اذكرك الله فى نفسك ان تهلكها فهذا امان يارسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك به فقال ويلك اعزب عنى لاتكلمنى قال فداك ابى وامى افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمتك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى اخافه على نفسى قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك امنتنى قال صدق قال فاجعلنى فى ذلك بالخيار شهرين قال انت بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(اذا)

امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو ا كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لاتقاتلا الا من قاتلكما وامر سعد بن عبادة ان يدخل فى بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم يوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ماقال سعد بن عبادة وما نأمن ان يكون له فى قريش صولة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب ادركه بهذه الراية فكن انت الذى تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنى بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا او ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد شذا وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرائه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة ان لايقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا منهم سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبدالله بن سعد بن ابى سرح وانما امر بقتله لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن اهل مكة فاستأمنه له وعبدالله بن خطل رجل من بنى تيم بن غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما معه والحويرث ابن نقيد بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصارى الذى قتل اخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة لبنى عبدالمطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن ابى جهل فأما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امرأته ام حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت فى طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبدالله بن خطل فقتله سعيد ابن حريث المخزومى وابو برزة الاسلمى اشتراكا فى دمه واما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبدالله رجل من قومه واما قينتا ابن خطل فقتلت احداها وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها واما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى اوطأها رجل من الناس فرسا له فى زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها واما الحويرث بن نقيد فقتله على بن ابى طالب قالت ام هانئ لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فرالى رجلان من احمائى من بنى مخزوم وكانت عند هبيرة بن ابى وهب المخزومى قالت فدخل على على بن ابى طالب اخى فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة

اله غيره لقد اغنى عنى شيأ بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم انى رسول الله قال بابى انت وامى ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه فان فى النفس منها حتى الآن شيأ فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء ياعباس فاقول سليم فيقول مالى ولسليم ثم القبيلة فيقول من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل لاتمر قبيلة الا سألنى عنها فاذا اخبرته عنها فيقول مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لايرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء ياعباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله ياابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة فصرخ فى المسجد باعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قدجاءكم بمالا قبل لكم به قالوا فه قال قال من دخل دار ابى سفيان فهو آمن قالوا ويحك وماتغنى عنا دارك قال من دخل المسجد فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث فى اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره ان يركز رايته باعلى مكة بالحجون وقال لا تبرح حيث امرتك ان تركز رايتى حتى آتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة عليه برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما اكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلى مكة وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبنى ان يدخلوا من اسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحرث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش ان يكونوا باسفل مكة وان صفوان بن

فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره

بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه انه الهلاك لقريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى اجد حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة قال العباس فوالله انى لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام ابى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وابو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال ابو سفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا اباحنظلة فعرف صوتى فقال يا ابا الفضل فقلت نعم قال مالك فداك ابى وامى قلت ويحك يا ابا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لاقبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فردفنى ورجع صاحباه فخرجت اركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون الى ويقولون عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام الى فلما رأى اباسفيان على عجز البغلة قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذى امكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطئ قال فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يارسول الله هذا عدو الله ابو سفيان قد امكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى اضرب عنقه قال فقلت يارسول الله انى قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت برأسه وقلت والله لايناجيك الليلة احد دونى فلما اكثر عمر فى شأنه قلت مهلا ياعمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بنى عبد مناف ولو كان من بنى عدى بن كعب ماقلت هذا فقال مهلا ياعباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الى من اسلام الخطاب لو اسلم وما ذاك الا لانى اعلم ان اسلامك كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعباس الى رحلك فاذا اصبحت فأتنى به قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك يا اباسفيان الم يأن لك ان تعلم ان لااله الا الله وانى رسول الله قال بابى انت وامى ما احلمك واكرمك واوصلك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله

تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيأ

ابن على غلاما يدب بين يديها فقال ياعلى انك امس القوم بى رحما واقربهم منى قرابة وقد جئت فى حاجة فلا ارجعن كما جئت خائبا فاشفع لى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا اباسفيان لقد ارى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر مانستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يابنت محمد هل لك ان تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله مابلغ بنى ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا الحسن انى ارى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله لا اعلم شيأ يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عنى شيأ قال لا والله ما ظن ذلك ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابوسفيان فى المسجد فقال ايها الناس انى قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله مارد على شيأ ثم جئت ابن ابى قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته اعدى القوم ثم اتيت على بن ابى طالب فوجدته الين القوم وقد اشار على بشئ صنعته فوالله ما ادرى هل يغنى ذلك شيأ ام لا قالوا وماذاك قال امرنى ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله مازاد على ان لعب بك فما يغنى عنك ماقلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر على ابنته عائشة وهى تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى بنية امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ما ادرى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابى بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذى اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته فى تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة اباهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبى صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج افطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من الانصار والمهاجرين عنه احد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ماهو فاعل خرج فى تلك الليالى ابوسفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا

(بعياله)

جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء

يارب انى ناشـد محمدا * حلف ابينا وابيه الا تلدا
قد كنتمو ولدا وكنا والدا * ثمت اسلمنـا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسـول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا * ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكـدا * وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا ان لست ادعو احدا * وهم اذل واقل عـددا
هم بيتونا بالوتير هجـدا * وقتلونا ركعا وسجـدا
فانصر هداك الله نصرا ابدا

فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول صلى الله عليـه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتشهد بنصر بنى كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كا نكم بابى سفيان قد جاء يشدد فى العقد ويزيد فى المدة ومضى بديل بن ورقاء واصحابه حتى لقوا ابا سفيان بعسفان قد بعثه قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد فى العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا من الذى صنعوا فلما لقى ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يا بديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى قال وهل اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخـذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة بنت ابى سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال اى بنيـة ارغبت بى عن هذا الفراش ام رغبت به عنى فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس لم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يا بنية بعدى شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيأ ثم ذهب الى ابى بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لك الى النبى صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على على بن ابى طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن

من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

﴿ سورة النصر مدنية وآيها ثلاث ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اذا جاء نصر الله ﴾ اظهاره اياك على اعدائك ﴿ والفتح ﴾ فتح مكة وقيل المراد

لكم كفركم ولي اخلاصي وتوحيدي والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ماشئتم وهذه الاية منسوخة بآية القتال والله اعلم

﴿ تفسير سورة النصر وهي مدنية وثلاث آيات وسبع عشرة كلمة ﴾

﴿ وسبعة وسبعون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح ﴾ يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ماذكره محمد بن اسحق واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب ان يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم اسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدئلي في بني الدئل من بني بكر حين بقيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا وردفت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم بكر بن صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يانوفل انا قد دخلنا الى الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله له اليوم يابني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم افلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما اهاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال

(يارب)

﴿ سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة وروى انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع (جاء نصر الله والفتح) النصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة او جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها النصر وهي كلها مكية آياتها ثلاث وكلماتها ثلاث وعشرون وحروفها سبعة وسبعون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (اذا جاء نصر الله) يقول اذا جاء نصر الله على اعدائه قريش وغيرهم (والفتح) فتح مكة

(لا اعبد ماتعبدون) اى لست فى حالى هذه عابدا ماتعبدون (ولا انتم عابدون) الساعة (ما اعبد) يعنى الله (ولا انا عابد ماعبدتم) ولا اعبد فى المستقبل من الزمان ماعبدتم (ولا انتم) فيما تستقبلون (عابدون ما اعبد) وذكر بلفظ ما لان المراد به الصفة اى لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق اوذكر بلفظ ما ليتقابل اللفظان ولم يصح فى الاول من وصح فى الثانى ما بمعنى الذى (لكم دينكم ولى دين) لكم شرككم ولى توحيدى وبفتح الياء نافع وحفص وروى ان ابن مسعود رضى الله عنه دخل المسجد والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فقال له نابذيا ابن مسعود فقرأ قل يا ايها الكافرون ثم قال له فى الركعة الثانية اخلص فقرأ قل هو الله احد فلما سلم قال يا ابن مسعود سل تجب والله اعلم

(لا اعبد ما تعبدون) من دون الله من الاوثان (ولا انتم عابدون) تعبدون (ما اعبد) وهذان فى المستقبل (ولا انا عابد ماعبدتم) من دون الله (ولا انتم عابدون ما اعبد) وهذان فى الماضى ويقال لا اعبد لا اوحد ما تعبدون ما توحدون من دون الله ولا انتم عابدون موحدون ما اعبد ما اوحد ولا انا عابد موحد ماعبدتم ما وحدتم من دون الله ولا انتم عابدون موحدون ما اعبد ما اوحد (لكم دينكم) عليكم دينكم الكفر والشرك بالله (ولى دين) الاسلام والايمان بالله ثم نسختها آية القتال وقاتلهم بعد ذلك

روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت ﴿لا اعبد ما تعبدون﴾ اى فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ﴿ولا انتم عابدون ما اعبد﴾ اى فيما يستقبل لانه فى وزان لا اعبد ﴿ولا انا عابد ماعبدتم﴾ اى فى الحال اوفيما سلف ﴿ولا انتم عابدون ما اعبد﴾ اى وماعبدتم فى وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ماعبدت ليطابق ماعبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وانما قال مادون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذى والاخريان مصدريتان ﴿لكم دينكم﴾ الذى انتم عليه لا تتركونه ﴿ولى دين﴾ دينى الذى انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن فى الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل

وقد انزل الله على قل يا ايها الكافرون والمخاطبون بقوله يا ايها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق فى علم الله انهم لا يؤمنون ﴿لا اعبد ما تعبدون﴾ فى معنى الآية قولان احدهما انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون لا افعل فى المستقبل ماتطلبونه منى من عبادة آلهتكم ﴿ولا انتم عابدون ما اعبد﴾ اى ولا انتم فاعلون فى المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهى ثم قال ﴿ولا انا عابد ماعبدتم﴾ اى ولست فى الحال بعابد معبودكم ﴿ولا انتم عابدون ما اعبد﴾ اى ولا انتم فى الحال بعابدين معبودى وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثانى للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما ان يكون للحال والاستقبال ولكن يختص احدهما بالحال والثانى بالاستقبال لانه اخبر اولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون فى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد فى الاستقبال وما بمعنى من اى من اعبد ويحتمل ان تكون بمعنى الذى اى الذى اعبد القول الثانى حصول التكرار فى الآية وعلى هذا القول يقال ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التوكيد اشد كان التكرار احسن ولا موضع احوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار فى هذا الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرر الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل فى دينك عاما فادخل فى ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ اى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قل يا ايها الكافرون ﴾ يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لايؤمنون

﴿ وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا ﴾

عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له بثلث القرآن اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل بربع القرآن ان القرآن مشتمل على الامر والنهى وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة على النهى عن عبادة غير الله تعالى وهى من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ قل يا ايها الكافرون ﴾ الى آخر السورة نزلت فى رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمى والعاص بن وائل السهمى والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك فى ديننا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذى جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذى بايدينا خيرا كنت قد شركتنا فى امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما يأتى من ربى فانزل الله قل يا ايها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه اولئك الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك وآذوه واصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا ابا الفضل لو ان ابن اخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بالهه فاتاه العباس فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت فى ابى جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بتبليغ الرسالة بجميع ما اوحى الله اليه فلما قال الله تعالى قل يا ايها الكافرون اداه النبى صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال امرت بتبليغ جميع ما انزل الله على وكان فيما نزل عليه قل يا ايها الكافرون وقيل ان النفوس تأبى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظير ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندى انما هو من عند الله عز وجل

(وقد)

﴿ آيات مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا ايها الكافرون) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله انهم لايؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقرأها عليهم فايسوا

﴿ ست وعشرون وحروفها اربعة وسبعون حرف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (قل يا ايها الكافرون) وذلك ان المستهزئين هم العاص بن وائل السهمى والوليد ابن المغيرة واصحابهما قالوا استلم لآلهتنا يا محمد حتى نعبد الهك الذى تعبده فقال الله قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين يا ايها الكافرون المستهزؤن بالله وبالقرآن

البدن التى هى خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية ﴿ ان شانئك ﴾ ان من ابغضك لبغضه لك ﴿ هو الابتر ﴾ الذى لاعقب له اذ لايبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة مالا يدخل تحت الوصف * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

﴿ سورة الكافرون مكية وآيها ست ﴾

فوقهم فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه ﴿ ان شانئك ﴾ يعنى عدوك ومبغضك ﴿ هو الابتر ﴾ يعنى هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد وهو داخل فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذاك الابتر يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وائل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لاعقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت فى كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب ابن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبترة من قومه فقال انتم خير منه فنزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ونزلت فى الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر اى المنقطع من كل خير قولهم فى النبى صلى الله هذا الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المنفردة يدق اسفلها وتسمى الصنبور وقيل هى النخلة التى تخرج فى اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من جذع النخلة تضربها ودواؤها ان تقطع تلك الصنابر منها فاراد كفار مكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنبور ينبت فى جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة فكذا محمد اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذى لاولد له ولاعشيرة ولاناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى فى ذلك ورد عليهم اشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت الاعز الاشرف الاعظم والله اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة قل يا أيها الكافرون وهى مكية وست آيات وست ﴾

(ان شانئك) اى من ابغضك من قومك بمخالفتك لهم (هو الابتر) المنقطع عن كل خير لا انت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك فى الآخرة مايدخل تحت الوصف فمثلك لايقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة قيل نزلت فى العاص بن وائل سماه الابتر والابتر الذى لاعقب له وهو خبر ان وهو فصل

﴿ سورة الكافرين ست

(ان شانئك) يقول مبغضك (هو الابتر) ابتر عن اهله وولده وماله وعن كل خير لا يذكر بعد موته بخير وهو العاص بن وائل السهمى وانت تذكر بكل خير كلما اذكر وذلك انهم قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو الابتر بعدما مات ابنه عبد الله

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الكافرون وهى كلها مكية آياتها ست وكلماتها

واتباعه او علماء امته اوالقرآن ﴿ فصل لربك ﴾ فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهى عنها المرائى فيها شكرا لانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر ﴿ وانحر ﴾

شرح غريب الفاظ الاحاديث

قوله فيختلج العبد منهم اى ينتزع ويجذب منهم * قوله مابين جنبيه كمابين جرباء واذرح اما جرباء فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم الف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخارى فيها المد والقصر اولى وهى قرية من الشام واما اذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهى مدينة فى طرف الشام قريب من الشوبك واما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقاء من ارض الشام واما ايلة فبفتح الهمزة واسكان الياء المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة فى طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنتا عشرة مرحلة وهى آخر الحجاز واول الشام واما صنعاء فهى قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيد باليمن فى الحديث لان بدمشق موضعا يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافاة والجمع بين رواياتها * قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين اى يسيل فيه وفى الحديث الآخر يغت بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق اى يدفق فيه ميزابان دفقا شديدا متتابعا * قوله انى لبعقر حوضى هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض * قوله اذود الناس اى اضرب الناس لاهل اليمن بعصاى حتى يرفض عليهم معناه اطرد الناس عنه غير اهل اليمن ومعنى يرفض اى يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن * قوله انا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذى يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من آلات الاستقاء والمعنى انا سابقكم الى الحوض كالمهيئ له * قوله سحقا اى بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت فى حديث انس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة يعنى نام نومة ثم رفع رأسه متبسما والله اعلم * قوله تعالى ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى له وينحر له متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر اى ضع يدك اليمنى على اليسرى فى الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزى ومعنى الآية قد اعطيتك مالا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك فاعبد ربك الذى اعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثيرة واعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك

(فصل لربك) فاعبد ربك الذى اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله (وانحر) لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لعبدة الاوثان فى النحر لها

(فصل لربك) شكرا لذلك (وانحر) استقبل بنحرك الى القبلة ويقال ضع يمينك على شمالك فى الصلاة ويقال استوف الركوع والسجود حتى يبدو نحرك ويقال فصل لربك صلاة يوم النحر وانحر البدن

الزبرجد واوانيه من فضة لايظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده
المذكورة لاعلى التقدير الموضوع للتحديد بل لاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة
الحوض وليس فى ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره
وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلامعارضة ولامنافاة بينهما وكذلك القول فى آنية
الحوض من ان العدد المذكور فى الاحاديث على ظاهره وانها اكثر عددا من نجوم السماء
ولامانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول
فى الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما انتم الا
جزء من مائة الف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما
ضرب به مثلا لاكثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم
من ورد شرب منه فهذا صريح فى ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين
يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج
العبد منهم فاقول رب انه من امتى فيقول ماتدرى ما احدث بعدك وفى رواية وايرفعن
الى رجال منكم حتى اذا اهويت لاناولهم اختلجوا دونى فاقول اى رب اصحابى فيقول
انك لاتدرى ما احدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة فى الاحاديث السابقة
وهذا مما اختلف العلماء فى معناه وفى المراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون والمرتدون
فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبى صلى الله عليه
وسلم للسيما التى عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا
بعدك اى لم يكونوا على ماظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من اسلموا فى زمن النبى
صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده فى زمن ابى بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة
وهم اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبى صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من ايمانهم
فى حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم اصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم
عن الاسلام واصحاب المعاصى الكبائر الذى ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم
ومعاصيهم الكبائر فعلى هذا القول لايقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز
ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال ابو عمر بن
عبد البر كل من احدث فى الدين كالخوارج والروافض وسائر اصحاب الاهواء فهو من
المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور وغمط الحق والمعلنون
بالكبائر فكل هؤلاء يخاف ان يكونوا ممن عنى بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم
يظمأ ابدا قال القاضى عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب
والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار
لايعذب فيها بالظما بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب
منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله
من شاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله

خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاذودن رجالا عن حوضى كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض (م) عن حذيفة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضى لابعد من ايلة الى عدن والذى نفسى بيده لاذودن عنه الرجل كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يارسول الله وتعرفنا قال نعم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لاحد غيركم * عن زيد ابن ارقم رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم الا جزء من مائة الف جزء ممن يرد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة او ثمانمائة اخرجه ابو داود

فصل فى شرح هذه الاحاديث وذكر مايتعلق بالحوض

قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لايتأول ولايختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وابى سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبدالله وعبدالله بن عمرو وعائشة وام سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وابى ذر وثوبان وانس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية ابى بكر الصديق وزيد بن ارقم وابى امامة وعبد الله بن زيد وابى برزة وسويد بن حبلة وعبد الله بن الصنابحى والبراء ابن عازب واسماء بنت ابى بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيى الدين ورواه البخارى ومسلم ايضا من رواية ابى هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقى فى كتابه البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ماسبق ذكره فى الاحاديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما واخرجا ايضا حديث الحوض عن اسماء بنت ابى بكر الصديق وذكرها القاضى عياض فيمن خرج له فى غير الصحيحين قال القاضى عياض وفى بعض هذا ما يقتضى كون الحديث متواترا واما صفة الحوض ومقداره فقد قال فى رواية حوضى مسيرة شهر وفى رواية مابين جنبيه كما بين جرباء واذرح وفى رواية كما بين ايلة وصنعاء اليمن وفى رواية عرضه مثل طوله مابين عمان الى ايلة وفى رواية ان حوضى لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف فى هذه الروايات فى قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يأت فى حديث واحد بل فى احاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن مختلفة ضربها النبى صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعد مابين هذه البلاد

والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه السلام انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه السماء (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لايظمأ ابدا زاد فى رواية وزواياه سواء (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امامكم حوضى مابين جنبيه كمابين جرباء واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشأم بينهما مسيرة ثلاثة ايام وفى رواية فيه اباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مابين ناحيتى وفى رواية لابتى حوضى كمابين صنعاء والمدينة وفى رواية مثل مابين المدينة وعمان وفى رواية قال ان قدر حوضى كمابين ايلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء (م) عن ابى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذى نفسى بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها الا فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ماعليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله مابين عمان الى ايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل (م) عن ثوبان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لبعقر حوضى اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى الى عمان وسئل عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن و حلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وايرفعن الى رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فاقول اى ربى اصحابى فيقال انك لاتدرى مااحدثوا بعدك (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن اى ربى اصحابى اصحابى فليقالن لى انك لاتدرى مااحدثوا بعدك وفى رواية ليردن على ناس من امتى الحديث وفى آخره فأقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهطان من اصحابى او قال من امتى فيحلون عن الحوض فاقول رب اصحابى فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على امتى الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يانبى الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون الى فاقول يارب هؤلاء من اصحابى فيجيبنى ملك فيقول وهل تدرى مااحدثوا بعدك (ق) عن ابى هريرة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ انا اعطيناك ﴾ وقرئ انطيناك ﴿ الكوثر ﴾ الخير المفرط الكثرة من العلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ انا أعطيناك الكوثر ﴾ الكوثر نهر في الجنة اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شئ كثير في العدد وكثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق فجميع ماجاء في تفسير الكوثر فقد اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم اعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة واولى الاقاويل في الكوثر الذي عليه جمهور العلماء انه نهر في الجنة كما جاء مبينا في الحديث (ق) عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما اضحكك يارسول الله قال انزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ماتدري ما احدث بعدك لفظ مسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ماهذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه وطينته مسك اذفر شك الراوي * عن انس رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزور قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال سألت عائشة عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقالت نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم

(بسم الله الرحمن الرحيم) (انا أعطيناك الكوثر) هو فوعل من الكوثر وهو المفرط الكثرة وقيل هو نهر في الجنة احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخير الكثير فقيل له ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (انا اعطيناك الكوثر) يقول اعطيناك يامحمد الخير الكثير والقرآن منه ويقال الكوثر نهر في الجنة اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم

ويمنعون الماعون) يعنى بهذا المنافقين اى لايصلونها سرا لانهم لايعتقدون وجوبها ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون انفسهم فى جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وانهم لايريدون بها قربة الى ربهم ولا تأدية الفرض ﴿٥٧٩﴾ فهم يخفضون ويرتفعون (سورة الماعون) ولايدرون ماذا يفعلون

ليروهم الثناء عليها ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ الزكاة او مايتعاور فى العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليه الويل اوللسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ارأيت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

﴿ سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث ﴾

والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ روى عن على انه قال هى الزكاة وهو قول ابن عمرو الحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة منع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفأس والدلو والقدر واشباه ذلك وهى رواية عن ابن عباس ويدل عليه ماروى عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر اخرجه ابو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون اعلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظى الماعون المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل اصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون مالايحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور فى البيت فلايمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها فى نهاية البخل قال العلماء ويستحب ان يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله اعلم

﴿ تفسير سورة الكوثر وهى مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل ﴾
﴿ انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهى ثلاث آيات وعشر ﴾
﴿ كلمات واثنان واربعون حرفا ﴾

ويظهرون للناس انهم يؤدون الفرائض ويمنعون الزكاة ومافيه منفعة وعن انس والحسن قالا الحمد لله الذى قال عن صلاتهم ولم يقل فى صلاتهم لان معنى عن انهم ساهون عنها سهو تركها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين ومعنى فى ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره والمراآة مفاعلة من الاراءة لان المرائى يرائى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولايكون الرجل مرائيا باظهار الفرائض فمن حقها الاعلان بها لقوله صلى الله عليه وسلم ولاغمة فى فرائض الله والاخفاء فى التطوع اولى فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا والماعون الزكاة وعن ابن مسعود رضى الله عنه مايتعاور فى العادة بين الناس من القدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضى الله عنها الماء والنار والملح والله اعلم ﴿ سورة الكوثر مكية وهى ثلاث آيات ﴾

(ويمنعون الماعون) المعروف ويقال الزكاة ويقال العوارى بين الناس مثل القدر والاوانى مما ينتفع به الناس وغير ذلك ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الكوثر وهى كلها مكية آياتها ثلاث وكلماتها عشر وحروفها اثنان واربعون ﴾

نفسه فدفعه او ابوسفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه اوالوليد بن المغيرة اومنافق بخيل وقرئ يدع اى يترك ﴿ولايحض﴾ اهله وغيرهم ﴿على طعام المسكين﴾ لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون﴾ غافلون غيرمبالين بها ﴿الذين هم يراؤن﴾ يرون الناس اعمالهم

فى التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارأيت يا ايها الانسان او يا ايها العاقل هذا الذى يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذى يدع اليتيم اى يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدعو بالتخفيف اى يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة ﴿ولايحض على طعام المسكين﴾ اى لايطعمه ولايأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره فلايأمر غيره بالاطعام * قوله تعالى ﴿فويل للمصلين﴾ يعنى المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى ﴿الذين هم عن صلوتهم ساهون﴾ روى البغوى بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلون فى العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراؤن وقال تعالى فى وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس وقيل ساه عنها لايبالى صلى اولم يصل وقيل لايرجون لها ثوابا ان صلوا ولايخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لايصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها فى المنافقين والمؤمن قد يسهو فى صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لايتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سها فى صلاته تداركه فى الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله فى جميع اجزاء الصلاة وهذا لايصدر الا من المنافق الذى يعتقد انه لافائدة فى الصلاة فأما المؤمن الذى يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو فى الصلاة يعنى انه يصير ساهيا فى بعض اجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان اوحديث النفس وذلك لايكاد يخلو منه احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من افعال المنافق والسهو فى الصلاة من افعال المؤمن ﴿الذين هم يراؤن﴾ يعنى يتركون الصلاة فى السر ويصلونها فى العلانية والفرق بين المنافق والمرائى ان المنافق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائى يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من اهل الدين

دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة (ولايحض على طعام المسكين) ولايبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف اى لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه دل انه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن

ويقال يمنع حقه (ولايحض) لايحث ولا يحافظ (على طعام المسكين) على صدقة المساكين (فويل) شدة عذاب فى النار (للمصلين) للمنافقين ثم بينهم فقال (الذين هم عن صلوتهم ساهون) لاهون تاركون لها (الذين هم يراؤن) بصلاتهم اذا رأوا الناس صلوا واذا لم يروا لم يصلوا

الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) التنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف من بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام

﴿سورة الماعون مختلف فيها وهى سبع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت الذى يكذب بالدين) اى هل رأيت الذى يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذى) يكذب بالجزاء هو الذى (يدع اليتيم) اى يدفعه

الذى اطعمهم من جوع ﴾ اى بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ خوف اصحاب الفيل او التخطف فى بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

﴿ سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أرأيت ﴾ استفهام معناه التعجب وقرئ اريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وارأيتك بزيادة الكاف ﴿ الذى يكذب بالدين ﴾ بالجزاء او الاسلام والذى يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثانى قوله ﴿ فذلك الذى يدع اليتيم ﴾ يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال

﴿ الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ ومعنى الذى أطعمهم من جوع اى من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد فى البر والبحر وقيل فى معنى الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت البلاد واخصبت اهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف اى بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم يتعرض لهم احد فى رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله اعلم

﴿ تفسير سورة الماعون وهى مكية وقيل نزل نصفها بمكة فى العاص ﴾
﴿ بن وائل والنصف الثانى بالمدينة فى عبد الله بن ابى ابن سلول ﴾
﴿ المنافق وهى سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة ﴾
﴿ وعشرون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين ﴾ قيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقيل فى الوليد بن المغيرة وقيل فى عمرو بن عائذ المخزومى وفى رواية عن ابن عباس انها فى رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذى يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه ﴿ فذلك الذى يدع اليتيم ﴾ ولفظ ارأيت استفهام والمراد به المبالغة

(الذى اطعمهم من جوع) اشبعهم من جوع سبع سنين ويقال دفع عنهم مؤنة الجوع ومؤنة الرحلتين الشتاء والصيف وكانوا يرتحلون فى كل سنة رحلتين رحلة الى اليمن بالشتاء ورحلة الى الشام بالصيف فدفع عنهم مؤنة ذلك (وآمنهم من خوف) من خوف العدو بان يدخل عليهم ويقال من خوف النجاشى واصحابه الذين ارادوا اخراب البيت وهذه معطوفة على السورة الاولى

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها [illegible] قا وخا ٧٣ س ﴾ [illegible] الماعون وهى كلها مكية آياتها سبع وكلماتها خمس وعشرون وحروفها مائة واحد عشر حرفا ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ارأيت الذى يكذب بالدين) ويقال يكذب بحساب يوم القيامة وهو عاص بن وائل السهمى (فذلك الذى يدع اليتيم) يقول يدفع اليتيم عن حقه

وفى الصيف الى الشأم فيمتارون ويتجرون اوبمحذوف مثل اعجبوا اوبماقبله كالتضمين فى الشعر اى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما فى مصحف ابى سورة واحدة وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولدالنضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولاتطاق الابالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولاتؤكل وتعلو ولاتعلى وصغر الاسم للتعظيم اواطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لئلاف بغير الياء بعد الهمزة ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت

بالطائف فأمرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان فى كل عام للتجارة رحلة فى الشتاء الى اليمن لانها ادفأ ورحلة فى الصيف الى الشأم وكان الحرم واديا مجدبا لازرع فيه ولاضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لايتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشأم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل حملوا طعامهم فى البحر على السفن الى مكة واهل البر حملوا على الابل والحمير فألقى اهل الساحل بجدة واهل البر بالمحصب واخصب الشأم فحملوا الطعام الى مكة والقوا بالابطح فامتار اهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا فى ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبى كان اول من حمل السمراء يعنى القمح من الشأم ورحل اليهما الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذى السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من ضر ومن اكفاف
الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافى
والقائمين بكل وعد صادق * والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهماله ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

قوله عز وجل ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ يعنى الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين احدهما دفع ضر وهو ماذكره فى سورة الفيل والثانى جلب نفع وهو ماذكره فى هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو

الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله فلايتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم (فليعبدوا رب هذا البيت

لايشق عليهم رحلة الشتاء والصيف (فليعبدوا) فليوحد قريش (رب هذا البيت) رب هذه الكعبة

(الذى)

عن الكسائى ترك التسمية بينهما والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم

من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لاتحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجله ﴿ ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ اى الرحلة فى الشتاء الى اليمن قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولاتنقطعا وقيل هو من الفت كذا اى لزمته و آلفنيه الله اى الزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو من قريش ومن لم يلده النضر فليس بقرشى (م) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش فى الخير والشر (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم * عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد هوان قريش اهانه الله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة * والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم اى يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال ابو ريحانة سأل معاوية عبدالله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون فى البحر هى من اعظم دوابه يقال لها القرش لاتمر بشئ من الغث والسمين الا اكلته وهى تأكل ولاتؤكل وتعلو ولاتعلى قال وهل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم وانشده شعر الجمحى

وقريش هى التى تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو فى لجة البحـ ـر على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ـرك فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا فى الكتاب حى قريش * يأكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبى * يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الارض خيلة ورجالا * يحشرون المطى حشرا كميشا

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم قصى بن كلاب وانزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا تجمعوا وسمى قصى مجمعا لذلك قال الشاعر

ابوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وقوله تعالى ﴿ ايلافهم ﴾ هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه ﴿ رحلة الشتاء والصيف ﴾ قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون

ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن فى رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش لالاف قريش شامى اى لمؤالفة قريش وقيل يقال الفته الفا والافا و قريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولاتطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم فسموه بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به واراد رحلتى الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء

على التوحيد ويقال اذكر نعمتى على قريش ايألفوا على التوحيد (ايلافهم) كايلافهم (رحلة الشتاء والصيف) على رحلة الشتاء الى اليمن والصيف الى الشام ويقال لا يشق التوحيد على قريش كما

زرع اكله الدود

﴿سورة قريش مكية وهى اربع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة او بما قبله اى لجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش يعنى ان ذلك الايلاف لهذا الايلاف وهذا كالتضمين فى الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح الا به وهما فى مصحف ابى سورة واحدة بلا فصل ويروى

(لجعلهم كعصف مأكول) كورق الذرع المدود اذا اكله الدود

﴿ومن السورة التى يذكر فيها قريش وهى كلها مكية آياتها اربع وكلمتها سبع عشرة وحروفها ثلاثة وسبعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (لايلاف قريش) يقول مر قريشا ليالفوا

وهو الارسال اومن السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود اواكل حبه فبقى صفرا منه اوكتبن اكلته الدواب وراثته * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفيل عافاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

﴿سورة قريش مكية وآيها اربع﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لايلاف قريش﴾ متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما فى الكلام الشديد ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ يعنى كزرع وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم وتفرقها بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا اكل فصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى اعلم

﴿تفسير سورة قريش وهى مكية وقيل مدنية والاول اصح﴾
﴿وأكثر وهى أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة﴾
﴿وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿لايلاف قريش﴾ اختلفوا فى هذه اللام فقيل هى متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش اى اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل ابى بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما فى مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذى عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما واجيب عن مذهب ابى بن كعب فى جعل هذه السورة والسورة التى قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا فى العلة الجالبة للام فى قوله لايلاف فقيل هى لام التعجب اى اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فهو كقوله على وجه التعجب اعجبوا لذلك وقيل هى متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف اى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من الفت الشئ الفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لايلاف

بفعل لابتر لما فيه من معنى الاستفهام ﴿ الم يجعل كيدهم ﴾ فى تعطيل الكعبة وتخريبها ﴿ فى تضليل ﴾ فى تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شأنها ﴿ وارسل عليهم طيرا ابابيل ﴾ جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل لاواحد لها كعباديد وشماطيط ﴿ ترميهم بحجارة ﴾ وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع اواسناده الى ضمير ربك ﴿ من سجيل ﴾ من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير اوالاسجال

الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل فى العقل ان طيرا تأتى من قبل البحر تحمل حجارة ترمى بها ناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعى الى توحيده واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال انا الذى فعلت مافعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك واذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف اتركك بعد ظهورك ﴿ الم يجعل كيدهم ﴾ يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة ﴿ فى تضليل ﴾ اى تضييع وخسار وابطال ما ارادوا اضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى ﴿ وارسل عليهم طيرا ابابيل ﴾ يعنى طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل ابابيل اقاطيع كالابل المؤبلة وقيل ابابيل جماعات فى تفرقة قيل لاواحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها رؤس كرؤس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لاتصيب شيأ الا هشمته ووجه الجمع بين هذه الاقاويل فى اختلاف اجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ماحكاه ابن عباس وبعضها على ماحكاه غيره فاخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله اعلم * قوله عز وجل ﴿ ترميهم بحجارة ﴾ قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الاخرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره ﴿ من سجيل ﴾ قيل السجيل اسم عام للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون مما كتب الله فى ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط واصله سنك وكل فارسى معرب وقيل سجيل

(الم يجعل كيدهم فى تضليل) فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اى ضيعه يعنى انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل كيدهم بارسال الطير عليهم (وارسل عليهم طيرا ابابيل) حزائق الواحدة ابالة قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (ترميهم) وقرأ ابو حنيفة رضى الله عنه يرميهم اى الله او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى (بحجارة من سجيل) هو معرب من سنك كل وعليه الجمهور اى الآجر

(الم يجعل كيدهم) صنيعهم (فى تضليل) فى اباطيل وتخسير (وارسل عليهم) سلط عليهم (طيرا ابابيل) متتابعة (ترميهم) ترمى عليهم (بحجارة من سجيل) من سنخ وحل مطبوخ مثل الآجر ويقال سجيل من سماء الدنيا

وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل طير فى منقاره حجر وفى رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر فى رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم ترجدا فى اظهار اثر الجازم وكيف نصب

القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما راى تبع ذلك كساه القباطى البيض وعظمه ونحرله جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها قال اراها قد دارت على رؤسنا قال هل تعرفها قال والله ما اعرفها ماهى بنجدية ولا بتهامية ولا عربية ولا شامية قال ماقدرها قال اشباه اليعاسيب فى مناقيرها حصى كأنها حصى الحذف قد اقبلت كالليل يتبع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت الطير مافى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا احدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم فاذاهم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها حتى تقع فى دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فأسا من فؤسهم فحفر حتى اعمق فى الارض فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملاء ثم قال لابى مسعود اختر ان شئت حفرتى وان شئت حفرتك وان شئت فهمالك معا فقال ابو مسعود فاختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى ارى اجود المتاع فى حفرتى فهى لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس فتراجعوا واصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود فى اهاليهما فى غنى من ذلك المال ودفع الله عزوجل عن كعبته واختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذى عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل التفسير انه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم * واما التفسير فقوله عزوجل الم تر اى الم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فكأنه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثنى عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذى كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الآى وفى قصة اصحاب

ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوى اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبى جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشأم ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وارسل الله عز وجل طيرا من البحر امثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشين القوم ارسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل قوم اصابت وخرجوا هاربين لايهتدون الى الطريق الذى جاؤا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفى ذلك يقول نفيل

فانك ما رأيت ولن تراه * لدى جنب المحصب ما رأينا

حمدت الله اذ ابصرت طيرا * وحصب حجارة تلقى علينا

وكلهم يسائل عن نفيل * كان على للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم فى بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون فى كل منهل وبعث الله على ابرهة داء فى جسده فجعل تتساقط انامله كلما سقطت انملة تبعتها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقى من اصحابه ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدى واما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الاخر شجع فحصبوا اى رموا بالحصباء وقال بعضهم انفلت ابو يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير يحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما انهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخرميتا بين يدى النجاشى قال امية بن ابى الصلت

ان آيات ربنا ساطعات * ما يمارى فيهن الا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذى جرأ اصحاب الفيل ان فئة من قريش اججوا نارا حين خرجوا تجارا الى ارض النجاشى فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشى فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان فى مكة يومئذ ابو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لايستغنى فيه عن رأيك فقال ابو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا واجعلها لله ثم ابثثها فى الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيأ فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد

الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد اصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى احب ماوصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستأذن عليك وانا احب ان تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة عظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك له فقال له عبد المطلب حاجتى الى الملك ان يرد على مائتى بعير اصابها لى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت اعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير اصبتها لك قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه منى قال فانت وذاك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة واخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا ارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدوا لبيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال ايضا

لا هم ان العبد يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليـ * ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فامر ما بدالك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله فى العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال له ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك ببلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول فى رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فابى

(فوجهوه)

مالان المراد تذكير مافيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزته وبيته وشرف رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فانها من الارهاصات اذ روى انها وقعت فى السنة التى ولد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام وقصتها ان ابرهة بن الصباح بصنعاء وكتب الى النجاشى انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع بذلك مالك بن كنانه فخرج لها ليلا فدخل وتغوط فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع بالذى قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشى يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة فى الحبشة سائرا الى مكة وخرج معهم الفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذونفر بمن اطاعه من قومه فقاتلوه فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال يا ايها الملك استبقنى فان بقائى خير لك من قتلى فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمى فى خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا فقال نفيل ايها الملك انى دليل بأرض العرب وهاتان يداى على قومى بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا امر بالطائف خرج اليه مسعود بن مغيث فى رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابورغال وهو الذى يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اموال اصحاب الحرم واصاب لعبد المطلب مائتى بعير ثم ان ابرهة ارسل بحناطة الحميرى الى اهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك به اليه اخبره انى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك ارسلنى اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا ان تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا به يد انا سنخلى بينه وبين ماجاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه الصلاة والسلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله مالنا به قوة قال فانطلق معى الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذونفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا قال فما غناء رجل اسير لا يأمن ان يقتل بكرة او عشية ولكن سأبعث الى انيس سائس الفيل فانه لى صديق فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل

كحاطب الليل لايبالى من اين اكتسب وفيم انفق والله اعلم ﴿ سورة الفيل مكية وهى خمس آيات ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم تر كيف فعل ربك) كيف فى موضع نصب بفعل لا بألم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولى تر وفى ألم تر تعجيب اى عجب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله والمعنى انك رأيت آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترا فقامت لك مقام المشاهدة (بأصحاب الفيل) روى ان ابرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فحرقها فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحاف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما جاء المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبى جيشة وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن هرول فارسل الله طيرا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر من يقع عليه ففروا وهلكوا وماامات ابرهة حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروى ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فيها فعظم فى عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وشرفكم فى قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذلك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيحميه

وقرئ عمد بسكون الميم مع ضم العين * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين

﴿ سورة الفيل مكية وهى خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ﴾ الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكأنه رآها ولذا قال كيف ولم يقل عليهم غمها وحرها فلا ينفتح عليهم باب ولايدخل عليهم روح وممدودة صفة العمد اى مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الفيل وهى مكية وخمس آيات وعشرون كلمة ﴾

﴿ وستة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ كانت قصة اصحاب الفيل على ماذكره محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدى ان النجاشى ملك الحبشة كان بعث ارباط الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط ارباط فى امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع ارباط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارباط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشى على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة

يقول طباقها ممدودة الى العمل ويقال قعرها بعيد ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الفيل وهى كلها مكية آياتها خمس وكلماتها ثلاث وعشرون وحروفها ستة وسبعون حرفا ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الم تر) يعنى الم تخبر فى القرآن يامحمد (كيف فعل ربك) كيف عذب ربك واهلك ربك (باصحاب الفيل) قوم النجاشى الذين ارادوا خراب بيت الله

احدا فيه (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن) اى الذى جمع (فى الحطمة) فى النار التى شأنها ان تحطم كل ما يلقى فيها (وما ادراك ما الحطمة) تعجيب وتعظيم (نار الله) خبر مبتدأ محذوف اى هى نار الله

﴿كلا﴾ ردع له عن حسبانه ﴿لينبذن﴾ اى ليطرحن ﴿فى الحطمة﴾ فى النار التى من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها ﴿وما ادراك ما الحطمة﴾ ما النار التى لها هذه الخاصية ﴿نار الله﴾ تفسير لها ﴿الموقدة﴾ التى اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفئه ﴿التى تطلع على الافئدة﴾ تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما فى البدن واشده تألما ولانه محل العقائد الزائغة ومنشأ اعمال القبيحة ﴿انها عليهم مؤصدة﴾ مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال

تحن الى اجبال مكة ناقتى * ومن دونها ابواب صنعاء موصده

وقرأ حفص وابو عمرو وحمزة بالهمزة ﴿فى عمد ممددة﴾ اى موثقين فى اعمدة ممدودة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين

فى الدنيا ولا يموت ﴿كلا﴾ رد عليه اى لا يخلده ماله بل يخلده ذكر العلم والعمل الصالح ومنه قول على مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقى الدهر وقيل معناه حقا ﴿لينبذن﴾ واللام فى لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن ﴿فى الحطمة﴾ اى فى النار وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا ايها الهمزة اللمزة الذى يأكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة التى تأكل اللحوم وتكسر العظام ﴿وما ادراك ما الحطمة﴾ اى نار لا كسائر النيران ﴿نار الله﴾ انما اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لها ﴿الموقدة﴾ اى لا تخمد ابدا عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة اخرجه الترمذى قال ويروى عن ابى هريرة موقوفا وهو اصح ﴿التى تطلع على الافئدة﴾ اى يبلغ المها ووجعها الى القلوب والمعنى انها تأكل كل شئ حتى تنتهى الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطف شئ فى بدن الانسان وانه يتألم بأدنى شئ فكيف اذا اطلعت عليه واستولت عليه ثم انه مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق لمات صاحبه وليس فى النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة ﴿انها عليهم مؤصدة﴾ اى مطبقة مغلقة ﴿فى عمد ممددة﴾ قال ابن عباس ادخلهم فى عمد فمدت عليهم بعماد وفى اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها فى النار وقيل هى اوتاد الاطباق التى تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت الابواب عليهم ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع

(الموقدة) نعتها (التى تطلع على الافئدة) يعنى انها تدخل فى اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهى اوساط القلوب ولا شئ فى بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تألما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وقيل خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى اطلاع النار عليها انها تشتمل عليها (انها عليهم) اى النار او الحطمة (مؤصدة) مطبقة (فى عمد) بضمتين كوفى غير حفص الباقون.

فى عمد وهما لغتان فى جمع عماد كاهاب واهب وحمار وحمر (ممددة) اى تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق فى الحديث المؤمن كيس فطن وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة

(كلا) وهو رد عليه لا يخلده (لينبذن) ليطرحن (فى الحطمة وما ادراك) يا محمد (ما الحطمة) تعظيما لها ثم بينها له فقال (نار الله الموقدة) المستعرة على الكفار (التى تطلع على الافئدة) تأكل كل شئ حتى تبلغ الى القلب (انها) يعنى النار (عليهم) على الكفار (مؤصدة) مطبقة (فى عمد ممددة)

الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعله يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذى يأتى بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها فى الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا اوفى الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ الذى جمع مالا ﴾ بدل من كل اوذم منصوب اومرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتشديد للتكثير ﴿ وعدده ﴾ وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام ﴿ يحسب ان ماله اخلده ﴾ تركه خالدا فى الدنيا فأحبه كما يحب الخلود اوحب المال اغفله عن الموت اوطول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعى للآخرة

الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذى يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هوالذى يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل الهمزة الذى يؤذى جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذى يرمق بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة المغتاب للناس واللمزة الطعان فى انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب واصل الهمز الكسر والقبض على الشئ بالعنف والمراد منه هنا الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكى الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منه وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة للذى يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت فى الاخنس بن شريق بن وهب كان يقع فى الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق مازلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت فى امية بن خلف الجمحى وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه فى وجهه وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقيل هى عامة فى كل شخص هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ والحكم ومن قال انها فى اناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافى ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى ان تحمل على العموم فى كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى ﴿ الذى جمع مالا ﴾ وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجرى مجرى السبب والعلة فى الهمز واللمز يعنى وهو باعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخرمنهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى مال هو اكثر منه كالشئ الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشئ الحقير ﴿ وعدده ﴾ احصاه من العدد وقيل هو من العدة اى استعده وجعله ذخيرة وغنى له ﴿ يحسب ان ماله اخلده ﴾ اى يظن انه يخلد فى الدنيا ولا يموت ليساره وعناه قال الحسن ما رأيت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون فى الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد

اى من يعيبهم مواجهة وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قيل نزلت فى الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل فى امية بن خلف وقيل فى الوليد ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح (الذى) بدل من كل اونصب على الذم (جمع مالا) جمع شامى وحمزة وعلى مبالغة جمع وهو مطابق لقوله (وعدده) اى جعله عدة لحوادث الدهر (يحسب ان ماله اخلده) اى تركه خالدا فى الدنيا لا يموت اوهو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذى اخلد صاحبه فى النعيم فاما المال فما اخلد

طعان لعان فحاش فى وجوههم نزلت هذه الآية فى اخنس بن شريق ويقال فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم من خلفه ويطعن فى وجهه (الذى جمع مالا) فى الدنيا (وعدده) عدد ماله ويقال عدد جماله (يحسب) يظن الكافر (ان ماله اخلده) يخلده فى الدنيا

ان الانسان لفى خسران فى مساعيهم وصرف اعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية ﴿وتواصوا بالحق﴾ بالثابت الذى لا يصح انكاره من اعتقاد اوعمل ﴿وتواصوا بالصبر﴾ عن المعاصى اوعلى الحق اوما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ماعدا ماعد يؤدى الى خسران ونقص حظ اوتكرما فان الابهام فى جانب الخسر كرم * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

﴿ سورة الهمزة مكية وآيها تسع ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا فى

الدنيا مستغرقين فى طلبها فكانوا فى خسار وبوار قد اهلكوا انفسهم بتضييع اعمارهم وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين فقال تعالى ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ يعنى فانهم ليسوا فى خسر والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان فى طاعة الله تعالى فهو فى صلاح وخير وما كان بضده فهو فى خسر وفساد وهلاك ﴿ وتواصوا ﴾ اى اوصى بعض المؤمنين بعضا ﴿ بالحق ﴾ يعنى بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ اى على اداء الفرائض واقامة امر الله وحدوده وقيل اراد ان الانسان اذا عمر فى الدنيا وهرم لفى نقص وتراجع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم تكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التى كانوا يعملونها فى شبابهم وصحتهم وهى مثل قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الهمزة وهى مكية وتسع آيات وثلاثون كلمة ﴾

﴿ ومائة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ ويل ﴾ اى قبح وقيل هو اسم واد فى جهنم ﴿ لكل همزة لمزة ﴾ قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس فى بعضهم قال الشاعر

اذا لقيتك من كره تكاشرنى * وان تغيبت كنت الهامز اللمزا

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة الذى يعيبك فى

وسعدوا (وتواصوا بالحق) بالامر الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده وتواصوا فى الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله اعلم

﴿ سورة الهمزة مكية وهى تسع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة) اى الذى يعيب الناس من خلفهم (لمزة)

(الا الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (وتواصوا بالحق) تحاثوا بالتوحيد ويقال بالقرآن (وتواصوا بالصبر) تحاثوا بالصبر على اداء فرائض الله واجتناب معاصيه والصبر على المرازى والمصيبات فانهم ليسوا كذلك

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الهمزة وهى كلها مكية آياتها تسع وكلماتها اربع وثمانون وحروفها مائة واحد وستون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ويل) شدة عذاب ويقال ويل واد فى جهنم من قيح ودم ويقال جب فى النار (لكل همزة) مغتاب للناس من خلفهم (لمزة)

﴿سورة العصر مكية وآيها ثلاث﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والعصر﴾ قسم بصلاة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي مايضاف اليه من الخسران ﴿ان الانسان لفي خسر﴾ وملبس ومسكن وقيل يسئل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسأل عما انعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى انقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله اعلم

﴿تفسير سورة العصر وهي مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدنية﴾

﴿وهي ثلاث آيات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿والعصر﴾ قال ابن عباس هو الدهر قيل اقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد في الحديث لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد وقيل اراد بالعصر آخر طرفي النهار اقسم بالعشى كما اقسم بالضحى وقيل اراد صلاة العصر اقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى لما قيل هي صلاة العصر والذى في مصحف عائشة رضي الله عنها وحفصة والصلوة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله وقيل اراد بالعصر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسم بزمانه كما اقسم بمكانه في قوله لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد نبه بذلك على ان زمانه افضل الازمان و شرفها وجواب القسم قوله تعالى ﴿ان الانسان لفي خسر﴾ اى لفي خسران ونقصان قيل اراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم في ايدى الناس اى الدراهم وذلك لان الانسان لاينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما ان تكون تلك الساعة في طاعة او معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت في طاعة فلعل غيرها افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك انه لاينفك احد من خسران وقيل ان سعادة الانسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان اكثر الناس مشتغلين بحب

﴿سورة العصر مختلف فيها وهي ثلاث آيات﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والعصر) اقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشى كما اقسم بالضحى لما فيها من دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب وجواب القسم (ان الانسان لفي خسر) اى جنس الانسان لفي خسران من تجاراتهم

﴿ومن السورة التي يذكر فيها العصر وهي كلها مكية آياتها ثلاث وكلماتها اربع عشرة وحروفها ثمانية وستون حرفا﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (والعصر) اقسم الله بنوائب الدهر يعني شدائده ويقال بصلاة العصر (ان الانسان) يعني الكافر (لفي خسر) اى غبن وفي عقوبة عن ذهاب اهله ومنزله في الجنة ويقال في نقصان عمله بعد الهرم والموت

بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذكل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله سبحانه وتعالى بالنعيم الذى انعم عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قرأ الف آية

ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما انعم الله به عليه والمؤمن يسئل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم الله به عليه واطاع ربه فيكون السؤال فى حقه تذكرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ماروى عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يارسول الله واى نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون اخرجه الترمذى وقال حديث حسن واختلفوا فى النعيم الذى يسئل العبد عنه فروى عن ابن مسعود رفعه قال لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة من النعيم فيقال له الم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اوليلة فاذا هو بابى بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يارسول الله قال وانا والذى نفسى بيده لاخرجنى الذى اخرجكما فقوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذجاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله مااحد اليوم اكرم اضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم واخرجه الترمذى باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذى يسئل العبد عنه هو القدر الزائد على مايحتاج اليه فانه لابد لكل احد من مطعم ومشرب

الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن ما سوى كن يؤويه واثواب تواريه وكسرة تقويه وقد روى مرفوعا والله اعلم

ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون وغير ذلك

(كلا) ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون) في القبور (كلا) تكرير الردع للانذار والتخويف (لو تعلمون) جواب لو محذوف اى لو تعلمون ما بين ايديكم (علم اليقين) علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور لما الهاكم التكاثر او لفعلتم مالا يوصف ولكنكم ضلال جهلة (لترون الجحيم) هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامى وعلى (ثم لترونها) كرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل او الاول بالقلب والثانى بالعين (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) عن الامن والصحة فيم افنيتموها عن ابن مسعود رضى الله عنه وقيل عن التنعم الذى شغلكم

وتدفنوا فى القبور (كلا) وهو رد عليهم ووعيد لهم (سوف تعلمون) ماذا يفعل بكم فى القبور (ثم كلا سوف تعلمون) ماذا يفعل بكم عند الموت (كلا لو تعلمون) ماذا يفعل بكم يوم القيامة (علم اليقين) علما يقينا ما تفاخرتم فى الدنيا (لترون الجحيم) يوم القيامة (ثم لترونها عين اليقين) (ثم) عينا يقينا لستم عنها بغائبين يوم القيامة (ثم لتسئلن يومئذ) يوم القيامة (عن النعيم) عن شكر النعيم

روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت ﴿كلا﴾ ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغى له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة ﴿سوف تعلمون﴾ خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ تكرير للتأكيد وفى ثم دلالة على ان الثانى ابلغ من الاول او الاول عند الموت او فى القبر والثانى عند النشور ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم مالا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله ﴿لترون الجحيم﴾ جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقرأ ابن عامر والكسائى لترون بضم التاء ﴿ثم لترونها﴾ تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار ﴿عين اليقين﴾ اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ الذى الهاكم والخطاب مخصوص

المقابر يدل على امر مضى فكأنه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول مخيبا هب انكم اكثر منهم عددا فما ذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال ﴿كلا﴾ اى ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا ﴿سوف تعلمون﴾ وعيد لهم ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ كرره تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعنى الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعنى المؤمنين وصاحب هذا القول يقرأ الاولى بالياء والثانية بالتاء ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ اى علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت ﴿لترون الجحيم﴾ اللام تدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت ﴿ثم لترونها﴾ يعنى مشاهدة ﴿عين اليقين﴾ وانما كرر الرؤية لتأكيد الوعيد ﴿ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ يعنى ان كفار مكة كانوا فى الدنيا فى الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره

﴿ سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الهيكم ﴾ شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل ﴿ التكاثر ﴾ التباهي بالكثرة ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموت بزيارة المقابر

﴿ تفسير سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ﴾

﴿ ومائة وعشرون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ الهاكم التكاثر ﴾ اى اشغلتكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة الله ربكم وما ينجيكم عن سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشئ اعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل ان يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم وهو ما يقربه من ربه عزوجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر باخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التى هى سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ما روى عن مطرف ابن عبدالله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية الهاكم التكاثر فقال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (ق) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله واهله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ اى حتى متم ودفنتم فى المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية فى اليهود قالوا نحن اكثر من بنى فلان وبنو فلان اكثر من بنى فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت فى حيين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا القادة والاشراف ايهم اكثر فقال بنو عبد مناف نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا واكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكاثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا فى الجاهلية اكثر عددا فانزل الله هذه الآية وهذا القول اشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الهاكم التكاثر) شغلكم التبارى فى الكثرة والتباهى بها فى الاموال والاولاد عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) حتى ادرككم الموت على تلك الحال او حتى زرتم المقابر وعدد ثمه من فى المقابر من موتاكم

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها التكاثر وهى كلها مكية آياتها ثمان وكلماتها ثمان وعشرون وحروفها مائة وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الهاكم التكاثر) يقول شغلكم التفاخر بالحسب والنسب (حتى زرتم المقابر) وذلك ان بنى سهم وبنى عبد مناف تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرتهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم اهلكنا البغى فى الجاهلية فعدوا احياءنا واحياءكم واموتنا واموانكم ففعلوا فكثرهم بنو سهم فنزلت فيهم الهاكم التكاثر شغلكم التفاخر فى الحسب والنسب حتى زرتم المقابر حتى ذكرتم الاموات فى العدد ويقال شغلكم التكاثر بالمال والولد حتى تموتوا

وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ

تقدير دلت عليه القارعة ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ كالصوف ذى الالوان ﴿ المنفوش ﴾ المندوف تفرق اجزائها وتطايرها فى الجو ﴿ فامامن ثقلت موازينه ﴾ بان ترجحت مقادير انواع حسناته ﴿ فهوفى عيشة ﴾ فى عيش ﴿ راضية ﴾ ذات رضى اى مرضية ﴿ واما من خفت موازينه ﴾ بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيآته على حسناته ﴿ فامه هاوية ﴾ فمأواه النار المحرقة والهاوية من اسمائها ولذلك قال ﴿ وما ادريك ماهيه نار حامية ﴾ ذات حمى * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم فى بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ اى كالصوف المندوف وذلك لانها تتفرق اجزاؤها فى ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة فى الجبال العظيمة الصلبة الصلدة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى ﴿ فاما من ثقلت موازينه ﴾ يعنى رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذى له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذى له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن فى احسن صورة فتوضع فى كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى بسيآت الكافر فى اقبح صورة فيخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن ثقلت سيآته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه بكرمه فيدخل الجنه بفضل الله وكرمه ورحمته واما الكافرون فقد قال فى حقهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا روى عن ابى بكر الصديق انه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا * قوله تعالى ﴿ فهوفى عيشة راضية ﴾ اى مرضية فى الجنة وقيل فى عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها ﴿ واما من خفت موازينه ﴾ اى رجحت سيآته على حسناته ﴿ فأمه هاوية ﴾ اى مسكنه النار سمى المسكن اما لان الاصل فى السكون للامهات وقيل معناه فام رأسه هاوية فى النار والهاوية اسم من اسماء النار وهى المهواة التى لايدرك قعرها فيهوون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع فى امر شديد يقال هوت امه اى هلكت حزنا وثكلا ﴿ وما ادراك ماهيه ﴾ يعنى الهاوية ثم فسرها فقال ﴿ نار حامية ﴾ اى حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى اعلم

او لانها لوّنت من الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها والمنفوش منه تفرق اجزائها (فاما من ثقلت موازينه) باتباعهم الحق وهى جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها (فهوفى عيشة راضية) ذات رضا اومرضية (واما من خفت موازينه) باتباعه الباطل (فامه هاوية) فمسكنه ومأواه النار وقيل للمأوى ام على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه (وما ادراك ماهيه) الضمير يعود الى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نار حامية) بلغت النهاية فى الحرارة والله اعلم

مثل الجراد (وتكون) تصير (الجبال كالعهن المنفوش) كالصوف المندوف الملون (فاما من ثقلت موازينه) حسناته فى ميزانه وهو المؤمن (فهو فى عيشة راضية) فى جنة مرضية قد رضيها لنفسه (واما من خفت موازينه) وهو الكافر (فامه هاوية) جعل امه بلاد ومصيره الهاوية وقيل يهوى فى النار على هامته (وما ادراك) يا محمد (ماهيه) تعظيما لها ثم بينها فقال (نار حامية) حارة قد انتهى حرها (تفسير)

ميز ما فيها من الخير والشر (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على اعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم فى جميع الازمان لان الجزاء يقع يومئذ والله اعلم ﴿سورة القارعة مكية وهى ثمان آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) مبتدأ (ما) مبتدأ ثان (القارعة) خبره والجملة خبر المبتدأ الاول وكان حقه ماهى وانما كرر تفخيما لشأنها (وماادراك ما القارعة) اى اى شئ اعلمك ماهى ومن اين علمت ذلك (يوم) نصب بمضمر دات عليه القارعة اى تقرع يوم (يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره

بين ما فى القلوب من الخير والشر والبخل والسخاوة (ان ربهم بهم) وباعمالهم (يومئذ) يوم القيامة (لخبير) لعالم

﴿ومن السورة التى يذكر فيها القارعة وهى كلها مكية آياتها ثمان وكلماتها ست وثلاثون كلمة وحرفها مائة واثنان وخمسون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (القارعة ماالقارعة) يقول الساعة ما الساعة لجبه بذلك وانما سميت القارعة لانها تقرع القلوب (ومالدراك) يامحمد (ماالقارعة) تعظيما لها ثم بينها فقال (يوم يكون الناس) يجول الناس بعضهم فى بعض (كالفراش المبثوث) المبسوط يجول بعضه فى بعض والفراش هو شئ يطير بين السماء والارض

من خير اوشر وتخصيصه لانه الاصل ﴿ان ربهم بهم يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿لخبير﴾ عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شأنهم فى الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

﴿سورة القارعة مكية وآيها عشر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿القارعة ماالقارعة ومالدريك ما القارعة﴾ سبق بيانه فى الحاقة ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم

ميز وابرز ما فيها من الخير والشر ﴿ان ربهم بهم﴾ انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس ﴿يومئذ لخبير﴾ اى عالم والله تعالى خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ولكن المعنى انه يجازيهم فى ذلك اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب بالذكر فى قوله وحصل ما فى الصدور لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات التى فى القلوب لما حصلت اعمال الجوارح والله اعلم

﴿تفسير سورة القارعة وهى مكية وثمان آيات وست وثلاثون كلمة﴾

﴿ومائة واثنان وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عزوجل ﴿القارعة﴾ اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اى شدائده والقارعة من اسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ فى الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته ﴿ما القارعة﴾ تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع فى الهول والشدة ﴿وما ادراك ما القارعة﴾ معناه لاعلم لك بكنهها لانها فى الشدة بحيث لا يبلغها فهم احد وكيفما قدرت امرها فهى اعظم من ذلك ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ الفراش هذه الطير التى تراها تتهافت فى النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لا يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق فى البعث يتفرقون فيذهب كل واحد الى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كانهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه

روى انه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعاديات اذ ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ﴿ان الانسان لربه لكنود﴾ لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم ﴿وانه على ذلك﴾ وان الانسان على كنوده ﴿لشهيد﴾ يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا ﴿وانه لحب الخير﴾ المال من قوله تعالى ان ترك خيرا اى مالا ﴿لشديد﴾ لبخيل او لقوى مبالغ فيه ﴿افلا يعلم اذا بعثر﴾ بعث ﴿ما فى القبور﴾ من الموتى وقرئ بحثر وبحث ﴿وحصل﴾ جمع محصلا فى الصحف او ميز ﴿ما فى الصدور﴾

عباس وليس شئ من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من فزع او تعب وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعنى انها تورى النار بحوافرها اذا سارت فى الحجارة وقيل هى الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هى الخيل تغزو فى سبيل الله ثم تأوى بالليل فيورى اصحابها نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال فى الحرب والعرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعنى الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس فى غفلة فى ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به اى بالمكان نقعا اى غبارا فوسطن به جمعا اى دخلن به اى بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول فى تفسير هذه الآيات اولى بالصحة واشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها واثارة الغبار ايضا وانما اقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية لاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها فى سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى ﴿ان الانسان لربه لكنود﴾ اى لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعمة الله تعالى وقيل الكنود هو العاصى وقيل هو الذى يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الارض الكنود وهى التى لا تنبت شيأ وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذى انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة ﴿وانه على ذلك لشهيد﴾ قال اكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع ﴿وانه﴾ يعنى الانسان ﴿لحب الخير﴾ اى المال ﴿لشديد﴾ اى لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوى شديد ﴿افلا يعلم﴾ يعنى هذا الانسان ﴿اذا بعثر﴾ اى اثير واخرج ﴿ما فى القبور﴾ يعنى من الموتى ﴿وحصل ما فى الصدور﴾ اى

لكفران (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) شهيد على نفسه وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وانه لحب الخير لشديد) وانه لاجل حب المال لبخيل ممسك او انه لحب المال لقوى وهو لحب عبادة الله ضعيف (افلا يعلم) الانسان (اذا بعثر) بعث (ما فى القبور) من الموتى وما بعدنى من (وحصل ما فى الصدور) فهن الموريات ويقال فالموريات قدحا فالنجيات عملا وهو الحج فالمغيرات صبحا اذا رجعن من المزدلفة الى منى غدوة فهن المغيرات فاثرن به بالمكان نقعا ترابا فوسطن به بعدوهن جمعا اقسم الله بهؤلاء الاشياء (ان الانسان) يعنى الكافر وهو قرط بن عبد الله بن عمرو ويقال ابو حباحب (لربه لكنود) يقول بنعمة ربه لكفور بلسان كندة ويقال بربه عاص بلسان حضرموت ويقال بخيل بلسان بنى مالك بن كنانة ويقال الكنود الذى يمنع رفده ويجيع عبده ويأكل وحده ولا يعطى النائبة فى قومه (وانه على ذلك لشهيد) والله على صنعه لحافظ (وانه) يعنى قرط (لحب الخير لشديد) يقول يحب المال الكثير حبا شديدا (افلا يعلم) قرط ويقال ابو حباحب (اذا بعثر ما فى القبور) اخرج ما فى القبور من الاموات (وحصل ما فى الصدور)

(مز)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والعاديات ضبحا) قسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون عن ابن عباس رضى الله عنهما انه حكاه فقال اح اح وانتصاب ضبحا على يضبحن (فالموريات) تورى نار الحباحب وهى ما ينقدح من حوافرها (قدحا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة و قدح الصك و الايراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد و نصب قدحا ﴿٥٥٧﴾ كما نصب ضبحا {سورة العاديات} (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحا) فى وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت (جمعا) من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة او للعدو الذى دل عليه والعاديات وعطف فاثرن على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن وجواب

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والعاديات ضبحا) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى بنى كنانة فابطأ عليه خبرهم فاغتم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاخبر الله نبيه عن ذلك على وجه القسم فقال والعاديات ضبحا يقول اقسم الله بخيول الغزاة ضبحت انفاسهن من العدو (فالموريات قدحا) يورين النار بحوافرهن قدحا كالقادح لا ينتفع بها ... لا ينتفع بنار ابى حباحب وكان ابو حباحب رجلا من العرب بخيل الناس ممن يكون فى ... لا يوقد نار ابدا ... ولا لغيره حتى ينام كل ذى عين ثم يوقدها فاذا انتبه احد اطفأها لكى لا ينتفع بها (فالمغيرات صبحا) فاغرن ... (فأثرن به) هيجن بحوافرهن ويقال بعدوهن (نقعا) غبارا ترابا (فوسطن به) بعدوهن (جمعا) جمع ... وجه آخر والعاديات يقول اقسم الله بخيول الحجاج والمهم اذا جعن من عرفة الى مزدلفة صبحا ضبحت انفاسهن فالموريات قدحا يورين النار بالمزدلفة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والعاديات ضبحا﴾ قسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة ﴿فالموريات قدحا﴾ فالتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى ﴿فالمغيرات﴾ يغير اهلها على العدو ﴿صبحا﴾ اى فى وقته ﴿فأثرن﴾ فهيجن ﴿به﴾ بذلك الوقت ﴿نقعا﴾ غبارا او صياحا ﴿فوسطن به﴾ فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به ﴿جمعا﴾ من جموع الاعداء

﴿مدنية فى قول ابن عباس وهى احدى عشرة آية واربعون كلمة﴾

﴿ومائة وثلاثة وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿والعاديات ضبحا﴾ فيه قولان احدهما انها الابل فى الحج قال على كرم الله وجهه هى الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وعنه قال كانت اول غزاة فى الاسلام بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد ابن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحها مد اعناقها فى السير واصله من حركة النار فى العود ﴿فالموريات قدحا﴾ يعنى ان اخفاف الابل ترمى بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا آخر فيورى النار وقيل هى النيران بجمع ﴿فالمغيرات صبحا﴾ يعنى الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا يدفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير ﴿فأثرن به نقعا﴾ اى هيجن بمكان سيرها غبارا ﴿فوسطن به جمعا﴾ اى وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب وفيه تقريع لمن لم يحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثانى فى تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هى الخيل العادية فى سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا غدت قال ابن

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأها هشام باسكان الهاء واعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة اومن الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

﴿سورة العاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة﴾

ليروا صحائف اعمالهم التى فيها الخير والشر وهو قوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ اى وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد ﴿خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا اوشرا فى الدنيا الا اراه الله اياه يوم القيامة فاما المؤمن فيرى حسناته وسيآته فيغفر الله له سيآته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيآته وقال محمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وولده واهله وماله حتى يخرج يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الآية فى رجلين وذلك انه لما نزلت ويطعمون الطعام على حبه وكان احدهما يأتيه السائل فيستقل ان يطعمه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشئ يؤجر عليه انما يؤجر على ما يعطى ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة واشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكبائر وليس فى هذا اثم فانزل الله هذه الآية يرغبهم فى القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم من اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكبر والاثم الصغير فى عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود احكم آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما انزل الله فيها شيأ الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال الربيع ابن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبى الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿تفسير سورة العاديات وهى مكية فى قول ابن مسعود وغيره﴾

(ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قيل هذا فى الكفار والاول فى المؤمنين وروى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال * خذا بطن هرشى اوقفاها فانه * كلا جانبى هرشى لهن طريق * وروى ان جد الفرزدق اتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال حسبى حسبى وهى احكم آية وسميت الجامعة والله اعلم

﴿سورة العاديات مختلف فيها وهى احدى عشرة آية﴾

والشر ثم نزل فى قوم كانوا يرون انهم لا يؤجرون على قليل من الخير ولا يأثمون على قليل من الشر فرغبهم على القليل من الخير وحذرهم عن القليل من الشر فقال (فمن يعمل مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة اصغر ما يكون من النمل (خيرا يره) فى كتابه فيسره ويقال المؤمن يرى عمله فى الآخرة والكافر يرى عمله فى الدنيا (ومن يعمل مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة (شرا يره) يجده فى كتابه فيسوءه ويقال يرى المؤمن فى الدنيا والكافر فى الآخرة

... السورة التى يذكر فيها العاديات وهى كلها مكية آياتها احدى عشرة وكلمها اربعون وحروفها مائة وثلاثة وستون ۞ (مدنية)

(وقال الانسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يومئذ) بدل من اذا وناصبها (تحدث) اى تحدث الخلق (اخبارها) فحذف اول المفعولين لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفى الحديث تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها (بان ربك اوحى لها) اى تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها اى اليها وامره اياها بالتحديث (يومئذ يصدر الناس) يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف (اشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار (ليروا اعمالهم) اى جزاء اعمالهم

(وقال الانسان) يعنى الكافر (مالها) تعجبا منها مما يرى من الهول (يومئذ) يوم تزلزلت الارض (تحدث اخبارها) [illegible] الارض بما عمل عليها من الخير والشر (بان ربك اوحى لها) اذن لها فى الكلام (يومئذ) يوم تتكلم الارض (يصدر) [illegible] (الناس اشتاتا) فرقا فرقا فريق الى الجنة وهم المؤمنون وفريق الى النار وهم الكافرون (ليروا) [illegible] (اعمالهم) ماعملوا عليها من الخير

او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت ﴿ وقال الانسان مالها ﴾ لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها ﴿ يومئذ تحدث ﴾ تحدث الخلق بلسان الحال ﴿ اخبارها ﴾ ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله سبحانه وتعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر ﴿ بان ربك اوحى لها ﴾ اى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت به على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها فى ذلك تشفى من العصاة ﴿ يومئذ يصدر الناس ﴾ عن مخارجهم من القبور الى الموقف ﴿ اشتاتا ﴾ متفرقين بحسب مراتبهم ﴿ ليروا اعمالهم ﴾ جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء

من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور فى الجوف وانما خص الكبد لانها من اطيب مايشوى عند العرب من الجزور واستعار القئ للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم القيامة قال اثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سميت الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء وامواتا ﴿ وقال الانسان مالها ﴾ اى مالها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما فى بطنها وفى الانسان وجهان احدهما انه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثانى انه اسم للكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الآية ﴿ يومئذ تحدث اخبارها ﴾ فيقول الانسان مالها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير او شر فتشكو العاصى وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له * عن ابى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه اخبارها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ﴿ بان ربك اوحى لها ﴾ اى امرها بالكلام واذن لها ان تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس اوحى اليها قيل ان الله تعالى يخلق فى الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما امر الله به وهذا مذهب اهل السنة * قوله تعالى ﴿ يومئذ يصدر الناس ﴾ اى عن موقف الحساب بعد العرض ﴿ اشتاتا ﴾ اى متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار ﴿ ليروا اعمالهم ﴾ قال ابن عباس ليروا جزاء اعمالهم [illegible] معناه

خير * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مبيتا ومقيلا

﴿ سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اذا زلزلت الارض زلزالها ﴾ اضطرابهـا المقدر عند النفخة الاولى او الثـانية او الممكن لها او اللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف ﴿ واخرجت الارض اثقالها ﴾ مافى جوفها من الدفائن

فى القراءة وغيرها وكان احد علماء الصحابة رضى الله عنهم اجمعين والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزلزلة وهى مكية وقيل مدنية وهى ثمان آيات ﴾

﴿ وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون حرفا ﴾

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ اذا زلزلت الارض زلزالها ﴾ اى تحركت حركة شـديدة واضطربت وذلك عنـد قيام الساعة وقيل تتزلزل من شدة صوت اسرافيـل حتى ينكسر كل ماعليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبـل وشجر وبناء وفى وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها فى الدنيـا وهى من اشراط الساعة والثانى انها زلزلة يوم القيامة ﴿ واخرجت الارض اثقالهـا ﴾ فمن قال ان الزلزلة تكون فى الدنيـا قال اثقالها كنوزهـا وما فى بطنهـا من الدفائن والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هـذا القول ماروى عن ابى هـريرة رضى الله تعـالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم تقى الارض افلاذ كبـدها امثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجى القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجئ القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجئ السارق فيقول فى هـذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ اخرجه مسلم * والافلاذ جمع فلذة وهى القطعة المستطيلة شبه مايخرج

يوم...ين من البـ... على ... الملائكة لان ... احق ... المشئمة فهما من براالله خلق وقيل المشئمة فهـا من البرا وهو التراب ولو كان كذلك ... قرؤا البريئة بالهمز كذا قاله الزجاج والله اعلم

﴿ سورة الزلزلة مختلف فيها وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اى حركت زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال وقرئ بفتح الزاى فالمكسور مصـدر والمفتوح اسم (واخرجت الارض اثقالها) اى كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما فى جوفها من الدفائن اثقالها

ربه مثل ابى بكر الصديق واصحـابه وعبد الله بن سلام واصحابه

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الزلزلة وهى كلها مكية آياتها تسع وكلماتها خمس وثلاثون كلمة وحروفهـا مائة حرف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اذا زلزلت الارض زلزالهـا) يقول ... زلزلت الارض زلزلة ... اضطربت الارض ... فتنكسر ماعليها من شجر والجبال والبنيان (واخرجت الارض اثقالها) اموالها وكنوزها

(من)

البريئة بالهمزة على الاصل فى ابو شعيب ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ﴾ فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفها بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد ﴿ رضى الله عنهم ﴾ استئناف بما يكون لهم زيادة على جزاءهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ لانه بلغهم اقصى امانيهم ﴿ ذلك ﴾ اى المذكور من الجزاء والرضوان ﴿ لمن خشى ربه ﴾ فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل

خالدين فيها فكأنهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ﴾ يعنى انهم بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم ﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ قيل الرضا ينقسم الى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به ان يكون ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضى ويدبر قال السرى اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضى الله اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة ﴿ ذلك ﴾ اى هذا الجزاء والرضا ﴿ لمن خشى ربه ﴾ اى لمن خاف ربه فى الدنيا وانتهى عن المعاصى (ق) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب ان الله امرنى ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قال وسمانى قال نعم فبكى وفى رواية البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بن كعب ان الله امرنى ان اقرئك القرآن قال الله سمانى لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت عيناه

شرح غريب الحديث

اما بكاء ابى فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثانى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره فى شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضى الاختصار واما الحكمة فى امر النبى صلى الله عليه وسلم بالقراءة على ابى فهى ان يتعلم ابى القراءة من الفاظه صلى الله عليه وسلم وضبط اسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النعم المستعملة فى غيره فكانت قراءته على ابى ليتعلم ابى منه لا ليتعلم هو من ابى وقيل انما قرأ على ابى ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابى والحث على الاخذ عنه وتقديمه فى ذلك فكان كذلك بعد النبى صلى الله عليه وسلم رأسا واماما

ونافع بهمزهما والقراء على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) اقامة (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم) بقبول اعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها (ذلك) اى الرضا (لمن خشى ربه) وقوله خير البرية يدل على فضل

(ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن مثل عبد الله ابن سلام واصحابه وابى بكر واصحابه (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (اولئك) اهل هذه الصفة (هم خير البرية) خير الخليقة (جزاؤهم عند ربهم) ثوابهم عند ربهم (جنات عدن) مقصورة الرحمن معدن النبيين والمقربين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها وغرفها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ابدا رضى الله عنهم) بايمانهم وباعمالهم (ورضوا عنه) بالثواب (قا وخا ٧٠ س) والكرامة (ذلك) الجنان والرضوان (لمن خشى ربه) لمن وحد

﴿حنفاء﴾ مائلين عن العقائد الزائغة ﴿ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة﴾ ولكنهم حرفوه وعصوا ﴿وذلك دين القيمة﴾ دين الملة القيمة ﴿ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها﴾ اى يوم القيامة اوفى الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لايوجب اشتراكهما فى نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما ﴿اولئك هم شر البرية﴾ اى الخليقة وقرأ نافع وابن ذكوان

له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لاينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم ﴿حنفاء﴾ اى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل حنفاء اى حجاجا وانما قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفاء اى مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف الذى آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين احد منهم فمن لم يؤمن باشرف الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف ﴿ويقيموا الصلوة﴾ اى المكتوبة فى اوقاتها ﴿ويؤتوا الزكوة﴾ اى المفروضة عند محلها ﴿وذلك﴾ اى الذى امروا به ﴿دين القيمة﴾ اى الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما اضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا الى الملة وقيل الهاء فى القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التى جرى ذكرها اى وذلك دين اصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد اولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر ما للفريقين فقال تعالى ﴿ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين﴾ فان قلت لم قدم اهل الكتاب على المشركين قلت لان جنايتهم اعظم فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث انكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين اعظم جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع والنبوة والقيامة واهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى بين الفريقين فى العذاب قلت لما اراد اهل الكتاب الرفعة فى الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذلهم الله فى الدنيا وادخلهم اسفل سافلين فى الآخرة ولايمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم فى العذاب ﴿فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية﴾ اى هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل فقال بل تبقون

(حنفاء) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الاديان الباطلة (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة) اى دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية

(حنفاء) مسلمين (ويقيموا الصلوة) يتموا الصلوات الخمس بعد التوحيد (ويؤتوا الزكوة) يعطوا زكاة اموالهم بعد ذلك ثم ذكر التوحيد ايضا فقال (وذلك) يعنى التوحيد (دين القيمة) دين الحق المستقيم لاعوج فيه والهاء ههنا قافية السورة ويقال ذلك يعنى التوحيد دين القيمة دين الملائكة ويقال دين الحنيفة ويقال ملة ابراهيم (ان الذين كفروا من اهل الكتاب) بمحمد عليه السلام والقرآن (والمشركين) بالله يعنى مشركى اهل مكة (فى نار جهنم خالدين فيها) مقيمين فى النار لايموتون ولا يخرجون منها (أولئك) اهل هذه الصفة (هم شر البرية) شر الخليقة

(خالدين)

مطهرة ﴾ صفته او خبره و الرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل مافى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبرائيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لايأتى مافيها وانها لايمسها الا المطهرون ﴿ فيها كتب قيمة ﴾ مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق ﴿ وماتفرق الذين اوتوا الكتاب ﴾ عما كانوا عليه بان آمن بعضهم اوتردد فى دينه اوعن وعدهم بالاصرار على الكفر ﴿ الا من بعد ماجاءتهم البينة ﴾ فيكون كقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعدالجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لماتفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى ﴿ وماامروا ﴾ اى فى كتبهم بما فيها ﴿ الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ لا يشركون به

من المكتوب فيه وهو القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب ﴿ مطهرة ﴾ اى من الباطل والكذب والزور والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة اى لاينبغى ان يمسها الا المطهرون ﴿ فيها ﴾ اى فى الصحف ﴿ كتب ﴾ اى الايات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الاحكام ﴿ قيمة ﴾ اى عادلة مستقيمة غيرذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من اهل الكتاب فقال تعالى ﴿ وماتفرق الذين اوتوا الكتاب ﴾ يعنى فى امر محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ الا من بعد ماجاءتهم البينة ﴾ يعنى جاءتهم البينة فى كتبهم انه نبى مرسل قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا فى امره واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ما امروا به فى كتبهم فقال تعالى ﴿ وماامروا ﴾ يعنى هؤلاء الكفار ﴿ الا ليعبدوا الله ﴾ اى وما امروا الا ان يعبدوا الله قال ابن عباس ما امروا فى التوراة والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له ﴿ مخلصين له الدين ﴾ الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على مايجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذى يأتى بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الاية على ان كل مأمور به فلابد وان يكون منويا فلا بد من اعتبار النية فى جميع المأمورات قال اصحاب الشافعى الوضوء مأمور به ودلت هذه الاية على ان كل مأمور به يجب ان يكون منويا فتجب النية فى الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان يأتى بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له ولايريد بذلك رياء ولاسمعة ولاعرضا آخر حتى قالوا فى ذلك لايجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان لابد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية وقيل فى معنى مخلصين

(مطهرة) من الباطل (فيها) فى الصحف (كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل (وماتفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة) فمنهم من انكر نبوته بغيا وحسدا ومنهم من آمن وانما افرد اهل الكتاب بعد ماجمع اولا بينهم وبين المشركين لانهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل فى هذا الوصف (وماامروا) يعنى فى التوراة والانجيل (الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير شرك ونفاق

(مطهرة) من الشرك (فيها) فى كتب محمد عليه السلام (كتب قيمة) دين وطريق مستقيمة عادلة لاعوج فيها (وماتفرق الذين اوتوا الكتاب) مااختلف الذين اعطوا الكتاب التوراة يعنى كعب بن الاشرف واصحابه فى محمد صلى الله عليه وسلم و القرآن والاسلام (الا من بعد ماجاءتهم البينة) بيان ما فى كتبهم من صفة محمد عليه السلام ونعته (وماامروا) فى جملة الكتب (الا ليعبدوا الله) ليوحدوا الله (مخلصين له الدين) بالتوحيد

البينة﴾ الرسول والقرآن فانه مبين للحق او معجز الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به ﴿رسول من الله﴾ بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ ﴿يتلو صحفا﴾ لفظه مضارع ومعناه الماضى ﴿بينة﴾ اى الحجة الواضحة يعنى محمد صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان فآمنوا فانقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية فيمن آمن من الفريقين قال الواحدى فى بسيطه وهذه الآية من اصعب ما فى القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين فى تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التى هى الرسول ثم انه تعالى لم يذكر انهم منفكون عماذا لكنه معلوم اذ المراد هو الكفر الذى كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التى هى الرسول ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضى انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال بعد ذلك وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضى ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الاولى والثانية مناقضة فى الظاهر وهذا منتهى الاشكال فى ظنى قال والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها الوجه الذى لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لاننفك عما نحن عليه من ديننا ولانتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اى انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذ جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره فى الكلام ما يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقنى الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك فى الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقول توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة مذكور حكاية عنهم وقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذى وقع كان بخلاف ما ادعوا وثانيها ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا ان تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة فى شئ وذكروا وجوها اخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى ﴿رسول من الله﴾ اى تلك البينة رسول من الله ﴿يتلو﴾ اى يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿صحفا﴾ اى كتبا يريد ما تضمنه المصحف

البينة) الحجة الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث اسلم بعض وثبت على الكفر بعض (رسول من الله) اى محمد عليه السلام وهو بدل من البينة (يتلو) يقرأ عليهم (صحفا) قراطيس

البينة) بيان ما فى كتابهم فى كتاب اليهود والنصارى (رسول من الله) يعنى محمدا عليه السلام ولها وجه آخر يقول لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قبل مجيء محمد عليه السلام مثل عبد الله بن سلام واصحابه والمشركين بالله قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم مثل ابى بكر واصحابه منفكين منتهين عن الكفر والشرك حتى تأتيهم البينة يعنى جاءهم البينات رسول من الله يعنى محمدا عليه السلام (يتلوا صحفا) يقرأ عليهم كتبا

(سلام هي) ماهي الاسلامة خبر ومبتدأ اى لايقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة اوما هى الاسلام لكثرة مايسلمون على

المؤمنين قيل لايلقون ﴿سورة البينة﴾ مؤمنا ولامؤمنة الاسلموا

﴿ سلام هى ﴾ اى ماهى الا سلامة اى لايقدر الله فيها الا السلامة ويقضى فى غيرها السلامة والبلاء اوماهى الا سلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين ﴿ حتى مطلع الفجر ﴾ اى وقت مطلعه اى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

﴿ سورة البينة مختلف فيها وآيها ثمان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ﴾ اى اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله ومن للتبيين ﴿ والمشركين ﴾ وعبدة الاصنام ﴿ منفكين ﴾ عما كانوا عليه من دينهم اوالوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول ﴿ حتى تأتيهم

من فضائها قوله تعالى ﴿ سلام ﴾ اى سلام على اولياء الله واهل طاعته قال الشعبى هو تسليم الملائكة فى ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا او مؤمنة يسلمون عليه من ربه عز وجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدأ فقال تعالى سلام ﴿ هى ﴾ يعنى ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لايقدر الله فى تلك الليلة ولا يقضى الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لايستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوأ او يحدث فيها اذى ﴿ حتى مطلع الفجر ﴾ اى ان ذلك السلام او السلامة تدوم الى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وهى مدنية قاله الجمهور ﴾
﴿ وفى رواية عن ابن عباس انها مكية وهى ثمان آيات واربع ﴾
﴿ وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ والمشركين ﴾ اى ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل كتاب وسبب كفرهم ما احدثوه فى دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثانى المشركون اهل الاوثان الذين لاينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين فى قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ﴿ منفكين ﴾ اى منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين ﴿ حتى تأتيهم ﴾ اى حتى اتتهم

عليه فى تلك الليلة (حتى مطلع الفجر) اى الى وقت طلوع الفجر بكسر اللام حمزة وعلى وخلف وقد حرم من السلام الذين كفروا والله اعلم

﴿ سورة البينة مختلف فيها وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى واهل الرجل اخص الناس به واهل الاسلام من يدين به (والمشركين) عبدة الاصنام (منفكين) منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين تدل عليه (حتى تأتيهم

سلام) يقول يسلمون على اهل الصوم والصلاة من امة محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ويقال من كل امر سلام يقول من كل آفة سلامة تلك الليلة (هى) يقول فضلها وبركتها (حتى مطلع الفجر) يعنى الى الصبح

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها البينة وهى كلها مكية آياتها تسع وكلماتها خمس وثلاثون وحروفها مائة وتسعة واربعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والمشركين) مشركى العرب (منفكين) مقيمين على الجحود بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والاسلام (حتى تأتيهم

بان ابتدأ بانزاله فيها اوانزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نجو ما فى ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه فى فضلها وهى فى أوتار العشر الاخير من شهر رمضان ولعلها السابعة منها والداعى الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالى كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها اولتقدير الامور فيها كقوله سبحانه وتعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير اولما روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم ﴾ بيان لماله فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض اوالسماء الدنيا اوتقربهم الى المؤمنين ﴿ من كل امر ﴾ من اجل كل امر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ اى من اجل كل انسان

عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يارب جعلت امتى اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر التى حمل فيها الاسرائيلى السلاح فى سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان النبى صلى الله عليه وسلم ارى اعمار الناس قبله اوماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر اعمار امته ان لايبلغوا من العمل مثل الذى يبلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خيرا من الف شهر اخرجه مالك فى الموطأ قال المفسرون معناه العمل الصالح فى ليلة القدر خير من العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لمايريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة * الوجه الثانى من فضلها قوله عزوجل ﴿ تنزل الملائكة ﴾ يعنى الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ماقالوه وتبين حال المؤمنين وماهم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا مماقالوه ويستغفروا لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم ﴿ والروح ﴾ يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام قاله اكثر المفسرين وفى حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم اوقاعد يذكر الله عزوجل ذكر ابن الجوزى وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لاتراهم الملائكة الا فى تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة ﴿ فيها ﴾ اى فى ليلة القدر ﴿ باذن ربهم ﴾ اى بامر ربهم ﴿ من كل امر ﴾ اى بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امر به وقضاه من كل امر * الوجه الثالث

(تنزل الملائكة) الى السماء الدنيا اوالى الارض (والروح) جبريل او خلق من الملائكة لاتراهم الملائكة الا تلك الليلة اوالرحمة (فيها باذن ربهم من كل امر) اى تنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وعليه وقف

ليلة القدر (تنزل الملائكة والروح) جبريل معهم (فيها) فى اول ليلة القدر (باذن ربهم) بأمر ربهم (من كل امر

﴿ وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر ﴾ الى آخره فيها ثلاث يبقين او آخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلى فى العشرين من رمضان كصلاته فى سائر السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد اخرجه الترمذى (خ) عن عبادة ابن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم انى خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة * قوله فتلاحى رجلان اى تخاصم رجلان * قوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى العشر فى سبع مضين او سبع يبقين يعنى ليلة القدر وفى رواية فى تاسعة تبقى فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى قال ابو عيسى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعى كان هذا عندى والله اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسئل عنه يقال له نلتمسها فى كذا فقال التمسوها فى ليلة كذا قال الشافعى واقوى الروايات عندى فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوى وبالجملة ابهم الله تعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا فى العبادة ليالى شهر رمضان طمعا فى ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة واخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس واسمه الاعظم فى القرآن فى اسمائه ورضاه فى الطاعات ليرغبوا فى جميعها وسخطه فى المعاصى لينتهوا عن جميعها واخفى قيام الساعة ليجتهدوا فى الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ماروى عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لاحارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لاشعاع لها (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الاواخر من رمضان مالا يجتهد فى غيره (ق) عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان * عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولى اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى اخرجه الترمذى وقال الحديث حسن صحيح واخرجه النسائى وابن ماجه * قوله عز وجل ﴿ وما ادراك ماليلة القدر ﴾ اى اى شئ يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خبرها ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى ﴿ ليلة القدر خير من الف شهر ﴾ قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله

(وما ادراك ما ليلة القدر) اى لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من الف شهر) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية مايوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر فى تخصيص هذه المدة ان النبي صلى عليه السلام ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى (وما ادراك) يا محمد اعظمها (ما ليلة القدر) ما فضل ليلة القدر ثم بين فضلها فقال (ليلة القدر خير من الف شهر) يقول العمل فيها خير من العمل فى الف شهر ليس فيها

وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ارسلنى اليك رهط من بنى سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت ثنتان وعشرون فقال هى الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاثا وعشرين اخرجه ابوداود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم ان ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعى ايضا (خ) عن الصنابحى انه سأل رجلا هل سمعت فى ليلة القدر شيأ قال اخبرنى بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها فى اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن انيس قال قلت يارسول الله ان لى بادية اكون فيها وانا اصلى فيها بحمد الله فمرنى بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلى الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته اخرجه ابوداود ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني اسجد صبيحتها فى ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و نصرف وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة اربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال التمسوها فى اربع وعشرين وقيل هى فى ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هى ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابى بن كعب وابن عباس واليه ذهب احمد (م) عن زر بن حبيش قال سمعت ابى بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله ابن مسعود يقول من قام السنة اصاب ليلة القدر قال ابى والله الذى لااله الاهو انها لفى رمضان يحلف ولايستثنى فوالله انى لاعلم اى ليلة هى هى الليلة التى امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهى ليلة سبع وعشرين وامارتها ان تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لاشعاع لها عن معاوية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين اخرجه ابوداود وقيل هى ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان وقيل هى ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هى فى كل رمضان اخرجه ابوداود قال وروى موقوفا عليه

ذكر ليال مشتركة

عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه ابوداود عن عيينة بن عبد الرحمن قال حدثنى ابى قال ذكرت ليلة القدر عند ابى بكرة فقال ما انا بملتمسها بشئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا فى العشر الاواخر فانى سمعته يقول التمسوها فى تسع يبقين اوفى سبع يبقين اوفى خمس يبقين اوفى

(ثلاث)

وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال فى آخره فالتمسوها فى العشر الاواخر فى التاسعة والسابعة والخامسة فلوكان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على انها باقية الى يوم القيامة * روى عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لابى هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هى فى كل شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا فى محلها فقيل هى متنقلة تكون فى سنة فى ليلة وفى سنة اخرى فى ليلة اخرى هكذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة فى اوقاتها المختلفة وقال مالك والثورى واحمد واسحق وابو ثور انها تنتقل فى العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل فى رمضان كله وقيل انها فى ليلة معينة لاتنتقل عنها ابدا فى جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هى فى ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابى حنيفة وصاحبيه وروى عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها فى شهر رمضان ولكن اراد ان لايتكل الناس وقال جمهور العلماء انها فى شهر رمضان واختلفوا فى تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلى فى اول ليلة من شهر رمضان وقيل هى ليلة سبعة عشر وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذى عليه الاكثرون انها فى العشر الاواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى اعلم

ذكر الاحاديث الواردة فى ذلك

(ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظنى بعض اهلى فنسيتها فالتمسوها فى العشر الاواخر من رمضان وذهب الشافعى الى انها ليلة احدى وعشرين (ق) عن ابى هريرة ان اباسعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاواسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فاتانا النبى صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه وانا اريت هذه الليلة ورأيتنى اسجد فى ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذى بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش ولقد رأيت على انفه وارنبته أثر الماء والطين وفى رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهى الليلة التى يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معى فليعتكف العشر الاواخر وورد فى فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن عبد الله بن انيس قال كنت فى مجلس لبنى سلمة وانا اصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك فى صبيحة احدى

(بسم الله الرحمن الرحيم) (انا انزلناه فى ليلة القدر) عظم القرآن حيث اسند انزاله اليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذى انزله فيه روى انه انزل جملة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والقدر بمعنى التقدير او سميت بذلك لشرفها على سائر الليالى وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى ابو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن زران ابى بن كعب كان يحلف على ليلة القدر انها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور ولعل الداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كاخفاء الصلاة الوسطى واسمه الاعظم وساعة الاجابة فى الجمعة ورضاه فى الطاعات وغضبه فى المعاصى وفى الحديث من ادركها يقول اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (انا انزلناه) يقول انزلنا جبريل بالقرآن جملة واحدة على كتبة ملائكة سماء الدنيا (فى ليلة القدر) فى ليلة الحكم والقضاء ويقال فى ليلة مباركة بالمغفرة والرحمة ثم نزل بعد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما (وهذا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿انا انزلناه فى ليلة القدر﴾ الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه تعالى وعظم الوقت الذى انزل فيه بقوله

﴿ أصح وهو قول الاكثرين قيل انها اول ما نزل بالمدينة وهى ﴾

﴿ خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿انا انزلناه﴾ يعنى القرآن كناية عن غير مذكور ﴿فى ليلة القدر﴾ وذلك ان الله تعالى انزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه فى بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة فى مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما انزله الى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهى لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والآجال وما يكون فى تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك فى بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله يظهر ذلك لملائكته ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره فى تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه انه يحدثه فى تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض فى الازل قيل للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالى من قولهم لفلان قدر عند الامير اى منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة فيها

فصل فى فضل ليلة القدر وما ورد فيها

(ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء فى وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان انى خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم

خاطئ (فليدع ناديه سندع الزبانية) النادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم والمراد اهل النادى روى ان اباجهل مر بالنبى عليه السلام وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله عليه السلام فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزل والزبانية لغة الشرط الواحد زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد ملائكة العذاب وعنه عليه السلام لودعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لابى جهل (لاتطعه) اى اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب الى ربك بالسجود فان اقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد كذا فى الحديث والله اعلم

﴿سورة القدر مكية وقيل مدنية وهى خمس آيات﴾

لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة ﴿ فليدع ناديه ﴾ اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت ﴿ سندع الزبانية ﴾ ليجروه الى النار وهى فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبنى على النسب واصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء ﴿ كلا ﴾ ردع ايضا للناهى ﴿ لاتطعه ﴾ واثبت انت على طاعتك ﴿ واسجد ﴾ ودم على سجودك ﴿ واقترب ﴾ وتقرب الى ربك وفى الحديث اقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله

﴿ سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس ﴾

عباس لمانهى ابوجهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوجهل اتنهرنى فوالله لاملأن عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فجاء ابوجهل فقال الم انهك عن هذا فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فزبره فقال ابوجهل انك لتعلم مابها ناد اكثر منى فانزل الله تعالى ﴿ فليدع ناديه سندع الزبانية ﴾ قال ابن عباس والله لودعا ناديه لاخذته زبانية الله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه اى عشيرته وقومه فلينتصر بهم واصل النادى المجلس الذى يجمع الناس ولا يسمى ناديا مالم يكن فيه اهله سندع الزبانية يعنى الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون اهل النار اليها بشددة مأخوذ من الزبن وهو الدفع ﴿ كلا ﴾ اى ليس الامر على ماهو عليه ابوجهل ﴿ لاتطعه ﴾ اى فى ترك الصلاة ﴿ واسجد ﴾ اى صل لله ﴿ واقترب ﴾ اى من الله (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعى فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتها يدل عليه ماروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت اخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة القدر وهى مدنية وقيل انها مكية والقول الاول ﴾

(فليدع ناديه) قومه واهل مجلسه (سندع الزبانية) يعنى زبانية النار (كلا) حقا يامحمد (لاتطعه) يعنى ابا جهل فيما يأمرك ان لا تصلى لربك (واسجد) لربك (واقترب) اليه بالسجود ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها القدر وهى كلها مكية آياتها خمس وكلماتها ثلاثون وحروفها مائة واحدى عشرون ﴾

عن الصلاة (ارأيت ان كان على الهدى) اى ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله (او امر بالتقوى) او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد (ارأيت ان كذب وتولى) ارأيت ان كان ذلك الناهى مكذبا بالحق متوليا عنه كما نقول نحن (الم يعلم بان الله يرى) ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله وهذا وعيد وقوله الذى ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا ارأيت وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى وهذا كقولك ان اكرمتك اتكرمنى وارأيت الثانية مكررة زائدة للتوكيد (كلا) ردع لابى جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الاصنام ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وكتبها فى المصحف بالالف على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الاضافة للعلم بأنها ناصية المذكور (ناصية) بدل من الناصية لانها وصفت بالكذب والخطأ بقوله (كاذبة خاطئة) على الاسناد المجازى

والدلالة على كمال عبودية المنهى ﴿ ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ﴾ ارأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله ﴿ ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى ﴾ والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما يقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه او ضلاله وقيل المعنى ارأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متولى فما اعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه سبحانه وتعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل اولان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة ﴿ كلا ﴾ ردع للناهى ﴿ لئن لم ينته ﴾ عما هو فيه ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ بدل من الناصية وانما جاز

اوالزوج ﴿ أرأيت ان كان على الهدى ﴾ يعنى العبد المنهى وهو النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ اوامر بالتقوى ﴾ يعنى بالاخلاص والتوحيد ﴿ ارأيت ان كذب ﴾ يعنى اباجهل ﴿ وتولى ﴾ اى عن الايمان وتقدير نظم الآية ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول عن الايمان اى اعجب من هذا ﴿ الم يعلم ﴾ يعنى اباجهل ﴿ بأن الله يرى ﴾ يعنى يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم ﴿ كلا ﴾ اى لا يعلم ذلك ابوجهل ﴿ لئن لم ينته ﴾ يعنى عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ اى لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشئ اذا اخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب اى لنضربن وجهه فى النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ اى صاحبها كاذب خاطئ قال ابن

(أرأيت ان كان على الهدى) وهو على الهدى يعنى النبوة والاسلام (اوأمر بالتقوى) وامر بالتوحيد (عباس) (ارأيت ان كذب) وهو كذب بالتوحيد يعنى اباجهل (وتولى) عن الايمان (ألم يعلم) ابوجهل (بأن الله يرى) صنيعه بالنبى صلى الله عليه وسلم (كلا) حقا يا محمد (لئن لم ينته) لم يتب ابو جهل عن اذى النبى صلى الله عليه وسلم (لنسفعا بالناصية) لنأخذن ناصيته وهو مقدم رأسه (ناصية كاذبة) على الله (خاطئة) مشركة بالله

اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى مايدل على معرفته عقلا ثم نبه على مايدل عليها سمعا ﴿ كلا ﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وانلم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿ ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ﴾ اى رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد وقرأ قنبل بقصر الهمزة ﴿ ان الى ربك الرجعى ﴾ الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ﴿ ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ﴾ نزلت فى ابى جهل قال لورأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى

عليه وسلم * قوله عز وجل ﴿ كلا ﴾ اى حقا ﴿ ان الانسان ليطغى ﴾ اى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه ﴿ ان ﴾ اى لان ﴿ رآه استغنى ﴾ اى رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى ابى جهل وكان قد اصاب مالافزاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ﴿ ان الى ربك الرجعى ﴾ اى المرجع فى الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر ﴿ أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ﴾ نزلت فى ابى جهل وذلك انه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة (م) عن ابى هريرة قال قال ابوجهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الاوهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له مالك قال ان بينى وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لودنامنى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله هذه الآية لاادرى افى حديث ابى هريرة اوشئ بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لاتطعه قال وامره بما امره به زاد فى رواية فليدع ناديه يعنى قومه (خ) عن ابن عباس قال قال ابوجهل لئن رأيت محمدا يصلى عند البيت لاطأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لوفعله لاخذته الملائكة زاد الترمذى عيانا ومعنى ارأيت تعجيبا للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير فى قوله عبدا تدل على انه كامل العبودية والمعنى ارأيت الذى ينهى اشد الخلق عبودية عن العبودية وهذا دأبه وعادته وقيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولايلزم منه عدم جواز المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة وفى الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهى عن ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولايلزم من ذلك ايضا عدم جواز منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء مصلحة الا ان يأذن فيه المولى

والحظ لكفى به (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه لطغيانه وانلم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى) نزلت فى ابى جهل الى آخر السورة (ان رآه) ان رأى نفسه يقال فى افعال القلوب رأيتنى وعلمتنى ومعنى الرؤية العلم ولوكانت بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين (استغنى) هو المفعول الثانى (ان الى ربك الرجعى) تهديد للانسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع اى ان رجوعك الى ربك فيجازيك على طغيانك (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) اى ارأيت اباجهل ينهى محمدا

ذلك (كلا) حقا يامحمد (ان الانسان) يعنى الكافر (ليطغى) ليبطر فيرتفع من منزلة الى منزلة فى المطعم والمشرب والملبس والمركب (ان رآه استغنى) اذا رأى نفسه مستغنيا عن الله بالمال (ان الى ربك) يامحمد (الرجعى) مرجع الخلائق فى الآخرة ثم نزل فى شان ابى جهل بن هشام حيث اراد ان يطأ عنق النبى عليه السلام فى الصلاة فقال (ارأيت) يامحمد (الذى ينهى عبدا) يعنى محمد عليه السلام (اذا صلى) لله

وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال ﴿ خلق الانسان ﴾ او الذى خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته ﴿ من علق ﴾ جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته ﴿ اقرأ ﴾ تكرير للمبالغة والاول مطلق والثانى للتبليغ اوفى الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ ﴿ وربك الاكرم ﴾ الزائد فى الكرم على كل كريم فانه سبحانه وتعالى ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة ﴿ الذى علم بالقلم ﴾ اى الخط بالقلم وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد ﴿ علم الانسان ما لم يعلم ﴾ بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه وتعالى مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من

﴿ خلق الانسان ﴾ يعنى آدم وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة ﴿ من علق ﴾ جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس فى معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الآى ايضا ﴿ اقرأ ﴾ كرره تأكيدا وقيل الاول اقرأ فى نفسك والثانى اقرأ للتبليغ وتعليم امتك ثم استأنف فقال تعالى ﴿ وربك الاكرم ﴾ يعنى الذى لا يوازيه كريم ولا يعادله فى الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاؤه الشئ من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك فى وصفه لانه اكرم الاكرمين وقيل الاكرم هو الذى له الابتداء فى كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزى بكل حرف عشر حسنات ﴿ الذى علم بالقلم ﴾ اى الخط والكتابة التى بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه ﴿ علم الانسان ما لم يعلم ﴾ قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله

عجيب فطرته (من علق) وانما جمع ولم يقل من علقة لان الانسان فى معنى الجمع (اقرأ وربك الاكرم) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال (الذى علم) الكتابة (بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هى لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل الا امر القلم

الخلائق (خلق الانسان) يعنى ولد آدم (من علق) من دم عبيط فقال النبى عليه السلام ما اقرأ يا جبريل فقرأ عليه جبريل اربع آيات من اول هذه السورة فقال له (اقرأ) القرآن يا محمد (وربك الاكرم) المتجاوز الحليم عن جهل العباد (الذى علم بالقلم) {علمه} الخط بالقلم (علم الانسان) يعنى الخط بالقلم (ما لم يعلم) قبل ذلك ويقال علم الانسان يعنى آدم اسماء كل شئ ما لم يعلمه قبل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ اى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه سبحانه وتعالى او مستعينا به ﴿ الذى خلق ﴾ اى الذى له الخلق اوالذى خلق كل شئ ثم افرد ماهو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا

الروايات مكرر مرتين ومعناه غطونى بالثياب * وقولها حتى ذهب عنه الروع اى الفزع * قولها كلا ابشر فوالله لايخزيك الله ابدا يروى بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزى اى لايفضحك الله ولايكسرك ولايهينك ولايذلك وروى بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون اى يحزنك من الحزن الذى هوضد الفرح * وقولها وتحمل الكل اى الثقل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم اى تعطى المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لايصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء * قولها وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية وفى رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربى يكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله تعالى ان يكتب ومعناها صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف فى الانجيل فيكتب اى موضع شاء منه بالعبرانية ان اراد اوالعربية ان اراد ذلك * قوله هذا الناموس الذى نزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير انما سمى جبريل بذلك لان الله خصه بالوحى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام * قوله ياليتنى فيها اى فى ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اى شابا قويا حتى ابالغ فى نصرتك وهو قوله وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا اى قويا بالغا * قولها ثم لم يلبث ورقة ان توفى اى فلم يلبث ان مات قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم * قوله كى يتردى التردى الوقوع من علو وذروة الجبل اعلاه * قوله تبدى له اى ظهر له * قوله فيسكن لذلك جأشه اى قلبه وقيل الجأش هوثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجأش هوماثار من فزعه وهاج من حزنه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك امر ان يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا وقيل الباء على اصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك اى قل باسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون فى الآية دلالة على استحباب البداءة بالتسمية فى اول القراءة وقيل معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ماتحمله من النبوة واعباء الرسالة ﴿ الذى خلق ﴾ يعنى جميع الخلائق وقيل الذى حصل منه الخلق واستأثر به لاخالق سواه وقيل الذى خلق كل شئ

(بسم الله الرحمن الرحيم) عن ابن عباس ومجاهد هى اول سورة نزلت والجمهور على ان الفاتحة اول مانزل ثم سورة القلم (اقرأ باسم ربك الذى خلق) محل باسم ربك النصب على الحال اى اقرأ مفتتحا باسم ربك كانه قيل قل بسم الله ثم اقرأ الذى خلق ولم يذكر لخلق مفعولا لان المعنى الذى حصل منه الخلق واستأثر به لاخالق سواه اوتقديره خلق كل شئ فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره اولى

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اقرأ) يقول اقرأ يامحمد القرآن وهذا اول مانزل به جبريل (باسم ربك) بأمر ربك (الذى خلق)

الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة اى خديجة مالى واخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسى قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لايخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة اى ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخى ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودى وان يدركنى يومك حيا انصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفى وفتر الوحى زاد البخارى قال وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يامحمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

فصل

فى هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ اول مانزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر اول مانزل من القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين فى اول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبى صلى الله عليه وسلم اومن غيره من الصحابة ومرسل الصحابة حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابواسحق الاسفراينى وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية فبدئ بأول علامات النبوة توطئة للوحى واما التحنث فقد فسر فى الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان اصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم * وقولها فجأه الحق اى جاءه الحق بالوحى بغتة * قوله فغطنى بالغين المعجمة والطاء المشالة المهملة اى عصرنى وضمنى ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ منى الجهد قال العلماء والحكمة فى الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة فى صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثا * قوله زملونى زملونى كذا هو فى

(الروايات)

اى فأى شئ يكذبك يامحمد دلالة اونطقا ﴿بعد بالدين﴾ بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل مابمعنى من وقيل الخطاب للانسان على التفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ تحقيق لماسبق والمعنى اليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على مامر مرارا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين مادام حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

﴿سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة﴾

ياايها الانسان وهو خطاب على طريق الالتفات ﴿بعد﴾ اى بعد هذه الحجة والبرهان ﴿بالدين﴾ اى بالحساب والجزاء والمعنى فما الذى يلجئك ايها الانسان الى هذا الكذب الا تتفكر فى صورتك وشبابك ومبدأ خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذى فعل ذلك قادر على ان يبعثنى ويحاسبنى فما الذى يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ اى بأقضى القاضين يحكم بينكم وبين اهل التكذيب يوم القيامة * عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والتين والزيتون فقرأ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذى وعن البراء ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فصلى العشاء الاخيرة فقرأ فى احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا اوقراءة منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم

﴿تفسير سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة﴾
﴿ومائتان وثمانون حرفا﴾

قال اكثر المفسرين هذه السورة اول سورة نزلت من القرآن واول مانزل خمس آيات من اولها الى قوله مالم يعلم (ق) عن عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها انها قالت اول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل ان يرجع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحى وفى رواية حتى فجاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال مااانا بقارئ قال فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ قلت ماانا بقارئ فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت ماانا بقارئ فاخذنى فغطنى

تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى ان خالق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوى ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لاترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان وعلى هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء اولرسول الله اى فمن ينسبك الى الكذب بعد هذا الدليل فما بمعنى من (اليس الله باحكم الحاكمين) وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بماهم اهله وهو من الحكم والقضاء والله اعلم

﴿سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية﴾

(بعد) هذا الذى ذكرت لك من تحويل الخلق يعنى الشباب والهرم والبعث والموت ويقال فمن ذا الذى حملك على التكذيب ياكلدة بن اسيد ويا وليد بن المغيرة (بالدين) بحساب يوم القيامة (أليس الله بأحكم الحاكمين) بأعدل العادلين وبأفضل الفاضلين ان يحييك بعد الموت (قا وخا ٦٨ س) ياوليد ﴿ومن السورة التى يذكر فيها العلق وهى كلها مكية آياتها تسع عشرة وكلماتها اثنتان وسبعون وحروفها مائة واثنان وعشرون﴾

(لقد خلقنا الانسان) وهو جنس (فى احسن تقويم) فى احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية اعضائه (ثم رددناه اسفل سافلين) اى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى اقبح من قبح صورة وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد

سواده وتشنن جلده وكل سمعه وبصره وتغير كل شئ منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع اى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب فى (فما يكذبك

البلد بلد مكة الامين من ان يهاج فيه على من دخل فيه (لقد خلقنا الانسان) هو الكافر الوليد بن المغيرة ويقال كلدة بن اسيد (فى احسن تقويم) يقول فى اعدل الخلق ولهذا كان القسم (ثم رددناه) فى الآخرة (اسفل سافلين) يعنى النار ويقال لقد خلقنا الانسان يعنى ولد آدم فى احسن تقويم فى احسن صورة اذا تكامل شبابه ثم رددناه اسفل سافلين الى ارذل العمر فلا يكتب له بعد ذلك حسنة الا ماقد عمل فى شبابه وقوته (الا الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (فلهم اجر غير ممنون) غير منقوص ولا مكدر تجرى لهم الحسنات بعد الهرم والموت (فما يكذبك) يا وليد بن المغيرة ويقال يا كلدة بن اسيد ويقال فمن ذا الذى يكذبك يا محمد

او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة ﴿ لقد خلقنا الانسان ﴾ يريد به الجنس ﴿ فى احسن تقويم ﴾ تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات فيه ﴿ ثم رددناه اسفل سافلين ﴾ بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل سافلين وهو النار وقيل الى ارذل العمر فيكون ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ منقطعا ﴿ فلهم اجر غير ممنون ﴾ لا ينقطع اولا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له ﴿ فما يكذبك ﴾

﴿ لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ﴾ يعنى اعدل قامة واحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتميز والمنطق ﴿ ثم رددناه اسفل سافلين ﴾ يعنى الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير اسفل من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فانهم لا يردون الى النار اوالى اسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى ايام الشيخوخة الهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملون فى حالة الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل العمر على زمن النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذى عملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة مايضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ما كان يعمل وروى عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر ﴿ فلهم اجر غير ممنون ﴾ يعنى غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة ﴿ فما يكذبك ﴾ يعنى

(يا ايها)

بهما لانهما عجيبان من بين الاشجار المثمرة روى انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هى سواكى وسواك الانبياء قبلى وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم هذا وزيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشأم منبتاهما (وطور سينين) اضيف الطور

وهو الجبل الى { سورة والتين } سينين وهى البقعة ونحو سينون يبرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب (وهذا البلد) يعنى مكة (الامين) من أمن الرجل امانة فهو امين وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والاولياء فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذى نودى منه موسى ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم اجمعين او الاولان قسم بمهبط الوحى على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليه السلام وجواب القسم

لها وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع و يحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لادهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما الجبلان من الارض المقدسة اومسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان ﴿ وطور سينين ﴾ يعنى الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذى هو فيه ﴿ وهذا البلد الامين ﴾ اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين

وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلاعجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لايمكث فى المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم واما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته فى اغلب البلاد ولايحتاج الى خدمة وتربية وينبت فى الجبال التى ليست فيها دهنية ويمكث فى الارض الوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لاجرم اقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طورتينا وطورزيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل التين مسجد نوح الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس ﴿ وطور سينين ﴾ يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم للمكان الذى فيه الجبل سمى سينين وسيناء لحسنه او لكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء ﴿ وهذا البلد الامين ﴾ يعنى الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذى يأمن فيه الناس فى الجاهلية والاسلام لاينفر صيده ولايعضد شجره ولاتلتقط لقطته الا لمنشد وهذه اقسام اقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى

زيتونكم هذا ويقال هما مسجدان بالشام ويقال هما جبلان بالشام ويقال التين هو الجبل الذى عليه بيت المقدس والزيتون هو الجبل الذى عليه دمشق (وطور سينين) وأقسم بجبل ثبير وهو جبل بمدين الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وكل جبل هو الطور بلسان النبط وسينين هو الجبل الحسن الشجر (وهذا البلد الامين) واقسم بهذا

والعسر منكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد يغاير ما اريد بالاول ﴿ فاذا فرغت ﴾ من التبليغ ﴿ فانصب ﴾ فانصب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة او فاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء ﴿ والى ربك فارغب ﴾ بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافك وقرئ فرغب اى فرغب الناس الى طلب ثوابه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكأنما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

﴿ سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والتين والزيتون ﴾ خصهما من بين الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لافاضل

وقال احمد بن سليمان فى المعنى

توقع لعسر دهاك سرورا * ترى العسر عنك بيسر تسرى
فما الله يخلف ميعاده * وقد قال ان مع العسر يسرا

وقال غيره

وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

* قوله عزوجل ﴿ فاذا فرغت فانصب ﴾ لما عدد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وان لايخلى وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك فى الدعاء وارغب اليه فى المسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب فى الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب انى لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته * السبهلل الذى لاشئ معه وقيل السبهلل الباطل ﴿ والى ربك فارغب ﴾ اى تضرع اليه راغبا فى الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى فى جميع احوالك لا الى احد سواه والله اعلم

﴿ تفسير سورة والتين وهى مكية وثمان آيات وأربع وثلاثون ﴾

﴿ كلمة ومائة وخمسة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ والتين والزيتون ﴾ قال ابن عباس هو تينكم الذى تأكلون

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء واختلف انه قبل السلام او بعده ووجه الاتصال بما قبله انه لما عدد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون

﴿ سورة والتين مكية وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين والزيتون) اقسم

(فاذا فرغت) من الغزو والجهاد والقتال (فانصب) فى العباد ويقال اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب فى الدعاء (والى ربك فارغب) وحوائجك الى ربك فارفع

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها التين وهى كلها مكية آياتها ثمان وكلماتها أربع وثلاثون وحروفها مائة وخمسون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (و)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والتين والزيتون) يقول أقسم الله بالتين تينكم هذا والزيتون

او استئناف وعدة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام ان يغلب عسر يسرين فان العسر معرف باللام فلا يتعدد سواء كان للعهد او الجنس

الناس فى قوله ان يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لايوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله ان يغلب عسر يسرين ان الله عزوجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنالك مالا حتى تكون كايسر اهل مكة فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه فى هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا اى لايحزنك الذى يقولون فان مع العسر الذى فى الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ماوعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطى المئين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من امور الآخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذى فى الدنيا للمؤمن يسرا فى الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ماذكره فى الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ماذكره فى الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اى ان عسر الدنيا لن يغلب اليسر الذى وعده الله المؤمنين فى الدنيا واليسر الذى وعدهم فى الآخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم ابدا غير زائل اى لايجتمعان فى الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لاينقصان اى لايجتمعان فى النقص قال القشيرى كنت يوما فى البادية بحالة من الغم فالقى فى روعى بيت شعر فقلت

ارى الموت ان اصبح * مغموما له اروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف فى الهواء

الا يا ايها المرء الـ * ـذى الهم به برح
وقد انشد بيتا لم * يزل فى فكره يسنح
اذا اشتد بك العسر * ففكر فى الم نشرح
فعسر بين يسرين * اذا ابصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عنى وقال اسحق بن بهلول القاضى

فلاتيأس اذا اعسرت يوما * فقد ايسرت فى دهر طويل
ولاتظنن بربك ظن سوء * فان الله اولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار * وقول الله اصدق كل قيل

واليسر اعيد نكرة والنكرة اذا اعيدت نكرة كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر يسرين قال ابو معاذ يقال ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قال ان مع امير غلاما وان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد واذا قيل ان مع امير غلاما وان مع امير غلاما فهما اميران وغلامان كذا فى شرح التأويلات

الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه فى ملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة ﴿ فان مع العسر ﴾ كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم ﴿ يسرا ﴾ كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك مايغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بمافى ان مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين ﴿ ان مع العسر يسرا ﴾ تكرير للتأكيد

ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبد الله وصدقه فى كل شئ ولم يشهد ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشئ وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الاينادى اشهد ان لا اله الاالله وان محمد رسول الله وقال الضحاك لاتقبل صلاة الابه ولاتجوز خطبة الابه وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبى مع اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه فى قوله محمد رسول الله وفرض طاعته على الامة بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء فى القرآن وغيره من كتب الانبياء ثم وعده باليسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك انه كان فى شدة بمكة فقال تعالى ﴿ فان مع العسر يسرا ﴾ اى مع الشدة التى انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذى جئتهم به ﴿ ان مع العسر يسرا ﴾ وانما كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لمانزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لوكان العسر فى حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ويخرجه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون فى معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثانى هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم اعادته كان الثانى غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثانى غير الاول واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثانى هو الاول فالعسر فى الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا آخر وزيف ابوعلى الحسن بن يحيى الجرجانى صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم

وعنك وزرك (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) اى ان مع الشدة التى انت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرا باظهارى اياك عليهم حتى تغلبهم وقيل كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله فذكره ماانعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذى انتم فيه يسرا وجيء بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب وانما قال عليه السلام عند نزولها لن يغلب عسر يسرين لان العسر اعيد معرفا فكان واحدا لان المعرفة اذا اعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى

والشدة (فان مع العسر يسرا) مع الشدة الرخاء (ان مع العسر يسرا) مع الشدة الرخاء فذكر عسرا بين يسرين

فكان غائبا حاضرا اوالم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ماروى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ماسبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ عبأك الثقيل ﴿ الذى انقض ظهرك ﴾ الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام اوحيرته اوتلقى الوحى او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان ﴿ ورفعنالك ذكرك ﴾ بالنبوة وغيرها واى رفع مثل ان قرن اسمه باسمه تعالى فى كلمتى

للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التى تصده عن ادراك الحق وقيل معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره فى صغره (م) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم اعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعنى ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى اثر المخيط فى صدره ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ اى حططنا عنك وزرك الذى سلف منك فى الجاهلية فهو كقوله ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب امتك فأضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ماأثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر فى اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذى ينقض ظهرك لوكان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول فى عصمة الانبياء قدتقدم مستوفى فى سورة طه عند قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ﴿ الذى انقض ظهرك ﴾ اى اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفى الذى يسمع من المحمل اوالرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ماقبل النبوة قال هو اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بأمور كان فعلها قبل نبوته اذلم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها أوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على مابعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيآت المقربين * وقوله عزوجل ﴿ ورفعنالك ذكرك ﴾ روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنالك ذكرك قال قال الله عزوجل اذا ذكرت ذكرت معى قال

اعباء النبوة والقيام بامرها وقيل هو زلة لاتعرف بعينها وهى ترك الافضل مع اتيان الفاضل والانبياء يعاتبون بمثلها ووضعه عنه ان غفرله والوزر الحمل الثقيل (الذى انقض ظهرك) اثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض (ورفعنالك ذكرك) ورفع ذكره ان قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب والتشهد وفى غير موضع من القرآن اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله احق ان يرضوه وفى تسميته رسول الله ونبى الله ومنه ذكره فى كتب الاولين وفائدة لك ماعرف فى طريقة الابهام والايضاح لانه يفهم بقوله الم نشرح لك ان ثم مشروحا ثم اوضح بقوله صدرك ماعلم مبهما وكذلك ذكرك

(ووضعنا عنك وزرك) حططنا عنك اثمك (الذى أنقض ظهرك) اثقل ظهرك به يعنى الاثم ويقال أثقل ظهرك بالنبوة فقال النبى عليه السلام نعم فقال ايضا (ورفعنالك ذكرك) صوتك

بالاذان والدعاء والشهادة ان تذكر كما اذكر فقال عليه السلام نعم فقال الله تعالى تعزية لنبيه بالفقر

 ﴿سورة الم نشرح مكية وهى ثمان آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم نشرح لك صدرك) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى اى فسحناه بما اودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين فأزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون

﴿ وامابنعمة ربك فحدث ﴾ فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها * قال عليه السلام من قرأ سورة والضحى جعله الله سبحانه وتعالى فيمن يرضى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

﴿ سورة الم نشرح مكية وآيها ثمان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الم نشرح لك صدرك ﴾ الم نفسحه حتى وسع مناجات الحق ودعوة الخلق

فى وجهه ولا ينهر ولا يلقى بمكروه ﴿ واما بنعمة ربك فحدث ﴾ قيل اراد بالنعمة النبوة اى بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التى آتاك الله وقيل النعمة هى القرآن امره ان يقرأه ويقرئه غيره وقيل اشكره * لما ذكره نعمه عليه فى هذه السورة من جبر اليتم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والفقر امره ان يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها * عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى عطاء فليجزبه ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور اخرجه الترمذى * وله عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله * وله عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة فى قراءة اهل مكة ان يكبر من اول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله اكبر وسبب ذلك ان الوحى لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى فاتخذوه سنة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الم نشرح وهى مكية وثمان آيات وسبع وعشرون ﴾

﴿ كلمة ومائة وثلاثة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ الم نشرح لك صدرك ﴾ استفهام بمعنى التقرير اى قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصده عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم

(واما بنعمة ربك) بالنبوة والاسلام (فحدث) الناس بذلك واخبرهم واعلمهم بذلك

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الم نشرح وهى كلها مكية آياتها ثمان وكلماتها سبع وعشرون وحروفها مائة وثلاثة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الم نشرح لك صدرك) وهذا معطوف على قوله ووجدك عائلا فأغنى فقال الم نشرح لك يا محمد صدرك قلبك للاسلام يقول الم نلين قلبك يوم الميثاق بالمعرفة والفهم والنصرة والعقل واليقين وغير ذلك ويقال الم نوسع قلبك بالنبوت فقال النبى عليه السلام نعم فقال أيضا

﴿ووجدك عائلا﴾ فقيرا ذا عيال ﴿فاغنى﴾ بما حصل لك من ربح التجارة ﴿فاما اليتيم فلا تقهر﴾ فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه ﴿واما السائل فلا تنهر﴾ فلا تزجره

﴿ووجدك عائلا فاغنى﴾ يعنى فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل ارضاك بما اعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس * العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى عزوجل مسئلة وددت انى لم اكن سألته قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فآويتك قلت بلى يارب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال الم اجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى يارب زاد فى رواية الم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يارب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم ان يمن بانعامه على عبده والمن مذموم فى صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت انما حسن ذلك لانه سبحانه وتعالى قصد بذلك ان يقوى قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كأنه قال مالك تقطع رجاءك عنى الست الذى ربيتك وآويتك وانت يتيم صغير أتظننى تاركك ومضيعك كبيرا بل لابد وان اتم نعمتى عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عزوجل ﴿فاما اليتيم فلا تقهر﴾ اى لاتحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لاتقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب فى الجاهلية تفعل فى امر اليتامى يأخذون اموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوى بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ويشير باصبعيه (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما ﴿واما السائل فلا تنهر﴾ يعنى السائل على الباب يقول لاتزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق ولا تكهر بوجهك فى وجهه قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعى السائل يريدنا الى الآخرة يجئ الى باب احدكم فيقول هل توجهون الى اهليكم بشئ وقيل السائل هو طالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس

الفسق والعصيان (ووجدك عائلا) فقيرا (فاغنى) فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنائم (فاما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه (واما السائل فلا تنهر) فلا تزجره فابذل قليلا اورد جميلا وعن السدى المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره

ايضا (ووجدك) يا محمد (عائلا) فقيرا (فأغنى) فأغناك بمال خديجة ويقال ارضاك بما اعطاك فقال النبى عليه السلام نعم ياجبريل فقال ايضا (فاما اليتيم فلا تقهر) فلا تظلمه ولاتحتقره (واما السائل فلا تنهر) فلا ترده خائبا ولا تزجره

بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى اوالمصادفة ويتيما حال ﴿ ووجدك ضالا ﴾ عن علم الحكم والاحكام ﴿ فهدى ﴾ فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام اوحين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فأزال ضلالك عن عمك اوجدك

وايدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته ﴿ ووجدك ضالا ﴾ اى عما انت عليه اليوم ﴿ فهدى ﴾ اى فهداك الى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير فرآه ابوجهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه ابى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة اذجاء ابليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدرى من انت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو فى غار حراء فى طلب ما يتوجه به الى ربه حتى هداه الله لدينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل الله اليك فهداك لبيانه فهذا ماقيل فى هذه الآية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء قبله منذ ولدوا نشؤا على التوحيد والايمان قبل النبوة وبعدها وانهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك ان قريشا عابوا النبى صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وامر الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا اذ لوكان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع ماقالوه فيه وعيروه به ويؤكد هذا ماروى فى قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه ابى طالب الى الشأم فرأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبى فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لاتسألنى بهما فوالله ما ابغضت شيأ بغضهما ويؤكد هذا شرح صدره صلى الله عليه وسلم فى حال الصغر واستخراج العلقة منه وقول جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه حكمة وايمانا وقوله تعالى ماضل صاحبكم وما غوى وقال الزمخشرى ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دين قومه فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ والله اعلم * قوله عز وجل

طالب وضمك اليه حتى كفلك ورباك (ووجدك ضالا) اى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة واحكام الشريعة وما طريقه السمع (فهدى) فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به ابو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز ان يفهم به عدول عن حق ووقوع فى غى فقد كان عليه السلام من اول حاله الى نزول الوحى عليه معصوما من عبادة الاوثان وقاذروات اهل

يا جبريل فقال جبريل ايضا (ووجدك) يامحمد (ضالا) بين قوم ضلال (فهدى) فهداك بالنبوة فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم يا جبريل فقال

(ووجدك)

النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخرله مما لايعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لاللقسم فانها لاتدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل وان تأخر ويجدك من الوجود

الشفاعة فى امته حتى يرضى (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتى امتى وبكى فقال الله عزوجل ياجبريل اذهب الى محمد واسأله مايبكيك وهو اعلم فاتى جبريل وسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك فى امتك ولانسوؤك (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعتى لامتى يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من امتى لايشرك بالله شيأ * عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتانى آت من عند ربى فخيرنى بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات لايشرك بالله شيأ اخرجه الترمذى قال حرب بن شريح سمعت جعفر ابن محمد بن على يقول انكم يامعشر اهل العراق تقولون ارجى آيه فى القرآن قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل فى معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل الآية على ظاهرها من خيرى الدنيا والآخرة معا اولى وذلك ان الله تعالى اعطاه فى الدنيا النصر والظفر على الاتباع وكثرة الاعداء والفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة واعلى دينه وان امته خير الامم واعطاه فى الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغيرذلك مما اعطاه فى الدنيا والآخرة ثم اخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقبل الوحى وذكر نعمه عليه واحسانه اليه فقال عزوجل ﴿ الم يجدك يتيما ﴾ اى صغيرا ﴿ فآوى ﴾ اى الم يعلمك الله يتيما من الوجود الذى هو بمعنى العلم والمعنى الم يجدك يتيما صغيرا حين مات ابوك ولم يخلف لك مالا ولامأوى فجعل لك مأوى تأوى اليه وضمك الى عمك ابى طالب حتى احسن تربيتك وكفاك المؤنة وذلك ان عبدالله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبدالمطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه ابوطالب الى ان قوى واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك اليه

الا مع نون التوكيد فتعين ان تكون لام ابتداء ولام الابتداء لاتدخل الا على المبتدأ والخبر فلابد من تقدير مبتدأ وخبر كاذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف وذكر صاحب الكشف هى لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لان النون انما تدخل ليؤذن ان اللام لام القسم لالام الابتداء وقد علم انه ليس للابتداء لدخولها على سوف لان لام الابتداء لاتدخل على سوف وذكر ان الجمع بين حرف التأكيد والتأخير يؤذن بان العطاء كائن لامحالة وان تأخر ثم عدد عليه نعمه من اول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولايقل فقال (ألم يجدك يتيما) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى الم تكن يتيما حين مات ابواك (فآوى) اى فآواك الى عمك ابى

حتى ترضى ثم ذكر منته عليه فقال (الم يجدك) يامحمد (يتيما) بلااب ولام (فآوى) فآواك الى عمك ابى طالب وكفى مؤنتك فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم

(والليل اذا سجى) سكن والمراد سكون الناس والاصوات فيه وجواب القسم (ماودعك ربك وماقلى) ماتركك منذ اختارك وما ابغضك منذ احبك والتوديع مبالغة فى الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك روى ان الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فاوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف (وللآخرة خير لك من الاولى) اى ما اعد الله لك فى الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما اعجبك فى الدنيا وقيل وجه اتصاله بما قبله انه لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحى اليك وانك حبيب الله ولاترى كرامة اعظم من ذلك اخبره ان حاله فى الآخرة اعظم من ذلك لتقدمه على الانبياء وشهادة امته على الامم وغير ذلك (ولسوف يعطيك ربك) فى الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذا لاارضى قط و واحد من امتى فى النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ونحوه لاقسم فيمن قرأ (الشفاعة)

بيانا ﴿ والليل اذا سجى ﴾ سكن اهله اوركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ﴿ ماودعك ربك ﴾ ماقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ماتركك وهو جواب القسم ﴿ وماقلى ﴾ وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كامر فى سورة الكهف اولزجره سائلا ملحا اولان جروا ميتا كان تحت سريره اولغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم ﴿ وللآخرة خير لك من الاولى ﴾ فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لايزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعده ماهو اعلى واجل من ذلك فى الآخرة او ولنهاية امرك خير من بدايته فانه لايزال يتصاعد فى الرفعة والكمال ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ وعد شامل لما اعطاه من كمال

عنه فقيل اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل اربعون يوما فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل ماجئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل انى كنت اليك اشد شوقا ولكنى عبد مأمور ونزل وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله هذه السورة *قوله عزوجل والضحى قيل اراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله فى قوله والليل اذا سجى وقيل وقت الضحى وهى الساعة التى فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار فى الحر والبرد فى الصيف والشتاء ﴿ والليل اذا سجى ﴾ قال ابن عباس اقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شئ بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم اقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى ﴿ماودعك ربك وما قلى ﴾ اى ماتركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤس الآى وقيل معناه وما قلى احدا من اصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة ﴿ وللآخرة خير لك من الاولى ﴾ اى الذى اعطاك ربك فى الآخرة خير لك واعظم من الذى اعطاك فى الدنيا وروى البغوى بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ قال ابن عباس هى

(والليل اذا سجى) اذا اظلم واسود (ماودعك ربك) ماتركك ربك منذ اوحى اليك (وماقلى) ماابغضك منذ احبك ولهذا كان القسم وهذا بعدما حبس الله عنه الوحى خمس عشرة ليلة لتركه الاستثناء فقال المشركون ودعه ربه وقلاه (وللآخرة خير لك من الاولى) يقول ثواب الآخرة خير لك من ثواب الدنيا (ولسوف يعطيك ربك) فى الآخرة من الشفاعة (فترضى)

﴿ الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ﴾ استثناء منقطع اومتصل من محذوف مثل لايؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ﴿ ولسوف يرضى ﴾ وعد بالثواب الذى يرضيه والآيات نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابوجهل اوامية بن خلف * قال عليه السلام من قرأ سورة والليل اعطاه الله سبحانه وتعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

﴿ سورة والضحى مكية وآيها احدى عشرة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والضحى ﴾ ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه اولانه فيه كلم موسى ربه والقى السحرة سجدا اوالنهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة

يكافئه عليها ﴿ الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ﴾ اى لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب مرضاته ﴿ ولسوف يرضى ﴾ اى بما يعطيه الله عزوجل فى الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله اعلم

﴿ تفسير سورة والضحى وهى مكية واحدى عشرة آية ﴾

﴿ واربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل ﴿ والضحى ﴾ اختلفوا فى سبب نزول هذه السورة على ثلاثة اقوال * القول الاول (ق) عن جندب بن سفيان البجلى قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين اوثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد انى لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك ليلتين اوثلاثا فانزل الله عزوجل والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وما قلى واخرجه الترمذى عن جندب قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فدميت اصبعه فقال النبى صلى الله عليه وسلم

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل ما لقيت

قال فابطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عزوجل ماودعك ربك وما قلى وقيل ان المرأة المذكورة فى الحديث المتفق عليه هى ام جميل امرأة ابى لهب * القول الثانى قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذى القرنين واصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه * القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحى وجبريل عنه ان جروا كان فى بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لاندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا فى مدة احتباس الوحى

الحدثان (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام ولسوف يعطيك ربك فترضى

﴿ سورة والضحى مكية وهى احدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وانما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا أو النهار كله لمقابلته بالليل فى قوله

(الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) الا طلب رضا ربه الاعلى اعلى كل شئ (ولسوف يرضى) يعطى من الثواب والكرامة حتى يرضى وهو ابوبكر الصديق واصحابه

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الضحى وهى كلها مكية آياتها احد عشرة وكلماتها اربعون وحروفها مائة واثنان ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والضحى) يقول اقسم الله بالنهار كله

﴿ وما لاحد عنده من نعمة تجزى ﴾ فيقصد بيتانه مجازاتها

قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال له ابوه اى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهرى اريد فانزل الله وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد ابن اسحق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت اوتكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك احد احد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه قال مربه ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابى بكر فى بنى جمح فقال لامية الا تتقى الله فى هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مماترى فقال ابو بكر افعل عندى غلام اسود اجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيكه قال قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وام عميس وزهرة فاصيب بصرها حين اعتقها ابو بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فرآهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهى تقول والله لا اعتقهما ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بنى المؤمل وهى تعذب فابتاعها واعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه وماكانوا فيه من البلاء واعتاق ابى بكر اياهم وكان اسم ابى بكر عتيقا فقال فى ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه * عتيقا واخزى فاكها وابا جهل
عشية هما فى بلال بسوأة * ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الانام وقوله * شهدت بان الله ربى على مهل
فان تقتلونى فاقتلونى فلم اكن * لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب ابراهيم والعبد يونس * وموسى وعيسى نجنى ثم لا تملى
لمن ظل يهوى الغى من آل غالب * على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغنى ان امية بن خلف قال لابى بكر فى بلال حين قال له اتبيعه قال نعم ابيعه بنسطاس عبد لابى بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما قال امية ابيعه بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عزوجل ﴿ وما لاحد عنده ﴾ اى عند ابى بكر ﴿ من نعمة تجزى ﴾ اى من يد

خاصة وقيل الآية واردة فى الموازنة بين حالى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ فى صفتيهما فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل وابو بكر وفيه بطلان زعم المرجئة لانهم يقولون لايدخل النار الا كافر (ومالاحد عنده من نعمة تجزى

(ومالاحد عنده من نعمة تجزى) ولم يعمل ذلك مجازاة لاحد

(وما يغنى عنه ماله اذا تردى) ولم ينفعه ماله اذا هلك وتردى تفعل من الردى وهو الهلاك او تردى فى القبر اوفى قعر جهنم اى سقط (ان علينا للهدى) ان علينا الارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى اوانهما لنا فمن طلبهما من غيرنا فقد اخطأ الطريق (فانذرتكم) خوفتكم (نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يدخلها للخلود فيها (الا الاشقى الذى كذب وتولى) الا الكافر الذى كذب

الرسل واعرض عن الايمان (وسيجنبها) وسيبعد منها (الاتقى) المؤمن (الذى يؤتى ماله) للفقراء (يتزكى) من الزكاء اى يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكاة ويتزكى ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فمحله النصب قال ابو عبيدة الاشقى بمعنى الشقى وهو الكافر والاتقى بمعنى التقى وهو المؤمن لانه لا يختص بالصلى اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى لان التقى يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم

﴿ومايغنى عنه ماله﴾ نفى او استفهام انكار ﴿اذا تردى﴾ هلك تفعل من الردى او تردى فى حفرة القبر اوقعر جهنم ﴿ان علينا للهدى﴾ للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل ﴿وان لنا للآخرة والاولى﴾ فنعطى فى الدارين مانشاء لمن نشاء اوثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء ﴿فانذرتكم نارا تلظى﴾ تتلهب ﴿لايصلاها﴾ لا يلزمها مقاسيا شدتها ﴿الا الاشقى﴾ الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله ﴿الذى كذب وتولى﴾ اى كذب الحق واعرض عن الطاعة ﴿وسيجنبها الاتقى﴾ الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق ﴿الذى يؤتى ماله﴾ يصرفه فى مصارف الخير لقوله ﴿يتزكى﴾ فانه بدل من يؤتى اوحال من فاعله

تكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت فى ابى بكر الصديق وامية بن خلف لان سياق الآيات يقتضى ذلك * قوله عز وجل ﴿وما يغنى عنه ماله﴾ اى الذى بخل به ﴿اذا تردى﴾ اى اذا مات وقيل هوى فى جهنم ﴿ان علينا للهدى﴾ اى ان علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك انه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسئ من العسرى اخبرهم ان بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر احدهما والمعنى ارشد اوليائى الى العمل بطاعتى واصرف اعدائى عن العمل بطاعتى وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله ﴿وان لنا للآخرة والاولى﴾ اى لنا ما فى الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطأ الطريق ﴿فانذرتكم﴾ اى يا اهل مكة ﴿نارا تلظى﴾ اى تتوقد وتتوهج ﴿لايصلاها الا الاشقى﴾ يعنى الشقى ﴿الذى كذب﴾ يعنى الرسل ﴿وتولى﴾ اى عن الايمان ﴿وسيجنبها الاتقى﴾ يعنى التقى ﴿الذى يؤتى﴾ اى يعطى ﴿ماله يتزكى﴾ اى يطلب عند الله ان يكون زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق فى قول جميع المفسرين

(ومايغنى عنه ماله) الذى جمع فى الدنيا (اذا تردى) اذا مات ويقال اذا تردى فى النار (ان علينا للهدى) للبيان بيان الخير والشر (وان لنا للآخرة والاولى) ثواب الدنيا والآخرة ويقال لنا للآخرة والاولى الآخرة بالثواب والكرامة والاولى بالمعرفة والتوفيق (فأنذرتكم) خوفتكم يا اهل مكة بالقرآن (نارا تلظى) تغيظ وتتلهب (لايصلاها) لا يدخلها يعنى النار (الا الاشقى) الا الشقى فى علم الله (الذى كذب) بالتوحيد ويقال قصر عن طاعة الله (وتولى) عن الايمان ويقال عن التوبة (وسيجنبها) يباعد ويزحزح عن النار (الاتقى) التقى (الذى يؤتى ماله) يعطى ماله فى سبيل الله وهو ابو بكر الصديق (يتزكى) يريد بذلك وجه الله

الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام ﴿ واما من بخل ﴾ بما امر به ﴿ واستغنى ﴾ بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى ﴿ وكذب بالحسنى ﴾ بانكار مدلولها ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار

﴿ واما من بخل ﴾ اى بالنفقة فى الخير والطاعة ﴿ واستغنى ﴾ اى عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه ﴿ وكذب بالحسنى ﴾ اى بلا اله الا الله اوكذب بما وعده الله عز وجل من الجنة والثواب ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ اى فسنهيئه للشر بان نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه ان يأتى خيرا وفى الآية دليل لاهل السنة وصحة قولهم فى القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل بما سبق له فى الازل (ق) عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة زاد مسلم والا وقد كتبت شقية او سعيدة فقالوا يارسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فيصير لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى * المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده * والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الارض بذلك اوغيرها مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق وذلك انه اشترى بلالا من امية بن خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعنى سعى ابى بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها فى دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من ايديهم وان وجدها فى فم احدهم ادخل اصبعه فى فيه حتى يخرجها فشكا ذلك الرجل الفقير الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتى النبى صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطينى نخلتك التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة فقال الرجل ان لى نخلا ومافيه اعجب الى منها ثم ذهب فسمع بذلك ابو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك ان تبيعها بحش يعنى حائطا له فيه نخل فقال هى لك فاتى ابو الدحداح النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تشتريها منى بنخلة فى الجنة فقال نعم فقال هى لك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصارى صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة

اليسرى وهى العمل بما يرضاه ربه (واما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بالاسلام او الجنة (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية الى النار فتكون الطاعة اعسر شئ عليه واشد او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقى الجنة والنار

عليه الطاعة ونستوفقه بالطاعة مرة بعد مرة ويقال الصدقة فى سبيل الله مرة بعد مرة وهو ابو بكر الصديق (واما من بخل) بماله عن سبيل الله وهو الوليد بن المغيرة ويقال ابو سفيان بن حرب فلم يكن مؤمنا حينئذ (واستغنى) فى نفسه عن الله (وكذب بالحسنى) بعدة الله ويقال بالجنة ويقال بلا اله الا الله (فسنيسره للعسرى) فسنهون عليه المعصية مرة بعد مرة والامساك عن الصدقة فى سبيل الله

﴿سورة الليل احدى وعشرون آية مكية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والليل اذا يغشى) المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها اوالنهار من قوله يغشى الليل النهار اوكل شئ يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وماخلق الذكر والانثى) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وجواب القسم (ان سعيكم لشتى) ان عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على اثره (فاما من اعطى) حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او المثوبة الحسنى وهى الجنة اوبالكلمة الحسنى وهى لا اله الا الله (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخصلة

﴿سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والليل اذا يغشى﴾ اى يغشى الشمس اوالنهار اوكل مايواريه بظلامه ﴿والنهار اذا تجلى﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل اوتبين بطلوع الشمس ﴿وما خلق الذكر والانثى﴾ والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ﴿ان سعيكم لشتى﴾ اى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت ﴿فامامن اعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ تفصيل مبين لتشتت المساعى والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهى مادلت على حق ككلمة التوحيد ﴿فسنيسره لليسرى﴾ فسنهيئه للخلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول

﴿تفسير سورة والليل وهى مكية واحدى وعشرون آية واحدى﴾
﴿وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عزوجل ﴿والليل اذا يغشى﴾ اى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه اقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوى فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار بقوله ﴿والنهار اذا تجلى﴾ اى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق فى طلب الرزق ﴿وما خلق الذكر والانثى﴾ اى ومن خلق فعلى هذا يكون اقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد ان اريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما آدم وحواء وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدأ خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى ﴿ان سعيكم لشتى﴾ اى ان اعمالكم لمختلفة فساع فى فكاك نفسه وساع فى عطبها روى ابو مالك الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها اوموبقها اى مهلكها * قوله تعالى ﴿فاما من اعطى﴾ اى انفق ماله فى سبيل الله عز وجل ﴿واتقى﴾ اى ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغى ﴿وصدق بالحسنى﴾ قال ابن عباس صدق بقول لا اله الا الله وعنه صدق بالخلف به اى ايقن ان الله سيخلف عليه ما انفقه فى طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بوعدالله عز وجل الذى وعده انه يثيبه ﴿فسنيسره﴾ فسنهيئه فى الدنيا ﴿لليسرى﴾ اى للخلة والفعلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله * قوله عزوجل

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الليل وهى كلها مكية آياتها احدى وعشرون وكلماتها احد وسبعون وحروفها ثلثمائة وعشرون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والليل) يقول اقسم الله بالليل (اذا يغشى) ضوء النهار (والنهار اذا تجلى) ظلمة الليل (وما خلق) والذى خلق (الذكر والانثى ان سعيكم) عملكم (لشتى) مختلف مكذب بمحمد عليه السلام والقرآن ومصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قا وخا ٦٦ س) وعامل للجنة وعامل للنار ولهذا كان القسم (فأما من اعطى) تصدق بماله فى سبيل الله واشترى تسعة نفر من المؤمنين كانوا فى ايدى الكافرين يعذبونهم على دينهم فاشتراهم منهم واعتقهم (واتقى) الكفر والشرك والفواحش (وصدق بالحسنى) بعدة الله ويقال بالجنة ويقال بلا اله الا الله (فسنيسره لليسرى) فسنهون

(ناقة الله) نصب على التحذير اى احذروا عقرها (وسقياها) كقولك الاسد الاسد (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا (فعقروها) اى الناقة اسند الفعل اليهم وان كان العاقر واحدا لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به (فدمدم عليهم ربهم) اهلكهم هلاك استئصال (بذنبهم) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة اى فعل ذلك غير خائف ان تلحقه تبعة من احد كما يخاف من يعاقب من الملوك لانه فعل فى ملكه وملكه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يخاف مدنى وشامى

بالطاغية واصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى ﴿ اذانبعث ﴾ حين قام ظرف لكذبت اوطغوى ﴿ اشقاها ﴾ اشقى ثمود وهو قدار بن سالف اوهو ومن مالاه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر ﴿ فقال لهم رسول الله ناقة الله ﴾ اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها ﴿ وسقياها ﴾ فلا تذودوها عنها ﴿ فكذبوه ﴾ فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا ﴿ فعقروها فدمدم عليهم ربهم ﴾ فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم ﴿ بذنبهم ﴾ بسببه ﴿ فسواها ﴾ فسوى الدمدمة بينهم اوعليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير اوثمودا بالاهلاك ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ اى عاقبة الدمدمة اوعاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

اى بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا ﴿ اذانبعث اشقاها ﴾ اى قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا اشقر ازرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبدالله بن زمعة انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى اهله مثل ابى زمعة لفظ البخارى قوله عارم اى شديد ممتنع * قوله تعالى ﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ يعنى صالحا عليه الصلاة والسلام ﴿ ناقة الله ﴾ اى ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما اضافها الى الله تعالى لشرفها كبيت الله ﴿ وسقياها ﴾ اى وشربها اى وذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها ﴿ فكذبوه ﴾ يعنى صالحا ﴿ فعقروها ﴾ يعنى الناقة ﴿ فدمدم عليهم ربهم ﴾ اى فدمر عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم اى اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم ينفلت منهم احد ﴿ بذنبهم ﴾ اى فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة ﴿ فسواها ﴾ اى فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الامة وانزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ اى لا يخاف الله تبعة من احد فى هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما انزل الله بهم من العذاب ان يؤذيه احد بسبب ذلك والله اعلم

حملهم على ذلك (اذانبعث اشقاها) قام اشقى القوم قدار بن سالف ومصدع ابن دهر فعقروا الناقة (فقال لهم رسول الله) صالح قبل ان يعقروا الناقة (ناقة الله) ذروا ناقة الله (وسقياها) اى وشربها (فكذبوه) صالحا بالرسالة ﴿تفسير﴾ (فعقروها) فعقروا الناقة (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) اهلكهم ربهم بذنبهم بقتلهم الناقة وتكذيبهم صالحا (فسواها) فسواهم بالعذاب الصغير والكبير (ولا يخاف عقباها) ثارها ويقال فعقروها ولا يخاف عقباها تبعتها مقدم ومؤخر

قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الاظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم اى على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ (من زكاها) طهرها الله واصلحها وجعلها زاكية (وقد خاب من دساها) اغواها الله قال عكرمة افلحت نفس زكاها الله وخابت نفس اغواها الله ويجوز ان تكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة (كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها اذ

افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما ﴿ قد افلح من زكاها ﴾ انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذى هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل هو استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ بسبب طغيانها اوبما اوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله فاهلكوا

عقلك ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها (م) عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يارسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير اوفيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه اقسام اقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها اشرفها ومصالح العالم بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها واورد على هذا القول انه قد دخل فى جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لا يجوز واجيب عنه بان ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذى بناها وجواب القسم قوله تعالى ﴿ قد افلح من زكاها ﴾ المعنى لقد افلح من زكاها اى فازت وسعدت نفس زكاها الله اى اصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ اى خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وافسدها واصله من دس الشئ اذا اخفاه فكانه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله واضله حتى لايظن احد انه يتولى تطهير نفسه او اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم انى اعوذ بك من علم لاينفع ومن قلب لايخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لايستجاب لها ﴿ قوله عز وجل ﴿ كذبت ثمود ﴾ وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام ﴿ بطغواها ﴾

الاشياء (قد افلح) قد فاز نفس (من زكاها) من اصلحها لله وعرفها ووفقها (وقد خاب) خسر نفس (من دساها) من اغواه الله واضلها وخذلها (كذبت ثمود) قوم صالح (بطغواها) يقول طغيانهم

والنهار اذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا واذا تجلى معطوفا على اذا يغشى نصبا فصار كقولك ان فى الدار زيدا والحجرة عمرا وجيب بان واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصارت كانها العاملة نصبا وجرا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز ان يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما فكذا هنا وما مصدرية فى (والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها) اى وبنائها وطحوها اى بسطها وتسوية خلقها فى احسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فالهمها لما فيه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها وانما نكرت النفس لانه اراد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم كانه قال وواحدة من النفوس او اراد كل نفس والتنكير للتكثير كما فى علمت نفس (فالهمها فجورها وتقواها) فعلمها طاعتها ومعصيتها اى افهمها ان احدهما حسن والآخر قبيح

فيغطى ضوءها والافق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو بما بعدها فى قولك ضرب زيد عمرا وبكرا خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين ﴿والسماء ومابناها﴾ ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام فى قوله ﴿والارض وما طحاها ونفس وما سواها﴾ وجعل الماآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله ﴿فالهمها فجورها وتقواها﴾ بقوله وما سواها الا ان يضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما فى قوله علمت نفس اوللتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى

بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر ﴿والسماء وما بناها﴾ اى ومن بناها وقيل والذى بناها فعلى هذا كانه اقسم به وباعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اى والسماء وبنائها ﴿والارض وما طحاها﴾ اى بسطها وسطحها على الماء ﴿ونفس وما سواها﴾ اى عدل خلقها وسوى اعضاءها هذا ان اريد بالنفس الجسد وان اريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها اعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه اراد بها النفس الشريفة المكلفة التى تفهم عنه خطابه وهى نفس جميع من خلق من الانس والجن ﴿فالهمها فجورها وتقواها﴾ قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتى وما تتقى وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق فى المؤمن التقوى وفى الكافر الفجور (م) عن ابى الاسود الديلى قال قال لى عمران بن حصين ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق اوفيما يستقبلونه مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شئ خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال لى يرحمك الله انى لم ارد بما سألتك الا لاختبر

والنهار اذا جلاها جلى ظلمة الليل (والسماء ومابناها) والذى خلقها وهو الله اقسم بنفسه (والارض وماطحاها) والذى بسطها على الماء (ونفس وماسواها) والذى سوى خلقها باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء (فألهمها فجورها وتقواها) فعرفها وبين لها ماتأتى وماتتقى اقسم الله بنفسه وبهولاء

(عليهم نار مؤصدة) وبالهمز ابوعمرو وحمزة وحفص اى مطبقة من اوصدت الباب وآصدته اذا اطبقته واغلقته والله اعلم ﴿سورة الشمس مكية وهى خمس عشرة آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والشمس وضحاها) وضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها (والقمر اذا تلاها) تبعها فى الضياء والنور

﴿عليهم نار مؤصدة﴾ مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابوعمرو وحمزة وحفص بالهمزة من أصدته * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله سبحانه وتعالى الامان من غضبه يوم القيامة

﴿سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والشمس وضحاها﴾ وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف ﴿والقمر اذا تلاها﴾ تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر اوغروبها ليلة البدر اوفى الاستدارة وكمال النور ﴿والنهار اذا جلاها﴾ جلى الشمس فانها تجلى اذا انبسط النهار اوالظلمة اوالدنيا اوالارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها ﴿والليل اذا يغشاها﴾ يغشى الشمس

عليهم نار مؤصدة﴾ يعنى مطبقة عليهم ابوابها لايدخل فيها روح ولايخرج منها غم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿تفسير سورة الشمس وهى مكية وخمس عشرة آية واربع وخمسون﴾
﴿كلمة ومائتان وسبعة واربعون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل ﴿والشمس وضحاها﴾ اى اذا بدا ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل فى النهار كله وقيل الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوى حرها وهذا اضعف الاقوال ﴿والقمر اذا تلاها﴾ اى تبعها وذلك فى النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر فى الاضاءة وخلفها فى النور وقيل تلاها فى الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدير وذلك فى الليالى البيض وقيل تلاها تبعها فى الطلوع وذلك فى اول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال فكانه تبعها ﴿والنهار اذا جلاها﴾ يعنى جلا ظلمة الليل بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا ﴿والليل اذا يغشاها﴾ اى يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس فى الحقيقة لان

وذلك فى النصف الاول من الشهر يخلف القمر الشمس فى النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس واظهرها للرائين وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة اوللدنيا اوللارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ماترك على ظهرها من دابة (والليل اذا يغشاها) يستر الشمس فتظلم الآفاق والواو الاولى فى نحو هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للعطف لان ادخال القسم على القسم قبل تمام الاول لايجوز الا ترى انك لو جعلت موضعها كلمة الفاء اوثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف فكذا الواو ومن قال انها للقسم احتج بانها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين لان قوله والليل مثلا مجرور بواو القسم واذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذى هو اقسم فلو جعلت الواو فى

بشمالهم (عليهم نار مؤصدة) مطبقة بلغة طى ﴿ومن السورة التى يذكر فيها الشمس وهى كلها مكية آياتها خمس عشرة وكلماتها اربع وخمسون كلمة وحروفها مائتان وسبعة واربعون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والشمس وضحاها) اقسم الله بالشمس وضوئها (والقمر اذا تلاها) تبعها يقول تبع الشمس اول ليلة رؤى الهلال (والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها) مقدم ومؤخر يقول والليل اذا يغشاها يغشى ضوء النهار

ثم كان من الذين آمنوا) يعنى فلم يشكر تلك الايادى والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب او اطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذى هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه مرضى نافع عند الله لا ان يهلك ماله لبدا فى الرياء والفخار وقلما تستعمل لا مع الماضى الا مكررة وانما لم تكرر فى الكلام الافصح لانه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة اشياء صار كانه اعاد لا ثلاث مرات وتقديره فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاورة بشدة ومشقة والقحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحامها لما فى ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان والمراد بقوله ما العقبة ما اقتحامها ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق والاعانة فى مال الكتابة فك رقبة او اطعم مكى وابو عمرو وعلى على الابدال من وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض غيرهم فك رقبة او اطعام على اقتحامها فك رقبة او اطعام والمسغبة المجاعة والمقربة القرابة والمتربة الفقر مفعلات من سغب اذا جاع وقرب فى النسب يقال فلان قرابتى وذو مقربتى وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه المزابل ووصف اليوم بذى مسغبة كقولهم هم ناصب اى ذو نصب ومعنى ثم كان من الذين آمنوا اى داوم على الايمان وقيل ثم بمعنى الواو وقيل انما جاء بثم لتراخى الايمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا فى الوقت اذ الايمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) بالتراحم فيما بينهم (اولئك اصحاب الميمنة) اى الموصوفون بهذه الصفات من اصحاب الميمنة (والذين كفروا بآياتنا) بالقرآن او بدلائلنا (هم اصحاب المشأمة) اصحاب الشمال والميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اى الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن (عليهم)

وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب فى النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ عطفه على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام فى الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به ﴿ وتواصوا ﴾ واوصى بعضهم بعضا ﴿ بالصبر ﴾ على طاعة الله ﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾ بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله تعالى ﴿ اولئك اصحاب الميمنة ﴾ اليمين او اليمن ﴿ والذين كفروا بآياتنا ﴾ بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن ﴿ هم اصحاب المشأمة ﴾ الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى

وضره وقال ابن عباس هو المطروح فى التراب لا يقيه شئ والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ والمعنى انه ان كان مؤمنا تنفعه هذه القرب وكان مقتحما العقبة وان لم يكن مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ يعنى وصى بعضهم بعضا على الصبر على اداء الفرائض وجميع اوامر الله ونواهيه ﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾ اى برحمة الناس وفيه الاشارة الى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله ﴿ اولئك ﴾ يعنى اهل هذه الخصال ﴿ اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة

(ثم كان) مع ذلك (من الذين آمنوا) فيما بينهم وبين ربهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وتواصوا) تحاثوا (بالصبر) على اداء فرائض الله والمرازى (وتواصوا) تحاثوا (بالمرحمة) بالترحم على الفقراء والمساكين (اولئك) اهل هذه الصفة (اصحاب الميمنة) اهل الجنة الذين يعطون كتابهم بيمينهم (والذين كفروا بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن كلدة واصحابه (هم اصحاب المشأمة) اهل النار الذين يعطون كتابهم

المكان المرتفع ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ اى فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة وهو الدخول فى امر شديد والعقبة الطريق فى الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام فى قوله ﴿ وماادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذامقربة اومسكينا ذامتربة ﴾ لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن

عباس الذين ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ اى فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان يكون ذلك خيرا له من انفاقه فى عداوة من ارسله الله اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول فى الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى اعمال الخير والبر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بالعقبة فاذا اعتق رقبة او اطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل فى جهنم وقيل هى عقبة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هى الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس فى النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس فى النار وقيل معنى الآية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ماهى فقال تعالى ﴿ وماادراك ما العقبة ﴾ اى وما ادراك ما اقتحام العقبة ﴿ فك رقبة ﴾ يعنى عتق الرقبة وهو اخراجها من الرق وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التى فى ملكه او يعطى مكاتبا مايصرفه فى فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداءه من النار (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوى باسناده عن البراء ابن عازب قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة قال لئن كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليسا واحدا قال لاعتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين فى ثمنها والمنحة الوكوف والفئ على ذى الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل فى معنى الآية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التى يصير بها الى رضوان الله والجنة فهى الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار ﴿ او اطعام فى يوم ذى مسغبة ﴾ اى فى يوم ذى مجاعة والسغب الجوع ﴿ يتيما ذا مقربة ﴾ اى ذا قرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة ﴿ او مسكينا ذا متربة ﴾ اى قد لصق بالتراب من شدة

الذين ﴿ فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ﴾

طريق الدنيين (فلا اقتحم العقبة) يقول هل جاوز تلك العقبة الذى يدعى القوة وهى الصراط (وما ادراك) يامحمد (ما العقبة) هى عقبة ملساء بين الجنة والنار يجحه ذلك (فك رقبة) يقول اقتحامها فك رقبة ويقال لايجاوز تلك العقبة الا من قد فك رقبة اعتق نسمة ذا قرأت بنصب الكاف والتاء (او اطعام فى يوم ذى مسغبة) ذى مجاعة وشدة (يتيما ذا مقربة) ذا قرابة (او مسكينا ذا متربة) لاصق بالتراب من الجهد والمسكين الذى لاشئ له

مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ذى النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى الائتمار والانتهاء والضمير في (يحسب ان لن يقدر عليه احد) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله يكابد منهم مايكابد ثم قيل هو ابو الاشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى ايظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولم يقدر على الانتقام منه ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وانه (يقول اهلكت مالا لبدا) اى كثيرا جمع لبدة وهو ماتلبد اى كثر واجتمع يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالى (ايحسب ان لم يره احد) حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارا يعنى ان الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه فقال (الم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يعبر به عما فى ضميره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ (وهديناه النجدين) طريقى الخير والشر المفضيين الى الجنة والنار وقيل

ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت ومابعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير فى ﴿ايحسب﴾ لبعضهم الذى كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابى الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظى ويجذبه عشرة فيتقطع ولا تزل قدماه اولكل احد منهم اوللانسان ﴿ان لن يقدر عليه احد﴾ فينتقم منه ﴿يقول﴾ اى فى ذلك الوقت ﴿اهلكت مالا لبدا﴾ كثيرا من تلبد الشئ اذا اجتمع والمراد ماانفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول عليه السلام ﴿ايحسب ان لم يره احد﴾ حين كان ينفق اوبعد ذلك فيسأله عنه يعنى ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله ﴿الم نجعل له عينين﴾ يبصر بهما ﴿ولسانا﴾ يترجم به عن ضمائره ﴿وشفتين﴾ يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها ﴿وهديناه النجدين﴾ طريقى الخير والشر او الثديين واصله

فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شئ من الحيوان يمشى منكبا وقيل منتصبا رأسه فى بطن امه فاذا اذن الله فى خروجه انقلب رأسه الى اسفل وقيل فى كبد اى فى قوة نزلت فى ابى الاشد اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظى تحت قدميه ويقول من ازالنى عنه فله كذا وكذا فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم بقدر موضع قدميه ﴿ايحسب﴾ يعنى ابا الاشد من قوته ﴿ان لن يقدر عليه احد﴾ يعنى ايظن لشدته فى نفسه انه لايقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومى ﴿يقول﴾ يعنى هذا الكافر ﴿اهلكت﴾ اى انفقت ﴿مالا لبدا﴾ اى كثيرا من التلبيد الذى يكون بعضه فوق بعض يعنى فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ايحسب ان لم يره احد﴾ يعنى ايظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وقيل كان كاذبا فى قوله انه انفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى ﴿الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين﴾ يعنى ان نعم الله على عبده متظاهرة يقررها كى يشكره وجاء فى الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه ﴿وهديناه النجدين﴾ قال اكثر المفسرين طريقى الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن

(ايحسب) ايظن الكافر فى قوته وقدرته (ان لن يقدر عليه احد) نبى على اخذه وعقوبته احد يعنى الله (يقول) يعنى عمرو بن عبد ود ويقال الوليد بن المغيرة (اهلكت مالا لبدا) انفقت مالا كثيرا فى عداوة محمد عليه السلام لم ينفعنى ذلك شيأ (ايحسب) ايظن الكافر (ان لم يره احد) لم ير الله صنيعه نفقه ام لم ... منته عليه فقال (الم نجعل له عينين) ينظر بهما (ولسانا) ينطق به (وشفتين) يضم ويرفع بهما (وهديناه النجدين) بين له الطريقين طريق الخير والشر ويقال {عباس}

سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا فى مكابد المشاق واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وانت حل بهذا البلد) اى ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعنى مكة كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة ﴿٥١٣﴾ وتعجيب من حالهم فى عداوته

{سورة البلد}

وقيده بحلول الرسول عليه الصلاة والسلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد فى غيره او حلال لك ان تفعل فيه ماتريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ﴿ووالد﴾ عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ﴿وما ولد﴾ ذريته او محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ماعلى من لمعنى التعجب كما فى قوله والله اعلم بما وضعت ﴿لقد خلقنا الانسان فى كبد﴾ تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لايزال فى الشدائد مبدؤها

القيامة والبلد هى مكة فى قول جميع المفسرين ﴿وانت حل بهذا البلد﴾ اى مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل اى حلال والمعنى احلت لك تصنع فيها ماتريد من القتل والاسر ليس عليك ماعلى الناس من الاثم فى استحلالها احل الله عزوجل له مكة يوم الفتح حتى قاتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما واحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلى ولاتحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار فهى حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى فى الماضى وهو مقيم بمكة ان يفتحها عليه فى المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعد وقيل فى معنى قوله وانت حل بهذا البلد اى انهم يحرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه ﴿ووالد وماولد﴾ يعنى آدم وذريته اقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلاحرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى ﴿لقد خلقنا الانسان فى كبد﴾ قال ابن عباس فى نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه ايضا قال فى شدة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته واصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد مايكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال الكبد الاستواء والاستقامة

اوسلى رسول الله بالقسم ببلده على ان الانسان لايخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد اى وانت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ماشاء وحرم ماشاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابى سفيان ونظير قوله وانت حل فى الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وكفاك دليلا على انه للاستقبال ان السورة مكية بالاتفاق واين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح (ووالد وما ولد) هما آدم وولده او كل والد وولده او ابراهيم وولده وما بمعنى من او بمعنى الذى (لقد خلقنا الانسان) جواب القسم (فى كبد) مشقة يكابد

مكة (وانت حل بهذا البلد) يقول (قا وخا ٦٥ س) احل الله لك فى هذا البلد مالايحل لاحد قبلك ولابعدك ويقال وانت حل نازل بهذا البلد ويقال انت فى حل مما صنعت فى هذا البلد (ووالد وماولد) فالوالد آدم وما ولد بنوه ويقال الوالد الذى يلد من الرجال والنساء وما ولد الذى لايلد من الرجال والنساء اقسم الله بهؤلاء الاشياء (لقد خلقنا الانسان) يعنى كلدة بن اسيد (فى كبد) معتدل القامة ويقال يكابد امر الدنيا والآخرة يقال فى كبد فى قوة وشدة

من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس او بالبعث ﴿ راضية ﴾ بما اوتيت ﴿ مرضية ﴾ عند الله تعالى ﴿ فادخلى فى عبادى ﴾ فى جملة عبادى الصالحين ﴿ وادخلى جنتى ﴾ معهم اوفى زمرة المقربين فتستضئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى التى اعددت لك * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفرله ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

﴿ سورة البلد مكية وآيها عشرون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لااقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ﴾ اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام

على ارجاء السماء يقولون قدجاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الافتح لها ولا يملك الاصلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجدله ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره فسبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذله فيه الروح والريحان فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله اليه واذا توفى الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد اى من كساء انتن من كل نتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان وقيل فى معنى قوله ارجعى الى ربك اى الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها ذلك عند البعث فيأمر الله الارواح ان ترجع الى اجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعى الى ثواب ربك وكرامته ﴿ راضية ﴾ اى عن الله بما اعدلك ﴿ مرضية ﴾ اى رضى الله عنها وقيل لها فى الدنيا ارجعى الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها ﴿ فادخلى فى عبادى ﴾ اى فى جملة عبادى الصالحين المصطفين ﴿ وادخلى جنتى ﴾ قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقه طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لايدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وقال بعض اهل الاشارة فى تفسير هذه الآية يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الآخرة والله اعلم

﴿ تفسير سورة البلد وهى مكية وعشرون آية واثنتان ﴾

﴿ وثمانون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ لا اقسم بهذا البلد ﴾ تقدم الكلام على قوله لا اقسم فى اول سورة

عبادى الصالحين فانتظمى فى سلكهم (وادخلى جنتى) معهم وقال ابو عبيدة اى مع عبادى اوبين عبادى اى خواصى كما قال وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى اجساد عبادى كقراءة عبدالله بن مسعود فى جسد عبدى ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل فى نعشه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها قيل نزلت فى حمزة بن عبدالمطلب وقيل فى خبيب الذى صلبه اهل مكة وقيل هى عامة فى المؤمنين اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب

﴿ سورة البلد مكية وهى عشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (لااقسم بهذا البلد) أقسم

يعنى الجسد (راضية) بثواب الله (مرضية) عنك بالتوحيد (فادخلى فى عبادى) فى زمرة اوليائى (وادخلى جنتى) التى اعدت لك

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها البلد وهى كلها مكية آياتها عشرون وكلماتها اثنتان وثمانون وحروفها ثلثمائة وعشرون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (لااقسم) يقول اقسم (بهذا البلد) (القيامة)

(يقول ياليتنى قدمت لحياتى) هذه وهى حياة الآخرة اى ياليتنى قدمت الاعمال الصالحة فى الحياة الفانية لحياتى الباقية (فيومئذ لايعذب عذابه احد) اى لايتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم (ولايوثق) بالسلاسل والاغلال (وثاقه احد) قال صاحب الكشاف لايعذب احد احدا كعذاب الله ولايوثق احد احدا كوثاق الله لايعذب ولايوثق على وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع اليها ابو عمرو فى آخر عمره والضمير رجع الى الانسان الموصوف وهو الكافرين وقيل هو ابى بن خلف اى لايعذب احد مثل عذابه ولايوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده ثم يقول الله تعالى للمؤمن (ياايتها النفس) اكراماله كما كلم موسى عليه السلام اويكون على لسان ملك (المطمئنة) الآمنة التى لايستفزها خوف ولاحزن وهى النفس المؤمنة اوالمطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلايخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابى ياايتها النفس الآمنة المطمئنة وانمايقال لهاعندالموت اوعندالبعث اوعند دخول الجنة (ارجعى الى) موعد (ربك) او ثواب ربك وقد فاتته العظة (يقول ياليتنى) يتمنى (قدمت لحياتى) الباقية من حياتى الفانية يقول ياليتنى عملت فى حياتى الفانية لحياتى الباقية (فيومئذ) يوم القيامة (لايعذب عذابه) كعذابه (احد ولا يوثق وثاقه احد) كوثاقه وله وجه آخر ان قرات بكسر الذال والثاء يقول لايعذب عذابه كعذاب الله احد ولايوثق وثاقه كوثاق الله احد اى لايبلغ احد فى العذاب كمايبلغ الله فى عذاب الخلق (ياايتها النفس المطمئنة) الآمنة من عذاب الله الصادقة بتوحيد الله الشاكرة بنعماء الله الصابرة ببلاء الله الراضية بقضاء الله القانعة بعطاء الله (ارجعى الى ربك) الى ما اعد الله لك فى الجنة ويقال الى سيدك

الذكرى لئلا يناقض ماقبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة ﴿ يقول ياليتنى قدمت لحياتى ﴾ اى لحياتى هذه اووقت حياتى فى الدنيا اعمالا صالحة وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشئ قد يتمنى ان كان ممكنا منه ﴿ فيومئذ لايعذب عذابه احد ولايوثق وثاقه احد ﴾ الهاء لله تعالى اى لايتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله له اوللانسان اى لايعذب احد من الزبانية مثل مايعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول ﴿ ياايتها النفس المطمئنة ﴾ على ارادة القول وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغنى به عن غيره او الى الحق بحيث لايريبها شك او الآمنة التى لايستفزها خوف ولاحزن وقد قرئ بها ﴿ ارجعى الى ربك ﴾ الى امره اوموعده بالموت ويشعر ذلك بقول

﴿ يقول ياليتنى قدمت لحياتى ﴾ اى قدمت الخير والعمل الصالح لحياتى فى الآخرة التى لاموت فيها ﴿ فيومئذ لايعذب عذابه احد ﴾ اى لايعذب احد فى الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ﴿ ولايوثق وثاقه احد ﴾ يعنى لايبلغ احد من الخلق كبلاغ الله فى العذاب والوثاق هو الاسر فى السلاسل والاغلال وقرئ لايعذب ولايوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لايعذب عذاب هذا الكافر احد ولايوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه * قوله عزوجل ﴿ ياايتها النفس المطمئنة ﴾ اى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التى قد ايقنت بالله تعالى وبان الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هى الراضية بقضاء الله وقيل هى الآمنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل فى حبيب ابن عدى الانصارى وقيل فى عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل فى ابى بكر الصديق والاصح ان الآية عامة فى كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية ﴿ ارجعى الى ربك ﴾ اى الى ما وعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبدالله بن عمر اذا توفى العبد المؤمن ارسل الله عز وجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجى ايتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجده احد فى انفه والملائكة

ذا)وهوالجمع بين الحلال والحرام وكانوا لايورثون النساء ولاالصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم (وتحبون المال) يقال حبه واحبه بمعنى (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق رنى حجازى وابو عمرو يكرمون ولايحضون ويأكلون ويحبون بصرى (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار افعالهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم

على ما فرطوا فيه حين لاتنفع الحسرة فقال (اذا دكت الارض) اذا زلزلت (دكادكا) دكا بعد دك اى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا (وجاء ربك) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فان واحدا من الملوك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة مالايظهر بحضور عساكره وخواصه وعن ابن عباس امره وقضاؤه (والملك صفاصفا) اى ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجئ يومئذ بجهنم) قيل انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين وقيل هو مجرى على حقيقته ففى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الانسان) اى يتعظ (وانى له الذكرى) ومن اين له منفعة الذكرى

وحرام عالمين بذلك ﴿ وتحبون المال حبا جما ﴾ كثيرا مع حرص وشهوة وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب لايكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن ذلك وانكار لفعالهم وما بعده وعيد عليه ﴿ اذا دكت الارض دكا دكا ﴾ اى دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال اوهباء منبثا ﴿ وجاء ربك ﴾ اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته ﴿ والملك صفا صفا ﴾ بحسب منازلهم ومراتبهم ﴿ وجئ يومئذ بجهنم ﴾ كقوله تعالى وبرزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها ﴿ يومئذ ﴾ بدل من اذا دكت والعامل فيهما ﴿ يتذكر الانسان ﴾ اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها ﴿ وانى له الذكرى ﴾ اى منفعة

اى شديدا والمعنى انه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لايورثون النساء ولاالصبيان ويأكلون نصيبهم وقيل الاكل اللم الذى يأكل كل شئ يجده لا يسأل احلال ام حرام فيأكل الذى له ولغيره ﴿ ويحبون المال حبا جما ﴾ اى كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به وبحبه ﴿ كلا ﴾ اى لاينبغى ان يكون الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لايفعلون ما امروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم على ماسلف منهم وذلك حين لاينفعهم الندم فقال تعالى ﴿ اذا دكت الارض دكا دكا ﴾ اى دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شئ عليها من جبل وبناء وغيره حتى لايبقى على ظهرها شئ ﴿ وجاء ربك ﴾ اعلم ان هذه الآية من آيات الصفات التى سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها واجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتأولها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلى ان الحركة على الله محال فلا بد من تأويل الآية فقيل فى تأويلها وجاء امر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل جاء امر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئاله تفخيما لتلك الآيات ﴿ والملك صفا صفا ﴾ اى تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف ﴿ وجئ يومئذ ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ بجهنم ﴾ قال ابن مسعود فى هذه الآية تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش ﴿ يومئذ ﴾ يعنى يوم يجاء بجهنم ﴿ يتذكر الانسان ﴾ اى يتعظ الكافر ويتوب ﴿ وانى له الذكرى ﴾ يعنى انه يظهر التوبة ومن اين له التوبة

شديدا (وتحبون المال حبا جما) كثيرا (كلا) وهو رد عليه (اذا دكت الارض دكا دكا) يقول (يقول) اذا زلزلت الارض زلزلة بعد زلزلة (وجاء ربك) ويجئ ربك بلا كيف (والملك) ويجئ الملائكة (صفاصف) كصف اهل الدنيا فى الصلاة (وجئ يومئذ بجهنم) مع سبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يقودونها الى المحشر ويكشف عنها (يومئذ) يوم القيامة (يتذكر الانسان) يتعظ الكافر ابى بن خلف وامية بن خلف (وانى له الذكرى) من اين له العظة

وجعله بمقدار بلغته فقدر شامي ويزيد (فيقول ربي اهانن) اي الواجب لمن ربه بالمرصاد ان يسعى للعاقبة ولا تهمه العاجلة وهو قد عكس فانه اذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربي اكرمني اي فضلني بما اعطاني فيرى الاكرام في كثرة الحظ من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر قال ربي اهانني فيرى الهوان في قلة الحظ من الدنيا لانه لا تهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كلا) اي ليس الاكرام والاهانة في كثرة المال وقلته بل الاكرام في توفيق الطاعة

والاهانة في الخذلان وقوله تعالى فيقول خبر المبتدأ الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت ابتلاء وكذا فيقول الثاني خبر لمبتدأ تقديره واما هو اذا ما ابتلاه ربه وسمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وانما انكر قوله ربي اكرمني مع انه اثبته بقوله فاكرمه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده ان الله اعطاه ما اعطاه اكراما له لاستحقاقه كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) اي بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة وحض اهله على طعام المسكين (وتأكلون التراث) اي الميراث (اكلا لما)

اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه ﴿فيقول ربي اهانني﴾ لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين اذ التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله ﴿كلا﴾ مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه ولان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد ﴿بل لا تكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين﴾ اي بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون ﴿ويأكلون التراث﴾ الميراث واصله وراث ﴿اكلا لما﴾ ذالم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال

اي وقد اعطاه ما يكفيه ﴿فيقول ربي اهانن﴾ اي اذلني بالفقر قيل نزلت في امية بن خلف الجمحي الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى ﴿كلا﴾ اي ليس الامر كذلك اي لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه فاخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصناف المال ليختبره ايشكر ام يكفر ويضيق عليه ليختبره ايصبر ام يضجر ويقلق ﴿بل لا يكرمون اليتيم﴾ اي لا يعطونه حقه الثابت له في الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف فكان يدفعه عن حقه ﴿ولا يحضون على طعام المسكين﴾ اي لا يطعمون مسكينا ولا يأمرون باطعامه وقرئ ولا يحاضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك ﴿ويأكلون التراث﴾ اي الميراث ﴿اكلا لما﴾

(فيقول ربي اهانن) بالفقر وضيق المعيشة (كلا) وهو رد عليه ليس اكرامي بالمال والغنى واهانتي بالفقر وقلة المال ولكن اكرامي بالمعرفة والتوفيق واهانتي بالنكرة والخذلان (بل لا تكرمون اليتيم) لا تعرفون حق اليتيم كان في حجره يتيم لم يعرف حقه ولم يحسن اليه (ولا تحاضون) ولا يحثون انفسكم وغيرها (على طعام المسكين) على صدقة المساكين (وتأكلون التراث) الميراث (اكلا لما)

(الذين) فى محل النصب على الذم او الرفع على هم الذين او الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طغوا فى البلاد) تجاوزوا الحد (فاكثروا فيها الفسـاد) بالكفر والقتل والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) مجاز عن ايقاع العذاب بهم على ابلغ الوجوه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام اى عذبوا عذابا مؤلما دائما (ان ربك لبالمرصاد) وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العباد وانهم لايفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجـازيهم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر (فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اى ضيق عليـه

(الذين طغوا فى البلاد) عصوا وكفروا فى ارض مصر ويقال طغيانهم حملهم على ذلك (فاكثروا فيها) فى ارض مصر (الفساد) بالقتل وعبـادة الاوثان (فصب) فانزل (عليهم ربك سوط عذاب) عذابا شديدا (ان ربك) يامحمد (لبالمرصاد) يقول عليه ممرهم وممر سـائر الخلق ويقـال ان ملائكة ربك على الصراط يحبسـون العباد فى سـبع مواطن ويسألونهم عن سبع خصال (فاما الانسان) وهو الكافر ابى بن خلف ويقال امية بن خلف (اذا ما ابتلاه) اذا اختبره (ربه) بالمال والغنى والعيش (فاكرمه) كثر ماله (ونعمه) وسع عليه معيشته (فيقول ربى اكرمن) بالمال والمعيشـة (واما اذا ما ابتلاه) اختبره بالفقر (فقدر عليه) فقتر عليه (رزقه) معيشـته (اى)

﴿ الذين طغوا فى البلاد ﴾ صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون اوذم منصوب اومرفوع ﴿ فاكثروا فيـها الفسـاد ﴾ بالكفر والظلم ﴿ فصـب عليهم ربك سـوط عذاب ﴾ ماخلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانمـا سمى به الجـلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوطا لطاقات بعضها ببعض وقيل شـبه بالسوط ما احل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعدلهم فى الآخرة من العـذاب كالسوط اذا قيس الى السـيف ﴿ ان ربك لبالمرصاد ﴾ المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب ﴿ فاما الانـسـان ﴾ متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلايريد الا السعى لها فاما الانسان فلايهمه الا الدنيا ولذاتها ﴿ اذا ما ابتلاه ربه ﴾ اختبره بالغنى واليسر ﴿ فاكرمه ونعمه ﴾ بالجاه والمال ﴿ فيقول ربى اكرمنى ﴾ فضلنى بما اعطانى وهو خبر المبتدأ الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسـط فى تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعـام وكذا قوله ﴿ واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ﴾ اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتـلاه

فرعون وعمله فقبض الله روحها وادخلها الجنة * قوله عز وجـل ﴿ الذين طغوا فى البلاد ﴾ يعنى عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصى وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيـان بقوله ﴿ فاكثروا فيها الفساد ﴾ يعنى القتـل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع اقسام الاثم ﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾ يعنى لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون فى الدنيـا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ماخلط لهم من العذاب لان اصل السـوط خلط الشئ بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها ﴿ ان ربك لبالمرصاد ﴾ قال ابن عباس يعنى بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لايفوته احد وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق الى حكمه وامره واليـه مصيرهم وقيل انه يرصد اعمال بنى آدم والمعنى انه لايفوته شئ من اعمـال العباد كما لايفوت من بالمرصاد وقد قيل ارصد النار على طريقهم حتى تهلكهم * قوله عزوجل ﴿ فاما الانسان اذا ما ابتلاه ﴾ اى امتحنه ﴿ ربه ﴾ اى بالنعمة ﴿ فاكرمه ﴾ اى بالمال ﴿ ونعمه ﴾ اى بما وسع عليه ﴿ فيقول ربى اكرمن ﴾ اى بما اعطانى من المال والنعمة ﴿ واما اذا ما ابتلاه ﴾ يعنى بالفقر ﴿ فقدر عليه ﴾ اى فضيق عليه وقيل قتر ﴿ رزقه ﴾

انى فقالت الهى واله ابيك واله السموات والارض واحد لاشريك له فقامت ودخلت على ابيها وهى تبكى فقال لها ماابكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لاشريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفرى بالهك واقرى انى الهك قالت لاافعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالله والاعذبنك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتنى سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فلبها ثم قال اكفرى بالله والاذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من فى الارض على فى ما كفرت بالله عزوجل فاتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وارادوا ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهى من الاربعة الذين تكلموا فى المهد صغارا اطفالا وقالت ياامام لاتجزعى فان الله قد بنى لك بيتا فى الجنة فاصبرى فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام ان ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث فى طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رؤى فى موضع كذا فى جبل كذا فبعث رجلين فى طلبه فانتهى اليه الرجلان وهو يصلى وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما رأوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم انى كتمت ايمانى مائة سنة ولم يظهر على احد فايما هذين الرجلين كتم على فاهده الى دينك واعطه من الدنيا سؤله وايما هذين الرجلين ظهر على فعجل عقوبته فى الدنيا واجعل مصيره فى الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر و آمن واما الآخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعا به فقال احق مايقول هذا قال مارأيت مما يقول شيأ فاعطاه فرعون واجزل واما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل نساء بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعنى ان اصبر على مايأتى فرعون وانا مسلمة وفرعون كافر فبينما هى كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يافرعون انت اشر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذى كان بها قالت مابى من جنون وان الهها والهك والهى واله السموات والارض واحد لاشريك له فبصق عليها وضربها وارسل الى ابيها وامها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذى كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من ذلك انى اشهد ان ربى وربك ورب السموات والارض واحد لاشريك له فقال لها ابوها يا آسية الست من خير نساء العالمين وزوجك اله العماليق قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان مايقول حقا فقولا له ان يتوجنى تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عنى ثم مدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها مايصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من

صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر ﴾ قطعوه واتخذوه منازل كقوله وتحتون من الجبال بيوتا ﴿ بالواد ﴾ وادى القرى ﴿ وفرعون ذى الاوتاد ﴾ لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا انزلوا اولتعذيبه بالاوتاد

والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا فى تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انها مطردة يجرى ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ماكان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه مارأى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا اباسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثنى حديثها فقال لما اراد شداد بن عاد عملها امر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوه بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون فى الارض ليجدوا ارضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التى امر الملك ان تبنى فيها فوضعوا اساسها من الجزع اليمانى واقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعنى سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند كل قصر الف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وامر الملك وزراءها وهم الف وزير ان يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل * قوله عزوجل ﴿ وثمود ﴾ اى وفعل بثمود مثل مافعل بعاد ﴿ الذين جابوا ﴾ اى قطعوا ﴿ الصخر ﴾ اى الحجر ﴿ بالواد ﴾ يعنى بوادى القرى وكانت ثمود اول من قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن فى الجبال وبيوتا ﴿ وفرعون ذى الاوتاد ﴾ سمى بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه ذى الملك كما قيل * فى ظل ملك راسخ الاوتاد * وقيل سمى بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوى باسناد لثعلبى عن ابن عباس ان فرعون انما سمى ذا الاوتاد لانه كانت عنده امرأة مؤمنة وهى امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير

بلاد الدنيا (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوا الصخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من من الحجارة (بالواد) بوادى القرى (وفرعون ذى الاوتاد) اى ذى الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها اذا نزلوا وقيل كان له اوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية

(وثمود) يقول كيف اهلك ثمود قوم صالح (الذين جابوا الصخر بالواد) نقبوا الصخر بوادى القرى (وفرعون) وكيف اهلك فرعون (ذى الاوتاد) وانما سمى ذى الاوتاد لانه جعل اربعة اوتاد فاذا غضب على احد مده بين الاوتاد فيعذبه حتى يموت كما عذب امرأته آسية بنت مزاحم

كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها ﴿ ٥٠٥ ﴾ فبنى ارم فى بعض {سورة الفجر} صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبدالله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ماقدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) اى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع اولم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع

شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبدالله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها ﴿ التى لم يخلق مثلها فى البلاد ﴾

عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى وارم هو جد عاد على ماذكر فى نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بارم اسم جدهم وقيل ارمهم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد اباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن شيم ابن سام بن نوح وقال الكلبى ارم هو الذى يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل الجزيرة وكان يقال عاد ارم وثمود ارم فاهلك عاد وثمود وابقى اهل السواد واهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهى بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية سيارة فى الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنان وزروع ومنازلهم بوادى القرى وهى التى قال الله تعالى ﴿ التى لم يخلق مثلها فى البلاد ﴾ وسموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبى ورواية ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعنى طولهم مثل العماد فى الشبه قال مقاتل كان طول احدهم اثنى عشر ذراعا وقوله التى لم يخلق مثلها فى البلاد يعنى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد ثم مات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها احدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللؤلؤ والياقوت واذا ابواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهى مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك

(التى لم يخلق مثلها فى البلاد) بالقوة والطول ويقال (قا وخا ٦٤ س) ارم هو اسم المدينة التى بناها شديد وشداد ذات العماد عماد الذهب والفضة التى لم يخلق مثلها فى البلاد بالحسن والجمال

فيه (هل فى ذلك) اى فيما اقسمت به من هذه الاشياء (قسم) اى مقسم به (لذى حجر) عقل سمى به لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى يريد هل تحقق عنده ان تعظم هذه الاشياء بالاقسام بها اوهل فى اقسامى بها اقسام لذى حجر اى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه اوهل فى القسم بهذه الاشياء قسم مقنع لذى عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم التى كذبت الرسل فقال (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) اى الم تعلم يا محمد علما يوازى العيان فى الايقان وهو الاستفهام تقرير لعقب عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى والارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم عطف بيان لعاد وايذان انهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التى كانوا فيها يدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت اوارضا للتعريف والتأنيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد اوطوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وانكانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروى انه

(عاد)

الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعات الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق ﴿هل فى ذلك﴾ القسم اوالمقسم به ﴿قسم﴾ حلف اومحلوف به ﴿لذى حجر﴾ يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ﴿الم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ يعنى اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام ابن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم باسمه ﴿ارم﴾ عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ﴿ذات العماد﴾ ذات البناء الرفيع اوالقدود الطوال اوالرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان

اذا جاء واقبل واراد به كل ليلة وقيل هى ليلة المزدلفة وهى ليلة النحر التى يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذى يسار فيه ﴿هل فى ذلك﴾ اى فيما ذكرت ﴿قسم﴾ مقنع ومكتفى فى القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد ﴿لذى حجر﴾ اى لذى عقل سمى بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغى كما سمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمى نهية لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغى واصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجر الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما اقسم الله عزوجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك بالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله عزوجل الم تر كيف فعل ربك اى الم تعلم وانما اطلق لفظ الرؤية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم * وقوله ﴿الم تر﴾ خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد ﴿كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد﴾ المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكم وهم كانوا اطول اعمارا و شد قوة من هؤلاء فاما عاد فهو

يقول على الطريق والطريق عليه (هل فى ذلك) يقول فيما ذكرت (قسم لذى حجر) لذى عقل (الم تر) الم تخبر يا محمد فى القرآن (كيف فعل ربك) صنع ربك (بعاد) قوم هود كيف اهلكهم الله تعالى عند التكذيب (ارم) ابن ارم وارم هو سام بن نوح وكان ابن سام شيم وابن شيم هام وابن هام عاد (ذات العماد) عماد السارية ويقال ذات القوة

(والشفع والوتر) شفع كل الاشياء ووترها اوشفع هذه الليالى ووترها اوشفع الصلاة ووترها اويوم النحر لانه يوم العاشر ويوم عرفة لانه اليوم التاسع اوالخلق والخالق والوتر حمزة وعلى وبفتح الواو وغيرهما وهما لغتان فالفتح حجازى والكسر تميمى وبعدما اقسم بالليل على العموم فقال (والليل) قيل اريد به ليلة القدر (اذا يسر) اذا يمضى وياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وسأل واحد الاخفش عن سقوط الياء فقال لاحتى تخدمنى سنة فساله بعد سنة فقال الليل لا يسرى انما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى يسرى فيه كما يقال ليل نائم اى ينام

للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام ﴿ والشفع والوتر ﴾ والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق كقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرها بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات اوشفع الصلوات ووترها او بيومى النحر وعرفة وقد روى مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول مارآه اظهر دلالة على التوحيد اومدخلا فى الدين اومناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ غير حمزة والكسائى والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر ﴿ والليل اذا يسر ﴾ اذا يمضى كقوله والليل اذا دبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذفت

من ذى الحجة لانها ايام الاشتغال بأعمال الحج واخرج الترمذى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن ايام العمل فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروى عن ابن عباس قال هى العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان احيا ليله وشد مئزره وايقظ اهله يعنى للعبادة وقيل هى العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء ﴿ والشفع والوتر ﴾ قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن ابى سعيد الخدرى وقيل الشفع هو الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر * عن عمران ابن حصين رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هى الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروى ان رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالى العشر فقال اما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم فهما الشفع والوتر واما الليالى العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالى والوتر اليوم الذى لاليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكأنه اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التى تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت ﴿ والليل اذا يسر ﴾ اى اذا سار وذهب وقيل

ذى الحجة (والشفع) يوم عرفة ويوم النحر (والوتر) ثلاثة ايام بعد يوم النحر ويقال الشفع كل صلاة تصلى ركعتين اواربعة من صلاة الغداة والظهر والعصر والعشاء والوتر وهى كل صلاة تصلى ثلاثة وهى صلاة المغرب والوتر ويقال الشفع السماء والارض والدنيا والآخرة والجنة والنار والعرش والكرسى والشمس والقمر كل هذا شفع والوتر ما يكون فردا ويقال الشفع الذكر والانثى والكافر والمؤمن والمخلص والمنافق والصالح والطالح والوتر هو الله (والليل اذا يسر) يذهب وهى ليلة المزدلفة ويقال يذهب ويجئ فيه الناس اقسم الله بهؤلاء الاشياء ان ربك يامحمد لبالمرصاد

بالله فان لله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر
الامن انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر ومابينهما اعتراض

(ان الينا ايابهم) رجوعهم وفائدة تقديم الظرف التشديد فى الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام (ثم ان علينا حسابهم) فنحاسبهم على اعمالهم ونجازيهم بها جزاء امثالهم وعلى لتأكيد الوعيد لاللوجوب اذ لايجب على الله شئ

﴿سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) اقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا اسفر او بصلاة الفجر (وليال عشر) عشر ذى الحجة او العشر الاول من المحرم اوالآخر من رمضان وانما تكرت لزيادة فضيلتها

وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الاعلى التنبيه ﴿ان الينا ايابهم﴾ رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر ايب فيعل من الاياب اوفعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها فى ديوان ثم الثانية للادغام ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ فى المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فى الوعيد * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون اوثلاثون﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والفجر﴾ اقسم بالصبح اوفلقه كقوله والصبح اذا تنفس اوبصلاته ﴿وليال عشر﴾ عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة اوالنحر اوعشر رمضان الاخير وتنكيرها

عذبوا فى الدنيا بأنواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار اكبر من هذه كله ﴿ان الينا ايابهم﴾ اى رجوعهم بعد الموت ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ يعنى جزاءهم بعد الرجوع الينا والله اعلم

﴿تفسير سورة الفجر وهى مكية تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية﴾

﴿ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿والفجر﴾ اقسم الله عز وجل بالفجر ومابعده لشرفها ومافيها من الفوائد الدينية وهى انها دلائل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا فى معانى هذه الالفاظ فروى عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح فى كل يوم اقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات فى طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملائكة الليل و ملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذى الحجة قرن به الليالى العشرة وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربات ﴿وليال عشر﴾ قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذى لايحصل فى غيرها روى عن ابن عباس انها العشر الاول

يعنى عذاب النار (ان الينا ايابهم) مرجعهم فى الآخرة (ثم ان علينا حسابهم) ثباتهم فى الدنيا وثوابهم وعقابهم فى الآخرة

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الفجر وهى كلها مكية آياتها تسع وعشرون وكلماتها مائة وتسع وثلاثون وحروفها خمسمائة وسبعة وتسعون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والفجر) (من)
يقول اقسم الله بالفجر وهو صبح النهار ويقال هو النهار كله ويقال الفجر فجر السنة (وليال عشر) من اول

الابل (والى السماء كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلاامساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلاتدخل فى حساب الخلق فكذلك الاكواب (والى الجبال كيف نصبت) نصبا ثابتا فهى راسخة لاتميل مع طولها فكذا النمارق (والى الارض كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهى كلها بساط واحد تنبسط من لافق الى الافق فكذا الزرابى ويجوز ان يكون المعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لاينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص هذه الاربعة باعتبار ان هذا خطاب للعرب وحثاهم على الاستدلال والمرء انما يستدل بما تكثر مشاهدته له والعرب تكون فى البوادى ونظرهم فيها الى السماء والارض والجبال والابل فهى اعز اموالهم وهم لها اكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ولانها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهى النسل والدر والحمل والركوب والاكل بخلاف غيرها فانه سخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لاتعاز ضعيفا ولاتمانع صغيرا برأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها الى البلاد الشاحطة وصبرها على احتمال العطش حتى ان ظمأها ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل نابت فى البرارى مما لايرعاه سائر البهائم (فذكر) هم بالادلة ليتفكروا فيها (انما انت مذكر) ليس عليك الا التبليغ (لست عليهم بمسيطر) بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار بمصيطر مدنى وبصرى وعلى وعاصم (الامن تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) الاستثناء منقطع اى لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر

وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة ﴿ والى السماء كيف رفعت ﴾ بلا عمد ﴿ والى الجبال كيف نصبت ﴾ فهى راسخة لاتميل ﴿ والى الارض كيف سطحت ﴾ بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال ﴿ فذكر انما انت مذكر ﴾ فلا عليك ان لم ينظروا اولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾ بمتسلط وعن الكسائى بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام ﴿ الامن تولى وكفر ﴾ لكن من تولى وكفر ﴿ فيعذبه الله العذاب الاكبر ﴾ يعنى عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار

من اعظم شئ عند العرب فينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا واسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولانها من اعجب الحيوانات عندهم ﴿ والى السماء كيف رفعت ﴾ يعنى فوق الارض بغير عمد ولاينالها شئ ﴿ والى الجبال كيف نصبت ﴾ اى على الارض نصبا ثابتا راسخا لايزول ﴿ والى الارض كيف سطحت ﴾ اى بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شئ قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل اويرفع مثل السماء اوينصب مثل الجبال اويسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شئ ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿ فذكر انما انت مذكر ﴾ اى فعظ انما انت واعظ ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ اى بمسلط فتكرههم على الايمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال ﴿ الامن تولى وكفر ﴾ استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير ﴿ فيعذبه الله العذاب الاكبر ﴾ وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم

يقوم غيرها (والى السماء كيف رفعت) فوق الخلق لاينالها شئ (والى الجبال كيف نصبت) على الارض لايحركها شئ (والى الارض كيف سطحت) بسطت على الماء كل هذا آية لهم (فذكر) عظ (انما انت مذكر) مخوف بالقرآن ويقال واعظ متعظ بالقرآن وبالله (لست عليهم) يامحمد (بمسيطر) بمسلط ان تجبرهم على الايمان ثم امره بعد ذلك بالقتال فقال (الامن تولى وكفر) ويقال الامن تولى بنصب الالف عن الايمان وكفر بالله (فيعذبه الله) فى الآخرة (العذاب الاكبر)

﴿وزرابى﴾ وبسط فاخرة جمع زربية ﴿مبثوثة﴾ مبسوطة ﴿أفلا ينظرون﴾ نظر اعتبار ﴿الى الابل كيف خلقت﴾ خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البرارى والمفاوز مع مالها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الا يات المنبثة فى الحيوانات التى هى اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع

مصفوفة بعضها جنب بعض انما اراد ان يجلس ولى الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى ﴿وزرابى﴾ يعنى البسط العريضة قال ابن عباس هى الطنافس التى لها خمل واحدتها زربية ﴿مبثوثة﴾ اى مبسوطة وقيل متفرقة فى المجالس * قوله عزوجل ﴿أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت﴾ قال اهل التفسير لما نعت الله عزوجل مافى هذه السورة مما فى الجنة عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدأ بالابل لانها من انفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذى صنع لهم هذا فى الدنيا هو الذى صنع لاهل الجنة ماصنع وتكلمت علماء التفسير فى وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم يشاهد الفيل الا النادر منهم وقال الكلبى لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لماذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فأنزل الله تعالى هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل اعظم فى الاعجوبة فقال اما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو لاخير فيه لانه لايركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولايحلب دره والابل اعز مال العرب وانفسه تأكل النوى والقت وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبى الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة اوللركوب اوللحمل اوللبن اولاجل اللحم وتوجد جميع هذه الخصال الافى الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثيرة ويأكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عدة ايام ومنها انه يحمل عليها وهى باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترعى فى كل نبات فى البرارى ممالايرعاه غيرها من الحيوانات وهى سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولامناسبة بينهما ولم بدأ بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل

(من)

(وزرابى) وبسط عراض فاخرة جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة او مفرقة المجالس ولما انزل الله تعالى هذه الايات فى صفة الجنة وفسر النبى عليه السلام بأن ارتفاع السرر يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة لاتدخل فى حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابى كذا انكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الاكواب هذه الكثرة وطول النمارق هذا الطول وبسط الزرابى هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك فى الدنيا فقال الله تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) طويلة ثم تبرك حتى تركب او يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطأطئ للمؤمن كما يطأطئ

بعض (وزرابى) وهى شبه الطنافس (مبثوثة) مبسوطة لاهلها فلما أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك قال كفار مكة ائتنا بآية بان الله ارسلك الينا رسولا فقال الله تعالى (افلا ينظرون) كفار مكة (الى الابل كيف خلقت) بقوتها وشدتها تقوم بحملها ولا

(لايسمن) مجرور المحل لانه وصف ضريع (ولايغنى من جوع) اى منفعتا الغداء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة السمن فى البدن (وجوه يومئذ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد طال وانقطع (ناعمة) متنعمة فى لين العيش (لسعيها راضية) راضية بعملها وطاعتها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة والثواب (فى جنة عالية) من علو المكان

او المقدار (لاتسمع) يامخاطب او الوجوه (فيها لاغية) اى لغوا اوكلمة ذات لغو او نفسا تلغو لايتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على مارزقهم من النعيم الدائم لايسمع فيها لاغية مكى وابو عمرو ولاتسمع فيها لاغية نافع (فيها عين جارية) اى عيون كثيرة كقوله علمت نفس (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (واكواب) جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (موضوعة) بين ايديهم ليتلذذوا بها بالنظر اليها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (ونمارق) وسائد (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على موسدة واستند الى الاخرى

لضره وعدم نفعه كما قال ﴿ لايسمن ولايغنى من جوع ﴾ والمقصود من الطعام احد الامرين ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ ذات بهجة او متنعمة ﴿ لسعيها راضية ﴾ رضيت بعملها لما رأت ثوابه ﴿ فى جنة عالية ﴾ علية المحل او القدر ﴿ لاتسمع ﴾ يامخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع ﴿ فيها لاغية ﴾ لغوا اوكلمة ذات لغو اونفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم ﴿ فيها عين جارية ﴾ يجرى ماؤها ولاينقطع والتنكير للتعظيم ﴿ فيها سرر مرفوعة ﴾ رفيعة السمك او القدر ﴿ واكواب ﴾ جمع كوب وهو اناء لاعروة له ﴿ موضوعة ﴾ بين ايديهم ﴿ ونمارق ﴾ وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم ﴿ مصفوفة ﴾ بعضها الى بعض

الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لاتأكله فانزل الله تعالى ﴿ لايسمن ولايغنى من جوع ﴾ يعنى ان هذا الطعام لاتقدر البهائم على اكله فكيف يقدر الانسان على اكله فهو اذا لايسمن ولايغنى من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى فى هذه الآية انه لاطعام لهم الا من ضريع وذكر فى موضع آخر انه لاطعام لهم الا من غسلين فكيف الجمع بينهما قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لاغير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ثم وصف اهل الجنة فقال تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ اى متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة ﴿ لسعيها راضية ﴾ اى لسعيها فى الدنيا راضية فى الآخرة حيث اعطيت الجنة بعملها ﴿ فى جنة عالية ﴾ قيل هو من العلو الذى هو الشرف وقيل من العلو فى المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض ﴿ لاتسمع فيها لاغية ﴾ اى ليس فيها لغو ولا باطل ﴿ فيها عين جارية ﴾ على وجه الارض فى غير اخدود وقيل تجرى حيث ارادوا من منازلهم وقصورهم ﴿ فيها سرر مرفوعة ﴾ قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجئ اهلها فاذا اراد اهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترفع الى مواضعها ﴿ واكواب ﴾ يعنى الكيزان التى لاعرى لها ﴿ موضوعة ﴾ يعنى عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما ارادوا الشرب منها وجدوها مملوأة ﴿ ونمارق مصفوفة ﴾ يعنى وسائد ومرافق

صار كأظفار الهرة (لايسمن) من اكله (ولايغنى من جوع) من اكله (وجوه) وجوه المؤمنين المخلصين (يومئذ) يوم القيامة (ناعمة) حسنة جميلة (لسعيها راضية) يقول لثواب عملها راضية (فى جنة عالية) فى درجة مرتفعة (لاتسمع فيها) فى الجنة (لاغية) حلفا باطلا ولاغير باطل (فيها) فى الجنة (عين جارية) تجرى عليهم بالخير والبركة والرحمة (فيها) فى الجنة (سرر مرفوعة) فى الهواء مالم يجئ اليها اهلها ويقال مرتفعة لاهلها (واكواب) كيزان بلا آذان ولاعرى ولاخراطيم مدورة الرؤس (موضوعة) فى منازلهم (ونمارق) وسائد (مصفوفة) قد صف بعضها الى بعض ويقال قد نضد بعضها الى

فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها اوعملت ونصبت فى اعمال لاتنفعها يومئذ ﴿ تصلى نارا ﴾ تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة ﴿ حامية ﴾ متناهية فى الحر ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ بلغت اناها فى الحر ﴿ ليس لهم طعام الا من ضريع ﴾ يبيس الشبرق وهو الشوك ترعاه الابل مادام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه الابل وتتعافاه

الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب الصوامع لايقبل الله منهم اجتهادا فى ضلالة بل يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدؤب فى العمل بالتعب (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا هذا ماليس منه فهورد وفى رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهورد اما الرواية الاولى فانها تختص بمن احدث فى دين الاسلام شيأ ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لايقبل منه واما الرواية الثانية فانها تشتمل على كل عامل فى دين الاسلام اوغير دين الاسلام فانه مردود عليه اذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى الآية عاملة فى الدنيا بالمعاصى ناصبة فى الآخرة فى النار وقيل عاملة ناصبة فى النار لانها لم تعمل لله فى الدنيا فاعملها وانصبها فى النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهى راوية عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض فى النار كما تخوض الابل فى الوحل وقيل يجرون على وجوههم فى النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى النار وهو قوله تعالى ﴿ تصلى نارا حامية ﴾ قال ابن عباس قد حميت فهى تتلظى على اعداء الله عزوجل ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ اى متناهية فى الحرارة قد اوقدت عليها جهنم مذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعون اليها ورودا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى ﴿ ليس لهم طعام الا من ضريع ﴾ قيل هو نبت ذو شوك لاطى بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهى راوية عن ابن عباس فاذا يبس لاتقربه دابة وقيل الضريع فى الدنيا هو الشوك اليابس الذى ليس له ورق وهو فى الآخرة شوك من نار وجاء فى الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شئ فى النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال ابو الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون القصص فى الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لاهنيئة ولامريئة فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا فى ذلك فان

فى صعود من نار وهبوطها فى حدورمنها وقيل عملت فى الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهى فى نصب منها فى الآخرة وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت فى اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب (تصلى نارا حامية) تدخل نارا قد أحميت مددا طويلة فلا حر يعدل حرها تصلى ابوعمرو وابو بكر (تسقى من عين آنية) من عين ماء قد انتهى حرها والتأنيث فى هذه الصفات والافعال راجع الى الوجوه والمراد اصحابها بدليل قوله (ليس لهم طعام الامن ضريع) وهو نبت يقال له الشبرق فاذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والعذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الآية وبين قوله ولا طعام الامن غسلين

فى تعب وعناء ويقال عاملة فى الدنيا ناصبة فى الآخرة وهم الرهبان واصحاب الصوامع ويقال هم الخوارج (تصلى) تدخل (نارا حامية) حارة قد انتهى حرها (تسقى) فى النار (من عين آنية) حارة (ليس لهم) فى تلك الدرك (طعام الا من ضريع) وهو الشبرق نبت يكون بطريق مكة اذا كان رطبا تأكل منه الابل واذا يبس

الاولى وفى الاثر وفى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا

صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

﴿ سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ هل اتيك حديث الغاشية ﴾ الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيامة اوالنار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ﴿ وجوه يومئذ خاشعة ﴾ ذليلة ﴿ عاملة ناصبة ﴾ تعمل ماتتعب فيه كجر السلاسل وخوضها فى النار خوض الابل

لان هذا القدر المذكور فى هذه الآيات لاتختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه * عن ابى ذر رضى الله عنه قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقلت وماتحيته يارسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يارسول الله هل انزل الله عليك شيأ مما كان فى صحف ابراهيم وموسى قال يا اباذر اقرأ قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لايعمل اخرج هذا الحديث رزين فى كتابه وذكره ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيأ * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد فى ركعة ركعة اخرجه الترمذى والنسائى * وعن عبد العزيز بن جريج قال سألنا عائشة باى شئ كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ فى الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفى الثانية بقل يا ايها الكافرون وفى الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين اخرجه ابوداود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب والله اعلم

﴿ تفسير سورة الغاشية وهى مكية وست وعشرون آية واثنتان ﴾

﴿ وتسعون كلمة وثلاثمائة واحدى وثمانون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ هل اتاك ﴾ اى قد اتاك يا محمد ﴿ حديث الغاشية ﴾ يعنى القيامة سميت غاشية لانها تغشى كل شى باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه الكفار ﴿ وجوه يومئذ ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ خاشعة ﴾ يعنى ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه اشرف اعضاء الانسان فعبر به عنه ﴿ عاملة ناصبة ﴾ قال ابن عباس يعنى الذين عملوا ونصبوا فى الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة

بزمانه مقبلا على شانه ﴿ سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (هل) بمعنى قد (اتاك حديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعنى القيامة وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار (وجوه) اى وجوه الكفار وانما خص الوجه لان الحزن والسرور اذا استحكما فى المرء اثرا فى الوجه (يومئذ) يوم اذ غشيت (خاشعة) ذليلة لما اعترى اصحابها من الخزى والهوان (عاملة ناصبة) تعمل فى النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل

كتاب موسى التوراة وكتاب ابراهيم يعلم الله ذلك ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الغاشية وهى كلها مكية آياتها ست وعشرون وكلماتها اثنتان وتسعون وحروفها ثلاثمائة واحدى وثمانون حرفا ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (هل اتاك) يقول مااتاك يا محمد ثم اتاك ويقال قد اتاك (حديث الغاشية) (قا وخا ٦٣ س) خبر قيام الساعة ويقال الغاشية هى غاشية النار على اهلها (وجوه) وجوه المنافقين والكفار (يومئذ) يوم القيامة (خاشعة) ذليلة بالعذاب (عاملة) تجر فى النار (ناصبة)

وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة عطفت عليها وهو يقتضى المغايرة وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عزوجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذكر معاده ووقوفه بين يدى ربه فصلى له عن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) على الآخرة فلا تفعلون مابه تفلحون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة ابى عمرو يؤثرون باليـاء (والآخرة خير وابقى) افضل فى نفسها وادوم (ان هذا لفى الصحف الاولى) هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى اى ان معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف او الى ما فى السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة لانه جعله مذكورا فى تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف

الصلوات الخمس فى الجماعة ولها وجه آخر قد أفلح فاز ونجـا من تزكى من تصدق بصدقة الفطر قبل خروجه الى المصلى وذكر اسم ربه هلله وكبره فى الذهاب والمجئ فصلى صلاة العيد مع الامام (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) تختارون العمل للدنيا وثواب الدنيا على ثواب (لان) الآخرة (والآخرة) عمـل الآخرة وثواب الآخرة (خير) افضل من ثواب الدنيا وعمل الدنيا (وابقى) ادوم (ان هـذا) من قوله قد افلح الى ههنـا (لفى الصحف الاولى) فى كتب الاولين (صحف ابراهيم وموسى)

لقوله تعالى أقم الصـلاة لذكرى ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صـلاته ﴿ بل تؤثرون الحيوة الدنيا ﴾ فلا تفعلون مايسعدكم فى الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعى للدنيا اكثر فى الجملة وقرأ ابوعمرو بالياء ﴿ والآخرة خير وابقى ﴾ فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لاانقطاع له ﴿ ان هذا لفى الصحف الاولى ﴾ الاشارة الى ماسبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة ﴿ صحف ابراهيم وموسى ﴾ بدل من الصحف الاولى * قال

وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرا تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعنى يوم العيد قال يانافع اخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانما هذه الآية فى هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حـل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا ادرى اى جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه آخر وهو انه كان علم الله تعالى انه سيكون ذلك فاخبر عنه وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعنى الصلوات الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد * قوله عزوجل ﴿ بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى ﴾ يعنى ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وانتم تؤثرون الفانى على الباقى قال عرفجة الاشجعى كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتهـا وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل ان اريد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيـا على الآخرة لانهم لايؤمنون بالآخرة وان اريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذى يحصل فى الآخرة وخير وابقى ﴿ ان هذا ﴾ اى الذى ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا وهو اربع آيات ﴿ لفى الصحف الاولى ﴾ اى الكتب المتقدمة التى نزلت قبـل القرآن ذكر فى تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلى وايثار الدنيا وان الآخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال تعـالى ﴿ صحف ابراهيم وموسى ﴾ يعنى ان هذا القدر المذكور فى صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور فى جميع صحف الانبياء التى منها صحف ابراهيم وموسى

الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى ايسر واسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى ايسر الشرائع اونوفقك لعمل الجنـة (فذكر) عظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) جواب ان مدلول قوله فذكر قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم وقيل هوامر بالتذكير على الاطلاق كقوله فذكر انماانت مذكر غيرمشروط بالنفع ﴿٤٩٥﴾ (سيذكر) سيتعظ ويقبل ﴿سورة الاعلى﴾ التذكرة (من يخشى) الله

ونمدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال تعالى نيسرك لا نيسرلك عطف على سنقرئك وانه يعلم الجهر اعتراض ﴿فذكر﴾ بعـد ما استتب لك الامر ﴿ان نفعت الذكرى﴾ لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصـول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسـه ويتلهف عليهم كقوله تعالى وماانت عليهم بجبار الآية اولذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشـعار بان التذكير انما يجب اذاظن نفعـه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى ﴿سيذكر من يخشى﴾ سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فانه يتفكر فيهافيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد ﴿ويتجنبها﴾ ويتجنب الذكرى ﴿الاشقى﴾ الكافر فانه اشقى من الفاسق اوالاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر ﴿الذى يصلى النار الكبرى﴾ نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزؤ من سبعين جزأ من نار جهنم اوما فى الدرك الاسفل منها ﴿ثم لايموت فيهـا﴾ فيستريح ﴿ولايحيى﴾ حياة تنفعه ﴿قد افلح من تزكى﴾ تطهر من الكفر والمعصـية اوتكثر من التقوى من الزكاء اوتطهر للصلاة اوادى الزكاة ﴿وذكر اسم ربه﴾ بقلبه ولسانه ﴿فصلى﴾

عليك ان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيـل نوفقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية السمحة وقيل هومتصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مماتقرؤه على جبريل اذا فرغ من التلاوة ومايخفى مماتقرؤه فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى اى نهون عليك الوحى حتى تحفظه ولا تنساه ﴿فذكر﴾ اى فعظ بالقرآن ﴿ان نفعت الذكرى﴾ اى مدة نفع الموعظة والتـذكير اوالمعنى عظ انت وذكر ان نفعت الذكرى اولم تنفع انما عليك البلاغ ﴿سيذكر من يخشى﴾ اى سيتعظ من يخشى الله تعالى ﴿ويتجنبها﴾ اى الذكرى ويتباعد عنها ﴿الاشقى﴾ اى فى علم الله تعالى ﴿الذى يصلى النار الكبرى﴾ اى النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكـبرى هى نار الآخرة والنار الصغرى هى نار الدنيا ﴿ثم لايموت فيها﴾ اى فى النار فيستريح ﴿ولايحيى﴾ اى حياة طيبة تنفعه * قوله عز وجـل ﴿قد افلح من تزكى﴾ اى تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيـا وقيل هوصدقة الفطر روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى قوله قد افلح من تزكى قال اعطى صدقة الفطر ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ قال خرج الى العيد فصلى

وسوء العاقبة (ويتجنبها) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها (الاشقى) الكافر اوالذى هواشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله قيل نزلت فى الوليـد ابن المغيرة وعتبة بن ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (ثم لايموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة تلذبها وقيل ثم لان الترجح بين الحياة والموت افظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة (قد افلح) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك او تطهر للصلاة او ادى الزكاة تفعل من الزكاة كتصـدق من الصـدقة (وذكر اسم ربه) وكبر للافتتاح (فصلى) الخمس

(فذكر) عظ بالقرآن والله (ان نفعت الذكرى) يقول لا تنفع العظـة بالقرآن والله الا من يخشى من الله وهو المؤمن (سيذكر) سيتعظ بالقرآن والله (من يخشى) الله وهو مسلم (ويتجنبها) يتباعد ويتزحزح عن العظة بالقرآن والله (الاشقى) الشقى فى علم الله (الذى يصلى النار) يدخل النار فى الآخرة (الكبرى) العظمى وليس شئ من العذاب اكبر من النـار (ثم لايموت فيها) فى النار فيستريح (ولايحيى) حياة تنفعه (قد افلح) قدفاز ونجا (من تزكى) من اتعظ بالقرآن ووحد الله (وذكر اسم) امر (ربه) بالصلوات الخمس وغيرها (فصلى)

(والذى اخرج المرعى) انبت ما ترعاه الدواب (فجعله غثاء) يابسا هشيما (احوى) اسود فاحوى صفة الغثاء (سنقرئك فلاتنسى) سنعلمك القران حتى لاتنساه (الاماشاء الله) ان ينسخه وهذا بشارة من الله انبيه ان يحفظ عليه الوحى حتى لا ينفلت منه شئ الاماشاء الله ان ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسأل ابن كيسان النحوى جنيدا عنه فقال فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا اى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ماشاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) اى انك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه ومافى نفسك مما يدعوك الى الجهر اوما تقرا فى نفسك مخافة النسيان او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم

فهدى فبين الكفر والايمان والخير والشر (والذى اخرج) انبت بالمطر (المرعى) الكلا الاخضر (فجعله) بعد خضرته (غثاء) يابسا (احوى) اسود ذا حال عليه الحول (سنقرئك) سنعلمك يا محمد القرآن ويقال سيقرأ عليك جبريل القرآن (فلاتنسى الاماشاء الله) وقد شاء الله ان لاتنسى فلم ينس النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك شيأ من القرآن (انه يعلم الجهر) العلانية من القول والفعل (ومايخفى) ما اخفى من السر مالم يحدث به نفسك بعد (ونيسرك لليسرى) سنهون عليك تبليغ الرسالة وسائر الطاعات

منهما او اختيارا بخلق العيون والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ﴿والذى اخرج المرعى﴾ انبت ما ترعاه الدواب ﴿فجعله﴾ بعد خضرته ﴿غثاء احوى﴾ يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة خضرته ﴿سنقرئك﴾ على لسان جبريل عليه السلام اوسنجعلك قارئا بالهام القراءة ﴿فلا تنسى﴾ اصلا من قوة الحفظ مع انك امى ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا ﴿الاماشاء الله﴾ نسيانه بان تنسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روى انه عليه الصلاة والسلام اسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب ابى انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفى النسيان رأسا فان القلة تستعمل فى النفى ﴿انه يعلم الجهر وما يخفى﴾ ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء ﴿ونيسرك لليسرى﴾

اى فعرف الذكر والانثى وقيل قدر مدة الجنين فى الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة والشقاوة للاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ماقدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر اى اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وسائر الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى ﴿والذى اخرج المرعى﴾ اى انبت العشب وما ترعاه الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغيرذلك ﴿فجعله﴾ يعنى المرعى بعد الخضرة ﴿غثاء﴾ اى هشيما يابسا باليا كالغثاء الذى تراه فوق السيل ﴿احوى﴾ اى اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا جف ويبس اسود * قوله عز وجل ﴿سنقرئك﴾ اى نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك ﴿فلا تنسى﴾ يعنى مايقرأ عليك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحى لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باولها مخافة ان ينساها فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيأ بعد ذلك ﴿الا ماشاء الله﴾ يعنى ان تنساه وهو مانسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الاماشاء الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد اذكرنى كذا وكذا آية كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وفى رواية كنت اسقطتهن من سورة كذا اخرجاه فى الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله ان ينسيه شيأ ﴿انه يعلم الجهر﴾ يعنى من القول والفعل ﴿وما يخفى﴾ يعنى منهما والمعنى انه تعالى يعلم السر والعلانية ﴿ونيسرك لليسرى﴾ اى نهون

﴿ سورة الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح اسم ربك الاعلى) نزه ذاته عمالا يليق به والاسم صلة وذلك بان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذى هو القهر والاقتدار لابمعنى العلو فى المكان وقيل قل سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها فى سجودكم (الذى خلق فسوى) اى خلق كل شئ فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم حكيم او سواه على مافيه منفعة ومصلحة (والذى قدر فهدى) اى قدر لكل حيوان مايصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به او فهدى واضل ولكن حذف واضل اكتفاء بقوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء قدر على

امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين * على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

﴿ سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبح اسم ربك الاعلى ﴾ نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لاعلى وجه التعظيم وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت ﴿ الذى خلق فسوى ﴾ خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له مابه يتأتى كماله ويتم معاشه ﴿ والذى قدر ﴾ اى قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها وقرأ الكسائى قدر بالتخفيف ﴿ فهدى ﴾ فوجهه الى افعاله

سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الاعلى وهى مكية وتسع عشرة آية واثنتان وسبعون ﴾

﴿ كلمة ومائتان واحدى وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ سبح اسم ربك الاعلى ﴾ اى قل سبحان ربى الاعلى وهوقول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ماروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى ذكره البغوى باسناد الثعلبى وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بان تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح اى صل بامر ربك الاعلى * عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم اخرجه ابوداود ﴿ الذى خلق فسوى ﴾ اى خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة ﴿ والذى قدر فهدى ﴾ قيل قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شئ شكله فهدى

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الاعلى وهى كلها مكية آياتها تسع عشرة وكلماتها اثنتان وسبعون كلمة وحروفها مائتان واربعة وثمانون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سبح اسم ربك الاعلى) يقول صل يامحمد بأمر ربك الاعلى اعلى كل شئ ويقال اذكر يامحمد توحيد ربك ويقال قل يامحمد سبحان ربى الاعلى فى السجود (لذى خلق) كل ذى روح (فسوى) خلقه باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء (والذى قدر) جعل كل ذكر وانثى (فهدى) فعرف والهم كيف يأتى الذكر الانثى ويقال قدر خلقه حسنا اودميما اوطويلا اوقصيرا ويقال قدر السعادة والشقاوة لخلقه

من الاعمال (فماله) فما للانسان (من قوة) فى نفسه على دفع ما حل به (ولا ناصر) يمينه ويدفع عنه (والسماء ذات الرجع) اى المطر وسمى به لعوده كل حين (والارض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الارض من النبات (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) باللعب والباطل يعنى انه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا فى الصدور معظما فى القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح (انهم)

(يكيدون كيدا) يعملون المكايد فى ابطال امر الله واطفاء نور الحق (واكيد كيدا) واجازيهم جزاء كيدهم باستدراجى لهم من حيث لا يعلمون فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق هذا الوصف على الله تعالى الا على وجه الجزاء كقوله نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم (فمهل الكافرين) اى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (امهلهم) انظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير (رويدا) مهلا يسيرا ولا يتكلم بها الا مصغرة وهى من رادت الريح ترود رودا تحركت حركة ضعيفة

الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه ﴿ فماله ﴾ فما للانسان ﴿ من قوة ﴾ من منعة فى نفسه يمتنع بها ﴿ ولا ناصر ﴾ يمنعه ﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تتحرك منه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب ﴿ والارض ذات الصدع ﴾ ما تتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون ﴿ انه ﴾ ان القرآن ﴿ لقول فصل ﴾ فاصل بين الحق والباطل ﴿ وما هو بالهزل ﴾ فانه جد كله ﴿ انهم ﴾ يعنى اهل مكة ﴿ يكيدون كيدا ﴾ فى ابطاله واطفاء نوره ﴿ واكيد كيدا ﴾ واقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم بحيث لا يحتسبون ﴿ فمهل الكافرين ﴾ فلا تشتغل بالانتقام منهم اولا تستعجل باهلاكهم ﴿ امهلهم رويدا ﴾

سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من ادى الفرائض كما امر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها او انتقص منها كان وجهه اغبر ﴿ فماله ﴾ اى لهذا الانسان المنكر البعث ﴿ من قوة ﴾ اى يمتنع بها من عذاب الله ﴿ ولا ناصر ﴾ اى ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى ﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ اى ذات المطر سمى به لانه يجئ ويرجع ويتكرر ﴿ والارض ذات الصدع ﴾ اى تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى ﴿ انه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لقول فصل ﴾ اى انه لحق وجد يفصل بين الحق والباطل ﴿ وما هو بالهزل ﴾ اى باللعب والباطل ﴿ انهم ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ يكيدون كيدا ﴾ يعنى يحتالون بالمكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فيه ﴿ واكيد كيدا ﴾ يعنى اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار ﴿ فمهل الكافرين ﴾ اى لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم قال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال تعالى ﴿ امهلهم رويدا ﴾ يعنى قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف والله

غيره (فماله) لابى طالب (من قوة) من منعة بنفسه (ولا ناصر) لا مانع له من عذاب الله (والسماء ذات الرجع) واقسم بالسماء ذات المطر بعد المطر والسحاب بعد السحاب عاما بعد عام (والارض ذات الصدع) بالنبات والزروع ويقال ذات الاوتاد (انه) يعنى القرآن ولهذا كان القسم (لقول فصل) بيان حق ويقال حكم من الله (وما هو بالهزل) بالباطل (انهم) يعنى اهل مكة (يكيدون كيدا) يصنعون صنعا فى كفرهم وهو صدهم الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويقال يريدون قتلك وهلاكك فى دار الندوة يا محمد (واكيد كيدا) واريد قتلهم يا محمد يوم بدر (فمهل الكافرين) فاجل الكافرين (امهلهم) اجلهم (رويدا) قليلا الى يوم بدر (سبحانه)

ان على كل نفس حافظا امره بالنظر فى اول امره ليعلم ان من انشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولايملى على حافظه الامايسره فى عاقبته ومم خلق استفهام اى من اى شئ خلق جوابه (خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع والدفق فى الحقيقة لصاحبه

والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض اهل اللغة دفقت الماء دفقا صببته ودفق الماء بنفسه اى انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتدئ فى خلقه (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المراة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المراة (انه) ان الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذى خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصا (لقادر) لبين القدرة لايعجز عنه كقوله انى لفقير اى لبين الفقر ونصب (يوم تبلى) اى تكشف برجعه او بمضمر دل عليه قوله رجعه اى يبعثه يوم تبلى (السرائر) ما اسر فى القلوب من العقائد والنيات وماالخفى

ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه بوصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلايملى على حافظه الا مايسره فى عاقبته ﴿خلق من ماء دافق﴾ جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من المائين فى الرحم لقوله ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ من بين صلب الرجل وترائب المراة وهى عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلاشك ان الدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب ﴿انه على رجعه لقادر﴾ والضمير للخالق ويدل عليه خلق ﴿يوم تبلى السرائر﴾ تتعرف وتميز بين ماطاب من الضمائر وماخفى من

خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى ﴿خلق من ماء﴾ يعنى من منى ﴿دافق﴾ اى مدفوق مصبوب فى الرحم واراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما ﴿يخرج﴾ يعنى ذلك الماء وهو المنى ﴿من بين اصلب والترائب﴾ يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هى موضع القلادة من الصدر وعنه انها بين ثديى المرأة قيل ان المنى يخرج من جميع اعضاء الانسان واكثر مايخرج من الدماغ فينصب فى عرق فى ظهر الرجل وينزل فى عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهى الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر ﴿انه على رجعه لقادر﴾ يعنى ان الله تعالى قادر على ان يرد النطفة فى الاحليل وقيل قادر على رد الماء فى الصلب الذى خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبس ذلك الماء حتى لايخرج لقادر وقيل معناه وان الذى قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده ﴿يوم تبلى السرائر﴾ وذلك يوم القيامة قيل معناه تظهر الخبايا وقيل معنى تبلى تختبر وقيل السرائر هى فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من اداها ومن ضيعها قال عبدالله بن عمر يبدى الله تعالى يوم القيامة كل

ثم بين فقال (خلق) نفسه (من ماء دافق) مدفوق ومهراق فى رحم المراة (يخرج من بين الصلب) صلب الرجل (والترائب) ترائب المراة (انه) يعنى الله (على رجعه) على رد ذلك الماء الى الاحليل (لقادر) ويقال على اعادته بعد الموت واحيائه لقادر (يوم تبلى السرائر) تظهر السرائر وهو على كل شئ وكل الى الرجل لايعلمه

{بسم الله الرحمن الرحيم} (والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب) عظم قدر السماء فى اعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فأقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم اوجنس الشهب التى يرجم بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب اى المضى كأنه يثقب الظلام فينفذ فيه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق اولانه يطرق الجنى اى يصكه وجواب القسم (ان كل نفس لما عليها حافظ) لما ان كانت مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون ان نافية اى ما كل نفس الا عليها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون ان مخففة من الثقيلة اى ان كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات اويحفظ عملها ورزقها واجلها فاذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الاعمال فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وايتهما كانت فهى مما يتلقى به القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والسماء والطارق ﴾ والكوكب البادى بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه ﴿ وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ﴾ المضىء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه ﴿ ان كل نفس لما عليها ﴾ اى ان الشأن كل نفس لعليها ﴿ حافظ ﴾ رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم ﴿ فلينظر الانسان مم خلق ﴾ لما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ والسماء والطارق ﴾ قيل نزلت فى ابى طالب وذلك انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلاء ماء ثم نارا ففزع ابوطالب وقال اى شئ هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب ابوطالب فانزل الله والسماء والطارق يعنى النجم يظهر بالليل وكل ما اتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمى النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق

تريد ان اباهم نجم فى علوه وشرفه ﴿ وما ادراك ما الطارق ﴾ قيل لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه الله له بقوله ﴿ النجم الثاقب ﴾ اى المضىء المنير وقيل المتوهج وقيل المرتفع العالى وقيل هو الذى يرمى به الشيطان فيثقبه اى ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمى بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه اقسام اقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ان كل نفس لما عليها حافظ ﴾ يعنى ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلى عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها * قوله عز وجل ﴿ فلينظر الانسان ﴾ يعنى نظر تفكر واعتبار ﴿ مم خلق ﴾ اى من اى شئ

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والسماء والطارق) يقول أقسم الله بالسماء والطارق (وما أدراك) يامحمد (ماالطارق) يعجبه بذلك ثم بين فقال (خالقه) (النجم الثاقب) المضى النافذ وهو زحل يطرق بالليل ويخنس بالنهار (ان كل نفس) ولهذا كان القسم يقول كل نفس برة اوفاجرة (لما عليها) يعنى لعليها الميم والالف ههنا صلة ويقال ان كل نفس ما كل نفس لما عليها الا عليها ان قرأت الميم بالشد (حافظ) يحفظ قولها وعملها حتى يدفعها الى المقابر (فلينظر الانسان) ابوطالب (مم خلق) نفسه

من الجنود واراد بفرعون اياه وآله والمعنى قدعرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) واستيجاب للعـذاب ولايعتبرون بالجنود لالخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنـادا (والله من ﴿٤٨٩﴾ ورائهم محيط) اى ﴿سورة البروج﴾ عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لايعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل انهم لايفوتونه كمالايفوت الشئ المحيط به (بل هو) بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمـه واعجازه ليس كما يزعمون انه مفترى وانه اساطير الاولين (فى لوح محفوظ) من وصول الشـياطين محفوظ نافع صفة للقرآن اى من التغيير والتبديل واللوح عندالحسن شئ يلوح للملائكة فيقرؤنه وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طوله مابين السماء والارض وعرضه مابين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شئ فيه مسطور مقاتل هو على يمين العرش وقيـل اعـلاه معقود بالعرش واسفله فى حجر ملك كريم والله اعلم

﴿ سـورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية ﴾

وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ماحاق بهم ﴿ بل الذين كفروا فى تكذيب ﴾ لايرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ لايفوتونه كمالايفوت المحاط المحيط ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ بل هذا الذى كذبوا به كتـاب شريف وحيد فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اى قرآن رب مجيد ﴿ فى لوح محفوظ ﴾ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع عـلى انه صـفة للقرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء يعنى مافوق السماء السـابعة الذى فيه اللوح * عن رسـول الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وعرفة تكون فى الدنيا عشر حسنات

﴿ سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة ﴾

﴿ بل الذين كفروا ﴾ اى من قومك يا محمد ﴿ فى تكذيب ﴾ يعنى لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ اى عالم بهم لايخفى عليه شئ من اعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن كان قبلهم ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ اى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة ﴿ فى لوح محفوظ ﴾ قرئ بالرفع على انه نعت للقرآن يعنى ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه تنسخ الكتب وسمى محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوى باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسـله ادخله الجنة وقال واللوح لوح من درة بيضـاء طوله مابين السماء والارض وعرضه مابين المشرق والمغرب وحافتـاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه سر معقود بالعرش واصله فى حجر ملك والله تعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الطارق وهى مكية وسبع عشرة آية واحدى وستون ﴾
﴿ كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا ﴾

من قبلهم ومن بعـدهم كيف فعلنـا بهم عند التكذيب (قا وخا ٦٢ س) (بل الذين كفروا) كفار مكة (فى تكذيب) بمحمد عليه السلام والقرآن (والله من ورائهم محيط) يقول عالم بهم وباعمالهم (بل هو) يعنى القرآن الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (قرآن مجيد) كريم شريف (فى لوح محفوظ) يقول مكتوب فى لوح محفوظ من الشياطين ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الطارق وهى كلها مكية آياتها ست عشرة وكلماتها احدى وستون وحروفها مائتان وتسع وثلاثون ﴾

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) اى الذين صبروا على تعذيب الاخدود اوهو عام (ان بطش ربك لشديد) البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد اخذ الظلمة والجابرة بالعذاب والانتقام (انه هو يبدئ ويعيد) اى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد ان صيرهم ترابا دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه اواوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء

وكذبوا بالاعادة (وهو الغفور) الساتر للعيوب العافى عن الذنوب (الودود) المحب لاوليائه وقيل الفاعل لاهل الطاعة ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا (ذو العرش) خالقه ومالكه (المجيد) وبالجر حمزة وعلى على انه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه (فعال) خبر مبتدأ محذوف (لما يريد) تكوينه فيكون فيه دلالة خلق افعال العباد (هل اتاك حديث الجنود) اى قد اتاك خبر الجموع الطاغية فى الامم الخالية (فرعون وثمود) بدل

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير﴾ اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ﴿ ان بطش ربك لشديد ﴾ مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف ﴿ انه هو يبدئ ويعيد ﴾ يبدئ الخلق ويعيده اويبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة ﴿ وهو الغفور ﴾ لمن تاب ﴿ الودود ﴾ المحب لمن اطاع ﴿ ذو العرش ﴾ خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذى العرش صفة لربك ﴿ المجيد ﴾ العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائى صفة لربك اوللعرش ومجده علوه وعظمته ﴿ فعال لما يريد ﴾ لايمتنع عليه مراد من افعاله وفعال غيره ﴿هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود ﴾ ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو

للمؤمنين فقال تعالى ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ﴾ * قوله عز وجل ﴿ ان بطش ربك لشديد ﴾ قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد ﴿ انه هو يبدئ ويعيد ﴾ اى يخلقهم اولا فى الدنيا ثم يعيدهم احياء بعد الموت ليجازيهم باعمالهم فى القيامة ﴿وهو الغفور﴾ يعنى لذنوب جميع المؤمنين ﴿ الودود ﴾ اى المحب لهم وقيل المحبوب اى يوده اولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة ﴿ذو العرش﴾ اى خالقه ومالكه ﴿ المجيد ﴾ قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجيد من صفات التعالى والجلال وذلك لايليق الابالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش اى السرير العظيم اذ لايعلم صفة العرش وعظمته الاالله تعالى وقيل اراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش احسن الاجسام ثم قال تعالى ﴿ فعال لما يريد ﴾ يعنى انه لايعجزه شئ ولايمتنع منه شئ طلبه وقيل فعال لما يريد لايعترض عليه معترض ولايغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لايمنعه من ذلك مانع ويدخل اعداءه النار لاينصرهم منه ناصر ﴿ هل اتاك ﴾ اى قد اتاك ﴿ حديث الجنود ﴾ اى خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى ﴿ فرعون ﴾ يعنى وقومه ﴿ وثمود ﴾ وكانت قصتهم عند اهل مكة مشهورة

(ان الذين آمنوا) بالله (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (لهم جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (ذلك الفوز الكبير) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونجوا من النار (ان بطش ربك) اخذ ربك لمن لايؤمن به (لشديد انه (بل) هو يبدئ)الخلق من النطفة (ويعيد) بعد الموت خلقا جديدا (وهو الغفور) المتجاوز لمن تاب من الكفر وآمن بالله (الودود) المتودد لاوليائه ويقال المحب لاهل طاعته ويقال المتحبب الى اهل طاعته (ذو العرش) ذو السرير (المجيد) الحسن الجيد ويقال الكريم ان قرأت بضم الدال فهو الله (فعال لما يريد) كما يريد يحيى ويميت (هل اتاك) يا محمد استفهم نبيه بذلك ولم يأته قبل ذلك فاتاه بعد ذلك (حديث الجنود) يقول خبر جموع (فرعون وثمود) والذين

الصبر وتحمل اذى اهل مكة (وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا) وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله * ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * وقوله مانقموا من بنى امية الا * انهم يحلمون ان غضبوا * وقرئ نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح (بالله العزيز الحميد) ذكر الاوصاف التى يستحق بها ان يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (الذى له ملك السموات والارض) فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم

(والله على كل شئ شهيد) وعيد لهم يعنى انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين فى الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) فى الدنيا لما روى ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اى بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم وافتتنهم

حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم ﴿ وما نقموا ﴾ وما انكروا ﴿ منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ استثناء على طريقة قوله

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرن ذلك بقوله ﴿ الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد ﴾ للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ﴿ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾ بلوهم بالاذى ﴿ ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ﴾ بكفرهم ﴿ ولهم عذاب الحريق ﴾ العذاب الزائد فى الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبعذاب الحريق ماروى ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم

حين تركوا عبادة الصنم ﴿ وما نقموا منهم ﴾ قال ابن عباس ما كرهوا منهم ﴿ الا ان يؤمنوا بالله ﴾ وقيل ماعابوا ولاعلموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله ﴿ العزيز ﴾ يعنى ان الذى يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذى لايغالب ولايدافع ﴿ الحميد ﴾ يعنى الذى يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك وهو الله جل جلاله ﴿ الذى له ملك السموات والارض ﴾ اى فهو المستحق للعبادة ﴿ والله على كل شئ ﴾ اى من افعالهم بالمؤمنين ﴿ شهيد ﴾ وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين * قوله عزوجل ﴿ ان الذين فتنوا ﴾ اى عذبوا واحرقوا ﴿ المؤمنين والمؤمنات ﴾ اى بالنار ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ اى لم يرجعوا عماهم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وآمنوا يقبل منهم ويخرجون من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا ﴿ فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ يعنى لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق فى الدنيا وذلك ان الله احرقهم بالنار التى احرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم فى الآخرة ثم ذكر ما اعد

(وما نقموا منهم) من المؤمنين ولا طعنوا عليهم (الا ان يؤمنوا بالله) الا لقبل ايمانهم بالله (العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن به (الحميد) لمن آمن به (الذى له ملك السموات) خزائن السموات المطر (والارض) النبات (والله على كل شئ) من أعمالهم (شهيد ان الذين فتنوا) أحرقوا وعذبوا (المؤمنين) بالنار يعنى المصدقين من الرجال بالايمان (والمؤمنات) المصدقات من النساء بالايمان (ثم لم يتوبوا) من كفرهم وشركهم (فلهم عذاب جهنم) فى الآخرة (ولهم عذاب الحريق) الشديد فى النار ويقال فى الدنيا حيث أحرقهم الله بالنار وكانوا هؤلاء قوما من نجران ويقال من أهل الموصل أخذوا قوما من المؤمنين فعذبوهم وقتلوهم بالنار لكى يرجعوا الى دينهم وكان ملكهم يسمى يوسف ويقال ذا النواس ثم ذكر المؤمنين الذين لم يرجعوا عن الايمان لقبل عذابهم فقال

من لم يرند ﴿ النار ﴾ بدل من الاخدود بدل الاشتمال ﴿ ذات الوقود ﴾ صفة لها بالعظمة وكثرة مايرتفع بها لهبها والللام فى الوقود للجنس ﴿ اذهم عليها ﴾ على حافة النار ﴿ قعود ﴾ قاعدون ﴿ وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود ﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانهم لم يقصروا فيما امروا به اويشهدون على مايفعلون يوم القيامة

تامر واضعا يده على ضربة رأسه اذا اميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا عليه الذى وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير وابن ابزى لما انهزم اهل اسفندهار قال عمر بن الخطاب اى شئ يجرى على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب فقال على بن ابى طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ماهذا الذى اتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه انك تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات فاذا ذهب فى الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا بذلك فقال ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا اونقربه ماجاءنا به من نبى ولا انزل علينا فى كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا به فخدلهم الاخدود واوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه فى النار ومن اجاب اطلقه وروى عن على قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشى بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ على ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه اناس فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه واخذ من انفلت منهم فاوثقوه ثم خدوا له اخدودا فملؤها نارا فمن تبع ذلك النبى رمى به فى النار ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامرأة معها صبى رضيع فجزعت فقال الصبى ياأماه قعى ولا تقاعسى وقيل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشأم والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التى بالشأم فهو ابطاموس الرومى واما التى بفارس فبختنصر ويزعمون انهم اصحاب دانيال واما التى باليمن فذونواس يوسف فاما التى بالشأم وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وانزل فى التى بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند اهل مكة فذكرالله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره فى الدين وقوله تعالى ﴿ النار ذات الوقود ﴾ هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله المؤمنين الذين القوا فى النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم ﴿ اذهم عليها قعود ﴾ اى جلوس عند الاخدود ﴿ وهم ﴾ يعنى الملك الذى خد الاخدود واصحابه ﴿ على مايفعلون بالمؤمنين ﴾ اى من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم ﴿ شهود ﴾ اى حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال

(النار) بدل اشتمال من الاخدود (ذات الوقود) وصفها بانها عظيمة لها مايرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس (اذ) ظرف لقتل اى لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولها (هم عليها) اى الكفار على مايدنوا منها من حافات الاخدود (قعود) جلوس على الكراسى (وهم) اى الكفار (على مايفعلون بالمؤمنين) من الاحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين على

النار ذات الوقود) بالنفط والزفت والحطب ويقال لعنوا ويقال هم قوم من المؤمنين قتلهم الكفار بالنار ذات الوقود بالنفط والزفت والحطب (اذهم) يعنى الكفار (عليها) على الخندق ويقال على الكراسى (قعود) جلوس حين احرقهم الله بالنار (وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود) حضور ويقال كانوا يشهدون على المؤمنين ان هؤلاء قوم ضلال

فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا واجلسه فى سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس وتصلبنى وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فمات فآمن الناس وقالوا آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى يااماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وعن على رضى الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذونواس اليهودى من حمير فاحرق فى الاخاديد

ارمنى به فانك ان فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فأتى الملك فقيل له ارأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فامر بالاخدود فى افواه السكك فخدت واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ففعلوا ذلك حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبرى ولاتقاعسى فانك على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم * وفى هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب فى مصلحة ترجع الى الدين وفيه انقاذ النفس من الهلاك * والاكمه هو الذى خلق اعمى * والميشار بالياء وتخفيف الهمزة وروى بالنون * وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه * ورجف تحرك واضطرب * والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة * وانكفأت انقلبت * والصعيد هنا الارض البارزة * والسكك الطرق * والاخدود الشق العظيم فى الارض * واقحموه اى ارموه فيها * وتقاعست اى تأخرت وكرهت الدخول فى النار وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل بن شراحيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبدالله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فاجابوه فسار اليه ذونواس اليهودى بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخدود وحرق اثنى عشر الفا ثم غلب رياط على اليمن فخرج ذونواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبدالله بن ابى بكر ان خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبدالله بن

فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذره فخد اخدودا وملأها نارا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبى ياأماه اصبرى فانك على الحق فالقى الصبى وامه فيها

الخد وهو الشق فى الارض ونحوها بناء ومعنى الحق والاحقوق روى مرفوعا ان
ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريقه راهب فمال
قلبه اليه فرأى فى طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم
ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ
الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس الملك فابرأه فسأله الملك عن ابرائه
فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه واذا
رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكا ذلك
الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسنى اهلى واذا خشيت اهلك فقل
حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذاتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم
اعلم الراهب افضل ام الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك
من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى
الراهب فاخبره فقال له الراهب اى بنى انت افضل منى قد بلغ من امرك ما ارى
وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوى
الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فاتاه بهدايا كثيرة فقال
ماههنا لك اجمع ان انت شفيتنى قال انى لااشفى احدا انما يشفى الله عز وجل فان
آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن به فشفاه الله عز وجل فاتى الملك فجلس
اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربى فقال اولك رب
غيرى قال ربى وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيئ بالغلام فقال
له الملك اى بنى انه قد بلغ من سحرك ماتبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال انى
لااشفى احدا انما يشفى الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيئ
بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالميشار فوضع الميشار فى مفرق رأسه
فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيئ بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا
بالميشار فوضع الميشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيئ بالغلام فقيل له
ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا
وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به
فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى
الى الملك فقال له الملك مافعل اصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال
اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به
فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له
الملك مافعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل
ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع نخل
ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم

عظيم فى الارض روى عن
النبى صلى الله عليه وسلم
انه كان لبعض الملوك ساحر
فلما كبر ضم اليه غلاما
ليعلمه السحر وكان فى
طريق الغلام راهب فسمع
منه فرأى فى طريقه ذات
يوم دابة قد حبست الناس
فاخذ حجرا فقال اللهم ان
كان الراهب احب اليك
من الساحر فاقتلها فقتلها
فكان الغلام بعد ذلك
يبرئ الاكمه والابرص
وعمى جليس للملك فابراه
فابصره الملك فسأله من رد
عليك بصرك فقال ربى
فغضب فعذبه فدل على
الغلام فعذبه فدل على
الراهب فلم يرجع الراهب
عن دينه فقد بالمنشار وابى
الغلام فذهب به الى جبل
ليطرح من ذروته فدعا

(واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) اى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود فيه ما فى ذلك اليوم من الـ[illegible] بروج[illegible] عجائبه وطريق تنكيرهما [illegible] فى قوله علمت نفس [illegible] حضرت كانه قيل [illegible] فرطت كثرته من شاهد ومشهود وا[illegible] للابهام فى الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد كثرت اقوال المفسرين فيهما فقيل محمد ويوم القيامة اوعيسى وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم او امة محمد وسائر الامم او الحجر الاسود والحجيج او الايام والليالى وبنو آدم للحديث مامن يوم الا وينادى انا يوم جديد وعلى ما يفعل فى شهيد فاغتنمنى ولو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة او الحفظة وبنو آدم اوالله تعالى والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا او الانبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه (قتل اصحاب الاخدود) اى لعن كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعنى كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود وهو جمع خد اى شق

(واليوم الموعود) وهو يوم القيامة (وشاهد) وهو يوم الجمعة (ومشهود) وهو يوم عرفة ويقال يوم النحر ويقال شاهد بنو آدم ومشهود هو يوم القيامة ويقال شاهد محمد عليه السلام ومشهود امته اقسم الله بهؤلاء الاشياء ان بطش ربك عذاب ربك لشديد لمن لا يؤمن به (قتل اصحاب الاخدود

السيارات وتكون فيها الثوابت اومنازل القمر اوعظام الكواكب سميت بروجا لظهورها اوابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور ﴿ واليوم الموعود ﴾ يوم القيامة ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما اوللمبالغة فى الكثرة كانه قيل ما فرطت كثرته من شاهد ومشهود اوالنبى عليه الصلاة والسلام وامته اوامته وسائر الامم اوكل نبى وامته اوالخالق والخلق اوعكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده اوالملك الحفيظ والمكلف اويوم النحر اوعرفة والحجيج اويوم الجمعة والمجمع فانه يشهدله اوكل يوم واهله ﴿ قتل اصحاب الاخدود ﴾ قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعنى كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود

والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها ﴿ واليوم الموعود ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ماطلعت الشمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله ولا يستعيذ من شر الا اعاذه الله منه اخرجه الترمذى وضعف احد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة و[illegible] حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود اى عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود اى عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اقسام اقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قوله تعالى ﴿ قتل اصحاب الاخدود ﴾ اى لعن وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل فى الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك انى قد كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه

(بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث والقرآن (والله اعلم بما يوعون) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم او بما يجمعون فى صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب (فبشرهم بعذاب اليم) خبرهم خبرا يظهر اثره على بشرتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع (لهم اجر غير

ممنون) اى غير مقطوع او غير منقوص والله اعلم

قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسجد فيها ﴿ بل الذين كفروا يكذبون ﴾ اى بالقرآن ﴿ والله اعلم بما يوعون ﴾ بما يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة ﴿ فبشرهم بعذاب اليم ﴾ استهزاء بهم ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم ﴿ لهم اجر غير ممنون ﴾ مقطوع او ممنون به عليهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانشقاق اعاذه الله ان يعطيه كتابه من وراء ظهره

﴿ سورة البروج مكية وآيها ثنتان وعشرون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والسماء ذات البروج ﴾ يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها

فلا ازال اسجد فيها حتى القاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك و اذا السماء انشقت ﴿ بل الذين كفروا يكذبون ﴾ يعنى بالقرآن والبعث ﴿ والله اعلم بما يوعون ﴾ يعنى يجمعون فى صدورهم من التكذيب ﴿ فبشرهم بعذاب اليم ﴾ يعنى على عنادهم وكفرهم ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ﴾ يعنى غير مقطوع ولا منقوص فى الآخرة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة البروج وهى مكية واثنتان وعشرون آية ومائة وتسع ﴾

﴿ كلمات واربعمائة وخمسة وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ يعنى البروج الاثنى عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة البارى جل جلاله وهو سير الشمس والقمر

﴿ سورة البروج مكية وهى اثنتان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء ذات البروج) هى البروج الاثنا عشر وقيل النجوم او عظام الكواكب

(بل الذين كفروا) كفار مكة ومن لم يؤمن من بنى عبد ياليل (يكذبون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (والله اعلم بما يوعون) بما يقولون ويعملون ويقال بما يجمعون ويضمرون فى قلوبهم (فبشرهم) يا محمد من لا يؤمن به (بعذاب اليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم يوم بدر وفى الآخرة ثم استثنى فى الذين آمنوا فقال (الا الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (لهم اجر) ثواب فى الجنة (غير ممنون) غير منقوص ولا مكدر ويقال لا يمنون بذلك ويقال لا ينقص من حسناتهم بعد الهرم والموت ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها البروج وهى كلها مكية آياتها عشرون واثنتان وكلماتها مائة وتسع كلمات وحروفها اربعمائة وثمانية وثلاثون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والسماء ذات البروج) يقول اقسم الله بالسماء ذات البروج ويقال ذات القصور اثنا عشر قصرا بين السماء والارض يعلم الله ذلك (والكواكب)

(طبقا عن طبق) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها فى الشدة والهول والطبق ماطابق غيره يقال ماهذا بطبق لذا اى لايطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز ان يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات اى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات فى الشدة بعضها ارفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة واهوالها ومحل عن طبق نصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير فى لتركبن اى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق وقال مكحول فى كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه وبفتح الباء مكى وعلى وحمزة والخطاب له عليه السلام اى طبقا من طباق السماء بعد طبق اى فى المعراج (فمالهم لايؤمنون) فمالهم فى ان لا يؤمنوا (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) لايخضعون

طبقا عن طبق ﴾ حالا بعد حال مطابقة لاختها فى الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب وهى الموت ومواطن القيامة واهوالها وهى وماقبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له ﴿ فمالهم لايؤمنون ﴾ بيوم القيامة ﴿ واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون ﴾ لايخضعون او لايسجدون لتلاوته لماروى انه عليه الصلاة والسلام

لتركبن يا محمد ﴿ طبقا عن طبق ﴾ يعنى سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة اسرى به فاصعده سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة فى القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال (خ) عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا لنبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم فى كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن ايها الناس حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك فى موقف القيامة تتقلب بهم الاحوال فيصيرون فى الآخرة على غير الحال التى كانوا عليها فى الدنيا وقال ابن عباس يعنى الشدائد واهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم واحوالهم شبرا بعد شبر وذراعا بعد ذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل معنى الآية انه اراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى اخرى ﴿ فمالهم لا يؤمنون ﴾ يعنى بالبعث والحساب وهو استفهام انكار ﴿ واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون ﴾ يعنى لايصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل اراد به سجود التلاوة ٥ وهذه السجدة احد سجدات القرآن عند الشافعى ومن وافقه (ق) عن رافع قال صليت مع ابى هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ماهذه قال سجدت بها خلف ابى القاسم صلى الله عليه وسلم

تحوان جملة الخلق (طبقا عن طبق) حالا بعد حال من حين خلقهم الى ان يموتوا ومن حين موتهم الى ان يدخلوا الجنة او النار يحولهم الله من حال الى حال ويقال لتركبن يا محمد لتصعدن طبقا عن طبق يقول من سماء الى سماء ليلة المعراج ان قرأت بنصب الباء ويقال ليركبن هذا المكذب طبقا عن طبق حالا (قا وخا ٦١ س) بعد حال من حين يموت الى ان يدخل النار ان قرأت بالياء ونصبت الباء (فمالهم) لكفار مكة ويقال لبنى عبد ياليل الثقفى وكانوا ثلاثة مسعود وحبيب وربيعة فاسلم منهم حبيب وربيعة بعد ذلك (لا يؤمنون) بمحمد عليه السلام والقرآن (واذا قرئ عليهم) واذا قرأ عليهم محمد عليه السلام (القرآن) بالامر والنهى (لايسجدون) لايخضعون لله بالتوحيد

(فسوف يدعو ثبورا) يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك (ويصلى) عراقى غير على (سعيرا) اى ويدخل جهنم (انه كان) فى الدنيا (فى اهله) معهم (مسرورا) بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفى مراتع هواه راتعا (انه ظن ان لن يحور) لن يرجع الى ربه تكذيبا بالبعث قال ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت تفسيره حتى سمعت اعرابية تقول لبنتها حورى اى ارجعى (بلى) ايجاب لما بعد النفى فى لن يحور اى بلى ليحورن (ان ربه كان به) وباعماله (بصيرا) لا يخفى عليه فلابد ان يرجعه ويجازيه عليها (فلا اقسم بالشفق) فاقسم بالبياض بعد الحمرة او الحمرة (والليل وما وسق) جمع وضم والمراد ماجمعه من الظلمة والنجم او ما عمل فيه من التهجد وغيره (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا افتعل من الوسق (لتركبن) ايها الناس على ارادة الجنس

يسره وراء ظهره ﴿ فسوف يدعو ثبورا ﴾ يتمنى الثبور ويقول ياثبوراه وهو الهلاك ﴿ ويصلى سعيرا ﴾ وقرأ الحجازيان والشامى والكسائى ويصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه جهنم ﴿ انه كان فى اهله ﴾ فى الدنيا ﴿ مسرورا ﴾ بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة ﴿ انه ظن ان لن يحور ﴾ لن يرجع الى الله تعالى ﴿ بلى ﴾ ايجاب لما بعد لن ﴿ ان ربه كان به بصيرا ﴾ عالما باعماله فلايهمله بل يرجعه ويجازيه ﴿ فلااقسم بالشفق ﴾ الحمرة التى ترى فى افق المغرب بعد الغروب وعن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه البياض الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة ﴿ والليل وما وسق ﴾ وماجمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال * مستوسقات لو يجدن سائقا * اوطرده الى اماكنه من الوسيقة ﴿ والقمر اذا اتسق ﴾ اجتمع وتم بدرا ﴿ لتركبن

﴿ فسوف يدعو ثبورا ﴾ يعنى عند اعطاء كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم انه من اهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول ياويلاه ياثبوراه ﴿ ويصلى سعيرا ﴾ اى ويقاسى التهاب النار وحرها ﴿ انه كان فى اهله ﴾ يعنى فى الدنيا ﴿ مسرورا ﴾ يعنى باتباع هواه وركوب شهواته ﴿ انه ظن ان لن يحور ﴾ اى لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع ﴿ بلى ﴾ اى ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويبعث ويحاسب ﴿ ان ربه كان به بصيرا ﴾ اى من يوم خلقه الى ان يبعثه * قوله عز وجل ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ تقدم الكلام فى تفسير لا اقسم فى سورة القيامة واما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته فى ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو مابقى من النهار وقال ابن عباس واكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذى يعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابى حنيفة ﴿ والليل وما وسق ﴾ اى جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شئ الى مأواه وقيل وماعمل فيه ويحتمل ان يكون ذلك تهجد العباد فيجوز ان يقسم به ﴿ والقمر اذا اتسق ﴾ اى اجتمع وتم نوره وذلك فى الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى ﴿ لتركبن ﴾ قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى

اخو ابى سلمة (فسوف يدعو ثبورا) يقول واويلاه واثبوراه (ويصلى سعيرا) يدخل نارا وقودا (انه كان فى اهله مسرورا) بهم (انه ظن) حسب (ان لن يحور) يعنى ان لن يرجع الى ربه فى الآخرة وهو بلسان الحبشة يحور يرجع (بلى) ليحورن الى ربه فى الآخرة (ان ربه كان به) من يوم خلقه (بصيرا) عالما بان يبعثه بعد الموت (فلا اقسم) يقول اقسم (بالشفق) وهو حمرة المغرب بعد غروب الشمس (والليل وما وسق) واقسم بالليل وما وسق جمع ورجع الى وطنه اذا جن الليل (والقمر اذا اتسق) واقسم بالقمر اذا اجتمع وتكامل ثلاث ليال ليلة ثلاث عشرة وليلة اربع عشرة وليلة خمس عشرة (لتركبن)

مادل عليه فملاقيه اى اذاالسماء انشقت لاقى الانسان كدحه (ياايها الانسان) خطاب للجنس (انك كادح الى ربك كدحا) جاهد الى لقاء ربك وهوالموت ومابعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) الضمير للكدح وهو جهد النفس فى العمل والكد فيه حتى يؤثر فيهـا والمراد جزاء الكدح ان خـيرا فخير وان شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتـاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله (فاما من اوتى كتابه بيمينه) اى كتاب عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا هينا وهو ان يجازى على الحسـنات ويتجاوز عن السيآت وفى الحديث من حاسب يعذب فقيل فأين قوله فسوف يحاسب حسـابا يسـيرا قال ذلكم العرض ومن نوقش فى الحساب عذب (وينقلب الى اهـله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين او الى اهله فى الجنة من الحور العين (مسرورا) فرحا (واما من أوتى كتابه وراء ظهره) قيل تغـل يمناه الى عنقه وتجعل شمـاله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشمـاله من وراء ظهره

(ياايهاالانسـان) وهو الكافر ابو الاسـود بن كلدة بن اسيد بن خلف (انك كادح) يقـول عامل عمـلا فى كفرك فترجع بذلك (الى ربك كدحا) فى الآخرة ويقال سـاع سـعيا (فملاقيه) عملك من خير اوشر (فأمامن اوتى) اعطى (كتابه) كتاب حسناته (بيمينه) وهو ابو سلمة بن عبدالاسد (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) هينا وهوالعرض (وينقلب) يرجع فى الآخرة (الى اهله) الذى اعدالله له فى الجنة (مسرورا) بهم (واما من اوتى كتابه) اعطى كتاب سـيئاته (وراء ظهره) خلف ظهره بشماله وهوالاسود بن عبدالاسـد

اذالاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر فى سورتى التكوير والانفطار اولدلالة قوله ﴿ ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ﴾ عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذ خدشـه او فملاقيه و ياايها الانسـان انك كادح الى ربك كدحا اعتراض والكدح اليه السعى الى لقـاء جزائه ﴿ فامامن اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسـابا يسيرا ﴾ سهلا لايناقش فيه ﴿ وينقلب الى اهله مسرورا ﴾ الى عشيرته المؤمنين اوفريق المؤمنين اواهله فى الجنة من الحور ﴿ واما من اوتى كتابه وراء ظهره ﴾ اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل

جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان الثواب اوالعقاب وقيل جوابه ياايهاالانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السماء لقى كل كادح ماعمله وقيل جوابه واذنت وحينئذ تكون الواو زائدة ﴿ ياايهاالانسـان انك كادح الى ربك كدحا ﴾ اى ساع اليه فى عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده فى الامرين الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح فى لقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك تكدح فى دنياك كدحا تصير به الى ربك ﴿ فملاقيه ﴾ اى فملاق جزاء عملك خيرا كان او شرا وقيل فملاق ربك ﴿ فامامن أوتى كتابه بيمينه ﴾ يعنى ديوان عمله ﴿فسوف يحاسب حسابايسيرا ﴾ سوف من الله واجب والحساب اليسير هو ان تعرض عليه اعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوزله عن المعصية فهذا هوالحساب اليسير لانه لاشدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولايقال له لمفعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن ابى ملكية ان عائشة كانت لاتسمع شيأ لاتعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبى صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عـذب قالت فقلت اوليس يقول الله عز وجل فسـوف يحاسب حسابايسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب ﴿ وينقلب الى اهله ﴾ يعنى فى الجنة من الحورالعين والآدميات ﴿ مسرورا ﴾ اى بمـا اوتى من الخير والكرامة ﴿ واما من أوتى كتـابه وراء ظهره ﴾ يعنى انه تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه

ماكانوا يفعلون) هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا اذا فعل بهم ماذكر والله اعلم ﴿سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا السماء انشقت) تصدعت وتشققت (وأذنت لربها) سمعت واطاعت واجابت ربها الى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقت) وحق لها ان تسمع وتطيع لامر الله اذ هى مصنوعة مربوبة لله تعالى

(واذا الارض مدت) بسطت وسويت باندكاك جبالها

﴿ماكانوا يفعلون﴾ وقرأ حمزة والكسائى بادغام اللام فى التاء * قال النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

﴿سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اذا السماء انشقت﴾ بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة ﴿واذنت لربها﴾ واستمعت له اى انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى يأذن للآمر ويذعن له ﴿وحقت﴾ اى وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق ﴿واذا الارض مدت﴾ بسطت بان تزال جبالها وآكامها ﴿والقت ما فيها﴾ ما فى جوفها من الكنوز والاموات ﴿وتخلت﴾ وتكلفت فى الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها ﴿واذنت لربها﴾ فى الالقاء والتخلية ﴿وحقت﴾ للاذن وتكرير

﴿ماكانوا يفعلون﴾ اى بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب واثيب بمعنى قال اوس

سأجزيك اوبجزيك عنى مثوب * وحسبك ان يثنى عليك وتحمدى

والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة الانشقاق وهى مكية وخمس وعشرون آية ومائة﴾

﴿وسبع كلمات واربعمائة وثلاثون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿اذا السماء انشقت﴾ يعنى عند قيام الساعة وهى من علاماتها ﴿واذنت لربها﴾ اى سمعت امر ربها بالانشقاق واطاعته من الاذن وهو الاستماع ﴿وحقت﴾ اى حق لها ان تطيع امر ربها ﴿واذا الارض مدت﴾ يعنى مد الاديم العكاظى وزيد فى سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل ﴿والقت ما فيها﴾ اى اخرجت مافى بطنها من الموتى والكنوز ﴿وتخلت﴾ اى من ذلك الذى كان فى بطنها من الموتى والكنوز ﴿واذنت لربها وحقت﴾ واختلفوا فى جواب اذا فقيل

وكل مت فيها (والقت مافيها) ورمت مافى جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شئ فى باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها فى الخلو يقال تكرم الكريم اذ ابلغ جهده فى الكرم وتكلف فوق مافى طبعه (واذنت لربها) فى القاء مافى بطنها وتخليها (وحقت) وهى حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم بمثله من سورة التكوير والانفطار وجوابه

(ماكانوا يفعلون) الا بما كانوا يعملون ويقولون فى الدنيا ﴿ومن السورة التى يذكر فيها الانشقاق وهى كلها مكية آياتها ثلاث وعشرون وكلماتها مائة وتسع وحروفها سبعمائة وثلاثون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اذا السماء انشقت) يقول انشقت بالغمام والغمام مثل السحاب الابيض لنزول الرب بلا كيف والملائكة ومايشاء من امره (واذنت) سمعت واطاعت (لربها وحقت) حق لها ان تفعل (واذا الارض مدت) مد الاديم العكاظى وبسطت ويقال نزعت من اماكنها وسويت (والقت ما فيها) من الاموات والكنوز (وتخلت) عن ذلك فصارت خالية من ذلك (واذنت) سمعت واطاعت (لربها وحقت) وحق لها ذلك (جوابه)

طعنا فيهم وعيبا لهم قيل جاء علي رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا اترون هذا الاصلع فنزلت قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى اهلهم) اي اذا رجع الكفار منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم وقرأ غير حفص فاكهين اي فرحين (واذا رأوهم) و اذا رأى الكافرون المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون) اي خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه في الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقية بالخيال وهذا هو عين الضلال (وما أرسلوا) وما ارسل الكفار (عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم احوالهم ويرقبون اعمالهم بل امروا باصلاح انفسهم فاشتغالهم بذلك اولى بهم من تتبع غيرهم وتسفية احلامهم (فاليوم) اي يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ثم كما ضحكوا منهم هنا مجازاة (على الارائك ينظرون) حال اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح باب للكفار الى الجنة فيقال لهم هلموا الى الجنة فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (هل ثوب الكفار

يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم ﴿واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين﴾ ملتذذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين ﴿واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون﴾ واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال ﴿وما ارسلوا عليهم﴾ على المؤمنين ﴿حافظين﴾ يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليه اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم ﴿على الارائك ينظرون﴾ حال من يضحكون ﴿هل ثوب الكفار﴾ اي هل اثيبوا

الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم ﴿واذا انقلبوا الى اهلهم﴾ يعني الكفار ﴿انقلبوا فكهين﴾ اي معجبين بما هم فيه وقيل يتفكهون بذكرهم كانهم يتفكهون بحديثهم ﴿واذا رأوهم﴾ يعني رأوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قالوا ان هؤلاء لضالون﴾ اي هم في ضلال يأتون محمدا ويرون انهم على شيء قال الله عز وجل ﴿وما ارسلوا﴾ يعني المشركين ﴿عليهم﴾ يعني على المؤمنين ﴿حافظين﴾ اي لاعمالهم والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم * قوله عز وجل ﴿فاليوم﴾ يعني في الآخرة ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما افضوا الى الآخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون في السرور والنعيم وصار الكفار في العذاب والبلاء فضحك المؤمنون من الكافرين لما رأوا حالهم وقال ابو صالح تفتح للكافرين ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدوه في الدنيا من الكفار اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴿على الارائك﴾ جمع اريكة هو السرير ويتخذ في الحجلة وهي الكلة يزين بها لبيت وارائك الجنة من الدر والياقوت ﴿ينظرون﴾ يعني اليهم وهم في النار يعذبون قال الله تعالى ﴿هل ثوب الكفار﴾ اي جوزي الكفار

(واذا انقلبوا) واذا رجع الكفار (الى اهلهم انقلبوا) رجعوا (فكهين) معجبين بشركهم واستهزائهم على المؤمنين (واذا رأوهم) اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعني الكفار (ان هؤلاء) اصحاب النبي عليه السلام (لضالون) عن الهدى (وما ارسلوا عليهم) ما سلطوا على المؤمنين (حافظين) لهم ولاعمالهم (فاليوم) وهو يوم القيامة (الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن وهو علي واصحابه (من الكفار) على الكفار (يضحكون على الارائك) على السرر في الحجال (ينظرون) الى اهل النار يسحبون في النار (هل ثوب الكفار) هل جوزي الكفار في الآخرة

ختامه مسك) تختم اوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا امر الله تعالى بالختم عليه اكراما لاصحابه اوختامه مسك مقطعه رائحة مسك اى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه خاتمه على (وفى ذلك) الرحيق اوالنعيم (فليتنافس

فليرغب الراغبون وذا انما يكون بالمسارعة الى الخيرات والانتهاء عن السيآت (ومزاجه) ومزاج الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها ارفع شراب فى الجنة اولانها تأتيهم من فوق وتنصب فى اوانيهم (عينا) حال أو نصب على المدح (يشرب بها) اى منها (المقربون) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم يشربها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين (ان الذين اجرموا) كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فى الدنيا استهزاء بهم (واذا مروا بهم يتغامزون) يشير بعضهم الى بعض بالعين

(ختامه) عاقبته (مسك وفى ذلك) فيما ذكرت فى الجنة (فليتنافس المتنافسون) فليعمل العاملون وليجتهد المجتهدون وليبادر المبادرون وليباذل المباذلون (ومزاجه) خالطه (من تسنيم عينا) يصب عليهم من جنة عدن (يشرب بها) منها من عين التسنيم (المقربون) الى جنة عدن صرفا ؛ {الاشارة} بلا خالط (ان الذين اجرموا) اشركوا ابوجهل واصحابه (كانوا من الذين آمنوا) على الذين آمنوا على واصحابه (يضحكون) يهزؤن ويسخرون (واذا مروا بهم) بالكفار يأتون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتغامزون) يطعنون

ختامه مسك ﴾ اى مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته اوالذى له ختام اى مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء اى ما يختم به ويقطع ﴿ وفى ذلك ﴾ يعنى الرحيق اوالنعيم ﴿ فليتنافس المتنافسون ﴾ فليرتقب المرتقبون ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها ﴿ عينا يشرب بها المقربون ﴾ فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح اوالحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله ﴿ ان الذين اجرموا ﴾ يعنى رؤساء قريش ﴿ كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴾ كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين ﴿ واذا مروا بهم يتغامزون ﴾

الى ان يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار من خمر والنهر لايختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت يحتمل ان يكون المذكور فى هذه الآية فى اوان مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها ﴿ ختامه مسك ﴾ اى طينته التى ختم عليه بها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اى ممزوج ختامه اى آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ اى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل اصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اى يضن ويبخل ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ اى شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء مسنما فيصب فى اوانى اهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت امسك واصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من اشرف شراب اهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين ﴿ عينا يشرب بها ﴾ اى منها وقيل يشربها ﴿ المقربون ﴾ اى صرفا * وقوله عز وجل ﴿ ان الذين اجرموا ﴾ اى اشركوا يعنى كفار قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واصحابهم من مترفى اهل مكة ﴿ كانوا من الذين آمنوا ﴾ اى من عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقراء المؤمنين ﴿ يضحكون ﴾ اى منهم ويستهزؤن بهم ﴿ واذا مروا بهم ﴾ يعنى مر المؤمنون الفقراء بالكفار الاغنياء ﴿ يتغامزون ﴾ يعنى يتغامز الكفار والغمز

العذاب هو الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا وتنكرون وقوعه (كلا) ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار) ما كتب من اعمالهم والابرار المطيعون الذين لايطففون ويؤمنون بالبعث لانه ذكر فى مقابلة الفجار وبين الفجار بانهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذى لايؤذى الذر (لفى عليين) هو علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمى به لانه سبب الارتفاع الى اعلى الدرجات فى الجنة اولانه مرفوع فى السماء السابعة حيث تسكن الكروبيون تكريما له (وما أدراك) ما الذى اعلمك يا محمد (ماعليون) اى شئ هو (كتاب مرقوم يشهده المقربون) تحضره الملائكة قيل يشهد عمل الابرار مقربو كل سماء اذا رفع (ان الابرار لفى نعيم) تنعم فى الجنان (على الارائك) الاسرة فى الحجال (ينظرون) الى كرامة الله ونعمه والى اعدائهم كيف يعذبون (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وطراوته (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم

يقول لهم الزبانية ﴿كلا﴾ تكرير الاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر اوردع عن التكذيب ﴿ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم﴾ الكلام فيه ما مر فى نظيره ﴿يشهده المقربون﴾ يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيامة ﴿ان الابرار لفى نعيم على الارائك﴾ على الاسرة فى الحجال ﴿ينظرون﴾ الى ما يسرهم من النعيم والمتفرجات ﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾ بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع ﴿يسقون من رحيق﴾ شراب خالص ﴿مختوم

﴿كلا﴾ اى ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا اى لايؤمنون بالعذاب الذى يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى ﴿ان كتاب الابرار لفى عليين﴾ جمع على من العلو وقيل هو موضوع على صفة الجمع لاواحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين فى السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس فى رواية عنه هى الجنة وقيل هى سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هى مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله واعلاها ﴿وما ادراك ماعليون﴾ تنبيها له على عظم شأنه ﴿كتاب مرقوم﴾ ليس تفسيرا لعليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم فى عليين فيه ما اعد الله لهم فى الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه اعمالهم وعليون محل الملائكة وضده سجين وهو محل ابليس وجنوده ﴿يشهده المقربون﴾ يعنى الملائكة الذين هم فى عليين يشهدون اى يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن * قوله تعالى ﴿ان الابرار﴾ يعنى المطيعين لله ﴿لفى نعيم﴾ يعنى نعيم الجنة ﴿على الارائك﴾ جمع اريكة وهى الاسرة فى الحجال ﴿ينظرون﴾ اى الى ما اعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى اعدائهم كيف يعذبون فى النار وقيل ينظرون الى ربهم سبحانه وتعالى ﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾ يعنى انك اذا رأيتهم تعرف انهم من اهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النضرة فى الوجه والسرور فى القلب ﴿يسقون من رحيق﴾ يعنى الخمر الصافية الطيبة البيضاء ﴿مختوم﴾ يعنى ختم على ذلك الشراب ومنع من ان تمسه الايدى

لايكون (كلا) حقا يا محمد (ان كتاب الابرار) اعمال الصادقين فى ايمانهم (لفى عليين وما ادراك) يا محمد (ما عليون) ما فى عليين (كتاب مرقوم) يقول اعمال الابرار مكتوبة فى لوح من زبرجدة خضراء فوق السماء السابعة تحت عرش الرحمن وهو عليون (يشهده المقربون) مقربو اهل كل سماء اعمال الابرار (ان الابرار) الصادقين فى ايمانهم وهم الذين لايؤذون الذر (لفى نعيم) فى جنة دائم نعيمها (على الارائك) على السرر فى الحجال (ينظرون) الى اهل النار (تعرف) يا محمد (فى وجوههم) وجوه اهل الجنة (نضرة النعيم) حسن النعيم (يسقون) فى الجنة (من رحيق) من خمر (مختوم) ممزوج

يسود القلب وعن الضحاك الرين موت القلب وعن ابى سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما ادمان الصوم فان وجد بعد ذلك قسوة ردع عن الكسب الرائن على القلب

وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيهـا حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر بل رين بالامالة ﴿ كلا ﴾ ردع عن الكسب الرائن ﴿ انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك اوقدر مضافا مثل رحمة ربهم اوقرب ربهم ﴿ ثم انهم لصالوا الجحيم ﴾ ليدخلون النار ويصلونها ﴿ ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون ﴾

وقال حديث حسن صحيح واصل الران الغلبة ومعنى الآية ان الذنوب والمعاصى غلبت على قلوبهم واحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع الله على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب شئ كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب ﴿ كلا ﴾ قال ابن عباس يريد لايصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم فى الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى ﴿ انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف اما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثانى فان من حجب عن الله فان الله لاينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذى ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من اثبت الرؤية للمؤمنين قالوا لولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب فى معرض الوعيد والتهديد للكفار ومايكون وعيدا وتهديدا للكفار لايجوز حصوله فى حق المؤمنين فوجب ان لايحصل هذا الحجاب فى حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لايرون ربهم فى المعاد لزهقت انفسهم فى الدنيا وقيل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب الله اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقال الشافعى فى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم اخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال عز من قائل ﴿ ثم انهم لصالوا الجحيم ﴾ اى لداخلو النار ﴿ ثم يقال ﴾ اى تقول لهم الخزنة ﴿ هذا ﴾ اى هذا العذاب ﴿ الذى كنتم به تكذبون ﴾ يعنى فى الدنيا

(انهم عن ربهم) عن رؤية ربهم (يومئذ لمحجوبون) لممنوعون والحجب المنع قال الزجاج فى الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم والالايكون التخصيص مفيدا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته وقال مالك ابن انس رحمه الله لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة ربهم لانهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة والاول اصح لان الرؤية اقوى الكرامات والحجب عنها دليل الحجب عن غيرها (ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) اى هذا

ويعملون فى الشرك (كلا) حقا يا محمد (انهم) يعنى المكذبين بيوم الدين (عن ربهم) عن النظر الى ربهم (يومئذ) يوم القيامة (لمحجوبون) لممنوعون والمؤمنون لايحجبون عن النظر الى ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) لداخلوا النار (ثم يقال) يقول لهم الزبانية اذا دخلوا فيها (هذا الذى كنتم به) هذا العذاب هو الذى كنتم به فى الدنيا (تكذبون) انه (كلا)

وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فامعناه قات سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين والكفرة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لاخير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى انما كتب من اعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم اولانه مطروح تحت الارض السابعة فى مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته وهو اسم عام منقول من وصف كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب (ويل يومئذ) يوم يخرج المكتوب (للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) الجزاء والحساب (ومايكذب به) بذلك اليوم (الا كل معتد) مجاوز للحد (أثيم) مكتسب للاثم (اذاتتلى عليه آياتنا) اى القرآن (قال اساطير الاولين) اى احاديث المتقدمين وقال الزجاج اساطير اباطيل واحدها اسطورة مثل احدوثة واحاديث (كلا) ردع للمعتد الاثيم عن هذا القول (بل) نفى لما قالوا ويقف حفص على بل وقيفة (ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) غطاها كسبهم اى غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصى وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى

الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لاخير فيه فعيل من السجن اقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل انه تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم مكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بالحق او بذلك ﴿ الذين يكذبون بيوم الدين ﴾ صفة مخصصة او موضحة اوذامة ﴿ وما يكذب به الا كل معتد ﴾ متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة ﴿ اثيم ﴾ منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها ﴿ اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ﴾ من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل ﴿ كلا ﴾ ردع عن هذا القول ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ رد لما قالوه

تفسيرا للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور فى قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم اى مكتوب فيه اعمالهم مثبتة عليهم كالرقم فى الثوب لاينسى ولايمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه عام بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اى مختوم وهو بلغة حمير ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم بالشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اى فى ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة ﴿ الذين يكذبون بيوم الدين ﴾ اى بيوم القيامة لانه يوم الجزاء ﴿ ومايكذب به ﴾ اى بيوم القيامة ﴿ الا كل معتد ﴾ اى متجاوز عن نهج الحق ﴿ أثيم ﴾ هومبالغة فى الاثم وهو المرتكب الاثم والمعاصى ﴿ اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ﴾ اى اكاذيب الاولين * قوله عز وجل ﴿ كلا ﴾ اى لايؤمن ثم استأنف فقال ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذى قال الله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخرجه الترمذى

(ويل) شدة العذاب (يومئذ) ﴿ قا وخا ٦٠ س ﴾ يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (الذين يكذبون بيوم الدين) بيوم الحساب والقضاء فيه (ومايكذب به) بيوم الدين (الا كل معتد) عن الحق غشوم ظلوم (اثيم) فاجر مثل الوليد بن المغيرة المخزومى (اذاتتلى) تقرأ (عليه) على الوليد بن المغيرة (آياتنا) القرآن بالامر والنهى (قال اساطير الاولين) هذه احاديث الاولين فى دهرهم وكذبهم (كلا) حقا يا محمد (بل ران) بل طبع الله (على قلوبهم) على قلوب المكذبين بيوم الدين ويقال الذنب على الذنب حتى يسود القلب وهو رين القلب (ما كانوا يكسبون) بما كانوا يقولون

مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا انهم يبعثون ما نقصوا فى الكيل والوزن وعن عبدالملك بن مروان
ان اعرابيا قال له قد سمعت اراد بذلك ان المطفف قد توجه

مايكون فيه ﴿ يوم يقوم الناس ﴾ نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر ﴿ لرب العالمين ﴾ لحكمه وفى هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه ﴿ كلا ﴾ ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ﴿ ان كتاب الفجار ﴾ ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم ﴿ لفى سجين ﴾ كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال ﴿ وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ﴾ اى مسطور بين

﴿ يوم يقوم الناس ﴾ يعنى من قبورهم ﴿ لرب العالمين ﴾ اى لامره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع ان ابن عمر تلا الاية اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم فى رشحه الى انصاف اذنيه وروى مرفوعا (م) عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من رؤس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذى او ميلين قال سليم بن عامر والله ما ادرى ما يعنى بالميل مسافة الارض او الميل ماتكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الى فيه * قوله عز وجل ﴿ كلا ﴾ قيل انه ردع وتنبيه اى ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا ﴿ ان كتاب الفجار ﴾ اى الذى كتبت فيه اعمالهم ﴿ لفى سجين ﴾ قال ابن عمر هى الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروى البغوى باسناد الثعلبى عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرنى عن قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لفى سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس بمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة وقيل هى صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هى آخر سلطان ابليس وجاء فى الحديث الفلق جب فى جهنم مغطى وسجين جب فى جهنم مفتوح وقيل معناه لفى سجين لفى خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفى حبس وضيق شديد ﴿ وما ادراك ما سجين ﴾ اى ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين ﴿ كتاب مرقوم ﴾ ليس هذا

عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ونصب (يوم يقوم الناس) بمبعوثون (لرب العالمين) لامره وجزائه وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها (كلا) ردع وتنبيه اى ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (ان كتاب الفجار) صحائف اعمالهم (لفى سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم) فان قلت قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه فى سجين

هوله وهو يوم القيامة (يوم يقوم الناس) من القبور (لرب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه الارض ومن اهل السماء فلما قرأ عليهم النبى صلى الله عليه وسلم هذه السورة تابوا ورجعوا الى وفاء الكيل والوزن (كلا)
حقا يا محمد (ان كتاب الفجار) اعمال الكفار (لفى سجين وما ادراك) يا محمد (ما سجين) ما فى (تفسيرا)
السجين تعظيما لها (كتاب مرقوم) يقول اعمال بنى آدم مكتوب فى صخرة خضراء تحت الارض السابعة السفلى وهى سجين

(الذين اذا اكتالوا على النـاس يستوفون) اى اذا اخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجـوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الاختصاص اى يستوفون على الناس خاصة وقال الفراء من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ماعليك واذا قال اكتلت منك فكانه قال استوفيت منك والضمير المنصوب فى (واذا كالوهم او وزنوهم) راجع الى

النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الاحبس عنهم القطر ﴿ الذين اذا كتالوا على الناس يستوفون ﴾ اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم ﴿ واذا كالوهم او وزنوهم ﴾ اى اذا كالوا للنـاس او وزنوا لهم ﴿ يخسرون ﴾ فحذف الجار واوصل الفعل كقوله * ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ماقبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لافى المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف فى نظائره ﴿ ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ﴾ فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ﴿ ليوم عظيم ﴾ عظمه لعظم

بالآخر فانزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى ﴿ الذين اذا اكتالوا على النـاس يستوفون ﴾ يعنى انهم اذا اكتـالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اى اشتروا شيأ استوفوا عليهم لانفسهم الكيـل والوزن ﴿ واذا كالوهم او وزنوهم ﴾ يعنى واذا كالوا لهم او وزنوا لهم للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك ﴿ يخسرون ﴾ اى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا و يدفع الى غيره ناقصـا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعـاملات وهى مبنية على امر الكيل والوزن والزرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله اوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعـدل كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة ﴿ ألا يظن ﴾ اى الا يعلم ويستيقن ﴿ أولئك ﴾ اى الذين يفعلون هذا الفعـل وهم المطففون ﴿ انهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾ يعنى يوم القيامة

الناس اى كالوا لهـم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل وانما لم يقل او تزنوا كما قيل او وزنوهم اكتفـاء و يحتمل ان المطففين كانوا لا يأخذون مايكال ويوزن الا بالمكاييل لتمكنهـم بالاكتيـال من الاستيفـاء والسرقة لانهم يدعون و يحتالون فى الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهـم من البخس فى النوعـين (يخسرون) ينقصـون يقال خسر الميزان واخسره (ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظـيم) يعنى يوم القيامة ادخـل همزة الاستفهـام على لا النافية توبيخا وليست الا هذه للتنبيه وفيـه انكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم

فقال (الذين اذا اكتالوا على الناس) اذا اشتروا من الناس وكالوا لانفسهم او وزنوا لانفسهم (يستوفون) يتمون الكيل والوزن جدا (واذا كالوهم) كالوا لغيرهم (ووزنوهم) ووزنوا لغيرهم (يخسرون) ينقصون فى الكيل والوزن ويسيؤن جدا ويقال ويل شدة العذاب يومئذ للمطففين من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من العبادات (ألا يظن) ألا يعلم ويستيقن (اولئك) المطففون بالكيل والوزن (انهم مبعوثون) محيون (ليوم عظيم) شديد

ثم ما ادراك ما يوم الدين) فكرر للتأكيد والتهويل وبينه بقوله (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) اى لاتستطيع دفعا عنها ولانفعا لها بوجه وانما تملك الشفاعة بالاذن يوم بالرفع مكى وبصرى اى هو او بدل من يوم الدين ومن نصب فباضمار اذكر او باضمار يدانون لان الدين يدل عليه (والامر يومئذ لله)

ثم ما ادراك ما يوم الدين﴾ تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اى كنه امره بحيث لايدركه دراية دار ﴿يوم لاتملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله ﴾ تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف

* عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

﴿ سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلاثون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ويل للمطففين ﴾ التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اى حقير روى ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفى الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا

عليه وسلم والمعنى اى شئ اعلمك به لولم نعرفك احواله ﴿ ثم ما ادراك ما يوم الدين ﴾ التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شأنه ﴿ يوم لاتملك نفس لنفس شيأ ﴾ اى لاتملك نفس كافرة لنفس كافرة شيأ من المنفعة ﴿ والامر يومئذ لله ﴾ يعنى انه لم يملك الله فى ذلك احدا شيأ كما ملكهم فى الدنيا والله اعلم

﴿ تفسير سورة المطففين مدنية ﴾

فى قول ومكية فى قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهى من قوله ان الذين أجرموا الى آخرها وقيل فيها آية مكية وهى قوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة زمن الهجرة وهى ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ ويل ﴾ اى قبح وهى كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد فى جهنم ﴿ للمطففين ﴾ يعنى الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لايكاد المطفف يسرق فى الكيل والوزن الا الشئ اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل ويل للمطففين فأحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال

اى الامر لله دون غيره

﴿ سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) مبتدأ خبره (للمطففين) الذين يبخسون حقوق الناس فى الكيل والوزن

(ثم ماادراك) يا محمد (ما يوم الدين) ما يوم الحساب يعجبه بذلك تعظيما له ثم بين له فقال (يوم لاتملك) لاتقدر (نفس) مؤمنة (لنفس) كافرة (شيأ) من النجاة والشفاعة (والامر) الحكم والقضاء بين العباد (يومئذ لله) بيد الله لا يملكه يومئذ غيره ولا ينازعه احد

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها المطففين بين مكة والمدينة نزلت على رسول الله عليه وسلم فى مهاجرته الى المدينة فاستتمت بالمدينة آياتها ست وثلاثون وكلماتها مائة وتسع وستون وحروفها سبعمائة وثلاثون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ويل) شدة العذاب (للمطففين) (بالآخر) بالكيل والوزن وهم اهل المدينة كانوا مسيئين بالكيل والوزن قبل مجئ محمد عليه السلام اليهم فنزلت على النبى صلى الله عليه وسلم فى مسيره بالهجرة الى المدينة هذه السورة ويل شدة العذاب للمطففين المسيئين بالكيل والوزن ثم بينهم

وضعك فى بعض الصور ومكنك فيها او بمحذوف اى ركبك حاصلا فى بعض الصور (كلا) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بل تكذبون بالدين) اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وان عليكم لحافظين) اعمالكم واقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) يعنى انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها (يعلمون ماتفعلون) لايخفى عليهم شئ من اعمالكم وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عندالله من جلائل الامور وفيه انذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين (ان الابرار لفى نعيم) ان المؤمنين لفى نعيم الجنة (وان الفجار لفى جحيم) وان الكفار لفى النار (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) اى لا يخرجون منها كقوله وماهم بخارجين منها ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (ومادراك ما يوم الدين

وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك ﴿كلا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله ﴿بل تكذبون بالدين﴾ اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام ﴿وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عندالله لتعظيم الجزاء ﴿ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم﴾ بيان لما يكتبون لاجله ﴿يصلونها﴾ يقاسون حرها ﴿يوم الدين وماهم عنها بغائبين﴾ لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذا كانوا يجدون سمومها فى القبور ﴿وما ادراك مايوم الدين

من اب اوام او خال او عم وجاء فى الحديث ان النطفة اذا استقرت فى الرحم احضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ فى اى صورة ماشاء ركبك وقيل معناه ان شاء ركبك فى صورة انسان وان شاء فى صورة دابة او حيوان وقيل فى اى صورة ماشاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفى هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى * قوله عز وجل ﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ اى بيوم الحساب والجزاء ﴿وان عليكم لحافظين﴾ يعنى رقباء من الملائكة يحفظون عليكم اعمالكم ﴿كراما﴾ اى على الله ﴿كاتبين﴾ اى يكتبون اقوالكم واعمالكم ﴿يعلمون ماتفعلون﴾ يعنى من خير اوشر * قوله عز وجل ﴿ان الابرار﴾ يعنى الذين بروا وصدقوا فى ايمانهم باداءماافترض الله عليهم واجتناب معاصيه ﴿لفى نعيم﴾ يعنى نعيم الجنة ﴿وان الفجار لفى جحيم﴾ روى ان سليمان بن عبدالملك قال لابى حازم المزنى ليت شعرى مالنا عندالله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم مالك عندالله قال اين اجد ذلك فى كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين ﴿يصلونها يوم الدين﴾ يعنى يوم القيامة لانه يوم الجزاء ﴿وماهم عنها بغائبين﴾ اى عن النار ثم عظم شأن ذلك اليوم فقال تعالى ﴿وماادراك مايوم الدين﴾ قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبى صلى الله

ان شاء شبهك فى صورة الاعمام وصورة الاخوال وان شاء حسنا وان شاء دميما وان شاء صورك فى صورة القردة والخنازير واشباه ذلك (كلا) حقا (بل تكذبون) يامعشر قريش (بالدين) بالحساب والقضاء (وان عليكم لحافظين) من الملائكة يحفظونكم ويحفظون اعمالكم (كراما) هم كرام على الله مسلمون (كاتبين) يكتبون اعمالكم (يعلمون ما تفعلون) وماتقولون من الخير والشر ويكتبون ذلك كله (ان الابرار) الصادقين فى ايمانهم ابابكر واصحابه (لفى نعيم) فى جنة دائم نعيمها (وان الفجار) الكفار كلدة واصحابه (لفى جحيم) فى نار (يصلونها) يدخلونها (يوم الدين) يوم الحساب والقضاء فيه بين الخلائق (وماهم) يعنى الكفار (عنها) عن النار (بغائبين) اذا دخلوا فيها (وماادراك) يامحمد (مايوم الدين) مايوم الحساب

اخرت من الميراث (يا ايها الانسان) قيل الخطاب لمنكرى البعث (ماغرك بربك الكريم الذى خلقك) اى شئ
خدعك حتى ضيعت ماوجب عليك مع كرم ربك حيث انعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل وعنه عليه السلام حين
تلاها غره جهله وعن عمر رضى الله عنه غره حمقه وعن الحسن غره شيطانه

وعن الفضيل لو خوطبت اقول غرتنى ستورك المرخاة وعن يحيى بن معاذ اقول غرنى برك بى سالفا وآنفا (فسواك) فجعلك مستوى الخلق سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود وجعلك معتدل الخلق تمشى قائما لا كالبهائم وبالتخفيف كوفى وهو بمعنى المشدد اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبا (فى اى صورة ماشاء ركبك) ما مزيدة للتوكيد اى ركبك فى اى صورة اقتضتها مشيئته من الصورة المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر ولم يعطف هذه الجملة كما عطف ماقبلها لانها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى

﴿ يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ﴾ اى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ماشئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه ﴿ الذى خلقك فسواك فعدلك ﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما تستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت اوفصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات ﴿ فى اى صورة ماشاء ركبك ﴾ اى ركبك فى اى صورة شاءها

عز وجل ﴿ يا ايها الانسان ماغرك بربك الكريم ﴾ اى ما خدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ماصنعت وضيعت ما اوجب عليك والمعنى ماذا امنك من عقابه قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى ابى الشريق واسمه اسيد بن كلدة وقيل كلدة ابن خلف وكان كافرا ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وانزل الله هذه الاية وقيل الآية عامة فى كل كافر وعاص يقول ماالذى غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة فى اول مرة بربك الكريم اى المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود مامنكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ماغرك بى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله يوم القيامة فيقول لك يا ابن آدم ماغرك بربك الكريم ما ذا كنت تقول قال اقول غرنى ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو اقامنى بين يديه وقال ماغرك بى اقول غرنى برك بى سالفا وآنفا وقال ابو بكر الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه حجته فى الاجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم ﴿ الذى خلقك ﴾ اى اوجدك من العدم الى الوجود ﴿ فسواك ﴾ اى جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر ﴿ فعدلك ﴾ اى عدل خلقك فى مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية ﴿ فى اى صورة ماشاء ركبك ﴾ اى فى اى شبه

اى أدت من طاعة وما اخرت اى ضيعت (يا ايها الانسان) يعنى الكافر كلدة بن اسيد (ما غرك بربك) حين كفرت بربك (الكريم) المتجاوز (الذى خلقك) نسمة من نطفة (فسواك) فى بطن امك (فعدلك) فجعلك معتدل القامة (فى اى صورة ماشاء ركبك) (من)

ذكر لمن شاء الاستقامة يعنى ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة (الا ان يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق اجمعين ﴿سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض وصارت البحار بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) بحثت واخرج موتاها وجواب اذا (علمت نفس) اى كل نفس برة وفاجرة (ما قدمت) ما عملت من الطاعة (واخرت) وتركت ولم تعمل اوما قدمت من الصدقات وما

المنتفعون بالتذكير ﴿وما تشاؤن﴾ الاستقامة يا من يشاؤها ﴿الا ان يشاء الله﴾ الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم ﴿رب العالمين﴾ مالك الخلق كله * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله من ان يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اذا السماء انفطرت﴾ انشقت ﴿واذا الكواكب انتثرت﴾ تساقطت متفرقة ﴿واذا البحار فجرت﴾ فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا ﴿واذا القبور بعثرت﴾ قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انها مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى ﴿علمت نفس ما قدمت﴾ من عمل اوصدقة ﴿واخرت﴾ من سيئة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا

العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى ﴿وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين﴾ اعلمهم الله ان المشيئة فى التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيئته والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿تفسير سورة الانفطار مكية وهى تسع وعشرة آية وثمانون كلمة﴾

﴿وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزوجل ﴿اذا السماء انفطرت﴾ اى انشقت ﴿واذا الكواكب انتثرت﴾ اى تساقطت ﴿واذا البحار فجرت﴾ اى فجر بعضها فى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت ﴿واذا القبور بعثرت﴾ اى بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احياء ﴿علمت نفس ماقدمت واخرت﴾ يعنى علمت فى ذلك اليوم ماقدمت من عمل صالح اوسيئ واخرت بعدها من حسنة اوسيئة وقيل ماقدمت من الصدقات واخرت من الزكوات وهذه احوال يوم القيامة * قوله

من التوحيد وغيره (وما تشاؤن) من الاستقامة والتوحيد (الا ان يشاء الله) لكم ذلك (رب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه الارض من اهل السماء والارض ﴿ومن السورة التى يذكر فيها الانفطار وهى كلها مكية آياتها تسع عشرة وكلماتها ثمانون كلمة وحروفها مائة وسبعة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اذا السماء انفطرت) انشقت بنزول الرب بلا كيف والملائكة وما يشاء من امره (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت على وجه الارض (واذا البحار فجرت) فتحت بعضها فى بعض عذبها فى مالحها ومالحها فى عذبها فصارت بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) بحثت واخرج مافيها من الاموات (علمت نفس) كل نفس عند ذلك (ماقدمت) من خير او شر (واخرت) ما أثرت من سنة صالحة اوسنة سيئة ويقال ماقدمت

بمطلع الشمس (وماهو على الغيب) وما محمد على الوحي (بضنين) ببخيل من الضن وهو البخل لايبخل بالوحي كما يبخل الكهان رغبة فى الحلوان بل يعلمه كما علم ولايكتم شيأ مما علم بظنين مكي وابوعمرو وعلى اى بمتهم فينقص شيأ مما اوحى اليه اوزيد فيه من الظنة وهى التهمة (وما هو) اى ما القرآن (بقول شيطان

رجيم) طريد وهو كقوله وماتنزلت به الشياطين اى ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا اوذهابا فى بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل وقال الزجاج معناه فأى طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التى بينت لكم وقال الجنيد فأين تذهبون عنا وان من شئ الا عندنا (ان هو الا ذكر للعالمين) ما القرآن الا عظة للخلق (لمن شاء منكم) بدل من العالمين (ان يستقيم) اى القرآن

المرتفع (وما هو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (على الغيب) على الوحي (بظنين) بمتهم ويقال ببخيل ان قرأت بالضاد (وما هو) يعنى القرآن (بقول شيطان رجيم) متمرد لعين اسمه المرمى (فأين تذهبون) من عذاب الله يامعشر الكفار وامره ونهيه ويقال فأين تذهبون من اين تكذبون ويقال فأين تميلون عن القرآن فلا تؤمنون به ۞ (العبد) (ان هو) ماهو يعنى القرآن (الاذكر) عظة من الله (للعالمين) الجن والانس (لمن شاء منكم ان يستقيم) على ما امره الله

﴿ وماهو ﴾ وما محمد ﴿ على الغيب ﴾ على مايخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب ﴿ بظنين ﴾ بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بالضاد من الضن وهو البخل اى لايبخل بالتعليم والتبليغ والضاد من اصل حافة اللسان ومايليها من الاضراس من يمين اللسان اويساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا ﴿ وماهو بقول شيطان رجيم ﴾ بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى قولهم انه لكهانة وسحر ﴿ فأين تذهبون ﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب ﴿ ان هو الا ذكر للعالمين ﴾ تذكير لمن يعلم ﴿ لمن شاء منكم ان يستقيم ﴾ بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم

والسلام انى احب ان اراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء قال ان تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لايسعنى ذلك قال فبمنى قال لايسعنى ذلك قال فبعرفات قال لايسعنى ذلك قال بحراء قال ان يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ مابين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الارض فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل على صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لاتخف فكيف لو رأيت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاؤه وشأنه حتى يصير كالصعو يعنى العصفور حتى مايحمل عرش ربك الا عظمته ﴿ وما هو ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ على الغيب ﴾ اى الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من القصص والانباء ﴿ بظنين ﴾ قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والمظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب ولايبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراءة الظاء اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة ولو اراد البخل لقال وما هو بالغيب ﴿ وماهو ﴾ يعنى القرآن ﴿ بقول شيطان رجيم ﴾ يعنى ان القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه ﴿ فأين تذهبون ﴾ فأين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه اى طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التى قد بينت لكم ﴿ ان هو ﴾ يعنى ما فى القرآن ﴿ الا ذكر للعالمين ﴾ اى موعظة للخلق اجمعين ﴿ لمن شاء منكم ان يستقيم ﴾ اى يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشيئة

ولما كان اقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم جعل ذلك نفساله مجازا وجواب القسم (انه) اى القرآن (لقول رسول) اى جبريل عليه السلام وانما اضيف القرآن اليه لانه هو الذى نزل به (كريم) عند ربه (ذى قوة) قدرة على مايكلف لا يعجز عنه ولايضعف عندالله (مكين) ذى جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين قال عند ذى العرش ايدل على عظم منزلته ومكانته (مطاع ثم) اى فى السموات يطيعه من فيها اوعند ذى العرش اوعندالله يطيعه ملائكته المقربون يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه (امين) على الوحى (وما صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (ولقد رآه) راى محمد جبريل عليه السلام على صورته (بالافق المبين) بمطلع الشمس

﴿ انه ﴾ القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ يعنى جبريل عليه السلام فانه قاله عن الله تعالى ﴿ ذى قوة ﴾ كقوله تعالى شديد القوى ﴿ عند ذى العرش مكين ﴾ عندالله ذى مكانة ﴿ مطاع ﴾ فى ملائكته ﴿ ثم امين ﴾ على الوحى وثم يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلالها على سائر الصفات ﴿ وماصاحبكم بمجنون ﴾ كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لاتعداد فضلهما والموازنة بينهما ﴿ ولقد رآه ﴾ ولقد رأى رسول الله جبريل عليه السلام ﴿ بالافق المبين ﴾ بمطلع الشمس الاعلى

اقبل وبدا اوله وقيل اسفر وفى تنفسه قولان احدهما ان فى اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثانى انه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة فكانه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى ﴿ انه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عزوجل ﴿ ذى قوة ﴾ وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه ابصر ابليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة القاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد فى اسرع من رد الطرف ﴿ عند ذى العرش مكين ﴾ اى فى المنزلة والجاه ﴿ مطاع ثم ﴾ اى فى السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله ﴿ امين ﴾ يعنى على وحى الله تعالى الى انبيائه ﴿ وماصاحبكم ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة ﴿ بمجنون ﴾ وهذا ايضا من جواب القسم اقسم على ان القرآن نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول اهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وان مايقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه ﴿ ولقد رآه ﴾ يعنى رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التى خلق فيها ﴿ بالافق المبين ﴾ يعنى بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة

واستضاء اقسم الله بهذه الاشياء (انه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) بقول الله نزل به جبريل على رسول كريم على الله يعنى محمدا عليه السلام (ذى قوة) على اعدائه يعنى جبريل (عند ذى العرش مكين) عندالله له القدر والمنزلة (مطاع) يعنى جبريل مطاع (ثم) فى السماء يطيعه الملائكة (امين) على الرسالة الى انبيائه (وما صاحبكم) نبيكم محمد يا معشر قريش (بمجنون) بمختنق كما تقولون (ولقد رآه) راى محمد عليه السلام جبريل (بالافق المبين) بمطلع الشمس

اى فرقت بينهم (واذا السماء كشطت) قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف (واذا الجحيم سعرت) اوقدت ايقادا شديدا وبالتشديد شامى ومدنى وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة (واذا الجنة ازلفت) ادنيت من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنتا عشرة خصلة ستة منها فى الدنيا والباقية فى الآخرة ولا وقف مطلقا من اول السورة الى ما احضرت لان عامل النصب فى اذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو (علمت نفس) اى كل نفس

ولضرورة انقطاع النفس (ما احضرت) من خير وشر (فلا اقسم) لا زائدة (بالخنس) بالرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله (الجوار) السيارة (الكنس) الغيب من كنس الوحش اذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب (والليل اذا عسعس) اقبل بظلامه اوادبر فهو من الاضداد (والصبح اذا تنفس) امتد ضوءه

فى الاكف (واذا السماء كشطت) نزعت من اماكنها وطويت (واذا الجحيم سعرت) اوقدت للكافرين (واذا الجنة أزلفت) قربت للمتقين (علمت نفس) علمت كل

اولكثرة الصحف اولشدة التطاير ﴿واذا السماء كشطت﴾ قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير ﴿واذا الجحيم سعرت﴾ اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد ﴿واذا الجنة ازلفت﴾ قربت من المؤمنين ﴿علمت نفس ما احضرت﴾ جواب اذا وانما صح والمذكور فى سياقها ثنتا عشرة خصلة ست منها فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها وللمجازاة النفوس على اعمالهم ونفس فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة ﴿فلا اقسم بالخنس﴾ بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ماسوى النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله ﴿الجوار الكنس﴾ اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر ﴿والليل اذا عسعس﴾ اقبل ظلامه اوادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر ﴿والصبح اذا تنفس﴾ اى اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم

تنشر للحساب ﴿واذا السماء كشطت﴾ اى نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وزيلت عمن فيها ﴿واذا الجحيم سعرت﴾ اوقدت لاعداء الله تعالى ﴿واذا الجنة ازلفت﴾ اى قربت لاولياء الله ﴿علمت نفس ما احضرت﴾ يعنى عند ذلك تعلم كل نفس ما احضرت من خير اوشر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا * قوله عزوجل ﴿فلا اقسم﴾ لا زائدة والمعنى اقسم وقد تقدم ذلك فى قوله لااقسم بيوم القيامة ﴿بالخنس الجوار الكنس﴾ يعنى النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روى عن على بن ابى طالب وقيل هى النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس فى مجاريها اى ترجع وراءها فى الفلك وتكنس اى تستتر وقت اختفائها وقيل انها تخنس اى تتأخر عن مطالعها والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هى الظباء وهى رواية عن ابن عباس واصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس هو ان تأوى الى كناسها وهو الموضع الذى يأوى اليه الوحش ﴿والليل اذا عسعس﴾ اى اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون فى طرف الليل ﴿والصبح اذا تنفس﴾ اى

نفس برة او فاجرة عند ذلك (ما احضرت) ماقدمت من خير او شر (فلا اقسم) يقول اقسم (بالخنس) وهى النجوم التى يخنسن بالنهار ويظهرن بالليل (الجوار الكنس) ويجرين بالليل الى المجرة يكنسن بالنهار ثم يرجعن الى اماكنهن ويغبن وكنوسهن غيبوبتهن وسقوطهن رجوعهن الى اماكنهن وهى هذه الانجم الخمسة زهرة وزحل ومريخ ومشترى وعطارد (والليل اذا عسعس) اذا ادبر وذهب (والصبح اذا تنفس) اذا اقبل (اقبل)

لتعذيب اهل النار (واذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح فى الجنة والطالح مع الطالح فى النار اوقرنت الارواح بالاجساد اوبكتبها واعمالها ونفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموؤدة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات خشية الاملاق وخوف الاسترقاق (سئلت) سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت او لتدل على قاتلها اوهو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله أأنت قلت للناس الآية (بأى ذنب قتلت) وبالتشديد يزيد وفيه دليل على ان اطفال المشركين لايعذبون وعلى ان التعذيب لايكون بلاذنب (واذا الصحف نشرت) فتحت وبالتخفيف مدنى وشامى وعاصم وسهل ويعقوب والمراد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها

وروح بالتخفيف ﴿ واذا النفوس زوجت ﴾ قرنت بالابدان اوكل منها بشكلها او بكتابها اوعملها اونفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين ﴿ واذا الموؤدة ﴾ المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق اولحوق العار بهم من اجلهن ﴿ سئلت بأى ذنب قتلت ﴾ تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية ﴿ واذا الصحف نشرت ﴾ يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابوعمرو وحمزة والكسائى بالتشديد للمبالغة فى النشر

سنة فى الدنيا وسنة فى الآخرة وهى ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى ﴿ واذا النفوس زوجت ﴾ روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار وقيل ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس اعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد ﴿ واذا الموؤدة سئلت ﴾ يعنى الجارية التى دفنت وهى حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها اى يثقلها حين تموت وكانت العرب تفعل ذلك فى الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروى عن ابن عباس قال كانت المرأة فى الجاهلية اذا حملت وكان اوان ولادتها حفرت حفيرة فتمخضت على رأس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها فى الحفيرة واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل فى الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد بقاءها حية البسها جبة صوف او شعر وتركها ترعى الابل والغنم فى البادية واذا اراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائد والموؤدة فى النار اخرجه ابو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد ولم يئد فافتخر به الفرزدق فى شعره فقال

ومنا الذى منع الوائدات * واحيا الوئيد فلم توأد

﴿ بأى ذنب قتلت ﴾ معناه تسئل الموؤدة فيقال لها باى ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب ﴿ واذا الصحف نشرت ﴾ يعنى صحائف الاعمال

(واذا النفوس زوجت) قرنت بالازواج ويقال قرنت بقرينها المؤمن بحور العين والكافر بالشيطان والصالح بالصالح والفاجر بالفاجر (واذا الموؤدة) المقتولة المدفونة (سألت) اى سألت أباها (بأى ذنب قتلت) باى ذنب قتلتى و يقال واذا الوائد يعنى القاتل سئل باى ذنب قتلتها (واذا الصحف) ديوان الحسنات والسيئات (نشرت) للحساب ويقال تطايرت

من معنى الشرط (واذا النجوم انكدرت) تساقطت (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض وابعدت او سيرت فى الجو
تسيير السحاب (واذا العشار) جمع عشراء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة
اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة (عطلت) اهملت عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم وكانوا يحبسونها اذا بلغت هذه الحالة لعزتها عندهم ويعطلون مادونها عطلت بالتخفيف عن اليزيدى (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الاما فيه سرور لبنى آدم كالطاوس ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة (واذا البحار سجرت) سجرت مكى وبصرى من سجر التنور اذا ملاه بالحطب اى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا

يفسره مابعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل ﴿ واذا النجوم انكدرت ﴾ انقضت قال * ابصر خربان فضاء فانكدر * اواظلمت من كدرت الماء فانكدر ﴿ واذا الجبال سيرت ﴾ عن وجه الارض اوفى الجو ﴿ واذا العشار ﴾ النوق اللواتى اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء ﴿ عطلت ﴾ تركت مهملة او السحائب اللاتى عن المطر وقرئ بالتخفيف ﴿ واذا الوحوش حشرت ﴾ جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا واميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد (واذا البحار سجرت ﴾ احميت اوملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو

سببا لازدياد الحر فى جهنم ﴿ واذا النجوم انكدرت ﴾ اى تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكلبى وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الاوقع ﴿ واذا الجبال سيرت ﴾ اى عن وجه الارض فصارت هباء منثورا ﴿ واذا العشار عطلت ﴾ يعنى النوق الحوامل التى اتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لايزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهى انفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع اهملها اهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيامة ﴿ واذا الوحوش ﴾ يعنى من دواب البر ﴿ حشرت ﴾ اى جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شئ موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة ﴿ واذا البحار سجرت ﴾ قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها فى بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم اهل النار وقيل سجرت اى يبست وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة قال ابى بن كعب ست ايات قبل يوم القيامة بينما الناس فى اسواقهم اذذهب ضوء الشمس فبينماهم كذلك اذوقعت الجبال على ارض فبينماهم كذلك اذتناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الانس والجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينماهم كذلك اذانصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينماهم كذلك اذجاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هى اثنتا عشرة خصلة

ضوءها (واذا النجوم انكدرت) تساقطت على وجه الارض (واذا الجبال سيرت) ذهبت عن وجه الارض (واذا العشار) النوق الحوامل (عطلت) عطلها اربابها اشتغالا بانفسهم (واذا الوحوش حشرت) البهائم للقصاص ويقال حشرها موتها (واذا البحار سجرت) فتح بعضها فى بعض المالح فى العذب فصارت بحرا واحدا ويقال صيرت نارا (ستة)

اى اصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها قترة) يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه (اولئك) اهل هذه الحالة (هم الكفرة) فى حقوق الله (الفجرة) فى حقوق العباد ولما جمعوا الفجور الى الكفر جمع الى سواد وجوههم الغبرة والله اعلم

﴿ سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كورت) ذهب بضوئها من كورت العمامة اذا لففتها اى يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه

﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ غبار وكدورة ﴿ ترهقها قترة ﴾ تغشاها سواد وظلمة ﴿ اولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿ سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اذا الشمس كورت ﴾ لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف اولف ضوؤها فذهب انبساطه فى الآفاق وزال اثره اوالقيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل

بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء فقال تعالى ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ اى سواد وكآبة للهم الذى نزل بهم ﴿ ترهقها قترة ﴾ اى تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان اسفل فى الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء ﴿ اولئك ﴾ اى الذين صنع بهم هذا ﴿ هم الكفرة الفجرة ﴾ جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية ومائة ﴾
﴿ واربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا ﴾

عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه رأى العين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت اخرجه الترمذى

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ اذا الشمس كورت ﴾ قال ابن عباس اظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض الشئ الى بعض ومعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (خ) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما فى النار يكون

مسرورة بثواب الله (ووجوه) وجوه المنافقين والكفار (يومئذ) يوم القيامة (عليها غبرة) غبار (ترهقها) تعلوها وتغشاها (قترة) كآبة وكسوف (اولئك) اهل هذه الصفة (هم الكفرة) بالله (الفجرة) الكذبة على الله

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها اذا الشمس كورت وهى كلها مكية آياتها تسع وعشرون وكلماتها مائة واربع وحروفها خمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اذا الشمس كورت) يقول تكورت كما تكور العمامة ويرمى بها فى حجاب النور ويقال دهورت ويقال ذهب

(متاعا) مصدر اى منفعة (لكم ولانعامكم فاذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة لانها تصخ الآذان اى تصمها او جوابه محذوف
اظهوره (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه) لتبعات بينه وبينهم او
لاشتغاله بنفسه (وصاحبته) وزوجته (وبنيه) بدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم احب قيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (لكل امرئ منهم يومئذ شأن) فى نفسه (يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به ويشغله عن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من قيام الليل او من آثار الوضوء (ضاحكة مستبشرة)

يابسة تؤب للشتاء ﴿ متاعا لكم ولانعامكم ﴾ فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف ﴿ فاذا جاءت الصاخة ﴾ اى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها ﴿ يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ﴾ لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لاينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم وتأخير الاحب فالاحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه اى يهمه ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ﴾ مضيئة من اسفار الصبح ﴿ ضاحكة مستبشرة ﴾ بما ترى من النعيم

فى كتاب الله ما لا اعلم (خ) عن انس ان عمر قرأ وفاكهة وابا قال فما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا بهذا لفظ البخارى وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه ﴿ متاعا لكم ﴾ يعنى الفواكه والحب والعشب منفعة لكم ﴿ ولانعامكم ﴾ ثم ذكر اهوال القيامة فقال تعالى ﴿ فاذا جاءت الصاخة ﴾ يعنى صيحة القيامة سميت صاخة لانها تصخ اسماع الخلق اى تبالغ فى اسماعهم حتى تكاد تصمها ﴿ يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ﴾ اى انه لايلتفت الى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب فى ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول ما واسيتنى بمالك والابوان يقولان قصرت فى برنا والصاحبة تقول لم توفنى حقى والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر هابيل من اخيه قابيل وابراهيم عليه الصلاة والسلام من ابيه ولوط عليه السلام من صاحبته ونوح عليه السلام من ابنه وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كانوا يقربونهم فى الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفرون منهم فى الدار الآخرة وفائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه لانهما اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقه بهما اشد من تعلقه بالابوين ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ اى يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة ايبصر احدنا او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * ولما ذكر الله تعالى حال القيامة واهوالها بين حال المكلفين وانهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ﴾ اى مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من اثر الوضوء وقيل من الغبار فى سبيل الله ﴿ ضاحكة ﴾ اى عند الفراغ من الحساب ﴿ مستبشرة ﴾ اى

الكلاء ويقال هو التبن (متاعا لكم) منفعة الحبوب وغيرها (ولانعامكم) الكلا (فاذا جاءت الصاخة) وهو قيام الساعة صاخ وخضع وانقاد واجاب لها كل شئ وتذل الخلائق ويعلمون انها كائنة ثم بين متى تكون فقال (يوم يفر المرء) المؤمن (من اخيه) الكافر (وامه) ويفر من امه (وابيه) ويفر من ابيه (وصاحبته) ويفر من زوجته (وبنيه) ويفر من بنيه ويقال يفر هابيل من قابيل وابراهيم من ابيه ولوط من زوجته واعلة ونوح من ابنه كنعان (بالسرور)
(لكل امرئ منهم يومئذ) يوم القيامة (شأن يغنيه) عمل يشغله عن غيره (وجوه) وجوه المؤمنين المصدقين فى ايمانهم (يومئذ) يوم القيامة (مسفرة) مشرقة برضا الله عنها (ضاحكة) معجبة بكرامة الله لها (مستبشرة)

بعـدموته (كلا) ردع للانسان عن الكفر (لما يقض ما امره) لم يفعل هذا الكافر ما امره الله به من الايمان ولما عدد النعم فى نفسه من ابتداء حدوثه الى آن انتهائه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسـان الى طعامه) الذى يأكله ويحيا به كيف دبرنا امره (أنا) بالفتح كوفى على انه بدل اشتمال من الطعام وبالكسر على الاستئناف غيرهم (صببنا المـاء صبا) يعنى المطر من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) بالنبات (فانبتنا فيها حبا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنبا) ثمرة الكرم اى الطعـام والفـاكهة (وقضبا) رطبة سمى بمصدر قضبه اى قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة (وزيتونا ونخلا وحدائق) بساتين (غلبا) غلاظ الاشجـار جمع غلباء (وفاكهة) لكم (وابا) مرعى لدوابكم

وانما هو موكول الى مشيئته تعالى ﴿ كلا ﴾ ردع للانسان عما هو عليه ﴿ لما يقض ما امره ﴾ لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله بأسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما ﴿ فلينظر الانسان الى طعامه ﴾ اتبـاع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية ﴿ انا صببنا الماء صبا ﴾ استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ﴿ ثم شققنا الارض شقا ﴾ اى بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب ﴿ فانبتنا فيها حبا ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ وعنبا وقضبا ﴾ يعنى الرطبة سميت بمصـدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى ﴿ وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا ﴾ عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها اولانها ذات اشجـار غلاظ مستعار من وصف الرقاب ﴿ وفاكهة وابا ﴾ ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع اومن اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعى اوفاكهـة

والحساب وانما قال تعالى ثم اذا شاء انشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله تعالى متى شاء ان يحيي الخلق احياهم ﴿ كلا ﴾ ردع وزجر للانسان عن تكبره وتجبره وترفهـه وعن كفره واصراره عـلى انكار التوحيد وانكار البعث والحساب ﴿ لما يقض ما امره ﴾ اى لم يفعل ما امره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فانه موضع الاعتبار فقال تعالى ﴿ فلينظر الانسان الى طعامه ﴾ الى قدرة ربه فيه اى كيف قدره ربه ويسره ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى ﴿ انا صببنا الماء صبا ﴾ يعنى المطر ﴿ ثم شققنا الارض شـقا ﴾ اى بالنبات ﴿ فانبتنا فيها ﴾ اى بذلك الماء ﴿ حبا ﴾ يعنى الحبوب التى يتغذى بها الانسان ﴿ وعنبا ﴾ يعنى انه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا اتبعه الحب ﴿ وقضبا ﴾ يعنى القت وهو الرطب سمى بذلك لانه يقتضب اى يقطع فى كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذى تعلف به الدواب ﴿ وزيتونا ﴾ وهو ما يعصر منه الزيت ﴿ ونخلا وحدائق ﴾ جمع حديقة ﴿ غلبا ﴾ يعنى غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا ﴿ وفاكهة ﴾ يعنى جميع الوان الفاكهة ﴿ وابا ﴾ يعنى الكلا والمرعى الذى لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والانعام وقيل الفاكهة ما يأكله الناس والاب ما يأكله الدواب وقال ابن عباس ما انبتت الارض مما يأكل الناس والانعام روى ابراهيم التيمى ان ابا بكر رضى الله عنه سئل عن قوله وفاكهة وابا فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت

بعثه من القـبر (كلا) حقـا يا محمد (لما) لم (يقض) والالف ههنا صلة لم يؤد (ما امره) الذى امره الله من التوحيد وغيره (فلينظر الانسان) فليتفكر الكافر عتبة بن ابى لهب (الى طعامه) فى رزقه الذى يأكله كيف يحول من حال الى حال حـتى يأكله ثم بين له تحويله فقال (انا صببنا الماء صبا) يعنى المطر على على الارض صـبا (ثم شققنا) صدعنا (الارض شقا) صـدعا بالنبـات (فانبتنا فيها) فى الارض (حبا) الحبوب كلهـا (وعنبـا) يعنى الكروم (وقضبا) قتا ويقـال هو الرطبـة (وزيتونا) شجرة الزيتون (ونخلا) يعنى النخيل (وحدائق) ما احيط عليها من الشجر والنخيل (غلبا) غلاظا طوالا (وفاكهة) والوان الفـاكهة (وابا) يعنى

من اللوح (كرام) على الله اوعن المعاصى (بررة) اتقياء جمع بار (قتل الانسان) لعن الكافر او هو امية او عتبة (ما اكفره) استفهام توبيخ اى اى شئ حمله على الكفر او هو تعجب اى ما اشد كفره (من اى شئ خلقه) من اى حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشى فقال (من نطفة خلقه فقدره) على ما يشاء من خلقه (ثم السبيل يسره) نصب السبيل باضمار يسر اى ثم سهل له سبيل الخروج من بطن امه او بين له سبيل الخير والشر (ثم اماته فاقبره) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له قبر الميت دفنه واقبره الميت امره بان يقبره ومكنه منه (ثم اذا شاء انشره) احياه

(كرام) هم كرام على الله مسلمون (بررة) صدقة وهم الحفظة اهل السماء الدنيا (قتل الانسان) لعن الكافر عتبة بن ابى لهب (ما اكفره) ما الذى اكفره بالله وبنجوم القرآن يعنى وبالنجم اذا هوى ويقال ما اشد كفره (من اى شئ خلقه) يقول فليتفكر فى نفسه من اى شئ خالقه نسمه ثم بين له فقال (من نطفة خلقه) نسمه (فقدره) قدر خلقه باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء (ثم السبيل يسره) طريق الخير (والحساب)
والشر بينه ويقال سبيل الرحم يسره بالخروج (ثم اماته) بعد ذلك (فاقبره) فامر به فقبر (ثم اذا شاء انشره)

من اللوح او الوحى او سفراء يسفرون بالوحى بين يدى الله تعالى ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها ﴿كرام﴾ اعزاء على الله تعالى او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم ﴿بررة﴾ اتقياء ﴿قتل الانسان ما اكفره﴾ دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ ﴿من اى شئ خلقه﴾ بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان اتم خلقته ﴿ثم السبيل يسره﴾ ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ﴿ثم اماته فاقبره﴾ جعل له قبرا يوارى فيه ﴿ثم اذا شاء انشره﴾ وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه

قال ابن عباس يعنى كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة الى الانبياء واحدهم سفير ثم اثنى عليهم بقوله ﴿كرام﴾ اى هم كرام على الله ﴿بررة﴾ اى مطيعين له جمع بار * قوله عز وجل ﴿قتل الانسان﴾ اى لعن الكافر وطرد ﴿ما اكفره﴾ اى ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه واياديه عنده وهذا على سبيل التعجب اى اعجبوا من كفره وقيل معناه اى شئ حمله على الكفر نزلت هذه الآية فى عتبة بن ابى لهب وقيل فى امية بن خلف وقيل فى الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة فى كل كافر ثم بين من امره ما كان ينبغى معه ان يعلم ان الله تعالى خالقه منه فقال تعالى ﴿من اى شئ خلقه﴾ لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ يعنى خلقه اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر خلقه وقيل قدره يعنى خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما اراده ﴿ثم السبيل يسره﴾ اى سهل له طريق خروجه من بطن امه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل احد ما خلق له وقدر عليه ﴿ثم اماته فاقبره﴾ اى جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور او اقبره معناه صيره الله بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبنى آدم على سائر الحيوانات * ثم قال تعالى ﴿ثم اذا شاء انشره﴾ اى احياه بعد موته للبعث

منك (اما من استغنى) اى من كان غنيا بالمال (فانت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه حرصا على ايمانه تصدى بادغام التاء فى الصاد حجازى (وما عليك الا يزكى) وليس عليك بأس فى ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (واما من جاءك يسعى) يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) الله او الكفار اى اذاهم فى اتيانك او الكبوة كعادة العميان (فانت عنه تلهى) تتشاغل واصله تتلهى وروى انه ما عبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وروى ان الفقراء فى مجلس الثورى كانوا امراء (كلا) ردع اى لا تعد الى مثله (انها) ان السورة او الآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) ذكره وذكر الضمير لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكر الهمه الله تعالى اياه (فى صحف) صفة التذكرة اى انها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح او خبر مبتدأ محذوف اى هى فى صحف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء او مرفوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عن مس غير الملائكة او عما ليس من كلام الله (بايدى سفرة) كتبة جمع سافر اى الملائكة ينتسخون الكتب

ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل ﴿ اما من استغنى فانت له تصدى ﴾ تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى ﴿ وما عليك الا يزكى ﴾ وليس عليك بأس فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ ﴿ واما من جاءك يسعى ﴾ يسرع طالبا للخير ﴿ وهو يخشى ﴾ الله او اذية الكفار فى اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له ﴿ فانت عنه تلهى ﴾ تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغى له ذلك ﴿ كلا ﴾ ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله ﴿ انها تذكرة فمن شاء ذكره ﴾ حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره ﴿ فى صحف ﴾ مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف ﴿ مكرمة ﴾ عند الله ﴿ مرفوعة ﴾ القدر ﴿ مطهرة ﴾ منزهة عن ايدى الشياطين ﴿ بايدى سفرة ﴾ كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب

﴿ اما من استغنى ﴾ قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بماله من المال ﴿ فانت له تصدى ﴾ اى تتعرض له وتقبل عليه وتصغى الى كلامه ﴿ وما عليك الا يزكى ﴾ اى لا يؤمن ولا يهتدى وانما عليك البلاغ ﴿ واما من جاءك يسعى ﴾ يعنى يمشى يعنى ابن ام مكتوم ﴿ وهو يخشى ﴾ اى الله عز وجل ﴿ فانت عنه تلهى ﴾ اى تتشاغل وتعرض عنه ﴿ كلا ﴾ اى لا تفعل بعدها مثلها ﴿ انها ﴾ يعنى الموعظة وقيل آيات القرآن ﴿ تذكرة ﴾ اى موعظة للخلق ﴿ فمن شاء ﴾ اى من عباد الله ﴿ ذكره ﴾ اى اتعظ به يعنى القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عز وجل ﴿ فى صحف مكرمة ﴾ يعنى القرآن فى اللوح المحفوظ ﴿ مرفوعة ﴾ اى رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة فى السماء السابعة ﴿ مطهرة ﴾ يعنى الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة ﴿ بايدى سفرة ﴾

اولا تنفعه اى العظة (اما من استغنى) عن الله فى نفسه وهم هؤلاء الثلاثة (فانت له تصدى) تقبل عليه بوجهك (وما عليك الا يزكى) الا يوحد هؤلاء الثلاثة (واما من جاءك يسعى) يسرع فى الخير (وهو يخشى) من الله وهو مسلم (قا وخا ٥٨ س) وكان قد اسلم قبل ذلك ابن ام مكتوم (فانت عنه) يا محمد (تلهى) تعرض مشتغلا بهؤلاء الثلاثة (كلا) لا تفعل هكذا يقول لا تقبل على الذى استغنى عن الله فى نفسه وتعرض عمن يخشى الله فكان النبى صلى الله عليه وسلم يكرم ابن ام مكتوم بعد ذلك ويحسن اليه كلا حقا (انها) هذه السورة (تذكرة) عظة من الله للغنى والفقير (فمن شاء ذكره) فمن شاء الله له ان يتعظ اتعظ (فى صحف) يقول القرآن مكتوب فى كتب من آدم (مكرمة) كريمة على الله (مرفوعة) مرتفعة فى السماء (مطهرة) من الادناس والشرك (بايدى سفرة) كتبة

وسلم يكرمه بعدها ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين (وما يدريك) واى شئ

يجعلك داريا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) لعل الاعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل واصله يتزكى وادغمت التاء في الزاي وكذا (او يذكر) يتعظ (فتنفعه) نصبه عاصم غير الاعشى جوابا للعل وغيره رفعه عطفا على يذكر (الذكرى) ذكراك اى موعظتك اى انك لا تدرى ماهو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت مافرط ذلك

مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ أأن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق اولزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله ﴿ وما يدريك لعله يزكى ﴾ اى واى شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره ﴿ اويذكر فتنفعه الذكرى ﴾ اويتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اى انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة

الفهرى من بنى عامر بن لؤى واسم امه عاتكة بنت عبدالله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وابى بن خلف واخاه امية بن خلف ويدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يارسول الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لايدرى انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال انس رأيته يوم القادسية وعليه درع معه راية سوداء عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت انزلت عبس وتولى فى ابن ام مكتوم الاعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يارسول الله ارشدنى وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماء قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول اترى بما اقول بأسا فيقول لا ففى هذا نزلت اخرجه الترمذى وقال حديث غريب ﴿ وما يدريك ﴾ اى اى شئ يجعلك داريا ﴿ لعله يزكى ﴾ اى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك ﴿ او يذكر ﴾ اى يتعظ ﴿ فتنفعه الذكرى ﴾ اى الموعظة

اشراف قريش منهم العباس بن عبدالمطلب عمه وامية بن خلف الجمحى وصفوان بن امية وكانوا كفارا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يعظهم ويدعوهم الى الاسلام فجاء ابن ام مكتوم فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله فاعرض النبى صلى الله عليه وسلم بوجهه عنه اشتغالا بهؤلاء النفر فنزل فيه عبس كلح محمد عليه السلام بوجهه وتولى اعرض بوجهه عن عبدالله ان جاءه الاعمى ابن ام مكتوم (وما يدريك) يا محمد (لعله) اى الاعمى (يزكى) يصلح بالقرآن (أو يذكر) يتعظ بالقرآن (فتنفعه الذكرى) اى العظة بالقرآن ويقال وما يدريك يا محمد لعله يزكى ان لا يصلح او يذكر او لا يتعظ فتنفعه الذكرى

(اما)

(انما انت منذر من يخشاها) اى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يخاف شدائدها منذر منون يزيد وعباس (كانهم يوم يرونها) اى الساعة (لم يلبثوا) فى الدنيا (الا عشية او ضحاها) اى ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم فى الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانما صحت اضافة الضحى الى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد والمراد ان مدة لبثهم لم يبلغ يوما كاملا ولكن احد طرفى النهار عشيته او ضحاها والله اعلم {سورة عبس}

﴿سورة عبس مكية وهى اثنتان واربعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (عبس) كلح اى النبى صلى الله عليه وسلم (وتولى) اعرض (ان جاءه) لان جاءه ومحله نصب لانه مفعول له والعامل فيه عبس او تولى على اختلاف المذهبين (الاعمى) عبد الله ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه وابوه شريح بن مالك اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو اشراف قريش الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه

علمها ﴿انما انت منذر من يخشاها﴾ انما بعثت لانذار من يخاف هوالها وهو لايناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابن عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال ﴿كانهم يوم يرونها لم يلبثوا﴾ اى فى الدنيا او فى القبور ﴿الا عشية او ضحاها﴾ اى عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحا الى العشية لانهما من يوم واحد * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة

﴿سورة عبس مكية وآيها احدى واربعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿عبس وتولى ان جاءه الاعمى﴾ روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى

دنوها ووجوب الاستعداد لها ﴿انما انت منذر من يخشاها﴾ اى انما ينفع انذارك من يخافها ﴿كانهم﴾ يعنى الكفار ﴿يوم يرونها﴾ اى يعاينون يوم القيامة ﴿لم يلبثوا﴾ اى فى الدنيا وقيل فى قبورهم ﴿الا عشية او ضحاها﴾ فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها قلت قيل ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة الى يومها كانه قيل الا عشية او ضحى يومها والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿تفسير سورة عبس مكية وهى احدى واربعون آية ومائة﴾

﴿وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿عبس وتولى﴾ اى كلح وقطب وجهه وتولى اى اعرض بوجهه ﴿ان جاءه الاعمى﴾ يعنى ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشى

علم قيامها (انما انت منذر) رسول مخوف بالقرآن (من يخشاها) من يخاف قيامها (كانهم يوم يرونها) يعنى الساعة (لم يلبثوا) فى القبور فى الدنيا (الا عشية) قدر عشية (او ضحاها) او قدر غدوة من اول النهار ﴿ومن السورة التى يذكر فيها الاعمى وهى كلها مكية آيتها اربعون وكلماتها مائة وثلاث وثلاثون وحروفها خمسمائة وثلاثة وثلاثون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (عبس) يقول كلح محمد عليه السلام وجهه (وتولى) اعرض بوجهه (ان جاءه الاعمى) اذ جاءه عبد الله بن ام مكتوم وهو عبد الله بن شريح وام مكتوم كانت ام ابيه وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع ثلاثة نفر من

(فاما) جواب فاذا اى اذا جاءت الطامة فان الامر كذلك (من طغى) جاوز الحد فكفر (وآثر الحيوة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فان الجحيم هى المأوى) المرجع اى مأواه والالف واللام بدل من الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هى المأوى له (واما من خاف مقام ربه) اى علم ان له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المؤذى اى زجرها عن اتباع الشهوات وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها (فان الجنة هى المأوى) اى المرجع (ايان مرساها) متى ارساؤها اى اقامتها يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فيم انت من ذكراها) فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به اى ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شئ كقولك ليس فلان من العلم فى شئ اوكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها اى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لاتزال تذكرها وتسأل عنها (الى ربك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لايعلمها غيره اوفيم انكار لسؤالهم عنها اى فيم هذا السؤال ثم قال انت من ذكراها اى ارسالك وانت آخر الانبياء علامة من علاماتها فلامعنى لسؤالهم عنها ولايبعدان يوقف على هذا على فيم وقيل فيم انت من ذكراها متصل بالسؤال اى يسألونك عن الساعة ايان مرساها ويقولون اين انت من ذكراها ثم استأنف فقال الى ربك منتهاها (دنوها)

عليه يوم يتذكر الانسان اوما بعده من التفصيل ﴿ فاما من طغى ﴾ حتى كفر ﴿ وآثر الحيوة الدنيا ﴾ فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس ﴿ فان الجحيم هى المأوى ﴾ هى مأواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهى فصل اومبتدأ ﴿ واما من خاف مقام ربه ﴾ مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ لعلمه بانه مرد ﴿ فان الجنة هى المأوى ﴾ ليس له سواها مأوى ﴿ يسئلونك عن الساعة ايان مرساها ﴾ متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها اومنتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهى اليه وتستقر فيه ﴿ فيم انت من ذكراها ﴾ فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شئ فان ذكراها لايزيدهم الاغيا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستأنف ومعناه انت ذكر من ذكراها اى علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب ﴿ الى ربك منتهاها ﴾ اى منتهى

﴿ فامامن طغى ﴾ اى كفر ﴿ وآثر الحيوة الدنيا ﴾ اى على الآخرة ﴿ فان الجحيم هى المأوى ﴾ اى لمن هذه صفته ﴿ واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾ اى المحارم التى يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها بذلك ﴿ فان الجنة هى المأوى ﴾ اى لمن هذه صفته * قوله عز وجل ﴿ يسئلونك ﴾ اى يا محمد ﴿ عن الساعة أيان مرساها ﴾ اى متى ظهورها وقيامها ﴿ فيم انت من ذكراها ﴾ اى لست فى شئ من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها ﴿ الى ربك منتهاها ﴾ اى منتهى علمها لايعلم متى تقوم الساعة الاهو وقيل معناه فيم انكار لسؤالهم اى فيم هذا السؤال ثم قال انت يا محمد من ذكراها اى من علامتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على

(فامامن طغى) علا وتكبر وكفر بالله هو النضر بن الحرث بن علقمة (وآثر الحيوة الدنيا) اختار الدنيا على الآخرة والكفر على الايمان (فان الجحيم هى المأوى) مأوى من كان هكذا (واما من خاف) عند المعصية (مقام ربه) مقامه بين يدى ربه فانتهى عن المعصية (ونهى النفس عن الهوى) عن الحرام الذى يشتهيه وهو مصعب بن عمير (فان الجنة هى المأوى) مأوى من كان هكذا (يسألونك) يا محمد كفار مكة (عن الساعة) عن قيام الساعة (ايان مرساها) متى قيامها انكار منهم لها (فيم انت من ذكراها) ما انت وذاك ان تذكرها لهم (الى ربك منتهاها) منتهى

سراجها (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بالفي عام ثم فسر البسط فقال (اخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلاءها ولذا لم يدخل العاطف على اخرج او اخرج حال باضمار قد (والجبال ارساها) اثبتها وانتصاب الارض والجبال باضمار دحا وارسى على شريطة التفسير (متاعا لكم ولانعامكم) فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى التي تطم على الدواهي اى تعلو وتغلب وهي النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان) بدل من اذا جاءت اى اذا رأى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها (ما سعى) مصدرية اى سعيه او موصولة (وبرزت الجحيم) واظهرت (لمن يرى) لكل راء لظهورها ظهورا بينا

﴿ والارض بعد ذلك دحاها ﴾ بسطها ومهدها للسكنى ﴿ اخرج منها ماءها ﴾ بتفجير العيون ﴿ ومرعاها ﴾ ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعى وتجريد الجملة من العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو ﴿ والجبال ارساها ﴾ اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية ﴿ متاعا لكم ولانعامكم ﴾ تمتيعا لكم ولمواشيكم ﴿ فاذا جاءت الطامة ﴾ الداهية التي تطم اى تعلو على سائر الدواهي ﴿ الكبرى ﴾ التي هي اكبر الطامات وهي القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار ﴿ يوم يتذكر الانسان ما سعى ﴾ بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية ﴿ وبرزت الجحيم ﴾ اظهرت ﴿ لمن يرى ﴾ لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل

الارض فقال تعالى ﴿ والارض بعد ذلك دحاها ﴾ اى بسطها ومدها قال امية بن ابي الصلت

دحوت البلاد فسويتها * وانت على طيها قادر

فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى ان الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى في حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الآيتين وما معناها قلت خلق الله الارض اولا مجتمعة ثم سمك السماء ثانيا ثم دحا الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك ﴿ اخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ اى فجر من الارض عيونها ومرعاها اى رعيها وهو ما يأكله الناس والانعام واستعير الرعى للانسان على سبيل التجوز ﴿ والجبال ارساها ﴾ اى اثبتها ﴿ متاعا لكم ولانعامكم ﴾ اى الذى اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم * قوله عز وجل ﴿ فاذا جاءت الطامة الكبرى ﴾ يعنى النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع ﴿ يوم يتذكر الانسان ما سعى ﴾ اى ما عمل في الدنيا من خير او شر ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ يعنى انه ينكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق

(والارض بعد ذلك دحاها) مع ذلك بسطها على الماء ويقال بعد ذلك بسطها على الماء بالفي سنة (اخرج منها) من الارض (ماءها) الجاري والغائر (ومرعاها) كلأها (والجبال ارساها) وتدها (متاعا لكم) منفعة لكم الماء (ولانعامكم) الماء والكلا (فاذا جاءت الطامة الكبرى) وهي قيام الساعة طمت وعلت على كل شئ فليس فوقها شئ (يوم يتذكر الانسان) يتعظ ويعلم الكافر النضر واصحابه (ما سعى) الذى عمل في كفره (وبرزت الجحيم) اظهرت الجحيم (لمن يرى) لمن يجب له دخولها

(واخذه الله نكال الآخرة) عاقبه الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لان اخذ بمعنى نكل كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة اى الاحراق (والاولى) اى الاغراق او نكال كلمتيه الآخرة وهى انا ربكم الاعلى والاولى وهى ما علمت لكم من اله غيرى وبينهما اربعون سنة او ثلاثون اوعشرون

(ان فى ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله (ءأنتم) يا منكرى البعث (اشد خلقا) اصعب خلقا وانشاء (ام السماء) مبتدأ محذوف الخبر اى ام السماء اشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) اى الله ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) اعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (واغطش ليلها) اظلمه (واخرج ضحاها) ابرز ضوء شمسها واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس

من يلى امركم ﴿ فاخذه الله نكال الآخرة والاولى ﴾ اخذا منكلا لمن رآه او سمعه فى الآخرة بالاحراق وفى الدنيا بالاغراق اوعلى كلمته الآخرة وهى هذا وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيرى او للتنكيل فيهما اولهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ﴿ ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ لمن كان من شانه الخشية ﴿ ءأنتم اشد خلقا ﴾ اصعب خلقا ﴿ ام السماء ﴾ ثم بين كيف خلقها فقال ﴿ بناها ﴾ ثم بين البناء فقال ﴿ رفع سمكها ﴾ اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا ﴿ فسواها ﴾ فعدلها اوجعلها مستوية اوفتممها بما تتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه ﴿ واغطش ليلها ﴾ اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها ﴿ واخرج ضحاها ﴾ وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحاها يريد النهار اراد ان الاصنام ارباب وهوربها وربهم ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ﴾ اى عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه فى الدنيا ويدخله النار فى الآخرة وقيل اراد بالآخرة والاولى كلمتى فرعون وهما قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة ﴿ ان فى ذلك ﴾ اى فى الذى فعل بفرعون حين كذب وعصى ﴿ لعبرة ﴾ اى عظة ﴿ لمن يخشى ﴾ اى يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكرى البعث فقال تعالى ﴿ ءأنتم اشد خلقا ام السماء بناها ﴾ معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السماء عندكم فى تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلق الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السماء اعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خالق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خلق السماء والارض فقال تعالى ﴿ رفع سمكها ﴾ يعنى علو سمتها وقيل رفعها بغير عمد ﴿ فسواها ﴾ اى اتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور ﴿ واغطش ﴾ اى اظلم ﴿ ليلها ﴾ والغطش الظلمة ﴿ واخرج ﴾ اى واظهر وابرز ﴿ ضحاها ﴾ اى نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه اكمل اجزاء النهار فى النور والضوء وانما اضاف الليل والنهار الى السماء لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهى فى السماء ثم وصف كيفية خلق (الارض)

اصنامكم الاعلى فلا تتركوا عبادتها (فأخذه الله) فعاقبه الله (نكال الآخرة والاولى) عقوبة الدنيا بالغرق وعقوبة الآخرة بالنار ويقال عاقبه الله بكلمته الاولى والاخرى وكلمته الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيرى وكلمته الاخرى قوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم بفرعون وقومه (لعبرة) لعظة (لمن يخشى) لمن يخاف ما صنع بهم (ءأنتم) يا اهل مكة (اشد خلقا) بعثا واحكم صنعة (ام السماء بناها رفع سمكها) سقفها (فسواها) على الارض (واغطش ليلها) اظلم ليلها (واخرج ضحاها) ابرز نهارها وشمسها

(اذ ناداه ربه)حين ناداه (بالواد المقدس) المبارك المطهر (طوى) اسمه (اذهب الى فرعون) على ارادة القول (انه طغى) تجاوز الحد فى الكفر والفساد (فقل هل لك الى ان تزكى) هل لك ميل الى ان تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والايمان وبتشديد الزاى حجازى (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لاتكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء به وعن بعض الحكماء اعرف الله فمن عرف الله لم يقدر ان يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الامر من خشى الله أتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه الحديث من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف فى القول ويستنزله بالمداراة عن عتوه كما امر بذلك فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا (فاراه الآية الكبرى) اى فذهب فرى موسى فرعون العصا واليد البيضاء لانهما فى حكم آية واحدة (فكذب) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماها ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى (ثم ادبر) تولى عن موسى (يسعى) يجتهد فى مكايدته او لما رأى الثعبان ادبر مرعوبا يسرع فى مشيته وكان طياشا خفيفا (فحشر) فجمع السحرة وجنده (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه (فقال أنا ربكم الاعلى) لارب فوق وكانت لهم اصنام يعبدونها

﴿ اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ﴾ قد مر بيانه فى سورة طه ﴿ اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما فى النداء من معنى القول ﴿ فقل هل لك الى ان تزكى ﴾ هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد ﴿ واهديك الى ربك ﴾ وارشدك الى معرفته ﴿ فتخشى ﴾ باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا ﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ اى فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة ﴿ فكذب وعصى ﴾ فكذب موسى وعصى الله عز وجل بعد ظهور الآية وتحقق الامر ﴿ ثم ادبر ﴾ عن الطاعة ﴿ يسعى ﴾ ساعيا فى ابطال امره او ادبر بعد ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه ﴿ فحشر ﴾ فجمع السحرة او جنوده ﴿ فنادى ﴾ فى المجمع بنفسه او بمناد ﴿ فقال انا ربكم الاعلى ﴾ على كل

كان يتحمل المشاق من قومه ليتأسى به ﴿ اذ ناداه ربه بالواد المقدس ﴾ اى المطهر ﴿ طوى ﴾ هو اسم واد بالشام عند الطور ﴿ اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ اى علا وتكبر وكفر بالله ﴿ فقل هل لك الى ان تزكى ﴾ اى تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله ﴿ واهديك الى ربك ﴾ اى ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده ﴿ فتخشى ﴾ يعنى عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه ﴿ فاراه ﴾ اى ارى موسى فرعون ﴿ الآية الكبرى ﴾ يعنى اليد البيضاء والعصا ﴿ فكذب ﴾ يعنى فرعون بانها من الله ﴿ وعصى ﴾ اى تمرد واظهر التجبر ﴿ ثم ادبر ﴾ اى اعرض عن الايمان ﴿ يسعى ﴾ يعمل الفساد فى الارض ﴿ فحشر ﴾ اى فجمع قومه وجنوده ﴿ فنادى ﴾ اى لما اجتمعوا ﴿ فقال ﴾ يعنى فرعون لقومه ﴿ أنا ربكم الاعلى ﴾ اى لارب فوقى وقيل

(اذ ناداه ربه) دعاه ربه (بالواد المقدس) المطهر (طوى) اسم الوادى وانما سميت طوى لكثرة مامشت عليه الانبياء ويقال قد طوى ويقال طأ ياموسى هذا الوادى بقدميك لخيره وبركته (اذهب) ياموسى (الى فرعون انه طغى) علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك) يافرعون (الى ان تزكى) تصلح وتسلم فتوحد بالله (واهديك) ادعوك (الى ربك فتخشى) منه فتسلم (فأراه) موسى (الآية الكبرى) العلامة العظمى اليد والعصا (فكذب) وقال ليس هذا من الله (وعصى) لم يقبل (ثم أدبر)اعرض عن الايمان ويقال عن موسى (يسعى) يعمل فى امر موسى ويقال اسرع الى اهله (فحشر) قومه بالشرط (فنادى) فخطبهم (فقال) لهم (انا ربكم الاعلى) انا ربكم ورب

(أئذا كنا عظاما نخرة) بالية ناخرة كوفى غيرحفص وفعل ابلغ من فاعل يقال نخر العظم فهـو نخر وناخر والمعنى أنرد الى الحياة بعد ان صرنا عظاما بالية واذا منصوب بمحذوف وهو نبعث (قالوا) اى منكرو البعث (تلك) رجعتنا (اذا كرة خاسرة) رجعة ذات خسران اوخاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت وبعثنا فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هى زجرة واحدة) متعلق بمحذوف اى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانهـا سهلة هينة فى قدرته فما هى الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صـاح عليه (فاذاهم بالساهرة) فاذاهم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا فى جوفهـا وقيل الساهرة ارض بعينها بالشام الى جنب بيت المقدس او ارض مكة او جهنم (هل أتاك حديث موسى) استفهام يتضمن التنبيه على ان هذا مما يجب ان يشيع والتشريف للمخاطب به

فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله فى عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة ﴿ ائذا كنا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر والكسـائى اذا كنا على الخبر ﴿عظاما ناخرة﴾ بالية وقرأ الحجازيان وابوعمرو والشامى وحفص وروح نخرة وهى ابلغ ﴿ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ﴾ ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انهـا ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنـا بها وهو استهزاء منهم ﴿ فانما هى زجرة واحدة ﴾ متعلق بمحذوف اى لاتستصعبوها فما هى الا صيحة واحدة يعنى النفخة الثانية ﴿ فاذاهم بالساهر ﴾ فاذاهم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا فى بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة للتى يجرى ماؤها وفى ضدها نائمة اولان سـالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم ﴿ هل اتاك حديث موسى ﴾ اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليـه بان يصيبهم مثل ما اصـاب من هو اعظم منهم

احيـاء بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان فى حافرته اى رجع من حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لابتداء الشئ واول الشئ ويقال رجع فلان فى حافرته اى فى طريقه الذى جاء منه يحفره بمشيته فحصل باثر قدميه حفر فهى محفورة فى الحقيقة وقيل الحافرة الارض التى تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى أئنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشى عليها وقيل الحافرة النـار ﴿ أئذا كنا عظاما نخرة ﴾ اى بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التى يمر فيهـا الريح فتنخر اى تصوت ﴿ قالوا ﴾ يعنى المنكرين للبعث اذا عاينوا اهوال القيـامة ﴿ تلك اذا كرة خاسرة ﴾ اى رجعة غابنة يعنى ان رددنا بعد الموت لنخسرن بمـا يصيبنا بعد الموت ﴿ فانما هى ﴾ يعنى النفخة الاخيرة ﴿ زجرة واحدة ﴾ اى صيحة واحدة يجمعون بها جميعا ﴿ فاذاهم بالسـاهرة ﴾ يعنى وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هى التى كثر الوطء عليها كانها سهرت والمعنى انهم كانوا فى بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هى ارض الشـام وقيل ارض القيامة وقيل هى ارض جهنم * قوله عز وجل ﴿ هل أتاك حديث موسى ﴾ يعنى قد أتاك حديث موسى يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وانه

(أئذا كنا عظاما نخرة) ناخرة باليـة ويقـال ميتـة ان قرأت بالالف كيف يبعثنا فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلى يبعثكم (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) رجعة خائبة لانكون فقال الله (فانما هى زجرة واحدة) نفخة واحدة لاتثنى وهى نفخة البعث (فاذاهم بالساهرة) على وجه الارض ويقـال بارض المحشر (هل أتاك) يا محمد صلى الله عليه وسلم استفهاما منه يعنى قد اتاك ويقال ما اتاك ثم اتاك (حديث موسى) خبر موسى

(كان)

(يوم ترجف) تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الراجفة) النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها لانها تضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها (تتبعها) حال عن الراجفة (الرادفة) النفخة الثانية لانها تردف الاولى و بينهما اربعون سنة والاولى تميت الخلق والثانية تحييهم (قلوب يومئذ) قلوب منكرى البعث (واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب وانتصاب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اى يوم ترجف وجفت القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء وواجفة صفتها (ابصارها) اى ابصار اصحابها (خاشعة) ذليلة لهول ماترى خبرها (يقولون) اى منكرو البعث فى الدنيا استهزاء وانكارا للبعث (أئنا لمردودون فى الحافرة) استفهام بمعنى الانكار اى أنرد بعد موتنا الى اول الامر فنعود احياء كما كنا والحافرة الحالة الاولى يقال لمن كان فى امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اى الى حالته الاولى ويقال النقد عند الحافرة اى عند الحالة الاولى وهى الصفقة انكروا البعث ثم زادوا استبعادا فقالوا

الظفر اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة مابعده عليه ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اوالواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى ﴿ تتبعها الرادفة ﴾ التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتثر اوالنفخة الثانية والجملة موقع الحال ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ شديد الاضطراب من الوجيف وهى صفة القلوب والخبر ﴿ ابصارها خاشعة ﴾ اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب ﴿ يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة ﴾ فى الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع

يعنى النفس تنشط من القدمين بمعنى تجذب * والسابحات سبحا يعنى السفن * والسابقات سبقا يعنى مسابقة نفوس المؤمنين الى الخيرات والطاعات * اما قوله فالمدبرات امرا فاجمعوا على انهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عزوجل العمل بها وقال عبدالرحمن بن سابط يدبر الامر فى الدنيا اربعة املاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى اقسم الله بهذه الاشياء اشرفها ولله ان يقسم بما يشاء من خلقه او يكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ يعنى النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شئ ويموت منها جميع الخلق ﴿ تتبعها الرادفة ﴾ يعنى النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شئ والاخرى تحيي كل شئ باذن الله عزوجل وقيل الراجفة التى تزلزل الارض والجبال والرادفة التى تشق السماء وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البغوى بسند الثعلبي عن ابى بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه * قوله عزوجل ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ اى خافقة قلقة مضطربة وقيل وجلة زائلة عن اماكنها ﴿ ابصارها خاشعة ﴾ اى ابصار اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى ﴿ يقولون ﴾ يعنى المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت ﴿ أئنا لمردودون فى الحافرة ﴾ يعنى انرد الى اول الحال وابتداء الامر فنصير

(يوم ترجف الراجفة) وهى النفخة الاولى يتزلزل كل شئ (تتبعها الرادفة) وهى النفخة الاخيرة (قلوب يومئذ) يوم القيامة (واجفة) خائفة (ابصارها خاشعة) ذليلة (يقولون) كفار مكة النضر بن الحرث واصحابه (أئنا لمردودون فى الحافرة) الى الدنيا ويقال من القبور

(قا وخا ٥٧ س)

ويسبحون فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونه اسرع حركة فيدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا اوصفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من مدبرات اوحال سالوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات اوصفات انفس الغزاة اوايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر امرا وهم الملائكة ويقال والنازعات غرقا هى قسى الغزاة والناشطات نشطا هى اوهاق الغزاة والسابحات سبحا هى سفن غزاة البحر والسابقات سبقا هى خيول الغزاة فالمدبرات امرا هم قواد الغزاة ويقال والسابحات سبحا هى الشمس والقمر والليل والنهار اقسم الله بهؤلاء الاشياء ان النفختين لكائنتان بينهما اربعون سنة ثم بينهما فقال

سبحا يعنى الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح فى الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع فى جريه يقال له سابح * فالسابقات سبقا يعنى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة * الوجه الثانى فى قوله والنازعات غرقا يعنى النفس حين تنزع من الجسد فتغرق فى الصدر ثم تخرج * والناشطات نشطا قال ابن عباس هى نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده فى الجنة قبل ان يموت وقال على بن طالب هى ارواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم * والسابحات سبحا يعنى ارواح المؤمنين حين تسبح فى الملكوت * فالسابقات سبقا يعنى استباقها الى الحضرة المقدسة * والوجه الثالث فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى النجوم تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب * والناشطات نشطا يعنى النجوم تنشط من افق الى افق اى تذهب * والسابحات سبحا يعنى النجوم والشمس والقمر يسبحون فى الفلك * فالسابقات سبقا يعنى النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير * والوجه الرابع فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى خيل الغزاة تنزع فى اعنتها وتغرق فى عرقها وهى الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهى السابحات فى جريها وهى السابقات سبقا لاستباقها الى الغاية * الوجه الخامس فى قوله والنازعات غرقا يعنى الغزاة حين تنزع قسيها فى الرمى فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا * والناشطات نشطا اى السهام فى الرمى * والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعنى الخيل والابل حين يخرجها اصحابها الى الغزو * الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيأ واحدا * فقوله والنازعات يعنى ملك الموت ينزع النفوس غرقا حتى يبلغ بها الغاية * والناشطات نشطا

(يعنى)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا) لاوقف الى هنا ولزم هنا لانه لووصل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة فى ذلك اليوم اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الارواح من الاجساد غرقا اى اغراقا فى النزع اى تنزعها من اقاصى الاجساد من انامله ومواضع اظفارها وبالطوائف التى تنشطها اى تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التى تسبح فى مضيها اى تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم فى دينهم اودنياهم كما رسم لهم اوبخيل الغزاة التى تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتى تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج

من بلد الى بلد والتى تسبح فى جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها فى النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط فى اقصى الغرب والتى تخرج من برج الى برج والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة

﴿والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا﴾ هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من اقصى الابدان او نفوسها غرقة فى الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المومنين الى الجنة فيدبرون امر ثوابها وعقابها بان يهيئوها لادراك ما اعدلها من الآلام واللذات اوالاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون فى مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره اوصفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط فى اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد

* قوله عز وجل ﴿والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا﴾ اختلفت عبارات المفسرين فى هذه الكلمات هل هى صفات لشئ واحد ام لاشياء مختلفة على اوجه واتفقوا على ان المراد بقوله ﴿فالمدبرات امرا﴾ وصف لشئ واحد وهم الملائكة * الوجه الاول قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى الملائكة تنزع ارواح الكفار من اقاصى اجسامهم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق اى والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء * والناشطات نشطا الملائكة تنشط نفس المؤمن اى تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق * والسابحات

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والنازعات) يقول اقسم الله بالملائكة الذين ينزعون نفوس الكافرين (غرقا) غرقت نفسه فى صدره وهى ارواح الكافرين (والناشطات) وأقسم بالملائكة الذين ينشطون نفوس الكافرين بالكرب والغم نشطا كنشط السفود كثير الشعب من الصوف ويقال هى ارواح المؤمنين تنشط بالخروج الى الجنة (والسابحات سبحا) وأقسم بالملائكة الذين ينزعون نفوس الصالحين يسلونها سلا رفيقا رويدا ثم يتركونها حتى تستريح ويقال هى ارواح المؤمنين (فالسابقات سبقا) وأقسم بالملائكة الذين يسبقون بارواح المؤمنين الى الجنة وارواح الكافرين الى النار ويقال هى ارواح المؤمنين تسبق الى الجنة (فالمدبرات امرا) وأقسم بالملائكة الذين يدبرون امور العباد يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ويقال والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا كل هؤلاء النجوم فالمدبرات

لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا (ماقدمت يداه) من الشر لقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بماقدمت ايديكم وتخصيص الايدى لان اكثر الاعمال تقع بها وان احتمل ان لايكون للايدى مدخل فيما

ماقدمت يداه﴾ يرى ماقدمه من خير اوشر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر اواستفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه ﴿ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾ فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف اوفى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

﴿ سورة النازعات مكية وآيها خمس اوست واربعون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ماقدمت يداه﴾ يعنى من خير اوشر مثبتا فى صحيفته ينظر اليه يوم القيامة ﴿ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾ قال عبدالله بن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقيل يقول الله عزوجل للبهائم بعد القصاص انا خلقناكم وسخرناكم لبنى آدم وكنتم مطيعين لهم ايام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال ياليتنى كنت فى الدنيا فى صورة بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وأمر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقيل لسائر الامم سوى الناس والجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا رأى ما انعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال ياليتنى كنت ترابا يعنى متواضعا فى طاعة الله فى الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك انه عاب آدم وكونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار فاذا كان يوم القيامة ورأى ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال ياليتنى كنت ترابا قال ابوهريرة رضى الله عنه يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النازعات مكية وهى ست وقيل خمس واربعون آية ﴾

﴿ ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثون وخمسون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ارتكب من الآثام (ويقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم او المرء عام وخص منه الكافر وماقدمت يداه ما عمل من خير وشر اوهو المؤمن لذكر الكافر بعده وما قدم من خير وما استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه او موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته يعنى نظرت اليه والراجع فى الصلة محذوف اى ماقدمته (ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف اوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يتمنى ان يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب اولاده المؤمنين والله اعلم

﴿ سورة النازعات ست واربعون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المؤمن ويقال الكافر (ماقدمت) ما عملت (يداه) من خير او شر (ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) مع البهائم من الهول والشدة والعذاب تمنى الكافر ان يكون ترابا مع البهائم وذلك يوم ترجف الراجفة ﴿ومن السورة التى يذكر فيها النازعات وهى كلها مكية آياتها خمس واربعون وكلماتها مائة وثلاث وسبعون وحروفها تسعمائة وثلاثة وخمسون (بسم الله الرحمن الرحيم) (قوله)

السموات والارض وفي (منه خطابا) لله تعالى اي لايملكون الشفاعة من عذابه تعالى الا باذنه اولايقدر احد ان يخاطبه تعالى خوفا (يوم يقوم) ان جعلته طرفا للايملكون لاتقف على خطابا وان جعلته ظرفا للايتكلمون تقف (الروح) جبريل عندالجمهور وقيل هو ملك عظيم ماخلق الله تعالى بعدالعرش خلقا اعظم منه (والملائكة صفا) حال اي مصطفين (لايتكلمون) اي الخلائق ثم خوفا (الا من اذن له الرحمن) في الكلام او الشفاعة (وقال صوابا) حقا بان قال المشفوع له لااله الاالله في الدنيا او لا يؤذن الا لمن يتكلم بالصواب في امر الشفاعة (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) مرجعا بالعمل الصالح (انا انذرناكم) ايها الكفار (عذابا قريبا) في الآخرة لان ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء) الكافر

منه خطابا ﴾ والواو لاهل السموات والارض اي لايملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لاينافي الشفاعة باذنه ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ تقرير وتوكيد لقوله لايملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للايملكون اوللايتكلمون والروح ملك مؤكل على الارواح او جنسها اوجبريل او خلق اعظم من الملائكة ﴿ ذلك اليوم الحق ﴾ الكائن لامحالة ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه ﴾ الى ثوابه ﴿ مآبا ﴾ بالايمان والطاعة ﴿ انا انذرناكم عذابا قريبا ﴾ يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ماهو آت قريب ولان مبدأه الموت ﴿ يوم ينظر المرء

منه خطابا ﴾ اي لايقدر الخلق ان يكلموا الرب الا باذنه وقيل لايملكون منه خطابا اي لايملكون شفاعة الا باذنه في ذلك اليوم ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾ قيل هو جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ماخلق الله مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم اعظم من السموات والارض والجبال وهو في السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجيء يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وعنه انهم بنو آدم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقوم سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة ﴿ لايتكلمون ﴾ يعني الخلق كلهم اجلالا لعظمة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشأنه من هول ذلك اليوم ﴿ الا من اذن له الرحمن ﴾ اي في الكلام ﴿ وقال صوابا ﴾ اي حقا في الدنيا وعمل به وقيل قال لااله الاالله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الآية لايشفعون الا في شخص اذن الرحمن في الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا في الدنيا وهو لااله الاالله ﴿ ذلك اليوم الحق ﴾ اي الكائن الواقع لامحالة وهو يوم القيامة ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ﴾ اي سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله وما يتقرب به اليه ﴿ انا انذرناكم ﴾ اي خوفناكم في الدنيا ﴿ عذابا قريبا ﴾ اي في الآخرة وكل ما هو آت قريب ﴿ يوم ينظر المرء

منه) عبده يعني الملائكة وغيرهم (خطابا) كلاما في الشفاعة حتى يأذن الله لهم (يوم يقوم الروح) يعني جبريل ويقال هو خلق لا يعلم عظمته الاالله وقال ابن مسعود الروح ملك اعظم من كل شئ غير العرش يسبح الله في كل يوم اثنى عشر الف تسبيحة فيخلق الله من كل تسبيحة ملكا يستغفر للمؤمنين الى يوم القيامة فيجئ يوم القيامة وهو صف واحد ويقال هم خلق من الملائكة لهم ارجل وأيد مثل بني آدم (والملائكة) ويوم يقوم الملائكة (صفا لايتكلمون) بالشفاعة يعني الملائكة (لامن أذن له الرحمن) في الشفاعة (وقال صوابا) حقا لااله لا الله (ذلك اليوم الحق) الكائن يكون فيه ماوصفت (فمن شاء اتخذ الى ربه) وحد واتخذ بذلك التوحيد الى ربه (مآبا) مرجعا (انا انذرناكم) خوفناكم يا اهل مكة (عذابا قريبا) كائنا (يوم ينظر المرء) يبصر

في الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار (ان للمتقين مفازا) مفعول من الفوز
... من كل مكروه وظفر بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم ابدل عنه بدل البعض من الكل
... حدائق ... من انواع شجر الثمر جمع حديقة (واعنابا) كروما عطف على حدائق (وكواعب) نواهد
... في السن (وكاسا ... ﴿٤٤٤﴾ دهاقا) مملوءة (لايسمعون فيها) في الجنة

فلن نزيدكم الا عذابا ﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ﴿ ان للمتقين مفازا ﴾ فوزا او موضع فوز ﴿ حدائق واعنابا ﴾ بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض ﴿ وكواعب ﴾ نساء فلكت ثديهن ﴿ اترابا ﴾ لدات ﴿ وكاسا دهاقا ﴾ ملآنا وادهق الحوض ملأه ﴿ لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا ﴾ وقرأ الكسائي بالتخفيف اى كذبا او مكاذبة اذ لايكذب بعضهم بعضا ﴿ جزاء من ربك ﴾ بمقتضى وعده ﴿ عطاء ﴾ تفضلا منه اذ لايجب عليه شئ وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به ﴿ حسابا ﴾ كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اى محسبا كالدراك بمعنى المدرك ﴿ رب السموات والارض ومابينهما ﴾ بالجر بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابوعمرو على الابتداء ﴿ الرحمن ﴾ بالجر صفة له في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع في قراءة ابي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الاول ورفع الثاني على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره ﴿ لايملكون

﴿ فلن نزيدكم الا عذابا ﴾ قيل هذه الآية اشد آية في القرآن على اهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه * قوله عز وجل ﴿ ان للمتقين مفازا ﴾ اى فوزا اى نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال ﴿ حدائق ﴾ جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه كل ما يشتهون ﴿ واعنابا ﴾ التنكير يدل على تعظيم ذلك العنب ﴿ وكواعب ﴾ جمع كاعب يعنى جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن ﴿ اترابا ﴾ يعنى مستويات في السن ﴿ وكاسا دهاقا ﴾ قال ابن عباس مملوأة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية ﴿ لايسمعون فيها ﴾ اى في الجنة وقيل في حالة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شربهم ﴿ لغوا ﴾ اى باطلا من الكلام ﴿ ولا كذابا ﴾ اى تكذيبا والمعنى انه لايكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به ﴿ جزاء من ربك عطاء حسابا ﴾ اى جازاهم جزاء واعطاهم عطاء حسابا اى كافيا وافيا وقيل حسابا يعنى كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم ﴿ رب السموات والارض ومابينهما الرحمن لايملكون

حال اي ... (فلن نزيدكم الا عذابا) ... مكذبة اى لايكذب بعضهم بعضا اولايكذبه احد (جزاء) مصدر اى جزاهم جزاء (من ربك عطاء) مصدر او بدل من جزاء (حسابا) صفة يعنى كافيا ... حسب اعمالهم (رب السموات والارض ومابينهما الرحمن) بجرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ربك ... ورفعهما ... خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره الرحمن او الرحمن صفته ولايملكون خبره وهما خبران والضمير في (لايملكون) لاهل ... (فلن نزيدكم) في ... (الا عذابا) ... مؤمنين فقال (ان للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (مفازا) نجاة من النار ... الى الله (حدائق) ... عليها من

... كروما (وكواعب) جوارى متفلكات الثديين (اترابا) مستويات (منه)
... على ثلاثة وثلاثين سنة (وكاسا دهاقا) ملاى متتابعة (لايسمعون فيها) اهل الجنة في الجنة (لغوا)
... (ولا كذابا) لايكذب بعضهم على بعض (جزاء) ثوابا (من ربك عطاء) اعطاهم في الجنة (حسابا) بواحد
... موفقة عملهم (رب السموات والارض ومابينهم) من الخلق والعجائب (الرحمن) هو الرحمن (لايملكون

حر النــار اونوما ومنه منع البرد البرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون

احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العــام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيهــا حقبين وقوله لايذوقون تفسير له والمراد بالبرد ماروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق ماينسق اى يسيل من صديدهم وقيــل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤس الآى وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتشديد ﴿ جزاء وفاقا ﴾ اى جوزوا بذلك جزاء ذاوفاق لاعمالهم اوموافقا لها اووافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا ﴿ انهم كانوا لايرجون حسابا ﴾ بيان لمــا وافقه هذا الجزاء ﴿ وكذبوا بآياتنــا كذابا ﴾ تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع فى كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله

فصــدقتها وكذبتهــا ❁ والمرء ينفعــه كذابه

وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا فى تكذيبهم اوالمكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة اوكانوا مبــالغين فى الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين اومكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهوجمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اى تكذيبا مفرطــا كذبه ﴿ وكل شئ احصينــاه ﴾ وقرئ بالرفع على الابتــداء ﴿ كتابا ﴾ مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان فى معنى الضبط او لفعله المقدر اوحال بمعنى مكتوبا فى اللوح اوفى صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله ﴿ فذوقوا

وقيل هو الماء الحار الذى انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد اهل النار ﴿ جزاء وفاقا ﴾ اى جزيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلاذنب اعظم من الشرك ولاعذاب اعظم من النار ﴿ انهم كانوا لايرجون حســابا ﴾ اى لايخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لايؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبون ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ اى التى جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحســاب ﴿ كذابا ﴾ اى تكذيبا قال الفراء هى لغة يمانية فصيحة يقولون فى مصدر التفعيل فعال قال وقد سألنى اعرابى منهم يستفتينى الحلق احب اليك ام القصار يريد التقصير ﴿ وكل شى ﴾ اى من الاعمال ﴿ احصيناه ﴾ اى بيناه واثبتناه ﴿ كتابا ﴾ اى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شئ علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى انا عالم بجميع ما فعلوه من خير وشر وانا اجازيهم على قدر اعمــالهم جزاء وفاقا ﴿ فذوقوا ﴾ اى يقــال لهم ذوقوا

فيها حميــا ماء حارا يحرق مايأتى عليه وغســاقا ماء يســيل من صــديدهم وبالتشــديد كوفى غير ابى بكر (جزاء) جوزوا جزاء (وفاقا) موافقا لاعمالهم مصــدر بمعنى الصفة اوذا وفاق ثم استأنف معللا فقال (انهم كانوا لايرجون حسابا) لايخافون محاسبة الله اياهم اولم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حسابا (وكذبوا بآياتنــا كذابا) تكذيبا وفعــال فى معنى فعل كله فاش (وكل شئ) نصب بمضمر يفسره (احصيناه كتــابا) مكتوبا فى اللوح بالحساب اوحال اومصدر فى موضــع احصــاء او احصينا فى معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لان قوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحســاب وتكذيبهــم بالآيات اى فذوقوا جزاءكم والالتفات شــاهد على شدة الغضب

(جزاء وفاقا) موافقة اعمالهم (انهم كانوا) فى الدنيا (لايرجون حسابا) لايخافون عذابا فى الآخرة ولايؤمنون به (وكذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (كذابا) تكذيبا (وكل شئ) من اعمال بنى آدم (احصيناه كتابا) كتبنــاه فى اللوح المحفوظ (فذوقوا) العذاب فى النار

(للطاغين مآبا) للكافرين مرجعا (لابثين) ماكثين حال مقدرة من الضمير فى للطاغين حمزة لبثين واللبث اقوى اذ اللابث من وجد منه اللبث وان قل واللبث من شأنه اللبث والمقام فى المكان (فيها) فى جهنم (احقابا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الابد كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة الا اذا اريد تتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فاجاب بعد عشرين سنة لابثين فيها احقابا (لايذوقون فيها بردا ولا شرابا) اى غير ذائقين حال من ضمير لابثين فاذا انقضت هذه الاحقاب التى عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا باحقاب اخر فيها عذاب آخر وهى احقاب بعد احقاب لاانقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم اى لابثين فيها حقبين جهدين ولايذوقون فيها بردا ولاشرابا تفسير له وقوله (الا حميما وغساقا) استثناء منقطع اى لايذوقون فى جهنم او فى الاحقاب بردا روحا ينفس عنهم

منها واحد كالطمان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة ﴿ للطاغين مآبا ﴾ مرجعا ومأوى ﴿ لابثين فيها ﴾ وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ ﴿ احقابا ﴾ دهورا متتابعة وليس فيه مايدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه مايقتضى تناهى تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله تعالى ﴿ لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الا حميما وغساقا ﴾ حال من المستكن فى لابثين او نصب احقابا بلايذوقون

السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكملت به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا اى معدة لهم وقيل هو من رصدت الشئ ارصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذى يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار اى تنتظرهم ﴿ للطاغين ﴾ اى الكافرين ﴿ مآبا ﴾ اى مرجعا يرجعون اليها ﴿ لابثين فيها ﴾ اى فى جهنم ﴿ احقابا ﴾ جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة يروى ذلك عن على بن ابى طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر الف سنة فان قلت الاحقاب وان طالت فهى متناهية وعذاب الكفار فى جهنم غير متناه فما معنى قوله احقابا قلت ذكروا فيه وجوها * احدها ما روى عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل حقب آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى عن عبدالله بن مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا * الوجه الثانى ان لفظ الاحقاب لايدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا لا يذوقون فيها اى فى تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذى يبدلونه لاتوقيت للبثهم فيها * الوجه الثالث ان الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعنى ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل ﴿ لايذوقون فيها بردا ﴾ قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا اى روحا وراحة وقيل لايذوقون بردا ينفعهم ﴿ ولاشرابا ﴾ اى ينفعهم عن عطش ﴿ الا حميما وغساقا ﴾ اى لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب

(للطاغين) للكافرين (مآبا) مرجعا (لابثين فيها احقابا) مقيمين فى جهنم احقابا حقبا {وقيل}
بعد حقب والحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم الواحد الف سنة مما تعد اهل الدنيا ويقال لايعلم عدد تلك الاحقاب الا الله فلاينقطع عنهم (لا يذوقون فيها) فى النار (بردا) ماء باردا ويقال نوما (ولاشرابا) باردا (الا حميما) ماء حارا قد انتهى حره (وغساقا) زمهريرا ويقال ماء منتنا

مجتمعة ولا وقف من لم يجعل الى الفافا والوقف الضرورى على اوتادا ومعاشا (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل (كان ميقاتا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء او ميعادا للثواب والعقاب (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل

او عطف بيان [illegible] (فى الصور) فى القرن (فتأتون افواجا) حال اى [illegible] مختلفة و [illegible] (وفتحت السماء) [illegible] حتى تكون فى [illegible] لنزول الملائكة (فكانت [illegible] فصارت ذات ابواب [illegible] وما [illegible] من [illegible] (وسيرت الجبال) [illegible] [illegible]

فوجا جماعة جماعة (وفتحت ([illegible] ٥٦ س) السماء) [illegible] ابواب السماء [illegible]
الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرابا) فكانت كالسراب (ان جهنم كانت مرصادا) [illegible]

جنة لف وعيشى مغدق ونداى كلهم بيض زهر

او لفيف كشريف اولف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار اوملتفة بحذف الزوائد ﴿ ان يوم الفصل كان ﴾ فى علم الله تعالى او فى حكمه ﴿ ميقاتا ﴾ حدا تؤقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ﴿ يوم ينفخ فى الصور ﴾ بدل او بيان ليوم الفصل ﴿ فتأتون افواجا ﴾ جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه فقال تحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم فيسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبوسون جبابا سابغات من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربا والجائرين فى الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء ﴿ وفتحت السماء ﴾ وشقت وقرأ الكوفيون بالتخفيف ﴿ فكانت ابوابا ﴾ فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت ذات ابواب ﴿ وسيرت الجبال ﴾ اى فى الهواء كالهباء ﴿ فكانت سرابا ﴾ مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وتبثها ﴿ ان جهنم كانت مرصادا ﴾ [illegible] يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى يضمر فيه الخيل او محدة فى ترصد الكفرة [illegible]

اخبر عنه بقوله تعالى ﴿ ان يوم الفصل ﴾ اى الحساب ﴿ كان ميقاتا ﴾ اى [illegible] الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع فيه الخلائق ليقضى بينهم ﴿ يوم ينفخ فى الصور ﴾ يعنى النفخة الاخيرة ﴿ فتأتون افواجا ﴾ يعنى زمرا زمرا من كل [illegible] للحساب ﴿ وفتحت السماء فكانت ابوابا ﴾ يعنى فكانت ذوات ابواب لنزول الملائكة [illegible] وتتناثر حتى يصير فيها ابواب وطرق ﴿ وسيرت الجبال ﴾ اى عن وجه الارض ﴿ فكانت سرابا ﴾ اى هباء منبثا كالسراب فى عين الناظر ﴿ ان جهنم كانت مرصادا ﴾ اى طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروى عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثانى [illegible] عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما [illegible]

سترا يستركم عن العيون اذا اردتم اخفاء مالاتحبون الاطلاع عليه (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم (وبنينا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديد اى محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان او غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا سراجا وهاجا) مضيأ وقادا اى جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس (وانزلنا من المعصرات) اى السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر ومنه اعصرت الجارية اذادنت ان تحيض او الرياح لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان يجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة (لنخرج به) بالماء (حبا) كالبر والشعير (ونباتا) وكلا (وجنات) بساتين (الفافا) ملتفة الاشجار واحدها لف كجذع واجذاع او لفيف كشريف واشراف اولا واحد له كاوزاع او هى جمع الجمع فهى جمع لف واللف جمع لفاء وهى شجرة ملبسا (وجعلنا النهار معاشا) مطلبا (وبنينا) خلقنا (فوقكم) فوق رؤسكم (سبعا) سبع سموات (شدادا) غلاظا (وجعلنا سراجا وهاجا) شمسا مضيئة لبنى آدم (وانزلنا من المعصرات) بالرياح من السحاب (ماء ثجاجا) مطر كثيرا متتابعا (لنخرج به) لننبت به (حبا ونباتا) بالمطر الحبوب كلها ونباتا وسائر النبات (وجنات الفافا) بساتين

(اخبر)

بظلمته من اراد الاختفاء ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ماتعيشون به او حياة تبعثون فيها عن نومكم ﴿وبنينا فوقكم سبعا شدادا﴾ سبع سموات اقوياء محكمات لايؤثر فيها مرور الدهور ﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾ متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت اوبالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس ﴿وانزلنا من المعصرات﴾ السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ﴿ماء ثجاجا﴾ منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه ﴿لنخرج به حبا ونباتا﴾ مايقتات به ومايعتلف من التبن والحشيش ﴿وجنات الفافا﴾ ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال

اى غطاء وغشاء يستتر كل شئ بظلمته عن العيون ولهذا سمى الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة فى ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ اى سببا للمعاش والتصرف فى المصالح وقال ابن عباس تبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه ﴿وبنينا فوقكم سبعا شدادا﴾ يعنى سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الزمان الى ان يأتى امر الله تعالى ﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾ يعنى الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل فى الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة ﴿وانزلنا من المعصرات﴾ يعنى الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية عن ابن عباس وقيل هى الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء اى وانزلنا بالمعصرات وذلك لان الريح تستدر المطر من السحاب وقيل هى السحاب وفى الرواية الاخرى عن ابن عباس المعصرات السحابة التى حان لها ان تمطر ولما تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرات السموات وذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب ﴿ماء ثجاجا﴾ اى صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى ﴿لنخرج به﴾ اى بذلك الماء ﴿حبا﴾ اى ما يأكله الانسان كالحنطة ونحوها ﴿ونباتا﴾ اى ماينبت فى الارض من الحشيش مما يأكل منه الانعام ﴿وجنات الفافا﴾ اى ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم

(الذي هم فيه مختلفون) فمنهم من يقطع بانكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعا يتساءلون عنه فالمسلم يسأل ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء (كلا) ردع عن الاختلاف او التساؤل هزؤا (سيعلمون) وعيد لهم بانهم سوف يعلمون عيانا انما يتساءلون عنه حق (ثم كلا سيعلمون) كرر الردع للتشديد وثم يشعر ان الثاني ابلغ

من الاول واشد (الم نجعل الارض) لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من اضيف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم لم فعل هذه الاشياء والحكيم لا يفعل عبثا وانكار البعث يؤدي الى انه عابث في كل ما فعل (مهادا) فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها (والجبال اوتادا) للارض لئلا تميد بكم (وخلقناكم ازواجا) ذكرا وانثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا لاعمالكم وراحة لابدانكم والسبت القطع (وجعلنا الليل لباسا)

ويدل عليه قراءة يعقوب عمه ﴿ الذي هم فيه مختلفون ﴾ بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار ﴿ كلا سيعلمون ﴾ ردع عن التساؤل ووعيد عليه ﴿ ثم كلا سيعلمون ﴾ تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون ﴿ الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا ﴾ تذكير ببعض ماعاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به مايمهد لينوم عليه ﴿ وخلقناكم ازواجا ﴾ ذكرا وانثى ﴿ وجعلنا نومكم سباتا ﴾ قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيتين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا ﴿ وجعلنا الليل لباسا ﴾ غطاء يستتر

وسلم وماجاء به ﴿ الذي هم فيه مختلفون ﴾ فمن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر اوشعر اوكهانة او نحو ذلك مما قالوه في القرآن ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القرآن ﴿ كلا ﴾ هي ردع وزجر وقيل هي نفي لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا ﴿ سيعلمون ﴾ اي عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر يعني في القيامة ﴿ ثم كلا سيعلمون ﴾ وعيد على اثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلموا انه قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده وايجاده مرة اخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى ﴿ الم نجعل الارض مهادا ﴾ اي فراشا وبساطا لتستقر عليها الاقدام ﴿ والجبال اوتادا ﴾ يعني للارض حتى لاتميد ﴿ وخلقناكم ازواجا ﴾ يعني اصنافا ذكورا واناثا ﴿ وجعلنا نومكم سباتا ﴾ اي راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات للراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف في الاعمال ﴿ وجعلنا الليل لباسا ﴾

(الذي هم فيه مختلفون) مكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ومصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وذلك اذا انزل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بشئ من القرآن فقرأه عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فيتحدثون فيما بينهم عن ذلك فمنهم من صدق به ومنهم من كذب به (كلا) وهو رد على المكذبين (سيعلمون) سوف يعلمون عند نزول الموت ماذا يفعل بهم (ثم كلا) حقا (سيعلمون) سوف يعلمون في القبر ماذا يفعل بهم وهذا وعيد من الله للمكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ثم ذكر منته عليهم فقال (الم نجعل الارض مهادا) فراشا ومناما (والجبال اوتادا) لها لكي لاتميد بهم (وخلقناكم ازواجا) ذكر او انثى (وجعلنا نومكم سباتا) استراحة لابدانكم ويقال حسنا جميلا (وجعلنا الليل لباسا) مسكنا ويقال

الجزء الثلاثون

﴿ سورة النبأ مكية وآيها اربعون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عم يتساءلون ﴾ اصله عن ما حذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن مايتساءلون عنه كأنه لفخامته خفى جنسه فيسألون عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم و يتراؤنهم اى يدعونهم و يرونهم او للناس ﴿ عن النبأ العظيم ﴾ بيان لشان المفخم اوصلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به

﴿ تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل مكية ﴾
﴿ وهى اربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ عم ﴾ اصله عن ما ﴿ يتساءلون ﴾ عن اى شئ يتساءلون يعنى المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقوله اى شئ زيد اذا عظمت شأنه وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذاجاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عما ذا تساؤلهم فقال تعالى ﴿ عن النبأ العظيم ﴾ يعنى الخبر العظيم الشأن قال الاكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل هونبوة محمد صلى الله عليه

﴿ سورة النبأ مكية وهى اربعون آية ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(عم) اصله عن ما وقرئ بها ثم ادغمت النون فى الميم فصار عما وقرئ بها ثم حذفت الالف تخفيفا للكثرة فى الاستعمال فى الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لانه تعالى لاتخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم من المؤمنين والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء (عن النبأ العظيم) اى البعث وهو بيان للشأن المفخم وتقديره عم يتساءلون عن النبأ العظيم

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها النبأ وهى كلها مكية آياتها اربعون وكلماتها مائة وثلاثون وحروفها ستمائة وتسعون حرفا ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (عم يتساءلون) يقول عماذا يتحدثون يعنى قريشا (عن النبأ العظيم) عن خبر القرآن العظيم الكريم الشريف

(وسلم)

(ويل يومئذ للمكذبين) بالجنة (كلوا وتمتعوا) كلام مستأنف خطاب للمكذبين فى الدنيا على وجه التهديد كقوله
اعملوا ما شئتم (قليلا) لان متاع الدنيا قليل (انكم مجرمون) كافرون اى ان كل مجرم يأكل ويتمتع اياما قلائل
ثم يبقى فى الهلاك الدائم (ويل يومئذ للمكذبين) بالنعم (واذا قيل لهم اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا اليه بقبول
وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار (لا يركعون) لا يخشعون
ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم او اذا قيل لهم صلوا لا يصلون (ويل يومئذ للمكذبين) بالامر والنهى (فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اى ان لم يؤمنوا بالقرآن مع انه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأى كتاب بعده يؤمنون والله اعلم

(ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (كلوا) يامعشر المكذبين (وتمتعوا) عيشوا (قليلا) يسيرا فى الدنيا (انكم مجرمون) مشركون مصيركم النار فى الآخرة وهذا وعيد من الله لهم (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (واذا قيل لهم) للمكذبين اذا كانوا فى الدنيا (اركعوا) اخضعوا لله بالتوحيد
(لا يركعون) لا يخضعون لله بالتوحيد ويقال هذا فى الآخرة حين يقول الله تبارك وتعالى لهم اسجدوا ان كنتم
مصدقين بما تقولون والله ربنا ما كنا مشركين فلم يقدروا على السجود وبقيت اصلابهم كالصياصى ويقال نزلت هذه الآية
فى ثقيف حيث قالوا لا نحنى ظهورنا بالركوع والسجود (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين
بالله والرسول والكتاب والبعث (فبأى حديث) كتاب (بعده) بعد كتاب الله (يؤمنون) ان لم يؤمنوا بهذا النبى

فى العقيدة ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ تمحض لهم العذاب المخلد وخصومهم الثواب المؤبد ﴿ كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ﴾ حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال مايقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل ﴿ واذا قيل لهم اركعوا ﴾ اطيعوا واخضعوا او صلوا اواركعوا فى الصلاة اذ روى انه نزل حين امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبى اى لا نركع فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ﴿ لا يركعون ﴾ لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده ﴾ بعد القرآن ﴿ يؤمنون ﴾ اذا لم يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة * عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والمرسلات كتب له
انه ليس من المشركين

الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا فى قوله ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ قوله عز وجل ﴿ كلوا وتمتعوا قليلا ﴾ يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا فى الدنيا الى منتهى آجالهم وهذا وان كان فى ظاهر اللفظ امرا الا انه فى المعنى نهى بليغ وزجر عظيم ﴿ انكم مجرمون ﴾ اى مشركون بالله مستحقون للعقاب لاجرامهم بقوله ﴿ ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ اى واذا قيل لهم صلوا مع محمد واصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ﴿ ويل يومئذ للمكذبين
فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ اى بعد نزول القرآن اذا
لم يؤمنوا به فبأى شى يؤمنون والله اعلم

(ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا يوم الفصل) بين الحق والمبطل والمحسن والمسيء بالجزاء (جمعناكم) يامكذبي محمد (والاولين) والمكذبين قبلكم (فان كان لكم كيد) حيلة فى دفع العذاب (فكيدون) فاحتالوا على بتخليص انفسكم من العذاب والكيد

متعد تقول كدت فلانا اذا احتلت عليه (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (ان المتقين) من عذاب الله (فى ظلال) جمع ظل (وعيون) جارية فى الجنة (وفواكه مما يشتهون) اى لذيذة مشتهاة (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال اى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك (هنيئا بما كنتم تعملون) فى الدنيا (انا كذلك نجزى المحسنين) فأحسنوا تجزوا بهذا

ويل يومئذ للمكذبين ﴾ عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ بين المحق والمبطل ﴿ جمعناكم والاولين ﴾ تقرير وبيان للفصل ﴿ فان كان لكم كيد فكيدون ﴾ تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ اذ لاحيلة لهم فى التخلص من العذاب ﴿ ان المتقين ﴾ من الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين ﴿ فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون ﴾ مستقرون فى انواع الترفه ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ﴾ اى مقولا لهم ذلك ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين ﴾

تستحب وفاق القوافى والقرآن نزل على ماتستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لايكون اذن واعتذار قال الجنيد اى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر اياديه ونعمه فان قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر فى الحقيقة لانه قد تقدم الاعذار والانذار فى الدنيا فلم يبق لهم عذر فى الآخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم فى ذلك العذر الفاسد ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ يعنى انه لما تبين انه لاعذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لاجرم قال فى حقهم ويل يومئذ للمكذبين ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ يعنى بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد فى الحقوق والمحاكمات ﴿ جمعناكم والاولين ﴾ يعنى مكذبى هذه الامة والذين كذبوا انبياءهم من الامم الماضية ﴿ فان كان لكم كيد فكيدون ﴾ اى ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون ان الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا فى نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا عقبه بقوله ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ قوله عز وجل ﴿ ان المتقين ﴾ اى الذين اتقوا الشرك ﴿ فى ظلال ﴾ جمع ظل وهو ظل الاشجار ﴿ وعيون ﴾ اى فى ظلالهم عيون ماء ﴿ وفواكه مما يشتهون ﴾ اى يتلذذون بها ﴿ كلوا واشربوا ﴾ اى ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما اعظمها من نعمة اويكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام ﴿ هنيئا ﴾ اى خالص اللذة لايشوبه تنغيص ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ اى فى الدنيا من الطاعات ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين ﴾ قيل المقصود منه تذكير الكفار مافاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقدمين المحسنين لفازوا بمثل ذلك

ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (هذا يوم الفصل) بين الخلائق (جمعناكم) يامعشر المكذبين (والاولين) قبلكم والآخرين بعدكم (فان كان لكم) يا معشر المكذبين . (كيد)مقدرة ان تصنعوا بى شيأ (فكيدون) فاصنعوا بى ويقال فان كان لكم كيد حيلة فكيدون فاحتالوا بى (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث ثم بين مستقر المؤمنين فقال (ان المتقين) الكفر والشرك والفواحش (فى ظلال) ظلال الشجرة (وعيون) ماء ظاهر جار (وفواكه) والوان الفواكه (مما يشتهون) يتمنون (كلوا) فيقول الله تبارك وتعالى لهم كلوا من الثمار (واشربوا) من الانهار (هنيئا) سائغا بلاداء ولاموت (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخيرات فى الدنيا (انا كذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالقول والفعل

(لا ظليل) نعت ظل اى لامظل من حر ذلك اليوم وحر النار (ولايغنى) فى محل الجر اى وغير مغن لهم (من اللهب) من حر اللهب

شيأ (انها) اى النار (ترمى بشرر) هو ما تطاير من النار (كالقصر) فى العظم وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة (كأنه جمالة) وفى غير ابى بكر جمع جمل جمالات غيرهم جمع الجمع (صفر) جمع اصفر اى سود وتضرب الى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون (ويل يومئذ للمكذبين) بان هذه صفتها (هذا يوم لا ينطقون) وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال فى ذلك اليوم مواقف فى بعضها يختصمون وفى بعضها لا ينطقون اولا ينطقون بما ينفعهم جعل نطقهم كلا نطق (ولا يؤذن لهم) فى الاعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى اى لا يكون لهم اذن واعتذار

تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره ﴿لاظليل﴾ تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ﴿ولا يغنى من اللهب﴾ وغير مغن عنهم من حر اللهب شيأ ﴿انها ترمى بشرر كالقصر﴾ اى كل شررة كالقصر فى عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب ﴿كأنه جمالات﴾ جمع جمال او جمالة جمع جمل ﴿صفر﴾ فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهت بها فى امتداده والتفافه ﴿ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون﴾ اى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون

ايمانهم وعن شمائلهم ﴿لاظليل﴾ اى ان ذلك الظل لا يظل من حر ﴿ولا يغنى من اللهب﴾ اى لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب ﴿انها﴾ يعنى جهنم ﴿ترمى بشرر﴾ جمع شرارة وهى ما تطاير من النار ﴿كالقصر﴾ يعنى كالبناء العظيم ونحوه وقيل هى اصول الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمى بشرر كالقصر فقال هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر ﴿كأنه﴾ يعنى الشرر ﴿جمالات﴾ جمع الجمال وقال ابن عباس هى حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الجمال ﴿صفر﴾ جمع اصفر يعنى ان لون ذلك الشرر اصفر وانشد بعضهم

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء فى الحديث ان شرر نار جهنم اسود كالقير والعرب تسمى سود الابل صفرا لانه يشوب سوادها شئ من الصفرة وقيل هى قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كانه شئ مجموع غليظ اصفر ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ قوله عز وجل ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ يعنى بحجة تنفعهم قيل هذا فى بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان فى بعضها يتكلمون وفى بعضها يختصمون وفى بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الآى بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما

(لاظليل) لا كنين من حر النار (ولا يغنى من اللهب) من لهب النار (انها) يعنى النار (ترمى بشرر) تقذف بالشرر (كالقصر) كاسافل الشجر العظام (كأنه جمالة صفر) سود (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (هذا يوم لا ينطقون) فى بعض المواطن وينطقون فى بعض المواطن (ولا يؤذن لهم) بالكلام (فيعتذرون)

(تستحب)

خلقه فقدره (ويل يومئذ للمكذبين) بنعمة الفطرة (الم نجعل الارض كفاتا) هو من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب (احياء وامواتا) كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت اى تكفت احياء على ظهرها وامواتا فى بطنها والتنكير فيهما للتفخيم اى تكفت احياء لايعدون وامواتا لايحصرون (وجعلنا فيها رواسى) جبالا نوابت (شامخات) عاليات (واسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) اى يقال للكافرين يوم القيامة سيروا الى النار التى كنتم بها تكذبون (انطلقوا) تكرير للتوكيد (الى ظل) دخان جهنم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق

﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بقدرتنا على ذلك او على الاعادة ﴿ الم نجعل الارض كفاتا ﴾ كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويقبض كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام اوكفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار اقطارها ﴿ احياء وامواتا ﴾ منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعولية وكفاتا حال او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ماينبت وبالاموات مالاينبت ﴿ وجعلنا فيها رواسى شامخات ﴾ جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او الاشعار بان فيها مالم يعرف ولم ير ﴿ واسقيناكم ماء فراتا ﴾ بخلق الانهار والمنابع فيها ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بامثال هذه النعم ﴿ انطلقوا ﴾ اى يقال لهم انطلقوا ﴿ الى ما كنتم به تكذبون ﴾ من العذاب ﴿ انطلقوا ﴾ خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم للامر اضطرارا ﴿ الى ظل ﴾ يعنى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم ﴿ ذى ثلاث شعب ﴾ يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق تفرق الذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم اولان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره ولذلك قيل شعبة

حيث خلقناه فى احسن صورة وهيئة ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ اى المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة ﴿ الم نجعل الارض كفاتا ﴾ يعنى وعاء واصله الضم والجمع ﴿ احياء وامواتا ﴾ يعنى تكفتهم احياء على ظهرها بمعنى تضمهم فى دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا فى بطنها فى قبورهم ولذلك تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها ﴿ وجعلنا فيها ﴾ اى فى الارض ﴿ رواسى شامخات ﴾ يعنى جبالا عاليات ﴿ واسقيناكم ماء فراتا ﴾ يعنى عذبا ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ يعنى ان هذا كله اعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث * قوله عز وجل ﴿ انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ﴾ يعنى يقال للمكذبين بيوم القيامة فى الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله ﴿ انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب ﴾ يعنى دخان جهنم اذ سطع وارتفع تشعب وتفرق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى فى ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن

وصورنا خلقه (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث ثم ذكر منته على عباده فقال (الم نجعل الارض كفاتا) تكفتهم (احياء) على ظهرها (وامواتا) فى بطنها ويقال اوعية للاحياء والاموات (وجعلنا فيها) فى الارض (رواسى) جبالا ثوابت فى مكانها اوتادا لها (شامخات) طوالا (واسقيناكم) ﴿ق وخا ۵۵ س﴾ يا معشر المكذبين (ماء فراتا) عذبا حلوا ويقال لينا (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (انطلقوا) يا معشر المكذبين (الى ما كنتم به) فى الدنيا (تكذبون) انه لايكون وهو عذاب النار تقول لهم الزبانية بعد الفراغ من الحساب (انطلقوا) يا معشر المكذبين (الى ظل) من دخان النار (ذى ثلاث شعب) فرق

(ليوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره وهو بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق (وما ادراك مايوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره (ويل) مبتدأ وان كان نكرة لانه في اصله مصدر منصوب سادمسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم (يومئذ) ظرفه (للمكذبين) بذلك اليوم خبره (الم نهلك الاولين) الامم الخالية المكذبة (ثم نتبعهم الآخرين) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لاهل مكة اى ثم نفعل بامثالهم من الآخرين مافعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالمجرمين) بكل من اجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بما اوعدنا (الم نخلقكم من ماء مهين) حقير وهو النطفة (فجعلناه) اى الماء (في قرار مكين) مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل (الى قدر معلوم) الحال اى مؤخرا الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة اشهر او مافوقها او مادونها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول احق لقراءة نافع وعلى بالتشديد ولقوله من نطفة

بمعنى اعلمت ﴿ ليوم الفصل ﴾ بيان ليوم التأجيل ﴿ وما ادراك مايوم الفصل ﴾ ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ اى بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته ﴿ الم نهلك الاولين ﴾ كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه ﴿ ثم نتبعهم الآخرين ﴾ ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الفعل ﴿ نفعل بالمجرمين ﴾ بكل من اجرم ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب ﴿ الم نخلقكم من ماء مهين ﴾ نطفة مذرة ذليلة ﴿ فجعلناه في قرار مكين ﴾ هو الرحم ﴿ الى قدر معلوم ﴾ الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة ﴿ فقدرنا ﴾ على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائى بالتشديد ﴿ فنعم القادرون ﴾ نحن

فقال تعالى ﴿ ليوم الفصل ﴾ قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى ﴿ وما ادراك مايوم الفصل ﴾ اى وما اعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ اى بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب * قوله تعالى ﴿ الم نهلك الاولين ﴾ يعنى الامم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم ﴿ ثم نتبعهم الآخرين ﴾ يعنى السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب وهم كفار قريش اى نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ اى انما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين ﴿ ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين ﴾ يعنى النطفة ﴿ فجعلناه في قرار مكين ﴾ يعنى الرحم ﴿ الى قدر معلوم ﴾ يعنى وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لايعلم ذلك غيره ﴿ فقدرنا ﴾ قرئ بالتشديد من التقدير اى قدرنا ذلك تقديرا ﴿ فنعم القادرون ﴾ اى المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة اى قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون

(ليوم الفصل) من الخلائق (وما ادراك) يا محمد (مايوم الفصل) ما اعلمك بيوم الفصل (ويل) واد في جهنم من قيح ودم ويقال جب في النار ويقال ويل شدة عذاب (يومئذ) حيث يوم القيامة (للمكذبين) بالله والكتاب والرسول والبعث بعد الموت (الم نهلك الاولين) بالعذاب والموت (ثم نتبعهم الآخرين) ثم نلحق بالاولين الآخرين الباقين بعدهم بالموت والعذاب (كذلك نفعل بالمجرمين) بالمشركين من قومك (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) من قومك بالايمان ولبعث (الم نخلقكم) يامعشر المكذبين (من ماء مهين) من نطفة ضعيفة (فجعلناه في قرار مكين) في مكان حريز رحم المرأة (الى قدر معلوم) الى وقت خروجه تسعة اشهر او اقل او اكثر (فقدرنا) خلقه ويقال ملكنا على خلقه ويقال فصورنا خلقه في رحم المرأة (فنعم القادرون) فنعم ماقدرنا

بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين اوالبدلية من ذكرا على ان المراد به الوحى او مايعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف ﴿ انما توعدون لواقع ﴾ جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجئ القيامة كائن لامحالة ﴿ فاذا النجوم طمست ﴾ محقت اذا ذهب نورها ﴿ واذا السماء فرجت ﴾ صدعت ﴿ واذا الجبال نسفت ﴾ كالحب ينسف بالمنسف ﴿ واذا الرسل اقتت ﴾ عين لها وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لايتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل ﴿ لأى يوم اجلت ﴾ اى يقال لاى يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثانى مفعولى اقتت على انه

الملقى هو جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم * الوجه الثالث ان المراد بأسرها آيات القرآن ومعنى والمرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعنى آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعنى ان آيات القرآن تنشر انوار الهداية والمعرفة فى قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعنى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى آيات القرآن وهى الذكر الحكيم الذى يلقى الايمان والنور فى قلوب المؤمنين * الوجه الرابع انه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيأ واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما فى القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهما من هذا الوجه فحسن الجمع بينهما فى القسم عذرا او نذرا اى للاعذار والانذار من الله وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ان ما توعدون ﴾ اى من امر الساعة ومجيئها ﴿ لواقع ﴾ اى لكائن نازل لا محالة وقيل معناه ان ما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى ﴿ فاذا النجوم طمست ﴾ اى محى نورها وقيل محقت ﴿ واذا السماء فرجت ﴾ اى شقت وقيل فتحت ﴿ واذا الجبال نسفت ﴾ اى قلعت من اماكنها ﴿ واذا الرسل اقتت ﴾ وقرئ وقتت بالواو ومعناهما واحد اى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم ﴿ لأى يوم اجلت ﴾ اى اخرت وضرب الاجل لجمعهم كأنه تعالى يعجب لعباده من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل فى ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم

انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر وانتصابهما على البدل من ذكرا او على المفعول له (ان ما توعدون) ان الذى توعدونه من مجئ يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لاريب فيه وهو جواب القسم ولا وقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم (فاذا النجوم طمست) محيت او ذهب بنورها وجواب فاذا محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست (واذا السماء فرجت) فتحت فكانت ابوابا (واذا الجبال نسفت) قلعت من اماكنها (واذا الرسل اقتت) اى وقتت كقراءة ابى عمرو وابدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم (لاى يوم اجلت) اخرت وامهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت

او نذرا نهيا ويقال عذرا وعدا او نذرا وعيدا اقسم بهذه الاشياء (انما توعدون) من الثواب والعقاب فى الآخرة (لواقع) لكائن نازل بكم ثم بين متى يكون فقال (فاذا النجوم طمست) ذهب ضوءها (واذا السماء فرجت) انشقت (واذا الجبال نسفت) قلعت من اماكنها (واذا الرسل اقتت) جمعت (لاى يوم اجلت) هذه الاشياء يقول لاى يوم اجلها صاحبها ثم بين فقال عز وجل

والفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا) اقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى او نشرن الشرائع فى الارض

او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما او حين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عليهم السلام عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يشكرون وينسبون ذلك الى الانواء وجعلهن ملقيات للذكر باعتبار السببية عرفا حال اى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا او مفعول له اى ارسلن للاحسان والمعروف وعصفا ونشرا مصدران اونذرا ابو عمرو وكوفى غير ابى بكر وحماد والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن

فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا﴾ اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله بأوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح فى امتثال امره ونشرن الشرائع فى الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما او حين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم فى الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك فى جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل فى نفسه فيرون كل شئ هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون فى القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن فالقين ذكرا اى تسبين له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال ﴿عذرا او نذرا﴾ مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير

فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا﴾ اعلم ان المفسرين ذكروا فى هذه الكلمات الخمس وجوها * الاول ان المراد باسرها الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا اى كثيرا فالعاصفات عصفا يعنى الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا يعنى الرياح اللينة وقيل هى الرياح التى ارسلها نشرا بين يدى رحمته وقيل هى الرياح التى تنشر السحاب وتأتى بالمطر فالفارقات فرقا يعنى الرياح التى تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعنى ان الرياح اذا ارسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصل بذلك خوف للعباد فى القلوب فيلجؤن الى الله تعالى ويذكرونه فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والمعرفة فى القلوب عند هبوبها * الوجه الثانى ان المراد بأسرها الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى ومعنى المرسلات عرفا الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من امر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعنى الملائكة تعصف فى طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح فى السرعة والناشرات نشرا يعنى انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعنى الملائكة تأتى بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى الملائكة تلقى الذكر الى الانبياء وقيل يجوز ان يكون الذكر هو القرآن خاصة فعلى هذا يكون

بالمطر ويقال بالسحاب الناشرات بالمطر ويقال هم الملائكة الذين ينشرون الكتاب (فالفارقات فرقا) واقسم بالملائكة الذين يفرقون بين الحق والباطل ويقال هى آيات القرآن التى تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ويقال هؤلاء الثلاث هن الرياح (فالملقيات ذكرا) واقسم بالمنزلات وحيا (الملقى) (عذرا) لله من جوره وظلمه (او نذرا) لخلقه من عذابه ويقال عذرا حلالا او نذرا حراما ويقال عذرا امرا

واتباع رسوله (وما تشاؤن) اتخاذ السبيل الى الله وبالياء مكي وشامى وابو عمرو ومحل (الا ان يشاء الله) النصب على الظرف اى الا وقت مشيئة الله وانما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك وقيل هو لعموم المشيئة فى الطاعة والعصيان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة (ان الله كان عليما) بما يكون منهم من الاحوال (حكيما) مصيبا فى الاقوال والافعال (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (فى رحمته) جنته لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لانهم يقولون قد شاء ﴿٤٢٩﴾ ان يدخل كلا فى ﴿سورة المرسلات﴾ رحمته لانه شاء ايمان الكل

تقرب اليه بالطاعة ﴿ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ﴾ وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء ﴿ ان الله كان عليما ﴾ بما يستأهل كل احد ﴿ حكيما ﴾ لا يشاء الا مايقتضيه حكمته ﴿ يدخل من يشاء فى رحمته ﴾ بالهداية والتوفيق للطاعة ﴿ والظالمين اعد لهم عذابا اليما ﴾ نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد او كافأ ليطابق الجمل المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

﴿ سورة المرسلات مكية وآيها خمسون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا

يقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال اهل السنة ويرد عليهم قوله عز وجل فى سياق الآية ﴿ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ﴾ اى لستم تشاؤن الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد فجميع مايصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه ﴿ ان الله كان عليما ﴾ اى باحوال خلقه وما يكون منهم ﴿ حكيما ﴾ اى حيث خلقهم مع علمه بهم ﴿ يدخل من يشاء فى رحمته ﴾ اى فى دينه وقيل فى جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق ﴿ والظالمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ اعد لهم عذابا اليما ﴾ اى مؤلما والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية ومائة وثمانون ﴾

﴿ كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا

والله تعالى ان يدخل من يشاء فى رحمته وهو الذى علم منه انه يختار الهدى (والظالمين) الكافرين لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره (اعد لهم عذابا اليما) نحو وعد وكافأ

﴿ سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا

(وما تشاؤن) من الخير والشر والكفر والايمان (الا ان يشاء الله) لكم ان تشاؤا ذلك (ان الله كان عليما) بما تشاؤن من الخير والشر (حكيما) حكم ان لا تشاؤا من الخير والشر الا ما يشاء (يدخل من يشاء فى رحمته) يكرم من يشاء بدين الاسلام من كان اهلا لذلك (والظالمين) الكافرين المشركين (اعدلهم) عذابا قريبا فى الآخرة (عذابا اليما) وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها المرسلات وهى كلها مكية آيتها خمسون وكلماتها مائة واحدى وثمانون وحروفها ثمانمائة وستة عشر حرفا ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والمرسلات عرفا) يقول اقسم الله بالملائكة كثيرا كعرف الفرس ويقال هم الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل (فالعاصفات عصفا) واقسم بالرياح العواصف الشديدة والعصف ماذرت من منازل القوم (والناشرات نشرا) بالمطر يعنى واقسم

لجاز ان يطيع احدهما لان الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما لا عن طاعة احدهما واذا نهى عن طاعة احدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعا انهى وقيل او بمعنى ولا اى ولا تطع آثما ولا كفورا (واذكر اسم ربك) صل له (بكرة) صلاة الفجر (واصيلا) صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجدله) وبعض الليل فصل صلاة العشاءين (وسبحه ليلا طويلا) اى تهجدله هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة (ويذرون وراءهم) قدامهم او خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا لا يعبؤن به وهو يوم القيامة لان شدائده تثقل على الكفار (نحن خلقناهم وشددنا) احكمنا (اسرهم) اى خلقهم عن ابن عباس رضى الله عنهما والفراء (واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا) اى اذا شئنا اهلاكهم اهلكنا وبدلنا امثالهم فى الخلقة ممن يطيع (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالطاعة له

فى الاسم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور ﴿ واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ﴾ وداوم على ذكره او دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾ وبعض الليل فصل له تعالى ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ وتهجد له طائفة طويلة من الليل ﴿ ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم ﴾ امامهم او خلف ظهورهم ﴿ يوما ثقيلا ﴾ شديدا مستعار من الثقيل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه ﴿ نحن خلقناهم وشددنا اسرهم ﴾ واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب ﴿ واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ﴾ واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم فى الخلقة وشدة الاسر يعنى النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ﴿ ان هذه تذكرة ﴾ الاشارة الى السورة او الآيات القريبة ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ﴾

﴿ واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ﴾ قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعنى صلاة الصبح واصيلا يعنى صلاة الظهر والعصر ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾ يعنى صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ يعنى صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الآية هو الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى فى جميع الاوقات فى الليل والنهار بقلبه ولسانه * قوله عز وجل ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ يحبون العاجلة ﴾ يعنى الدار العاجلة وهى الدنيا ﴿ ويذرون وراءهم ﴾ يعنى امامهم ﴿ يوما ثقيلا ﴾ يعنى شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له ﴿ نحن خلقناهم وشددنا ﴾ اى قوينا واحكمنا ﴿ اسرهم ﴾ اى خلقهم وقيل اوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضا ﴿ واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ﴾ اى اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم ﴿ ان هذه ﴾ اى السورة ﴿ تذكرة ﴾ اى تذكير وعظة ﴿ فمن شاء اتخذ ﴾ اى لنفسه فى الدنيا ﴿ الى ربه سبيلا ﴾ اى وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما يتمسك بها القدرية

(واذكر اسم ربك) صل بامر ربك (بكرة واصيلا) غدوة وعشيا يعنى صلاة الفجر والظهر والعصر (ومن الليل فاسجدله) فصل له صلاة المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) صل له فى الليل وهو التطوع ويقال كان خاصة عليه دون اصحابه صلاة الليل (ان هؤلاء) (يقولون) اهل مكة (يحبون العاجلة) العمل للدنيا (ويذرون وراءهم) يتركون العمل لما امامهم (يوما ثقيلا) شديدا هوله وعذابه (نحن خلقناهم) يعنى اهل مكة (وشددنا اسرهم) قوينا خلقهم (واذا شئنا بدلنا امثالهم) يعنى اهلكناهم (تبديلا) اهلاكا يقول لو شئنا لاهلكنا هؤلاء الكفرة الفجرة وبدلنا خيرا منهم واطوع لله (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة من الله (فمن شاء اتخذ الى ربه) فمن شاء وحد واتخذ بذلك الى ربه (سبيلا) مرجعا

(وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد بمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم انه

على اضمار القول والاشارة الى ماعد من ثوابهم ﴿ وكان سعيكم مشكورا ﴾ مجازى عليه غير مضيع ﴿ انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ﴾ مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ﴿ ولا تطع منهم آثما او كفورا ﴾ اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه واو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعى ان تكون المطاوعة

اعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد اعده لهم فى الآخرة ﴿ وكان سعيكم مشكورا ﴾ اى شكرتكم عليه وآتيتكم افضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه منهم بالقليل من الطاعة واعطاؤه اياهم الكثير من الخيرات * قوله عز وجل ﴿ انا نحن نزلنا عليك ﴾ اى يا محمد ﴿ القرآن تنزيلا ﴾ قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القرآن متفرقا لحكمة بالغة تقتضى تخصيص كل شئ بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذى انزله اليه وحى منه ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك الوحشة التى حصلت له من قول الكفار انه سحر او كهانة ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ اى لعباداته فهى من الحكمة المحضة وقيل معناه فاصبر لحكم ربك فى تأخير الاذن فى القتال وقيل هو عام فى جميع التكاليف اى فاصبر لحكم ربك فى كل ما حكم الله به سواء كانت تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات او عاما متعلقا بالغير كالتبليغ واداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك ﴿ ولا تطع منهم آثما او كفورا ﴾ يعنى وكفورا قيل اراد به ابا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلى لاطأن عنقه وقيل اراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتى واسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فأنزل الله تعالى هذه الآية فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصى اى معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور آثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع فى حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه

انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقا الا حكمة وصوابا ومن الحكمة الامر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتأخير نصرتك على اعدائك من اهل مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (آثما) راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه (او كفورا) فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه على على مساعدتهم على فعل ماهو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاولين دون الثالث وقيل الآثم عتبة لانه كان ركابا للمآثم والفسوق والكفور الوليد لانه كان غاليا فى الكفر والجحود والظاهر ان المراد كل آثم وكافر اى لا تطع احدهما واذا نهى عن طاعة احدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو كان بالواو

(وكان سعيكم مشكورا) عملكم مقبولا فى الزيادة (انا نحن نزلنا عليك القرآن) جبريل بالقرآن (تنزيلا) متفرقا آية وآيتين وسورة (فاصبر لحكم ربك) على قضاء ربك ويقال على تبليغ رسالة ربك (ولا تطع منهم) من كفار قريش (آثما) فاجرا كذابا يعنى الوليد بن المغيرة (او كفورا) كافرا بالله وهو عتبة بن ربيعة

(عاليهم) بالنصب على انه حال من الضمير فى انه يطوف عليهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب وبالسكون مدنى وحمزة على انه مبتدا خبره (ثياب سندس) اى مايعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج (خضر) جمع اخضر (واستبرق) غليظ برفعهما حملا على الثياب نافع وحفص وبجرهما حمزة وعلى حملا على سندس وبرفع الاول وجر الثانى اوعكسه غيرهم

(وحلوا) عطف على ويطوف (اساور من فضة) وفى سورة الملائكة يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا قال ابن المسيب لا احد من اهل الجنة الا وفى يده ثلاثة اسورة واحدة من فضة واخرى من ذهب واخرى من لؤلؤ (وسقاهم ربهم) اضيف اليه تعالى للتشريف والتخصيص وقيل ان الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال اخذنا من الوسائط فاذاهم بكاسات تلاقى افواههم بغير اكف من غيب الى عبد (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم او لانه لم يعصر فتمسه الايدى الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة يقال لاهل الجنة (ان هذا) النعيم (كان لكم جزاء) لاعمالكم

وفى الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضئ بانوار قدس الجبروت ﴿ عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق ﴾ يعلوهم ثياب الحرير الخضر مارق منها وماغلظ ونصبه على الحال من هم فى عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اى واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابن عامر وابو عمرو بالعكس وقرأها نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائى بالجر وقرئ واستبرق بهمزة الوصل والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب ﴿ وحلوا اساور من فضه ﴾ عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة تختلف باختلاف باعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا واسوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين ﴿ وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه على الميل الى اللذات الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ﴿ ان هذا كان لكم جزاء ﴾

وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لازوال له ولا انتقال ﴿ عاليهم ﴾ اى فوقهم ﴿ ثياب سندس خضر ﴾ وهو مارق من الديباج ﴿ واستبرق ﴾ وهو ماغلظ منه وكلاهما داخل فى اسم الحرير ﴿ وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ يعنى طاهرا من الاقذار والادران لم تمسه الايدى ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لايستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا فى ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان فى قلبه من غل وغش وحسد ﴿ ان هذا كان لكم جزاء ﴾ اى يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد

(عاليهم) على اكتافهم انقران بالالف (ثياب سندس خضر) مالطف من الديباج (واستبرق) ماثخن من الديباج (وحلوا اساور من فضة) البسوا اقبية من فضة (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) من الدنس ويقال يطهرهم من الغل والغش والعداوة (ان هذا) الذى وصفت من الطعام والشراب واللباس (كان لكم جزاء) ثوابا من الله

(اعده)

عينا) بدل من زنجبيلا (فيها) فى الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها قال ابو عبيدة ماء سلسبيل اى عذب طيب (ويطوف عليهم ولدان) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين او ولدان الكفرة بجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة (مخلدون) لا يموتون (اذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء الوانهم وانبثائهم فى مجالسهم (لؤلؤا منثورا) وتخصيص المنثور لانه ازين فى النظر من المنظوم (واذا رأيت ثم) ظرف اى فى الجنة وليس لرأيت مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع فى كل مرئى تقديره واذا اكتسبت الرؤية فى الجنة (رأيت نعيما) كثيرا (وملكا كبيرا) واسعا يروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل ملك لا يعقبه هلك اولهم فيها ما يشاؤن او تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون فى الدخول عليهم

مايشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفى عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ دائمون ﴿اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا﴾ من صفاء الوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض ﴿واذا رأيت ثم﴾ ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع ﴿رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾ واسعا

الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل فى شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى

كان القرنفل والزنجبيـ * ـل باتا بفيها واريا مشورا

الارى العسل والمشور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن علس

فكان طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة بذلك وقيل ان شراب اهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كل ما ذكر الله تعالى فى القرآن مما فى الجنة وسماه ليس له مثل فى الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ اى سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا وقيل حديدة الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم فى طرقهم ومنازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لانها فى غاية السلاسة تتسلسل فى الحلق ومعنى تسمى اى توصف لان اكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ اى فى الخدمة وقيل مخلدون مسرورون ومقرطون ﴿اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا﴾ يعنى فى بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا انتثر على البساط كان اصفى منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم فى الخدمة * قوله عز وجل ﴿واذا رأيت﴾ قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رأيت ببصرك ونظرت به ﴿ثم﴾ يعنى الى الجنة ﴿رأيت نعيما﴾ اى لا يوصف عظمه ﴿وملكا كبيرا﴾ قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه

عينا فيها) فى الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) ويقال سل الله اليها سبيلا (ويطوف عليهم) فى الخدمة (ولدان) وصفاء (مخلدون) فى الجنة لا يموتون (قا وخا ٥٤ س) ولا يخرجون ويقال محلون (اذا رأيتهم) لو رأيتهم يا محمد (حسبتهم لؤلؤا منثورا) فى الصفاء ويقال كثيرا قد نثر عليهم (واذا رأيت) يا محمد (ثم) فى الجنة (رأيت) لاهلها (نعيما) دائما (وملكا كبيرا) لا يدخل عليهم احد الا بالسلام والاستئذان

اخرى دانية عليهم ظلالها كانهم وعدوا بجنتين لانهم وصفوا بالخوف بقوله انا نخاف من ربنا ولمن خاف مقام ربه جنتان
(وذللت) سخرت [illegible] والقاعد والمتكئ وهو حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها عليهم
او معطوفة عليها اى ودانية عليهم ظلالها ومذللة (قطوفها) ثمارها جمع قطف (تذليلا ويطاف عليهم بآنية من
فضة) اى يدير عليهم خدمهم كؤس الشرب والآنية جمع اناء وهو وعاء الماء (واكواب) اى من فضة جمع كوب وهو
ابريق لا عروة له (كانت قواريرا) كان تامة اى كونت فكانت قوارير
بتكوين الله نصب على الحال
(قوارير من فضة) اى
مخلوقة من فضة فهى جامعة
لبياض الفضة وحسنها
وصفاء القوارير وشفيفها
حيث يرى ما فيها من الشراب
من خارجها قال ابن عباس
رضى الله عنهما قوارير
كل ارض من تربتها وارض
الجنة فضة قرأ نافع والكسائى
وعاصم فى رواية ابى بكر
بالتنوين فيهما وحمزة وابن
عامر وابو عمرو وحفص
بغير تنوين فيهما وابن كثير
بتنوين الاول والتنوين
فى الاول لتناسب الآى
المتقدمة والمتأخرة وفى
الثانى لاتباعه الاول
والوقف على الاول قد
قيل ولا يوثق به لان الثانى
بدل من الاول (قدروها
تقديرا) صفة قوارير من
فضة اى اهل الجنة قدروها
على اشكال مخصوصة فجاءت
كما قدروها تكرمة لهم او
السقاة جعلوها على قدر رى شاربها فهى الذ لهم واخف عليهم وعن مجاهد لا تفيض (زنجبيل)
ولا تغيض (ويسقون) اى الابرار (فيها) اى فى الجنة (كأسا) خمرا (كان مزاجها زنجبيلا

حال وصفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اى وجنة اخرى دانية
على انهم وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انه
خبر ظلالها والجملة حال او صفة ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾ معطوف على ما قبله
او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف
شاؤا ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب﴾ وهى بلا عروة ﴿كانت
قوارير قوارير من فضة﴾ اى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض
الفضة ولينها وقد نون قوارير كليهما من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانه رأس
الآية وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير ﴿قدروها تقديرا﴾ اى قدروها
فى نفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على
حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم
وقرئ قدروها اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ
وقدرنيه فلان [illegible] قدرك ﴿ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا﴾
منهم ظلال اشجارها ﴿وذللت﴾ اى سخرت وقربت ﴿قطوفها﴾ اى ثمارها
﴿تذليلا﴾ اى يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف
شاؤا وعلى اى حال ارادوا ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب﴾ قيل هى
الكيزان التى لا عرى لها كالقدح ونحوه ﴿كانت قوارير قوارير من فضة﴾ قال اهل
التفسير اراد بياض الفضة فى صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى ان آنية اهل الجنة
من فضة بيضاء فى صفاء الزجاج والمعنى يرى ما فى باطنها من ظاهرها قال الكلبى ان الله
تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل
منها قوارير يشربون فيها وقيل ان القوارير التى فى الدنيا من الرمل والقوارير التى
فى الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج ﴿قدروها تقديرا﴾ اى قدروا الكؤس
على قدر ريهم وكفايتهم لا تزيد ولا تنقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون
عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم ﴿ويسقون فيها﴾ اى فى الجنة ﴿كأسا كان مزاجها
زنجبيلا﴾ قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التى يشرب منها الابرار ويوجد منها طعم

(وذللت) سخرت وقربت (قطوفها) ثمرها (تذليلا) [illegible] (ويطاف عليهم) فى الخدمة (بآنية من فضة واكواب)
كيزان بلا آذان ولا عرا (كانت قوارير قوارير من فضة مدورة) على كف الغلمان (قدروها تقديرا) قدروا
الشراب فيها تقديرا لا يفضل ولا يعجز (ويسقون فيها) فى الجنة (كأسا) خمرا (كان مزاجها) خلطها (زنجبيلا

(فوقاهم الله شر ذلك اليوم) صانهم من شدائده (ولقاهم) اعطاهم بدل عبوس الفجار (نضرة) حسنا فى الوجوه (وسرورا) فرحا فى القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على الايثار نزلت فى على و فاطمة وفضة جارية لهما لما مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما نذر واصوم ثلاثة ايام فاستقرض على رضى الله عنه من يهودى ثلاثة اصوع من الشعير فطحنت فاطمة

رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فآثروا بذلك ثلاث عشايا على انفسهم مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذوقوا الا الماء فى وقت الافطار (جنة) بستانا فيهما كل هنئ (وحريرا) مالبسابها (متكئين) حال من هم فى جزاهم (فيها) فى الجنة (على الارائك) الاسرة جمع الاريكة (لا يرون) حال من الضمير المرفوع فى متكئين غير رائين (فيها) فى الجنة (شمسا ولا زمهريرا) لانه لا شمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم وهواؤها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد يؤذى وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر فالزمهرير البرد الشديد وقيل القمر اى الجنة مضيئة لا يحتاج فيها الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) قريبة منهم ظلال اشجارها عطف على جنة اى وجنة (فوقاهم الله) دفع عنهم (شر ذلك اليوم) عذاب ذلك اليوم (ولقاهم) اعطاهم (نضرة) حسن الوجوه والبهاء (وسرورا) فرحا فى القلب (وجزاهم) اعطاهم (بما صبروا) فى الدنيا على الفقر والمرازى (جنة وحريرا متكئين فيها) جالسين ناعمين فى الجنة (على الارائك) على السرر فى الحجال فلا تكون اريكة الا اذا اجتمعا فاذا تفرقا فليس باريكة (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يقول لا يصيبهم حر الشمس ولا برد الزمهرير (ودانية) قريبة (عليهم ظلالها) ظلال الشجر

﴿ فوقيهم الله شر ذلك اليوم ﴾ بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ﴿ ولقاهم نضرة وسرورا ﴾ بدل عبوس الفجار وحزنهم ﴿ وجزاهم بما صبروا ﴾ بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال ﴿ جنة ﴾ بستانا يأكلون منه ﴿ وحريرا ﴾ يلبسونه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر على وفاطمة رضى الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاثة ان برئا فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على كرم الله وجهه من شمعون الخيبرى ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله فى اهل بيتك ﴿ متكئين فيها على الارائك ﴾ حال من هم فى جزاهم اوصفة لجنة ﴿ لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ﴾ يحتملهما وان يكون حالا من المستكن فى متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذن وقيل الزمهرير القمر فى لغة طئ قال راجزهم

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى ان هواءها مضئ بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ﴿ ودانية عليهم ظلالها ﴾

﴿ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ﴾ اى الذى يخافونه ﴿ ولقاهم نضرة ﴾ اى حسنا فى وجوههم ﴿ وسرورا ﴾ اى فى قلوبهم ﴿ وجزاهم بما صبروا ﴾ اى على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والايثار ﴿ جنة وحريرا ﴾ اى ادخلهم الجنة والبسهم الحرير ﴿ متكئين فيها ﴾ اى فى الجنة ﴿ على الارائك ﴾ جمع اريكة وهى السرر فى الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا اجتمعا ﴿ لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ﴾ يعنى لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم فى الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى الزمخشرى قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه فى لغة طيئ وانشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى ان الجنة ضياء لا يحتاج فيها الى شمس وقمر ﴿ ودانية عليهم ظلالها ﴾ اى قريبة

اسارى الكفار فانه عليه الصلاة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفى الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك ﴿ انما نطعمكم لوجه الله ﴾ على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ماقالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ﴿ لانريد منكم جزاء ولاشكورا ﴾ اى شكرا ﴿ انا نخاف من ربنا ﴾ فلذلك نحسن اليكم ولا نطلب المكافاة منكم ﴿ يوما ﴾ عذاب يوم ﴿ عبوسا ﴾ تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس فى ضراوته ﴿ قمطريرا ﴾ شديد العبوس كالذى يجمع مابين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيده

وقيل الاسير المرأة لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عوان يعنى اسرى وقيل غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك واختلفوا فى سبب نزول الآية فقيل نزلت فى رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار جاء مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقى له ولاهله رغيف واحد فنزلت هذه الآية فيه وروى عن ابن عباس انها نزلت فى على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وذلك انه عمل ليهودى بشئ من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه واصلحوا منه شيأ يأكلونه فلما فرغ اتى مسكين فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الثانى فلما فرغ اتى يتيم فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الباقى فلما تم نضجه اتى اسير من المشركين فسأل فاعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل من اطعم المسكين واليتيم والاسير لله تعالى وآثر على نفسه ﴿ انما نطعمكم لوجه الله ﴾ اى لاجل وجه الله تعالى ﴿ لانريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافاة وقيل قالوا ذلك ليقتدى بهم غيرهم فى ذلك وذلك ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى لايراد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافاة اولطلب الحمد من الناس او لهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما شركا ورياء فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا ﴿ انا نخاف من ربنا يوما ﴾ يعنى ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافأتكم ﴿ عبوسا ﴾ وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صائم والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة ﴿ قمطريرا ﴾ يعنى شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذى لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو اشد مايكون من الايام واطوله فى البلاء

فقالوا (انما نطعمكم لوجه الله) اى لطلب ثوابه او هو بيان من الله عز وجل عما فى ضمائرهم لان الله تعالى علمه منهم فاثنى عليهم وان لم يقولوا شيأ (لانريد منكم جزاء) هدية على ذلك (ولا شكورا) ثناء وهو مصدر كالشكر (انا نخاف من ربنا) اى انا لانريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة او انا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف (يوما عبوسا قمطريرا) وصف اليوم بصفة اهله من الاشقياء نحو نهارك صائم والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع مابين عينيه

السجن (انما نطعمكم لوجه الله) فيما بينهم وبين ربهم ولم يتكلموا به لكن اخبر الله عن صدق قلوبهم فقال انما نطعمكم لوجه الله لثواب الله وكرامته (لانريد منكم جزاء) مكافاة تجازوننا به (ولاشكورا) محمدة تحمدوننا به (انا نخاف من ربنا) من عذاب ربنا (يوما عبوسا) كلوحا (قمطريرا) شديدا يقول شديد عذاب ذلك اليوم وهوله ويقال هو تعبس الوجه

(فوقاهم)

كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله فقد كان وفى بما اوجبه الله تعالى عليه ﴿ ويخافون يوما كان شره ﴾ شدائده ﴿ مستطيرا ﴾ فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ حب الله تعالى او الطعام او الاطعام ﴿ مسكينا ويتيما واسيرا ﴾ يعنى

التى يستوجبون بها هذا الثواب والمعنى كانوا فى الدنيا يوفون بالنذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر فى عرف الشرع واللغة ان يوجب الرجل على نفسه شيأ ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله على كذا وكذا من صدقة اوصلاة وصوم وحج وعمرة يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضى او قدم غائبى كان لله على كذا ولو نذر فى معصية لايجب الوفاء به (خ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليف بنذره ومن نذر ان يعصى الله فلايف به وفى رواية فليطعه ولا يعصه * وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانذر فى معصية الله وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذى وابوداود والنسائى (ق) عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نذر كان على امه فتوفيت قبل ان تقضيه فامره ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة * وفى الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة فى وصفهم باداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى ﴿ ويخافون يوما كان شره مستطيرا ﴾ اى منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه فى اهل السموات واهل الارض وفى اولياء الله واعدائه وقيل فشا شره فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وكورت الشمس والقمر وفى الارض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شىء على الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته * قوله عز وجل ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ اى حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم يؤثرون غيرهم على انفسهم بالطعام ويواسون به اهل الحاجة وذلك لان اشرف انواع الاحسان والبر اطعام الطعام لان به قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل اى لحب الله ﴿ مسكينا ﴾ يعنى فقيرا وهو الذى لا مال له ولا يقدر على الكسب ﴿ ويتيما ﴾ اى صغيرا وهو الذى لا أب له يكتسب له وينفق عليه ﴿ واسيرا ﴾ قيل هو المسجون من اهل القبلة يعنى من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك امر الله بالاسرى ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ اهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرى وان كانوا على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة وقيل الاسير المملوك

انفسهم وهو جواب من عسى ان يقول مالهم يرزقون ذلك ولوفاء بالنذر مبالغة فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) منتشرا من استطار الفجر (ويطعمون الطعام على حبه) اى حب الطعام مع الاشتهاء والحاجة اليه او على حب الله (مسكينا) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (ويتيما) صغيرا لااب له (واسيرا) مأسورا مملوكا او غيره ثم علل اطعامهم الفرائض (ويخافون يوما) عذاب يوم (كان شره) عذابه (مستطيرا) فاشيا (ويطعمون الطعام على حبه) على قلته وشهوته (مسكينا ويتيما) من المسلمين (واسيرا) من المسلمين فى ايدى المشركين ويقال اهل

(انا اعتدنا للكافرين سلاسل) جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكي وابو عمرو وحمزة وبه ليناسب اغلالا و سعيرا اذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب وغيرهم (واغلالا) جمع غل (وسعيرا) نارا موقدة وقال (ان الابرار) جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وهم الصادقون فى الايمان او الذين لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر (يشربون من كاس) خمر فنفس الخمر تسمى كاسا وقيل الكاس الزجاجة اذا كان فيها خمر (كان مزاجها) ما تمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده (عينا) بدل منه (يشرب بها عباد الله) اى منها او الباء زائدة او هو محمول على المعنى اى يلتذ بها او يروى بها وانما قال اولا بحرف من وثانيا بحرف الباء لان الكاس مبتدا شربهم واول غايته واما العين فيها يمزجون شرابهم فكانه قيل يشرب عباد الله بها الخمر (يفجرونها) يجرونها حيث شاؤا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون بالنذر) بما اوجبوا على

عن كفران غالبا وانما المأخوذ به التوغل فيه ﴿ انا اعتدنا للكافرين سلاسل ﴾ بها يقادون ﴿ واغلالا ﴾ بها يقيدون ﴿ وسعيرا ﴾ بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائى وابو بكر سلاسلا للمناسبة ﴿ ان الابرار ﴾ جمع بر كارباب او بار كاشهاد ﴿ يشربون من كاس ﴾ من خمر وهى فى الاصل لقدح تكون فيه ﴿ كان مزاجها ﴾ ما يمزج بها ﴿ كافورا ﴾ لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به ﴿ عينا ﴾ بدل من كافورا ان جعل اسم ماء او من محل من كاس على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها ونصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها ﴿ يشرب بها عباد الله ﴾ ملتذا بها او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدا منها كما هو ﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾ يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا ﴿ يوفون بالنذر ﴾ استئناف ببيان ما رزقوه لاجله

الكافر فقال تعالى ﴿ انا اعتدنا ﴾ اى هيأنا فى جهنم ﴿ للكافرين سلاسل ﴾ اى يشدون بها ﴿ واغلالا ﴾ اى فى ايديهم تغل بها الى اعناقهم ﴿ وسعيرا ﴾ يعنى وقودا لا توصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى ﴿ ان الابرار ﴾ يعنى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر المتوسع فى الطاعة ﴿ يشربون من كاس ﴾ يعنى فيها شراب ﴿ كان مزاجها كافورا ﴾ قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك فان قلت ان الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به قلت قال اهل المعانى اراد كالكافور فى بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين فى الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التى تسمى كافورا ولا يكون فى ذلك ضرر لان اهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل ﴿ عينا ﴾ بدلا من الكافور وقيل اعنى عينا ﴿ يشرب بها ﴾ اى يشرب منها ﴿ عباد الله ﴾ قال ابن عباس اولياء الله ﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾ اى يقودونها الى حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم * قوله تعالى ﴿ يوفون بالنذر ﴾ لما وصف الله تعالى ثواب الابرار فى الآخرة وصف اعمالهم فى الدنيا

(انا اعتدنا للكافرين) اى جهل واصحابه (سلاسل واغلالا) فى النار (وسعيرا) نارا وقودا (ان الابرار) الصدقين فى ايمانهم المطيعين لله ([illegible]) (يشربون من كاس) يشربون فى الجنة من خمر (كان مزاجها) خلطها (كافورا عينا يشرب بها) منها (عباد الله) اولياء الله (يفجرونها تفجيرا) يمزجونها تمزيجا ويقال يفجرون عين الكافور حيثما يشاؤن فى الجنة الى منازلهم وقصورهم ثم وصف نعتهم اذا كانوا فى الدنيا فقال الله (يوفون بالنذر) بالعهد والحلف بالله ويقال يتمون

مشجت الشئ اذا خلطته وصف النطفة به لان المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزآء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فان اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة ﴿ نبتليه ﴾ فى موضع الحال اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعير له الابتلاء ﴿ فجعلناه سميعا بصيرا ﴾ ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله ﴿ انا هديناه السبيل ﴾ اى بنصب الدلائل وانزال الآيات ﴿ اما شاكرا واما كفورا ﴾ حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه فى حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتدآء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لايخلو

فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هى العروق التى تكون فى النطفة وقيل هى نطفة مشجت اى خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات امشاج ﴿ نبتليه ﴾ اى لنختبره بالامر والنهى ﴿ فجعلناه سميعا بصيرا ﴾ قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلاء لايقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه مايصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها ﴿ انا هديناه السبيل ﴾ اى بيناله سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه ارشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل وانزال الكتب ﴿ اما شاكرا واما كفورا ﴾ يعنى اما موحدا طائعا لله واما مشركا بالله فى علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل فى معنى الآية اما مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء اى بيناله الطريق ان شكر او كفر وقيل المراد من الشاكر الذى يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذى لايقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر واوعد

(نبتليه) حال اى خلقناه مبتلين اى مريدين ابتلاءه بالامر والنهى له (فجعلناه سميعا بصيرا) ذا سمع وبصر (انا هديناه السبيل) بيناله طريق الهدى بادلة العقل والسمع (اما شاكرا) مؤمنا (واما كفورا) كافرا حال من الهاء فى هديناه اى ان شكر او كفر فقد هديناه السبيل فى الحالين او من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين اتبعهما ما اعدلهما فقال

يكون منهما (نبتليه) نختبره بالشدة والرخاء ويقال نختبره بالخير والشر (فجعلناه سميعا بصيرا) فجعلناله السمع لكى يسمع به الحق والهدى والبصر لكى يبصر به الحق والهدى ويقال نبتليه نختبره بالخير والشر والكفر والايمان مقدم ومؤخر (انا هديناه السبيل) بينا له طريق الايمان والكفر والخير والشر (اما شاكرا) آمنا (واما كفورا) كافرا ويقال انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا يقول بيناله سبيل شاكر او كفور

يراد به لانه كان طينا يمر به الزمان ولو كان غير موجود لم يوصف بانه قد اتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيأ مذكورا النصب على الحال من الانسان اى اتى عليه حين من الدهر غير مذكور (انا خلقنا الانسان) اى ولد آدم وقيل الاول ولد آدم ايضا وحين من الدهر على هذا مدة لبثه فى بطن امه الى ان صار شيأ مذكورا بين الناس (من نطفة امشاج) نعت او بدل منها اى من نطفة قد امتزج فيها الماآن ومشجت ومزجت بمعنى ونطفة امشاج كبرمة اعشار فهو مفرد غير جمع ولذا وقع صفة للمفرد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هل اتى على الانسان﴾ استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل كقوله *اهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم* ﴿حين من الدهر﴾ طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود ﴿لم يكن شيئا مذكورا﴾ بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله ﴿انا خلقنا الانسان﴾ او آدم عليه السلام بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه ﴿من نطفة امشاج﴾ اخلاط جمع مشج او مشيج من

وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكى ومدنى فالمكى منها قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا وباقيها مدنى قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدنى من اولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية الى آخرها مكى حكاه الماوردى وهى احدى وثلاثون آية ومائتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿هل أتى﴾ اى قد أتى ﴿على الانسان﴾ يعنى آدم عليه الصلاة والسلام ﴿حين من الدهر﴾ يعنى مدة اربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن انس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم فى الجنة تركه ماشاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به وينظر اليه فلما رآه اجوف عرف انه خلق لايتمالك *قوله يطيف به اى يدور حوله فلما رآه اجوف اى صاحب جوف وقيل هو الذى داخله خال وقوله عرف انه مخلوق لايتمالك اى لايملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لايملك دفع الوسواس عنه وقيل لايملك نفسه عند الغضب وروى فى تفسير الآية ان آدم بقى اربعين سنة طينا واربعين سنة حمأ مسنونا واربعين سنة صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ﴿لم يكن شيأ مذكورا﴾ اى لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا يراد به وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان شيأ ولم يكن شيأ يذكر روى عن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعنى ليته بقى على ما كان عليه ويروى نحوه عن ابى بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهم بنو آدم بدليل قوله ﴿انا خلقنا الانسان﴾ فالانسان فى الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدرة لم يكن شيأ مذكورا يعنى انهم كانوا نطفا فى الاصلاب ثم علقا ومضغا فى الارحام لم يذكروا بشئ انا خلقنا الانسان يعنى ولد آدم ﴿من نطفة﴾ اى من منى الرجل ومنى المرأة ﴿امشاج﴾ اى اخلاط قال ابن عباس وغيره يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (هل اتى على الانسان) يقول اتى على آدم (حين من الدهر) اربعون سنة مخلوقا مصورا (لم يكن شيأ مذكورا) يذكر ولايدرى ماهو وما اسمه وما يراد به الا الله (انا خلقنا الانسان) يعنى ولد آدم (من نطفة امشاج) من نطفة آدم وحواء ويقال امشاج يعنى الالوان مختلطا ماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فالولد

يوم الموت وويل لك فى القبر وويل لك حين البعث وويل لك فى النار (أيحسب الانسان ان يترك سدى) ايحسب الكافر
ان يترك مهملا لايؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (الم يك نطفة من منى يمنى)

بالياء ابن عامر وحفص اى يراق المنى فى الرحم وبالتاء يعود الى النطفة (ثم كان علقة) اى صار المنى قطعة دم جامد بعد اربعين يوما (فخلق فسوى) فخلق الله منه بشرا سويا (فجعل منه) من الانسان (الزوجين الذكر والانثى) اى من المنى الصنفين (اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى) اليس الفعال لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قراها يقول سبحانك بلى والله اعلم

﴿سورة الانسان مكية وهى احدى وثلاثون آية﴾

(ايحسب الانسان) الكافر يعنى اباجهل (ان يترك سدى) مهملا بلا امر ولا نهى ولا عظة (الم يك) ابو جهل (نطفة من منى) منى لرجل (يمنى) يهراق فى رحم المراة ويقال يخلق (ثم كان علقة) ثم صار دما عبيطا (فخلق) نسمة (فسوى) خلقه باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء وجعل فيه الروح (فجعل منه) بعد ذلك
(الزوجين الذكر والانثى) (قد دخلا ٥٣ سنين) وكان له ابن عكرمة بن ابى جهل و بنت جويرة بنت ابى جهل (اليس ذلك)
الذى فعل ذلك (بقادر على ان يحيي الموتى) بعد بلى قادر على ذلك ان يحيي الموتى كما خلق آدم من التراب ﴿ومن السور التى
يذكر فيها الانسان وهى كلها مكية آياتها ثلاثون آية وكلماتها مائتان واربعون كلمة وحروفها الف واربع وخمسون﴾

﴿أيحسب الانسان ان يترك سدى﴾ مهملا لايكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لايتحقق الا بالمجازاة وهى قد لاتكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة ﴿ألم يك نطفة من منى تمنى﴾ وقرأ حفص بالياء ﴿ثم كان علقة فخلق فسوى﴾ فقدره فعدله ﴿فجعل منه الزوجين﴾ الصنفين ﴿الذكر والانثى﴾ وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على مامر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله ﴿أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى﴾ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى * وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا به

﴿سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون﴾

ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيأ وانى لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله اشد قتلة وكان نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل ﴿أيحسب الانسان ان يترك سدى﴾ اى هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب فى الآخرة ﴿ألم يك نطفة﴾ اى ماء قليلا ﴿من منى يمنى﴾ اى يصب فى الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شئ قذر مستقذر ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة ﴿ثم كان علقة﴾ اى صار الانسان علقة بعد النطفة ﴿فخلق فسوى﴾ اى فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاءه ﴿فجعل منه﴾ اى من الانسان ﴿الزوجين﴾ اى الصنفين ثم فسرهما فقال ﴿الذكر والانثى﴾ اى خلق من مائه اولادا ذكورا واناثا ﴿أليس ذلك﴾ اى الذى فعل هذا وانشأ الاشياء اول مرة ﴿بقادر على ان يحيى الموتى﴾ اى بقادر على اعادتهم بعد الموت * عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى اليس ذلك بقادر ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله اخرجه ابو داود * وله عن موسى ابن ابى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته فكان اذا قرأ اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان ايضا﴾

وهى مدنية [illegible] واجمهور [illegible] مكية يحكى ذلك عن ابن عباس

هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت الساق بالساق) التوت ساقاه عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل فى الشدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هما همان هم الامل والولد وهم القدوم على الواحد الصمد (الى ربك يومئذ المساق) هو مصدر ساقه اى مساق

الى حيث امر الله اما الى الجنة او الى النار (فلا صدق) بالرسول والقرآن (ولا صلى) الانسان فى قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه (ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان او فلا صدق ماله يعنى فلا زكاه (ثم ذهب الى اهله يتمطى) يتبختر واصله يتمطط اى يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فابدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة احرف متماثلة (اولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره (فاولى ثم اولى لك فاولى) كرر للتأكيد كانه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك

وظن المحتضر ان الذى نزل به فراق الدنيا ومحابها ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ والتوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة ﴿ الى ربك يومئذ المساق ﴾ سوقه الى الله تعالى وحكمه ﴿ فلا صدق ﴾ ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اى فلا زكاه ﴿ ولا صلى ﴾ ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى ايحسب الانسان ﴿ ولكن كذب وتولى ﴾ عن الطاعة ﴿ ثم ذهب الى اهله يتمطى ﴾ يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه ﴿ اولى لك فاولى ﴾ ويل لك من الولى واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤل بمعنى عقباك النار ﴿ ثم اولى لك فاولى ﴾ اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى

﴿ والتفت ﴾ اى اجتمعت ﴿ الساق بالساق ﴾ اى الشدة بالشدة يعنى شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب الا جاءه ما هو اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الآخرة فكان فى آخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا فى الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت الا تراه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداها بالاخرى ﴿ الى ربك يومئذ المساق ﴾ اى مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم * قوله تعالى ﴿ فلا صدق ولا صلى ﴾ يعنى اباجهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى ﴿ ولكن كذب وتولى ﴾ اى اعرض عن الايمان والتصديق ﴿ ثم ذهب الى اهله يتمطى ﴾ اى يتبختر ويختال فى مشيته وقيل اصله يتمطط اى يتمدد من المط وقيل من المطا وهو الظهر لانه يلويه ﴿ اولى لك فاولى ﴾ هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابى جهل وهى كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك احذر بهذا العذاب واحق واولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية اخذ بمجامع ثوب ابى جهل بالبطحاء وقال له اولى لك فاولى ﴿ ثم اولى لك فاولى ﴾ قال فقال ابو جهل اتوعدنى يا محمد والله

من الدنيا (والتفت الساق بالساق) الشدة بالشدة شدة آخر يوم من الدنيا وشدة اول يوم من الآخرة ويقال والتفت الساق بالساق اى يلتوى ساقه بالساق (الى ربك يومئذ) يوم القيامة (المساق) المرجع مرجع الخلائق (فلا صدق) يعنى اباجهل بتوحيد الله (ولا صلى) ولا اسلم اى لم (ما) يكن مسلما من اهل الصلاة (ولكن كذب) بتوحيد الله (وتولى) عن الايمان (ثم ذهب الى اهله) فى الدنيا (يتمطى) يتبختر ويتبطر فاستقبله النبى صلى الله عليه وسلم فأخذه فهزه هزة اوهزتين او مرة او مرتين وقال (اولى لك فاولى) وعيد لك يا اباجهل وعيد لك (ثم اولى لك فاولى) احذر اباجهل فنزل القرآن كذلك

(ووجوه يومئذ باسرة) كالحة شديدة العبوسة وهى وجوه الكفار (تظن) تتوقع (ان يفعل بها) فعل هو فى شدته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى العاجلة التى تبقون فيها مخلدين (اذا بلغت) اى الروح وجاز وان لم يجر لها ذكر لان الآية تدل عليها (التراقى) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة (وقيل من راق) يقف حفص على من وقيفة اى قال حاضرو المحتضر بعضهم لبعض ايكم يرقيه مما به من الرقية من حد ضرب اوهو من كلام الملائكة ايكم يرقى بروحه املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب من الرقى من حد علم (وظن) ايقن المحتضر (انه الفراق) ان

يعنى السؤال فان الانتظار لايستعقب العطاء ﴿ ووجوه يومئذ باسرة ﴾ شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه ﴿ تظن ﴾ تتوقع اربابها ﴿ ان يفعل بها فاقرة ﴾ داهية تكسر الفقار ﴿ كلا ﴾ ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة ﴿ اذا بلغت التراقى ﴾ اذا بلغت النفس اعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها ﴿ وقيل من راق ﴾ وقال حاضرو صاحبها من يرقيه مما به من الرقية اوقال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة اوملائكة العذاب من الرقى ﴿ وظن انه الفراق ﴾

قد اخرجه البخارى ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد * عن ابى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك فى خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابوداود (م) عن صهيب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيأ ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيأ احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث فى الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم * قوله عز وجل ﴿ ووجوه يومئذ باسرة ﴾ اى عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما ادركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين اهل الجنة والنار ﴿ تظن ﴾ اى تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين ﴿ ان يفعل بها فاقرة ﴾ ان يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذى يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هى ان تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى ﴿ كلا ﴾ اى حقا ﴿ اذا بلغت ﴾ يعنى النفس كناية عن غير مذكور ﴿ التراقى ﴾ جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقى

﴿ وقيل ﴾ يعنى وقال من حضره ﴿ من راق ﴾ اى هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من قضاء الله ما نزل التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيأ وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب ﴿ وظن ﴾ اى ايقن الذى بلغت روحه التراقى ﴿ انه الفراق ﴾ يعنى الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد

(ووجوه) وجوه الكافرين والمنافقين (يومئذ) يوم القيامة (باسرة) كالحة يحجبون عن رؤية ربهم لاينظرون اليه (تظن) تعلم تلك الوجوه (ان يفعل بها فاقرة) شدة ومنكرة من العذاب (كلا) حقا (اذا بلغت التراقى) اذا بلغت نفس الجسد الى التراقى (وقيل) قال من تحضرته من اهله وغيره (من راق) هل من طبيب يداويه ويقال قال الملائكة بعضهم لبعض من راق بروحه الى الله (وظن) علم الميت حينئذ (انه الفراق) انه الفراق

فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتنى نعما

تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذى قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مشهورة فى كتب المتكلمين من اهل السنة وكذلك باقى شبههم واجوبتها مشهورة مستفاضة فى كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله فى خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك * واما الاحاديث الواردة فى اثبات الرؤية * فمنها ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب وقال وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ولم يرفعه (ق) عن جرير بن عبدالله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * قوله لا تضامون روى بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد ايضا ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروى بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعضكم دون بعض * وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئى بالمرئى * عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان اناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يارسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذى وليس عنده فى اوله ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذى وقد روى مثل هذا الحديث عن ابى سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل

وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار والتأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه ﴿ كلا ﴾ ردع للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن عادة العجلة اوللانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله ﴿ بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ تعميم للخطاب اشعارا بان بنى آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ بهية متهللة ﴿ الى ربها ناظرة ﴾ تراه مستغرقة

اى ان نبيه بلسانك فتقرأه كما اقرأك جبريل وقيل اذا اشكل شئ من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شئ سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك * قوله تعالى ﴿ كلا ﴾ اى حقا ﴿ بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ اى تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة ﴿ وجوه يومئذ ﴾ اى يوم القيامة ﴿ ناضرة ﴾ من النضارة وهى الحسن وقال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم ﴿ الى ربها ناظرة ﴾ قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق ان تنضر وهى تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروى عن مجاهد وابى صالح انهما فسرا النظر فى هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها قال الازهرى ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى الشئ بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اى انتظرته ومنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم اعشاء صادرة * للورد طال بها حوزى وتنساسى

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت فى الامر احتمل ان يكون تفكر فيه وتدبر بالقلب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد فى التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل فى موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تأويله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدى بالى لم يحتمل غير الرؤية واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى اتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه فاذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر فى هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله تعالى

فصل فى اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى فى الآخرة

قال علماء اهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على وقوعها فى الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدلايل قوله

(كلا) ردع عن انكار البعث اوردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وانكارلها عليه واكده بقوله (بل تحبون العاجلة) كانه قيل بل انتم يا بنى آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شئ ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيهما بالتاء مدنى وكوفى (وجوه) هى وجوه المؤمنين (يومئذ ناضرة) حسنة ناعمة (الى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لامر ربها او لثوابه لا يصح لانه يقال نظرت فيه اى تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى بالى الا بمعنى الرؤية مع انه لا يليق الانتظار فى دار القرار والامر والنهى (كلا) حقا (بل تحبون العاجلة) العمل للدنيا (وتذرون الآخرة) تتركون العمل لثواب الآخرة (وجوه) وجوه المؤمنين المصدقين فى ايمانهم (يومئذ) يوم القيامة (ناضرة) حسنة جميلة ناعمة (الى ربها ناظرة) ينظرون الى وجه ربهم لا يحجبون عنه

ينفلت منك ﴿ ان علينا جمعه ﴾ فى صدرك ﴿ وقرآنه ﴾ واثبات وقراءته فى لسانك وهو تعليل للنهى ﴿ فاذا قرأناه ﴾ باسان جبريل عليك ﴿ فاتبع قرآنه ﴾ قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك ﴿ ثم ان علينا بيانه ﴾ بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها فى غيره او بذكر ما اتفق فى اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك

عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير قال ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا ان تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما قرأه وفى رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدى ورواه البغوى من طريق البخارى وقال فيه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحى كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الآية التى فى لا اقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال ان علينا ان نجمعه فى صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفى رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه اى نجمعه فى صدرك وقرآنه اى تقرأه ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به اى باخذه ﴿ ان علينا جمعه ﴾ اى جمعه فى صدرك وحفظك اياه ﴿ وقرآنه ﴾ اى وقراءته علينا والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصير لا تنساه ﴿ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ اى لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل بالوحى ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول اولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحى اصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبى صلى الله عليه وسلم وحفظه ﴿ ثم ان علينا بيانه ﴾

(ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قراءته فى لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه (فاذا قرأناه) اى قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فاتبع قرآنه) اى قراءته عليك (ثم ان علينا بيانه) اذا اشكل عليك شئ من معانيه

عن ذلك (ان علينا جمعه) جمع حفظه فى قلبك (وقرآنه) وحفظ قراءة جبريل عليك ويقال تأليفه بالحلال والحرام (فاذا قرأناه) قرأه جبريل عليك (فاتبع قرآنه) فاقرأ انت يا محمد خلفه ويقال اذا الفناه بالحلال والحرام فاتبع تأليفه (ثم ان علينا بيانه) بالحلال والحرام

ادخله النار (ينبأ الانسان يومئذ) يخبر (بما قدم) من عمل عمله (واخر) مالم يعمله (بل الانسان على نفسه بصيرة) شاهد والهاء للمبالغة كعلامة اوانثه لانه اراد به جوارحه اذ جوارحه تشهد عليه او هو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم وتقول لغيرك انت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبر الانسان كقولك زيد على ﴿٤١١﴾ رأسه عمامة والبصيرة {سورة القيامة} على هذا يجوز ان يكون الملك الموكل عليه (ولو القى معاذيره) ولو ارخى ستوره والعذار الستر وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هي اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر (لاتحرك به) بالقرآن (لسانك لتعجل به) بالقرآن وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ في القراءة قبل فراغ جبريل كراهة ان ينفلت منه فقيل له لاتحرك لسانك بقراءة الوحي مادام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا ينفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله

اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ﴿ ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر ﴾ بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة اوسيئة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره ﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ﴾ حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ﴿ ولو القى معاذيره ﴾ ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير القياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر ﴿ لا تحرك ﴾ يا محمد ﴿ به ﴾ بالقرآن ﴿ لسانك ﴾ قبل ان يتم وحيه ﴿ لتعجل به ﴾ لتأخذه على عجلة مخافة ان

اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اى موضع قرارهم من جنة او نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء ادخله الجنة برحمته ومن شاء ادخله النار بعدله ﴿ ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او سيء وما اخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وعن ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله فضيعه وقيل باول عمله وآخره وهو ما عمله في اول عمره وفي آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما اخر من ماله لورثته ﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ﴾ اى بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة ﴿ ولو القى معاذيره ﴾ يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لاينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره وقيل ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق الابواب ليخفي مايعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا * قوله عزوجل ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله

والمرجع (ينبأ الانسان) يخبر الانسان عدى بن ربيعة وغيره (يومئذ) يوم القيامة (بما قدم واخر) بما قدم من خير اوشر واخر بما ترك من سنة صالحة اوسنة سيئة ويقال بما قدم من الطاعة واخر من المعصية (بل الانسان) عدى بن ربيعة وغيره (على نفسه بصيرة) يقول من نفسه شاهده (ولو القى معاذيره) ولو تكلم بالعذر مافعلت ذلك وما قلت ويقال هي بصيرة بعيوب غيرها جاهلة غافلة عن عيوب نفسها (لاتحرك به) بقراءة القرآن يا محمد (لسانك لتعجل به) بقراءة القرآن قبل ان يفرغ جبريل من قراءته عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل عليه بشئ من القرآن لم يفرغ جبريل من آخره حتى يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بأوله مخافة ان ينساه فنهاه الله

من الزمان (يسئل أيان) متى (يوم القيامة) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة (فاذا برق البصر) تحير فزعا وبفتح الراء مدنى شخص (وخسف القمر) اى ذهب ضوءه او غاب من قوله فخسفنا به وقرأ ابو حيوة بضم الخاء (وجمع الشمس والقمر) اى جمع بينهما فى الطلوع من المغرب اوجمعا فى ذهاب الضوء او يجمعان فيقذفان فى البحر فيكون نار الله الكبرى (يقول الانسان) الكافر (يومئذ اين المفر) هو مصدر اى الفرار من النار اوالمؤمن ايضا من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ (الى ربك) خاصة (يومئذ المستقر) مستقر العباد اوموضع قرارهم من جنة اونار مفوض ذلك لمشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء

من الزمان ﴿يسأل ايان يوم القيامة﴾ متى يكون يوم القيامة استبعادا او استهزاء ﴿فاذا برق البصر﴾ تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة فيه او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح ﴿وخسف القمر﴾ وذهب ضوؤه وقرئ على بناء المفعول ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق وان حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير العقل لتقدمه وتغليب المعطوف ﴿يقول الانسان يومئذ اين المفر﴾ اى الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان ﴿كلا﴾ ردع عن طلب المفر ﴿لا وزر﴾ لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل ﴿الى ربك يومئذ المستقر﴾

عن المعاصى ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر اعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمى الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق ﴿يسئل ايان يوم القيامة﴾ اى متى يكون يوم القيامة والمعنى ان الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى ﴿فاذا برق البصر﴾ اى شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التى كان يكذب بها فى الدنيا وقيل تبرق ابصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل برق اى شق عينه وفتحها من البرق وهو التلألؤ ﴿وخسف القمر﴾ اى اظلم وذهب ضوءه ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ يعنى اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فهناك نار الله الكبرى ﴿يقول الانسان﴾ يعنى الكافر المكذب ﴿يومئذ﴾ اى يوم القيامة ﴿اين المفر﴾ اى المهرب وهو موضع الفرار ﴿كلا﴾ اى لا ملجأ لهم يهربون اليه وهو قوله ﴿لا وزر﴾ اى لا حرز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا اذا فزعوا الجؤا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

الناس الب علينا فيك ليس لنا ✻ الا السيوف واطراف القنا وزر

ومعنى الآية انه لا شئ يعصمهم من امر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستندون اليه من النار ﴿الى ربك يومئذ المستقر﴾ يعنى مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود

والفجور فيما يستقبله (يسأل) عدى بن ربيعة انكارا منه للبعث (ايان يوم القيامة) متى يكون يوم القيامة فقال الله (فاذا برق البصر) اعجب البصر ويقال شخص البصر (وخسف القمر) ذهب ضوء القمر (وجمع الشمس والقمر) كالثورين المقرونين لعقيرين الاسودين فيرمى بهما فى حجاب النور (يقول الانسان) الكافر عدى بن ربيعة واصحابه (يومئذ) اذا رأوا النار (اين (المفر) الى) من النار والمهرب والملجأ (كلا) حقا (لا وزر) لا جبل يواريه من النار وهى بلغة حمير يسمون الجبل وزرا ويقال لا وزر لا شجر ولا ستر ولا حرز ولا حصن ولا ملجأ ولا منجى لهم من الله (الى ربك يومئذ) يوم القيامة (المستقر) مستقر الخلائق

من اقامتها مجازاتها ﴿ أيحسب الانسان ﴾ يعنى الجنس واسناد الفعل اليهم لان منهم من يحسب اوالذى نزل فيه وهوعدى بن ابى ربيعة سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره به فقال لوعاينت ذلك اليوم لم اصدقك اويجمع الله هذه العظام ﴿ ان لن نجمع عظامه ﴾ بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول ﴿ بلى ﴾ نجمعها ﴿ قادرين على ان نسوى بنانه ﴾ بجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام اوعلى ان نسوى بنانه الذى هواطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون ﴿ بل يريد الانسان ﴾ عطف على ايحسب الانسان فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم اوعن الاستفهام ﴿ ليفجر امامه ﴾ ليدوم على فجوره فيما يستقبله

القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى ﴿ أيحسب الانسان ان ان نجمع عظامه ﴾ وقيل جواب القسم قوله ﴿ بلى قادرين على ان نسوى بنانه ﴾ ومعنى ايحسب الانسان ايظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الريح فطيرتها فى اباعد الارض ان لن نجمع عظامه اى لا يمكننا جمعها مرة اخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابداء قادر على الاعادة نزلت هذه الاية فى عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق الثقفى وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنى جارى السوء يعنى عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثنى متى تكون القيامة وكيف امرها وحالها فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم فقال عدى بن ربيعة لوعاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن بك او يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعنى هذا الكافر ان لن نجمع عظامه يعنى بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان اول مرة وقيل ذكر العظام واراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفوس ولا يستوى الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر او يجمع الله العظام بلى قادرين يعنى على جمع عظامه وتأليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوى بنانه يعنى انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيأ واحدا كخف البعير او كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها وقيل معناه اظن الكافر ان ان نقدر على جمع عظامه بل نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها ونؤلف بينها حتى تستوى البنان فمن نقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه آخر ما يتم به الخلق * قوله تعالى ﴿ بل يريد الانسان ليفجر امامه ﴾ اى ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع

(ايحسب الانسان) اى الكافر المنكر للبعث (ان لن نجمع عظامه) بعد تفارقها ورجوعها رفاتا مختلطا بالتراب (بلى) اوجبت مابعد النفى اى بلى نجمعها (قادرين) حال من الضمير فى نجمع اى نجمعها قادرين على جمعها واعادتها كما كانت (على ان نسوى بنانه) اصابعه كما كانت فى الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها فكيف بكبار العظام (بل يريد الانسان) عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما (ليفجر امامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله

(أيحسب الانسان) ايظن الكافر عدى بن ربيعة انكارا منه للبعث (ان لن نجمع عظامه) ان لن نقدر ان نجمع عظامه بعد بلائها وتبديلها وتفريقها (بلى قادرين) يقول انا قادر على ذلك (على ان نسوى بنانه) نجمع اصابعه فيكون كفه كخف البعير او كحافر الدواب يقول انا قادرون على ان نجعل كفه كخف البعير فكيف لا نقدر على ان نجمع عظامه (بل يريد الانسان) الكافر عدى بن ربيعة (ليفجر امامه) ليقدم شره ويؤخر توبته ويقال ليعمل بالفسق

وكذا روى عن البزى ﴿ ولا قسم بالنفس اللوامة ﴾ بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيامة على تقصيرها اوالتى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة اوالنفاس المطمئنة للائمة للنفس الامارة اوبالجنس لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الاوتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ياليتنى كنت قصرت اونفس آدم فانها لم تزل تلوم على ماخرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود

للبعث اى ليس الامر كما زعموا ثم ابتدأ فقال قسم بيوم القيامة و اقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لاهى للنفى والمعنى فى ذلك كانه قال لااقسم بذلك ليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل معناه لا قسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه وروى البغوى فى تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال اما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات فى ذلك * وقوله ﴿ ولا اقسم بالنفس اللوامة ﴾ قيل هى التى تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هى التى تندم على ما فات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلاازددت وان عملت شرا تقول ياليتنى لم افعل وقال الحسن هى نفس المؤمن ان المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامى ما اردت بأكلى وان الكافر يمضى ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هى النفس الشريفة التى تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشريفة التى لاتزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الطاعة وقيل هى النفس الشقية العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين اهوال يوم القيامة فتقول يا حسرتا على فرطت فى جنب الله فان قلت اى مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما فى القسم قلت وجه المناسبة ان فى يوم القيامة تظهر احوال النفس اللوامة من الشقاوة اوالسعادة فلهذا حسن الجمع بينهما فى القسم وقيل انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها واجتهادها فى طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكأنه قال اقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة او الفاجرة لايقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيام على وقوع القيامة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم بربها فى الحقيقة فكأنه قال اقسم برب القيامة وقيل لله تعالى ان يقسم بما يشاء من خلقه وجواب

(ولااقسم بالنفس اللوامة) الجمهور على انه قسم آخر وعن الحسن قسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فهى صفة ذم وعلى القسم صفة مدح اى النفس المتقية التى تلوم على التقصير فى التقوى وقيل هى نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التى خرجت به من الجنة وجواب القسم محذوف اى لتبعثن دليله

(ولااقسم بالنفس اللوامة) واقسم بكل نفس برة او فاجرة انها تلوم نفسها يوم القيامة اما المحسنة فتقول ياليتنى ازددت احسانا واما السيئة فتقول ياليتنى نزعت من الذنوب وذلك عند معاينة الثواب والعقاب ويقال هى النفس النادمة ويقال هى النفس اللائمة النادمة التى تتوب من الذنوب ولامت نفسها على ذلك ويقال هى النفس الكافرة والفاجرة

حقيق بان يتقى عقابه ﴿ واهل المغفرة ﴾ حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم * وعن النبى عليه السلام من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه الصلاة والسلام وكذب به بمكة شرفها الله تعالى

﴿ سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لااقسم بيوم القيامة ﴾ ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع فى كلامهم كما قال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامرى * لايدعى القوم انى افر

وقد مر الكلام فيه فى قوله فلااقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لاقسم بغير الف بعد اللام

واهل المغفرة﴾ اى هو حقيق بان تتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ماسلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان تتقى محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه * عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقانى فلم يجعل معى الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده سهيل بن عبدالله القطيعى وليس بالقوى فى الحديث وقد تفرد به عن ثابت والله تعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة القيامة مكية وهى اربعون آية ومائة وتسع وتسعون ﴾

﴿ كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ لاأقسم بيوم القيامة ﴾ اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا فى لفظ لا فقيل ادخال لفظة لا على القسم مستفيض فى كلام العرب واشعارهم قال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامرى * لايدعى القوم انى افر

قالوا وفائدتها تأكيد القسم كقولك لا والله ماذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ فى الرد مع اثباتها وقيل انها صلة كقوله الله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها لاتزاد الا فى وسط الكلام لافى اوله واجيب عنه بان القرآن فى حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجىء ذكر الشئ فى سورة ويذكر جوابه فى سورة اخرى كقوله ياايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه فى سورة ن ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القرآن فى حكم السورة الواحدة فى عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لارد لكلام المشركين المنكرين

لمن اتقاه والله اعلم

﴿ سورة القيامة مكية وهى اربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بيوم القيامة) اى اقسم عن ابن عباس ولا صلة كقوله لئلا يعلم وقوله * فى بئر لاحور سرى وماشعرى * وكقوله تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة * وكاد ضمير القلب لاينقطع وعليه الجمهور وعن الفراء لارد لانكار المشركين البعث كانه قيل ليس الامر كما تزعمون ثم قيل اقسم بيوم القيامة وقيل اصله لاقسم كقراءة ابن كثير على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدأ محذوف اى لانا اقسم ويقويه انه فى الامام بغير الف ثم اشبع فظهر من الاشباع الف وهذا اللام يصحبه نون التأكيد فى الاغلب وقد يفارقه

ان يتقى فلايعصى (واهل المغفرة) اهل ان يغفر لمن اتقى وتاب اهل المغفرة اذا قامت القيامة

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها يوم القيامة وهى كلها مكية آياتها تسع وثلاثون وكلماتها تسع وتسعون وحروفها ستمائة واثنان وخمسون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله (لا اقسم بيوم القيامة) يقول اقسم بيوم القيامة انها كائنة

(فرت من قسورة) حال وقدمها مقدرة والقسورة الرماة او الاسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت فى نفارها (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم {الجزء التاسع والعشرون} قالوا ﴿٢٠٦﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان ابن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار (كلا) ردع لهم عن تلك الارادة وزجر عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا انه تذكرة) ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال ان القرآن تذكرة بليغة كافية (فمن شاء ذكره) اى فمن شاء ان يذكره ولا ينساه فعل فان نفع ذلك عائد اليه (وما يذكرون) وبالتاء نافع ويعقوب (الا ان يشاء الله) الا وقت مشيئة الله او الا بمشيئة الله (هو اهل التقوى

شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة ﴿ فرت من قسورة ﴾ اى اسد فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء ﴿ بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ﴾ قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان ان اتبع محمدا ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن اقتراحهم الآيات ﴿ بل لا يخافون الآخرة ﴾ فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن اعراضهم ﴿ انه تذكرة ﴾ واى تذكرة ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ فمن شاء ان يذكره ﴿ وما يذكرون الا ان يشاء الله ﴾ ذكرهم ومشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا ﴿ هو اهل التقوى ﴾

محمولة على النفار ﴿ فرت من قسورة ﴾ قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهى رواية عن ابن عباس وعنه انها القناص وعنه قال هى حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال اقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم واصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال ابو هريرة هى الاسد وذلك لان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمر فى البلادة والبله وذلك انه لا يرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت من شئ ﴿ بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ﴾ قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله نؤمر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح وعند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك ﴿ كلا ﴾ اى لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات ﴿ بل لا يخافون الآخرة ﴾ اى لا يخافون عذاب الآخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت فى الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت ﴿ كلا ﴾ اى حقا ﴿ انه تذكرة ﴾ يعنى انه عظة عظيمة ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ اى اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه ﴿ وما يذكرون الا ان يشاء الله ﴾ اى الا ان يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا ﴿ هو اهل التقوى

(فرت من قسورة) من اسد ويقال من الرماة ويقال من عصبة الرجال (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى) يعطى (صحفا منشرة) كتابا فيه جرمه وتوبته حيث قالوا ائتنا بكتاب فيه جرمنا وتوبتنا حتى نؤمن بك (كلا) حقا لا يعطى ذلك (بل لا يخافون الآخرة) عذاب الآخرة (كلا) حقا يا محمد (انه) يعنى القرآن (تذكرة) عظة من الله (فمن شاء ذكره) فمن شاء الله يتعظ بالقرآن اتعظ (وما يذكرون) ما يتعظون (الا ان يشاء الله هو اهل التقوى) (واهل) اهل

ادخلكم فيها ولا يقال لا يطابق قوله ماسلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ماسلككم لان ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ماجرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا انه اختصر كما هو نهج القرآن وقيل عن زائدة (قالوا لم نك من المصلين) اى لم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) كما يطعم المسلمون (وكنا نخوض مع الخائضين)

حكاية لماجرى بين المسؤلين والمجرمين اجابوا بها ﴿ قالوا لم نك من المصلين ﴾ الصلاة الواجبة ﴿ ولم نك نطعم المسكين ﴾ مايجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين ﴾ اخره لتعظيمه اى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة ﴿ حتى اتانا اليقين ﴾ الموت ومقدماته ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ لو شفعوا لهم جميعا ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ اى معرضين عن التذكير يعنى القرآن اوما يعمه ومعرضين حال ﴿ كأنهم حمر مستنفرة ﴾

قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التى توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ماسلككم اى يقول المسؤلون للسائلين قلنا للمجرمين ماسلككم اى ادخلكم وقيل ماحبسكم فى سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع ﴿ قالوا ﴾ مجيبين لهم ﴿ لم نك من المصلين ﴾ اى لله فى الدنيا ﴿ ولم نك نطعم المسكين ﴾ اى لم نتصدق عليه ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ اى فى الباطل ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين ﴾ اى بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة ﴿ حتى اتانا اليقين ﴾ يعنى الموت قال الله تعالى ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا اربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل احد دون هؤلاء الذين تسمعون روى البغوى بسنده عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول للرجل منهم يا فلان فيقول ماتريد فيقول اما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ماتريد فيقول اما تذكر رجلا وهب لك وضوأ يوم كذا وكذا فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ اى عن مواعظ القرآن ﴿ كأنهم حمر ﴾ جمع حمار ﴿ مستنفرة ﴾ قرئ بالكسر اى نافرة وقرئ بالفتح اى منفرة مذعورة

الخوض الشروع فى الباطل اى نقول الباطل والزور فى آيات الله (وكنا نكذب بيوم الدين) الحساب والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين لانها للمؤمنين دون الكافرين وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين فى الحديث ان من امتى من يدخل الجنة بشفاعته اكثر من ربيعة ومضر (فما لهم عن التذكرة) عن التذكير وهو العظة اى القرآن (معرضين) مولين حال من الضمير نحو مالك قائما (كأنهم حمر) اى حمر الوحش حال من الضمير فى معرضين (مستنفرة) شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها وبفتح الفاء مدنى وشامى اى استنفرها غيرها

قالوا) يعنى اهل النار (لم نك من المصلين) من اهل الصلوات الخمس المسلمين. (ولم نك نطعم المسكين) لم نحث على صدقة المساكين ولم نك من اهل الزكاة والصدقة (وكنا نخوض مع الخائضين) مع اهل الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) بيوم الحساب ان لايكون (حتى اتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم) يقول الله لاتنالهم (شفاعة الشافعين) يعنى شفاعة الملائكة والانبياء والصالحين (فما لهم) لاهل مكة (عن التذكرة) عن القرآن (معرضين) مكذبين به (كأنهم حمر مستنفرة) مذعورة ويقال ذاعرة ان قرأت بخفض الفاء

انه من ... واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء (نذيرا) تمييز من احدى اي انها لاحدى ... هي نذيرا كقولك هي احدى النساء عفافا وابدل من (للبشر لمن شاء منكم) باعادة الجار (ان يتقدم) الى الخير (او يتأخر)

عنه وعن الزجاج الى ما امر وعما نهى (كل نفس بما كسبت رهينة) هي ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا اصحاب اليمين) اي اطفال المسلمين لانهم لا اعمال لهم يرهنون بها او الا المسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق (في جنات) اي هم في جنات لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم (ما سلككم في سقر)

والقسم معترض للتأكيد ﴿نذيرا للبشر﴾ تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف ﴿لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر﴾ بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه اولمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ مرهونة عندالله مصدر كالشتيمة اطلقت للمفعول كالرهن ولوكانت صفة لقيل رهين ﴿الا اصحاب اليمين﴾ فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال ﴿في جنات﴾ لا يكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله ﴿يتساءلون عن المجرمين﴾ اي يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اي دعوناه وقوله ﴿ما سلككم في سقر﴾ بجوابه

﴿نذيرا للبشر﴾ قيل يحتمل ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما انذر بشئ ادهى من النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر ﴿لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر﴾ اي يتقدم في الخير والطاعة او يتأخر عنهما فيقع في الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن او كفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه واجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتأخر * قوله تعالى ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ اي مرتهنة في النار بكسبها ومأخوذة بعملها ﴿الا اصحاب اليمين﴾ فانهم فانهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي عليه واختلفوا في اصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم اخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة ﴿في جنات﴾ اي هم في بساتين ﴿يتساءلون عن المجرمين﴾ اي يتساءلون المجرمين وعن صلة فيقولون لهم ﴿ما سلككم في سقر﴾ قيل وهذا يقوي

(نذيرا للبشر) نذيرتهم وقيل محمد صلى الله عليه وسلم نذير للبشر يرجع الى اول السورة الى قوله قم فانذر نذيرا للبشر مقدم ومؤخر (لمن شاء منكم ان يتقدم) الى خير فيؤمن (او يتأخر) عن شر فيتركه وقيل او يتأخر عن خير فيكفر وهذا وعيد لهم (كل نفس) كافرة (بما كسبت) في الكفر (رهينة) مرتهنة في النار ابدا (الا اصحاب اليمين) اهل الجنة فانهم ليسوا كذلك ولكنهم (في جنات) في بساتين (يتساءلون عن المجرمين) يسألون اهل النار ويقولون يا فلان (ما سلككم) ما الذي ادخلكم (في سقر

﴿قوله﴾

يضل الله من يشاء) الكاف نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعنى اضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خالق الافعال ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال ابو جهل امنه الله اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر نزل (وما يعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (الا هو) فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها (وماهى) متصل بوصف سقر وهى ضميرها اى وما سقر وصفتها (الا ذكرى للبشر) اى تذكرة للبشر او ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كلا) انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون (والقمر) اقسم به لعظم منافعه (والليل اذ أدبر) نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم اذا دبر ودبر بمعنى ادبر ومعناها ولى وذهب وقيل ادبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (والصبح اذا اسفر) اضاء وجواب القسم (انها) ان سقر (لاحدى الكبر) هى جمع الكبرى اى لاحدى البلايا او الدواهى الكبر ومعنى كونها احداهن

يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴿ مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين ﴿ وما يعلم جنود ربك ﴾ جموع خلقه على ماهم عليه ﴿ الا هو ﴾ اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة ﴿ وماهى ﴾ وما سقر او عدة الخزنة او السورة ﴿ الا ذكرى للبشر ﴾ الا تذكرة لهم ﴿ كلا ﴾ ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها ﴿ والقمر والليل اذ ادبر ﴾ اى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذا دبر على المضى ﴿ والصبح اذا اسفر ﴾ اضاء ﴿ انها لاحدى الكبر ﴾ اى لاحدى البلايا الكبر اى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما لحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا

الخزنة وهدى من صدق به كذلك ﴿ يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ لان الله تعالى بيده الهداية والاضلال ﴿ وما يعلم جنود ربك الا هو ﴾ هذا جواب لابى جهل حين قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب اهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية ﴿ وماهى ﴾ يعنى النار ﴿ الا ذكرى للبشر ﴾ اى الا تذكرة وموعظة للناس وقيل ماهى يعنى آيات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها ﴿ كلا ﴾ اى لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفى اصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا ﴿ والقمر والليل اذ أدبر ﴾ اى ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى اقبل تقول العرب دبرنى فلان اى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار ﴿ والصبح اذا أسفر ﴾ اى اضاء وتبين وهذا قسم جوابه ﴿ انها لاحدى الكبر ﴾ يعنى ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات النار وهى سبعة جهنم واللظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية

(يضل الله من يشاء) بهذا المثل من كان اهلا لذلك (ويهدى من يشاء) بهذا المثل من كان اهلا لذلك (وما يعلم جنود ربك) من الملائكة (الا هو وماهى) يعنى سقر (الا ذكرى للبشر) عظة للخلق انذرتهم (كلا والقمر) اقسم بالقمر (والليل اذ ادبر) ذهب (والصبح اذا اسفر) اقبل ويقال استضاء (انها) يعنى سقر (لاحدى الكبر) باب من ابواب النار منها جهنم وسقر ولظى والحطمة والسعير والجحيم والهاوية

(ويزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (ايمانا) لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل اويزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب اولئك (ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) هذا عطف ايضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذالاستيقان وازدياد الايمان دالان على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن ايضا (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) المشركون فان قلت النفاق ظهر فى المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون فى المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا اراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذا لايخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا اوحال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد فى غاية الغرابة وان مثله حقيق بان تسير به الركبان سيرها بالامثال سمى مثلا والمعنى اى شئ اراد الله بهذا العدد العجيب واى معنى اراد فى ان جعل الملائكة تسعة عشر لاعشرين وغرضهم انكاره اصلا وانه ليس من عند الله وانه لوكان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص (كذلك

صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم ﴿ ويزداد الذين آمنوا ايمانا ﴾ بالايمان به وبتصديق اهل الكتاب له ﴿ ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ اى فى ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لمايعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة ﴿ وليقول الذين فى قلوبهم مرض ﴾ شك اونفاق فتكون الآية اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة بعد الهجرة ﴿ والكافرون ﴾ الجازمون فى التكذيب ﴿ ماذا اراد الله بهذا مثلا ﴾ اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب ﴿ كذلك

يعنى ان هذا العدد مكتوب فى التوراة والانجيل انهم تسعة عشر ﴿ ويزداد الذين آمنوا ايمانا ﴾ يعنى من آمن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان العدد كان موجودا فى كتابهم واخبر به النبى صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحى السماوى فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يرتاب ﴾ اى ولا يشك ﴿ الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ يعنى فى عددهم وانما لا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفى الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفى الشك وذلك ابلغ وآكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من اهل الكفر والنفاق ﴿ وليقول الذين فى قلوبهم مرض ﴾ اى شك ونفاق ﴿ والكافرون ﴾ اى مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان فى علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فأخبره الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين فى قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب ﴿ ماذا اراد الله بهذا مثلا ﴾ يعنى اى شئ اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى اى غرض قصد فى جعل الملائكة تسعة عشر لاعشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من اصله وانه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا ﴿ كذلك ﴾ اى كما اضل من انكر عدد

(ويزداد الذين آمنوا ايمانا) يقينا اذا علموا ان ما فى كتابنا مثل ما فى التوراة (ولايرتاب الذين) لايشك (الخزنة) الذين (اوتوا الكتاب) عبدالله ابن سلام واصحابه اذلم يكن خلاف ما فى كتابهم التوراة (والمؤمنون) ايضا اذلم يكن خلاف ما فى التوراة (وليقول) لكى يقول (الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والكافرون) يعنى اليهود والنصارى ويقال كفار مكة (ماذا اراد الله بهذا مثلا) بهذا المثل اذ ذكر قلة الملائكة (كذلك) هكذا

(وماجعلنا اصحاب النار) اى خزنتها (الاملائكة) لانهم خلاف جنس المعذبين فلاتأخذهم الرأفة والرقة لانهم اشد الخلق بأسا فللواحد منهم قوة الثقلين (وما جعلنا عدتهم) تسعة عشر (الافتنة) اى ابتلاء واختبارا (للذين كفروا) حتى قال ابو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر مايستطيع كل عشرة منكم ان يأخذوا واحدا منهم واتم الدهم فقال ابو الاشد وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفونى انتم اثنين

عشر فتكون تسعين ﴿ وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ﴾ ليخالفوا جنس المعذبين فلايرقون لهم ولايستروحون اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله تعالى روى ان اباجهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت ﴿ وماجعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا ﴾ وماجعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لاينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ﴿ ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ﴾ اى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد

الجمحى انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى انتم اثنين ويروى عنه انه قال انا امشى بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبى الايمن وتسعة بمنكبى الايسر فى النار ونمضى فندخل الجنة فأنزل الله تعالى ﴿ وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ﴾ يعنى لارجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرأفة والرحمة ﴿ وما جعلنا عدتهم ﴾ اى عددهم فى القلة ﴿ الافتنة للذين كفروا ﴾ اى ضلالة لهم حتى قالوا ماقالوا وقيل فتنتهم هى قولهم لم لم يكونوا عشرين وما الحكمة فى تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هى قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من فى النار واجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بأن افعال الله تعالى لاتعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة فى كونهم تسعة عشر ان هذا العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان الآحاد اقل الاعداد واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع اقل الكثير واكثر القليل لهذه الحكمة وماسوى ذلك من الاعداد فكثير لايدخل تحت الحصر واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطى هذا القليل من القوة والقدرة مايقدرون به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شئ قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية ﴿ ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ﴾

فنزلت وماجعلنا اصحاب النار الاملائكة اى وماجعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا فى تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لايطالب فى الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الاكبر وقيل فى سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهى تسعة عشر وان كان اصلها مائة وتسعين الا ان غيرها يشعب عنها (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) لان عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فاذا سمعوا بمثلها فى القرآن ايقنوا انه منزل من الله

(وما جعلنا اصحاب النار) ﴿ قا وخا ٥١ س ﴾ ماسلطنا على اهل النار (الا ملائكة) يعنى الزبانية (وما جعلنا عدتهم) ماذكرنا قلتهم قلة خزان النار (الافتنة) لمية (للذين كفروا) كفار مكة يعنى ابا الاشد بن اسيد بن كلدة حيث قال انا اكفيكم سبعة عشر تسعة على ظهرى وثمانية على صدرى فاكفوا انتم عنى اثنين (ليستيقن) لكى يستيقن (الذين اوتوا الكتاب) اعطوا الكتاب التوراة يعنى عبدالله بن سلام واصحابه لان فى كتابهم كذلك عدة خزان النار

لان الثانية جرت مجرى التوكيد للاولى (سأصليه) سأدخله بدل من سأرهقه صعودا (سقر) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وما ادراك ما سقر) تهويل لشأنها (لاتبقى) اى هى لاتبقى لحما (ولا تذر) عظما اولا تبقى شيأ يبقى فيها الا اهلكته ولا تذره هالكا بل يعود كما كان (لواحة) خبر مبتدأ محذوف اى هى لواحة (للبشر) جمع بشرة وهى ظاهر الجلد اى مسودة للجلود ومحرقة لها (عليها) على سقر (تسعة عشر) اى يلى امرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا

بكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ﴿ان هذا الا قول البشر﴾ كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ﴿سأصليه سقر﴾ بدل من سأرهقه صعودا ﴿وما ادراك ماسقر﴾ تفخيم لشأنها وقوله ﴿لاتبقى ولاتذر﴾ بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لاتبقى على شئ يلقى فيها ولاتدعه حتى تهلكه ﴿لواحة للبشر﴾ اى مسودة لاعالى الجلد اولائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص ﴿عليها تسعة عشر﴾ ملكا اوصنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع اوان لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها على كل نوع ملك اوصنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك اوصنف اوان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة فى الصلوات فتبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذبه بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم اوجمع

﴿ان هذا الا قول البشر﴾ يعنى يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما قال الله تعالى ﴿سأصليه﴾ اى سأدخله ﴿سقر﴾ هو اسم من اسماء جهنم وقيل آخر دركاتها ﴿وماادراك ماسقر﴾ اى وما اعلمك اى شئ هى سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها ﴿لاتبقى ولا تذر﴾ قيل هما بمعنى كما تقول صد عنى واعرض عنى وقيل لابد من الفرق والالزم التكرار فقيل معناه لاتبقى احدا من المستحقين للعذاب الا اخذته ثم لاتذر من لحوم اولئك شيأ الا اكلته واهلكته وقيل لايموت فيها ولايحيى اى لاتبقى من فيها حيا ولاتذر من فيها ميتا كما احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لاتبقى لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شئ ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهى لاتبقى عليهم ولاتذرهم ﴿لواحة للبشر﴾ جمع بشرة اى مغيرة للجلد حتى تجعله اسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه اشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا ﴿عليها تسعة عشر﴾ اى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء فى الاثر ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من افواههم مابين منكبى احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابوجهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع من ابن ابى كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعنى الشجعان افيعجز كل عشر منكم ان تبطش بواحد منهم يعنى خزنة جهنم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة بن خلف

(ان هذا) ماهذا الذى يقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الا قول البشر) قول جبر ويسار (سأصليه) سأدخله فى الآخرة يعنى الوليد بن المغيرة (سقر) وهو الباب الرابع من النار (وماادراك) يامحمد (ماسقر لاتبقى) لهم لحما الا اكلته (ولاتذر) اذا أعيدوا خلقا جديدا اكلتهم أيضا (لواحة للبشر) شواهة لابدانهم ويقال مسودة لوجوههم (عليها) على النار (تسعة عشر) ملكا خزان النار

(فقتل) لعن (كيف قدر) تعجيب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كرر للتأكيد وثم يشعر بان الدعاء الثاني ابلغ من الاول (ثم نظر) في وجوه الناس اوفيما قدر (ثم عبس) قطب وجهه (وبسر) زاد في التقبض والكلوح (ثم ادبر) عن الحق (واستكبر) عنه اوعن مقامه وفي مقاله وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وايراد ثم في المعطوفات لبيان ان بين الافعال المعطوفة تراخيا (فقال ان هذا) ماهذا (الا سحر يؤثر) يروى عن السحرة روى ان الوليد قال لبني مخزوم والله

اقدسمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد فقال ابوجهل وهو ابن اخيه انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام الوليد فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يؤثر عن مسيلمة واهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا

في نفسه مايقول فيه ﴿فقتل كيف قدر﴾ تعجيب من تقديره استهزاءبه اولانه اصاب اقصى مايمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فأتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه لايعلو ولايعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابوجهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتزعمون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ﴿ثم نظر﴾ اى في امر القرآن مرة بعد اخرى ﴿ثم عبس﴾ قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر مايقول اونظر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقطب في وجهه ﴿وبسر﴾ اتباع لعبس ﴿ثم ادبر﴾ عن الحق اوالرسول صلى الله عليه وسلم ﴿واستكبر﴾ عن اتباعه ﴿فقال ان هذا الا سحر يؤثر﴾ يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه

يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عزوجل انه فكر اى في امر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان يقول في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿فقتل كيف قدر﴾ اى عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على اى قدر من الكلام ﴿ثم نظر﴾ اى في طلب ما يدفع به القرآن ويرده ﴿ثم عبس وبسر﴾ اى كلح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر في شئ يدبره ﴿ثم ادبر﴾ اى عن الايمان ﴿واستكبر﴾ اى حين دعى اليه ﴿فقال ان هذا﴾ اى الذي يقوله محمد ويقرؤه ﴿الا سحر يؤثر﴾ يروى ويحكى عن السحرة

متعجبين منه وذكر الفاء دليل على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث

(فقتل) لعن (كيف قدر) قوله أمر محمد صلى الله عليه وسلم (ثم قتل) ثم لعن (كيف قدر) قوله في أمر محمد صلى الله عليه وسلم (ثم نظر) في قوله حتى قال انه ساحر ويقال نظر الى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حيث قالوا له هلم الى الخير ياابن المغيرة (ثم عبس) كلح وجهه (وبسر) قبض جبينه (ثم أدبر) عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الى اهله (واستكبر) تعظم عن الايمان أن يجيبهم (فقال ان هذا) ماهذا الذي يقول محمد صلى الله عليه وسلم (الا سحر يؤثر) يأثرو يرويه عن مسيلمة الكذاب الذي يكون باليمامة ويقال عن يهجبرا ويسارا

﴿سأرهقه صعودا﴾ سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من النار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا ﴿انه فكر وقدر﴾ تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعنا فى القرآن وقدر

﴿سأرهقه صعودا﴾ يعنى سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها * وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة فى النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوى فيها سبعين خريفا فهو كذلك ابدا اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبى الصعود صخرة ملساء فى النار يكلف الكافر ان يصعدها لا يترك يتنفس فى صعوده يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها فى اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها يجذب من امامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه ابدا * قوله عز وجل ﴿انه فكر وقدر﴾ اى فكر فى الامر الذى يريده ونظر فيه وتدبره ورتب فى قلبه كلاما وهيأه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اى وقدر ذلك الكلام فى قلبه وذلك ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد يصلى والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبى صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى اراك حزينا يا ابن اخى فقال وما يمنعنى ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن ابى كبشة وابن ابى قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش انى من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع ابى جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر فى نفسه ثم قال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما

ايات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد (سأرهقه) سأغشيه (صعودا) عقبة شاقة المصعد وفى الحديث الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا (انه فكر) تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز لعناده ويعاقبه فى الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحرا يعنى انه فكر ماذا يقول فى القرآن (وقدر) فى نفسه مايقول وهيأه

مكذا بهما (سأرهقه صعودا) سأكلفه الصعود على جبل أملس فى النار من الصخرة كلما وضع يده ذاب ثم عاد كما كان ويقال من نحاس يجذب من امامه ويضرب من خلفه (انه) يعنى الوليد بن المغيرة (فكر) يعنى تفكر فى نفسه فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم (وقدر) قوله حتى انه ساحر

عليه (وجعلت له مالاً ممدودا) مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء وكان له الضرع والضرع والتجارة وعن مجاهد
كان له مائة الف دينار وعنه انه له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهودا)
حضورا معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة اسلم منهم خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه والرياسة فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا (ثم يطمع ان ازيد) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجوا ان ازيد في ماله وولده من غير شكر وقال الحسن ان ازيد اي ادخله الجنة فأوتيه مالا وولدا كما قال لاوتين مالا وولدا (كلا) ردع له وقطع لرجائه اي لايجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية في نقصان من المال والجاه حتى هلك (انه كان لآياتنا) للقرآن (عنيدا) معاندا جاحدا وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه معاند

او ارادة انه وحيد ولكن في شرارة او عن ابيه لانه كان زنيما ﴿ وجعلت له مالا ممدودا ﴾ مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة ﴿ وبنين شهودا ﴾ حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لايحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فأسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام ﴿ ومهدت له تمهيدا ﴾ وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم ﴿ ثم يطمع ان ازيد ﴾ على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لامزيد على ما اوتي او لانه لايناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال ﴿ كلا انه كان لآياتنا عنيدا ﴾ فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل مازال بعد نزول الآية في نقصان حاله حتى هلك

امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد قيل معناه خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه احد والمعنى ذرني واياه فأنا اكفيكه نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه ﴿ وجعلت له مالا ممدودا ﴾ اي كثيرا يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان الف دينار وقيل اربعة آلاف درهم وقيل الف الف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لاتنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر ﴿ وبنين شهودا ﴾ اي حضورا بمكة لايغيبون عنه لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا اي رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة ﴿ ومهدت له تمهيدا ﴾ اي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش ﴿ ثم يطمع ﴾ اي يرجو ﴿ ان أزيد ﴾ اي ازيده مالا وولدا وتمهيدا ﴿ كلا ﴾ اي لا افعل ولا ازيده قالوا فمازال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله وولده حتى هلك ﴿ انه كان لآياتنا عنيدا ﴾ اي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو اقبح الكفر واخشه

المغيرة المخزومي (وجعلت له) بعد ذلك (مالا ممدودا) كثيرا من كل نوع لم يزل في الزيادة فكان ماله نحو تسعة آلاف مثقال فضة (وبنين شهودا) حضورا لايغيبون عنه وكان بنوه عشرة (ومهدت له) المال بعضه على بعض (تمهيدا) مثل الفرش بعضها على بعض (ثم يطمع) الوليد (أن أزيد) في ماله وهو يعصيني ويكفر بي (كلا) حقا لاأزيده فلم يزل بعد ذلك في نقصان ماله (انه) يعني الوليد بن المغيرة (كان لآياتنا عنيدا) لكتابنا ورسولنا عنيدا معرضا

وهو مبتدأ (يومئذ) مرفوع المحل بدل من ذلك (يوم عسير) خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير والفاء فى فاذا للتسبيب وفى فذلك للجزاء كانه قيل اصبر على أذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة امرهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى فاذا مادل عليه الجزاء اى فاذا نقر فى الناقور عسر الامر (على الكافرين غير يسير) وأكد بقوله غير يسير ليؤذن بانه يسير على المؤمنين اوعسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا (ذرنى ومن خلقت) اى كله الى يعنى الوليد بن المغيرة وكان يلقب فى قومه بالوحيد ومن خلقت معطوف او مفعول معه (وحيدا) حال من الياء فى ذرنى اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيك امره اومن التاء فى خلقت اى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احد او من الهاء المحذوفة او من من اى خلقته منفردا بلا اهل ولا مال ثم انعمت

﴿ ولربك ﴾ ولوجهه اوامره ﴿ فاصبر ﴾ فاستعمل الصبر اوفاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين ﴿ فاذا نقر ﴾ نفخ ﴿ فى الناقور ﴾ فى الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لمادل عليه قوله ﴿ فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين ﴾ فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدله اوظرف لخبره اذالتقدير فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير ﴿ غير يسير ﴾ تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا ﴾ نزل فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه اومن التاء اى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احدا ومن العائد المحذوف اى من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد اوذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تعالى تهكما به

الامة ذلك كما قيل هما ربا آن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيأ لمجازاة الدنيا اعط لله واراد به وجه الله وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثرن عملك فى عينك فانه فيما انعم الله به عليك واعطاك قليل وقيل معناه لا تمنن على اصحابك بما تعلمهم من امر الدين وتبلغهم من امر الوحى كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل ﴿ ولربك فاصبر ﴾ اى على طاعته و اوامره و نواهيه لاجل ثواب الله تعالى وقيل معناه فاصبر لله على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله ﴿ فاذا نقر فى الناقور ﴾ اى نفخ فى الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل وهى النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح ﴿ فذلك يومئذ ﴾ يعنى يوم النفخة وهو يوم القيامة ﴿ يوم عسير ﴾ اى شديد ﴿ على الكافرين ﴾ يعنى يعسر عليهم فى ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم ﴿ غير يسير ﴾ اى هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة التكرار التأكيد كقوله انا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين * قوله تعالى ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا ﴾ اى خلقته فى بطن

(ولربك) على طاعة ربك وعبادة ربك (فاصبر فاذا نقر فى الناقور) فاذا نفخ فى الصور (امه)
وهى نفخة البعث (فذلك يومئذ) يعنى يوم القيامة (يوم عسير) شديد (على الكافرين) هوله وعذابه (غير يسير)
غير هين عليهم (ذرنى) يا محمد (ومن خلقت وحيدا) بلا مال ولا ولد ولا زوج وهذا وعيد من الله للوليد بن

العادات المذمومة اوطهر نفسك عن الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه اوفطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر ﴿ والرجز فاهجر ﴾ واهجر العذاب بالثبات على هجر مايؤدى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة فيه كالذكر ﴿ ولاتمنن تستكثر ﴾ اى لاتعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا فى عوض اكثر نهى تنزيه اونهيا خاصابه لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له مافيه من الحرص والضنة اولاتمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها اوعلى الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم اومستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف اوالابدال من تمنن على انه من من بكذا اوتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كماروى احضر الوغى بالرفع فى قول الشاعر

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى * وان اشهد اللذات هل انت مخلدى

اذيالهم على النجاسات وفى الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ماليس فى الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وامر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب * الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة

وشككت بالرمح الاصم ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرها وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه * الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لاتلبسها على معصية ولا غدر اما سمعت قول غيلان ابن سلمة الثقفى

وانى بحمدالله لاثوب فاجر * لبست ولا من غدرة اتقنع

والعرب تقول فى وصف الرجل بالصدق والوفاء هوطاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب فى ذلك ان الثوب كالشئ الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم فى ثوبه والعفة فى ازاره وقيل ان من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى ﴿ والرجز فاهجر ﴾ يعنى اترك الاوثان ولاتقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما اوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال ﴿ ولاتمنن تستكثر ﴾ يعنى لاتعط مالك مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين وهذا النهى مختص بالنبى صلى الله عليه وسلم وانما نهى عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى شيأ لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد وان يتواضع لذلك الذى اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود فى حق الامة فيجوز لغيره من

طاهر الثياب اذا وصفوه بالنقاء من المعايب وفلان دنس الثياب للغادر ولان من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا (والرجز) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدى اليه (فاهجر) اى اثبت على هجره لانه كان بريئا منه (ولا تمنن تستكثر) بالرفع وهو منصوب المحل على الحال اى لاتعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا اكثر مما اعطيت فانك مأمور باجل الاخلاق واشرف الآداب وهو من من عليه اذا انعم عليه وقرأ الحسن تستكثر بالسكون جوابا للنهى

فطهر من الدنس (والرجز فاهجر) المآثم فاترك ولا تقربه (ولاتمنن تستكثر) لاتعط شيأ قليلا فتعطى افضل من ذلك واكثر منه فى الدنيا ويقال ولاتمنن بعملك على الله تستكثر

الاستعارة وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به ﴿ قم ﴾ من مضجعك اوقم قيام عزم وجد ﴿ فانذر ﴾ مطلق للتعميم اومقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين اوقوله وماارسلناك الا كافة بشيرا ونذيرا ﴿ وربك فكبر ﴾ وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى لما نزل كبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايقن انه الوحى وذلك لان الشيطان لايأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن من شئ فكبر ربك اوالدلالة على ان المقصود لاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول مايجب معرفة الصانع واول مايجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به ﴿ وثيابك فطهر ﴾ من النجاسات فان التطهير واجب فى الصلوات محبوب فى غيرها وذلك بغسلها اوبحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض

قوله فاذا الملك الذى جاءنى بحراء ثم قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر وايضا قوله ثم حمى الوحى بعد وتتابع فالصواب ان اول مانزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذى خلق وان اول ما نزل بعد فترة الوحى سورة المدثر فحصل بهذا الذى بيناه الجمع بين الحديثين والله اعلم* قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذى يجلس عليه* وقوله يحدث عن فترة الوحى اى عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه فى النزول * قوله فجئثت منه روى بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروى بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت* وقوله وحمى الوحى بعد وتتابع اى كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرها* وقوله وصبوا على ماء فيه انه ينبغى لمن فزع ان يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله اعلم * واما التفسير فقوله عز وجل يا ايها المدثر اصله المتدثر وهو الذى يتدثر فى ثيابه ليستدفئ بها واجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثرونى وقيل معناه يا ايها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا ﴿ قم فانذر ﴾ اى حذرهم من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذى تحملته ﴿ وربك فكبر ﴾ اى عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان ﴿ وثيابك فطهر ﴾ فيه اربعة اوجه احدها ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثانى ان ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث ان ينزل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز * اما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فامر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا للمشركين * الوجه الثانى معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون

قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا او فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فقيل له يا ايها الصارف اذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار وان آذاك الفجار (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم اى لايكبر فى عينك غيره وقل عند ما يعروك من غير الله اكبر وروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء بمعنى الشرط كأنه قيل وماكان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) بالماء عن النجاسة لان الصلاة لاتصح الا بها وهى الاولى فى غير الصلاة او فقصر مخالفة للعرب فى تطويلهم الثياب وجرهم لذيول اذلا يؤمن معه اصابة النجاسة اوطهر نفسك مما يستقذر من الافعال يقال فلان

(قم فانذر) فخوف الناس وادعهم الى التوحيد (وربك فكبر) فعظم عما يقوله عبدة الاوثان (وثيابك فطهر) قلبك من الغدر والخيانة والفجر اى كن طاهر القلب ويقال ثيابك

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا ايها المدثر﴾ اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ارشيئا فنظرت فوقى فاذا هو على العرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هى اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا اوكان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية اوالمختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿يا ايها المدثر﴾ (ق) عن يحيى بن كثير قال سألت ابا سلمة بن عبدالرحمن عن اول ما نزل من القرآن قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال ابو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذى قلت فقال لى جابر لااحدثك الا ماحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم ارشيأ ونظرت عن شمالى فلم ارشيأ ونظرت خلفى فلم ارشيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ فاتيت خديجة فقلت دثرونى فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفى رواية فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادى وذكر نحوه فاذا هو قاعد على عرش فى الهواء يعنى جبريل فاخذتنى رجفة شديدة (ق) عن جابر رضى الله عنه من رواية الزهرى عن ابى سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحى فقال لى فى حديثه فبينا انا امشى سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالسا على كرسى بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملونى زملونى فدثرونى فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر الى والرجز فاهجر وفى رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلى وذكره وفيه قال ابو سلمة الرجز الاوثان قال ثم حمى الوحى بعد وتتابع فان قلت دل هذا الحديث على ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضى الله عنها المخرج فى الصحيحين ايضا فى بدء الوحى وسيأتى فى موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذى عليه جمهور العلماء ان اول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الذى خلق كما صرح به فى حديث عائشة وقول من قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن على الاطلاق ضعيف لا يعتد به وانما كان نزولها بعد فترة الوحى كما صرح به فى رواية الزهرى عن ابى سلمة عن جابر ويدل عليه ايضا قوله فى الحديث وهو يحدث عن فترة الوحى الى ان قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر ويدل عليه ايضا

(بسم الله الرحمن الرحيم) روى جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى وعن يسارى فلم ارشيأ فنظرت فوقى فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة وقلت دثرنى دثرنى فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ (يا ايها المدثر) اى المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار والشعار الثوب الذى يلى الجسد واصله المتدثر فأدغم

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (يا أيها المدثر) يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم قد تدثر بثيابه ونام

(وآتوا الزكوة) الواجبة (واقرضوا الله) بالنوافل والقرض لغة القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وانما اضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له فى تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قرضا حسنا) من الحلال بالاخلاص (وما تقدموا

لانفسكم من خير تجدوه) اى ثوابه وهو جزاء الشرط (عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثانى لتجدوه خيرا وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (واعظم اجرا) واجزل ثوابا (واستغفروا الله) من السيآت والتقصير فى الحسنات (ان الله غفور) يستر على اهل الذنب والتقصير (رحيم) يخفف عن اهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير والله اعلم

﴿ سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكية وهى خمسون وست آيت ﴾

﴿وآتوا الزكوة﴾ الواجبة ﴿واقرضوا الله قرضا حسنا﴾ يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخيرات او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله ﴿وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا﴾ من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت اومن متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد اوفصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمنع من حروف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر ﴿واستغفروا الله﴾ فى مجامع احوالكم فان الانسان لايخلو من تفريط ﴿ان الله غفور رحيم﴾ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

﴿ سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون ﴾

المفروضة ﴿وآتوا الزكوة﴾ اى الواجبة ﴿واقرضوا الله قرضا حسنا﴾ قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بان يخرجها على احسن وجه من كسب طيب ومن اكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق ﴿وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ اى ثوابه واجره ﴿هو خيرا واعظم اجرا﴾ يعنى ان الذى قدمتم لانفسكم خير من الذى اخرتموه ولم تقدموه وروى البغوى بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يارسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه من مال وارثه قال اعلموا ماتقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يارسول الله قال مامنكم رجل الا مال وارثه احب اليه من ماله قالوا كيف يارسول الله قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر ﴿واستغفروا الله﴾ اى لذنوبكم وتقصيركم فى قيام الليل ﴿ان الله غفور رحيم﴾ اى لجميع الذنوب والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة المدثر وهى مكية قيل غير آية من آخرها ﴾

﴿ وهى ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون ﴾

﴿ كلمة والف حرف وعشرة احرف ﴾

الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها (وآتوا الزكوة) اعطوا زكاة اموالكم (واقرضوا الله) فى الصدقة ويقال فى العمل الصالح (قرضا حسنا) محتسبا صادقا من قلوبكم (وماتقدموا) تسلفوا (لانفسكم من خير) من صدقة اوعمل صالح (تجدوه) تجدوا ثوابه (عند الله) فى الجنة محفوظا لكم لاسرق ولاغرق ولاحرق ولايأكله السوس (هو خيرا) مما بقى عندكم فى الدنيا (واعظم اجرا) ثوابا مما عندك (واستغفروا الله) من الذنوب (ان الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة

(بسم) لرحمة المدثر بثيابه ﴿ومن السور التى يذكر فيها المدثر وهى كلها مكية آياتها ست وخمسون وكلماتها مائتان وخمس وخمسون وحروفها الف وعشرة﴾

وهو تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (علم ان سيكون منكم) ان مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل (وآخرون يضربون فى الارض) يسافرون (يبتغون) حال من ضمير يضربون (من فضل الله) رزقه بالتجارة اوطلب العلم (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) سوى بين المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضى الله عنه ايما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عندالله من الشهداء وقال ابن عمر رضى الله عنهما ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل فى سبيل الله احب الى من ان اموت بين شعبتى رجل اضرب فى الارض ابتغى من فضل الله (فاقرؤا ما تيسر منه) كرر الامر بالتيسير لشدة احتياطهم (واقيموا الصلوة) المفروضة

بالقرآة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرأوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم ﴿علم ان سيكون منكم مرضى﴾ استئناف مبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال ﴿وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله﴾ والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم ﴿وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة﴾ المفروضة

تعالى يقول فاقرؤا ماتيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس وذلك فى حق الامة وثبت قيام الليل فى حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول الثانى ان المراد بقوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وان لايعرض للنسيان فقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل ان قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوى باسناده عن انس رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية فى يوم او ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وذكره الشيخ محيى الدين فى كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال فى رواية من قرأ اربعين آية بدل خمسين وفى رواية عشرين وفى رواية عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اخبر انك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يارسول الله ولم ارد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان اعبد الناس واقرأ القرآن فى كل شهر مرة قال قلت يانبى الله انى اطيق افضل من ذلك قال فاقرأه فى كل عشر قال قلت يانبى الله انى اطيق افضل من ذلك قال فاقرأه فى سبع ولاتزد على ذلك * ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال تعالى ﴿علم ان سيكون منكم مرضى﴾ يعنى ان المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف الله عز وجل عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه ﴿وآخرون يضربون فى الارض﴾ يعنى المسافرين للتجارة ﴿يبتغون من فضل الله﴾ اى يطلبون من رزق الله وهو الربح فى التجارة ﴿وآخرون يقاتلون فى سبيل الله﴾ يعنى الغزاة والمجاهدين وذلك لان المجاهد والمسافر مشتغل فى النهار بالاعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه اسباب المشقة فخفف الله عنهم لذلك روى عن ابن مسعود قال ايما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عندالله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبدالله وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ﴿فاقرؤا ما تيسر منه﴾ اى من القرآن واعاده للتأكيد ﴿واقيموا الصلوة﴾ يعنى

(علم ان سيكون منكم مرضى) جرحى لايستطيعون الصلاة بالليل (وآخرون يضربون) يسافرون (فى الارض) بالتجارة وغيرها (يبتغون) يطلبون (من فضل الله) من رزق الله وغيره يشق عليهم صلاة الليل (وآخرون يقاتلون) يجاهدون (فى سبيل الله) فى طاعة الله يشق عليهم صلاة الليل (فاقرؤا ماتيسر) عليكم (منه) من القرآن فى الصلاة (واقيموا الصلوة) اتموا

(ان ربك يعلم انك تقوم ادنى) اقل فاستعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل مابينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك (من ثلثى الليل) بضم اللام سوى هشام (ونصفه وثلثه) منصوبان عطف على ادنى مكى وكوفى ومن جرهما عطف على ثلثى (وطائفة) عطف على الضمير فى تقوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل (من الذين معك) اى ويقوم ذلك المقدار جماعة من اصحابك (والله يقدر الليل والنهار) اى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على انه مختص بالتقدير ثم انهم قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل (علم ان لن تحصوه) لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير الا بشدة ومشقة وفى ذلك حرج (فتاب عليكم) فخفف عليكم واسقط عنكم فرض قيام الليل (فاقرؤا) فى الصلاة والامر للوجوب وفى غيرها والامر للندب (ما تيسر) عليكم (من القرآن) روى ابو حنيفة عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال من قرأ مائة فى ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين وقيل اراد بالقرآن الصلاة لانه بعض اركانها اى فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ الاول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة فى النسخ (تعالى)

اى يتقرب اليه بسلوك التقوى ﴿ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه﴾ استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرأ هشام ثلثى الليل وابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى ﴿وطائفة من الذين معك﴾ ويقوم ذلك جماعة من اصحابك ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر ويشعر بالاختصاص ويؤيده قوله ﴿علم ان لن تحصوه﴾ اى لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ﴿فتاب عليكم﴾ بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه كما رفع التبعة عن التائب ﴿فاقرؤا ما تيسر من القرآن﴾ فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة

والطاعة * قوله تعالى ﴿ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل﴾ اى اقل من ثلثى الليل ﴿ونصفه وثلثه﴾ اى تقوم نصفه وثلثه ﴿وطائفة من الذين معك﴾ يعنى المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ يعنى ان العالم بمقادير الليل والنهار واجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما يفعلون فيعلم القدر الذى يقومون من الليل والذى ينامون منه ﴿علم ان لن تحصوه﴾ يعنى ان لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر الله به من القيام فقال تعالى علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوا معرفة ذلك ﴿فتاب عليكم﴾ اى فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم ﴿فاقرؤا ما تيسر من القرآن﴾ فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة فى الصلاة وذلك لان القراءة احد اجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن يعنى فى صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن ابى حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ فى اول ركعة الحمد واول آية من البقرة ثم قام فى الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا بوجهه فقال ان الله

(ان ربك) يا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (يعلم انك تقوم ادنى) اقل (من ثلثى الليل) الى النصف (ونصفه) وتقوم نصف الليل (وثلثه) وتقوم ثلث الليل ويقال ونصفه اقل من نصف الليل وثلثه اذا قرأت بالخفض (وطائفة من الذين معك) وجماعة من المؤمنين معك فى الصلاة (والله يقدر الليل والنهار) يعلم ساعات الليل والنهار (علم ان لن تحصوه) ان لن تحفظوا ساعات الليل ويقال ما امرتم فى الليل من الصلاة (فتاب عليكم) فتجاوز عنكم صلاة الليل (فاقرؤا ما تيسر) عليكم (من القرآن) فى الصلاة مائة آية فصاعدا ويقال ما شئتم من القرآن

ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول ﴿ السماء منفطر ﴾ منشق والتذكير على تأويل السقف اواضمار شئ ﴿ به ﴾ بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة ﴿ كان وعده مفعولا ﴾ الضمير لله عزوجل اولليوم على اضافة المصدر الى المفعول ﴿ ان هذه ﴾ الآيات الموعدة ﴿ تذكرة ﴾ عظة ﴿ فمن شاء ﴾ ان يتعظ ﴿ اتخذ الى ربه سبيلا ﴾

اى تنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق والتذكير على تأويل السماء بالسقف او السماء شئ منفطر وقوله به اى بيوم القيامة يعنى انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به (كان وعده) المصدر مضاف الى المفعول وهواليوم او الى الفاعل وهوالله عز وجل (مفعولا) كائنا (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) اى فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية

ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم قال انتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض اوكالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا* اما مايتعلق بمعنى الحديث * فقوله ان تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه ميز اهل الجنة من اهل النار واما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف فهى الاثرة فى باطن عضد الحمار* وقوله انى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة وثلث اهل الجنة وشطر اهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع اهل الجنة اولا ثم الثلث ثم الشطر لفائدة حسنة وهى ان ذلك اوقع فى نفوسهم وابلغ فى اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها *واما مايتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث فى قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثانى انه فى القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل فى شدة الامر وهوله يقال فى اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصى الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبى

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوه كناية عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الطفل لاتمييزله وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون سن الشيخوخة والشيب ﴿ السماء منفطر به ﴾ وصف اليوم بالشدة ايضا وان السماء مع عظمها تنفطر به وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل به اى بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى اى بأمره وهيبته ﴿ كان وعده مفعولا ﴾ اى كائنا لامحالة فيه ولاخلف ﴿ ان هذه ﴾ اى آيات القرآن ﴿ تذكرة ﴾ اى مواعظ يتذكر بها ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ﴾ بالايمان

ذريتك الى النار قال آدم يارب من كم قال الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة (السماء منفطر) منشق (به) بذلك الزمان الذى يجعل الولدان شيبا ويقال بنزول امر الرب والملائكة (كان وعده) فى البعث (مفعولا) كائنا (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة وبيان لكم (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) طريقا يأتى به الى ربه ويقال فمن شاء وحد واتخذ بذلك الى ربه سبيلا مرجعا

فعيل بمعنى مفعول (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه (انا ارسلنا اليكم رسولا) يعنى محمدا عليه السلام (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) اى ذلك الرسول اذ النكرة اذا اعيدت معرفة كان الثانى عين الاول (فاخذناه اخذا وبيلا) شديدا غليظا وانما خص موسى وفرعون لان خبرهما كان منتشرا بين اهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود (فكيف تتقون ان كفرتم يوما) هو مفعول تتقون اى كيف تتقون عذاب يوم كذا ان كفرتم او ظرف اى فكيف لكم التقوى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا او منصوب بكفرتم على تأويل جحدتم اى كيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه (يجعل الولدان) صفة ليوما والعائد محذوف اى فيه (شيبا) من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع اشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصى الاطفال

كسبت الشئ اذا جمعته ﴿ مهيلا ﴾ منثورا من هيل هيلا اذا نثر ﴿ انا ارسلنا اليكم رسولا ﴾ يا اهل مكة ﴿ شاهدا عليكم ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع ﴿ كما ارسلنا الى فرعون رسولا ﴾ يعنى موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به ﴿ فعصى فرعون الرسول ﴾ عرفه لسبق ذكره ﴿ فأخذناه اخذا وبيلا ﴾ ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم ﴿ فكيف تتقون ﴾ انفسكم ﴿ ان كفرتم ﴾ بقيتم على الكفر ﴿ يوما ﴾ عذاب يوم ﴿ يجعل الولدان شيبا ﴾ من شدة هو له وهذا على الفرض او على التمثيل واصله

مهيلا ﴾ يعنى رملا سائلا وهو الذى اذا اخذت منه شيأ تبعك ما بعده ﴿ انا أرسلنا اليكم ﴾ يعنى يا اهل مكة ﴿ رسولا ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ شاهدا عليكم ﴾ اى بالتبليغ وايمان من آمن منكم وكفر من كفر ﴿ كما ارسلنا الى فرعون رسولا ﴾ يعنى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى وآذاه لانه رباه ﴿ فعصى فرعون الرسول فاخذناه ﴾ اى فرعون ﴿ اخذا وبيلا ﴾ اى شديدا ثقيلا يعنى عاقبناه عقوبة غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى ﴿ فكيف تتقون ان كفرتم ﴾ اى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم اى فى الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وباى شئ تحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان كفرتم فى الدنيا ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ يعنى شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد فى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يارسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من يأجوج (ومأجوج)

(مهيلا) وهو الشئ الذى اذا رفعت اسفله سقط عليك اعلاه مثل الرمل (انا ارسلنا) بعثنا (اليكم رسولا) يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام (شاهدا عليكم) بالبلاغ (كما ارسلنا) بعثنا (الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) يعنى موسى عليه السلام لم يجبه (فأخذناه اخذا وبيلا) فعاقبناه عقوبة شديدة وهى الغرق (فكيف تتقون) الكفر والشرك وتؤمنون بالله يا اهل مكة (ان كفرتم) اذ كفرتم فى الدنيا (يوما) يوم القيامة (يجعل) ذلك اليوم (الولدان شيبا) شمطا اذا سمعوا حيث يقول الله لآدم يا آدم ابعث بعثا من

(واصبر على مايقولون) على مايقولون فى من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر (واهجرهم هجرا جميلا) جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة وقيل هو منسوخ بآية القتال (وذرنى) اى كلهم الى فانا كافيهم (والمكذبين) رؤساء قريش مفعول معه اوعطف على ذرنى اى دعنى واياهم (أولى النعمة) التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة (ومهلهم) امهالا (قليلا) الى يوم بدر اوالى يوم القيامة (ان لدينا) للكافرين فى الآخرة (أنكالا) قيودا ثقالا جمع نكل (وجحيما) نارا محرقة (وطعاما ذا غصة) اى الذى ينشب فى الحلوق فلا ينساغ يعنى الضريع والزقوم (وعذابا اليما) يخلص وجعه الى القلب وروى انه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن انه امسى صائما فاتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البنانى وغيره فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم) منصوب بما فى لدينا من معنى الفعل اى استقر للكفار لدينا كذا وكذا يوم (ترجف الارض والجبال) اى تحرك حركة شديدة (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كانه

فان توحده بالالوهية يقتضى ان نوكل اليه الامور ﴿ واصبر على ما يقولون ﴾ من الخرافات ﴿ واهجرهم هجرا جميلا ﴾ بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله فالله يكفيهم كما قال ﴿ وذرنى والمكذبين ﴾ دعنى واياهم وكل الى امرهم فان فى غنية عنك فى مجازاتهم ﴿ اولى النعمة ﴾ ارباب التنعم يريد صناديد قريش ﴿ ومهلهم قليلا ﴾ زمانا او امهالا ﴿ ان لدينا انكالا ﴾ تعليل للامر والنكل القيد الثقيل ﴿ وجحيما وطعاما ذا غصة ﴾ طعاما ينشب فى الحلق كالضريع والزقوم ﴿ وعذابا اليما ﴾ ونوعا آخر من العذاب مؤلما لايعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما تشترك فيه الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات محرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلى انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى ﴿ يوم ترجف الارض والجبال ﴾ تضطرب وتتزلزل ظرف لما فى لدينا انكالا من معنى الفعل ﴿ وكانت الجبال كثيبا ﴾ رملا مجتمعا لانه فعيل بمعنى مفعول من

وعدك من النصر على الاعداء ﴿ واصبر على مايقولون ﴾ اى من التكذيب لك والاذى ﴿ واهجرهم هجرا جميلا ﴾ اى واعتزلهم اعتزالا حسنا لاجزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال ﴿ وذرنى والمكذبين ﴾ اى دعنى ومن كذبك لاتهتم به فانى اكفيكه ﴿ أولى النعمة ﴾ اى اصحاب النعم والترفه نزلت فى صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت فى المطعمين ببدر ﴿ ومهلهم قليلا ﴾ يعنى الى يوم بدر فلم يكن الا يسير حتى قتلوا ببدر وقيل اراد بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى ﴿ ان لدينا ﴾ اى عندنا فى الآخرة ﴿ انكالا ﴾ يعنى قيودا عظاما ثقالا لاتنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد ﴿ وجحيما وطعاما ذا غصة ﴾ اى غير سائغ فى الحلق لاينزل ولايخرج وهو الزقوم والضريع ﴿ وعذابا أليما ﴾ اى وجيعا ﴿ يوم ترجف الارض والجبال ﴾ اى تزلزل وتحرك وهو يوم القيامة ﴿ وكانت الجبال كثيبا

(واصبر) يامحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (على ما يقولون) من الشتم والتكذيب (واهجرهم هجرا جميلا) اعتزلهم اعتزالا جميلا بلا جزع ولا فحش (وذرنى والمكذبين) بالقرآن وهذا وعيد من الله لهم وهم المطعمون يوم بدر (اولى النعمة) ذوى المال اللهو والغنى (ومهلهم) احلمهم (قليلا) الى يوم بدر (ان لدينا) عندنا لهم فى الآخرة (انكالا) قيودا تقيد بها ارجلهم واغلالا تغل بها ايمانهم الى اعناقهم وسلاسل توضع فى اعناقهم (وجحيما) نارا يدخلونها (وطعاما ذا غصة) يستمسك فى حلقهم وهو الزقوم (وعذابا اليما) وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم ثم بين متى يكون فقال (يوم ترجف الارض) تزلزل الارض (والجبال) وتزلزل الجبال (وكانت) وصارت (الجبال كثيبا) ترابا

(انلك فى النهار سبحا طويلا) تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ففرغ نفسك فى الليل لعبادة ربك اوفراغا طويلا لنومك وراحتك (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره فى الليل والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وتبتل اليه) انقطع الى عبادته عن كل شئ والتبتل الانقطاع الى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره وقيل رفض الدنيا ومافيها والتماس ما عندالله (تبتيلا) فى اختلاف المصدر زيادة تأكيد اى بتلك الله فتبتل تبتيلا او جيء به مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) بالرفع اوهو رب اومبتدأ خبره (لااله الاهو) وبالجر شامى وكوفى غير حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم باضمار حرف القسم نحو الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كقوله والله لا احد فى الدار الا زيد (فاتخذه وكيلا) وليا وكفيلا بما وعدك من النصر او اذا علمت انه ملك المشرق والمغرب لااله الاهو فاتخذه كافيا لامورك وفائدة الفاء ان لاتلبث بعد ان عرفت فى تفويض الامور الى الواحد القهار اذلا عذر لك فى الانتظار بعد الاقرار

قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات ﴿ان لك فى النهار سبحا طويلا﴾ تقلبا فى مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعى فراغا وقرئ سبخا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه ﴿واذكر اسم ربك﴾ ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل مايذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم ﴿وتبتل اليه تبتيلا﴾ وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتلا ﴿رب المشرق والمغرب﴾ خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره ﴿لااله الاهو﴾ وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لااله الاهو ﴿فاتخذه وكيلا﴾ مسبب عن التهليل

وادخل فى القبول ﴿ان لك فى النهار سبحا طويلا﴾ اى تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا فى حوائجك واشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك افضل من الليل ﴿واذكر اسم ربك﴾ اى بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح ﴿وتبتل اليه تبتيلا﴾ قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك واقطعها عن كل شئ سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ماعندالله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد فى العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شئ واقبل على العبادة قد تبتل اى انقطع عن كل شئ الا من عبادة لله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على بتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موضع مقارنه فى المعنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك اليه تبتيلا فهو كقوله والله انبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل فى تبتل ان يقال بتلت تبتيلا وتبتلت تبتيلا فتبتيلا محمول على معنى بتل اليه تبتيلا وقيل انه عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهى ان المقصود انما هو التبتيل فاما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لايكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لايكون منقطعا اليه الا انه لابد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر اولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابد منه ﴿رب المشرق والمغرب﴾ يعنى ان التبتل والانقطاع لايليق الا لله تعالى الذى هو رب المشرق والمغرب ﴿لا اله الاهو فاتخذه وكيلا﴾ اى فوض امرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذ يامحمد ربك كفيلا بما

وانت (انلك) يامحمد (فى النهار سبحا طويلا) فراغا طويلا لقضاء حوائجك (واذكر اسم ربك) صل بامر ربك ويقال اذكر توحيد ربك (وتبتل اليه تبتيلا) اخلص لله اخلاصا فى صلاتك ودعائك وعبادتك (رب المشرق والمغرب) هوالله (لااله الاهو فاتخذه وكيلا) فاعبده ربا ويقال فاتخذه كفيلا فيما وعدك (وعدك) من النصرة والدولة والثواب

على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل فى الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضى الله عنها رأيته عليه السلام ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه صلى الله عليه وسلم ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله ﴿ان ناشئة الليل﴾ ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض وقام قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى * والصق منها مشرفات القماحد

اوقيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث به او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت ﴿هى اشد وطأ﴾ اى كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اى موطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص ﴿واقوم قيلا﴾ واشد مقالا واثبت

الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه *قوله فيفصم اى ينفصل عنى ويفارقنى وقد وعيت ما قال اى حفظت* وقولها ليتفصد عرقا اى يجرى عرقه كما يجرى الدم من الفاصد * قوله تربد وجهه الربدة فى الالوان غبرة مع سواد * وقوله تعالى ﴿ان ناشئة الليل﴾ اى ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشأ عن التى قبلها وقال ابن ابى مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهى عبارة عن الامور التى تحدث وتنشأ فى الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هى قيام آخر الليل وقيل اوله وقيل اى ساعة قام الانسان من الليل فقد نشأ روى عن زين العابدين على بن الحسين انه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهى ناشئة الليل وقيل ناشئة الليل قيامه ﴿هى اشد وطاء﴾ قرئ بكسر الواو مع المد يعنى من المواطأة والموافقة وذلك لان مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل اكثر مما تكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء اى اشد على المصلى واثقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس اشد واثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل هى اشد وطأ يقول هى اجدر ان يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لايدرى متى يستيقظ وقيل اثبت للخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل هى اوطأ للقيام واسهل على المصلى من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل افرغ للقلب من النهار ولايعرض له فى الليل حوائج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد من الرياء وهو قوله تعالى ﴿واقوم قيلا﴾ اى اصوب قراءة واصح قولا من النهار لهدأة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه ابين قولا بالقرآن والحاصل ان عبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا وابعد عن الرياء واكثر بركة وابلغ فى الثواب

(ان ناشئة الليل) بالهمزة سوى ورش قيام الليل عن ابن مسعود رضى الله عنه فهو مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية او العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث او ساعات الليل لانها تنشأ ساعة فساعة وكان زين العابدين رضى الله عنه يصلى بين العشاءين ويقول هذه ناشئة الليل (هى اشد وطاء) وفاقا شامى وابو عمرو اى يواطئ فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق غيرهما وطأ اى اثقل على المصلى من صلاة النهار لطرد النوم فى وقته من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر (واقوم قيلا) واشد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات وانقطاع الحركات

(ان ناشئة الليل) قيام الليل بالصلاة (هى اشد وطأ) نشاطا للرجل اذا كان محتسبا للصلاة ويقال ارق وارفق للقلب (واقوم قيلا) أبين قراءة للقرآن

ورتل اذا كان مقبلا ﴿ انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾ يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته الجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه شاق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل

عليه وسلم بآية من القرآن اخرجه الترمذي وللنسائي عن ابي ذر نحوه وزاد والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم * عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤا القرآن قبل ان يقرأه اقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل اقراءته ولا يتأجله اخرجه ابو داود زاد غيره في رواية لايجاوز تراقيهم * عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربي والعجمي فقال اقرؤا فكل حسن وسيجيء اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه اخرجه ابو داود * عن ابن مسعود قال لاتنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذا الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولايكن هم احدكم آخر السورة * قوله تعالى ﴿ انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾ قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهي فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيلا على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا اي ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا في الوحي وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القرآن والوحي يجد له مشقة (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له وجهه وفي رواية كان اذا نزل عليه الوحي عرفنا ذلك في فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس

(انا سنلقي عليك) سننزل عليك (قولا ثقيلا) اي القرآن لما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين او ثقيلا على المنافقين او كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف

(انا سنلقي عليك) سننزل عليك جبريل (قولا ثقيلا) بكلام شديد بالامر والنهي والوعد والوعيد والحلال والحرام ويقال عظيما ويقال ثقيلا على من خالفه ويقال ثقيلا بصلاة الليل

كالربع والاكثر منه كالنصف و للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر اوالاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل وامسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء ثم انزل التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة * وقوله تعالى ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ قال ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقرأه على هينتك ثلاث آيات واربعا وخمسا وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا اثره فى اثر بعض بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تأكيد فى الامر به وانه لابد للقارئ منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلى من حضور القلب والتأمل والفكر فى حقائق الآيات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع فى القراءة لايحصل فيها ذلك فظهر بذلك ان المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة

فصل

(خ) عن قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم * عن ام سلمة رضى الله عنها وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائى * وللترمذى قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفى رواية ابى داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية (ق) عن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع فى قراءته (ق) عن ابى وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود قال انى لاقرأ المفصل فى ركعة قال عبد الله هذا كهذ الشعر ان أقواما يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ نفع ان افضل الصلاة الركوع والسجود انى لاعرف النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين فى كل ركعة وفى رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لايجاوز تراقيهم التراقى جمع ترقوة وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل * عائشة رضى الله عنها قالت قام النبى صلى الله

الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان جعلت نصفه بدلا من قليلا كان مخيرا بين ثلاثة اشياء بين قيام نصف الليل تاما و بين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل والا فاطلاق لفظ القليل ينطلق على مادون النصف ولهذا قلنا اذا اقر أن لفلان عليه الف درهم الا قليلا انه يلزمه اكثر من نصف الالف (ورتل القرآن) بين وفصل من الثغر المرتل اى المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك اى مرتل وثغر رتل ايضا اذا كان مستوى البنيان او اقرأ على تؤده بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات (ترتيلا) هو تأكيد فى ايجاب الامر به وانه لابد منه للقارئ

على النصف الى الثلثين فخيره فى قيام الليل ثم قال (ورتل القرآن ترتيلا) اقرأ القرآن على رسلك وهينتك وتؤدة ووقار تقرأ آية وآيتين وثلاثا ثم كذلك حتى تقطع

وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اى الذى زمله غيره او زمل نفسه سمى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تهجينا لما كان عليه فانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه من بدء الوحى متزملا فى قطيفة او تحسينا له اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى متلففا بمرط مفروش على عائشة رضى الله عنها فنزلت او تشبيها له فى تثقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد فى قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اى الذى تحمل اعباء النبوة ﴿ قم الليل ﴾ اى قم الى الصلاة وداوم عليها فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع والتخفيف ﴿ الا قليلا نصفه اوانقص منه قليلا او زد عليه ﴾ الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير فى منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه

متزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه اى تلفف قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل فى ثيابه اول ما جاء جبريل فرقا منه فكان يقول زملونى زملونى حتى انس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة اى حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب بالنبي والرسول لانه كان فى اول الامر ومبدئه ثم خوطب بالنبى والرسول بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل فى ثوبه فنودى يا ايها المزمل ﴿ قم الليل ﴾ اى للصلاة والعبادة وهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة فى ابتداء الاسلام ﴿ الا قليلا ﴾ اى صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى ﴿ نصفه ﴾ اى قم نصف الليل ﴿ اوانقص منه قليلا ﴾ اى الى الثلث ﴿ اوزد عليه ﴾ اى على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لايدرى متى ثلث الليل اومتى نصفه اومتى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة ان لايحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها عنهم بقوله فاقرؤا ماتيسر منه قيل ليس فى القرآن سورة نسخ آخرها اولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها ونزول آخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك فى حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت فريضته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك (م) عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا ام المؤمنين انبئينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام المؤمنين قالت ألست تقرأ المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام فى اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم

فى الزاى وكان النبى صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا فى ثيابه فامر بالقيام للصلاة بقوله (قم الليل الا قليلا نصفه) بدل من الليل والا قليلا استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل (اوانقص منه) من النصف بضم الواو غير عاصم وحمزة (قليلا) الى الثلث (اوزد عليه) على النصف الى الثلثين والمراد التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد

(قم الليل) بالصلاة ثم قال (الا قليلا) ثم بين فقال (نصفه) اى قم نصف الليل للصلاة (اوانقص منه) من النصف (قليلا) الى الثلث (اوزد عليه)

(ليعلم) الله (ان قد ابلغوا) اى الرسل (رسالات ربهم) كاملة بلا زيادة ولا نقصان الى المرسل اليهم اى ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده انه يوجد وحد الضمير فى من بين يديه للفظ من وجمع فى ابلغوا لمعناه (واحاط) الله (بما لديهم) ﴿٣٨١﴾ بما عند الرسل من ﴿سورة المزمل﴾ العلم (واحصى كل شئ عددا) من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحر فكيف لايحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اى وعلم كل شئ معدودا محصورا او مصدر فى معنى احصاه والله اعلم

﴿سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية وهى تسع عشرة آية بصرى وثمان عشرة شامى﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها المزمل) اى المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه اى تلفف بها بادغام التاء

يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ﴿ليعلم ان قد ابلغوا﴾ اى ليعلم النبى الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحى او ليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا ﴿رسالات ربهم﴾ كما هى محروسة من التغيير ﴿واحاط بما لديهم﴾ بما عند الرسل ﴿واحصى كل شئ عددا﴾ حتى القطر والرمل * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

﴿سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يا ايها المزمل﴾ اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاى

الجن ان يسمعوا الوحى فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس فى صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان فى صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره وان جاء ملك قالوا له هذا رسول ربك ﴿ليعلم﴾ اى ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ان﴾ اى ان جبريل قد بلغ اليه رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله قد ابلغوا رسالات ربهم وان الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله ان الرسل ﴿قد ابلغوا رسالات ربهم﴾ فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيوجب فيه الثواب ﴿واحاط بما لديهم﴾ اى علم الله ما عند الرسل فلا يخفى عليه شئ من امورهم ﴿واحصى كل شئ عددا﴾ قال ابن عباس احصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شئ حتى مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿تفسير سورة المزمل هى مكية قيل غير آيتين منها وهما قوله﴾

﴿واصبر على مايقولون وقيل غير آية وهى ان ربك يعلم انك تقوم﴾

﴿الآية وهى عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة﴾

﴿وثمانية وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿يا ايها المزمل﴾ هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم واصله

(ليعلم) محمد عليه السلام (ان قد ابلغوا) عن الله يعنى الرسل (رسالات ربهم) هكذا تحفظهم الملائكة كما حفظك ويقال ليعلم الرسل محمد عليه السلام وغيره ان قد ابلغوا يعنى الملائكة رسالات ربهم عن الله ويقال ليعلم لكى يعلم الجن والانس ان قد ابلغوا يعنى الرسل رسالات ربهم قبل ان علمنا (واحاط بما لديهم) بما عندهم من الملائكة (واحصى كل شئ عددا) احصاه ويقال عالم بعددهم كما علم بحال المزمل بثيابه

﴿ومن السورة التى يذكر فيها المزمل وهى مكية غير قوله وذرنى والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلا فانها مدنية آياتها تسع عشرة وكلماتها مائتان وخمس وثمانون وحروفها ثمانمائة وثمان وثلاثون (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا ايها المزمل) المتزمل يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم قد تزمل بثيابه ليلبسها للصلاة

الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير واسطة وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء ﴿ فانه يسلك من بين يديه ﴾ من بين يدى المرتضى ﴿ ومن خلفه رصدا ﴾ حراسا من الملائكة

ابعد شئ من الارتضاء وادخله فى السخط قال الواحدى وفى هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على مايكون من حياة اوموت ونحوه ذلك فقد كفر بما فى القرآن فأما الزمخشرى فأنكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه فى الاعتزال ووافق الواحدى وغيره من المفسرين فى ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام فخر الدين ونسبة الآية الى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغى ان يجعلها دالة على المنع من الكرامات قال وعندى ان الآية لادلالة فيها على شئ من ذلك والذى تدل عليه ان قوله فلايظهر على غيبه احدا ليس فيه صيغة عموم فيكفى فى العمل بمقتضاه ان لايظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية انه تعالى لايظهر هذا الغيب لاحد فلايبقى فى الآية دلالة على انه لايظهر شيأ من الغيوب لاحد ثم انه يجوز ان يطلع الله على شئ من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر مايدل على صحة قوله والذى ينبغى ان مذهب اهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله بعض اوليائه وقوع بعض الوقائع فى المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبياء وان يكن فى امتى احد فانه عمر ابن الخطاب اخرجه البخارى قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى امتى منهم احد فان عمر بن الخطاب منهم ففى هذا اثبات كرامات الاولياء ولايقال لوجازت الكرامة للولى لما تميزت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولانسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبى وكرامة الولى ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى ولايجوز للولى ان يدعى خرق العادة مع التحدى اذلو ادعاه الولى لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولى امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبى لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلولم تكن نبوته حقا لما ظهر الخرق على يد متابعه واما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله تعالى اعلم * وقوله تعالى ﴿ فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه ﴾ اى من بين يدى الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع الجهات ﴿ رصدا ﴾ اى حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان ان يسترق السمع من الملائكة ويحفظونه من

معجزة للرسول وذكر فى التأويلات قال بعضهم فى هذه الآية دلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك فان فيهم من يصدق خبره وكذلك المتطببة يعرفون طبائع النبات وذا لايعرف بالتأمل فعلم بانهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع اثره وبقى علمه فى الخلق (فانه يسلك) بدخل (من بين يديه) يدى الرسول (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحى

بعض الغيب (فانه يسلك) يجعل (من بين يديه) من بين يدى الرسول (ومن خلفه رصدا) حرسا من الملائكة يحفظونه من الجن والشياطين والانس لكى لايستمعوا قراءة جبريل عليه السلام

(ومن يعص الله ورسوله) فى ترك القبول لما أنزل على الرسول لانه ذكر على اثر تبليغ الرسالة (فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا) وحد فى قوله له وجمع فى خالدين للفظ من ومعناه (حتى) يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال كانه قيل لا يزالون على ماهم عليه حتى (اذا رأوا مايوعدون) من العذاب (فسيعلمون) عند حلول العذاب بهم (من اضعف ناصرا واقل عددا) اهم ام المؤمنون اى الكافر لا ناصر له يومئذ و المؤمن ينصره الله وملائكته و انبياؤه (قل ان ادرى) مادرى (أقريب ماتوعدون) من العذاب (ام يجعل له ربى) وبفتح الياء حجازى وابو عمرو (امدا) غاية بعيدة يعنى انكم تعذبون قطعا ولكن لا ادرى اهو حال ام مؤجل (عالم الغيب) هو خبر مبتدا اى هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه احدا) من خلقه (الا من ارتضى من رسول) الا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون اخباره عن الغيب معجزة له فانه يطلعه على غيبه ماشاء ومن رسول بيان لمن ارتضى والولى اذا اخبر بشى فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه اخبر بناء على رؤياه او بالفراسة على ان كل كرامة للولى فهى

ومن الله صفته فان صلته عن كتموله صلى الله عليه وسلم بلغوا عنى ولو آية ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ فى الامر بالتوحيد اذالكلام فيه ﴿ فان له نار جهنم ﴾ وقرئ فان على فجزاؤه ان ﴿ خالدين فيها ابدا ﴾ جمعه للمعنى ﴿ حتى اذا رأوا مايوعدون ﴾ فى الدنيا كوقعة بدر او فى الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثانى او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له ﴿ فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا ﴾ اهو ام هم ﴿ قل ان ادرى ﴾ ما ادرى ﴿ اقريب ماتوعدون ام يجعل له ربى امدا ﴾ غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا مايوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادرى ما وقته ﴿ عالم الغيب ﴾ هو عالم الغيب ﴿ فلا يظهر ﴾ فلا يطلع ﴿ على غيبه احدا ﴾ اى على الغيب المخصوص به علمه ﴿ الا من ارتضى ﴾ لعلم بعضه حتى يكون له معجزة ﴿ من رسول ﴾ بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص

ابلغ بلاغا عن الله عز وجل فانما انا مرسل لا املك الا ماملكت ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ يعنى ولم يؤمن ﴿ فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا رأوا مايوعدون ﴾ يعنى العذاب يوم القيامة ﴿ فسيعلمون ﴾ اى عند نزول العذاب ﴿ من اضعف ناصرا واقل عددا ﴾ اهم ام المؤمنون ﴿ قل ان ادرى ﴾ اى ما ادرى ﴿ اقريب ماتوعدون ﴾ يعنى العذاب وقيل يوم القيامة ﴿ ام يجعل له ربى امدا ﴾ اى اجلا وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل ﴿ عالم الغيب ﴾ اى هو عالم ماغاب عن العباد ﴿ فلا يظهر ﴾ اى فلا يطلع ﴿ على غيبه ﴾ اى الغيب الذى يعلمه وانفرد به ﴿ احدا ﴾ اى من الناس ثم استثنى فقال تعالى ﴿ الا من ارتضى من رسول ﴾ يعنى الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على مايشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر به من المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته قال الزمخشرى وفى هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما

عن الله ورسالاته (ومن يعص الله) فى التوحيد (ورسوله) فى التبليغ (فان له) فى الآخرة (نار جهنم خالدين فيها) مقيمين فى النار لا يموتون ولا يخرجون منها (ابدا حتى) يقول انظرهم يا محمد حتى (اذا رأوا ما يوعدون) من العذاب (فسيعلمون) وهذا وعيد من الله لهم (من اضعف ناصرا) مانعا (واقل عددا) اعوانا (قل) لهم يا محمد حين تعجلوا بالعذاب (ان ادرى) ما ادرى (اقريب ماتوعدون) من العذاب (ام يجعل له ربى امدا) اجلا (عالم الغيب) بنزول العذاب يعلم ذلك (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) الا من اختار من الرسل فانه يطلعه على

اصحابه به واعجابا بما تلاه من القرآن لانهم رأوا مالم يروا مثله (قل انما ادعوا ربي) وحده قال غير عاصم وحمزة (ولا اشرك به احدا) في العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون على (قل اني لا املك لكم ضرا) مضرة (ولا رشدا) نفعا واراد بالضر الغي بدليل قراءة ابي غيا ولا رشدا يعني لا استطيع ان اضركم وان انفعكم لان الضار والنافع هو الله (قل اني لن يجيرني من الله احد) لن يدفع عني عذابه احد ان عصيته كقول صالح عليه السلام فمن ينصرني من الله ان عصيته (ولن اجد من دونه ملتحدا) ملتجأ (الا بلاغا من الله) استثناء من لا املك اي لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به يعني لا ينجيني الا ان ابلغ عن الله ما ارسلت به فان ذلك ينجيني وقال الفراء هذا شرط وجزاء ليس باستثناء وان منفصلة من لا وتقديره ان لا ابلغ بلاغا اي ان لم ابلغ لم اجد من دونه ملتجأ ولا مجيرا لي كقولك ان لا قياما فقعودا والبلاغ في هذه الوجوه بمعنى التبليغ (ورسالاته) عطف على بلاغا كأنه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات اي الا ان ابلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالته التي ارسلني بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لانه يقال بلغ عنه انما هي بمنزلة من في براءة من الله اي بلاغا كائنا من الله {بلغ}

من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجد جمع لابد ولبدا بضمتين كصبر جمع لبود ﴿قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا﴾ فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبي عليه السلام ليوافق ما بعده ﴿قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا﴾ ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين ﴿قل اني لن يجيرني من الله احد﴾ ان اراد بي بسوء ﴿ولن اجد من دونه ملتحدا﴾ منحرفا وملتجأ واصله المدخل من اللحد ﴿الا بلاغا من الله﴾ استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانتفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ﴿ورسالاته﴾ عطف على بلاغا

الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه واصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض ﴿قال﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر ﴿انما ادعوا ربي﴾ وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعو ربي ﴿ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا﴾ اي لا اقدر على ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق اليكم رشدا وانما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى ﴿قل اني لن يجيرني من الله احد﴾ اي لن يمنعني منه احد ان عصيته ﴿ولن اجد من دونه ملتحدا﴾ اي ملجأ الجأ اليه وقيل حرزا احترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه ﴿الا بلاغا من الله ورسالاته﴾ اي ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل لا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا لكن

(قل انما ادعو) اعبد (ربي) وادعو الخلق اليه (ولا اشرك به احدا قل) يا محمد لاهل مكة (اني لا املك لكم ضرا) دفع الضر والخذلان والعذاب (ولا رشدا) ولا جر النفع والهدى (قل) لهم يا محمد (اني لن يجيرني من الله) من عذاب الله (احد) ان عصيته (ولن اجد من دونه) من عذاب الله (ملتحدا) ملجأ ومهربا في الارض (الا بلاغا من الله ورسالاته) يقول لا ينجيني الا التبليغ

(وان المساجد لله) من جملة الموحى اى اوحى الى ان المساجد اى البيوت المبنية للصلاة فيها الله وقيل معناه ولان المساجد لله فلاتدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى (فلاتدعوا مع الله احدا) فى المساجد

يعلو المذنب ويغلبه مصدر وصف به ﴿ وان المساجد لله ﴾ مختصة به ﴿ فلا تدعوا مع الله احدا ﴾ فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل أن مقدرة باللام علة للنهى الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله او اراد به السبعة او السجدات على انه جمع مسجد ﴿ وانه لما قام عبد الله ﴾ اى النبى وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه ﴿ يدعوه ﴾ يعبده ﴿ كادوا ﴾ كاد الجن ﴿ يكونون عليه لبدا ﴾ متراكمين

قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة * قوله تعالى ﴿ وان المساجد لله ﴾ يعنى المواضع التى بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التى لليهود والنصارى ﴿ فلا تدعوا مع الله احدا ﴾ قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فأمر الله عز وجل المؤمنين ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبى صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبى صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن عنك فنزلت وان المساجد لله وروى عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التى يسجد عليها الانسان وهى سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التى يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره (م) عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه الآراب الاعضاء (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال امرنا النبى صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعضاء وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعضاء على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكفف الثياب ولا الشعر * كف شعره عقصه وغرز طرفه فى اعلى الضفيرة وقد نهى عن ذلك * قوله عز وجل ﴿ وانه لما قام عبدالله ﴾ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ يدعوه ﴾ يعنى يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلى الفجر ببطن نخلة ﴿ كادوا ﴾ يعنى الجن ﴿ يكونون عليه لبدا ﴾ يعنى يركب بعضهم بعضا من الازدحام عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه ايضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم عن طاعة اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به فى الصلاة وقيل فى معنى الآية لما قام عبدالله بالدعوة تلبدت

لانها خالصة لله ولعبادته وقيل المساجد اعضاء السجود وهى الجبهة واليدان والركبتان والقدمان (وانه لما قام عبدالله) محمد عليه السلام الى الصلاة وتقديره واوحى الى انه لما قام عبدالله (يدعوه) يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبى الله او رسول الله لانه من احب الاسماء الى النبى صلى الله عليه وسلم ولانه لما كان واقعا فى كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع او لان عبادة عبدالله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) جماعات جمع لبدة تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء

(وان المساجد لله) بنيت لذكر الله (فلاتدعوا) فلا تعبدوا (مع الله احدا) فى المساجد ويقال المساجد مساجد الرجل الجبهة والركبتان واليدان والرجلان (وانه لما قام عبدالله) محمد عليه السلام ببطن نخل (يدعوه) يعبد ربه بالصلاة (كادوا يكونون عليه لبدا) كاد الجن ان يركبوا (قا وخا ٤٨ س) عليه حرصا لحبهم القرآن ومحمدا عليه السلام حين سمعوا قراءة محمد عليه السلام ببطن نخل

(واما القاسطون فكانوا) فى علم الله (لجهنم حطبا) وقودا وفيه دليل على ان الجنى الكافر يعذب فى النار ويتوقف

فى كيفية ثوابهم (وان) مخففة من الثقيلة يعنى وانه وهى من جملة الموحى اى اوحى الى ان الشان (لو استقاموا) اى القاسطون (على الطريقة) طريقة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لانه سبب سعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه (ومن يعرض عن ذكر ربه) القرآن او التوحيد او العبادة (يسلكه) بالياء عراقى غير ابى بكر يدخله (عذابا صعدا) شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى شئ ما تصعدتنى خطبة النكاح اى ما شق على

وخيرا (واما القاسطون) الكافرون (فكانوا لجهنم حطبا) شجرا (وان لو استقاموا على الطريقة) طريقة الكفر ويقال طريقة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) لاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا واسعا (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه حتى يرجعوا الى ما قدرت عليهم (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن توحيد ربه وكتاب ربه القرآن وهو الوليد ابن المغيرة المخزومى (نسلكه) نكلفه (عذابا صعدا) الصعود على جبل املس من صخرة ويقال من نحاس فى النار (قال)

رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب ﴿واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ توقد بهم كما توقد بكفار الانس ﴿وان لو استقاموا﴾ اى ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما ﴿على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا﴾ اى على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفرانهم ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ عن عبادته او موعظته او وحيه ﴿يسلكه﴾ يدخله وقرأ غير الكوفيين بالنون ﴿عذابا صعدا﴾ شاقا

﴿واما القاسطون﴾ يعنى الذين كفروا ﴿فكانوا لجهنم حطبا﴾ يعنى وقودا للنار يوم القيامة فان قلت قد تمسك بظاهر هذه الآية من لايرى لمؤمنى الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعدل واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر ان يعذب النار بالنار * قوله عز وجل ﴿وان لو استقاموا على الطريقة﴾ اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على طريقة المثلى الحسنى لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على طريقة التى كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا ﴿لاسقيناهم ماء غدقا﴾ اى لوسعنا الرزق عليهم ﴿لنفتنهم فيه﴾ وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وان لو استقاموا يعنى كفار مكة على الطريقة يعنى على طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعنى كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم فى الدنيا ولاعطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله اصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه اى لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل فى معنى الآية لو استقاموا اى ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا به فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهى طريقة الهدى والقول بان الآية فى الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ اى عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه ﴿نسلكه﴾ اى ندخله ﴿عذابا صعدا﴾

وهم المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه اوارادوا غير الصالحين (كناطرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة اى كنا ذوى مذاهب متفرقة اواديان مختلفة والقدد جمع قدة وهى القطعة من قددت السير اى قطعته (واناظننا) ايقنا (ان لن نعجزالله) اى لن نفوته (فى الارض) حال اى لن نعجزه كائنين فى الارض اينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) مصدر فى موضع الحال اى ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وماهم عليه من احوالهم وعقائدهم (وانا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنابه) بالقرآن

اوبالله (فمن يؤمن بربه فلايخاف) فهو لا يخاف مبتدأ وخبر (بخسا) نقصا من ثوابه (ولارهقا) اى ولا ترهقه ذلة من قوله وترهقهم ذلة وقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وفيه دليل على ان العمل ليس من الايمان (وانامنا المسلمون) المؤمنون (ومنا القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق قسط جار واقسط عدل (فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا) طلبوا هدى والتحرى طلب الاحرى اى الاولى

ذلك لحذف الموصوف وهم المقتصدون ﴿كناطرائق﴾ ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق فى اختلاف الاحوال اوكانت طرائقنا طرائق ﴿قددا﴾ متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع ﴿وانا ظننا﴾ علمنا ﴿ان لن نعجزالله فى الارض﴾ كائنين فى الارض اينما كنا فيها ﴿ولن نعجزه هربا﴾ هاربين منها الى السماء اولن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا ﴿وانا لما سمعنا الهدى﴾ اى القرآن ﴿آمنابه فمن يؤمن بربه فلايخاف﴾ فهو لايخاف وقرئ فلايخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم ﴿بخسا ولارهقا﴾ نقصا فى الجزاء ولا ان ترهقه ذلة اوجزاء نقص لانه لم يبخس لاحد حقا ولم يرهق ظلما لان من حق المؤمن بالقرآن ان يجتنب ذلك ﴿وانا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة ﴿فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا﴾ توخوا

غير الكاملين فى الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره ﴿كنا طرائق قددا﴾ اى جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشئ قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من اهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا اى سنصير طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة اى كنا ذوى مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا فى اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة ﴿وانا ظننا﴾ الظن هنا بمعنى العلم واليقين اى علما وايقنا ﴿ان لن نعجزالله فى الارض﴾ اى لن نفوته ان اراد بنا امرا ﴿ولن نعجزه هربا﴾ اى ان طلبنا فلن نعجزه اينما كنا ﴿وانا لما سمعنا الهدى آمنا به﴾ اى لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا﴾ اى نقصانا من عمله وثوابه ﴿ولارهقا﴾ يعنى ظلما وقيل مكروها يغشاه ﴿وانا منا المسلمون﴾ وهم الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ومنا القاسطون﴾ اى الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله اندادا ﴿فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا﴾ اى قصدوا طريق الحق وتوخوه

كافرون وهم كفرة الجن (كناطرائق قددا) اهواء مختلفة اليهودية والنصرانية قبل ان آمنابالله (واناظننا) علمناوايقنا (ان لن نعجزالله فى الارض) ان لن نفوت من الله فى الارض حيثما كنا يدركنا (ولن نعجزه هربا) ان لانفوت منه بالهرب (وانالماسمعنا الهدى) تلاوة القرآن من محمد عليه السلام (آمنا به) بالقرآن وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (فمن يؤمن بربه فلايخاف بخسا) ذهاب عمله كله (ولارهقا) نقصان عمله (وانامنا المسلمون) المخلصون بالتوحيد وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن (ومنا القاسطون) العاصون المائلون عن الحق والهدى وهم كفرة الجن (فمن اسلم) اخلص بالتوحيد (فاولئك تحروا رشدا) نووا صوابا

شديدا) جمعا اقوياء من الملائكة يحرسون جمع حارس ونصب على التميز وقيل الحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا (وشهبا) جمع شهاب اى كواكب مضيئة (وانا كنا نقعد منها) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع اخبار السماء يعنى كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فمن يستمع) يرد الاستماع (الآن) بعد المبعث (يجدله) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد اى يجد شهابا راصدا له ولاجله او هو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع والجمهور على ان ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان الرجم فى الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع فى بعض الاوقات فمنعوا من الاستراق اصلا بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (وانا لاندرى اشر) عذاب (اريد بمن فى الارض) بعدم استراق السمع (ام اراد بهم ربهم رشدا) خيرا ورحمة (وانا منا الصالحون) الابرار المتقون (ومنا)قوم (دون ذلك) فحذف الموصوف

﴿شديدا﴾ قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها ﴿وشهبا﴾ جمع شهاب وهو المضئ المتولد من النار ﴿وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ اى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات ﴿وانا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض﴾ بحراسة السماء ﴿ام اراد بهم ربهم رشدا﴾ خيرا ﴿وانا منا الصالحون﴾ المؤمنون الابرار ﴿ومنا دون ذلك﴾ اى قوم دون

يعنى الملائكة ﴿شديدا وشهبا﴾ اى من النجوم ﴿وانا كنا نقعد منها﴾ اى من السماء ﴿مقاعد للسمع﴾ يعنى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ اى ارصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحى فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من امر قد حدث فى الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث فى الارض اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه فى شدة الحراسة وكانوا يسترقون فى بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك اصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب فى الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاستراق بالكلية ﴿وانا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض﴾ اى برمى الشهب ﴿ام اراد بهم ربهم رشدا﴾ ومعنى الآية لاندرى هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اريد بهم صلاح وخير ﴿وانا منا الصالحون﴾ اى المؤمنون المخلصون ﴿ومنا دون ذلك﴾ اى دون الصالحين مرتبة قيل المراد بهم

(شديدا) كثيرا (وشهبا) نجما مضيئا يدحرهم عن الاستماع (وانا كنا نقعد منها) من السماء (مقاعد للسمع) الاستماع قبل ان يبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (فمن يستمع الآن) بعد ما بعث محمد عليه السلام (يجد له شهابا) نجما مضيئا (رصدا) من الملائكة يدحرونهم عن الاستماع (وانا لاندرى) لانعلم (اشر اريد بمن فى الارض) حين منعنا عن الاستماع (ام اراد بهم ربهم رشدا) هدى وصوابا وخيرا ويقال وانا لاندرى لانعلم اشر اريد بمن فى الارض حين بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يؤمنوا به فيهلكهم الله ام اراد بهم ربهم رشدا هدى وصوابا اذا آمنوا به (وانا منا الصالحون) الموحدون وهم الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن (ومنا دون ذلك)

(غير)

كذبهم كان الرجل من العرب اذا نزل بمخوف من الارض قال اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم) اى زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) طغيانا وسفها

وكبرا بان قالوا سدنا الجن والانس اوفزاد الجن

فى ذلك لظنهم ان احدا لايكذب على الله وكذبا نصب على المصدرية لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لايكون الا كذبا ﴿ وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ﴾ فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه ﴿ فزادوهم ﴾ فزادوا الجن باستعاذتهم بهم ﴿ رهقا ﴾ كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ ﴿ وانهم ﴾ وان الانس ﴿ ظنوا كما ظننتم ﴾ ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ﴿ ان لن يبعث الله احدا ﴾ ساد مسد مفعولى ظنوا ﴿ وانا لمسنا السماء ﴾ طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ﴿ فوجدناها ملئت حرسا ﴾ حراسا اسم جمع كالخدم

الانس رهقا واثما لاستعاذتهم بهم واصل الرهق غشيان المحظور (وانهم) وان الجن (ظنوا كما ظننتم) يا اهل مكة (ان لن يبعث الله أحدا) بعد الموت اى ان الجن كانوا ينكرون البعث كانكاركم ثم بسماع القرآن اهتدوا واقروا بالبعث فهلا اقررتم كما اقروا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا

والجن صادقون فى قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لايكذبون على الله فى ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله * قوله تعالى ﴿ وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ﴾ وذلك ان الرجل من العرب فى الجاهلية كان اذا سافر فامسى فى ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى امن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوى باسناد الثعلبى عن كردم بن ابى السائب الانصارى قال خرجت مع ابى الى المدينة فى حاجة وذلك اول ماذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فقال ياعامر الوادى جارك فنادى مناد لانراه ياسرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ﴿ فزادوهم رهقا ﴾ وذكره ابن الجوزى فى تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعنى عظماء الجن سدنا الجن والانس والرهق فى كلام العرب الاثم وغشيان المحارم ﴿ وانهم ظنوا ﴾ يعنى الجن ﴿ كما ظننتم ﴾ اى يامعشر الكفار من الانس ﴿ ان لن يبعث الله احدا ﴾ يعنى بعد الموت ﴿ وانا ﴾ يعنى يقول الجن وانا ﴿ لمسنا السماء ﴾ اى طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام اهلها ﴿ فوجدناها ملئت حرسا ﴾

من الله عن كلام الجن ثم قال (وانه كان رجال من الانس يعوذون) يتعوذون (برجال من الجن فزادوهم) بذلك (رهقا) عظمة وتكبرا وفتنة وفسادا وذلك انهم اذا سافروا سفرا او اصطادوا صيدا من صيدهم اونزلوا واديا خافوا منهم فقالوا نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيأمنون بذلك منهم فيزيد رؤساء الجن بذلك عظمة وتكبرا على سفلتهم والجن هم ثلاثة اجزاء جزء فى الهواء وجزء ينزلون ويصعدون حيثما يشاؤن وجزء مثل الكلاب والحيات (وانهم) يعنى كفار الجن قبل ان آمنوا (ظنوا) حسبوا (كما ظننتم) حسبتم يا اهل مكة (ان لن يبعث الله احدا) بعد الموت ويقال ان لن يبعث الله احدا رسولا ثم رجع الى كلام الجن فقال (وانا لمسنا السماء) انتهينا الى السماء قبل ان آمنا (فوجدناها ملئت حرسا) من الملائكة

(يهدى الى الرشد) يدعو الى الصواب اوالى التوحيد والايمان (فآمنابه) بالقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا احدا) من خلقه وجاز ان يكون الضمير فى به لله تعالى لان قوله بربنا يفسره (وانه تعالى جد ربنا) عظمته يقال جد فلان فى عينى اذا عظم ومنه قول عمر او انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اى عظم فى عيوننا (ما اتخذ صاحبة) زوجة

للمبالغة ﴿ يهدى الى الرشد ﴾ الى الحق والصواب ﴿ فآمنا به ﴾ بالقرآن ﴿ ولن نشرك بربنا احدا ﴾ على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد ﴿ وانه تعالى جد ربنا ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام عبدالله فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا فى قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور فى به كأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اى عظمته من جد فلان فى عينى اذا عظم ملكه او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾ بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اى صدق ربوبيته كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد ﴿ وانه كان يقول سفيهنا ﴾ ابليس او مردة الجن ﴿ على الله شططا ﴾ قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى ﴿ وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ﴾ اعتذار عن اتباعهم السفيه

رضى الله عنهما بليغا اى ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته ﴿ يهدى الى الرشد ﴾ اى يدعو الى الصواب يعنى التوحيد والايمان ﴿ فآمنا به ﴾ اى بالقرآن ﴿ ولن نشرك بربنا احدا ﴾ اى ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان اولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين ﴿ وانه تعالى جد ربنا ﴾ اى جلال ربنا وعظمته ومنه قول انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اى عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل فعله وقيل آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علا ملك ربنا ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾ اى انه تعالى جلال ربنا وعظمته عن ان يتخذ صاحبة او ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص ﴿ وانه كان يقول سفيهنا ﴾ يعنى جاهلنا قيل هو ابليس ﴿ على الله شططا ﴾ اى كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد او الشطط هو مجاوزة الحد فى كل شئ ﴿ وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ﴾ اى كنا نظن ان الانس

(ولا ولدا) كما يقول كفار الجن والانس (وانه كان يقول سفيهنا) جاهلنا او ابليس اذ ليس فوقه سفيه (على الله شططا) كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار اى بعدت اوقولا يجوز فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره (واناظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا) قولا كذبا ومكذوبا فيه او نصب على المصدر اذ الكذب نوع من القول اى كان فى ظننا ان احدا لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد اليه فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه حتى تبين لنا بالقرآن

(يهدى الى الرشد) الى الحق والهدى والصواب لا اله الا الله (فآمنا به) بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن (ولن نشرك بربنا احدا) يعنون ابليس (وانه تعالى جد ربنا) ملك ربنا ويقال ارتفع عظمة ربنا وسلطان ربنا وغنى ربنا وصفة ربنا (مااتخذ) من ان يتخذ (صاحبة) زوجة (ولا ولدا) كما يجعله الكفار (والجن) (وانه كان يقول سفيهنا) جاهلنا يعنون ابليس (على الله شططا) كذبا وزورا (واناظننا) حسبنا (ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا) ان ما يقول الانس والجن على الله ليس بكذب واستبان لنا انه كذب وكل هذا من اول السورة الى ههنا حكاية

الارواح المجردة وقيل نفوس شرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله ﴿ فقالوا ﴾ لما رجعوا الى قومهم ﴿ انا سمعنا قرآنا ﴾ كتابا ﴿ عجبا ﴾ بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به

عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا وماذاك الا من شئ قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به وان نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن زاد فى رواية وانما اوحى اليه قول الجن اخرجاه فى الصحيحين قال القرطبى فى شرح مسلم فى حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذى حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وانما اعلمه الله عز وجل بما اوحى اليه من قوله قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعى بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقتهم وبحالهم وان النبى صلى الله عليه وسلم رسول الى الانس والجن فمن دخل فى دينه فهو من المؤمنين ومعهم فى الدنيا والآخرة والجنة ومن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره وهذا الحديث يقتضى ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وآخرون الى انه كان لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبى والله اعلم * عكاظ سويقة معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها فى كل سنة مرة فى الجاهلية واول الاسلام وتهامة كل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معدودة ونخلة واد من اودية مكة قريب منها * واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل اوحى الى امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو مبعوث الى الجن لتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ فقالوا ﴾ اى لما رجعوا الى قومهم ﴿ انا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ قال ابن عباس

(فقالوا) لقومهم حين رجعوا اليهم من استماع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الفجر (انا سمعنا قرآنا عجبا) عجيبا بديعا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو مصدر وضع موضع العجيب

(فقالوا) بعد ما آمنوا ورجعوا الى قومهم ياقومنا (انا سمعنا قرآنا عجبا) تلاوة قرآن عجيب كريم شريف يشبه كتاب موسى وكانوا اهل توراة

﴿سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل) يامحمد (اوحى الى انه) ان الامر والشأن اجمعوا على فتح انه لانه فاعل

اوحى وان لواستقاموا وان المساجد للعطف على انه استمع فان مخففة من الثقيلة وان قد أبلغوا لتعدى يعلم اليها وعلى كسر مابعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فان له نار جهنم وقالوا انا سمعنا لانه مبتدأ محكي بعد القول واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من انه تعالى جد ربنا الى وانا منا المسلمون ففتحها شامي وكوفي غير ابي بكر عطفا على انه استمع اوعلى محل الجار والمجرور في آمنا به تقديره صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا الى آخرها وكسرها غيرهم عطفا على انا سمعنا وهم يقفون على آخر الآيات (استمع نفر) جماعة من الثلاثة الى العشيرة (من الجن) جن نصيبين

﴿ سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قل اوحى الى ﴾ وقرئ احى واصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها و وحى على الاصل و فاعله ﴿ انه استمع نفر من الجن ﴾ والنفر مابين الثلاثة الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من

﴿ تفسير سورة الجن وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس ﴾

﴿ وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

*قوله عزوجل ﴿ قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن ﴾ اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت وجود الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلون في الحيز موصوفون بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر انواع الاجسام في الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة اوشاقة يعجز البشر عن مثلها وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وشذ تأويل المعتزلة من هذه الامة فأنكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لابد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ماثبت وجوده بنص الكتاب والسنة

فصل

اختلف الرواة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فأثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولارآهم انطلق رسول الله صلى الله

﴿ومن السورة التي يذكر فيها الجن وهي كلها مكية آياتها ثمان وعشرون وكلماتها مائتان وخمس وثمانون وحروفها ثمانمائة وسبعون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (قل اوحى الى) يقول قل لهم لكفار مكة يامحمد اوحى الى انزل الى جبريل فاخبرني (انه استمع نفر) تسعة نفر (من الجن) من جن نصيبين باليمن

(عليه)

انك ان تذرهم) ولاتهلكهم (يضلوا عبادك) يدعوهم الى الضلال (ولايلدوا الا فاجرا كفارا) الامن اذابلغ
ر وكفر وانمـا قال ذلك لان الله تعـالى اخبره بقوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب اغفرلى
لوالدى) وكانا مسلمين واسم ابيه لمك واسم امه شمخاء قيل هما آدم وحواء وقرئ لولدى يريد ساما وحاما (ولمن
خل بيتى) منزلى اومسجدى اوسفينتى (مؤمنا) لانه علم انه من دخل بيته مؤمنا لايعود الى الكفر (وللمؤمنين
المؤمنات) الى يوم القيامة خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات (ولاتزد الظالمين) اى الكافرين (الا تبارا) هلاكا فأهلكوا قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا نوح عليه السلام بدعوتين احداهما للمؤمنين بالمغفرة واخرى على الكافرين بالتبار وقد اجيبت دعوته فى حق الكفار بالتبار فاستحال ان لاتستجاب دعوته فى حق المؤمنين واختلف فى صبيانهم حين اغرقوا فقيل اعقم الله ارحام نسائهم قبل الطوفان باربعين سنة فلم يكن معهم صبى حين اغرقوا وقيل علم الله براءتهم فاهلكوا بغير عذاب والله اعلم

(انك ان تذرهم) تتركهم (يضلوا عبادك) عن دينك من آمن بك ومن اراد ان يؤمن بك (ولايلدوا) لايلد منهم (الا فاجرا
ارا) الامن يكون فاجرا كافرا (قا وخا ٤٧ س) بعد الادراك ويقال الامن قدرت عليه الكفر والفجور
البلوغ ويقال لم يكن فيهم صبى لان الله قد حبس عنهم الولد اربعين سنة فلم يكن فيهم غير مدرك ولم يولد فيهم اربعين
وكلهم كانوا مدركين فجارا كفارا (رب) يارب (اغفرلى ولوالدى) لابوى المؤمنين (ولمن دخل بيتى) دينى
ويقال مسجدى ويقال سفينتى (مؤمنا وللمؤمنين) المصدقين من الرجال (والمؤمنات) المصدقات من النساء بالايمان الذين
نوا امن بعدى (ولاتزد الظالمين) الكافرين المشركين (الاتبارا) خسارا وهلاكا كخسار من اوحى الى نبيهم فلم يؤمنوا انه

افعل باصل سيد لافعال والا لكان دوارا ﴿ انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا
لا فاجرا كفارا ﴾ قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين
اما تعرف شيمهم وطباعهم ﴿ رب اغفر لى ولوالدى ﴾ لمك بن متوشلخ و شمخاء
نت انوش وكانا مؤمنين ﴿ ولمن دخل بيتى ﴾ منزلى او مسجدى اوسفينتى ﴿ مؤمنا
للمؤمنين والمؤمنات ﴾ الى يوم القيامة ﴿ ولا تزد الظالمين الا تبارا ﴾ هلاكا
عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم
عوة نوح عليه السلام

﴿انك ان تذرهم يضلوا عبادك﴾ قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح
يقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك
﴿ولايلدوا الا فاجرا كفارا﴾ انما قال نوح هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم
ارحام نسائهم واعقم بعد ذلك ارحام النساء وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل
زول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لايؤمنون ولا
لدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فأهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبى
قت العذاب لان الله تعالى اعقمهم قبل العذاب ﴿ رب اغفرلى ﴾ وذلك انه لما دعا على
لكفار قال رب اغفرلى يعنى ماصدر منى من ترك الافضل وقيل يحتمل انه حين دعا
لى الكفار انه انما دعا عليهم بسبب تأذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم
استغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس اولانه ترك الاحتمال ﴿ ولوالدى ﴾
كان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخاء بنت انوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن
ين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينهما عشرة آباء ﴿ ولمن دخل
يتى مؤمنا ﴾ اى دارى وقيل مسجدى وقيل سفينتى ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾
هذا عام فى كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدأ بنفسه لانها اولى بالتخصيص
التقديم ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين
المؤمنات ليكون ذلك ابلغ فى الدعاء ﴿ ولاتزد الظالمين الا تبارا ﴾ اى هلاكا ودمارا
ستجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم جميعا والله اعلم

(وقد اضلوا) اى الاصنام كقوله انهن اضللن (كثيرا) من الناس او الرؤساء (ولا تزد الظالمين) عطف على رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه و معناه قال رب انهم عصونى و قال لاتزد الظالمين اى قال هذين القولين وهما فى محل النصب لانهما مفعولا قال (الا ضلالا) هلاكا كقوله ولاتزد الظالمين الا تبارا (مما خطيآتهم) خطاياهم ابوعمرو اى ذنوبهم (اغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) عظيمة وتقديم مما خطاياهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم فى النيران الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرتكب الكبيرة فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن والفاء فى فادخلوا للايذان بانهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون دليلا على اثبات عذاب القبر (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) اى احدا يدور فى الارض وهو فيعال من الدور وهو من الاسماء المستعملة فى النفى العام

﴿ وقد اضلوا كثيرا ﴾ الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ﴿ ولا تزد الظالمين الا ضلالا ﴾ عطف على رب انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال فى ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا فى امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين فى ضلال وسعر ﴿ مما خطيآتهم ﴾ من اجل خطيآتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابوعمرو مما خطاياهم ﴿ اغرقوا ﴾ بالطوفان ﴿ فادخلوا نارا ﴾ المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران اعد لهم ﴿ فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا ﴾ تعريض لهم باتخاذهم آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم ﴿ وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ﴾ اى احدا وهو مما يستعمل فى النفى العام فيعال من الدار او الدور اصله ديورا ففعل به ونحو ذلك من الاسماء ﴿ وقد اضلوا كثيرا ﴾ اى ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل اضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس ﴿ ولا تزد الظالمين الا ضلالا ﴾ يعنى ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انما اراد بالضلال فى امر الدنيا وما يتعلق بها لا فى امر الآخرة ﴿ مما خطاياهم اغرقوا ﴾ اى بالطوفان ﴿ فأدخلوا نارا ﴾ اى فى حالة واحدة وذلك فى الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضى التعقيب فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون نارا فى الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لصدق الوعد فى ذلك والاول اصح ﴿ فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا ﴾ يعنى تنصرهم وتمنعهم من العذاب الذى نزل بهم ﴿ وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ﴾ يعنى احدا يدور فى الارض فيذهب ويجئ من الدوران وقيل اصله من الدار اى نازل بدار

كانوا يعبدونها (وقد اضلوا كثيرا) يقول قد اضلوا بهن كثيرا من الناس ويقال ضل بهن كثير من الناس (ولا تزد الظالمين) الكافرين المشركين بعبادة الاوثان (الا ضلالا) خسارا وضلالة وهلاكا (مما خطيآتهم) يقول بخطيئاتهم (اغرقوا) بالطوفان فى الدنيا (فادخلوا) فى الآخرة (نارا فلم يجدوا لهم من دون الله) من عذاب الله (انصارا) اعوانا يمنعون عذاب الله عنهم (وقال نوح) بعد ما قال له ربه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب) يارب (لا تذر) لا تترك (على الارض من الكافرين ديارا) احدا (انك)

وهو اكبر من الكبار وقرى به وهو اكبر من الكبير (وقالوا) اى الرؤساء لسفلتهم (لاتذرن آلهتكم) على العموم اى عبادتها (ولاتذرن ودا) ﴿٣٦٧﴾ بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع وهو اسم صنم على صورة رجل (ولاسواعا) هو على صورة امرأة (ولا يغوث) هو على صورة اسد (ويعوق) هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل ان كانا عربيين وللتعريف والعجمة ان كانا عجميين (ونسرا) هو على صورة نسر اى هذه الاصنام الخمسة على الخصوص وكانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى اسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك ادعى لهم الى العبادة فلما طال الزمان قال لهم ابليس انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقالوا قولا عظيما من الفرية (وقالوا) يعنى الرؤساء للسفلة (لاتذرن آلهتكم) عبادة آلهتكم (ولاتذرن ودا) عبادة الود (ولاسواعا) ولاعبادة سواع (ولا يغوث) ولاعبادة اليغوث (ويعوق) ولاعبادة اليعوق (ونسرا) ولاعبادة النسر وكل هؤلاء آلهتهم التى

احتيالهم فى الدين وتحريش الناس على اذى نوح ﴿وقالوا لاتذرن آلهتكم﴾ اى عبادتها ﴿ولا تذرن ودا ولا سواعا ولايغوث ويعوق ونسرا﴾ ولاتذرن هؤلاء خصوصا قيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوروهم تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة

كبيرا وكبارا بالتشديد والتخفيف والتشديد اشد واعظم فى المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لاتذرن آلهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس فى مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسوله ﴿وقالوا﴾ يعنى القادة للاتباع ﴿لاتذرن آلهتكم﴾ اى لا تتركن عبادتها ﴿ولا تذرن ودا ولا سواعا ولايغوث ويعوق ونسرا﴾ هذه اسماء آلهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة فى جملة قوله لا تذرن آلهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة هى اعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان اتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم باخذهم فى العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة اولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت الاوثان التى كانت تعبد قوم نوح فى العرب بعد اما ود فكانت لكلب دومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبنى غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس فى قوله ولا تذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا قال كانت اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم فعبدت الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونائلة وهبل كانت لاهل مكة ولذلك سمت العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى

بصر اهل الدنيا فى ضوء الشمس كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وضوء الشمس اقوى من نور القمر واجمعوا على ان الشمس فى السماء الرابعة (والله انبتكم من الارض) انشأكم استعير الانبات للانشاء (نباتا) فنبتم نباتا (ثم يعيدكم فيها) مدة الموت

(ويخرجكم) يوم القيامة (اخراجا) أكده بالمصدر اى

الارض كما يزيلها السراج عما حوله ﴿والله انبتكم من الارض نباتا﴾ انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه دل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ مقبورين ﴿ويخرجكم اخراجا﴾ بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة ﴿والله جعل لكم الارض بساطا﴾ تتقلبون عليها ﴿لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾ واسعة جمع فج ومن لتضمين الفعل معنى الاتخاذ ﴿قال نوح رب انهم عصونى﴾ فيما امرتهم به ﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا﴾ واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد ادت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ﴿ومكروا﴾ عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى ﴿مكرا كبارا﴾ كبير فى الغاية فانه ابلغ من كبار وهو ابلغ من كبير وذلك

والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا وقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس ايضا ﴿والله انبتكم من الارض نباتا﴾ اراد مبدأ خلق آدم واصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل فى موضع المصدر اى انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهى انه لو قال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثانى اولى لان الانبات صفة لله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا فلا نعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ اى فى الارض بعد الموت ﴿ويخرجكم﴾ اى منها يوم البعث ﴿اخراجا﴾ يعنى اخراجا حقا لا محالة ﴿والله جعل لكم الارض بساطا﴾ اى فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ﴿لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾ اى طرقا واسعة * قوله تعالى ﴿قال نوح رب انهم عصونى﴾ اى لم يجيبوا دعوتى ﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا﴾ يعنى اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم تزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا فى الدنيا وعقوبة فى الآخرة ﴿ومكروا مكرا كبارا﴾ يعنى كبيرا عظيما يقال

اى اخرج (والله جعل لكم الارض بساطا) مبسوطة (لتسلكوا منها) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة ومختلفة (قال نوح رب انهم عصونى) فيما امرتهم به من الايمان والاستغفار (واتبعوا) اى السفلة والفقراء (من لم يزده ماله وولده) اى الرؤساء واصحاب الاموال والاولاد وولده مكى وعراقى غير عاصم وهو جمع ولد كاسد واسد (الا خسارا) فى الآخرة (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه فى معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه (مكرا كبارا) عظيما

بنى آدم (والله انبتكم من الارض نباتا) خلقكم من آدم وآدم من تراب والتراب من الارض (ثم يعيدكم فيها) يقبركم فى الارض

(ويخرجكم) من القبور يوم القيامة (اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا) فراشا ومناما (لتسلكوا منها) لتأخذوا فيها (سبلا فجاجا) طرقا واسعة (قال نوح رب) يا رب (انهم عصونى) فيما امرتهن من التوبة والتوحيد (واتبعوا) اطاعوا (من لم يزده ماله) كثرة ماله (وولده) كثرة اولاده (الا خسارا) غبنا فى الآخرة وهم الرؤساء (ومكروا مكرا كبارا) (كبيرا)

عمر رضي الله عنه انه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له مارأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر شبه عمر الاستغفار بالانواء الصادقة التى لاتخطى وقرأ الآيات وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات (مالكم لاترجون لله وقارا) لاتخافون لله عظمة عن الاخفش قال والرجاء هنا الخوف لان مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس والوقار والعظمة اولا تأملون له توقيرا اى تعظيما

والمعنى مالكم لاتكونون على حال تؤملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب (وقد خلقكم اطوارا) فى موضع الحال اى مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اى تارات وكرات خلقكم اولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحمانبههم اولا على النظر فى انفسهم لانها اقرب ثم على النظر فى العالم وما سوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها على بعض (وجعل القمر فيهن نورا) اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا لان بين السموات

فى الاستسقاء والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور يستوى فى هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ﴿ مالكم لاترجون لله وقارا ﴾ لاتأملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لاتعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة ﴿ وقد خلقكم اطوارا ﴾ حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأناهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك مايؤيده من آيات الآفاق فقال ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا ﴾ اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة ﴿ وجعل الشمس سراجا ﴾ مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه

﴿ مالكم لاترجون لله وقارا ﴾ قال ابن عباس اى لاترون لله عظمة وقيل معناه لاتخافون عظمته فالرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه مالكم لاتعرفون لله حقا ولاتشكرون له نعمة وقيل معناه مالكم لاترجون فى عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا ﴿ وقد خلقكم اطوارا ﴾ يعنى تارة بعد تارة وحالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا ممايدل على وحدانية الله وسعة قدرته ﴿ الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ﴾ اى بعضها فوق بعض ﴿ وجعل القمر فيهن نورا ﴾ يعنى فى سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال أتيت بنى تميم وانما أتى رجلا منهم ﴿ وجعل الشمس سراجا ﴾ يعنى مصباحا مضيئا قال عبدالله بن عمرو ان الشمس

ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما ممايلى السموات وظهورهما ممايلى الارض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لانها لطيفة لاتحجب نوره (وجعل الشمس سراجا) مصباحا

وقد كان الله اهلك جناتهم وايبس انهارهم قبل ذلك باربعين سنة (مالكم لاترجون لله وقارا) لاتخافون لله عظمة وسلطانا ويقال مالكم لاتعظمون الله حق عظمته فتوحدونه (وقد خلقكم اطوارا) اصنافا حالا بعد حال النطفة والعلقة والمضغة والعظام (الم تروا) الم تخبروا كفار مكة (كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها فوق بعض مثل القبة ملتزقة اطرافها (وجعل القمر فيهن) معهن (نورا) مضيئا (وجعل الشمس سراجا) ضياء

بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان وثم تدل على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار
 (فقلت استغفروا

ربكم) من الشرك لان الاستغفار طلب المغفرة فان كان المستغفر كافرا فهو من الكفر وان كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب (انه كان غفارا) لم يزل غفارا لذنوب من ينيب اليه (يرسل السماء) المطر (عليكم مدرارا) كثيرة الدرور مفعال يستوى فيه المذكر والمؤنث (ويمددكم باموال وبنين) يزدكم اموالا وبنين (ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم انهارا) جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الاموال والاولاد فحركوا بهذا على الايمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة او سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه وعن

جهارا اى مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا ﴿ فقلت استغفروا ربكم ﴾ بالتوبة عن الكفر ﴿ انه كان غفارا ﴾ للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدلهم عليه ماهو اوقع فى قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله ﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ﴾ ولذلك شرع الاستغفار

وتوحيدك ﴿ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اى من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة يكون سببا لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه فى الدنيا وروى الشعبى ان عمر بن الخطاب خرج يستسق بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية * قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هى ثلاثة كواكب كالاثافى تشبيها بالمجدح الذى له شعب وهى عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون ان من شأنها المطر لا انه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال له استغفر الله وشكا آخر اليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية * وقوله يرسل السماء عليكم اى يرسل ماء السماء وذلك لان ماء المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل اراد بالسماء السحاب وقيل اراد بالسماء المطر من قول الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

يعنى المطر مدرارا اى كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا اى متتابعا ﴿ ويمددكم باموال وبنين ﴾ اى يكثر اموالكم واولادكم ﴿ ويجعل لكم جنات ﴾ اى البساتين ﴿ ويجعل لكم انهارا ﴾ وهذا كله مما يميل طبع البشرية اليه

(فقلت) لهم (استغفروا ربكم) وحدوا ربكم بالتوبة من الكفر والشرك (انه كان غفارا) لمن تاب من الكفر وآمن به (يرسل السماء عليكم مدرارا) مطرا دائما دريرا كلما تحتاجون اليه فكان قد حبس الله عنهم المطر اربعين سنة (ويمددكم باموال وبنين) يعطكم اموالا ابلا وبقرا وغنما وبنين الذكور والاناث وقد كان الله قطع نسل دوابهم ونسائهم اربعين سنة (ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم انهارا) تجرى لمنافعكم (مالكم)

(قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) دائما بلا فتور (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) عن طاعتك ونسب ذلك الى دعائه لحصوله عنده وان لم يكن الدعاء سببا للفرار فى الحقيقة وهو كقوله واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا والقرآن لا يكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يغرنك فان ابى قد وصانى به (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان بك (لتغفر لهم) اى ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامى (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بثيابهم لئلا يبصرونى كراهة النظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله (وأصروا) واقاموا

على كفرهم (واستكبروا استكبارا) وتعظموا عن اجابتى وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم (ثم انى دعوتهم جهارا) مصدر فى موضع الحال اى مجاهرا او مصدر دعوتهم كقعد القرفصاء لان الجهار احد نوعى الدعاء يعنى اظهرت لهم الدعوة فى المحافل (ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) اى خلطت دعاهم بالعلانية بدعاء السر فالحاصل انه دعاهم ليلا ونهارا فى السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدئ بالاهون ثم بالاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى

وفيه انهم لانهماكهم فى حب الحياة كانهم شاكون فى الموت ﴿ قال رب انى دعوت قومى ﴾ الى الايمان ﴿ ليلا ونهارا ﴾ اى دائما ﴿ فلم يزدهم دعائى الا فرارا ﴾ عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله تعالى فزادتهم ايمانا ﴿ وانى كلما دعوتهم ﴾ الى الايمان والطاعة ﴿ لتغفر لهم ﴾ بسببه ﴿ جعلوا اصابعهم فى آذانهم ﴾ سدوا مسامعهم عن استماع دعوتى ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ تغطوا بها لئلا يرونى كراهة النظر الى من فرط كراهة دعوتى اولئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة ﴿ واصروا ﴾ اكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من اصر الحمار على العانة اذ صر اذنيه واقبل عليها ﴿ واستكبروا ﴾ عن اتباعى ﴿ استكبارا ﴾ عظيما ﴿ ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا ﴾ اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اى وجه امكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعى الدعاء او صفة مصدر محذوف اعنى دعاء

يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير عنكم وحيث يمكنكم الايمان ﴿ قال ﴾ اى نوحا عليه الصلاة والسلام ﴿ رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا ﴾ اى نفارا وادبارا عن الايمان ﴿ وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم ﴾ اى ليؤمنوا بك فتغفر لهم ﴿ جعلوا اصابعهم فى آذانهم ﴾ لئلا يسمعوا دعوتى ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ اى غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يرونى ﴿ وأصروا ﴾ على كفرهم ﴿ واستكبروا ﴾ عن الايمان بك ﴿ استكبارا ﴾ اى تكبرا عظيما ﴿ ثم انى دعوتهم جهارا ﴾ اى معلنا قال ابن عباس بأعلى صوتى ﴿ ثم انى اعلنت لهم ﴾ اى كررت لهم الدعاء معلنا ﴿ وأسررت لهم اسرارا ﴾ قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بينى وبينه ادعوه الى عبادتك

ولم يقبلوا نصيحته (قال رب انى دعوت قومى) الى التوبة والتوحيد (ليلا ونهارا) فى الليل والنهار (فلم يزدهم دعائى) اياهم الى التوبة والتوحيد (الا فرارا) تباعدا عن الايمان والتوبة (وانى كلما دعوتهم) الى التوبة والتوحيد (لتغفر لهم) بالتوبة والتوحيد (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) لكى لا يسمعوا كلامى ودعوتى (واستغشوا ثيابهم) غطوا رؤسهم بثيابهم لكى لا يسمعوا صوتى ولا يرونى (واصروا) اقاموا وسكتوا على الكفر وعبادة الاوثان ويقال صاحوا جهرا ان لا نؤمن بك يا نوح (واستكبروا) عن الايمان والتوبة (استكبارا) تجبرا (ثم انى دعوتهم) الى التوبة والتوحيد (جهارا) علانية غير سر (ثم انى اعلنت لهم) اظهرت لهم دعوتى واوضحت لهم (واسررت لهم اسرارا) دعوتهم فى السر خفية

اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل ومحله عند الخليل جر وعند غيره نصب او مفسرة بمعنى اى لان فى الارسال معنى القول (قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) عذاب الآخرة او الطوفان (قال ياقوم) اضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة (انى لكم نذير) مخوف (مبين) ابين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها (ان اعبدوا الله) وحدوه وان هذه نحو ان انذر فى الوجهين (واتقوه) اى احذروا عصيانه (واطيعون) فيما آمركم به وانهاكم عنه وانما اضافه الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان او للتبعيض لان ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الاسلام كالقصاص وغيره كذا فى شرح التأويلات (ويؤخركم الى اجل مسمى) وهو وقت موتكم (ان اجل الله) اى الموت (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) اى لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء اجلكم لآمنتم قيل ان الله تعالى قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان لم يؤمنوا اهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى تبلغوا الالف سنة ثم اخبر ان الالف اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل انهم كانوا يخافون على انفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام فكأنه عليه السلام آمنهم من ذلك ووعدهم انهم بايمانهم يبقون الى الاجل الذى ضرب لهم لو لم يؤمنوا اى انكم ان اسلمتم بقيتم الى اجل مسمى آمنين من عدوكم (يؤخر)

ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغير ان على ارادة القول ﴿قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم﴾ عذاب الآخرة او الطوفان ﴿قال ياقوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون﴾ مر فى الشعراء نظيره وفى ان يحتمل الوجهان ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الآخرة ﴿ويؤخركم الى اجل مسمى﴾ هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ﴿ان اجل الله﴾ ان الاجل الذى قدره ﴿اذا جاء﴾ على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول ﴿لا يؤخر﴾ فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير ﴿لو كنتم تعلمون﴾ لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك

قومك﴾ اى خوف قومك وحذرهم ﴿من قبل ان يأتيهم عذاب اليم﴾ يعنى الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا ﴿قال ياقوم انى لكم نذير مبين﴾ اى انذركم وابين لكم ﴿ان اعبدوا الله﴾ اى وحدوه ولا تشركوا به شيأ ﴿واتقوه﴾ اى وخافوه من مخالفة امره ﴿واطيعون﴾ اى فيما آمركم به من عبادة الله وتقواه ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ اى يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب ﴿ويؤخركم الى اجل مسمى﴾ اى الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم ﴿ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾ معناه آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر قال الزمخشرى ان قلت كيف قال ويؤخركم مع الاخبار بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل لا يؤخر كما

(قومك) من السخط والعذاب (من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) وجيع وهو الغرق فلما جاءهم (قال ياقوم انى لكم نذير) رسول مخوف (مبين) بلغة تعلمونها (ان اعبدوا الله) وحدوا الله (واتقوه) اخشوه وتوبوا من الكفر والشرك (واطيعون) اتبعوا امرى ودينى ووصيتى واقبلوا نصيحتى (يغفر لكم من ذنوبكم) يغفر ذنوبكم بالتوبة والتوحيد (ويؤخركم) يؤجلكم بلا عذاب (الى اجل مسمى) الى الموت (ان اجل الله) عذاب الله (اذا جاء لا يؤخر) لا يؤجل (لو كنتم تعلمون) تصدقون بالقول لكم فلما أيس منهم بعد ما دعاهم الف سنة الا خمسين عاما فلم يؤمنوا

(وما نحن بمسبوقين) بعاجزين (فذرهم) فدع المكذبين (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) فيه العذاب (يوم) بدل من يومهم (يخرجون) بفتح الياء وضم الراء سوى الاعشى (من الاجداث) القبور (سراعا) جمع سريع حال اى الى الداعى (كأنهم) حال (الى نصب) شامى وحفص وسهل نصب المفضل نصب غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون (خاشعة) حال من ضمير يخرجون اى ذليلة (ابصارهم) يعنى لا يرفعونها لذاتهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا وهم يكذبون به

﴿سورة نوح عليه السلام مكية وهى ثمان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا ارسلنا نوحا) قيل معناه بالسريانية الساكن (الى قومه ان أنذر) خوف

﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بمغلوبين ان اردنا ذلك ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾ مر فى آخر سورة الطور ﴿يوم يخرجون من الاجداث سراعا﴾ مسرعين جمع سريع ﴿كأنهم الى نصب﴾ منصوب للعبادة او علم ﴿يوفضون﴾ يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص الى نصب بضم النون والصاد والباقون من السبعة نصب بفتح النون وسكون الصاد وقرئ نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع ﴿خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة﴾ مر تفسيره ﴿ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون﴾ فى الدنيا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

﴿سورة نوح عليه السلام مكية وآيها سبع او ثمان وعشرون﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر﴾ بان انذر اى بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز

﴿وما نحن بمسبوقين﴾ اى بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بمن هو خير منكم ﴿فذرهم يخوضوا﴾ اى فى اباطيلهم ﴿ويلعبوا﴾ فى دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾ نسختها آية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى ﴿يوم يخرجون من الاجداث﴾ يعنى القبور ﴿سراعا﴾ اى الى اجابة الداعى ﴿كأنهم الى نصب﴾ يعنى الى شئ منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ بضم النون والصاد وهى الاصنام التى كانوا يعبدونها ﴿يوفضون﴾ اى يسرعون ومعنى الآية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعى مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى نصبهم ليستلموها ﴿خاشعة ابصارهم﴾ اى ذليلة خاضعة ﴿ترهقهم ذلة﴾ اى يغشاهم هوان ﴿ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون﴾ يعنى يوم القيامة الذى كانوا يوعدون به فى الدنيا والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام مكية وهى ثمان وعشرون آية ومائتان واربعة وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر

منهم (وما نحن بمسبوقين) بعاجزين على ان نبدل خيرا منهم (فذرهم) اتركهم يا محمد يعنى المستهزئين وغيرهم (يخوضوا) فى الباطل (ويلعبوا) يهزؤا فى كفرهم (حتى يلاقوا) يعاينوا (يومهم الذى يوعدون) فيه العذاب ثم بين متى يكون فقال (يوم يخرجون من الاجداث) من القبور (سراعا) يقول خروجهم من القبور سريعا الى الصوت (كأنهم الى نصب) اى راية وغاية (قا و خا ٤٦ س) وعلم (يوفضون) يمضون وينطلقون (خاشعة) ذليلة (ابصارهم) لا يرون خيرا (ترهقهم) تعلوهم وتغشاهم (ذلة) كآبة وكسوف وهو السواد على الوجوه (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون)فيه العذاب وهو يوم القيامة كوعد نوح وانذاره ﴿ومن السورة التى يذكر فيها نوح وهى كلها مكية آياتها سبع وعشرون وكلماتها مائتان و اربع وعشرون وحروفها تسعمائة وتسع وعشرون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (انا ارسلنا) بعثنا (نوحا الى قومه ان انذر) خوف

واصلهـا عزوة كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى فهم مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جنة نعيم) كالمؤمنين (كلا) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة (انا خلقناهم مما يعلمون) اى من النطفة المقذرة ولذلك ابهم اشعارا بانه منصب يستحى من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم او معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد الجنة الا بالايمان فلم يطمع ان يدخلها من لا ايمان له (فلا اقسم برب المشارق) مطالع الشمس (والمغرب) ومغاربها (انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم) على ان نهلكهم ونأتى بخلق امثل منهم واطوع لله

حلقا حلقا (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا) وهو رد عليهم لا يدخلهم ويقال كلا حقا (انا خلقناهم) يعنى كفار مكة (مما يعلمون) يعنى النطفة (فلا اقسم) يقول اقسم (برب المشارق) مشارق الشتاء والصيف (والمغارب) مغارب الشتاء والصيف وهما مشرقان ومغربان لمشرق الشتاء والصيف مائة وثمانون منزلا وكذلك للمغربين (وما) ويقال لمشرق الشتاء والصيف مائة وسبع وسبعون منزلا وكذلك للمغربين تطلع الشمس فى سنة يومين فى منزل واحد وكذلك تغرب فى يومين فى منزل واحد (انا القادرون) ولهذا كان القسم (على ان نبدل خيرا منهم) يقول نهلكهم ونأتى بغيرهم خيرا منهم واطوع لله

كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزئون بكلامه ﴿ أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم ﴾ بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح مايقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما فى الدنيا ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن هذا الطمع ﴿ انا خلقناهم مما يعلمون ﴾ تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انهم مخلوقون من اجل مايعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ فى منازل الكاملين او الاستدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه ﴿ فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم ﴾ اى نهلكهم ونأتى بخلق امثل منهم او نعطى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بدلكم من هو خير منكم وهو الانصار

فى تفرقة ﴿ أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم ﴾ قال ابن عباس معناه أيطمع كل رجل منهم ان يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون وقد كذبوا نبيى ﴿ كلا ﴾ اى لا يدخلها ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ انا خلقناهم مما يعلمون ﴾ اى من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من اصل واحد وشئ واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوى باسناد الثعلبى عن بشر بن حجاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما فى كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم انى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين والارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصدق وأنى اوان الصدقة واخرجه ابن الجوزى فى تفسيره بلا اسناد وقيل فى معنى الآية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهى والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل ﴿ فلا اقسم ﴾ يعنى واقسم وقد تقدم بيانه ﴿ برب المشارق والمغارب ﴾ يعنى مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعنى مشرق كل نجم ومغربه ﴿ انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم ﴾ معناه انا لقادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله

الحفظ (فمن ابتغى) طلب منكحا (وراء ذلك) اى غير الزواجات والمملوكات (فأولئك هم العادون) المتجاوزون عن الحلال الى الحرام وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (والذين هم لاماناتهم) لامانتهم مكى وهى تتناول امانات الشرع وامانات العباد (وعهدهم) اى عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والايمان (راعون) حافظون غير خائنين ولا ناقضين وقيل الامانات ماتدل عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول (والذين هم بشهاداتهم) حفص بالالف وسهل ويعقوب (قائمون) يقيمونها عندالحكام بلاميل الى قريب وشريف وترجيح للقوى على الضعيف اظهارا للصلابة فى الدين ورغبة فى احياء حقوق المسلمين (والذين هم على صلوتهم يحافظون) كرر ذكر الصلاة لبيان انها اهم او لان احداها للفرائض والاخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها ان لا تضيع عن مواقيتها او الدوام عليها اداؤها فى اوقاتها والمحافظة عليها حفظ اركانها وواجباتها وسننها وآدابها (اولئك) اصحاب هذه الصفات (فى جنات مكرمون) هما خبران (فمال) كتب مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه (الذين كفروا قبلك) نحوك معمول (مهطعين) مسرعين حال من الذين كفروا (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزين) حال اى فرقا شتى جمع عزة

فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ﴾ سبق تفسيره فى سورة المؤمنين ﴿ والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ﴾ حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم ﴿ والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ يعنى لايخفون ولاينكرون ولايخونون على ماعلموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع ﴿ والذين هم على صلوتهم يحافظون ﴾ فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لاتخفى ﴿ اولئك فى جنات مكرمون ﴾ فيها بثواب الله ﴿ فمال الذين كفروا قبلك ﴾ حولك ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان

فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ﴾ تقدم تفسيره فى سورة المؤمنين * قوله تعالى ﴿ والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ اى يقومون فيها عندالحكام ولايكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيا الحقوق وتظهر وفى تركها تموت وتضيع وقيل اراد بالشهادة الشهادة بان لا اله الا الله وحده لاشريك له ولهذا عطف عليها ﴿ والذين هم على صلوتهم يحافظون ﴾ ثم ذكر ما اعده لهم فقال تعالى ﴿ اولئك ﴾ يعنى من هذه صفته ﴿ فى جنات مكرمون ﴾ * قوله تعالى ﴿ فمال الذين كفروا ﴾ اى فما بالهم ﴿ قبلك مهطعين ﴾ اى مسرعين مقبلين اليك مادى اعناقهم ومديمى النظر اليك متطلعين نحوك نزلت فى جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبى صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه فقال الله تعالى مالهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لاينتفعون بمايسمعون منك ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ يعنى انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعات

الحلال (فمن ابتغى وراء ذلك) طلب سوى ماذكرت من الازواج والولائد (فاولئك هم العادون) المعتدون من الحلال الى الحرام (والذين هم لاماناتهم) لما ائتمنوا عليه من امر الدين وغيره (وعهدهم) فيما بينهم وبين ربهم اوفيما بينهم وبين الناس ويقال بحلفهم بالله (راعون) حافظون له بالوفاء والاتمام الى اجله (والذين هم بشهاداتهم قائمون) عندالحكام اذادعوا ولا يكتمونها (والذين هم على صلوتهم يحافظون) على اوقات صلواتهم الخمس يحافظون (اولئك) اهل هذه الصفة (فى جنات) بساتين (مكرمون) بالثواب والتحف والهدايا (فمال الذين كفروا) كفار مكة المستهزئين وغيرهم (قبلك) حولك (مهطعين) ناظرين اليك لا يدنون اليك متفرقين (عن اليمين وعن الشمال عزين)

عن ابن مسعود رضي الله عنه (والذين في اموالهم حق معلوم) يعني الزكاة لانها مقدرة معلومة اوصدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة (للسائل) الذي يسأل (والمحروم) الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) اي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) بالهمز سوى ابي عمرو اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه وينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم) نسائهم (او ما ملكت أيمانهم) اي امائهم (فانهم غير ملومين) على ترك

شاغل ﴿ والذين في اموالهم حق معلوم ﴾ كالزكوات والصدقات الموظفة ﴿ للسائل ﴾ الذي يسأل ﴿ والمحروم ﴾ والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم ﴿ والذين يصدقون بيوم الدين ﴾ تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ خائفون على انفسهم ﴿ ان عذاب ربهم غير مأمون ﴾ اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من عذاب الله وان بالغ في طاعته ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين

معنى ادامتهم عليها ان يواظبوا على ادائها وان لا يتركوها في شيء من الاوقات وان لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو ان يأتي بها العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل واما الامور المقارنة للصلاة فهي ان لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن الرياء والسمعة وخوف ان لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى في سؤال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها وهيآتها وروى البغوي بسنده عن ابي الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلوتهم دائمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم ﴾ يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل عن نفسه شيأ من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في اوقات معلومة ﴿ للسائل ﴾ يعني الذي يسأل الناس ﴿ والمحروم ﴾ يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم ﴿ والذين يصدقون بيوم الدين ﴾ اي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ اي خائفون ثم أكد ذلك الخوف فقال تعالى ﴿ ان عذاب ربهم غير مأمون ﴾ يعني ان الانسان لا يمكنه القطع بانه أدى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي ان يكون العبد بين الخوف والرجاء * وقوله تعالى ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين

(والذين في اموالهم حق معلوم) يرون في اموالهم حقا معلوما غير الزكاة (للسائل) الذي يسأل مالك (والمحروم) الذي حرم اجره وغنيمته ويقال هو المحترف الذي لا تفي حرفته بمعيشته وقوته ويقال هو الفقير الذي لا يسأل ولا يعطى ولا يفطن به (والذين يصدقون بيوم الدين) بيوم الحساب بما فيه (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون (ان عذاب ربهم غير مأمون) لم يأتهم الامان من ربهم (والذين هم لفروجهم حافظون) يعفون عن الحرام (الا على ازواجهم) الاربع (فمن) (او ما ملكت ايمانهم) من الولائد بغير عدد (فانهم غير ملومين) ولا آثمين بذلك لا يلامون بذلك

ما كانت (تدعو) باسمائهم يا كافر يا منافق الى الى او تهلك من قولهم دعاك الله اى اهلكك او لما كان مصيره اليها جعلت كانها دعته (من أدبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع) المال (فاوعى) فجعله فى وعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان) اريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خلق هلوعا) عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره ما بعده (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وسأل محمد بن عبدالله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسيرا بين من تفسيره وهو الذى اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى او المرض والصحة (الا المصلين الذين هم على صلوتهم) اى صلواتهم الخمس (دائمون) اى يحافظون عليها فى مواقيتها

نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الرأس ﴿تدعو﴾ تجذب وتحضر كقول ذى الرمة * تدعو انفه الريب * مجاز من جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه ﴿من ادبر﴾ عن الحق ﴿وتولى﴾ عن الطاعة ﴿وجمع فاوعى﴾ و جمع المال فجعله فى وعاء وكنزه حرصا و تاميلا ﴿ان الانسان خلق هلوعا﴾ شديد الحرص قليل الصبر ﴿اذا مسه الشر﴾ الضر ﴿جزوعا﴾ يكثر الجزع ﴿واذا مسه الخير﴾ السعة ﴿منوعا﴾ يبالغ فى الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذ الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا ﴿الا المصلين﴾ استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة عن الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليها ﴿الذين هم على صلوتهم دائمون﴾ لا يشغلهم عنها

خلقه ومحاسن وجهه واطرافه ﴿تدعو﴾ يعنى النار الى نفسها ﴿من ادبر﴾ اى عن الايمان ﴿وتولى﴾ اى عن الحق فتقول له الى يا مشرك الى يا منافق الى الى قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو اى تعذب قال اعرابى لآخر دعاك الله اى عذبك الله ﴿وجمع فأوعى﴾ يعنى وتدعو من جمع المال فى الوعاء ولم يؤد حق الله منه ﴿ان الانسان خلق هلوعا﴾ قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى ﴿اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا﴾ يعنى اذا اصابه الفقر لم يصبر واذا اصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره قيل اراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى ﴿الا المصلين﴾ وهذا استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع ﴿الذين هم على صلوتهم دائمون﴾ يعنى يقيمونها فى اوقاتها وهى الفرائض فان قلت كيف قال على صلوتهم دائمون ثم قال بعده على صلوتهم يحافظون قلت

(تدعو) الى نفسها الى ايها الكافر والى ايها المنافق (من ادبر) عن التوحيد (وتولى) عن الايمان ولم يتب من الكفر (وجمع) المال فى الدنيا (فأوعى) جمعه فى الوعاء فمنع حق الله منه (ان الانسان) يعنى الكافر (خلق هلوعا) ضجورا بخيلا حريصا ممسكا (اذا مسه الشر) الفقر والشدة (جزوعا) جازعا لا يصبر (واذا مسه الخير) المال والسعة (منوعا) منع حق الله منه ولا يشكر (الا المصلين) اهل الصلاة الخمس فانهم ليسوا كذلك ثم بين نعتهم فقال (الذين هم على صلوتهم) المكتوبة (دائمون) يديمون عليها بالليل والنهار فلا يدعونها

اياهم اومستأنف كانه لماقال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضمير الحميم الاول وهم ضمير الحميم الثانى اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وانما جمع الضميران وهما للحميمين لان فعيلا يقع موقع الجمع (يود المجرم) يتمنى المشرك وهو مستأنف اوحال من الضمير المرفوع اوالمنصوب من يبصرونهم (اويفتدى من عذاب يومئذ) وبالفتح مدنى وعلى على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه وصاحبته) وزوجته (واخيه وفصيلته) وعشيرته الادنين (التى تؤويه) تضمه انتماء اليها وبغير همز يزيد (ومن فى الارض جميعا) من النـاس (ثم ينجيه) الافتداء عطف على يفتدى (كلا) رد للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعـه الافتداء ولا ينجيه من العـذاب (انها) ان النـار ودل ذكر العذاب عليها اوهو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر اوضمير القصة (لظى) علم للنار (نزاعة) حفص والمفضل على الحال المؤكدة اوعلى الاختصاص للتهويل وغـيرهما بالرفع خبر بعد خبر لان اوعلى هى نزاعة (للشـوى) لاطراف الانسان كاليدين والرجلين او جمع شواة وهى جلدة الرأس تنزعها نزعا فتفرقها ثم تعود الى

استئناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم ﴿ يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه ﴾ حال من احد الضميرين اواستئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدى باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرأ نافع والكسائى بفتح ميم يومئذ وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ لانه بمعنى تعذيب ﴿ وفصيلته ﴾ وعشيرته الذين فصل عنهم ﴿ التى تؤويه ﴾ تضمه فى النسب اوعند الشدائد ﴿ ومن فى الارض جميعا ﴾ من الثقلين اوالخلائق ﴿ ثم ينجيه ﴾ عطف على يفتدى اى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد ﴿ كلا ﴾ ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه ﴿ انها ﴾ الضمير للنار او مبهم يفسره ﴿ لظى ﴾ وهو خبر او بدل اوللقصة ولظى مبتدأ خبره ﴿ نزاعة للشوى ﴾ وهو اللهب الخالص وقيل علم للنـار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم

صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته فلا يسألهم ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسـه وقال ابن عباس يتعارفون سـاعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسـه وقيل يبصرونهم اى يعرفونهم اما المؤمن فيعرف ببيـاض وجهه واما الكافر فيعرف بسـواد وجهه ﴿ يود المجرم ﴾ اى يتمنى المشرك ﴿ لو يفتدى من عذاب يومئذ ﴾ اى عـذاب يوم القيامة ﴿ ببنيه وصاحبته ﴾ اى زوجته ﴿ واخيه وفصيلته ﴾ اى عشـيرته وقيل قبيلته وقيل اقربائه الاقربين ﴿ التى تؤويه ﴾ اى تضمه ويأوى اليهـا ﴿ ومن فى الارض جميعـا ﴾ يعنى انه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدى بهم جميعا ﴿ ثم ينجيه ﴾ اى ذلك الفداء من عذاب الله ﴿ كلا ﴾ اى لا ينجيه من عذاب الله شئ ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ انها لظى ﴾ يعنى النار ولظى اسم من اسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى اى تلتهب ﴿ نزاعة للشوى ﴾ يعنى الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عبـاس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبهـا وقيل لمكارم

رونهم ولا يعرفونهـم اشتغالا بأنفسهم (يود) يتمنى (المجرم) يعنى المشرك ابا جهل واصحابه ويقـال النضر واصحابه (لو يفتدى) يفادى نفسه (من عذاب يومئذ) يوم القيامة (ببنيه) اولاده (وصاحبته) (خلقه) زوجته (واخيه) من ابيه وامه (وفصيلته) وبقرابته وعشيرته (التى تؤويه) ينتمى اليها (ومن فى الارض جميعا) وبمن فى الارض جميعا (ثم ينجيه) اى الله من العذاب (كلا) حقا وهو رد عليه لا ينجيه الله من العذاب (انها لظى) يعنى اسما من اسماء النار (نزاعة للشوى) قلاعة لاعضاء اليدين والرجلين وسـائر الاعضاء ويقال حراقة للبدن

ظهر والعصر (فاصبر) متعلق بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه (صبرا جميلا) بلا جزع ولا شكوى (انهم) ان الكفار (يرونه) {سورة المعارج} اى العذاب او يوم القيامة (بعيدا) مستحيلا (ونراه قريبا) كائنا لامحالة فالمراد بالبعيد البعد من الامكان وبالقريب القرب منه نصب (يوم تكون السماء) بقريبا اى يمكن فى ذلك اليوم اوهو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردى الزيت او كالفضة المذابة فى تلونها (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزى والبرجى بضم الياء اى لا يسئل قريب عن قريب اى لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه (يبصرونهم) صفة اى حميما مبصرين معرفين

(فاصبر) على اذاهم يا محمد (صبرا جميلا) بلا جزع

والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرائيل وافراده لفضله اوخلق اعظم من الملائكة ﴿ فاصبر صبرا جميلا ﴾ لايشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصرة او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر شارفت الانتقام ﴿ انهم يرونه ﴾ الضمير للعذاب او ليوم القيامة ﴿ بعيدا ﴾ من الامكان ﴿ ونراه قريبا ﴾ منه او من الوقوع ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ ظرف لقريبا اى يمكن يوم تكون السماء او لمضمر دل عليه واقع اوبدل من فى يوم ان علق به والمهل المذاب من مهل كالفلزات او دردى الزيت ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجواشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ﴿ ولا يسأل حميم حميما ﴾ ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وقرأ ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اى لا يطلب من حميم اولا يسأل منه حاله ﴿ يبصرونهم ﴾

ليس له دافع من الله فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وفيه تقديم وتأخير ﴿ فاصبر ﴾ اى يا محمد على تكذيبهم اياك ﴿ صبرا جميلا ﴾ اى لاجزع فيه وهذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ باية السيف ﴿ انهم يرونه ﴾ اى العذاب ﴿ بعيدا ﴾ اى غير كائن ﴿ ونراه قريبا ﴾ اى كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير فى يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا فى قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ اى كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ اى الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات الوان احمر وبيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عها منثورا ثم تصير هباء منثورا ﴿ ولا يسأل حميم حميما ﴾ اى لا يسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسأل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه بهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسأله للشفاعة ولا يسأله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسأله فى الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة ﴿ يبصرونهم ﴾ اى يرونهم وليس فى القيامة مخلوق من جن او انس الا وهو نصب عين

لا فحش وبقال فاعتزل عنهم عتزالا جميلا بلا جزع ولا فحش فامر بعد ذلك بالقتال (انهم) كانوا يعنى كفار مكة (يرونه) يعنى العذاب يوم القيامة (بعيدا) غير كائن (ونراه قريبا) كائنا لان كل آت كائن قريب ثم بين عذابهم فى يكون فقال (يوم تكون السماء) تصير السماء (كالمهل) كدردى الزيت ويقال كالفضة المذابة (وتكون) تصير (الجبال كالعهن) كالصوف المندوف (ولا يسأل حميم حميما) قرابة عن قرابة (يبصرونهم)

يعرجون فيها ﴿ تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴾ استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيـا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سـنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسـان فيها لو فرض لان مابين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان مابين مركز الارض ومقعر السما الدنيا على ماقيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره خمسين الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة مافيه من الحـالات على مراتب مختلفة ﴿ تعرج الملائكة والروح ﴾ يعني جبريل عليه الصلاة والسـلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة في معرض التخويف والتهويل فرد الروح بالذكر وهـذا يقتضي ان الروح اعظم الملائكة ﴿ اليه ﴾ اي الى الله عز وجل ﴿ في يوم كان مقـدار خمسـين الف سـنة ﴾ اي من سني الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بني آدم من منتهى امر الله تعالى من اسفل الارض السابعة الى منتهى امر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد في اقل من خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة او اقل من ذلك وذكر ان مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين الف سنة وقيل ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة واراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وليس معنى ان مقدار طول ذلك اليوم خمسون الف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيـامة له اول وليس له آخر لانه يوم ممـدود لا آخر له ولو كان له آخر كان منقطعا وهذا الطول في حق الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوي بسنده عن ابي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صـلاة مكتوبة يصليها في الدنيـا وقال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين الف سنة وقال عطاء ويفرغ الله تعالى منها في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقال الكلبي يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين الف سنة وانا افرغ منه في سـاعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة فعلى هذا يكون المعنى

جمع معرج وهو موضـع والارتفاع فقال (تعرج) تصعد وبالياء على (الملائكة والروح) اي جـبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه او خلق هم حفظة على الملائكة كما ان المـلائكة حفظـة علينا او ارواح المؤمنين عند الموت (اليه) الى عرشه ومهبط امره (في يوم) من صلة تعرج (كان مقداره خمسـين الف سنة) من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك او من صـلة واقع اي يقع في يوم طويل مقـداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فاما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار او لانه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا لكل موطن الف سنة وماقدر ذلك عن المؤمن الا كما بين

خالق السموات (تعرج الملائكة والروح) يعني جبريل (اليه) الى الله (في يوم كان مقداره) مقدر الصعود على غير الملائكة (خمسين الف سنة) ويقال من الله يأتي هذا العذاب على الكافرين في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ويقال لو ولي محاسبة الخلائق الى احد غير الله لم يفرغ منه خمسين الف سنة

{ليس}

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سأل سـائل بعذاب واقع ﴾ اى دعا داع به بمعنى اسـتدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء. والسائل هو نضر بن الحرث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او ابو جهل فانه قال فأسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول صلى الله تعالى عليه وسـلم استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال

سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

اومن السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو قتل بدر اوفى الآخرة وهو عذاب النار ﴿ للكافرين ﴾ صفة اخرى لعذاب اوصلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمين سال معنى اهتم ﴿ ليس له دافع ﴾ يرده ﴿ من الله ﴾ من جهتـه لتعلق ارادته به ﴿ ذى المعارج ﴾ ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح اويترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة اوفى السموات فان الملائكة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ سأل سـائل ﴾ قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول انه لغة فى السؤال والثانى انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سـال واد من اودية جهنم وقرئ سأل سـائل بالهمزة من السؤال ﴿ بعذاب ﴾ قيل الباء بمعنى عن اى عن عذاب ﴿ واقع ﴾ اى نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السـؤال ﴿ للكافرين ﴾ وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسـألوه فانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين اى هو للكافرين والباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ما سأل فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس ﴿ ليس له دافع ﴾ اى ان العذاب واقع بهم لا محالة سـواء طلبوه اولم يطلبوه اما فى الدنيا بالقتل واما فى الآخرة لان العذاب واقع بهم فى الآخرة لايدفعه عنهم دافع ﴿ من الله ﴾ اى بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم ﴿ ذى المعارج ﴾ قال ابن عباس ذى السـموات سـماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذى الدرجات وهى المصـاعد التى تعرج الملائكة فيها وقيل ذى الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهى تصل الى الخلق

ابن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او هو النبى صلى الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سأل معنى دعا عدى تعديته كانه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وسال بغير همز مدنى وشامى وهو من السؤال ايضـا الا انه خفف بالتليين وسـائل مهموز اجماعا (للكافرين) صفة لعذاب اى بعذاب واقـع كائن للكافرين (ليس له) لذلك العذاب (دافع) راد (من الله) متصل بواقع اى واقـع من عنده او بدافع اى ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته (ذى المعارج) اى مصاعد السمـاء للملائكة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسـناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سأل سائل) يقول دعا داع وهو النضر ابن الحرث (بعذاب واقع) نازل (للكافرين) على الكافرين وهو من الكافرين (ليس له) للعذاب (دافع) مانع فقتل يوم بدر صبرا ﴿ قا وخا ٤٥ س ﴾ (من الله) يأتى هذا العذاب على الكافرين (ذى المعارج)

صاحبه (فما منكم) الخطاب للناس او للمسلمين (من احد) من زائدة (عنه) عن قتل محمد وجمع (حاجزين) وان كان وصف احد لانه في معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله (وانه) وان القرآن (لتذكرة) لعظة (للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه) وان القرآن (لحسرة على الكافرين) به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين (وانه) به وان القرآن (لحق اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله

﴿سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية﴾

عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب به جيده وقيل اليمين بمعنى القوة ﴿فما منكم من احد عنه﴾ عن القتل او المقتول ﴿حاجزين﴾ دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس ﴿وانه﴾ وان القرآن ﴿لتذكرة للمتقين﴾ لانهم المنتفعون به ﴿وانا لنعلم ان منكم مكذبين﴾ فنجازيهم على تكذيبهم ﴿وانه لحسرة على الكافرين﴾ اذا رأوا ثواب المؤمنين ﴿وانه لحق اليقين﴾ لليقين الذي لاريب فيه ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون﴾

الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته ﴿فما منكم من احد عنه حاجزين﴾ اى مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلمه لعاقبناه ولا يقدر احد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف احد ردا على معناه ﴿وانه﴾ يعني القرآن وذلك انه لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال تعالى ﴿لتذكرة﴾ اى لعظة ﴿للمتقين﴾ اى لمن اتقى عقاب الله ﴿وانا لنعلم ان منكم مكذبين﴾ فيه وعيد لمن كذب بالقرآن ﴿وانه﴾ يعني القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾ يعني يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من آمن به ﴿وانه لحق اليقين﴾ معناه انه حق معين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ اى نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك اهلا لايحائه اليك والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة سأل سائل وتسمى المعارج مكية وهي اربع واربعون آية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا﴾

نياط قلبه (فما منكم من احد عنه حاجزين) يقول فليس منكم احد يحجزنا عن محمد عليه السلام (وانه) يعني القرآن (لتذكرة) عظة (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) بالقرآن ومصدقين به (وانه) يعني القرآن (لحسرة) ندامة (على الكافرين) يوم القيامة (وانه) يعني القرآن (لحق اليقين) حقا يقينا انه كلامي نزل به جبريل على رسول كريم ويقال وانه الذي ذكرت من الحسرة والندامة على الكافرين لحق اليقين يقول حقا يقينا ان تكون عليهم الحسرة والندامة يوم القيامة (فسبح باسم ربك) فصل بامر ربك (العظيم) ويقال اذكر توحيد ربك العظيم اعظم كل شي ﴿ومن السورة التي يذكر فيها المعارج وهي كلها مكية آياتها اربع واربعون وكلماتها مائتان وست عشرة وحروفها ثمانمائة واحد وستون﴾

(قليلا ما تؤمنون ولابقول كاهن) كاتقولون (قليلا ماتذكرون) وبالياء فيهما مكى وشامى ويعقوب وسهل وبتخفيف الذال كوفى غير ابى بكر والقلة فى معنى العدم يقال هذه ارض قلما تنبت اى لاتنبت اصلا والمعنى لا تؤمنون ولاتذكرون البتة (تنزيل) هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل) ولوادعى علينا شيأ لم نقله (لاخذنا منه باليمين) لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب فى قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه فى جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه وكذا (ثم لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهو نياط القلب اذا قطع مات

﴿قليلا ما تؤمنون﴾ تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ﴿ولابقول كاهن﴾ كما تدعون اخرى ﴿قليلا ماتذكرون﴾ تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يتلبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لاينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومعانى القرآن المنافية لطريق الكهنة ومعانى اقوالهم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما ﴿تنزيل﴾ هو تنزيل ﴿من رب العالمين﴾ نزله على لسان جبريل عليه السلام ﴿ولو تقول علينا بعض الاقاويل﴾ سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك ﴿لاخذنا منه باليمين﴾ بيمينه ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع مايفعله الملوك بمن يغضبون

ولا تركيبه ﴿قليلا ما تؤمنون﴾ اراد بالقليل عدم ايمانهم اصلا والمعنى انكم لاتصدقون بان القرآن من عند الله تعالى ﴿ولابقول كاهن﴾ اى وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة ﴿قليلا ماتذكرون﴾ يعنى لا تتذكرون البتة ﴿تنزيل﴾ اى هو تنزيل يعنى القرآن ﴿من رب العالمين﴾ وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال

* قوله تعالى ﴿ولو تقول علينا﴾ اى اختلق علينا محمد ﴿بعض الاقاويل﴾ يعنى أتى بشئ من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه ﴿لاخذنا منه باليمين﴾ اى لاخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا منه باليمين اى بالحق قال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة الملك اليمين

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

اى بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين اى سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لاذللناه واهناه كفعل السلطان بمن يريد ان يهينه يقول لبعض اعوانه خذ بيده فأقمه وانما خص اليمين بالذكر لانه اشرف العضوين ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ قال ابن عباس يعنى نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجرى فى الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة

بنشئه (قليلا ماتؤمنون) يقول ما تؤمنون بقليل ولابكثير (ولابقول كاهن) يخبر بما فى الغد (قليلا ما تذكرون) ماتتعظون بقليل ولابكثير (تنزيل) يقول القرآن تنزيل على محمد صلى الله عليه وسلم (من رب العالمين ولو تقول علينا) ولو اختلق علينا محمد عليه السلام (بعض الاقاويل) من الكذب فقال علينا مالم نقله (لاخذنا) لانتقمنا (منه باليمين) بالحق والحجة ويقال اخذناه بالقوة (ثم لقطعنا منه) من محمد عليه السلام (الوتين) عرق قلبه وهو

فعلين من الغسل والنون زائدة واريد به هنا مايسيل من ابدانهم من الصديد والدم (لا يأكله الا
الخاطئون) الكافرون الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب

﴿ لا يأكله الا الخاطئون ﴾ صحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها ﴿ فلا اقسم ﴾ لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث و قسم مستأنف ﴿ بما تبصرون وما لا تبصرون ﴾ بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها ﴿ انه ﴾ ان القرآن ﴿ لقول رسول ﴾ يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول نفسه ﴿ كريم ﴾ على الله وهو محمد او جبرائيل عليهما الصلاة والسلام ﴿ وما هو بقول شاعر ﴾ كما تزعمون تارة

اهل النار مأخوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله اهل النار ﴿ لا يأكله الا الخاطئون ﴾ اى الكافرون * قوله عز وجل ﴿ فلا اقسم ﴾ قيل ان لا صلة والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل لا ههنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا اقسم على ان القرآن قول رسول كريم فكأنه لوضوحه استغنى عن القسم * وقوله ﴿ بما تبصرون وما لا تبصرون ﴾ يعنى بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون وما لا تشاهدون اقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون يعنى على ظهر الارض وما لا تبصرون اى ما فى بطنها وقيل بما تبصرون يعنى الاجسام وما لا تبصرون يعنى الارواح وقيل بما تبصرون يعنى الانس وما لا تبصرون يعنى الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم الباطنة وقيل بما تبصرون هو ما اظهره الله من مكنون غيبه للملائكة واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه احدا من خلقه * ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى ﴿ انه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ يعنى تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل لرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول اصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو ان جمهور الامة وهم اهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف يصح اضافته الى لرسول قلت اما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به واما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالى ما اوحى اليه ولهذا اكده بقوله تنزيل من رب العالمين لزوال هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما اراد انه قول لرسول مبلغ عن الله تعالى وفى الرسول مايدل على ذلك فاكتفى به عن ان يقول عن الله تعالى * وقوله تعالى ﴿ وما هو بقول شاعر ﴾ يعنى ان هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو ضروب الشعر

(فلا اقسم بما تبصرون) من الاجسام والارض والسماء (وما لا تبصرون) من الملائكة والارواح فالحاصل انه اقسم بجميع الاشياء (انه) اى ان القرآن (لقول رسول كريم) اى محمد صلى الله عليه وسلم او جبريل عليه السلام اى يقول ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) كما تدعون

من عصارة اهل النار وهى ما يسيل من بطونهم وجلودهم من القيح والدم والصديد (لا يأكله) يعنى الغسلين (الا الخاطئون) المشركون (فلا اقسم) يقول اقسم (بما تبصرون) من شئ (وما لا تبصرون) من شئ يا اهل مكة ويقال بما تبصرون يعنى السماء والارض وما لا تبصرون يعنى الجنة والنار ويقال بما تبصرون يعنى الشمس والقمر وما لا تبصرون العرش والكرسى ويقال بما تبصرون يعنى محمدا عليه السلام وما لا تبصرون يعنى جبريل اقسم الله بهؤلاء الاشياء (انه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يقول القرآن قول الله نزل به جبريل على رسول كريم يعنى محمدا عليه السلام (وما هو) يعنى القرآن (بقول شاعر) (ولا)

الملك عن ابن جريج وقيل لايعرف قدرهـا الا الله (فاسلكوه) فادخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية (انه) تعليل كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بانه (كان لايؤمن بالله العظيم ولايحض على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين وفيه اشارة الى انه كان لايؤمن بالبعث لان الناس لايطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب

﴿ فاسلكوه ﴾ فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لايقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع مايعذب به وثم لتفاوت مابينها فى الشدة ﴿ انه كان لايؤمن بالله العظيم ﴾ تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ﴿ ولايحض على طعام المسكين ﴾ ولايحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا عن ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب ﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ﴾ قريب يحميه ﴿ ولاطعام الا من غسلين ﴾ غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل

كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد ممـا بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم اى ذراع هو * عن عبدالله ابن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رضاضة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت فى رأس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * الرضاض الحصباء الصغار * وقوله مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة * الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الرأس وهو اشرف الاعضاء وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ماوزن حلقة منهـا * وقوله تعالى ﴿ فاسلكوه ﴾ اى ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل فى فيه وتخرج من دبره ﴿ انه كان لايؤمن بالله العظيم ﴾ اى لايصدق بوحدانية الله وعظمته ﴿ ولايحض على طعام المسكين ﴾ اى ولايحث نفسه على اطعام المسكين ولايأمر اهـله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم فى حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن فى هذه الآية ادركت اقواما يعزمون على اهليهم ان لايردوا سـائلا وعن بعضهم انه كان يأمر اهله بتكثير المرقة لاجل المسـاكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثانى بالاطعام ﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ﴾ اى ليس له فى الآخرة قريب ينفعه ويشفع له ﴿ ولاطعام الا من غسلين ﴾ يعنى صديد

فى الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له مايحمـله على اطعامهم اى انه مع كفره لايحرض غيره على اطعام المحتاجين وفيه دليل قوى عـلى عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل احق وعن ابى الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجـل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمـان فلنخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة عـلى ان المؤمنين يرحمون جميعـا والكافرين لايرحمون لانه قسم الخلق نصفين فجعل صنفا منهم اهل اليمين ووصفهم بالايمان فحسب بقوله انى ظننت انى ملاق حسابيه وصنفا منهم اهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله انه كان لايؤمن بالله العظيم وجاز ان الذى يعاقب من المؤمنين انما يعـاقب قبل ان يؤتى كتابه بيمينه (فليس له اليوم ههنا حميم)قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه (ولاطعـام الا من غسلين) غسالة اهل النار

(فاسلكوه) فادخلوه فى دبره واخرجوه من فمه والوا وامافضل على عنقه (انه كان لايؤمن بالله العظيم) اذ كان فى الدنيا (ولايحض) لايحث (على طعام المسكين) على صدقة المسكين (فليس له اليوم ههنا حميم)قريب ينفعه (ولاطعام) فى النار (الا من غسلين)

لا مكروه فيهما ولا اذى اوهنئتم هنيأ على المصدر (بما اسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (في الايام الخالية) الماضية من ايام الدنيا وعن ابن عباس هي في الصائمين اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم على الاكل والشرب لوجه الله (واما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه) لما يرى فيها من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه) اي ياليتني لم اعلم ما حسابي (ياليتها) ياليت الموتة التي متها (كانت القاضية) اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى (ماأغنى عني ماليه) اي لم ينفعني ما جمعته في الدنيا فما نفي والمفعول محذوف اي شيأ (هلك عني سلطانيه) ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خذوه فغلوه) اي اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) اي ادخلوه يعني ثم لاتصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى او نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه (ثم في سلسلة ذرعها) طولها (سبعون ذراعا) بذراع

هنيئا ﴿ بما اسلفتم ﴾ بما قدمتم من الاعمال الصالحة ﴿ في الايام الخالية ﴾ الماضية من ايام الدنيا ﴿ واما من اوتي كتابه بشماله فيقول ﴾ لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة ﴿ ياليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه ياليتها ﴾ ياليت الموت التي متها ﴿ كانت القاضية ﴾ القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او ياليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او ياليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ﴿ ما اغنى عني ماليه ﴾ مالي من المال والتبع ومانفي والمفعول محذوف اواستفهام انكار مفعول لاغنى ﴿ هلك عني سلطانيه ﴾ ملكي وتسلطي على الناس اوحجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وقرأ حمزة عني مالي عني سلطاني بحذف الهاءين في الوصل والباقون باثباتهما في الحالين ﴿ خذوه ﴾ يقوله الله تعالى لخزنة النار ﴿ فغلوه ثم الجحيم صلوه ﴾ ثم لاتصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ﴿ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ﴾ اي طويلة

بما اسلفتم ﴾ اي بما قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة ﴿ في الايام الخالية ﴾ اي الماضية يريد ايام الدنيا ﴿ واما من اوتي كتابه بشماله ﴾ قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها ﴿ فيقول ياليتني لم اوت كتابيه ﴾ وذلك لما نظر في كتابه ورأى قبائح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح ﴿ ولم ادر ما حسابيه ﴾ اي لم ادر اي شيء حسابي لانه لاطائل ولاحاصل له وانما كله عليه لاله ﴿ ياليتها كانت القاضية ﴾ تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى ياليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية عن كل ما بعدها والقاطعة للحياة اي ما احيا بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شيء عنده اكره منه اليه اي من الموت في الدنيا لانه رأى تلك الحالة اشنع وامر مما ذاقه من الموت ﴿ ما اغنى عني ماليه ﴾ اي لم يدفع عني يساري ومالي من العذاب شيأ ﴿ هلك عني سلطانيه ﴾ اي ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا ﴿ خذوه ﴾ اي يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه ﴿ فغلوه ﴾ اي اجمعوا يديه الى عنقه ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ اي ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم في الدنيا ﴿ ثم في سلسلة ﴾ وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ﴿ ذرعها ﴾ اي مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد اوغيرها ﴿ سبعون ذراعا ﴾ قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوف البكالي سبعون ذراعا

(بما اسلفتم) بما قدمتم من العمل الصالح ويقال من الصوم والصلاة (في الايام الخالية) الماضية يعني ايام الدنيا (واما من اوتي) اعطى (كتابه بشماله) وهو الاسود بن عبد الاسد اخو ابي سلمة وكان كافر (فيقول ياليتني لم اوت كتابيه) لم اعط كتابي هذا (ولم ادر ما حسابيه) لم اعلم حسابي (ياليتها كانت القاضية) تمنى الموت يقول ياليتني بقيت على موت الاول (ما اغنى عني) من عذاب الله (ماليه) مالي الذي جمعت في الدنيا (هلك عني سلطانيه) بطل عني حجتي وعذري فيقول الله للملائكة (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه) ادخلوه (ثم في سلسلة ذرعها) طولها وباعها (سبعون ذراعا) بذراع الملك ويقال باعا

(كل)

(فاما) تفصيل للعرض (من أوتي كتابه بيمينه فيقول) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابا لجماعته (هاؤم) اسم للفعل اى خذوا (اقرؤا كتابيه) تقديره هاؤم كتابي اقرؤا كتابيه فحذف الاول لدلالة الثاني عليه والعامل في كتابيه اقرؤا عند البصريين لانهم يعملون الاقرب والهاء في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحقها ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثبوتها في المصحف (اني ظننت) علمت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام ولان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسوس والخواطر وهي تفضي الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (انى ملاق حسابيه) معاين حسابي (فهو في عيشة راضية) ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن (في جنة عالية) رفيعة المكان او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية) ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكئ يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) اكلا وشربا هنيأ

شئ (فأمامن اوتي) أعطى (كتابه بيمينه) وهو ابو سلمة ابن عبد الاسد زوج ام سلمة وكان مسلما (فيقول) لاصحابه (هاؤم) تعالوا (اقرؤا كتابيه) انظروا ما في كتابي من الثواب والكرامة (انى ظننت) علمت وايقنت (أني ملاق حسابيه) معاين حسابي (فهو في عيشة راضية) في عيش قد رضيه لنفسه اى مرضية (في جنة عالية) مرتفعة (قطوفها) ثمرها واجتناؤها (دانية) قريبة يناله القاعد والقائم (كلوا) يقول الله لهم كلوا من الثمار (واشربوا) من الانهار (هنيئا) بلا داء ولا موت

والكسائي بالياء للفصل ﴿فامامن اوتي كتابه بيمينه﴾ تفصيل للعرض ﴿فيقول﴾ تبجحا ﴿هاؤم اقرؤا كتابيه﴾ هاء اسم لخذ وفيه لغات اجودها هاء يارجل وهاء يامرأة وهاؤما يارجلان او مرأتان وهاؤم يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل ﴿انى ظننت انى ملاق حسابيه﴾ اى علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا ﴿فهو في عيشة راضية﴾ ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم ﴿في جنة عالية﴾ مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار ﴿قطوفها﴾ جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر ﴿دانية﴾ يتناولها القاعد ﴿كلوا واشربوا﴾ باضمار القول وجمع الضمير للمعنى ﴿هنيئا﴾ اكلا وشربا هنيئا او هنئتم

فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم * عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى ﴿فامامن اوتي﴾ اى اعطى ﴿كتابه بيمينه فيقول هاؤم﴾ اى تعالوا ﴿اقرؤا كتابيه﴾ والمعنى انه لما بلغ الغاية في السرور وعلم انه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لاهله واقربائه ﴿انى ظننت﴾ اى علمت وايقنت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن في الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام ﴿انى ملاق حسابيه﴾ اى في الآخرة والمعنى اني كنت في الدنيا استيقن اني احاسب في الآخرة ﴿فهو في عيشة راضية﴾ اى في حالة من العيش مرضية وذلك بانه لقي الثواب وامن من العقاب ﴿في جنة عالية﴾ رفيعة ﴿قطوفها دانية﴾ اى ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطفونها كيف شاؤا ﴿كلوا﴾ اى يقال لهم كلوا ﴿واشربوا هنيئا﴾

اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عددهم الا الله تعالى ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال ﴿يومئذ تعرضون﴾ تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليتعرف احوالهم هذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل ﴿لاتخفى منكم خافية﴾ سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة فى العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة

قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندرى قال فان بعد ما بينهما اما واحدة واما اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة وبعد التى فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذى وابو داود زاد فى رواية وليس يخفى عليه من اعمال بنى آدم شئ * عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وارض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسى مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسى والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لايخفى عليه شئ من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمى وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود فى قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال لحملة العرش قرون ما بين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال الذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى مؤخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروى عن ابن عباس فى قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدتهم الا الله عز وجل ﴿يومئذ تعرضون﴾ اى على الله تعالى للحساب ﴿لاتخفى منكم خافية﴾ اى فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم باحوالكم لايخفى عليه شئ منها وان عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لايخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا فى الدنيا فانه يظهر احوال الخلائق

وزيدت اربعة اخرى يوم القيامة وعن الضحاك ثمانية صفوف وقيل ثمانية اصناف (يومئذ تعرضون) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احواله (لاتخفى منكم خافية) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا وبالياء كوفى غير عاصم وفى الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله

وجه انسان ووجه نسر ووجه اسد ووجه ثور ويقال ثمانية صفوف ويقال ثمانية اجزاء من الكروبيين وهم اهل السماء السابعة (يومئذ) وهو يوم القيامة (تعرضون) على الله ثلاث عرضات عرض للحساب والمعاذير وعرض للخصومات والقصاص وعرض لتطاير الكتب والقراءة (لاتخفى منكم خافية) لايترك منكم احد ويقال لاتخفى على الله منكم خافية احد ويقال لايخفى على الله من اعمالكم

(فالمحسنون)

عاصفة ﴿ فدكتا دكة واحدة ﴾ فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء اوفبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لاعوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتى لاسنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية ﴿ فيومئذ ﴾ فحينئذ ﴿ وقعت الواقعة ﴾ قامت القيامة ﴿ وانشقت السماء ﴾ لنزول الملائكة ﴿ فهى يومئذ واهية ﴾ ضعيفة مسترخية ﴿ والملك ﴾ والجنس المتعارف بالملك ﴿ على ارجائها ﴾ جوانبها جمع رجى بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم ﴾ فوق الملائكة الذين هم على الارجاء اوفوق الثمانية لانها فى نية التقديم ﴿ يومئذ ثمانية ﴾ ثمانية املاك لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء * الاوعال تيوس الجبل

رفعت من اماكنها ﴿ فدكتا دكة واحدة ﴾ اى كسرتا وفتتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائد الى الارض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين ﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ اى قامت القيامة ﴿ وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ﴾ اى ضعيفة لتشققها ﴿ والملك ﴾ يعنى الملائكة ﴿ على ارجائها ﴾ يعنى نواحيها واقطارها وهو الذى لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم ﴾ اى فوق رؤسهم يعنى الحملة ﴿ يومئذ ﴾ اى يوم القيامة ﴿ ثمانية ﴾ يعنى ثمانية املاك وجاء فى الحديث انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء * الاوعال تيوس الجبل وروى السدى عن ابى مالك قال ان الصخرة التى تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلائق على ارجائها يحملها اربعة من الملائكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد احاطوا بالسموات والارض ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبى صلى الله عليه وسلم امية بن ابى الصلت فى شئ من الشعر فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث يرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق * عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح غريب * عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا فى البطحاء فى عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب

حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة وهى القيامة وجواب اذا وقعت ويومئذ بدل من اذا (وانشقت السماء) فتحت ابوابا (فهى يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعدما كانت محكمة (والملك) للجنس بمعنى الجمع وهو اعم من الملائكة (على ارجائها) جوانبها واحدها رجا مقصور لانها اذا انشقت وهى مسكن الملائكة فيلجؤن الى اطرافها (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملك الذين على ارجائها (يومئذ ثمانية) منهم واليوم تحمله اربعة

البذان والجبال (فدكتا دكة واحدة) فكسرتا كسرة واحدة (فيومئذ) يوم حملت الارض والجبال (وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء) لهيبة الرحمن و نزول الملائكة (فهى يومئذ واهية) منشقة ضعيفة (والملك) يعنى الملائكة (على أرجائها) حروفها وجوانبها ونواحيها واطرافها (ويحمل عرش ربك) سرير ربك (فوقهم)

على اعناقهم (يومئذ) يوم القيامة (قا وخا ٤٤ س) (ثمانية) يقول ثمانية رهط من الملائكة لكل ملك اربعة وجوه

لوط فهى ائتفكت اى انقلبت بهم (بالخاطئة) بالخطا او بالفعلة اوبالافعال ذات الخطا العظيم (فعصوا) ا
قوم لوط (رسول ربهم) لوطا (فاخذهم اخذة رابية) شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح (ا
لماطغى الماء) ارتفع وقت الطوفان على اعلى جبل فى الدنيا خمسة عش

ذراعا (حملناكم) اى آباءكم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) اى الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) وتحفظها (اذن) بضم الذال غير نافع (واعية) حافظة لما تسمع قال قتادة وهى اذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) هى النفخة الاولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون عندها (وحملت الارض والجبال) رفعتا

والمراد اهلها ﴿ بالخاطئة ﴾ بالخطأ او بالفعلة والافعال ذات الخطأ ﴿ فعصوا رسول ربهم ﴾ اى فعصت كل امة رسولها ﴿ فأخذهم اخذة رابية ﴾ زائدة فى الشدة زيادة اعمالهم فى القبح ﴿ انا لما طغى الماء ﴾ جاوز حده المعتادة او طغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو يؤيد من قبله ﴿ حملناكم ﴾ اى آباءكم وانتم فى اصلابهم ﴿ فى الجارية ﴾ فى سفينة نوح عليه السلام ﴿ لنجعلها لكم ﴾ لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين ﴿ تذكرة ﴾ عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته ﴿ وتعيها ﴾ وتحفظها وعن ابن كثير وتعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك ﴿ اذن واعية ﴾ من شأنها ان تحفظ مايجب حفظها لتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه معقلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف ﴿ فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ﴾ لما بالغ فى تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم ﴿ وحملت الارض والجبال ﴾ رفعت عن اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة اوريح

يعنى قرى قوم لوط ويريد اهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله ﴿ بالخاطئة ﴾ اى بالخطيئة والمعصية وهو الشرك ﴿ فعصوا رسول ربهم ﴾ قيل يعنى موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى ان يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم ذكر الامتين جميعا ﴿ فاخذهم اخذة رابية ﴾ يعنى نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم ﴿ انا لما طغى الماء ﴾ اى عتا وجاوز حده حتى علا على كل شئ وارتفع فوقه وذلك فى زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو الطوفان ﴿ حملناكم فى الجارية ﴾ يعنى حملنا آباءكم وانتم فى اصلابهم فصح خطاب الحاضرين فى الجارية اى السفينة التى تجرى فى الماء ﴿ لنجعلها ﴾ اى لنجعل تلك الفعلة التى فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه ﴿ لكم تذكرة ﴾ اى عبرة وموعظة ﴿ وتعيها ﴾ اى تحفظها ﴿ اذن واعية ﴾ اى حافظة لما جاء من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل اذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتى بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة * قوله عز وجل ﴿ فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ﴾ يعنى النفخة الاولى ﴿ وحملت الارض والجبال ﴾ اى

المخسفات ايضا قريات لوط و ائتفكها خسفها (بالخاطئة) تكلموا بكلمة الشرك (فعصوا رسول ربهم) موسى (فأخذهم أخذة رابية) فعاقبهم عقوبة شديدة (انا لما طغى الماء) ارتفعت الماء فى زمان نوح (حملناكم) يا امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الخلق فى اصلاب آبائكم (فى الجارية) فى سفينة نوح (لنجعلها لكم) يعنى سفينة نوح ويقال هذه القصة لكم (تذكرة) عظة تتعظون بها (وتعيها اذن واعية) يحفظها قلب حافظ ويقال تسمع هذا الامر اذن سامعة فتنتفع بما سمعت (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) لاثنى وهى نفخة البعث (وحملت الارض والجبال) يقال ماعلى الارض مر (رفعت)

 لا تنقطع جمع حاسم كشهود

ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها ﴿ سخرها عليهم ﴾ سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف او صفة جيئ به لنفي مايتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب ﴿ سبع ليال وثمانية ايام حسوما ﴾ متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة الاربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن فاهلكتها ﴿ فترى القوم ﴾ ان كنت حاضرهم ﴿ فيها ﴾ فى مهابها او فى الليالى والايام ﴿ صرعى ﴾ موتى جمع صريع ﴿ كأنهم اعجاز نخل ﴾ اصول نخل ﴿ خاوية ﴾ متأكلة الاجواف ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾ من بقية او نفس باقية او بقاء ﴿ وجاء فرعون ومن قبله ﴾ ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه ﴿ والمؤتفكات ﴾ قرى قوم لوط عليه السلام

مقدار ماخرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة ﴿ سخرها عليهم ﴾ اى ارسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب ﴿ سبع ليال وثمانية ايام ﴾ ذات برد ورياح شديدة قال وهب هى الايام التى سماها العرب العجوز لانها ايام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لانها تأتى فى عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربها فاتبعتها الريح حتى قتلتها ﴿ حسوما ﴾ اى متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم فى هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما شؤما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها والحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم احدا ﴿ فترى القوم فيها ﴾ اى فى تلك الليالى والايام ﴿ صرعى ﴾ اى هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت ﴿ كأنهم اعجاز نخل خاوية ﴾ اى ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤس ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾ اى من نفس باقية قيل انهم لما اصبحوا موتى فى اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله اعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم فى البحر فلم يبق منهم احد * قوله تعالى ﴿ وجاء فرعون ومن قبله ﴾ قرئ بكسر القاف وفتح الباء اى ومن معه من جنوده واتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء اى ومن قبله من الامم الكافرة ﴿ والمؤتفكات ﴾

تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وجاز ان يكون مصدرا اى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فترى) ايها المخاطب (القوم فيها) فى مهابها او فى الليالى والايام (صرعى) حال جمع صريع (كانهم) حال اخرى (أعجاز) اصول (نخل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة اوبالية (فهل ترى لهم من باقية) من نفس باقية اومن بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه من الامم ومن قبله بصرى وعلى اى ومن عنده من اتباعه (والمؤتفكات) قرى قوم

شديدة عتت عصت وأبت على خزانها (سخرها) سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما) دائما متتابعا لايفتر عنهم (فترى القوم) قوم هود (فيها) فى الايام ويقال فى الريح (صرعى) هلكى مطروحين (كأنهم اعجاز نخل) اوراك نخل (خاوية) ساقطة (فهل ترى لهم من باقية) يقول لم يبق منهم احد الا اهلكته الريح (وجاء فرعون ومن قبله) من معه من جنوده الى البحر فغرقوا فى البحر ويقال وجاء فرعون تكلم فرعون بكلمة الشرك ومن قبله ومن كان قبل فرعون من الامم الماضية (والمؤتفكات)

الوقوع الثابتة المجى التى هى آتية لاريب فيها من حق يحق بالكسر اى وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والاصل الحاقة ماهى اى اى شئ هى تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها اى حقها ان يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل (وما ادراك) واى شئ اعلمك (ماالحاقة) يعنى انك لاعلم لك بكنهها ومدى عظمها لانه من العظم والشدة بحيث لاتبلغه دراية المخلوقين وما رفع بالابتداء وادراك الخبر والجملة بعده فى موضع نصب لانها مفعول ثان لادرى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) اى بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لانها من اسماء القيامة وسميت بها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعافية اى بطغيانهم ولكن هذا لايطابق قوله (واما عاد فاهلكوا بريح) اى بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (صرصر) شديدة الصوت من الصرة الصيحة او باردة من الصر كانها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها (عاتية) شديدة العصف او عتت على خزانها فلم ضبطوها (مقدار)

تعرف حقيقتها او تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازى وهى مبتدأ خبره ﴿ ما الحاقة ﴾ واصله ماهى اى اى شئ هى على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها ﴿ وما ادراك ما الحاقة ﴾ واى شئ اعلمك ماهى اى انك لاتعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها ﴿ فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية ﴾ بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة وهى الصيحة اوالرجفة لتكذيبهم بالقارعة اوبسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لايطابق قوله ﴿ واما عاد فاهلكوا بريح صرصر ﴾ اى شديد الصوت اوالبرد من الصر او الصر ﴿ عاتية ﴾ شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا

الوقوع لاريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال اى يجب وقيل الحاقة النازلة التى حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هى التى تحق على القوم اى تقع بهم ﴿ ماالحاقة ﴾ استفهام ومعناه التفخيم لشأنها والتهويل لها والمعنى اى شئ هى الحاقة ﴿ وما ادراك ماالحاقة ﴾ اى انك لاتعلمها اذلم يعاينها ولم ترما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة امر لاتبلغه دراية احد ولافكر وكيف قدرت حالها فهى اعظم من ذلك ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذى اوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم ﴿ فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية ﴾ اى بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد فى القوة وقيل الطاغية الفرقة التى عقروا الناقة فاهلكت قوم ثمود بسببهم ﴿ واما عاد فاهلكوا بريح صرصر ﴾ اى شديدة الصوت فى الهبوب لها صرصرة وقيل هى الباردة من الصر كانها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها ﴿ عاتية ﴾ اى عتت على خزنتها فلم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا

ما الحاقة) يقول الساعة ماالساعة يعجبه بذلك (وما أدراك) يامحمد (ماالحاقة) وانما سميت الحاقة لحقائق الامور تحق للمؤمن بايمانه الجنة وتحق للكافر بكفره النار (كذبت ثمود) قوم صالح (وعاد) قوم هود (بالقارعة) بقيام الساعة وانما سميت القارعة لانها تقرع قلوبهم (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بطغيانهم وشركهم اهلكوا ويقال طغيانهم حملهم على التكذيب حتى اهلكوا (واما عاد) قوم هود (فاهلكوا بريح صرصر) بارد (عاتية)

ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اى ليهلكونك ﴿لما سمعوا الذكر﴾ اى القرآن اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ﴿ويقولون انه لمجنون﴾ حيرة فى امره وتنفيرا عنه ﴿وماهو الاذكر للعالمين﴾ لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لايدركه ولايتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله تعالى اخلاقهم

﴿ سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿الحاقة﴾ اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها او التى تحقق فيها الامور اى

هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله ﴿لما سمعوا الذكر﴾ لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهة ويحدون النظر اليه بالبغضاء ﴿ويقولون انه لمجنون﴾ اى ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى ردا عليهم ﴿وما هو﴾ يعنى القرآن ﴿الا ذكر للعالمين﴾ قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من اصابته العين ان تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا * وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقى ان اسماء بنت عميس كانت تقول يارسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افأسترقى لهم قال نعم ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذى * قوله العين حق اخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا فى نفسه ولايؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولايجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذى هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله * وقوله ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشياء كلها بقدر الله ولايقع شئ الا على حسب ماقدر الله وسبق به علمه ولايقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثبات العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله اعلم

﴿ تفسير سورة الحاقة مكية وهى اثنتان وخمسون آية ومائتان وست ﴾

﴿ وخمسون كلمة والف واربع وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿الحاقة﴾ يعنى القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعنى انها ثابتة

رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا على ما اوتيت من النبوة (انه لمجنون) ان محمدا لمجنون حيرة فى امره وتنفيرا عنه (وماهو) اى القرآن (الا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والانس يعنى انهم جننوه لاجل القرآن وما القرآن الاموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا الذكر اى ذكره عليه السلام وماهو اى محمد عليه السلام الا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون والله اعلم

﴿ سورة الحاقة احدى وخمسون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) الساعة الواجبة

(لما سمعوا الذكر) قراءتك القرآن (ويقولون) يعنى كفار مكة (انه) يعنون محمدا (لمجنون) يختنق (وما هو) يعنى القرآن (الا ذكر) عظة (للعالمين) للجن والانس

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الحاقة وهى كلها مكية آياتها خمسون آية وكلماتها مائتان وست وخمسون وحروفها الف واربعمائة وثمانون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الحاقة

(وهو مذموم) معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) اصطفاه لدعائه وعذره (فجعله من الصالحين) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الاول لانه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون الآيات (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وبفتح الياء مدني ان مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وازلقه ازاله عن مكانه اي قارب الكفار من شدة نظرهم اليك شزرا بعيون العداوة ان يزيلوك بابصارهم عن مكانك او يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا هلك فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله صلى الله مثل ذلك فقال لم ار كاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفي الحديث العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وعن الحسن

عن الاشجار ﴿ وهو مذموم ﴾ مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ ﴿ فاجتباه ربه ﴾ بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الوقعة ﴿ فجعله من الصالحين ﴾ من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ماحل فاراد ان يدعو على المنهزمين ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ﴾ ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره لصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وفي الحديث

لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الارض ﴿ وهو مذموم ﴾ اي يذم ويلام بالذنب وقيل في معنى الآية لولا تداركته نعمة من ربه لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم ينبذ بعراء القيامة اي بارضها وفضائها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة اوجه احدها ان كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه مايوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيآت المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى ﴿ فاجتباه ربه ﴾ والفاء للتعقيب اي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه ﴿ فجعله من الصالحين ﴾ اي النبيين * قوله تعالى ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ﴾ وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان كانت الناقة او البقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذي المكتل والدراهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط ماعناه فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني او يكاد يهلكني يدل على صحة هذا المعنى انه قرن

على الصحراء (وهو مذموم) ملوم مذنب (فاجتباه ربه) فاصطفاه ربه بالتوبة (فجعله من الصالحين) من المرسلين (وان يكاد الذين كفروا) كفار مكة (ليزلقونك) ليصرعونك (بابصارهم) ويقال يعينونك باعينهم (هذا)

التى لا يشعرون انه استدراج قيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وانسيناهم شكرها قال عليه السلام اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا الآية (واملى لهم) وامهلهم (ان كيدى متين) قوى شديد فسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للهلاك والاصل ان معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز ان يسمى الله كائدا وماكرا ومستدرجا (أم تسألهم) على تبليغ الرسالة (اجرا فهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفى اى لست تطلب اجرا على تبليغ الوحى فيثقل ذلك فيتجنبوا لذلك (ام عندهم الغيب) اى اللوح المحفوظ عند الجمهور (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم لانهم وان امهلوا لم يهملوا (ولا تكن كصاحب الحوت) كيونس عليه السلام فى العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه والوقف على الحوت لان اذ ليس بظرف لما تقدمه اذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف اى اذكر (اذ نادى) دعا ربه فى بطن الحوت بلا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملاء (لولا ان تداركه نعمة) رحمة (من ربه) اى لولا ان الله انعم عليه باجابة دعائه وقبول عذره (لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء

تفضيلا لهم على المؤمنين ﴿ واملى لهم ﴾ وامهلهم ﴿ ان كيدى متين ﴾ لا يدفع بشئ وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه فى صورته ﴿ ام تسألهم اجرا ﴾ على الارشاد ﴿ فهم من مغرم ﴾ من غرامة ﴿ مثقلون ﴾ بحملها فيعرضون عنك ﴿ ام عندهم الغيب ﴾ اللوح او المغيبات ﴿ فهم يكتبون ﴾ منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ يونس عليه السلام ﴿ اذ نادى ﴾ فى بطن الحوت ﴿ وهو مكظوم ﴾ مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه ﴿ لولا ان تداركه نعمة من ربه ﴾ يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه ﴿ لنبذ بالعراء ﴾ بالارض الخالية

اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو فى الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا ان يعاجله بالاستغفار والتوبة ﴿ واملى لهم ﴾ اى امهلهم واطيل لهم المدة وقيل معناه امهلهم الى الموت فلا اعاجلهم بالعقوبة ﴿ ان كيدى متين ﴾ اى عذابى شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدى الى العذاب ﴿ ام تسألهم اجرا ﴾ اى على تبليغ الرسالة ﴿ فهم من مغرم مثقلون ﴾ المغرم الغرامة والمعنى اتطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فى اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ﴿ ام عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ اى اعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ اى اصبر على اذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ بآية السيف ﴿ ولا تكن ﴾ فى الضجر والعجلة ﴿ كصاحب الحوت ﴾ يعنى يونس ابن متى ﴿ اذ نادى ﴾ ربه اى فى بطن الحوت ﴿ وهو مكظوم ﴾ اى مملوء غما ﴿ لولا ان تداركه نعمة من ربه ﴾ اى حين رحمه وتاب عليه ﴿ لنبذ بالعراء ﴾ اى

لا يشعرون فاهلكهم الله فى يوم وليلة وكانوا خمسة نفر (واملى لهم) امهلهم (ان كيدى متين) عذابى شديد (ام تسألهم) تسأل اهل مكة (اجرا) جعلا ورزقا على الايمان (فهم من مغرم) من الغرم (مثقلون) الاجابة (ام عندهم الغيب) اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) منه ما يخاصمونك (فاصبر لحكم ربك) على تبليغ رسالة ربك ويقال ارض بقضاء ربك (ولا تكن) ضجورا ضيق القلب فى امر الله (كصاحب الحوت) كضجر يونس بن متى (اذ نادى) دعا ربه فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مجهود مغموم (لولا ان تداركه نعمة من ربه) رحمة من ربه (لنبذ) لطرح (بالعراء)

(ويدعون) الى الكفارثمة (الى السجود) لاتكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود فى الدنيا (فلايستطيعون) ذلك لان ظهورهم تصير كصياصى البقر لاتنثنى عند الخفض والرفع (خاشعة) ذليلة حال من الضمير فى يدعون (ابصارهم) اى يدعون فى حال خشوع ابصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صغار (وقدكانوا يدعون) على السن الرسل (الى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون) اى وهم اصحاء فلايسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثمة (فذرنى) يقال ذرنى واياه اى كله الى فانى اكفيكه (ومن يكذب) معطوف على المفعول او مفعول معه (بهذا الحديث) بالقرآن والمراد كل امره الى وخل بينى وبينه فانى عالم بما ينبغى ان يفعل به مطيق له فلا تشتغل قلبك بشانه وتوكل على فى الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه الى كذا اى استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله تعالى العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة الى ازدياد المعاصى (من حيث لايعلمون) من الجهة

(ويدعون الى السجود) بعد ماقالوا والله ربنا ماكنامشركين ولامنافقين (فلايستطيعون) السجود وبقيت صلابهم كاصياصى مثل حصون الحديد (خاشعة ابصارهم) ذليلة ابصارهم لايرون خيرا (ترهقهم ذلة) تعلوهم كآبة وكسوف وهو السواد على الوجوه (وقدكانوا يدعون) فى الدنيا (الى السجود) الى الخضوع لله بالتوحيد فلم يخضعوا لله بالتوحيد (وهم سالمون) اصحاء معافون (فذرنى) يامحمد (ومن يكذب بهذا الحديث) بهذا الكتاب (سنستدرجهم) سنأخذهم يعنى المستهزئين بالقرآن (من حيث لايعلمون) (اذنبوا)

﴿ ويدعون الى السجود ﴾ توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كانت وقت النزع ﴿ فلا يستطيعون ﴾ لذهاب وقته او زوال القدرة عليه ﴿ خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ﴾ تلحقهم ذلة ﴿ وقد كانوا يدعون الى السجود ﴾ فى الدنيا او زمان الصحة ﴿ وهم سالمون ﴾ متمكنون منه مزاحو العلل فيه ﴿ فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث ﴾ كله الى فانى اكفيكه ﴿ سنستدرجهم ﴾ سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة ﴿ من حيث لايعلمون ﴾ انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه

المؤمنين ؛ نذر فيها خيرا اى صاحب خير * وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة اى جمع جماعة • قوله قد عادوا حمما اى صاروا فحما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة جمع فوهة وهى اول النهر • قوله فيخرجون كاللؤلؤ اى فى الصفاء فى رقابهم الخواتم قيل معناه انه يعلق فى رقابهم اشياء من ذهب او غير ذلك مما يعرفون بها والله اعلم * قوله تعالى ﴿ ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ﴾ السجود يعنى الكفار والمنافقين تصير اصلابهم كصياصى البقر او كصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود ﴿ خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ﴾ وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة ﴿ وقد كانوا يدعون الى السجود ﴾ يعنى فى دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون ﴿ وهم سالمون ﴾ يعنى انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحاء فلا يأتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعة * قوله عز وجل ﴿ فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث ﴾ اى دعنى والمكذبين بالقرآن وخل بينى وبينهم ولاتشغل قلبك بهم وكلهم الى فانى اكفيك اياهم ﴿ سنستدرجهم ﴾ اى سنأخذهم بالعذاب ﴿ من حيث لا يعلمون ﴾ فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل فى معنى الآية كلما

عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح عن مولى عمر بن عبدالعزيز وهو شامى يأتى باحاديث منكرة لا يتابع عليها وموالى عمر بن عبدالعزيز كثيرون فى اسناده مجهول ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضى عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غاب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابى وهذه الرؤية فى هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التى هى فى الجنة لكرامة اولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان الله لعباده • وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الا اذن الله له فى السجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة اى فقارة واحدة كالصفيحة فلا يقدر على السجود • وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها اول مرة معناه ثم يرفعون رؤسهم وقد ازال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون انت ربنا • وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم * الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن فيها • قوله دحض مزلة اى تزلق فيه الاقدام ولا تثبت • قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذى يخطف الشئ • وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التى يعلق بها اللحم والحسك الذى يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب • قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا يناله شئ اصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس اى يلقى ويسقط فى جهنم وفى هذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو ارق من الشعر واحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم واعمالهم والآخرون يسقطون فى جهنم اعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين الله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار شفاعتهم لهم • وقوله فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضى عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح ان معناه شئ زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذى هو التصديق لا يتجزأ وانما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل صالح وذكر خفى وعمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين او خوف من الله تعالى او نية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير وقول

فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محى الدين النووى رحمه الله وغيره اعلم ان هذا الحديث من اكبر احاديث الصفات واعظمها وللعلماء فيه و فى امثاله قولان*احدهما وهو قول معظم السلف اوكلهم انه لايتكلم فى معناها بل يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شئ وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز فى جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابى هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم فى التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب*والقول الثانى وهو مذهب معظم المتكلمين انها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تأويلها لمن كان من اهله فعلى هذا المذهب يقال فى قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجىء هنا عن الرؤية مجازا وقيل الاتيان فعل من افعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل المراد بيأتيهم الله يأتيهم بعض ملائكته قال القاضى عياض وهذا الوجه اشبه عندى بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذى جاءهم فى الصورة التى انكروها من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه يأتيهم الله فى صورة اى يصور ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التى لاتشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فاذا قال لهم هذا الملك او هذه الصورة انا ربكم رأوا عليه علامة من علامات المخلوقات مما ينكرونه ويعلمون بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله تعالى لهم فى الصفة التى يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته وان لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لانهم على هذه الصفة يرونه لايشبه شيأ من مخلوقاته وقد علموا انه لايشبه شيأ من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياها ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله فى حديث ابى سعيد اتاهم رب العالمين فى ادنى صورة من التى رأوه فيها معنى رأوه فيها اى علموها وهى صفته المعلومة للمؤمنين وهى انه لايشبهه شئ *وقولهم نعوذ بالله منك لانشرك بالله انما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق*قوله فيكشف عن ساق وفى رواية للبخارى يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات قال ابو سليمان الخطابى فيحتمل ان يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه اى عن قدرته التى تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق فى هذا الحديث نور عظيم و ورد ذلك فى حديث

(عن)

الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل او المفعول والفعل للساعة او الحال

التى رأوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده مامن احد منكم باشد منا شدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقى فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابوسعيد يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عزوجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر او اخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولاخير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا مالم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندى افضل من هذا فيقولون ربنا اى شئ افضل من هذا فيقول رضاى فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخارى نحوه بمعناه

فصل فى شرح الفاظ الحديث وما يتعلق به

اما الرؤية وما يتعلق بها فسيأتى الكلام عليها فى موضعها ان شاء الله تعالى * قوله حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين فى ادنى صورة من التى رأوه فيها وفى رواية ابى هريرة فيأتيهم الله فى صوره غير صورته التى يعرفون

كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو كناية عن البخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق معهودة عنده

شديد فظيع و يقال عن علامة بينهم و بين ربهم

ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

اويوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق

قول الشاعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وانشد اهل اللغة ابياتا فى هذا المعنى فمنها ماانشده ابو عبيدة لقيس بن زهير

فان شمرت لك عن ساقها * فدنها ربيع ولا تسام

ومنها قول جرير

ألارب ساهى الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقد كثر مثل هذا فى الكلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان ناسا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لايارسول الله قال ماتضارون فى رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبع كل امة ما كانت تعبد فلايبقى احد كان يعبد غيرالله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبدالله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذالله من صاحبة ولاولد فماذا تبغون قالوا عطشنا ياربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم مااتخذالله من صاحبة ولاولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا ياربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبدالله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين فى ادنى صورة من التى رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا ياربنا فارقنا الناس فى الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لانشرك بالله شيأ مرتين اوثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلايبقى من كان يسجدلله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولايبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته

يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وهذا

عن امر كانوا فى عمى منه فى الدنيا ويقال عن امر

ماتختارونه وتشتهونه لكم والاصل تدرسون ان لكم ماتتخيرون بفتح ان لانه مدروس لوقوع الدرس عليه وانما كسرت اللام فى خبرها ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هوكقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح وتخيرالشئ واختاره اخذ خيره (أم لكم ايمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) نعت ايمان ويتعلق (الى يوم القيامة) ببالغة اى انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منهـا يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم اوبالمقدر فى الظرف اى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لانخرج عن عهدتهـا الا يومئذ اذا حكمنـاكم واعطينـاكم ماتحكمون (ان لكم لما تحكمون) به لانفسكم وهو جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية فى التوكيد (سلهم) اى المشركين (ايهم بذلك) الحكم (زعيم) كفيل بانه يكون ذلك (ام لهم شركاء) اى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فيـه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم يعنى ان احدا لا يسلم لهم هـذا ولا يسـاعدهم عليه كما انه لا كتـاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عنـد الله ولا زعيم لهـم يضمن لهم من الله بهذا (يوم يكشف عن ساق) ناصب الظرف فليـأتوا اواذكر مضمرا والجمهور على ان الكشف عن الساق عبارة عن شدة امر وصعوبة الخطب فمعنى

ان لكم ماتختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلمـا جئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس اواستئنافا وتخير الشئ واختاره اخذ خيره ﴿ ام لكم ايمـان علينا ﴾ عهود مؤكدة بالايمـان ﴿ بالغة ﴾ متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين ﴿ الى يوم القيـامة ﴾ متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لانخرج عن عهدتهـا حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او مبالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم ﴿ ان لكم لمـا تحكمون ﴾ جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم ﴿ سلهم ايهم بذلك زعيم ﴾ بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ﴿ ام لكم شركاء ﴾ يشاركونهم فى هذا القول ﴿ فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين ﴾ فى دعواهم اذ لااقل من التقليد وقد نبه سبحانه فى هذه الايات على نفى جميع مايمكن ان يتشبثوا به من عقل اونقل يدل عليه لاستحقاق اووعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لاسند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين فى الآخرة كانه لما نفى ان تكون التسوية من الله تعالى نفى بهذا ان تكون مما يشركون الله به ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ يوم يشتد الامر

﴿ ام لكم ايمان علينا بالغة ﴾ معناه الكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا ﴿ الى يوم القيامة ﴾ اى لاتنقطع تلك الايمـان والعهود الى يوم القيامة ﴿ ان لكم ﴾ اى فى ذلك العهد ﴿ لما تحكمون ﴾ اى لانفسـكم من الخير والكرامة عندالله تعالى ثم قال الله تعـالى لنبيه صلى الله عليـه وسلم ﴿ سلهم ايهم بذلك زعيم ﴾ اى ايهم كفيل لهم بان لهم فى الآخرة ماللمسلمين ﴿ ام لهم شركاء ﴾ اى بل الهم شركاء يعنى ما كانوا يجعلونه لله شركاء وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم هم جعلوهـا شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه ﴿ فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين ﴾ اى فى دعواهم ﴿ يوم يكشف ﴾ اى فليأتوا بشركائهم فى ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم ﴿ عن ساق ﴾ اى عن امر فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة فى القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع فى امر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقك اذاقام فى ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر فى الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عبـاس عن هذه الآية فقـال اذا اخفى عليكم شئ من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم

تشتهون فى الآخرة من الجنة (ام لكم ايمان) عهود (علينا) بالايمان (بالغة) وثيقة (الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون) تقضون لانفسكم فى الآخرة من الجنة (سلهم) يامحمد (ايهم بذلك) بمايقولون (زعيم) كفيل (ام لهم شركاء) آلهة (فليأتوا بشركائهم) بآلهتهم (ان كانوا صادقين) ان لهم ماقالوا ومايقولون (يوم يكشف عن ساق)

من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجعون لعفوه عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى انهم اخلصوا فابدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (كذلك العذاب) اى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة اكبر) اعظم منه (لوكانوا يعلمون) لما فعلوا مايفضى الى هذا العذاب ثم ذكر ماعنده للمؤمنين فقال (ان للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) اى فى الآخرة (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) استفهام انكار

على قولهم لوكان مايقول محمد حقا فنحن نعطى فى الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا فقيل لهم أنحيف فى الحكم افنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصى كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن فى ذلك الكتاب (ان لكم فيه لما تخيرون) اى ان

بالخطيئة وقد روى انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف ﴿ انا الى ربنا راغبون ﴾ راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع ﴿ كذلك العذاب ﴾ مثل ذلك العذاب الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا ﴿ ولعذاب الآخرة اكبر ﴾ اعظم منه ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ﴿ ان للمتقين عند ربهم ﴾ اى فى الآخرة اوفى جوار القدس ﴿ جنات النعيم ﴾ جنات ليس فيها الا التنعم الخالص ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا ﴿ مالكم كيف تحكمون ﴾ التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى ﴿ أم لكم كتاب ﴾ من السماء ﴿ فيه تدرسون ﴾ تقرأون ﴿ ان لكم فيه لما تخيرون ﴾

انا الى ربنا راغبون ﴾ قال ابن مسعود بلغنى ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى ﴿ كذلك العذاب ﴾ اى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا يخوف بذلك كفار مكة * ثم قال تعالى ﴿ ولعذاب الآخرة اكبر لوكانوا يعلمون ﴾ ثم اخبر بما اعدالله للمتقين فقال تعالى ﴿ ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴾ اى عند ربهم فى الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطى فى الآخرة افضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ يعنى ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون افضل اويعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات ﴿ مالكم كيف تحكمون ﴾ يعنى هذا الحكم المعوج ﴿ أم لكم كتاب ﴾ اى نزل من عند الله ﴿ فيه ﴾ اى فى ذلك الكتاب ﴿ تدرسون ﴾ اى تقرؤن ﴿ ان لكم فيه ﴾ اى فى ذلك الكتاب ﴿ لما تخيرون ﴾ اى تختارون وتشتهون

من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون) رغبتنا الى الله (كذلك العذاب) فى الدنيا لمن منع حق الله من ماله كما كان لهم حرق البستان والجوع بعد ذلك ويقال كذلك العذاب هكذا عذاب الدنيا كما كان لاهل مكة بالقتل والجوع (ولعذاب الآخرة) لمن لايتوب (اكبر) من عذاب الله فى الدنيا (لوكانوا يعلمون) اهل مكة ولكن لايعلمون ذلك ولايصدقون به (ان للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (عند ربهم) فى الآخرة (جنات النعيم) نعيمها دائم لايفنى ويقال عتبة بن ربيعة لئن كان مايقول محمد صلى الله عليه وسلم لاصحابه من الجنة والنعيم حقا لنحن افضل منهم فى الآخرة كما نحن افضل منهم فى الدنيا فنزل (أفنجعل المسلمين) ثواب المسلمين فى الجنة (كالمجرمين) كثواب المشركين وهم اهل النار ويقال افنجعل ثواب المشركين فى الآخرة كثواب المسلمين (مالكم) يااهل مكة (كيف تحكمون) بئس ماتقضون لانفسكم (أم لكم كتاب فيه تدرسون) تقرؤن (ان لكم فيه) فى الكتاب (لما تخيرون) (أم)

(فلما رأوها) اى جنتهم محترقة (قالوا) فى بديهة وصولهم (انا لضالون) اى ضللنا جنتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا انها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا (قال اوسطهم) اعدلهم وخيرهم (الم اقل لكم لولا تسبحون) اى هلا تستثنون اذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم او لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيرهم ولهذا (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم الى التكلم به اولا واقروا على انفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن ان يكون ظالما (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر ثم اعترفوا جميعا بانهم تجاوزوا الحد بقوله (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا ان يبدلنا) وبالتشديد مدنى وابو عمرو (خيرا منها)

﴿ فلما رأوها ﴾ اول مارأوها ﴿ قالوا انا لضالون ﴾ طريق جنتنا وماهى بها ﴿ بل نحن ﴾ اى بعد ماتأملوا و عرفوا انها هى ﴿ محرومون ﴾ حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا ﴿ قال اوسطهم ﴾ رأيا او سنا ﴿ ألم اقل لكم لو لاتسبحون ﴾ لولاتذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى ﴿ قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين ﴾ او لو لا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجرى فى ملكه مالايريده ﴿ فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾ يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره ﴿ قالوا ياويلنا انا كنا طاغين ﴾ متجاوزين حدود الله ﴿ عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ﴾ ببركة التوبة والاعتراف

﴿ فلما رأوها ﴾ اى رأوا الجنة محترقة ﴿ قالوا انا لضالون ﴾ اى لمخطؤن الطريق اضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا ﴿ بل نحن محرمون ﴾ اى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء ﴿ قال اوسطهم ﴾ اى اعدلهم واعقلهم وافضلهم ﴿ الم اقل لكم لولا تسبحون ﴾ اى هلا تستثنون انكر عليهم ترك الاستثناء فى قولهم ليصرمنها مصبحين سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار لانه لايقدر احد على شئ الا بمشيئته وعلى التفسير الثانى ان الاستثناء بمعنى لايتركون شيأ للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون اى تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على مااعطاكم من نعمه ﴿ قالوا سبحان ربنا ﴾ معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل واقروا على انفسهم بالظلم فقالوا ﴿ انا كنا ظالمين ﴾ اى بمنعنا المساكين حقوقهم ﴿ فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾ اى يلوم بعضهم بعضا ﴿ قالوا ياويلنا ﴾ دعوا على انفسهم بالويل ﴿ انا كنا طاغين ﴾ اى فى منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا فى نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا ﴿ عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها

(فلما رأوها) يعنى البساتين محترقة (قالوا انا لضالون) الطريق ظنوا انهم ضلوا الطريق ثم قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا منفعة البستان لسوء نياتنا (قال اوسطهم) فى السن ويقال اعدلهم فى القول ويقال افضلهم فى العقل والرأى (ألم اقل لكم لولا تسبحون) هلا تستثنون وقد قال لهم ذلك عند ما اقسموا (قالوا سبحان ربنا) نستغفر ربنا (انا كنا ظالمين) ضارين لانفسنا بمعصيتنا وتركنا الاستثناء ومنعنا المساكين (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا يقول واحد منهم انت فعلت هذا يافلان بنا ويقول الآخر انت فعلت هذا بنا (قالوا) بالجملة (ياويلنا انا كنا طاغين) عاصين بمنعنا المساكين (عسى ربنا) وعسى من الله واجب (ان يبدلنا) ان يعوضنا ربنا فى الآخرة (خيرا منها)

(فاصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) اى كالليل المظلم اى احترقت فاسودت او كالصبح اى صارت ارضا بيضا بلا شجر وقيل كالمصرومة اى كانها صرمت لهلاك ثمرها (فتنادوا مصبحين) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (ان اغدوا) باكروا (على حرثكم) ولم يقل الى حرثكم لان الغدو اليه ليصرموه كأن غدوا عليه او ضمن الغدو معنى الاقبال اى فاقبلوا على حرثكم باكرين (ان كنتم صارمين) مريدين صرامه (فانطلقوا) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (ان لا يدخلنها) اى الجنة وان مفسرة وقرئ بطرحها باضمار القول اى يتخافتون يقولون لا يدخلنها (اليوم عليكم مسكين) والنهى عن دخول المساكين نهى عن التمكن اى لا تمكنوه من الدخول (وغدوا على حرد) على جد فى المنع (قادرين) عند انفسهم على المنع كذا عن نفطويه او الحرد القصد والسرعة اى وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وزى منفعتها عن المساكين او هو علم للجنة اى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم

فاصبحت) فصارت الجنة محترقة (كالصريم) كالليل المظلم (فتنادوا) فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) عند طلوع الفجر (ان اغدوا على حرثكم) يعنى البساتين (ان كنتم صارمين) جاذين قبل علم المساكين (فانطلقوا) الى البساتين (وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم كلاما خفيا (ان لا يدخلنها) يعنى الجنة (اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد) على حقد ويقال الى بستانهم (قادرين) على غلتها (فلما)

فاصبحت كالصريم ﴾ كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها وكالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال ﴿ فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ﴾ اى اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ﴿ ان كنتم صارمين ﴾ قاطعين له ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴾ يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ﴿ ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴾ ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقوله لا اربنك ههنا ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قال

اقبل سيل جاء من امر الله * يحرد حرد الجنة المغلة

اى وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل الحرد علم للجنة

قوله تعالى ﴿ فاصبحت ﴾ اى الجنة ﴿ كالصريم ﴾ اى كالليل الاسود المظلم وقيل تصرم منه الخير فليس فيها شئ ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة ﴿ فتنادوا ﴾ اى فنادى بعضهم بعضا ﴿ مصبحين ﴾ يعنى لما صبحوا ﴿ ان اغدوا على حرثكم ﴾ يعنى الثمار والزرع والاعناب ﴿ ان كنتم صارمين ﴾ اى قاطعين ثماركم ﴿ فانطلقوا ﴾ اى مشوا اليها ﴿ وهم يتخافتون ﴾ اى يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا ﴿ ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد ﴾ اى على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهد وقيل على امر مجتمع قد اسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة ﴿ قادرين ﴾ اى عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها احد

سمة على خرطومه (انا بلوناهم) امتحنـا اهل مكة بالقحط والجوع حتى اكلوا الجيف والرمم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف (كما بلونا اصحاب الجنة) هم قوم من اهل الصـلاة كانت لابيهم هذه

الجنة بقرية يقال { سورة ن } لها ضروان وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منهـا قوت سـنة ويتصدق بالباقي على الفقراء فلما مات قال بنوه ان فعلنا ماكان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السـدف خيفة من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول (اذاقسموا) حلفوا (ليصرمنها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها (ولا يسـتثنون) ولا يقولون ان شاء الله وسمى اسـتثناء وان كان شرطا صورة لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله لاخرج الا ان يشـاء الله (فطاف عليها طائف من ربك) نزل عليهـا بلاء قيل انزل الله تعالى عليها نارا فاحرقتهـا (وهم نائمون) اى في حال نومهم

السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيامة ﴿ انا بلوناهم ﴾ بلونا اهل مكة شرفها الله تعالى بالقحط ﴿ كما بلونا اصحاب الجنة ﴾ يريد البستان الذي كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او القته الريح او بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعله ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال ﴿ اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ﴾ ليقطعنها داخلين في الصباح ﴿ ولا يستثنون ﴾ ولا يقولون ان شـاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لاخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم ﴿ فطاف عليها ﴾ على الجنة ﴿ طائف ﴾ بلاء طـائف ﴿ من ربك ﴾ مبتدأ منـه ﴿ وهم نائمون

سـنكويه على وجهه * قوله تعالى ﴿ انا بلوناهم ﴾ اى اختبرنا اهل مكة بالقحط والجوع ﴿ كما بلونا اصحاب الجنة ﴾ روى عن ابن عباس في قوله تعـالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه اهل الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان يترك للمسـاكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل فلم يجزه واذا طرح من فوق النخل الى البساط وكل شئ يخرج من المنجل الى البساط فهو ايضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجل فهو للمسـاكين واذا داسوه كان لهم كل شئ ينتثر ايضا فلما مات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لانستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما ان يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى ﴿ اذ اقسموا ﴾ اى تحـالفوا ﴿ ليصرمنها ﴾ اى ليقطعن ثمرها ﴿ مصبحين ﴾ اى اذا اصبحوا قبل ان يخرج اليهم المساكين وقبل ان يعلم بها المسـاكين ﴿ ولا يستثنون ﴾ اى ولم يقولوا ان شاء الله وقيل لا يسـتثنون شيأ للمسـاكين من ثمر جنتهم ﴿ فطاف عليها طـائف من ربك ﴾ اى عذاب من ربك ولا يكون الطـائف الا بالليل وهو قوله تعالى ﴿ وهم نائمون ﴾ وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السـماء فاحرقتها وهو

وجهه (انا بلوناهم) اختبرنا (قاوخا ٤٢ س) اهل مكة بالقتل والسبي والهزيمة يوم بدر بتركهم الاستغفار وبالجوع والقحط سبع سنين لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم بعد يوم بدر (كما بلونا) اختبرنا بالجوع وحرق البساتين (اصحاب الجنة) اهل البساتين بني ضروان (اذ اقسموا) حلفوا بالله (ليصرمنها) ليجذنها (مصبحين) عند طلوع الفجر (ولا يستثنون) لم يقولوا ان شاء الله (فطاف عليها) على الجنة (طائف) عذاب (من ربك) بالليل (وهم نائمون

نزلت هذه الآية والنطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها روى انه دخل على امه وقال ان محمدا وصفني بعشر صف
وجدت تسعا في فاما الزنيم فلا علم لي به فان اخبرتني بحقيقته والا ضربت عنقك فقالت ان اباك عنين وخ
ان يموت فيصل ماله الى غير ولده فدعوت راعيا الى نفسي فانت من ذلك الراعي (ان كان ذا مال) متع
بقوله ولا تطع اى ولا تطعه معهذه المثالب لان كان ذا مال اى ابـ

وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده اى لان كان ذا مال (وبنين) كذب بآياتنا يدل عليه (اذا تتلى عليه آياتنا) اى القرآن (قال اساطير الاولين) ولا يعمل فيه قال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله أان كان حمزة وابو بكر اى لان كان ذا مال كذب شامي ويزيد ويعقوب وسهل قالوا لما عاب الوليد النبي صلى الله عليه وسلم كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة اسماء صادقا فان كان من عدله ان يجزي المسيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة كان من فضله ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا (سنسمه) سنكويه (على الخرطوم) على انفه مهانة له وعلما يعرف به وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم عليه ابشع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت

مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغير ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ﴿ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين﴾ اى قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للانط اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر أان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى ألان كا ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغني في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرطه في الطاعة ﴿سنسمه﴾ بالكي ﴿على الخرطوم﴾ على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبق اثرها وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لا

سنة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في هذه الآية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وعنه ايضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا و ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارق في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ان كان ذا مال وبنين﴾ قرئ على الخبر ومعناه فلا تط كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين اى لا تطعه لماله وبنيه وقرئ أان كان ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه الان كان ذا مال وبنين ﴿اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين﴾ اى جعل مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لا كان ذا مال وبنين تطيعه ثم اوعده فقال تعالى ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ اى على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به في الآخرة وهو سواد الوج فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بد وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه اى سنسمه ميسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا تمحي ولا يعفى اثرها وقد الحق الله به بما ذكر من عيوبه عار لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم الذي لا يخفى قط وقيل معن

والفجور والفسوق والشر ويقال له زنمة كزنمة العفو (ان كان ذا مال وبنين) يقول لا تطعه (سنكويه)
وان كان ذا مال وبنين وكان ماله نحو تسعة آلاف مثقال من فضة وبنوه عشرة (اذا تتلى عليه) يقرأ ع
(آياتنا) القرآن بالامر والنهي (قال اساطير الاولين) احاديث الاولين في دهرهم وكذبهم (سنسمه على الخرطو)
سنضربه على الوجه ويقال على الانف ويقال سيسود

فيلينون لك ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمنى لانه عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدأ محذوف اى فهم يدهنون اى فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف

(مهين) حقير فى الرأى والتمييز من المهانة وهى القلة والحقارة اوكذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان مغتاب (مشاء بنميم) نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية (مناع للخير) بخيل والخير المال او مناع اهله من الخير وهو الاسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من اسلم منكم منعته رفدى (معتد) مجاوز فى الظلم حده (اثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك) بعد ما عدله من المثالب (زنيم) دعى وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى

والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن اوللسببية اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى ﴿ ولا تطع كل حلاف ﴾ كثير الحلف فى الحق والباطل ﴿ مهين ﴾ حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة ﴿ هماز ﴾ عياب ﴿ مشاء بنميم ﴾ نقال للحديث على وجه السعاية ﴿ مناع للخير ﴾ يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح ﴿ معتد ﴾ متجاوز فى الظلم ﴿ اثيم ﴾ كثير الآثام ﴿ عتل ﴾ جاف غليظ من عتله اذ اقاده بعنف وغلاظة ﴿ بعد ذلك ﴾ بعد ما عد من مثالبه ﴿ زنيم ﴾ دعى

اللين والمصانعة والمقاربة فى الكلام وقيل ادهن الرجل فى دينه وداهن فى امره خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى الآية انهم تمنوا ان تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة ﴿ ولا تطع كل حلاف ﴾ اى كثير الحلف بالباطل ﴿ مهين ﴾ اى ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهى قلة الرأى والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد ابن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق ﴿ هماز ﴾ اى مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذى يغمز باخيه فى المجلس ﴿ مشاء بنميم ﴾ اى قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس ﴿ مناع للخير ﴾ اى بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير اى يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم فى دين محمد لا انفعه بشئ ابدا ﴿ معتد ﴾ اى ظلوم يتعدى الحق ﴿ اثيم ﴾ اى فاجر يتعاطى الاثم ﴿ عتل ﴾ اى غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيئ الخلق وقيل هو الشديد فى الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد فى كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوى الشديد ولا يزن فى الميزان شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعين الفا فى النار دفعة واحدة ﴿ بعد ذلك زنيم ﴾ اى مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعى الملصق فى القوم وليس منهم قال ابن عباس يريد مع هذا هو دعى فى قريش وليس منهم قيل انما ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة

فيلينون لك ويقال تطابقهم فيطابقونك وتصانعهم فيصانعونك (ولا تطع) يا محمد (كل حلاف) كذاب على الله (مهين) ضعيف فى دين الله هو الوليد بن مغيرة المخزومى (هماز) طعان لعان مغتاب للناس مقبلين ومدبرين (مشاء بنميم) يمشى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم (مناع للخير) للاسلام بينه وبين بنيه وبين اخيه وقرابته (معتد) يا محمد الحق غشوم ظلوم عليهم (اثيم) فاجر (عتل) شديد الخصومة بالباطل والكذب ويقال عتل اكول وشروب صحيح الجسم رحيب البطن (بعد ذلك) مع ذلك (زنيم) ملصق بالقوم ليس منهم ويقال معروف فى الكفر والشرك

خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون ﴿ فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ﴾ ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة اوبايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ﴿ ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ وهم المجانين على الحقيقة ﴿ وهو اعلم بالمهتدين ﴾ الفائزين بكمال العقل ﴿ فلا تطع المكذبين ﴾ تهييج للتصميم على معاصاتهم ﴿ ودوا لو تدهن ﴾ تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا ﴿ فيدهنون ﴾ فيلاينونك بترك الطعن

عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد فى رواية ويجيب اذا دعى * وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له اخرجه الترمذى (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شئ قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد فى سبيل الله تعالى (ق) عن انس قال كنت امشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مرلى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء (ق) عنه رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لى اخ يقال له ابا عمير وكان فطيما كان اذا جاءنا قال يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به * النغير طائر صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فى بيته قالت كان يكون فى مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة * المهنة الخدمة * عن عبد الله ابن الحرث بن جزء قال ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذى * قوله تعالى ﴿ فستبصر ﴾ اى يا محمد ﴿ ويبصرون ﴾ يعنى اهل مكة اذا نزل بهم العذاب ﴿ بأيكم المفتون ﴾ قال ابن عباس معناه بأيكم المجنون وقيل الباء بمعنى فى معناه فستبصر ويبصرون فى اى الفريقين المجنون فى فريقك او فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذى فتن بالجنون ﴿ ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ﴾ معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدى والمجنون والعاقل ﴿ فلا تطع المكذبين ﴾ يعنى مشركى مكة وذلك انهم دعوه الى دين آبائه فنهاه الله ان يطيعهم ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ اصل الادهان

ووعيد لهم (بايكم المفتون) المجنون لانه فتن اى محن بالجنون والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول اى بايكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى فى تقول كنت ببلد كذا اى فى بلد كذا وتقديره فى ايكم المفتون اى فى اى الفريقين منكم المجنون فريق الاسلام اوفريق الكفر (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) اى هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو اعلم بالمهتدين) اى هو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم وقد ارادوا ان يعبدوا الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (ودوا لو تدهن) لو تلين لهم (فيدهنون)

بضم الخاء واللام (فستبصر ويبصرون) فسترى وتعلم ويرون ويعلمون عند نزول العذاب بهم (بأيكم المفتون) المجنون (ان ربك) يا محمد (هو اعلم بمن ضل عن سبيله) عن دينه وهو ابو جهل واصحابه (وهو اعلم بالمهتدين) لدينه وهو ابو بكر واصحابه (فلا تطع) يا محمد (المكذبين) بالله والكتاب والرسول يعنى رؤساء اهل مكة (ودوا) تمنوا (لو تدهن فيدهنون) تلين لهم (للين)

من قومك مالا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خلقه فقالت كان

الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الى ولا ارضى عندى منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من اوامر الله وينتهى عنه من مناهى الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذى امرك الله به فى القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل فى فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

من ذلك ما روى جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس * عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم اخرجه ابو داود * وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن ابى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شئ اثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذى اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وله عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الى الله واقربكم منى مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا (ق) عن البراء رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا (ق) عن انس رضى الله عنه قال خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لى اف قط ولا قال لشئ لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا * زاد الترمذى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله

فى قوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن اى ما فيه من مكارم الاخلاق وانما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما

دين كريم شريف على الله ويقال على منة عظيمة وهى الاخلاق الحسنة التى اكرمه الله بها ان قرأت

من كتب وما موصولة او مصدرية وجواب القسم (ما انت بنعمة ربك) اى بانعامه عليك بالنبوة وغيرها فانت اسم ما وخبرها (بمجنون) وبنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء فى بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفى وهو جواب يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون (وان لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع او غير ممنون عليك به (وانك لعلى خلق عظيم) قيل هو ما امره الله تعالى به

﴿ وما يسطرون ﴾ مايكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولى العلم لاقامته مقامهم اولاصحابه اوللحفظة وما مصدرية اوموصولة ﴿ ما انت بنعمة ربك بمجنون ﴾ جواب للقسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل مجنون والباء لاتمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى ﴿ وان لك لاجرا ﴾ على الاحتمال اوالابلاغ ﴿ غير ممنون ﴾ مقطوع اوممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ اذ تحمل

﴿ وما يسطرون ﴾ اى وما يكتب الحفظة من اعمال بنى آدم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع فى وما يسطرون للتعظيم لا للجمع ﴿ ما انت ﴾ يا محمد ﴿ بنعمة ربك بمجنون ﴾ هذا جواب القسم اقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفى حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين فى قولهم انك لمجنون ﴿ وان لك لاجرا غير ممنون ﴾ اى غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد * عبس كواسب مايمن طعامها * اى ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل فى معنى الآية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك اجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم اجرا عظيما فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذى قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وافعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة * وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة فى صاحبه ويدخل فى حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد فى المعاملات ويستعمل فى حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل فى جميع (الامور)

اقسم الله به (ومايسطرون) واقسم الله بما تكتب الملائكة من اعمال بنى آدم (ما انت) يا محمد (بنعمة ربك) بالنبوة والاسلام (بمجنون) بمختنق ولهذا كان القسم (وان لك) يا محمد (لاجرا) ثوابا فى الجنة بالنبوة والاسلام (غير ممنون) غير منقوص ولا مكدر ولا يمن عليك بذلك (وانك) يا محمد (لعلى خلق عظيم) على

عليه الارض او الدواة فان بعض الحيوان يستخرج منه شئ اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحروف ﴿ والقلم ﴾ هو الذى خط اللوح او الذى يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كص

اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل ليوثا وقيل لوثيا وعن على بلهوت * قال اصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع ارضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من اعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخاره فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه فتكن فى صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كونى فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدرى ما على ظهرك يا ليوثا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم عن ظهرك فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذى نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس ايضا ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بى اليهم * القت النون بالدمع السجام

اراد بالنون الدواة وعن ابن عباس ايضا ان نونا حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للصورة ﴿ والقلم ﴾ هو القلم الذى كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال اول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجرى الناس على امر قد فرغ منه

هذا الحرف من حروف المعجم واما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذى عليه الارض واسمه بهموت فمشكل لانه لابد له من الاعراب سواء كان اسم جنس او اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف المعجم (والقلم) اى ما كتب به اللوح او قلم الملائكة او الذى يكتب به الناس اقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط

التى تحمل الارضين على ظهرها وهى فى الماء وتحتها الثور وتحت الثور الصخرة وتحت الصخرة الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله واسم السمكة ليواش ويقال لوتياء واسم الثور بهموت وقال بعضهم تلهوت ويقال ليوثا وذلك الحوت فى بحر يقال له عضواص وهو كالثور الصغير فى البحر العظيم وذلك البحر فى صخرة جوفاء وفى تلك الصخرة اربعة آلاف خرق منها خرق يخرج المياه الى الارض ويقال هو اسم من اسماء الرب وهو نون الرحمن ويقال النون هو الدواة (والقلم) اقسم الله بالقلم وهو قلم من نور طوله ما بين السماء

الى الارض وهو الذى كتب به الذكر الحكيم يعنى اللوح المحفوظ ويقال القلم هو ملك من الملائكة

الى الجنة او رحم بالنصرة عليكم كما نرجو فانتم ماتصنعون من مجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه (قل هو الرحمن) اي الذي ادعوكم اليه الرحمن (آمنا به) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) فوضنا اليه امورنا (فستعلمون) اذ نزل بكم العذاب وبلاء على (من هو فى ضلال مبين) نحن ام انتم (قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا) غائرا ذاهبا فى الارض لاتناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل (فمن يأتيكم بماء معين) جار يصل اليه من اراده وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول والمعن فذهب ماء عينه فى تلك الليلة وعمى وقيل انه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة

﴿سورة ن مكية وهى اثنتان وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) الظاهر ان المراد به

وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون ﴿قل هو الرحمن﴾ الذى ادعوكم اليه مولى النعم كلها ﴿آمنا به﴾ للعلم بذلك ﴿وعليه توكلنا﴾ للوثوق عليه وللعلم بان غيره بالذات لايضر ولاينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به ﴿فستعلمون من هو فى ضلال مبين﴾ منا ومنكم وقرأ الكسائى بالياء ﴿قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا﴾ غائرا فى الارض بحيث لاتناله الدلاء مصدر وصف به ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ جار او ظاهر سهل المأخذ * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الملك فكأنما احيى ليلة القدر

﴿سورة ن مكية وآيها ثنتان وخمسون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ن﴾ من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او اليهموت وهو الذى

الآية قل ارأيتم ان اهلكني الله اى فعذبني ومن معى او رحمنا اى فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون ان يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم او يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس ﴿قل﴾ اى قل لهم فى انكارك عليهم وتوبيخك لهم ﴿هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ اى نحن آمنا به وعبدناه وانتم كفرتم به ﴿فستعلمون﴾ اى عند معاينة العذاب ﴿من هو فى ضلال مبين﴾ اى نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى ﴿قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم﴾ قيل يريد ماء زمزم وقيل غيرها من المياه ﴿غورا﴾ اى غائرا ذاهبا فى الارض لاتناله الايدى ولا الدلاء ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ اى ظاهر تراه العيون وتناله الايدى والدلاء وقال ابن عباس معين اى جار والمقصود من الآية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ماهم عليه من الكفر والمعنى اخبرونى ان صار ماؤكم ذاهبا فى الارض فمن يأتيكم بماء معين فلا بد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لايقدر على شئ اصلا شريكا له فى العبودية فهذا محال والله اعلم

﴿تفسير سورة ن مكية وهى اثنان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة﴾

﴿والف ومئتان وستة وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿ن﴾ قال ابن عباس هو الحوت الذى على ظهره الارض وعنه

(قل) لهم يا محمد (هو الرحمن) نجينا ورحمنا (آمنا به) صدقنا به (وعليه توكلنا) وثقنا (فستعلمون) عند نزول العذاب (من هو فى ضلال مبين) فى كفر بين (قل) لهم يا محمد (ارأيتم) ما تقولون يا اهل مكة (ان اصبح ماؤكم) صار ماؤكم ماء زمزم (غورا) غائرا فى الارض لاتناله الدلاء (فمن يأتيكم بماء معين) ظاهر تناله الدلاء ويقال فمن يأتيكم بماء معين سوى خالق النون والقلم ﴿ومن السورة التى يذكر (اول) فيها ن وهى كلها مكية آياتها اثنتان وخمسون آية وكلماتها ثلاثمائة وحروفها الف ومئتان وستة وخمسون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ن) يقول اقسم الله بالنون وهى السمكة

(قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض واليه تحشرون) للحساب والجزاء (ويقولون) اى الكافرون للمؤمنين استهزاء (متى هذا الوعد) الذى تعدوننا به يعنى العذاب (ان كنتم صادقين) فى كونه فاعلمونا زمانه (قل انما العلم) اى علم وقت العذاب (عندالله وانما انا نذير) مخوف (مبين) ابين لكم الشرائع (فلما رأوه) اى الوعد يعنى العذاب الموعود (زلفة) قريبا منهم وانتصابها على الحال (سيئت وجوه الذين كفروا) اى ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكآبة والمساءة وغشيتها القترة والسواد (وقيل هذا الذى) القائلون الزبانية (كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء اى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا او هو من الدعوى اى كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قل ارأيتم ان اهلكنى الله) اى اماتنى الله كقوله ان امرؤ هلك (ومن معى) من اصحابى (او رحمنا) او اخر فى آجالنا (فمن يجير) ينجى (الكافرين من عذاب اليم) مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب

﴿ قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون ﴾ للجزاء ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ اى الحشر وماوعدوا من الخسف والحاصب ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعنون النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿ قل انما العلم ﴾ اى علم وقته ﴿ عندالله ﴾ لايطلع عليه غيره ﴿ وانما انا نذير مبين ﴾ والانذار يكفى له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه ﴿ فلما رأوه ﴾ اى الوعد فانه بمعنى الموعود ﴿ زلفة ﴾ اى ذا زلفة اى قرب منهم ﴿ سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب ﴿ وقيل هذا الذى كنتم به تدعون ﴾ تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء اوتدعون ان لابعث لهم فهو من الدعوى ﴿ قل أرأيتم ان اهلكنى الله ﴾ اماتنى ﴿ ومن معى ﴾ من المؤمنين ﴿ او رحمنا ﴾ بتأخير آجالنا ﴿ فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ﴾ اى لاينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا

﴿ قل هو الذى ذرأكم ﴾ اى خلقكم وبثكم ﴿ فى الارض واليه تحشرون ﴾ اى يوم القيامة والمعنى ان القادر على الابداء قادر على الاعادة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ هذا سؤال يحتمل وجهين احدهما انه سؤال عن نزول العذاب بهم والثانى انه سؤال عن يوم القيامة فأجاب الله عن ذلك بقوله ﴿ قل انما العلم عندالله وانما انا نذير مبين ﴾ امره باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحى اليه ﴿ فلما رأوه ﴾ يعنى العذاب فى الآخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعنى العذاب ببدر ﴿ زلفة ﴾ اى قريبا ﴿ سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ اى اسودت وعلتها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد ﴿ وقيل ﴾ لهم اى وقالت لهم الخزنة ﴿ هذا الذى كنتم به تدعون ﴾ من الدعاء اى تتمنون وتطلبون ان يعجله لكم وقيل من الدعوى اى تدعون انه باطل ﴿ قل ﴾ يامحمد لمشركى مكة الذين يتمنون هلاكك ﴿ ارأيتم ان اهلكنى الله ومن معى ﴾ اى من المؤمنين ﴿ او رحمنا ﴾ اى فابقانا واخر فى آجالنا ﴿ فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ﴾ اى انه واقع بهم لا محالة وقيل فى معنى

(قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض)من آدم وآدم من تراب والتراب من الارض (واليه تحشرون) فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم (ويقولون) يعنى كفار مكة (متى هذا الوعد) الذى تعدنا (ان كنتم صادقين) ﴿ قا و خا ٤١ س ﴾ ان كنت من الصادقين ان يكون ذلك (قل) لهم يامحمد (انما العلم)علم قيام الساعة ونزول العذاب (عندالله وانما انا نذير) رسول مخوف (مبين) بلغة تعلمونها (فلما رأوه) يعنى العذاب فى النار (زلفة)قريبا ويقال معاينة (سيئت) ساء العذاب (وجوه الذين كفروا) ويقال احرقت وجوه الذين كفروا (وقيل) لهم (هذا) العذاب (الذى كنتم به)فى الدنيا (تدعون) تسألون وتقولون انه لا يكون (قل ارأيتم) يا اهل مكة (ان اهلكنى الله) بالعذاب (ومن معى) من المؤمنين (او رحمنا) من العذاب يقول غفرلنا فلم يعذبنا وهو الذى يرحمنا ويهلكنا (فمن يجير الكافرين من عذاب اليم) وجميع

ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا اضرب عنهم فقال (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) استكبار عن الحق (ونفور) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (افمن يمشى مكبا على وجهه) اى ساقط على وجهه يعثر كل ساعة و يمشى معتسفا وخبر من (اهدى) ارشدوا كب مطاوع كبه

فاكب (امن يمشى سويا) مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور (على صراط مستقيم) على طريق مستو وخبر من محذوف لدلالة اهدى عليه وعن الكلبى يعنى بالمكب ابا جهل و بالسوى النبى عليه السلام (قل هو الذى انشأكم) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصها لانها آلات العلم (قليلا ما تشكرون) هذه النعم لانكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم

وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم ﴿بل لجوا﴾ تمادوا ﴿فى عتو﴾ فى عناد ﴿ونفور﴾ وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه ﴿افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى﴾ يقال كببته فاكب وهو من النوادر كقشع الله السحاب فأقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا بمطاوعى كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لو عورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله ﴿امن يمشى سويا﴾ قائما سالما من العثار ﴿على صراط مستقيم﴾ مستوى الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما فى الكب من الدلالة على حال المسالك للاشعار بان ما عليه المشرك لايستأهل ان يسمى طريقا كمشى المتعسف فى مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة ﴿قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع﴾ لتسمعوا المواعظ ﴿والابصار﴾ لتنظروا صنائعه ﴿والافئدة﴾ لتتفكروا وتعتبروا ﴿قليلا ماتشكرون﴾ باستعمالها فيما خلقت لاجلها

﴿بل لجوا﴾ اى تمادوا ﴿فى عتو﴾ اى نبو وتكبر ﴿ونفور﴾ اى تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال تعالى ﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه﴾ اى كابا رأسه فى الضلالة والجهالة عمى القلب والعين لايبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب على الكفر والمعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة ﴿اهدى﴾ اى هو اهدى ﴿امن يمشى سويا﴾ اى قائما معتدلا يبصر الطريق ﴿على صراط مستقيم﴾ يعنى المؤمن يمشى يوم القيامة سويا ﴿قل هو الذى انشأكم﴾ اى خلقكم ﴿وجعل لكم السمع والابصار والافئدة﴾ يعنى انه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تأملتم ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها فى غير ما خلقت له فلهذا قال ﴿قليلا ما تشكرون﴾ وذلك لان شكر نعم الله صرفها فى وجه مرضاته فلما صرفتموها فى غير مرضاته فكانكم ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها

ذا الذى يرزقكم (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) فى اباء عن الحق (ونفور) تباعد عن الايمان (أفمن يمشى مكبا على وجهه) ناكسا على ضلالته وكفره وهو ابو جهل بن هشام (أهدى) اصوب دينا (أمن يمشى سويا) عادلا (على صراط مستقيم) دين قائم برضاه وهو الاسلام يعنى محمدا عليه السلام (قل) (قل هو الذى انشأكم) خلقكم (وجعل لكم السمع) لكى تسمعوا به الحق والهدى (والابصار) لكى تبصروا به الحق والهدى (والافئدة) يعنى القلوب لكى تعقلوا بها الحق والهدى (قليلا ما تشكرون) يقول شكركم فيما صنع اليكم قليل ويقال ما تشكرون بقليل ولا بكثير

(اولم يروا الى الطير) جمع طائر (فوقهم) فى الهواء (صافات) باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانهن (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى اى يصففن ويقبضن اوصافات وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار ان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والهواء للطائر كالماء للسابح والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن) عن الوقوع عند القبض والبسط (الا الرحمن) بقدرته والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو امسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك وما يمسكهن مستأنف وان جعل حالا من الضمير فى يقبضن يجوز (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (امن) مبتدأ خبره (هذا) ويبدل من هذا (الذى هو جند لكم) ومحل (ينصركم من دون الرحمن) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار اليه بالنصر غير الله تعالى (ان الكافرون الا فى غرور) اى ماهم الا فى غرور (امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه) ام من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم

عليه الصلاة والسلام وتهديد لقومه المشركين ﴿اولم يروا الى الطير فوقهم صافات﴾ باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ﴿ويقبضن﴾ ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحريك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصيل فى الطيران والطارئ عليه ﴿ما يمسكهن﴾ فى الجو على خلاف الطبع ﴿الا الرحمن﴾ الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على اشكال وخصائص وهيأتهن للجرى فى الهواء ﴿انه بكل شئ بصير﴾ يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب ﴿امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم تنظروا فى امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف و ارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ﴿ان الكافرون الا فى غرور﴾ لامعتمد لهم ﴿امن هذا الذى يرزقكم﴾ ام من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ﴿ان امسك رزقه﴾ بامساك المطر

﴿اولم يروا الى الطير فوقهم صافات﴾ اى باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها ﴿ويقبضن﴾ اى يضممن اجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط ﴿ما يمسكهن﴾ اى حال القبض والبسط ﴿الا الرحمن﴾ والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها فى الجو الا بامساك الله عز وجل اياها وحفظه لها ﴿انه بكل شئ بصير﴾ يعنى انه تعالى لاتخفى عليه خافية ﴿أمن هذا الذى هو جند لكم﴾ استفهام انكار اى لاجند لكم ﴿ينصركم﴾ اى يمنعكم ﴿من دون الرحمن﴾ اى من عذاب الله قال ابن عباس اى من ينصركم منى ان اردت عذابكم ﴿ان الكافرون الا فى غرور﴾ اى من الشيطان يغرهم ان العذاب لا ينزل بهم ﴿أمن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه﴾ يعنى من ذا الذى يرزقكم المطر ان امسكه الله عنكم

(أولم يروا) كفار مكة (الى الطير فوقهم) فوق رؤسهم (صافات) مفتوحات الاجنحة (ويقبضن) يضممن (ما يمسكهن) بعد البسط (الا الرحمن انه بكل شئ) من البسط والقبض (بصير أمن هذا الذى هو جند لكم) منعة لكم (ينصركم) يمنعكم (من دون الرحمن) من عذاب الرحمن (ان الكافرون) ما الكافرون (الا فى غرور) فى اباطيل الدنيا وغرورها (أمن هذا الذى) هو (يرزقكم) من السماء بالمطر والارض بالنبات (ان أمسك رزقه) فمن

المشي فيها (فامشوا في مناكبها) جوانبها استدلالا واسترزاقا اوجبالها او طرقها (وكلوا من رزقه) اي من رزق الله فيها (واليه النشور) اي واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما انعم به عليكم (أأمنتم من في السماء) اي من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه او لانهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم امنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال

عن المكان (ان يخسف بكم الارض) كما خسف بقارون (فاذا هي تمور) تضطرب وتتحرك (أم امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا) حجارة ان يرسل بدل من بدل الاشتمال وكذا ان يخسف (فستعلمون كيف نذير) اي اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك (فكيف كان نكير) اي انكاري عليهم اذا هلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وارسال الحاصب بقوله

﴿ فامشوا في مناكبها ﴾ في جوانبها وجبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشى في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ والتمسوا من نعم الله ﴿ واليه النشور ﴾ المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم به عليكم ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾ يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم والله تعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير برواية قنبل وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ماقبلها والبزي آمنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس ﴿ ان يخسف بكم الارض ﴾ فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال ﴿ فاذا هي تمور ﴾ تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ﴿ ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ﴾ ان يمطر عليكم حصباء ﴿ فستعلمون كيف نذير ﴾ كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ﴾ انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول

﴿ فامشوا في مناكبها ﴾ امر اباحة وكذا قوله ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو ابلغ التذليل وكلوا من رزقه اي مما خلقه الله لكم في الارض ﴿ واليه النشور ﴾ اي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾ قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء ان عصيتموه ﴿ ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ﴾ اي تتحرك باهلها وقيل تهوي بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى اسفل وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم اي تجيء وتذهب ﴿ أم امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ﴾ يعني ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط ﴿ فستعلمون ﴾ اي عند الموت في الآخرة ﴿ كيف نذير ﴾ اي انذاري اذا عاينتم العذاب ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم ﴾ اي من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية ﴿ فكيف كان نكير ﴾ اي انكاري عليهم اليس وجدوا العذاب حقا * قوله عز وجل

ليناليها بالجبال (فامشوا في مناكبها) امضوا وهزوا في نواحيها واطرافها ويقال طرقها ويقال في جبالها وآكامها وفجاجها (وكلوا من رزقه) تأكلون من رزقه (واليه النشور) المرجع في الآخرة (أأمنتم) يا اهل مكة اذ عصيتموه (من في السماء) عذاب من في السماء على العرش (أن يخسف بكم (اوثم) الارض) ان يغور بكم الارض (فاذا هي تمور) تدور بكم الى الارض السابعة السفلى كما خسف بقارون (أم أمنتم من في السماء) عذاب من في السماء على العرش اذ عصيتموه (أن يرسل عليكم حاصبا) حجارة كما ارسل على قوم لوط (فستعلمون كيف نذير) كيف تغييري عليكم بالعذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك يا محمد (فكيف كان نكير) انظر كيف كان تغييري عليهم بالعذاب

الرسل (فسحقا لاصحاب السعير) وبضم الحاء يزيد وعلى فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا او جحدوا فان ذلك لاينفعهم وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (واجر كبير) اى الجنة (واسروا قولكم اوجهروا به) ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم فى علم الله بهما روى ان مشركى مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بماقالوه فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم اسرواقولكم لئلا يسمع اله محمد فنزلت ثم علله بقوله (انه عليم بذات الصدور) ﴿٣١٧﴾ اى بضمائرها قبل ان ﴿سورة الملك﴾ تترجم الالسنة عنها فكيف لايعلم ماتكلم به (ألا يعلم من خلق) من فى موضع رفع بانه فاعل يعلم (وهو اللطيف الخبير) انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والجهر من خلقها وصفته انه اللطيف اى العالم بدقائق الاشياء الخبير العالم بحقائق الاشياء وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خالق افعال العباد وقال ابو بكر بن الاصم وجعفر ابن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتالا بهذا لنفى خالق الافعال (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة سهلة مذللة لا تمنع بشركهم (فسحقا) فبعدا من رحمة الله ونكسا (لاصحاب السعير) لاهل الوقود فى النار اليوم

﴿ فسحقا لاصحاب السعير ﴾ فاسحقهم الله سحقا اى ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائى بالتثقيل ﴿ ان الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه اوعن اعين الناس او بالمخفى عنهم وهو قلوبهم ﴿ لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ واجر كبير ﴾ تصغر دونه لذائذ الدنيا ﴿ واسروا قولكم اواجهروا به انه عليم بذات الصدور ﴾ بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا وجهرا ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ الا يعلم السر والجهر من او جدالاشياء حسبما قدرته حكمته ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ المتوصل علمه الى ماظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روى ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبرالله بها رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم ﴿ هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ﴾ لينة ليسهل لكم السلوك فيها

نزل الله من شئ ﴿ فسحقا ﴾ اى بعدا ﴿ لاصحاب السعير ﴾ * قوله عز وجل ﴿ ان الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ اى يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنوا به خوفا من عذابه ﴿ لهم مغفرة ﴾ اى لذنوبهم ﴿ واجر كبير ﴾ يعنى جزاء اعمالهم الصالحة ﴿ واسروا قولكم اواجهروا به ﴾ قال ابن عباس نزلت فى المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بماقالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كى لايسمع اله محمد فاخبره الله انه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى ﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ ثم اكد ذلك بقوله تعالى ﴿ ألايعلم من خلق ﴾ يعنى الا يعلم من خلق مخلوقه وقيل الا يعلم الله من خالق والمعنى الا يعلم الله ما فى صدور من خلق ﴿ وهو اللطيف ﴾ اى باستخراج ما فى الصدور ﴿ الخبير ﴾ بما فيها من السر والوسوسة * قوله تعالى ﴿ هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ﴾ الذلول المنقاد من كل شئ والمعنى جعلها لكم سهلة لايمتنع المشى فيها لحزونتها وغلظها

(ان الذين يخشون ربهم) يعملون لربهم (بالغيب) وان لم يروه (لهم مغفرة) لذنوبهم فى الدنيا (واجر كبير) ثواب عظيم فى الجنة (واسروا قولكم) فى محمد عليه السلام بالمكر والخيانة (اواجهروا به) اواعلنوا به بالحرب والقتال (انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب من الخير والشر (ألايعلم) السر (من خلق) السر (وهو اللطيف) لطف علمه بما فى القلوب (الخبير) بما فيها من الخير والشر ويقال علمه نافذ بكل شى من الخير والشر الخبير بهما (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) مذللا

(كلما القى فيها فوج) جماعة من الكفار (سألهم خزنتها) مالك واعوانه من الزبانية توبيخا لهم (الم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قالوا بلى قد جاءنا نذير) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى ازاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه (فكذبنا) اى فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شئ) مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك (ان انتم الا فى ضلال كبير) اى قال الكفار للمنذرين ما انتم الا فى خطا عظيم فالنذير بمعنى الانذار ثم وصف به منذروهم لغلوهم فى الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وجاز ان يكون هذا كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك او سموا جزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة فى علم البيان او كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اى قالوا لنا هذا فلم نقبله (وقالوا لو كنا نسمع) الانذار سماع طالب الحق (او نعقل) عقل متأمل (ما كنا فى اصحاب السعير) فى جملة اهل النار وفيه دليل على ان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل وانهما حجتان ملزمتان (فاعترفوا بذنبهم) بكفرهم فى تكذيبهم

ويجوز ان يراد غيظ الزبانية ﴿كلما القى فيها فوج﴾ جماعة من الكفرة ﴿سألهم خزنتها الم يأتكم نذير﴾ يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت ﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير﴾ اى فكذبنا الرسل وافرطنا فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل اومصدر مقدر بمضاف اى اهل انذار اومنعوت به للمبالغة اوالواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل اوعلى ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا اوعقابه الذى يكونون فيه ﴿وقالوا لو كنا نسمع﴾ كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على مالاح من صدقهم بالمعجزات ﴿او نعقل﴾ فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ﴿ما كنا فى اصحاب السعير﴾ فى عدادهم ومن جملتهم ﴿فاعترفوا بذنبهم﴾ حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر اوالمراد به الكفر

﴿كلما القى فيها فوج﴾ اى جماعة ﴿سألهم خزنتها﴾ يعنى سؤال توبيخ وتقريع ﴿الم يأتكم نذير﴾ اى رسول ينذركم ﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا﴾ يعنى للرسول ﴿ما نزل الله من شئ﴾ وهذا اعتراف منهم بانه ازاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شئ ﴿ان انتم الا فى ضلال كبير﴾ فيه وجهان احدهما وهو الاظهر انه من جملة قول الكفار للرسل والثانى يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم فى الدنيا فى ضلال كبير ﴿وقالوا لو كنا نسمع﴾ اى من الرسل ما جاؤا به ﴿او نعقل﴾ اى نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل به ﴿ما كنا فى اصحاب السعير﴾ وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعى ونعقل عقل من يميز وينظر ونتفكر ما كنا فى اصحاب السعير ﴿فاعترفوا بذنبهم﴾ هو فى معنى الجمع اى بتكذيبهم الرسل وقولهم ما

(كلما ألقى فيها) طرح فى جهنم (فوج) جماعة من الكفار يعنى اليهود والنصارى والمجوس وسائر الكفار (سألهم خزنتها) يعنى خزنة النار (ألم يأتكم نذير) رسول مخوف (قالوا بلى قد جاءنا (نزل) نذير) رسول مخوف (فكذبنا) الرسل (وقلنا ما نزل الله من شئ) من كتاب ولا بعث الينا رسولا (ان أنتم) وقلنا للرسل ما انتم (الا فى ضلال كبير) فى خطا عظيم الشرك بالله ويقال تقول لهم الزبانية ان انتم ما انتم فى الدنيا الا فى ضلال كبير فى خطا عظيم الشرك بالله (وقالوا) للخزنة (لو كنا نسمع) نستمع الى الحق والهدى (ونعقل) او نرغب فى الحق فى الدنيا (ما كنا فى اصحاب السعير) مع اهل الوقود فى النار اليوم (فاعترفوا بذنبهم) فاقروا

(بمصابيح) بكواكب مضيئة كاضاءة الصبح بمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم
بإيقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي تجتمعون فيها بمصابيح اي باي مصابيح (أو زيناها بمصابيح لكم اضاءة) (وجعلناها
رجوما للشياطين) اي لاعدائكم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء
ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم جمع رجم وهو
مصدر سمي به ما يرجم به ويعني كونها رجوما للشياطين ان ينفصل عنها
شهب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجني او يخبله لان الكواكب لا تزول عن اماكنها لانها قارة في الفلك على حالها (واعتدنا لهم) للشياطين (عذاب السعير) في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا (وللذين كفروا بربهم) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومين مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع جهنم (اذا القوا فيها) طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحمير شبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهي تفور) تغلي بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز) اي تتميز
أي تتقطع وتتفرق من الغيظ على الكفار جعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم

الى الارض ﴿بمصابيح﴾ بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك
كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين بظهورها عليها والتنكير
للتعظيم ﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾ وجعلنا لها فائدة اخرى وهي رجم
اعدائكم بانقضاض الشهب لمسترقة السمع وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما
لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به
﴿واعتدنا لهم عذاب السعير﴾ في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا ﴿وللذين
كفروا بربهم﴾ من الشياطين وغيرهم ﴿عذاب جهنم وبئس المصير﴾ وقرئ
بالنصب على وللذين عطف على لهم وعذاب عطف على عذاب السعير ﴿اذا القوا فيها
سمعوا لها شهيقا﴾ صوتا كصوت الحمير ﴿وهي تفور﴾ تغلي بهم غليان المرجل
بما فيه ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم

﴿بمصابيح﴾ أي بالكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهي اعلام الكواكب وقال ابن
عباس النجوم لها نور قيل خلق الله النجوم لثلاث زينة السماء وعلامات يهتدى بها في
ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى ﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾
قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب
زينة السماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع
بين هاتين الحالتين قلت قالوا ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز
ان تنفصل من الكواكب شعلة وترمى الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهب ومثلها
مثل قبس يؤخذ من النار وهي على حالها ﴿واعتدنا لهم﴾ اي واعتدنا للشياطين
بعد الاحراق في الدنيا ﴿عذاب السعير﴾ اي في الآخرة وهي النار الموقدة ﴿وللذين
كفروا بربهم﴾ اي ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من الانس
والجن ﴿عذاب جهنم وبئس المصير﴾ ثم وصف جهنم فقال تعالى ﴿اذا القوا فيها
سمعوا لها شهيقا﴾ هو اول صوت نهيق الحمار وذلك اقبح الاصوات ﴿وهي تفور﴾
اي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل
﴿تكاد تميز﴾ اي تتقطع ﴿من الغيظ﴾ من غضبها عليهم

(بمصابيح) بالنجوم (وجعلناها) يعني النجوم (رجوما) رجوما للشياطين يرجمون بها فبعضهم يقتل وبعضهم
يحرق (واعتدنا لهم) للشياطين في الآخرة (عذاب السعير) الوقود (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير)
صاروا اليه جهنم (اذا القوا فيها) طرحوا في جهنم امة من الامم يدخلونها يعني اليهود والنصارى والمجوس ومشركي
العرب (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتا كصوت الحمار (وهي تفور) تغلي (تكاد تميز) تتفرق (من الغيظ) على الكفار

مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب فى (ماترى فى خلق الرحمن) للرسول ولكل مخاطب (من تفاوت) تفوت حمزة وعلى ومعنى البناءين واحد كالتعاهد والتعهد اى من اختلاف واضطراب وعن السدى من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباق واصلها ماترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (فارجع البصر) رده الى السماء حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة فلاتبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق (ثم ارجع البصر كرتين) كرر النظر مرتين اى كرتين مع الاولى وقيل سوى الاولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على مرتين بل اراد به التكرير بكثرة اى كرر نظرك و دققه هل ترى خللا او عيبا وجواب الامر (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) ذليلا او بعيدا مما تريد وهو حال من البصر (وهو حسير) كليل معى ولم تر فيها خللا (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى اى السماء الدنيا منكم (بمصابيح)

مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طبقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال وطبقة كرحبة ورحاب ﴿ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ﴾ وقرأ حمزة والكسائى من تفوت ومعناهما واحد كالتعهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض مافى الآخر والجملة صفة ثانية لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان فى ابداعها نعما جليلة لاتحصى والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وقوله ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ متعلق به على معنى التسبب اى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ماينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ اى رجعتين اخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ﴿ ينقلب اليك البصر خاسئا ﴾ بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار ﴿ وهو حسير ﴾ كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا ﴾ اقرب السموات

بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر او قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء ومابين السماء السابعة الى الحجب السبعة صحار من نور ﴿ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ﴾ اى ماترى يا ابن آدم فى شئ مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولا تناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية ﴿ فارجع البصر ﴾ اى كرر النظر ﴿ هل ترى من فطور ﴾ اى شقوق وصدوع ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ قال ابن عباس مرة بعد مرة ﴿ ينقلب ﴾ اى ينصرف ﴿ اليك ﴾ فيرجع ﴿ البصر خاسئا ﴾ اى صاغرا ذليلا مبعدا لم ير مايهوى ﴿ وهو حسير ﴾ اى كليل منقطع لم يدرك ما طلب ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا ﴾ اى القربى من الارض وهى التى يراها الناس

مطبقة بعضها على بعض مثل القبة ملتزقة اطرافها (ماترى) يامحمد (فى خلق الرحمن) فى خلق السموات (من تفاوت) من اعوجاج (فارجع البصر) رد البصر بالنظر الى السماء (هل ترى من فطور) من شقوق وصدوع وعيوب وخلل (ثم ارجع البصر) رد البصر الى السماء وتفكر بالنظر الى السماء (كرتين) مرتين (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) صاغرا ذليلا قبل ان ترى شيأ (وهو حسير) عى كليل منقطع (ولقد زينا السماء الدنيا) الاولى

خلق الموت) خبر مبتدأ محذوف او بدل من الذى قبله (والحيوة) اى ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم بامره ونهيه فيما بين الموت الذى يعم الامير والاسير والحياة التى لاتفى بعليل ولاطبيب فيظهر منكم ما علم انه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم (ايكم) مبتدأ وخبره (احسن عملا) اى اخلصه واصوبه فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة والمراد انه اعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح فما وراءه الا البعث والجزاء الذى لابد منه وقدم الموت على الحياة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى المسوق له الآية اهم ولما قدم الموت الذى هو اثر صفة القهر على الحياة التى هى اثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله (وهو العزيز) اى الغالب الذى لا يعجزه من اساء العمل (الغفور) الستور الذى لاييأس منه اهل الاساءة والزلل (الذى خلق سبع سموات طباقا)

خلق الموت والحيوة ﴾ قدرهما او اوجد الحياة و ازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ﴿ ليبلوكم ﴾ ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ﴿ ايكم احسن عملا ﴾ اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا الفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب الذى لايعجزه من اساء العمل ﴿ الغفور ﴾ لمن تاب منهم ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ﴾ مطابقة بعضها فوق بعض

خلق الموت والحيوة ﴾ قيل اراد موت الانسان وحياته فى الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه اقدم وذلك لان الاشياء كانت فى الابتداء فى حكم الموتى كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لايمر بشئ ولايجد ريحه شئ الامات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء يركبونها لاتمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حيي وهى التى اخذ السامرى قبضة من اثرها فالقاها فى العجل فخار وحيي وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهى القوة الحساسة مع وجود الروح فى الجسد وبه سمى الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف فى هذه الدار وحال المجازاة فى دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم احد فى الدنيا ولم يصل اليه الثواب فى الآخرة ﴿ ليبلوكم ﴾ اى ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت ﴿ ايكم احسن عملا ﴾ روى عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد فى الدنيا ﴿ وهو العزيز ﴾ اى الغالب المنتقم ممن عصاه ﴿ الغفور ﴾ اى لمن تاب اليه ورجع عن اساءته * قوله تعالى ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ﴾ يعنى طبقا على طبق

خلق الموت) شبه كبش املح (قا و خا ٤٠ س) لايمر على شئ ولايشم ريحه شئ ولايطأ على شئ حى الامات (والحيوة) وخلق الحياة شبه فرس بلقاء انثى لاتمر على شئ ولا يشم ريحها شئ ولا تطأ على شئ ولايطرح من اثرها على شئ الاحى وهى دابة دون البغل وفوق الحمار خطوها مد البصر يركبها الانبياء ويقال خلق الموت يعنى النطفة والحياة يعنى النسمة ويقال خلق الحياة والموت مقدم ومؤخر (ليبلوكم) ليختبركم بين الحياة والموت (أيكم أحسن عملا) اخلص عملا (وهو العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن به (الغفور) لمن تاب وآمن به (الذى خلق سبع سموات طباقا)

الجزء التاسع والعشرون

﴿ سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى قارئها وتنجيه ﴾
﴿ من عذاب القبر وآيها ثلاثون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ بقبضة قدرته التصرف فى الامور كلها ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ على كل ما يشاء قدير ﴿ الذى

﴿ تفسير سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاثون كلمة ﴾
﴿ والف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفا ﴾

عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ولابى داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها * عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائى على قبر انسان وانا لا احسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذى وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ اى له الامر والنهى والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ اى من الممكنات ﴿ الذى

(خلق)

﴿ سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعا من قرأها فى ليلة اكثر واطيب ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) اى بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء (وهو على كل شئ) من المقدورات او من الانعام والانتقام (قدير)قادر على الكمال (الذى

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الملك وهى كلها مكية آياتها ثلاثون وكلماتها ثلاثمائة وخمس وثلاثون وحروفها الف وثلاثمائة وثلاثة عشر ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (تبارك) يقول ذو بركة ويقال تعالى وتعظم وتقدس وارتفع وتبرأ عن الولد والشريك (الذى بيده الملك) ملك العز والذل وخزائن كل شئ (وهو على كل شئ) من العز والذل (قدير الذى

امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح
والله اعلم بمراده

هذين التمثيلين تعريض بامى المؤمنين المذكورتين فى اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشارة الى ان من حقهما ان يكونا فى الاخلاص كهاتين المؤمنتين وان لا يتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى الشدة والرخاء و يقال كانت من القانتين للذى تعالى وتعاظم

بقولها عندك (ونجنى من فرعون وعمله) اى من عمل فرعون اومن نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهوالكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عندالمحن والنوازل من سير الصالحين (ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها)من الرجال(فنفخنا) فنفخ جبريل بامرنا (فيه) فى الفرج(من روحنا) المخلوقة لنا(وصدقت بكلمات ربها) اى بصحفه التى انزلها على ادريس وغيره (وكتبه)بصرى و حفص يعنى الكتب الاربعة (وكانت من القانتين) لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخى موسى عليهما السلام ومثل حال المؤمنين فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيأ من ثوابهم وزلفاهم عندالله بحال امراة فرعون ومنزلتها عندالله مع كونها زوجة اعدى اعداءالله ومريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفى طى

درجات المقربين ﴿ ونجنى من فرعون وعمله ﴾ من نفسه الخبيثة وعمله السيء ﴿ ونجنى من القوم الظالمين ﴾ من القبط التابعين له فى الظلم ﴿ ومريم ابنت عمران ﴾ عطف على امراة فرعون تسلية للارامل ﴿ التى احصنت فرجها ﴾ من الرجال ﴿ فنفخنا فيه ﴾ فى فرجها وقرئ فيها اى فى مريم او الحمل ﴿ من روحنا ﴾ من روح خلقناه بلاتوسط اصل ﴿ وصدقت بكلمات ربها ﴾ بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه ﴿ وكتبه ﴾ وما كتب فى اللوح محفوظا اوجنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى و الانجيل ﴿ و كانت من القانتين ﴾ من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية * عن النبى عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم

لتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فابصرت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزعت روحها فالقيت الصخرة على جسد لاروح فيه ولم تجد الما وقيل رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهى تأكل وتشرب فيها ﴿ ونجنى من فرعون وعمله ﴾ يعنى وشركه وقال ابن عباس عمله يعنى جماعه ﴿ ونجنى من القوم الظالمين ﴾ يعنى الكافرين ﴿ ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها ﴾ اى عن الفواحش والمحصنة العفيفة ﴿ فنفخنا فيه ﴾ اى فى جيب درعها ولذلك ذكر الكناية ﴿ من روحنا ﴾ اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله ﴿ وصدقت بكلمات ربها ﴾ يعنى الشرائع التى شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على انبيائه ﴿ وكتبه ﴾ يعنى الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام ﴿ وكانت من القانتين ﴾ يعنى كانت من القوم القانتين اى مطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله * عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم

(ونجنى من فرعون) من دين فرعون (وعمله) عذابه (ونجنى من القوم الظالمين) الكافرين فلم يضرها كفر زوجها مع ايمانها واخلاصها (ابنة) (ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها) حفظت فرجها يعنى جيب درعها من الفواحش (فنفخنا فيه من روحنا) فنفخ جبريل فى جيب قميصها بامرنا فحملت بعيسى (وصدقت بكلمات ربها) بما قال لها جبريل انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا (وكتبه) وبكتبه التوراة و الانجيل وسائر الكتب ويقال بكلمات ربها بعيسى بن مريم ان يكون بكلمة من الله كن فصار مخلوقا وبكتابه الانجيل (وكانت من القانتين) من المطيعين

فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين) مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وان كان المؤمن الذي يتصل به ﴿٣٠٧﴾ الكافر نبيا بحال امرأة {سورة التحريم} نوح وامرأة لوط لما نافقتا

ولوط عليهما السلام ﴿ فخانتاهما ﴾ بالنفاق ﴿ فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ﴾ فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما ﴿ وقيل ﴾ اى لهما عند موتهما او يوم القيامة ﴿ ادخلا النار مع الداخلين ﴾ مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء عليهم السلام ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون ﴾ شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية رضى الله عنها ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله ﴿ اذ قالت ﴾ ظرف للمثل المحذوف ﴿ رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ﴾ قريبا من رحمتك اوفى اعلى

عليهما الصلاة والسلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم ﴿ فخانتاهما ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما مابغت امرأة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به احد اخبرت به الجبارة من قومها واما امرأة لوط فانها كانت تدل قومها على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل او قدت النار واذا نزل به ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها بذلك وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان ﴿ فلم يغنيا عنهما من الله شيأ ﴾ اى لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله ﴿ وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وانه لا ينفع العاصى طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذي يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيأ فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ويتكل على صلاح غيره وفى هذا المثل تعريض بامى المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده * ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان مطيعا وان وصلة المسلم بالكافر لا تضر المؤمن فقال تعالى ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون ﴾ يعنى آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها فى الشمس فكانت تعذب فى الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة ﴿ اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ﴾ فكشف الله لها عن بيتها فى الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة

وخانتا الرسولين بافشاء اسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما اى عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء اومع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) هى آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة (اذ قالت) وهى تعذب (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكانها ارادت الدرجة العالية لانه تعالى منزه عن المكان فعبرت عنها

(فخانتاهما) فخالفتاهما فى الدين واظهرتا الايمان باللسان واسرتا النفاق بالقلب ولم تخونا بالفجور لانه لم تفجر امرأة نبي قط

(فلم يغنيا عنهما) لم ينفعهما (من الله) من عذاب الله (شيأ) صلاح زوجيهما مع كفرهما (وقيل ادخلا النار) فى الآخرة (مع الداخلين) فى النار ثم حثهما على التوبة والاحسان بامرأة فرعون آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران فقال (وضرب الله مثلا) بين الله صفة (للذين آمنوا) بامرأتين مسلمتين (امرأت فرعون) آسية بنت مزاحم (اذ قالت) فى عذاب فرعون لها (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) لكى يهون على عذاب فرعون

بالاركان (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم) هذا على ماجرت به عادة الملوك من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ونصب (يوم) بيدخلكم (لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه) فيه تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر (نورهم) مبتدأ (يسعى بين ايديهم وبأيمانهم) فى موضع الخبر (يقولون ربنا اتمم لنا نورنا) يقولون ذلك اذا انطفأ نور المنافقين (واغفرلنا انك على كل شئ قدير يا ايها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ والوعظ البليغ وقيل باقامة الحدود (واغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان (ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين

﴿ عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء ﴿ يوم لايخزى الله النبي ﴾ ظرف ليدخلكم ﴿ والذين آمنوا معه ﴾ عطف على النبي عليه الصلاة والسلام احمادا لهم وتعريضا لمن ناوأهم وقيل مبتدأ خبره ﴿ نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم ﴾ اى على الصراط ﴿ يقولون ﴾ اذا طفئ نور المنافقين ﴿ ربنا اتمم لنا نورنا واغفرلنا انك على كل شئ قدير ﴾ وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا ﴿ يا ايها النبي جاهد الكفار ﴾ بالسيف ﴿ والمنافقين ﴾ بالحجة ﴿ واغلظ عليهم ﴾ واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه ﴿ ومأويهم جهنم وبئس المصير ﴾ جهنم او مأواهم ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط ﴾ مثل الله حالهم فى انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ﴾ يريد به تعظيم نوح

حسن * وقوله تعالى ﴿ عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم ﴾ هذا اطماع من الله تعالى لعباده فى قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لاوجوبا عليه ﴿ ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ اى لا يعذبهم بدخول النار ﴿ نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم ﴾ يعنى على الصراط ﴿ يقولون ربنا ﴾ يعنى اذا انطفأ نور المنافقين ﴿ اتمم لنا نورنا واغفرلنا انك على كل شئ قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ تقدم تفسيره * قوله تعالى ﴿ ضرب الله مثلا ﴾ اى بين شبها وحالا ﴿ للذين كفروا امرأت نوح ﴾ واسمها واعلة ﴿ وامرأت لوط ﴾ واسمها واهلة وقيل اسمهما والعة و والهة ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ﴾ وهما نوح ولوط

(عسى ربكم) وعسى من الله واجب (ان يكفر عنكم سيآتكم) ان يغفر لكم ذنوبكم بالتوبة (ويدخلكم) فى الآخرة (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (يوم) وهو يوم القيامة (لايخزى الله النبي) كما يخزى الكفار يقول لايعذب الله النبي (والذين آمنوا معه) ولايعذب الذين آمنوا به مثل ابى بكر واصحابه (نورهم يسعى) يضئ (بين ايديهم) على الصراط (وبأيمانهم يقولون) بعدماذهب (عليهما) نور المنافقين (ربنا اتمم لنا) على الصراط (نورنا واغفرلنا) ذنوبنا (انك على كل شئ) من اتمام النور والغفران (قدير يا ايها النبي جاهد الكفار) كفار مكة بالسيف حتى يسلموا (والمنافقين) منافقى اهل المدينة باللسان بالزجر والوعيد (واغلظ عليهم) واشدد على كلا الفريقين بالقول والفعل (ومأواهم) مصير المنافقين والكفار (جهنم وبئس المصير) صاروا اليه جهنم ثم خوف عائشة وحفصة لاذاهما النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة نوح وامرأة لوط فقال (ضرب الله) بين الله (مثلا) صفة (للذين كفروا) بالمرأتين الكافرتين (امرأت نوح) واهلة (وامرأت لوط) واعلة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) مرسلين

نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة او فى النصاحة وهى الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل على رضى الله عنه عن التوبة فقال تجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لاتعود وان تربى نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية

الى الذنب الذى تاب منه قال عمر بن الخطاب وابى بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لايعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هى ان يكون العبد نادما على مامضى مجمعا على ان لايعود اليه وقال الكلبى ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظى التوبة النصوح يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان

فصل

وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولايجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لايعود اليها ابدا فاذا اجتمعت هذه الشروط فى التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حد قذف او نحوه مكنه من نفسه او طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقى عليه مالم يتب منه هذا مذهب اهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة ﴿م﴾ عن الاغر بن يسار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب فى اليوم مائة مرة ﴿خ﴾ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة ﴿ق﴾ عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة الحديث ﴿م﴾ عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها * عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر اخرجه الترمذى وقال حديث

وهو مصدر اى ذات نصوح او تنصح نصوحا وجاء مرفوعا ان التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب الى ان يعود اللبن فى الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن ابن عباس رضى الله عنه هى الاستغفار باللسان والندم بالجنان والاقلاع

(واهليكم) بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لاتتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب (عليها) يلي امرها وتعذيب اهلها (ملائكة) يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم (غلاظ شداد) في اجرامهم غلاظة وشدة اوغلاظ الاقوال شداد الافعال (لايعصون الله) في موضع الرفع على النعت (ما امرهم) في محل النصب على البدل اى لايعصون ما امرالله اى امره كقوله افعصيت امرى اولا يعصونه فيما امرهم (ويفعلون مايؤمرون) وليست الجملتان في معنى واحد اذ معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها

الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (يا ايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لاعذر لكم او لانه لاينفعكم الاعتذار (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) صادقة عن الاخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال عسل ناصح اذا خلص من الشمع وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وبضم النون حماد ويحيى

﴿ واهليكم ﴾ بالنصح والتأديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين ﴿ نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب ﴿ عليها ملائكة ﴾ تلى امرها وهم الزبانية ﴿ غلاظ شداد ﴾ غلاظ الاقوال شداد الافعال اوغلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة ﴿ لايعصون الله ما امرهم ﴾ فيما مضى ﴿ ويفعلون مايؤمرون ﴾ فيما يستقبل اولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ويؤمرون به ﴿ يا ايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهى عن الاعتذار لانه لاعذر لهم او العذر لا ينفعهم ﴿ يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ﴾ اى بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح

﴿ واهليكم ﴾ يعنى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوهم بذلك ﴿ نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ يعنى الكبريت لانه اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا ﴿ عليها ملائكة ﴾ يعنى خزنة النار وهم الزبانية ﴿ غلاظ ﴾ اى فظاظ على اهل النار ﴿ شداد ﴾ يعنى اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم ﴿ لا يعصون الله ما امرهم ﴾ اى لا يخالفون الله فيما امرهم به ونهاهم عنه ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ اى لا تأخذهم رأفة في تنفيذ امره والانتقام من اعدائه ﴿ يا ايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم ﴾ اى يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها لانه قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار ﴿ انما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ يعنى ان اعمالكم السيئة الزمتكم لعذاب * قوله ﴿ يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ﴾ اى ذات نصح تنصح صاحبها بترك لعود

(واهليكم) واولادكم ونسائكم (نارا) يقول ادبوهم وعلموهم الخير تقوهم بذلك نارا (الى) (وقودها) حطبها (الناس والحجارة) حجارة الكبريت وهى اشد الاشياء حرا (عليها) على النار (ملائكة) يعنى الزبانية (غلاظ) عظماء (شداد) اقوياء (لايعصون الله ما امرهم) فيما امرهم من عذاب اهل النار (ويفعلون) يعنى الزبانية (ما يؤمرون يا ايها الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (لا تعتذروا اليوم) فانه لا يقبل معذرتكم (انما تجزون ما كنتم تعملون) وتقولون في الدنيا (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (توبوا الى الله) من الذنوب (توبة نصوحا) خالصا صادقا من قلوبكم وهو الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن والضمير على ان لايعود اليه ابدا

(و الملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وجبريل وصالحى المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله) يبدله مدنى وابو عمرو فالتشديد للكثرة (أزواجا خيرا منكن) فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايذائهن اياه

 لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف خيرا منهن (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (قانتات) مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله فى طاعة رسوله (تائبات) من الذنوب او راجعات الى الله والى امر رسوله (عابدات) لله (سائحات) مهاجرات او صائمات وقيل للصائم سائح لان السائح لازاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم فى امساكه الى ان يجىء بطاعته وقت افطاره (ثيبات وأبكارا) انما وسط العاطف بين الثيبات والابكار دون سائر الصفات لانهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات

(والملائكة بعد ذلك) مع هؤلاء (ظهير) اعوان

﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به ﴿عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن﴾ على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لاينافى تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لايجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو يبدله بالتشديد ﴿مسلمات مؤمنات﴾ مقرات مخلصات اومنقادات مصدقات ﴿قانتات﴾ مصليات اومواظبات على الطاعات ﴿تائبات﴾ عن الذنوب ﴿عابدات﴾ متعبدات اومتذللات لامر الرسول عليه السلام ﴿سائحات﴾ صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد اومهاجرات ﴿ثيبات وابكارا﴾ وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار ﴿يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم﴾ بترك المعاصى وفعل الطاعات

من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء ﴿والملائكة بعد ذلك﴾ اى بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين ﴿ظهير﴾ اى اعوان للنبى صلى الله عليه وسلم ينصرونه ﴿عسى ربه﴾ اى واجب من الله ﴿ان طلقكن﴾ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ان يبدله ازواجا خيرا منكن﴾ ثم وصف الازواج اللواتى كان يزوجه بهن فقال ﴿مسلمات﴾ اى خاضعات لله بالطاعة ﴿مؤمنات﴾ اى مصدقات بتوحيد الله تعالى ﴿قانتات﴾ اى طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل ﴿تائبات﴾ اى تاركات للذنوب لقبحها او كثيرات التوبة ﴿عابدات﴾ كثيرات العبادة ﴿سائحات﴾ اى صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح ﴿ثيبات﴾ جمع ثيب وهى التى تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه ﴿وابكارا﴾ اى عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لايطلقهن فاخبر عن قدرته انه ان طلقهن ابدله ازواجا خيرا منهن تخويفا لهن * قوله عز وجل ﴿يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم﴾ قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته

له عليكما (عسى ربه) وعسى من الله واجب (ان طلقكن ان يبدله) يزوجه (ازواجا خيرا منكن) فى الطاعة (مسلمات) مقرات بالالسن (مؤمنات) مصدقات بالالسن والقلوب بايمانهن (قانتات) مطيعات لله ولازواجهن (تائبات) من الذنوب (عابدات) مواحدات لله (سائحات) صائمات (ثيبات) ايمات مثل آسية بنت مزاحم امرأة فرعون (وابكارا) مريم بنت عمران ام عيسى (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قوا انفسكم) ادفعوا عن انفسكم وقومكم

﴿وان تظاهرا عليه﴾ وان تتظاهرا عليه بما يسوءه. وقرأ الكوفيون بالتخفيف ﴿فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾ فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه

رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يارسول الله انك اقسمت ان لاتدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال ياعائشة انى ذاكر لك امرا فلا عليك ان لاتعجلى حتى تستأمرى ابويك ثم قال يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عائشة قد علم والله ان ابوى لم يكونا ليأمرانى بفراقه فقلت افى هذا استأمر ابوى فانى اريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد في رواية ان عائشة قالت لاتخبر نساءك انى اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ارسلنى مبلغا ولم يرسلنى متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يارسول الله مايشق عليك من شأن النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت واحمد الله بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولى الذى اقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فأذن له وانه قام على باب المسجد فنادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

شرح بعض الفاظه

* قوله فعدلت معه بالاداوة اى ملت معه بالركوة فتبرز اى اتى البراز وهو الفضاء من الارض لقضاء الحاجة * العوالى جمع عالية وهى اماكن بأعلى اراضى المدينة * قوله ولايغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهى عائشة * اوسم منك اى اكثر حسنا وجمالا منك * قوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو ان يفعله الانسان مرة ويفعله الآخر بعده * المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة * قوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير * قوله مارأيت فيه مايرد البصر الا اهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد * قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب * قوله تعالى ﴿وان تظاهرا عليه﴾ اى تعاونا على ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فان الله هو مولاه﴾ اى وليه وناصره ﴿وجبريل﴾ يعنى وجبريل وليه وناصره ايضا وانما افرده وان كان داخلا في جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته ﴿وصالح المؤمنين﴾ روى عن ابن مسعود وابى بن كعب صالح المؤمنين ابو بكر وعمر وقيل هم المخلصون

(وان تظاهرا عليه) بالتخفيف كوفى وان تعاونا عليه بما يسوء من الافراط فى الغيرة وافشاء سره (فان الله هو مولاه) وليه وناصره وزيادة هو ايذان بانه يتولى ذلك بذاته (و جبريل) ايضا وليه (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين اى كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد اريد به الجمع كقولك لايفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل اصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ وقوله

(وان تظاهرا) تعاونا (عليه) على ايذائه ومعصيته (فان الله هو مولاه) حافظه وناصره ومعينه عليكما (وجبريل) معينه عليكما (وصالح المؤمنين) جملة المؤمنين المخلصين اعوان له عليكما مثل ابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ومن دونهم

ذلك منكن وخسرت افتأمن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لاتراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ وسليني ما بدالك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله وسلم منك يريد عائشة وكان لى جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وياتيني بخبر الوحى وغيره و آتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الانصارى يوم نوبته ثم اتانى عشاء فضرب بابى ثم نادانى فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا جاءت غسان قال لا بل اعظم من ذلك و اهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابى ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكى فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لاادرى ها هو ذا معتزل فى هذه المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكى بعضهم فجلست قليلا ثم غلبنى ما اجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست الى المنبر ثم غلبنى ما اجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعونى فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر فى جنبه فقلت اطلقت يارسول الله نساءك فرفع رأسه الى وقال لا فقلت الله اكبر لو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتى يوما فاذا هي تراجعنى فانكرت اذ راجعتنى فقالت ماتنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتأمن احداهن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لايغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت استأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله مارأيت فيه شيأ يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت يارسول الله ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لايعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افى شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يارسول الله وكان اقسم ان لايدخل عليهن شهرا من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهرى فاخبرنى عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل على

(واعرض عن بعض) فلم يخبر به تكرما قال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على اى جازى عليه من قولك للمسىء لاعرفن لك ذلك وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى انه قال لهـا الم اقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ماملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها اباها (فلما نبأها به) نبأ النبى حفصة بما افشت من السر الى عائشـة (قالت) حفصة للنبى صلى الله عليه وسلم (من أنبأك هـذا قال نبأنى العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فقدصغت) مالت (قلوبكما) عن الواجب فى مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب مايحبه وكراهة مايكرهه

(واعرض عن بعض) سكت عن بعض عن تحريمه مارية القبطية على نفسـه وعما اخبرها من خلافة ابى بكر وعمر من بعده ولم يلمها بذلك (فلما نبأها به) اخبر النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بما قالت لعائشة (قالت) حفصة (من انبأك هذا) اخبرك بهذا انى قلت لعائشة (ذلك) (قال) النبى صلى الله عليه وسلم (نبأنى) اخبرنى (العليم) بما قلت لعائشة (الخبير) بماقلت لك (ان تتوبا الى الله) توبا الى الله ياعائشة ويا حفصة من ايذائكما رسول الله ومعصيتكما له (فقدصغت) مالت (قلوبكما) عن الحق

﴿ واعرض عن بعض ﴾ عن اعلام بعض تكرما اوجازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسـائى بالتخفيف فانه لايحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله ﴿ فلمـا نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير ﴾ فانه اوفق للاعلام ﴿ ان تتوبا الى الله ﴾ خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة ﴿ فقدصغت قلوبكما ﴾ فقد وجد منكما مايوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالفة الرسول عليه السلام بحب مايحبه وكراهة مايكرهه

منها ﴿ واعرض عن بعض ﴾ اى لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك فى الناس ﴿ فلما نبأها به ﴾ اى اخبر حفصه بما اظهره الله عليه ﴿ قالت ﴾ يعنى حفصة ﴿ من انبأك هذا ﴾ اى من اخبرك بانى افشيت السر ﴿ قال نبأنى العليم ﴾ اى بماتكنه الضمائر ﴿ الخبير ﴾ اى بخفيات الامور * قوله عز وجل ﴿ ان تتوبا الى الله ﴾ يخاطب عائشة وحفصة اى من التعاون على رسـول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ اى زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بان سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم ازل حريصا على ان اسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكمـا حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت ياامير المؤمنين من المرأتان من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر واعجبا لك ياابن العباس قال الزهرى كره والله ماسأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم اخـذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلى فى بنى امية بن زيد بالعوالى فغضبت يوما على امرأتى فاذا هى تراجعنى فانكرت ان تراجعنى فقـالت ماتنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت اتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خاب من فعلت

المتقن فى افعاله واحكامه ﴿ واذ أسر النبي الى بعض ازواجه ﴾ يعنى حفصة بنت عمر ﴿ حديثا ﴾ تحريم مارية اوالعسل او ان الخلافة بعده لابى بكر وعمر رضى الله عنهما ﴿ فلما نبأت به ﴾ اى فلما اخبرت حفصة عائشة رضى الله عنهما بالحديث ﴿ واظهره الله عليه ﴾ واطلع النبى عليه السلام على الحديث اى على افشائه ﴿ عرف بعضه ﴾ عرف الرسول عليه السلام حفصة بعض ما فعلت

اى فيما فرض من حكمه

فصل

اختلف العلماء فى لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته انت على حرام او قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين وان قال لطعام حرمته على نفسى فلا شئ عليه وهذا قول ابى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعى وان لم ينو شيأ ففيه قولان للشافعى احدهما انه يلزمه كفارة اليمين والثانى لاشئ عليه وانه لغو فلا يترتب عليه شئ من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب عليه الكفارة مالم يقربها كما لو حلف انه لايطؤها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف ان لا يأكله فلا كفارة عليه مالم يأكله واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا حرم الرجل امرأته فهى يمين يكفرها و قال لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وفى رواية اذا حرم امرأته ليس بشئ وقال لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لفظ الحميدى * قوله تعالى ﴿ واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا ﴾ يعنى ما اسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لاتخبرى بذلك احدا و قال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبى اسر اليها ان اباك واباعائشة يكونان خليفتين على امتى من بعدى وقيل لما رأى الغيرة فى وجه حفصة اراد ان يراضيها فسرها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده فى ابى بكر وابيها عمر ﴿ فلما نبأت به ﴾ اى اخبرت بذلك حفصة عائشة ﴿ واظهره الله عليه ﴾ اى اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة ﴿ عرف بعضه ﴾ قرئ بتخفيف الراء اى عرف بعض الذى فعلته حفصة فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لوكان فى آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما كان

وحرم (واذ اسر النبى الى بعض ازواجه) يعنى حفصة (حديثا) حديث مارية وامامة الشيخين (فلما نبأت به) افشته الى عائشة رضى الله عنها (واظهره الله عليه) واطلع النبى صلى الله عليه وسلم على افشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عرف بعضه) اى اعلم ببعض الحديث

الكفارة (واذ اسر النبى الى بعض ازواجه) يعنى حفصة (حديثا) كلاما اخبرها فى السر (فلما نبأت به) فلما اخبرت حفصة بسر النبى صلى الله عليه وسلم عائشة (واظهره الله عليه) اطلع الله نبيه على ما اخبرت حفصة عائشة (عرف بعضه) بين النبى لحفصة بعض ما قالت لعائشة من خلافة ابى بكر وعمر ويقال من خلوته مع مارية القبطية

﴿ قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم ﴾ قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لايحنث من قولهم حالل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من راى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لايلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل ﴿ والله مولاكم ﴾ متولى اموركم ﴿ وهو العليم ﴾ بما يصلحكم ﴿ الحكيم ﴾

قال وقد انقلبت الاسماء على الراوى فى الرواية الاخرى يعنى الحديث الاول الذى فيه ان الشرب كان عند حفصة قال القاضى عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محى الدين النووى فى شرح مسلم وكذا ذكره القرطبى ايضا * وقال المفسرون فى سبب النزول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال ما يبكيك قالت انما اذنت لى من اجل هذا ادخلت امتك بيتى ووقعت عليها فى يومى وعلى فراشى اما رأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هى جاريتى قد احلها الله لى اسكتى فهى على حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبرى بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبى الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لايقربها * عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له امة يطؤها فلم تزل به عائشة و حفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك الآية اخرجه النسائى قال العلماء الصحيح فى سبب نزول الآية انها فى قصة العسل لا فى قصة مارية المروية فى غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائى اسناد حديث عائشة فى العسل جيد صحيح غاية * واما التفسير فقوله يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك اى من العسل او ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها او بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما احله الله فالنبى صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغى مرضات ازواجك اى تطلب رضاهن بترك ما احل الله لك والله غفور رحيم اى غفر لك ذلك التحريم ﴿ قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم ﴾ اى بين واوجب لكم تحليل ايمانكم بالكفارة وهو ما ذكر فى سورة المائدة فامره الله ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق رقبة ﴿ والله مولاكم ﴾ اى وليكم وناصركم ﴿ وهو العليم ﴾ اى بخلقه ﴿ الحكيم ﴾

(قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) قد قدر الله لكم ما تحللون به ايمانكم وهى الكفارة او قد شرع لكم تحليلها بالكفارة او شرع الله لكم الاستثناء فى ايمانكم من قولك حالل فلان فى يمينه اذا استثنى فيها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة فى تحريم مارية وعن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين (والله مولاكم) سيدكم ومتولى اموركم وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم انفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فيما احل

(قد فرض الله) قد بين الله [illegible] لكم (تحلة ايمانكم) كفارة ايمانكم فكفر النبى صلى الله عليه وسلم يمينه وضم [illegible] الى نفسه (والله مولاكم) حافظكم وناصركم (وهو العليم) بتحريمه مارية القبطية (الحكيم) فيما حكم من

فقولى ما هذه الريح التى اجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولى انت ياصفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذى لا اله الا هو لقد كدت ابادئه بالذى قلت لى وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يارسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التى اجد منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل على قالت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يارسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لى فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتى (ق) عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فلتقل له انى اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احداها فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش وان اعود له فنزلت ياايها النبى لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وان اعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك احدا زاد فى رواية يبتغى بذلك مرضاة ازواجه

شرح غريب الفاظ الحديثين ومايتعلق بهما

قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل * الحلواء بالمد وهو كل شئ حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا فى جملة الحلواء تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام * قولها فى الحديث الثانى فتواطيت انا وحفصة هكذا وقع فى الرواية واصله فتواطأت اى اتفقت انا وحفصة * قولها انى لاجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمره خبيث الرائحة وقال اهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه رائحة كريهة * قولها جرست نحله العرفط هو بالجيم والراء وبالسين المهملتين ومعناه اكلت نحله العرفط فصار منه العسل * قولها فى الحديث الثانى فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفى الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتى تظاهرن عليه قال القاضى عياض والصحيح الاول قال النسائى اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيلى حديث حجاج اصح وهو اولى بظاهر كتاب الله واكمل فائدة يريد قوله تعالى وان تظاهرا عليه وهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر فى حديث ابن عباس وسيأتى الحديث

﴿سورة التحريم مدنية وهى اثنتا عشرة آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة رضى الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدى امر امتى فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وروى انه شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل (تبتغى مرضات ازواجك) تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به

﴿ومن السورة التى يذكر فيها التحريم وهى كلها مدنية آياتها ثلاث عشرة وكلماتها مائتان وتسع واربعون وحروفها الف وستون حرفا﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا ايها النبى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (لم تحرم ما احل الله لك) نكاحه يعنى نكاح مارية القبطية ام ابراهيم بن محمد رسول الله حرمها النبى صلى الله عليه وسلم على نفسه (تبتغى مرضات ازواجك) تطلب رضا ازواجك عائشة وحفصة بتحريم مارية القبطية (والله غفور) لك (رحيم) بتلك اليمين

(فقولى)

قدرته وعلمه * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

﴿سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك﴾ روى انه عليه السلام خلا بمارية فى يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت ﴿تبتغى مرضاة ازواجك﴾ تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف لبيان الداعى اليه ﴿والله غفور﴾ لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احله الله ﴿رحيم﴾ رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك

على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلة فى علمه والله تعالى اعلم

﴿تفسير سورة التحريم وهى مدنية واثنتا عشرة آية ومائتان﴾

﴿وسبع واربعون كلمة والف وستون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضات ازواجك والله غفور رحيم﴾

ذكر سبب نزولها

(ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى اهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولى له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا

ليخرج) الله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح او ليخرج الذين علم انهم يؤمنون (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر اوالجهل الى نور الايمان او العلم (ومن يؤمن بالله و يعمل صالحا يدخله) و بالنون مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) وحد وجمع حملا على لفظ من ومعناه (قد احسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب (الله الذى خاق) مبتدأ وخبر (سبع سموات) اجمع المفسرون على ان السموات سبع (ومن الارض مثلهن) بالنصب عطفا على سبع سموات قيل ما فى القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية وبين

كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات وقيل الارض واحدة الا ان الاقاليم سبعة (يتنزل الامر بينهن) اى يجرى امر الله و حكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير) اللام يتعلق بخلق (وان الله قد احاط بكل شئ علما) هو تمييز اومصدر من غير لفظ الاول اى قد علم كل شئ علما وهو علام الغيوب

﴿ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الذين آمنوا بعد انزاله اى ليحصل لهم ماهم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم اوقدر انه يؤمن ﴿ من الظلمات الى النور ﴾ من الضلالة الى الهدى ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون ﴿ قد احسن الله له رزقا ﴾ فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ ومن الارض مثلهن ﴾ اى وخلق مثلهن فى العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ﴿ يتنزل الامر بينهن ﴾ اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن ﴿ لتعلموا ان الله على كل شى قدير وان الله قد احاط بكل شى علما ﴾ علة لخلق او يتنزل اومضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال

بالنصب ومعناه انها واضحات ﴿ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ﴾ اى من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا ﴾ يعنى الجنة التى لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة فى الدنيا وثوابا فى الآخرة ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ﴾ يعنى بعضها فوق بعض ﴿ ومن الارض مثلهن ﴾ اى فى العدد ﴿ يتنزل الامر بينهن ﴾ اى الوحى الى خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتى بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيأته وينقله من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل فى كل سماء من سمواته وارض من ارضيه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه ﴿ لتعلموا ان الله على كل شئ قدير و ان الله قد احاط بكل شئ علما ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية وانه قادر

(ليخرج الذين آمنوا) قد اخرج الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم و بين ربهم (من الظلمات الى النور) من الكفر الى الايمان (ومن يؤمن بالله) وبمحمد عليه السلام والقرآن (ويعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (يدخله) فى الآخرة (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها وغرفها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون فيها ولا يخرجون منها (ابدا قد احسن الله له رزقا) قد اعد الله له ثوابا فى الجنة (الله الذى خلق سبع سموات) بعضها فوق بعض مثل القبة (ومن الارض مثلهن) سبعا ولكنها منبسطة (يتنزل الامر بينهن) يقول تنزل الملائكة بالوحى والتنزيل والمصيبة من السموات من عند الله (لتعلموا) لكى تعلموا وتقروا (ان الله على كل شئ) من اهل السموات والارضين (قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما) قد احاط علمه بكل شى

(فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) نكرا مدنى وابوبكر منكرا عظيما (فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا) اى خسارا وهلاكا والمراد حساب الآخرة وعذابها ومايذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضى لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى فى الحقيقة وما هو كائن فكأن قدكان (اعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال اعد الله لهم هذا العذاب ﴿ الجزء الثامن والعشرون ﴾ (فاتقوا الله ﴿ ٢٩٤ ﴾ يا اولى الالباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا اولى الالباب من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيآت واستقصاؤها عليهم فى الدنيا واثباتها فى صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب فى العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكاين (قد انزل الله اليكم ذكرا) اى القرآن وانتصب (رسولا) بفعل مضمر تقديره ارسل رسولا او هو بدل من ذكرا كانه فى نفسه ذكر او على تقدير حذف المضاف اى قد انزل الله اليكم ذا ذكر رسولا او اريد بالذكر الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك اى ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل او محمد عليهما السلام (يتلوا) اى الرسول او الله عزوجل (عليكم آيات الله مبينات) (بالنصب

﴿ فحاسبناها حسابا شديدا ﴾ بالاستقصاء والمناقشة ﴿ وعذبناها عذابا نكرا ﴾ منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقق ﴿ فذاقت وبال امرها ﴾ عقوبة كفرها ومعاصيها ﴿ وكان عاقبة امرها خسرا ﴾ لاربح فيها اصلا ﴿ اعد الله لهم عذابا شديدا ﴾ تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها فى قوله ﴿ فاتقوا الله يا اولى الالباب ﴾ ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب مااصيبوا به عاجلا ﴿ الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا ﴾ يعنى بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره اولنزوله بالذكر وهو القرآن اولانه مذكور فى السموات او ذا ذكر اى شرف اومحمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا اولانه مسبب عن انزال الوحى اليه اوابدل منه رسولا للبيان اواراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا مصدر ورسولا مفعوله اوبدله على انه بمعنى الرسالة ﴿ يتلوا عليكم آيات الله مبينات ﴾ حال من اسم الله اوصفة رسولا والمراد بالذين آمنوا فى قوله

﴿ فحاسبناها حسابا شديدا ﴾ اى بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها فى الكفر فجزاها النار وهو قوله ﴿ وعذبناها عذابا نكرا ﴾ اى منكرا فظيعا وقيل فى الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر انواع البلاء وحاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا ﴿ فذاقت وبال امرها ﴾ اى شدة امرها وجزاء كفرها ﴿ وكان عاقبة امرها خسرا ﴾ اى خسرانا فى الدنيا والآخرة ﴿ اعد الله لهم عذابا شديدا ﴾ يخوف كفار مكة ان ينزل بهم مثل مانزل بالامم الماضية ﴿ فاتقوا الله يا اولى الالباب ﴾ اى ياذوى العقول ثم نعتهم فقال تعالى ﴿ الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا ﴾ يعنى القرآن ﴿ رسولا ﴾ اى وارسل اليكم رسولا ﴿ يتلوا عليكم آيات الله مبينات ﴾ قرئ مبينات بالخفض اى تبين الحلال من الحرام والامر والنهى وقرئ

(فحاسبناها) فى الآخرة (حسابا شديدا وعذبناها) فى الدنيا (عذابا نكرا) شديدا مقدم ومؤخر (فذاقت وبال امرها) عقوبة امرها فى الدنيا بالهلاك (وكان عاقبة امرها) فى الآخرة (خسرا) الى خسران (اعد الله لهم) فى الآخرة (عذابا شديدا) غليظا لونا بعد لون (فاتقوا الله) فاخشوا الله (يا اولى الالباب) ياذوى العقول من الناس (الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا) ذكرا مع الرسول (يتلوا عليكم) محمد عليه السلام (آيات الله) القرآن (مبينات) واضحات بينات بالامر والنهى

(وأتمروا بينكم) اى تشاوروا على التراضى فى الاجرة اوليأمر بعضكم بعضا والخطاب للاباء والامهات (بمعروف) بما يليق بالسنة ويحسن فى المروءة فلايماكس الاب ولاتعاسر الام لانه ولدهما وهما شريكان فيه وفى وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم) تضايقتم فلم ترض الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الاب على ذلك (فسترضع له اخرى) فستوجد ولاتعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاقبة الام على المعاسرة وقوله له اى للاب اى سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) اى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر مابلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق اى رزقه الله على قدر قوته (لايكلف الله نفسا الا ما آتاها) اعطاها من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسرا) بعد ضيق فى المعيشة سعة وهذا وعد لذى العسر باليسر (وكأين من قرية) من اهل قرية (عتت) اى عصت (عن امر ربها ورسله) اعرضت عنه على وجه العتو والعناد

﴿ وأتمروا بينكم بمعروف ﴾ وليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر ﴿ وان تعاسرتم ﴾ تضايقتم ﴿ فسترضع له اخرى ﴾ امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ اى فلينفق كل من الموسر والمعسر مابلغه وسعه ﴿ لايكلف الله نفسا الا ما آتاها ﴾ فانه تعالى لايكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ اى عاجلا و آجلا ﴿ وكأين من قرية ﴾ اهل قرية ﴿ عتت عن امر ربها ورسله ﴾ اعرضت عنه اعراض العاتى المعاند

وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها ان تأخذ عليه اجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج فى حق الاولاد ﴿ وأتمروا بينكم بمعروف ﴾ اى ليقبل بعضكم من بعض اذا امره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا امرهم ان يأتوا بالمعروف وما هو الاحسن ولا يقصدوا الضرار وقيل المعروف ههنا ان لا يقصر الرجل فى حق المرأة ونفقتها ولا المرأة فى حق الولد ورضاعه ﴿ وان تعاسرتم ﴾ اى فى حق الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطى المرأة اجرة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على رضاعه بل يستأجر للصبى مرضعا غير امه وذلك قوله ﴿ فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ﴾ اى على قدر غناه ﴿ ومن قدر ﴾ اى ضيق ﴿ عليه رزقه ﴾ فكان بمقدار القوت ﴿ فلينفق مما آتاه الله ﴾ اى على قدر ما آتاه الله من المال ﴿ لايكلف الله نفسا ﴾ اى فى النفقة ﴿ الا ما آتاها ﴾ يعنى من المال والمعنى لايكلف الفقير مثل ما يكلف الغنى فى النفقة ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ اى بعد ضيق وشدة غنى وسعة * قوله تعالى ﴿ وكأين من قرية عتت ﴾ اى عصت وطغت والمراد اهل القرية ﴿ عن امر ربها ورسله ﴾ اى وامر رسله

(وائتمروا بينكم) وانفقوا يعنى الزوج والمرأة فيما بينكم (بمعروف) على امر معروف من النفقة على الرضاع بغير اسراف وتقتير (وان تعاسرتم) فى النفقة وابت الام (فترضع له) للولد (اخرى) فتطلب له اخرى غير الام (لينفق) الاب (ذوسعة) ذو غنى (من سعته) على قدر غناه (ومن قدر) قتر (عليه رزقه) معيشته (فلينفق) على المرضع (مما آتاه الله) على قدر ما اعطاه الله من المال (لا يكلف الله نفسا) من النفقة على الرضاع (الا ما آتاها) الا على قدر مااعطاها من المال (سيجعل الله بعد عسر) فى النفقة (يسرا) بعد الفقر غنى فالمعسر ينتظر الرزق من الله (وكأين من قرية) وكم من اهل قرية (عتت) عصت وأبت (عن امر ربها) عن قبول امر ربها وطاعة ربها (ورسله) عن اجابة الرسل وعما جاءت به الرسل

﴿فان ارضعن لكم﴾ بعد انقطاع علقة النكاح ﴿فآتوهن اجورهن﴾ على الارضاع

يضعن حملهن واما الدليل على ذلك من السنة فما روى عن فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شئ فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها ان تعتد فى بيت ام شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها اصحابى فاعتدى عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك عنده فاذا حللت فآذنينى قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن ابى سفيان واباجهم خطبانى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك لا مال له انكحى اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحى اسامة ابن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد فى بيت عمرو ابن ام مكتوم ولا حجة له فيه لما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كانت فاطمة فى مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان فى لسانها ذرابة واما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا واما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروى عن على ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبى والنخعى والثورى واختلفوا فى سكناها وللشافعى فيه قولان احدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول على وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول ابى حنيفة والثانى ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثورى واحمد واسحق واحتج من اوجب لها السكنى بما روى عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهى اخت ابى سعيد الخدرى انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألته ان ترجع الى اهلها فى بنى خدرة فان زوجها خرج فى طلب اعبد له ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلى فى بنى خدرة فان زوجى لم يتركنى فى مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت فى الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم اوامرنى فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التى ذكرت له من شأن زوجى فقال امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الى فسألنى عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به اخرجه ابو داود والترمذى فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة ولا بالرجوع صار منسوخا بقوله آخرا امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث فى بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا * قوله عز وجل ﴿فان ارضعن لكم﴾ يعنى اولادكم ﴿فآتوهن اجورهن﴾ يعنى على رضاعهن

(فان ارضعن لكم) يعنى هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من ظئرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن اجورهن) فحكمهن فى ذلك حكم الاظآر ولا يجوز الاستئجار اذا كان الولد منهن مالم يبن خلافا للشافعى رحمه الله

(فان ارضعن لكم) الامهات ولدا لكم (فآتوهن) اعطوهن يعنى الامهات (اجورهن) يعنى النفقة على الرضاع

(ومن يتق الله) فى العمل بما انزله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا) ثم بين التقوى فى قوله ومن يتق الله فكانه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل (اسكنوهن) وكذا وكذا (من حيث سكنتم) هى من التبعيضية مبعضها محذوف اى اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اى بعض مكان سكناكم (من وجدكم) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسيره له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعى لانفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بت طلاقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضى الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) فى المسكن ببعض الاسباب من انزال من لايوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج (وان كن) اى المطلقات (اولات حمل) ذوات احمال (فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) وفائدة اشتراط الحمل ان مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم

ومن يتق الله ﴾ فى احكامه فيراعى حقوقه ﴿ يكفر عنه سيئاته ﴾ فان الحسنات يذهبن السيئات ﴿ ويعظم له اجرا ﴾ بالمضاعفة ﴿ اسكنوهن من حيث سكنتم ﴾ اى مكانا من مكان سكناكم ﴿ من وجدكم ﴾ من وسعكم اى مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ﴿ ولا تضاروهن ﴾ فى السكنى ﴿ لتضيقوا عليهن ﴾ فتلجؤهن الى الخروج ﴿ وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾ فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة للحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده

﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا ﴾ * قوله تعالى ﴿ اسكنوهن ﴾ يعنى مطلقات نسائكم ﴿ من حيث سكنتم من وجدكم ﴾ اى من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها فى المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة ﴿ ولا تضاروهن ﴾ اى لاتؤذوهن ﴿ لتضيقوا عليهن ﴾ يعنى فى مساكنهن فيخرجن ﴿ وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾ اى فيخرجن من عدتهن

فصل فى حكم الآية

اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى مادامت فى العدة ونعنى بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التى طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكترى لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة بالخلع او بالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا كانت او غير حامل عند اكثر اهل العلم وروى عن ابن عباس انه قال لاسكنى لها الا ان تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبى واختلفوا فى نفقتها فذهب قوم الى انه لانفقة لها الا ان تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبى وبه قال الشافعى واحمد ومنهم من اوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعى وبه قال الثورى واصحاب الرأى وظاهر القرآن يدل على انها لاتستحق النفقة الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى

(ومن يتق الله) فيما امره (يكفر عنه سيآته) يغفر له ذنوبه (ويعظم له اجرا) ثوابا فى الجنة ثم رجع الى المطلقات فقال (اسكنوهن) انزلوهن يعنى المطلقات يقول للازواج (من حيث سكنتم) من اين سكنتم (من وجدكم) من سعتكم على قدر ذلك من النفقة والسكنى (ولا تضاروهن) يعنى المطلقات فى النفقة والسكنى (لتضيقوا عليهن) بالنفقة والسكنى فتظلموهن بذلك (وان كن) المطلقات (اولات حمل) حبالى (فانفقوا عليهن) يعنى الزوج (حتى يضعن حملهن) ولدهن

وقيل ان ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة او بخمس وخمسين اهو دم حيض اواستحاضة

فعدتهن ثلاثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك (واللائى لم يحضن) هن الصغائر وتقديره واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة اشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها (واولات الاحمال اجلهن) عدتهن (ان يضعن حملهن) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن وعن على وابن عباس رضى الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين (ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا) ييسر له من امره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذلك امر الله) اى ما علم من حكم هؤلاء المعتدات (انزله اليكم) من اللوح المحفوظ

يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت ﴿ واللائى لم يحضن ﴾ اى واللائى لم يحضن بعد كذلك ﴿ واولات الاحمال اجلهن ﴾ منتهى عدتهن ﴿ ان يضعن حملهن ﴾ وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولانه صح ان سبيعة بنت الحرث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجى ولانه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ﴿ ومن يتق الله ﴾ فى احكامه فيراعى حقوقها ﴿ يجعل له من امره يسرا ﴾ يسهل عليه امره ويوفقه للخير ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من الاحكام ﴿ امر الله انزله اليكم

واللائى لم يحضن ﴾ يعنى الصغائر اللائى لم يحضن بعد فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر اما الشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب اكثر اهل العلم الى ان عدتها لا تنقضى حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء اوتبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلى وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى واصحاب الرأى وحكى عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا كله فى عدة الطلاق واما المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض او لا تحيض واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها او مات عنها وهو قوله تعالى ﴿ واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ﴾ (ق) عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال لها مالى اراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وانت والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حتى امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتانى بانى قد حللت حين وضعت حملى وامرنى بالتزوج ان بدالى لفظ البخارى ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا ارى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت فى دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى تطهر ﴿ ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ﴾ اى يسهل عليه امر الدنيا والآخرة ﴿ ذلك ﴾ اى ذلك الذى ذكر من الاحكام ﴿ امر الله انزله اليكم ﴾ اى لتعملوا به

ارأيت يارسول الله فى اللائى لم يحضن للصغر ماعدتهن فنزل (واللائى لم يحضن) من الصغر فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر فقام رجل آخر فقال ارأيت يارسول الله ماعدة الحوامل فنزل (وأولات الاحمال) يعنى الحبالى (اجلهن) عدتهن (ان يضعن حملهن) ولدهن (ومن يتق الله) فيما امره (يجعل له من امره يسرا) يهون عليه امره ويقال يرزقه عبادة حسنة فى سريرة حسنة (ذلك امر الله) هذه احكام الله وفرائضه (انزله اليكم) بينه لكم فى القرآن (ومن)

صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آية لو اخـذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فمازال يقرؤها ويعيدها وروى ان عوف بن مالك اسر المشركون ابناله فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال ماامسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فعاد الى بيته وقال لامرأته ان رسول الله امرنى واياك ان نستكثر من قول لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان ذلك فبينا هو فى بيته اذقرع ابنه البـاب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الاية (ومن يتوكل على الله) يكل امره اليه عن طمع غيره وتدبير نفسه (فهو حسـبه) كافيه فى الدارين (ان الله بالغ امره) حفص منفذ امره غيره بالغ امره اى يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (قد جعل الله لكل شئ قدرا) تقـديرا و توقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقـديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) روى ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت (ان ارتبتم) اى اشكل عليكم حكمهن (قا وخا ٣٧ س) وجهلتم كيف يعتدون (فعدتهن ثلاثة اشهر) اى فهذا حكمهن

لاحول ولا قوة الابالله ففعل فبينا هو فى بيته اذقرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنه العدو فاستاقها وفى رواية رجع معه غنيمات ومتاع ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسـبه ﴾ كافيه ﴿ ان الله بالغ امره ﴾ يبلغ مايريده ولايفـوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا على انه حال والخبر ﴿ قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ تقديرا او مقدرا أواجـلا لايتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائهـا وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها ﴿ واللائى يئس من المحيض من نسائكم ﴾ لكبرهن ﴿ ان ارتبتم ﴾ شككتم فى عدتهن اى جهلتم ﴿ فعدتهن ثلاثة اشهر ﴾ روى انه لما نزل والمطلقات

ويرزقه من حيث لايحتسب هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع ابن خيثم يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شـدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ يعنى من يتق الله فيما نابه كفاه ما اهمه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ﴿ ان الله بالغ امره ﴾ اى منفذ امره وممض فى خلقه ما قضاه ﴿ قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ اى جعل لكل شئ من شدة اورخاء اجلا ينتهى اليه وقال مسروق فى هذه الاية ان الله بالغ امره توكل عليه ام لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا * قوله عزوجل ﴿ واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ﴾ قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصارى يارسول الله فما عدة من تحيض والتى لم تحض وعدة الحبلى فانزل الله عزوجل واللائى يئسن من المحيض من نسائكم يعنى القواعد اللائى قعدن عن الحيض فلا يرجى ان يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض ﴿ ان ارتبتم ﴾ اى شككتم فى حكمهن ولم تدروا ما عدتهن ﴿ فعدتهن ثلاثة اشهر

ابن مالك الاشجعى الذى اسر العدو ابناله فجاء بعد ذلك مع ابل كثيرة (ومن يتوكل على الله) ومن يتق بالله فى لرزق (فهو حسبه) كافيـه (ان الله بالغ أمره) ماض امره وقضـاؤه فى الشـدة والرخاء ويقال نافذ امره وتدبيره (قد جعل الله لكل شئ) من الشـدة والرخاء (قدرا) اجلا ينتهى فلما بين الله عدة النسـاء اللاتى يحضن قام معاذ فقال ارأيت يارسول الله ماعدة النساء اللاتى يئسن من الحيض فنزل (واللائى يئسن من المحيض) من الكبر (من نسـائكم ان ارتبتم) شككتم فى عدتهن (فعدتهن) فى الطلاق (ثلاثة اشهر) فقام رجل آخر فقـال

المسلمين (واقيموا الشهادة لله) لوجهه خالصا وذلك ان يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الضرر (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) فانه المنتفع به هؤلاء (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به اى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال

واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعى وجوبه فى الرجعة ﴿ واقيموا الشهادة ﴾ ايها الشهود عند الحاجة ﴿ لله ﴾ خالصا لوجهه ﴿ ذلكم ﴾ يريد الحث على الاشهاد والاقامة وعلى جميع ما فى الآية ﴿ يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا وضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جئ به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلاة والسلام انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعى اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول

وان لا يتهم فى امساكها وان لا يموت احد الزوجين فيدعى الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة المراجعة فتنقضى العدة وتنكح زوجا غيره ﴿ واقيموا الشهادة ﴾ يعنى ايها الشهود ﴿ لله ﴾ اى طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على الصحة ﴿ ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ قيل معناه ومن يتق الله فليطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت فى عوف بن مالك اسر ابن له يسمى مالكا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اسر العدو ابنى وشكا اليه ايضا الفاقة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو فى بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهى اربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا اى فى ابنه ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ يعنى ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وسأله ايحل له ان يأكل ما اتى به ابنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شئ

(واقيموا الشهادة لله) وقوموا بالشهادة لله عند الحكام (ذلكم) الذى ذكرت من النفقة والسكنى واقامة الشهادة وغيرها (يوعظ به) يؤمر به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت ويقال نزلت من اول السورة الى ههنا فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم حين طلق حفصة وفى ستة نفر من اصحابه ابن عمر واصحابه طلقوا نساءهم غير طواهر فنهاهم الله عن ذلك لانه لغير السنة وعلمهم طلاق السنة اذا طلقوا نساءهم كيف يطلقون (ومن يتق الله) عند المعصية فيصبر (يجعل له مخرجا) من الشدة ويقال من المعصية الى الطاعة ويقال من النار الى الجنة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) لا يأمل نزلت هذه الآية فى عوف

فى نفسه (وتلك حدود الله) اى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى) ايها المخاطب (لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها او من الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون (فاذا بلغن أجلهن) قاربن آخر العدة (فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف) اى فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها فى آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (واشهدوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه لئلا يقع بينهما التجاحد (ذوى عدل منكم) من

خروجها فاحشة ﴿ وتلك حدود الله ﴾ الاشارة الى الاحكام المذكورة ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ بان عرضها للعقاب ﴿ لاتدرى ﴾ اى النفس او انت ايها النبى او المطلق ﴿ لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ﴾ وهو الرغبة فى المطلقة برجعة او استئناف ﴿ فاذا بلغن اجلهن ﴾ شارفن آخر عدتهن ﴿ فامسكوهن ﴾ فراجعوهن ﴿ بمعروف ﴾ بحسن عشرة وانفاق مناسب ﴿ اوفارقوهن بمعروف ﴾ بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها ﴿ واشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله

خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة ﴿ وتلك حدود الله ﴾ يعنى ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام ﴿ ومن يتعد حدود الله ﴾ اى فيطلق لغير السنة او تجاوز هذه الاحكام ﴿ فقد ظلم نفسه ﴾ اى ضر نفسه ﴿ لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ﴾ اى يوقع فى قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب ان يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم امكنه الرجعة * عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احل الله شيأ ابغض اليه من الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا * وله فى رواية عنه عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق * عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس به حرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذى * قوله تعالى ﴿ فاذا بلغن اجلهن ﴾ اى اذا قربن من انقضاء عدتهن ﴿ فامسكوهن ﴾ اى راجعوهن ﴿ بمعروف او فارقوهن بمعروف ﴾ اى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فتبين منكم ﴿ واشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ اى على الرجعة وعلى الفراق امر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق * عن عمران بن حصين انه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد اخرجه ابو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابى حنيفة كما فى قوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعى هو واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد

(وتلك حدود الله) هذه احكام الله وفرائضه فى النساء للطلاق من النفقة والسكنى (ومن يتعد حدود الله) يتجاوز احكام الله وفرائضه ما امر به من النفقة والسكنى (فقد ظلم نفسه) ضر نفسه (لاتدرى) لا تعلم يعنى به الزوج (لعل الله يحدث بعد ذلك) بعد التطليقة الواحدة وقبل الخروج من العدة (أمرا) حبا ومراجعة (فاذا بلغن أجلهن) فاذا انقضت عدتهن من ثلاث قبل ان يغتسلن من الحيضة الثالثة (فامسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) باحسان قبل الاغتسال وان يحسن صحبتها ومعاشرتها (أوفارقوهن) اواتركوهن (بمعروف) باحسان لاتطولوا عليهن العدة وتؤدوا حقها (واشهدوا) على الطلاق والمراجعة (ذوى عدل منكم) رجلين حرين مسلمين عدلين مرضيين

وهو سبب نزوله ﴿واحصوا العدة﴾ واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء ﴿واتقوا الله ربكم﴾ فى تطويل العدة والاضرار بهن ﴿لاتخرجوهن من بيوتهن﴾ من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن ﴿ولايخرجن﴾ باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذالحق لايعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله ﴿الا ان يأتين بفاحشة مبينة﴾ مستثنى من الاول والمعنى الا ان يبذون على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها اوالا ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على ان

ولا بدعة فى الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض اهل العلم فلو طلق امرأته فى حال الطهر ثلاثا لايكون بدعيا وهو قول الشافعى واحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الرأى * قوله تعالى ﴿واحصوا العدة﴾ اى عدة اقرائها فاحفظوها قيل امر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى ﴿واتقوا الله ربكم﴾ اى واخشوا الله ولاتعصوه فيما امركم به ﴿لاتخرجوهن من بيوتهن﴾ يعنى اذا كان المسكن الذى طلقها فيه الزوج له بملك اوكراء وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج ان يكرى لها منزلا غيره ولايجوز للزوج ان يخرج المرأة من المسكن الذى طلقها فيه ﴿ولايخرجن﴾ يعنى ولايجوز للمرأة ان تخرج مالم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة بن خافت هدما اوغرقا جاز لها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل او شراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولايجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش فى بيوتنا فأذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تاوى كل امرأة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر وقد كان طلقها زوجها ان تخرج لجداد نخلها فاذا لزمتها العدة فى السفر تعتد فى اهلها ذاهبة وراجعة والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ اهلها فى العدة لان الانتقال فى حقهم كالاقامة فى حق المقيم وقوله تعالى ﴿الا ان يأتين بفاحشة مبينة﴾ قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاءتها على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل اراد بالفاحشة ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها ان تحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل

من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة وهى بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على ان السكنى واجبة وان الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما اذا حلف لايدخل داره ومعنى الاخراج ان لايخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لااثر له فى رفع الحظر (ولايخرجن) بانفسهن ان اردن ذلك (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) قيل هى الزنا الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة

(واحصوا العدة) احفظوا طهرهن من ثلاث حيض والغسل منها انقضاء العدة (واتقوا الله) اخشوا الله (ربكم) ولاتطلقوهن غير طواهر بغير السنة (لاتخرجوهن من بيوتهن) التى طلقن فيها حتى تنقضى العدة (ولايخرجن) حتى [illegible] (خروجها) تنقضى العدة (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) الا ان يجئن بمعصية بينة وهى ان تخرج فى العدة بغير [illegible] زوجها فاخراجهن فى العدة معصية وخروجهن فى عدتهن معصية ويقال الا ان يأتين بفاحشة بالزنا مبينة برمية شهود فتخرج فترجم

فان اللام فى الازمان وما يشبهها للتوقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغى ان يكون فى الطهر وانه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لما طلق امرأته حائضا امره عليه الصلاة والسلام بالرجعة

الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدله ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التى امر الله ان يطلق لها النساء زاد فى رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لمسلم انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا او حاملا ولمسلم من حديث ابى الزبير انه سمع عبد الرحمن بن ايمن مولى عروة يسأل ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف ترى فى رجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته وهى حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك قال ابن عمر وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن

فصل

اعلم ان الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك فى الطهر الذى جامعها فيه لقول النبى صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل ان يمس والطلاق السنى ان يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه وهذا فى حق امرأة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها فى حال الحيض اوطلق الصغيرة التى لم تحض او الآيسة بعد ما جامعها اوطلق الحامل بعد ما جامعها او طلق التى لم تر الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة فى طلاق هؤلاء لان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا او حاملا والخلع فى حال الحيض او فى طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبى صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس فى مخالعة زوجته قبل ان يعرف حالها ولولا جوازه فى جميع الاحوال لامره ان يتعرف الحال ولو طلق امرأته فى حال الحيض اوفى طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبى صلى الله عليه وسلم امر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعة واذا راجعها فى حال الحيض يجوز ان يطلقها فى حال الطهر الذى يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وانس بن سيرين عن ابن عمرو لم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب استحب تأخير الطلاق الى الطهر الثانى حتى لا تكون مراجعته اياها للطلاق كما انه يكره النكاح للطلاق

عليه وسلم فى قبل عدتهن واذا طلقت المرأة فى الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان تطليق المدخول بهن من المعتدات بالحيض فى طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا احسن الطلاق

عند طهورهن طواهر من غير جماع

(ويغفر لكم والله شكور) يقبل القليل ويعطي الجزيل (حليم) يقبل الجليل من ذنب البخيل او يضعف الصدقة لدافعها ولا يجعل العقوبة لمانعها (عالم الغيب) اى يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) اى ما انتشر من ظواهر الخطوب (العزيز) المعز باظهار السيوب (الحكيم) فى الاخبار عن الغيوب والله اعلم ﴿ سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا ايها النبى اذا طلقتم النساء) خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم

بالخطاب لان النبى امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه قدوة قومه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل التقدير يا ايها النبى والمؤمنين ولمعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشى الى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفى قراءة رسول الله صلى الله

يضعفه لكم ﴿ ويغفر لكم ﴾ ببركة الانفاق ﴿ والله شكور ﴾ يعطى الجزيل بالقليل ﴿ حليم ﴾ لا يعاجل بالعقوبة ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ لا يخفى عليه شئ ﴿ العزيز الحكيم ﴾ تام القدرة والعلم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة والله اعلم

﴿ سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة او احدى عشرة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا ايها النبى اذا طلقتم النساء ﴾ خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ اى وقتها وهو الطهر

﴿ ويغفر لكم والله شكور ﴾ يعنى يحب المتقربين اليه ﴿ حليم ﴾ اى لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم ﴿ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ والله اعلم

﴿ تفسير سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ يا ايها النبى اذا طلقتم النساء ﴾ نادى النبى صلى الله عليه وسلم ثم خاطب امته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة فى ذلك الخطاب وقيل معناه يا ايها النبى قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النساء اى اذا اردتم تطليقهن ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ اى لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل فى العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن قبل عدتهن وهذا فى المدخول بها لان غير المدخول بها لاعدة عليها نزلت هذه الآية فى عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته فى حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى

(ويغفر لكم) بالصدقة (والله شكور) لصدقاتكم حين قبلها واضعفها ويقال شكور يشكر اليسير من صدقاتكم ويجزى الجزيل من ثوابه (حليم) لا يعجل بالعقوبة على من يمن بصدقته اويمنع (عالم الغيب) مافى قلوب المتصدقين من المن او الخشية (والشهادة) عالم بصدقاتهم (العزيز) بالنقمة لمن يمن بصدقته ولا يعطى الصدقة (الحكيم) فى امره وقضائه ويقال الحكيم فى قبول الصدقات واضعافها ويقال الحكيم حيث حكم بطلاق السنة للنبى عليه الصلاة والسلام وامته ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الطلاق وهى كلها مدنية آياتها احدى عشرة آية وكلماتها مائتان وسبع واربعون وحروفها الف ومائة وسبعون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا ايها النبى) وامته (اذا طلقتم النساء) يقول قل لقومك اذا اردتم ان تطلقوا النساء (فطلقوهن لعدتهن)

بامـوالـكم و ولادكم ولم يدخل فيه من كائى العداوة لان الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة (فاتقوا الله ما استطعتم) جهدكم ووسعكم قيل هو تفسير لقوله حق تقاته (واسمعوا) ما توعظون به (واطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وانفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لانفسكم) اى انفاقا خيرا لانفسكم وقال الكسائى يكن الانفاق خيرا لانفسكم

والاصح ان تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثـال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الامـوال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) اى البخل بالزكاة والصدقة الواجبة (فاولئـك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا) بنية واخلاص وذكر القرض تلطفـا فى الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحد عشرا او سبعمائة الى ما شاء من الزيادة

لمن آثر محبـة الله وطـاعته على محبة الاموال والاولاد والسـعى لهم ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم ﴿ واسمعوا ﴾ مواعظه ﴿ واطيعوا ﴾ اوامره ﴿ وانفقوا ﴾ فى وجوه الخير خالصا لوجهه ﴿ خيرا لانفسكم ﴾ اى افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثـال هذه الاوامر ويجـوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى انفاقا خيرا اوخبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ﴿ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ سبق تفسيره ﴿ ان تقرضوا الله ﴾ بصرف المال فيما امره ﴿ قرضا حسنا ﴾ مقرونا بالاخـلاص وطيب قلب ﴿ يضاعفه لكم ﴾ يجعل لكم بالواحـد عشرا الى سبعمـائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب

والمعنى لاتباشروا المعاصى بسـبب اولادكم ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقـال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لانهم كلهم ليسـوا باعداء ولم يذكر من فى قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبدالله بن مسعود يقول لايقولن احدكم اللهم انى اعوذ بك من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى اهل ومال وولد الا يشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم انى اعوذ بك من مضلات الفتن * عن بريدة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشـيان ويعثران فنزل رسـول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهمـا بين يديه ثم قال صدق الله انمـا اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشـيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وقوله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ اى ما طقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته ﴿ واسمعوا واطيعوا ﴾ اى لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿ وانفقوا ﴾ اى من اموالكم حق الله الذى امركم به ﴿ خيرا لانفسكم ﴾ اى ما انفقتم فى طاعة الله ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ تقدم تفسـيره ﴿ ان تقرضوا الله قرضا حسـنا ﴾ القرض الحسن هو التصدق من الحـلال مع طيبة نفس يعنى ان تقرضوا اى تصدقوا فى طاعة الله متقربين اليه بالانفاق ﴿ يضاعفه لكم ﴾ اى يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما شاء من الزيادة

(فاتقوا الله) فاطيعوا الله (ما استطعتم) بالذى اطقتم (واسمعوا) ما تؤمرون (وأطيعوا) ما امركم الله ورسـوله (وانفقوا) تصـدقوا باموالـكم فى سبيل الله (خيرا لانفسكم) يقول الصـدقة خير لكم من امساكها (ومن يوق شح نفسه) [illegible] دفع عنه بخل نفسه ويقال من ادى زكاة ماله (فاولئك هم المفلحون) الناجون من [illegible] والعذاب [illegible] فى الصدقة (قرضا حسنا) محتسبا صادقا من قلوبكم (يضاعفه لكم) يقبله ويضاعفه لكم فى الحسنات [illegible] سبعين الى سبعمائة الى الفى الف الى ماشاء الله من الاضعاف

وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه (يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) اى ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الاولاد اولادا يعادون آباءهم ويعقونهم (فاحذروهم) الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اى لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وان تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وتصفحوا) تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) وتستروا ذنوبهم (فان الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم قيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو (انما اموالكم واولادكم فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون فى الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما (والله عنده اجر عظيم) اى فى الآخرة وذلك اعظم من منفعتكم

﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك ﴿ يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ﴾ يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم فى امر الدين او الدنيا ﴿ فاحذروهم ﴾ ولا تأمنوا غوائلهم ﴿ وان تعفوا ﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة ﴿ وتصفحوا ﴾ بالاعراض وترك التثريب عليها ﴿ وتغفروا ﴾ باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم ﴿ انما اموالكم واولادكم فتنة ﴾ اختبار لكم ﴿ والله عنده اجر عظيم ﴾

مقصود الا هو ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ * قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ عن ابن عباس قال هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا فى الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم اى ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة ﴿ وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا ﴾ هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا فى الدين فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فامره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى وكان ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم اى ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اى فلا تعاقبوهم على خلافكم ﴿ فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة ﴾ اى بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم فى العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك ﴿ والله عنده اجر عظيم ﴾ يعنى الجنة

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله لا على غيره (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ان من ازواجكم واولادكم) الذين بمكة (عدوا لكم) ان صدوكم عن الهجرة والجهاد (فاحذروهم) (والمعنى) ان تقعدوا عن الهجرة والجهاد (وان تعفوا) عن صدهم اياكم (وتصفحوا) تعرضوا فلا تعاقبوهم (وتغفروا) تجاوزوا ذنوبهم بعدما هاجروا من مكة الى المدينة (فان الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (انما اموالكم واولادكم) الذين بمكة (فتنة) بلية لكم اذ منعوكم عن الهجرة والجهاد (والله عنده اجر) ثواب (عظيم) لمن هاجر وجاهد فى سبيل الله ولم يله بماله وولده عن الهجرة والجهاد

(يكفر عنه سيأته ويدخله) وبالنون فيهما مدني وشامي (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير مااصاب من مصيبة) شدة ومرض وموت اهل اوشئ نقتضيهما (الا باذن الله) بعلمه وتقديره ومشيئته كأنه اذن للمصيبة ان تصيبه (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول انالله وانااليه راجعون او يشرحه للازدياد من الطاعة والخير او يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان اعطى شكر وان ظلم غفر (والله بكل شئ عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فانما على رسولنا البلاغ المبين) اى عليه التبليغ وقد فعل (الله لا اله الاهو

﴿ يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ﴿ ذلك فوز العظيم ﴾ الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ﴾ كانها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ﴿ ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ﴾ الا بتقديره وارادته ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اى يسكن ويطمئن ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ حتى القلوب واحوالها ﴿ واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم ﴾ اى فان توليتم فلابأس عليه ﴿ فانما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ ﴿ الله لااله الا هو

ذلك ﴿ يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا ﴾ اى بوحدانية الله وقدرته ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ اى الدالة على البعث ﴿ اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ﴾ اى بقضاء الله وقدره وارادته ﴿ ومن يؤمن بالله ﴾ اى يصدق انه لايصيبه مصيبة من موت اومرض اوذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله وقدره واذنه ﴿ يهد قلبه ﴾ اى يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء ﴿ والله بكل شئ عليم واطيعوا الله ﴾ اى فيما امر ﴿ واطيعوا الرسول ﴾ اى فيما جاء به عن الله وما امركم به ﴿ فان توليتم ﴾ اى عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه ﴿ فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو ﴾ اى لا معبود ولا

فيما بينه وبين ربه (يكفر عنه سيئاته) يغفر ذنوبه بالتوحيد (ويدخله جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ابدا ذلك الفوز العظيم) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونجوا من النار (والذين كفروا) بالله كفار مكة (وكذبوا بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اولئك اصحاب النار) اهل النار (خالدين فيها) مقيمين في النار لايموتون ولايخرجون منها (وبئس المصير) المرجع في الآخرة الذى صاروا (قا وخا ٣٦ س) اليه النار (مااصاب من مصيبة) في بدنكم و اهلكم واموالكم (الا باذن الله) وقضائه (ومن يؤمن بالله) يرى المصيبة من الله (يهد قلبه) للرضا والصبر ويقال اذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا ظلم غفر واذا اصابته مصيبة استرجع يهد قلبه للاسترجاع (والله بكل شئ) يصيبكم من المصيبة وغيرها (عليم واطيعوا الله) في الفرائض (واطيعوا الرسول) في السنن ويقال اطيعوا الله في التوحيد واطيعوا الرسول بالاجابة (فان توليتم) عن طاعتهما (فانما على رسولنا) محمد صلى الله عليه وسلم (البلاغ) التبليغ عن الله لرسالته (المبين) يبين لكم بلغة تعلمونها (الله لااله الاهو) لا ولد له ولا شريك له

قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك) البعث (على الله يسير) هين (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى انزلنا) يعنى القرآن لانه يبين حقيقة كل شئ فيهتدى به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا اموركم (يوم يجمعكم) انتصب الظرف بقوله لتنبؤن او باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون (ذلك يوم التغابن) وهو مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء كما ورد فى الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى امور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) صفة للمصدر راى عملا صالحا

قسم اكد به الجواب ﴿ ثم لتنبؤن بما عملتم ﴾ بالمحاسبة والمجازاة ﴿ وذلك على الله يسير ﴾ لقبول المادة وحصول القدرة التامة ﴿ فآمنوا بالله ورسوله ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ والنور الذى انزلنا ﴾ يعنى القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ فمجاز عليه ﴿ يوم يجمعكم ﴾ ظرف لتنبؤن اومقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ﴿ ليوم الجمع ﴾ لاجل مافيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾ يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لوكانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقى وهو التغابن فى امور الآخرة لعظمها ودوامها ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ﴾ اى عملا صالحا

اى يوم القيامة ﴿ ثم لتنبؤن ﴾ اى لتخبرن ﴿ بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ اى امر البعث والحساب يوم القيامة ﴿ فآمنوا بالله ورسوله ﴾ لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة ﴿ والنور الذى انزلنا ﴾ يعنى القرآن سماه نورا لانه يهتدى به فى ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور فى الظلمة ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ يعنى انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه * قوله عز وجل ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ﴾ يعنى يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين واهل السموات واهل الارضين ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾ من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فى المجازاة والتجارة وذلك انه اذا اخذ الشئ بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن اهله ومنازله فى الجنة وذلك لان كل كافر له اهل ومنزل فى الجنة لو اسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان وقيل ان قوما فى النار يعذبون وقوما فى الجنة ينعمون فلا غبن اعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون فى الدنيا فصار فى الآخرة غابنا لظالمه واصل الغبن فى البيع والشراء وقد ذكر الله فى حق الكافرين انهم خسروا غبنوا فى شرائهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال فى حق المؤمنين هل ادلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين ﴿ ومن يؤمن بالله ﴾ على ماجاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار ﴿ ويعمل صالحا ﴾ اى فى ايمانه الى ان يموت على

بعد الموت (ثم لتنبؤن) لتخبرن (بما عملتم) فى الدنيا من الخير والشر (وذلك) البعث (على الله يسير) هين (فآمنوا) يا اهل مكة (بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم بالبعث بعد الموت (والنور) الكتاب (الذى انزلنا) جبريل على محمد عليه السلام (والله بما تعملون) من الخير والشر (خبير يوم) وهو يوم القيامة (يجمعكم) (ذلك) ليوم الجمع) يوم يجتمع فيه الاولون والآخرون (ذلك يوم التغابن) يغبن الكافر بنفسه واهله وخدمه ومنازله فى الجنة ويرثه المؤمن ويقال يغبن المؤمن الكافر باهله ومنازله ويغبن فيه الكافر بنفسه فى الجنة ويرثه المؤمن دون الكافر ويغبن المظلوم الظالم باخذ حسناته ووضع سيئاته على ظالمه (ومن يؤمن بالله) وبمحمد عليه السلام والقرآن (ويعمل صالحا) خالصا

ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور ان شيأ من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه ان يتقى ويحذر ولايجترئ على شئ ممايخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ماذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن فى معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولاتشكر نعمته (الم يأتكم) الخطاب لكفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط (فذاقوا وبال امرهم) اى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب اليم) فى العقبى (ذلك) اشارة الى ماذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما اعدلهم من العذاب فى الآخرة (بانه) بان الشان والحديث (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا ابشر يهدوننا) انكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) اطلق ليتناول كل شئ ومن جملته ايمانهم وطاعتهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) على صنعه (زعم الذين كفروا) اى اهل مكة والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدى العلم (ان لن يبعثوا) ان مع مافى حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره انهم لن يبعثوا (قل بلى) هو اثبات لما بعد ان وهو البعث (وربى لتبعثن) اكد الاخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على شئ انكروه قلت هو جائز لان التهدد به اعظم موقعا فى القلب فكأنه

لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقدير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء ﴿ الم يأتكم ﴾ ايها الكفار ﴿ نبأ الذين كفروا من قبل ﴾ كقوم نوح وهود وصالح عليهم الصلاة والسلام ﴿ فذاقوا وبال امرهم ﴾ ضرر كفرهم فى الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ فى الآخرة ﴿ ذلك ﴾ اى المذكور من الوبال والعذاب ﴿ بانه ﴾ بسبب ان الشأن ﴿ كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات ﴿ فقالوا ابشر يهدوننا ﴾ انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق على الواحد والجمع ﴿ فكفروا ﴾ بالرسل ﴿ وتولوا ﴾ عن التدبر والبينات ﴿ واستغنى الله ﴾ عن كل شئ فضلا عن طاعتهم ﴿ والله غنى ﴾ عن عبادتهم وغيرها ﴿ حميد ﴾ يدل على حمده كل مخلوق ﴿ زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ﴾ الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى المفعولين وقد قام مقامهما ان مع مافى حيزه ﴿ قل بلى ﴾ اى بلى تبعثون ﴿ وربى لتبعثن ﴾

انه لاتخفى عليه خافية فاستوى فى علمه الظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم * قوله تعالى ﴿ الم يأتكم ﴾ يخاطب كفار مكة ﴿ نبأ الذين كفروا من قبل ﴾ يعنى خبر الامم الخالية ﴿ فذاقوا وبال امرهم ﴾ اى جزاء اعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب فى الدنيا ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ اى فى الآخرة ﴿ ذلك ﴾ اى الذى نزل بهم من العذاب ﴿ بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا ﴾ معناه انهم انكروا ان يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا ﴿ فكفروا ﴾ اى جحدوا وانكروا ﴿ وتولوا ﴾ اى اعرضوا ﴿ واستغنى الله ﴾ اى عن ايمانهم وعبادتهم ﴿ والله غنى ﴾ اى عن خلقه ﴿ حميد ﴾ اى فى افعاله ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى ﴿ زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل ﴾ اى قل لهم يا محمد ﴿ بلى وربى لتبعثن ﴾

من الخير والشر (الم يأتكم) يا اهل مكة فى الكتاب (نبأ) خبر (الذين كفروا من قبل) من قبلكم من الامم الماضية كيف فعل بهم (فذاقوا وبال امرهم) عقوبة امرهم فى الدنيا بالعذاب والهلاك (ولهم عذاب اليم) وجيع فى الآخرة (ذلك) العذاب (بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (فقالوا أبشر) آدمى مثلنا (يهدوننا) يدعوننا الى التوحيد (فكفروا) بالكتب والرسل والآيات (وتولوا) اعرضوا عن الايمان بالكتب والرسل والآيات (واستغنى الله) عن ايمانهم (والله غنى) عن ايمانهم (حميد) محمود فى فعاله ويقال حميد لمن وحده (زعم الذين كفروا) كفار مكة (أن لن يبعثوا) من بعد الموت (قل) لهم يا محمد (بلى وربى لتبعثن)

ويدل عليه قوله (والله بما تعملون بصير) اى عالم وبصير بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم باصل النعم الذى هو الخلق والايجاد عن العدم وكان يجب ان تكونوا باجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملو فيجازيهم (وصوركم فاحسن صوركم) اى جعلكم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان لايتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن احسن صورته ان خلقه منتصبا غير منكب ومن كان دميما مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثم ولكن الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء شيآن لاغاية لهما الجمال والبيان (واليه المصير) فاحسنوا سرائركم كما احسن صوركم (يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) نبه بعلمه ما فى السموات والارض

﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيعاملكم بما يناسب اعمالكم ﴿خلق السموات والارض بالحق﴾ بالحكمة البالغة ﴿وصوركم فاحسن صوركم﴾ فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات ﴿واليه المصير﴾ فاحسنوا سرائركم حتى لا تمسخ بالعذاب ظواهركم ﴿يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾ فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضى

خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضى خلقها قال يارب اذكر ام انثى اشقى ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك وهو فى بطن امه وقال جماعة فى معنى الآية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا فى تأويلها فروى عن ابى سعيد الخدرى انه قال فمنكم كافر حياته مؤمن فى العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر فى العاقبة وقال عطاء بن ابى رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر اى بان الله خلقه وهم الدهرية واصحاب الطبائع ومنكم مؤمن اى بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وايمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية ﴿والله بما تعملون بصير﴾ اى انه عالم بكفر الكافر وايمان المؤمن ﴿خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم﴾ اى انه اتقن واحكم صوركم على وجه لايوجد مثله فى الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة فى الاعضاء وقد علم بهذا ان صورة الانسان احسن صورة واكملها ﴿واليه المصير﴾ اى المرجع فى القيامة ﴿يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾ معناه

(والله بما تعملون) من الخير والشر (بصير خلق السموات والارض بالحق) لتبيان الحق والباطل ويقال للزوال والفناء (وصوركم) فى الارحام (فاحسن صوركم) من صور الدواب ويقال احكم صوركم باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء (واليه المصير) المرجع فى الآخرة (يعلم ما فى السموات) من الخلق (والارض) من الخلق (ويعلم ما تسرون) ما تخفون من العمل (وما تعلنون) وما تظهرون من العمل (والله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب (انه)

المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله اعلم بالصواب ﴿ سورة التغابن ثمانى عشرة آية مختلف فيها ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يسبح لله مافى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير) قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك ان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ والقائم به وكذا الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك

غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) اى فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له

فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ماقبله فى الغيبة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

﴿ سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمانى عشرة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يسبح لله مافى السموات ومافى الارض ﴾ بدلالتها على كماله واستغنائه ﴿ له الملك وله الحمد ﴾ قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال ﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ﴾ مقدر كفره موجه اليه مايحمله عليه ﴿ ومنكم مؤمن ﴾ مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه

ماسأل ماجح ومازكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير او شر والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة التغابن وهى مدنية فى قول الاكثر وقيل هى مكية ﴾
﴿ الا ثلاث آيات من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من أزواجكم ﴾
﴿ وأولادكم الى آخر ثلاث آيات وهى ثمانى عشرة آية ومائتان واحدى ﴾
﴿ واربعون كلمة والف وسبعون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ يسبح لله مافى السموات ومافى الارض له الملك وله الحمد ﴾ يعنى انه تعالى متصرف فى ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لاشريك له فيه وله الحمد لان اصول النعم كلها منه وهو الذى يحمد على كل حال فلا محمود فى جميع الاحوال الاهو ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى يفعل مايشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع ﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقكم مؤمنا وكافرا (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله

المؤمنين والمصدقين بايمانهم ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها التغابن مكيه ومدنية آياتها ثمانية عشرة وكلماتها مائتان واحدى واربعون وحروفها الف وسبعون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يسبح لله) يقول يصلى لله ويقال يذكر لله (مافى السموات) من الخلق (ومافى الارض) من الخلق وكل شئ حى (له الملك) الدائم لايزول ملكه (وله الحمد) الشكر والمنة على اهل السموات والارض ويقال على اهل الدنيا والآخرة (وهو على كل شئ) من امر الدنيا والآخرة وتزيين اهل السموات والارض (قدير هو الذى خلقكم) من آدم وآدم من تراب (فمنكم كافر) بالعلانية (ومنكم مؤمن) بالعلانية ويقال فمنكم كافر يؤمن وهو تحضيض منه على الايمان ومنكم مؤمن يكفر وهو تحذير منه عن الكفر ويقال منكم كافر السريرة كافر العلانية وهو الكافر ومنكم مؤمن السريرة مؤمن العلانية وهو المؤمن المخلص بايمانه ومنكم كافر السريرة مؤمن العلانية وهو المنافق بايمانه

يؤنهم (عن ذكرالله) اى عن الصلوات الخمس اوعن القرآن (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين وقيل من يشتغل بتثمير امواله عن تدبير احواله وبمرضاة اولاده عن اصلاح معاده (فاؤلئك هم الخاسرون) فى تجارتهم حيث باعوا الباقى بالفانى (وانفقوا مما رزقناكم) من للتبعيض والمراد بالانفاق الواجب (من قبل ان يأتى احدكم الموت) اى من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويتعذر عليه الانفاق (فيقول رب لولا اخرتنى) هلا اخرت موتى (الى اجل قريب) الى زمان قليل (فاصدق) فاتصدق وهو جواب لولا (وأكن من الصالحين) من المؤمنين والآية فى المؤمنين وقيل فى المنافقين وأكون ابو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم على موضع فاصدق كانه قيل ان اخرتنى اصدق واكن (ولن يؤخر الله نفسا) عن الموت (اذا جاء اجلها) المكتوب فى اللوح المحفوظ (والله خبير بما تعملون) يعملون حماد ويحيي والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة والله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا

عن ذكر الله ﴾ لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذلك قال ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ اى اللهو بها وهو الشغل ﴿ فاؤلئك هم الخاسرون ﴾ لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى ﴿ وانفقوا مما رزقناكم ﴾ بعض اموالكم ادخارا للآخرة ﴿ من قبل ان يأتى احدكم الموت ﴾ اى يرى دلائله ﴿ فيقول رب لولا اخرتنى ﴾ هلا امهلتنى ﴿ الى اجل قريب ﴾ امد غير بعيد ﴿ فاصدق ﴾ فاتصدق ﴿ واكن من الصالحين ﴾ بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على فاصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ﴿ ولن يؤخر الله نفسا ﴾ ولن يمهلها ﴿ اذا جاء اجلها ﴾ آخر عمرها ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾

عن ذكر الله ﴾ يعنى عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ اى ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿ فاؤلئك هم الخاسرون ﴾ اى فى تجارتهم حيث آثروا الفانى على الباقى ﴿ وانفقوا مما رزقناكم ﴾ قال ابن عباس يريد زكاة الاموال ﴿ من قبل ان يأتى احدكم الموت ﴾ اى دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة ﴿ فيقول رب لولا اخرتنى ﴾ اى هلا امهلتنى وقيل لو اخرت اجلى ﴿ الى اجل قريب فاصدق ﴾ اى فازكى مالى ﴿ وأكون ﴾ وقرئ وأكن ﴿ من الصالحين ﴾ اى من المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية فى المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لا يسأل الرجعة وقيل نزلت فى المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته او اطاق الحج ولم يحج الا سأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وأكون من الصالحين اى احج وازكى ﴿ ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها ﴾ يعنى انه تعالى لا يؤخر من حضر اجله وانقضت مدته ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ يعنى انه لو رد الى الدنيا واجيب الى

(عن ذكر الله) عن الهجرة والجهـاد (ومن يفعل ذلك) من يله بالمال والولد عن الهجرة والجهـاد (فاؤلئك هم الخاسرون) المغبـونون بالعقوبة (وانفقوا) تصدقوا فى سبيل الله (مما رزقناكم) اعطيناكم من الاموال (ما) ويقـال ادوا زكاتكم (من قبل ان يأتى احدكم الموت) سلطان الموت (فيقول رب لولا اخرتنى) هلا اجلتنى (الى اجل قريب) مثل اجل الدنيا (فأصـدق) من مالى وازكى من مالى (واكن من الصالحين) احج به واكن من الحاجين (ولن يؤخر الله نفسـا اذا جاء اجلها والله خبير بمـا تعملون) من الخير والشر ويقـال نزل من قوله يا ايها الذين آمنوا الى ههنا فى شأن المنافقين واما قوله فأصدق ان فسرت على المنافقين يقول فاصدق ايمانى واكن من الصالحين يقول افعل بمالى كفعل

هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يتفرقوا (ولله خزائن السموات والارض) اى وله الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم (ولكن المنافقين لايفقهون) ولكن عبدالله واضرابه جاهلون لايفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان (يقولون لئن رجعنا) من غزوة بنى المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة) اى الغلبة والقوة (ولرسوله وللمؤمنين) ولمن اعزه الله وايده من رسله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان و ذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت فى هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذى لاذل معه والغنى الذى لافقر معه وعن الحسن ابن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (ولكن المنافقين لايعلمون يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم) لاتشغلكم (أموالكم) هو التصرف فيها والسعى فى تدبير امرها بالنماء وطلب النتاج (ولا اولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام

﴿ هم الذين يقولون ﴾ اى للانصار ﴿ لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ يعنون فقراء المهاجرين ﴿ ولله خزائن السموات والارض ﴾ بيده الارزاق والقسم ﴿ ولكن المنافقين لايفقهون ﴾ ذلك لجهلهم ﴿ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ﴾ روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكا الى ابن ابى فقال لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القرا آت مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج اواخراج اومثل ﴿ و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ﴿ ولكن المنافقين لايعلمون ﴾ من فرط جهلهم وغرورهم ﴿ يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم

يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الآية ونزل ﴿ هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ اى يتفرقوا عنه ﴿ ولله خزائن السموات والارض ﴾ يعنى بيده مفاتيح الرزق فلا يعطى احد احدا شيأ الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيئته ﴿ ولكن المنافقين لايفقهون ﴾ يعنى ان امر الله اذا أراد شيأ ان يقول له كن فيكون ﴿ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ﴾ يعنى من غزوة بنى المصطلق ﴿ ليخرجن الاعز منها الاذل ﴾ فرد الله عليهم بقوله ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على اعدائهم ﴿ ولكن المنافقين لايعلمون ﴾ اى ذلك ولو علموا ماقالوا هذه المقالة قال اصحاب السير فلما نزلت هذه الآية فى عبدالله بن ابى ابن سلول لم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه * قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم ﴾ اى لاتشغلكم ﴿ اموالكم ولا اولادكم

(هم الذين يقولون) قال هذا عبدالله بن ابى خاصة لاصحابه فى غزوة تبوك (لاتنفقوا على من عند رسول الله) من ذوى الحاجة والفقر (حتى ينفضوا) يتفرقوا من عنده و يلحقوا بعشائرهم (ولله خزائن السموات والارض) مفاتيح خزائن السموات بالرزق المطر والارض النبات (ولكن المنافقين) عبدالله بن ابى واصحابه (لا يفقهون) ان الله يرزقهم (يقولون) قال هذا ايضا عبدالله بن ابى خاصة لاصحابه فى غزوة تبوك (لئن رجعنا الى المدينة) من غزوتنا هذه (ليخرجن الاعز) القوى يعنون عبدالله بن ابى (منها) من المدينة (الاذل) الذليل الضعيف منهم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) المنعة والقدرة على المنافقين عبدالله بن ابى واصحابه (ولكن المنافقين لا يعلمون) ذلك ولايصدقون وفيه قصة زيد بن ارقم (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لاتلهكم) لا تشغلكم (اموالكم) بمكة (ولا اولادكم) بمكة

الله اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاؤا بها فآمن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد ابن ارقم جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فانزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبدالله بن ابي فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يازيد ان الله قد صدقك واوفى باذنك (ق) عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبدالله بن ابي لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فأرسل الى عبدالله بن ابي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى انزل الله بتصديقي اذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤسهم وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شئ (ق) عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصاري ياللانصار وقال المهاجر ياللمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مابال دعوى الجاهلية ثم قال ماشأنهم فاخبر بكسعة المهاجر الانصاري فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبدالله بن ابي ابن سلول اقد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال عمر الا اقتل يانبي الله هذا الخبيث لعبدالله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه* ولمسلم رواية وفيها فقال لابأس ولينصر الرجل اخاه ظالما كان اومظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبدالله بن عبدالله لاتنقلب حتى تقر انك انت الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل* قال اصحاب السير وكان عبدالله بن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبدالله حتى اناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبدالله بن ابي قال له ابنه وراءك قال ويلك مالك قال لا والله لاتدخلها ابدا الا ان يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكا عبدالله بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع ابنه عبدالله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبدالله اما اذا جاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وتبين كذب المنافقين قيل يا اباحباب انه قد نزل فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه وقال امرتموني ان اومن فآمنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله واذا قيل لهم تعالوا

(يستغفر)

الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه يارسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن اذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبدالله بن ابي فاتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فقال عبدالله بن ابي والذي انزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب وكان عبدالله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه يارسول الله عسى ان يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك ان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يارسول الله صلى الله عليك وسلم لقدرحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما بلغك ما قال صاحبك عبدالله بن ابي فقال اسيد وما قال قال يزعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد انت والله يارسول الله تخرجه هو والله الذليل وانت والله العزيز ثم قال يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قدسلبته ملكا وبلغ عبدالله بن عبدالله بن ابي ما كان من ابيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبدالله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبدالله بن ابي يمشي على الارض فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته مابقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى امسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبدالله بن ابي الذي كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال لها نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولايعلم بمكان ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ماازعم اني اعلم الغيب ولا اعلمه ولكن

من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد على رأسه تاج المعراج فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه دعنى اضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فن كرهت

ان يقتله مهاجر فامربه انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى انزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فهوقوله اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يارسول الله شيخنا وكبيرنا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ياغلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه فقال امرتمونى ان اومن فآمنت وامرتمونى ان ازكى مالى فزكيت ومابقى لى الان اسجد لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا اياما حتى اشتكى ومات (سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) اى مادام وا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لايلتفتون اليه ولايعتدون به لكفرهم او لان الله لايغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه (ان الله لايهدى القوم الفاسقين

﴿سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ لرسوخهم فى الكفر ﴿ان الله لايهدى القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهما كهم فى الكفر والنفاق

اى عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ﴿سواء عليهم استغفرت لهم﴾ اى يا محمد ﴿ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدى القوم الفاسقين﴾

ذكر القصة فى سبب نزول هذه الآية

قال محمد بن اسحق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ابى ضرار وهو ابو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بنى المصطلق وامكن منهم وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذوردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفارى يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان ابن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يامعشر الانصار وصرخ الغفارى يا معشر المهاجرين واعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن ابى لجعال وانك لهناك فقال جعال وما يمنعنى ان افعل ذلك فغضب عبد الله بن ابى وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن ابى افعلوها قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن ابى اسكت لقد كنت ألعب فمشى زيد بن ارقم الى رسول

(سواء عليهم) على المنافقين (استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) على ما اقاموا على ذلك (ان الله لايهدى) لايغفر (القوم الفاسقين) المنافقين من كان فى علم الله انه يموت على النفاق

فى سقف اوجدار اوغيرها من مظان الانتفاع ومادام متروكا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع او لانهم اشباح بلا ارواح و جسام بلا احلام خشب ابو عمرو غير عباس و على جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر (يحسبون كل صيحة عليهم) كل صيحة مفعول اول والمفعول الثانى عليهم وتم الكلام اى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لخيفتهم ورعبهم يعنى اذا نادى مناد فى العسكر اوانفلتت دابة اوانشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ثم قال (هم العدو) اى هم الكاملون فى العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم (قاتلهم الله) دعاء عليهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك (انى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا لووا بالتخفيف نافع (ورأيتهم يصدون) يعرضون (وهم مستكبرون) عن الاعتذار والاستغفار روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر وسنان الجهنى حليف لابن ابى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين واطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ماصحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأ كلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا

ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن فى جمع بدنة ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ اى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول ﴿ هم العدو ﴾ وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله ﴿ فاحذرهم ﴾ عليه يدل على ان الضمير للمنافقين ﴿ قاتلهم الله ﴾ دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك ﴿ انى يؤفكون ﴾ كيف يصرفون عن الحق ﴿ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ﴾ عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك وقرأ نافع بتخفيف الواو ﴿ ورأيتهم يصدون ﴾ وهم يعرضون عن الاستغفار ﴿ وهم مستكبرون ﴾ عن الاعتذار

ينتفع بها ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ يعنى انهم لا يسمعون صوتا فى العسكر بان ينادى مناد اوتنفلت دابة او تنشد ضالة الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد اتوا لما فى قلوبهم من الرعب وقيل انهم على خوف ووجل من ان ينزل فيهم امر يهتك استارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ هم العدو فاحذرهم ﴾ اى لا تأمنهم فانهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم ولا تأمنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم اسرارك ﴿ قاتلهم الله ﴾ اى لعنهم الله ﴿ انى يؤفكون ﴾ اى يصرفون عن الحق * قوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ﴾ اى اما لوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار ﴿ ورأيتهم يصدون ﴾ اى يعرضون عما دعوا اليه ﴿ وهم مستكبرون ﴾

(يحسبون كل صيحة) كل صورة فى المدينة (عليهم) من الجبن (هم العدو فاحذرهم) ولا تأمنهم (قاتلهم الله) لعنهم الله (أنى يؤفكون) كيف يكذبون ويقال كيف يصرفون بالكذب (واذا قيل لهم) قال لهم عشائرهم بعدما افتضحوا (تعالوا) الى رسول الله وتوبوا من الكفر والنفاق (يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عكفوا وعطفوا وغطوا رؤسهم (ورأيتهم) يا محمد (يصدون) يصرفون عن الاستغفار والتوبة والاتيان اليك (وهم مستكبرون) متعظمون عن التوبة والاستغفار

من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ســاء معنى التعجب الذي هو لتعظيم امرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى قوله ســاء ما كانوا يعملون اى ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسـوأ الناس اعمالا (بانهم) بســبب انهم (آمنوا ثم كفروا) اوالى ما وصف من حالهم فى النفاق و الـكذب والاستجنان بالايمان اى ذلك كله بســبب انهم آمنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير ونحو ذلك ونطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (فطبع على قلوبهم) فختم عليها حتى لا يدخلها الايمان جزاء على نفاقهم (فهم لا يفقهون) لا يتدبرون او لا يعرفون صحة الايمان والخطاب فى (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) لرسول الله او لكل من يخاطب (وان يقـولوا تسـمع لقولهم) كان ابن ابى رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين فى مثل صفته فكانوا يحضرون مجالس النبى صلى الله عليه وسلم فيســتندون فيــه ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الالسن فكان النبى صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وموضـع (كأنهم خشب) رفع على هم كأنهم خشب او هو كلام مسـتأنف لا محل له (مسـندة) فى الحائط شبهوا فى استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشب اذا انتفع به كان ﴿ينتفع﴾

﴿ذلك﴾ اشارة الى الكلام المتقدم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم والى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان ﴿بانهم آمنوا﴾ بسبب انهم آمنوا ظاهرا ﴿ثم كفروا﴾ سرا او آمنوا اذ رأوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة ﴿فطبع على قلوبهم﴾ حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه ﴿فهم لا يفقهون﴾ حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته ﴿واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم﴾ لضخامتها وصباحتها ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمع مثله فيعجب بهياكلهم و يصغى الى كلامهم ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ حال من الضمير المجرور فى لقولهم اى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى نخر جوفها شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائى وقنبل عن

حيث آثروا الكفر على الايمان ﴿ذلك بانهم آمنوا﴾ اى فى الظاهر وذلك اذا رأوا المؤمنين أقروا بالايمـان ﴿ثم كفروا﴾ اى فى السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشـهد انهم لكاذبون ﴿فطبع على قلوبهم﴾ اى بالكفر ﴿فهم لا يفقهون﴾ اى الايمـان وقيل لا يتدبرون القرآن ﴿واذا رأيتهم﴾ يعنى المنافقين مثل عبدالله بن ابى ابن سلول ﴿تعجبك اجسامهم﴾ يعنى ان لهم اجسـاما ومناظر حسـنة ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ اى فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان عبدالله بن ابى بن سلول جسيما فصيحا ذلق اللسـان فاذا قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم قوله ﴿كأنهم خشب مسـندة﴾ اى اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة الى جدر وليست باشجار مثمرة

ما كانوا يصنعون فى كفرهم ونفاقهم من المكر والخيانة وصـد الناس (ذلك) الذى ذكرت من امر المنـافقين (بأنهم آمنوا) بالعلانيـة (ثم كفروا) وثبتوا على الكفر فى السر (فطبع) فختم (على قلوبهم) عقوبة لكفرهم ونفاقهم (فهم لا يفقهون) الحق والهدى (واذا رأيتهم) يا محمد عبد الله بن ابى وصـاحبيه (تعجبك اجسامهم) صور اجسامهم وحسن منظرهم (وان يقولوا) انا نعلم انك لرسول الله (تسمع لقولهم) تصدق قولهم وتظن انهم صادقون وليسوا بصادقين (كأنهـم) يعنى كأن اجسامهم (خشب مسندة) الى الحائط يقول ليس فى قلوبهم نور ولا خير كما ان الخشب اليابس ليس فيه روح ولا رطوبة

﴿سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) ارادوا شهادة واطأت فيها قلوبهم السنتهم (والله يعلم انك لرسوله) اى والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فى ادعاء المواطأة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة او انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (اتخذوا ايمانهم جنة) وقاية من السبى والقتل وفيه دليل على ان اشهد يمين (فصدوا) الناس (عن سبيل الله) عن الاسلام بالتنفير والقاء الشبه (انهم ساء ما كانوا يعملون)

واطلبوا الرزق منه * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها فى امصار المسلمين

﴿سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله﴾ الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله ﴿والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون﴾ لانهم لم يعتقدوا ذلك ﴿اتخذوا ايمانهم﴾ حلفهم الكاذب اوشهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم ﴿جنة﴾ وقاية عن القتل والسبى ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ صدا اوصدودا ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من نفاقهم وصدهم

الارزاق واصلها منه فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى اعلم

﴿تفسير سورة المنافقين وهى مدنية واحدى عشرة آية ومائة﴾

﴿وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿اذا جاءك المنافقون﴾ يعنى عبد الله بن ابى ابن سلول واصحابه ﴿قالوا نشهد انك لرسول الله﴾ وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿والله يعلم انك لرسوله﴾ اى هو الذى ارسلك فهو عالم بك ﴿والله يشهد ان المنافقين لكاذبون﴾ يعنى فى قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم اضمروا خلاف ما اظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن اخبر عن شئ واعتقد خلافه او اضمر خلاف ما اظهر فهو كاذب الا ترى انهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم ﴿اتخذوا ايمانهم جنة﴾ اى سترا يستترون بها من القتل ومعنى ايمانهم ما خبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ اى اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ يعنى

﴿ومن السورة التى يذكر فيها المنافقون وهى كلها مدنية غير قوله لئن رجعنا الى آخر الآية فانها نزلت عليه فى طريق بنى المصطلق آياتها احدى عشرة وكلماتها مائة وثمانون وحروفها سبعمائة وستة وسبعون حرفا (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اذا جاءك المنافقون) يقول اذا جاءك المنافقو اهل المدينة عبد الله بن ابى ومعتب بن قشير وجد بن قيس وكانوا بنى عم (قالوا نشهد) نحلف بالله (انك) يا محمد (لرسول الله) نعلم ذلك وضميرنا على ذلك (والله يعلم) يشهد (انك لرسوله) من غير شهادة المنافقين (والله يشهد) يعلم (ان المنافقين لكاذبون) فى حلفهم لا يعلمون ذاك وضمير قلوبهم على غير ذلك (اتخذوا ايمانهم) حلفهم بالله (جنة) من القتل (فصدوا عن سبيل الله) فصرفوا الناس عن دين الله وطاعته فى السر (انهم ساء ما كانوا يعملون) بئس

﴿ قل ماعند الله ﴾ من الثواب ﴿ خير من اللهو ومن التجارة ﴾ فان ذلك محقق مخلد بخلاف مايتوهمون من نفعها ﴿ والله خير الرازقين ﴾ فتوكلوا عليه

*عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا اخرجه الترمذى (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت * عن نافع ان ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما ان اصمتا اخرجه مالك فى الموطأ قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام * فاما صفة الصلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس شروط الوقت وهو وقت الظهر مابين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه الشروط الخمس يجب ان يصلى ظهرا ولا يجوز للامام ان يبتدئ الخطبة قبل تمام العدد وهو اربعون عند الشافعى فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة وانفض واحد من العدد لا يجوز ان يصلى بهم الجمعة بل يصلى الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح اقوال الشافعى ان بقاء الاربعين شرط الى آخر الصلاة كما ان بقاء الوقت شرط الى آخر الصلاة فلو نقص واحد قبل ان يسلم الامام يجب على الباقين ان يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهو انه ان بقى معه اثنان اتمها جمعة وقيل ان بقى معه واحد اتمها جمعة وعند المزنى ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة اتمها جمعة وان بقى وحده وان كان فى الركعة الاولى يتمها اربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة لكن فى العدد الذى يشترط كالمسبوق اذ ادرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا اسلم الامام اتمها جمعة وان ادرك اقل من ركعة اتمها اربعا (خ) عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس (م) عن عبيد الله بن ابى رافع قال استخلف مروان ابا هريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا ابو هريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة فى الاولى واذا جاءك المنافقون فى الثانية قال فادركت ابا هريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت بسورتين كان على بن ابى طالب يقرأ بهما فى الكوفة فقال ابو هريرة انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما يوم الجمعة (م) عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما فى الصلاتين * عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية اخرجه ابو داود والنسائى * وقوله تعالى ﴿ قل ما عند الله ﴾ اى ما عند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ خير من اللهو ومن التجارة ﴾ الذى جاء بهما دحية ﴿ والله خير الرازقين ﴾ يعنى انه تعالى موجد

(قل ما عندالله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) اى لايفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين والله اعلم

(قل) يامحمد لهم (ما عندالله) من الثواب (خير) لكم (من اللهو) من صوت الطبل (ومن التجارة) تجارة دحية الكلبى يقول اوثبتم مع نبيكم حتى صليتم الصلاة ودعوتم ثم خرجتم لكان خيرا لكم بالثواب والكرامة عندالله من الخروج (والله خير الرازقين) افضل المعطين اى قل هذه المقالة اذا جاءك المنافقون

وهو مأمور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا لابي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلي تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابي حنيفة ومالك

ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام

(ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية اخرى كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس زاد في رواية فمن حدثك انه كان يخطب جالسا فقد كذب (م) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه انه دخل المسجد وعبدالرحمن بن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقد قال الله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت اصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد ابو داود ويقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس * عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء اخرجه ابو داود والترمذي *ولابي داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لايبدأ فيه بالحمد لله فهو اجذم * عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا و نذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لايضر الانفسه ولايضر الله شيأ *وفي رواية ان يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسأل الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه انما نحن به وله اخرجه ابو داود (م) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي

وسلم اذ اقبلت عير تحمل طعاما فانفتلوا اليها حتى مابقى مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما* وفى رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشأم وذكر نحوه وفيه الا اثنا عشر رجلا فيهم ابو بكر وعمر* ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا انا فيهم وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثنى عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس فى رواية عنه لم يبق فى المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشأم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رأوه بالبقيع قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لوتتابعتم حتى لا يبقى منكم احد لسال بكم الوادى نارا وقال مقاتل بينا رسول الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشأم بالتجارة وكان اذا قدم لم تبق عاتق بالمدينة الااتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق و بر وزيت وغيره وينزل عند احجار الزيت وهو مكان فى سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق فى المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقى فى المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الآية* واراد باللهو الطبل وكانت العير اذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اى تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير فى اليها راجع الى التجارة لانها اهم اليهم وتركوك قائما اتفقوا على ان هذا القيام كان فى الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما اوقاعدا قال اما تقرؤن وتركوك قائما قال العلماء الخطبة فريضة فى صلاة الجمعة وقال داود الظاهرى هى مستحبة ويجب ان يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابو حنيفة واحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة فى الخطبة عند الشافعى فى احد القولين واقل مايقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله هذه الثلاث شروط فى الخطبتين جميعا ويجب ان يقرأ فى الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين فى الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعى وذهب ابو حنيفة الى انه لو أتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة

﴿ وهو ﴾

(فاذا قضيت الصلوة) اى اديت (فانتشروا فى الارض) امر اباحة (وابتغوا من فضل الله) الرزق اوطلب العلم اوعيادة المريض اوزيارة اخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واشكروه على ماوفقكم لاداء فرضه (لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها) تفرقوا عنك اليها وتقديره واذا رأوا تجارة انفضوا اليها اولهوا انفضوا اليه فحذف احدها وانما خص لدلالة المذكور عليه التجارة لانها كانت اهم عندهم روى ان اهل المدينة

﴿ فاذا قضيت الصلوة ﴾ اديت وفرغ منها ﴿ فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ﴾ اطلاق لماحظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ واذكروه فى مجامع احوالكم ولاتخصوا ذكره بالصلاة ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ بخير الدارين ﴿واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة عليه فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته اوللدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره واذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه ﴿ وتركوك قائما ﴾ اى على المنبر

ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلى معك ثم اتبعهم فقال لوانفقت ما فى الارض جميعا ما ادركت فضل غدوتهم اخرجه الترمذى * وروى ان عمر رأى رجلا عليه اهبة السفر وسمعه يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لاتحبس عن سفر * وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة فى كتب الفقه وفى هذا القدر كفاية والله اعلم * قوله عز وجل ﴿ فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض ﴾ اى اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا فى الارض للتجارة والتصرف فى حوائجكم ﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾ يعنى الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج فان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل قوله فانتشروا فى الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ اى اذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لاتكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ * قوله تعالى ﴿ واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ﴾ (ق) عن جابر قال بينهما نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه

اصابهم جوع وغلاء فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه فما بقى معه الاثمانية اواثناعشر فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لوخرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو (وتركوك) على المنبر (قائما) تخطب وفيه دليل على ان الخطيب ينبغى ان يخطب قائما

(فاذا قضيت الصلوة) اذا فرغ الامام من صلاة الجمعة (فانتشروا فى الارض) فاخرجوا من المسجد ان شئتم (وابتغوا من فضل الله) اطلبوا من رزق الله ان شئتم فهذه رخصة بعد النهى ولها وجه آخر يقول فاذا قضيت الصلاة اذا فرغ الامام من صلاة الجمعة فانتشروا فى الارض فتفرقوا فى المسجد وابتغوا من فضل الله اطلبوا ماهو فضل لكم يعنى علم السر والتوحيد والزهد والتوكل (واذكروا الله) بالقلب واللسان (كثيرا) على كل حال (لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخط والعذاب (واذا راوا تجارة) دحية بن خليفة الكلبى (اولهوا) اوسمعوا صوت الطبل (انفضوا) تفرقوا وخرجوا من المسجد (اليها) غير ثمانية رهط ويقال غير اثنى عشر رجلا وامرأتين لم يخرجوا اليها (وتركوك قائما) على المنبر تخطب

صلى الله عليه وسلم فى مسجد عبد القيس بجؤاثى من البحرين ولابى داود نحـوه وفيه بجؤاثى قرية من قرى البحرين

المسئلة الرابعة فى تركها لعذر

كل من له عذر من مرض اوتمهـد مريض او خوف جازله ترك الجمعـة وكذا له تركهـا بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ماروى عن ابن عبـاس انه خطب فى يوم ذى ردغ فامر المؤذن فلما بلغ حى على الصلاة قال قل الصلاة فى الرحال فنظر بعضهم الى بعض كانهم انكروا ذلك فقال كانكم انكرتم هذا ان هـذا فعله من هو خير منى يعنى النبى صـلى الله عليه وسلم وانهـا عزمة وانى كرهت ان اخرجكم زاد فى رواية فتمشون فى الطين والدحض والزلق اخرجه البخارى ومسلم وكل من لاتجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لايكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر كمل به العدد

المسئلة الخامسة فى العدد الذى تنعقد به الجمعة

اختلف اهل العلم فى العدد الذى تنعقد به الجمعـة فقيل لاتنعقد باقل من اربعين رجـلا وهو قول عبيدالله بن عبدالله وعمر بن عبدالعزيز وبه قال الشافعى واحمد واسحق قالوا لاتنعقد الجمعة باقل من اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بان يكونوا احرارا بالغـين عاقلين مقيمين فى موضع لايظعنون عنه شـتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبدالعزيز ان يكون فيهم وال والوالى غير شرط عنـد الشافعى وقال على بن ابى طالب لاجمعة الا فى مصر جامع وهو قول اصحاب الرأى ثم عند ابى حنيفة تنعقد باربعة والوالى شرط عنده وقال الاوزاعى وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثنى عشر رجلا ولايكمل العدد بمن لاتجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبى ولاتنعقد الا فى موضع واحد من البلد وبه قال الشافعى ومالك وابو يوسف وقال احمد تصح بموضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع

المسئلة السادسة

لايجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل ان يصلى الجمعة وجوز اصحاب الرأى ان يسافر بعد الزوال اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره الا ان يكون سفره سفر طاعة كحج اوغزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلى الجمعة يدل على جوازه ماروى عن ابن عباس قال بعث رسـول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم رآه فقال مامنعك

﴿ ان ﴾

اخرجه ابوداود والنسائى قال ابوداود سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده

المسئلة الثانية فى اثم تاركها

(م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص وابى هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات اوليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين * عن ابى الجعد الضمرى وكان له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه اخرجه ابو داود والنسائى وللترمذى نحوه (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة هممت ان آمر رجلا ان يصلى بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم

المسئلة الثالثة فى تأكيد وجوبها

قال العلماء صلاة الجمعة هى من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر فى تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد اما الصبى والمجنون فلاجمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ما روى عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة الا على اربعة عبد مملوك اوامرأة او صبى اومريض اخرجه ابو داود وقال طارق رأى النبى صلى الله عليه وسلم وبعضا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيأ * عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء اخرجه ابو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة * عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل الى اهله اخرجه الترمذى ولاتجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعى تجب على العبد المكاتب وعن احمد فى العبيد روايتان وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادى اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعى واحمد واسحق والشرط ان يبلغهم نداء مؤذن جهورى الصوت يؤذن فى وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة فى القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهرى تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لاجمعة على اهل السواد سواء كانت القرية قريبة اوبعيدة دليل الشافعى ومن وافقه ماروى البخارى عن ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة فى مسجد رسول الله

ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا اقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا احرم الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر * وفى رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المساجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر * قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة واستمع وانصت غفرله مابينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغا * قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عبادة قال أدركنى ابو عيسى وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار * عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثنى عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لايوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله تعالى شيأ الا اعطاه اياه قال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبدالله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب الاحبار وما حدثته فى يوم الجمعة فقال عبدالله بن سلام قد علمت اى ساعة هى قال ابو هريرة فقلت اخبرنى بها ولا تكن عنى وفى رواية تضن على قال هى آخر ساعة فى يوم الجمعة قال ابو هريرة قلت وكيف تقول آخر ساعة فى يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصادفها عبد مسلم وهو يصلى وتلك الساعة لايصلى فيها قال عبدالله ابن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك اخرجه مالك فى الموطأ والنسائى (خ) عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الاغفر له مابينه وبين الجمعة الاخرى * عن اوس بن اوس الثقفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة اجر عمل سنة صيامها وقيامها

(اخرجه)

الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله عليه الصلاة والسلام انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى دار ابى سالم بن عوف ﴿ فاسعوا الى ذكر الله ﴾ فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعى دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها ﴿ وذروا البيع ﴾ واتركوا المعاملة ﴿ ذلكم ﴾ اى السعى الى ذكر الله ﴿ خير لكم ﴾ من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم

يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واديهم وقد اتخذوا فى ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى ﴿ فاسعوا الى ذكر الله ﴾ اى فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعى الاسراع فى المشى وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن اما والله ماهو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة فى هذه الآية فاسعوا الى ذكر الله قال السعى ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشى اليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعى بقوله فلما مشى معه (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفى رواية فاذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام ﴿ وذروا البيع ﴾ يعنى البيع والشراء لان البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثانى وقال الزهرى عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء ﴿ ذلكم ﴾ اى الذى ذكرتم من حضور الجمعة وترك البيع والشراء ﴿ خير لكم ﴾ اى من المبايعة فى ذلك الوقت ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ اى مصالح انفسكم والله تعالى اعلم

فصل فى فضل الجمعة واحكامها واسم تاركها وفيه مسائل

المسئلة الاولى فى فضلها

(م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها زاد فى رواية ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله فيها شيأ الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة

(فاسعوا) فامضوا وقرئ بها وقال الفراء السعى والمضى والذهاب واحد وليس المراد به السرعة فى المشى (الى ذكر الله) اى الى الخطبة عند الجمهور وبه استدل ابو حنيفة رضى الله عنه على ان الخطيب اذا اقتصر على الحمد لله جاز (وذروا البيع) اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لاشئ انفع منه وأربح وذروا البيع الذى نفعه يسير (ذلكم) اى السعى الى ذكر الله (خير لكم) من البيع والشراء (ان كنتم تعلمون)

فاسعوا) فامضوا (الى ذكر الله) الى خطبة الامام والصلاة معه (وذروا البيع) اتركوا البيع بعد الاذان (ذلكم) الاستماع الى خطبة الامام والصلاة (خير لكم) من الكسب والتجارة

(ان كنتم) اذ كنتم (تعلمون) تصدقون بثواب الله ثم رخص لهم بعدما حرم عليهم بقوله وذروا البيع فقال

وعيدلهم (قل ان الموت الذي تفرون منه) ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) لا محالة والجملة خبران ودخلت الفاء لتضمن الذي معنى الشرط (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب (يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة) النداء الاذان ومن بيان لاذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الايام وفي الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر

(قل) لهم يا محمد (ان الموت الذي تفرون منه) تكرهونه (فانه ملاقيكم) نازل بكم لا محالة (ثم تردون) في الآخرة (الى عالم الغيب) ما غاب عن العباد وما يكون (والشهادة) ما علمه العباد وما كان (فينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (اذا نودي للصلوة) اذا دعيتم الى الصلاة بالاذان (من يوم الجمعة

﴿ قل ان الموت الذي تفرون منه ﴾ وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم ﴿ فانه ملاقيكم ﴾ لاحق بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم منه ويسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ﴿ ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بان يجازيكم عليه ﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة ﴾ اي اذا اذن لها ﴿ من يوم الجمعة ﴾ بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع

قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ﴾ اي لا ينفعكم الفرار منه ﴿ ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ فيه وعيد وتهديد * قوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة ﴾ اي وقت الصلاة ﴿ من يوم الجمعة ﴾ اي في يوم الجمعة واراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال (خ) عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما ان كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء زاد في رواية فثبت الامر على ذلك ولابي داود قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة * واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع في خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لؤي وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود يوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم انزل الله تعالى في ذلك يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة الآية عن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا ابت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون اخرجه ابو داود * واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه فذكر اصحاب السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى فاقام بقباء

(يوم)

به فلم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرى منها الا ما مر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى وقت اختيارهم الظلم او لا يهدى من سبق فى علمه انه يكون ظالما (قل يا ايها الذين هادوا) هاد يهود اذا تهود (ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اى ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التى اعدها لاوليائه ثم قال (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت ايديهم) اى بسبب ماقدموا من الكفر ولا فرق بين لا ولن فى ان كل واحدة منهما نفى للمستقبل الا ان فى لن تاكيدا و تشديدا ليس فى لا فاتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه (والله عليم بالظالمين)

ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل اوصفة اذ ليس المراد من الحمار معينا ﴿ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ﴾ اى مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا ﴾ تهودوا ﴿ ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس ﴾ اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه ﴿ فتمنوا الموت ﴾ فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى زعمكم ﴿ ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم ﴾ بسبب ماقدموا من الكفر والمعاصى ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ فيجازيهم على اعمالهم

يحمل الكتب ولا يدرى ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤن التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معانى القرآن ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى ﴿ بئس مثل القوم ﴾ اى بئس مثلا مثل القوم ﴿ الذين كذبوا بآيات الله ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وما اتى به من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ اى لا يهدى من سبق فى علمه انه يكون ظالما وقيل يعنى الذين ظلموا انفسهم بتكذيب آيات الله وانبيائه ﴿ قل ﴾ اى قل يا محمد ﴿ يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس ﴾ اى من دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ﴿ فتمنوا الموت ﴾ اى ادعوا على انفسكم بالموت ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعنى فيما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه فان الموت هو الذى يوصلكم اليه لان الآخرة خير لاولياء الله من الدنيا ﴿ ولا يتمنونه ابدا بما قدمت أيديهم ﴾ اى بسبب ماقدموا من الكفر والتكذيب ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾

الكتب (بئس مثل القوم) صفة القوم (الذين كذبوا بآيات الله) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعنى اليهود (والله لا يهدى) لا يرشد الى دينه (القوم الظالمين) اليهود من كان فى علم الله انه يموت على اليهودية (قل) يا محمد (يا ايها الذين هادوا) مالوا عن الاسلام و تهودوا وهم بنو يهودا (ان زعمتم انكم اولياء لله) احباء لله (من دون الناس) من دون محمد عليه السلام واصحابه (فتمنوا الموت) فاسألوا الموت (ان كنتم صادقين) انكم اولياء لله من دون الناس فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم امتنا فوالله ليس منكم احد يقول ذلك الا غص بريقه ويموت فكرهوا ذلك ولم يسألوا الموت فقال الله (ولا يتمنونه ابدا) لا يسألون الموت يعنى اليهود ابدا (بما قدمت ايديهم) بما عملت ايديهم فى اليهودية (والله عليم بالظالمين) باليهود على انهم لا يسألون الموت

وفى آخرين من الاميين (لما يلحقوا بهم) اى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم اوهم الذين يأتون من بعدهم الى يوم الدين وقيل هم العجم اومنصوب معطوف على المنصوب فى ويعلمهم اى يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذاتناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكأنه هو الذى تولى كل ماوجد منه (وهو العزيز الحكيم) فى تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذى اعطاه محمدا وهو ان يكون نبى ابناء عصره ونبى ابناء العصور الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته (والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة) اى كلفوا علمها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) { الجزء الثامن والعشرون } ثم لم يعملوا

بها فكانهم لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل اسفارا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير ويحمل فى محل النصب على الحال اوالجر على الوصف لان الحمار كاللئيم فى قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * شبه اليهود فى انهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ مافيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة

وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع ﴿ لما يلحقوا بهم ﴾ لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون ﴿ وهو العزيز ﴾ فى تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة ﴿ الحكيم ﴾ فى اختياره وتعليمه ﴿ ذلك فضل الله ﴾ ذلك الفضل الذى امتاز به عن اقرانه فضله ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ تفضلا وعطية ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا اونعيم الآخرة اونعيمهما ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ﴾ علموها وكلفوا العمل بها ﴿ ثم لم يحملوها ﴾ لم يعملوا بها اولم ينتفعوا بما فيها ﴿ كمثل الحمار يحمل اسفارا ﴾ كتبا من العلم يتعب فى حملها ولا ينتفع بها

اخرجاه فى الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ﴿ لما يلحقوا بهم ﴾ لم يدركوهم ولكنهم جاؤا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم فى الفضل والسابقة لان التابعين لايدركون شأو الصحابة ﴿ وهو العزيز ﴾ اى الغالب الذى قهر الجبابرة ﴿ الحكيم ﴾ اى الذى جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ يعنى الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ اى على خلقه حيث ارسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ﴾ يعنى اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها وليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل ﴿ ثم لم يحملوها ﴾ اى لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها ﴿ كمثل الحمار يحمل اسفارا ﴾ جمع سفر وهى الكتب العظاء من العلم سمى سفرا لانه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتوراة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبهوا اذلم ينتفعوا بما فى التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذى

ويقال من الموالى (لما يلحقوا بهم) من العرب الاول يقول لم يكونوا بعد فسيكونون يقول بعث الله محمدا عليه السلام رسولا الى الاولين والآخرين من العرب والموالى (وهو العزيز) المنيع بالنقمة من لايؤمن به وبكتابه ورسوله محمد عليه السلام (الحكيم) (بحمل) فى امره وقضائه امران لايعبد غيره (ذلك) الذى ذكرت من النبوة والكتاب والتوحيد (فضل الله) من الله (يؤتيه) يعطيه ويكرم به (من يشاء) من كان اهلا لذلك (والله ذو الفضل) المن (العظيم) بالاسلام والنبوة على محمد صلى الله عليه وسلم ويقال بالاسلام على المؤمنين ويقال بالرسول والكتاب على خلقه (مثل الذين) صفة الذين (حملوا التوراة) امروا ان يعملوا بما فى التورة اى امروا ان يظهروا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى التوراة(ثم لم يحملوها) لم يعملوا بما امروا فيها اى لم يظهروا صفة محمد عليه السلام ونعته فى التوراة (كمثل الحمار) كشبه الحمار(يحمل اسفارا) كتبا لاينتفع بحمله كذلك اليهود لا ينتفعون بالتوراة كما لاينتفع الحمار بما عليه من

اما ان يكون تسبيح خلقة يعنى اذا نظرت الى كل شئ دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الاشياء او تسبيح معرفة بان يجعل الله بلطفه فى كل شئ مايعرف به الله تعالى وينزهه الا ترى الى قوله وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم او تسبيح ضرورة بان يجرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (هو الذى بعث) ارسل (فى الاميين رسولا منهم) اى بعث رجلا اميا فى اميين

الصفات الاربع بالرفع على المدح ﴿ هو الذى بعث فى الاميين ﴾ اى فى العرب لان اكثرهم لايكتبون ولا يقرؤن ﴿ رسولا منهم ﴾ من جملتهم اميا مثلهم ﴿ يتلوا عليهم آياته ﴾ مع كونه اميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولا تعلم ﴿ ويزكيهم ﴾ من خبائث العقائد والاعمال ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه ﴿ وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبى يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هى المخففة واللام تدل عليها ﴿ وآخرين منهم ﴾ عطف على الاميين او المنصوب فى يعلمهم

هو الذى بعث فى الاميين ﴾ يعنى العرب وكانت العرب امة امية لا تكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم نبى الله وقيل الامى هو الذى على ماخلق عليه كانه منسوب الى امه ﴿ رسولا منهم ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم وانما كان اميا لان نعته فى كتب الانبياء النبى الامى وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما اتى به من الوحى والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال امته الذين بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه ﴿ يتلوا عليهم آياته ﴾ اى التى تبين رسالته وقيل آياته التى يتميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل ﴿ ويزكيهم ﴾ اى يطهرهم من دنس الشرك ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ اى القرآن وقيل الفرائض ﴿ والحكمة ﴾ قيل هى السنة ﴿ وان كانوا من قبل ﴾ اى من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم ﴿ لفى ضلال مبين وآخرين منهم ﴾ اى من المؤمنين الذين ظهروا ويدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم امة واحدة وقيل اراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يارسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسى فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذى نفسى بيده لو كان الايمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء

وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه واحواله والامى منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لايكتبون ولايقرؤن من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار (يتلوا عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة او الفقه فى الدين (وان كانوا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال مبين) كفر وجهالة وان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اى كانوا فى ضلال لاترى ضلالا اعظم منه (وآخرين منهم) مجرور معطوف على الاميين يعنى انه بعثه فى الاميين الذين على عهده

امر ان لا يعبد غيره ﴿قا و خا ٣٣ س﴾ (هو الذى بعث فى الاميين) فى العرب (رسولا منهم) من نسبهم يعنى محمدا عليه السلام (يتلوا) يقرأ (عليهم آياته) القرآن بالامر والنهى (ويزكيهم) يطهرهم بالتوحيد من الشرك ويقال بالزكاة والتوبة من الذنوب اى يدعوهم الى ذلك (ويعلمهم الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) الحلال والحرام ويقال العلم ومواعظ القرآن (وان كانوا) وقد كانوا يعنى العرب (من قبل) من قبل مجئ محمد صلى الله عليه وسلم اليهم بالقرآن (لفى ضلال مبين) فى كفر بين (وآخرين منهم) وفى الآخرين منهم من العرب

به (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) فقوينا مؤمنيهم على كفارهم (فاصبحوا ظاهرين) فغلبوا عليهم والله ولى المؤمنين والله اعلم *

﴿سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله مافى السموات ومافى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) التسبيح مع الله على اعدائه وكانوا اثنى عشر رجلا اول من آمنوا به ونصروه على اعدائه وكانوا قصارين (فآمنت طائفة) جماعة (من بنى اسرائيل) بعيسى ابن مريم (وكفرت طائفة) جماعة بعيسى ابن مريم وهم الذين اضلهم بولس والذين لم يؤمنوا به (فايدنا) اعنا وقوينا (الذين آمنوا) بعيسى ابن مريم وهم الذين لم يخالفوا دين عيسى (على عدوهم) الذين خالفوا

اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى ابن مريم اوكونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحوار وهو البياض ﴿فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة﴾ اى بعيسى ﴿فايدنا الذين آمنوا على عدوهم﴾ بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام ﴿فاصبحوا ظاهرين﴾ فصاروا غالبين * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يسبح لله مافى السموات ومافى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾ وقد قرئ

قوله صلى الله عليه وسلم حوارى الزبير ﴿فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة﴾ قال ابن عباس فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبدالله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى ﴿فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين﴾ اى غالبين وقيل معناه فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمته والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿تفسير سورة الجمعة وهى مدنية واحدى عشرة آية ومائة وثمانون﴾

﴿كلمة وتسعمائة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿يسبح لله مافى السموات ومافى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم

دين عيسى (فاصبحوا) فصاروا (ظاهرين) غالبين بالحجة على اعدائهم صلاتهم لله ويقال لانهم ممن يسبح الزهو.

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الجمعة وهى كلها مدنية آياتها احدى عشرة وكلماتها مائة وثمانون وحروفها سبعمائة وثمانية واربعون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يسبح لله) يقول يصلى لله ويقال يذكر لله (مافى السموات) من الخلق (وما فى الارض) من الخلق وكل شئ حى (الملك) الدائم الذى لايزول ملكه (القدوس) الطاهر بلاولد ولاشريك (العزيز) الغالب فى ملكه بالنقمة لمن لايؤمن به (الحكيم) فى امره وقضائه

تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن) اى اقامة وخلود يقال عدن بالمكان اذا اقام به كذا قيل (ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) اى عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش او فتح فارس والروم وفى تحبونها شئ من التوبيخ على محبة العاجل وقال صاحب الكشاف معناه هل ادلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة اخرى تحبونها ثم قال نصر اى هى نصر (وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لانه فى معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يارسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قل مرادا قبل يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم (يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله) اى انصار دينه انصارا لله حجازى وابو عمرو (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله) ظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى حين قال لهم من انصارى الى الله و معناه من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال الحواريون نحن انصار الله) اى نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصارى

تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة ﴿ واخرى تحبونها ﴾ ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون اومبتدأ خبره ﴿ نصر من الله ﴾ وهو على الاول بدل اوبيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل اوالاختصاص او المصدر ﴿ وفتح قريب ﴾ عاجل ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر اوعلى تؤمنون فانه فى معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يارسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا ﴿ يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله ﴾ وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله ﴿ كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله ﴾ اى من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله تعالى ﴿ قال الحواريون نحن انصار الله ﴾ والاضافة الاولى

تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ يعنى هذا الجزاء الذى ذكر هو الفوز العظيم ﴿ واخرى تحبونها ﴾ اى ولكم تجارة اخرى وقيل لكم خصلة اخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مداين فارس والروم ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ اى يا محمد بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله ﴾ اى مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من انصارى الى الله ﴿ قال الحواريون نحن انصار الله ﴾ وكانوا اثنى عشر رجلا اول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحوارى الرجل صفيه وخلاصته ومنه

جنتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (ومساكن طيبة) حلالا لكم ويقال طاهرة ويقال حسنة جميلة ويقال طيبة قد طيبها الله بالمسك والريحان (فى جنات عدن) فى دار الرحمن (ذلك) الذى ذكرت (الفوز العظيم) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونجوا من النار (واخرى) وتجارة اخرى (تحبونها) تتمنون وتشتهون ان تكون لكم (نصر من الله) بمحمد عليه السلام على كفار قريش (وفتح قريب) عاجل فتح مكة (وبشر المؤمنين) المخلصين بالجنة ان كانوا كذلك (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (كونوا انصار الله) لمحمد عليه السلام على عدوه ويقال اعوان الله على اعدائه (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين) لاصفيائه (من انصارى الى الله) من اعوانى مع الله على اعدائه (قال الحواريون) اصفياؤه (نحن انصار الله) اعوانك

هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق) اى الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فمابقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الادين الاسلام (ولو كره المشركون يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) تنجيكم شامي (تؤمنون) استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو بمعنى آمنوا عند سيبويه ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما جيء به على لفظ الخبر للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين (بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم) اى ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من اموالكم وانفسكم (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون اموالكم وانفسكم فتفلحون وتخلصون (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من

﴿ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ﴾ بالقرآن والمعجزة ﴿ ودين الحق ﴾ والملة الحنيفية ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ ليعليه على جميع الاديان ﴿ ولو كره المشركون ﴾ لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك ﴿ يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ﴾ وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ﴾ استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال غيرهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ﴾ جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط واستفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا توجب المغفرة ﴿ ويدخلكم جنات تجرى من

هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ اى ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام ﴿ ولو كره المشركون ﴾ قوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ﴾ نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله عز وجل لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ﴾ اى الذي آمركم به من الايمان والجهاد في سبيله ﴿ ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ﴾ هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر والمعنى آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله اى اذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ﴿ ويدخلكم جنات تجرى من

ذلك (هو الذي ارسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) بالتوحيد ويقال بالقرآن (ودين الحق) شهادة ان لا اله الا الله (ليظهره على الدين كله) على الاديان كلها فلا تقوم الساعة حتى لا يبقى احد الا دخل في الاسلام او ادى اليهم الجزية (ولو كره المشركون) وان كره اليهود (تحتها) والنصارى ومشركو العرب ان يكون ذلك (يا ايها الذين آمنوا) وقد بينهم في اول السورة (هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) وجيع في الآخرة بالظى (تؤمنون بالله ورسوله) تصدقون بايمانكم بالله ورسوله ان فسرت على المنافقين (وتجاهدون في سبيل الله) في طاعة الله (باموالكم وانفسكم) بنفقة اموالكم وخروج انفسكم (ذلكم) الجهاد (خير لكم) من الاموال (ان كنتم تعلمون) تصدقون بثواب الله (يغفر لكم ذنوبكم) بالجهاد والنفقة في سبيل الله (ويدخلكم جنات) بساتين (تجرى من

ومبشرا بنا فى الرسـول من معنى الارسال (فلما جاءهم) عيسى او محمد عليهما السلام (بالبينات) بالمعجزات (قالوا هذا سحر مبين) ساحر حمزة وعلى (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لايهدى القوم الظالمين) واى الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم) هـذا تهكم بهم فى ارادتهم ابطـال الاسلام بقولهم فى القرآن هـذا سحر مثلت حالهم بحـال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون الكذب ليطفؤا نور الله بافواههم اى بكلامهم (والله متم نوره) مكى وحمزة وعلى وحفص متم نوره غيرهم اى متم الحق ومبلغه غايته (ولو كره الكافرون

الذى حكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم المرسلين ﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام ﴿ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام﴾ اى لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفى ونفى الثابت وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه ﴿والله لايهدى القوم الظالمين﴾ لايرشدهم الى ما فيه فلاحهم ﴿يريدون ليطفؤا﴾ اى يريدون ان يطفؤا واللام مزيدة لما فيهـا من معنى الارادة تأكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضـافة تأكيدا لها فى لا ابالك او يريدون الافتراء ليطفؤا ﴿نور الله﴾ يعنى دينه او كتابه او حجته ﴿بافواههم﴾ بطعنهم فيه ﴿والله متم نوره﴾ مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة ﴿ولو كره الكافرون﴾ ارغاما لهم

يوم القيامة وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيمـا واحمد يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو اكثر حمدا لله من غيره والثانى انه مبالغة من المفعول ومعناه ان الانبيـاء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مناقب واجمع للفضـائل والمحاسن والاخلاق التى يحمد بها من غيره ﴿فلما جاءهم بالبينات﴾ قيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ اى ظاهر ﴿ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب﴾ اى ومن اقبح ظلمـا ممن بلغ افتراؤه ان يكذب على الله وذلك انهم جعلوا ما انزل من نعمة من الله ثم كفروا به ﴿وهو يدعى الى الاسلام﴾ معنى الآية اى الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين ﴿والله لايهدى القوم الظالمين﴾ اى لايوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم ﴿يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم﴾ يعنى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر ﴿والله متم نوره﴾ يعنى متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه ﴿ولو كره الكافرون

الذى لايذم ومحمد الذى يحمد (فلما جاءهم) عيسى ويقال محمد صلى الله عليه وسلم (بالبينات) بالامر والنهى والعجـائب التى اراهم (قالوا هذا سحر مبين) بين السحر والكذب (ومن اظلم) فى كفره (ممن افترى) اختـلق (على الله الكذب) فجعل له ولدا وصاحبة (وهو يدعى الى الاسـلام) الى التوحيـد وهم اليهـود دعاهم النبى عليه السلام الى التوحيد (والله لايهدى القوم الظالمين) لايرشد الى دينه اليهود من كان فى علم الله انه يموت يهوديا (يريدون) يعنى اليهود والنصـارى (ليطفؤا نور الله) ليبطلوا دين الله ويقال كتاب الله القرآن (بأفواههم) بألسـنتهم وكذبهم (والله متم نوره) مظهر نوره كتابه ودينه (ولو كره الكافرون) وان كره اليهود والنصارى ومشركو العرب ان يكون

لاان تؤذونى (فلما زاغوا) مالوا عن الحق (ازاغ الله قلوبهم) عن الهداية اولما تركوا اوامره نزع نور الايمان من
قلوبهم او فلما اختاروا الزيغ ازاغ الله قلوبهم اى خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدى القوم
الفاسقين) اى لايهدى من سبق فى علمه انه فاسق (واذقال عيسى ابن مريم
يابنى اسرائيل) ولم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لانسب له فيهم فيكونوا قومه (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) اى ارسلت اليكم فى حال تصديق ما تقدمنى من التوراة وفى حال تبشيرى برسول يأتى من بعدى يعنى ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر بعدى حجازى وابو عمرو وابو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقا

بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم ﴿ فلما زاغوا ﴾ عن الحق ﴿ ازاغ الله قلوبهم ﴾ صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب ﴿ والله لايهدى القوم الفاسقين ﴾ هداية موصلة الى معرفة الحق اوالى الجنة ﴿ واذقال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل ﴾ ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى عليه السلام لانه لانسب له فيهم ﴿ انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا ﴾ فى حال تصديقى ما تقدمنى من التوراة وتبشيرى ﴿ برسول يأتى من بعدى ﴾ والعامل فى الحالين ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذهو صلة للرسول فلا يعمل ﴿ اسمه احمد ﴾ يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام والمعنى ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة

يعنى تؤذوننى وانتم تعلمون علما قطعيا انى رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى ﴿ فلما زاغوا ﴾ اى عدلوا ومالوا عن الحق ﴿ ازاغ الله قلوبهم ﴾ اى امالها عن الحق الى غيره ﴿ والله لايهدى القوم الفاسقين ﴾ اى لا يهدى من سبق فى علمه انه فاسق خارج عن طاعته وهدينه وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان ايذاءهم يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى ﴿ واذقال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ﴾ اى انى رسول ارسلت اليكم بالوصف الذى وصف به فى التوراة ﴿ مصدقا لما بين يدى من التوراة ﴾ اى انى مقر معترف باحكام التوراة وكتب الله وانبيائه جميعا ممن قد تقدم ﴿ ومبشرا برسول يأتى من بعدى ﴾ اى يصدق بالتوراة على مثل تصديقى فكانه قيل ما اسمه فقال ﴿ اسمه احمد ﴾ عن ابى موسى قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يأتوا النجاشى وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشى يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابوداود * وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه فقال ابو داود المدنى قد بقى فى البيت موضع قبر اخرجه الترمذى عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم ياروح الله هل بعدنا من امة قال نعم يأتى بعدكم امة حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم فى الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى

فلما زاغوا) مالوا عن الحق والهدى (ازاغ الله) امال الله (قلوبهم) عن الحق والهدى ويقال فلما زاغوا كذبوا موسى ازاغ الله صرف الله قلوبهم عن التوحيد ويقال فلما زاغوا مالوا عن الحق والهدى ازاغ الله قلوبهم زاد الله
زيغ قلوبهم (والله لايهدى) لايرشد الى دينه (القوم الفاسقين) الكافرين من كان فى علم الله انه لا يؤمن
لايؤمن (واذقال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدق) موافقا بالتوحيد وبعض الشرائع (لما بين يدى
من التوراة) لما قبلى من التوراة (ومبشرا) وجئتكم مبشرا بشركم (برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) اسمى احمد

واحد وهو كثير الاستعمال فى كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلا قال * على ماقام يشتمنى جرير * والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن فى الوصل فلاجرائه مجرى الوقف (كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) قصد فى كبر التعجب من غير لفظه كقوله * غلت ناب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم الامر فى قلوب السامعين لان التعجب لايكون الا من شئ خارج عن نظائره واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على التمييز وفيه دلالة على ان قولهم مالا يفعلون مقت خالص لاشوب فيه والمعنى كبر قولكم مالا تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فقال اتأمرونى ان اقول مالاافعل فاستعجل مقت الله ثم اعلم الله عز وجل مايحبه فقال (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) اى صافين انفسهم مصدر وقع موقع الحال (كأنهم بنيان ﴿٢٥١﴾ مرصوص) لاصق {سورة الصف} بعضه ببعض وقيل اريد به استواء نياتهم فى حرب عدوهم حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان الذى رص بعضه الى بعض وهو حال ايضا (واذ) منصوب باذكر (قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى) بجحود الآيات والقذف بما ليس فى (وقد تعلمون) فى موضع الحال اى تؤذوننى عالمين علما يقينا (انى رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك توقيرى وتعظيمى

حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما فى الدلالة على المستفهم عنه ﴿كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾ المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبر عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة فى المنع عنه ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا﴾ مصطفين مصدر وصف به ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه ﴿واذ قال موسى لقومه﴾ مقدر باذكر اذ كان كذا ﴿ياقوم لم تؤذوننى﴾ بالعصيان والرمى بالادرة ﴿وقد تعلمون انى رسول الله اليكم﴾

بهذه الآية وقيل نزلت فى شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل واطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون ﴿كبر مقتا عند الله﴾ اى عظم بغضا عند الله ﴿ان تقولوا مالا تفعلون﴾ معناه ان يعدوا من انفسهم شيأ ولم يفوا به ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا﴾ اى يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن اماكنهم ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ اى قد رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض واحكم فليس فيه فرجة ولاخلل ومنه الحديث تراصوا فى الصف ومعنى الآية ان الله يحب من يثبت فى الجهاد فى سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص * قوله تعالى ﴿واذ قال موسى لقومه﴾ اى واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بنى اسرائيل ﴿ياقوم لم تؤذوننى﴾ قيل انهم كانوا يؤذونه بانواع من الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة ﴿وقد تعلمون انى رسول الله اليكم﴾

آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم فى الآخرة من عذاب اليم وجيع يخلص وجعه الى قلوبكم فمكثوا بعد ذلك ما شاء الله ولم يبين لهم ما هى فقالوا ليتنا نعلم ما هى لنبذل فيها اموالنا وانفسنا واهلينا فبين الله تعالى لهم فقال تؤمنون بالله ورسوله تستقيمون على ايمانكم بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله فى طاعة الله باموالكم وانفسكم الآية فابتلوا بذلك يوم احد ففروا من النبى صلى الله عليه وسلم فلامهم على ذلك فقال ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون لم تعدون مالاتوفون وتتكلمون بما لاتعملون (كبر مقتا) عظم بغضا (عند الله ان تقولوا مالاتفعلون) ان تعدوا بما لا توفون وتتكلموا بمالا تعملون ثم حرضهم على الجهاد فى سبيله فقال (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله) فى طاعته (صفا) فى القتال (كأنهم بنيان مرصوص) ملتزق قد رص بعضه الى بعض (و) اذكر يا محمد (اذ قال) قد قال (موسى لقومه) المنافقين (ياقوم لم تؤذوننى) بما تقولون على وكانوا يقولون انه آدر وقد بين قصته فى سورة الاحزاب (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم

ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله اعلم ﴿ سورة الصف مدنية وهى اربع عشرة آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى انهم قالوا قبل ان يؤمروا بالجهاد لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) لم هى لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما واللام او غيرها كشئ

ولكن كونوا ممن سبح الله وصلى

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الصف وهى كلها مدنية آياتها اربع عشرة وكلماتها مائتان واحدى وعشرون وحروفها تسعمائة وستة وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سبح لله) يقول صلى لله ويقال ذكر لله (ما فى السموات) من الخلق (وما فى الارض) من الخلق وكل شئ حى (وهو العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) فى امره وقضائه امر ان لا يعبد غيره (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لم تقولون ما لا تفعلون) لم تتكلمون بما لا تعملون به وذلك انهم قالوا لو نعلم يا رسول الله اى عمل احب الى الله لفعلناه فدلهم الله على ذلك وقال يا ايها الذين (بهذه)

الصلاة والسلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

﴿ سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم ﴾ سبق تفسيره ﴿ ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ﴾ روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع

اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الصف وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو ﴾
﴿ قول ابن عباس والجمهور والثانى انها مكية وهى اربع ﴾
﴿ عشرة آية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

*قوله عزوجل ﴿ سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ﴾ قيل سبب نزولها ماروى عن عبدالله بن سلام رضى الله عنه قال قعدنا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله لعملناه فانزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذى وقال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيها اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وانزل الله هل ادلكم على تجارة الآية فابتلوا بذلك يوم احد فولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم تقولون مالا تفعلون وقيل لما اخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب اهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله

واستغفر لهن الله) عما مضى (ان الله غفور) بتمحيق ماسلف (رحيم) بتوفيق ما أتنف وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد اسفل منه يبايعهن عنه بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابى سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعت بحمزة فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ فبايع عمر النساء على ان لا يشركن بالله شيأ فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات فقال ابو سفين ما اصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال لها انك لهند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله قال عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزنى الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تجب فى المنكر (يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) ختم السورة بما بدأ به قيل هم المشركون (قد يئسوا من الآخرة) من ثوابها لانهم ينكرون البعث (كما يئس الكفار) اى كما يئسوا الا انه وضع الظاهر موضع الضمير (من اصحاب القبور) ان (قا و خا ٣٢ س) يرجعوا اليهم او كما يئس اسلافهم الذين هم فى القبور من الآخرة اى هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود اى لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت فى التوراة كما يئس الكفار من موتاهم

﴿ واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ يعنى عامة الكفار او اليهود اذ روى انها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم ﴿ قد يئسوا من الآخرة ﴾ لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات ﴿ كما يئس الكفار من اصحاب القبور ﴾ ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم * عن النبى عليه

بايعنك على هذه الشروط فبايعهن ﴿ واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ﴾ عن اميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطقتن قلنا الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعنى صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ يعنى من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك ﴿ قد يئسوا من الآخرة ﴾ يعنى اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيئسوا من ان يكون لهم ثواب وخير فى الآخرة ﴿ كما يئس الكفار من اصحاب القبور ﴾ يعنى كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا فى القبور من ان يكون لهم ثواب فى الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم يئسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من

(واستغفر لهن الله) فيما كان منهن فى الجاهلية (ان الله غفور) متجاوز بعد فتح مكة بما كان منهن فى الجاهلية (رحيم) بما يكون منهن فى الاسلام (يا ايها الذين آمنوا) يعنى عبد الله بن ابى واصحابه (لا تتولوا) فى العون والنصرة وافشاء سر محمد صلى الله عليه وسلم (قوما غضب الله عليهم) سخط الله عليهم مرتين وهم اليهود حين قالوا يد الله مغلولة ومرة اخرى بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (قد يئسوا من الآخرة) من نعيم الجنة (كما يئس الكفار) كفار مكة (من اصحاب القبور) من رجوع اهل المقابر ويقال من سؤال منكر ونكير ويقال لا تتولوا قوما غضب الله عليهم

ولا يعصينك فى معروف ﴾ فى حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأمر الابه تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق ﴿ فبايعهن ﴾ اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء

ان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ﴿ ولا يعصينك فى معروف ﴾ فقالت هند ماجلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ فأقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزى وجملة من احصى من المبايعات اربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح فى البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على ان لا يشركن بالله شيأ وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لا يملكها * واما تفسير الآية فقوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اراد به وأد البنات الذى كان يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام فى كل نوع من قتل الولد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعنى لا تلحق المرأة بزوجها غير ولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهى عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين ايديهن وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك فى معروف اى فى كل ما تأمرهن به اوتنهاهن عنه وقيل فى كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه رشد وقيل هو النهى عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المرأة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذى محرم ولا تسافر مع غير ذى محرم قال ابن عباس فى قوله ولا يعصينك فى معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء اخرجه البخارى (ق) عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لا يشركن بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة اسعدتنى فانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبى صلى الله عليه وسلم شيأ فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية * عن اسيد بن اسيد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذى اخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه ابو داود * عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يارسول الله نساء اسعدتنا فى الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد فى الاسلام اخرجه النسائى (م) عن ابى مالك الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب * وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة اخرجه ابو داود * وقوله تعالى ﴿ فبايعهن ﴾ يعنى اذا

الرجلين (ولا يعصينك فى معروف) طاعة الله ورسوله (فبايعهن

لتقول لزوجها هو منك وانا ولدته (ولا يعصينك فى معروف) فى جميع ما تأمرهن وتنهاهن من ترك النوح وجز الشعر وتمزيق الثياب وخمش الوجوه وشق الجيوب وحلق الرؤس وان لا يخلون مع غريب وان لا يسافرون سفرا ثلاثة ايام او اقل من ذلك مع غير ذى محرم منهن (فبايعهن) على هذا فشارطهن على هذا

(واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) وقيل هذا الحكم منسوخ ايضا (ياأيهاالنبى اذاجاءك المؤمنات يبايعنك) هو حال (على أن لايشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين

وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى هى الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة ﴿ واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون ﴾ فان الايمان به يقتضى التقوى منه ﴿ ياايها النبى اذاجاءك المؤمنات يبايعنك على ان لايشركن بالله شيأ ﴾ نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء ﴿ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ﴾ يريد وأد البنات ﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن

كان رد المهر واجبا والقول الثانى ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روى عن على انه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الارددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة فى الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج من الكفر باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان وطمأنينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته التقية فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا فى انه هل يجب العمل به اليوم فى رد المال اذا شرط فى معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا * قوله تعالى ﴿ واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب اسفل منه يبايعهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابى سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابايعهن ﴿ على ان لا يشركن بالله شيأ ﴾ فرفعت هند رأسها وقالت والله انك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يسرقن ﴾ فقالت هند ان اباسفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات فلا ادرى ايحل لى ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر وهو حلال فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عقبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال ﴿ ولا يزنين ﴾ فقالت هند اوتزنى الحرة فقال ﴿ ولا يقتلن أولادهن ﴾ فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ﴾ فقالت هند والله

قبل الخمس (واتقوا الله) اخشوا الله فيما امركم (الذى انتم به مؤمنون) مصدقون وجميع من ارتدت من نساء المؤمنين ست نسوة منهن امرأتان من نساء عمر بن الخطاب ام سلمة وام كلثوم بنت جرول وام الحكم بنت ابى سفيان كانت تحت عباد ابن شداد الفهرى وفاطمة بنت ابى امية بن المغيرة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان من بنى مخزوم وعبدة بنت عبد العزى بن فضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابى جهل بن هشام كانت تحت هاشم بن العاص بن وائل السهمى فاعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهر نسائهم من الغنيمة (ياايها النبى) يعنى محمدا (اذا جاءك المؤمنات) نساء اهل مكة بعد فتح مكة (يبايعنك) يشارطنك (على ان لا يشركن بالله شيأ) من الاصنام ولا يستحللن ذلك (ولا يسرقن) ولا يستحللن (ولا يزنين) ولا يستحللن الزنا (ولا يقتلن اولادهن) ولا يدفن بناتهن احياء ولا يستحللن ذلك (ولا يأتين ببهتان) ولا يجئن بولد من الزنا (يفترينه) على الزوج ويضعنه (بين ايديهن وارجلهن)

مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا (ذلكم حكم الله) اى جميع ماذكر فى هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف اوحال من حكم الله على حذف الضمير اى يحكمه الله اوجعل الحكم حاكما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لامنا ولا منهم (والله عليم حكيم وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار) وان انفلت احد منهن الى الكفار وهو فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه احد (فعاقبتم) فاصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم عن الزجاج (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ماأنفقوا) فاعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة

ازواجهم المهاجرات ﴿ ذلكم حكم الله ﴾ يعنى جميع ماذكر فى الآية ﴿ يحكم بينكم ﴾ استيناف اوحال من الحكم على حذف الضمير اوجعل الحكم حاكما على المبالغة ﴿ والله عليم حكيم ﴾ يشرع ماتقتضيه حكمته ﴿ وان فاتكم ﴾ وان سبقكم وانفلت منكم ﴿ شئ من ازواجكم ﴾ احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة فى التعميم اوشئ من مهورهن ﴿الى الكفار فعاقبتم﴾ فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ﴿ فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ماانفقوا ﴾ من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روى انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت

من المهر ممن تزوجها منكم ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ﴾ قال الزهرى ولولا الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك صنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية اقر المؤمنون بحكم الله تعالى وادوا ماامروا به من اداء نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امر من اداء نفقات المسلمين فانزل الله عزوجل ﴿ وان فاتكم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ شئ من ازواجكم الى الكفار ﴾ اى فلحقن بهم مرتدات ﴿ فعاقبتم ﴾ معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم ﴿ فآتوا الذين ذهبت ازواجهم ﴾ اى الى الكفار ﴿ مثل ما انفقوا ﴾ معناه اعطوا الذين ذهبت ازواجهم منكم الى الكفار مرتدات مثل ماانفقوا عليها من الغنائم التى صارت فى ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت ابى امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبدالعزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابى جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل وام كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول فى رد مهر من اسلمت من النساء الى زوجها هل كان واجبا اومندوبا واصل هذه المسئلة ان الصلح هل كان وقع على رد النساء ام لافيه قولان احدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روى انه لايأتيك منا احد الارددته ثم صار الحكم فى رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا

على ازواجهم من المهر ان دخلن فى دينكم وعلى هذا صالحهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يؤدوا بعضهم الى بعض مهور نسائهم ان اسلمن او كفرن (ذلكم حكم الله) فريضة الله (يحكم بينكم) وبين اهل مكة (والله عليم) بصلاحكم (حكيم) فيما حكم بينكم وهذه الآية منسوخة بالاجماع الى (وان فاتكم شئ من ازواجكم) يقول ان رجعت واحدة من ازواجكم (الى الكفار) ليس بينكم وبينهم العهد والميثاق (فعاقبتم) فغنمتم من العدو (فآتوا) فأعطوا (الذين ذهبت ازواجهم) رجعت ازواجهم الى الكفار (مثل ماانفقوا) عليهن من المهر والغنيمة

(كان)

ان يرد على اهل مكة من جاء مؤمنا منهم فانزل الله هذه الآية بيان ان ذلك فى الرجال لا فى النساء لان المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الاول (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن) ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات (اذا آتيتموهن اجورهن) اى مهورهن لان المهاجر

بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ماانفق وتزوجها عمر رضى الله تعالى عنه ﴿ ولا جناح عليكم ان تنكحوهن ﴾ فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار ﴿ اذا آتيتموهن اجورهن ﴾ شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد ﴿ واسئلوا ماانفقتم ﴾ من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿ وليسئلوا ماانفقوا ﴾ من مهور

من المهر الذى دفعوه اليهن ﴿ ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ﴾ اى مهورهن اباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج كفار فى دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار ووقعت الفرقة بانقضاء عدتها فان اسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهى زوجته وبه قال الاوزاعى والليث بن سعد ومالك والشافعى واحمد وقال ابو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ جمع عصمة وهى ما اعتصم به من العقد والسبب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وان كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهرى لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت ابى امية ابن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابى سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهى ام ابنه عبيد الله فتزوجها ابو جهم بن حذافة ابن غنم وهما على شركهما وكانت اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هى على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده فى الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن امية قال الشعبى وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة ابى العاص بن ربيع فاسلمت وهاجرت ولحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ واسئلوا ﴾ اى ايها المؤمنون ﴿ ما انفقتم ﴾ يعنى ان لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ماانفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم ﴿ وليسئلوا ﴾ يعنى المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم ﴿ ماانفقوا ﴾

البضع وبه احتج ابو حنيفة رضى الله عنه على ان لا عدة على المهاجرة (ولا تمسكوا) ولا تمسكوا بصرى (بعصم الكوافر) العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة وهى التى بقيت فى دار الحرب او لحقت بدار الحرب مرتدة اى لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه (واسئلوا ما انفقتم) من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وليسئلوا ماأنفقوا) من

لزوجها مسافر (ولا جناح) لا حرج (عليكم) يا معشر المؤمنين (ان تنكحوهن) ان تتزوجوهن يعنى اللائى دخلن فى دينكم من الكفار (اذا آتيتموهن) اعطيتموهن

(أجورهن) مهورهن يقول ايما امرأة اسلمت وزوجها كافر فقد انقطع ما بينها وبين زوجها من عصمة ولا عدة عليها من زوجها الكافر وجاز لها ان تتزوج اذا استبرأت (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) لا تأخذوا بعقد الكوافر يقول ايما امرأة كفرت بالله فقد انقطع ما بينها وبين زوجها المؤمن من العصمة ولا تعتدوا بها من ازواجكم (واسئلوا ماانفقتم) يقول اطلبوا من اهل مكة ماانفقتم على ازواجكم ان دخلن فى دينهم (وليسئلوا) ليطلبوا منكم (ماأنفقوا)

(الله اعلم بايمانهن) منكم فانكم وان رزتم احوالهن لاتعلمون ذلك حقيقة وعندالله حقيقة العلم به (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علما يؤذن بان الظن الغالب وما يفضى اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل فى قوله ولاتقف ماليس لك به علم (فلاترجعوهن الى الكفار) فلاتردوهن الى ازواجهن المشركين (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) اى لاحل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وآتوهم ما انفقوا) واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور نزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على

﴿الله اعلم بايمانهن﴾ فانه المطلع على مافى قلوبهن ﴿فان علمتموهن مؤمنات﴾ العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم فى وجوب العمل به ﴿فلاترجعوهن الى الكفار﴾ اى الى ازواجهن الكفرة لقوله ﴿لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾ والتكرير للمطابقة والمبالغة اوالاول لحصول الفرقة والثانى للمنع عن الاستئناف ﴿وآتوهم ماانفقوا﴾ مادفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهى عنه لزمه رد مهورهن اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان بعد

مخزوم وقيل هو صيفى بن الراهب فى طلبها وهو كافر فقال يامحمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله ياايها الذين آمنوا اذاجاءكم المؤمنات مهاجرات اى من دار الكفر الى دار السلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان تستحلف ماخرجت من بغض زوج ولارغبة عن ارض الى ارض ولالحدث احدثته ولا التماس دنيا وماخرجت الارغبة فى الاسلام وحبالله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها واعطى زوجها مهرها ومانفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله ياايها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هوالذى تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطى ازواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال واختلف العلماء هل دخل ردالنساء فى عقدالهدنة لفظا اوعموما فقيل قدكان شرط ردهن فى عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه فى الرجال على ما كان فى العقد وقيل لم يشترط ردهن فى العقد لفظا صريحا وانما اطلق العهد فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال فى الحكم ﴿الله اعلم بايمانهن﴾ اى هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن ﴿فان علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾ اى اذا اقررن بالايمان فلا تردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مؤمنة لكافر ﴿وآتوهم﴾ يعنى ازواجهن ﴿ماانفقوا﴾ اى عليهن

(الله اعلم بايمانهن) بمستقر قلوبهن على الايمان (فان علمتموهن مؤمنات) بالامتحان (فلاترجعوهن) لاتردوهن (الى الكفار) الى ازواجهن الكفار (لاهن) يعنى المؤمنات (حل لهم) لازواجهن الكفار (ولاهم) يعنى الكفار (يحلون لهن) للمؤمنات يقول لاتحل مؤمنة لكافر ولا كافرة لمؤمن (وآتوهم ماانفقوا) اعطوا الازواجهن ماانفقوا عليهن من المهر نزلت هذه الآية فى سبيعة بنت الحرث الاسلمية جاءت الى النبى عليه السلام عام الحديبية مسلمة وجاء زوجها مسافر فى طلبها فاعطى النبى صلى الله عليه وسلم لزوجها مهرها وكان قد صالح النبى عليه السلام اهل مكة عام الحديبية قبل هذه الآية على ان من دخل منا فى دينكم فهو لكم ومن دخل منكم فى ديننا فهو رد اليكم وايما امرأة دخلت منا فى دينكم فهى لكم وتؤدون مهرها الى زوجها وايما امرأة منكم دخلت فى ديننا فنؤدى مهرها الى زوجها فلذلك اعطى النبى صلى الله عليه وسلم مهر سبيعة

(ومن)

رضى الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت ﴿ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ﴾ كمشركى مكة فان بعضهم سعوا فى اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ﴿ ان تولوهم ﴾ كمشركى مكة بدل من الذين بدل الاشتمال ﴿ ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ﴾ لوضعهم الولاية فى غير موضعها ﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن فى الايمان

هذه الآية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها (ق) عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما قالت قدمت على امى وهى مشركة فى عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ان امى قدمت على وهى راغبة افأصلها قال نعم صليها زاد فى رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى ﴿ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ﴾ وهم مشركو مكة ﴿ ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾

* قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ الآية (خ) عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يأتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم يأته احد من الرجال الا رده فى تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهى عاتق فجاء اهلها يسألون عنها النبى صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى انزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتنى عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن اقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امرأة قط فى المبايعة ولا بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من اصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافر من بنى

انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم) هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولى هؤلاء (ومن يتولهم) منكم (فاولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولى غير موضعه (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة اولا نهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (مهاجرات) نصب على الحال (فامتحنوهن) فابتلوهن بالنظر فى الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وعن ابن عباس امتحانها ان تقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

(انما ينهاكم الله عن الذين) عن صلة الذين (قاتلوكم فى الدين) وهم اهل مكة (واخرجوكم من دياركم) من مكة (وظاهروا) عاونوا (على اخراجكم) من مكة (ان تولوهم) ان تصلوهم (ومن يتولهم) فى العون والنصرة (فأولئك هم الظالمون) الضارون لانفسهم (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) المقرات بالله (مهاجرات) من مكة الى الحديبية او الى المدينة (فامتحنوهن) فاسألوهن واستحلفوهن لماذا جئتن

التأكيد الاجابه ولما نزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون فى عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين اطمعهم فى تحول الحال الى خلافه فقال (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) اى من اهل مكة من اقربائكم (مودة) بان يوفقهم للايمان فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادت الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى اولعل فلاتبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك او اريد به اطماع المؤمنين (والله قدير) على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل اسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن اسلم من المشركين (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم) تكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا ومحل ان تبروهم جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولاتظلموهم واذا نهى عن الظلم فى حق المشرك فكيف فى حق المسلم (ان الله يحب المقسطين

﴿ عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ لما نزل لاتتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء ﴿ والله قدير ﴾ على ذلك ﴿ والله غفور رحيم ﴾ لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ﴾ اى لاينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ﴿ ان تبروهم ﴾ بدل من الذين ﴿ وتقسطوا اليهم ﴾ تفضوا اليهم بالقسط اى العدل ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر

اى الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون اقرباءهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فانزل الله تعالى ﴿ عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم ﴾ اى من كفار مكة ﴿ مودة ﴾ ففعل الله تعالى ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابى سفيان ولان لهم ابو سفيان ﴿ والله قدير ﴾ اى على جعل المودة بينكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ اى لمن تاب منهم واسلم ثم رخص فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم ﴾ اى لاينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم ﴿ وتقسطوا اليهم ﴾ اى وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ اى العادلين قال ابن عباس نزلت فى خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لايقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله فى برهم وقال عبدالله بن الزبير نزلت فى امه وهى اسماء بنت ابى بكر وذلك ان امها قتيلة بنت عبدالعزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرصا وسمنا وهى مشركة فقالت اسماء لااقبل منك هدية ولاتدخلى على بيتا حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فانزل الله تعالى

لمن وحده ويقال الحميد يشكر اليسير من اعمالهم ويجزى الجزيل من ثوابه (عسى الله) عسى من الله واجب (أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم) خالفتم فى الدين (منهم) من اهل مكة (مودة) صلة وتزويجا فتزوج النبى صلى الله عليه وسلم عام فتح مكة ام حبيبة بنت ابى سفيان فهذا كان صلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله قدير) بظهور نبيه على كفار قريش (والله غفور) متجاوز ان تاب منهم من الكفر وآمن بالله (رحيم) لمن مات منهم على الايمان والتوبة (لاينهاكم الله عن الذين) عن صلة ونصرة الذين (لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) مكة ولم يعينوا احدا على اخراجكم من مكة (ان تبروهم) ان تصلوهم وتنصروهم (وتقسطوا اليهم) تعدلوا بينهم بوفاء العهد (ان الله يحب المقسطين) العادلين بوفاء العهد وهم خزاعة قوم هلال بن عويمر وخزيمة وبنو مدلج صالحوا النبى قبل عام الحديبية على ان لايقاتلوه ولا يخرجوه من مكة ولايعينوا احدا على اخراجه فلذلك لم ينه الله عن صلتهم

﴿هذه﴾

تأتسوابه فى الاستغفـار لابيه الكافر (وماأملك لك من الله من شئ) اى من هداية ومغفرة وتوفيق وهـذه الجملة لا تليق بالاستثناء الاترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيأ ولكن المراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعـد الاستغفار له ومابعده تابع له كانه قال استغفرلك وما فى طـاقتى الا الاستغفار (ربنا عليك توكلنا) متصل بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء امر من الله للمؤمنين بان يقولوه (واليك انبنا) اقبلنا (واليك المصير) المرجع (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) اى لاتسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (واغفر لنا ربنا انك انت

العزيز الحكيم) اى الغالب الحاكم (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) ثم كرر الحث على الاتساء بابراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذا جاء به مصـدرا بالقسم لانه الغاية فى التأكيد وابدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجوالله اى ثوابه اى يخشى الله وعقبـه بقوله (ومن يتـول) يعرض عن امرنا ويوال الكفار (فان الله هو الغنى) عن الخلق (الحميد) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من

(وماأملك لك من الله) من عذاب الله (من شئ) ثم علمهم كيف يقولون فقال قولوا (ربنا) ياربنا (عليك توكلنا) وثقنـا (واليك أنبنا) اقبلنا الى طاعتك (واليك المصير) المرجع فى الآخرة (ربنا) قولوا ﴿ قا و خا ٣١ س ﴾ ياربنـا (لاتجعلنا فتنة) بليـة (للذين كفروا) كفار مكة يقولون لاتسلطهم علينا فيظنوا انهم على الحق ونحن على الباطل فتزيدهم بذلك جراءة علينـا (واغفرلنا) ذنوبنا (ربنا) ياربنا (انك أنت العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن بك (الحكيم) بالنصرة لمن آمن بك (لقد كان لكم) لقـد كان لك يا حاطب (فيهم) فى قول ابراهيم وفى قول الذين معه من المؤمنين (اسوة حسنة) اقتداء صـالح (لمن كان يرجوالله) يخاف الله (واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت فهلا قلت ياحاطب مثل ماقال ابراهيم ومن آمن به (ومن يتول) يعرض عما أمره الله (فان الله هو الغنى) عنه وعن خلقه (الحميد) المحمود فى فعاله ويقال الحميد

قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغى ان تأتسوا به فانه كان قبل النهى اولموعده وعدها اياه ﴿ وماأملك لك من الله من شئ ﴾ من تمام قوله المستثنى ولايلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ﴿ ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ﴾ متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ﴿ ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾ بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لانحتمله ﴿ واغفرلنا ﴾ مافرط منا ﴿ ربنا انك انت العزيز الحكيم ﴾ ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعى ﴿ لقد كان لكم فيهم اسوة حسـنة ﴾ تكرير لمزيد الحث على التأسى بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله ﴿ لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾ من لكم فانه يدل على انه لاينبغى لمؤمن ان يترك التأسى بهم وان تركه مؤذن بسـوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ﴿ ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد ﴾ فانه جدير بان يوعد به الكفرة

يعنى لكم ان تتأسوا بابراهيم فى جميع اموره الا فى الاستغفار لابيه المشرك فلاتتأسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرأ منه ﴿ وما املك لك من الله من شئ ﴾ هذا من قول ابراهيم لابيـه يعنى ما اغنى عنك ولا ادفع عنك عذاب الله ان عصيته واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معـه من المؤمنين ﴿ ربنـا عليك توكلنا واليك انبنـا واليك المصير ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾ اى لاتظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لاتعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لوكان هؤلاء على الحق مااصابهم ذلك ﴿ واغفرلنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم ﴾ يعنى فى ابراهيم ومن معه ﴿ أسـوة حسنة ﴾ اى اقتداء حسن ﴿ لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾ اى ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة ﴿ ومن يتول ﴾ اى يعرض عن الايمان ويوال الكفار ﴿ فان الله هو الغنى ﴾ اى عن خلقه ﴿ الحميد ﴾

(ان تنفعكم ارحامكم) قراباتكم (ولا اولادكم) الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال (يوم القيمة يفصل بينكم) وبين اقاربكم و اولادكم يوم يفر المرء من اخيه الآية فمالكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يفصل عاصم يفصل حمزة وعلى والفاعل هو الله عز وجل يفصل ابن ذكوان غيرهم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على اعمالكم (قد كانت لكم اسوة) قدوة فى التبرئ من الاهل (حسنة فى ابراهيم) اى فى اقواله ولهذا استثنى منها الاقول ابراهيم (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا انبياء (اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم) جمع برئ كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة) بالافعال (والبغضاء) بالقلوب (ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فحينئذ نترك عداوتكم (الاقول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) وذلك لموعدة وعدها اياه اى اقتدوا به فى اقواله ولا

وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم ﴿ان تنفعكم ارحامكم﴾ قراباتكم ﴿ولا اولادكم﴾ الذين توالون المشركين لاجلهم ﴿يوم القيمة يفصل بينكم﴾ يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فمالكم ترفضون ليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائى بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر وابو عمرو يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وقرأ عاصم يفصل ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم عليه ﴿قد كانت لكم اسوة حسنة﴾ قدوة اسم لما يؤتسى به ﴿فى ابراهيم والذين معه﴾ صفة ثانية اوخبر كان ولكم لغو او حال من المستكن فى حسنة اوصلة لها لا لاسوة لانها وصفت ﴿اذ قالوا لقومهم﴾ ظرف لخبر كان ﴿انا برآء منكم﴾ جمع برئ كظريف وظرفاء ﴿ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾ اى بدينكم او بمعبودكم اوبكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة ﴿الاقول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك﴾ استثناء من

اعداء الله لايخلصون المودة لاولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم انتم ولا تتوادوهم ﴿ان تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم﴾ اى لايدعونكم ولا يحملنكم ذووارحامكم وقراباتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة اعدائهم فانه لاتنفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم ﴿يوم القيمة يفصل بينكم﴾ اى يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار ﴿والله بما تعملون بصير﴾ * قوله تعالى ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم﴾ يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿والذين معه﴾ اى من اهل الايمان ﴿اذ قالوا لقومهم﴾ يعنى المشركين ﴿انا برآء منكم﴾ جمع برئ ﴿ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾ اى جحدناكم وانكرنا دينكم ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ والمعنى ان ابراهيم عليه السلام واصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمؤمنين ان يتأسوا بهم ﴿الاقول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك﴾

(ان تنفعكم ارحامكم) بمكة ان كفرتم بالله (ولا اولادكم يوم القيمة) من عذاب الله (يفصل بينكم) يفرق بينكم وبين المؤمنين يوم القيامة ويقال يقضى بينكم على هذا (والله بما تعملون) من الخير والشر (بصير قد كانت لكم) يا حاطب (اسوة حسنة) اقتداء صالح (فى ابراهيم) فى قول ابراهيم (والذين معه) وفى قول الذين معه من المؤمنين (اذ قالوا {يعنى} لقومهم) لقرابتهم الكفار (انا برآء منكم) من قرابتكم ودينكم (ومما تعبدون من دون الله) من الاوثان (كفرنا بكم) تبرأنا منكم ومن دينكم (وبدا) ظهر (بيننا وبينكم العداوة) بالقتل والضرب (والبغضاء) فى القلب (ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) حتى تقروا بواحدانية الله (الاقول ابراهيم) غير قول ابراهيم (لابيه لاستغفرن لك) لانه كان عن موعدة وعدها اياه فلما مات على الكفر تبرأ منه فقال له

(بالله ربكم ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا اى لاتتولوا اعدائى ان كنتم اوليائى وقول النحويين فى مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ماقبله عليه (جهادا فى سبيلى) مصدر فى موضع الحال اى ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى (وابتغاء مرضاتى) ومبتغين مرضاتى (تسرون اليهم بالمودة) اى تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وهو استئناف (وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم) والمعنى اى طائل لكم فى اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان فى علمى وانا مطلع رسولى على ما تسرون (ومن يفعله) اى هذا الاسرار (منكم فقد ضل سواء السبيل) فقد اخطأ طريق الحق والصواب (ان يثقفوكم) اى يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يكونوا لكم اعداء) خالصى العداوة ولايكونوا لكم اولياء كما انتم (ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء) بالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذا موادة امثالهم خطأ عظيم منكم والماضى وان كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كأنه قيل ودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعنى انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شئ عنده ان يقصد اهم شئ عند صاحبه

﴿ بالله ربكم ﴾ بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على مايوجب الايمان ﴿ ان كنتم خرجتم ﴾ عن اوطانكم ﴿ جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ﴾ علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لاتتخذوا ﴿ تسرون اليهم بالمودة ﴾ بدل من تلقون او استئناف معناه اى طائل لكم فى اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة ﴿ وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ﴾ اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ﴿ ومن يفعله منكم ﴾ اى من يفعل الاتخاذ ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ اخطأه ﴿ ان يثقفوكم ﴾ يظفروا بكم ﴿ يكونوا لكم اعداء ﴾ ولاينفعكم القاء المودة اليهم ﴿ ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ﴾ ما يسوءكم كالقتل والشتم ﴿ وودوا لو تكفرون ﴾ وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضى للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شئ

﴿ بالله ربكم ان كنتم خرجتم ﴾ هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم ﴿ جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ﴾ فلا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء * وقوله ﴿ تسرون اليهم بالمودة ﴾ اى بالنصيحة ﴿ وانا اعلم بما اخفيتم ﴾ اى من المودة للكفار ﴿ وما اعلنتم ﴾ اى اظهرتم بالسنتكم منها ﴿ ومن يفعله منكم ﴾ اى الاسرار والقاء المودة اليهم ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ اى اخطأ طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى ﴿ ان يثقفوكم ﴾ اى يظفروا بكم ويروكم ﴿ يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ﴾ اى بالضرب والقتل والشتم والسب ﴿ وودوا ﴾ اى تمنوا ﴿ لو تكفرون ﴾ اى ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان

(بالله ربكم ان كنتم) اذ كنتم (خرجتم جهادا) ان كنت ياحاطب خرجت من مكة الى المدينة للجهاد (فى سبيلى) فى طاعتى (وابتغاء مرضاتى) طلب رضائى (تسرون اليهم بالمودة) لا تسروا اليهم الكتاب بالعون والنصرة (وانا اعلم بما اخفيتم) يعنى بما اخفيت ياحاطب من الكتاب ويقال من التصديق (وما اعلنتم) يقول وما اعلنت ياحاطب من العذر ويقال من التوحيد (ومن يفعله منكم) يامعشر المؤمنين مثل مافعل حاطب (فقد ضل سواء السبيل) فقد ترك قصد طريق الهدى (ان يثقفوكم) ان يغلب عليكم اهل مكة (يكونوا لكم اعداء) يتبين لكم انهم اعداء لكم فى القتل (ويبسطوا اليكم) يمدوا اليكم (ايديهم) بالضرب (والسنتهم بالسوء) بالشتم والطعن (وودوا) تمنوا كفار مكة (لو تكفرون) ان تكفروا بالله بعد ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهجرتكم الى رسول الله

منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ليس لى فيهم من يحمى اهلى فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لايغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره ﴿تلقون اليهم بالمودة﴾ تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لاتتخذوا اوصفة لاولياء جرت على غير من هى له ولاحاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل ﴿وقد كفروا بماجاءكم من الحق﴾ حال من فاعل احد الفعلين ﴿يخرجون الرسول واياكم﴾ اى من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه ﴿ان تؤمنوا

الكتاب الى اهل مكة وكتب فى الكتاب من حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابامرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابى بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها فى ذلك المكان الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال على والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال اخرجى الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد اخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته فى شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولاغششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا منهم وكان اهلى بين ظهرانيهم فخشيت على اهلى فاردت ان اتخذ لى عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابى لايغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله فى شأن حاطب بن ابى بلتعة يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء يعنى اصدقاء وانصارا ﴿تلقون اليهم بالمودة﴾ اى باسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبى صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التى بينكم وبينهم ﴿وقد كفروا﴾ اى وحالهم انهم كفروا ﴿بما جاءكم من الحق﴾ يعنى القرآن ﴿يخرجون الرسول واياكم﴾ يعنى من مكة ﴿ان تؤمنوا﴾ اى لان آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم

(تلقون) حال من الضمير فى لاتتخذوا والتقدير لاتتخذوهم اولياء ماقين (اليهم بالمودة) اومستأنف بعد وقف على التوبيخ والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم والباء فى بالمودة زائدة مؤكدة للتعدى كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التى بينكم وبينهم (وقد كفروا) حال من لاتتخذوا او من تلقون اى لاتتولوهم او توادونهم وهذه حالهم (بما جاءكم من الحق) دين الاسلام والقرآن (يخرجون الرسول واياكم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم اوحال من كفروا (ان تؤمنوا) تعليل ليخرجون اى يخرجونكم من مكة لايمانكم

(تلقون اليهم بالمودة) توجهون اليهم الكتاب بالعون والنصرة (وقد كفروا بماجاءكم) يعنى حاطبا (من الحق) من الكتاب والرسول (يخرجون الرسول) يعنى محمدا عليه السلام من مكة (واياكم) واياك ياحاطب (ان تؤمنوا) لقبل ايمانكم

(بالله)

فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسل كتابه مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبرائيل عليه السلام فاعلم رسول الله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابامرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فهموا بالرجوع فسل على رضى الله تعالى عنه السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاطبا وقال ماحملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولاغششتك

(ق) عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بناخيلنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجى الكتاب فقالت مامعى من كتاب فقلنا لتخرجى الكتاب اولتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبى صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابى بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ماهذا فقال يارسول الله لاتعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم واموالهم بمكة فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ومافعلته كفرا ولاارتدادا عن دينى ولا ارضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عزوجل ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل * روضة خاخ موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح * والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج * والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية فى حاطب بن ابى بلتعة كما جاء فى الحديث وذلك ان سارة مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والعشيرة والموالى وقد ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى وتحملونى فقال لها واين انت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب منى شئ بعد وقعة بدر فحث عليها بنى عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن ابى بلتعة حليف بنى اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل

عدى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوى واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكنه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان

وهو العزيز الحكيم) ختم السورة بما بدأ به عن ابي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه فاعاد على
﴿ سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) روى ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها

ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال لها اخرجي الكتاب او تضعي رأسك فاخرجته من عقاص شعرها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه فنزل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء) (ق)

﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ الجامع للكمالات بأسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

﴿ سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ﴾ نزلت في حاطب بن ابي بلتعة

وهو العزيز الحكيم ﴾ عن معقل بن يسار رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب والله اعلم

﴿ سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان ﴾

﴿ واربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ﴾ الآية

(وهو العزيز) المنيع بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) في امره وقضائه امر ان لا يعبد غيره ﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الممتحنة وهي كلها مدنية آياتها ثلاثة عشر وكلماتها ثلثمائة وثمان واربعون وحروفها الف وخمسمائة وعشرة احرف ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا) يعني حاطبا (لا تتخذوا عدوي) في الدين (وعدوكم) في القتل يعني كفار مكة (اولياء) في العون والنصرة

مفيعل من الامن قلبت همزته هاء ﴿ العزيز الجبار ﴾ الذى جبر خلقه على ما اراده اوجبر حالهم بمعنى اصلحه ﴿ المتكبر ﴾ الذى تكبر عن كل مايوجب حاجة اونقصانا ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ اذلايشاركه فى شئ من ذلك ﴿ هوالله الخالق ﴾ المقدر للاشياء على مقتضى حكمته ﴿ البارئ ﴾ الموجد لها بريئا من التفاوت ﴿ المصور ﴾ الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب فى شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى ﴿ له الاسماء الحسنى ﴾ لانها دالة على محاسن المعانى ﴿ يسبح له مافى السموات والارض ﴾ لتنزهه عن النقائص كلها

﴿ العزيز ﴾ اى الذى لايوجد له نظير وقيل الغالب القاهر ﴿ الجبار ﴾ قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعنى الذى يغنى الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغنى كل فقير وقيل هو الذى يجبر الخلق ويقهرهم على ما اراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى اذا اراد امرا فعله لايحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذى لاينال ولا يدانى والجبار فى صفة الله تعالى صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذلك ﴿ المتكبر ﴾ فى صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كذابا فى فعله فكان مذموما فى حق الناس واما المتكبر فى صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال فى آخر الآية ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ كأنه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا فى حقه اما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان اظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذى تكبر بربوبيته فلاشئ مثله وقيل هو الذى تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لايليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون اى من ادعاء الكبر لانفسهم ﴿ هو الله الخالق ﴾ اى المقدر لما يوجده فهو سبحانه وتعالى قدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل المقدر لقلب الشئ بالتدبير الى غيره ﴿ البارئ ﴾ اى المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود ﴿ المصور ﴾ اى الذى يخلق صورة الخلق على ما يريده وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التى يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد خلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وانشاه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فاولا يكون خلقا ثم برأ ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارئ لان تأثير الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات ﴿ له الاسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والارض

هاء (العزيز) الغالب غير المغلوب (الجبار) العالى العظيم الذى يذل له من دونه او العظيم الشأن فى القدرة والسلطان او القهار ذو الجبروت (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) نزه ذاته عما يصفه به المشركون (هو الله الخالق) المقدر لما يوجده (البارئ) الموجد (المصور) فى الارحام (له الاسماء الحسنى) الدالة على الصفات العلا (يسبح له مافى السموات والارض

الشهيد (العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن (الجبار) الغالب على عباده (المتكبر) على اعدائه ويقال المتبرئ عما تخيلوه (سبحان الله) نزه نفسه (عما يشركون) به من الاوثان (هو الله الخالق) للنطف فى اصلاب الآباء (البارئ) المحول من حال الى حال (المصور) مافى الارحام ذكرا او انثى شقيا او سعيدا ويقال البارئ الجاعل الروح فى النسمة (له الاسماء الحسنى) الصفات العلى العلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك فادعوه بها (يسبح له) يصلى له ويقال يذكره (ما فى السموات) من الخلق (والارض) من كل شئ حى

ماغاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وماحضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به اوالمعدوم والموجود او السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة ﴿ هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس ﴾ البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ السلام ﴾ ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة ﴿ المؤمن ﴾ واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار ﴿ المهيمن ﴾ الرقيب الحافظ لكل شئ

ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى فى علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة ﴿ هو الرحمن الرحيم ﴾ اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناها ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن اشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى فى الدنيا يعم المؤمن والكافر وفى الآخرة يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين ﴿ هو الله الذى لا اله الا هو الملك ﴾ اى المتصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته ﴿ القدوس ﴾ اى الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذى كثرت بركته ﴿ السلام ﴾ اى الذى سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان القدوس اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من العيوب والنقائص فى المستقبل فان الذى يطرأ عليه شئ من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام اى سلم خلقه من ظلمه ﴿ المؤمن ﴾ قال ابن عباس هو الذى امن الناس من ظلمه وامن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب ﴿ المهيمن ﴾ قال ابن عباس اى الشهيد على عباده باعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه برزقه وانشد فى معناه

الا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

اى القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضى وقيل هو بمعنى الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلى ومنه قول العباس يمدح النبى صلى الله عليه وسلم فى ابيات منها

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء زانها النطق

وقيل المهيمن اسم من اسماء الله تعالى هو اعلم بتأويله وانشدوا فى معناه

جل المهيمن عن صفات عبيده * ولقد تعالى عن عقول اولى النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم * والوصف يعجز عن مليك لا يرى

اى السر والعلانية او الدنيا والآخرة او المعدوم والموجود (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك) الذى لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن القبائح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السلام) الذى سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج (المؤمن) واهب الامن وعن الزجاج الذى امن الخلق من ظلمه او المؤمن من عذابه من اطاعه (المهيمن) الرقيب على كل شئ الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت

(هو الرحمن) العاطف على العباد البر والفاجر بالرزق لهم (الرحيم) خاصة على المؤمنين بالمغفرة ودخول الجنة (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) الدائم الذى لا يزول ملكه (القدوس) الطاهر بلا ولد ولا شريك (السلام) سلم خلقه من زيادة عذابه على ما يجب عليهم بفعلهم (المؤمن) يقول امن خلقه من ظلم نفسه ويقال السلام سلم اولياءه من عذابه المؤمن يقول هو آمن على اعمال العباد وآمن على مقدوره اى مقدور الله فى خلقه (المهيمن) ﴿العزيز﴾

اصحاب الجنة هم الفائزون) هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لايعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز العظيم مع اصحاب الجنة والعذاب الاليم مع اصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لايعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لايقتل بالكافر وان الكافر لايملك مال ﴿٢٣٣﴾ المسلم بالاستيلاء ﴿ سورة الحشر ﴾ وقد اجبنا عن مثل هذا فى اصول الفقه والكافى

استهونوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لايقتل بالكافر ﴿ اصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ بالنعيم المقيم ﴿ لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ تمثيل وتخييل كما مر فى قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله ﴿ وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام ﴿ هو الله الذى لااله الاهو عالم الغيب والشهادة ﴾

اصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ لما ارشد المؤمنين الى مايصلحهم بقوله ولتنظر نفس ماقدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لايستوى اصحاب النار يعنى الذين هم فى العذاب الدائم واصحاب الجنة يعنى الذين هم فى النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما * قوله تعالى ﴿ لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ قيل معناه انه لو جعل فى الجبل تميزا وعقلا كما جعل فيكم وانزل عليه القرآن لخشع اى تطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته مشفق من خشية الله وحذر من ان لايؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والاحكام كانه لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لايجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه اوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لايتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله تعالى له تميزا وعقلا يدل على انه تمثيل * قوله تعالى ﴿ وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ اى الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى ﴿ هو الله الذى لااله الا هو عالم الغيب والشهادة ﴾ يعنى انه تعالى اعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه

(لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) اى من شأن القرآن وعظمته انه لو جعل فى الجبل تميز وانزل عليه القرآن لخشع اى لخضع وتطأطأ وتصدع اى تشقق من خشية الله وجائز ان يكون هذا تمثيلا كما فى قوله انا عرضنا الامانة ويدل عليه قوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وهى اشارة الى هذا المثل والى امثاله فى مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره ثم رد على من اشرك وشبهه بخالقه فقال (هو الله الذى لااله الاهو عالم الغيب والشهادة)

(اصحاب الجنة هم الفائزون) ﴿ قا و خا ٣٠ س ﴾ فازوا بالجنة ونجوا من النار (لو انزلنا هذا القرآن) الذى يقرأه عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (على جبل) امر رأسه فى السماء وعرقه فى الارض السابعة السفلى (لرأيته) ذلك الجبل بقوته (خاشعا) خاضعا مستكينا مما فى القرآن من الوعد والوعيد (متصدعا) متكسرا متفسخا متشققا (من خشية الله) من خوف الله (وتلك) هذه (الامثال نضربها) نبينها (للناس) فى القرآن (لعلهم يتفكرون) لكى يتفكروا فى امثال القرآن (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب) ماغاب عن العباد ومايكون (والشهادة) ماعلمه العباد وما كان

ياايها الذين آمنوا اتقوا الله) فى اوامره فلا تخالفوها (ولتنظر نفس) نكر النفس تقليلا للانفس النواظر فيماقدمن للآخرة (ماقدمت لغد) يعنى يوم القيامة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له اوعبر عن الآخرة بالغد كان الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيم امره اى لغد لايعرف كنهه اعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ماعملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ماخلفنا

﴿ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ﴾ ليوم القيامة سماه به لدنوه اولان الدنيا كيوم والآخرة كغده وتنكيره للتعظيم واماتنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة فى ذلك ﴿ واتقوا الله ﴾ تكرير للتأكيد اوالاول فى اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله ﴿ ان الله خبير بما تعملون ﴾ وهو كالوعيد على المعاصى ﴿ ولاتكونوا كالذين نسوا الله ﴾ نسوا حقه ﴿ فانساهم انفسهم ﴾ فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا مايخلصها اواراهم يوم القيامة من الهول ماانساهم انفسهم ﴿ اولئك هم الفاسقون ﴾ الكاملون فى الفسوق ﴿ لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة ﴾ الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا للجنة والذين

امه اللهم لاتجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لاتجعلنى مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها وهم يقولون زنت وسرقت فقلت اللهم لاتجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لاتجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها اخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخارى مفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة ۰ المومسات الزوانى جمع مومسة وهى المرأة الفاجرة ۰ والبغى الزانية ايضا ۰ وقوله يتمثل بحسنها اى يتعجب منه ويضرب به المثل ۰ وقوله ذوشارة حسنة اى صاحب جمال ظاهر فى الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك ۰ والجبار العاتى المتكبر القاهر للناس * قوله تعالى ﴿ ياايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ﴾ اى لينظر احدكم اى شئ قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه ام سيئا يوبقه والمراد بالغد يوم القيامة وقربه على الناس كان يوم القيامة يأتى غدا وكل ماهو آت فهو قريب ﴿ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ﴾ قيل كرر الامر بالتقوى تأكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله فى اداء الواجبات ومعنى الثانى واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات ﴿ ولاتكونوا كالذين نسوا الله ﴾ اى تركوا امر الله ﴿ فانساهم انفسهم ﴾ اى انساهم حظوظ انفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده ﴿ اولئك هم الفاسقون لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة

(واتقوا الله) كرر الامر بالتقوى تأكيدا او اتقوا الله فى اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد وقوله (ان الله خبير بما تعملون) فيه تحريض على المراقبة لان من علم وقت فعله ان الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكر الله عز وجل وماامرهم به (فانساهم انفسهم) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (اولئك هم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله (لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة

(ياايها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (اتقوا الله) اخشوا الله (ولتنظر نفس) كل نفس برة اوفاجرة (ماقدمت لغد) ماعملت ليوم القيامة فانما تجد يوم القيامة ماعملت فى الدنيا ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (واتقوا الله) اخشوا الله فيما تعملون (ان الله خبير بما تعملون) من الخير والشر (ولاتكونوا) ياعشر المؤمنين فى المعصية (كالذين نسوا الله) تركوا طاعة الله فى السر وهم المنافقون ويقال تركوا طاعة الله فى السر والعلانية وهم اليهود (فانساهم انفسهم) فخذلهم الله حتى تركوا طاعة الله (اولئك هم الفاسقون) الكافرون بالله فى السر يعنى المنافقين وان فسرت على اليهود يقول هم الكافرون بالله فى السر والعلانية (لايستوى) فى الطاعة والثواب (اصحاب النار) اهل النار (واصحاب الجنة) اهل الجنة

انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ والمراد من الانسان الجنس وقيل ابوجهل قال له ابليس يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على ان انهما الخبر لكان وخالدان على انه الخبر لان وفى النار لغو

وذلك الانسان ﴿ انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لاتجيبوا محمدا الى مادعاكم ولاتخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانامعكم وان اخرجكم خرجنامعكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لايمشون فى بنى اسرائيل الا بالتقيه والكتمان وطمع اهل الفسق والفجور فى الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من امر جريج الراهب ما كان فلما برأه الله مما رموه به من الزنا انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس * وكانت قصة جريج على ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا صالحا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلى فيها فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت اللهم لاتمته حتى ينظر فى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها معهم فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان يأوى الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هومن جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ماشأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال اين الصبي فجاؤا به فقال دعونى حتى اصلى فصلى فلما انصرف اتى الصبى فطعن فى بطنه وقال ياغلام من ابوك قال فلان الراعى قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنى لك صومعتك من ذهب قال اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبيناصبي يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذوشارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلنى مثل هذا ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكانى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة فى فيه فجعل يمصها قال ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت

(انهما فى النار خالدين فيها) عاقبتهما خبر كان مقدم وان مع اسمها وخبرها اى فى النار فى موضع الرفع على الاسم وخالدين حال (وذلك جزاء الظالمين

(انهما فى النار خالدين فيها) مقيمين فى النار (وذلك) الخلود فى النار (جزاء الظالمين) عقوبة الكافرين

﴿ فلما كفر قال انى برئ منك ﴾ تبرأ عنه مخافة ان يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال ﴿ انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما

لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ماتريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يابرصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقف عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلاته اذجاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون فى بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يابرصيصا مافعلت اختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى اكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان ان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث به فانطلق الشيطان الى اوسطهم فقال الاوسط مثل ماقال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط انا والله قد رأيت مثله فقال الاكبر وانا والله قد رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يابرصيصا مافعلت اختنا فقال أليس قد اعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتمونى فقالوا لا والله لانتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خرج من التراب فانطلقوا فرأوا اختهم على مارأوه فى النوم فمشوا فى مواليهم وغلمانهم معهم الفؤس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به للملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يابرصيصا اتعرفنى فقال لاقال اناصاحبك الذى علمتك الدعوات وكنت اذا دعوت بهن يستجاب لك ويحك مااتقيت الله فى امانتك خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بنى اسرائيل اما استحيت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال فى آخر ذلك الم يكفك ماصنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت اشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح ابدا ولن يفلح احد من نظرائك قال فكيف اصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى اخلصك مما انت فيه فآخذ بأعينهم واخرجك من مكانك قال وماهى قال تسجدلى قال مااستطيع افعل قال بطرفك افعل فسجدله برصيصا فقال يابرصيصا هذا الذى اردت منك صارت عاقبة امرك الى ان كفرت بربك ﴿ فلما كفر قال انى برئ منك انى أخاف الله رب العالمين ﴾ قال الله تعالى ﴿ فكان عاقبتهما ﴾ يعنى الشيطان

فلما كفر قال انى برئ منك انى أخاف الله رب العالمين) اى مثل المنافقين فى اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة وقيل المراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برئ منكم (فكان عاقبتهما) عاقبة الانسان الكافر والشيطان

(فلما كفر) بالله خذله (قال انى برئ منك) ومن دينك (انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما) عاقبة الشيطان والراهب

وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتى انى جئت لا كون معك فاتأدب بادبك واقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وادعو لك قال برصيصا انى لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيبا ان استجاب لى ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعدها رآه قائما يصلى فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ماحاجتك قال حاجتى ان تأذن لى فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه فى صومعته فاقام حولا يتعبد لايفطر الا فى كل اربعين يوما مرة ولاينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رأيت وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاده ولما ودعه الابيض قال له ان عندى دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما انت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا انا اكره هذه المنزلة لان لى فى نفسى شغلا وانى اخاف ان علم الناس شغلونى عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا افأعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يقدر فقال لهم انى لااقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذى اذا دعا به اجيب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عم تلك الجارية ملك بنى اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان يأتى الناس فى صورة متطبب فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال ان الذى عرض لها مارد لايطاق ولكن سأرشدكم الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو اعظم شأنا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها فى صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب امانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما امرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية فى صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وماهى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض

(تحسبهم) اى اليهود والمنافقين (جميعا) مجتمعين ذوى الفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لاالفة بينها يعنى ان بينهم احنا وعداوات فلايتعاضدون حق التعاضد وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذلك) التفرق (بانهم قوم لايعقلون)

مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم

(كمثل الذين من قبلهم) اى مثلهم كمثل اهل بدر فحذف المبتدا (قريبا) اى استقر من قبلهم زمنا قريبا (ذاقوا وبال امرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا (ولهم عذاب اليم) اى ولهم مع ذلك فى الآخرة عذاب النار (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر

الله ورسوله ﴿ تحسبهم جميعا ﴾ مجتمعين متفقين ﴿ وقلوبهم شتى ﴾ متفرقة لاالفة بينهما لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ﴿ ذلك بانهم قوم لايعقلون ﴾ مافيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم ﴿ كمثل الذين من قبلهم ﴾ اى مثل اليهود كمثل اهل بدر اوبنى قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير اوالمهلكين من الامم الماضية ﴿ قريبا ﴾ فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ﴿ ذاقوا وبال امرهم ﴾ سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ فى الآخرة ﴿ كمثل الشيطان ﴾ اى مثل المنافقين فى اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان ﴿ اذقال للانسان اكفر ﴾ اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور

فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله ﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ اى متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة اعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون فى عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين و آراءهم يخالف دين اليهود و آراءهم ﴿ ذلك بانهم قوم لايعقلون ﴾ ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريبا ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ ذاقوا وبال امرهم ﴾ يعنى القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بنى النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى بنى قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سنتان ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ اى فى الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا فى تخاذلهم وتخلى بعضهم عن بعض فقال تعالى ﴿ كمثل الشيطان ﴾ اى مثل المنافقين مع بنى النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان ﴿ اذقال للانسان اكفر ﴾ وذلك ماروى عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه فى امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم يكفينى امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاءه فى صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه الى اقصى ارض الهند لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لاينفتل عن صلاته الا فى كل عشرة ايام ولايفطر الا فى كل عشرة ايام مرة فلما رأى الابيض انه لايجيبه اقبل على العبادة فى اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلى فى هيئة حسنة على هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم فى نفسه اى لام نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتنى

(تحسبهم) يامحمد يعنى المنافقين واليهود من بنى قريظة والنضير (جميعا) على امر واحد (وقلوبهم شتى) مختلفة (ذلك) الخلاف والخيانة (بانهم قوم لايعقلون) امر الله وتوحيده (كمثل الذين من قبلهم) يقول مثل بنى قريظة فى نقض العهد والعقوبة كمثل الذين من قبلهم من قبل بنى قريظة (قريبا) بسنتين (ذاقوا وبال امرهم) عقوبة امرهم بنقض العهد وهم بنو النضير (ولهم عذاب اليم) وجيع فى الآخرة (كمثل الشيطان) يقول مثل المنافقين مع بنى قريظة حيث خذلوهم كمثل الشيطان مع الراهب (اذقال للانسان) الراهب برصيصا (اكفر) بالله

{وكنت}

ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون) وانما قال ولئن نصروهم بعد الاخبار بأنهم لا ينصرون على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم مايكون فهو يعلم مالا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولاينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم اولينهزمن اليهود ثم لاتنفعهم نصرة المنافقين (لانتم أشد رهبة) اى اشد مرهوبية مصدر رهب المبنى للمفعول وقوله (فى صدورهم) ﴿٢٢٧﴾ ﴿سورة الحشر﴾ دلالة على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وانتم اهيب فى صدورهم (من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون) لايعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم) لايقدرون على مقاتلتكم (جميعا) مجتمعين يعنى اليهود والمنافقين (الا) كائنين (فى قرى محصنة) بالخنادق والدروب (اومن وراء جدر) جدار مكى وابو عمرو (بأسهم بينهم شديد) يعنى ان البأس الشديد الذى يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله

ولئن قوتلوا لاينصرونهم ﴾ وكان كذلك فان ابن ابى واصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ﴿ ولئن نصروهم ﴾ على الفرض والتقدير ﴿ ليولن الادبار ﴾ انهزاما ﴿ ثم لاينصرون ﴾ بعد بل يخذلهم الله ولاينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين ﴿ لانتم اشد رهبة ﴾ اى اشد مرهوبية مصدر للفعل المبنى للمفعول ﴿ فى صدورهم ﴾ فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين ﴿ من الله ﴾ على مايظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ﴿ ذلك بانهم قوم لايفقهون ﴾ لايعلمون عظمة الله حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى ﴿ لايقاتلونكم ﴾ اليهود والمنافقون ﴿ جميعا ﴾ مجتمعين متفقين ﴿ الا فى قرى محصنة ﴾ بالدروب والخنادق ﴿ اومن وراء جدر ﴾ لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو فتحة الدال ﴿ بأسهم بينهم شديد ﴾ اى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب

ولئن قوتلوا لاينصرونهم ﴾ وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ﴿ ولئن نصروهم ليولن الادبار ﴾ يعنى لو قدروا نصرهم اولو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين ﴿ ثم لاينصرون ﴾ يعنى بنى النضير لايصيرون منصورين اذا انهزم ناصروهم ﴿ لانتم ﴾ يعنى يامعشر المسلمين ﴿ أشد رهبة فى صدورهم من الله ﴾ اصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد من رهبتهم من الله ﴿ ذلك ﴾ اى الخوف منكم ﴿ بانهم قوم لايفقهون ﴾ يعنى عظمة الله تعالى ﴿ لايقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة ﴾ اى لايبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى ﴿ او من وراء جدار ﴾ وقرئ جدر ﴿ بأسهم بينهم شديد ﴾ اى بعضهم فظ على بعض اوعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد

المنافقون (ولئن قوتلوا) قاتلهم محمد عليه السلام (لاينصرونهم) على محمد عليه السلام (ولئن نصروهم) على محمد عليه السلام (ليولن الادبار) منهزمين (ثم لاينصرون) لايمنعون مما نزل بهم ثم قال للمؤمنين (لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله) يقول خوف المنافقين واليهود من سيف محمد عليه السلام واصحابه اشد من خوفهم من الله (ذلك) الخوف (بأنهم قوم لايفقهون) امر الله وتوحيد الله (لايقاتلونكم) يعنى بنى قريظة والنضير (جميعا الا فى قرى محصنة) فى مدائن وقصور حصينة (اومن وراء جدر)او بينكم وبينهم حائط (بأسهم بينهم شديد) يقول قتالهم فيما بينهم شديد اذا قاتلوا قومهم لامع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

(الم تر الى الذين نافقوا) اى الم تر يا محمد الى عبدالله بن ابى واشياعه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى بنى النضير والمراد اخوة الكفر (لئن اخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم) روى ان ابن ابى واصحابه دسوا

حين حاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم (ولا نطيع فيكم) فى قتالكم (احدا ابدا) من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه او فى خذلانكم واخلاف ماوعدناكم من النصرة (وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون) فى مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب (لئن اخرجوا لايخرجون معهم

﴿الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب﴾ يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة ﴿لئن اخرجتم﴾ من دياركم ﴿لنخرجن معكم ولانطيع فيكم﴾ فى قتالكم وخذلانكم ﴿احدا ابدا﴾ اى من رسول الله والمؤمنين ﴿وان قوتلتم لننصرنكم﴾ لنعاوننكم ﴿والله يشهد انهم لكاذبون﴾ لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال ﴿لئن اخرجوا لايخرجون معهم

الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه اخرجه الترمذى وقال مالك بن انس من انتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان فى قلبه غل عليهم فليس له حق فى فىء المسلمين ثم تلا هذه الآية ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى والذين جاؤا من بعدهم الى رؤف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبى يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم قالوا حوارى عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة * وروى عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابابكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فاحب الله ان لا يقطع عنهم الاجر وروى ان ابن عباس سمع رجلا ينال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له امن المهاجرين الاولين انت قال لا قال فمن الانصار انت قال لا قال فانا اشهد بانك لست من التابعين لهم باحسان * قوله عز وجل ﴿الم تر الى الذين نافقوا﴾ يعنى اظهروا خلاف ما اضمروا وهم عبدالله بن ابى ابن سلول واصحابه ﴿يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب﴾ يعنى اليهود من بنى قريظة وبنى النضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم ﴿لئن اخرجتم﴾ اى من المدينة ﴿لنخرجن معكم﴾ اى منها ﴿ولا نطيع فيكم احدا ابدا﴾ يعنى ان سألنا احد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم ﴿وان قوتلتم لننصرنكم﴾ اى لنعيننكم ولنقاتلن معكم ﴿والله يشهد انهم﴾ يعنى المنافقين ﴿لكاذبون﴾ اى فيما قالوا ووعدوا ثم اخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى ﴿لئن اخرجوا لايخرجون معهم

(الم تر) الم تنظر يا محمد (الى الذين نافقوا) فى دينهم وهم قوم من الاوس تكلموا بالايمان علانية واسروا النفاق (يقولون لاخوانهم) فى السر (الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى بنى قريظة قالوا لهم بعدما حاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم اثبتوا فى حصونكم على دينكم (لئن اخرجتم) من المدينة كما اخرج بنو النضير (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا) لا نعين عليكم احدا من اهل المدينة (وان قوتلتم) وان قاتلكم محمد عليه السلام واصحابه (لننصرنكم) عليهم (والله يشهد) يعلم (انهم) يعنى المنافقين (لكاذبون) فى مقالتهم (لئن اخرجوا) من المدينة يعنى بنى قريظة (لايخرجون معهم)

﴿ والذين جاؤا من بعدهم ﴾ هم الذين هاجروا بعد حين قوى الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة فلذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين ﴿ يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ﴾ اى لاخواننا فى الدين ﴿ ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾ حقدا لهم ﴿ ربنا انك رؤف رحيم ﴾ فحقيق بان تجيب دعاءنا

شئ فقال عبدالله ليس ذلك بالشح الذى ذكر الله فى القرآن ولكن الشح ان تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذى يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيأ نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيأ امره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم * عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرما فى الرجل شح هالع وجبن خالع اخرجه ابوداود * الهلع اشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شئ يفوته اويخرج من يده * والخالع الذى خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد ابدا اخرجه النسائى * قوله تعالى ﴿ والذين جاؤا من بعدهم ﴾ يعنى من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيامه ﴿ يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ﴾ اخبرانهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان ﴿ ولاتجعل فى قلوبنا غلا ﴾ اى غشا وحسدا وبغضا ﴿ للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ﴾ فكل من كان فى قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المؤمنين وليس له فى المسلمين نصيب وقال ابن ابى ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد ان لاتكون خارجا من هذه الثلاث منازل (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا اصحابى فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولا نصيفه (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن اختى امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم * عن عبدالله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله

(والذين جاؤا من بعدهم) عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان وقيل من بعدهم الى يوم القيامة قال عمر رضى الله عنه دخل فى هذا الفئ كل من هو مولود الى يوم القيامة فى الاسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما (يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) قيل هم المهاجرون والانصار عائشة رضى الله عنها امروا بان يستغفروا لهم فسبوهم (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) حقدا (للذين آمنوا) يعنى الصحابة (ربنا انك رؤف رحيم) وقيل لسعيد بن المسيب ماتقول فى عثمان وطلحة والزبير قال اقول ماقولنيه الله وتلا هذه الآية ثم عجب نديه بقوله

(والذين جاؤا من بعدهم) من بعد المهاجرين الاولين (يقولون ربنا اغفرلنا) ذنوبنا (ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) والهجرة (ولاتجعل فى قلوبنا غلا) بغضا وحسدا (للذين آمنوا) من المهاجرين (ربنا انك رؤف رحيم) خافوا على انفسهم ان يقع فى قلوبهم الحسد لقبل ما اعطى النبى صلى الله عليه وسلم المهاجرين الاولين دونهم فدعوا بهذه الدعوات

﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق ﴿ فاولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل

فاقة وحاجة الى مايؤثرون به (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ماعندى الا الماء ثم ارسل به الى اخرى فقال مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فقال انا يارسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ قالت لا الا قوت صبيانى قال فعلليهم بشئ ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فاريه انا نأكل فاذا اهوى بيده ليأكل فقومى الى السراج كى تصلحيه فاطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله اوضحك الله من فلان وفلانة زاد فى رواية فانزل الله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن ابى هريرة قال قالت الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمر قالوا سمعنا واطعنا (خ) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين فقالوا لا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال امالا فاصبروا حتى تلقونى على الحوض فانه سيصيبكم اثرة بعدى وفى رواية ستلقون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض * الاثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء والاول اشهر ومعناه الاستئثار وهو ان يستأثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولايجعل لكم فى الامر نصيب وقيل هو من آثر اذا اعطى اراد انه يستأثر عليكم غيركم فيفضل فى نصيبه من الفئ والاستئثار الانفراد بالشئ وقيل الاثرة الشدة والاول اظهر * وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتهم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم اموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيأ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولانشاركهم فيها فانزل الله عزوجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح فى كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التى تقتضى ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لاجرم قال الله تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ اى الفائزون بما ارادوا وروى ان رجلا قال لابن مسعود انى اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال انى اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدى

انه نزل برجل منهم ضيف فنوم الصبية وقرب الطعام واطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولايأكل هو وعن انس اهدى لبعضهم رأس مشوى وهو مجهود فوجهه الى جاره فتداولته تسعة انفس حتى عاد الى الاول ابو زيد قال لى شاب من اهل بلخ ماالزهد عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ بل اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) الظافرون بما ارادوا والشح اللؤم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع واما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح اكل مال اخيك ظلما والبخل منع مالك وعن كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد بخلاف الشحيح

(ومن يوق شح نفسه) من دفع عنه بخل نفسه (فاولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب

(والذين) معطوف على المهاجرين وهم الانصار (تبوؤا الدار) توطنوا المدينة (والايمان) واخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * اوجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك اوأراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم فى تبوئ دار الدنيا والايمان وقيل من قبل هجرتهم (يحبون من هاجر اليهم) حتى شاطروهم اموالهم وانزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن احداها حتى تزوج بها رجل من المهاجرين (ولايجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا) ولايعلمون فى انفسهم طلب محتاج اليه مما اوتى المهاجرون من الفئ وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يعنى ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شئ منه تحتاج اليه وقيل حاجة حسدا مما اعطى المهاجرون من الفئ حيث خصهم النبى صلى الله عليه وسلم به وقيل لايجدون فى صدورهم مس حاجة من فقد ما اوتوا فحذف المضافان (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) فقر واصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال اى مفروضة خصاصتهم روى

﴿ والذين تبوؤا الدار والايمان ﴾ عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام اوتبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره ﴿ من قبلهم ﴾ من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان ﴿ يحبون من هاجر اليهم ﴾ ولايثقل عليهم ﴿ ولايجدون فى صدورهم ﴾ فى انفسهم ﴿ حاجة ﴾ ماتحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ ﴿ مما اوتوا ﴾ مما اعطى المهاجرون من الفيئ وغيره ﴿ ويؤثرون على انفسهم ﴾ ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ حاجه من خصاص البناء وهى فرجة

خريفا * وعن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة اخرجه ابو داود * قوله عز وجل ﴿ والذين تبوؤا الدار والايمان ﴾ يعنى الانصار توطنوا الدار وهى المدينة واتخذوها سكنا ﴿ من قبلهم ﴾ يعنى انهم اسلموا فى ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان يتبوأ ﴿ يحبون من هاجر اليهم ﴾ وذلك انهم انزلوا المهاجرين فى منازلهم واشركوهم فى اموالهم ﴿ ولايجدون فى صدورهم حاجة ﴾ اى حزازة وغيظا وحسدا ﴿ مما اوتوا ﴾ اى اعطا المهاجرون من الفئ دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة فطابت انفس الانصار بذلك ﴿ ويؤثرون على انفسهم ﴾ اى ويؤثر الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم على انفسهم ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ اى

المصدقون بايمانهم وجهادهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم للانصار هذه الغنائم والحيطان للفقراء المهاجرين خاصة دونكم ان شئتم قسمتم اموالكم ودياركم للمهاجرين واقسم لكم من الغنائم وان شئتم لكم اموالكم ودياركم واقسم الغنيمة بين فقراء المهاجرين فقالوا يارسول الله نقسمهم اموالنا ومنازلنا ونؤثرهم على انفسنا بالغنيمة فاثنى الله عليهم فقال (والذين تبوؤا الدار) وطنوا دار الهجرة للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه (والايمان من قبلهم) وكانوا مؤمنين من قبل مجئ المهاجرين اليهم (يحبون من هاجر اليهم) الى المدينة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (ولايجدون فى صدورهم) فى قلوبهم (حاجة) حسدا ويقال حزازة (مما اوتوا) مما اعطوا من الغنائم دونهم (ويؤثرون على انفسهم) باموالهم ومنازلهم (ولو كان بهم خصاصة) فقر وحاجة

(واتقوا الله) ان تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجود ان يكون عاما فى كل ماأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وامر الفئ داخل فى عمومه (للفقراء) بدل من قوله ولذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الابدال من الله وللرسول وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عز وجل (المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم) بمكة وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء اموال المسلمين لان الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار واموال (يبتغون) حال (فضلا من الله ورضوانا) اى يطلبون الجنة ورضوان الله (وينصرون الله ورسوله) اى ينصرون دين الله ويعينون رسوله (اولئك هم الصادقون) فى ايمانهم وجهادهم

واتقوا الله) اخشوا الله فيما أمركم (ان الله شديد العقاب) اذا عاقب وذلك لانهم قالوا النبى صلى الله عليه وسلم خذ نصيبك من الغنيمة ودعنا واياها فقال الله لهم هذه الغنائم يعنى سبعة من الحيطان من بنى النضير (للفقراء المهاجرين) لانهم (الذين اخرجوا من ديارهم) مكة (واموالهم) اخرجهم اهل مكة وكانوا نحو مائة رجل (يبتغون فضلا) يطلبون ثوابا (من الله ورضوانا) مرضاة ربهم بالجهاد (وينصرون الله ورسوله) بالجهاد (اولئك هم الصادقون)

عنه ﴿ واتقوا الله ﴾ فى مخالفة رسوله ﴿ ان الله شديد العقاب ﴾ لمن خالف ﴿ للفقراء المهاجرين ﴾ بدل من لذى القربى وماعطف عليه فان الرسول عليه السلام لايسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بمابعده اوالفيئ بفيئ بنى النضير ﴿ الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ﴾ فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم ﴿ يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم ﴿ وينصرون الله ورسوله ﴾ بانفسهم واموالهم ﴿ اولئك هم الصادقون ﴾ الذين ظهر صدقهم فى ايمانهم

وجدته قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا * الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل * والمستوشمة هى التى تطلب ان يفعل بها ذلك * والنامصة هى التى تنتف الشعر من الوجه * والمتفلجة هى التى تتكلف تفريج مابين ثناياها بصناعة وقيل هى التى تتفلج فى مشيتها فكل ذلك منهى عنه (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا هذا ماليس منه فهو رد * وفى رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد * عن ابى رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاالفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه امر مما امرت به اونهيت عنه فيقول لاادرى ماوجدنا فى كتاب الله اتبعناه اخرجه ابو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن • الاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير او فراش او منصة او نحو ذلك ﴿ واتقوا الله ﴾ اى فى امر الفئ ﴿ ان الله شديد العقاب ﴾ اى على ترك ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم او نهاكم عنه ثم بين من له الحق فى الفئ فقال عز وجل ﴿ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ﴾ يعنى الجاهم كفار مكة الى الخروج ﴿ يبتغون فضلا من الله ﴾ اى رزقا وقيل ثوابا من الله ﴿ ورضوانا ﴾ اى خرجوا من ديارهم طلبا لرضا الله عز وجل ﴿ وينصرون الله ورسوله ﴾ اى بانفسهم واموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ اى فى ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكرلنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة بأربعين (خريفا)

لظاهر الآية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة والسلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور ﴿ كيلا يكون ﴾ اى الفيء الذى حقه ان يكون للفقراء وقرأ هشام فى رواية بالتاء ﴿ دولة بين الاغنياء منكم ﴾ الدولة مايتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيئ ذا تداول بينهم اواخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية ﴿ وما آتاكم الرسول ﴾ وما اعطاكم من الفيء اومن الامر ﴿ فخذوه ﴾ لانه حلال لكم اوفتمسكوا به لانه واجب الطاعة ﴿ ومانهاكم عنه ﴾ عن اخذه منه اوعن اتيانه ﴿ فانتهوا ﴾

صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على اهله منه نفقة سنتهم ويجعل مابقى مجعل مال الله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله واختلف العلماء فى مصرف الفيئ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعى فيه قولان احدهما انه للمقاتلة والثانى هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا فى تخميس مال الفيئ فذهب قوم الى انه يخمس فخمسه لاهل خمس الغنيمة واربعة للمقاتلة او للمصالح وذهب الاكثرون الى انه لايخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ماافاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض مسلم الاوله فى هذا الفيئ حق الا ماملكت ايمانكم ﴿ كيلا يكون ﴾ الفيئ ﴿ دولة ﴾ والدولة اسم الشئ الذى يتداوله القوم بينهم ﴿ بين الاغنياء منكم ﴾ يعنى بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفى بعده ماشاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما امره به ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ اى من مال الفيئ والغنيمة ﴿ ومانهاكم عنه ﴾ اى من الغلول وغيره ﴿ فانتهوا ﴾ وهذا نازل فى اموال الفيئ وهو عام فى كل ماامر به النبى صلى الله عليه وسلم اونهى عنه من قول او عمل من واجب او مندوب او مستحب اونهى عن محرم فيدخل فيه الفيئ وغيره (ق) عن عبدالله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بنى اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرأ القرآن فاتته فقالت ماحديث بلغنى عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبدالله ومالى لاالعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحى المصحف فما وجدته فقال ان كنت قرأته لقد

(كيلا يكون دولة) تكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة مايدول للانسان اى يدور من الجد ومعنى قوله كيلا يكون دولة (بين الاغنياء منكم) لئلا يكون الفئ الذى حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به (وما آتاكم الرسول) اى ماأعطاكم من قسمة غنيمة اوفيء (فخذوه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن اخذه (فانتهوا) عنه ولاتطلبوه

النازل ومار الطريق (كيلا يكون دولة) قسمة (بين الاغنياء منكم) بين الاقويا منكم (وما آتاكم الرسول) من الغنيمة (فخذوه) فاقبلوه ويقال ما أمركم الرسول فاعملوا به (ومانهاكم عنه فانتهوا

ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وانما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها غير اجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية الاولى نزلت فى اموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية فى غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفى الآية بيان مصرف خمسها فهى مبتداة

ما افاء الله على رسوله) ما فتح الله لرسوله (من اهل القرى) قرى عرينة وقريظة والنضير وفدك وخيبر (فلله) خاصة دونكم (وللرسول) وامر الرسول فيها جائز فجعل النبى صلى الله عليه وسلم فدك وخيبر وقفا لله على المساكين فكان فى يده فى حياته وكان فى يد ابى بكر بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك كان فى يد عمر وعثمان وعلى ابن ابى طالب على ما كان فى يد النبى عليه السلام وهكذا اليوم وقسم النبى صلى الله عليه وسلم غنيمة قريظة والنضير على فقراء المهاجرين اعطاهم على قدر احتياجهم وعيالهم (ولذى القربى) واعطى بعضه لفقراء بنى عبدالمطلب (واليتامى) واعطى بعضه لليتامى غير يتامى بنى عبد المطلب (والمساكين) واعطى بعضه للمساكين غير مساكين بنى عبد المطلب (وابن السبيل) الضيف (صلى)

﴿ما افاء الله على رسوله من اهل القرى﴾ بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه ﴿فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ اختلف فى قسم الفئ فقيل يسدس

عمر اتئدوا انشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم اقبل عمر على العباس وعلى وقال انشدكما بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض اتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها احدا غيره فقال وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بنى النضير فوالله ما استأثرها عليكم ولا اخذها دونكم فقد اعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقى هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم ما بقى يجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم انشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض اتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل ما نشد القوم اتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابوبكر انا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه ابوبكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم حينئذ واقبل على على وعباس وقال تذكران ان ابابكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله ابابكر فقلت انا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فقبضته سنتين من امارتى اعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر والله يعلم انى فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتمانى كلاكما وكلمتكما واحدة وامركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا لى ان ادفعه اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وما عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلمان فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان منى قضاء غير ذلك فوالله الذى باذنه تقوم السماء والارض لا اقضى فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الى فانى اكفيكماه * قوله تعالى ﴿ما افاء الله على رسوله من اهل القرى﴾ يعنى من اموال كفار اهل القرى قال ابن عباس هى قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة ﴿فلله وللرسول ولذى القربى﴾ يعنى بنى هاشم وبنى المطلب ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ قد تقدم تفسيره فى سورة الانفال فى حكم الغنيمة وقسمتها * واما حكم الفئ فانه لرسول الله

وليذل اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها (وماافاء الله على رسوله) جمله فيأله خاصة (منهم) من بنى النضير (فما اوجفتم عليه من خيل ولاركاب) فلم يكن ذلك بايجاف خيل اوركاب منكم على ذلك والركاب الابل والمعنى فما اوجفتم على تحصيله وتغنيه خيلا ﴿٢١٩﴾ ولاركابا ولاتعبتم فى القتال ﴿سورة الحشر﴾ عليه وانما مشيتم اليه على

غاظهم به روى انه عليه الصلاة والسلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا قدكنت يامحمد تنهى عن الفساد فى الارض فمابال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم ﴿ وماافاء الله على رسوله ﴾ وما اعاده عليه بمعنى صيره له اورده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين ﴿ منهم ﴾ من بنى النضير اومن الكفرة ﴿ فما اوجفتم عليه ﴾ فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير ﴿ من خيل ولاركاب ﴾ مايركب من الابل غلب فيه كماغلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فئ بنى النضير فان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه ركب جملا اوحمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيأ الاثلاثة كانت بهم حاجة ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ﴾ بقذف الرعب فى قلوبهم ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ فيفعل مايريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها

احتج العلماء بهذه الآية على ان حصون الكفار وديارهم لابأس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها * قوله عزوجل ﴿ وماافاء الله على رسوله ﴾ اى مارد الله على رسوله ﴿ منهم ﴾ اى من يهود بنى النضير ﴿ فما اوجفتم عليه ﴾ يعنى اوضعتم وهو سرعة السير ﴿ من خيل ولاركاب ﴾ يعنى الابل التى تحمل القوم وذلك ان بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كمافعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى فى هذه الآية انه لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولاركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا نالوا مشقة وانما كانوا يعنى بنى النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ﴾ من اعدائه ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ اى فهى له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الاثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابودجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة (ق) عن مالك بن اوس النضرى ان عمر دعاه اذاجاء حاجبه يرفا فقال هل لك يا امير المؤمنين فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك فى عباس وعلى يستأذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس ياامير المؤمنين اقض بينى وبين هذا فقال القوم اجل ياامير المؤمنين اقض بينهما وارح احدهما من الآخر قال مالك بن اوس يخيل الى انهم قدكانوا قدموهم لذلك فقال

ارجلكم لانه على ميلين من المدينة وكان صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) يعنى ان ما خول الله رسوله من اموال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما فى ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء ولايقسمه قسمة الغنائم التى قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار الاثلاثة منهم لفقرهم (والله على كل شئ قدير

الكافرين يعنى يهود بنى النضير بماقطعتم من نخيلهم (وما افاء الله على رسوله) مافتح الله لرسوله (منهم) من بنى النضير فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دونكم (فما اوجفتم عليه) فما اجريتم اليه (من خيل ولاركاب) ابل ولكن مشيتم اليه مشيا لانه كان قريبا الى المدينة (ولكن الله يسلط رسله) يعنى محمدا عليه السلام (على من يشاء) يعنى بنى النضير (والله على كل شئ) من النصرة والغنيمة (قدير

الخروج من اوطانهم ﴿ لعذبهم فى الدنيا ﴾ بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب النار ﴾ استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ﴿ ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله و من يشاق الله فان الله شديد العقاب ﴾ الاشارة الى ماذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وماهو معداهم اوالى الاخير ﴿ ما قطعتم من لينة ﴾ اى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان ﴿ او تركتموها ﴾ الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة ﴿ قائمة على اصولها ﴾ وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن ﴿ فباذن الله ﴾ فبامره ﴿ وليخزى الفاسقين ﴾ علة لمحذوف اى وفعلتم اووأذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما

﴿ لعذبهم فى الدنيا ﴾ يعنى بالقتل والسبى كافعل ببنى قريظة ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك ﴾ اى الذى لحقهم ونزل بهم ﴿ بانهم شاقوا الله ورسوله ﴾ اى خالفوا الله ورسوله ﴿ ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ﴾ قوله تعالى ﴿ ماقطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله ﴾ الآية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يامحمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لاتقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزل ماقطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين * البويرة اسم موضع لبنى النضير وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ماخلا العجوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها لينة الا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس فى رواية اخرى عنه هى لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هى ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبه اليهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف واحب اليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فاخبر الله ان قطعها كان باذنه ﴿ وليخزى الفاسقين ﴾ يعنى اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود اذن الله فى قطعها

ومن يشاق الله) ورسوله (فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة) هو بيان لما قطعتم ومحل مانصب بقطعتم كانه قيل اى شئ قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما فى قوله تعالى (او تركتموها) لانه فى معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين (قائمة على اصولها فباذن الله) فقطعها وتركها باذن الله (وليخزى الفاسقين)

الشام (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل (ولهم فى الآخرة عذاب النار) اشد من القتل (ذلك) الجلاء والعذاب (بانهم شاقوا الله) خالفوا الله (ورسوله) فى الدين (ومن يشاق الله) يخالف الله فى الدين ويعاده (فان الله شديد العقاب) له فى الدنيا والآخرة وامر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بقطع نخيلهم بعد ما حاصرهم غير العجوة فانه لم يأمرهم بقطعها فلامهم بذلك بنو النضير فقال الله (ماقطعتم من لينة) غير العجوة (اوتركتموها قائمة على اصولها) فلم تقطعوها يعنى العجوة (فباذن الله) فبامر الله القطع والترك (وليخزى الفاسقين) لكى يذل (احج)

(فاتاهم الله) اى امرالله وعقابه وفى الشواذ فآتاهم الله اى فآتاهم الهلاك (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه رضاعا (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف (يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين) يخربون ابوعمرو والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله من استئصال شأفتهم وان لاتبقى لهم بالمدينة دار ولامنهم ديار والذى دعاهم الى التخريب حاجتهم

الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لايتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ماكان فى ابنيتهم من جيد الخشب والساج واما المؤمنون فداعيهم الى التخريب ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بايدى المؤمنين انهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه (فاعتبروا يا اولى الابصار) اى فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذى استحقوا به ذلك فاحذروا ان تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهو دليل على جواز القياس (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن مع الاهل والولد

﴿ فاتاهم الله ﴾ اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اى العذاب اوالنصر ﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾ لقوة وثوقهم ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ واثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملأها ﴿ يخربون بيوتهم بايديهم ﴾ ضنابها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها ﴿ وايدى المؤمنين ﴾ فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن بغضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال اوتفسير للرعب وقرأ ابوعمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لمافيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل اوترك الشئ خرابا والتخريب الهدم ﴿ فاعتبروا يااولى الابصار ﴾ فاتعظوا بحالهم فلاتغدروا فلاتعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ماقررناه فى الكتب الاصولية ﴿ ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء ﴾

﴿ فاتاهم الله ﴾ اى اتاهم امر الله وعذابه ﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾ وهو ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لايظنون ذلك ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ اى الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف ﴿ يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين ﴾ قال الزهرى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم مااقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب فى منازلهم فيهدمونها وينزعون مايستحسنونه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون مايليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل اعداء الله ينقبون دورهم من ادبارها فيخرجون الى التى بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون مايليهم ويرمون بالتى خرجوا منها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فاعتبروا ﴾ اى فاتعظوا وانظروا مانزل بهم ﴿ يااولى الابصار ﴾ اى ياذوى العقول والبصائر ﴿ ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء ﴾ يعنى الخروج من الوطن

(فاتاهم الله) عذبهم الله واخزاهم واذلهم بقتل كعب بن الاشرف (من حيث لم يحتسبوا) لم يظنوا ولم يخافوا ان ينزل بهم مانزل بهم من قتل كعب بن الاشرف (وقذف) جعل (فى قلوبهم الرعب) الخوف من محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا لايخافون قبل ذلك (يخربون بيوتهم) يهدمون بعض بيوتهم (بايديهم) ويرمون بها الى المؤمنين (وايدى المؤمنين) ويتركون بعض بيوتهم على المؤمنين حتى هدموا ورموا بها اليهم (فاعتبروا يا اولى الابصار) فى الدين ويقال بالبصر بما فعل الله بهم من الاجلاء (ولولا ان كتب الله) قضى الله (عليهم) على بنى النضير (الجلاء) الخروج من المدينة الى

(لاول الحشر) تتعلق بأخرج وهى اللام فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى وقوله جئته لوقت كذا اى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام اوهذا اول حشرهم و آخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام او آخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس رضى الله عنهما من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الاول وسائر الناس الحشر الثانى وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا امضوا فانكم اول الحشر ونحن على الاثر قتادة اذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس الى ارض الشام وبها تقوم عليهم القيامة وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ظننتم ان يخرجوا) لشدة بأسهم و منعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) اى ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذى جاء عليه ان فى تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة لايبالى معها باحد يتعرض لهم ويطمع فى معازتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم (فاتاهم)

﴿ لاول الحشر ﴾ اى فى اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك وفى اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام و آخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشام اوفى اول حشر الناس الى الشام و آخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك اوان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر ﴿ ما ظننتم ان يخرجوا ﴾ لشدة بأسهم ومنعتهم ﴿ وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾ اى ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم

الكتاب يعنى بنى النضير من ديارهم يعنى التى كانت بالمدينة قال ابن اسحق كان اجلاء بنى النضير مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان ﴿ لاول الحشر ﴾ قال الزهرى كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا قال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا اول حشر الى الشام قال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلى من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثانى من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحاء من ارض الشام فى ايام عمر وقيل ان هذا اول الحشر والحشر الثانى نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ﴿ ماظننتم ﴾ يعنى ايها المؤمنون ﴿ ان يخرجوا ﴾ اى من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون وعقار ونخل كثير ﴿ وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾ اى وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله

(لاول الحشر) لانهم اول من حشر واخرج من المدينة الى الشام الى اريحاء و اذرعات بعد ما نقضوا عهودهم مع النبى عليه السلام بعد وقعة احد (ماظننتم) ما رجوتم يا معشر المؤمنين (ان يخرجوا) يعنى بنى النضير من المدينة الى الشام (وظنوا) يعنى بنى النضير (انهم مانعتهم حصونهم) ان حصونهم تمنعهم (من الله) من عذاب الله

والسلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة غيلة وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري في منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم واخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم ائتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه اليهم ان لاتخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج الينا في ثلاثين رجلا من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في براز من الارض فقال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنابك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر اموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى اذرعات واريحاء من ارض الشام الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل

﴿سورة الحشر مدنية وهى اربع وعشرون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى ان هذه السورة نزلت باسرها فى بنى النضير وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لايكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هذا النبى الذى نعته فى التوراة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة فحالف ابا سفيان عند الكعبة فامر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة ثم خرج صلى الله عليه وسلم مع الجيش اليهم فحاصرهم احدى وعشرين ليلة وامر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشأم الى اريحاء واذرعات (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى يهود بنى النضير (من ديارهم) بالمدينة واللام فى

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الحشر وهى كلها مدنية آياتها اربع وعشرون وكلماتها سبعمائة وخمس واربعون وحروفها الف وسبعمائة واثنا عشر حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سبح لله) يقول صلى لله ويقال (و) ذكر الله (ما فى السموات) من الخلق (وما فى الارض) من الخلق (وهو العزيز) فى ملكه وسلطانه (الحكيم) فى امره وقضائه امر ان لايعبد غيره (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى بنى النضير (من ديارهم) من منازلهم وحصونهم

﴿سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على ان لايكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير ﴿هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم﴾

﴿تفسير سورة الحشر قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر﴾
﴿فقال قل سورة النضير وهى مدنية اربع وعشرون آية واربعمائة﴾
﴿وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم﴾ قال المفسرون نزلت هذه السورة فى بنى النضير وهم طائفة من اليهود وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لايقاتلوه ولايقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قال بنو النضير والله انه النبى الامى الذى نجد نعته فى التوراة لاترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان فى اربعين من قريش وكعب بن الاشرف فى اربعين من اليهود المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه الصلاة

وبقوله (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان) اى اثبته فيها وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان بقوله اولئك حزب الله (وايدهم بروح منه) اى بكتاب انزله فيه حياة لهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اى بروح من الايمان على انه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابى رواد انه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح ايمانه واخلص توحيده فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن اجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا او غناها اذله الله بذلك العز وافقره بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه الجسيم فى الآخرة او بما قضى عليهم فى الدنيا (اولئك حزب الله) انصار حقه ودعاة خلقه (الا ان حزب الله هم المفلحون) الباقون فى النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب

﴿ اولئك ﴾ اى الذين لم يوادوهم ﴿ كتب فى قلوبهم الايمان ﴾ اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه ﴿ وايدهم بروح منه ﴾ اى من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب ﴿ ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ﴾ بطاعتهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ بقضائه او بما وعدهم من الثواب ﴿ اولئك حزب الله ﴾ جنده وانصار دينه ﴿ ألا ان حزب الله هم المفلحون ﴾ الفائزون بخير الدارين * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

مكة وستأتى قصته فى سورة الممتحنة وروى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعنى ابا عبيدة بن الجراح قتل اباه الجراح يوم احد او ابناءهم يعنى أبابكر الصديق رضى الله تعالى عنه دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يارسول الله دعنى اكن فى الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر او اخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل اخاه عبد الله بن عمير او عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن ابى طالب وحمزة وابا عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر ﴿ اولئك كتب فى قلوبهم الايمان ﴾ اى اثبت التصديق فى قلوبهم فهى مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه ﴿ وايدهم بروح منه ﴾ اى قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا لان به حيى امرهم وقيل بالايمان وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته ﴿ ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه اعظم النعم واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله سبحانه وتعالى فقال ﴿ اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ﴾ والله اعلم بمراده

(اولئك) يعنى حاطبا واصحابه (كتب فى قلوبهم) جعل فى قلوبهم تصديق (الايمان) وحب الايمان (وايدهم) اعانهم (بروح منه) برحمة منه ويقال اعانهم بعون منه (ويدخلهم جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون (رضى الله عنهم) بايمانهم واعمالهم وتوبتهم (ورضوا عنه) بالثواب والكرامة من الله (اولئك) يعنى حاطبا واصحابه (حزب الله) جند الله (الا ان حزب الله) جند الله (هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب وهم الذين ادركوا ووجدوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا وكان حاطب بن ابى بلتعة بدريا وقصته فى سورة الممتحنة

(اولئك حزب الشيطان) جنده (الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين) فى جملة من هو اذل خلق الله تعالى لا ترى احدا اذل منهم (كتب الله) فى اللوح (لاغلبن انا ورسلى) بالحجة والسيف او باحدهما (ان الله قوى) لا يمتنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون) هو مفعول ثان لتجد او حال او صفة لقوما وتجد بمعنى تصادف على هذا (من حاد الله) خالف الله وعاداه (ورسوله) اى من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوادون المشركين والمراد انه لا ينبغى ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى التوصية بالتصلب فى مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم)

بقلوبهم ولا بالسنتهم ﴿ اولئك حزب الشيطان ﴾ جنوده واتباعه ﴿ الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ﴿ ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين ﴾ فى جملة من هو اذل خلق الله ﴿ كتب الله ﴾ فى اللوح ﴿ لاغلبن انا ورسلى ﴾ بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء ﴿ ان الله قوى ﴾ على نصر انبيائه ﴿ عزيز ﴾ لا يغلب عليه فى مراده ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ اى لا ينبغى ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغى ان يوادوهم ﴿ ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ﴾ ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم

اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين ﴾ يعنى فى جملة من يلحقهم الذل فى الدنيا والآخرة لان ذل احد الخصمين على حسب عز الخصم الآخر فلما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية ﴿ كتب الله لاغلبن انا ورسلى ﴾ اى قضى الله قضاء ثابتا وقيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة ﴿ ان الله قوى ﴾ اى على نصر رسله واوليائه ﴿ عزيز ﴾ اى غالب على اعدائه * قوله تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ اخبر الله تعالى ان ايمان المؤمنين يفسد بتوادد الكافرين وان من كان مؤمنا لا يوالى من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب عدوه فان قلت قد اجمعت الامة على انه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هى مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ فى الزجر عن مودتهم بقوله ﴿ ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ﴾ يعنى ان الميل الى هؤلاء من اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية فى حاطب بن ابى بلتعة حين كتب الى اهل

(مكة)

(اولئك) يعنى اليهود والمنافقين (حزب الشيطان) جند الشيطان (الا ان حزب الشيطان) جند الشيطان (هم الخاسرون) المغبونون بذهاب الدنيا والآخرة (ان الذين يحادون) يخالفون (الله ورسوله) فى الدين (اولئك فى الاذلين) مع الاسفلين فى النار يعنى المنافقين واليهود (كتب الله) قضى الله (لاغلبن انا ورسلى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم على فارس والروم واليهود والمنافقين (ان الله قوى) بنصرة اوليائه (عزيز) بنقمة اعدائه نزلت هذه الآية فى عبد الله بن ابى بن سلول حيث قال للمؤمنين المخلصين اتظنون ان يكون لكم فتح فارس والروم ثم نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة رجل من اهل اليمن الذى كتب كتابا الى اهل مكة بسر النبى صلى الله عليه وسلم فقال (لا تجد) يا محمد (قوما) يعنى حاطبا (يؤمنون بالله واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت (يوادون) يناصحون ويوافقون فى الدين (من حاد الله) من خالف الله (ورسوله) فى الدين يعنى اهل مكة (ولو كانوا آباءهم) فى النسب (او ابناءهم او اخوانهم) فى النسب (او عشيرتهم) او قومهم او قرابتهم

على سوء العمل اوهى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة (اتخذوا ايمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون اموالهم ودمائهم (فصدوا) الناس فى خلال امنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والايمان به (فلهم عذاب مهين) وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله) من عذاب الله (شيأ) قليلا من الاغناء (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) اى لله فى الآخرة انهم كانوا مخلصين فى الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك (ويحسبون انهم) فى الدنيا (على شئ) من النفع اويحسبون انهم على شئ من النفع ثم بايمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا (الا انهم هم الكاذبون) حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم (فانساهم ذكر الله) قال شاه الكرمانى علامة استحواذ الشيطان على العبد ان يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها

واصروا عليه ﴿اتخذوا ايمانهم﴾ اى التى حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه ﴿جنة﴾ وقاية دون دمائهم واموالهم ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ فصدوا الناس فى خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط ﴿فلهم عذاب مهين﴾ وعيدثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة ﴿لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ قد سبق مثله ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له﴾ اى لله تعالى على انهم مسلمون ويقولون ﴿كما يحلفون لكم﴾ فى الدنيا انهم لمنكم ﴿ويحسبون انهم على شئ﴾ فى حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم فى الدنيا ﴿الا انهم هم الكاذبون﴾ البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ استولى عليهم من حذت الابل واحزتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل ﴿فانساهم ذكر الله﴾ لايذكرونه

اتخذوا ايمانهم﴾ يعنى الكاذبة ﴿جنة﴾ اى يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ يعنى انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل واخذ اموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذى هو الاسلام ﴿فلهم عذاب مهين﴾ يعنى فى الآخرة ﴿لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم﴾ يوم القيامة ﴿من الله شيأ اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له﴾ يعنى كاذبين انهم ما كانوا مشركين ﴿كما يحلفون لكم﴾ اى فى الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم فى الدنيا فظنوا انه ينفع فى الآخرة ايضا ﴿ويحسبون انهم على شئ﴾ يعنى من ايمانهم الكاذبة ﴿الا انهم هم الكاذبون﴾ يعنى فى اقوالهم وايمانهم ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ اى غلب واستولى عليهم وملكهم ﴿فانساهم ذكر الله

(اتخذوا ايمانهم) حلفهم بالله الكاذبة (جنة) من القتل (فصدوا عن سبيل الله) صرفوا الناس عن دين الله وطاعته فى السر ﴿فلهم عذاب مهين) يهانون به فى الآخرة (لن تغنى عنهم اموالهم) كثرة اموالهم اموال المنافقين واليهود (ولا اولادهم) كثرة اولادهم (من الله) من عذاب الله (شيأ اولئك) المنافقون واليهود (اصحاب النار) اهل النار (هم فيها خالدون) دائمون فى النار لا يموتون ولا يخرجون منها (يوم يبعثهم الله جميعا) يعنى المنافقين واليهود وهو يوم القيامة (فيحلفون له) بين يدى الله ما كنا كافرين ولا منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون) يظنون (انهم على شئ) من الدين (الا انهم هم الكاذبون) عند الله فى حلفهم (استحوذ عليهم الشيطان) غلب عليهم الشيطان فامرهم بطاعته فاطاعوه (فانساهم ذكر الله) حتى تركوا ذكر الله طاعة الله فى السر

عنه (فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله) اى فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (والله خبير بما تعملون) وهذا وعد ووعيد (الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم اسرار المؤمنين (ما هم منكم) يامسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) اى يقولون والله انا لمسلمون لا منافقون (وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون (اعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) اى انهم كانوا فى الزمان الماضى مصرين

عنكم امر الصدقة (فاقيموا الصلوة) اتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) اعطوا زكاة اموالكم (واطيعوا الله) فيما امركم (ورسوله) فيما يأمركم (والله خبير بما تعملون) من الخير والشر فلم يتصدق منهم احد غير على بن ابى طالب تصدق بدينار باعه بعشرة دراهم بعشر كلمات سألهن النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزل فى شان عبد الله ابن ابى واصحابه بولايتهم مع اليهود فقال (الم تر) الم تنظر يا محمد (الى الذين تولوا) فى العون والنصرة (قوما) يعنى اليهود (غضب الله عليهم) سخط الله عليهم (ما هم) يعنى المنافقين (منكم) فى السر فيجب لهم ما يجب لكم (ولا منهم) يعنى اليهود فى العلانية فيجب عليهم ما يجب على اليهود (ويحلفون على الكذب) الكذب بانا مؤمنون مصدقون بايماننا (وهم يعلمون) انهم كاذبون فى حلفهم (أعد الله لهم) للمنافقين عبد الله بن ابى واصحابه (عذابا شديدا) فى الدنيا والآخرة (انهم ساء ما كانوا يعملون) بئسما كانوا يصنعون فى نفاقهم

لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان ﴿ فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ فلا تفرطوا فى ادائهما ﴿ واطيعوا الله ورسوله ﴾ فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ ظاهرا وباطنا ﴿ الم تر الى الذين تولوا ﴾ والوا ﴿ قوما غضب الله عليهم ﴾ يعنى اليهود ﴿ ما هم منكم ولا منهم ﴾ لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ﴿ ويحلفون على الكذب ﴾ وهو ادعاء الاسلام ﴿ وهم يعلمون ﴾ ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه عليه الصلاة والسلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام له علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت ﴿ اعد الله لهم عذابا شديدا ﴾ نوعا من العذاب متفاقما ﴿ انهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ فتمرنوا على سوء العمل

ليال ثم نسخ وقال الكلبى ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ ﴿ فاقيموا الصلوة ﴾ اى المفروضة ﴿ وآتوا الزكوة ﴾ اى الواجبة ﴿ واطيعوا الله ورسوله ﴾ اى فيما امر ونهى ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ اى انه محيط باعمالكم ونياتكم * قوله عز وجل ﴿ الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ نزلت فى المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا اسرار المؤمنين اليهم فاراد بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود ﴿ ما هم ﴾ يعنى المنافقين ﴿ منكم ﴾ اى من المؤمنين فى الدين والولاء ﴿ ولا منهم ﴾ يعنى ولا من اليهود ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ اى انهم كذبة نزلت فى عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق العينين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الآية ﴿ اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون

١

قبل حاجته (ذلك) التقديم (خيرلكم) فى دينكم (واطهر) لان الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ما تتصدقون به (فان الله غفور رحيم) فى ترخيص المناجاه من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال على رضى الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فاجابنى عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله ﴿ ٢٠٩ ﴾ قلت وما الفساد قال الكفر ﴿ سورة المجادلة ﴾ والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما على قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف ادعو الله قال بالصدق واليقين قلت وماذا اسأل الله قال العافية قلت وما اصنع لنجاة نفسى قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها (أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذى تكرهونه (فاذلم تفعلوا) ما امرتم به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) اى خفف عنكم وازال عنكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما ازال المؤاخذة بالذنب عن التائب

بكل كلمة درهما (ذلك) الصدقة ﴿ و ه خا ٢٧ ب ﴾ (خيرلكم) من الامساك (وأطهر) لقلوبكم من الذنوب ويقال لقلوب الفقراء من الخشونة (فان لم تجدوا) الصدقة يا اهل الفقر فتكلموا مع رسول الله عليه السلام بما شئتم بغير التصدق (فان الله غفور) متجاوز لذنوبكم (رحيم) لمن تاب منكم فانتهوا عن المناجاة قبل الصدقة فلامهم الله بذلك فقال (أأشفقتم) ابخلتم يا اهل الميسرة (ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) ان تصدقوا قبل ان تكلموا النبى صلى الله عليه وسلم على الفقراء (فاذلم تفعلوا) ان لم تعطوا الصدقه (وتاب الله عليكم) تجاوز الله

الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب اوللوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة ولم يتصل به نزولا وعن على رضى الله تعالى عنه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح فى غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذروى انه لم يبق الا عشرا و ساعة ﴿ ذلك ﴾ اى ذلك التصدق ﴿ خيرلكم واطهر ﴾ اى لانفسكم من الزينة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله ﴿ فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ﴾ اى لمن لم يجد حيث رخص له فى المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ﴿ أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات ﴾ اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين اولكثرة التناجى ﴿ فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم ﴾ بان رخص غيره قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذلم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاه ولما كانت هذه المناجاة اولى بان تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على احد منهم * وقوله ﴿ ذلك خير لكم ﴾ يعنى تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله ﴿ واطهر ﴾ اى لذنوبكم ﴿ فان لم تجدوا ﴾ يعنى الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ يعنى انه تعالى رفع عنهم ذلك ﴿ أأشفقتم ﴾ قال ابن عباس ابخلتم والمعنى خفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله ﴿ ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا ﴾ اى ما امرتم به ﴿ وتاب الله عليكم ﴾ اى تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر

ذكوره الرجال والعلوم انواع واشرفها اشرفها معلوما (يا ايها الذين آمنوا

﴿يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة﴾ فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب

العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذى ولابى داود نحوه (ق) عن معاوية بن ابى سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذى * وروى البغوى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده احد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم * قوله تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة﴾ يعنى اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا امام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشئ بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شق عليه فاراد الله تعالى ان يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك وامرهم ان يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء واهل العسرة فلم يجدوا شيأ واما الاغنياء واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا على بن ابى طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان على يقول آية فى كتاب الله لم يعمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى وهى آية المناجاة * وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ماترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات الآية قال فبى خفف الله عن هذه الامة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله قلت شعيرة اى وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعنى قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت فى هذه الآية منقبة عظيمة لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه اذ لم يعمل بها احد

اذا ناجيتم الرسول) اذا اردتم مناجاته (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) اى قبل نجواكم وهى استعارة ممن له يدان كقول عمر رضى الله عنه افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد

يا ايها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (اذا ناجيتم) اذا كلمتم (الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) نزلت هذه الآية فى اهل الميسرة منهم من كانوا يكثرون المناجاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم دون الفقراء حتى تأذى بذلك النبى صلى الله عليه وسلم والفقراء فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالصدقة قبل ان يتناجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم بكل كلمة ان يتصدقوا بدرهم على الفقراء فقيل يا ايها الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن اذا ناجيتم اذا كلمتم الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم فقدموا بين يدى نجواكم صدقة قبل ان تكلموا نبيكم تصدقوا

الخير (فانشزوا) بالضم فيهما مدنى وشامى وعاصم غير حماد (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بامتثال اوامره واوامر رسوله (والذين اوتوا العلم) والعالمين منهم خاصة (درجات والله بما تعملون خبير) وفى الدرجات قولان احدهما فى الدنيا فى المرتبة والشرف والآخر فى الآخرة وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان

للتوسعة اولما امرتم به كصلاة اوجهاد اوارتفعوا فى المجالس ﴿ فانشزوا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم ﴾ بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنان فى الآخرة ﴿ والذين اوتوا العلم درجات ﴾ ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ تهديد لمن لم يمتثل الامر اواستكرهه

فانشزوا ﴾ اى اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فى الجماعة اذا نودى لها فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اذا نودى الى الصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فانهضوا اليه ولا تقصروا عنه ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم ﴾ اى بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال اوامره فى قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم ﴿ والذين اوتوا العلم ﴾ اى ويرفع الذين اوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم ﴿ درجات ﴾ اى على من سواهم فى الجنة قيل يقال للمؤمن الذى ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف فاشفع فى الناس اخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من اهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذى ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعمله من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم فى اقواله وفى افعاله كلها * عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على ابى الدرداء وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخى قال حديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما جئت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت فى تجارة قال لا قال ما جئت الا فى طلب هذا الحديث قال نعم قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان

اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد اربعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انى عليم احب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى اى شئ ادرك من فاته العلم واى شئ فات من ادرك العلم وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه الا

(فانشزوا) فارتفعوا (يرفع الله الذين آمنوا منكم) فى السر والعلانية فى الدرجات (والذين اوتوا العلم) اعطوا العلم مع الايمان (درجات) فضائل فى الجنة فوق درجات الذين اوتوا الايمان بغير علم اذ المؤمن العالم افضل من المؤمن الذى ليس بعالم (والله بما تعملون) من الخير والشر (خبير

وقيل هو المجالس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال مقاتل في صلاة الجمعة (فافسحوا) فوسعوا (يفسح الله لكم) مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه او انهضوا الى الصلاة والجهاد واعمال

فافسحوا) وسعوا (يفسح الله) يوسع الله (لكم) في الآخرة في الجنة نزلت هذه الآية في شأن ثابت بن قيس ابن شماس وقصته في سورة الحجرات ويقال نزلت في نفر من اهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي جالسا في صفة ضيقة يوم الجمعة فلم يجدوا مكانا يجلسون فيه فقاموا على رأس المجالس فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن لم يكن من اهل بدر يا فلان قم ويا فلان قم من مكانك ليجلس فيه من كان من اهل بدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم اهل بدر فعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية لمن اقامه من المجالس فنزل الله فيهم هذه الآية (واذا قيل انشزوا) (فانشزوا) ارتفعوا في الصلاة والجهاد والذكر

عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه ﴿فافسحوا يفسح الله لكم﴾ فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها ﴿واذا قيل انشزوا﴾ انهضوا ﴿فانشزوا﴾ الآية قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من المجلس بقدر اولئك النفر الذين كانوا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا في مجالسهم فامرهم الله ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة وكان ضيقا والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا في المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليساوي الناس في الاخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه يفسح كل رجل في مجلسه فافسحوا اي فوسعوا في المجلس امروا ان يوسعوا في المجالس لغيرهم ﴿يفسح الله لكم﴾ اي يوسع الله لكم في الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر بن عبد الله قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدي في افراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل في معنى الآية ان هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فامروا ان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير والراحة وسع الله عليه خيري الدنيا والآخرة ﴿واذا قيل انشزوا

للمؤمنين (اذاتناجيتم فلاتتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) اى اذاتناجيتم فلاتشبهوا باليهود والمنافقين فى تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر) باداء الفرائض والطاعات (والتقوى) وترك المعاصى (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) للحساب فيجازيكم بماتتناجون به من خير اوشر (انما النجوى) بالاثم والعدوان (من الشيطان) من تزيينه (ليحزن) اى الشيطان وبضم الياء نافع (الذين آمنوا) وليس) الشيطان اوالحزن (بضارهم شيأ الاباذن الله) بعلمه وقضائه وقدره (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اى يكلون امرهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان (ياايها الذين آمنوا اذاقيل لكم تفسحوا فى المجلس) توسعوا فيه فى المجالس عاصم ونافع والمراد مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه

اذاتناجيتم فلاتتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ كما يفعل المنافقون وعن يعقوب فلا تنجوا ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى ﴾ بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول ﴿ واتقوا الله الذى اليه تحشرون ﴾ فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه ﴿ انما النجوى ﴾ اى النجوى بالاثم والعدوان ﴿ من الشيطان ﴾ فانه المزين لها والحامل عليها ﴿ ليحزن الذين آمنوا ﴾ بتوهمهم لانها فى نكبة اصابتهم ﴿ وليس ﴾ الشيطان او التناجى ﴿ بضارهم ﴾ بضار المؤمنين ﴿ شيئا الاباذن الله ﴾ الابمشيئته ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ ولايبالوا بنجواهم ﴿ ياايها الذين آمنوا اذاقيل لكم تفسحوا فى المجالس ﴾ توسعوا فيه وليفسح بعضكم

اذاتناجيتم فلاتتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول ﴾ فى المخاطبين بهذه الآية قولان احدهما انه خطاب للمؤمنين، ذلك انه لماذم اليهود والمنافقين على التناجى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين ان يسلكوا مثل طريقهم وان يفعلوا كفعلهم فقال لاتتناجوا بالاثم وهو ماقبح من القول والعدوان وهو مايؤدى الى الظلم ومعصية الرسول وهو مايكون خلافا عليه والقول الثانى وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى ياايها الذين آمنوا بالسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كانه قال لهم لاتتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى ﴾ اى بالطاعة وترك المعصية ﴿ واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ﴾ اى من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴿ ليحزن الذين آمنوا ﴾ اى انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين ﴿ق﴾ عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذاكانوا ثلاثة فلايتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود فى رواية فان ذلك يحزنه وهذه الزيادة لابى داود ﴿ وليس بضارهم شيئا ﴾ يعنى ذلك التناجى وقيل الشيطان ليس بضارهم شيئا ﴿ الاباذن الله ﴾ اى الا ماراد الله تعالى وقيل الاباذن الله فى الضر ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ اى فليكل المؤمنون امرهم الى الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان فان من توكل على الله لايخيب امله ولايبطل سعيه * قوله عز وجل ﴿ ياايها الذين آمنوا اذاقيل لكم تفسحوا فى المجالس

(اذا تناجيتم) فيما بينكم (فلا تتناجوا بالاثم) بالكذب (والعدوان) بالظلم (ومعصيت الرسول) بخلاف امر الرسول كمناجاة المنافقين مع اليهود دون المؤمنين المخاصين (وتناجوا بالبر) باداء فرائض الله واحسان بعضكم الى بعض (والتقوى) ترك المعاصى والجفاء (واتقوا الله) اخشوا الله فى ان تتناجوا دون المؤمنين المخاصين (الذى اليه تحشرون) فى الآخرة (انما النجوى) نجوى المنافقين مع اليهود دون المؤمنين (من الشيطان) من طاعة الشيطان وبامر الشيطان (ليحزن الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وليس بضارهم) بضار المؤمنين مناجاة المنافقين (شيأ الاباذن الله) بارادة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله لاعلى غيره (ياايها الذين آمنوا اذا قيل لكم) اذا قال لكم النبى عليه السلام (تفسحوا) توسعوا (فى المجالس

والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين ويريدون ان يغيظوهم ويوهموهم فى نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وينتجون حمزة وهو بمعنى الاول (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) يعنى انهم يقولون فى تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبى (ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) اى يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقول فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) حال اى يدخلونها (فبئس المصير) المرجع جهنم (يا ايها الذين آمنوا) بالسنتهم وهو خطاب للمنافقين والظاهر انه خطاب

المنافقون كانوا يتناجون فيما بينهم مع اليهود فى خبر سرايا المؤمنين لكى يحزن بذلك المؤمنون (واذا جاؤك) يعنى اليهود (حيوك بما لم يحيك به الله) سلموا عليك سلاما لم يسلمه الله عليك ولم يأمرك به وكانوا يجيؤن الى النبى صلى الله عليه وسلم (ويقولون) السام عليك فيرد عليهم النبى عليه السلام عليكم السام وكان السام بلغتهم الموت ويقولون (فى انفسهم) فيما بينهم (لولا) هلا (يعذبنا الله بما نقول) لنبيه لو كان نبيا كما يزعم لكان دعاؤه مستجابا علينا حيث نقول السام عليك فيرد علينا عليكم السام فانزل الله فيهم (حسبهم) مصيرهم مصير اليهود فى الآخرة (جهنم يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) صاروا اليه النار (يا ايها الذين (اذا) آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن

اى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروى عن يعقوب مثله وهو يفتعلون من النجوى ﴿واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله﴾ فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ﴿ويقولون فى انفسهم﴾ فيما بينهم ﴿لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا ﴿حسبهم جهنم﴾ عذابا ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المصير﴾ جهنم ﴿يا ايها الذين آمنوا

النجوى فعصوه وعادوا اليه وقيل معناه يوصى بعضهم بعضا بمعصية الرسول ﴿واذا جاؤك﴾ يعنى اليهود ﴿حيوك بما لم يحيك به الله﴾ وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه انهم يسلمون عليه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم ﴿ويقولون فى انفسهم﴾ يعنى اذا خرجوا من عنده قالوا ﴿لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيمة كافيهم (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخارى ان اليهود اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعى ما قلت رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فى السام الموت قال الخطابى عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو فى وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذى قالوه مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق والليين والفحش الردئ من القول ❊ قوله تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا

ولاادنى) ولااقل (من ذلك ولااكثر الاهو معهم) يعلم مايتناجون به ولايخفى عليه ماهم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها نزلت فى المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل ما تناجى منهم ثلاثة ولاخمسة ولاادنى من عدديهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع مايقولون ولان اهل التناجى فى العادة طائفة من اهل الرأى والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولاادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولااكثر فدل على ما يقارب هذا العدد (اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة) فيجازيهم عليه (ان الله بكل شئ عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) كانت اليهود

(ولاادنى من ذلك) ولا اقل من ذلك (ولااكثر الاهو معهم) عالم بهم وبمناجاتهم (اينما كانوا ثم ينبئهم) يخبرهم (بما عملوا) فى الدنيا (يوم القيمة ان الله بكل شئ) من اعمالهم ومناجاتهم (عليم) نزلت هذه الآية فى صفوان بن امية وختنه وقصتهم مذكورة فى سورة حم السجدة (الم تر) الم تنظر يا محمد (الى الذين نهوا عن النجوى) دون المؤمنين المخلصين (ثم يعودون لما نهوا عنه) من النجوى دون المؤمنين المخلصين (ويتناجون) فيما بينهم (بالاثم) بالكذب (والعدوان) والظلم (ومعصيت الرسول) بمخالفة الرسول بعدمانهاهم النبى عليه السلام وهم

المنافقين اولان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار اولان التشاور لابد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون اوتأويل نجوى بمتناجين ﴿ ولاادنى من ذلك ﴾ ولااقل مما ذكر كالواحد والاثنين ﴿ ولااكثر ﴾ كالستة ومافوقها ﴿ الاهو معهم ﴾ يعلم مايجرى بينهم وقرأ يعقوب ولااكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لاادنى بان جعلت لا لنفى الجنس ﴿ اينما كانوا ﴾ فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ﴿ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ﴾ تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ﴿ ان الله بكل شئ عليم ﴾ لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على السواء ﴿ الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾ نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ﴿ ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾

قلت اقل مايكفى فى المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين فى النفى والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لابد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى ﴿ولاادنى من ذلك ولااكثر﴾ يعنى ولااقل من ثلاثة وخمسة ولااكثر من ذلك العدد ﴿ الاهو معهم اينما كانوا ﴾ اى بالعلم والقدرة ﴿ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شئ عليم ﴾ * قوله عز وجل ﴿ الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ﴾ نزلت فى اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ماتراهم الا قد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا فى السرايا قتل اوهزيمة فيقع ذلك فى قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لايتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اى المناجاة فيما بينهم ﴿ ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾ اى يرجعون الى المناجاة التى نهوا عنها ﴿ ويتناجون بالاثم والعدوان ﴾ يعنى ذلك السر الذى كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين اوشئ يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان ﴿ ومعصيت الرسول ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن

(كبتوا) اخزوا واهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) من اعداء الرسل (وقد انزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بمهين وباضمار اذكر تعظيما لليوم (الله جميعا) كلهم لا يترك منهم احدا غير مبعوث او مجتمعين فى حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تحجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزى على رؤس الاشهاد (احصاه الله) احاط به عددا لم يفته منه شئ (ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه وانما تحفظ معظمات الامور (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه شئ (ألم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض مايكون) من كان التامة اى ما يقع (من نجوى ثلثة) النجوى التناجى وقد اضيفت الى ثلاثة اى من نجوى ثلاثة نفر (الا هو) اى الله (رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم

﴿كبتوا﴾ اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ يعنى كفار الامم الماضية ﴿وقد انزلنا آيات بينات﴾ تدل على صدق الرسول وماجاء به ﴿وللكافرين عذاب مهين﴾ يذهب عزهم وتكبرهم ﴿يوم يبعثهم الله﴾ منصوب بمهين او باضمار اذكر ﴿جميعا﴾ كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ اى على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم ﴿احصاه الله﴾ احاط به عددا لم يغب منه شئ ﴿ونسوه﴾ لكثرته وتهاونهم به ﴿والله على كل شئ شهيد﴾ لا يغيب عنه شئ ﴿ألم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض﴾ كليا وجزئيا ﴿ما يكون من نجوى ثلثة﴾ ما يقع من تناجى ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه ﴿الا هو رابعهم﴾ الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ﴿ولا خمسة﴾ ولا نجوى خمسة ﴿الا هو سادسهم﴾ وتخصيص العددين لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى

اى يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون امرهما ﴿كبتوا﴾ اى ذلوا واخزوا واهلكوا ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ اى كما اخزى من كان قبلهم من اهل الشرك ﴿وقد انزلنا آيات بينات﴾ يعنى فرائض واحكاما ﴿وللكافرين﴾ اى الذين لم يعملوا بها وجحدوها ﴿عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله﴾ اى حفظ الله اعمالهم ﴿ونسوه﴾ اى نسوا ما كانوا يعملون فى الدنيا ﴿والله على كل شئ شهيد﴾ * قوله تعالى ﴿ألم تر﴾ اى ألم تعلم ﴿ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السموات ثم اكد ذلك بقوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلثة﴾ اى من اسرار ثلاثة وهى المسارة والمشاورة والمعنى ما من شئ يناجى به الرجل صاحبه وقيل مايكون من متناجين ثلاثة يسارر بعضهم بعضا ﴿الا هو رابعهم﴾ اى بالعلم يعنى يعلم نجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى يكون معهم ﴿ولا خمسة الا هو سادسهم﴾ فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة

(كبتوا) عذبوا واخزوا يوم الخندق بالقتل والهزيمة وهم اهل مكة (كما كبت) عذب واخزى (الذين من قبلهم) يعنى الذين قاتلوا الانبياء قبل اهل مكة (وقد انزلنا آيات بينات) جبريل بآيات مبينات بالامر والنهى والحلال والحرام (وللكافرين) بآيات الله (عذاب مهين) يهانون به ويقال (فات) عذاب شديد (يوم يبعثهم الله جميعا) جميع اهل الاديان (فينبئهم) يخبرهم (بما عملوا) فى الدنيا (احصاه الله) حفظ الله عليهم اعمالهم (ونسوه) تركوا طاعة الله التى امرهم الله بها (والله على كل شئ) من اعمالهم (شهيد ألم تر) ألم تخبر فى القرآن يا محمد (ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) من الخلق (ما يكون من نجوى) تناجى (ثلثة الا هو رابعهم) الا الله عالم بهم وباعمالهم وبمناجاتهم (ولا خمسة الا هو سادسهم) الا الله عالم بهم وبمناجاتهم

﴿ ان الذين يحادون الله ورسوله ﴾ يعادونهما فان كلا من المتعاديين فى حد غير حد الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما

المسئلة الثامنة

قال اصحاب الشافعى الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر فى الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ماروى عن سلمة بن صخر البياضى قال كنت امرأ اصيب من النساء ما لايصيب غيرى فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امرأتى شيأ تتابع بى حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هى تخدمنى ذات ليلة اذانكشف لى منها شئ فمالبثت ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومى فأخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذاك ياسلمة قلت انا بذاك يارسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم بما امرك الله به قال حرر رقبة قلت والذى بعثك بالحق نبيا ماامالك رقبة غيرهـا وضربت صفحة رقبتى قال فصم شهرين متتابعين قال وهل اصبت الذى اصبت الامن الصيام قال فأطعم وسقا من تمر ستين مسكينا قلت والذى بعثك بالحق نبيا لقد بتنا وحشين لانملك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقه بنى زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومى فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ووجدت عندالنبى صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأى وقد امرلى بصدقتكم * وبنو بياضة بطن من بنى زريق اخرجه ابو داود • قوله نزوت عليها اى وثبت عليها واراد به الجماع • وقوله تتابع بى التتابع الوقوع فى الشر واللجاج فيه • والوسق ستون صاعا • وقوله وحشين يقال رجل وحش اذالم يكن له طعام واوحش الرجل اذاجاع * وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر منى زوجى اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلنى فيه ويقول اتقى الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الى الفرض فل يعتق رقبة قالت لايجد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يارسول الله انه شيخ كبير مابه من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قالت ماعنده شئ يتصدق به قال فانى سأعينه بعرق من تمر قالت يارسول الله وانا اعينه بعرق آخر قال قد احسنت اذهبى فاطعمى بها عنه ستين مسكينا وارجعى الى ابن عمك اخرجه ابوداود • وفى رواية قالت ان اوسا ظاهر منى وذكرت ان به لمما وقالت والذى بعثك بالحق ماجئتك الا رحمة له ان له فى منافع وذكرت نحوه • العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا • وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابى ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذلوكان به ذلك ثم ظاهر فى تلك الحال لم يلزمه شئ بل معنى اللمم ههنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والشبق والله اعلم * قوله عز وجل ﴿ ان الذين يحادون الله ورسوله ﴾

(ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادون ويشاقون

(ان الذين يحادون الله ورسوله) يخالفون الله ورسوله فى الدين ويعادونه

المسئلة الثالثة

الآية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سواء اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالاطعام وعند مالك ان اراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل التمسيس ولم يقل فى الاطعام من قبل ان يتماسا فدل على ذلك وعند الآخرين الاطلاق فى الاطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابى حنيفة والشافعى واحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدى

المسئلة الرابعة

كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزى سواء كانت مؤمنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم فى جميع الرقاب دليلنا انا اجمعنا على ان الرقبة فى كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى

المسئلة الخامسة

الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسى النية يجب عليه استئناف الشهرين ولو شرع فى الصوم ثم جامع فى خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند ابى حنيفه يجب عليه استئناف الشهرين

المسئلة السادسة

ان عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة بحيث لا يصبر على الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا كل مسكين مد من الطعام الذى يقتات به اهل البلد من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر او نحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطى لكل مسكين نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من تمر او صاعا من شعير ولو اطعم مسكينا واحدا ستين جزأ لا يجزيه عند الشافعى وقال ابو حنيفة يجزيه حجة الشافعى ظاهر الآية وهو ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة ابى حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل واجيب عنه بان ادخال السرور على قلب ستين مسكينا اولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد

المسئلة السابعة

اذا كانت له رقبة الا انه محتاج الى الخدمة اوله ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعى يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله ان يصوم

﴿ المسئلة ﴾

(متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع) الصيام (فاطعام) فعليه اطعام (ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر اوصاع من غيره ويجب ان يقدمه على المسيس ولكن لايستأنف ان جامع فى خلال الاطعام (ذلك) البيان والتعليم للاحكام (لتؤمنوا) اى لتصدقوا (بالله ورسوله) فى العمل بشرائعه التى شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك) اى الاحكام التى وصفنا (حدود الله) التى لايجوز تعديها (وللكافرين) الذين لايتبعونها (عذاب اليم) مؤلم

متتابعين من قبل ان يتماسا ﴾ فان افطر بغير عذر لزمه استئناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك رضى الله تعالى عنهما ﴿ فمن لم يستطع ﴾ الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعراب المفطر ان يعدل لاجله ﴿ فاطعام ستين مسكينا ﴾ ستين مدا بمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ماقيل فى الكفارات وجنسه المخرج فى الفطرة وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه فى خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه ﴿ ذلك ﴾ اى ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فى قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم ﴿ وتلك حدود الله ﴾ لايجوز تعديها ﴿ وللكافرين ﴾ اى الذين لايقبلونها ﴿ عذاب اليم ﴾ هو نظير قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين

اى فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين ﴿ متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع ﴾ اى الصيام ﴿ ف ﴾ كفارته ﴿ اطعام ستين مسكينا ذلك ﴾ اى الفرض الذى وصفناه ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ اى لتصدقوا الله فيما امر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله تعالى ﴿ وتلك حدود الله ﴾ يعنى ما وصف من الكفارة فى الظهار ﴿ وللكافرين ﴾ اى لمن جحد هذا وكذب به ﴿ عذاب اليم ﴾ اى فى نار جهنم يوم القيامة

فصل فى احكام الكفارة ومايتعلق بالظهار وفيه مسائل المسئلة الاولى

اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعى قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثانى وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابى حنيفة

المسئلة الثانية

اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعى وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكون فى مجلس واحد واراد التكرار للتأكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امرأته فى مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة

متتابعين) متصلين (من قبل ان يتماسا) يجامعا (فمن لم يستطع) الصيام من ضعفه (فاطعام ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من حنطة او صاع من شعير او تمر (ذلك) الذى بينت من كفارة الظهار (لتؤمنوا بالله ورسوله) لكى تقروا بفرائض الله وسنة رسوله (وتلك حدود الله) هذه احكام الله وفرائضه فى الظهار (وللكافرين) بحدود الله (عذاب اليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم نزل من اول السورة الى ههنا فى خولة بنت ثعلبة بن مالك الانصارية وزوجها اوس ابن الصامت اخى عبادة ابن الصامت غضب عليها فى بعض شئ من امرها فلم تفعل فجعلها على نفسه كظهر امه فندم على ذلك فبين الله له كفارة الظهار وقال له رسول الله اعتق رقبة فقال المال قليل والرقبة غالية فقال صم شهرين متتابعين فقال لا استطيع وانى ان لم آكل فى اليوم مرة او مرتين كل بصرى وخفت ان اموت فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اطعم ستين مسكينا فقال لا اجد فامر النبى له بمكتل من التمر وامره ان يدفعه للمساكين فقال لا اعلم احدا بين لابتى المدينة احوج اليه منى فامره باكله واطعم ستين مسكينا فرجع الى تحليل ما حرم على نفسه اعانه على ذلك النبى عليه السلام ورجل آخر

(فتحرير رقبة) فعليه عتق رقبة مؤمنة او كافرة ولم يجز مدبر وام ولد ومكاتب الذى ادى شيأ (من قبل ان يتماسا) الضمير يرجع الى مادل عليه الكلام من الظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع اولمس بشهوة او نظر الى فرجها بشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (والله بما تعملون خبير) والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى واذا وضع موضع انت عضوا منها يعبر به عن الجملة او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه بنسب اورضاع اوصهر او جماع نحو ان يقول انت على كظهر اختى من الرضاع اوعمتى من النسب او امرأة ابى او ابنى او ام امرأتى او بنتها فهو مظاهر واذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة ان ترافعه وعلى القاضى ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولاشئ من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار لانه يضربها فى ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فان مس قبل ان يكفر استغفر الله ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف عند ابى حنيفة رضى الله عنه (فمن لم يجد) (اى) الرقبة (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين

فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يتعلمون الظهار اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى او بتكراره لفظا وهوقول الظاهرية او معنى بان يحلف على ماقال وهو قول ابى مسلم او الى المقول فيها بامساكها اواستباحة استمتاعها او وطئها ﴿فتحرير رقبة﴾ اى فعليهم او فالواجب عتق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل ﴿من قبل ان يتماسا﴾ ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ﴿ذلكم﴾ اى ذلكم الحكم بالكفارة ﴿توعظون به﴾ لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه ﴿والله بما تعملون خبير﴾ لا تخفى عليه خافية ﴿فمن لم يجد﴾ اى الرقبة والذى غاب ماله واجد ﴿فصيام شهرين

على وطئها وهو قريب من قول ابى حنيفة والوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهرى ان العود ليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا هب انه صالح للجماع او للعزم عليه او لاستباحته الا ان الذى قاله الشافعى هو اقل ماينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لانه هو الذى به يتحقق مسمى العود وما الباقى فزيادة لا دليل عليه واما الاحتمال الاول فى قوله ثم يعودون اى يفعلون مثل مافعلوه فعلى هذا الاحتمال فى الآية وجوه ايضا الاول قال مجاهد والثورى العود هو الاتيان بالظهار فى الاسلام وتجب الكفارة به والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه فى الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار فى الاسلام على خلاف حكمه عندهم فمعنى ثم يعودون لما قالوا اى الى الاسلام فيقولون فى الاسلام مثل ما كانوا يقولون فى الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثانى قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وان لم يكن عود وهذا قول اهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه* وقوله تعالى ﴿فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا﴾ المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التى ظاهر منها ما لم يكفر ﴿ذلكم توعظون به﴾ يعنى ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه ﴿والله بما تعملون﴾ اى من التكفير وتركه ﴿خبير﴾ ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى ﴿فمن لم يجد﴾ اى الرقبة ﴿فصيام شهرين﴾

(فتحرير رقبة) فعليه تحرير رقبة (من قبل ان يتماسا) يجامعا (ذلكم) التحرير (توعظون به) تؤمرون به الكفارة الظهار (والله بما تعملون) فى الظهار من الكفارة وغيرها (خبير فمن لم يجد) التحرير (فصيام) فصوم (شهرين

لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار

فعلى هذا يصح ظهار الذمى وقال ابو حنيفة لا يصح احتج الشافعى بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب للمؤمنين فيدل على ان الظهار مخصوص بالمؤمنين واجيب عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمؤمنين * قوله تعالى ﴿والذين يظاهرون من نسائهم﴾ يعنى يحرمون بهذا اللفظ من جماعهن ﴿ثم يعودون لما قالوا﴾ اختلف العلماء فى معنى العود فى قوله ثم يعودون لما قالوا ولا بد اولا من بيان اقوال اهل العربية ثم بيان اقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لا فرق فى اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو على الفارسى كلمة الى واللام يتعاقبان كقوله واوحى الى نوح وبان ربك اوحى لها واما لفظة ما فى قوله لما فهى بمعنى الذى والمعنى يعودون الى الذى قالوا او فى الذى قالوا وفيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الوجه الثانى ان المراد لما قالوا اى المقول فيه وهو الذى حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا اى يعودون الى شئ وذلك الشئ هو الذى قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل اى فعله مرة اخرى وعلى الوجه الثانى يجوز ان يقال عاد لما فعل اى نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيأ ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيأ ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا مثله مرة اخرى ويحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعى ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على انه ندم على ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثانى فى تفسير العود وهو قول ابى حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام فى حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت على كظهر امى الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم

منهم (والذين يظاهرون من نسائهم) بين فى الآية الاولى ان ذلك من قائله منكر وزور وبين فى الثانية حكم الظهار (ثم يعودون لما قالوا) العود الصيرورة ابتداء او بناء فمن الاول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن الثانى وان عدتم عدنا ويعدى بنفسه كقولك عدته اذا اتيته وصرت اليه وبحرف الجر بالى وعلى وفى واللام كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا اى يعودون لنقض ما قالوا او لتداركه على حذف المضاف وعن ثعلبة يعودون لتحليل ما حرموا على حذف المضاف ايضا غير انه اراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونرثه ما يقول اراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا ان النقض بماذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعى بمجرد الامساك وهو ان لا يطلقها عقيب الظهار (والذين يظاهرون من نسائهم) يحرمون على انفسهم مناكحة نسائهم (ثم يعودون لما قالوا) يرجعون الى تحليل ما حرموا على انفسهم من المناكحة

اى على الحقيقة ﴿ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم﴾ فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب ﴿وانهم ليقولون منكرا من القول﴾ اذ الشرع انكره ﴿وزورا﴾ محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام ﴿وان الله لعفو غفور﴾

بامهاتهم ﴿ان امهاتهم﴾ اى ما امهاتهم ﴿الا اللائى ولدنهم وانهم﴾ يعنى المظاهرين ﴿ليقولون منكرا من القول﴾ يعنى لا يعرف فى الشرع ﴿وزورا﴾ يعنى كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا ﴿وان الله لعفو غفور﴾ عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم

فصل فى احكام الظهار وفيه مسائل المسئلة الاولى

فى معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر بامن سائر الاعضاء التى هى مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا انه مأخوذ من الظهر الذى هو العلو لان امرأة الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب فى الطلاق نزلت عن امرأتى اى طلقتها وفى قولهم انت على كظهر امى حذف واضمار لان تأويله ظهرك على اى ملكى اياك وعلوى عليك حرام كعلوى امى وعلوه عليها حرام

المسئلة الثانية

كان الظهار من اشد طلاق اهل الجاهلية لانه فى التحريم آكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الآية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل فى الشرائع لا فى احكام الجاهلية وعاداتهم

المسئلة الثالثة

فى الالفاظ المستعملة لهذا المعنى فى الشريعة وعرف الفقهاء الاصل فى هذا قوله انت على كظهر امى وانت منى او معى اوعندى كظهر امى وكذا لو قال انت على كبطن امى او كرأس امى او كيد امى او قال بطنك او رأسك او يدك على كظهر امى اوشبه عضوا منها بعضو من اعضاء امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه او بفرجها او بفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو غير هذه الاعضاء لا يكون ظهارا ولو قال انت على كامى او كروح امى واراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال انت على كظهر جدتى يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بان قال انت على كظهر اختى اوعمتى او خالتى اوشبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الاصح

المسئلة الرابعة

فيمن يصح ظهاره قال الشافعى الضابط فى هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره

والثانى تميمى (ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم) يريد ان الامهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن واما الزوجات فابعد شئ من الامومة فلذا قال (وانهم ليقولون منكرا من القول) اى تنكره الحقيقة والاحكام الشرعية (وزورا) وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف

(ان امهاتهم) ما امهاتهم فى الحرمة (الا اللائى ولدنهم) او ارضعنهم (وانهم ليقولون منكرا) قبيحا (من القول) فى الظهار (وزورا) كذبا (وان الله لعفو) متجاوز اذلم يعاقبه بتحريم ما احل الله له (غفور) بعد توبته وندامته ثم بين كفارة الظهار فقال

وتشتكى الى الله ﴾ روى ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ماطلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول عليه السلام اوالمجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائى وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها فى السين ﴿ والله يسمع تحاوركما ﴾ تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ﴿ ان الله سميع بصير ﴾ للاقوال والاحوال ﴿ الذين يظهرون منكم من نسائهم ﴾ الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء انثى محرم وفى منكم تهجين لعادتهم فيه لانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ﴿ ماهن امهاتهم ﴾

حرمت عليه فقالت يارسول الله والذى انزل عليك الكتاب ماذكر الطلاق وانه ابو ولدى واحب الناس الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتى ووحدتى قد طالت له صحبتى ونثرت له بطنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الاقد حرمت عليه ولم اومر فى شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتى ووحدتى وشدة حالى وان لى صبية صغارا ان ضممتهم الى جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك فرجى وهذا كان اول ظهار فى الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر فى امرى جعلنى الله فداءك يانبى الله فقالت عائشة اقصرى حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى اخذه مثل السبات فلما قضى الوحى قال ادعى لى زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الآية (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته فى جانب البيت وما اسمع ما تقول فانزل الله قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله الآية * واما تفسير الآية فقوله تعالى قد سمع الله قول التى تجادلك اى تحاورك وتخاصمك وتراجعك فى زوجها اى فى امر زوجها ﴿ وتشتكى الى الله ﴾ اى شدة حالها وفاقتها ووحدتها ﴿ والله يسمع تحاوركما ﴾ اى مراجعتكما الكلام ﴿ ان الله سميع ﴾ اى لمن يناجيه ويتضرع اليه ﴿ بصير ﴾ اى بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى ﴿ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ﴾ يعنى يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ﴿ ماهن امهاتهم ﴾ اى ما اللواتى تجعلونهن من زوجاتهن كالامهات بامهات والمعنى ليس هن

(وتشتكى الى الله) تظهر مابها من المكروه (والله يسمع تحاوركما) مراجعتكما الكلام من حور اذا رجع (ان الله سميع) يسمع شكوى المضطر (بصير) بحاله (الذين يظاهرون) عاصم يظهرون حجازى وبصرى غيرهم يظاهرون وفى (منكم) توبيخ للعرب لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (من نسائهم) زوجاتهم (ماهن امهاتهم) امهاتهم المفضل والاول حجازى

(وتشتكى الى الله) تتضرع الى الله تعالى لتبيان امرها (والله يسمع تحاوركما) محاورتكما ومراجعتكما (ان الله سميع) لمقالتها (بصير) بامرها وذلك ان خولة بنت ثعلبة بن مالك بن الدخشم الانصارية كانت تحت اوس بن الصامت الانصارى وكان به لمم اى مس من الجن فاراد ان يأتيها على حال لاتؤتى عليها النساء فابت عليه فغضب وقال ان خرجت من البيت قبل ان افعل بك فانت على كظهر امى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) وهو ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى (ماهن امهاتهم) كامهاتهم

الجزء الثامن والعشرون

﴿ سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكى والباقى مدنى ﴾
﴿ وآيها ثنتان وعشرون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها

﴿ سورة المجادلة مدنية وهى اثنان وعشرون آية واربعمائة وثلاث ﴾
﴿ وسبعون كلمة والف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ﴾ نزلت فى خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هى حسنة الجسم فارادها فابت عليه فقال لها انت على كظهر امى ثم ندم على ماقال وكان الظهار والايلاء من طلاق اهل الجاهلية فقال ما اظنك الاقد حرمت على فقالت والله ماذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله ان زوجى اوس بن الصامت تزوجنى وانا شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالى وافنى شبابى وتفرق اهلى وكبر سنى ظاهر منى وقد ندم فهل من شئ تجمعنى واياه وتنعشنى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة المجادلة مدنية وهى اثنان وعشرون آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قد سمع الله قول التى تجادلك) تحاورك وقرئ بها وهى خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت اخى عبادة رآها وهى تصلى وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجنى وانا شابة مرغوب فى فلما خلا سنى ونثرت بطنى اى كثر ولدى جعلنى عليه كامه وروى انها قالت ان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فقال صلى الله عليه وسلم ماعندى فى امرك شئ وروى انه قال لها حرمت عليه فقالت يارسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدى واحب الناس الى فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتى ووجدى كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت (فى زوجها) فى شأنه ومعناه

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها المجادلة وهى كلها مدنية غير قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فانها مكية آياتها اثنتان وعشرون وكلماتها اربعمائة وثلاثة وسبعون وحروفها الف وتسعمائة واثنان وتسعون ﴾ (حرمت)
(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (قد سمع الله) يقول قد سمع الله قبل ان اخبرك يامحمد (قول التى تجادلك) تخاصمك وتكلمك (فى زوجها) فى شان زوجها

فى اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله اجمعين

على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين يعملون من صلاة العصر الى غروب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلى اصيب به من شئت اى اعطيه من شئت (ح) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اعملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذى جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فان ما بقى من النهار شئ يسير فابوا فاستأجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور

والله سبحانه وتعالى اعلم

ولان يعلم بادغام النون فى الياء ﴿ اهل الكتاب ألا يقدرون على شئ من فضل الله ﴾ ان هى المخففة والمعنى انه لاينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به اولا يقدرون على شئ من فضله فضلا عن ان يتصرفوا فى اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله ﴿ وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على لئلا يعلم وقرئ ليلا يعلم ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت النون

اهل الكتاب ﴾ قيل لما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من آمن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يؤمن فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم اى ليعلم ولا صلة اهل الكتاب يعنى الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين ﴿ ألا يقدرون ﴾ يعنى انهم لا يقدرون ﴿ على شئ من فضل الله ﴾ والمعنى جعلنا الاجرين لمن آمن بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به انهم لا اجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل فى مسلمى اهل الكتاب اولئك يؤتون اجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب يعنى المؤمنين منهم ان لا يقدرون على شئ من فضل الله ﴿ وان الفضل بيد الله ﴾ يعنى الذى خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبى يقطع الايدى والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فانزل الله هذه الآية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيد الله اى فى ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ (خ) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اوتى اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتى اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اى ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم شيأ قالوا لا قال فهو فضلى اوتيه من اشاء وفى رواية انما اجلكم فى اجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر

(اهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (ألا يقدرون) ان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرون يعنى ان الشان لا يقدرون (على شئ من فضل الله) اى لا ينالون شيأ مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط (وان الفضل) عطف على ان لا يقدرون (بيد الله) اى فى ملكه و تصرفه (يؤتيه من يشاء) من عباده (والله ذو الفضل العظيم) والله اعلم

لكى يعلم (اهل الكتاب) عبد الله بن سلام واصحابه (ألا يقدرون على شئ من فضل الله) من ثواب الله (وان الفضل) الثواب والكرامة (بيد الله يؤتيه) يعطيه (من يشاء) من كان اهلا لذلك (والله ذو الفضل) ذو المن (العظيم) على المؤمنين بالثواب والكرامة نزلت من قوله يا ايها الذين آمنوا الى ههنا فى شأن عبد الله بن سلام حيث افتخر على ابى بن كعب واصحابه بان لنا اجرين ولكم اجر واحد

﴿ياايها الذين آمنوا﴾ بالرسل المتقدمة ﴿اتقوا الله﴾ فيما نهاكم عنه ﴿وآمنوا برسوله﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿يؤتكم كفلين﴾ نصيبين ﴿من رحمته﴾ لايمانكم بمحمد عليه الصلاة والسلام وايمانكم بمن قبله ولايبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره ﴿ويجعل لكم نورا تمشون به﴾ يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم او الهدى الذى يسلك به الى جناب القدس ﴿ويغفر لكم﴾ الكفر والمعاصى ﴿والله غفور رحيم لئلا يعلم﴾ اى ليعلموا ولامزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكى يعلم

ورهبانية ابتدعوها يعنى ابتدعها الصالحون فمارعوها حق رعايتها يعنى الآخرين الذين جاؤ من بعدهم فآتينا الذين آمنو منهم اجرهم يعنى الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون وهم الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته اجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم له وقال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم ان لايقدرون على شئ من فضل الله الآية اخرجه النسائى موقوفا على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فمارعوها يعنى الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهم اهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناها عليهم لكن ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما امر به دون الترهب لانه لم يأمر به *قوله تعالى ﴿ياايها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعنى ياايها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله فى محمد وآمنوا به وهو قوله تعالى ﴿وآمنوا برسوله﴾ يعنى محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يؤتكم كفلين﴾ اى نصيبين ﴿من رحمته﴾ يعنى يؤتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ق) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده امة يطؤها فادبها فاحسن تأديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران ﴿ويجعل لكم نورا تمشون به﴾ يعنى على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان اى يجعل لكم سبيلا واضحا فى الدين تهتدون به ﴿ويغفر لكم﴾ اى ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿والله غفور رحيم لئلا يعلم

(ياايها الذين آمنوا) الخطاب لاهل الكتاب (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم الله (كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور فى قوله يسعى نورهم الآية (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم لئلا يعلم) ليعلم

عيسى (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله) اخشوا الله (وآمنوا برسوله) اثبتوا على ايمانكم بالله ورسوله (يؤتكم) يعطكم (كفلين) ضعفين (من رحمته) من ثوابه وكرامته (ويجعل لكم نورا تمشون به) بين الناس وعلى الصراط (ويغفر لكم) ذنوبكم فى الجاهلية (والله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (لئلا يعلم)

وكثير منهم فاسقون ﴾ خارجون عن حال الاتباع

﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى صلى الله عليه وسلم * وروى البغوى باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقه نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال صلى الله عليه وسلم من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون * وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى يا ابن ام عبد هل تدرى من اين اخذت بنو اسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصى فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء فتنونا ولم يبق احد يدعو اليه تعالى فتعالوا لنتفرق فى الارض الى ان يبعث الله النبى الذى وعدنا عيسى به يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا فى غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها الى فآتينا الذين آمنوا منهم اى من الذين ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد اتدرى ما رهبانية امتى قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع * وروى عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم اودخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل اويتركوا قراءة التوراة والانجيل الا مابدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم اعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح فى الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا فى ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبائل الاوله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلان نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لاعلم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل

الله عليه وسلم (وكثير منهم فاسقون) الكافرون

بالايمان والعبادة وهم الذين لم يخالفوا دين عيسى ابن مريم وبقى منهم اربعة وعشرون رجلا فى اهل اليمن جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ودخلوا فى دينه (وكثير منهم) من الرهبان (فاسقون) كافرون وهم الذين خالفوا دين

وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) مودة ولينا (ورحمة) تعطفا على اخوانهم كما قال فى صفة اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) هى ترهبهم فى الجبال فارين من الفتنة فى الدين مخلصين انفسهم للعبادة وهى الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها اى اخرجوها من عند انفسهم ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه (فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم) اى اهل الرأفة والرحمة والذين اتبعوا عيسى عليه السلام او الذين آمنوا بمحمد صلى

وقفينا بعيسى ابن مريم ﴾ اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم ومن عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية ﴿ وآتيناه الانجيل ﴾ وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمى ﴿ وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ﴾ وقرئ رآفة على فعالة ﴿ ورحمة ورهبانية ابتدعوها ﴾ اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المحمولات وهى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت بالضم كأنها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ﴿ ما كتبناها عليهم ﴾ ما فرضناها عليهم ﴿ الا ابتغاء رضوان الله ﴾ استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم ﴿ فما رعوها ﴾ فما رعوها جميعا ﴿ حق رعايتها ﴾ بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها اليها ﴿ فآتينا الذين آمنوا ﴾ اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا على حقوقه ومن ذلك الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿ منهم ﴾ من المتسمين باتباعه ﴿ اجرهم

الرسالة الى عيسى ابن مريم وهو قوله تعالى ﴿ وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه ﴾ اى على دينه ﴿ رأفة ورحمة ﴾ يعنى انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ ليس هذا عطفا على ما قبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل انفسهم وهى ترهبهم فى الجبال والكهوف والغيران والديرة فروا من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق فى العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك ﴿ ما كتبناها عليهم ﴾ اى ما فرضناها نحن عليهم ﴿ الا ابتغاء رضوان الله ﴾ اى لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿ فما رعوها حق رعايتها ﴾ يعنى انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا فى دين ملوكهم واقام اناس منهم على دين عيسى حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالى ﴿ فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم ﴾ وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح

على أثر بعض (وقفينا على آثارهم) اتبعنا واردفنا بعد هؤلاء الرسل غير محمد عليه السلام (بعيسى ابن مريم وآتيناه) اعطيناه (الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) اتبعوا دين عيسى (رأفة) رقة وتعطفا يعطف بعضهم على بعض (ورحمة) يرحم بعضهم بعضا (ورهبانية ابتدعوها) اعدوا لها الصوامع والديور ليترهبوا فيها (و) وينجوا من فتنة بولس اليهودى (ما كتبناها عليهم) ما فرضنا عليهم الرهبانية (الا ابتغاء رضوان الله) الا طلب رضا الله ويقال ابتدعوها وما ابتدعوها الا ابتغاء رضوان الله ما كتبناها عليهم ما فرضنا عليهم الرهبانية ولو فرضنا عليهم الرهبانية (فما رعوها) فما حفظوا الرهبانية (حق رعايتها) حق حفظها (فآتينا) فأعطينا (الذين آمنوا منهم) من الرهبان (اجرهم) ثوابهم مرتين

ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره) بالرسالة (ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة اعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع رسوله فى سبيله (بالغيب) غائبا عنهم (ان الله قوى) يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته (عزيز) يربط بعزته جاش من يتعرض لنصرته والمناسبة بين هذه الاشياء الثلاثة ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد والعهود ويتضمن جوامع الاحكام والحدود ويأمر بالعدل والاحسان وينهى عن البغى والطغيان واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم انما يقع بآلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوى والتعادل وهى الميزان ومن المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية انما تحض العامة على اتباعهما بالسيف الذى هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو الحديد الذى وصف بالبأس الشديد (ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم) خصا بالذكر لانهما ابوان للانبياء عليهم السلام (وجعلنا فى ذريتهما) اولادهما (النبوة والكتاب) الوحى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فمنهم) فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين (مهتد وكثير منهم فاسقون) هذا تفصيل لحالهم اى فمنهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق اى خرج عن الطاعة والغلبة للفساق (ثم قفينا على آثارهم) اى نوح وابراهيم ومن مضى من الانبياء (برسلنا

اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها ﴿ وليعلم الله من ينصره ورسله ﴾ باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله ﴿ بالغيب ﴾ حال من المستكن فى ينصره ﴿ ان الله قوى ﴾ على اهلاك من اراد اهلاكه ﴿ عزيز ﴾ لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ﴿ ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط ﴿ فمنهم ﴾ فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا ﴿ مهتد وكثير منهم فاسقون ﴾ خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا

ما ينتفعون به فى مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه ﴿ وليعلم الله ﴾ اى وارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله ﴿ من ينصره ﴾ اى من ينصر دينه ﴿ ورسله بالغيب ﴾ اى الذين لم يروا الله ولا الآخرة وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ﴿ ان الله قوى ﴾ فى امره ﴿ عزيز ﴾ فى ملكه ﴿ ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبى الا من نسلهما ﴿ فمنهم ﴾ اى من الذرية ﴿ مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا ﴾ اى اتبعنا ﴿ على آثارهم برسلنا ﴾ والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت

(وليعلم الله) لكى يرى الله (من ينصره ورسله بالغيب) بهذه الاسلحة (ان الله قوى) بنصرة اوليائه (عزيز) بنقمة اعدائه (ولقد ارسلنا نوحا) الى قومه بعد آدم بثمانمائة سنة فلبث فى قومه الف سنة الا خمسين عاما فلم يؤمنوا فاهلكهم الله بالطوفان (وابراهيم) وارسلنا ابراهيم الى قومه بعد نوح بالف ومائتى عام واثنين واربعين سنة (وجعلنا فى ذريتهما) فى نسلهما نسل نوح وابراهيم (النبوة والكتاب) وكان فيهم الانبياء وفيهم الكتاب (فمنهم مهتد) مؤمن بالكتاب والرسول (وكثير منهم فاسقون) كافرون بالكتاب والرسول (ثم قفينا على آثارهم) اتبعنا واردفنا بعد نوح وابراهيم فى ذريتهما (برسلنا) بعضهم

من كل مختال فخور كانه قال لايحب الذين يبخلون يريدون الذين يفرحون الفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به (ويأمرون الناس بالبخل) ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم فى الامساك (ومن يتول) يعرض عن الانفاق اوعن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عمانهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتى (فان الله هو الغنى) عن جميع المخلوقات فكيف عنه (الحميد) فى افعاله فان الله الغنى بترك هو ومدنى وشامى (لقد ارسلنا رسلنا) يعنى ارسلنا الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وانزلنا معهم الكتاب) اى الوحى وقيل الرسل الانبياء والاول اولى لقوله معهم لان الانبياء ينزل عليهم الكتاب (والميزان) روى ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولا يظلم احد احدا (وانزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن انزلنا الحديد خلقناه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) فى مصالحهم

ويأمرون الناس بالبخل ﴾ بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ﴿ ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد ﴾ لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لايضره الاعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى ﴿ لقد ارسلنا رسلنا ﴾ اى الملائكة الى الانبياء اوالانبياء الى الامم ﴿ بالبينات ﴾ بالحجج والمعجزات ﴿ وانزلنا معهم الكتاب ﴾ ليبين الحق ويميز صواب العمل ﴿ والميزان ﴾ لتسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال تعالى ﴿ ليقوم الناس بالقسط ﴾ وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح عليه السلام ويجوز ان يراد به العدل لتقام به السياسة وتدفع به الاعداء كما قال ﴿ وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ فان آلات الحروب متخذة منه ﴿ ومنافع للناس ﴾

ويأمرون الناس بالبخل ﴾ قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لايحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه فى سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم انهم بخلوا به حتى يأمرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لاتعلق له بما قبله وانها فى صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته ﴿ ومن يتول ﴾ قال ابن عباس عن الايمان ﴿ فان الله هو الغنى ﴾ اى عن عباده ﴿ الحميد ﴾ اى الى اوليائه * قوله عزوجل ﴿ لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ﴾ اى بالدلالات والآيات والحجج ﴿ وانزلنا معهم الكتاب ﴾ اى المتضمن للاحكام وشرائع الدين ﴿ والميزان ﴾ يعنى العدل اى وامرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التى يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله ﴿ ليقوم الناس بالقسط ﴾ اى ليتعاملوا بينهم بالعدل ﴿ وانزلنا الحديد ﴾ قيل ان الله تعالى انزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما اهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروى عن ابن عمر يرفعه ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل انزلنا هنا بمعنى انشأنا واحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى اخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه ﴿ فيه بأس شديد ﴾ اى قوة شديدة فمنه جنة وهى آلة الدفع ومنه سلاح وهى آلة الضرب ﴿ ومنافع للناس ﴾ اى ومنه

(ويأمرون الناس بالبخل) فى التوراة بكتمان صفة محمد عليه السلام ونعته (ومن يتول) عن الايمان ﴿ ما ﴾ (فان الله هو الغنى) عن الايمان (الحميد) لمن وحدوه ويقال المحمود فى فعاله يشكر اليسير ويجزى الجزيل (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (وانزلنا معهم الكتاب) وانزلنا عليهم جبريل بالكتاب (والميزان) بينا فيه العدل (ليقوم) ليأخذ (الناس بالقسط) بالعدل (وانزلنا الحديد) خلقنا الحديد (فيه بأس شديد) قوة شديدة لاتلينه الا النار ويقال فيه بأس شديد للحرب والقتال (ومنافع للناس) لامتهم مثل السكاكين والفاس والمبرد وغير ذلك

(ولا فى انفسكم) من الامراض والاوصاب وموت الاولاد (الا فى كتاب) فى اللوح وهو فى موضع الحال اى الامكتوبا فى اللوح (من قبل ان نبرأها) من قبل ان نخلق الانفس (ان ذلك) اى تقدير ذلك واثباته فى كتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد ثم عالى ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزنا يطغيكم (على مافاتكم) من الدنيا وسعتها او من العافية وصحتها (ولاتفرحوا) فرح المختال الفخور (بما آتاكم) اعطاكم من الايتاء ابوعمرو اتاكم اى جاءكم من الاتيان يعنى انكم اذا علمتم ان كل شئ مقدر مكتوب عند الله قل اساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وليس احد الا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغى ان يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يذم من الحزن الجزع المنافى للصبر ومن الفرح الاشر المطغى الملهى عن الشكر (والله لايحب كل مختال فخور) لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس (الذين يبخلون) خبر مبتدأ محذوف اوبدل

﴿ولا فى انفسكم﴾ كمرض وآفة ﴿الا فى كتاب﴾ الا مكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله تعالى ﴿من قبل ان نبرأها﴾ نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او للانفس ﴿ان ذلك﴾ ان ثبته فى كتاب ﴿على الله يسير﴾ لاستغنائه تعالى فيه عن العدة والمدة ﴿لكيلا تأسوا﴾ اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا ﴿على مافاتكم﴾ من نعم الدنيا ﴿ولاتفرحوا بما آتاكم﴾ بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدرهان عليه الامر وقرأ ابوعمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل مافاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلابد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله ﴿والله لايحب كل مختال فخور﴾ اذقل من يثبت نفسه فى حالى الضراء والسراء ﴿الذين يبخلون

النبات ونقص الثمار ﴿ولا فى انفسكم﴾ يعنى الامراض وفقد الاولاد ﴿الا فى كتاب﴾ يعنى فى اللوح المحفوظ ﴿من قبل ان نبرأها﴾ اى من قبل ان نخلق الارض و الانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرأ المصيبة ﴿ان ذلك على الله يسير﴾ اى اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل ﴿لكيلا تأسوا﴾ اى تحزنوا ﴿على مافاتكم﴾ من الدنيا ﴿ولاتفرحوا﴾ اى لاتبطروا ﴿بما آتاكم﴾ اى اعطاكم قال عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لايحزن ولايفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر فاما الحزن الذى لايكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما والله اعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لايرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لايتركه فى يديك الموت ﴿والله لايحب كل مختال﴾ اى متكبر بما اوتى من الدنيا ﴿فخور﴾ اى بذلك الذى اوتى على الناس ﴿الذين يبخلون

(ولا فى انفسكم) من الامراض (قا وخا ٢٤ س) والاوجاع والبلايا وموت الاهل والولد وذهاب المال (الا فى كتاب) يقول مكتوب عليكم فى اللوح المحفوظ (من قبل ان نبرأها) ان نخلقها تلك الانفس والارض (ان ذلك) حفظ ذلك (على الله يسير) هين من غير كتاب ولكن كتب (لكيلا تأسوا) لاتحزنوا (على ما فاتكم) من الرزق والعافية فتقولوا لم يكتب لنا (ولاتفرحوا) لاتبطروا (بما آتاكم) بما اعطاكم فتقولوا هو اعطانا (والله لايحب كل مختال) فى مشيته (فخور) بنعم الله ويقال مختال فى الكفر فخور فى الشرك وهم اليهود (الذين يبخلون) يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى التوراة

قال ذوالنون يا معشر المريدين لاتطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلاتحبوها وان الزاد منها والمقيل فى غيرها ولما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امرالآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ماوعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سابقوا) اى بالاعمال الصالحة (الى مغفرة من ربكم) وقيل سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم فى المضمار (وجنة عرضها كعرض السماء والارض)

قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط او اريد بالعرض البسطة وهذا ينفى قول من يقول ان الجنة فى السماء الرابعة لان التى فى احدى السموات لاتكون فى عرض السموات والارض (اعدت للذين آمنوا بالله ورسله) وهذا دليل على انها مخلوقة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون وفيه دليل على انه لايدخل احد الجنة الا بفضل الله (والله ذو الفضل العظيم) ثم بين ان كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (ما اصاب من مصيبة فى الارض) من الجدب وآفات الزروع والثمار وقوله فى الارض فى موضع الجر اى ما اصاب من مصيبة ثابتة فى الارض

﴿سابقوا﴾ سارعوا مسارعة المسابقين فى المضمار ﴿الى مغفرة من ربكم﴾ الى موجباتها ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والارض﴾ اى عرضها كعرضيهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض ﴿اعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ فلايبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ﴿ما اصاب من مصيبة فى الارض﴾ كجدب وعاهة

﴿سابقوا الى مغفرة من ربكم﴾ معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم فى غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم فى طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين فى المضمار الى مغفرة اى الى مايوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها ﴿ وجنة عرضها كعرض السماء والارض ﴾ قيل ان السموات السبع والارضين السبع وجعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة فى قدرها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولاشك ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم وافكارهم واكثر مايقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على مايعرفه الناس ﴿ اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾ فيه اعظم رجاء واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيأ آخر يدل عليه قوله فى سياق الآية ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ فبين انه لايدخل احد الجنة الا بفضل الله تعالى لابعمله ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم الجنة عمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضل رحمته وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فى تفسير سورة النحل * قوله تعالى ﴿ ما اصاب من مصيبة فى الارض ﴾ يعنى عدم المطر وقلة

(سابقوا) بالتوبة من ذنوبكم (الى مغفرة) الى تجاوز (من ربكم وجنة) والى جنة بالعمل الصالح (عرضها كعرض السماء والارض) لو وصلت بعضها الى بعض (اعدت) خلقت وهيئت (للذين آمنوا بالله ورسله) من جميع الامم (ذلك) المغفرة والرضوان والجنة (فضل الله) من الله (يؤتيه) يعطيه (من يشاء) من كان اهلا لذلك (والله ذو الفضل) ذو المن (العظيم) بالجنة (ما اصاب من مصيبة فى الارض) من القحط والجدوبة وغلاء السعر وتتابع الجوع

كلعب الصبيان (ولهو) كلهو الفتيان (وزينة) كزينة النسوان (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران (وتكاثر) كتكاثر الدهقان (فى الاموال والاولاد) اى مباهاة بهما والتكاثر ادعاء الاستكثار (كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يكون حطاما) متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى وقوى واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع (وفى الآخرة عذاب شديد) للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين يعنى ان الدنيا وما فيها ليست الا من محقرات الامور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هى الا امور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف فى كمثل غيث فى محل رفع على انه خبر بعد خبر اى الحياة الدنيا مثل غيث (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) لمن ركن اليها واعتمد عليها

ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد﴾ لما ذكر حال الفريقين فى الآخرة حقر امور الدنيا اعنى ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان فى الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب او تكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله ﴿كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما﴾ وهو تمثيل لها فى سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى اعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة الابدية بقوله ﴿وفى الآخرة عذاب شديد﴾ تنفيرا عن الانهماك فى الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ﴿ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور﴾ اى لمن اقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة

﴿ولهو﴾ اى فرح ساعة ثم ينقضى عن قريب ﴿وزينة﴾ اى منظر يتزينون به ﴿وتفاخر بينكم﴾ يعنى انكم تشتغلون فى حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض ﴿وتكاثر فى الاموال والاولاد﴾ اى مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على اولياء الله تعالى واهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى ﴿كمثل غيث اعجب الكفار﴾ اى الزراع انما سمى الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر ﴿نباته﴾ اى ما نبت بذلك الغيث ﴿ثم يهيج﴾ اى ييبس ﴿فتراه مصفرا﴾ اى بعد خضرته ﴿ثم يكون حطاما﴾ اى يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى ﴿وفى الآخرة عذاب شديد﴾ اى لمن كانت حياته بهذه الصفة قال اهل المعانى زهد الله بهذه الآية فى العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب فى العمل للآخرة بقوله ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ اى لاوليائه واهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدائه ومغفرة من الله ورضوان لاوليائه لان الآخرة اما عذاب واما جنة ﴿وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور﴾ اى لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل فى الدنيا بطلب الآخرة فهى له بلاغ الى ما هو خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة * قوله عز وجل

(ولهو) باطل (وزينة) منظر (وتفاخر بينكم) فى الحسب والنسب (وتكاثر فى الاموال والاولاد) يذهب ولا يبقى (كمثل غيث) مطر (اعجب الكفار) الزراع (نباته) نبات المطر (ثم يهيج) يتغير بعد خضرته (فتراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يكون حطاما) يابسا بعد صفرته كذلك الدنيا لا تبقى كما لا يبقى هذا النبات (وفى الآخرة عذاب شديد) لمن ترك طاعة الله ومنع حق الله (ومغفرة من الله ورضوان) فى الآخرة لمن اطاع الله وادى حق الله من ماله (وما الحيوة الدنيا) ما فى بقائها وفنائها (الا متاع الغرور) كمتاع البيت من القدر والقصعة والسكرجة ثم قال لجميع الخلق

معنى الفعل فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) يضعف مكى وشامى (ولهم اجر كريم) اى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لهم اجرهم ونورهم) اى مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب)

عطف على معنى الفعل فى المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا وصدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص ﴿يضاعف لهم ولهم اجر كريم﴾ معناه والقراءة فى يضاعف مامر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر ﴿والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ اى اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء اوهم المبالغون فى الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم اوعلى الامم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد بهم الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا فى سبيل الله ﴿لهم اجرهم ونورهم﴾ مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت اوالاجر والنور الموعود ان لهم ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم﴾ فيه دليل على ان الخلود فى النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا ﴿اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب

﴿يضاعف لهم﴾ اى ذلك القرض ﴿ولهم اجر كريم﴾ اى ثواب حسن وهو الجنة ﴿والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون﴾ اى الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة فى كل من آمن بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض فى زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته ﴿والشهداء عند ربهم﴾ قيل اراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله ﴿لهم اجرهم﴾ اى بما عملوا من العمل الصالح ﴿ونورهم﴾ يعنى على الصراط ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم﴾ لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بحال الكافرين * قوله عز وجل ﴿اعلموا انما الحيوة الدنيا﴾ اى مدة الحياة فى هذه الدار الدنيا وانما اراد من صرف حياته فى غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته فى طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله ﴿لعب﴾ اى باطل لا حاصل له كلعب الصبيان

صادقا من قلوبهم (يضاعف لهم) يقبل منهم ويضاعف لهم فى الحسنات ما بين سبع الى سبعين الى سبعمائة الى الفى الف الى ما شاء الله من الاضعاف (ولهم اجر كريم) ثواب حسن فى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله) من جميع الامم (اولئك هم الصديقون) فى ايمانهم (والشهداء عند ربهم لهم اجرهم) ثوابهم (ونورهم) على الصراط ويقال والشهداء مفصول من الكلام الاول وهم الانبياء الذين يشهدون على قومهم بالتبليغ ويقال هم الشهداء الذين يشهدون للانبياء على قومهم ويقال هم الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله لهم اجرهم ثوابهم ثواب النبيين بتبليغ الرسالة ونورهم على الصراط يمشون به (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) بالكتاب والرسول (اولئك اصحاب الجحيم) اهل النار (اعلموا انما الحيوة الدنيا) ما فى الحياة الدنيا (لعب) فرح (ولهو)

من السماء (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) القراءة بالياء عطف على تخشع وبالتاء ورش على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره (فطال عليهم الامد) الاجل او الزمان (فقست قلوبهم) باتباع الشهوات (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين اى وقليل منهم مؤمنون (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) قيل هذا تمثيل لاثر الذكر فى القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض (ان المصدقين والمصدقات) بتشديد الدال وحده مكى وابو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فادغمت التاء فى الصاد وقرئ على الاصل (واقرضوا الله قرضا حسنا) هو عطف على

اى القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ﴿ ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل ﴾ عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله ﴿ فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ﴾ اى فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم او آمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ خارجون عن دينهم رافضون لما فى كتابهم من فرط القسوة ﴿ اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها ﴾ تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القساوة ﴿ قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ كى تكمل عقولكم ﴿ ان المصدقين والمصدقات ﴾ ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى الذين صدقوا الله ورسوله ﴿ واقرضوا الله قرضا حسنا ﴾

﴿ ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ فطال عليهم الامد ﴾ اى الزمان الذى بينهم وبين انبيائهم ﴿ فقست قلوبهم ﴾ قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى ان الله نهى المؤمنين ان يكونوا فى صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روى عن ابى موسى الاشعرى انه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ يعنى الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل ﴿ اعلموا ان الله يحيي الارض ﴾ اى بالمطر ﴿ بعد موتها ﴾ اى يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة وكذلك يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة ﴿ قد بينا لكم الآيات ﴾ اى الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا ﴿ لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ اى بالنفقة والصدقة فى سبيل الله

فى القرآن (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب) اعطوا العلم بالتوراة (من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فهم اهل التوراة (فطال عليهم الامد) الاجل (فقست) غشيت ويبست وجفت (قلوبهم) عن الايمان وهم الذين خالفوا دين موسى (وكثير منهم) من اهل التوراة (فاسقون) كافرون لا يؤمنون بالله فى علم الله (اعلموا ان الله يحيي الارض) بالمطر (بعد موتها) بعد قحطها ويبوستها كذلك يحيي الله بالمطر الموتى (قد بينا لكم الآيات) احياء الموتى (لعلكم تعقلون) لكى تصدقوا بالبعث بعد الموت (ان المصدقين) من الرجال (والمصدقات) من النساء بالايمان ويقال المتصدقين من الرجال والمتصدقات من النساء (واقرضوا الله) فى الصدقة (قرضا حسنا) محتسبا

مايقتدى به (ولا من الذين كفروا مأواكم النار) مرجعكم (هى مولاكم) هى اولى بلم وحقيقة مولاكم محراكم اى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم اى مكان اقول القائل انه لكريم (وبئس المصير) النار (الم يأن) من انى

الامر يأنى اذا جاء اناه اى وقته قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الاربع سنين وعن ابى بكر رضى الله عنه ان هذه الاية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزل وما بمعنى الذى والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل

﴿ولا من الذين كفروا﴾ ظاهرا وباطنا ﴿مأواكم النار هى مولاكم﴾ هى اولى بكم كقول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب انه * مولى المخافة خلفها وامامها

وحقيقته محراكم اى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اى مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولى وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله

تحية بينهم ضرب وجيع

او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها فى الدنيا ﴿وبئس المصير﴾ النار ﴿الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الم يأت وقته يقال انى الامر يأنى انيا واناوانا اذا جاء اناه وقرئ الم يئن بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى يأنى والما يأن روى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت ﴿وما نزل من الحق﴾

اى عوض وبدل بان تفدوا انفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم ايمان ولا توبة ﴿ولا من الذين كفروا﴾ يعنى المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق كافرا فى الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق ﴿مأواكم النار﴾ اى مصيركم ﴿هى مولاكم﴾ اى وليكم وقيل هى اولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هى التى تلى عليكم لانها ملكت امركم واسلمتم اليها فهى اولى بكم من كل شئ وقيل معنى الاية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له ﴿وبئس المصير﴾ قوله تعالى ﴿الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ قيل نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم قالوا لسلمان الفارسى ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزل نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القرآن احسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزل الله نزل احسن الحديث الاية فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله الم يأن للذين آمنوا يعنى فى العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت فى المؤمنين وذلك انهم لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل فى ذلك الم يأن للذين آمنوا الاية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الا اربع سنين اخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال الم يأن يعنى اما حان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم اى ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله اى لمواعظ الله ﴿وما نزل من الحق﴾ يعنى القرآن

(ولا من الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ولم يؤمنوا (مأواكم النار) مصيركم النار (هى مولاكم) اولى بكم النار (وبئس المصير) صاروا اليه النار قرناؤهم الشياطين وجيرانهم الكفار وطعامهم الزقوم وشرابهم الحميم ولباسهم مقطعات النيران وزوارهم الحيات والعقارب (ولا)
ثم ذكر قلوبهم اذ كانوا فى الدنيا فقال (الم يأن) الم يحن وقت (للذين آمنوا) بالعلانية (ان تخشع قلوبهم) ان تلين وتذل وتخلص قلوبهم (لذكر الله) وعد الله ووعيده ويقال لتوحيد الله (وما نزل من الحق) من الامر والنهى والحلال والحرام

(فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف (له) لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور او الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (فيه الرحمة) اى النور او الجنة (وظاهره) ماظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) اى الظلمة او النار (ينادونهم) اى ينادى المنافقون المؤمنين (الم نكن معكم) يريدون مرافقتهم فى الظاهر (قالوا) اى المؤمنون (بلى ولكنكم فتنتم انفسكم) محنتموها بالنفاق واهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) وشككتم فى التوحيد (وغرتكم الامانى) طول الآمال والطمع فى امتداد الاعمار (حتى جاء امر الله) اى الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم او بانه لابعث ولا حساب (فاليوم لايؤخذ) وبالتاء شامى (منكم) ايها المنافقون (فدية)

فانه يتولد منها اوالى الموقف فانه من ثمة يقتبس اوالى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لاسبيل لكم الى هذا اوهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين اوالملائكة ﴿ فضرب بينهم ﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿ بسور ﴾ بحائط ﴿ له باب ﴾ يدخل فيه المؤمنون ﴿ باطنه ﴾ باطن السور اوالباب ﴿ فيه الرحمة ﴾ لانه يلى الجنة ﴿ وظاهره من قبله العذاب ﴾ من جهته لانه يلى النار ﴿ ينادونهم الم نكن معكم ﴾ يريدون موافقتهم فى الظاهر ﴿ قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم ﴾ بالنفاق ﴿ وتربصتم ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿ وارتبتم ﴾ وشككتم فى الدين ﴿ وغرتكم الامانى ﴾ كامتداد العمر ﴿ حتى جاء امر الله ﴾ وهو الموت ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ الشيطان اوالدنيا ﴿ فاليوم لايؤخذ منكم فدية ﴾ فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء

فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله تعالى ﴿ فضرب بينهم ﴾ اى المؤمنين والمنافقين ﴿ بسور ﴾ وهو حائط بين الجنة والنار ﴿ له ﴾ اى لذلك السور ﴿ باب باطنه فيه الرحمة ﴾ اى فى باطن ذلك السور الرحمة وهى الجنة ﴿ وظاهره من قبله العذاب ﴾ اى من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروى عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذى ذكر فى القرآن هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية ﴿ ينادونهم ﴾ يعنى ينادى المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا فى الظلمة ﴿ الم نكن معكم ﴾ اى فى الدنيا نصلى ونصوم ﴿ قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم ﴾ اى اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وكلها فتنة ﴿ وتربصتم ﴾ اى بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه ﴿ وارتبتم ﴾ اى شككتم فى نبوته وفيما اوعدكم به ﴿ وغرتكم الامانى ﴾ اى الاباطيل وذلك ما كنتم تمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ يعنى الموت وقيل هو القاؤهم فى النار وهو قوله تعالى ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ يعنى الشيطان قال قتادة مازالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار ﴿ فاليوم لايؤخذ منكم فدية ﴾

(فضرب بينهم) يقول بنى بينهم وبين المؤمنين (بسور) بحائط (له باب باطنه فيه الرحمة) الجنة (وظاهره من قبله العذاب) من نحوه النار (ينادونهم) من وراء السور (الم نكن معكم) على دينكم يامعشر المؤمنين (قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم) اهلكتم انفسكم بكفر السر والنفاق (وتربصتم) تركتم التوبة من الكفر والنفاق ويقال انتظرتم موت محمد صلى الله عليه وسلم واظهار الكفر (وارتبتم) شككتم بالله وبالكتاب والرسول (وغرتكم الامانى) الاباطيل والتمنى (حتى جاء امر الله) وعد الله بالموت على غير التوبة من الكفر والنفاق (وغركم بالله) عن طاعة الله (الغرور) يعنى الشيطان ويقال اباطيل الدنيا ان قرات بضم الغين (فاليوم) وهو يوم القيامة (لايؤخذ منكم) لايقبل منكم يامعشر المنافقين (فدية) فداء

(بشراكم اليوم جنات) اى دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون الجثث (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول) هو بدل من يوم ترى (المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) اى انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة انظرونا حمزة من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طرد لهم وتهكم بهم اى تقول لهم الملائكة او المؤمنون ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس اوارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان

وشمائلهم (بشراكم اليوم) تقول لهم الملائكة على الصراط لكم اليوم (جنات تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لايموتون فيها ولايخرجون منها (ذلك هو الفوز العظيم) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ومافيها ونجوا من النار ومافيها (يوم) وهو يوم القيامة بعد ماطفئ نور المنافقين على الصراط (يقول المنافقون) من الرجال (والمنافقات) من النساء (للذين آمنوا) للمؤمنين المخلصين على الصراط (انظرونا) ارقبونا وانتظرونا يامعشر المؤمنين (نقتبس من نوركم) نستضئ بنوركم ونجوز به على الصراط معكم (قيل) يقول لهم المؤمنون ويقال يقول لهم الملائكة ويقال يقول الله لهم (ارجعوا وراءكم) خلفكم الى الدنيا ويقال الى الموقف حيث اعطينا النور (فالتمسوا) فاطلبوا (نورا) وهذا استهزاء من الله على المنافقين ويقال من المؤمنين على المنافقين فيرجعون فى طلب النور (فينصرفون)

﴿بشراكم اليوم جنات﴾ اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اى المبشر به جنات اوبشراكم دخول جنات ﴿تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾ الاشارة الى ماتقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات﴾ بدل من يوم ترى ﴿للذين آمنوا انظرونا﴾ انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف اوانظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور من بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم ﴿نقتبس من نوركم﴾ نصب منه ﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾ الى الدنيا ﴿فالتمسوا نورا﴾ بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة

من يضئ نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لايضئ نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد مرة وقيل فى معنى الآية يسعى نورهم بين ايديهم اى يعطون كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملائكة ﴿بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا﴾ اى انتظرونا ﴿نقتبس من نوركم﴾ اى نستضئ من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطى الله المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المؤمنين ولايعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون بقوا فى الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم ﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾ قال ابن عباس تقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لانور لكم عندنا فارجعوا وراءكم ﴿فالتمسوا﴾ اى اطلبوا لانفسكم هنالك ﴿نورا﴾ اى لاسبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون فى طلب النور فلا يجدون شيأ

الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول اول لوعد والحسنى مفعول ثان وكل شامى اى وكل وعده الله الحسنى نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق فى سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم على قدر اعمالكم (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) بطيب نفسه والمراد الانفاق فى سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء (فيضاعفه له) اى يعطيه اجره على انفاقه اضعافا مضاعفة من فضله (وله اجر كريم) اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه

عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه ﴿والله بما تعملون خبير﴾ عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت فى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فانه اول من آمن وانفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا﴾ اى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى اكرم المال وافضل الجهات له ﴿فيضاعفه له﴾ اى يعطى اجره اضعافا ﴿وله اجر كريم﴾ اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال أيقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات﴾ ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدر باذكر ﴿يسعى نورهم﴾ ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة ﴿بين ايديهم وبايمانهم﴾ لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين

﴿والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا﴾ اى صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى تجمع فيه اوصاف عشرة وهى ان يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائى بها الناس وان تستحقر ما تعطى وتتصدق به وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا ﴿فيضاعفه له﴾ يعنى يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا ﴿وله اجر كريم﴾ يعنى وذلك الاجر كريم فى نفسه * قوله عز وجل ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات﴾ يعنى على الصراط ﴿يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم﴾ اى عن ايمانهم وقيل اراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين

فيضعفه مكى فيضعفه شامى فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه او عطف على يقرض (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم (يسعى) يمضى (نورهم) نور التوحيد والطاعات وانما قال (بين ايديهم وبايمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملائكة

(والله بما تعملون) بما تنفقون ﴿ قا و خا ٢٣ س ﴾ (خبير من ذا الذى يقرض الله) فى الصدقة (قرضا حسنا) محتسبا صادقا من قلبه (فيضاعفه له) يقبله ويضاعف له فى الحسنات ما بين سبع الى سبعين الى سبعمائة الى الفى الف الى ماشاء الله من الاضعاف (وله) عنده (اجر كريم) ثواب حسن فى الجنة نزلت هذه الآية فى ابى الدحداح (يوم) وهو يوم القيامة (ترى) يامحمد (المؤمنين) المصدقين (والمؤمنات) المصدقات بالايمان (يسعى نورهم) يضئ نورهم (بين ايديهم) على الصراط (وبايمانهم)

(رحيم) الرأفة اشد الرحمة (ومالكم ألا تنفقوا) فى ان لا تنفقوا (فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعنى واى غرض لكم فى ترك الانفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ الحث على الانفاق فى سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) اى فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس فى دين الله افواجا ومن انفق من بعد الفتح فحذف لان قوله من الذين انفقوا من بعد يدل عليه (اولئك) الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه (اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) اى كل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) اى المثوبة

رحيم ﴾ حيث نبهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية ﴿ ومالكم ألا تنفقوا ﴾ واى شئ لكم فى ألا تنفقوا ﴿ فى سبيل الله ﴾ فيما يكون قربة اليه ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾ يرث كل شئ فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى ﴿ لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة ﴾ بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحرى الحاجات حثا على تحرى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق ﴿ من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ اى من بعد الفتح ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرأ ابن

رحيم ﴾ قوله تعالى ﴿ ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض ﴾ يقول اى شئ لكم فى ترك الانفاق فيما يقربكم من الله تعالى وانتم ميتون تاركون اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها انتم فيما يقربكم الى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ يعنى فتح مكة فى قول اكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوى فى الفضل من انفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من انفق ماله وقاتل بعد الفتح ﴿ اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ قال الكلبى ان هذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لانه اول من اسلم واول من انفق ماله فى سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود اول من اظهر اسلامه سبع منهم النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالى ارى ابا بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فقال انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك اراض انت فى فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر أأسخط على ربى انى على ربى راض انى على ربى راض ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ يعنى الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا قبل الفتح فى افضلها

رحيم) حين اخرجكم من الكفر الى الايمان (ومالكم) يا معشر المؤمنين (ألا تنفقوا فى سبيل الله) فى طاعة الله (ولله ميراث السموات والارض) ميراث اهل السموات واهل الارض يموت اهلها ويبقى هو ويرجع الامر كله اليه (لا يستوى منكم) يا معشر المؤمنين عند الله فى الفضل والطاعة والثواب (من انفق {والله} من قبل الفتح) فتح مكة (وقاتل) العدو مع النبى صلى الله عليه وسلم (اولئك) اهل هذه الصفة (اعظم درجة) فضيلة ومنزلة عند الله بالطاعة والثواب وهو ابو بكر الصديق (من الذين انفقوا من بعد) من بعد فتح مكة (وقاتلوا) العدو فى سبيل الله مع النبى صلى الله عليه وسلم (وكلا) كلا الفريقين من انفق وقاتل من قبل الفتح وبعد الفتح (وعد الله الحسنى) الجنة بالايمان

مولكم اياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى باموالكم فى الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الانفاق من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى ايديكم بتوريثه اياكم وسينقله منكم الى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فالذين آمنوا) بالله ورسله (منكم وانفقوا لهم اجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله) هو حال من معنى الفعل فى مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ما تصنع قائما اى ومالكم كافرين بالله والواو فى (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلان

والمعنى واى عذر لكم فى ترك الايمان (لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم) وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بقوله ألست بربكم او بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر فى الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه اخذ ميثاقكم ابو عمرو (هو الذى ينزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) الله تعالى او محمد بدعوته (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف) بالمد والهمزة حجازى وشامى وحفص

والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس ﴿ فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ﴾ وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير ﴿ ومالكم لا تؤمنون بالله ﴾ اى وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك مالك قائما ﴿ والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ﴾ حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات ﴿ وقد اخذ ميثاقكم ﴾ اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول ورفع ميثاقكم ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ بموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه ﴿ هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم ﴾ اى الله او العبد ﴿ من الظلمات الى النور ﴾ من ظلمات الكفر الى نور الايمان ﴿ وان الله بكم لرؤف

يد غيركم فاهلكهم واعطاكم اياه فكنتم فى ذلك المال خلفاء عمن مضى ﴿ فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ﴾ يعنى واى عذر لكم فى ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج ﴿ وقد اخذ ميثاقكم ﴾ اى اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بان الله ربكم لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التى تدعو الى متابعة الرسول ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ اى يوما ما فالآن احرى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قوله تعالى ﴿ هو الذى ينزل على عبده ﴾ يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ آيات بينات ﴾ يعنى القرآن ﴿ ليخرجكم ﴾ يعنى الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة ﴿ من الظلمات الى النور ﴾ اى من ظلمات الشرك الى نور الايمان ﴿ وان الله بكم لرؤف

عليه فى سبيل الله (فالذين آمنوا منكم) يا اهل مكة (وانفقوا) مالهم فى سبيل الله (لهم اجر كبير) ثواب عظيم فى الجنة بالايمان والنفقة (ومالكم) يا اهل مكة (لا تؤمنون بالله) لا توحدون بالله (والرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (يدعوكم) الى التوحيد (لتؤمنوا بربكم) لكى توحدوا بربكم (وقد اخذ ميثاقكم) اقراركم بالتوحيد (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) يوم الميثاق (هو الذى ينزل على عبده) محمد عليه السلام (آيات بينات) جبريل بآيات مبينات بالامر والنهى والحلال والحرام (ليخرجكم) لكى يخرجكم بالقرآن ودعوة النبى صلى الله عليه وسلم (من الظلمات الى النور) من الكفر الى الايمان ويقال قد اخرجكم من الكفر الى الايمان (وان الله بكم) يا معشر المؤمنين (لرؤف

هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) عن الحسن من ايام الدنيا ولو اراد ان يجعلها فى طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة اصلا ليكون عليها المدار (ثم استوى) استولى (على العرش يعلم ما يلج فى الارض) ما يدخل فى الارض من البذر والقطر والكنوز والموتى (وما يخرج منها) من النبات وغيره (وما ينزل من السماء) من الملائكة والامطار (وما يعرج فيها) من الاعمال والدعوات (وهو معكم اينما كنتم) بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على حسب اعمالكم (له ملك السموات

والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار) يدخل الليل فى النهار بان ينقص من الليل ويزيد فى النهار (ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وانفقوا) يحتمل الزكاة والانفاق فى سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى ان الاموال التى فى ايديكم انما هى اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما

﴿هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض﴾ كالبذور ﴿وما يخرج منها﴾ كالزروع ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالامطار ﴿وما يعرج فيها﴾ كالابخرة ﴿وهو معكم اينما كنتم﴾ لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه ﴿له ملك السموات والارض﴾ ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما ﴿والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور﴾ بمكنوناتها ﴿آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها

والذى نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم اخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال الترمذى قال بعض اهل العلم فى تفسير هذا الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم السماء وقيل هو اسم السماء الدنيا * قوله عز وجل ﴿هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها﴾ تقدم تفسيره ﴿وهو معكم اينما كنتم﴾ اى بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من تعليق علم الله تعالى وقدرته به اينما كان من ارض او سماء برا وبحرا وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله تعالى ﴿والله بما تعملون بصير﴾ يدل على صحة القول الاول ﴿له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور﴾ تقدم تفسيره * قوله تعالى ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ لما ذكر انواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة فى جميع وجوه البر وهو قوله تعالى ﴿وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ يعنى المال الذى كان

(هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) من ايام اول الدنيا طول كل يوم الف سنة اول يوم منها يوم الاحد وآخر يوم منها يوم الجمعة (ثم استوى) استقر ويقال امتلا (على العرش) وكان الله قبل ان خلق السموات والارض على العرش بلا كيف (يعلم ما يلج فى الارض) ما يدخل فى الارض من الامطار والكنوز والاموات (وما يخرج منها) من الارض من الاموات ﴿بيد﴾ والنبات والمياه والكنوز (وما ينزل من السماء) من الرزق والمطر والملائكة والمصائب (وما يعرج فيها) وما يصعد اليها من الملائكة والحفظة والاعمال (وهو معكم) عالم بكم (اينما كنتم) فى بر او بحر (والله بما تعملون) من الخير والشر (بصير له ملك السموات والارض) خزائن السموات المطر والارض النبات (والى الله ترجع الامور) عواقب الامور فى الآخرة (يولج) يدخل ويزيد (الليل فى النهار ويولج) يدخل ويزيد (النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) بما فى القلوب من الخير والشر (آمنوا بالله) يا اهل مكة (ورسوله) محمد عليه السلام (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) مالكين

والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين ﴿ وهو بكل شئ عليم ﴾ يستوى عنده الظاهر والخفى

وقدرهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم فى فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا معناه انه الباقى بعد فناء خلقه ومذهب اهل الحق يعنى اهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الاخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقى من بنى فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء اجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلانى وقيل هو الاول السابق للاشياء والاخر الباقى بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن ابصار الخلق فلا تستولى عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والاخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن ﴿ وهو بكل شئ عليم ﴾ (م) عن سهيل بن ابى صالح قال كان ابو صالح يأمرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل شئ انت آخذ بناصيته وفى رواية من شر كل دابة انت آخذ بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروى ذلك عن ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابى هريرة ايضا قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون مافوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون مافوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماآن بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات مابين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون مافوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ماالذى تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال

فهو مستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شئ اى علم باطنه (وهو بكل شئ عليم

(وهو بكل شئ عليم) معناه هو الاول الحى القديم الازلى كان قبل كل حى احياه الله والآخر هو الحى الباقى الدائم يكون بعد كل حى اماته والظاهر الغالب على كل شئ والباطن هو العالم بكل شئ ويقال هو الاول هو القديم بلا اقدام احد والآخر هو الباقى بلا ابقاء احد والظاهر هو الغالب بلا اغلاب احد والباطن هو العالم بالظاهر والباطن بلا اعلام احد ويقال هو الاول قبل كل اول بلا غاية الاولية والآخر بعد كل آخر بلا غاية الآخرية ويقال هو الاول مؤول كل اول والآخر مؤخر كل آخر كان قبل كل شئ خلقه ويكون بعد كل شئ افناه هو الحى الباقى الدائم بلا موت ولا فناء ولا زوال

وهو بكل شئ من الاول والآخر والظاهر والباطن عليم

ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ فانه الموجد لهما والمتصرف فيهما ﴿ يحيي ويميت ﴾ استئناف او خبر لمحذوف اوحال من المجرور في له ﴿ وهو على كل شئ ﴾ من الاحياء والاماتة وغيرهما ﴿ قدير ﴾ تام القدرة ﴿ هو الاول ﴾ السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها ﴿ والآخر ﴾ الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذي تبتدئ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات اوالاول خارجا والاخر ذهنا ﴿ والظاهر والباطن ﴾ الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول اوالغالب على كل شئ

والحق ان التسبيح هو القول الذي لايصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وماسوى العاقل ففي تسبيحه وجهان احدهما انها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور في الآية على القول كان المراد بقوله مافي السموات والارض من في السموات وهم الملائكة ومسبحي الارض وهم المؤمنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع اجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست اسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحة لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة ابدا في المستقبل ﴿ وهو العزيز ﴾ اى الغالب الكامل القدرة الذي لاينازعه شئ ﴿ الحكيم ﴾ اى الذي جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ اى انه الغني عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه ﴿ يحيي ويميت ﴾ اى يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ قوله عز وجل ﴿ هو الاول والآخر والظاهر والباطن ﴾ يعني هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء كان هو ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل احد بلا انتهاء يفني الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شئ والباطن العالم بكل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول بوجوده ليس قبله شئ والآخر ليس بعده شئ وقيل هو الاول بوجوده في الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده في الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول الذي سبق وجوده كل موجود والآخر الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الامام ابوبكر بن الباقلاني معناه انه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم

(وهو العزيز) المنتقم من مكلف لم يسبح عنادا (الحكيم) في مجازاة من سبح له انقيادا (له ملك السموات والارض) لاغيره وموضع (يحيي) رفع اى هو يحيي الموتى (ويميت) الاحياء او نصب اى له ملك السموات والارض محييا ومميتا (وهو على كل شئ قدير هو الاول) هو القديم الذي كان قبل كل شئ (والآخر) الذي يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس وان كان مرئيا والواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاولين ومجموع الصفتين الاخريين

من الخلق (وهو العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) في امره وقضائه امر ان لا يعبد غيره (له ملك السموات والارض) خزائن السموات المطر والارض النبات (يحيي) للبعث (ويميت) في الدنيا (وهو على كل شئ) من الاحياء والاماتة (قدير هو الاول) قبل كل شئ (والآخر) بعد كل شئ (والظاهر) على كل شئ (والباطن) بكل شئ

ابن مسعود رضي الله عنه في مرض موته فقال له ما تشتكي فقال ذنوبي فقال ما تشتهي قال رحمة ربي قال افلا ندعو الطبيب قال الطبيب امرضني فقال الا نأمر بعطائك قال لا حاجة لي فيه قال ندفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد امرتهن ان يقرأن سورة الواقعة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وليس في هذه السور الثلاث ذكر الله

اقتربت الرحمن الواقعة والله اعلم

عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

﴿ سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبح لله ما في السموات والارض ﴾ ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شأن ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدى باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له في نصحته اشعارا بان

من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة (م) عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله وبحمده (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث في صحيح البخاري والله اعلم

﴿ تفسير سورة الحديد وهي مدنية وتسع وعشرون آية وخمسمائة ﴾

﴿ واربع واربعون كلمة والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ سبح لله ما في السموات والارض ﴾ يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم اي قد انهم

اعلم ﴿ سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله) جاء في بعض الفواتح سبح بلفظ الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع وفي بني اسرائيل بلفظ المصدر وفي الاعلى بلفظ الامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي اربع المصدر والماضي والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله اكتسب التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (ما في السموات والارض) ما يتأتى منه التسبيح ويصح

ربك العظيم وقال اذكر توحيد ربك العظيم اعظم من كل شيء

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الحديد وهي كلها مكية او مدنية آياتها تسع وعشرون وكلماتها خمسمائة واربع واربعون وحروفها الفان واربعمائة وست سبعون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس في قوله جل ذكره (سبح لله) يقول صلى الله ويقال ذكر الله (ما في السموات) من الخلق (والارض)

استراحة (وريحان) ورزق (وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين) اى فسلام لك ياصاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اى يسلمون عليك كقوله الاقيلا سلاما سلاما (واما ان كان من المكذبين الضالين) هم الصنف الثالث من الازواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم فى هذه السورة ثم انكم ايها الضالون المكذبون (فنزل من حميم وتصلية جحيم) اى ادخال فيها وفى هذه الآيات اشارة الى ان الكفر كله ملة واحدة وان اصحاب الكبائر من اصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) الذى انزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) اى الحق الثابت من اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) روى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على

لانها كالسبب لحياة المرحوم والحياة الدائمة ﴿وريحان﴾ ورزق طيب ﴿وجنة نعيم﴾ ذات تنعم ﴿واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك﴾ ياصاحب اليمين ﴿من اصحاب اليمين﴾ اى من اخوانك يسلمون عليك ﴿واما ان كان من المكذبين الضالين﴾ يعنى اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به ﴿فنزل من حميم وتصلية جحيم﴾ وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها ﴿ان هذا﴾ اى الذى ذكر فى السورة او فى شان الفرق ﴿لهو حق اليقين﴾ اى حق الخبر اليقين ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ فنزهه بذكر اسمه تعالى عما لايليق بعظمة شانه

اى فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة ﴿وريحان﴾ اى وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذى يشم قال ابو العالية لايفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه ﴿وجنة نعيم﴾ اى وله جنة نعيم يفضى اليها فى الآخرة قال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار ﴿واما ان كان﴾ يعنى المتوفى ﴿من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين﴾ اى فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلاتهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله او انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيآتهم ويتقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك انهم من اصحاب اليمين او يقال لصاحب اليمين مسلم لك انك من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين ﴿واما ان كان من المكذبين﴾ اى بالبعث ﴿الضالين﴾ اى عن الهدى وهم اصحاب الشمال ﴿فنزل من حميم﴾ اى الذى يعد لهم حميم جهنم ﴿وتصلية جحيم﴾ اى وادخال نار عظيمة ﴿ان هذا﴾ يعنى ما ذكر من قصة المحتضرين ﴿لهو حق اليقين﴾ اى لاشك فيه وقيل ان هذا الذى قصصناه عليك فى هذه السورة من الاقاصيص وما اعد الله لاوليائه من النعيم وما اعد لاعدائه من العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لاشك فيه ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ اى فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبامره * عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم اخرجه ابو داود * عن حذيفة انه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وما اتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما اتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وله عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

القبر ويقال رحمة ان قرأت بضم الراء (وريحان) اذا خرجوا من القبور ويقال رزق (وجنة نعيم) يوم القيامة لايفنى نعيمها (وأما ان كان من اصحاب اليمين) من اهل الجنة فكلهم اصحاب اليمين (فسلام لك من اصحاب اليمين) فسلامة لك وامن لك من اهل الجنة قد سلم الله امرهم ونجاهم ويقال يسلم عليك اهل الجنة (وأما ان كان من المكذبين) بالله والرسول والكتاب (الضالين) عن الايمان (فنزل) فطعامهم من زقوم وشرابهم (من حميم) ماء حار (وتصلية جحيم) (من) دخولهم فى النار (ان هذا) الذى وصفنا لهم (لهو حق اليقين) حقا يقينا كائنا (فسبح باسم ربك العظيم) فصل بامر

(فلولا اذا بلغت) النفس اى الروح عند الموت (الحلقوم) ممر الطعام والشراب (وانتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (ونحن اقرب اليه) الى المحتضر (منكم ولكن لا تبصرون) لا تعقلون ولا تعلمون (فلولا ان كنتم غير مدينين) مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم (ترجعونها) تردون النفس وهى الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (ان كنتم صادقين) انكم غير مربوبين مقهورين فلولا فى الآيتين للتحضيض يستدعى فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذكره مرة وترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتأكيد ونحن اقرب اليه منكم

فى القرآن انه سحر وشعر او فى المطر انه من الانواء ﴿فلولا اذا بلغت الحلقوم﴾ أى النفس ﴿وانتم حينئذ تنظرون﴾ حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ﴿ونحن اقرب﴾ اى ونحن اعلم ﴿اليه﴾ الى المحتضر ﴿منكم﴾ عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع ﴿ولكن لا تبصرون﴾ لا تدركون كنه ما يجرى عليه ﴿فلولا ان كنتم غير مدينين﴾ اى مجزيين يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد ﴿ترجعونها﴾ ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهى بما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم بآياته ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم ﴿فاما ان كان من المقربين﴾ اى ان كان المتوفى من السابقين ﴿فروح﴾ فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة

يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم فى جحودكم آيات الله فى كل شئ ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيى المميت المبدئ المعيد (فاما ان كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة فى اول السورة (فروح) فله

﴿فلولا﴾ اى فهلا ﴿اذا بلغت الحلقوم﴾ اى النفس او الروح الى الحلقوم عند الموت ﴿وانتم﴾ يعنى يا اهل الميت ﴿حينئذ تنظرون﴾ يعنى الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى امرى وسلطانى لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيأ ﴿ونحن اقرب اليه منكم﴾ اى بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم ﴿ولكن لا تبصرون﴾ اى الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون اى لا تعلمون ذلك ﴿فلولا ان كنتم غير مدينين﴾ اى مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين ﴿ترجعونها ان كنتم صادقين﴾ اى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى ﴿فاما ان كان من المقربين﴾ يعنى السابقين ﴿فروح﴾

(فلولا اذا بلغت) الروح (الحلقوم) يعنى نفس الجسد الى الحلقوم

(وانتم) يا اهل مكة (حينئذ تنظرون) ﴿قاو خا ٢٢ س﴾ متى تخرج نفسه (ونحن اقرب اليه) ملك الموت واعوانه اقرب الى الميت (منكم) من اهله (ولكن لا تبصرون) ملك الموت واعوانه (فلولا) فهلا (ان كنتم غير مدينين) غير مؤمنين وغير مجازين ومحاسبين (ترجعونها) روح الجسد الى الجسد (ان كنتم صادقين) انكم غير مدينين (فاما ان كان من المقربين) الى جنة عدن (فروح) فراحة لهم فى

وقرئ شكركم اى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وتكذبون اى بقولكم
عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم اى شكركم بما رزقكم التكذيب فى نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى اتجعلون بدل الشكر التكذيب (ق) عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب رواه مسلم وفيه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا و بنجم كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله فى اثر سماء اى اثر مطر * والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء فى معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين احدهما انه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك فى كفره وهذا القول هو الذى ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعى وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له ومراده انا مطرنا فى وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقى من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون انها تعترض فى الافق سبعا بعد وقوعها فوالله مامضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد عمر كم بقى من الوقت الذى جرت العادة انه اذا تم اتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا فى كراهية هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثانى فى تأويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكواكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث ابى هريرة ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم * قوله تعالى

تكذبون به وقيل نزلت فى الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر اى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم

سقينا بالنوء الفلانى

والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم اوغيرهم بالاستغفار لهم والالهام ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ صفة ثالثة اورابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا ﴿ أفبهذا الحديث ﴾ يعنى القرآن ﴿ انتم مدهنون ﴾ متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولايتصلب فيه تهاونا به ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ اى شكر رزقكم ﴿ انكم تكذبون ﴾ اى بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء

المصحف ولامسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعى واكثر الفقهاء يدل عليه ماروى مالك فى الموطأ عن عبدالله بن ابى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ان فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لاتمس القرآن الا طاهرا اخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطنى بسنده عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايمس القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واراد به المصحف وقال الحكم وحماد وابوحنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه فان قلت اذا كان الاصح ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان المراد من لايمسه الا المطهرون هم الملائكة ولوكان المراد نفى الحدث لقال لايمسه الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعى لايصح للمحدث مس المصحف قلت من قال ان الشافعى اخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثانى وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من طريق الاستنباط قال المس بطهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لايليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه اخذه من السنة ودليله ماتقدم من الاحاديث والله اعلم * قوله تعالى ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ صفة للقرآن أى القرآن منزل من عند رب العالمين سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال ان القرآن شعر اوسحر اوكهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين * قوله عز وجل ﴿ افبهذا الحديث ﴾ يعنى القرآن ﴿ انتم ﴾ اى يااهل مكة ﴿ مدهنون ﴾ قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق والادهان الجرى فى الباطل على الخلاف الظاهر هذا اصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ اى حظكم ونصيبكم من القرآن ﴿ انكم تكذبون ﴾ قال الحسن فى هذه الآية خسر عبد لايكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى بنعمة الله عليكم وهذا فى الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولايرون ذلك المطر من فضل الله

المكتوب منه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن اى منزل (من رب العالمين) اووصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكانه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدأ (أفبهذا الحديث) اى القرآن (انتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن فى بعض الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) اى تجعلون شكر رزقكم التكذيب موضع الشكر اى وضعتم التكذيب موضع الشكر وفى قراءة على رضى الله عنه وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم

الا الموفقون (تنزيل) تكليم (من رب العالمين) على محمد عليه السلام (أفبهذا الحديث) اى القرآن الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (انتم) يااهل مكة (مدهنون) مكذبون انه

ليس كما قال من الجنة والنار والبعث والحساب (وتجعلون رزقكم) تقولون للمطر الذى سقيتم (انكم تكذبون) تقولون

وقرأ حمزة والكسائى بموقع ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ لما فى القسم من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض فى اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة ﴿ انه لقرآن كريم ﴾ كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش والمعاد اوحسن مرضى فى جنسه ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ مصون وهو اللوح المحفوظ ﴿ لا يمسه الا المطهرون ﴾ لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة اولا يمس القرآن الا الطاهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهى اولا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون

وقيل مواقعها فى اتباع الشياطين عند الرجم ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ قيل هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون اى فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فأقسم بمواقع النجوم ﴿ انه لقرآن كريم ﴾ اى ان الكتاب الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم اى عزيز مكرم لانه كلام الله تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذى من شأنه ان يعطى الكثير وسمى القرآن كريما لانه يفيد الدلائل التى تؤدى الى الحق فى الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب اصل علمه منه وقيل سمى كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكى وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسأمه السامعون ويهون فى الاعين وتمله الآذان والقرآن عزيز كريم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل هو غض طرى يبقى ابد الدهر كذلك ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ اى مصون مستور عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ من الشيطان من ان يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول اصح ﴿ لا يمسه ﴾ اى ذلك الكتاب المكنون ﴿ الا المطهرون ﴾ وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث يروى هذا القول عن ابن عباس وانس وهو قول سعيد بن جبير وابى العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثانى من ان المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون اى من الشرك وكان ابن عباس ينهى ان تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقيل معناه لا يقرؤه الا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الآية نفى ومعناها نهى قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل

عبادات موصوفة اولانه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وهو اعتراض فى اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله (انه لقرآن كريم) حسن مرضى او نفاع جم المنافع او كريم على الله واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته (فى كتاب) اى اللوح المحفوظ (مكنون) مصون عن ان يأتيه الباطل او من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم (لا يمسه الا المطهرون) من جميع الادناس ادناس الذنوب وغيرها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغى ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس والمراد مس

(وانه) يعنى القرآن (لقسم لو تعلمون عظيم) لو تصدقون ويقال فلا اقسم يقول اقسم بمواقع النجوم بمساقط النجوم عند الغداة وانه والذى ذكرت لقسم عظيم لو تعلمون لو تصدقون (انه لقرآن كريم) شريف حسن (فى كتاب مكنون) فى اللوح المحفوظ مكتوب ولهذا (المصحف) كان القسم (لا يمسه) يعنى اللوح المحفوظ (الا المطهرون) من الاحداث والذنوب فهم الملائكة ويقال لا يعمل بالقرآن

ما اوعدوا به (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للمسافرين فى القواء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من قولهم اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الانسان فقال افرأيتم ماتمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما به قوامه وهو الحب فقال افرأيتم ما تحرثون ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد مادام حيا (فسبح باسم ربك) فنزه ربك عما لا يليق به ايها المستمع المستدل او اراد بالاسم الذكر اى فسبح بذكر ربك (العظيم) صفة للمضاف او للمضاف اليه وقيل قل سبحان ربى العظيم وجاء مرفوعا انه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى ركوعكم (فلا أقسم) اى فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرئ فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهى انا اقسم ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها بموقع حمزة وعلى ولعل لله تعالى فى آخر

﴿ومتاعا﴾ ومنفعة ﴿للمقوين﴾ للذين ينزلون القواء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ فأحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم فى غمط نعمه او للشكر على ماعدها من النعم ﴿فلااقسم﴾ اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلاقسم او فلارد لكلام يخالف المقسم عليه ﴿بمواقع النجوم﴾ بمساقطها وتخصيص المغارب لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لايزول تأثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها

والمقوى النازل فى الارض القواء وهى القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادى والسفار فان منفعتهم اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول اكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على مايريد والمعنى ان فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لاغنى لاحد عنها ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لما ذكر الله مايدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك اى برئ الله ونزهه عما يقول المشركون فى صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم * قوله عز وجل ﴿فلا اقسم﴾ قال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على اصلها وفى معناها وجهان احدها انها ترجع الى ماتقدم ومعناها النهى وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ماذكرته من النعم والحجج الوجه الثانى ان لا رد لما قاله الكفار فى القرآن من انه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال اقسم والمعنى لا والله لاصحة لقول الكفار وقيل ان لا هنا معناها النفى فهو كقول القائل لاتسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهى عن السؤال ﴿بمواقع النجوم﴾ قال ابن عباس اراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل اراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل اراد منازلها وقيل انكدارها وانتشارها يوم القيامة

(ومتاعا) منفعة (للمقوين) للمسافرين فى الارض القواء وهى القفر الذين فنى زادهم (فسبح باسم ربك العظيم) فصل باسم ربك العظيم ويقال اذكر توحيد ربك العظيم (فلا اقسم) يقول اقسم (بمواقع النجوم) بنزول القرآن على محمد عليه السلام نجوما نجوما ولم ينزله جملة واحدة

علیناهذا (افرأيتم الماء الذی تشربون) ای الماء العذب الصالح للشرب (ءانتم انزلتموه من المزن) السحاب الابیض وهو اعذب ماء (ام نحن المنزلون) بقدرتنا (لو نشاء جعلناه اجاجا) ملحا او مرا لایقدر علی شربه (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ودخلت اللام علی جواب لو فی قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لان لولما كانت داخلة علی جملتین معلقة ثانیتهما بالاولی تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سری فیها معنی الشرط اتفاقا من حیث افادتها فی مضمونی جملتیها ان الثانی امتنع لامتناع الاول افتقرت فی جوابها الی ماینصب علما علی هذا التعلق فزیدت هذه اللام لتكون علما علی ذلك ولما شهر موقعه لم یبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل احد به وتساوی حالی حذفه واثباته علی ان تقدم ذكرها والمسافة قصیرة مغن عن ذكرها ثانیة ولان هذه اللام تفید معنی التأكید لامحالة فادخلت فی آیة المطعوم دون آیة المشروب للدلالة علی ان امر المطعوم مقدم علی امر المشروب وان الوعید بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما یحتاج الیه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آیة المطعوم علی آیة المشروب (افرأيتم النار التی تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودین تحك احدها علی الآخر ویسمون الاعلی الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (ءانتم انشأتم شجرتها) التی منها الزناد (ام نحن المنشؤن) الخالقون لها ابتداء (نحن جعلناها) ای النار (تذكرة) ﴿والمقوی﴾ تذكیرا لنار جهنم حیث علقنا بها اسباب المعاش وعممنا بالحاجة الیها البلوی لتكون حاضرة للناس ینظرون الیها ویذكرون

﴿أفرأيتم الماء الذی تشربون﴾ ای العذب الصالح للشرب ﴿ءأنتم انزلتموه من المزن﴾ من السحاب واحده مزنة وقیل المزن السحاب الابیض وماؤه اعذب ﴿ام نحن المنزلون﴾ بقدرتنا والرؤیة ان كانت بمعنی العلم فمعلقة بالاستفهام ﴿لو نشاء جعلناه اجاجا﴾ ملحا او من الاجیج فانه یحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بین جواب ما یتمحض للشرط وما یتضمن معناه امام السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها وتخصیص مایقصد لذاته ویكون اهم وفقده اصعب لمزید التأكید ﴿فلولا تشكرون﴾ امثال هذه النعم الضروریة ﴿أفرأيتم النار التی تورون﴾ تقدحون ﴿ءأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشؤن﴾ یعنی الشجرة التی منها الزناد ﴿نحن جعلناها﴾ جعلنا نار الزناد ﴿تذكرة﴾ تبصرة فی امر البعث كما مر فی سورة یس اوفی الظلام او تذكیرا وانموذجا لنار جهنم

حرمنا الذی كنا نطلبه من الریع فی الزرع ﴿افرأيتم الماء الذی تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون﴾ ذكرهم الله تعالی نعمه علیهم بانزال المطر الذی لایقدر علیه الا الله عز وجل ﴿لو نشاء جعلناه اجاجا﴾ قال ابن عباس شدید الملوحة وقیل مرا لا یمكن شربه ﴿فلولا﴾ ای افلا ﴿تشكرون﴾ یعنی نعمة الله علیكم ﴿افرأيتم النار التی تورون﴾ یعنی تقدحون من الزند ﴿ءانتم انشأتم شجرتها﴾ یعنی التی تقدح منها النار وهی المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقیل اراد جمیع الشجر الذی توقد منه النار ﴿ام نحن المنشؤن نحن جعلناها﴾ یعنی نار الدنیا ﴿تذكرة﴾ ای للنار الكبری اذا رأی الرائی هذه النار ذكر بها نار جهنم فیخشی الله ویخاف عقابه وقیل موعظة یتعظ بها المؤمن (ق) عن ابی هریرة رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ناركم هذه التی توقدون جزء من سبعین جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافیة یارسول الله قال فانها فضلت علیها بتسعة وستین جزأ كلها مثل حرها ﴿ومتاعا﴾ ای بلغة ومنفعة ﴿للمقوین﴾ یعنی للمسافرین

(أفرأيتم الماء) العذب (الذی تشربون) وتسقون دوابكم وجناتكم (ءأنتم) یااهل مكة (أنزلتموه) الماء العذب (من المزن) من السحاب علیكم (ام نحن المنزلون) بل نحن المنزلون علیكم لاانتم (لو نشاء جعلناه) یعنی الماء العذب (اجاجا) مرا مالحا زعاقا (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون عذوبته فتؤمنوا به (افرأيتم النار التی تورون) تقدحون عن كل عود غیر العناب وهو الشجر الاحمر (ءأنتم) یااهل مكة (انشأتم) خلقتم (شجرتها) شجرة النار (ام نحن المنشؤن) الخالقون (نحن جعلناها) هذه النار (تذكرة) عظة لنار الآخرة

عمرو (فلولا تذكرون) ان من قدر على شئ مرة لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (افرأيتم ما تحرثون) ماتحرثونه من الطعام اى تثيرون الارض وتلقون فيها البذر (اانتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا (ام نحن الزارعون) المنبتون وفي الحديث لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت (لو نشاء لجعلناه حطاما) هشيما متكسرا قبل ادراكه (فظلتم تفكهون) تعجبون او تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على مااقترفتم من المعاصي التي اصبتم بذلك من اجلها (انا) اى تقولون انا ائنا ابوبكر (لمغرمون) لملزمون غرامة ماانفقنا اومهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محارفون محدودون لا مجدودون لاحظ لنا ولابخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى

فلولا تذكرون ﴾ ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس ﴿ أفرأيتم ماتحرثون ﴾ تبذرون حبه ﴿ أأنتم تزرعونه ﴾ تنبتونه ﴿ ام نحن الزارعون ﴾ المنبتون ﴿ لو نشاء لجعلناه حطاما ﴾ هشيما ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ تعجبون اوتندمون على اجتهادكم فيه او على مااصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل ﴿ انالمغرمون ﴾ لملزمون غرامة ما انفقنا اومهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابوبكر ائنا على الاستفهام ﴿ بل نحن ﴾ قوم ﴿ محرومون ﴾ حرمنا رزقنا او محدودون لامجدودون

شيأ وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة ﴿ فلولا تذكرون ﴾ اى بانى قادر على اعادتكم كما قدرت على ابتدائكم اول مرة * قوله تعالى ﴿ افرأيتم ماتحرثون ﴾ لماذكر الله تعالى ابتداء الخلق ومافيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقاء وذكر امورا ثلاثة المأكول والمشروب وما به اصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول اولا لانه هو الغذاء واتبعه المشروب لان به الاستمراء ثم النار التي بها الاصلاح وذكر من انواع المأكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه ايضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح اكثر الاغذية فقوله افرأيتم ماتحرثون اى ماتثيرون من الارض وتلقون فيه البذر ﴿ أأنتم تزرعونه ﴾ اى تنبتونه وتنشؤنه حتى يشتد ويقوم على سوقه ﴿ أم نحن الزارعون ﴾ معناه اانتم فعلتم ذلك ام الله ولاشك في ان ايجاد الحب في السنبل ليس بفعل احد غير الله تعالى وان كان القاء البذر من فعل الناس ﴿ لو نشاء لجعلناه ﴾ يعني ماتحرثونه وتلقون فيه من البذر ﴿ حطاما ﴾ اى تبنا لاقمح فيه وقيل هشيما لاينتفع به في مطعم ولاغيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرثه وهو بنفسه يصير زرعا لابفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون انتم على حفظه اوهو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التي تصيبه ولايشك احد في ان دفع الآفات ليس الا باذن الله وحفظه ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ اى تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ماسلف منكم من المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على مافات ﴿ انا لمغرمون ﴾ اى وتقولون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما لمعذبون يعني انهم عذبوا بذهاب اموالهم بغير فائدة والمعنى انا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض ﴿ بل نحن محرومون ﴾ اى ممنوعون والمعنى

الخلق الاول في بطون الامهات ويقال خلق آدم (فلولا تذكرون) فهلا تتعظون بالخلق الاول فتؤمنوا بالخلق الآخر (افرأيتم ما تحرثون) تبذرون من الحبوب (أأنتم) يا اهل مكة (تزرعونه) تنبتونه (ام نحن الزارعون) المنبتون (لو نشاء لجعلناه) يعني الزرع (حطاما) يابسا بعد خضرته (فظلتم تفكهون) فصرتم تعجبون من يبوسته وهلاكه وتقولون (انا لمغرمون) معذبون بهلاك زروعنا (بل نحن محرومون) حرمنا منفعة زروعنا ويقال محاربون

فى الارحام من النطف (اانتم تخلقونه) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا (ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الارزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكى سبقته بالشئ اذا اعجزته عنه وغلبته عليه فمعنى قوله (ومانحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم) انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم جمع مثل اى على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لاتعلمون) وعلى ان ننشئكم فى خلق لاتعلمونها وما عهدتم بمثلها يعنى انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل اى على ان نبدل ونغير صفاتكم التى انتم عليها فى خلقكم واخلاقكم وننشئكم فى صفات لا تعلمونها (ولقد علمتم النشأة الاولى) النشاءة مكى وابو

فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها ﴿أأنتم تخلقونه﴾ تجعلونه بشرا سويا ﴿أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت﴾ قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال ﴿ومانحن بمسبوقين﴾ لايسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته اولا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه ﴿على ان نبدل امثالكم﴾ على الاول حال اوعلة لقدرنا وعلى بمعنى اللام ومانحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل ﴿وننشئكم فيما لاتعلمون﴾ فى خلق اوصفات لاتعلمونها ﴿ولقد علمتم النشأة الاولى

﴿أأنتم تخلقونه﴾ اى أانتم تخلقون ما تمنون بشرا ﴿ام نحن الخالقون﴾ اى انه خلق النطفة وصورها واحياها فلم لا تصدقون بانه واحد قادر على ان يعيدكم كما انشأكم احتج عليهم فى البعث بالقدرة على ابتداء الخلق ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ يعنى الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا اوشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السماء واهل الارض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا ﴿ومانحن بمسبوقين﴾ يعنى لايفوتنى شئ اريده ولا يمتنع منى احد وقيل معناه ومانحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى ﴿على ان نبدل أمثالكم﴾ أى نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم فى أسرع حين ﴿وننشئكم﴾ اى نخلقكم ﴿فيما لا تعلمون﴾ اى من الصور والمعنى نغير حليتكم الى ماهو اسمج منها من اى خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أى ان أردنا ان نفعل ذلك بكم مافاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لاتعلمون فى حواصل طيور سود كأنها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى انه لو شاء ان يبدلهم بامثالهم من بنى آدم قدر ولوشاء ان يمسخهم فى غير صورهم قدر وقال بعض اهل المعانى هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى فى وقت لايعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا ومانحن بمسبوقين على ان ننشئكم فى وقت لاتعلمونه يعنى وقت البعث والقيامة وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا فى الازمان ولا يعلمه احد فينبغى ان لايتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة ﴿ولقد علمتم النشأة الاولى﴾ اى الخلقة الاولى ولم تكونوا

ارحام النساء (أأنتم) يا اهل مكة (تخلقونه) نسما فى الارحام ذكرا او انثى شقيا اوسعيدا (ام نحن الخالقون) بل نحن الخالقون لا انتم (نحن قدرنا بينكم الموت) سوينا بينكم بالموت تموتون كلكم ويقال قسمنا بينكم الآجال الى الموت فمنكم من يعيش مائة سنة وثمانين سنة (شيأ) اوخمسين سنة اواقل اواكثر من ذلك (ومانحن بمسبوقين) بعاجزين (على ان نبدل امثالكم) نهلككم ونأتى بغيركم خيرا منكم واطوع لله (وننشئكم) نخلقكم يوم القيامة (فيما لاتعلمون) فى صورة لاتعرفون سود الوجوه زرق الاعين ويقال فى صورة القردة والخنازير ويقال نجعل ارواحكم فيما لاتعلمون فيما لاتصدقون وهى النار (ولقد علمتم) يا اهل مكة (النشأة الاولى)

(المكذبون) بالبعث وهم اهل مكة ومن فى مثل حالهم (لآكلون من شجر) من لابتداء الغاية (من زقوم) من لبيان الشجر (فمالؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم) انث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ فى منها وعليه (فشاربون شرب) بضم الشين مدنى وعاصم وحمزة وسهل وبفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الهيم) هى ابل عطاش لاتروى جمع اهيم وهيماء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع مايضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذاملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وانما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتين متفقتين لان كونهم شاربين للحميم على ماهو عليه من تناهى الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين (هذا نزلهم) هو الرزق الذى يعد لنازل تكرمة له (يوم الدين) يوم الجزاء (نحن خلقناكم فلولا) فهلا (تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف مايقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا (افرأيتم ماتمنون) ﴿ قا و خا ٢١ س ﴾ ماتمنونه اى تقذفونه

المكذبون ﴾ اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم ﴿ لآكلون من شجر من زقوم ﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان ﴿ فمالؤن منها البطون ﴾ من شدة الجوع ﴿ فشاربون عليه من الحميم ﴾ لغلبة العطش وتأنيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ الابل التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذوالرمة

فاصبحت كالهيماء لاالماء مبرد * صداها ولايقضى عليها هيامها

وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذى لايتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به مافعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلااتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين ﴿ هذا نزلهم يوم الدين ﴾ يوم الجزاء فماظنك بما يكون لهم بعدما استقروا فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم لان النزل مايعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ﴾ بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة ﴿ أفرأيتم ماتمنون ﴾ اى ماتقذفونه

يعنى عن الهدى ﴿ المكذبون ﴾ اى بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب ﴿ لآكلون من شجر من زقوم ﴾ تقدم تفسيره ﴿ فمالؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم ﴾ يعنى الابل العطاش وقيل ان الهيام داء يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التى لاتروى بالماء قيل يلقى على أهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون ﴿ هذا نزلهم ﴾ يعنى ماذكر من الزقوم والحميم أى رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم ﴿ يوم الدين ﴾ يعنى يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم فى البعث بقوله تعالى ﴿ نحن خلقناكم ﴾ يعنى ولم تكونوا شيأ وانتم تعلمون ذلك ﴿ فلولا ﴾ اى فهلا ﴿ تصدقون ﴾ يعنى بالبعث بعد الموت * قوله عز وجل ﴿ أفرأيتم ماتمنون ﴾ يعنى ماتصبون فى الارحام من النطف

(المكذبون) بالله والرسول والكتاب يعنى اباجهل واصحابه (لآكلون من شجر من زقوم) من شجر الزقوم (فمالئون منها البطون) من شجر الزقوم البطون وهى شجرة نابتة فى اصل الجحيم (فشاربون عليه) على الزقوم (من الحميم) الماء الحار (فشاربون شرب الهيم) شرب الابل الظماء اذا اخذها الداء الهيام لاتكاد ان تروى ويقال كشرب الابل العطاش اذا اكلت الحمض ويقال الهيم هى الارض السهلة (هذا نزلهم) طعامهم وشرابهم (يوم الدين) يوم الحساب (نحن خلقناكم) يااهل مكة (فلولا تصدقون) فهلا تصدقون بالرسول (افرأيتم ماتمنون) ماتهريقون فى

(لابارد ولا كريم) نفى لصفتى الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوى اليه من اذى الحر وكذلك كرمه ليمحق ما فى مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار (انهم كانوا قبل ذلك) أى فى الدنيا (مترفين) منعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وكانوا يصرون) يداومون (على الحنث العظيم) أى على الذنب العظيم أو على الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) تقديره أنبعث اذا متنا وهو العامل فى الظرف وجاز حذفه اذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لان اذ والاستفهام يمنعان ان يعمل ما بعدهما فيما قبلهما (أو آباؤنا الاولون) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر فى لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفى أو اباؤنا مدنى وشامى (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشئ أى حد ومنه مواقيت الاحرام وهى الحدود التى لايجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (ثم انكم أيها الضالون) عن الهدى

(لابارد) مقيلهم (ولا كريم) حسن ويقال لابارد شرابهم ولا كريم عذب (انهم كانوا قبل ذلك) فى الدنيا (مترفين) مسرفين ويقال متنعمين ويقال متجبرين (وكانوا يصرون) (يعنى) فى الدنيا يقيمون ويمكثون (على الحنث العظيم) على الذنب العظيم يعنى الشرك بالله ويقال اليمين الغموس (وكانوا يقولون) اذا كانوا فى الدنيا (أئذا متنا وكنا) صرنا (ترابا) رميما (وعظاما) بالية (أئنا لمبعوثون) لمحيون فقال لهم الانبياء نعم فقالوا للانبياء (أو آباؤنا الاولون) قبلنا (قل) يا محمد لاهل مكة (ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات) ميعاد (يوم معلوم) معروف يجتمع فيه الاولون والآخرون وهو يوم القيامة (ثم انكم أيها الضالون) عن الايمان والهدى

من دخان اسود يفعول من الحمة ﴿لابارد﴾ كسائر الظل ﴿ولا كريم﴾ ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح ﴿انهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ منهمكين فى الشهوات ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطفة فى قوله ﴿أو آباؤنا الاولون﴾ للدلالة على ان ذلك اشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر اوبالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف ما دل عليه مبعوثون لاهو للفصل بان والهمزة ﴿قل ان الاولين والآخرين لمجموعون﴾ وقرئ لمجمعون ﴿الى ميقات يوم معلوم﴾ الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له ﴿ثم انكم ايها الضالون

وقيل اليحموم اسم من اسماء النار ﴿لابارد ولا كريم﴾ يعنى لابارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى أمرين أحدهما دفع الحر والثانى حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل أهل النار بخلاف هذا لانهم فى ظل من دخان أسود حار ثم بين بم استحقوا ذلك فقال تعالى ﴿انهم كانوا قبل ذلك﴾ يعنى فى الدنيا ﴿مترفين﴾ يعنى منعمين ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ يعنى على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لايبعثون وكذبوا فى ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون﴾ فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿قل ان الاولين والآخرين﴾ يعنى الآباء والابناء ﴿لمجموعون الى ميقات يوم معلوم﴾ يعنى انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب ﴿ثم انكم أيها الضالون﴾

وهى على الوجوه الاول خبر محذوف ﴿ واصحاب الشمال مااصحاب الشمال فى سموم ﴾ فى حر نار ينفذ فى المسام ﴿ وحميم ﴾ وماء متناه فى الحرارة ﴿ وظل من يحموم ﴾

أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض القوم فى اولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماالذى تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة * الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين (ق) عن عبدالله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة نحوا من أربعين فقال أترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال أترضون ان تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده انى لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة مسلمة وما أنتم فى أهل الشرك الا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الاحمر * وعن بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وذهب جماعة الى أن الثلثين جميعا من هذه الامة وهو قول أبى العالية ومجاهد وعطاء بن أبى رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقى هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة أيضا فى آخر الزمان يدل على ذلك ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس فى هذه الامة ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من امتى وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه * فان قلت كيف قال فى الآية الاولى وقليل من الآخرين وقال فى هذه الآية وثلة من الآخرين * قلت الآية الاولى فى السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية فى أصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والآخرين * وحكى عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام فى الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ * قوله تعالى ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ﴾ قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعدلهم من العذاب فقال تعالى ﴿ فى سموم ﴾ أى فى حر النار وقيل فى ريح شديد الحرارة ﴿ وحميم ﴾ أى ماء حار يغلى ﴿ وظل من يحموم ﴾ يعنى فى ظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سوداء وأهلها سود وكل شئ فيها أسود

(وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال) الشمال والمشأمة واحدة (فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء حار متناه الحرارة (وظل من يحموم من دخان أسود

(وأصحاب الشمال) أهل النار (ماأصحاب الشمال) ماندرى ربك يامحمد مالاهل النار من الهوان والعذاب (فى سموم) فى لهب النار ويقال لفح النار ويقال فى ريح باردة ويقال حارة (وحميم) ماء حار (وظل) عليهم (من يحموم) من دخان جهنم أسود

وجدوهن ابكارا * فجعلناهن ابكارا عربا * متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وابوبكر وروى عن نافع وعاصم مثله ﴿ اترابا ﴾ فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن ﴿ لأصحاب اليمين ﴾ متعلق بانشأنا او جعلنا اوصفة لابكارا اولا ترابا اوخبر لمحذوف مثل هن اوالقوله ﴿ ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ﴾

قال ابن عباس يعني الآدميات العجائز الشمط يقول خلقنا هن بعد الكبر والهرم خلقا آخر ﴿ فجعلناهن أبكارا ﴾ يعني عذارى * عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال ان المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعف بعض رواته * وروى البغوي بسنده عن الحسن قال أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لايدخلها عجوز قال فولت تبكي قال أخبروها أنها لاتدخلها وهي عجوز ان الله تعالى قال انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا هذا حديث مرسل * وروى باسناد الثعلبي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا أنشأناهن انشاء قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن أبكارا وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع ﴿ عربا ﴾ جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه أنها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن أبيه عربا قال حسان الكلام ﴿ أترابا ﴾ يعني أمثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين * عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿ لأصحاب اليمين ﴾ يعني أنشأناهن لأصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لأصحاب اليمين ﴿ ثلة من الاولين ﴾ يعني من المؤمنين الذين هم قبل هذه الامة ﴿ وثلة من الآخرين ﴾ يعني من مؤمني هذه الامة يدل عليه ماروى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يانبي الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولايستتمها الا سودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد اذ رفع الى سواد عظيم فظننت أنهم

(عربا) عربا حمزة وخلف ويحيي وحماد جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك واللام في (لأصحاب اليمين) اى صلة أنشأنا (ثلة) من أصحاب اليمين ثلة (من الاولين وثلة من الآخرين) فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك في السابقين وهذا في أصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا وعن الحسن سابقو الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعوا الامم مثل تابعي هذه الامة

(فجعلناهن أبكارا) عذارى (عربا) شكلات غنجات عاشقات متحببات الى أزواجهن (أترابا) مستويات في السن والميلاد على مقدار ثلاثة وثلاثين سنة (لأصحاب اليمين) لاهل الجنة وكلهم أهل الجنة (ثلة من الاولين) جماعة من أوائل الامم كلها قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وثلة من الآخرين) جماعة من أواخر الامم كلها وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويقال كلتا الثلتين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (امتي)

والمنضود الذى نضد بالحمل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) تمتد منبسط كظل مابين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب)

حار بلا حد ولاخد

أى تجرى على الارض في غير أخدود (وفاكهة كثيرة) أي كثيرة الاجناس (لامقطوعة) لاتنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا بل هي دائمة (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل لامقطوعة بالازمان ولاممنوعة بالاثمان (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر أو نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هى النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله (انا أنشأناهن انشاء) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة فاما ان يراد اللاتى ابتدئ انشاؤهن أو اللاتى اعيد انشاؤهن وعلى غير هذا التأويل أضمر لهن لان ذكر الفرش وهى المضاجع

حمله من اسفله الى اعلاه ﴿وظل ممدود﴾ منبسط لايتقاص ولايتفاوت ﴿وماء مسكوب﴾ يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب اومصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين فى التنعم بأكمل مايتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين بأكمل مايتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين ﴿وفاكهة كثيرة﴾ كثيرة الاجناس ﴿لامقطوعة﴾ لاتنقطع فى وقت ﴿ولاممنوعة﴾ ولاتمنع عن متناولها بوجه ﴿وفرش مرفوعة﴾ رفيعة القدر اومنضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله ﴿انا انشأناهن انشاء﴾ اى ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء اواعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن

بالحمل من أوله الى آخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى أغصانه ثمر وليس شئ من ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه ﴿وظل ممدود﴾ أى دائم لاتنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لان الجنة ظل كلها لاشمس فيها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس فى قوله وظل ممدود قال شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون فى أصلها فيشتهى بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عزوجل ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا ﴿وماء مسكوب﴾ أى مصبوب يجرى دائما فى غير أخدود ولاينقطع ﴿وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة﴾ قال ابن عباس لاتنقطع اذا جنيت ولاتمتنع من أحد اذا اراد أخذها وقيل لامقطوعة بالازمان ولاممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا فى الشتاء ولايوصل اليها الا بالثمن وقيل لايحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء فى الحديث ماقطعت ثمرة من ثمار الجنة الا بدل الله عزوجل مكانها ضعفين ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال على مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهى مرفوعة ٭ عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة مابينهما خمسمائة عام أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال الترمذى قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة فى الدرجات والدرجات مابين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أى رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله فى عقبه ﴿انا أنشأناهن انشاء﴾ أى خلقنا هن خلقا جديدا

دائم لاينقطع (وظل) ظل الشجر ويقال ظل العرش (ممدود) دائم عليهم بلا شمس (وماء مسكوب) مصبوب من ساق العرش (وفاكهة كثيرة) ألوان الفاكهة الكثيرة (لامقطوعة) لاتنقطع عنهم فى حين وتجىء فى حين (ولاممنوعة) عنهم اذا نظروا اليها (وفرش مرفوعة) فى الهواء لاهلها (انا أنشأناهن) خلقنا نساء أهل الدنيا (انشاء) خلقا بعد العجز والعمش والمرض والموت

(كامثال اللؤلؤ) فى الصفاء والنقاء (المكنون) المصون وقال الزجاج كامثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله جزاء أعمالهم أو مصدر أي يجزون جزاء (لايسمعون فيها) في الجنة (لغوا) باطلا (ولاتأثيما) هذيانا (الا قيلا سلاما سلاما) الاقولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قيلا او مفعول به لقيلا اى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (واصحاب اليمين ماأصحاب اليمين في سدر مخضود) السدر شجر النبق والمخضود الذى لاشوك له كانما خضد شوكه (وطلح منضود) الطلح شجر الموز

(كأمثال اللؤلؤ المكنون) قد كن من الحر والبرد (جزاء) هذا ثواب لاهل الجنة (بما كانوا يعملون) ويقولون من الخيرات في الدنيا (لايسمعون فيها) في الجنة (لغوا) باطلا ولا حلفا كاذبا (ولاتأثيما) لاشتما ويقال لاإثم عليهم فيه (الاقيلا) قولا (سلاما سلاما) يحيي بعضهم بعضا بالسلام والتحية وتحييهم الملائكة بالسلام والتحية من الله (وأصحاب اليمين) أهل الجنة (ماأصحاب اليمين) مايدريك يامحمد مالاهل الجنة من النعيم والسرور (في سدر) في ظلال سدر ثم بين ذلك فقال (مخضود) موقر بلاشوك (وطلح منضود) موز مجتمع ويقال (بالحمل)

باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على و يؤتون حورا ﴿ كامثال اللؤلؤ المكنون ﴾ المصون عما يضربه فى الصفاء والنقاء ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ اى يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم ﴿ لايسمعون فيها لغوا ﴾ باطلا ﴿ ولاتأثيما ﴾ ولانسبة الى الاثم اى لايقال لهم أثمتم ﴿ الاقيلا ﴾ الاقولا ﴿ سلاما سلاما ﴾ بدل من قيلا كقوله لايسمعون فيها لغوا الاسلاما اوصفته اومفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما اومصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية ﴿ واصحاب اليمين مااصحاب اليمين فى سدر مخضود ﴾ لاشوك له من خضد الشوك اذا قطعه اومثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذاثناه وهو رطب ﴿ وطلح ﴾ وشجر موز اوام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين ﴿ منضود ﴾ نضد

ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء فى تفسير حور أى بيض عين أى ضخام العيون ﴿ كامثال اللؤلؤ المكنون ﴾ أى المخزون فى الصدف المصون الذى لم تمسه الايدى ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون فى نهاية الصفاء روى انه سطع نور فى الجنة فقيل ماهذا قيل ضوء ثغر حوراء ضحكت وروى ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أى فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون فى الدنيا بطاعتنا ﴿ لايسمعون فيها ﴾ أى فى الجنة ﴿ لغوا ﴾ قيل اللغو مايرغب عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع ﴿ ولاتأثيما ﴾ قيل معناه ان بعضهم لايقول لبعض أثمت لانهم لايتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لايأتون تأثيما أى ماهو سبب التأثيم من قول أوفعل قبيح ﴿ الاقيلا ﴾ معناه لكن يقولون قيلا أويسمعون قيلا ﴿ سلاما سلاما ﴾ يعنى يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى ﴿ وأصحاب اليمين ماأصحاب اليمين ﴾ لما بين حال السابقين شرع فى بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى ﴿ فى سدر مخضود ﴾ أى لاشوك فيه كانه خضد شوكه أى قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا قيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الآية ﴿ وطلح ﴾ هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بمثل مايحبون ويعرفون الا ان فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا ﴿ منضود ﴾ أى متراكم قد نضد

(باكواب) جمع كوب وهى آنية لاعروة لها ولا خرطوم (وأباريق) جمع ابريق وهو ماله خرطوم وعروة (وكأس) وقدح فيه شراب وان لم يكن فيه شراب فليس بكأس (من معين) من خمر تجرى من العيون (لايصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لايصدر صداعهم عنها أولا يفرقون عنها (ولا ينزفون) ولا يسكرون نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاء كوفى أى لاينفد شرابهم يقال انزف القوم اذافنى شرابهم (وفاكهة مما تخيرون) يأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور) جمع حوراء (عين) جمع عيناء أى وفيها حور عين أو ولهم حور عين ويجوز أن يكون عطفا على ولدان وحور يزيد وحمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كانه قال هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور

﴿باكواب واباريق﴾ حال الشرب وغيره والكوب اناء بلاعروة ولا خرطوم له والابريق اناء له ذلك ﴿وكأس من معين﴾ من خمر ﴿لايصدعون عنها﴾ بخمار ﴿ولا ينزفون﴾ ولا ينزف عقولهم اولا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاء وقرئ لايصدعون بمعنى لايتصدعون اى لايتفرقون ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ اى يختارون ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ يتمنون ﴿وحور عين﴾ عطف على ولدان اومبتدأ محذوف الخبر اى وفيها اولهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اى هم فى جنات ومصاحبة حور اوعلى اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون

قبل التكليف وهذا القول أقرب من الاول لانه قد اختلف فى أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم فى النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم أطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذى لامعدل عنه ان شاء الله انهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمى الغلام وليدا مالم يحتلم والامة وليدة وان أسنت ﴿باكواب﴾ جمع كوب وهى الاقداح المستديرة الافواه لاآذان لها ولاعرا ﴿وأباريق﴾ جمع ابريق وهى ذوات الخراطيم والعرا سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها ﴿وكأس من معين﴾ أى من خمرة جارية ﴿لايصدعون عنها﴾ أى لاتصدع رؤسهم من شربها وعنها كناية عن الكأس وقيل لايتفرقون عنها ﴿ولا ينزفون﴾ أى لايغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاى ومعناه لاينفد شرابهم ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ أى يأخذون خيارها ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه مايشتهى ثم يطير * فان قلت هل فى تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لاوفى كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذى يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار وأهل الجنة انما يأكلون لامن جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة أكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت فى مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على مايشتهيه فتميل نفسه اليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله أعلم ﴿وحور عين﴾ أى

(باكواب) بكيزان لا آذان لها ولاعرا (وأباريق) مالها آذان وعرا وخراطيم (وكأس من معين) خمر طاهر تجرى (لايصدعون عنها) يقول لايصدع رؤسهم من شربها ويقال لايصدع الخمر رؤسهم كخمر الدنيا ويقال لايغنون عنها (ولا ينزفون) ولايسكرون بشربها ويقال لاتسكرهم الخمر ويقال لاينفد شرابهم ان قرأت بخفض الزاء (وفاكهة) والوان الفاكهة (مما يتخيرون) مما يشتهون (ولحم طير) وألوان لحم طير (مما يشتهون) مما يتمنون (وحور) ويطوف عليهم جوار بيض (عين) عظام الاعين حسان الوجوه

(أولئك المقربون) والاول أوجه (فى جنات النعيم) أى هم فى جنات النعيم (ثلة من الاولين وقليل من الا خرين) أى هم ثلة والثلة الامة من الناس الكثيرة والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى نبينا محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتى (على سرر) جمع سرير ككثيب وكثب (موضونة) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين) حال من الضمير فى على وهو العامل فيها أى استقروا عليها متكئين (عليها متقابلين) ينظر بعضهم فى وجوه بعض ولا ينظر بعضهم فى اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة ومتقابلين حال ايضا (يطوف عليهم) يخدمهم (ولدان) غلمان جمع وليد (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان لايتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها وفى الحديث أولاد الكفار خدام اهل الجنة

اوالذين سبقوا الى الجنة ﴿ أولئك المقربون فى جنات النعيم ﴾ الذين قربت درجاتهم فى الجنة واعليت مراتبهم ﴿ ثلة من الاولين ﴾ اى هم كثير من الاولين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ يعنى امة محمد عليه السلام ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتى يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقى هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لاتنافى اكثرية احدهما وروى مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع ﴿ على سرر موضونة ﴾ خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت اوالمتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾ حالان من الضمير فى على سرر ﴿ يطوف عليهم ﴾ للخدمة ﴿ ولدان مخلدون ﴾ مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم

فقال تعالى ﴿ أولئك المقربون ﴾ أى من الله فى جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله ﴿ فى جنات النعيم ﴾ قوله تعالى ﴿ ثلة ﴾ أى جماعة غير محصورة العدد ﴿ من الاولين ﴾ أى من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ يعنى من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية أكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعنى التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين أى ممن جاء بعدهم من الصحابة ﴿ على سرر موضونة ﴾ أى منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعنى مصفوفة ﴿ متكئين عليها ﴾ أى على السرر ﴿ متقابلين ﴾ يعنى لاينظر بعضهم فى قفا بعض وصفوا بحسن العشرة فى المجالسة وقيل لانهم صاروا أرواحا نورانية صافية ليس لهم أدبار وظهور ﴿ يطوف عليهم ﴾ أى للخدمة ﴿ ولدان ﴾ أى غلمان ﴿ مخلدون ﴾ لايموتون ولايهرمون ولايتغيرون ولاينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق فى الاذن واختلفوا فى هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالا وفيه ضعف لان الله أخبر أنه يلحقهم بآبائهم ولان من المؤمنين من لاولد له فوخدمه ولد غيره كان منقصة بابى الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا

(أولئك المقربون) الى الله (فى جنات النعيم) نعيمها دائم (ثلة من الاولين) جماعة من أوائل الامم كلها قبل أمة محمد عليه السلام (وقليل من الآخرين) من أواخر الامم كلها وهى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويقول كلتاهما لامة محمد صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية اغتم النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه بذلك حتى نزل قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة (قبل)

من الآخرين (على سرر) جالسين على سرر (موضونة) وصونة بقضبان الذهب والفضة منسوجة بالدر والياقوت (متكئين) ناعمين (عليها) على السرر (متقابلين) فى الزيارة (يطوف عليهم) فى الخدمة (ولدان) وصفاء ويقال هم أولاد الكفار جعلوا خدما لاهل الجنة (مخلدون) خلدوا لايموتون فيها ولايخرجون منها ويقال يحلون فى الجنة يطوف عليهم

فقال (فأصحاب الميمنة) مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم (ماأصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الاول وهو تعجيب من حالهم فى السعادة وتعظيم لشأنهم كانه قال ماهم وأى شئ هم (وأصحاب المشأمة) أى الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أوأصحاب المنزلة السنية

الدنية الخسيسة من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال (ماأصحاب المشأمة) أى أى شئ هم وهو تعجيب من حالهم بالشقاء (والسابقون) مبتدأ (السابقون) خبره وتقديره السابقون الى الخيرات السابقون الى الجنات وقيل الثانى تأكيد للاول والخبر

وكل صنف يكون اويذكر مع صنف آخر زوج ﴿فأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ماأصحاب المشأمة﴾ فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل اواصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم اواصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجيب من حال الفريقين ﴿والسابقون السابقون﴾ والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان اوسبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات اوالانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرف مآلهم كقول ابى النجم

انا ابوالنجم وشعرى شعرى

ثم فسر الازواج فقال تعالى ﴿فأصحاب الميمنة﴾ يعنى أصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذبهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولاابالى وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين أى مباركين على أنفسهم وكانت اعمالهم صالحة فى طاعة الله وهم التابعون باحسان ﴿ماأصحاب الميمنة﴾ تعجيب من حالهم فى السعادة والمعنى أى شئ هم ﴿واصحاب المشأمة ماأصحاب المشأمة﴾ يعنى أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذبهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولاابالى وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على انفسهم وكانت أعمالهم فى المعاصى لان العرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى ﴿والسابقون السابقون﴾ قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون فى الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى مادعا الله اليه من أعمال البر والخير وقيل هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة * فان قلت لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين * قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر فى أول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فامامحسن فيزداد رغبة فى الثواب واما مسئ فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لايحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد أصحاب اليمين فى القرب من درجتهم ثم أثنى على السابقين

فأصحاب الميمنة) وهم أهل الجنة الذين يعطون كتابهم بيمينهم وهم الذين قال الله لهم هؤلاء فى الجنة ولا ابالى (ماأصحاب الميمنة) يعجب نبيه بذلك يقول ومايدريك يامحمد مالاهل الجنة من النعيم والسرور والكرامة (وأصحاب المشأمة) وهم أهل النار الذين يعطون كتابهم بشمالهم وهم الذين قال الله لهم هؤلاء فى النار ولا ابالى (ماأصحاب المشأمة) يعجب نبيه بذلك يقول ومايدريك يامحمد مالاهل النار فى النار (قا و خا ٢٠ س) من الهوان والعقوبة والعذاب (والسابقون) فى الدنيا الى الايمان والهجرة والجهاد والتكبيرة الاولى والخيرات كلها هم (السابقون) فى الآخرة الى الجنة

(ليس لوقعتها كاذبة) نفس كاذبة أي لاتكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها في قوله تعالى ياليتني قدمت لحياتي (خافضة رافعة) أي هي خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء وهو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال (وبست الجبال بسا) وفتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (فكانت هباء) غبارا (منبثا) متفرقا (وكنتم أزواجا) أصنافا يقال للاصناف التي بعضها من بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (ثلثة) صنفان في الجنة وصنف في النار ثم فسر الازواج (ثم)

اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ اي لايكون حين تقع نفس تكذب على الله اوتكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي اوليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق اوليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه ﴿خافضة رافعة﴾ تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه اوازالة الاجرام عن مجازها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال ﴿اذا رجت الارض رجا﴾ حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم مافوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة رافعة اوبدل من اذا وقعت ﴿وبست الجبال بسا﴾ فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذالته اوسيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها ﴿فكانت هباء﴾ غبارا ﴿منبثا﴾ منتشرا ﴿وكنتم ازواجا﴾ اصنافا ﴿ثلثة﴾

صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة ﴿ليس لوقعتها﴾ أي لمجيئها ﴿كاذبة﴾ أي ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة أي كل ما أخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة أي ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس أخبرت عن وقوعها ﴿خافضة رافعة﴾ أي تخفض أقواما الى النار وترفع أقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا في الدنيا متضعين وقيل تخفض أقواما بالمعصية وترفع أقواما بالطاعة ﴿اذا رجت الارض رجا﴾ أي اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا أوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبي في المهد ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل مافيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى ﴿وبست الجبال بسا﴾ أي فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من أصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب بها ﴿فكانت هباء منبثا﴾ أي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء ﴿وكنتم أزواجا﴾ أي أصنافا ﴿ثلثة﴾

(ليس لوقعتها) لقيامها (كاذبة) راد ولاخلف ولا مثنوية (خافضة) تخفض قوما بأعمالهم فتدخلهم النار (رافعة) ترفع قوما بأعمالهم فتدخلهم الجنة ويقال انما سميت واقعة لشدة صوتها يسمع القريب والبعيد (اذا رجت الارض رجا) اذا زلزلت الارض زلزلة حتى ينطمس كل بنيان وجبل عليها فيعود فيها (وبست الجبال بسا) سيرت الجبال عن وجه الارض كسير السحاب ويقال قلعت قلعا ويقال جثت جثا ويقال فتت فتا تبس كما يبس السويق أو علف البعير (فكانت) صارت (هباء) غبارا كالغبار الذي يسطع من حوافر الدواب أو كشعاع الشمس يدخل في كوة تكون في البيت أو خرق يكون في الباب (منبثا) يجور بعضه في بعض (وكنتم) صرتم يوم القيامة (أزواجا) أصنافا (ثلثة)

والمتكأ (تبارك اسم ربك ذي الجلال) ذي العظمة ذوالجلال شامي صفة للاسم (والاكرام) لاوليائه بالانعام روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن فقال مالي أراكم سكوتا الجن كانوا أحسن منكم ردا ماأتيت على قول الله فبأى آلاء ربكما تكذبان الاقالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر وكررت هذه الآية في هذه السورة احدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها ﴿١٥١﴾ للجنتين اللتين دونهما فمن {سورة الواقعة} اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم ﴿سورة الواقعة سبع وتسعون آية مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لانها تقع لامحالة فكأنه قيل اذا وقعت الواقعة التي لابد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أي نزل ما كنت أترقب نزوله وانتصاب اذا باضمار اذكر

تبارك اسم ربك ﴿ تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

﴿ذي الجلال والاكرام﴾ وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم ه عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكرما انعم الله عليه

﴿سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا وقعت الواقعة﴾ اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب

تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ﴾ قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام وفيه اشارة الى أن الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيده وتحميده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الامقدار مايقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام أخرجه أبو داود والنسائي غير قولها لم يقعد الامقدار مايقول والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الواقعة﴾

وهي مكية وسبع وتسعون آية وثلاثمائة وثمان وسبعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف روى البغوي بسنده عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وكان أبو ظبية لايدعها أبدا وأخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه والله تعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ه قوله عزوجل ﴿ اذا وقعت الواقعة ﴾ أي اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت

من الله (تبارك اسم ربك) ذو بركة ورحمة ويقال تعالى وتبرأ عن الولد والشريك (ذي الجلال) ذي العظمة والسلطان (والاكرام) والتجاوز والاحسان اذا قامت القيامة

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الواقعة وهي كلها مكية غير قوله أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فهؤلاء الآيات نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في سفره الى المدينة آياتها تسع وتسعون وكلماتها ثلثمائة وثمان وسبعون وحروفها ألف وتسعمائة وثلاثة أحرف ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله جل ذكره (اذا وقعت الواقعة) يقول اذا قامت القيامة

(فباى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام) أى مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة قيل الخيام من الدر المجوف (فباى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولاجان فباى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص (على رفرف) هو كل ثوب عريض وقيل الوسائد (خضر وعبقرى حسان) ديباج أو طنافس (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وانما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاولين حتى قيل ومن دونهما لان مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور

﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات﴾ قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة اومقصورات الطرف على ازواجهن ﴿فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان﴾ كحور الاولين وهم لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف﴾ وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض رفرف ﴿خضر وعبقرى حسان﴾ العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان

روى عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات﴾ أى مخدرات مستورات لايخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها وقيل قصرن أطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلايبغين بهم بدلا ﴿فى الخيام﴾ قيل هى البيوت قال ابن الاعرابى الخيمة لاتكون الامن أربعة أعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا أقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور فى الجنة (ق) عن أبى موسى الاشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء وفى رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلايرى بعضهم بعضا ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان﴾ تقدم تفسيره ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر﴾ قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى هذا عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هى مجالس خضر فوق الفرش وقيل هى المرافق وقيل الزرابى وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف ﴿وعبقرى حسان﴾ قيل هى الزرابى والطنافس الثخان وقيل هى الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقرى وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقرى عند العرب ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر فلم أر عبقريا يفرى فريه وأصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهى أرض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شئ رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد فى الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كانت عبقر معروفة بسكنى الجن نسبوا اليها كل شئ عجيب بديع ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان

(فبأى آلاء ربكما تكذبان حور) بيض (مقصورات) محبوسات على أزواجهن (فى الخيام) فى خيام الدر المجوف (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن) لم يجامعهن ويقال لم يجنبهن (انس قبلهم) للانس انس قبل أزواجهن (ولاجان) ولا للجن جن قبل أزواجهن (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) جالسين ناعمين (على رفرف) مجالس ويقال رياض (خضر وعبقرى) طنافس مخملة مونة (حسان) ويقال زرابى حسان مونة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فبأى نعماء ربكما أيها الجن والانس غير محمد عليه السلام تكذبان تتجاحدان انها ليست

(تبارك)

للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان ﴾ خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان ﴾ فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاولين وكذا ما بعده ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء احتج به ابو حنيفة على ان من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات ﴾ اى خيرات فخففت لان خير الذى بمعنى اخير لايجمع وقد قرئ على الاصل ﴿ حسان ﴾ حسان الخلق والخلق

فاكهة ونخل ورمان ﴿ ق ﴾ عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقال الكتانى ومن دونهما جنتان يعنى امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما أفضل من الاولين ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ثم وصف الجنتين فقال تعالى ﴿ مدهامتان ﴾ أى سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان ﴾ أى فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على أهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر فى دور أهل الجنة كطش المطر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ يعنى فيهما من أنواع الفواكه كلها وانما عطف النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين وأهل اللغة قالوا انما فصلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال أبو حنيفة اذا حلف لا يأكل الفاكهة فاكل رطبا أو رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له فى الآية وروى البغوى بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم وروى ان الرمانة من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل ان نخل أهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن ﴾ أى فى الجنان الاربع ﴿ خيرات حسان ﴾

ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) ألوان الفواكه (ونخل ورمان) والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه للعطف ولان التمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وهما قالا انما عطفا على الفاكهة لفضلهما كانهما جنسان آخران لما لهما من المزية كقوله وجبريل وميكال (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان) أى خيرات فخففت وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق

(فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) خضراوان يضرب لونهما الى السواد لكثرة ريهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى الجنتين (عينان نضاختان) فوارتان ويقال ممتلئتان بالخير والبركة والرحمة والكرامة والزيادة من الله (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى الجنتين (فاكهة) ألوان الفاكهة (ونخل) ألوان النخل (ورمان) ألوان الرمان فى الطعم والمنظر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنان الاربع ويقال فى الجنان كلها (خيرات حسان) جوار خير لازواجهن حسان الوجوه ويقال حسان الاعين

﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان ﴾ فى العمل ﴿ الا الاحسان ﴾ فى الثواب وهو الجنة ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ﴾ ومن دون تينك الجنتين الموعودتين

الألوان البياض المشوب بحمرة والاصح أنه شبهن بالياقوت لصفائه لانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ماروى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه أخرجه الترمذى قال وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد فى رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخارى قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة يعنى بخورهم العود ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان ﴾ أى ما جزاء من أحسن فى الدنيا الا أن يحسن اليه فى الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوى باسناد الثعلبى عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ماقال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدى بغير سند عن ابن عمر وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتى وتوحيدى الا أن أسكنه جنتى وحظيرة قدسى برحمتى وقيل فى معنى الآية هل جزاء من أتى بالفعل الحسن الا أن يؤتى فى مقابلته بفعل حسن وفى الآية اشارة الى رفع التكليف فى الآخرة لان الله وعد المؤمنين بالاحسان وهو الجنة فلو بقى التكليف فى الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ﴾ أى ومن دون الجنتين الاولين جنتان أخريان وقال ابن عباس من دونهما فى الدرج وقيل فى الفضل وقال أبو موسى الاشعرى جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما

(فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) فى الثواب وقيل ماجزاء من قال لا اله الا الله الا الجنة وعن ابراهيم الخواص فيه هل جزاء الاسلام الا دار السلام (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين

(فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان) يقول هل جزاء من انعمنا عليه بالتوحيد الا الجنة (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) من دون البستانين الاولين (جنتان) اخريان فالاوليان افضل منهما وهاتان دونهما جنة النعيم وجنة المأوى

للخائفين او حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن ﴾ فى الجنان فان جنتان تدل على جنان هى للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش ﴿ قاصرات الطرف ﴾ نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن ﴿ لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان ﴾ لن يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائى بضم الميم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ فى حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما

وترك الظواهر لانه ليس فى الارض أحد يعرف ماالظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر أن بطائنها من الاستبرق ولابد أن تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لايعلمه البشر ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ يعنى أن ثمرهما قريب يناله القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لاتنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لايرد أيديهم منها بعد ولاشوك ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن ﴾ فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس ﴿ قاصرات الطرف ﴾ أى غاضات الاعين قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولايردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربى ماأرى فى الجنة شيأ أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك ﴿ لم يطمثهن ﴾ أى لم يجامعهن ولم يفرعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن الى لم يطمثن قبل ۞ وهن أصح من بيض النعام

أى لم يمسسن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن ﴿ انس قبلهم ﴾ أى قبل أزواجهن من أهل الجنة ﴿ ولاجان ﴾ قيل انما نفى الجن لان لهم أزواجا فى الجنة منهم وفى الآية دليل على أن الجنى يغشى كما يغشى الانسى وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد فى هذه الآية اذا جامع ولم يسم انطوى الجنى على احليله فجامع معه واختلف فى هؤلاء اللواتى لم يطمثن فقيل هن الحور العين لانهن خلقن فى الجنة فلم يمسهن أحد قبل أزواجهن وقيل انهن من نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر ابكارا كما وصفهن لم يمسهن منذ أنشئن خلقا آخر احد وقيل هن الآدميات اللاتى متن أبكارا ومعنى الآية المبالغة فى نفى الطمث عنهن لان ذلك أقر لاعين أزواجهن اذا لم يغشهن أحد غيرهم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان أحسن

(فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس أو فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لاينظرن الى غيرهم (لم يطمثهن) بكسر الميم الدورى وعلى بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية (انس قبلهم ولاجان) وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت) صفاء (والمرجان) بياضا فهو أبيض من اللؤلؤ

(وجنى الجنتين دان) اجتناء البستانين دان قريب يناله القاعد والقائم (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنان كلها (قاصرات الطرف) جوار غاضات الطرف قانعات بازواجهن لاينظرن الى غير أزواجهن (لم يطمثهن) لم يجامعهن ويقال لم يطمثهن لم يجنبهن (انس) للانس انس (قبلهم) قبل أزواجهن (ولاجان) ولاللجن جن قبل أزواجهن (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن) فى الصفاء (الياقوت) كالياقوت (والمرجان) كالمرجان فى البياض

للخائف الجنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) اغصان جمع فنن وخص الافنان لانها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار أو ألوان جمع فن أى له فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل أفنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش أخضر ناضره (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى الجنتين (عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان صنف معروف وصنف غريب (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة (من استبرق) ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لايعلمها

وكذا ماجاء مثنى بعده ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان ﴾ انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهى الغصنة التى تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان ﴾ حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق ﴾ من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فماظنك بالظهائر ومتكئين مدح

بتركه شهوته * عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة أخرجه الترمذى * قوله أدلج الادلاج مخففا سير أول الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد فى أول الامر فان من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل * وروى البغوى بسنده عن أبى ذر أنه سمع صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبى ذر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ثم وصف الجنتين فقال ﴿ ذواتا أفنان ﴾ أى أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا ألوان يعنى ألوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال فى كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ماسواهما ﴿ فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان ﴾ قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ أى صنفان ونوعان وقيل معناه أن فيهما من كل مايتفكه به رطبا ويابسا قال ابن عباس مافى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا أنه حلو ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش ﴾ جمع فراش ﴿ بطائنها ﴾ جمع بطانة وهى التى تلى الارض من تحت الظهارة ﴿ من استبرق ﴾ وهو ماغلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فماظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هى مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعنه أيضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن

(فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى البساتين (عينان تجريان) على أهل الجنة بالخير والرحمة والكرامة والبركة والزيادة من الله (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى البساتين (من كل فاكهة) من ألوان كل فاكهة (زوجان) لونان فى المنظر والمطعم (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) جالسين ناعمين {وترك} (على فرش بطائنها) ظواهرها (من استبرق) ماثخن من الديباج وبطائنها من سندس مالطف من الديباج

(فيؤخذ بالنواصى والاقدام) أى يؤخذ تارة بالنواصى وتارة بالاقدام (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها ﴿١٤٥﴾ وبين حميم آن) { سورة الرحمن } ماء حار قد انتهى

من الكآبة والحزن ﴿ فيؤخذ بالنواصى والاقدام ﴾ مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصى تارة وبالاقدام اخرى ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها ﴾ بين النار يحرقون بها ﴿ وبين حميم ﴾ ماء حار ﴿ آن ﴾ بلغ النهاية فى الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه ﴾ موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا اوربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله

زعرت به القطا ونفيت عنه ٭ مقام الذئب كالرجل اللعين

﴿ جنتان ﴾ جنة للخائف الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعة واخرى لترك المعاصى اوجنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه اوروحانية وجسمانية

يعنى بسواد وجوههم وزرقة عيونهم ﴿ فيؤخذ بالنواصى والاقدام ﴾ قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم فى أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصى وبعضهم بالاقدام ثم يلقون فى النار ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم ﴾ أى يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها ﴿ التى يكذب بها المجرمون ﴾ يعنى المشركين ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ يعنى قدانتهى حره والمعنى أنهم يسعون بين الحميم وبين الجحيم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآنى الذى قدصار كالمهل وقال كعب الاحبار آن وادمن أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ فان قلت هذه الامور المذكورة فى هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف عقبها بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان . قلت المذكور فى هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصى فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ماأعده لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه ﴾ يعنى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعنى اطلاعه عليه وهو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله فى السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه من خشيته وماعمل من خير أخلصه لله ولا يحب أن يطلع عليه أحد وقيل ان المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودأبوا الليل والنهار ﴿ جنتان ﴾ يعنى جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة

حره أى يعاقب عليهم التصلية بالنار وبين شرب الحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى هذا نجاة الناجى منه بفضله ورحمته وما فى الانذار به من التنبيه (ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصى أو وأدى الفرائض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذئب أى نفيت عنه الذئب (جنتان) جنة الانس وجنة الجن لان الخطاب للثقلين وكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة

(فيؤخذ بالنواصى والاقدام) فيجمع النواصى بالاقدام فيطرحون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ويقول لهم الزبانية (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) المشركون فى لدنيا انها لاتكون (يطوفون بينها) بين النار (وبين حميم آن) ماء حار قد انتهى حره (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ولمن خاف) عند المعصية (مقام ربه) بين يدى ربه

مقامه فانتهى عن المعصيه فله (قا و خا ١٩ س) (جنتان) بستانان فى بساتين جنة عدن وجنة الفردوس

فاذا انشقت السماء) انفك بعضها من بعض لقيام الساعة (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الاحمر وقيل أصل لون السماء الحمرة
ولكن من بعدها ترى زرقاء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم الاحمر
(فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ) أي فيوم تنشق السماء (لا يسئل عن ذنبه انس

ولاجان) أي ولا جن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير لا يسئل انس ولا جان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون في موطن ولا يسئلون في آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم عما كانوا يعملون وقيل لا يسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل للتوبيخ (فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) بسواد وجوههم وزرقة عيونهم

والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء ﴿ فاذا انشقت السماء فكانت وردة ﴾ اي حمراء وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوي الغنائم او يموت كريم

﴿ كالدهان ﴾ مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ اي مما يكون بعد ذلك ﴿ فيومئذ ﴾ اي فيوم تنشق السماء ﴿ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان ﴾ لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ اي مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم ﴾ وهو ما يعلوهم

فاذا انشقت السماء ﴾ أي انفرجت فصارت أبوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى أهل الارض ذكر في هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة ما هو أعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى ﴿ فكانت وردة كالدهان ﴾ جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ ألوانا كألوان الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي أول الشتاء أحمر فاذا اشتد البرد صار أغبر فشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه وقيل كالدهان أي كعصير الزيت لانه يتلون في الساعة ألوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلها حر جهنم وقيل كالدهان أي كالاديم الاحمر ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان ﴾ قيل لا يسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبتها الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لا تسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن عباس أيضا في الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسئل في بعضها ولا يسئل في بعضها وعن ابن عباس أيضا قال لا يسئلون سؤال شفقة ورحمة انما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم ﴾

فاذا انشقت السماء) بنزول الملائكة وهيبة الرب (فكانت وردة) فصارت ملونة (كالدهان) كألوان الدهن ويقال وردة كألوان الورد ويقال كالاديم المغربي أي حمرة مع السواد (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ) وهو يوم القيامة بعد الفراغ من الحساب (يعني) (لا يسئل عن ذنبه) عن عمله (انس ولا جن) المؤمن يعرف ببياض وجهه أغر محجل ويقال لا يسئل عن ذنب الانس الجن وعن ذنب الجن الانس (فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) المشركون بسواد وجوههم وزرقة أعينهم

تكذبان يامعشر الجن والانس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا) أي ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هربا من قضائي فاخرجوا ثم قال (لاتنفذون) لاتقدرون على النفوذ (الابسلطان) بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن قوتهم للحساب غدا بالعجز عن نفوذ الاقطار اليوم وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحدق بهم الملائكة فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احتاطت به (فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار) وبكسر الشين مكي وكلاهما اللهب الخالص (ونحاس) أي دخان ونحاس مكي وأبو عمرو فالرفع عطف على شواظ والجر على نار والمعنى اذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقكم الى المحشر (فلا تنتصران) فلا تمتنعان منهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان

تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ﴾ ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه ﴿ فانفذوا ﴾ اى فاخرجوا ﴿ لاتنفذون ﴾ لاتقدرون على النفوذ ﴿ الابسلطان ﴾ الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك اوان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا مافى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لاتنفذون ولاتعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فينفذون بها الى مافوق السموات العلى ﴿ يرسل عليكما شواظ ﴾ لهب ﴿ من نار ونحاس ﴾ ودخان قال

تضئ كضوء سراج السليط ٭ لم يجعل الله فيه نحاسا

اوصفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابوعمرو ويعقوب فى رواية وقرئ نحس وهو جمع كصحف ﴿ فلا تنتصران ﴾ فلا تمتنعان ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع

تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا ﴾ أى تخرجوا ﴿ من اقطار السموات والارض ﴾ أى جوانبهما وأطرافهما ﴿ فانفذوا ﴾ أى فاخرجوا والمعنى ان استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها فحيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لايقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكى ومن سمائى وأرضى فافعلوا وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لانهم أقدر على النفوذ والهرب من الانس وأقوى على ذلك ٭ ثم قال تعالى ﴿ لاتنفذون الابسلطان ﴾ يعنى لاتقدرون على النفوذ الابقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك لانكم حيثما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وقال ابن عباس معناه ان استطعتم أن تعلموا مافى السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الابسلطان أى بينة من الله تعالى ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادى يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض الآية فذلك قوله تعالى ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ﴾ قال أكثر المفسرين هو اللهب الذى لادخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار ﴿ ونحاس ﴾ قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود والنحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز أن يرسلا معا من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر ﴿ فلا تنتصران ﴾ أى فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان

تكذبان) ويقول لكم (يامعشر الجن والانس ان استطعتم) قدرتم (أن تنفذوا) تخرجوا (من أقطار) أطراف (السموات والارض) وصفوف الملائكة (فانفذوا) فاخرجوا وفروا (لاتنفذون) لاتقدرون ان تخرجوا (الابسلطان) بعذر وحجة (فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما) اذا خرجتم من القبور أيها الجن والانس (شواظ) لهب (من نار) لادخان لها (ونحاس) دخان يسوقكما الى المحشر (ولا تنتصران) فلا تمتنعان من السوق (فبأى آلاء ربكما تكذبان

فاصبح من النادمين وقد صح الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس الانسان الا ما سعى فبلا [illegible] [illegible] الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة فى [illegible] الامم [illegible] ندم [illegible] ولكن على حمله وكذا قيل [illegible] الامامى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل يوم هو فى شأن فانها شؤن يبديها لاشؤن يبتديها فقام عبدالله وقبل رأسه وسوغ خراجه (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل مايشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤن الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الاشأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل سيفرغ حمزة وعلى أى الله تعالى (أيه الثقلان) الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض (فبأى آلاء ربكما

(فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) سنحفظ عليكم أعمالكم فى الدنيا ونحاسبكم بها يوم القيامة (أيه الثقلان) الجن والانس (فبأى آلاء ربكما (تكذبان)

لقول اليهود ان الله تعالى لايقضى يوم السبت شيأ ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ اى مما يسعف به سؤالكما او ما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا ﴿سنفرغ لكم ايه الثقلان﴾ اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لايفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشئ كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض اولرزانة رأيهما وقدرهما او لانهما مثقلان بالتكليف ﴿فبأى آلاء ربكما

عانيا ويفرج عن مكروب ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى مالايحصى من أفعاله واحداثه فى خلقه مايشاء سبحانه وتعالى * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شأن قال سفيان بن عيينة الدهر كله عندالله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة والشأن الذى هو فى اليوم الذى هو مدة أيام الدنيا الاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب مايكون فى كل يوم وقدر ماهو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده فى ذلك الوقت وقال أبو سليمان الدارانى فى هذه الآية له فى كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل شأنه تعالى انه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيه الثقلان﴾ قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغا عن شغل لان الله تعالى لايشغله شأن من شأن فهو كقول القائل لمن يريد تهديده لأتفرغن لك ومابه شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ فى أمركم فهو كقول القائل الذى لاشغل له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ماوعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل وأراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقل على الارض أحياء وأمواتا وقيل كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمى الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب ﴿فبأى آلاء ربكما

ذاته (ذوالجلال) ذوالعظمة والسلطان وهوصفة الوجه (والاكرام) بالتجاوز والاحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله وفي الحديث ألظوابيا ذا الجلال والاكرام وروى انه عليه السلام مر برجل وهويصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيي بن معاذ حبذا الموت فهو الذى يقرب الحبيب الى الحبيب (يسئله من فى السموات والارض) وقف عليها نافع كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات مايتعلق بدينهم وأهل الارض مايتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب (كل يوم) ظرفا بما دل عليه (هو فى شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أهوالا كماروى انه عليه السلام تلاها فقيل له وما ذلك

الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عندالله يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لايقضى يوم السبت شأنا وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يامولاى اخبرنى ماأصابك لعل الله يسهل لك على يدى فاخبره فقال أنا أفسرها للملك فاعلمه فقال أيها الملك شأن الله انه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافى ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يامولاى هذا من شان الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبدالله ابن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله

وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الاوجه الله تعالى اى الوجه الذى يلى جهته ﴿ ذوالجلال والاكرام ﴾ ذوالاستغناء المطلق والفضل العام ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ مما ذكرنا قبل اى من بقاء الرب وابقاء مالايحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا اومما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم ﴿ يسئله من فى السموات والارض ﴾ فانهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر مايهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال مايدل على الحاجة الى تحصيل الشئ نطقا كان اوغيره ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهورد

يعنى ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفى المخاطب وجهان أحدهما انه كل واحد والمعنى يبقى وجه ربك أيها الانسان السامع والوجه الثانى انه يحتمل ان الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ذوالجلال ﴾ أى ذوالعظمة والكبرياء ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه ﴿ والاكرام ﴾ أى المكرم لانبيائه وأوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوابيا ذاالجلال والاكرام أخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها * قوله تعالى ﴿ يسئله من فى السموات والارض ﴾ يعنى من ملك وانس وجن فلا يستغنى عن فضله أهل السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسئلونه المغفرة وأهل الارض يسئلونه الرزق والمغفرة وقيل كل أحد يسئله الرحمة ومايحتاج اليه فى دينه أودنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل مايحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لايقضى يوم السبت شيأ قال المفسرون من شأنه أنه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا ويمرض صحيحا ويفك

(ذوالجلال) ذوالعظمة والسلطان (والاكرام) التجاوز والاحسان (فبأى آلاء ربكما تكذبان يسئله من فى السموات) من الملائكة (والارض) من المؤمنين فاهل الارض يسئلونه المغفرة والتوفيق والعصمة والكرامة والرزق (كل يوم هو فى شأن) منه شأن شأنه ان يحيي ويميت ويعز ويذل ويولد مولودا ويفك أسيرا وشأنه أكثر من ان يحصى

البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله وقيل لايخرجان الامن ملتقى الملح والعذب (فباى آلاء ربكما تكذبان وله) ولله (الجوار) السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وان وقف عليها بغيرياء فذا جائز على بعد ولكن بروم الكسر فى الراء ليدل على حذف الياء (المنشآت) المرفوعات الشرع المنشآت بكسر الشين حمزة ويحيي الرافعات الشرع أواللاتى ينشئن الامواج بجريهن (فى البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) على الارض (فان ويبقى وجه ربك)

حديهما باغراق مابينهما ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب اولانهما لمااجتمعا صارا كالشئ الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابوعمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان ﴿ وله الجوار ﴾ السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقول الشاعر

لها ثنايا اربع حسان • واربع فكلها ثمان

﴿ المنشآت ﴾ المرفوعات الشرع اوالمصنوعات وقرأ حمزة وابوبكر بكسر الشين اى الرافعات الشرع اواللاتى ينشئن الامواج اوالسير ﴿ فى البحر كالاعلام ﴾ كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لايقدر على خلقها وجمعها غيره ﴿ كل من عليها ﴾ من على الارض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب اومن الثقلين ﴿ فان ويبقى وجه ربك ﴾ ذاته ولواستقريت جهات الموجودات وتفحصت

﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما ﴾ قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل أراد يخرج من أحدهما فحذف المضاف وقيل لماالتقى البحران فصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولايخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا أمطرت السماء تفتح الاصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة * وقوله تعالى ﴿ اللؤلؤ ﴾ قيل هو ماعظم من الدر ﴿ والمرجان ﴾ صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار ﴾ يعنى السفن الكبار ﴿ المنشآت ﴾ أى المرفوعات التى يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هى مارفع قلعها من السفن اما مالم يرفع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات ﴿ فى البحر كالاعلام ﴾ أى كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن فى البحر بالجبل فى البر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ * قوله عز وجل ﴿ كل من عليها ﴾ أى على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلاء ﴿ فان ﴾ أى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وماليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾

(فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) من المالح خاصة (اللؤلؤ) ماكبر (والمرجان) ماصغر منه (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت) السفن المنشآت المخلوقات المرفوعات (فى البحر كالاعلام) كالجبال اذا رفع شراعهن (يعنى) (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) على وجه الارض (فان) يموت ويقال كل من عليها فان يفنى ويقال كل من عمل لغيرالله يفنى (ويبقى وجه ربك) حى لايموت ويقال ماأبتغى به وجه ربك من الاعمال الصالحة

انه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا (وخلق الجان) أبا الجن قيل هو ابليس (من مارج) هو اللهب الصافي الذي لادخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط (من نار) هو بيان للمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرق الشمس في الصيف والشتاء ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان) أى أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين في مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لايبغيان) لايتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما على الآخر

يتخذ منه الفخار (وخلق الجان) أبا الجن والشياطين (من مارج من نار) لادخان لها (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فبأى نعماء ربكما تجاحدان (رب المشرقين) مشرق الشتاء ومشرق الصيف (ورب المغربين) مغرب الشتاء ومغرب الصيف وهما مشرقان ومغربان مشرق الشتاء ومشرق الصيف انهما مائة وثمانون منزلا وكذلك للمغربين وكذلك للقمر ويقال لمشرق الشتاء والصيف مائة وسبعة وسبعون منزلا وكذلك للمغربين تطلع الشمس في سنة يومين في منزل واحد وكذلك تغرب يومين في منزل واحد (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) أرسل البحرين العذب والمالح (يلتقيان) لايختلطان (بينهما) بين العذب والمالح (برزخ) حاجز من الله (لايبغيان) لايختلطان ولايغير كل واحد منهما طعم صاحبه

الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه ﴿وخلق الجان﴾ الجن او أبا الجن ﴿من مارج﴾ من صاف من الدخان ﴿من نار﴾ بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما في ذلك من الفوائد التي لاتحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث مايناسب كل فصل فيه الى غير ذلك ﴿مرج البحرين﴾ ارسلهما من مرجت الدابة ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذاب ﴿يلتقيان﴾ يتجاوران وتماس سطوحهما اوبحرى فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه ﴿بينهما برزخ﴾ حاجز من قدرة الله او من الارض ﴿لايبغيان﴾ لايبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية اولايتجاوزان

قداختلف العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمأ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس في هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه أولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار ﴿وخلق الجان﴾ وهو أبو الجن وقيل هو ابليس ﴿من مارج من نار﴾ يعني الصافي من لهب النار الذي لادخان فيه وقال هو مااختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا أوقدت ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين﴾ يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس ﴿ورب المغربين﴾ يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعني مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين﴾ يعني أرسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين لان من شأنهما الاختلاط وهو قوله ﴿يلتقيان﴾ لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله ﴿بينهما برزخ﴾ أى حاجز من قدرة الله ﴿لايبغيان﴾ اى يبغي أحدهما على صاحبه وقيل لايختلطان ولايتغيران وقيل لايطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام

وكفراء وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه (والحب ذو العصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حمزة وعلى أي والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الانام والرفع على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم والحب ذا العصف والريحان شامي أي وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان (فبأي آلاء) أي النعم مما عدد من أول السورة جمع ألى والى (ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين لدلالة الانام عليهما (خلق الانسان من صلصال) طين يابس له صلصلة (كالفخار) أي الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ولا اختلاف في هذا وفي قوله من حمأ مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقها معنى لانه يفيد

(والحب) الحبوب كلها (ذو العصف) ذو الورق (والريحان) السنبلة والثمر (فبأي آلاء) فبأي نعماء (ربكما تكذبان) أيها الجن والانس غير محمد عليه السلام تجحدان أنها ليست من الله وهكذا كل ما في هذه السورة (عد) من قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان (خلق الانسان) يعني آدم (من صلصال) من طين صال قد أنتن يتصلصل (كالفخار) كالذي

والثمرة ﴿ والحب ذو العصف ﴾ كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن ﴿ والريحان ﴾ يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله تعالى وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او واخص ويجوز ان يراد ذا الريحان بحذف المضاف وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان فقلب واوه ياء للتخفيف ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايه الثقلان ﴿ خلق الانسان من صلصال كالفخار ﴾ الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار

بركة ﴿ والحب ﴾ يعني جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب أنفع من النخل وأعم وجودا في الاماكن ﴿ ذو العصف ﴾ قال ابن عباس يعني التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس وقيل هو ورق كل شئ يخرج منه الحب يبدو صلاحه ولا ورق وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث في الاكمام الحب ﴿ والريحان ﴾ يعني الرزق قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ريحان في القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ يعني أيها الثقلان يريد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة في احدو ثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن أحسن اليه وتابع اليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب حسن تقريرا وذلك لان الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والانس فقال فبأي آلاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم ✲ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشئ من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره كانوا أحسن منكم ردا وفيه ولا بشئ ✲ قوله تعالى ﴿ خلق الانسان من صلصال ﴾ يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت عند اذا نقر ﴿ كالفخار ﴾ يعني الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ✲ فان قلت

بالوحى على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) أى كل ماتوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا على الارض حيث علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم (ألا تطغوا ﴿١٣٧﴾ فى الميزان) لئلا ﴿ سورة الرحمن ﴾ تطغوا أوهى ان المفسرة (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولاتنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ماعلى ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) هى أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف أوكل مايكم أى يغطى من ليفه وسعفه

خلقهامرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ أقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿ ووضع الميزان ﴾ العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض اومايعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة التى هى من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها ممايظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب ﴿ أن لاتطغوا فى الميزان ﴾ لان لاتطغوا فيه اى لاتعتدوا ولاتجاوزوا الانصاف وقرئ لاتطغوا على ارادة القول ﴿ واقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان ﴾ ولاتنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة فى التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولاتخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولاتخسروا فى الميزان فحذف الجار واوصل الفعل ﴿ والارض وضعها ﴾ خفضها مدحوة ﴿ للانام ﴾ للخلق وقيل الانام كل ذى روح ﴿ فيها فاكهة ﴾ ضروب مما يتفكه به ﴿ والنخل ذات الاكمام ﴾ اوعية التمر جمع كم او كل مايكم اى يغطى من ليف وسعف و كفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار

﴿ ووضع الميزان ﴾ قيل أراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى انه أمر بالعدل يدل عليه قوله ﴿ ألا تطغوا فى الميزان ﴾ أى لاتجاوزوا العدل وقيل أراد به الآلة التى يوزن بها للتوصل الى الانصاف والانتصاف وأصل الوزن التقدير ان لاتطغوا فى الميزان أى لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق فى الميزان ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ﴾ أى بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ﴿ ولاتخسروا ﴾ أى لاتنقصوا ﴿ الميزان ﴾ أى لاتطففوا فى الكيل والوزن أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه ﴿ والارض وضعها ﴾ أى خفضها مدحوة على الماء ﴿ للانام ﴾ أى للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ماظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها ﴿ فيها ﴾ أى فى الارض ﴿ فاكهة ﴾ أى من أنواع الفاكهة وقيل مايتفكهون به من النعم التى لاتحصى ﴿ والنخل ذات الاكمام ﴾ يعنى الاوعية التى يكون فيها التمر لان ثمر النخل يكون فى غلاف وهو الطلع مالم ينشق وكل شئ ستر شيأ فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانه أعظمها وأكثرها

(ووضع الميزان) فى الارض بين العدل بالميزان (ألا تطغوا) ألا تجوروا ولا تميلوا (فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط) لسان الميزان بالعدل ويقال لسان أنفسكم بالصدق (ولا تخسروا الميزان) لاتنقصوا الميزان ﴿ قا وخا ١٨ س ﴾ فتذهبوا بحقوق الناس (والارض وضعها) بسطها على الماء (للانام) للخلق كلها الاحياء والاموات منهم (فيها) فى الارض (فاكهة) ألوان الفاكهة (والنخل) ألوان النخل (ذات الاكمام) ذات الغلف والكفرى مالم تنشق فهى كم

وأقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحى الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الانسان من أجله عليه ثم ذكر ما تميزه عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل أحد باحد فما تنكر من احسانه (الشمس والقمر بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى يجريان فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب (والنجم) النبات الذى ينجم من الارض لا ساق له كالبقول (والشجر) الذى له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوى لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف فى الجمل الاول ثم جئ به بعد لان الاول وردت على سبيل التعديد تبكيتا لمن أنكر آلاءه كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله لتناسب والتقارب بالعطف وبيان التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون {ووضع}

عما فى الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقى الوحى وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التى هى اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعداد ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ يجريان بحساب معلوم مقدر فى بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب ﴿والنجم﴾ النبات الذى ينجم اى يطلع من الارض ولا ساق له ﴿والشجر﴾ الذى له ساق ﴿يسجدان﴾ ينقادان الله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم فى الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما فى اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما فى الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره ﴿والسماء رفعها﴾

يعنى أسماء كل شئ وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أى النطق الذى يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به وقيل أراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعنى بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يتعديانها وقيل يعنى بهما حساب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور الحجر بدورانه ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى فى الشتاء وسجودهما سجود ظلهما وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول أظهر لانه ذكره مع الشجر فى مقابلة الشمس والقمر ولانهما أرضيان فى مقابلة سمائيين ﴿والسماء رفعها﴾ أى فوق الارض

الشمس والقمر يجريان بحساب منازلهما لا يعدوانها وهما معلقان بين السماء والارض ويقال عليهما حساب ولهما آجال كآجال الناس (والنجم والشجر يسجدان) للرحمن والنجم ما انبسطت الارض وهو كل نبت لا يقوم على الساق والشجر ما يقوم على الساق (والسماء رفعها)

وكرامة لامسافة ومماسة (مقتدر) قادر وفائدة التنكير فيها ان يعلم ان لاشئ الاهو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شئ قدير ﴿سورة الرحمن ١٣٥ جل وعلا وهى ست {سورة الرحمن} وسبعون آية﴾

مقتدر ﴾ مقربين عند من تعالى امره فى الملك والاقتدار بحيث ابهم ذووالافهام * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

﴿ سورة الرحمن مكية اومدنية اومتبعضة وآيها ست وسبعون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ماهو اصل النعم الدنيوية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحى واعز الكتب اذهو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله ﴿ خلق الانسان علمه البيان ﴾ ايماء بان خلق البشر وماعيزبه عن سائر الحيوان من البيان وهوالتعبير

قرب المنزلة والتشريف لامعنى المكان ﴿ مقتدر ﴾ أى قادر لايعجزه شئ وقيل مقربين عند مليك أمره فى الملك والاقتدار أعظم شئ فلاشئ الاوهو تحت ملكه وقدرته فاى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلايقعد فيه الاأهل الصدق والله أعلم

﴿ تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل وهى مكية ﴾

﴿ وذكر ابن الجوزى انها مدنية فى قول من قولين ﴾

﴿ عن ابن عباس وهى ست وسبعون آية ﴾

﴿ وثلاثمائة واحدى وخمسون كلمة والف ﴾

﴿ وستمائة وستة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة ومالرحمن فانكروه وقالوا لانعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعنى الذى أنكرتموه هوالذى علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعنى علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عزوجل عدد نعمه على عباده فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهوالقرآن العزيز لانه أعظم وحى الله الى أنبيائه وأشرفه منزلة عند أوليائه واصفيائه وأكثره ذكرا وأحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية ﴿ خلق الانسان ﴾ يعنى آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس ﴿ علمه البيان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الرحمن علم القرآن خلق الانسان) أى الجنس أو آدم أو محمدا عليهما السلام (علمه البيان) عدد الله عزوجل آلاءه فاراد ان يقدم أول شئ ماهو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ماهو سنام فى أعلى مراتبها

(مقتدر) قادر بالثواب والعقاب على عباده ﴿ ومن السورة التى تذكر فيها الرحمن وهى كلها مكية آياتها ست وسبعون وكلماتها ثلاثمائة واحدى وخمسون وحروفها ألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن قال كفار مكة أبو جهل والوليد وعتبة وشيبة وأصحابهم مانعرف الرحمن الامسيلمة الكذاب الذى يكون باليمامة فمن الرحمن يامحمد فانزل الله (الرحمن علم القرآن)

جبريل وجبريل محمدا ومحمد أمته معناه بعث الله جبريل بالقرآن الى محمد صلى الله عليه وسلم ومحمدا الى أمته (خلق الانسان) يعنى آدم من أديم الارض (علمه البيان) ألهمه الله بيان كل شئ وأسماء كل دابة تكون على وجه الارض

(وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة أي وما أمرنا لشئ نريد تكوينه الا أن نقول له كن فيكون (كلمح بالبصر)
على قدر ما يلمح أحدكم ببصره وقيل المراد بامرنا القيامة كقوله وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم)
أشباهكم في الكفر من الامم (فهل من مدكر) متعظ (وكل
شئ فعلوه) أي أولئك الكفار أي وكل شئ مفعول لهم ثابت (في الزبر) في دواوين الحفظة ففعلوه في موضع جر نعت لشئ وفي الزبر خبر لكل (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ماهو كائن (مستطر) مسطور في اللوح (ان المتقين في جنات ونهر) وأنهارا اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار (في مقعد صدق) في مكان مرضى (عند مليك) عنده منزلة

(وما أمرنا) بقيام الساعة (الا واحدة) كلمة واحدة لاتثنى (كلمح بالبصر) في السرعة كطرف البصر ويقال انا كل شئ خلقنا بقدر يقول خلقنا لكل شئ شكله وما يوافقه من الثياب والمتاع (ولقد أهلكنا أشياعكم) أهل دينكم وأشباهكم ياأهل مكة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ بما صنع بهم فيترك المعصية (وكل شئ فعلوه) في الشرك بالله من المعصية والجفاء بالانبياء (في الزبر) في الكتب مكتوب ويقال
في اللوح المحفوظ نزلت هذه الآية في أهل القدر أيضا (وكل صغير وكبير) من الخير والشر (مستطر) مكتتب ﴿ قرب ﴾
في اللوح المحفوظ نزلت هذه الآية أيضا في أهل القدر وجحدوا ذلك (ان المتقين) الكفر والشرك والفواحش (في جنات)
بساتين (ونهر) أنهار كثيرة ويقال في رياض وسعة (في مقعد صدق) في ارض كريمة أرض الجنة (عند مليك) ملك عليهم

﴿ وما أمرنا الا واحدة ﴾ الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة اوالا كلمة واحدة وهو قوله كن ﴿ كلمح بالبصر ﴾ في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ﴿ ولقد اهلكنا اشياعكم ﴾ اشباهكم في الكفر ممن قبلكم ﴿ فهل من مدكر ﴾ متعظ ﴿ وكل شئ فعلوه في الزبر ﴾ مكتوب في كتب الحفظة ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ من الاعمال ﴿ مستطر ﴾ مسطور في اللوح ﴿ ان المتقين في جنات ونهر ﴾ انهار واكتفى باسم الجنس اوسعة اوضياء من النهار وقرئ بضم الهاء جمع نهر كأسد واسد ﴿ في مقعد صدق ﴾ في مكان مرضى وقرئ مقاعد صدق ﴿ عند مليك

معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل أي يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل القدر فان ذلك أزلي لا أول له • وقوله وعرشه على الماء أي قبل أن يخلق السموات والارض • وقوله كل شئ بقدر حتى العجز والكيس أو قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه • قوله تعالى ﴿ وما أمرنا الا واحدة ﴾ أي وما أمرنا الامرة واحدة وقيل معناه وما أمرنا للشئ اذا أردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لامراجعة فيه فعلى هذا اذا أراد الله سبحانه وتعالى شيأ قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء • وقوله واحدة فيه بيان انه لاحاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر ﴿ كلمح بالبصر ﴾ قال ابن عباس يريد ان قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر وعن ابن عباس أيضا معناه وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة الا كطرف البصر ﴿ ولقد أهلكنا أشياعكم ﴾ أي أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الامم السالفة ﴿ فهل من مدكر ﴾ أي متعظ بان ذلك حق فيخاف ويعتبر ﴿ وكل شئ فعلوه ﴾ يعني الاشياع من خير وشر ﴿ في الزبر ﴾ أي في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ أي من الخلق وأعمالهم وآجالهم ﴿ مستطر ﴾ أي مكتوب • قوله عز وجل ﴿ ان المتقين في جنات ﴾ أي بساتين ﴿ ونهر ﴾ أي أنهار وانما وحده لموافقة رؤس الآي وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه في ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لاليل عندهم ﴿ في مقعد صدق ﴾ أي في مجلس حق لالغو فيه ولا تأثيم وقيل في مجلس حسن وقيل في مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق ﴿ عند مليك ﴾ قيل معناه

النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود

يتقدم علمه بها وأنها مستأنفة العلم أى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال أصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية فى الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا * وحكى أبو محمد بن قتيبة فى كتابه غريب الحديث وأبو المعالى امام الحرمين فى كتابه الارشاد فى أصول الدين ان بعض القدرية قالوا لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان أهل الحق يفوضون أمورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى أنفسهم ومدعى الشئ لنفسه ومضيفه اليها أولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى أهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه أبو داود فى سننه والحاكم أبو عبد الله فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابى حازم عن ابن عمر وقال الخطابى انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس لقولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شئ الخير والشر جميعا لا يكون شئ منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابى وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد وقهره على ماقدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء فى هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات أى خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين أحسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية والله أعلم * وأما معانى الاحاديث المتقدمة * فقوله جاء مشركو قريش الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ماقدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر فى الازل

بفعل يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لانعتا ليطابق المشهورة فى الدلالة على ان كل شئ مخلوق بقدر ولعل اختيار

قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء (م) عن ابى هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت عبدالله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس اوالكيس والعجز * عن على ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لااله الاالله و انى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذى * وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لانعرفه الامن حديث عبدالله بن ميمون وهو منكر الحديث * وفى حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية * عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لاقدر من مات منهم فلاتشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلاتعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابوداود * وله عن ابى هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولاتفاتحوهم فى الكلام * وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتى ليس لهما فى الاسلام نصيب المرجئة والقدرية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا فينادى نداء يسمعه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقرانا كل شئ خلقناه بقدر قال ابن الجوزى وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون فى انه لايجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لوان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له ذق مس سقرانا كل شئ خلقناه بقدر * قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله اعلم أن مذهب أهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ماقدرها الله تعالى وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم

فيكون الخلق عاما لكل شئ وهو المراد بالآية ولا يجوز فى النصب أن يكون خلقناه صفة لشئ لانه تفسير الناصب والصفة لاتعمل فى الموصوف و لقدر والقدر التقدير أى بتقدير سابق أو خلقنا كل شئ مقدرا محكما مرتبا على حسب مااقتضته الحكمة أومقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال أبوهريرة جاء مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت الآية وكان عمر يحلف انها نزلت فى القدرية

(يتقدم)

علامات النبوة (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم بعد بدر (والساعة أدهى) أشد من موقف بدر والداهية الامر المنكر الذى لايهتدى لدوائه (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا أو أشد من المرة (ان المجرمين فى ضلال) عن الحق فى الدنيا (وسعر) ونيران فى الآخرة أو فى هلاك ونيران (يوم يسحبون فى النار) يجرون فيها (على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقوله وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا أصابتهم بحرها فكأنها تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتأنيث والتعريف لانها علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب أولى لانه لو رفع لامكن أن يكون خلقناه فى موضع الجر وصفا لشئ ويكون الخبر مقدرا وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل ان يكون خلقناه هو الخبر وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر فى الرفع عدل الى النصب وتقديره انا خلقنا كل شئ بقدير

عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ماهى فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته ﴿ بل الساعة موعدهم ﴾ موعد عذابهم الاصلى ومايحيق بهم فى الدنيا فمن طلائعه ﴿ والساعة ادهى ﴾ اشد والداهية امر فظيع لايهتدى لدوائه ﴿ وامر ﴾ مذاقا من عذاب الدنيا ﴿ ان المجرمين فى ضلال ﴾ عن الحق فى الدنيا ﴿ وسعر ﴾ ونيران فى الآخرة ﴿ يوم يسحبون فى النار على وجوههم ﴾ يجرون عليها ﴿ ذوقوا مس سقر ﴾ اى يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته ﴿ انا كل شئ خلقناه بقدر ﴾ اى انا خلقنا كل شئ مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه وكل شئ منصوب

ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد هذا اليوم أبدا فاخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يارسول الله فقد الححت على ربك فخرج وهو فى الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لاأدرى أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها بل الساعة موعدهم يعنى جميعا والساعة أدهى وأمر أى اعظم داهية واشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر ❊ قوله عز وجل ﴿ ان المجرمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ فى ضلال وسعر ﴾ قيل فى بعد عن الحق وسعر اى نار تسعر عليهم وقيل فى ضلال فى الدنيا ونار مسعرة فى الآخرة وقيل فى ضلال اى عن طريق الجنة وسعر اى عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى ﴿ يوم يسحبون ﴾ اى يجرون ﴿ فى النار على وجوههم ﴾ ويقال لهم ﴿ ذوقوا مس سقر ﴾ اى ذوقوا ايها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر ﴿ انا كل شئ خلقناه بقدر ﴾ اى مقدور مكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شئ من خلقه قدره الذى ينبغى له وقال ابن عباس كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك

فصل

فى سبب نزول الآية وماورد فى القدر وماقيل فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها

(بل الساعة) بل قيام الساعة (موعدهم) بالعذاب (والساعة) بالعذاب (أدهى) أعظم (وأمر) أشد من عذاب يوم بدر (ان المجرمين) المشركين أبا جهل وأصحابه (فى ضلال) فى خطأ بين فى الدنيا (وسعر) تعب وعناء فى النار (يوم) وهو يوم القيامة (يسحبون) يجرون (فى النار) بجرهم الزبانية (على وجوههم) الى النار فتقول لهم الزبانية (ذوقوا مس سقر) عذاب سقر (انا كل شئ) من أعمالكم (خلقناه بقدر) فجحدتم ذلك نزلت هذه الآية فى أهل القدر

نبأ من أنباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تيقظا وانتباها اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم التكرير فى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان (ولقد جاء آل فرعون النذر) موسى وهرون وغيرهما من الانبياء أوهو جمع نذير وهو الانذار (كذبوا بآياتنا كلها) بالآيات التسع (فاخذناهم أخذ عزيز) لايغالب (مقتدر) لايعجزه شئ (أكفاركم) ياأهل مكة (خير من اولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أى أهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا أوأقل كفرا وعنادا يعنى ان كفاكم مثل اولئك بل شر منهم (أم لكم براءة فى الزبر) أم أنزلت اليكم ياأهل مكة براءة فى الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (أم يقولون نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لانرام ولانضام (سيهزم الجمع) جمع أهل مكة (ويولون الدبر) اى الادبار كما قالوا كلوا فى بعض بطنكم تعفوا اى ينصرفون منهزمين يعنى يوم بدر وهذه من

(ولقد جاء آل فرعون النذر) الى فرعون وقومه موسى وهرون (كذبوا بآياتنا كلها) التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) منيع قوى بالعقوبة ﴿ووعدك﴾ (مقتدر) قادر بالعذاب (أكفاركم) يامحمد ويقال ياأهل مكة (خير من أولئكم) من الذين قصصنا عليكم (أم لكم براءة فى الزبر) نجاة فى الكتب من العذاب (أم يقولون) كفار مكة (نحن جميع منتصر) ممتنع من العذاب (سيهزم الجمع) جمع الكفار يوم بدر (ويولون الدبر) منهزمين يعنى أبا جهل وأصحابه فمنهم من قتل يوم بدر ومنهم من هزم

كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ﴾ اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك ﴿ كذبوا بآياتنا كلها ﴾ يعنى الآيات التسع ﴿ فاخذناهم اخذ عزيز ﴾ لايغالب ﴿ مقتدر ﴾ لايعجزه شئ ﴿ أكفاركم ﴾ يامعشر العرب ﴿ خير من اولئكم ﴾ الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله تعالى ﴿ أم لكم براءة فى الزبر ﴾ أم انزل لكم فى الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو فى امان من عذاب الله ﴿ أم يقولون نحن جميع ﴾ جماعة امرنا مجتمع ﴿ منتصر ﴾ ممتنع لانرام اومنتصرين من الاعداء لانغلب اومتناصرين ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ اى الادبار وافراده لارادة الجنس اولان كل احد يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضى الله

﴿ قوله عزوجل ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ﴾ يعنى موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التى أنذرهم بها موسى ﴿ كذبوا بآياتنا كلها ﴾ يعنى الآيات التسع ﴿ فأخذناهم ﴾ أى بالعذاب ﴿ أخذ عزيز مقتدر ﴾ أى غالب فى انتقامه قادر على اهلاكهم لايعجزه عما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى ﴿ أكفاركم خير من أولئكم ﴾ يعنى أقوى وأشد من الذين أحللت بهم نقمتى مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام انكار أى ليسوا باقوى منهم ﴿ أم لكم براءة ﴾ يعنى من العذاب ﴿ فى الزبر ﴾ أى فى الكتب انه لن يصيبكم ماأصاب الامم الخالية ﴿ أم يقولون ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ نحن جميع ﴾ أى أمرنا ﴿ منتصر ﴾ أى من أعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآى وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم أى كل واحد منهم عالم قال الله تعالى ﴿ سيهزم الجميع ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ ويولون الدبر ﴾ أى الادبار فوحد لاجل رؤس الآى وقيل فى الافراد اشارة الى انهم فى التولية والهزيمة كنفس واحدة فلايتخلف أحد عن الهزيمة ولايثبت أحد للزحف فهم فى ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة يوم بدر اللهم انى أنشدك عهدك

آمن معه (نجيناهم بسحر) من الاسحار واذا صرفه ويقال لقيته بسحر اذا لقيته فى سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نعمة) مفعول له أى انعاما (من عندنا كذلك نجزى من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) أى لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أعميناهم وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لايرى لها شق روى انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذاقوا على ألسنة الملائكة (عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة) أول النهار (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضى بهم الى عذاب الآخرة وفائدة تكرير (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) أن يجددوا عند استماع كل

نجيناهم بسحر ﴾ فى سحر وهو آخر الليل او مسحرين ﴿ نعمة من عندنا ﴾ انعاما منا وهو علة لنجينا ﴿ كذلك نجزى من شكر ﴾ نعمتنا بالايمان والطاعة ﴿ ولقد انذرهم ﴾ لوط ﴿ بطشتنا ﴾ اخذتنا بالعذاب ﴿ فتماروا بالنذر ﴾ فكذبوا بالنذر متشاكين ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ قصدوا الفجور بهم ﴿ فطمسنا اعينهم ﴾ فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرائيل صفقة فاعماهم ﴿ فذوقوا عذابى ونذر ﴾ فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال ﴿ ولقد صبحهم بكرة ﴾ وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين ﴿ عذاب مستقر ﴾ يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار ﴿ فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ كرر ذلك فى كل قصة اشعارا بان تكذيب

وابنتيه ﴿ نجيناهم ﴾ يعنى من العذاب ﴿ بسحر نعمة من عندنا ﴾ اى جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم ﴿ كذلك نجزى ﴾ أى كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزى ﴿ من شكر ﴾ يعنى ان من وحد الله لم يعذبه مع المشركين ﴿ ولقد أنذرهم ﴾ أى لوط ﴿ بطشتنا ﴾ يعنى أخذنا اياهم بالعقوبة ﴿ فتماروا بالنذر ﴾ أى شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ أى طلبوا منه أن يسلم اليهم أضيافه ﴿ فطمسنا أعينهم ﴾ وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب وأخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم أى صيرناها كسائر الوجه لايرى لها شق وقيل طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا فلم يروهم ﴿ فذوقوا عذابى ونذر ﴾ يعنى ما أنذركم به لوط من العذاب ﴿ ولقد صبحهم بكرة ﴾ أى جاءهم وقت الصبح ﴿ عذاب مستقر ﴾ أى دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم الى عذاب الآخرة ﴿ فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾

(نجيهم بسحر) عند السحر (نعمة) رحمة (من عندنا كذلك) هكذا (نجزى من شكر) من وحد وشكر نعمة الله بالنجاة (ولقد أنذرهم) خوفهم لوط (بطشتنا) عذابنا (فتماروا بالنذر) فجحدوا بالرسل أى كذبوا لوطا بما قال لهم (ولقد راودوه عن ضيفه) أرادوا أضيافه جبريل ومن معه (قا و خا ١٧ س) من الملائكة بعملهم الخبيث (فطمسنا) ففقأنا (أعينهم) أعمى جبريل أعينهم (فذوقوا عذابى ونذر) فقلت لهم ذوقوا عذابى ونذر منذرى (ولقد صبحهم) أخذهم (بكرة) وهى طلوع الفجر (عذاب مستقر) دائم موصول بعذاب الآخرة (فذوقوا عذابى ونذر) فقلت لهم ذوقوا عذابى ونذر منذرى من أنذرهم لوط فلم يؤمنوا (ولقد يسرنا القرآن) هونا القرآن (للذكر) للحفظ والقراءة والكتابة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ بما صنع بقوم لوط فيترك المعصية

لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب محتضر) محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له (فعقر) الناقة أو فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف وانما قال فعقروا الناقة فى آية أخرى لرضاهم به أو لانه عقر بعونتهم (فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم) فى اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم) على قوم لوط (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (الا آل لوط) ابنتيه ومن

لتغليب العقلاء ﴿كل شرب محتضر﴾ يحضره صاحبه فى نوبته او يحضر عنه غيره ﴿فنادوا صاحبهم﴾ قدار بن سالف احيمر ثمود ﴿فتعاطى فعقر﴾ فاجترأ على تعاطى قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف ﴿فكيف كان عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ صيحة جبرائيل ﴿فكانوا كهشيم المحتظر﴾ كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها اوكالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا﴾ ريحا حاصبا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم ﴿الا آل لوط

للعقلاء ﴿كل شرب﴾ أى نصيب من الماء ﴿محتضر﴾ أى يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعنى يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن ﴿فنادوا صاحبهم﴾ يعنى قدار بن سالف ﴿فتعاطى﴾ أى فتناول الناقة بسيفه ﴿فعقر﴾ يعنى الناقة ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ ثم بين عذابهم فقال تعالى ﴿انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ يعنى صيحة جبريل ﴿فكانوا كهشيم المحتظر﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالى الذى يهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر اذا بلى وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ قوله تعالى ﴿كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا﴾ يعنى الحصباء وهى الحجارة التى دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامى فعلى هذا يكون المعنى انا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أى يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى ﴿الا آل لوط﴾ يعنى لوطا

(كل شرب محتضر) كل شارب لحضور صاحبه فأخبرهم صالح فرضوا بذلك ومكثوا على ذلك زمانا فغلب عليهم الشقاء (فنادوا صاحبهم) نادى مصدع وقدار بن سالف بعد مارماها مصدع بن دهر بسهم (فتعاطى) فتناول قدار بسهم آخر (فعقر) فقتلوا الناقة وقسموا لحمها (فكيف كان عذابى ونذر) فانظر يا محمد كيف كان عذابى عليهم وكيف كان حال منذرى لمن أنذرهم صالح فلم يؤمنوا (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) أى صيحة جبريل بالعذاب بعد ثلاثة أيام من قتل الناقة (فكانوا كهشيم المحتظر) فصاروا كالشئ الذى داسته الغنم فى الحظيرة (ولقد يسرنا القرآن) هونا القرآن (للذكر) للعظة والحفظ والقراءة (فهل من مدكر) فهل من متعظ فيتعظ بما صنع بقوم صالح فيترك المعصية ويقال فهل من طالب علم فيعان عليه (كذبت قوم لوط بالنذر) لوطا وجملة الرسل (انا أرسلنا) أنزلنا (عليهم حاصبا) حجارة (الا آل لوط) الا على لوط وابنتيه زاعورا وريثا (وابنتيه)

فاقلوا أبشرا منا واحدا) انتصب بشرا بفعل يفسره (نتبعه) تقديره أنتبع بشرا منا واحدا (انا اذا لفى ضلال وسعر) كان يقول ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم أبشرا انكار لان تتبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا أن يكون من الملائكة فقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا أو ارادوا واحدا من افنائهم وليس من اشرفهم وافضلهم ويدل عليه قوله (أألقى الذكر عليه من بيننا) اى أنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (بل هو كذاب أشر) بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) أصالح أم من كذبه ستعلمون شامى وحمزة على حكاية ماقال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات (انا مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء وهو مفعول له أو حال (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ماهم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك امرى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم بينهم

والمواعظ او الرسل ﴿فقالوا أبشرا منا﴾ من جنسنا او من جملتنا لافضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام ﴿واحدا﴾ منفردا لاتبع له اومن آحادهم دون اشرافهم ﴿نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر﴾ جمع سعير كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه مارتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة ﴿أألقى الذكر﴾ الكتاب والوحى ﴿عليه من بيننا﴾ وفينا من هو احق منه بذلك ﴿بل هو كذاب أشر﴾ حمله بطره على الترفع علينا بادعائه ﴿سيعلمون غدا﴾ عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة ﴿من الكذاب الاشر﴾ الذى حمله أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح ام من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ماجابهم به صالح وقرئ الاشر كحذر فى حذر والاشر اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير ﴿انا مرسلوا الناقة﴾ مخرجوها وباعثوها ﴿فتنة لهم﴾ امتحانا لهم ﴿فارتقبهم﴾ فانتظرهم وتبصر مايصنعون ﴿واصطبر﴾ على اذاهم ﴿ونبئهم ان الماء قسمة بينهم﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم

﴿فقالوا أبشرا منا واحدا﴾ يعنى آدميا واحدا منا ﴿نتبعه﴾ أى ونحن جماعة كثيرون ﴿انا اذا لفى ضلال﴾ أى خطأ وذهاب عن الصواب ﴿وسعر﴾ قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفى عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفى جنون وقيل لفى بعد عن الحق ﴿أألقى الذكر عليه﴾ يعنى أأنزل عليه الوحى ﴿من بيننا بل هو كذاب أشر﴾ أى بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة ﴿سيعلمون غدا﴾ أى حين ينزل بهم العذاب وقيل يعنى يوم القيامة وانما ذكر الغد للتقريب ﴿من الكذاب الاشر﴾ أى صالح أم من كذبه ﴿انا مرسلوا الناقة﴾ أى باعثوها ومخرجوها من الهضبة التى سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة ﴿فتنة﴾ أى محنة واختبارا ﴿لهم فارتقبهم﴾ أى فانتظر ماهم صانعون ﴿واصطبر﴾ أى على أذاهم ﴿ونبئهم﴾ أى أخبرهم ﴿ان الماء قسمة بينهم﴾ أى بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا

(فقالوا أبشرا منا) آدميا مثلنا (واحدا نتبعه) فى دينه وأمره (انا اذا) ان فعلنا (لفى ضلال) فى خطأ بين (وسعر) تعب وعناء (أألقى الذكر) اخص بالنبوة (عليه من بيننا) ونحن اشرف منه (بل هو كذاب) يكذب على الله (أشر) بطر مرح يعنون صالحا فقال لهم صالح (ستعلمون غدا) يوم القيمة (من الكذاب) على الله (الاشر) البطر المرح فقال الله لصالح (انا مرسلوا الناقة) مخرجوا الناقة من الصخرة (فتنة لهم) بلية لهم ومحنة (فارتقبهم) فانتظرهم الى خروج الناقة (واصطبر) اصبر على اذاهم وعلى قتلهم الناقة (ونبئهم) خبرهم (أن الماء) ماء البئر (قسمة بينهم) وبين الناقة يوم لها ويوم لهم

سهلناه للحفظ وأعناه عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويروى ان كتب أهل الاديان نحو التوراة والانجيل والزبور لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) أى وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله أو انذاراتى فى تعذيبهم لمن بعدهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة أو شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشر فقد استمر عليهم حتى أهلكهم وكان فى أربعاء فى آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذا بعضهم بأيدى بعض ويتداخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق

رقابهم (كأنهم) حال (أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا بأعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس فيتساقطون على الارض أمواتا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل وهى أصولها بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال كأنها أعجاز نخل خاوية (فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر

(كذبت عاد) قوم هود هودا (فكيف كان عذابى ونذر) انظر يا محمد كيف كان عذابى عليهم ونذر كيف كان حال منذرى لمن أنذرهم الرسول هود فلم يؤمنوا (انا أرسلنا) سلطنا (عليهم) على قوم هود (ريحا صرصرا) باردا شديدا وهو ريح الدبور (فى يوم نحس مستمر) مشؤم عليهم مستمر ذاهب على الصغير (فقالوا) والكبير (تنزع الناس) تقلع قوم هود من أماكنهم (كأنهم أعجاز نخل) كأنهم أوراك نخل ويقال أسافل نخل (منقعر) منقلع من أصوله (فكيف كان عذابى) انظر يا محمد كيف كان عذابى عليهم (ونذر) فكيف كان حال منذرى لمن أنذرهم هود فلم يؤمنوا (ولقد يسرنا القرآن) هونا القرآن (للذكر) للحفظ والقراءة (فهل من مدكر) من متعظ يتعظ بما صنع بقوم هود فيترك المعصية (كذبت ثمود) قوم صالح (بالنذر) صالحا وجملة الرسل

﴿كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر﴾ وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم فى تعذيبهم ﴿انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ باردة او شديدة الصوت ﴿فى يوم نحس﴾ شؤم ﴿مستمر﴾ استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احد او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر ﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى ﴿كأنهم اعجاز نخل منقعر﴾ اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض قيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر﴾ بالانذارات

وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربى والعجمى وغيرهم ❊ قوله تعالى ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر﴾ أى انذارى لهم بالعذاب ﴿انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ أى شديدة الهبوب ﴿فى يوم نحس﴾ أى فى يوم شؤم ﴿مستمر﴾ اى دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم أحد الا هلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء فى آخر الشهر ﴿تنزع الناس﴾ أى الريح تقلعهم ثم ترمى بهم على رؤسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم ﴿كأنهم أعجاز نخل﴾ قال ابن عباس أصول نخل ﴿منقعر﴾ أى منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين روسهم من أجسامهم فتبقى أجسامهم بلا رؤس كعجز النخلة الملقاة ﴿فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر﴾ أى بالانذار الذى جاءهم به صالح

منابها و تؤدى مؤداها بحيث لايفصل بينها و بينها ونحوه ولكن قميصى مسرودة من حديد أراد ولكن قميصى درع ألاترى انك لوجمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذ دفعه لانه يدسر به منفذه (تجرى باعيننا) بمرأى منا أو بحفظنا أو باعيننا حال من الضمير فى تجرى أى محفوظة بنا (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء ومابعده أى فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبى نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الارحمة للعالمين فكان نوح نعمة مكفورة (ولقد تركناها) أى السفينة أو الفعلة أى جعلناها (آية) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ ويعتبر وأصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء أبدلت منها الدال والدال والذال من موضع فادغمت الذال فى الدال (فكيف كان عذابى ونذر) جمع نذير وهو الانذار ونذرى يعقوب فيهما وافقه سهل فى الوصل غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف مابعده الى آخر السورة (ولقد يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من مدكر) متعظ يتعظ وقيل ولقد

ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهى صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها يؤدى مؤداها ﴿تجرى باعيننا﴾ بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اى للكافرين ﴿ولقد تركناها﴾ اى السفينة او الفعلة ﴿آية﴾ يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر ﴿فهل من مدكر﴾ معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ﴿ولقد يسرنا القرآن﴾ سهلناه اوهيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ﴿للذكر﴾ للاذكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر اوللحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ ﴿فهل من مدكر﴾ متعظ

وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هى عوارض السفينة وأضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر أصلها وطرفاها ﴿تجرى﴾ يعنى السفينة ﴿باعيننا﴾ أى بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ يعنى فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد أمره وقيل لمن بمعنى لما أى جزاء لما كان كفر من أيادى الله ونعمه عند الذين أغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح وأصحابه ﴿ولقد تركناها آية﴾ يعنى الفعلة التى فعلناهم آية يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله تعالى بارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها أوائل هذه الامة ﴿فهل من مدكر﴾ أى متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها على وفى رواية أخرى سمعته يقول مدكر دالا ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ اى انذارى ﴿ولقد يسرنا القرآن﴾ أى سهلنا القرآن ﴿للذكر﴾ أى ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شئ من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن ﴿فهل من مدكر﴾ أى متعظ بواعظه

(تجرى) تسير السفينة (بأعيننا) بمنظرنا (جزاء لمن كان كفر) يقول جزاء قوم نوح بما كفروا به (ولقد تركناها آية) علامة للناس يعنى سفينة نوح بعد نوح ويقال مثل سفينة نوح (فهل من مدكر) فهل من متعظ يتعظ بما صنع بقوم نوح فيترك المعصية (فكيف كان عذابى ونذر) فانظر يا محمد كيف كان عذابى عليهم وكيف كان حال منذرى لمن أنذرهم نوح فلم يؤمنوا (ولقد يسرنا القرآن) هونا القرآن (للذكر) للحفظ والقراءة والكتابة ويقال هونا قراءة القرآن (فهل من مدكر) فهل من طالب علم فيعان عليه

ومعنى تكرار التكذيب انهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (وقالوا مجنون) أى هو مجنون (وازدجر) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل أو هو من جملة قيلهم أى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه (فدعا ربه انى) أى بانى (مغلوب) غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من اجابتهم لى (فانتصر)

فانتقم لى منهم بعذاب تبعثه عليهم (ففتحنا أبواب السماء) ففتحنا شامى ويزيد وسهل ويعقوب (بماء منهمر) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها عيونا كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض (فالتقى الماء) أى مياه السماء والارض وقرئ الماآن أى النوعان من الماء السماوى والارضى (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وعلى أمر قد قدر فى اللوح المحفوظ انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب

نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه آخرون مكذبون او كذبوه بعدما كذبوا الرسل ﴿ وقالوا مجنون ﴾ هو مجنون ﴿ وازدجر ﴾ وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قولهم اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته ﴿ فدعا ربه انى ﴾ اى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول ﴿ مغلوب ﴾ غلبنى قومى ﴿ فانتصر ﴾ فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ﴿ ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ﴾ منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب ﴿ وفجرنا الارض عيونا ﴾ وجعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة ﴿ فالتقى الماء ﴾ ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا ﴿ على امر قد قدر ﴾ على حال قدرها الله فى الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ﴿ وحملناه على ذات الواح ﴾ ذات اخشاب عريضة ﴿ ودسر ﴾

يعنى نوحا ﴿ وقالوا مجنون وازدجر ﴾ أى زجروه على دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴿ فدعا ﴾ يعنى نوحا ﴿ ربه ﴾ وقال ﴿ انى مغلوب ﴾ أى مقهور ﴿ فانتصر ﴾ أى فانتقم لى منهم ﴿ ففتحنا أبواب السماء ﴾ قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح فى الحديث أن للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر أن يكون المطر من السحاب ﴿ بماء منهمر ﴾ أى منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما ﴿ وفجرنا الارض عيونا ﴾ أى وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل بالماء ﴿ فالتقى الماء ﴾ يعنى ماء السماء وماء الارض ﴿ على أمر قد قدر ﴾ أى قضى عليهم فى أم الكتاب وقيل قدر الله أن يكون الماآن سواء فكانا على ما قدر ﴿ وحملناه ﴾ يعنى نوحا ﴿ على ذات ألواح ﴾ أى سفينة ذات ألواح وأراد بالالواح خشب السفينة العريضة ﴿ ودسر ﴾ هى المسامير التى تشد بها الالواح

(وقالوا مجنون) يختنق (وازدجر) زجروه عن مقالته وصاحوا به وقالوا انت مستطير الفؤاد ذاهب العقل (فدعا ربه انى مغلوب) مقهور (فانتصر) فأعنى بالعذاب (وقيل) (ففتحنا ابواب السماء) طرق السماء اربعين يوما (بماء منهمر) مطر منصب من السماء على الارض (وفجرنا) شققنا (الارض عيونا) بالماء أربعين يوما (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الارض (على أمر قد قدر) على مقدار قد قدرنا ماء السماء وماء الارض ويقال على قضاء قد قضى بهلاك قوم نوح (وحملناه) يعنى نوحا ومن آمن به (على ذات الواح) عوارض (ودسر) مسامير وشرط وكل شئ يشد به السفينة فهو دسر

بالغة من الله اليهم (فما تغني النذر) ما نفي والنذر جمع نذير وهم الرسل او المنذر به او النذر مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم ونصب (يوم يدع الداع) بيخرجون او باضمار اذكر الداعي الى الداعي سهل ويعقوب ومكي فيهما وافق مدني وابو عمرو في الوصل ومن اسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من يدعو في الكتابة لمتابعة اللفظ والداعي اسرافيل عليه السلام (الى شيء نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة نكر بالتخفيف مكي (خاشعا أبصارهم) عراقي غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشعا على يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول أكلوني البراغيث ويجوز أن يكون في خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما (يخرجون من الاجداث) من القبور (كأنهم جراد منتشر) في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة والجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد (مهطعين الى الداع) مسرعين مادي أعناقهم اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام

عنها ﴿ فما تغن النذر ﴾ نفي او استفهام انكاري اي فأي غنى تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار ﴿ فتول عنهم ﴾ لعلمك بان الانذار لا يغني فيهم ﴿ يوم يدع الداع ﴾ اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر ﴿ الى شيء نكر ﴾ فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر ﴿ خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث ﴾ اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة يشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة ﴿ مهطعين الى الداع ﴾ مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ صعب ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ قبل قومك ﴿ فكذبوا عبدنا ﴾

﴿ فما تغني النذر ﴾ يعني أي غنى تغني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم ﴿ فتول عنهم ﴾ اي اعرض عنهم نسختها آية القتال ﴿ يوم يدع الداع ﴾ اي اذكر يا محمد يوم يدعو الداعي وهو اسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس ﴿ الى شيء نكر ﴾ أي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له ﴿ خاشعا ﴾ وقرئ خشعا ﴿ أبصارهم ﴾ أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب ﴿ يخرجون من الاجداث ﴾ أي من القبور ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين مادي أعناقهم مقبلين ﴿ الى الداع ﴾ أي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ أي صعب شديد وفيه اشارة الى ان ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين * قوله تعالى ﴿ كذبت قبلهم ﴾ أي قبل أهل مكة ﴿ قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾

(فما تغني النذر) يعني الرسل عن قوم لا يؤمنون بالله في علم الله (فتول عنهم) اعرض عنهم يا محمد ثم أمرهم بالقتال (يوم يدع الداع) وهو يوم القيامة (الى شيء نكر) منكر عظيم شديد أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (خشعا) ذليلة (ابصارهم يخرجون من الاجداث) من القبور في النفخة الاخرى (كأنهم جراد منتشر) يقول يجول بعضهم في بعض مثل الجراد (مهطعين) مسرعين قاصدين ناظرين (الى الداع) ماذا يأمرهم (يقول الكافرون) يوم القيامة (هذا يوم عسر) شديد شدد ذلك اليوم عليهم (كذبت قبلهم) قبل قومك يا محمد (قوم نوح) نوحا (فكذبوا عبدنا) نوحا

(ويقولوا سحر مستمر) محكم قوي من المراة القوة اودائم مطرد أومار ذاهب بزول ولايبقى (وكذبوا) النبي صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) ومازين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر) وعدهم الله (مستقر) كائن في وقته وقيل كل ماقدر واقع وقيل كل

أمر من امرهم واقع مستقر اى سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (ولقد جاءهم) اهل مكة (من الانباء) من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وماوصف من عذاب الكفار (مافيه مزدجر) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته اى منعته واصله ازتجر ولكن التاء اذا وقعت بعد زاء ساكنة ابدلت دالا لان التاء حرف مهموس والزاء حرف مجهور فابدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا في آخر كتاب سيبويه (حكمة) بدل من ما او على هو حكمة (بالغة) نهاية الصواب او

(ويقولوا) الآية (سحر مستمر) قوي شديد مصنوع سيذهب (وكذبوا) بالآية وقيام الساعة (واتبعوا اهواءهم) بتكذيب الآية وقيام الساعة وبعبادة الاوثان (وكل امر مستقر) ولكل قول من الله أو من رسوله في الوعد والوعيد والبشرى بالجنة والنار أو بالرحمة أو بالعذاب فعل وحقيقة منه مايكون في الدنيا فسيظهر ومنه ما يكون في الآخرة فيتبين ويقال ولكل عمل وقول من العباد حقيقة وحقيقتهم في القلب (ولقد جاءهم) أهل مكة في القرآن (من الانباء) من اخبار الامم الماضية كيف هلكوا عند التكذيب (مافيه مزدجر) نهى وازدجار (حكمة) القرآن (بالغة) حكمة من الله ابلغهم عن الله (ثم)

﴿ ويقولوا سحر مستمر ﴾ مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك اوحكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لايبقى ﴿ وكذبوا واتبعوا اهواءهم ﴾ وهو مازين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة ﴿ وكل امر مستقر ﴾ منته الى غاية من خذلان اونصر في الدنيا وشقاوة اوسعادة في الآخرة فان الشئ اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اى ذومستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ﴿ ولقد جاءهم ﴾ في القرآن ﴿ من الانباء ﴾ انباء القرون الخالية اوانباء الآخرة ﴿ مافيه مزدجر ﴾ ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها ﴿ حكمة بالغة ﴾ غايتها لاخلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا مما فانها موصولة اومخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال

في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يروا آية أي تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا أي عن التصديق بها ﴿ ويقولوا سحر مستمر ﴾ أي دائم مطرد وكل شئ دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أي قوي محكم شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر أي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولايبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا ﴿ وكذبوا ﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم وماعاينوا من قدرة الله ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ أي مازين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر ﴿ وكل أمر مستقر ﴾ أي لكل أمر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل كل أمر مستقر فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب أو العقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ماقدر فهو كائن وواقع لامحالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أموره مستقر وان أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق ﴿ ولقد جاءهم ﴾ يعني أهل مكة ﴿ من الانباء ﴾ أي من أخبار الامم الماضية المكذبة في القرآن ﴿ مافيه مزدجر ﴾ أي منتهى وموعظة ﴿ حكمة بالغة ﴾ يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية

اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله ﴿ وان يروا آية يعرضوا ﴾ عن تأملها والايمان بها

صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفى رواية أخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذا انفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهدوا * وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا مايستطيع أن يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذى وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم قدرأوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبدالله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبى كبشة فسألوا السفارة فقالوا نعم قد رأيناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قدوردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه أدل دليل وأقوى مثبت له وامكانه لايشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محيي الدين النووى فى شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفى الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ولاانكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه مايشاء كما يفنيه ويكوره فى آخر أمره فاماقول بعض الملاحدة لووقع هذا لنقل متواترا واشترك أهل الارض كلهم فى رؤيتهم له ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة فاجاب العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل فى الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر فى السماء أو ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث فى السماء فى الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولايتحدث به الا آحاد الناس ولاعلم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت فى الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل فى معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لايصح وشاذ لايثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضى وحمل الماضى على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفى قوله تعالى ﴿ وان يروا آية يعرضوا ﴾ دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك

(وان يروا) يعنى اهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الايمان به

القيامة (وان يروا آية) مثل انشقاق القمر (يعرضوا) يكذبوا بالآية

من سمد البعير في مسيره اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ اى واعبدوه دون الآلهة ٥ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر

معناه أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض ﴿فاسجدوا لله﴾ يعني أيها المؤمنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة ﴿واعبدوا﴾ أي اعبدوا الله وانما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش أخذ كفا من حصباء أو تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال أول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في آخره وهو أمية بن خلف (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففي هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي وأحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا أن نشاء وذهب قوم الى وجوبها على القارئ والمستمع وهو قول سفيان وأصحاب الرأي والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة القمر وهي مكية وهي خمس وخمسون آية وثلاثمائة

واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿اقتربت الساعة﴾ أي دنت القيامة ﴿وانشق القمر﴾ قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ماروى عن أنس ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله

﴿سورة القمر خمس وخمسون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرئ وقد انشق اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه قال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الاول وهو المروي في الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفي على اهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لان الطباع جبلت على نشر العجائب لانه يجوز ان يحجبه الله عنهم بغيم

(فاسجدوا لله) فاخضعوا لله بالتوحيد والتوبة (واعبدوا) وحدوا الله فقد اقتربت الساعة

﴿ومن السورة التي يذكر فيها القمر وهي كلها مكية آياتها خمس وخمسون وكلماتها ثلاثمائة واثنتان وأربعون وحروفها ألف وأربعمائة وثلاثة أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (اقتربت الساعة) يقول دنا قيام الساعة بخروج محمد صلى الله عليه وسلم ونزول الدخان (وانشق القمر) نصفين وهو من علامات (صلى)

(ماغشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأى آلاء ربك) أيها المخاطب (تمارى) تتشكك اى بما اولاك من النعم او بما كفاك من النقم اوبأى نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك (هذا نذير) اى محمد منذر (من النذر الاولى) من المنذرين الاولين وقال الاولى على تأويل الجماعة اوهذا القرآن نذير من النذر الاولى اى انذار من جنس الانذارات الاولى التى انذربها من قبلكم (ازفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله ﴿١١٩﴾ كاشفة) ى { سورة والنجم } ليس لها نفس كاشفة اى مبينة متى تقوم كقوله لايجليها لوقتها الا هو اوليس لها نفس كاشفة اى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه لايكشفها (أفمن هذا الحديث) ى القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) خشوعا (وانتم سامدون) غافلون لاهون لاعبون وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه

ماغشى ﴿ فيه تهويل وتعميم لما اصابهم ﴿ فبأى آلاء ربك تمارى ﴾ تتشكك والخطاب للرسول اولكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما لكن سماها آلاء من قبل مافى نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين ﴿ هذا نذير من النذر الاولى ﴾ اى هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة اوهذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ﴿ ازفت الآزفة ﴾ دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله اقتربت الساعة ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ ليس لها نفس قادرة على كشفها اذ وقعت الا الله لكنه لايكشفها اوالآن بتأخيرها الا الله اوليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذلايطلع عليه سواه اوليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية ﴿ أفمن هذا الحديث ﴾ يعنى القرآن ﴿ تعجبون ﴾ انكارا ﴿ وتضحكون ﴾ استهزاء ﴿ ولاتبكون ﴾ تحزنا على مافرطتم ﴿ وانتم سامدون ﴾ لاهون اومستكبرون

أى ألبسها الله ﴿ ماغشى ﴾ يعنى الحجارة المنضودة المسومة ﴿ فبأى آلاء ربك تمارى ﴾ أى تشك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تمارى أى تكذب ﴿ هذا نذير ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ من النذر الاولى ﴾ أى رسول من الرسل المتقدمة أرسل اليكم كما أرسلت الرسل الى قومهم وقيل أنذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله ﴿ أزفت الآزفة ﴾ أى قربت القيامة واقتربت الساعة ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ أى مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لايكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لايكشف عنها ولايظهرها غيره وقيل معناه ليس لها رد يعنى اذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد قوله تعالى ﴿ أفمن هذا الحديث ﴾ يعنى القرآن ﴿ تعجبون ﴾ تنكرون ﴿ وتضحكون ﴾ أى استهزاء ﴿ ولاتبكون ﴾ أى مما فيه من الوعيد ﴿ وأنتم سامدون ﴾ أى لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وأصل السمود فى اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير اذا رفع رأسه وجد فى سيره والسامد اللاهى والمغنى وقيل

ماغشى) يعنى الحجارة (فبأى آلاء ربك) فبأى نعماء ربك أيها الانسان غير محمد صلى الله عليه وسلم (تمارى) تتجاحد انها ليست من الله (هذا نذير) يعنى محمدا عليه السلام رسول مخوف (من النذر الاولى) كالرسل الاولى الذين أرسلناهم الى قومهم ويقال هذا نذير من النذر رسول من الرسل الاولى الذين هم مكتوبون فى اللوح المحفوظ أن أرسلهم الى قومهم (ازفت الآزفة) دنا قيام الساعة (ليس لها) لقيامها (من دون الله) غيره (كاشفة) مبين يبين قيامها ووقتها (أفمن هذا الحديث) القرآن هذا القرآن الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم يا أهل مكة (تعجبون) تسخرون وتقول تكذبون (وتضحكون) تهزؤن ويقال تسخرون (ولاتبكون) مما فيه من الزجر والوعيد والتخويف (وأنتم سامدون) لاهون عنه لاتؤمنون به

(وأنه هو رب الشعرى) هو كوكب يطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها فأعلم الله انه رب معبودهم هذا (وأنه أهلك عادا الاولى) هم قوم هود وعاد الاخرى إرم وقرأ نافع وابو عمرو عاد لولى بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف (وثمودا فما أبقى) حمزة وعاصم والباقون وثمودا وهو معطوف على عادا ولا ينتصب بما أبقى لان ما بعد الفاء لايعمل فيما قبله لاتقول زيدا فضربت وكذا ما بعد النفى لايعمل فيما قبله والمعنى وأهلك ثمودا فما أبقاهم (وقوم نوح) أى وأهلك قوم نوح (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من عاد وثمود لانهم كانوا يضربونه حتى لايكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه (والمؤتفكة) والقرى التى ائتفكت بأهلها اى انقلبت وهم قوم لوط يقال افكه فأتفك (أهوى) اى رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم أهواها الى الارض اى اسقطها والمؤتفكة منصوب بأهوى (فغشاها) ألبسها

والغم (وانه هو رب الشعرى) الكوكب الذى يتبع الجوزاء كان يعبده خزاعة (وانه اهلك عادا الاولى) قوم هود (وثمود) قوم صالح (فما أبقى) فلم يترك منهم احدا (وقوم نوح) واهلك قوم نوح (من قبل) من قبل قوم صالح (انهم) يعنى قوم نوح (كانوا هم اظلم) أشد فى كفرهم (وأطغى) ﴿ى﴾ أشد فى طغيانهم ومعصيتهم (والمؤتفكة أهوى) وأهلك قريات لوط سدوم وصادوم وعمورا وصوائم والمؤتفكات المخسفات والمقلبات خسفها أهوى هوت من السماء الى الارض (فغشاها

الاموال اوارضى وتحققه جعل الرضى له قنية ﴿ وانه هو رب الشعرى ﴾ يعنى العبور وهى اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه الصلاة والسلام وخالف قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابى كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام وان وافق اباكبشة فى مخالفتهم خالفه ايضا فى عبادتها ﴿ وانه اهلك عادا الاولى ﴾ القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وادغام التنوين فيها وقرأ نافع وابو عمرو كذلك مع جعل الواو همزة ﴿ وثمودا ﴾ عطف على عادا لان ما بعده لايعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف ﴿ فما ابقى ﴾ الفريقين ﴿ وقوم نوح ﴾ ايضا معطوف عليه ﴿ من قبل ﴾ من قبل عاد وثمود ﴿ انهم كانوا هم اظلم واطغى ﴾ من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لايكون به حراك ﴿ والمؤتفكة ﴾ والقرى التى ائتفكت باهلها اى انقلبت وهى قرى قوم لوط ﴿ اهوى ﴾ اسقط بعد ان رفعها فقلبها ﴿ فغشاها

ضد الفقر واقنى اى زاد فوق الغنى ﴿ وانه هو رب الشعرى ﴾ اى انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهى مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب فى الدين سموه ابن ابى كبشة تشبيها به فى خلافه اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضيء خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا وهما اثنتان يمانية وشامية يقال لاحدهما العبور والاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما والمراد بالشعرى هنا العبور ﴿ وانه اهلك عادا الاولى ﴾ وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعنى اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح ﴿ وثمود ﴾ وهم قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة ﴿ فما ابقى ﴾ يعنى منهم احدا ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ يعنى اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق ﴿ انهم كانوا هم اظلم واطغى ﴾ يعنى لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب ﴿ والمؤتفكة ﴾ يعنى قرى قوم لوط ﴿ أهوى ﴾ اى أسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم أهوى بها ﴿ فغشاها ﴾

﴿ وانه هواضحك وابكى وانه هوامات واحيى ﴾ لايقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة ﴿ وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى ﴾ تدفق فى الرحم اوتخلق اويقدر منها الولد من منى اذاقدر ﴿ وان عليه النشأة الاخرى ﴾ الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ ﴿ وانه هو اغنى واقنى ﴾ واعطى القنية وهى مايتأثل من الاموال وافرادها لانها اشف

ووحدانيته سبحانه وتعالى ﴿ وانه هواضحك وابكى ﴾ اى هو القادر على ايجاد الضدين فى محل واحد الضحك والبكاء وفيه دليل على ان جميع مايعمله الانسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل اضحك اهل الجنة فى الجنة وابكى اهل النار فى النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم اعظم من الجبل (ق) عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة اى بكاء مع صوت يخرج من الانف ﴿ وانه هو امات واحيى ﴾ اى امات فى الدنيا واحيى للبعث وقيل امات الآباء واحيى الابناء وقيل امات الكافر بالنكرة واحيى المؤمن بالمعرفة ﴿ وانه خلق الزوجين الذكر والانثى ﴾ اى من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التى تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شئ لايصل اليه فهم العقلاء ولايعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لابفعل الطبيعة ﴿ من نطفة اذا تمنى ﴾ اى تصب فى الرحم وقيل تقدر وفى هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شئ واحد خلق الله منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر احد ان يدعى خلق السموات والارض ﴿ وأن عليه النشأة الاخرى ﴾ أى الخلق الثانى بعد الموت للبعث يوم القيامة ﴿ وانه هو اغنى واقنى ﴾ اى اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهى اصول الاموال ومايدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال ومايدخرونه بعد الكفاية وأقنى بالابل والبقر والغنم وقيل أقنى أى أخدم وقال ابن عباس أغنى وأقنى أى أعطى فارضى وقيل اغنى يعنى رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شئ لان اغنى

(وانه هو أضحك وأبكى) خلق الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل أضحك المؤمنين فى العقبى بالمواهب وأبكاهم فى الدنيا بالنوائب (وأنه هو أمات وأحيي) قيل أمات الآباء وأحيي الابناء أو أمات بالكفر وأحيي بالايمان أو أمات هنا وأحيي ثمة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) اذا تدفق فى الرحم يقال منى وأمنى (وأن عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت أن لاتخرجه من يدك

(وانه هو اضحك) اهل الجنة بما يسرهم من الكرامة (وأبكى) أهل النار بما يحزنهم من الهوان (وأنه هو امات) فى الدنيا (واحيى) للبعث ويقال امات الآباء واحيى الابناء (وأنه خلق الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) تهراق فى رحم المرأة ويقال تخلق (وان عليه النشأة الاخرى) الخلق الآخر بالبعث (وانه هو اغنى) نفسه عن خلقه (واقنى) افقر خلقه الى نفسه ويقال انه هو اغنى ارضى خلقه واقنى اقنع ويقال انه اغنى بالمال واقنى ارضى بما اعطى ويقال انه اغنى بالذهب والفضة واقنى اقنع بالابل والبقر

وان سعيه سوف يرى ﴾ الا سعيه اى كما لا يؤاخذ احد بذنب غيره لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوى له كالنائب عنه ﴿ثم يجزاه الجزاء الاوفى ﴾ اى يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله ﴿وان الى ربك المنتهى ﴾ انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده

عن حجة الاسلام بل تقع تطوعا وقال أبو حنيفة لا تصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الآخرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو أوصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعي واختلف العلماء في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من أصحابه يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعي والجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع والله أعلم وقيل أراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير وروى ان عبد الله بن أبي ابن سلول كان أعطى العباس قميصا ألبسه اياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه ﴿ وان سعيه سوف يرى ﴾ أى يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك ان الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما ﴿ ثم يجزاه ﴾ أى السعي ﴿ الجزاء الاوفى ﴾ أى الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الاوفى ✲ قوله عز وجل ﴿ وأن الى ربك المنتهى ﴾ أى اليه منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الآخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان أحدهما انه عام تقديره وأن الى ربك أيها السامع أو العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسئ وحث شديد للمحسن ليقلع المسئ عن اساءته ويزداد المحسن في احسانه الوجه الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الآية منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وروى البغوى باسناد الثعلبي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روى عن أبي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب اى انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى سائر الموجودات الممكنة علمت انه لا بد لها من موجد واذا علمت ان موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده

(وان سعيه سوف يرى) أى يرى سعيه هو يوم القيمة في ميزانه (ثم يجزه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الاوفى) أو أبدله عنه (وأن الى ربك المنتهى) هذا كله في الصحف الاولى والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أى ينتهى اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير

(وان سعيه) عمله (سوف يرى) في ديوانه وميزانه (ثم يجزاه الجزاء الاوفى) الاوفر بالحسن حسنا وبالسيئ سيأ (وأن الى ربك المنتهى) مرجع الخلائق بعد الموت ومصيرهم في الآخرة

فأتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفيه وقرئ مخففا والتشديد مبالغة فى الوفاء وعن الحسن ما أمره الله بشئ الا وفى به وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف فى النار قال له جبريل ألك حاجة فقال أما اليك فلا وعن النبى صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات فى صدر النهار وهى صلاة الضحى وروى ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا أصبح واذا أمسى ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ الى آخر السورة و الى ﴿حين تظهرون﴾ وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين وعشرة فى المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بما فى صحف موسى وابراهيم فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) تزر من وزر يزر اذا اكتسب وزرا وهو الاثم وان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا مما فى صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كان قائلا قال وما فى صحف موسى وابراهيم فقيل ألا تزر وازرة وزر أخرى أى لا تحمل نفس ذنب نفس (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أى سعيه وهذه أيضا مما فى صحف ابراهيم وموسى وأما ما صح فى الاخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل ان سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو ان يكون مؤمنا كان سعى غيره كانه سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه ولان سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه

﴿ألا تزر وازرة وزر اخرى﴾ ان هى المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محل الجر بدلا مما فى صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كأنه قيل ما فى صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذى هو وزره ﴿وان ليس للانسان الا ما سعى﴾

وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى بما فرض عليه فى سهام الاسلام وهو قوله واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى شأن المناسك * وروى البغوى بسنده عن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذى وفى عمله كل يوم باربع ركعات أول النهار * عن أبى الدرداء وأبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ثم بين ما فى صحفهما فقال تعالى ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى والمعنى لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ﴿وأن ليس للانسان الا ما سعى﴾ أى عمل وهذا فى صحف ابراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى عن ابن عباس ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمى توفيت أينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفى رواية أن سعد بن عبادة أخا بنى ساعدة وذكر نحوه وأخرجه البخارى وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمى افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم أخرجاه فى الصحيحين وفى حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعى ومالك وأحمد وجماهير العلماء ان حج الصبى منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه

(ألا تزر وازرة وزر اخرى) يقول لا تحمل حاملة حمل اخرى ما عليها من الذنب ويقال لا تعذب نفس بذنب نفس اخرى (وان ليس للانسان) يوم القيامة (الا ما سعى) الا ما عمل من الخير والشر فى الدنيا

(أفرأيت الذى تولى) عرض عن الايمان (وأعطى قليلا وأكدى) قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر عن ابن عباس رضى الله عنهما فمن كفر بعد الايمان وقيل فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض الكافرين وقال له تركت دين الاشياخ وزعمت انهم فى النار قال انى خشيت عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيأ من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل واعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه (أعنده علم الغيب فهو يرى) أهو يعلم ان ما ضمنه من عذاب الله حق (أم لم ينبأ) يخبر (بما فى صحف موسى) اى التوراة (وابراهيم) اى وفى صحف ابراهيم (الذى وفى) اى وفر واتم كقوله

(أفرأيت الذى تولى) أعرض عن نفقته وصدقته على فقراء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وأعطى قليلا) يسيرا فى الله (وأكدى) قطع نفقته وصدقته فى سبيل الله (أعنده علم الغيب) اللوح المحفوظ (فهو يرى) صنعه فيداته كما صنع نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان وكان كثير النفقة والصدقة على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلقيه عبدالله بن سعد ابن أبى سرح فقال له أراك تنفق على هؤلاء مالا كثيرا فخاف ان تبقى بلا شئ فقال له عثمان لى خطايا وذنوب كثيرة أريد تكفيرها ورضا الرب فقال له عبدالله (وفى) أعطنى زمام ناقتك وأحمل عنك ما يكون عليك من الذنوب والخطايا فى الدنيا والآخرة فأعطاه زمام ناقته وقصر عن نفقته وصدقته فنزلت فيه هذه الآية (أم لم ينبأ) يخبر فى القرآن (بما فى صحف موسى وابراهيم) يقول بما كان فى التوراة وصحف ابراهيم (الذى وفى) يعنى ابراهيم الذى بلغ رسالات ربه وعمل بما أمر به وبقال وفى رؤياه

يخرجكم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام ﴿أفرأيت الذى تولى﴾ عن اتباع الحق والثبات عليه ﴿وأعطى قليلا وأكدى﴾ وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهى الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه الصلاة والسلام فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ﴿أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى﴾ وفر وأتم ما التزمه او امر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى أتاه جبريل عليه السلام حين القى فى النار فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهى التوراة كانت اكثر واشهر عندهم

﴿أفرأيت الذى تولى﴾ نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال أتركت دين الاشياخ وضللتهم قال انى خشيت عذاب الله فضمن له الذى عاتبه ان أعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك وأعطى الذى عيره بعض الذى ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله أفرأيت الذى تولى أى أدبر وأعرض عن الايمان ﴿وأعطى﴾ أى لصاحبه الذى عيره ﴿قليلا وأكدى﴾ أى بخل بالباقى وقيل أعطى قليلا أى من الخير بلسانه وأكدى أى قطعه وأمسك ولم يتم بالعطية وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه كان ربما يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقيل نزلت فى أبى جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا وأكدى أى لم يؤمن به ومعنى الآية أكدى أى قطع وأصله من الكدية وهى حجر يظهر فى البئر يمنع من الحفر ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ أى ما غاب عنه أى أن صاحبه يتحمل عنه عذابه ﴿أم لم ينبأ﴾ أى يخبر ﴿بما فى صحف موسى﴾ يعنى أسفار التوراة ﴿وابراهيم﴾ أى ويخبر بما فى صحف ابراهيم ﴿الذى وفى﴾ أى تكمل وتمم ما أمر به وقيل عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل

﴿ ان ربك واسع المغفرة ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر اوله ان يغفر مايشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى ﴿ هو اعلم بكم ﴾ اعلم باحوالكم منكم ﴿ اذ انشأكم من الارض واذ أنتم اجنة فى بطون امهاتكم ﴾ علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم فى الارحام ﴿ فلا تزكوا انفسكم ﴾ فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير أو بالطهارة من المعاصى والرذائل ﴿ هو اعلم بمن اتقى ﴾ فانه يعلم التقى وغيره منكم قبل ان

من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان كذبا يعلم انه يقتل بسببه ولو كذب على انسان كذبا يعلم انه يؤخذ منه ثمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما بحيث يصح معه ان يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها أمارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها فى الكتاب أو السنة ومنها ماوصف فاعلها بالفسق أو يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله أعلم * وقوله تعالى ﴿ ان ربك واسع المغفرة ﴾ قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب وأناب وروى عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة فى الاسلام أى لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة أيضا تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل فى حد الاصرار هو أن يتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ هو أعلم بكم ﴾ أى قبل أن يخلقكم وهو قوله ﴿ اذ أنشأكم من الارض ﴾ أى خلق أباكم آدم من التراب ﴿ واذ أنتم أجنة ﴾ جمع جنين ﴿ فى بطون أمهاتكم ﴾ سمى جنينا لاستتاره فى بطن أمه ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة والى ماهى صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرؤها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل فى معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم حالكم من أول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك أو أنا أزكى منك أو أتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى ﴿ هو أعلم بمن اتقى ﴾ أى بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل فى معنى الآية فلا تزكوا أنفسكم أى لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم وقيل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الآية أو قوله عز وجل

(أنشأكم) أى أباكم (من الارض اذ أنتم أجنة) جمع جنين (فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو الى الزكاء والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل ان تخرجوا من بطون أمهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب أو الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فانه جائز لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هو أعلم بمن اتقى) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس

(ان ربك واسع المغفرة) لمن تاب من الكبائر والصغائر (هو أعلم بكم) منكم من أنفسكم (اذ أنشأكم) خلقكم (من الارض) من آدم وآدم من تراب والتراب من الارض (واذ أنتم أجنة) صغار (فى بطون أمهاتكم) قد علم الله فى هذه الاحوال مايكون منكم (فلا تزكوا أنفسكم) فلا تبرؤا (ق و خا ١٥ س) أنفسكم من الذنوب (هو أعلم بمن اتقى) من المعصية وأصلح

تعالى عليه حدا فى الدنيا ولا عذابا فى الآخرة فذلك الذى تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان مالم يبلغ الكبائر والفواحش الوجه الثانى هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب أى خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان أعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

فى بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة قال العلماء أكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لاخفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فاما ماسواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التى ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال فى كل واحدة منها هى من أكبر الكبائر بالنسبة الى مادونها وقد جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر أسبع هى قال هى الى السبعين اقرب وفى رواية الى سبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء فى حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شئ نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ أبو اسحق الاسفرائنى وحكاه القاضى عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة فهى بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصى الى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الأئمة واذا ثبت انقسام المعاصى الى صغائر وكبائر فقد اختلف فى ضبطها فروى عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أوغضب أولعنة اوعذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هى ماوعد الله عليه بنار فى الآخرة أوحد فى الدنيا وقال الغزالى فى البسيط الضابط الشامل فى ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف أواستحداث ندم كالمتهاون فى ارتكابها والمتجرئ عليها اعتياد فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وماتحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولاينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لايمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام فى كتابه القواعد اذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهى من الصغائر وان ساوت أدنى مفاسد الكبائر أوزادت عليه فهى من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزنى بها أوأمسك مسلما لمن يقتله فلاشك ان مفسدة ذلك أعظم ممن أكل درهما من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لودل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بانهم يستأصلونهم بدلالته فان تسببه الى هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه

﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم﴾ مايكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ماوجب الحد وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك ﴿والفواحش﴾ وما فحش من الكبائر خصوصا ﴿الا اللمم﴾ الا ماقل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح اوالرفع على انه خبر محذوف

فى الارض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم﴾ قيل الاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل مالايحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة فى كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر ﴿والفواحش﴾ جمع فاحشة وهى ماعظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هى مافحش من الكبائر ﴿الا اللمم﴾ أى الا ماقل وصغر من الذنوب وقيل هى مقاربة المعصية من قولك ألممت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا فى معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول أبى هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبدالله بن عمرو بن العاص اللمم مادون الشرك وقال أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لايعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال أعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس فى قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان تغفر اللهم تغفر جما ٭ وأى عبدلك لاألما

أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل أصل اللمم والالمام مايعمله الانسان الحين بعد الحين ولايكون له اعادة ولااقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقيل هو ماسلف فى الجاهلية فلايؤاخذهم به فى الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وأبى هريرة ومسروق والشعبى والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال مارأيت شيأ أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل اللمم على وجهين أحدهما انه كل ذنب لم يذكر الله

الاعداء (الذين) بدل أو فى موضع رفع على المدح أى هم الذين (يجتنبون كبائر الاثم) اى الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها كبير حمزة وعلى اى النوع الكبير منه (والفواحش) مافحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة قيل الكبائر ماأوعد عليه النار والفواحش ماشرع فيها الحد (الا اللمم) أى الصغائر والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة

(الذين يجتنبون كبائر الاثم) يعنى الشرك بالله والعظائم من الذنوب (والفواحش) الزنا والمعاصى (الا اللمم) الا النظر والغمزة والقبلة يلوم بها نفسه ويتوب عنها ويقال الا التزويج

تقليد الآباء (وان الظن لايغنى من الحق شيأ) أى انما يعرف الحق الذى هو حقيقة الشئ وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) فاعرض عمن رأيته معرضا عن ذكر الله أى القرآن (ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك) أى اختيارهم الدنيا ولرضاها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو عليم بالضال والمهتدى ومجازيهما (ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء أو بسبب ما عملوا من السوء (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بسبب الاعمال الحسنى والمعنى ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذا الملكوت ليجزى المحسن من المكلفين والمسئ منهم اذ الملك أهل لنصر الاولياء وقهر

﴿وان الظن لايغنى من الحق شيأ﴾ فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لايدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له فى المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات وما يكون وصلة اليها ﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا﴾ فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ﴿ذلك﴾ اى امر الدنيا او كونها شهية ﴿مبلغهم من العلم﴾ لايتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله ﴿ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى﴾ تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم الله من يجيب ممن لايجيب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ﴿ولله ما فى السموات وما فى الارض﴾ خلقا وملكا ﴿ليجزى الذين اساؤا بما عملوا﴾ بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اى خلق الله العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدى وحفظ احوالهم لذلك ﴿ويجزى الذين احسنوا بالحسنى﴾ بالمثوبة الحسنى وهى الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى

﴿وان الظن لايغنى من الحق شيأ﴾ أى لايقوم الظن مقام العلم الذى هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشئ بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لاتستخرج بالظنون ﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا﴾ يعنى القرآن وقيل عن الايمان ﴿ولم يرد الا الحيوة الدنيا﴾ يعنى انهم لايؤمنون بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ أى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم أن الملائكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن والايمان ﴿ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ أى هو عالم بالفريقين ويجازيهم باعمالهم ﴿ولله ما فى السموات وما فى الارض﴾ وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الاولى وبين قوله ﴿ليجزى الذين أساؤا بما عملوا﴾ والمعنى اذا كان أعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزى الذين أساؤا أى أشركوا بما عملوا من الشرك ﴿ويجزى الذين أحسنوا﴾ أى وحدوا ربهم ﴿بالحسنى﴾ يعنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسئ اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما فى السموات وما

(وان الظن) وان عبادة الظن وقول الظن (لايغنى من الحق) من عذاب الله (شيأ فأعرض) وجهك يا محمد (عمن تولى) أعرض (عن ذكرنا) عن توحيدنا وكتابنا (ولم يرد) بعمله (الا الحيوة الدنيا) ما فى الحياة الدنيا يعنى أبا جهل وأصحابه (ذلك مبلغهم من العلم) هذا غاية علمهم وعقلهم ورأيهم اذ قالوا ان الملائكة والاصنام بنات الله وان الآخرة لاتكون (ان ربك) يا محمد (هو أعلم بمن ضل عن سبيله) عن دينه يعنى أبا جهل وأصحابه (وهو أعلم بمن اهتدى) لدينه يعنى أبا بكر (ولله ما فى السموات) من الخلق (وما فى الارض) من الخلق كلهم عبيد الله (ليجزى الذين أساؤا) أشركوا (بما عملوا) فى شركهم (ويجزى الذين أحسنوا) وحدوا (بالحسنى) بالتوحيد الجنة ثم بين عملهم فى الدنيا فقال

ولم يعملوا به (أم للانسان ما تمنى) هى أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أى ليس للانسان يعنى الكافر ما تمنى من شفاعة الاصنام أو من قوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبى (فلله الآخرة والاولى) أى هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطى النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لا من تمنى (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) يعنى ان أمر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قربهم وكثرتهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) أى كل واحد منهم (تسمية الانثى) لانهم اذا قالوا للملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى (وما لهم به من علم) أى بما يقولون وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون الا الظن) هو

﴿أم للانسان ما تمنى﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفى طمعهم فى شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها ﴿فلله الآخرة والاولى﴾ يعطى منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه فى شئ منهما ﴿وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ﴾ وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم شيأ ولا تنفع ﴿الا من بعد ان يأذن الله﴾ فى الشفاعة ﴿لمن يشاء﴾ من الملائكة ان تشفع او من الناس ان يشفع له ﴿ويرضى﴾ ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة﴾ اى كل واحد منهم ﴿تسمية الانثى﴾ بان سموه بنتا ﴿وما لهم به من علم﴾ أى بما يقولون وقرئ بها اى بالملائكة او التسمية ﴿ان يتبعون الا الظن

الا الله الواحد القهار * قوله تعالى ﴿أم للانسان ما تمنى﴾ معناه أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهى من شفاعة الاصنام أى ليس الامر كما يظن ويتمنى ﴿فلله الآخرة والاولى﴾ أى لا يملك أحد فيهما شيأ أبدا الا باذنه وقيل معناه أن الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الآخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء فى الدنيا والآخرة وان شاء امهله الى الآخرة ﴿وكم من ملك فى السموات﴾ أى ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله ﴿لا تغنى شفاعتهم شيأ﴾ يعنى ان الملائكة مع علو منزلتهم لا تغنى شفاعتهم شيأ فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم أخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى ﴿الا من بعد أن يأذن الله﴾ أى فى الشفاعة ﴿لمن يشاء ويرضى﴾ أى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه وقيل الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء من الملائكة فى الشفاعة لمن شاء الشفاعة له ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ يعنى الكفار الذين أنكروا البعث ﴿ليسمون الملائكة تسمية الانثى﴾ أى بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث * قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمناسبته رؤس الآى وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية انثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى ﴿وما لهم به من علم﴾ أى بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث ﴿ان يتبعون الا الظن﴾ اى فى تسمية الملائكة بالاناث

لله ولد ولا شريك (ام للانسان) لاهل مكة (ما تمنى) ما يشتهون أن الملائكة والاصنام يشفعون لهم (فلله الآخرة) باعطاء الثواب والكرامة والشفاعة (والاولى) باعطاء المعرفة والتوفيق (وكم من ملك فى السموات) ممن زعمتم أنهم بنات الله (لا تغنى شفاعتهم شيأ) لا يشفعون لاحد (الا من بعد أن يأذن الله) يأمر الله بالشفاعة (لمن يشاء) لمن كان أهلا لذلك من المؤمنين (ويرضى) عنهم بالتوحيد (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت يعنى كفار مكة (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) يجعلونهم بنات الله (وما لهم به) بما يقولون (من علم) من حجة ولا بيان (ان يتبعون الا الظن) ما يقولون الا الظن يعنى بغير يقين يفترون

لهن فقيل لهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) أي جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى أي جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه وضيزى فعلى ... اذ لا فعلى في النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود ضئزى بالهمز مكي من ضأزه مثل ضازه (ان هى) ما الاصنام (الا أسماء) ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو أبعد شئ منها وأشد منافاة لها (سميتموها) أى سميتم بها يقال سميته زيد وسميته بزيد (أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) حجة (ان يتبعون الا الظن الا توهم ان ماهم عليه حق (وماتهوى الانفس) وما تشتهيه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه

وخزاعة يعبدونها من دون الله (ألكم الذكر) يا أهل مكة ترضونه لانفسكم (وله الانثى) وأنتم تكرهونها ولا ترضونها لانفسكم (تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة (ان هى) ماهى اللات والعزى ومناة الثالثة (الا أسماء) أصنام (سميتموها أنتم وآباؤكم) الالهة ويقال صنعتموها أنتم وآباؤكم لانفسكم (ما أنزل الله بها) بعبادتكم لها وتسميتكم لها (من سلطان) من كتاب فيه حجتكم (ان يتبعون) ما يعبدون اللات والعزى ومناة الثالثة وما يسمونها الالهة (الا الظن) لا بظن (١) بغير يقين (وماتهوى الانفس) ويهوى الانفس (ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (من ربهم الهدى) البيان في القرآن بان ليس

بجناحيه والاخرى من التأخر في الرتبة ﴿ألكم الذكر وله الانثى﴾ انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله أفرأيتم ﴿تلك اذا قسمة ضيزى﴾ جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ﴿ان هى الا أسماء﴾ الضمير للاصنام اى ماهى باعتبار الالوهية الا أسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية او للصفة التى تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين ﴿سميتموها أنتم﴾ سميتم بها ﴿وآباؤكم﴾ بهواكم ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ برهان تتعلقون به ﴿ان يتبعون﴾ وقرئ بالتاء ﴿الا الظن﴾ الا توهم ان ماهم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا ﴿وماتهوى الانفس﴾ وما تشتهيه انفسهم ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ الرسول او الكتاب فتركوه

فى الذكر وأما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى هنا نعت للثالثة قال الخليل قالها لوفاق رؤس الآى كقوله مآرب أخرى ولم يقل آخر وقيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هى صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة آدمى والعزى شجرة فهى نبات ومناة صخرة فهى جماد وهى فى أخريات المراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الاصنام حق الرؤية واذا رأيتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تضر ولا تنفع وقيل أفرأيتم أيها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم ﴿ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى﴾ قال ابن عباس أى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة ﴿ان هى﴾ أى ما هذه الاصنام ﴿الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ والمعنى انكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا معبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها ولا يكون لها مسمى حقيقة ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ أى حجة بما تقولون انها آلهة ﴿ان يتبعون الا الظن﴾ أى فى قولهم انها آلهة ﴿وماتهوى الانفس﴾ يعنى هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذى ينبغى ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بتابعة هوى النفس ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ أى البيان بالكتاب المنزل والنبى المرسل أن الاصنام ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح

ومناة الثالثة) أى أخبرونا عن هذه الاشياء التى تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة ﴿١٠٧﴾ أصنام لهم وهى { سورة والنجم } مؤنثات فاللات كانت لثقيف

ومناة الثالثة الاخرى ﴾ هى اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليه اى يطوفون وقرأ هبة الله عن البزى ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على انه سمى به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهى فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء كأنهم يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير

وقرئ اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان فى رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فمرت الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هى شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفأس ويقول

ياعز كفرانك لاسبحانك ۞ انى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالدا رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال مارأيت فقال مارأيت شيأ فقال ماقطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقيل هى صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفانى وقيل انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال انا أصنع لكم كذلك فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذى أخذ من الصفا فقال هذا الصفا ثم وضع الذى أخذ من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة أحجار وأسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين و يعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هى بيت بالطائف كان تعبده ثقيف قوله ﴿ ومناة ﴾ قيل هى لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل هى بيت بالمشلل كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من الحجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها ﴿ الثالثة الاخرى ﴾ الثالثة نعت لمناة اذ هى الثالثة

بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهى سمرة وأصلها تأنيث الاعز وقطعها خالد بن الوليد ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق ومناءة مكى مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها (الاخرى) هى صفة ذم أى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت أخراهم لاولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم

ومناة الثالثة الاخرى) تنفعكم فى الآخرة بل لاتنفعكم وبقول أتظنون أن عبادتكم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة فى الدنيا تنفعكم فى الآخرة بل لاتنفعكم أما اللات فكانت صنما بالطائف لثقيف يعبدونها وأما العزى فكانت شجرة ببطن النخلة لغطفان يعبدونها وأما مناة الثالثة فكانت صنما بمكة لهذيل

﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾

من ابن عباس ثم ان ابن عباس أثبت مانفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير في اثبات الرؤية قال الشيخ محيي الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول أما احتجاج عائشة رضى الله تعالى عنها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره وأما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها انه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الوجه الثالث ماقاله بعض العلماء ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الالهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في أول الحديث لقد قف شعري فمعناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال تقول العرب عند انكار الشئ قف شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر نوراني أراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في أني وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف أراه قال الماوردي الضمير في أراه عائد على الله تعالى والمعنى أن النور يمنعني من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حلت بين الرائي وبينه وفي رواية رأيت نورا معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره وفي رواية ذاته نوراني أراه ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل أن تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم ٭ قوله عز وجل ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها أسماء من اسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شئ وكان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده

(أفرأيتم اللات والعزى

(أفرأيتم) أفتظنون يا أهل مكة أن (اللات والعزى) الاخرى

ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الاشعري وجماعة من أصحابه انه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة وسؤال موسى اياها دليل على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع على ربه واختلفوا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكى عن الاشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنا فتدلى فالاكثر على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم أو مختص باحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه أو من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متأولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدنى هنا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض. قال الشيخ محيي الدين وأما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج في المسئلة وان كانت كثيرة ولكن لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس أتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل والاصل في المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة وراسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فاخبره أنه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا باعلم من

ما يغشاها بحيث لايكتنهها نعت ولايحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ﴿ مازاغ البصر ﴾ ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه ﴿ وماطغى ﴾ وماتجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا مستيقنا اوماعدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وماجاوزها ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ اى والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اى شيأ من آيات ربه اومن مزيدة

قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة أمثال الغربان وقيل أمثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى أمثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة ويروى في الحديث قال رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله عز وجل ﴿ مازاغ البصر وماطغى ﴾ أي مامال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا جاوز مارأى وقيل ماأمر به وهذا وصف أدبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف اذلم يلتفت به الى شئ سوى ما امر به وفي معنى الآية ان قلنا ان الذي يغشى السدرة فراش من ذهب أي لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان ادبه صلى الله عليه وسلم اذلم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولايسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثاني مازاغ البصر بصعقة ولاغشية كما أخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على جبل قطع نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى وقوله تعالى ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ يعني رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبدالله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء

فصل

من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى وهل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسراء قال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فانكرته عائشة كما وقع في صحيح مسلم وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروى عن ابن عباس أنه رآه بعينه

أي رآه اذ يغشى السدرة مايغشى وهو تعظيم وتكبير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن مايغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لايحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها فراش الذهب (مازاغ البصر) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها (وماطغى) وما جاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه الكبرى) الآيات التي هي كبراها عظماها يعني حين رقي به الى السماء فأرى عجائب الملكوت

(مازاغ البصر) ممامال البصر بصر محمد عليه السلام يمينا ولاشمالا بما رأى (وماطغى) ماتجاوز عما رأى رأى جبريل له ستمائة جناح (لقد رأى) محمد صلى الله عليه وسلم (من آيات ربه الكبرى) من عجائب ربه الكبرى أي العظمى

﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ مرة أخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئى والدنو ماسبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ التى ينتهى اليها علم الخلائق واعمالهم اومايتزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهى شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروى مرفوعا انها في السماء السابعة ﴿ عندها جنة المأوى ﴾ الجنة التى يأوى اليها المتقون اوارواح الشهداء ﴿ اذ يغشى السدرة مايغشى ﴾ تعظيم وتكثير

لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ يعنى رأى جبريل في صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة اخرى وذلك انه رآه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهى (م) عن أبي هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل وعلى قول ابن عباس يعنى نزلة أخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز وجل في بعضها وروى عن ابن عباس انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ (م) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى في السماء السادسة واليها ينتهى مايعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط من فوقها فيقبض منها وقال اذ يغشى السدرة مايغشى قال فراش من ذهب وفي رواية الترمذى اليها ينتهى علم الخلائق لاعلم لهم فوق ذلك وفي حديث المعراج المخرج في الصحيحين ثم صعد بي الى السماء السابعة ثم قال رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وفي أفراد مسلم من حديث أنس قال ثم عرج بنا الى السماء السابعة وذكره الى ان قال فيه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من نور الله ماغشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة في أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وماخلفها غيب لايعلمه الا الله عز وجل وعن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة أو قال يستظل بظلها مائة ألف راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال أخرجه الترمذى وقال مقاتل هى شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الالوان ولو أن ورقة وضعت منها في الارض لاضاءت لاهل الارض وهى شجرة طوبى التى ذكرها الله في سورة الرعد ﴿ عندها جنة المأوى ﴾ قال ابن عباس جنة يأوى اليها جبريل والملائكة وقيل تأوى اليها أرواح الشهداء ﴿ اذ يغشى السدرة مايغشى ﴾

من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج (عند سدرة المنتهى) الجمهور على انها شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كانها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ماوراءها وقيل تنتهى اليها أرواح الشهداء (عندها جنة المأوى) أى الجنة التى يصير اليها المتقون وقيل تأوى اليها أرواح الشهداء (اذ غشى السدرة مايغشى)

(ولقد رآه) يعنى رأى محمد عليه السلام جبريل وقيل ربه بفؤاده وقال ببصره (نزلة أخرى) مرة أخرى غير التى أخبركم بها (عند سدرة المنتهى) التى تنتهى اليها كل ملك مقرب ونبى مرسل وقيل تنتهى اليها علم كل ملك مقرب ونبى مرسل وعالم راسخ (عندها) عند السدرة (جنة المأوى)

تأوى اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى) يعلو (السدرة وايغشى) ماعلو من فراش من ذهب وقيل نور وقيل ملائكة

لموحى به او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ ما رأى ببصره من صورة جبرائيل او الله تعالى اى ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك فيه ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة فان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب افتمرونه اى افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم

ذكرت وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها أنت وعلى الامم حتى تدخلها أمتك ﴿قوله عز وجل ﴿ما كذب الفؤاد﴾ قرئ بالتشديد أي ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ما رأى﴾ أي بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف أي ما كذب فؤاد محمد الذي رآه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا في الذي رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية وقيل جعل بصره في فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى انه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عز وجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذي باطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا أمه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ومن حدثك أن محمدا كتم أمرا فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين أخرجاه في الصحيحين (م) عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور انى اراه ﴿قوله عز وجل ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ يعني أفتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين أسري به وقالوا صف

أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقيل المرئي هو الله سبحانه رآه بعين رأسه وقيل بقلبه (أفتمارونه) أفتجادلونه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه أفتمرونه حمزة وعلي وخلف ويعقوب أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة قال (على ما يرى) فعدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين

(ما كذب الفؤاد) فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم (ما رأى) الذي رأى ربه بقلبه ويقال رأى ربه بفؤاده ويقال ببصره وهذا جواب القسم فلما أخبرهم النبي عليه السلام كذبوه فنزل (أفتمارونه) أفتكذبونه (على ما يرى) على ما قد رأى محمد عليه السلام وان قرأت بالالف يقول أفتجادلونه على ما قد رأى

تقديركم كقوله تعالى اويزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفي البعد الملبس ﴿ فأوحى ﴾ جبريل ﴿ الى عبده ﴾ عبدالله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ﴿ ماأوحى ﴾ جبريل وفيه تفخيم

اختلف العلماء في معنى هذه الآية فروى عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أوأدنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وانه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق أخرجاه في الصحيحين وعن زربن حبيش في قوله تعالى فكان قاب قوسين أوأدنى وفي قوله ماكذب الفؤاد مارأى وفي قولي لقدرأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زاد في رواية أخرى رأى جبريل في صورته أخرجه مسلم والبخارى في قوله تعالى فكان قاب قوسين أوأدنى فاوحى الى عبده ماأوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أوأدنى أى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عزوجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى أى فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أوأدنى وقد ورد في الصحيحين في حديث المعراج من رواية شريك بن عبدالله بن أبي نمر عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أوأدنى وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبدالحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث أنس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غيرمعروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به وفي رواية شريك قدم واخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عزوجل فتدلى أى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب القدر والقوس الذى يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تأكيد القرب وأصله ان الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبدالله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التى يقاس بها من قاس يقيس أوأدنى بل أقرب ﴿ فأوحى ﴾ أى فاوحى الله ﴿ الى عبده ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ماأوحى ﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأوحى اليه ربه عزوجل وقال سعيد بن جبير أوحى اليه ألم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنالك

خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص وقيل بل أدنى (فأوحى) جبريل عليه السلام (الى عبده) الى عبدالله وان لم يجر لاسمه ذكر لانه لايلتبس كقوله ماترك على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحى الذى أوحى اليه قيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك

أدنى بنصف قوس (فأوحى الى عبده) جبريل (ماأوحى) الى عبده محمد عليه السلام ويقال فأوحى جبريل الى الى عبده محمد عليه السلام ما أوحى الذى أوحى ويقال فأوحى الى عبده محمد الذى أوحى

عليه السلام عند الجمهور ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين (ذومرة) ذومنظر حسن عن ابن عباس (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وكان ينزل فى صورة دحية، ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الافق الاعلى وهو أفق الشمس فملأ الافق وقيل مارآه أحد من الانبياء عليهم السلام فى صورته الحقيقية سوى محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء (وهو) أى جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) مطلع الشمس (ثم دنى) جبريل من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فزاد فى القرب والتدلى هو النزول بقرب الشئ (فكان قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه لاصلاة ولا كلام الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا ومافيها والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت المضافات (أوأدنى) أى على تقديركم كقوله أو يزيدون وهذا لانهم

جاثمين ﴿ ذومرة ﴾ حصافة فى عقله ورأيه ﴿ فاستوى ﴾ فاستقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها قيل مارآه احد من الانبياء فى صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض وقيل استولى بقوته على ماجعل له من الامر ﴿ وهو بالافق الاعلى ﴾ افق السماء والضمير لجبرائيل ﴿ ثم دنا ﴾ من النبى ﴿ فتدلى ﴾ فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول عليه الصلاة والسلام وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقريرا لشدة قوته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالى الثمر المعلق ﴿ فكان ﴾ جبريل كقولك هو منى معقد الازار او المسافة بينهما ﴿ قاب قوسين ﴾ مقدارهما ﴿ اوادنى ﴾ على

﴿ ذومرة ﴾ أى ذوقوة وشدة وقال ابن عباس ذومنظر حسن وقيل ذوخلق طويل حسن ﴿ فاستوى ﴾ يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿ وهو ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج ﴿ بالافق الاعلى ﴾ عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعنى جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أى قام فى صورته التى خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التى جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء فاما اتى فى الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى وأما اتى فى السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة التى خلق عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله تعالى ﴿ ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾

(ذومرة) ذو شدة ويقال ذوقوة وكانت قوته حيث أدخل يده تحت قريات لوط فقلعها من الماء الاسود ورفعها الى السماء وقلبها فأقبلت تهوى من السماء الى الارض وكانت شدته حيث أخذ بعضادتى {اختلف} باب انطاكية فصاح فيها صيحة فمات من فيها من الخلائق ويقال كانت شدته حيث نفخ ابليس نفخة بريشة من جناحه على عقبة من اعقاب بيت المقدس فضربه على أقصى حجر بالهند (فاستوى) جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها ويقال فاستوى فى صورة خلق حسن (وهو بالافق الاعلى) بمطلع الشمس ويقال فى السماء السابعة (ثم دنا) جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ويقال محمد الى ربه (فتدلى) فتقرب (فكان قاب قوسين) من قسى العرب (أوأدنى) بل

القيامة وجواب القسم (ماضل) عن قصد الحق (صاحبكم) اى محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش (وماغوى) فى اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهوى والغى نقيض الرشد أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وما آتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحى من عند الله يوحى اليه ﴿٩٩﴾ ويحتج بهذه الآية من (سورة والنجم) لايرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحى لانطقا عن الهوى (علمه) علم محمدا عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل

يوم القيامة اوانقض اوطلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد اوبالنجم من نجوم القرآن اذا نزل اوالنبات اذا سقط على الارض اواذا نما وارتفع على قوله ﴿ ماضل صاحبكم ﴾ ماعدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم ﴿ وماغوى ﴾ وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفى ماينسبون اليه ﴿ وماينطق عن الهوى ﴾ ومايصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ﴿ ان هو ﴾ ما القرآن اوالذى ينطق به ﴿ الا وحى يوحى ﴾ الا وحى يوحيه الله اليه واحتج به من لم يرالاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده ومايستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لاالوحى ﴿ علمه شديد القوى ﴾ ملك شديد قواه وهو جبرائيل فانه الواسطة فى ابداء الخوارق روى انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا

والعرب تسمى الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء وجاء فى الحديث عن أبى هريرة مرفوعا ماطلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الارفع أراد بالنجم الثريا وقيل هى نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروى عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهى ماترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هى النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل أراد بالنجم القرآن سمى نجما لانه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا وقيل النجم هو النبت الذى لاساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ماضل صاحبكم ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ماضل عن طريق الهدى ﴿ وماغوى ﴾ أى ماجهل وقيل الفرق بين الضلال والغى ان الضلال هو ان لايجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية ان لايكون له طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال أكثر استعمالا من الغواية ﴿ وماينطق عن الهوى ﴾ أى بالهوى والمعنى لايتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه ﴿ ان هو ﴾ أى ماهو يعنى القرآن وقيل نطقه فى الدين ﴿ الا وحى ﴾ من الله ﴿ يوحى ﴾ اليه ﴿ علمه شديد القوى ﴾ يعنى جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ماأوحى الله اليه عزوجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحى على الانبياء أسرع من رجعة الطرف

سنة فلما نزلت هذه الآية سمع عتبة بن أبى لهب ان محمدا عليه السلام يقسم بنجوم القرآن فقال أبلغوا محمدا صلى الله عليه وسلم انى كافر بنجوم القرآن فلما بلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم سلط عليه سبعا من سباعك فسلط الله عليه أسدا قريبا من حران فأخرجه من بين أصحابه غير بعيد ومزقه من رأسه الى قدمه ولم يذقه لنجاسته ولكن تركه كما كان لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال أقسم الله بالنجوم اذا غابت (ماضل صاحبكم) ولهذا كان القسم ماكذب نبيكم محمد عليه السلام فيما قال لكم (وماغوى) لم يخطئ ولم يضل فى قوله (وماينطق عن الهوى) لم يتكلم بالقرآن بهوى نفسه (ان هو) ماهو يعنى القرآن (الا وحى) من الله (يوحى) اليه جبريل حتى جاء اليه وقرأه عليه (علمه) أى أعلمه جبريل (شديد القوى) وهو شديد القوة بالبدن

آخر الليل وأدبار زيد أي في أعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق

﴿ سورة النجم اثنتان وستون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والنجم) أقسم بالثريا أو بجنس النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو انتثر يوم

قت اومن منامك اوالى الصلاة ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد من الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل ﴿ وادبار النجوم ﴾ واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اى في اعقابها اذا غربت اوخفيت ٭ وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

﴿ سورة والنجم مكية وآيها احدى اوثنتان وستون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والنجم اذا هوى ﴾ اقسم بجنس النجوم اوالثريا فانه غلب فيه اذا غرب اوانتثر

٭ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكر الله باللسان من حين تقوم من الفراش الى أن تدخل في الصلاة وعن عاصم بن حميد قال سألت عائشة باي شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتني عن شئ ما سألني عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ماروى عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك أخرجه الترمذي وأبو داود وقد تكلم في أحد رواته وقوله تعالى ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ أي فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء ﴿ وأدبار النجوم ﴾ يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هي فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النجم وهي مكية وهي اثنتان وستون آية ﴾

﴿ وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ والنجم اذا هوى ﴾ قال ابن عباس يعني الثريا اذا سقطت وغابت

(ومن الليل) والى الليل وبعد دخول الليل (فسبحه) فصل له صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء (وادبار النجوم) ركعتين بعد الفجر وادبار النجم اذا هوى

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها النجم وهي كلها مكية الا الآية التي نزلت في عثمان وعبدالله بن سعد ابن أبي سرح فانها مدنية آياتها ستون وكلماتها ثلاثمائة وحروفها ألف وأربعمائة وخمسة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وباسناده عن ابن عباس في قوله جل ذكره (والنجم اذا هوى) يقول أقسم الله بالقرآن اذا نزل به جبريل على محمد نجوما آية وآيتين وثلاثا وأربعا وكان من أوله الى آخره عشرون

(سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب) الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب (مركوم) قد ركم أي جمع بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) بضم الياء عاصم وشامى الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعقة (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة ﴿٩٧﴾ (عذابا دون ذلك) دون (سورة والطور) يوم القيامة وهو القتل يوم بدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك ثم أمره بالصبر الى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فانك باعيننا) أي بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ الجماعة ألا ترى الى قوله ولتصنع على عيني (وسبح بحمد ربك حين تقوم) للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك أو من أي مكان

يعيهم ويحرسهم من عذابه ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ عن اشراكهم او شركة ما يشركون به ﴿ وان يروا كسفا ﴾ قطعة ﴿ من السماء ساقطا يقولوا ﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿ سحاب مركوم ﴾ هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه او اصعقه ﴿ يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ﴾ اى شيأ من الاغناء فى رد العذاب ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى ﴿ وان للذين ظلموا ﴾ يحتمل العموم والخصوص ﴿ عذابا دون ذلك ﴾ اى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة فى الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ ذلك ﴿ واصبر لحكم ربك ﴾ بامهالهم وابقائك فى عنائهم ﴿ فانك باعيننا ﴾ فى حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ من اى مكان

﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ المعنى انه نزه نفسه عما يقولون * قوله تعالى ﴿ وان يروا كسفا من السماء ساقطا ﴾ هذا جواب اقوالهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ﴿ يقولوا ﴾ لمعاندتهم هذا ﴿ سحاب مركوم ﴾ أي بعضه على بعض يسقينا ﴿ فذرهم حتى يلاقوا ﴾ أي يعاينوا ﴿ يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ أي يموتون ويهلكون ﴿ يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون ﴾ أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع ﴿ وان للذين ظلموا ﴾ أي كفروا ﴿ عذابا دون ذلك ﴾ أي عذابا فى الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي ان العذاب نازل بهم * قوله عز وجل ﴿ واصبر لحكم ربك ﴾ أي الى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به ﴿ فانك باعيننا ﴾ أي بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ أي وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له

(سبحان الله) نزه نفسه (عما يشركون) به من الاوثان (وان يروا) كفار مكة (كسفا) قطعا (من السماء ساقطا) نازلا (يقولوا سحاب مركوم) هذا سحاب مركوم بعضه على بعض من تكذيبهم (فذرهم) اتركهم يامحمد (حتى يلاقوا) يعاينوا (يومهم الذي ﴿ قا و خا ١٣ س ﴾ فيه يصعقون) يموتون (يوم) وهو يوم القيامة (لا يغنى عنهم) عن أبي جهل وأصحابه (كيدهم) لا ينفعهم صنيعهم من عذاب الله (شيأ ولاهم ينصرون) يمنعون مما يراد بهم (وان للذين ظلموا) أشركوا كفار مكة (عذابا) فى القبر (دون ذلك) دون عذاب جهنم (ولكن أكثرهم) كلهم (لا يعلمون) ذلك لا يصدقون (واصبر لحكم ربك) على تبليغ رسالة ربك ويقال ارض بقضاء ربك فيما يصيبك فى طاعة ربك (فانك باعيننا) نظر منا (وسبح بحمد ربك) صل بأمر ربك (حين تقوم) من فراشك صلاة الفجر

ويبنوا الامور على مشيئتهم وبالسين مكي وشامي (أم لهم سلم) منصوب يرتقون به الى السماء (يستمعون فيه) كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه أي عليه (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم (أم له البنت ولكم البنون) ثم سفه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم (أم تسئلهم أجرا) على التبليغ والانذار (فهم من مغرم مثقلون) المغرم أن يلتزم الانسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك (أم عندهم الغيب) أي اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لانبعث وان بعثنا لم نعذب (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله والمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة اليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله تعالى (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته (أم لهم أله غير الله) يمنعهم من عذاب الله

الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاء والباقون بالصاد خالصا ﴿ أم لهم سلم ﴾ مرتقى الى السماء ﴿ يستمعون فيه ﴾ صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن ﴿ فليأت مستمعهم بسلطان مبين ﴾ بحجة واضحة تصدق استماعه ﴿ أم له البنت ولكم البنون ﴾ فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا عن ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ﴿ أم تسألهم اجرا ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ فهم من مغرم ﴾ من التزام غرم ﴿ مثقلون ﴾ محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ﴿ أم عندهم الغيب ﴾ اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات ﴿ فهم يكتبون ﴾ يحكمون منه ﴿ أم يريدون كيدا ﴾ وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله ﴿ فالذين كفروا ﴾ يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور ﴿ هم المكيدون ﴾ هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ﴿ أم لهم اله غير الله ﴾

﴿ أم لهم سلم ﴾ يعني مرقى ومصعدا الى السماء ﴿ يستمعون فيه ﴾ أي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون أن ماهم عليه حق فهم به متمسكون ﴿ فليأت مستمعهم ﴾ أي ان ادعوا ذلك ﴿ بسلطان مبين ﴾ أي بحجة بينة ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾ هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم ﴿ أم تسئلهم أجرا ﴾ أي جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين ﴿ فهم من مغرم مثقلون ﴾ يعني أثقلهم ذلك المغرم الذي سألتهم فمنعهم عن الاسلام ﴿ أم عندهم الغيب ﴾ أي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم به الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى أعلموا ان محمدا يموت قبلهم ﴿ فهم يكتبون ﴾ أي يحكمون قال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به ﴿ أم يريدون كيدا ﴾ أي مكرا بك ليهلكوك ﴿ فالذين كفروا هم المكيدون ﴾ أي المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر ﴿ أم لهم اله غير الله ﴾ يعني يرزقهم وينصرهم

أم لهم سلم يستمعون فيه) يصعدون فيه الى السماء (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة بينة على ما يقولون (أم له البنات) ترضونها وأنتم تكرهونهن (ولكم البنون) تختارونهم (أم تسألهم) يا محمد (أجرا) جعلا على الايمان (فهم من مغرم) من غرم (مثقلون) {سحن}
بالاجابة (أم عندهم الغيب) بانهم لا يبعثون (فهم يكتبون) أي معهم كتاب يكتبون منه ما يشاؤن من اللوح المحفوظ فهم كاتبون منه ما يقولون ويدعون (أم يريدون) بل يريدون (كيدا) قتلك يا محمد (فالذين كفروا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه الذين أرادوا قتل محمد عليه السلام (هم المكيدون) المقتولون يوم بدر لهم (ام لهم آله غير الله) يمنعهم من عذاب الله

(أم يقولون تقوله) اختلقه محمد من تلقاء نفسه (بل) رد عليهم أى ليس الامر كما زعموا (لايؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب (فليأتوا بحديث) مختلق (مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فى أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم (من غير شئ) من غير مقدر (أم هم الخالقون) أم هم الذين خلقوا أنفسهم ﴿٩٥﴾ حيث لايعبدون الخالق (سورة والطور) وقيل أخلقوا من أجل لاشئ من جزاء ولا حساب أم هم الخالقون فلا يأمرون (أم خلقوا السموات والارض) فلا يعبدون خالقهما (بل لايوقنون) أى لايتدبرون فى الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والارض (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاؤا بما شاؤا (أم هم المسيطرون) الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية

﴿أم يقولون تقوله﴾ اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بل لايؤمنون﴾ فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ مثل القرآن ﴿ان كانوا صادقين﴾ فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدى ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ﴿أم خلقوا من غير شئ﴾ أم احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لايعبدونه او من اجل لاشئ من عبادة ومجازاة ﴿أم هم الخالقون﴾ يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ﴿أم خلقوا السموات والارض﴾ وأم فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ﴿بل لايوقنون﴾ اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذلو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ﴿أم هم المسيطرون﴾

﴿أم يقولون تقوله﴾ أى اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا فى الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا ﴿بل لايؤمنون﴾ أى بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ أى مثل القرآن فى نظمه وحسنه وبيانه ﴿ان كانوا صادقين﴾ يعنى ان محمدا تقوله من قبل نفسه ﴿أم خلقوا من غير شئ﴾ قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى أم خلقوا من غير شئ خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لايجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق ﴿أم هم الخالقون﴾ أى لانفسهم وذلك فى البطلان أشد لان مالا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل فى معنى الآية أخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أى لانفسهم فلا يجب عليهم لله أمر ﴿أم خلقوا السموات والارض﴾ يعنى ليس الامر كذلك ﴿بل لايوقنون﴾ أى بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والارض فيؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ يعنى النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقيل خزائن المطر والرزق ﴿أم هم المسيطرون﴾ أى المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهى ويفعلون ما شاؤا

(أم يقولون) بل يقولون كفار مكة (تقوله) تخلق وكذب محمد عليه السلام القرآن من تلقاء نفسه (بل لايؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فى عيانه (فليأتوا بحديث مثله) فيجيؤا بقرآن مثل قرآن محمد عليه السلام من تلقاء نفسه (ان كانوا صادقين) ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه (أم خلقوا من غير شئ) من غير أب وقيل من غير رب (أم هم الخالقون) غير المخلوقين (أم خلقوا السموات والارض) بل الله خلقهما (بل لايوقنون) بل لايصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أم عندهم) أعندهم (خزائن ربك) مفاتيح خزائن ربك بالمطر والرزق والنبات والنبوة (أم هم المسيطرون) المسلطون على ذلك

يعنون فى الدنيا (ندعوه) نعبده ولانعبد غيره ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذى اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب أنه بالفتح بمعنى وعلى أى باله أولانه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم (فما أنت بنعمت ربك) برحمة ربك وبانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولامجنون) كما زعموا وهو فى موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا متلبسا بنعمة ربك (أم يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر أى ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة وأم فى أوائل هذه الآى منقطعة بمعنى بل والهمزة (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم واسناد الامر الى الاحلام مجاز

﴿ندعوه﴾ نعبده أو نسأله الوقاية ﴿انه هو البر﴾ المحسن وقرأ نافع والكسائى بفتح همزة انه ﴿الرحيم﴾ الكثير الرحمة ﴿فذكر﴾ فاثبت على التذكير ولاتكترث بقولهم ﴿فما أنت بنعمت ربك﴾ بحمد الله وانعامه ﴿بكاهن ولامجنون﴾ كما يقولون ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه ﴿قل تربصوا فانى معكم من المتربصين﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ عقولهم ﴿بهذا﴾ بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولايتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن اداتها اليه ﴿أم هم قوم طاغون﴾ مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل هم

أى فى الدنيا ﴿ندعوه﴾ أى نخلص الدعاء والعبادة له ﴿انه هو البر﴾ قال ابن عباس اللطيف وقيل يعنى الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذى عم بره جميع خلقه ﴿الرحيم﴾ بعبيده ﴿قوله عز وجل فذكر﴾ يعنى فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة ﴿فما أنت بنعمت ربك﴾ أى برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة ﴿بكاهن ولامجنون﴾ الكاهن هو الذى يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر بما فى غد من غير وحى والمعنى انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن او مجنون انما تنطق بالوحى نزلت فى الذين اقتسموا أعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون ﴿أم يقولون﴾ يعنى هؤلاء المقتسمين ﴿شاعر﴾ أى هو شاعر ﴿نتربص به﴾ أى ننتظر به ﴿ريب المنون﴾ يعنى حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء او يتفرق عنه أصحابه وان أباه مات وهو شاب ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون اسم للموت وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل ﴿قل تربصوا﴾ أى انتظروا بى الموت ﴿فانى معكم من المتربصين﴾ أى من المنتظرين حتى يأتى أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبى ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ أى عقولهم ﴿بهذا﴾ وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل ﴿أم هم قوم طاغون﴾ أى يتجاوزون الحد فى الطغيان والكفر

(ندعوه) نعبده ونوحده (انه هو البر) الصادق فى قوله فيما وعدنا (الرحيم) بعباده المؤمنين اذ رحمنا (فذكر) فعظ يا محمد (فما أنت بنعمة ربك) بالنبوة والاسلام (بكاهن) تخبر بما فى الغد (ولا مجنون) لاتختنق (أم يقولون) بل يقولون كفار مكة أبو جهل والوليد بن المغيرة وأصحابه (شاعر) يقوله من تلقاء نفسه (نتربص به) ننتظر به (ريب المنون) أوجاع الموت (أم) (قل) يا محمد لابى جهل والوليد بن المغيرة وأصحابه (تربصوا) انتظروا موتى (فانى معكم من المتربصين) من المنتظرين بكم العذاب فعذبوا يوم بدر (أم تأمرهم) تأمرهم (أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) التكذيب والشتم والاذى لمحمد عليه السلام وهذه طعنة لهم من الله (أم هم) بل هم (قوم طاغون) كافرون غالون فى معصية الله

فيها كأسا) خمرا يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا (لا لغو فيها) في شربها (ولا تأثيم) أي لا يجري بينهم ما يلغى يعني لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه اثم لو فعله فاعل في دار التكليف من الكذب و الشتم ونحوهما كشاربي خمر الدنيا لان عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن لا لغو فيها ولا تأثيم مكي وبصري (ويطوف عليهم غلمان لهم) مملوكون لهم مخصوصون بهم (كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) في الصدف لانه رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة في الحديث ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ﴿٩٣﴾ ألف ببابه لبيك لبيك ﴿ سورة والطور ﴾ (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قالوا انا كنا قبل) أي في الدنيا (في أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله أو خائفين من نزع الايمان وفوت الامان أو من رد الحسنات والاخذ بالسيآت (فمن الله علينا) بالمغفرة والرحمة (ووقانا عذاب السموم) هي الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة (انا كنا من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه

فيها ﴾ يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب ﴿ كأسا ﴾ خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ اى لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ﴿ ويطوف عليهم ﴾ اى بالكأس ﴿ غلمان لهم ﴾ اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم ﴿ كأنهم لؤلؤ مكنون ﴾ مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿ واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله ﴿ قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ﴾ خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة ﴿ فمن الله علينا ﴾ بالرحمة والتوفيق ﴿ ووقانا عذاب السموم ﴾ عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد ﴿ انا كنا من قبل ﴾ من قبل ذلك في الدنيا

ويتداولون ﴿ فيها ﴾ أي في الجنة ﴿ كأسا لا لغو فيها ﴾ أي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ﴿ ولا تأثيم ﴾ أي لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو واثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا يأثمون في شربها ﴿ ويطوف عليهم ﴾ أي للخدمة ﴿ غلمان لهم كأنهم ﴾ أي في الحسن والبياض والصفاء ﴿ لؤلؤ مكنون ﴾ أي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ۞ قوله تعالى ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ يعني يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا ﴿ قالوا انا كنا قبل في أهلنا ﴾ أي في الدنيا ﴿ مشفقين ﴾ أي خائفين من العذاب ﴿ فمن الله علينا ﴾ أي بالمغفرة ﴿ ووقانا عذاب السموم ﴾ يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم ﴿ انا كنا من قبل ﴾

فيها) يتعاطون في الجنة (كأسا) خمرا (لا لغو فيها) لا وجع للبطن من شربها (ولا تأثيم) لا اثم عليهم في شربها ويقال لا لغو فيها لا باطل فيها ولا حلف في الجنة ولا تأثيم لا يشتم ولا يكذب بعضهم بعضا (ويطوف عليهم) في الخدمة (غلمان) وصفاء (لهم كأنهم) في الصفاء (لؤلؤ مكنون) قد كن من الحر والبرد والغبر (وأقبل بعضهم على بعض) في الزيارة (يتساءلون) يتحدثون من أمر الدنيا (قالوا انا كنا قبل) قبل دخول الجنة (في أهلنا) مع أهلنا في الدنيا (مشفقين) خائفين من عذاب الله (فمن الله علينا) بالمغفرة والرحمة ودخول الجنة (ووقانا) دفع عنا (عذاب السموم) عذاب النار (انا كنا من قبل) من قبل المغفرة والرحمة

من النازل (ألحقنا بهم ذريتهم) أى نلحق الاولاد بإيمانهم وأعمالهم درجات الآباء وان قصرت أعمال الذرية عن أعمال
الآباء ... ٩٢ ... يكون منهم الاعمال استدلالا واذا تقنوا منهم
تقليدا فهم لاحقون بالآباء
ذرياتهم ذرياتهم مدنى ذريتهم
ذرياتهم أبو عمرو ذرياتهم ذرياتهم
شامى (وما ألتناهم من
عملهم من شئ) وما نقصناهم
من ثواب عملهم من شئ
ألتناهم مكى ألت يألت
والت يألت لغتان من الاولى
متعلقة بالتناهم والثانية
زائدة (كل امرئ بما
كسب رهين) أى مرهون
فنفس المؤمن مرهونة
بعمله وتجازى به
(وأمددناهم) وزدناهم
فى وقت بعد وقت (بفاكهة
ولحم مما يشتهون) وان
لم يقترحوا (يتنازعون

(ألحقنا بهم) بالآباء (ذريتهم)
فى الآخرة فى درجة آبائهم
ويقال والذين آمنوا بمحمد
عليه السلام والقرآن
ندخلهم الجنة وتبعتهم
ذريتهم الصغار فى درجاتهم
بإيمان بإيمان الذرية يوم
الميثاق الحقنا بهم بالآباء
يقول الحقنا بدرجات
الآباء ذريتهم المدركين
اذا كانت درجة آبائهم
ارفع (وما ألتناهم من عملهم
من شئ) يقول ما نقصنا
من درجة الآباء وثوابهم
لاجل الحاق الذرية بهم (كل امرئ بما كسب) من الذنوب (رهين) مرتهن فيعذل بنفسه ... (وأمددناهم) (ويقوّون)
أعطيناهم يعنى أهل الجنة فى الجنة (بفاكهة) بألوان الفاكهة (ولحم) اى لحم طير (مما يشتهون) يتمنون (يتنازعون

وضم السلف تبعا فى كونهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم والاشعار بانه يكفى فى الالحاق المتبعة فى اصل الايمان ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ فى دخول الجنة والدرجة لما روى مرفوعا انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقربهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم ﴿وما ألتناهم﴾ وما نقصناهم ﴿من عملهم من شئ﴾ بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعن ألتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها ﴿وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ اى وزدناهم وقتا بعد وقت مايشتهون من انواع النعم ﴿يتنازعون

آبائهم فى ولد الصغير حكم بالاسلام تبعا لاحد أبويه ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ يعنى المؤمنين فى الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفى رواية أخرى عنه ان معنى الآية والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم يعنى البالغين بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم أخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيأ وذلك قوله تعالى ﴿وما ألتناهم من عملهم من شئ﴾ يعنى وما نقصنا الآباء من أعمالهم شيأ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الى آخر الآية عن على قال سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النار فلما رأى الكراهة فى وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت يارسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين وأولادهم فى الجنة وان المشركين وأولادهم فى النار ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم أخرج هذين الحديثين البغوى باسناد الثعلبى ﴿كل امرئ﴾ أى كافر ﴿بما كسب﴾ أى عمل من الشرك ﴿رهين﴾ أى مرتهن بعمله فى النار والمؤمن لايكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى ﴿وأمددناهم بفاكهة﴾ يعنى زيادة على ما كان لهم ﴿ولحم مما يشتهون﴾ أى من أنواع اللحمان ﴿يتنازعون﴾ أى يتعاطون

سواء عليكم) خبر سواء محذوف أى سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم تعملون) لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بان يجزى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (ان المتقين فى جنات) فى أية جنات (ونعيم) أى وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فاكهين) حال من الضمير فى الظرف والظرف خبر أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) وعطف قوله (ووقاهم ربهم) على فى جنات أى ان المتقين استقروا فى جنات ووقاهم ربهم أو على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم (عذاب الجحيم) أو الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم جزء ٩١ (كلوا واشربوا هنيأ {سورة والطور} بما كنتم تعملون) أكلا وشربا هنيأ أو طعاما وشرابا هنيأ وهو الذى لا تنغيص فيه (متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا (على سرر) جمع سرير (مصفوفة) موصول بعضها ببعض (وزوجناهم) وقرناهم (بحور) جمع حوراء (عين) عظام الاعين حسانها (والذين آمنوا) مبتدأ وألحقناهم خبره (واتبعتهم) وأتبعناهم أبو عمرو (ذريتهم) أولادهم (بايمان) حال

وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها ﴿سواء عليكم﴾ اى الامر ان الصبر وعدمه ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع ﴿ان المتقين فى جنات ونعيم﴾ فى اية جنات واى نعيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بهم ﴿فاكهين﴾ ناعمين متلذذين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية او فى جنات او حال باضمار قد من المستكن فى الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او منهما ﴿كلوا واشربوا هنيأ﴾ اى اكلا وشربا هنيأ او طعاما وشرابا هنيأ وهو الذى لا تنغيص فيه ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسببه أو بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيأ والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ مصطفة ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ الباء لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن ولما فى التزويج من معنى الالصاق والقران ولذلك عطف ﴿والذين آمنوا﴾ على حور اى قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله ﴿واتبعتهم ذريتهم بايمان﴾ اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع

﴿سواء عليكم﴾ أى الصبر والجزع ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أى من الكفر والتكذيب فى الدنيا ﴿قوله تعالى ﴿ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين﴾ أى معجبين بذلك ناعمين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ أى من الخير والكرامة ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا﴾ أى يقال لهم كلوا ﴿واشربوا هنيأ﴾ أى مأمون العاقبة من التخمة والسقم ﴿بما كنتم تعملون﴾ أى فى الدنيا من الايمان والطاعة ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ أى موضوعة بعضها الى بعض ﴿وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا وأتبعناهم ذريتهم بايمان﴾ بمعنى ألحقنا أولادهم الصغار فالكبار بايمانهم والكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان

(سواء عليكم) الجزع والصبر (انما تجزون ما كنتم تعملون) وتقولون فى الدنيا ثم بين مستقر المؤمنين أبى بكر وأصحابه فقال (ان المتقين) الكفر والشرك والفواحش (فى جنات) فى بساتين (ونعيم) دائم (فاكهين) معجبين (بما آتاهم ربهم) بما أعطاهم ربهم فى الجنة (ووقاهم) دفع عنهم (ربهم عذاب الجحيم) عذاب النار فيقول الله لهم (كلوا) من ثمار الجنة (واشربوا) من أنهارها (هنيأ) بلا داء ولا اثم ولا موت (بما كنتم تعملون) وتقولون فى الدنيا (متكئين) جالسين (على سرور مصفوفة) قد صف بعضها فى بعض (وزوجناهم) قرناهم فى الجنة (بحور) بجوار بيض (عين) عظام الاعين حسان الوجوه (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن وصدقوا بايمانهم (واتبعتهم ذريتهم بايمان) ابن الذرية فى الدنيا

والعامل فى يوم لوقع أى تقع فى ذلك اليوم أواذكر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) فى الهواء كالسحاب لأنها تصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار [illegible] ٩٠ [illegible] يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أقفيتهم فيقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا (أفسحر هذا) هذا مبتدأ وسحر خبره يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر افسحر هذا يريد أهذا المصدق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لاتبصرون) كما كنتم لاتبصرون فى الدنيا يعنى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (اصلوها فاصبروا أولاتصبروا

(يوم تمور السماء) تدور السماء (مورا) بأهلها دورانا كدوران الرحا وتموج الخلائق بعضهم فى بعض من الهول (وتسير الجبال) على وجه الارض (سيرا) كسير السحب فى الهواء (فويل) شدة العذاب (يومئذ) وهو يوم القيامة (للمكذبين) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهو أبوجهل وأصحابه (الذين هم فى خوض يلعبون) فى باطل يخوضون (يوم يدعون) يدفعون (سواء) (الى نار جهنم دعا) دفعا تدفعهم الملائكة وتجرهم على وجوههم الى جهنم وتقول لهم الزبانية (هذه النار التى كنتم بها) فى الدنيا (تكذبون) أنها لاتكون (أفسحر هذا) هذا اليوم وهذا العذاب لانكم قلتم فى الدنيا للانبياء هم سحرة (أم أنتم لاتبصرون) لاتعقلون يقول الله (اصلوها) ادخلوها يعنى النار (فاصبروا) على عذابها (أولاتصبروا) على عذابها

وصدق خبره وضبط أعمال العباد للمجازاة ﴿يوم تمور السماء مورا﴾ تضطرب والمور تردد فى المجيء والذهاب وقيل تحرك فى تموج ويوم ظرف ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ اى تسير عن وجه الارض فتصير هباء ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ اى اذا وقع ذلك فويل لهم ﴿الذين هم فى خوض يلعبون﴾ اى فى الخوض فى الباطل ﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا﴾ يدفعون اليها بعنف وذلك بان يغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور اوظرف لقول مقدر محكى ﴿هذه النار التى كنتم بها تكذبون﴾ اى يقال لهم ذلك ﴿أفسحر هذا﴾ اى كنتم تقولون للوحى هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ﴿أم أنتم لاتبصرون﴾ هذا ايضا كما كنتم لاتبصرون فى الدنيا مايدل عليه وهذا تقريع وتهكم ام سد ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا ﴿اصلوها فاصبروا اولاتصبروا﴾ اى ادخلوها على اى

﴿ثم بين أنه متى يقع فقال تعالى ﴿يوم تمور السماء مورا﴾ أى تدور كدور الرحى وتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تحرك وتختلف أجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ أى تزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لارجوع ولاعود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء ومابينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة ﴿فويل﴾ أى شدة عذاب ﴿يومئذ للمكذبين﴾ أى يوم القيامة ﴿الذين هم فى خوض﴾ أى يخوضون فى الباطل ﴿يلعبون﴾ أى غافلون لاهون عما يراد بهم ﴿يوم يدعون﴾ أى يدفعون ﴿الى نار جهنم دعا﴾ يعنى دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيدى الكفار الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزخا فى أقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها ﴿هذه النار التى كنتم بها تكذبون﴾ أى فى الدنيا ﴿أفسحر هذا﴾ وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطى على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم أفسحر هذا ﴿أم أنتم لاتبصرون اصلوها﴾ أى قاسوا شدتها ﴿فاصبروا﴾ أى على العذاب ﴿أو لاتصبروا﴾ أى عليه

(والبيت المعمور) أى الضراح وهو بيت فى السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روى انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لايعودون اليه أبدا وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار (والسقف المرفوع) أى السماء أو العرش (والبحر ﴿٨٩﴾ المسجور) المملوء أو الموقد (سورة والطور) والواو الاولى للقسم والبواقى للعطف وجواب القسم (ان عذاب ربك) أى الذى أوعد الكفار به (لواقع) لنازل قال جبير ابن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه فى الاسارى فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (ماله من دافع) لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع أى واقع غير مدفوع

بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس ﴿ والبيت المعمور ﴾ يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة اوقلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص ﴿ والسقف المرفوع ﴾ يعنى السماء ﴿ والبحر المسجور ﴾ اى المملو وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روى ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا تسجر بها جهنم والمختلط من السجير وهو الخليط ﴿ ان عذاب ربك لواقع ﴾ لنازل ﴿ ماله من دافع ﴾ يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته

هو القرآن ﴿ والبيت المعمور ﴾ يعنى بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وصح فى حديث المعراج من افراد مسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور فى السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه وفى رواية أخرى قال فانتهيت الى بناء فقلت للملك ماهذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون يسبحون الله ويقدسونه وفى افراد البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ﴿ والسقف المرفوع ﴾ يعنى السماء ﴿ والبحر المسجور ﴾ يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ماروى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم وجاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذى ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروى عن على انه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم أقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ان عذاب ربك لواقع ﴾ يعنى انه لحق وكائن ونازل بالمشركين فى الآخرة ﴿ ماله من دافع ﴾ أى مانع قال جبير ابن مطعم قدمت المدينة لأكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت له وهو يصلى باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما صدع قلبى حين سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أنى أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب

ديوان الحفظة (والبيت المعمور) أقسم بالبيت المعمور بالملائكة وهو فى السماء السادسة بحيال الكعبة ما بينه وبين الكعبة الى تخوم الارضين السابعة حرم يدخل فى كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه أبدا وهو البيت الذى بناه آدم ورفع الى السماء السادسة من الطوفان وهو يسمى الضراح وهو مقابل الكعبة (والسقف المرفوع) وأقسم بالسماء المرفوعة فوق كل شئ (والبحر المسجور) وأقسم بالبحر الممتلئ (قا و خا ١٢ س) السابعة تحت عرش الرحمن يسمى وهو بحر فوق السماء الحيوان يحيي الله به الخلائق يوم القيامة ويقال البحر المسجور هو بحر حار يصير نارا وتجعل فى جهنم يوم القيامة أقسم الله بهذه الاشياء (ان عذاب ربك) يوم القيامة (لواقع) الكائن نازل على قريش (ماله) للعذاب (من دافع) من مانع

مثل ذنوب أصحابهم) نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة قال الزجاج الذنوب فى اللغ
النصيب (فلا يستعجلون) نزول العذاب وهذا جواب للنضر وأصحابه حين استعجلوا العذاب (فويل للذين كفروا من يومهم
الذى يوعدون) أى من يوم القيامة وقيل من يوم بدر ليعبدونى أن يطعمونى فلا يستعجلونى بالياء فى الحالين يعقوب
ووافقه سهل فى الوصل (الجزء السابع والعشرون) الباقون بغير ياء ﴿٨٨﴾ والله أعلم ﴿سورة الطور مكية وهى

نصيبا من العذاب ﴿ مثل ذنوب أصحابهم ﴾ مثل نصيب نظائرهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملو ﴿ فلا يستعجلون ﴾ جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿ فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون ﴾ من يوم القيامة او يوم بدر * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

سورة الطور مكية وآيها تسع اوثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والطور ﴾ يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى صلى الله عليه وسلم كلام الله تعالى والطور بالسريانية الجبل اوماطار من اوج الايجاد الى حضيض المواد اومن عالم الغيب الى عالم الشهادة ﴿ وكتاب مسطور ﴾ مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن اوماكتبه الله فى اللوح المحفوظ اوفى الواح موسى اوفى قلوب اوليائه من المعارف والحكم اومايكتبه الحفظة ﴿ فى رق منشور ﴾ الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار

العذاب ﴿ مثل ذنوب أصحابهم ﴾ اى مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود ﴿ فلا يستعجلون ﴾ أى بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل ﴿ فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون ﴾ يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى أعلم بمراده

تفسير سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون آية

وثلاثمائة واثنتا عشرة كلمة والف وخمسمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ والطور ﴾ أراد به الجبل الذى كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين ﴿ وكتاب مسطور ﴾ أى مكتوب ﴿ فى رق ﴾ يعنى الاديم الذى يكتب فيه المصحف ﴿ منشور ﴾ أى مبسوط واختلفوا فى الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الاقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج اليهم يوم القيامة منشورة فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل

تسع وأربعون آية
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(والطور) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين (وكتاب مسطور) هو القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب أو اللوح المحفوظ أو التوراة (فى رق) هو الصحيفة أو الجلد الذى يكتب فيه (منشور) مفتوح لا ختم عليه أولائح

بعضه على أثر بعض (مثل ذنوب أصحابهم) مثل عذاب الذين كانوا من قبلهم (فلا يستعجلون) بالعذاب والهلاك (فويل) شدة عذاب (للذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (من يومهم الذى يوعدون) يخوفون فيه من العذاب الذى بين فى سورة الطور
﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الطور وهى كلها مكية آياتها ثمان وأربعون وكلماتها ثلثمائة واثنتاعشرة كلمة وحروفها ألف وخمسمائة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والطور) يقول اقسم الله بجبل زبير وكل جبل فهو طور بلسان السريانية والقبط ولكن عنى الله به الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو جبل مدين واسمه زبير أقسم الله به (وكتاب مسطور) وأقسم باللوح المحفوظ مكتوب فيه أعمال بنى آدم (فى رق) يعنى أديما (منشور) مكتوب فى صحف مفتوحة يقرأها بنو آدم يوم القيامة وهو (هو)

ان تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة في القرآن فهي توحيد والكل يوحدونه في الآخرة لما عرف ان الكفار كلهم مؤمنون موحدون في الآخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين نعم قد أشرك البعض

في الدنيا لكن مدة الدنيا { سورة والذاريات } بالاضافة الى الابد أقل

الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيابها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنا في ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لنأمرهم بالعبادة وليكونوا عبادا لي ﴿ ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ﴾ اي ما اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معائشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ﴿ ان الله هو الرزاق ﴾ الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق ﴿ ذو القوة المتين ﴾ شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة ﴿ فان للذين ظلموا ذنوبا ﴾ اي للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب

قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتي والاشقياء منهم الا لمعصيتي وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال علي بن أبي طالب الا ليعبدون أي الا لآمرهم ان يعبدوني وادعوهم الى عبادتي وقيل معناه الا ليعرفوني وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا الي ويتذللوا لان معنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل للمشيئة لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدوني فاما المؤمن فيوحده اختيارا في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء ﴿ ما أريد منهم من رزق ﴾ أي ما أريد أن يرزقوا أحدا من خلقي ولا ان يرزقوا أنفسهم لاني أنا الرزاق المتكفل لعبادي بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها ﴿ وما أريد ان يطعمون ﴾ أي ان يطعموا أحدا من خلقي وانما أسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه لما صح من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت انك لو سقيته وجدت ذلك عندي أخرجه مسلم ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال تعالى ﴿ ان الله هو الرزاق ﴾ أي لجميع خلقه ﴿ ذو القوة المتين ﴾ يعني هو القوي الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذي لا تلحقه في أفعاله مشقة ﴿ فان للذين ظلموا ﴾ أي من أهل مكة ﴿ ذنوبا ﴾ أي نصيبا من

من يوم ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته الا للكتابة كان صادقا في قوله اشتريته الا للكتابة وان استعمله في يوم من عمره بعمل آخر (ما أريد منهم من رزق) ما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادي (وما أريد أن يطعمون) قال ثعلب ان يطعموا عبادي وهي اضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى من أكرم مؤمنا فقد أكرمني ومن آذى مؤمنا فقد آذاني (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الشديد القوة والمتين بالرفع صفة لذو وقرأ الاعمش بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار (فان للذين ظلموا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة (ذنوبا)

والانس الا ليعبدون الا لآمرهم ان يوحدوني ويعبدوني (ما أريد منهم من رزق) أن يرزقوا أنفسهم (وما أريد ان يطعمون) وما خلقتهم أن يعينوني على أرزاقهم (ان الله هو الرزاق) لعباده (ذو القوة) على أعدائه (المتين) الشديد العقوبة لهم (فان للذين ظلموا) كفار مكة (ذنوبا) عذابا

(ماأتى الذين من قبلهم) من قبل قومك (من رسول الاقالوا) هو (ساحر أومجنون) رموهم بالسحر أوالجنون لجهلهم (أتواصوا به) الضمير للقول أى أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا (فما أنت بملوم) فلا لوم عليك فى اعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة (وذكر) وعظ بالقرآن (فان الذكرى تنفع المؤمنين) بان تزيد فى عملهم (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) العبادة ان حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعنى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وهذا لانه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم انهم لا يؤمنون للعبادة لانه اذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلابد ان توجد منهم فاذا لم يؤمنوا علم انه خلقهم لجهنم كما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل الا ليكونوا عبادا لى ويوجد

(ماأتى الذين من قبلهم) من قبل قومك (من رسول) دعاهم الى الله (الاقالوا) لذلك الرسول (ساحر اومجنون تواصوا به) أتوافق كل قوم على ان قالوا لرسولهم ساحر أومجنون (بل هم قوم طاغون) كافرون ﴿قراءة﴾ (فتول عنهم) فأعرض عنهم يامحمد (فما أنت بملوم) بمذموم عندنا قد أعذرت وأبلغت ثم أمر بعد ذلك بالقتال (وذكر) عظ بالقرآن (فان الذكرى) العظة بالقرآن (تنفع المؤمنين) تزيد المؤمنين صلاحا (وماخلقت الجن والانس الاليعبدون) ليطيعون وهذا أمر خص لاهل طاعته ويقال لوخلقهم للعبادة ماعصوا ربهم طرفة عين وقال على بن أبى طالب ماخلقتهم الا لآمرهم وأكلفهم ويقال ماخلقت الجن

اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا ومجنونا وقوله ﴿ ماأتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر اومجنون ﴾ كالتفسير له ولا يجوز نصبه بأتى ومافسره لان مابعدما النافية لايعمل فيما قبلها ﴿ أتواصوا به ﴾ اى كأن الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه ﴿ فتول عنهم ﴾ فأعرض عن مجادلتهم بعدما كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاصرار والعناد ﴿ فما أنت بملوم ﴾ على الاعراض بعد مابذلت جهدك فى البلاغ ﴿ وذكر ﴾ ولا تدع التذكير والموعظة ﴿ فان الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ من قدر الله ايمانه اومن آمن فانه يزداد بها بصيرة ﴿ وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ لماخلقهم على صورة متوجهة

﴿ ماأتى الذين من قبلهم ﴾ أى من قبل كفار مكة والامم الخالية ﴿ من رسول ﴾ يعنى يدعوهم الى الايمان والطاعة ﴿ الاقالوا ساحر أومجنون ﴾ قال الله تعالى ﴿ أتواصوا به ﴾ أى أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه وفيه توبيخ لهم ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ أى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمن واحد بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول ﴿ فتول عنهم ﴾ أى أعرض عنهم ﴿ فما أنت بملوم ﴾ أى لالوم عليك فقد أديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على أصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ أمر النبى صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فنزل الله عزوجل ﴿ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله انه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم ﴿ قوله عزوجل ﴿ وماخلقت الجن والانس ﴾ أى من المؤمنين ﴿ الا ليعبدون ﴾ قيل هذا خاص باهل طاعته من الفريقين يدل عليه

الطاقة والموسع القوى على الانفاق أو لموسعون مابين السماء والارض (والارض فرشناها) بسطناها ومهدناها وهى منصوبة بفعل مضمر أى فرشنا الارض فرشناها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكروا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقل كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لامثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أى من الشرك الى الايمان بالله أو من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن أو مما سواه اليه (انى لكم منه نذير مبين ولاتجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) والتكرير للتوكيد والاطالة فى الوعيد أبلغ (كذلك) الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أومجنونا ثم فسر ماأجمل بقوله

لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق اولموسعون السماء اومابينها وبين الارض اوالرزق ﴿ والارض فرشناها ﴾ مهدناها لتستقروا عليها ﴿ فنعم الماهدون ﴾ اى نحن ﴿ ومن كل شئ ﴾ من الاجناس ﴿ خلقنا زوجين ﴾ نوعين ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لايقبل التعدد والانقسام ﴿ ففروا الى الله ﴾ من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة ﴿ انى لكم منه ﴾ اى عذابه المعد لمن اشرك اوعصى ﴿ نذير مبين ﴾ بين كونه منذرا من الله بالمعجزات اومبين مايجب ان يحذر عنه ﴿ ولا تجعلوا مع الله الها آخر ﴾ افراد لاعظم مايجب ان يفر عنه ﴿ انى لكم منه نذير مبين ﴾ تكرير للتأكيد اوالاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك ﴿ كذلك ﴾

السماء بحيث صارت الارض ومايحيط بها من الماء والفضاء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة فى الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون أى الرزق على خلقنا وقيل معناه وانا لذو والسعة والغنى ﴿ والارض فرشناها ﴾ أى بسطناها ومهدناها لكم ﴿ فنعم الماهدون ﴾ أى نحن ﴿ ومن كل شئ خلقنا زوجين ﴾ أى صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أى فتعلموا ان خالق الازواج فرد لانظيرله ولاشريك معه ﴿ ففروا الى الله ﴾ أى قل يا محمد ففروا الى الله أى فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة له وقال ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبدالله ففروا مما سوى الله الى الله ﴿ انى لكم منه نذير ﴾ أى مخوف ﴿ مبين ﴾ أى بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع ﴿ ولاتجعلوا مع الله الها آخر ﴾ أى وحدوه ولاتشركوا به شيأ ﴿ انى لكم منه نذير مبين ﴾ قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لاينفع الامع العمل كما ان العمل لاينفع الامع الايمان وانه لايفوز عندالله الا الجامع بينهما ﴿ كذلك ﴾ أى كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك

بالرزق (والارض فرشناها) على الماء (فنعم الماهدون) الفارشون (ومن كل شئ خلقنا زوجين) لونين فى الارض (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا فيما خلق الله (ففروا الى الله) ففروا من الله الى الله ويقال من معصية الله الى طاعة الله ويقال من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن (انى لكم منه) من الله (نذير مبين) رسول مخوف مبين بلغة تعرفونها (ولاتجعلوا مع الله الها آخر) لاتقولوا لله ولد ولاشريك (انى لكم منه) من الله (نذير مبين) مخوف بلغة تعرفونها (كذلك) كما قال لك قومك ساحر او مجنون

(ماتذر من شئ أتت عليه الاجعلته كالرميم) هوكل مارم أى بلى وتفتت من عظم اونبات أوغير ذلك والمعنى ماتترك من شئ هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم الا أهلكته (وفى ثمود) آية أيضا (اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فاخذتهم الصاعقة) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة على وهى المرة مصدر صعقتهم الصاعقة (وهم ينظرون) لانها كانت نهارا يعاينونها (فالستطاعوا من قيام) أى هرب اوهو من قولهم مايقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين من العذاب أولم يمكنهم مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح لان ماقبله يدل عليه أوواذكر قوم نوح وبالجر أبوعمرو وعلى وحمزة أى وفى قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبدالله وفى قوم نوح (من قبل) هؤلاء المذكورين (انهم كانوا فاسقين) كافرين (والسماء) نصب بفعل يفسره (بنيناها بايد) بقوة والايد القوة (وانا الموسعون) القادرون من الوسع وهو

﴿ماتذر من شئ اتت عليه﴾ مرت عليه ﴿الاجعلته كالرميم﴾ كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت ﴿ وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴾ تفسيره قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ﴿ فعتوا عن امر ربهم ﴾ فاستكبروا عن امتثاله ﴿ فاخذتهم الصاعقة ﴾ اى العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائى الصعقة وهى المرة من الصعق ﴿ وهم ينظرون ﴾ اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار ﴿ فالستطاعوا من قيام ﴾ كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم مايقوم به اذا عجز عن دفعه ﴿ وما كانوا منتصرين ﴾ ممتنعين منه ﴿ وقوم نوح ﴾ اى واهلكنا قوم نوح لان ماقبله يدل عليه اواذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده قراءة ابى عمرو وحمزة والكسائى بالجر ﴿ من قبل ﴾ من قبل هؤلاء المذكورين ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان ﴿ والسماء بنيناها بايد ﴾ بقوة ﴿ وانا الموسعون ﴾

فيها ولابركة فلا تلقح شجرا ولاتحمل مطرا ﴿ ماتذر من شئ أتت عليه ﴾ أى من أنفسهم واموالهم وأنعامهم ﴿ الاجعلته كالرميم ﴾ أى كالشئ الهالك البالى وهو مايبس وديس من نبات الارض كالشجر والتين ونحوه وأصله من رم العظم اذا بلى ﴿ وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴾ يعنى الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ﴿ فعتوا عن أمر ربهم ﴾ أى تكبروا عن طاعة ربهم ﴿ فاخذتهم الصاعقة ﴾ أى بعد مضى ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهى الموت فى قول ابن عباس وقيل أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك ﴿ وهم ينظرون ﴾ أى يرون ذلك العذاب عيانا ﴿ فالستطاعوا من قيام ﴾ أى فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولاقدروا على نهوض من تلك الصرعة ﴿ وما كانوا منتصرين ﴾ أى ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله ﴿ وقوم نوح ﴾ قرئ بكسر الميم ومعناه وفى قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون ﴿ انهم كانوا قوما فسقين ﴾ أى خارجين عن طاعة قوله تعالى ﴿ والسماء بنيناها بايد ﴾ أى بقوة وقدرة ﴿ وانا الموسعون ﴾ قيل هو من السعة أى أوسعنا

(ماتذر) ماتترك (من شئ) منهم ولهم (أتت عليه) مرت عليه الريح (الاجعلته كالرميم) كالتراب (وفى ثمود) أى فى قوم صالح أيضا عبرة (اذ قيل لهم) قال لهم صالح بعد عقرهم الناقة (تمتعوا) عيشوا (حتى حين) الى حين العذاب (فعتوا) فأبوا (عن أمر ربهم) عن قبول أمر ربهم (فاخذتهم الصاعقة) الصيحة بالعذاب (وهم ينظرون) الى العذاب نازلا عليهم (فما استطاعوا من قيام) لم يقدروا ان يقوموا من عذاب الله (وما كانوا منتصرين) ممتنعين بابدانهم من العذاب (وقوم نوح) أهلكناهم (من قبل) من قبل قوم صالح (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (والسماء بنيناها) خلقناها (بأيد) بقوة (وانا الموسعون) لها ما نشاء ويقال انا الموسعون

﴿ السماء ﴾

ومسلمين هنا (وتركنا فيها) فى قراهم (آية للذين يخافون العذاب الاليم) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم
قيل هى ماء أسود منتن (وفى موسى) معطوف على وفى الارض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى
آية كقوله ٭ علفتها تبنا وماء باردا ٭ (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة وهى اليد والعصا (فتولى)
فاعرض عن الايمان (بركنه) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن مايركن اليه الانسان من مال وجند (وقال ساحر)
أى هو ساحر(أو مجنون فاخذناه ﴿٨٣﴾ وجنوده فنبذناهم فى اليم {سورة والذاريات} وهو مليم) آت بما يلام عليه من
كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به فى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والزلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير فى فاخذناه (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) هى التى لاخير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها والاظهر انها الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور

على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لايقتضى الاصدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لايقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة ﴿ وتركنا فيها آية ﴾ علامة ﴿ للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار اوصخر منضود فيها اوماء اسود منتن ﴿وفى موسى ﴾ عطف على وفى الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله

علفتها تبنا وماء باردا

﴿اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين ﴾ هو معجزاته كاليد والعصا ﴿ فتولى بركنه ﴾ فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشئ ويتقوى به وقرئ بضم الكاف ﴿ وقال ساحر ﴾ اى هو ساحر ﴿ او مجنون ﴾ كأنه جعل ماظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد فى انه حصل ذلك باختياره وسعيه اوبغيرهما ﴿ فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ﴾ فاغرقناهم فى البحر ﴿ وهو مليم ﴾ آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير فى فاخذناه ﴿ وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم اولانها لم تتضمن منفعة وهى الدبور او الجنوب او النكباء

جميعا لانه مامن مؤمن الاوهو مسلم لان الاسلام أعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لامانع منه فاذا سمى المؤمن مسلما لايدل على اتحاد مفهوميهما ﴿ وتركنا فيها ﴾ أى فى مدينة قوم لوط ﴿ آية ﴾ أى عبرة ﴿ للذين يخافون العذاب الاليم ﴾ والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم ٭ قوله عز وجل ﴿ وفى موسى ﴾ أى تركنا فى ارسال موسى آية وعبرة ﴿ اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين ﴾ أى بحجة ظاهرة ﴿ فتولى ﴾ أى أعرض عن الايمان ﴿ بركنه ﴾ أى بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم ٭ وقال ساحر أو مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ﴾ أى فاغرقناهم فى البحر ﴿ وهو مليم ﴾ أى آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل ﴿ وفى عاد ﴾ أى وفى اهلاك عاد أيضا آية وعبرة ﴿ اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ يعنى التى لاخير

زاعورا ورثا (وتركنا فيها) يعنى وتركنا فى قريات لوط (آية) علامة وعبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) فى الآخرة فلا يقتدون بفعلهم (وفى موسى) أيضا عبرة (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة بينة اليد والعصا (فتولى بركنه) فاعرض فرعون عن الايمان بالآية وبموسى بركنه بجنوده (وقال ساحر أو مجنون) يختنق (فاخذناه وجنوده) جموعه (فنبذناهم) فاغرقناهم (فى اليم) فى البحر (وهو مليم) مذموم عندالله يلوم نفسه (وفى عاد) فى قوم هود أيضا عبرة (اذ أرسلنا) سلطنا (عليهم الريح العقيم) الشديدة التى لافرج لهم فيها وهى الريح الدبور

(قال فما خطبكم) أي فما شأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أيها المرسلون) أرسلتم بالبشارة خاصة أو لأمر آخر أو لهما
(قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أي قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أريد السجيل وهو طين طبخ
كما يطبخ الآجر حتى صار
في صلابة الحجارة (مسومة)
معلمة من السومة وهي العلامة
على كل واحد منها اسم من
يهلك به (عند ربك) في ملكه
وسلطانه (للمسرفين) سماهم
مسرفين كما سماهم عادين
اى لاسرافهم وعدوانهم
في عملهم حيث لم يقتنعوا
بما أبيح لهم (فأخرجنا
من كان فيها) في القرية
ولم يجر لها ذكر لكونها
معلومة (من المؤمنين) يعني
لوطا ومن آمن به (فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين)
أي غير أهل بيت وفيه
دليل على ان الايمان
والاسلام واحد لان
الملائكة سموهم مؤمنين



قال فما خطبكم ايها المرسلون ❊ لما علم انهم ملائكة عليه وعليهم الصلاة والسلام وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه ❊ قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين ❊ يعنون قوم لوط ❊ لنرسل عليهم حجارة من طين ❊ يريد السجيل فانه طين متحجر ❊ مسومة ❊ مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة ❊ عند ربك للمسرفين ❊ المجاوزين الحد في الفجور ❊ فأخرجنا من كان فيها ❊ في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة ❊ من المؤمنين ❊ ممن آمن بلوط ❊ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ❊ غير اهل بيت من المسلمين واستدل به

قال فما خطبكم ❊ أي فما شأنكم وما طلبكم ❊ أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين ❊ يعني قوم لوط ❊ لنرسل عليهم حجارة من طين ❊ قيل هو الآجر ❊ مسومة ❊ أي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا ❊ عند ربك للمسرفين ❊ قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك أسرف الذنوب وأعظمها ❊ فأخرجنا من كان فيها ❊ أي في قرى قوم لوط ❊ من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت ❊ أي أهل بيت ❊ من المسلمين ❊ يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام

(قال) ابراهيم (فما خطبكم)
شأنكم وما بالكم وما ذا
جئتم (أيها المرسلون قالوا
انا أرسلنا الى قوم مجرمين)
مشركين اجترموا الهلاك
على أنفسهم بعملهم الخبيث
يعنون قوم لوط (لنرسل
عليهم حجارة من طين)
مطبوخ كالآجر (مسومة)
مخططة بالسواد في الحمرة
(عند ربك) من عند ربك
تأتي تلك الحجارة (للمسرفين) على المشركين (فأخرجنا من كان فيها) في قريات لوط (من المؤمنين) (جميعا)
من الموحدين (فما وجدنا فيها) في قريات لوط (غير بيت) غير أهل بيت (من المسلمين) من المقرين وهو لوط وابنتاه

ليأكلوا منه فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) أنكر عليهم ترك الاكل أو حثهم عليهم (فأوجس) فأضمر (منهم خيفة) خوفا فان من لم يأكل طعامك لايحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى نفسه انهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لاتخف) انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بامه (وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم والمبشر به اسحق عند الجمهور (فأقبلت امرأته فى صرة) فى صيحة من صر القلم والباب قال الزجاج الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال أى فجاءت صارة وقيل فأخذت فى صياح وصرتها قولها ياويلتا (فصكت وجهها) فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت باطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أى أنا عجوز فكيف ألد كما قال فى موضع آخر أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أى انما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين (انه هو الحكيم) فى فعله (العليم) فلا يخفى عليه شئ وروى ان جبريل قال لها حين استبعدت انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة وانهم لاينزلون الا بامر الله رسلا فى بعض الامور

﴿ قال ألا تأكلون ﴾ أى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه والانكار ان قاله حيث ما رأى اعراضهم ﴿ فأوجس منهم خيفة ﴾ فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤا للشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب ﴿ قالوا لاتخف ﴾ انا رسل الله قيل مسح جبرائيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وأمن منهم ﴿ وبشروه بغلام ﴾ هو اسحق صلى الله عليه وسلم ﴿ عليم ﴾ يكمل علمه اذا بلغ ﴿ فأقبلت امرأته ﴾ سارة رضى الله عنها الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم ﴿ فى صرة ﴾ فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول اقبلت بأخذت ﴿ فصكت وجهها ﴾ فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء ﴿ وقالت عجوز عقيم ﴾ اى انا عجوز عاقر فكيف ألد ﴿ قالوا كذلك ﴾ مثل ذلك الذى بشرنابه ﴿ قال ربك ﴾ وانما نخبرك به عنه ﴿ انه هو الحكيم العليم ﴾ فيكون قوله حقا وفعله محكما

السعى اليه فلما لم يأكلوا ﴿ قال ألا تأكلون ﴾ يعنى انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير أن يأمرهم ﴿ فأوجس ﴾ أى فأضمر ﴿ منهم خيفة ﴾ لانهم لم يتحرموا بطعامه ﴿ قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم ﴾ أى يبلغ ويعلم وقيل عليم أى نبى ﴿ فأقبلت امرأته ﴾ قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل اقبل يفعل كذا اذا اخذ ﴿ فى صرة ﴾ أى فى صيحة والمعنى انها أخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيأ ﴿ فصكت وجهها ﴾ قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا اذا أنكرن شيأ ﴿ وقالت عجوز عقيم ﴾ معناه أتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك ﴿ قالوا كذلك قال ربك ﴾ أى كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما ﴿ انه هو الحكيم العليم ﴾ ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة

﴿ قال ﴾ ابراهيم (ألا تأكلون) من الطعام (فأوجس منهم خيفة) فأضمر ابراهيم فى نفسه خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فظن أنهم لصوص وكان فى زمانه اذا أكل لرجل من طعام صاحبه أمنه فلما علموا خوف ابراهيم (قالوا لاتخف) منا يا ابراهيم انا رسل ربك (وبشروه) من الله (بغلام) بولد (عليم) فى صغره حليم عظيم فى كبره وهو اسحق (فأقبلت امرأته) أخذت امرأته سارة (فى صرة) فى صيحة وولولة (فصكت وجهها) فجمعت أطراف أصابعها وضربت على وجهها وجبهتها (وقالت عجوز عقيم) أعجوز عقيم تلد كيف هذا (قالوا) قال جبريل ومن معه (كذلك) كما قلنا لك يا سارة (قال ربك انه هو الحكيم) يحكم بولد من العقيم وغير العقيم (العليم) يعلم بما يكون منكما

وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحي وانتظامها بما قبلها باعتبار انه قال وفي الارض آيات وقال في آخر هذه القصة وتركنا فيها آية (حديث ضيف ابراهيم) الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حين أضافهم ابراهيم أو لانهم كانوا في حسبانه كذلك (المكرمين) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم

القرى (اذ دخلوا عليه) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فبما تقدم اذكر (فقالوا سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما (قال سلام) أي عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على اثبات السلام كانه قصد أن يحييهم باحسن مما حيوه به أخذا بادب الله وهذا أيضا من اكرامه لهم وحمزة وعلي سلم والسلم السلام (قوم منكرون) أي أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم (فراغ الى أهله) فذهب فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف ان يخفي أمره وان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه وكان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر (فجاء بعجل سمين فقربه اليهم)

﴿حديث ضيف ابراهيم﴾ فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه اوحى الله اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف ﴿المكرمين﴾ اي مكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته ﴿اذ دخلوا عليه﴾ ظرف للحديث او الضيف او المكرمين ﴿فقالوا سلاما﴾ اي نسلم عليكم سلاما ﴿قال سلام﴾ اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى يكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد ﴿قوم منكرون﴾ اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم اولان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم ﴿فراغ الى اهله﴾ فذهب اليهم في خفية من ضيفانه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا ﴿فجاء بعجل سمين﴾ لانه كان عامة ماله البقر ﴿فقربه اليهم﴾ بان وضعه بين ايديهم

﴿حديث ضيف ابراهيم﴾ يعني هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤا ابراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود ﴿المكرمين﴾ قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبي شريح العدوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ﴿اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون﴾ أي غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما أنكر أمرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض ﴿فراغ﴾ أي عدل ومال ﴿الى أهله فجاء بعجل سمين﴾ أي جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل ﴿فقربه اليهم﴾ هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم

(حديث ضيف ابراهيم) خبر اضياف ابراهيم (المكرمين) أكرمهم بالعجل (اذ دخلوا عليه) على ابراهيم عليه السلام جبريل وملكان معه ويقال جبريل واثنا عشر ملكا كانوا معه (فقالوا سلاما) سلموا على ابراهيم (قال سلام) رد عليهم ابراهيم السلام أنتم (قوم منكرون) لم يعرفهم ولم يعرف سلامهم في تلك الارض في ذلك الزمان (فراغ الى أهله) فرجع ابراهيم الى أهله (فجاء) الى اضيافه (بعجل سمين) صغير مشوي (فقربه) يعني العجل المشوي (اليهم) الى أضيافه فلم يعدوا أيديهم الى الطعام

ضعيف لانه يقتضى الى تقديم ما فى حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) أى المطر لانه سبب الاقوات وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة فهى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدونه فى العقبى كله مقدور مكتوب فى السماء (فورب السماء والارض انه لحق) الضمير يعود الى الرزق أو الى ما توعدون (مثل ما أنكم تنطقون) بالرفع كوفى غير حفص صفة للحق اى حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب اى انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى

غير متمكن وما مزيدة وعن الاصمعى أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابى على قعود فقال من الرجل فقلت من بنى أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الله قال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد وطفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (هل أتاك) تفخيم للحديث (حديث)

آيات اذ ما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة ﴿أفلا تبصرون﴾ تنظرون نظر من يعتبر ﴿وفى السماء رزقكم﴾ اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات ﴿وما توعدون﴾ من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستأنف خبره ﴿فورب السماء والارض انه لحق﴾ وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد ﴿مثل ما انكم تنطقون﴾ اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى حقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن فى لحق او وصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وان بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائى وابى بكر بالرفع ﴿هل أتاك

والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعنى تقويم الادوات السمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة فى ابن آدم ﴿أفلا تبصرون﴾ يعنى كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث ﴿وفى السماء رزقكم﴾ قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق ﴿وما توعدون﴾ يعنى من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال ﴿فورب السماء والارض انه لحق﴾ أى ما ذكر من الرزق وغيره ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أى بلا اله الا الله وقيل شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمى ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر ان يأكل رزق غيره ﴿ قوله تعالى ﴿هل أتاك

(أفلا تبصرون) أفلا تعقلون فتتفكروا فيما خلق الله (وفى السماء رزقكم) ومن السماء يأتى رزقكم يعنى المطر (وما توعدون) يعنى الجنة ويقال وفى السماء رزقكم على رب السماء رزقكم وما توعدون من الثواب والعقاب (فورب السماء والارض) أقسم بنفسه (انه) ان الذى قصصت لكم من أمر الرزق (لحق) صدق كائن (مثل ما أنكم تنطقون) تقولون لا اله الا الله (هل أتاك) يا محمد

(وفي أموالهم حق للسائل) لمن يسأل لحاجته (والمحروم) أي الذي يتعرض ولا يسأل حياء (وفي الارض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك و فجاج للمتقلبين فيها وهي مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلابة ورخوة وعذاة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفتنة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة الهيآت والافعال (للموقنين) للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية ﴿٧٧﴾ عرفوا وجه تأملها فازدادوا {سورة والذاريات} ايقانا على ايقانهم (وفي انفسكم) في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب ومراكز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا منها شئ جاء العجز واذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وقيل ان التقدير أفلا تبصرون في أنفسكم

لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه ﴿ وفي أموالهم حق ﴾ نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس ﴿ للسائل والمحروم ﴾ للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة ﴿ وفي الارض آيات للموقنين ﴾ اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان اووجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته ﴿ وفي انفسكم ﴾ اي وفي انفسكم

والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفرلي ماقدمت وماأخرت وماأسررت وماأعلنت زاد في رواية وماأنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لااله الا أنت أولا اله غيرك زاد النسائي ولاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لااله الاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفرلي أوقال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته *قوله تعار من الليل يقال تعار لرجل من نومه اذا انتبه وله صوت

* قوله عزوجل ﴿ وفي أموالهم حق ﴾ أي نصيب قيل انه مايصلون به رحما أويقرون به ضيفا أويحملون به كلا أويعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة ﴿ للسائل ﴾ أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم ﴿ والمحروم ﴾ قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولايجرى عليه من الفئ شئ قال ابن عباس رضي الله عنهما المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم وقيل معناه الذي حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذي لايسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه أوثمره أونسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب وأظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لايسأل ولايكاد الناس يعطون من لايسأل وانما يفطن له متيقظ ﴿ وفي الارض آيات ﴾ أي عبر من البحار والجبال والاشجار والثمار وأنواع النبات ﴿ للموقنين ﴾ أي بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه بمصنوعاته ﴿ وفي أنفسكم ﴾ أي آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى أن تنفخ الروح وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اختلاف الالسنة والصور

(وفي أموالهم حق) ويرون في أموالهم حقا معلوما (للسائل) الذي يسأل (والمحروم) الذي لايسأل ولا يعطى ولا يفطن به ويقال المحروم الذي قد حرم أجره وغنيمته ويقال المحروم هو المحارف المقتر عليه معيشته والذي لا يلقى قوت يومه (وفي الارض آيات) علامات وعبرات مثل الشجر والدواب والجبال والبحار (للموقنين) المصدقين بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن (وفي أنفسكم) أيضا علامات من الاوجاع والامراض والبلايا حتى يأكل الرجل من مكان واحد ويخرج من مكانين

لاستحقاقهم ذلك ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ تفسير لاحسانهم وما مزيدة اى يهجعون فى طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اى فى قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم بذكر القليل والليل الذى هو وقت السبات والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما ﴿وبالاسحار هم يستغفرون﴾ اى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا أسحروا اخذوا فى الاستغفار كأنهم اسلفوا فى ليلهم الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك

احسانهم فقال تعالى ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ أى كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون أكثره وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم لا يصلوا فيها شيأ اما من أولها أو من أوسطها وعن أنس بن مالك فى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء أخرجه أبو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا أى من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون أى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله فى الصلاة والعبادة ﴿وبالاسحار هم يستغفرون﴾ أى ربما مدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم أخذوا فى الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم فى العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له * ولمسلم قال فيقول أنا الملك أنا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضئ الفجر وزاد فى رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

فصل

هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان * أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفى أمثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام * المذهب الثانى وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معنى النزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفى ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى أعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق

أحسنوا أعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل أو مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو فى كانوا لا بقليلا لانه صار موصوفا بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أى كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز أن تكون ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت (وبالاسحار هم يستغفرون) وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم والسحر السدس الاخير من الليل

(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) يقول قلما ينامون من الليل (وبالاسحار هم يستغفرون) يصلون

القيامة من هو المأفوك (قتل) لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الخراصون) الكذابون المقدرون ما لا يصح هم أصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الذين هم في غمرة) في جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسئلون) فيقولون (أيان يوم الدين) أي متى يوم الجزاء وتقديره أيان وقوع يوم الدين لأنه انما يقع الأحيان ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع في الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أي يقع (يوم هم على النار يفتنون) ويجوز أن يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر الذي هو يقع أو رفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون (ذوقوا فتنتكم) أي تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحراقكم في النار (هذا) مبتدأ خبره (الذي كنتم به تستعجلون) ﴿٧٥﴾ في الدنيا بقولكم فائتنا {سورة والذاريات} بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال (ان المتقين في جنات وعيون) أي وتكون العيون وهي الأنهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنهم فيها (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير في الظرف وهو خبر ان (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة في الدنيا (محسنين) قد

اى من افك الناس عنه وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان ﴿ قتل الخراصون ﴾ الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجرى مجرى اللعن ﴿ الذين هم فى غمرة ﴾ فى جهل يغمرهم ﴿ ساهون ﴾ غافلون عما امروا به ﴿ يسئلون ايان يوم الدين ﴾ اى فيقولون متى يوم الجزاء اى وقوعه وقرئ ايان بالكسر ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ يحرقون جواب للسؤال اى يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ اى مقولا لهم هذا القول ﴿ هذا الذى كنتم به تستعجلون ﴾ هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذى صفته ﴿ ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم ﴾ قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضى متلقى بالقبول ﴿ انهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل

الايمان به ﴿ قتل الخراصون ﴾ أى الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة ﴿ الذين هم فى غمرة ﴾ أى فى غفلة وعمى وجهالة ﴿ ساهون ﴾ أى لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشئ وذهاب القلب عنه ﴿ يسئلون أيان يوم الدين ﴾ أى يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعنى يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى ﴿ يوم هم ﴾ أى يكون هذا الجزاء فى يوم هم ﴿ على النار يفتنون ﴾ أى يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ أى عذابكم ﴿ هذا الذى كنتم به تستعجلون ﴾ أى فى الدنيا تكذيبا به ﴿ قوله تعالى ﴿ ان المتقين فى جنات وعيون ﴾ يعنى فى خلال الجنات عيون جارية ﴿ آخذين ما آتاهم ﴾ اى ما آتاهم ﴿ ربهم ﴾ أى من الخير والكرامة ﴿ انهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ أى قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين فى الدنيا ثم وصف

عليه السلام والقرآن بالكذب والزور فلعنهم الله فقال (قتل الخراصون) لعن الكذابون بنو مخزوم الوليد بن المغيرة وأصحابه (الذين هم فى غمرة) فى جهالة وعمى من أمر الآخرة (ساهون) لاهون عن الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن (يسئلون) يا محمد بنو مخزوم (أيان يوم الدين) متى يوم القيامة الذى نعذب فيه قال الله (يوم) وهو يوم القيامة (هم على النار يفتنون) يحرقون ويقال ينضجون ويقال فى النار يعذبون ويقال على النار يجرون تقول لهم الزبانية (ذوقوا فتنتكم) حرقكم وعذابكم ونضجكم (هذا) العذاب (الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا ثم بين مستقر المؤمنين أبى بكر وأصحابه فقال (ان المتقين) الكفر والشرك والفواحش (فى جنات) بساتين (وعيون) ماء طاهر (آخذين) قابلين راضين (ما آتاهم) ما أعطاهم ربهم فى الجنة ويقال عاملين بما أمرهم (ربهم) فى الدنيا (انهم كانوا قبل ذلك) الثواب والكرامة (محسنين) فى الدنيا بالقول والفعل

(ان ما توعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث (لصادق) وعد صادق كعيشة راضية أي ذات رضا (وان الدين) الجزاء على الاعمال (لواقع) لكائن (والسماء) هذا قسم آخر (ذات الحبك) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك (انكم لفي قول مختلف) أي قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن سحر وشعر وأساطير الاولين (الجزء السادس والعشرون) (يؤفك عنه — ٧٤ — من أفك) الضمير للقرآن أو الرسول أي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم أو يصرف عنه من صرف في سابق علم الله أي علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر

(ان ما توعدون) من البعث (لصادق) لكائن (وان الدين) الحساب والقضاء والقصاص فيه (لواقع) لكائن نازل (والسماء ذات الحبك) وهذا قسم آخر أقسم بالسماء ذات الحبك ذات الحسن والجمال والاستواء والطرق ويقال ذات النجوم والشمس والقمر ويقال ذات الحبك كحبك الماء اذا ضربته الريح أو كحبك الرمل اذا نسفته الريح أو كحبك الشعر الجعد أو كحبك درع الحديد ويقال هي السماء السابعة (لا يمان) اقسم الله بها (انكم) يا أهل مكة (لفي قول مختلف) مصدق بمحمد عليه السلام والقرآن ومكذب به (يؤفك عنه) يصرف عن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن (من أفك) من قد صرف عن الحق والهدى وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وأبو جهل بن هشام وأبي بن خلف وأمية بن خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج صرفوا الناس عن محمد

المطر ﴿ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع﴾ جواب للقسم كأنه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل ﴿والسماء ذات الحبك﴾ ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي تسلكها النظار وتتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق اوحباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون كالقفل والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق ﴿انكم لفي قول مختلف﴾ في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون وفي القرآن او القيامة او امر الدين ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها ﴿يؤفك عنه من افك﴾ يصرف عنه الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله

ينهون عن اكل وعن شرب

اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح

جواب القسم فقال تعالى ﴿ان ما توعدون﴾ أي من الثواب والعقاب يوم القيامة ﴿لصادق﴾ أي لحق ﴿وان الدين﴾ أي الحساب والجزاء ﴿لواقع﴾ أي لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال تعالى ﴿والسماء ذات الحبك﴾ قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله ﴿انكم﴾ يعني يا أهل مكة ﴿لفي قول مختلف﴾ يعني في القرآن وفي محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل في قول مختلف أي مصدق ومكذب ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ أي يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا أراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن

﴿سورة والذاريات مكية وهى ستون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره وبادغام التاء فى الذال حمزة وأبو عمرو (ذروا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل (فالحاملات) السحاب لانها تحمل المطر (وقرا) مفعول الحاملات (فالجاريات) الفلك (يسرا) جريا ذا يسر أى ذا سهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق ﴿٧٢﴾ وغيرها أو تفعل التقسيم ﴿سورة والذاريات﴾ مأمورة بذلك أو تتولى تقسيم أمر العباد فجبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ ويجوز أن يراد الرياح لاغير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الاول انه أقسم بالرياح فبالسحاب التى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثانى أنها تبتدئ فى الهبوب فتذر التراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى فى الجو باسطة له فتقسم المطر

سورة والذاريات مكيه وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والذاريات ذروا﴾ يعنى الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد اوالاسباب التى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء فى الذال ﴿فالحاملات وقرا﴾ فالسحب الحاملة للامطار اوالرياح الحاملة للسحاب اوالنساء الحوامل واسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر ﴿فالجاريات يسرا﴾ فالسفن الجارية فى البحر سهلا اوالرياح الجارية فى مهابها اوالكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر ﴿فالمقسمات امرا﴾ الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها اوما يعمهم وغيرها من اسباب القسمة اوالرياح التى يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم

تفسير سورة الذاريات وهى مكية وهى ستون آية وثلاثمائة

وستون كلمة والف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزوجل ﴿والذاريات ذروا﴾ يعنى الرياح التى تذرو التراب ﴿فالحاملات وقرا﴾ يعنى السحاب تحمل ثقلا من الماء ﴿فالجاريات يسرا﴾ يعنى السفن تجرى فى الماء جريا سهلا ﴿فالمقسمات أمرا﴾ يعنى الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما أمروا به وقيل هم أربعة جبريل صاحب الوحى الى الأنبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة فى الرياح لانها تنشئ السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجرى به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى أقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر

ومن السورة التى يذكر فيها الذاريات وهى كلها مكية آياتها ستون وكلماتها ثلاثمائة وستون وحروفها ألف ومائتان وتسعة وثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والذاريات) يقول اقسم الله بالرياح ذوات الهبوب (ق وخا ١٠ س) (ذروا) ماذرت به الريح فى منازل القوم (فالحاملات) واقسم بالسحاب تحمل الماء (وقرا) ثقلا بالمطر (فالجاريات) واقسم بالسفن (يسرا) سيراهينا بتيسير (فالمقسمات) واقسم بالملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت (أمرا) يقسمون بين العباد اقسم بهؤلاء الاشياء

(من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب من الارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادى الصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر والجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيي) الخلق (ونميت) أى نميتهم فى الدنيا (والينا المصير) أى مصيرهم (يوم تشقق) بتخفيف كوفى وأبو عمرو وغيرهم بالتشديد (الارض عنهم) أى تتصدع الارض فتخرج الموتى من صدوعها (سراعا) حال من مجرور أى مسرعين (ذلك حشر علينا يسير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذى لا يشغله شان عن شأن (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنت عليهم بجبار) كقوله بمسيطر اى ما انت بمسلط عليهم انما انت داع وباعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى اجبره اى ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه والله اعلم

والحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء ﴿من مكان قريب﴾ بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله فى الاعادة نظير كن فى الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج ﴿يوم يسمعون الصيحة﴾ بدل منه والصيحة النفخة الثانية ﴿بالحق﴾ متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ﴿ذلك يوم الخروج﴾ من القبور وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد ﴿انا نحن نحيي ونميت﴾ فى الدنيا ﴿والينا المصير﴾ للجزاء فى الآخرة ﴿يوم تشقق﴾ تتشقق وقرأ الكوفيون وابو عمرو بتخفيف الشين ﴿الارض عنهم سراعا﴾ مسرعين ﴿ذلك حشر﴾ بعث وجمع ﴿علينا يسير﴾ هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذى لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ﴿نحن اعلم بما يقولون﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم ﴿وما انت عليهم بجبار﴾ بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ فانه لا ينتفع به غيره عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

وهو قوله تعالى ﴿من مكان قريب﴾ قيل ان صخرة بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى فى وسط الارض ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ أى الصيحة الاخيرة ﴿ذلك يوم الخروج﴾ أى من القبور ﴿انا نحن نحيي﴾ أى فى الدنيا ﴿ونميت﴾ يعنى عند انقضاء الاجل ﴿والينا المصير﴾ أى فى الآخرة وقيل تقديره نميت فى الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث ﴿يوم تشقق الارض عنهم سراعا﴾ أى يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى ﴿ذلك حشر علينا يسير﴾ أى هين ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ يعنى كفار مكة فى تكذيبك ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ أى بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ أى ما أوعدت به من عصانى من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أى عظ بالقرآن من يخاف وعيدى والله أعلم بمراده

يا محمد يوم ينادى المنادى فى الصور (من مكان قريب) الى السماء من صخرة بيت المقدس وهى أقرب مكان الى السماء من الارض باثنى عشر ميلا ويقال من مكان قريب يسمعون من تحت أقدامهم (يوم يسمعون الصيحة بالحق) بالخروج من القبور (ذلك يوم الخروج) من القبور وهو يوم القيامة (سورة) (انا نحن نحيي) للبعث (ونميت) فى الدنيا (والينا المصير) بعد الموت (يوم تشقق الارض) تتصدع الارض (عنهم سراعا) وخروجهم من القبور سراعا (ذلك حشر) سوق (علينا يسير) هين (نحن أعلم بما يقولون) فى البعث ويقال فى الدنيا (وما أنت) يا محمد (عليهم بجبار) بمسلط أن تجبرهم على الايمان ثم أمره بعد ذلك بقتالهم (فذكر) عظ (بالقرآن من يخاف وعيد) ومن لا يخاف وعيد فانما يقبل عظتك من يخاف عذابى فى الآخرة

أوعلى الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) لعشاآن أو التهجد (وأدبار
السجود) التسبيح فى آثار الصلوات ﴿٧١﴾ والسجود والركوع معبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات
أو الوتر بعد العشاء والادبار
جمع دبر وادبار حجازى وحمزة
وخلف من أدبرت الصلاة
اذا نقضت وتمت ومعناه
وقت انقضاء السجود كقولهم
آتيك خفوق النجم (واستمع)
لما أخبرك به من حال يوم
القيامة وفى ذلك تهويل
وتعظيم لشأن المخبر به وقد
وقف يعقوب عليه وانتصب
(يوم ينادى المنادى) بما
دل عليه ذلك يوم الخروج
أى يوم ينادى المنادى
يخرجون من القبور وقيل
تقديره واستمع حديث يوم
ينادى المنادى • المنادى
بالياء فى الحالين مكى وسهل
ويعقوب وفى الوصل مدنى
وأبو عمرو وغيرهم بغير ياء
فيهما والمنادى اسرافيل
ينفخ فى الصور وينادى
أيتها العظام البالية والاوصال
المتقطعة واللحوم المتمزقة
والشعور المتفرقة ان الله
يأمركن أن تجتمعن لفصل
القضاء وقيل اسرافيل
ينفخ وجبريل ينادى بالحشر

صل بأمر ربك (قبل طلوع
الشمس) وهو صلاة الغداة
(وقبل الغروب) وهو
صلاة الظهر والعصر
(ومن الليل فسبحه) له
صلاة المغرب والعشاء أو
التهجد (وأدبار السجود)
وهى ركعتان بعد المغرب (واستمع) يا محمد حتى تستمع صفة (يوم ينادى المناد) ويقال أعمل يا محمد ليوم ينادى المنادى ويقال انتظر

التسبيح حامدا له على ما أنعم عليك من اصابة الحق وغيرها ﴿قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ يعنى الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ﴿ومن الليل فسبحه﴾ وسبحه بعض الليل ﴿وادبار السجود﴾ واعقاب الصلاة جمع دبر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وانقطعت • وقرأ الحجازيان وحمزة بالكسر وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل طلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء ﴿واستمع﴾ لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به ﴿يوم ينادى المناد﴾ اسرافيل اوجبرائيل عليهما السلام • فيقول ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة

﴿قبل طلوع الشمس﴾ أى صلاة الصبح ﴿وقبل الغروب﴾ يعنى صلاة المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر ﴿ومن الليل فسبحه﴾ يعنى صلاة المغرب والعشاء وقيل يعنى صلاة الليل أى وقت صلى ﴿وادبار السجود﴾ قال عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهى رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على شئ من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتى الفجر (م) عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعنى بذلك سنة الفجر • عن ابن مسعود قال ما احصى ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى قوله وادبار السجود التسبيح باللسان فى ادبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح فى ادبار الصلوات كلها يعنى قوله وادبار السجود (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (خ) عنه ان فقراء المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وماذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتى أحد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا • قوله تعالى ﴿واستمع يوم ينادى المناد﴾ يعنى استمع يا محمد حديث يوم ينادى المنادى وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادى هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى بالحشر فيقول يا أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء

(إن في ذلك) المذكور (لذكرى) تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) واع لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له (أو ألقى السمع) أصغى إلى المواعظ (وهو شهيد) حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) إعياء قيل نزلت في اليهود

لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا إن الذي وقع من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ وأنكر اليهود التربع في الجلوس وزعموا أنه جلس تلك الجلسة يوم السبت (فاصبر على ما يقولون) أي على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه أو على ما يقول المشركون في أمر البعث فإن من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم (وسبح بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره

(إن في ذلك) فيما ذكر (لذكرى) لعظة لقومك (لمن كان له قلب) عقل حي (أو ألقى السمع) أو استمع إلى قراءة القرآن (وهو شهيد) قلبه حاضر غير غائب (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما) من الخلق والعجائب (في ستة أيام) من أيام أول الدنيا طول كل يوم ألف سنة من هذه الأيام أول يوم منها يوم الأحد وآخر يوم منها يوم الجمعة (وما مسنا من لغوب) ما أصابنا من إعياء كما قالت اليهود حيث قالوا لما فرغ (قبل) الله منه ووضع إحدى رجليه على الأخرى واستراح يوم السبت كذب أعداء الله على الله (فاصبر) يا محمد (على ما يقولون) على مقالة اليهود من الكذب ويقال اصبر على ما يقولون يعني على مقالة المستهزئين وهم خمسة رهط قد ذكرتهم في موضع آخر (وسبح بحمد ربك)

أفئدتهم وخفق مراكبهم ﴿إن في ذلك﴾ فيما ذكر في هذه السورة ﴿لذكرى﴾ لتذكرة ﴿لمن كان له قلب﴾ أي قلب واع يتفكر في حقائقه ﴿أو ألقى السمع﴾ أي أصغى لاستماعه ﴿وهو شهيد﴾ حاضر بذهنه ليفهم معانيه أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وإبهامه تفخيم وإشعار بأن كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ مر تفسيره مرارا ﴿وما مسنا من لغوب﴾ من تعب وإعياء وهو رد لما زعمت اليهود من أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ ما يقول المشركون من إنكارهم البعث فإن من قدر على خلق العالم بلا إعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه ﴿وسبح بحمد ربك﴾ ونزهه عن العجز عما يمكن وعن وصفه بما يوجب

تخويف لأهل مكة لأنهم على مثل سبيلهم ﴿إن في ذلك لذكرى﴾ أي إن فيما ذكر من إهلاك القرى تذكرة وموعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله ﴿أو ألقى السمع﴾ أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره ﴿وهو شهيد﴾ أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه * قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ أي إعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش ولذلك تركوا العمل فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره والأظهر أن المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والأرض وما بينهما فقوله وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الأول حتى لا نقدر على الإعادة ثانيا كما قال الله تعالى أفعيينا بالخلق الأول الآية وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو إما تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله وذلك أن الأحد والاثنين أزمنة متميزة بعضها عن بعض فلو كان خلق السموات والأرض ابتدئ يوم الأحد لكان الزمان قبل الأجسام والزمان لا ينفك عن الأجسام فيكون قبل خلق الأجسام أجسام لأن اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع إلى الغروب وقبل خلق السموات والأرض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت * قوله عز وجل ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اصبر يا محمد على ما يقولون أي من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الأمر بقتالهم ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي صل حامدا لله

المفعول أى خشيه وهوغائب أوصفة لمصدر خشى أى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهوغائب الحسن
اذا أغلق الباب وأرخى الستر (وجاء بقلب منيب) راجع الى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادخلوها بسلام)
أى سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذلك يوم الخلود) أى يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين أى مقدرى الخلود
(لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد) على مايشتهون والجمهور على انه رؤية الله تعالى بلا كيف

(وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن) من القرون الذين كذبوا رسلهم (هم أشد منهم) من قومك (بطشا) قوة وسطوة (فنقبوا) فخرقوا (فى البلاد) وطافوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أى شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى أسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الامر (هل من محيص) مهرب من الله أو من الموت (وجاء بقلب منيب) مخلص بالعبادة والتوحيد يقول الله لهم (ادخلوها) يعنى الجنة (بسلام) بسلامة من عذاب الله (ذلك يوم الخلود) خلود أهل الجنة فى الجنة (لهم مايشاؤن)

مايتمنون (فيها) فى الجنة (ولدينا مزيد) يعنى النظر الى وجه الرب ولهم عندنا كل يوم وساعة من الكرامة والثواب
الزيادة (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن) من القرون الماضية (هم أشد منهم) من قومك (بطشا) قوة (فنقبوا فى البلاد)
فطافوا وتقلبوا فى الاسفار بتجاراتهم (هل من محيص) هل كان لهم ملجأ ومفر من عذابنا ويقال هل بقى أحد منهم

﴿وجاء بقلب منيب﴾ بدل بعد بدل من موصوف اواب ولايجوز ان يكون فى حكمه لان من لايوصف به او مبتدأ خبره ﴿ادخلوها﴾ على تأويل يقال لهم ادخلوا فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول اوصفة لمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهوغائب اوالعقاب بعد غيب اوهوغائب عن الاعين لايراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه اوبانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله ﴿بسلام﴾ سالمين من العذاب وزوال النعم اومسلما عليكم من الله وملائكته ﴿ذلك يوم الخلود﴾ يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين ﴿لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد﴾ وهو مالايخطر ببالهم مما لاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ﴿وكم اهلكنا قبلهم﴾ قبل قومك ﴿من قرن هم اشد منهم بطشا﴾ قوة كعاد وفرعون ﴿فنقبوا فى البلاد﴾ فخرقوا فى البلاد وتصرفوا فيها اوجالوا فى الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثانى لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه ﴿هل من محيص﴾ اى هل لهم محيص من الله اومن الموت وقيل الضمير فى نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى اسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان يتنقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت

أى خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل خافه فى الخلوة بحيث لايراه احد اذا ألقى الستر وأغلق الباب ﴿وجاء بقلب منيب﴾ أى مخلص مقبل على طاعة الله ﴿ادخلوها﴾ أى يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة ﴿بسلام﴾ أى بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم ﴿ذلك يوم الخلود﴾ أى فى الجنة لانه لاموت فيها ﴿لهم مايشاؤن فيها﴾ وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهى مسئلتهم فيعطون ماسألوا ثم يزيدالله عبيده مالم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى ﴿ولدينا مزيد﴾ وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فى كل جمعة فى دار كرامته فهذا هو المزيد قوله تعالى ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ أى قبل كفار مكة ﴿من قرن هم أشد منهم بطشا﴾ يعنى سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف ﴿فنقبوا فى البلاد﴾ أى ساروا وتقلبوا فى البلاد وسلكوا كل طريق ﴿هل من محيص﴾ أى فلم يجدوا لهم محيصا أى مهربا من أمر الله وقيل لايجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه

(وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) غير نصب على الظرف أي مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالصهيل والصادر يستوى بها المذكر والمؤنث أو على حذف موصوف أى شيأ غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (هذا) مبتدأ وهو اشارة الى الثواب أو الى مصدر أزلفت (ما توعدون) صفته وبالياء مكي (لكل أواب) رجاع الى ذكر الله خبر (حفيظ) حافظ لحدوده وفي الحديث من حافظ على أربع ركعات فى أول النهار كان أوابا حفيظا (من) مجرور المحل بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لان من فى معنى الجمع (خشى الرحمن) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بانه خاش مع ان المخشى منه غائب (بالغيب) حال من

﴿ وازلفت الجنة للمتقين ﴾ قربت لهم ﴿ غير بعيد ﴾ مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اى شيأ غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان ﴿ هذا ما توعدون ﴾ على اضمار القول و الاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء ﴿ لكل اواب ﴾ رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار ﴿ حفيظ ﴾ حافظ لحدوده ﴿ من خشى الرحمن بالغيب

فتقول قط قط قد امتلات وليس فى مزيد (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفى رواية رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابى هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه احدا

فصل

هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفى أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم فى تأويلها بل نؤمن بانها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثانى وهو قول جمهور المتكلمين انها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا فى تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو شائع فى اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير فى قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان فى المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضى عياض أظهر التأويل انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعى العقلى على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم قوله قط قط أى حسبى حسبى قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه أحدا يعنى انه يستحيل الظلم فى حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى ﴿ قوله تعالى ﴿ وأزلفت الجنة ﴾ أى قربت وأدنيت ﴿ للمتقين ﴾ أى الذين اتقوا الشرك ﴿ غير بعيد ﴾ يعنى انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل ان يدخلوها ﴿ هذا ما توعدون ﴾ أى يقال لهم هذا الذى وعدتم به فى الدنيا على ألسنة الانبياء ﴿ لكل أواب ﴾ أى رجاع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد ابن المسيب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلى ﴿ حفيظ ﴾ قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها وقيل هو المحافظ على الطاعات و الاوامر ﴿ من خشى الرحمن بالغيب ﴾

(وأزلفت) قربت (الجنة للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (غير بعيد) منهم (هذا) الثواب والكرامة (ما توعدون) فى الدنيا (لكل أواب) مقبل الى الله والى طاعته (حفيظ) لامر الله فى الخلوات ويقبل الصلوات (من خشى الرحمن بالغيب) من عمل للرحمن وان لم يره ﴿ أى ﴾

على الهدى (قال لاتختصموا) هو استئناف مثل قوله تعالى قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لاتختصموا (لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد) أى لاتختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة فى اختصامكم ولاطائل تحته وقد أوعدتكم بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فماتركت لكم حجة علىّ والباء فى بالوعيد مزيدة كما فى قوله ولاتلقوا بايديكم أومعدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم (مايبدل القول

لدى) أى لاتطمعوا ان أبدل قولى ووعيدى بادخال الكفار فى النار (وما أنا بظلام للعبيد) فلا أعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ المبالغة لأنه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده (يوم) نصب بظلام أو بمضمر هو اذكر وانذر (يقول) نافع وأبو بكر أى يقول الله (لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وهو مصدر كالمحيد أى انها تقول بعد امتلائها هل من مزيد أى هل بقى فى موضع لم يمتلئ يعنى قد امتلأت أو انها تستزيد وفيها موضع للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه تعالى بانها امتلأت أم لا

(قال) الله له (لاتختصموا لدى) عندى (وقد قدمت اليكم بالوعيد) قد أعلمتكم فى الكتاب مع الرسول من هذا اليوم (مايبدل القول لدى) مايغير القول عندى بالكذب ويقال مايغير اليوم قضائى على عبادى ويقال لايثنى القول عندى (وماانا بظلام للعبيد) ان آخذهم بلا جرم منهم (يوم) وهو يوم القيامة (نقول لجهنم هل امتلأت) كما وعدتك (وتقول هل من مزيد) فتستزيد ويقال وتقول قد امتلأت وهل من مزيد فليس فى مكان رجل واحد

فاستجبتم لى ﴿ قال ﴾ اى الله تعالى ﴿ لاتختصموا لدى ﴾ اى فى موقف الحساب فانه لافائدة فيه وهو استئناف مثل الاول ﴿ وقد قدمت اليكم بالوعيد ﴾ على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فمابقى لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهى اى لاتختصموا عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة اومعدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ﴿ مايبدل القول لدى ﴾ اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد ﴿ وما انا بظلام للعبيد ﴾ فاعذب من ليس لى تعذيبه ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ سؤال وجواب جىء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لأملأن اوانها مع السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ اوانها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابوبكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد اومفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر اوظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلايفتقر الى تقدير مضاف

عنه الى الحق ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ لاتختصموا لدى ﴾ أى لاتعتذروا عندى بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم ﴿ وقد قدمت اليكم بالوعيد ﴾ أى بالقرآن وأنذرتكم على ألسن الرسل وحذرتكم عذابى فى الآخرة لمن كفر ﴿ مايبدل القول لدى ﴾ أى لاتبديل لقولى وهو قوله عزوجل لأملأن جهنم وقضيت عليكم ماأناقاض فلاتغير قولى ولايبدل وقيل معناه لايكذب عندى ولايغير القول عن وجهه لأنى علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى يدل عليه انه قال مايبدل القول لدى ولم يقل مايبدل قولى ﴿ وماأنا بظلام للعبيد ﴾ أى فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فازيد على اساءة المسىء أوأنقص من احسان المحسن ۞ قوله عزوجل ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت ﴾ بيان لماسبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده ﴿ وتقول ﴾ يعنى جهنم ﴿ هل من مزيد ﴾ يعنى تقول قد امتلأت ولم يبق فى موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكارى وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله اليها لايلقى فيها فوج لاذهب فيها ولايملؤها شئ فتقول ألست قد أقسمت لتملأنى فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت

يقول الله تعالى (ألقيا) والخطاب للسائق والشهيد أو لمالك وكان الاصل ألق ألق فناب ألقيا عن ألق ألق لان الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل أصله ألقين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (في جهنم كل كفار) بالنعم والمنعم (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك في الله وفي دينه (الذي جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فألقياه في العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار وفألقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز أن يكون صفة لكفار لان النكرة لا توصف بالموصول (قال قرينه) أي شيطانه الذي قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولى لان الاولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قاله وأما هذه فهي مستأنفة كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما في مقاولة موسى وفرعون فكأن الكافر قال رب هو أطغاني فقال قرينه (ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد) أي ما أوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة

﴿ ألقيا في جهنم كل كفار ﴾ خطاب من الله للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو للواحد وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله

فان تزجراني يا ابن عفان أنزجر ... وان تدعاني أحم عرضا ممنعا

أو الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ ألقين بالنون الخفيفة ﴿ عنيد ﴾ معاند للحق ﴿ مناع للخير ﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه عنه ﴿ معتد ﴾ متعد ﴿ مريب ﴾ شاك في الله وفي دينه ﴿ الذي جعل مع الله الها آخر ﴾ مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره ﴿ فألقياه في العذاب الشديد ﴾ أو بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتأكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه ﴿ قال قرينه ﴾ أي الشيطان المقيض له وانما استؤنف كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب محذوف دل عليه ﴿ ربنا ما أطغيته ﴾ كأن الكافر قال هو أطغاني فقال قرينه ربنا ما أطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ﴿ ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ فأعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم

من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله ﴿ ألقيا في جهنم ﴾ أي يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد ﴿ كل كفار ﴾ أي شديد الكفر ﴿ عنيد ﴾ أي عاص معرض عن الحق معاند لله فيما أمره ﴿ مناع للخير ﴾ أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله ﴿ معتد ﴾ أي ظالم لا يقر بتوحيد الله ﴿ مريب ﴾ أي شاك في التوحيد ﴿ الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد ﴾ يعني النار ﴿ قال قرينه ﴾ يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر ﴿ ربنا ما أطغيته ﴾ قيل هذا جواب الكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا أطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته أي ما أضللته وما أغويته ﴿ ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ أي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته أي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد أي طويل لا يرجع

(ألقيا) يعني ألق (في جهنم كل كفار) كافر بالله وهو الوليد بن المغيرة المخزومي (عنيد) معرض عن الايمان (مناع للخير) للاسلام بنيه وبني بنيه وبني أخيه وذويه وحشمه وقرابته (معتد) غشوم ظلوم (مريب) ظاهر الشك مفتر على الله (الذي جعل مع الله الها آخر) الذي قال لله ولد وشريك (فألقياه) فيقول الله للملك كاتبه ألقه (في العذاب الشديد) الغليظ (قال قرينه) كاتبه الذي يكتب عليه سيآته (ربنا ما أطغيته) ما عجلته بالكتابة ما كتبت عليه ما لم يقل وما لم يفعل وهذا بعد ما يقول الكافر يا رب كتب علي هذا الملك ما لم أقل وما لم أفعل وعجل علي بالكتابة حتى نسيت ويقال قرينه يعني شيطانه يعتذر به الى ربه ربنا يا ربنا ما أطغيته ما أضللته (ولكن كان في ضلال) في خطأ (بعيد) عن الحق والهدى

وتهرب (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) اى وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) اى ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ماهو فى حكم المعرفة (لقد كنت) اى يقال لها لقد كنت (فى غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أى ازلنا غفلتك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد) جعلت الغفلة كانها غطاء غطى بها جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لايبصر شيأ فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر مالم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) الجمهور على انه الملك الكاتب الشهيد عليه (هذا) أى ديوان عمله مجاهد شيطانه الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا أى الذى وكلت به (مالدى عتيد) هذا مبتدأ وما نكرة بمعنى شئ والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها خبر هذا والتقدير هذا شئ ثابت لدى عتيد ثم

للانسان ﴿ونفخ فى الصور﴾ يعنى نفخة البعث ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ اى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد والانجاز والاشارة الى مصدر نفخ ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ ملكان احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيآت والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ماهو فى حكم المعرفة ﴿لقد كنت فى غفلة من هذا﴾ على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ مامن احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبى عليه السلام والمعنى كنت فى غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى مالا يرون وتعلم مالا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس ﴿وقال قرينه﴾ قال الملك الموكل عليه ﴿هذا مالدى عتيد﴾ هذا ماهو مكتوب عندى حاضر لدى او الشيطان الذى قيض له هذا ماعندى وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها وخبر بعد خبر او خبر محذوف

كنت عنه بمعزل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره ﴿ونفخ فى الصور﴾ يعنى نفخة البعث ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ أى ذلك اليوم الذى وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه ﴿وجاءت﴾ أى فى ذلك اليوم ﴿كل نفس معها سائق﴾ أى يسوقها الى المحشر ﴿وشهيد﴾ أى يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدى والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس ﴿لقد كنت فى غفلة من هذا﴾ اى من هذا اليوم فى الدنيا ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ اى الذى كان على قلبك وسمعك وبصرك فى الدنيا ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ أى قوى ثابت نافذ تبصر ما كنت تنكره فى الدنيا وقيل ترى ماكان محجوبا عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيآتك ﴿وقال قرينه﴾ يعنى الملك الموكل به ﴿هذا مالدى﴾ أى عندى ﴿عتيد﴾ أى معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذى وكلتنى به

(ونفخ فى الصور) وهى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) وعيد الاولين والآخرين ان يجتمعوا فيه (وجاءت) يوم القيامة (كل نفس معها سائق) يسوقها الى ربها وهو الملك الذى يكتب عليها السيآت (وشهيد) يشهد عليها عند ربها وهو الملك الذى يكتب لها الحسنات ويقال الشهيد عمله (لقد كنت) يابن آدم (فى غفلة) فى جهالة وعمى (من هذا) اليوم (فكشفنا) فرفعنا (عنك غطاءك) عماما كان محجوبا عنك فى دار الدنيا (فبصرك اليوم حديد) حاد ويقال فعلمك اليوم النافذ فى البعث (وقال قرينه) كاتبه الذى يكتب حسناته ويقال الذى يكتب سيآته (هذا مالدى) هذا الذى وكلتنى عليه (عتيد) حاضر فيقول الله له

قعيد) اتلقى التلقن بالحفظ والكتابة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله ٭ رمانى بامر كنت منه ووالدى ٭ بريئا ومن أجل الطوى رمانى ٭ أى رمانى بامر كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا واذ منصوب باقرب لما فيه من معنى ومايقرب والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس ولاشئ

أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما تلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لايستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهى مافى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمال يوم القيامة من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيآت والرغبة فى الحسنات (مايلفظ من قول) مايتكلم به ومايرمى به من فيه (الالديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر ثم قيل يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وقيل لايكتبان الا مافيه أجر أو وزر وقيل ان الملكين لايجتنبانه الا عند الغائط والجماع لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) اى شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بالحق) اى بحقيقة الامر او بالحكمة (ذلك ما كنت منه) الاشارة الى الموت والخطاب الانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات (تحيد) تنفر (كنت)

قعيد ❊ اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله ❊ وانى وقيار بها لغريب ❊

وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ❊ مايلفظ من قول ❊ مايرمى به من فيه ❊ الالديه رقيب ❊ ملك يرقب عمله ❊ عتيد ❊ معد حاضر ولعله يكتب عليه مافيه ثواب او عقاب وفى الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر ❊ وجاءت سكرة الموت بالحق ❊ لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت من قيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضى وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذى ينبغى ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء فى تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ❊ ذلك ❊ اى الموت ❊ ماكنت منه تحيد ❊ تميل وتفر عنه والخطاب

فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيآت ❊ قعيد ❊ أى قاعد وكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل أراد بالقعيد الملازم الذى لايبرح ❊ مايلفظ من قول ❊ أى مايتكلم من كلام يخرج من فيه ❊ الالديه رقيب ❊ أى حافظ ❊ عتيد ❊ أى حاضر أينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه فلايجوز للانسان أن يتكلم فى هاتين الحالتين حتى لايؤذى الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبا مايتكلم به وقيل انهما يكتبان عليه كل شئ يتكلم به حتى أنينه فى مرضه وقيل لايكتبان الا ماله أجر وثواب أو عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصرى يعجبه ان ينظف عنفقته ❊ روى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات أمين على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر ❊ قوله تعالى ❊ وجاءت سكرة الموت ❊ أى غمرته وشدته التى تغشى الانسان وتغلب على عقله ❊ بالحق ❊ أى بحقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعين وقيل بما يؤل اليه أمر الانسان من السعادة والشقاوة ❊ ذلك ما كنت منه تحيد ❊ أى يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذى

(قعيد) قعود هذا على بابه وهذا على بابه (مايلفظ من قول) مايتكلم العبد بكلام حسن او سيئ (الالديه) عليه (رقيب) حافظ (عتيد) حاضر لايزايله يكتب له أو عليه (وجاءت سكرة الموت) نزعات الموت (بالحق) بالشقاوة والسعادة (ذلك) ياابن آدم (ما كنت منه تحيد) تفر وتكره

(أفعيينا) عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار (بالخلق الاول) أى انا لم نعجز عن الخلق الاول فكيف نعجز عن الثانى والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة (بل هم فى لبس) فى خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله اليهم ان احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (من خلق جديد) بعد الموت وانما نكر الخلق الجديد ليدل على عظمة شأنه وان حق من سمع به أن يخاف ويهتم به (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) الوسوسة الصوت الخفى ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس والباء مثلها فى قوله صوت بكذا (ونحن أقرب اليه) المراد قرب علمه منه (من حبل الوريد) هو مثل فى فرط القرب والوريد عرق فى باطن العنق والحبل العرق والاضافة للبيان كقولهم بعير سانية (اذ يتلقى المتلقيان) يعنى الملكين الحافظين (عن اليمين وعن الشمال

(أفعيينا بالخلق الاول) افأعيانا خلقهم الاول حين خلقناهم حتى يعيينا خلقهم الآخر حين نخلقهم للبعث بعد الموت (بل هم) يعنى قريشا (فى لبس) فى شك (من خلق جديد) بعد الموت (ولقد خلقنا الانسان) يعنى ولد آدم ويقال هو ابو جهل (ونعلم ما توسوس به) ما تحدث به (نفسه ونحن أقرب اليه) اعلم به واقدر عليه (من حبل الوريد) وهو العرق الذى بين الامعاء والحلقوم وليس فى الانسان اقرب اليه منه والحبل والوريد واحد (اذ يتلقى المتلقيان) اذ يكتب الملكان الكاتبان (عن اليمين) عن يمين بنى آدم (وعن الشمال) شمال بنى آدم

وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم ﴿ أفعيينا بالخلق الاول ﴾ أفعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار ﴿ بل هم فى لبس من خلق جديد ﴾ اى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها فى صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ﴿ ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ﴾ اى ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل فى القرب قال

والموت ادنى لى من الوريد

والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمه متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده ﴿ اذ يتلقى المتلقيان ﴾ مقدر باذكر او متعلق بأقرب اى هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى او يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهى ما فيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية وتأكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد ﴿ عن اليمين وعن الشمال

﴿ أفعيينا بالخلق الاول ﴾ هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيي بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وأنكروا البعث ﴿ بل هم فى لبس ﴾ أى شك ﴿ من خلق جديد ﴾ وهو البعث قوله عز وجل ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ أى ما يحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره ﴿ ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ﴾ بيان لكمال علمه أى نحن أعلم به منه والوريد العرق الذى يجرى فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان أجزاء الانسان وأبعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شئ وقيل يحتمل أن يكون المعنى ونحن أقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجرى فيه أمرنا كما يجرى الدم فى عروقه ﴿ اذ يتلقى المتلقيان ﴾ أى يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه ﴿ عن اليمين وعن الشمال ﴾ يعنى ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله

وحب الحصيد) أي وحب الزرع الذي من شأنه ان يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما (والنخل باسقات) طوالا في السماء (لها طلع) هو كل ما يطلع من ثمر النخيل (نضيد) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه أو لكثرة ما فيه من الثمر (رزقا للعباد) أي أنبتناها رزقا للعباد لان الانبات في معنى نرزق فيكون رزقا مصدرا من غير لفظه أو هو مفعول له أي أنبتناها لرزقهم (وأحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) قد جف نباتها (كذلك الخروج) أي كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لان احياء الموات كاحياء الاموات والكاف في محل الرفع على الابتداء (كذبت قبلهم) قبل ﴿الجزء السادس والعشرون﴾ قريش (قوم نوح ﴿٦٢﴾ وأصحاب الرس) هو بئر لم تطووه

وحب الحصيد ﴿ وحب الزرع الذي من شأنه ان يحصد كالبر والشعير ﴿والنخل باسقات ﴿ طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافردها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف ﴿ لها طلع نضيد ﴿ منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر ﴿ رزقا للعباد ﴿ علة لانبتنا ومصدر فان الانبات رزق ﴿ واحيينا به ﴿ بذلك الماء ﴿ بلدة ميتا ﴿ ارضا جدبة لا نماء فيها ﴿ كذلك الخروج ﴿ كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون ﴿ اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده ﴿ واخوان لوط ﴿ سماهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره ﴿ واصحاب الايكة وقوم تبع ﴿ سبق في الحجر والدخان ﴿ كل كذب الرسل ﴿ اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه ﴿ فحق وعيد ﴿ فوجب وحل عليه وعيدى

أي بساتين ﴿ وحب الحصيد ﴿ يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد ﴿ والنخل باسقات ﴿ أي طوالا وقيل مستويات ﴿ لها طلع ﴿ أي ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا قبل أن يتشقق ﴿ نضيد ﴿ أي متراكب بعضه على بعض في أكمامه فاذا تشقق وخرج من أكمامه فليس بنضيد ﴿ رزقا ﴿ أي جعلناه ذلك رزقا ﴿ للعباد وأحيينا به ﴿ أي بالمطر ﴿ بلدة ميتا ﴿ فانبتنا فيها الكلا والعشب ﴿ كذلك الخروج ﴿ أي من القبور أحياء بعد الموت ﴿ قوله تعالى ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة ﴿ قيل كان لوط مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم ولذلك قال واخوان لوط ﴿ وقوم تبع ﴿ هو أبو كرب أسعد تبع الحميري وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله عزوجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم ﴿ كل كذب الرسل فحق وعيد ﴿ أي كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدي أي وجب لهم عذابي وقيل فحق وعيدي للرسل بالنصر

قوم باليمامة وقيل أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (واخوان لوط وأصحاب الايكة) سماهم اخوانه لان بينهم وبينه نسبا قريبا (وقوم تبع) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمي به لكثرة تبعه (كل) أي كل واحد منهم (كذب الرسل) لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدي وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم

(وحب الحصيد) الحبوب كلها التي تحصد (والنخل باسقات) طوالا غلاظا (لها طلع) كفرى وثمر (نضيد) منضود مجتمع (رزقا للعباد) طعاما للخلق يعني الحبوب (وأحيينا به) بالمطر (بلدة ميتا) مكانا لا نبات فيه (فعمينا) (كذلك الخروج) هكذا تحيون وتخرجون من القبور يوم القيامة بالمطر (كذبت قبلهم) قبل قومك يا محمد (قوم نوح) نوحا (وأصحاب الرس) والرس بئر دون اليمامة وهم قوم شعيب كذبوا شعيبا (وثمود) قوم صالح صالحا (وعاد) قوم هود هودا (وفرعون) كذب وقومه موسى (واخوان لوط) قوم لوط لوطا (وأصحاب الايكة) الغيضة من الشجر وهم قوم شعيب كذبوا شعيبا (وقوم تبع) كان ملك حمير وكان اسمه اسعد بن ملكيكرب وكنيته أبو كرب وسمي تبعا لكثرة تبعه وكان رجلا مسلما (كل) كل هؤلاء (كذب الرسل) كما كذبك قومك قريش (فحق وعيد) فوجبت عليهم عقوبتي وعذابي عند تكذيبهم الرسل

لماجاءهم) اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فهم فى أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم فى الاصبع اذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شئ واحد وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالنيرات (ومالها من فروج) من فتوق وشقوق أى انها سليمة من العيوب لا فتق فيها وصدع ولا خلل (والارض ﴿٦١﴾ مددناها) دحوناها (وألقينا فيها رواسى) ﴿سورة ق﴾ جبالا ثوابت لولا هى لمالت (وأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لنبصر به ونذكر (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مفكر فى بدائع خلقه (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات

يعنى النبوة الثابتة بالمجزات اوالنبى اوالقرآن ﴿ لماجاءهم ﴾ وقرئ لما بالكسر ﴿ فهم فى امر مريج ﴾ مضطرب من مرج الخاتم فى اصبعه اذاخرج وذلك قولهم تارة انه شاعر و تارة انه ساحر وتارة انه كاهن ﴿ أفلم ينظروا ﴾ حين كفروا بالبعث ﴿ الى السماء فوقهم ﴾ الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم ﴿ كيف بنيناها ﴾ رفعناها بلا عمد ﴿ وزيناها ﴾ بالكواكب ﴿ ومالها من فروج ﴾ فتوق بان خلقناها ملساء متلاصقة الطباق ﴿ والارض مددناها ﴾ بسطناها ﴿ والقينا فيها رواسى ﴾ جبالا ثوابت ﴿ وانبتنا فيها من كل زوج ﴾ من كل صنف ﴿ بهيج ﴾ حسن ﴿ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا ﴾ كثير المنافع ﴿ فانبتنا به جنات ﴾ اشجارا وثمارا

بالقرآن ﴿ لماجاءهم ﴾ قيل معناه كذبوا به لماجاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم ﴿ فهم فى أمر مريج ﴾ أى مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط أمرهم قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ومرة معلم مجنون ويقولون فى القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل فى هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقيل ماترك قوم الحق الامرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى ﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ﴾ أى بغير عمد ﴿ وزيناها ﴾ أى بالكواكب ﴿ ومالها من فروج ﴾ أى شقوق وصدوع ﴿ والارض مددناها ﴾ أى بسطناها على وجه الماء ﴿ وألقينا فيها رواسى ﴾ أى جبالا ثوابت ﴿ وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ أى من كل صنف حسن كريم يبتهج به أى يسر به ﴿ تبصرة ﴾ أى جعلنا ذلك تبصرة ﴿ وذكرى ﴾ أى تذكرة ﴿ لكل عبد منيب ﴾ أى راجع الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من أناب ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا ﴾ أى كثير الخير والبركة فيه حياة كل شئ وهو المطر ﴿ فانبتنا به ﴾ أى بذلك الماء ﴿ جنات ﴾

(لما جاءهم) محمد عليه السلام حين جاءهم وهذا جواب القسم ان قد جاءهم محمد عليه السلام بالقرآن (فهم فى أمر مريج) ضلال ويقال ملتبس ويقال فى قول مختلف بعضهم مكذب وبعضهم مصدق (أفلم ينظروا) كفار مكة (الى السماء فوقهم) فوق رؤسهم (كيف بنيناها) خلقناها بلا عمد (وزيناها) بالنجوم يعنى سماء الدنيا (ومالها من فروج) من شقوق وصدوع وعيوب وخلل (والارض مددناها) بسطناها على الماء (وألقينا فيها) فى الارض (رواسى) جبالا ثوابت أوتادا لها لكى لا تميد بها (وأنبتنا فيها) فى الارض (من كل زوج بهيج) من كل لون حسن فى المنظر (تبصرة) لكى تبصروا (وذكرى) عظة لكى تتعظوا به ويقال تبصرة عبرة وتفكرا وذكرى عظة (لكل عبد منيب) مقبل الى الله والى طاعته (ونزلنا من السماء ماء) مطرا (مباركا) بالنبات والمنفعة فيه حياة كل شئ (فأنبتنا به) بالمطر (جنات) بساتين

انكار لتعجبهم مما ليس بعجيب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته ومن كان كذلك لم يكن الا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم مكروه واذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شئ واقرارهم بالنشأة الاولى مع شهادة العقل بانه لابد من الجزاء ثم عول على أحد الانكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا) دلالة على ان تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع ءمتنا نافع و ﴿الجزء السادس والعشرون﴾ وعلى وحمزة ﴿٦٠﴾ وحفص (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد أى بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن وناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى علم ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا (وعندنا كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا بالحق) (بالقرآن)

وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم ﴿فقال الكافرون هذا شئ عجيب﴾ حكاية تعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك وعطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ﴿أئذا متنا وكنا ترابا﴾ اى أنرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ﴿ذلك رجع بعيد﴾ اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع ﴿قد علمنا ما تنقص الارض منهم﴾ ما تأكل من اجسادهم بعد موتهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه وتأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده ﴿بل كذبوا بالحق﴾

وصدقه ﴿فقال الكافرون هذا شئ عجيب﴾ أى معجب غريب ﴿أئذا متنا وكنا ترابا﴾ أى أحين نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ﴿ذلك رجع بعيد﴾ اى يبعد أن نبعث بعد الموت قال الله تعالى ﴿قد علمنا ما تنقص الارض منهم﴾ أى ما تأكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شئ ﴿وعندنا﴾ أى من علمنا بذلك ﴿كتاب حفيظ﴾ بمعنى محفوظ أى من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أى حافظ لعددهم وأسمائهم وما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون ﴿بل كذبوا بالحق﴾ أى

(فقال الكافرون) كفار مكة بنى أمية ومنبه ونبيه (هذا) الذى يقول محمد عليه السلام أن نبعث بعد الموت (شئ عجيب) اذ يقول (أئذا متنا وكنا ترابا) صرنا ترابا رفاتا نبعث (ذلك) الذى يقول محمد عليه السلام (رجع) رد (بعيد) طويل لا يكون انكارا منهم بالبعث قال الله (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) ما تأكل الارض من لحومهم بعد موتهم وما تترك (وعندنا كتاب حفيظ) من الشيطان وهو اللوح المحفوظ فيه مكتوب موتهم ومكثهم فى القبر ومبعثهم يوم القيامة (بل كذبوا) قريش (بالحق) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

أن هدا كم (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) وبالياء مكى وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى انه تعالى يعلم كل مستتر فى العالم ويبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم لايخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه مافى ضمائركم وهو علام الغيوب ﴿سورة ق مكية ٥٩﴾ ﴿سورة ق﴾ وهى خمس وأربعون آية

ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لاالهم ﴿ان الله يعلم غيب السموات والارض﴾ ماغاب فيهما ﴿والله بصير بما تعملون﴾ فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما فى الآية من الغيبة عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهى خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ق والقرآن المجيد﴾ الكلام فيه كما مر فى ص والقرآن ذى الذكر والمجيد ذوالمجد والشرف على سائر الكتب اولانه كلام المجيد اولان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد ﴿بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم﴾ انكار لتعجبهم مما ليس بعجب

﴿ان الله يعلم غيب السموات والارض﴾ أى انه سبحانه وتعالى لايخفى عليه شئ فى السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم ﴿والله بصير بما تعملون﴾ أى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة ق وهى مكية وهى خمس واربعون آية

وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة

واربعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزوجل ﴿ق﴾ قال ابن عباس هوقسم وقيل هواسم للسورة وقيل هواسم من أسماء الله وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل هومفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضى الامر أوقضى ماهو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كتفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولايعلم ماوراءه الا الله تعالى ويقال هومن وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة ﴿والقرآن المجيد﴾ أى الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا فى جواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل مايلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته

(بسم الله الرحمن الرحيم) الكلام فى (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) كالكلام فى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما فى أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا أى كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم

(ان الله يعلم غيب السموات والارض) غيب ما يكون فى السموات والارض (والله بصير بما تعملون) فى نفاقكم يامعشر المنافقين وبعقوبتكم ان لم تتوبوا

ومن السورة التى يذكر فيها ق وهى كلها مكية آياتها خمس وأربعون آية وكلماتها ثلثمائة وخمس وتسعون وحروفها ألف واربعمائة وتسعون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ق) يقول هو جبل أخضر محدق بالدنيا وخضرة السماء منه أقسم الله به (والقرآن المجيد) وأقسم بالقرآن الكريم الشريف (بل عجبوا) قريش ولهذا كان القسم قد عجبوا حين قال الله انهم تبعثون بعد الموت وقل بل عجبوا قريش منهم أبى وأمية ابنا خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج (أن جاءهم) بان جاءهم (منذر) رسول مخوف (منهم) من نسبهم

وأنفسهم في سبيل الله) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان في جيش العسرة وأن يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبر المبتدأ الذي هو المؤمنون (أولئك هم الصادقون) أي الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني أسد او هم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا انهم مخلصون فنزل (قل أتعلمون الله بدينكم) أي أتخبرونه بتصديق قلوبكم (والله يعلم ما في السموات ومافي الارض والله بكل شئ عليم) من النفاق والاخلاص ويعلم صدقكم (يمنون عليك أن) أي بأن (أسلموا) يعني باسلامهم والمن ذكر الايادي تعريضا للشكر (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم) أي المنة عليكم (أن هداكم) بأن هداكم أو لأن (للايمان ان كنتم صادقين) ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان بالله فلله المنة عليكم وقرئ

وأنفسهم في سبيل الله) في طاعة الله (أولئك هم الصادقون) المصدقون في ايمانهم وجهادهم (قل) يا محمد لبني أسد (أتعلمون الله) أتخبرون الله (بدينكم) الذي أنتم عليه أمصدقون به أم مكذبون (والله يعلم ما في السموات ومافي الارض) ما في قلوب أهل السموات وما في قلوب أهل الارض (والله بكل شئ عليم) من سر أهل السموات والارض (يمنون عليك) يا محمد بنو أسد (أن أسلموا) وهو قولهم أطعمنا وأكرمنا يا رسول الله فقد أسلمنا متوافرين (قل) لهم يا محمد (لا تمنوا على اسلامكم) باسلامكم (بل الله يمن عليكم) بل الله المنة عليكم (أن هداكم) أن دعاكم (للايمان) لتصديق الايمان (ان كنتم صادقين) بانا مصدقون ولكن أنتم كاذبون لستم بمصدقين في ايمانكم {ان}

وأنفسهم في سبيل الله ﴾ في طاعته وجهده بالاموال والانفس تصلح العبادات المالية والبدنية باسرها ﴿ اولئك هم الصادقون ﴾ الذين صدقوا في ادعاء الايمان ﴿ قل أتعلمون الله بدينكم ﴾ أتخبرونه بقولكم آمنا ﴿ والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شئ عليم ﴾ لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه ﴿ يمنون عليك ان اسلموا ﴾ يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن ﴿ قل لا تمنوا على اسلامكم ﴾ اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتدال ﴿ بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ﴾ على مازعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذهداكم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به نفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن به عليك بل لو صح

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ أي في ايمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله عز وجل ﴿ قل أتعلمون الله بدينكم ﴾ أي تخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه ﴿ والله يعلم ما في السموات وما في الارض ﴾ أي لا يخفى عليه خافية ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ أي لا يحتاج الى اخباركم ﴿ يمنون عليك أن أسلموا ﴾ هو قولهم أسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك أن اسلامهم لم يكن خالصا ﴿ قل لا تمنوا على اسلامكم ﴾ أي لا تعتدوا على باسلامكم ﴿ بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ﴾ أي لله المنة عليكم أن أرشدكم وأمدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على مازعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ أي انكم مؤمنون

لاتقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالايمان ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك وقيل ولكن أسلمتم الكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير [illegible] وليس قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم تكريرا لمعنى قوله لم تؤمنوا فان فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ﴿٢٧﴾ ولكن قولوا أسلمنا حيث [illegible] سورة الحجرات [illegible] أنتقولوا كذا [illegible] لانه كلام

من ضميره اى لكن قولوا أسلمنا ولم تواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد ﴿ وان تطيعوا الله ورسوله ﴾ بالاخلاص وترك النفاق ﴿ لايلتكم من اعمالكم ﴾ لاينقصكم من أجورها ﴿ شيأ ﴾ من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لايألتكم من الالات وهو لغة غطفان ﴿ ان الله غفور ﴾ لما فرط من المطيعين ﴿ رحيم ﴾ بالتفضل عليهم ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا ﴿ وجاهدوا باموالهم

لايكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو أعجبهم الى فقلت مالك عن فلان والله انى لاراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا وأجابه بمثل ذلك ثم قال انى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه زاد فى رواية قال الزهرى فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح قال الشيخ محيى السنة اعلم أن الاسلام هو الدخول فى السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ماهو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لابراهيم عليه السلام أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ماهو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين ﴿فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لايحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام أعم والايمان أخص لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرا غيره فالعام والخاص مختلفان فى العموم والخصوص متحدان فى الوجود فكذلك المؤمن والمسلم وقوله تعالى ﴿ وان تطيعوا الله ورسوله ﴾ أى ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان ﴿ لايلتكم ﴾ اى لاينقصكم ﴿ من أعمالكم شيأ ﴾ أى من ثواب أعمالكم ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ أى لم يشكوا فى دينهم ﴿ وجاهدوا باموالهم

[illegible] موقع الحال من الضمير فى [illegible] (وان تطيعوا الله ورسوله) فى السر بترك النفاق (لايلتكم) لايألتكم بصرى (من أعمالكم شيأ) أى لاينقصكم من ثواب حسناتكم شيأ ألت يألت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص (ان الله غفور) بستر الذنوب (رحيم) بهداهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان [illegible] [illegible] الايمان [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] الايمان بكلمة [illegible] [illegible] [illegible] الازمنة [illegible] غضا [illegible] وجاهدوا بأموالهم

وان تطيعوا الله ورسوله) فى السر (قا وخا ٨ س) كما تطيعوهما فى العلانية [illegible] عن [illegible] الغدق (لايلتكم من أعمالكم) لاينقصكم من ثواب حسناتكم (شيأ ان الله غفور) [illegible] (رحيم) [illegible] على التوبة ثم بين نعت المؤمنين المصدقين فى ايمانهم فقال (انما المؤمنون) المصدقون فى ايمانهم (الذين آمنوا بالله) صدقوا فى ايمانهم بالله (ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا فى ايمانهم (وجاهدوا باموالهم

(قالت الاعراب) أى بعض الاعراب لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم اعراب بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فاظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه (آمنا) أى ظاهرا وباطنا (قل) لهم يا محمد (لم تؤمنوا) لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) فالايمان هو التصديق والاسلام الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين ألا ترى الى قوله (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) فاعلم أن مايكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان وهذا من حيث اللغة وأما فى الشرع فالايمان والاسلام واحد لما عرف وفى لما معنى التوقع وقد دل على أن بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم أن الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان فان قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا فقيل لم تؤمنوا مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن أن يقال

﴿ قالت الاعراب آمنا ﴾ نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون ﴿ قل لم تؤمنوا ﴾ اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والالما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ﴿ ولكن قولوا اسلمنا ﴾ فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذا النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ﴿ ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ﴾ توقيت لقولوا فانه حال

التقوى زادكم الى معادكم قيل التقى هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى أن يجتنب العبد المناهى ويأتى بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق أن يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب فى الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل فليس بمتق لان المتقى لم يترك ما أمر به ويترك ما نهى عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله واياكم من المتقين * قوله تعالى ﴿ قالت الاعراب آمنا ﴾ الآية نزلت فى نفر من بنى أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر فافسدوا طرق المدينة بالقذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بانفسهم على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت فى الاعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب آمنا أى صدقنا ﴿ قل لم تؤمنوا ﴾ أى لم تصدقوا بقلوبكم ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ﴾ أى استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبى ﴿ ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ﴾ أخبر ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وأن الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان

وباكرامكم عند الله (قالت الاعراب آمنا) نزلت هذه الآية فى بنى أسد اصابتهم سنة شديدة فدخلوا فى الاسلام متوافرين باهاليهم وذراريهم وجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ليصيبوا من فضله فغلوا أسعار المدينة وأفسدوا طرقها بالعذرات وكانوا منافقين (لا يكون) يقولون أطعمنا واكرمنا يا رسول الله فانا مخلصون مصدقون فى ايماننا وكانوا منافقين فى دينهم كاذبين فى قولهم فذكر الله مقالتهم فقال قالت الاعراب بنو أسد آمنا صدقنا فى ايماننا بالله ورسوله (قل) لهم يا محمد (لم تؤمنوا) لم تصدقوا فى ايمانكم بالله ورسوله (ولكن قولوا أسلمنا) أى استسلمنا من السيف والسبى (ولما يدخل الايمان) لم يدخل حب الايمان وتصديق الايمان (فى قلوبكم

والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها (لتعارفوا) أي انما رتبكم [illegible] على شعوب وقبائل ليعرف {سورة الحجرات} بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لاان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي يفضل بها الانسان غيره ويكسب الشرف والكرم عند الله فقال (ان أكرمكم عند الله اتقاكم) في الحديث من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشترانى فعلى شرط ان لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] مرض فعاده [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفي فحضر دفنه فقال [illegible] في ذلك شيأ فنزلت (ان الله عليم) بكرم القلوب وتقواها (خبير) [illegible] النفوس في هواها

وقبائل عربا (لتعارفوا) لكى تعرفوا اذا سئلتم ممن انتم [illegible] من قريش [illegible] (ان اكرمكم) في الآخرة (عند الله) يوم القيامة (أتقاكم) في الدنيا وهو بلال (ان الله عليم) بحسبكم ونسبكم (خبير) باعمالكم

يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب ﴿لتعارفوا﴾ ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ﴿ان أكرمكم عند الله اتقاكم﴾ فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال عليه السلام يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ﴿ان الله عليم﴾ بكم ﴿خبير﴾ ببواطنكم

البطون واحدتها بطن وهم كبنى غالب ولؤى من قريش ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهم كبنى هاشم وبنى أمية من لؤى ودون الافخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبنى العباس من بنى هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شئ يوصف وقيل الشعوب للعجم والقبائل للعرب والاسباط من بنى اسرائيل وقيل الشعوب الذين لا ينسبون الى أحد بل ينسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون الى آبائهم ﴿لتعارفوا﴾ أى ليعرف بعضكم بعضا فى قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب ثم بين الخصلة التى بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال ﴿ان أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ قيل أكرم الكرم التقوى وألأم اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى * عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس اكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألون قالوا نعم قال فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكى كسرها ومعناه اذا تعلموا أحكام الشرع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدى الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس ان الناس رجلان بر تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم والمحجن عصا محنية الرأس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية هى كبرها وفخرها ﴿ان الله عليم﴾ أى بظواهركم وبما فى نياتكم ﴿خبير﴾ أى ببواطنكم لا يخفى عليه أسراركم [illegible]

في قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم
عليكم بثواب المؤمنين التائبين وروى ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان أسامة على طعام
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما عندي شيء
فأخبرهما سلمان فقالا لو
بعثناه الى بئر سميحة لغار
ماؤها فلما جاآ الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لهما
مالي أرى خضرة اللحم في
أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما
قال انكما قد اغتبتما ومن
اغتاب مسلما فقد أكل
لحمه ثم قرأ الآية وقيل غيبة
الخلق انما تكون من الغيبة
عن الحق (يا أيها الناس
انا خلقناكم من ذكر
وأنثى) من آدم وحواء
أو كل واحد منكم من
أب وأم فما منكم من
أحد الا وهو يدلي بمثل
ما يدلي به الآخر سواء
بسواء فلا معنى للتفاخر
والتفاضل في النسب
(وجعلناكم شعوبا وقبائل)
الشعب الطبقة الاولى من
الطبقات الست التي عليها
العرب وهي الشعب والقبيلة
والعمارة والبطن والفخذ

والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة نزلهم صاحبها كمن لم يذنب ولكثرة
المتوب عليهم ولكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان رضي الله عنه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال
ما عندي شيء فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي ارى حمرة اللحم في افواهكما فقالا
ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى﴾
من آدم وحواء عليهما السلام او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء
في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب
وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو

﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
وقوله في الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر
فلانة قال ثابت انا يا رسول الله قال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال
رأيت ابيض وأحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت في ثابت هذه
الآية ونزل في الذي لم يفسح له يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا
الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على
ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد بن العيص الحمد لله الذي قبض أبي ولم ير
هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال
سهل بن عمرو ان يكره الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان اني لا أقول شيأ أخاف أن يخبره رب
السماء فنزل جبريل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فاقروا
فأنزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء
بالفقراء فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء والمعنى انكم
متساوون في النسب فلا تفاخر ابعضكم على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة
واحدة وقيل يحتمل أن يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من
أب وأم فكل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل
في النسب ﴿وجعلناكم شعوبا﴾ جمع شعب بفتح الشين وهي رؤس القبائل مثل ربيعة
ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم ﴿وقبائل﴾
جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر
واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر

لمن مات على التوبة
(يا أيها الناس انا خلقناكم)
نزلت هذه الآية في ثابت
بن قيس بن شماس حيث قال
لرجل انت ابن فلانة وقيل
نزلت في بلال لانه اذن النبي صلى الله عليه وسلم ونفر من قريش سهل بن عمرو والحرث بن هشام وأبي سفيان بن حرب (البطون)
ذو البلال يوم فتح مكة حيث سمعوا أذان بلال ما وجد الله ورسوله رسولا غير هذا الغراب فقال الله يا أيها الناس انا خلقناكم
(من ذكر وأنثى) من آدم وحواء (وجعلناكم شعوبا) يعني الافخاذ (وقبائل) يعني رؤس القبائل ويقال شعوبا دون الى

ماستره الله على عباده (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة الذكر بالعيب في ظهر الغيب وهي من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفي الحديث هو ان تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة أدام كلام الناس (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) ميتا مدني وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ماهو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار بان أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي فانتصب على الحال من اللحم أو من أخيه ولما قررهم بان أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله (فكرهتموه) أى فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق أيضا ان تكرهوا ماهو نظيره من الغيبة باستقامة الدين (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) الثواب البليغ

(ولا يغتب بعضكم بعضا)

فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل منه عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ﴿ أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا ﴾ تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات منها الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله ﴿ فكرهتموه ﴾ تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك اوعرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم اوالاخ وشدده نافع ﴿ واتقوا الله ان الله تواب رحيم ﴾ لمن اتقى مانهى عنه وتواب مما فرط منه

قوله تعالى ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ أى لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته أخرجه مسلم ۞ عن عائشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما أحب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح ۞ قوله لمزجته أى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة ۞ قوله تعالى ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ قال مجاهد لما قيل أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أى كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتألم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتألم جسده اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك اعراضهم أولى ۞ وقوله لحم أخيه آكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه ۞ وقوله ميتا أبلغ في الزجر ۞ عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم أخرجه أبو داود وقال ميمون ابن سيار بينا أنا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب أحدا عنده ۞ قوله تعالى ﴿ واتقوا الله ﴾ أى في أمر الغيبة واجتناب نواهيه ﴿ ان الله تواب رحيم ﴾ ۞ قوله عز وجل

وهو ما اغتاب الرجلان بسلمان (أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) حراما بغير الضرورة (فكرهتموه) فحرموا أكل الميتة بغير الضرورة وكذلك الغيبة فحرموها (واتقوا الله) اخشوا الله في ان تغتابوا أحدا (ان الله تواب) متجاوز لمن تاب من الغيبة (رحيم)

بالمؤمنين ومايباح كالظن فى الامور المعاشية ﴿ ان بعض الظن اثم ﴾ تعليل مستأنف للامر والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال اى يكسرها ﴿ ولاتجسسوا ﴾ ولاتبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار مافيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذى هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفى الحديث لاتتبعوا عورات المسلمين

شرا لان بعض الفعل قد يكون فى الصورة قبيحا وفى نفس الامر لايكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا أويكون الرائى مخطئا فاما أهل السوء والفسق المجاهرون بذلك فلنا ان نظن فيهم مثل الذى يظهر منهم ﴿ ان بعض الظن اثم ﴾ قال سفيان الثورى الظن ظنان أحدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولايتكلم به وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم ﴿ ولاتجسسوا ﴾ أى لاتبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لايظهر على ماستره الله منها (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن لان الظن أكذب الحديث ولاتجسسوا ولاتحسسوا ولاتنافسوا ولاتحاسدوا ولا تباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولايحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لاينظر الى أجسادكم ولاالى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ۞ التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور وأكثر مايقال فى الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار وقوله ولاتنافسوا أى لاترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها ۞ قوله ولاتدابروا أى لايعطى كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره ۞ عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لاتؤذوا المسلمين ولاتعيروهم ولاتتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال أتى ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر الينا شئ نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة (م) عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايستر عبد عبدا فى الدنيا الاستره الله يوم القيامة ۞

ألاترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) قال الزجاج هو ظنك باهل الخير سوأ فاما أهل الفسق فلنا ان نظن فيهم مثل الذى ظهر منهم أو معناه اجتنابا كثيرا واحترز من الكثير ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب (ولاتجسسوا) أى لاتتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد خذوا ماظهر ودعوا ماستر الله وقال سهل لاتبحثوا عن طلب معايب

(ان بعض الظن) ظن السوء وما تخفونه (اثم) معصية وهو ماظن رجلان باسامة بن زيد (ولاتجسسوا) ولا تبحثوا عن عيب أخيكم ولاتطلبوا ماستر الله عليه وهو ماتجسس الرجلان

(قوله)

الذي يحظره الايمان كما تقول بأس الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا
عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا ... الرجل بالفسق او باليهودية اسوة ... بعد ايمانه (ومن لم يتب) عما

نهى عنه (فاولئك هم الظالمون) وحد وجمع للفظ من ومعناه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة

وترك ذلك (ومن لم يتب) من تسمية أخيه يا يهودي يا نصراني ويا مجوسي والتلقب والتنابز بعد الايمان (فأولئك هم الظالمون) الضارون لانفسهم بالعقوبة نزلت هذه الآية في أبي بردة بن مالك الانصاري وعبد الله ابن حدرد الاسلمي اذ تنازعا في ذلك فنهاهما الله عن ذلك (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اجتنبوا كثيرا من الظن) نزلت هذه الآية في رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اغتابا صاحبا لهم وهو سلمان وظنا بأسامة حاجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن
السوء وتجسسا هل عنده ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسامة ان اعطهما فنهاهما الله عن ذلك الظن والتجسس والغيبة
فقال يا أيها الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن اجتنبوا كثيرا من الظن مما تظنون باخيكم من مدخله ومخرجه

اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي رضي الله عنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد والدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ﴿ ومن لم يتب ﴾ عما نهى عنه ﴿ فاولئك هم الظالمون ﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾ كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من أي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء

بعد ما أسلم أو يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه ان من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ﴿ ومن لم يتب ﴾ أي من ذلك كله ﴿ فاولئك هم الظالمون ﴾ أي الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك ✽ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾ قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيأ لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيأ قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وادم فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم سلمان واسامة فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني ان يظن باهل الخير سوء نهى الله المؤمن ان يظن باخيه المؤمن شرا وقيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوأ أو يدخل مدخلا لا يريد به سوأ فيراه أخوه المسلم فيظن

(ولا تلمزوا أنفسكم) ولا تطعنوا أهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة (ولا تنابزوا بالألقاب) التنابز بالألقاب التداعي بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له فاما ما يحبه فلا بأس به وروى ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة وعن أنس رضي الله عنه عيرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروى انها نزلت في ثابت ابن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمع ذات يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد في الحسب بعدها أبدا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم (بعد) أن يذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان والفسق

هذا ذات خبر ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الايمان﴾

صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وان عمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى ﴿ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب﴾ عن أبي جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الانصاري قال فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزل الله هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أخرجه أبو داود وفي الترمذي قال كان الرجل منا يكون له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم في بعض والمراد بالأنفس الاخوان هنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كأنفسكم فاذا عاب عائب أحدا بعيب فكأنه عاب نفسه وقيل لا يخلو أحد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالألقاب أي لا تدعوا الانسان بغير ما سمي به وقال ابن عباس التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر قيل كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذما له فأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها اذا لم يكرهها المدعو بها وأما الألقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لأبي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الايمان﴾ أي بئس الاسم أن تقول له يا يهودي ويا نصراني

(ولا تلمزوا أنفسكم) لا تعيبوا أنفسكم أي اخوانكم من المؤمنين ولا تطعنوا بعضكم بعضا بالغيبة (ولا تنابزوا بالألقاب) لا تدعوا بعضكم بعضا بلقب واسم الجاهلية (بئس الاسم الفسوق) بئس التسمية لأخيك يا يهودي ويا نصراني ويا مجوسي (بعد الايمان) بعدما آمن

عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن) القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو فى الاصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح فى الآية اذلو كانت النساء داخلة فى قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير فى قوله

وماأدرى ولست اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

وأما قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع ﴿٤٩﴾ لرجالهن وتنكير القوم { سورة الحجرات } والنساء يحتمل معنيين ان يراد لايسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان الذى كانوا عليه وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهى والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر اذلا اطلاع للناس الاعلى الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذى يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغى ان لايجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبيق فى محادثته فلعله (قا و خ ٧ س) أخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رضى الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت أن أحول كلبا

عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن﴾ اى لايسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع فى الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم فرعون وعاد فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية يغلب فى المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهى ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه * وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهى على

فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فظل كل رجل بمجلسه فلايكاد يوسع أحد لاحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيى فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت فى وفد بنى تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤن بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم أى لايستهزئ غنى بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما يتنقصه به ولعله عند الله خير منه ۵ وهو قوله تعالى ﴿ عسى أن يكونوا خيرا منهم ﴾ السبب الثانى قوله ﴿ ولا نساء من نساء ﴾ أى لايستهزئ نساء من نساء ﴿ عسى أن يكن خيرا منهن ﴾ روى عن أنس انها نزلت فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت فى صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن أنس بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودى فبكت فدخل عليها النبى

(عسى ان يكونوا خيرا منهم) عند الله وأفضل نصيبا (ولا نساء من نساء) نزلت هذه الآية فى امرأتين من نساء النبى صلى الله عليه وسلم سخرتا بام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فنهاهم الله عن ذلك فقال ولا نساء على نساء (عسى أن يكن خيرا منهن) عند الله وأفضل نصيبا

الضمير مضاف الى المأمورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم ﴿واتقوا الله﴾ في مخالفة حكمه والاهمال فيه ﴿لعلكم ترحمون﴾ على تقواكم ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم

﴿واتقوا الله﴾ أى فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره ﴿لعلكم ترحمون﴾ (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿فصل في حكم قتال البغاة﴾

قال العلماء في هاتين الآيتين دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ماروى عن علي بن أبي طالب وهو القدوة في قتال أهل البغي وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا انهم من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان أظهروا مظلمة أزالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة وأصروا على البغي قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادي علي يوم الجمل ألا لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذفف على جريح وهو بذل مهجة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه وأتى علي يوم صفين بأسير فقال لا أقتلك صبرا انى أخاف الله رب العالمين وما أتلفت احدى الطائفتين على الاخرى في حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم أو لم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم اذا لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم وروى أن عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ الآية نزلت في ثلاثة أسباب السبب الاول من أولها الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في أذنه وقر فكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول

القريب والنسب الا حق ما ان لم يفض الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشب مثل ذلك بين الاخوين ولادا لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة في الدين أحق بذلك اخوتكم يعقوب (واتقوا الله لعلكم ترحمون) أى واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم مرجوا والآية تدل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغي (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم

بكتاب الله (واتقوا الله) اخشوا الله فيما أمركم من الصلح (لعلكم ترحمون) لكي ترحموا فلا تعذبوا (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن شماس حيث ذكر رجلا من الانصار بسوء ذكر أمه كانت في الجاهلية ثم غيرها خيرا منها وعابها فنهاه الله عن ذلك يا أيها الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعني ثابتا لا يسخر قوم من قوم على قوم

فاصلحوا بينهما) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك ابن أبى بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبدالله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين فى معنى القوم والناس وثنى فى فاصلحوا بينهما نظرا الى اللفظ (فان بغت احداهما على الاخرى) البغى الاستطالة والظلم واباء الصلح (فقاتلوا التى ﴿٤٧﴾ تبغى حتى تفئ) أى ترجع {سورة الحجرات} والفئ الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة مايرجع من أموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ماقاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت (الى أمر الله) المذكور فى كتابه من الصلح وزوال الشحناء (فان فاءت) عن البغى الى أمر الله (فاصلحوا بينهما بالعدل) بالانصاف (وأقسطوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما أمر به فى اصلاح ذات البين (ان الله يحب المقسطين) العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه أقسط وهمزته للسلب أى زال القسط وهو الجور (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم) هذا تقرير لما ألزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب

كل طائفة جمع ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾ بالنصح والدعاء الى حكم الله ﴿ فان بغت احداهما على الاخرى ﴾ تعدت عليها ﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله ﴾ ترجع الى حكمه اوما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين ﴿ فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ﴾ بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة ﴿ واقسطوا ﴾ واعدلوا فى كل الامور ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وهى تدل على ان الباغى مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء فى الحديث لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال ﴿ فاصلحوا بين اخويكم ﴾ ووضع الظاهر موضع

وجاء معه قومه فاقتتلوا بالايدى والنعال فانزل الله عزوجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج ﴿ فاصلحوا بينهما ﴾ أى بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما ﴿ فان بغت ﴾ أى تعدت ﴿ احداهما على الاخرى ﴾ وأبت الاجابة الى حكم كتاب الله ﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ ﴾ أى ترجع ﴿ الى أمر الله ﴾ أى الى كتابه الذى جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته فى الصلح الذى أمرت به ﴿ فان فاءت ﴾ أى رجعت الى الحق ﴿ فاصلحوا بينهما بالعدل ﴾ أى الذى يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله ﴿ وأقسطوا ﴾ أى اعدلوا ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ أى العادلين ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ اى فى الدين والولاية وذلك أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وأن بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم

أبى الاسلام لا أب لى سواه ... اذا افتخروا بقيس أو تميم

﴿ فاصلحوا بين اخويكم ﴾ أى اذا اختلفا واقتتلا

(فاصلحوا بينهما) بكتاب الله (فان بغت) استطالت وظلمت (احداهما) قوم عبدالله بن أبى سلول (على الاخرى) على قوم عبدالله بن رواحة الانصارى ولم يرجع الى الصلح بالقرآن (فقاتلوا التى تبغى) تستطيل وتظلم (حتى تفئ) ترجع (الى أمر الله) (فان فاءت) رجعت الى الصلح بكتاب الله (فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا) اعدلوا بينهما (ان الله يحب المقسطين) العادلين بكتاب الله العاملين به (انما المؤمنون اخوة) فى الدين (فاصلحوا بين أخويكم)

بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد ﴿فضلا من الله ونعمة﴾ تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا الراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعامه ﴿والله عليم﴾ باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل ﴿حكيم﴾ حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان

ومكارم الاخلاق ﴿فضلا من الله﴾ أي فعل ذلك بكم فضلا منه ﴿ونعمة﴾ عليكم ﴿والله عليم﴾ أي بكم وبما في قلوبكم ﴿حكيم﴾ في امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم ＊ قوله عز وجل ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ (ق) عن أنس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي ابن سلول أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مماراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقي بها الى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاؤا

على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة (فضلا من الله ونعمة) الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والانتصاب على المفعول له أي حبب وكره للفضل والنعمة (والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التمييز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافاضل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

(فضلا من الله) منا من الله عليهم (ونعمة) رحمة (والله عليم) بكرامة المؤمنين (حكيم) فيما جعل في قلوبهم حب الايمان وبغض الكفر والفسوق والعصيان (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وأصحابه وعبد الله بن رواحة خاصة وأصحابه في كلام كان بينهما فتنازعا واقتتل بعضهم بعضا فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالصلح فقال وان طائفتان فرقتان من المؤمنين اقتتلوا قاتل بعضهم بعضا

صحبة لها دوام (واعلموا ان فيكم رسول الله) فلا تكذبوا فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب او فارجعوا اليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا (لو يطيعكم فى كثير من الامر ﴿٤٥﴾ لعنتم) لوقعتم فى الجهد ﴿سورة الحجرات﴾ والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان) وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب الله اليهم الايمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن فى حال موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا (وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر) وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود (والفسوق) وهو الخروج عن محجة الايمان بركوب الكبائر (والعصيان) وهو ترك الانقياد لما أمر به الشارع (أولئك هم الراشدون) أى أولئك المستثنون هم الراشدون يعنى أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة

متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائرة مع الدوام ﴿واعلموا ان فيكم رسول الله﴾ ان بما فيه حيزه ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله ﴿لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم﴾ فانه حال من احد ضميرى فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهى انكم تريدون ان يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى العنت وهو الجهد والهلاك وفيه اشعار بان بعضهم اشار عليه بالايقاع ببنى المصطلق وقوله ﴿ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ استدراك ببيان عذرهم وهو أنهم من فرط حبهم الايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا لذم من فعل ويؤيده قوله ﴿اولئك هم الراشدون﴾ اى اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوى وكره يعدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله تعالى

واعلموا أن فيكم رسول الله ﴾ أى فاتقوا الله ان تقولوا باطلا أو تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا ﴿لو يطيعكم﴾ أى الرسول ﴿فى كثير من الامر﴾ أى مما تخبرونه به فيحكم برأيكم ﴿لعنتم﴾ أى لأثمتم وهلكتم (د) عن أبى سعيد الخدرى انه قرأ واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم فى كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب ﴿ولكن الله حبب اليكم الايمان﴾ أى جعله أحب الاديان اليكم ﴿وزينه﴾ أى حسنه وقربه منكم وأدخله ﴿فى قلوبكم﴾ حتى اخترتموه لان من أحب شيأ اذا طال عليه قد يسأم منه والايمان فى كل يوم يزداد فى القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وكره اليكم الكفر والفسوق﴾ قال ابن عباس يريد الكذب ﴿والعصيان﴾ جميع معاصى الله تعالى وفى هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء فى مقابلة الايمان الكامل المزين فى القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة أمور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر فى مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب فى مقابلة الاقرار باللسان وكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لا اله الا الله والعصيان فى مقابلة العمل بالاركان وكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى ﴿أولئك هم الراشدون﴾ اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين فى قلوبهم أى أولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال

(واعلموا) يامعشر المؤمنين (ان فيكم) معكم (رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر) فيما تأمرونه (لعنتم) لاثمتم (ولكن الله حبب اليكم الايمان) الاقرار بالله وبالرسول (وزينه فى قلوبكم) حسنه الى قلوبكم (وكره اليكم) بغض اليكم (الكفر) الجحود بالله والرسول (والفسوق) النفاق (والعصيان) جملة المعاصى (اولئك) اهل هذه الصفة (هم الراشدون) المهتدون

أجمعوا انها نزلت فى الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا الى بنى المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة
فى الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين اليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا
ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا اليه الصدقات
ورجع وفى تنكير الفاسق
والنبأ شياع فى الفساق
والانباء كأنه قال أى
فاسق جاءكم بأى نبأ
فتبينوا فتوقفوا فيه
وتطلبوا بيان الامر
وانكشاف الحقيقة ولا
ولاتعتمدوا قول الفاسق
لان من لايتحامى جنس
الفسوق لايتحامى الكذب
الذى هو نوع منه وفى
الآية دلالة قبول خبر
الواحد العدل لانا لو توقفنا
فى خبره لسوينا بينه وبين
الفاسق ولخلا التخصيص
به عن الفائدة والفسوق
الخروج من الشئ يقال
فسقت الرطبة عن قشرها
ومن مقلوبه فقست البيضة
اذا كسرتها وأخرجت
مافيها ومن مقاربه أيضا
فقست الشئ اذا أخرجته
من يد مالكه مغتصبا له
عليه ثم استعمل فى الخروج
عن القصد بركوب
الكبائر فتثبتوا حمزة
وعلى والتثبت والتبين
متقاربان وهما طلب الثبات
والبيان والتعرف (ان
تصيبوا قوما) لئلا تصيبوا (بجهالة) حال أى جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة (فتصبحوا) (واعلموا)
فتصيروا (على مافعلتم نادمين) الندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ماوقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان

الصلاة والسلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما
سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا
ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد بعده فوجدهم منادين
بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وفى تعليق
الامر بالتبيين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على
شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك
لما رتبه على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل ومابالذات لايعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائى
فتثبتوا اى فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ﴿ان تصيبوا﴾ كراهة اصابتكم ﴿قوما
بجهالة﴾ جاهلين بحالهم ﴿فتصبحوا﴾ فتصيروا ﴿على مافعلتم نادمين﴾ مغتمين غما لازما

ابن عقبة بن أبى معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق بعد الوقعة
مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فأتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه
ونؤدى له ماقبلنا من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه
منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية فى عسكر وأمره ان يخفى عليهم قدومه
وقال انظر فان رأيت منهم مايدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك
فاستعمل فيهم ماتستعمل فى الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم اذان المغرب
والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فنزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق
يعنى الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق
وهو أولى من حمل الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن
بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فأخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ أى بخبر
فتبينوا وقرئ فتثبتوا أى توقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على
قول الفاسق ﴿ان تصيبوا﴾ أى كيلا تصيبوا بالقتل والسبى ﴿قوما بجهالة﴾ أى جاهلين
حالهم وحقيقة أمرهم ﴿فتصبحوا على مافعلتم﴾ أى من اصابتكم بالخطأ ﴿نادمين﴾

حتى يتبين لكم ماجاء به أصدق هو ام كذب (أن تصيبوا) اى لئلا تقتلوا (قوما بجهالة فتصبحوا) فتصيروا (على مافعلتم) بقتلهم (نادمين)

النفس عن ان تنازع الى هواها — قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون

حتى تخرج اليهم﴾ أي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم ﴿لكان خيرا لهم﴾ لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفدى النصف ﴿والله غفور رحيم﴾ حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين للادب التاركين تعظيم الرسول ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ فتعرفوا وتفحصوا روى انه عليه

حتى تخرج اليهم﴾ فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ماجاؤا به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج ﴿لكان خيرا لهم﴾ أي الصبر لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الآية في ناس من اعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فاجابه وقام شاعرهم فذكر أبياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فاجابه فقام الاقرع ابن حابس فقال ان محمدا لمؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن شعرا وقولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآيات الى قوله ﴿والله غفور رحيم﴾ أي لمن تاب منهم وقال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جنابه فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الآيات ❁ قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ الآية نزلت في الوليد

ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر مر لا يتجرعه الا حر وقوله (حتى تخرج اليهم) يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولا لاجلهم للزمهم ان يصبروا الى أن يعلموا أن خروجه اليهم (لكان) الصبر (خيرا لهم) في دينهم (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وأنابوا (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)

حتى تخرج اليهم) الى الصلاة (لكان خيرا لهم) لاعتق ذراريهم ونساءهم كلهم ففدى النبي صلى الله عليه وسلم نصفهم واعتق نصفهم (والله غفور) لمن تاب منهم (رحيم) حين لم يعاجلهم بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ) نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ليجبي صدقاتهم فرجع من الطريق وجاء بخبر قبيح وقال انهم ارادوا قتلي فاراد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه أن يغزوهم فنهاهم الله عن ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن ان جاءكم فسق منافق الوليد بن عقبة بنبأ بخبر عن بني المصطلق (فتبينوا) فقفوا

النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا اخرج الينا يامحمد فان مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التى يواريها عنك الشخص بظله من خلف أوقدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهى فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهى قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له أونادوه من وراء الحجرة التى كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوزان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا (أكثرهم لايعقلون) يحتمل ان يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل أن يكون المراد النفى العام اذ القلة تقع موقع النفى وورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه مالا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل من أول السورة الى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بايجاب أن تكون الامور التى تنتمى الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم أردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساطا للثانى ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ماجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ فى التفاحش مبلغا (ولو أنهم صبروا) أى ولو ثبت صبرهم ومحل انهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس (حتى)

عليه الصلاة والسلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها اوبانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يامحمد اخرج الينا وانما اسند الفعل الى جميعهم لانهم رضوا بذلك اوامروا به اولانه وجد فيما بينهم ﴿أكثرهم لايعقلون﴾ اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ﴿ولو انهم صبروا

عليهم عيينة بن حصن الفزارى فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا فى أهله فلما رأتهم الذرارى اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يامحمد اخرج الينا حتى أيقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يامحمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بينى وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انالاأحكم وعمى شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور أرى ان تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فأنزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴿أكثرهم لايعقلون﴾ وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل فى معنى الآية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لايرجع فيستمر على حاله وهم الاكثر ﴿ولو أنهم صبروا

اخرج الينا وكان نائما فذمهم الله بذلك فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خلف حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم (أكثرهم) كلهم (لايعقلون) لايفقهون أمر الله وتوحيده ولاحرمة رسول الله (ولو أنهم) بنى عنبر (صبروا

(أولئك) مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبر ان والمعنى أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة وعن عمر رضي الله عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة أخرى قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما [illegible] في غض الصوت وهذه [illegible] التي رتبت عليه من القبائح الغاضين أصواتهم [illegible] لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ماهو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما أمر دال على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) نزلت في وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا

(أولئك الذين امتحن الله قلوبهم) صفى الله وطهر الله قلوبهم (للتقوى) عن المعصية وبقال أخلص الله قلوبهم للتوحيد (لهم مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (وأجر عظيم) [illegible] في الجنة [illegible] نزلت

هذه الآية في قوم من بني العنبر حي (ق و خا ٦ س) من خزاعة بعث النبي [illegible] [illegible] عيينة بن حصن الفزاري فسار اليهم فلما بلغهم انه خرج اليهم فروا وتركوا عيالهم وأموالهم [illegible] ذراريهم وجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجاؤا ليفادوا ذراريهم فدخلوا المدينة عند القيلولة فنادوا النبي صلى الله عليه وسلم يا محمد

﴿ اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او الفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه ﴿ لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ واجر عظيم ﴾ لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ماهو جزاء الغاضين احادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلته دال على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ﴿ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي

واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمته فأت خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وأت أبابكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضيه عني وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبابكر بتلك الرؤيا فاجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كأخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون أي يخفضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أي اجلالا له وتعظيما أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه لهم مغفرة وأجر عظيم ﴿ قوله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وأمر

خير له [illegible] ثابت بن قيس رضي الله عنه [illegible]
في اذنه وقر وكان جهوري [illegible] نزلت تخوف [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] يا رسول الله لما نزلت هذه الآية [illegible] رجل جهير الصوت واخاف
ان يكون حبط عملي فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير
وانك من اهل الجنة (وانتم لا تشعرون) [illegible] (ان الذين يغضون
اصواتهم) يخفضونها [illegible] عند رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] او مخافة [illegible]
النبي [illegible] كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بعد ذلك لا يسمعانه حتى يستفهمهما

وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم (وانتم لا تشعرون) بذلك (ق) عن انس
بن مالك قال لما نزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي
صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو
ما شأن ثابت اشتكى فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه الآية ولقد علمتم اني من
ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة زاد في
رواية وكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة [illegible]
وروي لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال
ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية اتخوف ان تكون نزلت في وانا رفيع الصوت على
النبي صلى الله عليه وسلم اخاف ان يحبط عملي وان اكون من اهل النار فمضى عاصم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فاتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن
ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار فضربته بمسمار
وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم واتى عاصم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذي رآه فيه فلم يجده
فجاء الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال
اكسر الضبة فخرجا فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان تكون هذه الآية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم ولا ارفع صوتي ابدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
(ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله) الآية قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل
الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض
انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا
نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا

منصوب [illegible] على انه
المفعول له متعلق بمعنى النهي
والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه
لحبوط اعمالكم اي لخشية
حبوطها على تقدير حذف
المضاف (وانتم لا تشعرون
ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله) [illegible]
ان عند قوله رسول الله
والمعنى يخفضون اصواتهم
في مجالسه تعظيما له

وانتم لا تشعرون) بكلا
يبطل حسناتكم تركك
الادب وحرمة النبي
صلى الله عليه وسلم
وانتم لا تشعرون لا تعلمون
بحبطها (ان الذين يغضون
اصواتهم) نزلت اعني
في ثابت بن قيس بن شماس
بعد ما نهاه الله عن رفع
الصوت (عند رسول الله)
صلى الله عليه وسلم فكان
بعد ذلك يخفض صوته
عند النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ان الذين يغضون
يكفون ويخفضون اصواتهم
عند رسول الله

(واتقوا الله) فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهى عنها (ان الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق لمثله ان يتقى (ياأيها الذين آمنوا) اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أى اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لاتبلغوا باصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة (ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أى اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لاتبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر أو لاتقولوا يامحمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر الا كأخى السرار وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه فى محل النصب أى لاتجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لايسوغ لهم الا ان يكلموه بالمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها (أن تحبط أعمالكم

وذكر الله تعظيما له واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله ﴿ واتقوا الله ﴾ فى التقديم او مخالفة الحكم ﴿ ان الله سميع ﴾ لاقوالكم ﴿ عليم ﴾ بافعالكم ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ﴾ اى اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ﴿ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة الادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة فى الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ﴿ ان تحبط اعمالكم ﴾ كراهة ان تحبط فيكون علة للنهى اولان تحبط على ان النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان فى الرفع والجهر استخفافا قد يؤدى الى الكفر المحبط وذلك اذا

وشرائع الدين أى لاتقضوا أمرا من دون الله ورسوله ﴿ واتقوا الله ﴾ أى فى تضييع حقه بمخالفة أمره ﴿ ان الله سميع ﴾ أى لاقوالكم ﴿ عليم ﴾ أى بافعالكم ﴿ قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ﴾ أى لاتجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لاتقدموا نهى عن فعل وقوله لاترفعوا أصواتكم نهى عن قول ﴿ ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولايرفعوا أصواتهم عنده ولاينادوه كما ينادى بعضهم بعضا فيقول يامحمد بل يقولون يارسول الله يانبى الله ﴿ ان تحبط أعمالكم ﴾ أى لئلا تحبط

سنة رسول الله (واتقوا الله) اخشوا الله فى أن تفعلوا وتقولوا دون امر الله وأمر رسوله وان تخالفوا كتاب الله وسنة رسوله (ان الله سميع) لمقالتكم (عليم) باعمالكم نزلت هذه الآية فى ثلاثة نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قتلوا رجلين من بنى سليم فى صلح رسول الله بغير أمر الله وأمر رسوله فنهاهم الله عز وجل وقال لاتقدموا بين يدى الله دون أمر الله وأمر رسوله ان الله سميع لمقالة الرجلين عليم بما اقترفا وكان قولهم لو كان هكذا لكان كذا فنهاهم الله عن ذلك (ياايها الذين آمنوا) نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس يرفع صوته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم وفد بنى تميم فنهاه الله عن ذلك فقال ياأيها الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعنى ثابتا (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) صلى الله عليه وسلم لاتشددوا كلامكم عند كلام النبى صلى الله عليه وسلم (ولاتجهروا له بالقول) لاتدعوه باسمه (كجهر بعضكم لبعض) كدعاء بعضكم لبعض باسمه ولكن عظموه ووقروه وشرفوه وقولوا له يانبى الله ويارسول الله ويا أبا القاسم (أن تحبط أعمالكم

والهمزة من قدمه تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع فى النفس مما يتقدم من القول أو الفعل وجاز ان لا يقصد مفعول والنهى متوجه الى نفس التقدمة كقوله هو الذى يحيي ويميت أو هو من قدم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهى الجماعة المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لاتقدموا بحذف احدى تاءى تتقدموا (بين يدى الله ورسوله) حقيقة قولهم جلست بين يدى فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشئ باسم غيره اذا جاوره وفى هذه العبارة ضرب من المجاز الذى يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر من الامور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ويجوز ان يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله أى سرنى حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لايخفى سلك به هذا المسلك وفى هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لان من فضله الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيب والاجلال أن يخفض صوته بين يديه (وشرائع)

الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود فى التقديم رأسا او لاتتقدموا ومنه مقدمة الجيش لتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لاتقدموا وقرئ لاتقدموا من القدوم ﴿ بين يدى الله ورسوله ﴾ مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لاتقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله

﴿ بين يدى الله ورسوله ﴾ من التقديم أى لاينبغى لكم أن يصدر منكم تقديم أصلا وقيل لاتقدموا فعلا بين يدى الله ورسوله والمعنى لاتقدموا بين يدى أمر الله ورسوله ولانهيهما وقيل لاتجعلوا لانفسكم تقدما عند النبى صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لاتعجلوا بقول أو فعل قبل ان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قبل ان يفعله وقيل لاتقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا فى معنى الآية فروى عن جابر انه فى الذبح يوم الاضحى اى لاتذبحوا قبل ان يذبح النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبى صلى الله عليه وسلم فامروا أن يعيدوا الذبح (ق) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن يصلى فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ زاد الترمذى فى أوله قال خطبنا النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث * وروى عن عائشة انه فى النهى عن صوم يوم الشك أى لاتصوموا قبل نبيكم * عن عمار بن ياسر قال من صام فى اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم أخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقيل فى سبب نزول هذه الآية ماروى عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد ابن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الا خلافى وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل فى ذلك يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله حتى انقضت زاد فى رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه أخرجه البخارى وقيل نزلت الآية فى ناس كانوا يقولون لو نزل فى كذا أو صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل فى معنى الآية لاتفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ حتى يقضيه الله على لسانه وقيل فى القتال

وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضى الله عنها انها نزلت فى النهى عن صوم يوم الشك

بين يدى الله) لاتتقدموا بقول ولا بفعل حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يأمركم وينهاكم ويقال لاتقتلوا ولاتذبحوا يوم النحر بين يدى الله (ورسوله) دون أمر الله وأمر رسوله ويقال لاتخالفوا الله ولاتخالفوا الرسول ويقال تخالفوا كتاب الله ولاتخالفوا

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴿ هما لمن بعدهم أيضا في آيات ... سمعوه عاظهم ذلك ومنهم للبيان ﴾ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وآيها ثماني عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا ﴾ اى لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار وأعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وما له من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي الى أنه لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق ※ عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت من أصحابي بأرض الا بعثه الله قائدا ونورا لهم يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقد روى عن أبي بريدة مرسلا وهو أصح (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وعن أبي هريرة نحوه أخرجه مسلم ※ عن عبد الله بن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ※ قوله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم ﴾ قيل لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جريج يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه ﴿ مغفرة وأجرا عظيما ﴾ يعني الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى أعلم بمراده

تفسير سورة الحجرات وهي مدنية وهي ثماني عشرة آية وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

※ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا

لأن الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومن في منهم للبيان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان يعني فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وقولك أنفق من الدراهم أي اجعل نفقتك هذا الجنس وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون ان ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته

﴿ سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو

(وعد الله الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (منهم مغفرة) لذنوبهم في الدنيا والآخرة (وأجرا عظيما) ثوابا وافرا في الجنة

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الحجرات وهي كلها مدنية آياتها ثماني عشرة وكلماتها ثلثمائة وثلاث وأربعون وحروفها ألف وأربعمائة وستة وسبعون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا

[illegible] يعجب

الناس [illegible] الزرع في زكائه واستحكامه وقوله

لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه علي بن أبي طالب يعجب الزراع يعني جميع المؤمنين ليغيظ بهم الكفار هو قول عمر بن الخطاب لأهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوله ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

فصل في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم [illegible] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس قرني [illegible] التابعين وتابعيهم والقرن كل أهل زمان قيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة (ت) عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن أبي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة أخرجه الترمذي وأخرجه عن سعيد بن زيد بنحوه وقال هذا أصح من الحديث الأول عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر أشبه عيسى في ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم أخرجه الترمذي مفرقا في موضعين أحدهما إلى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر في أبي ذر (خ) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت أحد أراه ضربه برجله فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان

عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا (ت) عن علي بن أبي طالب

[illegible]

الخاشعين المطيعين لله

(قال)

سيماهم) علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) أي من التأثير الذي يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) أي المذكور (مثلهم) صفتهم (في التوراة) وعليه وقف (ومثلهم في الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ (فآزره) قواه فازره شامي (فاستغلظ) فصار من الرقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق (يعجب الزراع)

﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن أثر السجود بيانها اوحال من المستكن في الجار ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الوصف المذكور اواشارة مبهمة يفسرها كزرع ﴿ مثلهم في التوراة ﴾ صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ﴿ ومثلهم في الانجيل ﴾ عطف عليه اى ذلك مثلهم في الكتابين وقوله ﴿ كزرع ﴾ تمثيل مستأنف اوتفسير اومبتدأ وكزرع خبره ﴿ اخرج شطأه ﴾ اى فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاءه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا ﴿ فآزره ﴾ فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة اومن الايزار وهى الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فازره كاجره في آجره ﴿ فاستغلظ ﴾ فصار من الدقة الى الغلظة ﴿ فاستوى على سوقه ﴾ فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة ﴿ يعجب الزراع ﴾ بكثافته وقوته وغلظته وحسن منظره وهو مثل ضربه الله

يعني أبا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن أبي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة ﴿ سيماهم ﴾ أي علامتهم ﴿ في وجوههم من أثر السجود ﴾ واختلفوا في هذه السيما على قولين أحدهما أن المراد في يوم القيامة قيل هي نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا لله في الدنيا وهي رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود في وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثاني ان ذلك في الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك في رجلين أحدهما سهر الليل في الصلاة والعبادة والآخر في اللهو واللعب فاذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر في وجه المصلي نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو أثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ يعني ذلك الذي ذكر صفتهم في التوراة وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم في الانجيل فقال تعالى ﴿ ومثلهم ﴾ أي صفتهم ﴿ في الانجيل كزرع أخرج شطأه ﴾ أي أفراخه قيل فراخه قيل هو نبت فأخرج بعده فهو شطؤه ﴿ فآزره ﴾ أي قواه وأعانه وشد أزره ﴿ فاستغلظ ﴾ أي غلظ ذلك الزرع وقوى ﴿ فاستوى ﴾ أي تم وتلاحق نباته وقام ﴿ على سوقه ﴾ جمع ساق أي على أصوله ﴿ يعجب الزراع ﴾ أي يعجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عز وجل

(سيماهم في وجوههم) علامة السهر في وجوههم (من أثر السجود) من كثرة السجود بالليل وهم سلمان وبلال وصهيب وأصحابهم (ذلك مثلهم) هكذا صفتهم (في التوراة ومثلهم) صفتهم (في الانجيل كزرع) وهو النبي صلى الله عليه وسلم (أخرج) أي الله (شطأه) فراخه وهو أبو بكر أول من آمن به وخرج معه على أعداء الله (فآزره) فأعانه وهو عمر أعان النبي صلى الله عليه وسلم بسيفه على أعداء الله (فاستغلظ) فتقوى بمال عثمان على الغزو والجهاد في سبيل الله (فاستوى على سوقه) فقام على اظهار أمره في قريش بعلي بن أبي طالب (يعجب الزراع) أعجب النبي

(ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين يريد الاديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لاترى دينا قط الاوللاسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لايبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات (وكفى بالله شهيدا) على ان ماوعده كائن وعن الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا وشهيدا تمييز أوحال (محمد) خبر مبتدا أى هو محمد لتقدم قوله هو الذى أرسل رسوله أومبتدأ خبره (رسول الله) وقف عليه نصير (والذين معه) أى أصحابه مبتدأ والخبر (أشداء على الكفار) أومحمد مبتدا ورسول الله عطف بيان

عطف على المبتدأ وأشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمعا شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن أبدانهم ان تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لايرى مؤمن مؤمنا الاصافحه وعانقه (تراهم ركعا) راكعين (سجدا) ساجدين (يبتغون) حال كما أن ركعا وسجدا كذلك (فضلا من الله ورضوانا

﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليعليه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لماوعده من الفتح ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ على ان ماوعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات ﴿محمد رسول الله﴾ جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف اومبتدأ ﴿والذين معه﴾ معطوف عليه وخبرهما ﴿اشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ﴿تراهم ركعا سجدا﴾ لانهم مشتغلون بالصلاة فى اكثر اوقاتهم ﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ الثواب والرضى

لايرى رسوله صلى الله عليه وسلم مالايكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا للضلال فحقق الله أمر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله ﴿ليظهره على الدين كله﴾ أى يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ أى فى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تأذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ماصددناه عن البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا أى فى انه رسول الله ثم قال تعالى ﴿محمد رسول الله﴾ اى هو محمد رسول الله الذى سبق ذكره فى قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال ﴿والذين معه﴾ يعنى أصحابه المؤمنين ﴿أشداء على الكفار﴾ أى غلاظ أقوياء كالاسد على فريسته لاتأخذهم فيهم رأفة ﴿رحماء بينهم﴾ أى متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد مع الولد كما قال فى حقهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴿تراهم ركعا سجدا﴾ أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها ﴿يبتغون﴾ أى يطلبون ﴿فضلا من الله﴾ يعنى الجنة ﴿ورضوانا﴾ أى ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب أجره من الله تعالى والمرائى بعمله لايبتغى له أجرا وذكر بعضهم فى قوله والذين معه

لااله الا الله وان محمدا عبده ورسوله (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على الاديان كلها فلاتقوم الساعة حتى لايبقى الامسلم أومسالم (وكفى بالله شهيدا) بان لااله الاالله (محمد رسول الله) من شهادة سهيل بن عمرو (والذين معه) يعنى أبابكر أول من آمن به وقام معه يدعو الكفار الى دين الله (أشداء على الكفار) بالغلظة وهو عمر كان شديدا على أعداء الله قويا فى دين الله ناصرا لرسول الله (رحماء بينهم) متوادون فيما بينهم بارون وهو عثمان بن عفان كان بارا على المسلمين بالنفقة عليهم رحيما بهم (تراهم ركعا) فى الصلاة (سجدا) فيها وهو على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان كثير الركوع والسجود (يبتغون) يطلبون (فضلا) ثوابا (من الله ورضوانا) مرضاة ربهم بالجهاد وهم طلحة والزبير كانا غيظين على أعداء الله شديدين عليهم

لتدخلن المسجد الحرام [illegible] جوابه [illegible] الاولين [illegible]
تعلق [illegible] المشيئة [illegible]
[illegible] قاله [illegible]
[illegible] محلقين [illegible] ومقصرين [illegible]
حال مؤكدة او [illegible] لا تخافون [illegible]
ذلك [illegible] من دون ذلك [illegible] من دون [illegible]
هو [illegible] خيبر [illegible] اليه [illegible]
[illegible] ودين الحق [illegible]

المسجد [illegible] الرؤيا [illegible]
[illegible] قال [illegible] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
انصرفنا عنه [illegible] قال [illegible] رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال خرجنا [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] على
راحلته [illegible] كراع الغميم فلما اجتمع الناس [illegible]
يا رسول الله قال نعم والذي نفسي [illegible]
[illegible] الرؤيا [illegible] في العام المقبل [illegible] رسوله الرؤيا [illegible]
لو [illegible] الى [illegible] في خروجه الى الحديبية [illegible] واصحابه [illegible] حق
وصدق بالحق أي [illegible] حق وصدق [illegible] الحق [illegible]
[illegible] الله [illegible] الحق [illegible] المسجد الحرام [illegible]
وقيل [illegible] من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
ذلك [illegible] الا ان يشاء الله [illegible]
الحديبية [illegible] المؤمنون [illegible]
لا [illegible]
لان الدخول [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] محلقين [illegible] مقصرين [illegible] لا تخافون
[illegible] لا [illegible] المسجد الحرام
لانه [illegible] قوله [illegible] الحرام [illegible]
فعلم ما لم تعلموا [illegible]
[illegible] المؤمنين [illegible]
[illegible] الحديبية [illegible]
الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق [illegible]

مما قال رسول الله لاصحابه [illegible]
[illegible]
ومحلقين [illegible] (لا تخافون)
[illegible]
[illegible] الحق [illegible]
ومقصرين [illegible]

(وأرتهم [illegible] الجوع [illegible] الرحم والإساءة [illegible] باعتبار

[illegible] وأهديا)

[illegible] الرسول أي صدقه في رؤياه

صدقوا [illegible]

روي [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوها من عامهم [illegible] أن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق [illegible] ذلك قال عبد الله بن [illegible] وغيره [illegible] تقصروا [illegible] الحرم [illegible] (بالحق) متعلق بصدق أي صدقه فيما رأى [illegible] وحصوله [illegible] بالحق أي [illegible] وذلك [illegible] والتمييز بين المؤمن [illegible] وبين [illegible] أن يكون [illegible] بالحق [illegible] الباطل أو [illegible] هو [illegible]

[illegible] وكتب [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] كتب هذا ما صالح [illegible] عن البيت وما [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible] فأنزل الله السكينة [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] التقوى [illegible]

[illegible] رؤياه [illegible] بالحق [illegible] يجوز أن يكون بالحق صفة [illegible] القسم [illegible]

[illegible]

[illegible] صدق الله رسوله [illegible] حتى أنه ترسوله

(الرؤيا بالحق) الصدق حيث [illegible]

أيديكم عنهم وقوله (ليدخل الله في رحمته من يشاء) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدي عن أهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لما بين أظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون (لعذبنا الذين كفروا) هو الجواب تقديره ولولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف (منهم) من أهل مكة (عذابا أليما) والعامل في (اذ جعل الذين كفروا) أي قريش لعذبنا أي لعذبناهم في ذلك الوقت أو اذكر (في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية — ٣١ — فانزل الله سكينته على رسوله {سورة الفتح} وعلى المؤمنين) المراد بحمية الذين كفروا هي الانفة وسكينة المؤمنين وهي الوقار ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل ابن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا أشهد اني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا

فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ﴿ليدخل الله في رحمته﴾ علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير او الاسلام ﴿من يشاء﴾ من مؤمنيهم او مشركيهم ﴿لو تزيلوا﴾ لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما﴾ بالقتل والسبي ﴿اذ جعل الذين كفروا﴾ مقدر باذكر او ظرف لعذبنا اوصدوكم ﴿في قلوبهم الحمية﴾ الانفة ﴿حمية الجاهلية﴾ التي تمنع اذعان الحق ﴿فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روي انه عليه الصلاة والسلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن

دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك السبب ﴿ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ أي في دين الاسلام من يشاء أي من أهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها ﴿لو تزيلوا﴾ أي لو تمكن المؤمنون من الكفار ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ أي بالسبي والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب الكلامين أحدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمته أي في جنته قال قتادة في الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة ٭ قوله تعالى ﴿اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية﴾ أي الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ومنعوا الهدي محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا أن يكون محمد رسول الله وقيل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم منا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه ﴿حمية الجاهلية﴾ التي دخلت قلوبهم ﴿فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾

(ليدخل الله في رحمته) لكي يكرم الله بدينه (من يشاء) من كان أهلا لذلك منهم (لو تزيلوا) لو خرج هؤلاء المؤمنون من بين أظهرهم فتفرقوا من عندهم (لعذبنا الذين كفروا) كفار مكة (منهم عذابا أليما) بسيوفكم (اذ جعل) أخذ (الذين كفروا) كفار مكة (في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) بمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت (فانزل الله سكينته) طمأنينته (على رسوله وعلى المؤمنين) واذهب عنهم الحمية

والهدى) هو مايهدى الى الكعبة ونصبه عطفا على كم فى صدوكم أى وصدوا الهدى (معكوفا ان يبلغ) محبوسا ان يبلغ ومعكوفا حال وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة (محله) مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل على ان المحصر

نحل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا (ان تطؤهم) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم (فتصيبكم منهم معرة) اثم وشدة وهى مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه مايكرهه ويشق عليه وهو الكفارة اذا قتله خطأ وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل مافعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا قصر (بغير علم) متعلق بان تطؤهم يعنى ان تطؤهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الايقاع والابادة والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقال ولولا كراهة ان تهلكوا أناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف

والهدى معكوفا ان يبلغ محله ﴾ يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدى مايهدى الى مكة وقرئ الهدى وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لامكانه الذى لايجوز ان ينحر فى غيره والا لما نحره الرسول عليه الصلاة والسلام حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدى المحصر هو الحرم ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ﴾ لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ﴿ ان تطأوهم ﴾ ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال

ووطئتنا وطأ على حنق ٭ وطأ المقيد نابت الهرم

وقال عليه الصلاة والسلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبى عليه الصلاة والسلام بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم فى تعلموهم ﴿ فتصيبكم منهم ﴾ من جهتهم ﴿ معرة ﴾ مكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير فى البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه مايكرهه ﴿ بغير علم ﴾ متعلق بان تطؤهم اى تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم

الموضع ، قوله فلم نعطى الدنية أى القضية التى لانرضى بها أى لم نرضى بالادون والاقل فى ديننا ، قوله فاستمسك بغرزه الغرز للكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فتمسك به ولاتفارقه ساعة كما لاتفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذى لايجوز لاحد تركه ، قوله ويل مه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها أيضا ومسعر حرب أى موقدها يقال سعرت النار وأسعرتها اذا أوقدتها والمسعر الخشب الذى توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله أعلم ٭ وأما تفسير الآية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعنى كفار مكة وصدوكم أى منعوكم عن المسجد الحرام أن تطوفوا به ﴿ والهدى ﴾ أى وصدوا الهدى وهو البدن التى ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة ﴿ معكوفا ﴾ أى محبوسا ﴿ أن يبلغ محله ﴾ أى منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ﴾ يعنى المستضعفين بمكة ﴿ لم تعلموهم ﴾ أى لم تعرفوهم ﴿ أن تطؤهم ﴾ أى بالقتل وتوقعوا بهم ﴿ فتصيبكم منهم معرة بغير علم ﴾ أى اثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطأ لان الله أوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا أن تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة أوسبة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم فى

(والهدى معكوفا) محبوسا (ان يبلغ محله) منحره يقول لم يتركوا أن تبلغوه منحره (ولولا رجال مؤمنون) الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة وأبو جندل بن سهيل بن عمرو (ونساء مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم ان تطؤهم) ان (دخول) تقتلوهم (فتصيبكم منهم) من قتلهم (معرة) دية واثم لولا ذلك لسلطكم عليهم بالقتل (بغير علم) من غير ان تعلموا أنهم مؤمنون

[illegible] والنسر الرجيع [illegible] وقوله [illegible] على النبي
صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح [illegible] اذا [illegible] موضع سره [illegible]
* قوله نزوا على أعدائهم [illegible] الكبر الذي لا تقطع [illegible] ووجه [illegible]
* قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهي الناقة اذا وضعت الى أن تقوى [illegible]
وقيل هي كل أنثى [illegible] منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة معها
فصيلها [illegible] ذلك للناس وأراد به أن معهم النساء والصبيان * قوله
وان قريشا قد نهكتهم الحرب أي أضرت بهم وأثرت فيهم * وقوله ماددتهم أي جعلت
بيني وبينهم مدة * قوله ولا فقد جموا أي استراحوا والجم بالجيم الواحد بعد التعب قوله
تنفرد سالفتي السالفة صفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو
ما بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد منه الا بالموت * قوله أني استنفرت
يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ سوق كانت في الجاهلية معروفة
* وقوله بلحوا علي فيه تقال بالتخفيف والتشديد وأصل التبلح الاعياء والفتور ويريد
امتناعهم من اجابته وتقاعدهم عنه * قوله استأصلت قومك واجتاح أصله من الاجتياح
ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح [illegible] في مباعدة الذي
قوله اني لا أرى وجوها وأشوابا الاشواب مثل الاوباش [illegible] من الناس
والرعاع يقال فلان خليق بذلك أي جدير لا يبعد ذلك من خلقه * قوله امصص
بظر اللات وهي اسم صنم كانوا يعبدونه [illegible] والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من
الهنة التي تكون في فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما يدور في ألسنتهم * قوله لولا يد لك
عندي اليد النعمة [illegible] بالاحسان على غيره * قوله أي غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة
* وقوله قد عرض عليكم خطة رشد الخطة رشد وخطة غي والرشد والرشاد خلاف
الغي والمراد منه انه قد طلب منكم طريقة واحدة في هدى واستقامة * قوله وهو من قوم
يعظمون البدن أي الابل تهدى الى البيت في حج أو عمرة وتقليدها هو أن يجعل في رقبتها
شيء كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك انه هدي والاشعار
هو أن يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه * وقوله [illegible] أي الهدي يسيل عليه أي
يقبل عليه كالسيل من عرض الوادي أي جانبه * وقوله هذا مكرز وهو رجل
فاجر [illegible] وكل [illegible] فجور * قوله هذا ما قاضى عليه أي
فاعل من القضاء [illegible] الامر [illegible] في اللغة [illegible]
[illegible]
[illegible]
وهو [illegible]
* قوله [illegible]
يجوز [illegible]
وان كان بالراء المهملة [illegible]

فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن
أتاه فهو آمن فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا اليه المدينة ونزل الله عز
وجل وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت
حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين
هذا البيت أخرجه البخاري بطوله سوى ألفاظ منه وهي مسندة في الحديث منها
قوله فأخرج سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه الى قوله فوالله ما زال يجيش لهم
بالري ومنها قوله ثم قام الحليس بن علقمة الى قوله فقال اكفف عنا يا حليس حتى
نأخذ لأنفسنا ما نرضى به ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى
أن تخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء قصة الصلح الى قوله رجعنا الى
حديث الزهري ومنها قوله وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل
الى قوله قال عمر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبي الله حقا ومنها قوله
قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه
الالفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه * (شرح غريب ألفاظ الحديث) * قوله بضع
عشرة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح هو ما بين الثلاث الى التسعة وقيل ما بين الواحد
الى العشرة * قوله وبعث عينا له أى جاسوسا * قوله قد جمعوا لك الاحابيش هم أحياء
من القارة انضموا الى بنى ليث في محاربتهم قريشا قبل الاسلام فقال ابن قتيش وهم بنو الهون
ابن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال
له حبشي فسموا الاحابيش وقيل سموا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم
والتحبش التجمع * قوله تركناهم محروبين أى مسلوبين * قوله فقد جموا أى
استراحوا وكثروا * قوله ان تنفرد سالفتي السالفة صفحة العنق وهو كناية عن القتل * وقوله
طليعة الطليعة جماعة يبعثون بين يدى الجيش يطلعون على أخبار العدو * قوله وقترة
الجيش هو الغبار الساطع معه سواد * قوله يركض نذيرا النذير الذى يعلم القوم بالامر
الحادث * قوله حل حل هو زجر للناقة * وقوله خلأت القصواء يعنى انها ما توقفت
عن المشى وتقهقرت وليس ذلك خلقا في خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما خلأت أى ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل أى منعها
عن المسير الذى منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى * والقصواء اسم ناقة النبي
صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصواء والقصو شق الاذن * قوله خطة أى حالة
وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة يعنى في ترك القتال وما يجب القيام به
يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه * قوله حتى نزل بأقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها
وهى قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة
مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقيل بعضها من الحرم وقال ابن القصار
بعضها من الحل حكاه في المطالع * والثمد الماء القليل الذى لا مادة له * تبرضه أخذه شيئا
قليلا قليلا * وقوله فما زال يجيش لهم بالرى أى جاشت البئر بالماء اذا ارتفعت وفاضت والرى

(ضد)

وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ماقام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس قالت أم سلمة يانبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لاتكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يارسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يارسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا يارسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امرأتين يومئذ كانتا في الشرك فتزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن امية قال فنهاهم أن يردوا النساء وأمرهم أن يردوا الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال ابو بصير أرني أنظر اليه فاخذه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبي وانى لمقتول فوالله مابرح حتى طلع أبو بصير متواشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم فنجاني الله تعالى منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك عرف أنه يرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بصير ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت أبو جندل فلحق بابي بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله مايسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم

عبدالله ثم قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا قال فأرنيه فأراه اياه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبدالله قال البراء على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين رده اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا أن من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يارسول الله أنكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا الى حديث الزهرى قال بينماهم كذلك اذجاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يامحمد أول من أقاضيك عليه ان ترده الى فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لأصالحك على شئ أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لى قال ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون مالقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياأبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لانغدر فوثب عمر الى جنب أبي جندل وجعل يقول اصبر ياأبا جندل فانماهم المشركون ودم أحدهم دم كلب ويدنى السيف منه قال عمر ورجوت أن يأخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بأبيه وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لايشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبي جندل شرا الى مابهم قال عمر والله ماشككت منذ أسلمت الا يومئذ قال الزهرى في حديثه عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية في ديننا اذا قال انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرتك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه وتطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية في ديننا قال أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا انه سيأتى البيت ويطوف به قال بلى أفأخبرك أنه آتيه العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه

(وسلم)

عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فرجع الى أصحابه قال قد رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل اليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يامعشر قريش انى قد رأيت ما لا يحل صد الهدى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا اجلس فانما أنت رجل أعرابى لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يامعشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعونى آتيه فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبرنى أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبى صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبى صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما ... والله لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله قال أنا رسول الله وأنا محمد بن

قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا على أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم ويخلوا بينى وبين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى او لينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ وقال ذوو الرأى منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال أى قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آتيه قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يا محمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لارى وجوها وانى لارى أشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذى نفسى بيده لولا يد لك عندى لم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أى غدر ألست أسعى فى غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه وقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض

{عليكم}

فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله ﴿ وكان الله بما تعملون ﴾ من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله و كفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ ابو بكر بالياء ﴿ بصيرا ﴾ فيجازيهم عليه ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام

منهم حتى ظفرتم بهم ﴿ وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾ قوله عزوجل ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام ﴾

﴿ ذكر صلح الحديبية ﴾

روى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتى عتبة الخزاعى وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون ان أميل على ذرارى هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أوترون أن نؤم البيت لا نريد قتال أحد ولا حربا فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ماشعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلأت القصوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماخلأت القصوا وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس أن نزحوه وشكا ناس الى النبى صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبى صلى الله عليه وسلم فنزل فى البئر فغرزه فى جوفه فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل ابن ورقاء الخزاعى فى نفر من

(وكان الله بما تعملون بصيرا) وبالياء أبو عمرو (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام

(وكان الله بما تعملون) من رمى الحجارة وغيره (بصيرا هم الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعنى اهل مكة (وصدوكم عن المسجد الحرام) وصرفوكم عن المسجد الحرام عام الحديبية

(وكان الله على كل شيء قديرا) قادرا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا أو من حلفاء أهل خيبر (لولوا الادبار) لعتبوا وانهزموا (ثم لا يجدون وليا) يلي أمرهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله) في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لأغلبن أنا ورسلي (التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذي كف أيديهم عنكم) أي أيدي أهل مكة (وأيديكم عنهم) عن أهل مكة يعني قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت (ببطن مكة) أي بمكة أو بالحديبية لان بعضها منسوب الى الحرم (من بعد ان أظفركم عليهم) أي أقدركم وسلطكم (وكان الله على كل شيء) من الفتح والنصرة والغنيمة (قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا) أسد وغطفان مع أهل خيبر (لولوا الادبار) منهزمين (ثم لا يجدون وليا) عن قتلكم (ولا نصيرا) مانعا من ردهم عن القتل والهزيمة (سنة الله) هكذا سيرة الله (التي قد خلت) مضت (من قبل) في الامم الخالية بالقتل والعذاب حين خرجوا على الانبياء (ولن تجد لسنة الله) لعذاب الله (منهم) بالقتل (تبديلا) تحويلا (وهو الذي كف أيديهم) أيدي أهل مكة (عنكم) عن قتالكم (وأيديكم عنهم) عن قتالهم (ببطن مكة) في وسط مكة غير أن كان بينهم رمي بالحجارة (من بعد ان أظفركم عليهم) حيث هزمهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى دخلوا مكة

بها وهي مغانم هوازن وفارس ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ من اهل مكة ولم يصالحوا ﴿لولوا الادبار﴾ لانهزموا ﴿ثم لا يجدون وليا﴾ يحرسهم ﴿ولا نصيرا﴾ ينصرهم ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾ أي سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال كتب الله لأغلبن انا ورسلي ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ تغييرا ﴿وهو الذي كف ايديهم عنكم﴾ ايدي كفار مكة ﴿وايديكم عنهم ببطن مكة﴾ في داخل ﴿من بعد ان اظفركم عليهم﴾ اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج

على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون أو يفتحونه الى آخر الزمان ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ أي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ أي أسد وغطفان وأهل خيبر ﴿لولوا الادبار﴾ أي لانهزموا عنكم ﴿ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾ يعني هذه سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾

قوله عز وجل ﴿وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم﴾ سبب نزول هذه الآية ما روي عن انس بن مالك ان ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سلما فاستحياهم فأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنهم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان أظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الآية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أيدي أهل مكة وأيديكم عنهم أي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة ببطن مكة قيل أراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة ﴿من بعد ان أظفركم عليهم﴾ أي مكنكم

﴿ واخرى ﴾ ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب ﴿ لم تقدروا عليها ﴾ بعد لما كان فيها من الجولة ﴿ قد احاط الله بها ﴾ استولى فاظفركم

لما ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم بها على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ماشئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر فى امارته الى تيماء وأريحاء قال محمد بن اسحق لما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان أهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعنى مشوية وسألت أى عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعنى ابتلعها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرنى انه مسموم ثم دعاها فاعترفت فقال ماحملك على ذلك فقالت بلغت من قومى مالا يخفى عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذى توفى فيه فقال ياأم بشر مازالت أكلة خيبر التى أكلت معابنك تعاودنى فهذا أوان انقطاع أبهرى فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا معما أكرمه الله تعالى به من النبوة ❊ عن عبيد الله بن سلمان ان رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبى فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يارسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ماربحه أحد من أهل هذا الوادى قال ويحك وماربحت قال مازالت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئك بخير ربح قال وماهو يارسول الله قال ركعتان بعد الصلاة أخرجه أبوداود ❊ قوله تعالى ﴿ وأخرى لم تقدروا عليها ﴾ يعنى وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها ﴿ قد أحاط الله بها ﴾ يعنى حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله أنه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هى فارس والروم وما كانت العرب تقدر

(وأخرى) معطوفة على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى هى مغانم هوازن فى غزوة حنين (لم تقدروا عليها) لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها ويجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط الله بها خبر المبتدأ

(وأخرى) غنيمة أخرى (لم تقدرو عليها) بعد (قد أحاط الله بها) قد علم الله انها ستكون وهى غنيمة فارس

عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله محمد أن يكون يعلم مكانه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله اني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله مابقي فابى أن يؤديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ماعنده فكان الزبير يقدح بزنده على صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة (ق) عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة فاجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى اني أنظر بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى أعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يارسول الله اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لاتصلح الالك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت ياأبا حمزة ما أصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فاهدتها له من الليل وأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجيء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية فنحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفئوا القدور ولا تأكلوا من لحوم الحمر شيأ فقال أناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون انما نهى عنها البتة (ق) عن أنس ان امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال علي قالوا أنقتلها قال لا فمازلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه ياعائشة مازال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم (خ) عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر ان عمر أجلى اليهود والنصارى من ارض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم

على وهو أرمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله او يحبه الله ورسوله قال فاتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال

قد علمت خيبر أنى مرحب ✽ شاكى السلاح بطل مجرب
اذ الحروب أقبلت تلتهب

فقال على رضى الله عنه

أنا الذى سمتنى أمى حيدره ✽ كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخارى طرفا منه قال البغوى وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس ابن مالك وأبو هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ أبو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فاتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه على بن أبى طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف فى الاضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابنى يا رسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحاق فكان أول حصونهم ثم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح القموص حصن ابن أبى الحقيق فاصاب سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب جاء بها بلال وباخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عنى هذه الشيطانة وأمر بصفية فجهزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية مارأى أنزعت منك الرحمة يابلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ان قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ماهذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها اثر منها فسألها عن ذلك ماهو فاخبرته الخبر وأتى رسول الله صلى الله

الرسول فى وعدهم فتح خيبر فى حين رجوعه من الحديبية او وعد المغانم او عنوا انا فتحنا مكة والعطف على محذوف وهو علة الكف او عجل مثل لتسلموا او لتأخذوا او العلة محذوف مثل فعل ذلك ﴿ويهديكم صراطا مستقيما﴾ هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه

يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولى حياطتهم وحراستهم فى مشهدهم ومغيبهم ﴿ويهديكم صراطا مستقيما﴾ يعنى ويهديكم الى دين الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

ذكر غزوة خيبر

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع (ق) عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يكن يغزوبنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبى طلحة وان قدمى لتمس قدم النبى صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم

تالله لولا الله ما اهتدينا ☆ ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا ☆ فثبت الاقدام ان لاقينا
وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبى الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أنى مرحب ☆ شاكى السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلتهب

قال وبرزله عمى عامر فقال

قد علمت خيبر أنى عامر ☆ شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابكى فقلت يارسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلنى الى

ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله

(ويهديكم صراطا مستقيما) يثبتكم على دين قائم يرضاه

(وأثابهم) وجازاهم (فتحا قريبا) هو فتح خيبر عقب انصرافهم من مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) هى مغانم خيبر وكانت أرضاذات عقار وأموال فقسمها عليهم (وكان الله عزيزا) منيعا فلا يغالب (حكيما) فيما يحكم فلا يعارض

(وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هى ما أصابوه مع النبى صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) المغانم يعنى مغانم خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) يعنى أيدى أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنصرفوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله عز وجل بمكان وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل

(وأثابهم) أى أعطاهم بعد ذلك (فتحا قريبا) هى فتح خيبر سريعا على أثر ذلك (ومغانم كثيرة يأخذونها) يغنمونها يعنى غنيمة خيبر (وكان الله عزيزا) بنقمة أعدائه (حكيما) بالنصرة والفتح والغنيمة للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) تغنمونها وهى غنيمة فارس [illegible] فستكون (فعجل لكم هذه) يعنى غنيمة خيبر

(وكف أيدى الناس عنكم) بالقتال (ق و خا ٣ س) يعنى أسد وغطفان وكانوا حلفاء لأهل خيبر (ولتكون آية) عبرة وعلامة (للمؤمنين) يعنى فتح خيبر لأن المؤمنين كانوا ثمانية آلاف وأهل خيبر كانوا سبعين ألفا

﴿ وأثابهم فتحا قريبا ﴾ فتح خيبر عقب انصرافهم وقيل مكة وهجر ﴿ ومغانم كثيرة يأخذونها ﴾ يعنى مغانم خيبر ﴿ وكان الله عزيزا حكيما ﴾ غالبا مراعيا مقتضى الحكمة ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ﴾ وهى ما يفئ على المؤمنين الى يوم القيامة ﴿ فعجل لكم هذه ﴾ يعنى مغانم خيبر ﴿ وكف ايدى الناس عنكم ﴾ اى ايدى اهل خيبر وحلفائهم من بنى اسد وغطفان او ايدى قريش بالصلح ﴿ ولتكون ﴾ هذه الكفة او الغنيمة ﴿ آية للمؤمنين ﴾ امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق

يعنى على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى أن لا يفروا وفى هذه الآية لطيفة وهى أن هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى فى الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لصحة ماقلناه الحديث المتقدم * فإن قلت الفاء فى فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه تعالى علم مافى قلوبهم من الصدق والايمان فرضى عنهم فكيف يفهم التعقيب فى قوله فعلم مافى قلوبهم * قلت قوله فعلم مافى قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم مافى قلوبهم من الصدق اشارة الى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التى عندها علم الله بصدقهم والفاء فى قوله فأنزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم مافى قلوبهم رضى عنهم فانزل السكينة عليهم ﴿ وقوله تعالى ﴿ وأثابهم فتحا قريبا ﴾ يعنى خيبر ﴿ ومغانم كثيرة يأخذونها ﴾ يعنى من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ﴿ وكان الله عزيزا ﴾ يعنى منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم ﴿ حكيما ﴾ حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على أيديكم * قوله تعالى ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ﴾ يعنى المغانم التى تغنمونها من الفتوحات التى تفتح لكم الى يوم القيامة ﴿ فعجل لكم هذه ﴾ يعنى مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التى يعطيهم الله عز وجل فى المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهى فى جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير ﴿ وكف أيدى الناس عنكم ﴾ وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بنى أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بالقاء الرعب فى قلوبهم وقيل المعنى أن الله عز وجل كف أيدى أهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم ﴿ ولتكون آية للمؤمنين ﴾ هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين فيعلموا أن الله يحفظهم [illegible] فى بعد [illegible] آية تدلهم على [illegible]

الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه فرجف بقتله فدعا رسول الله عليه السلام اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة اواربعمائة اوخمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولايفروا منهم وكان جالسا تحت سمرة اوسدرة ﴿ فعلم مافي قلوبهم ﴾ من الاخلاص ﴿ فانزل السكينة عليهم ﴾ الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع والصلح

على ماذكر محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ماجاءله فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يارسول الله اني أخاف على نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد وقدعرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هوأعزبها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أوقبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم اردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ماكنت لافعل حتى يطوف به رسول الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمان قدقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على مااستطعتم وقدتقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لانفر وقد تقدم أيضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد يقال له أبوسنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها الاجد بن قيس أخو بني سلمة قال جابر فكأني انظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل ﴿ م ﴾ عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة لاصاحب الجمل الاحمر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * وقوله تعالى ﴿ فعلم مافي قلوبهم ﴾ يعني من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم مافي قلوب المنافقين من المرض والنفاق ﴿ فانزل السكينة ﴾ يعني الطمأنينة ﴿ عليهم ﴾

(فعلم مافي قلوبهم) من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوه عليه (فانزل السكينة عليهم) أي الطمأنينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم

(فعلم مافي قلوبهم) من الصدق والوفاء (فانزل) الله تعالى (السكينة) الطمأنينة (عليهم) واذهب عنهم الحمية

التخلف عن الغزو (ومن يطع الله ورسوله) فى الجهاد وغير ذلك (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول)
رض عن الطاعة (يعذبه عذابا أليما) ندخله ونعذبه مدنى وشامى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة)
ى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية ١٥ وقصتها ان النبى صلى الله عليه وسلم (سورة الفتح) حين نزل بالحديبية بعث

اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم من الوعيد ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة فى الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ﴿ومن يتول يعذبه عذابا اليما﴾ اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ روى انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعى الى اهل مكة فهموا به فمنعه

قريب ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ يعنى فى أمر الجهاد وغيره ﴿يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول﴾ يعنى يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق ﴿يعذبه عذابا أليما﴾ يعنى فى الآخرة * قوله عز وجل ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك﴾ يعنى بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا ﴿تحت الشجرة﴾ وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ماهذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان ابى ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم أعلم فضحك وفى رواية عن سعيد ابن المسيب عن أبيه قال لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها وروى أن عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن أبى الزبير انه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه جميعا غير جد بن قيس الانصارى اختفى تحت بطن بعيره زاد فى رواية قال بايعناه على ان لانفر ولم نبايعه على الموت واخرجه الترمذى عن جابر فى قوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لانفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم اليوم خير اهل الارض وكنا ألفا وأربعمائة قال ولو كنت أبصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة (ق) عن عبد الله بن أبى أوفى قال كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة

خراش بن أمية الخزاعى رسولا الى مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال انى أخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى اياهم فبعث عثمان بن عفان فخبرهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين ألفا وأربعمائة

الى الغزو (ومن يطع الله ورسوله) فى السر والعلانية والاجابة والموافاة الى قتال العدو (يدخله جنات) بساتين (تجرى) تطرد (من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها وغرفها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (ومن يتول) عن طاعة الله ورسوله والاجابة (يعذبه عذاباً أليما) وجيعا ... ثم

كر رضوانه على من بايع من اهل بيعة الرضوان فقال (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة)
م الحديبية شجرة السمرة وكانوا نحو ألف وخمسمائة رجل بايعوا رسول الله بالفتح والنصرة وأن لايفروا من الموت

في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لولم يدعهم الى الجهاد معه أومنعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع أبو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من أخذها وأما الجواب عن الوجه الثاني وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم أولى بأس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولو بأس شديد فثبت بهذا البيان أن الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم وأما قول من قال ان أبا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وأن عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار ❊ وقوله تعالى ❊ ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما الاسلام أو القتل ﴿فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا﴾ يعني الجنة ﴿وان تتولوا﴾ يعني تعرضوا عن الجهاد ﴿كما توليتم من قبل﴾ يعني عام الحديبية ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ يعني النار ولما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة والاعذار كيف حالنا يارسول الله فانزل الله عز وجل ﴿ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لان أصحابها لايقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لايقدرون على الكر والفر فهذه أعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك أعذار أخر دون ماذكر وهي الفقر الذي لايمكن صاحبه أن يستصحب معه مايحتاج اليه من مصالح الجهاد والشغل التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لايمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن

ارتدوا بعد رسول الله عليه السلام او المشركين فانه قال ﴿تقاتلونهم او يسلمون﴾ اى يكون احد الامرين اما المقاتلة والاسلام لاغير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطى الجزية وهو يدل على امامة ابى بكر رضى الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية ﴿فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا﴾ هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة ﴿وان تتولوا كما توليتم من قبل﴾ عن الحديبية ﴿يعذبكم عذابا اليما﴾ لتضاعف جرمكم ﴿ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ لما

(تقاتلونهم أو يسلمون) أى يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التأويل ينقادون لا فارس مجوس تقبل منهم الجزية وفى الآية دلالة صحة خلافة الشيخ حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعى عند دعوته بقوله (فان تطيعوا) من دعاكم الى قتاله (يؤتكم الله أجرا حسنا) فوجب أن يكون الداعى مفترض الطاعة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) أى من الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) فى الآخرة (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفى الحرج عن ذوى العاهات

مسيلمة الكذاب (تقاتلونهم على الدين (أو يسلمون) حتى يسلموا (فان تطيعوا) تجيبوا وتوافقوا على القتال وتخلصوا بالتوحيد (يؤتكم الله أجرا) يعطكم الله ثوابا (حسنا) فى الجنة (وان تتولوا) عن التوحيد والتوبة والاخلاص والاجابة الى قتال مسيلمة الكذاب (كما توليتم) عن غزوة الحديبية (من قبل) من قبل هذ (يعذبكم عذابا أليما) وجيعا ثم جاء اهل الزمانة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله قد أوعدالله بعذاب أليم لمن يتخلف عن الغزو فكيف لنا ونحن لانقدر على الخروج الى الغزو فانزل الله فيهم (ليس على الاعمى حرج) مأثم ان لايخرج الى الغزو (ولا على الاعرج حرج) مأثم ان لايخرج الى الغزو (ولا على المريض حرج) مأثم ان لايخرج (قريد

ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين ﴿قل للمخلفين من الاعراب﴾ كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة فى الذم واشعارا بشناعة التخلف ﴿ستدعون الى قوم أولى بأس شديد﴾ بنى حنيفة اوغيرهم ممن

ولا يفهمون عن الله مالهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله * قوله عزوجل ﴿قل للمخلفين من الاعراب﴾ لما قال الله للنبى صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جما كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله عزوجل لقبول توبتهم علامة وهى انهم يدعون الى قوم أولى بأس شديد فان أطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا وأعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا أليما واختلفوا فى المشار اليهم بقوله ﴿ستدعون الى قوم أولى بأس شديد﴾ من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهرى وجاعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى قتال بنى حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضى الله عنه الى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وأقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدها قول من قال انهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب أما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر أمرهم فى آخر الامر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن تقى طاهر أو كافر مجاهر وأما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب بأسا وكذلك غطفان فاستنفر النبى صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبنى المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعى هو النبى صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين أحدهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معى أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهى الوجه الثانى قوله أولى بأس شديد ولم يبق للنبى صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم أولى بأس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن يكون قوله قل لن تتبعونا وان تخرجوا معى أبدا مقيد بقيد هو أن يكون تقديره قل لن تتبعونا وان تخرجوا معى أبدا مادمتم على ما أنتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لابد منه لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبى صلى الله عليه وسلم الوجه الثانى فى الجواب عن الوجه الاول أن المراد من قوله لن تتبعونا وان تخرجوا معى أبدا يعنى

شيأ قليلا يعنى مجرد القول والفرق بين الاضرابين ان الاول رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين من الاعراب) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه لان مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه

ولا كثيرا (قل) يا محمد (للمخلفين من الاعراب) ديل وأشجع وقوم من مزينة وجهينة (ستدعون) بعد النبى صلى الله عليه وسلم (الى قوم) الى قتال قوم (أولى بأس شديد) ذوى قتال شديد أهل اليمامة بنى حنيفة قوم

(وكان الله غفورا رحيما) سبقت رحمته غضبه (سيقول المخلفون) الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم الى مغانم) الى غنائم خيبر (لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) كلم الله حمزة وعلى أى يريدون أن يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لايصيبون منهم شيأ (قل لن تتبعونا) الى خيبر {الجزء السادس والعشرون} وهو اخبار من الله تعالى ١٢ بعدم اتباعهم ولايبدل القول لديه

(كذلكم قال الله من قبل) من قبل انصرافهم الى المدينة ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فسيقولون بل تحسدوننا) أى لم يأمركم الله به بل تحسدوننا ان نشارككم فى الغنيمة (بل كانوا لا يفقهون) من كلام الله (الا قليلا) لا

(وكان الله غفورا) لمن تاب من الصغائر والكبائر (رحيما) لمن مات على التوبة (سيقول المخلفون) عن غزوة الحديبية يعنى بنى غفار وأسلم وأشجع وقوما من مزينة وجهينة (اذا انطلقتم الى مغانم) مغانم خيبر (لتأخذوها) لتغنموها (ذرونا) اتركونا (نتبعكم) الى خيبر (يريدون أن يبدلوا) يغيروا (كلام الله) لنبيه حين قال له لاتأذن لهم بالخروج الى غزوة أخرى بعد تخلفهم عن غزوة الحديبية (قل) لهم لبنى عامر وديل وأشجع وقوم من مزينة وجهينة (لن تتبعونا) الى غزوة خيبر الا مطوعين ليس لكم من الغنيمة شئ (كذلكم) كما قلنا لكم {ولا} (قال الله من قبل) من قبل هذا هو ماذكرنا فى سورة التوبة فقل لن تخرجوا معى أبدا الى آخر الآية أى لاتأذن لهم بالخروج الى غزوة أخرى فقالوا المؤمنين لم يأمركم الله بذلك ولكن تحسدوننا على الغنيمة فنزل الله فى قولهم (فسيقولون بل تحسدوننا) على الغنيمة (بل كانوا لايفقهون) أمر الله (الا قليلا) لا قليلا

﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء فى الحديث الالهى سبقت رحمتى غضبى ﴿ سيقول المخلفون ﴾ يعنى المذكورين ﴿ اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ﴾ يعنى مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ﴿ ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ﴾ ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم عن مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معى ابدا والظاهر انه فى تبوك والكلام اسم للتكليم غلب فى الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائى كلم الله وهو جمع كلمة ﴿ قل لن تتبعونا ﴾ نفى فى معنى نهى ﴿ كذلكم قال الله من قبل ﴾ من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ ان نشارككم فى الغنائم وقرئ بالكسر ﴿ بل كانوا لايفقهون ﴾ لايفهمون ﴿ الا قليلا ﴾ الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم

واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ قوله عزوجل ﴿ سيقول المخلفون ﴾ يعنى الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿ اذا انطلقتم ﴾ يعنى اذا سرتم وذهبتم أيها المؤمنون ﴿ الى مغانم لتأخذوها ﴾ يعنى غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيأ وعدهم الله عزوجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيأ ﴿ ذرونا نتبعكم ﴾ يعنى الى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها وفى هذا بيان كذب المخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا فلم يكن لهم هناك طمع فى غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع فى الغنيمة ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ يعنى يريدون أن يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعنى امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره ان لايسير منهم أحدا الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا والقول الاول أصوب ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يامحمد ﴿ لن تتبعونا ﴾ يعنى الى خيبر ﴿ كذلكم قال الله من قبل ﴾ يعنى من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ يعنى يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيء ﴿ بل كانوا لايفقهون الا قليلا ﴾ يعنى لايعلمون

وظفر (بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم) زينه الشيطان(وظننتم ظن السوء) من عو الكفر وظهور الفساد (وكنتم قوما بورا) جمع بائر كعائذ وعوذ من بار الشئ هلك وفسد أى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين) أى لهم فاقيم الظاهر مقام الضمير للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان ١١ بالله والايمان برسوله { سورة الفتح } فهو كافر ونكر (سعيرا) لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى (ولله ملك السموات والارض) يدبره تدبير قادر حكيم (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين

﴿ بل كان الله بما تعملون خبيرا ﴾ فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه ﴿ بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا ﴾ لظنهم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال ﴿ وزين ذلك فى قلوبكم ﴾ فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان ﴿ وظننتم ظن السوء ﴾ الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء اوهو وسائر مايظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة (وكنتم قوما بورا ﴾ هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ﴾ وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل اولانها نار مخصوصة (ولله ملك السموات والارض ﴾ يدبره كيف يشاء ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ اذلا وجوب عليه

﴿ بل كان الله بما تعملون خبيرا ﴾ يعنى من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق ﴿ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا ﴾ يعنى ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى أهليهم ﴿وزين ذلك فى قلوبكم ﴾ يعنى زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس فى قلب الانسان بالشئ ويزينه له حتى يقطع به ﴿ وظننتم ظن السوء ﴾ يعنى وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة رأس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من أمرهم ﴿ وكنتم قوما بورا ﴾ يعنى وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين ﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا ﴾ لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضى بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا أعتدنا للكافرين سعيرا ﴿ ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء أخبر ان له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته أعم وأشمل وأتم وأكمل

(بل كان الله بما تعملون) بتخلفكم عن غزوة الحديبية (خبيرا بل ظننتم) يامعشر المنافقين (أن ان ينقلب الرسول) ان لا يرجع من الحديبية محمد صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون الى اهليهم) الى المدينة (أبدا وزين ذلك) استقر ذلك الظن (فى قلوبكم) فمن ذلك تخلفتم (وظننتم ظن السوء) ان لا ينصر الله نبيه (وكنتم قوما بورا) هلكى فاسدة القلوب قاسية القلوب (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) يقول ومن لم يصدق بايمانه بالله ورسوله (فانا أعتدنا للكافرين) اى فى السر والعلانية (سعيرا) نارا وقودا (ولله ملك السموات والارض) خزائن السموات المطر والارض النبات (يغفر لمن يشاء) من المؤمنين على الذنب العظيم وهو فضل منه (ويعذب من يشاء) على الذنب الصغير وهو عدل منه ويقال يغفر لمن يشاء يكرم من يشاء بالايمان والتوبة فيغفره ويعذب من يشاء يميت من يشاء على الكفر والنفاق فيعذبه ويقال يغفر لمن يشاء من كان أهلا لذلك ويعذب من يشاء من كان اهلا لذلك

(سيقول لك) اذا رجعت من الحديبية (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وذلك انه عليه الصلاة والسلام حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة (شغلتنا أموالنا وأهلونا) هي جمع أهل اعتلوا بالشغل ، الجزء السادس والعشرون ، باهاليهم وأموالهم ١٠ وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم (فاستغفر لنا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم) تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذى خلفهم ليس ما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان اراد بكم ضرا) ما يضركم من قتل أو هزيمة ضرا حمزة وعلى (أو أراد بكم نفعا) من غنيمة

الرضوان ﴿ سيقول لك المخلفون من الاعراب ﴾ هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم ﴿ شغلتنا اموالنا واهلونا ﴾ اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير ﴿ فاستغفر لنا ﴾ من الله على التخلف ﴿ يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم ﴾ تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيأ ﴾ فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ﴿ ان اراد بكم ضرا ﴾ ما يضركم كقتل وهزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم ﴿ واراد بكم نفعا ﴾ ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد

قوله تعالى ﴿ سيقول لك المخلفون من الاعراب ﴾ قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع والنخع وأسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فنزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك ﴿ شغلتنا أموالنا وأهلونا ﴾ يعني النساء والذرارى يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذا تخلفنا عنك ﴿ فاستغفر لنا ﴾ أى انا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فكذبهم الله تعالى فقال ﴿ يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم ﴾ يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لا ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا ﴾ يعني سوأ ﴿ أو أراد بكم نفعا ﴾ وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر أو يجعل لهم النفع بالسلامة لهم في أنفسهم وأموالهم فاخبرهم الله عز وجل انه ان أراد شيأ من ذلك لم يقدر أحد على دفعه

فلم ينقض منهم أحد لانهم كانوا كلهم مخلصين وماتوا على بيعة الرضوان غير رجل منهم يقال له جد ابن قيس وكان منافقا اختبأ يومئذ تحت أبط بعيره ولم يدخل في بيعتهم فأماته الله على نفاقه (سيقول لك المخلفون) من من غزوة الحديبية (من الاعراب) من بني غفار وأسلم وأشجع وديل وقوم من مزينة (لى) وجهينة (شغلتنا أموالنا وأهلونا) عن الخروج معك الى الحديبية خفنا عليهم الضيعة فمن ذلك تخلفنا عنك (فاستغفر لنا) يارسول الله بتخلفنا عنك الى غزوة الحديبية (يقولون بألسنتهم) يسألون بألسنتهم المغفرة (ماليس في قلوبهم) حاجة لذلك استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (قل) لهم يا محمد (فمن يملك لكم من الله) فمن يقدر لكم من عذاب الله (شيأ ان أراد بكم ضرا) قتلا وهزيمة (أو أراد بكم نفعا) نصرا وغنيمة وعافية

﴿ يد الله فوق ايديهم ﴾ حال او استئناف مؤكد له على سبيل التخييل ﴿ فمن نكث ﴾ نقض العهد ﴿ فانما ينكث على نفسه ﴾ فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ﴿ ومن اوفى بما عاهد عليه الله ﴾ وفى فى مبايعته ﴿ فسيؤتيه اجرا عظيما ﴾ هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه الله بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت فى بيعة

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال يعنى عمر يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى ﴿ يد الله فوق ايديهم ﴾ قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوى عنه وقال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازى يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد فى الموضعين أما أن تكون بمعنى واحد واما أن تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق أيديهم أى نصرته اياهم أقوى وأعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان أى الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد فى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ وقال الزمخشرى لما قال انما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو أيدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله هذا مذهب أهل التأويل وكلامهم فى هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ✵ وقوله تعالى ﴿ فمن نكث فانما ينكث على نفسه ﴾ يعنى فمن نقض العهد الذى عقده مع النبى صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فان وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا ضر الا نفسه ﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه الله ﴾ يعنى من البيعة ﴿ فسيؤتيه أجرا عظيما ﴾ يعنى فى الآخرة وهو الجنة

فقال (يد الله فوق ايديهم) يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو أيدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وانما يبايعون الله خبر ان (فمن نكث) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر ابن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث أحد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم (ومن أوفى بما عاهد) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم (عليه الله) حفص (فسيؤتيه) وبالنون حجازى وشامى (أجرا عظيما) الجنة

(يد الله) بالثواب والنصرة (فوق أيديهم) بالصدق والوفاء والتمام (فمن نكث) نقض بيعته (فانما ينكث) ينقض (على نفسه) عقوبة ذلك (ومن أوفى) وفى (بما عاهد عليه الله) بعهده بالله بالصدق والوفاء (قا و خا ٢ س) (فسوف يؤتيه) يعطيه (أجرا عظيما) ثوابا وافرا فى الجنة

(انا أرسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية ليؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبي والامة والهاء على ان خطاب الامة نزل منزلة خطابه (وتعزروه) وتقووه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتنزهوه او تصلوا له (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا اودائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بالزائين وتوقروه من وقره بمعنى وقره (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لانه المقصود ببيعته

العذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله أليس الله بعزيز ذي انتقام وقوله أخذناهم أخذ عزيز مقتدر * قوله تعالى (انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على أعمال أمته ومبشرا يعني لمن آمن به وأطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب * ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى (ليؤمنوا بالله ورسوله) فالضمير فيه للناس المرسل اليهم (ويعززوه) يعني ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم (ويوقروه) يعني ويعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص أو من السبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعالى تعزير دينه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره الكنايات في قوله ويعززوه ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه (بكرة وأصيلا) على ان الكناية في ويسبحوه راجعة الى الله تعالى يعني ويصلوا لله أو ويسبحوا الله بالغدوة والعشي * قوله عز وجل (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا انما يبايعون الله لأنهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة وأصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم

في دينه (إنا أرسلناك شاهدا) تشهد على أمتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين من النار (لتؤمنوا بالله ورسوله) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته (وتعزروه) وتقووه بالنصر (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فجعل الاوليين للنبي صلى الله عليه وسلم فقد أبعد ليؤمنوا مكي وأبو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الاخيرة بالياء عندهما (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) الصلوات الاربع (ان الذين يبايعونك) أي بيعة الرضوان ولما قال (انما يبايعون الله) أكده تأكيدا على طريقة التخييل

المؤمنين المخلصين بإيمانهم ويقال عزيزا في ملكه وسلطانه حكيما في أمره وقضائه وقيل نصر نبيه على اعدائه (انا ارسلناك) يا محمد (شاهدا) على امتك بالبلاغ (ومبشرا) بالجنة للمؤمنين (ونذيرا) من النار للكافرين (لتؤمنوا بالله) لكي تؤمنوا بالله (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (وتعزروه) تنصروه بالسيف على عدوه (وتوقروه) تعظموه (وتسبحوه) تصلوا لله (بكرة وأصيلا) غدوة وعشية ثم ذكر بيعة الرضوان يوم الحديبية تحت الشجرة (رسول الله) وهي الشجرة السمرة بالحديبية وكانوا نحو ألف وخمسمائة رجل بايعوا نبي الله على الصلح والنصرة وأن لا يفروا فقال (ان الذين يبايعونك) يوم الحديبية (انما يبايعون الله) كأنهم يبايعون الله

ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أي ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتحها وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه (الظانين بالله ظن السوء) وقع السوء عبارة عن رداءة وفساد ... ٧ ... يقال فعل سوء أى مسخوط ... سورة الفتح ... فسد والمراد ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظاهرين فاتحيها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) مكى وأبو عمرو أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء بالفتح أى الدائرة التى يذمونها ويسخطونها والسوء والسوء كالكره والكره والضعف والضعف الا ان المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ واما السوء فجار مجرى الشر الذى هو نقيض الخير (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض) فيدفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وكان الله عزيزا) غالبا فلا يرد بأسه (حكيما)

﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل ﴿ الظانين بالله ظن السوء ﴾ ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما فى الاصل مصدر ﴿ وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم ﴾ عطف لما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل فى الوعيد بلا اعتبار السببية ﴿ وساءت مصيرا ﴾ جهنم ﴿ ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما

﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ يعنى المنافقين والمنافقات من أهل المدينة والمشركين والمشركات من أهل مكة وانما قدم المنافقين على المشركين هنا وفى غيره من المواضع لان المنافقين كانوا اشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر أولى ﴿ الظانين بالله ظن السوء ﴾ يعنى انهم ظنوا ان الله تعالى لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ يعنى عليهم دائرة العذاب والهلاك ﴿ وغضب الله عليهم ﴾ زيادة فى تعذيبهم وهلاكهم ﴿ ولعنهم ﴾ يعنى وأبعدهم وطردهم عن رحمته ﴿ وأعد لهم جهنم ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ وساءت مصيرا ﴾ يعنى ساءت جهنم منقلبا ﴿ ولله جنود السموات والارض ﴾ تقدم تفسيره بقى ما فائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المؤمنين الجنة ولم أخر ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة أفضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شئ وأخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم أبدا . فان قلت قال فى الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال فى هذه الآية ﴿ وكان الله عزيزا حكيما ﴾ فما معناه . قلت لما كان فى جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو

(ويعذب) ليعذب (المنافقين) من الرجال بايمانهم (والمنافقات) من النساء (والمشركين) بالله من الرجال بايمانهم (والمشركات) من النساء ثم ذكر ايضا المنافقين فقال (الظانين بالله ظن السوء) ان لا ينصر الله نبيه (عليهم) على المنافقين (دائرة السوء) منقلبة السوء وعاقبة السوء (وغضب الله) سخط الله (عليهم ولعنهم) طردهم من كل خير (وأعد لهم جهنم) فى الآخرة (وساءت مصيرا) بئس المصير صاروا اليه فى الآخرة (ولله جنود السموات) الملائكة (والارض) المؤمنون ينصر بهم من يشاء (وكان الله عزيزا) بنقمة الكافرين والمنافقين (حكيما) بكرامة

﴿ ولله جنود السموت والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنت جنت تجرى من تحتها الانهار خلدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما

(ولله جنود السموات) الملائكة (والارض) المؤمنون يسلطه على من يشاء من اعدائه (وكان الله عليما) بما صنع بك من الفتح والمغفرة والهدى والنصرة وانزال السكينة فى قلوب المؤمنين (حكيما) فيما صنع بك فقال المؤمنون المخلصون حين سمعوا بكرامة الله لنبيه هنيئالك يارسول الله بما اعطاك الله من الفتح والمغفرة والكرامة فمالنا عند الله فانزل الله (ليدخل المؤمنين) المخلصين من الرجال (والمؤمنات) المخلصات من النساء (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها وغرفها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لايموتون ولا يخرجون منها (ويكفر عنهم سيآتهم) ذنوبهم فى الدنيا (وكان ذلك) الذى ذكرت للمؤمنين (عند الله فوزا عظيما) نجاة وافرة فازوا بالجنة ومافيها ونجوا من النار ومافيها فجاء عبدالله بن أبى ابن سلول حين سمع بكرامة الله للمؤمنين فقال يارسول الله والله مانحن الا كهيئتهم فمالنا عند الله فنزل الله فيهم

الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر ﴿ ولله جنود السموات والارض ﴾ يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته ﴿ وكان الله عليما ﴾ بالمصالح ﴿ حكيما ﴾ فيما يقدر ويدبر ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ﴾ علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اى دبر مادبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل اوجميع ماذكر اوليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ﴿ ويكفر عنهم سيآتهم ﴾ يغطيها ولايظهرها ﴿ وكان ذلك ﴾ اى الادخال والتكفير ﴿ عند الله فوزا عظيما ﴾ لانه منتهى مايطلب من جلب نفع اودفع ضرر وعند حال من الفوز

زيادة فى ايمانهم ﴿ ولله جنود السموات والارض ﴾ لما قال الله عزوجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون فى قلة من العدد والعدد فكأن قائلا قال كيف ينصره فاخبره الله عزوجل ان له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينة فى قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك أعدائه على أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفى جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثانى ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك ﴿ وكان الله عليما ﴾ يعنى بجميع جنوده الذين فى السموات والارض ﴿ حكيما ﴾ يعنى فى تدبيره وقيل عليما بما فى قلوبكم أيها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر لكم على أعدائكم ﴿ قوله عزوجل ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ يستدعى سابقا تقديره هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار وقد تقدم ماروى عن أنس انه لما نزل قوله تعالى انافتحنالك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله تعالى مايفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عزوجل الآية التى بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار ﴿ خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم ﴾ فان قلت تكفير السيآت انما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لاتقتضى الترتيب وقيل ان تكفير السيآت والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من أهل الجنة ﴿ وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ﴾ يعنى ان ذلك الادخال والتكفير كان فى علم الله تعالى فوزا

ان يعاتب عليه ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ﴿ ويهديك صراطا مستقيما ﴾ فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة ﴿ وينصرك الله نصرا عزيزا ﴾ نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة ﴿ هو الذى انزل السكينة ﴾ الثبات والطمأنينة ﴿ فى قلوب المؤمنين ﴾ حتى تثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ﴿ ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ﴾ يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ماجاء به

قوله تعالى ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ يعنى بالنبوة وما أعطاك من الفتح والنصر والتمكين ﴿ ويهديك صراطا مستقيما ﴾ يعنى ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدى بك الى صراط مستقيم ﴿ وينصرك الله نصرا عزيزا ﴾ يعنى يعنى غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى * فان قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية أى ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل أو العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذى هو من الله تعالى عزيز فى نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا * قوله تعالى ﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ﴾ يعنى الطمأنينة والوقار فى قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة فى القرآن طمأنينة الا التى فى سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها فى موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التى هى الطمأنينة والثبات فى قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء فى الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذى وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم * ثم قال تعالى ﴿ ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ﴾ وذلك انه تعالى جعل السكينة والطمأنينة فى قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان فى قلوبهم وذلك أنه كلما ورد عليهم امر أو نهى آمنوا به وعملوا بمقتضاه فكان ذلك زيادة فى ايمانهم وقال ابن عباس بعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكوة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم فكلما أمروا بشئ وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبى هذا فى أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهى جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك

من امرأة زيد (ويتم نعمته عليك) باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك (ويهديك صراطا مستقيما) ويثبتك على الدين المرضى (وينصرك الله نصرا عزيزا) قويا منيعا لاذل بعده أبدا (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان أى أنزل الله فى قلوبهم السكون والطمانينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا على يقينهم وقيل السكينة الصبر على ما أمر الله والثقة بوعد الله والتعظيم لامر الله

الى الموت (ويتم نعمته) منته (عليك) بالنبوة والاسلام والمغفرة (ويهديك صراطا مستقيما) يثبتك على طريق قائم يرضاه وهو الاسلام (وينصرك الله) على عدوك (نصرا عزيزا) منيعا بلا ذل (هو الذى أنزل السكينة) الطمانينة (فى قلوب المؤمنين) المخلصين يوم الحديبية (ليزدادوا ايمانا) يقينا وتصديقا وعلما (مع ايمانهم) بالله ورسوله وهو تكرير الايمان مع ايمانهم بالله ورسوله

ثم جعله نبيا فصرت نائما حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم وغلبهم على الفرس في سنة الحديبية وقد عرف كونه فتحا للرسول عليه السلام في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ﴿ ليغفر لك الله ﴾ علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدي الظلمة ﴿ ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ جميع ما فرط منك مما يصح

انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم فأسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك وأكرم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ٭ وقوله عز وجل ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تأخر يعني بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعني كل شيء لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول أعطى من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى أن يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيآت المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله عز وجل بذلك وأنه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو

ومثل ... (ليغفر لك الله) قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لاتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو اعظم النعم كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة وكذا لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك او ما تقدم من حديث مارية وما تأخر

... هما (ليغفر لك الله) كي يغفر لك الله (ما تقدم من ذنبك) ما سلف من ذنوبك قبل الوحي (وما تأخر) وما يكون بعد الوحي

(قوله

(بسم الله الرحمن الرحيم) (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الفتح الظفر بالبلدة عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لانه مغلق مالم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضى لانها فى تحققها بمنزلة الكائنة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح مالا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا وقال الزجاج كان فى فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فى البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ انا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ وعد بفتح مكة عظمها الله والتعبير عنه بالماضى لتحققه او بما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر اوفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله عليه السلام لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل فى الاسلام خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية آية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض

هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال اما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن أنس واما هنيئا مريئا فعن عكرمة وأخرجه الترمذى عن قتادة عن أنس قال أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على الليلة آية أحب الى مما على الارض ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يارسول الله لقد بين لك مايفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله عز وجل ﴿ انا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى اناقضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا فى هذا الفتح فروى قتادة عن أنس انه فتح مكة وقال مجاهد انه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التى يفتحها الله عز وجل له ٭ فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضى ٭ قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء به بلفظ الماضى جريا على عادة الله تعالى فى اخباره لانها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كأنه تعالى قال انا فتحنا لك فى حكمنا وتقديرنا وماقدره وحكم به فهو كائن لامحالة وقال أكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن أنس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه ٭ عن البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا وماشيتنا وركابنا وقال الشعبى فى قوله

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا) بغير قتال وصلح الحديبية منه غير ان كان بينهم رمى بالحجارة ويقال انا فتحنا لك فتحا مبينا يقول قضينا لك قضاء بينا يقول اكرمناك بالاسلام والنبوة وأمرناك ان تدعو الخلق

الجلد السادس

اللهم افتح لنا ابواب الخير

سورة الفتح مدنية نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون

سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية

ومن السورة التى يذكر فيها الفتح وهى كلها مدنية آياتها تسع وعشرون آية وكلها خمسمائة وستون كلمة وحروفها الفان واربعمائة

تفسير سورة الفتح وهى مدنية

(خ) عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض أسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شئ فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك أمك ياعمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك قال عمر فحركت بعيرى حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل فى قرآن فمالبثت ان سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت ان يكون نزل فى قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزل على الليلة سورة لهى أحب الى مماطلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا وأخرجه الترمذى وزاد فيه وكان فى بعض أسفاره بالحديبية (ق) عن أنس قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على آية هى أحب الى من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخارى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فمالنا فأنزل الله عزوجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت

الجلد السادس من التفسيرين الجليلين

المسبوك عليهما سطور الذهب سبك اللجين

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام الحبر النحرير حاوي فضيلتي البيان والبنان في التقرير والتحرير كاشف قناع المشكلات وموضح دلائل المعضلات مظهر الكنايات والاشارات منبع العلى أفضل الورى علم الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة شيخ ديار العجم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريد دهره ووحيد عصره القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي الشافعي المتوفى سنة (٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثاني المسمى بلباب التأويل في معاني التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة والائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي الشافعي المعروف بالخازن فرغ من تأليفه سنة (٧٢٥) تغمده الله برحمته آمين

قد حلي هامش هذا الكتاب بالتفسيرين النيرين الاول المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفي الحنفي المتوفى سنة (٧٠١) عليه سحائب الرحمة والرضوان

الثاني تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشافعي المتوفى سنة (٨١٧)

تنبيه

يقول المتوسل الى الله احمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري المصحح بدار الطباعة العامرة اعانه الله على مشاق هذه الصناعة وضعت انوار التنزيل فوق الصحيفة ولباب التأويل تحتها مفصولا بينهما بجدول وكذلك وضعت مدارك التنزيل فوق الهامش وتنوير المقباس تحته مفصولا بينهما بجدول

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة

سنة ١٣٢٠ هجرية



صحيفه

صحيفه

فهرست الجلد الخامس من التفسيرين الجليلين الاول المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل الثانى المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل

اداء ربع العشر (فمنكم من يبخل) بالرفع لان من هذه ليست للشرط اى فمنكم ناس يبخلون به (ومن يبخل) بالصدقة واداء الفريضة (فانما يبخل عن نفسه) اى يبخل عن داعى نفسه لاعن داعى ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه (والله الغنى وأنتم الفقراء) اى انه لايأمر بذلك لحاجته

اليه لانه غنى عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا) وان تعرضوا ايها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والانفاق فى سبيله وهو معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما خيرا منكم واطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لناله رجال من فارس (ثم لايكونوا أمثالكم) اى ثم لايكونوا فى الطاعة امثالكم بل اطوع منكم

﴿ فمنكم من يبخل ﴾ ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة ﴿ ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ﴾ فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق ﴿ والله الغنى وانتم الفقراء ﴾ فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم ﴿ وان تتولوا ﴾ عطف على وان تؤمنوا ﴿ يستبدل قوما غيركم ﴾ يقم مقامكم قوما آخرين ﴿ ثم لايكونوا امثالكم ﴾ فى التولى والزهد فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

وجميع وجوه البر والكل فى سبيل الله ﴿ فمنكم من يبخل ﴾ يعنى بما فرض عليه اخراجه من الزكاة أوندب الى انفاقه فى وجوه البر ﴿ ومن يبخل ﴾ يعنى بالصدقة واداء الفريضة فلايتعداه ضر بخله وهو قوله تعالى ﴿ فانما يبخل عن نفسه ﴾ اى على نفسه ﴿ والله الغنى ﴾ يعنى عن صدقاتكم وطاعتكم لانه الغنى المطلق الذى له ملك السموات والارض ﴿ وانتم الفقراء ﴾ يعنى اليه والى ماعنده من الخيرات والثواب فى الدنيا والآخرة ﴿ وان تتولوا ﴾ يعنى عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما امركم به والزمكم اياه ﴿ يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم ﴾ يعنى يكونون اطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبى هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا واصحابه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده مقال وله فى رواية اخرى عن ابى هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله من هؤلاء الذين ذكرالله عزوجل ان تولينا استبدلوا منا ثم لايكونوا امثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق فى الصحيح ترد فى سورة الجمعة ان شاء الله تعالى

والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

تمت

(فمنكم من يبخل) بالصدقة عن طاعة الله (ومن يبخل) بالصدقة عن طاعة الله (فانما يبخل) بالثواب والكرامة (عن نفسه والله الغنى) هو الغنى عن أموالكم وصدقاتكم (وأنتم الفقراء) الى رحمة الله وجنته ومغفرته (وان تتولوا) عن طاعة الله وطاعة رسوله وعما أمركم من الصدقة (يستبدل قوما غيركم) يهلككم ويأت بآخرين خيرا منكم وأطوع (ثم لايكونوا أمثالكم) بالمعصية والطاعة ولكن يكونوا خيرا منكم وأطوع لله ويقال نزل من قوله ياأيها لذين آمنوا الى ههنا فى شأن المنافقين أسد وغطفان فبدل الله بهم جهينة ومزينة خيرا منهم وأطوع لله وذلك انا فتحنالك

(إنما الحيوة الدنيا لعب ولهو) تنقضي في أسرع مدة (وإن تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتقوا) الشرك (يؤتكم أجوركم) ثواب [illegible] (ولا يسألكم أموالكم) [illegible] أي لا يسألكم جميعها بل [illegible]

[illegible] فيه الحيوة الدنيا لعب ولهو [illegible] وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ثواب إيمانكم وتقواكم ولا يسألكم أموالكم [illegible] جميع أموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره إن يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والإحفاء الحف المبالغة وبلوغ الغاية [illegible] أخفى شاربه إذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج أضغانكم ويضغنكم على رسول الله عليه الصلاة والسلام والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون [illegible] لأنه سبب الأضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع أضغانكم ها أنتم هؤلاء أي أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف [illegible] صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما

شيئا من ثواب أعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن ينقصكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها ثم حض على الآخرة [illegible] الدنيا فقال تعالى ﴿إنما الحيوة الدنيا لعب ولهو﴾ أي باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو إلا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الإنسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم إذا استعمله الإنسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغاله [illegible] فهو اللعب وإن شغله عن مهمات نفسه فهو لهو ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم﴾ يعني يؤتكم جزاء أعمالكم في الآخرة ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ يعني أن الله تعالى لا يسأل من العبد ماله [illegible] بل يأمرهم بالإيمان والتقوى [illegible] عليه [illegible] وقيل [illegible] ولا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم أموالكم وقيل معناه لا يسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أموالكم كلها [illegible] الصدقات إنما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة [illegible] ثم تردها [illegible] فليس لله ورسوله فيها حاجة [illegible] فرضها الله تعالى في أموال الأغنياء وردها على فقرائهم [illegible] إخراج [illegible] وإلى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة [illegible] قوله تعالى ﴿إن يسألكموها﴾ [illegible] الضمير [illegible] فيحفكم [illegible] والإحفاء المبالغة في المسألة [illegible] في كل شيء [illegible]

[illegible] شدة [illegible] أنتم هؤلاء [illegible] هؤلاء [illegible] تدعون لتنفقوا [illegible] الزكاة

[illegible] (يؤتكم أجوركم) ثواب [illegible] (وجميع) [illegible] (فيحفكم) يجهدكم [illegible] (ويخرج أضغانكم) بغضكم (ها أنتم هؤلاء) أنتم يا [illegible] (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) في طاعة الله

والمن والاذى ونحوهـا وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبـائر ﴿ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴾ عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله فى اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره مع سائر ذنوبه ﴿ فلا تهنوا ﴾ فلا تضعفوا ﴿ وتدعوا الى السلم ﴾ ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ ابوبكر وحمزة بكسر السين ﴿ وانتم الاعلون ﴾ الاغلبون ﴿ والله معكم ﴾ ناصركم ﴿ ولن يتركم اعمالكم ﴾ ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من

فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد أن تحبط أعمالهم ويستدل بهذه الآية من يرى احباط الطاعات بالمعاصى ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالله تعالى أعدل وأكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى عن ابن عمر انه قال كنا نرى أنه لا شئ من حسناتنا الا مقبول حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ماهذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل فى صلاة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم فى الآية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت فى الصحيحين ان النبى صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما فأكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفى الصحيحين أيضا ان سلمان زار أبا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فانى صائم قال لست بآكل حتى تأكل فأكل معه وقال مقاتل فى معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا أعمالكم نزلت فى بنى أسد وسنذكر القصة فى تفسير سورة الحجرات ان شاء الله تعالى ﴿ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴾ قيل نزلت فى أهل القليب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر وألقوا فى قليب بدر وحكمها عام فى كل من مات على كفره فالله لا يغفر له لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴿ فلا تهنوا ﴾ الخطاب فيه لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم هو عام فى جميع المسلمين يعنى فلا تضعفوا أيها المؤمنون ﴿ وتدعوا الى السلم ﴾ يعنى ولا تدعوا الكفار الى الصلح أبدا منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا ﴿ وأنتم الاعلون ﴾ يعنى وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله تعالى ان الامر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين فى بعض الاوقات ﴿ والله معكم ﴾ يعنى بالنصرة والمعونة ومن كان الله معه فهو الغالب العالى ﴿ ولن يتركم أعمالكم ﴾ يعنى لن ينقصكم

وبالرياء (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (وتدعوا الى السلم) وبالكسر حمزة وابو بكر وهما المسالمة اى ولا تدعوا الكفار الى الصلح (وأنتم الاعلون) اى الاغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى (والله معكم) بالنصرة اى ناصركم (ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقصكم اجر اعمالكم

(ان الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهم المطعمون يوم بدر (وصدوا عن سبيل الله) صرفوا الناس عن دين الله وطاعته (ثم ماتوا) أو قتلوا (وهم كفار) بالله وبرسوله (فلن يغفر الله لهم) لانهم كفار بالله وبرسوله (فلا تهنوا) فلا تضعفوا معشر المؤمنين بالقتال مع العدو (وتدعوا الى السلم) الى الصلح ويقال الى الاسلام قبل القتال (وأنتم الاعلون) الغالبون وآخر الامر لكم (والله معكم) معينكم بالنصرة على عدوكم (ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقص أعمالكم فى الجهاد

(حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على الجهاد اى نعلم كائنا ما علمناه انه سيكون (ونبلو اخباركم) اسراركم ونبلو حتى نعلم ونبلو ابو بكر وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لاتبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وع (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه يعنى المطعمين يوم بدر وقدم (من بعد ماتبين الهدى) من بعد ما ظهر لهم انه حق وعرفوا الرسول (لن يضروا الله شيأ وسيحبط اعمالهم) التى عملوها فى مشاقة الرسول اى سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم) بالنفاق

﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ على مشاقه ﴿ونبلو اخباركم﴾ ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى﴾ هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر ﴿لن يضروا الله شيأ﴾ بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته ﴿وسيحبط اعمالهم﴾ ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم ﴿يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم﴾ بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء

﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ يعنى انا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم أى على الوجود والظهور ﴿ونبلو أخباركم﴾ يعنى نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد ﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول﴾ يعنى خالفوه فيما يأمرهم به من الجهاد وغيره ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ يعنى من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لن يضروا الله شيأ﴾ يعنى انما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك ﴿وسيحبط أعمالهم﴾ يعنى وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا فى الآخرة لانها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر ﴿قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ قال عطاء يعنى بالشرك والنفاق والمعنى داوموا على ما أنتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبى لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة لان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصى والكبائر قال أبو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضرهم مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل

(حتى نعلم) حتى نميز (المجاهدين) فى سبيل الله (منكم) يا معشر المنافقين (والصابرين) ونميز الصابرين فى الحرب منكم (ونبلو أخباركم) نظهر أسراركم وبغضكم وعداوتكم ومخالفتكم لله ولرسوله ونفاقكم (ان الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وصدوا عن سبيل الله) صرفوا الناس عن دين الله وطاعته (وشاقوا الرسول) خالفوا الرسول فى الدين (من بعد ما تبين لهم الهدى) التوحيد (لن يضروا الله شيأ) لن ينقصوا الله بمخالفتهم وعداوتهم وكفرهم وصدهم عن سبيل الله شيأ (وسيحبط أعمالهم) يبطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر وهم المطعمون يوم بدر (يا أيها الذين آمنوا) ﴿نزل﴾ بالعلانية (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فى السر (ولا تبطلوا أعمالكم) حسناتكم بالنفاق والبغض والعداوة وع الرسول ويقال نزلت هذه الآية فى المخلصين يقول يا أيها الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن أطيعوا الله فيما أ من الفرائض والصدقة وأطيعوا الرسول فيما امركم من السنة والغزو والجهاد ولا تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة

حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم) أحقادهم [illegible]
المؤمنين (ولو نشاء لأريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم (فلعرفتهم بسيماهم) [illegible]
يعرفون بها وعن أنس رضى الله عنه [illegible] ما خفى على رسول الله [illegible]

لذلك ﴿أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله [illegible]﴾ [illegible]
لرسوله والمؤمنين ﴿أضغانهم﴾ أحقادهم ﴿ولو نشاء لأريناكهم﴾ [illegible]
تعرفهم بأعيانهم ﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾ بعلاماتهم التى تسمهم بها واللام لام الجواب
كررت فى المعطوف ﴿ولتعرفنهم فى لحن القول﴾ جواب قسم محذوف ولحن القول
اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام
عن الصواب ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات
﴿ولنبلونكم﴾ بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة

البر لانها لم تكن لله ولا بامره ﴿أم حسب الذين فى قلوبهم مرض﴾ أى شك ونفاق
وهم المنافقون ﴿ان لن يخرج الله أضغانهم﴾ يعنى يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها
حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم
﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم﴾ لما قال تعالى أم حسب الذين فى قلوبهم مرض
أن لن يخرج الله أضغانهم فكأن قائلا قال لم لم يخرج أضغانهم ويظهرها فأخبر الله تعالى انه
انما آخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لأريناكهم أى لا مانع
لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهى ان التعريف
قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا
عرفناكهم تعريفا تعرفهم به فيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذى لا يقع معه اشتباه
وقوله بسيماهم يعنى بعلاماتهم أى نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفى على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين وكان يعرفهم
بسيماهم ﴿ولتعرفنهم فى لحن القول﴾ يعنى فى معنى القول وفحواه ومقصده ومغزاه ولللحن
معنيان صواب وخطأ صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض
وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ألحن بحجته
من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم فى لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو
صرف الكلام عن الصواب الى الخطأ بازالة الاعراب أو التصحيف ومعنى الآية وانك
يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين و[illegible]
والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبى صلى الله عليه وسلم الا عرفه
بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ﴿ثم قال تعالى والله يعلم
أعمالكم﴾ أى أعمال جميع عباده فيجازى كلا على قدر عمله [illegible]
يعنى و[illegible] معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها [illegible]

[illegible] (ولو نشاء [illegible]) يا محمد [illegible]
[illegible] القبيحة بعد ذلك (ولتعرفنهم) ولكن تعرفهم يا محمد (فى لحن القول) فى محاورة الكلام وهى معدن المنافقين
(والله يعلم أعمالكم) أسراركم وعداوتكم وبغضكم لله ولرسوله (ولنبلونكم) والله لنختبرنكم بالقتال [illegible]

(ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله) أى المنافقون قالوا لليهود (سنطيعكم فى بعض الامر) أى عداوة محمد والقعود عن نصرته (والله يعلم اسرارهم) على المصدر من أسر حمزة وعلى وحفص أسرارهم غيرهم جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) أى وكيف يعملون وماحالهم حينئذ (يضربون وجوههم وأدبارهم) عن ابن عباس رضى الله عنهما لايتوفى أحد على معصية الايضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بانهم) بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصرة المؤمنين (فأحبط أعمالهم

المفعول وهو ضمير الشيطان اوالهم ﴿ ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله ﴾ اى قال اليهود الذين كفروا بالنبى بعد ماتبين لهم نعته للمنافقين اوالمنافقون لهم اواحد الفريقين للمشركين ﴿ سنطيعكم فى بعض الامر ﴾ فى بعض اموركم اوفى بعض ماتأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان اخرجوا و التظافر على الرسول ﴿ والله يعلم اسرارهم ﴾ ومنها قولهم هذا الذى افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر ﴿ فكيف اذا توفتهم الملائكة ﴾ فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تاءيه ﴿ يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ تصوير لتوفيهم بمايخافون منه ويجبنون عن القتال له ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى التوفى الموصوف ﴿ بانهم اتبعوا ما أسخط الله ﴾ من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر ﴿ وكرهوا رضوانه ﴾ مايرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات ﴿ فأحبط اعمالهم ﴾

قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على مالم يسم فاعله يعنى أمهلوا ومدلهم فى العمر وقرئ وأملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان بان مدلهم فى الامل فان قلت الاملاء والامهال لايكونان الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملى هو الله تعالى فى الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما أسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم فى آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى آخر العمر ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى التسويل والاملاء ﴿ بانهم ﴾ يعنى بان أهل الكتاب أو المنافقين ﴿ قالوا للذين كرهوا مانزل الله ﴾ وهم المشركون ﴿ سنطيعكم فى بعض الامر ﴾ يعنى من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال ﴿ والله يعلم أسرارهم ﴾ يعنى انه تعالى لاتخفى عليه خافية من أمرهم ﴿ فكيف اذا توفتهم الملائكة ﴾ يعنى فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة ﴿ يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك ﴾ يعنى ذلك الضرب ﴿ بانهم ﴾ يعنى بسبب انهم ﴿ اتبعوا ما أسخط الله ﴾ يعنى ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وكرهوا رضوانه ﴾ يعنى كرهوا مافيه رضوان الله عزوجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾ التى عملوها من أعمال

(ذلك) لارتداد (بأنهم قالوا) يعنى اليهود (للذين كرهوا) وهم المنافقون جحدوا فى السر (مانزل الله) به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم (سنطيعكم) سنعينكم يامعشر المنافقين (فى بعض الامر) أمر محمد عليه السلام بلا اله الا الله ان كان له ظهور علينا (والله يعلم أسرارهم) أسرار اليهود مع المنافقين (فكيف) يصنعون (اذا توفتهم الملائكة) قبضتهم الملائكة يعنى اليهود (يضربون وجوههم) بمقامع من حديد (وأدبارهم) ظهورهم (ذلك) الضرب والعقوبة (بانهم اتبعوا ما أسخط الله) من اليهودية (وكرهوا رضوانه) جحدوا توحيده (فأحبط أعمالهم) { البر }
فابطل حسناتهم فى اليهودية ويقال نزلت من قوله ان الذين ارتدوا على أدبارهم الى هنا فى شأن المنافقين الذين رجعوا من المدينة الى مكة مرتدين عن دينهم ويقال نزلت فى شأن الحكم بن أبى العاص المنافق وأصحابه الذين شاوروا فيما بينهم يوم الجمعة فى أمر الخلافة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ان ولينا أمر هذه الامة نفعل كذا وكذا كانوا يشاورون فى هذا

المواعظ والزواجر حتى لايجسروا على المعاصى ﴿ ام على قلوب اقفالها ﴾ لايصل اليها ذكر ولاينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها فى القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كأنها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لاتجانس الاقفال المعهودة * وقرئ اقفالها على المصدر ﴿ ان الذين ارتدوا على ادبارهم ﴾ الى ما كانوا عليه من الكفر ﴿ من بعد ما تبين لهم الهدى ﴾ بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة ﴿ الشيطان سول لهم ﴾ سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمنى وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ماقبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان * وقد قرئ سول على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم ﴿ واملى لهم ﴾ ومد لهم فى الآمال والامانى اوامهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقرآءة يعقوب واملى لهم اى وانا املى لهم فيكون الواو للحال او الاستئناف * وقرأ ابو عمرو واملى لهم على البناء

الامع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية ﴿ أم على قلوب أقفالها ﴾ يعنى بل على قلوب أقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطى فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد أصمهم وأعمى أبصارهم وأقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف ما لايطاق جائز عندنا لان الله أمر بالايمان لمن سبق فى علمه انه لايؤمن فكذلك هنا والله يفعل ما يريد لااعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد به التأسى وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ماهم فيه من الكفر الذى استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب فى نفس عمر حتى ولى فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعى من كبار التابعين وأجلهم لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنين وعشرين وقيل غير ذلك * قوله عز وجل ﴿ ان الذين ارتدوا على أدبارهم ﴾ يعنى رجعوا القهقرى كفارا ﴿ من بعد ما تبين لهم الهدى ﴾ يعنى من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته فى كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدى هم المنافقون آمنوا أولا ثم كفروا ثانيا ﴿ الشيطان سول لهم ﴾ يعنى زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا ﴿ وأملى لهم ﴾

(أم على قلوب أقفالها) بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لايتوصل اليها ذكر ونكرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك والمراد بعض القلوب وهى قلوب المنافقين وأضيفت الاقفال الى القلوب لان المراد الاقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع (ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) أى المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشيطان سول) زين (لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان نحو ان زيدا عمرو مربه (وأملى لهم) ومد لهم فى الآمال والامانى وأملى أبو عمرو أى أمهلوا ومد فى عمرهم

(أم على قلوب أقفالها) أم على قلوب المنافقين أقفال لايعقلون ما نزل فيهم (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) رجعوا الى دين آبائهم وهم اليهود (من بعد ما تبين لهم الهدى) التوحيد والقرآن وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى القرآن (الشيطان سول لهم) زين لهم الرجوع الى دينهم (واملى لهم) الله أمهلهم اذلم يهلكهم

التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم لايلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع ﴿ اولئك ﴾ اشارة الى المذكورين ﴿ الذين لعنهم الله ﴾ لافسادهم وقطعهم الارحام ﴿ فاصمهم ﴾ عن استماع الحق ﴿ واعمى ابصارهم ﴾ فلا يهتدون سبيله ﴿ افلا يتدبرون القرآن ﴾ يتصفحونه ومافيه من

القرآن أم على قلوب أقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو معقد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضى عياض الرحم التى توصل وتقطع وتبر انما هى معنى من المعانى وليست بجسم وانما هى قرابة ونسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما والمعانى لايتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك والمراد تعظيم شانها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمى العقوق قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله عز وجل هذا كلام القاضى عياض فى معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل فى الآية فى قوله ان توليتم هو من الولاية يعنى فهل عسيتم ان توليتم أمر الناس ان تفسدوا فى الارض يعنى بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام فى قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شئ فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجى المبتلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشرى معناه انه لما عهد منكم أحقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الايمان ياهؤلاء ماترون هل يتوقع منكم ان توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى من اذا تولى أفسد فى الارض وقطع الارحام ﴿ الذين لعنهم الله ﴾ يعنى أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته ﴿ فاصمهم ﴾ يعنى عن سماع الحق ﴿ وأعمى أبصارهم ﴾ يعنى عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمى وان كان لهم أسماع وأبصار فى الظاهر ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ يعنى يتفكرون فيه وفى مواعظه وزواجره وأصل التدبر التفكر فى عاقبة الشئ ومايؤل اليه أمره وتدبر القرآن لا يكون

أرحامكم ان توليتم (أولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (فاصمهم) عن استماع الموعظة (وأعمى أبصارهم) عن ابصارهم طريق الهدى (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفوا مافيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لايجسروا على المعاصى

الكفر (أولئك) المنافقون (الذين لعنهم الله) هم الذين طردهم الله من كل خير (فأصمهم) عن الحق والهدى (وأعمى أبصارهم) عن الحق والهدى (أفلا يتدبرون القرآن) أفلا يتفكرون بالقرآن مانزل فيهم

عند الموت (فاولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه (طاعة
وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خيرلهم (فاذا عزم الامر)

﴿ فاولى لهم ﴾ فويل لهم افعل من الولى وهو القرب اوفعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه اويؤل اليه امرهم ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ استئناف اى امرهم طاعة اوطاعة وقول معروف خيرلهم اوحكاية قولهم لقراءة ابى يقولون طاعة ﴿ فاذا عزم الامر ﴾ اى جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل ﴿ فلو صدقوا الله ﴾ اى فيما زعموا من الحرص على الجهاد اوالايمان ﴿ لكان ﴾ الصدق ﴿ خيرا لهم فهل عسيتم ﴾ فهل يتوقع منكم ﴿ ان توليتم ﴾ امور الناس وتأمرتم عليه اواعرضتم وتوليتم عن الاسلام ﴿ ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم ﴾ تناحرا على الولاية وتجاذبا لها اورجوعا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من

﴿ فاولى لهم ﴾ فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم فى التهديد ويلك وقاربك ماتكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدأ بقوله ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام فى لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا لكانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس فى رواية عطاء عنه ﴿ فاذا عزم الامر ﴾ فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على أصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به ﴿ فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ﴾ يعنى الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله فى اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم ﴿ فهل عسيتم ﴾ أى فلعلكم ﴿ ان توليتم ﴾ يعنى أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم أحكامه ﴿ ان تفسدوا فى الارض ﴾ يعنى تعودوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الفساد فى الارض بالمعصية والبغى وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة بعدما جمعكم الله بالاسلام ﴿ وتقطعوا أرحامكم ﴾ قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون

فاذا وجد الامر ولزمهم فرض القتال (فلو صدقوا الله) فى الايمان والطاعة (لكان) الصدق (خيرا لهم) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب وقال (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) فلعلكم ان أعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وخبر عسى أن تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير فهل عسيتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا

(فأولى لهم) وعيد لهم من عذاب الله (طاعة) يقول هذا من المؤمنين طاعة لله ولرسوله (وقول معروف) كلام حسن ويقال طاعة المنافقين لله ولرسوله وقول معروف كلام حسن لمحمد عليه السلام خير لهم من المعصية والمخالفة والكراهية ويقال أطيعوا طاعة الله وقولوا قولا معروفا لمحمد (فاذا عزم الامر) جد الامر وظهر الاسلام وكثر المسلمون (فلو صدقوا الله) يعنى المنافقين بايمانهم وجهادهم (لكان خيرا لهم) من المعصية (فهل عسيتم ان توليتم) فلعلكم يامعشر المنافقين تمنون ان توليتم أمر هذه الامة بعد النبى صلى الله عليه وسلم (ان تفسدوا فى الارض) بالقتل والمعاصى والفساد (وتقطعوا أرحامكم) باظهار

وللمؤمنين والمؤمنات) والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفي شرح التأويلات جاز أن يكون له ذنب فأمره بالاستغفار له ولكننا لا نعلمه غير ان ذنب الانبياء ترك الافضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشرة القبائح من الصغائر والكبائر وقيل الفاآت في هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال (والله يعلم متقلبكم) في معايشكم ومتاجركم (ومثواكم) ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر وسئل سفيان بن عيينة العلم فقال ألم تسمع قو

النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ماله تبعة ما بترك الاولى ﴿ والله يعلم متقلبكم ﴾ في الدنيا فانها مراحل لابد من قطعها ﴿ ومثواكم ﴾ في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا معادكم ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ﴾ اى هلا انزلت سورة في امر الجهاد ﴿ فاذا انزلت سورة محكمة ﴾ مبينة لاتشابه فيها ﴿ وذكر فيها القتال ﴾ اى الامر به ﴿ رأيت الذين في قلوبهم مرض ﴾ ضعف في الدين وقيل نفاق ﴿ ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت ﴾ جبنا ومخافة

فاعلم أنه لا إله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) فيها ذكر الجهاد (فاذا أنزلت سورة) في معنى الجهاد (محكمة) مبينة غير متشابهة لاتحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة (وذكر فيها القتال) أى أمر فيها بالجهاد (رأيت الذين في قلوبهم مرض) نفاق أى رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته الغشية

كما قال أفلا أكون عبدا شكورا وقيل في معنى الآية استغفر لذنبك أى لذنوب أهل بيتك ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ يعني من غير أهل بيته وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ﴿ والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة أو الى النار وقيل متقلبكم في أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور المعنى انه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وان دق وخفى * قوله تعالى ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ﴾ وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله فقالوا فهلا أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكي نجاهد ﴿ فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ﴾ قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين ﴿ رأيت الذين في قلوبهم مرض ﴾ يعني نفاقا وهم المنافقون ﴿ ينظرون اليك ﴾ يعني شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو ﴿ نظر المغشى عليه من الموت ﴾ يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت

(وللمؤمنين والمؤمنات) ولذنوب المؤمنين والمؤمنات (والله يعلم متقلبكم) ذهابكم ومجيئكم وأعمالكم في الدنيا (ومثواكم) مصيركم ومنزلكم في الآخرة (ويقول الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن وهم المخلصون (لولا) هلا (نزلت سورة) جبريل بسورة تمنوا ذلك من اشتياقهم الى ذكر الله وطاعته (فاذا أنزلت سورة) جبريل بسورة (محكمة) مبينة بالحلال والحرام والامر والنهي (وذكر فيها القتال) أمر فيها بالقتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (ينظرون اليك) نحوك عند ذكرك القتال (نظر المغشى عليه من الموت) كمن هو في غشيان الموت من كراهية قتالهم مع العدو (وعيد)

كمث الرسول وانشقاق القمر وكيف لهم ذكراهم اى تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لايفرغ له ولاينفع ﴿ فاعلم انه لااله الاالله واستغفر لذنبك ﴾ اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ماانت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل

التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولاتقبل منهم التوبة ولايحتسب بالايمان فى ذلك الوقت ﴿ فاعلم انه لااله الاالله ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لااله الاهو فما فائدة هذا الامر وأجيب عنه بان معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس أى دم على ما أنت عليه من الجلوس أويكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لاملجأ ولامنجى ولامفزع عند قيامها الا الى الله الذى لااله الاهو وقيل معناه فاعلم انه لااله الاالله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلاملك ولاحكم لاحد الاالله الذى لااله الاهو ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ أمر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع أنه مغفورله ليستن به أمته وليقتدوا به فى ذلك (م) عن الاغر المزنى أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبى حتى أستغفر فى اليوم مائة مرة وفى رواية قال توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى عزوجل مائة مرة فى اليوم (خ) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة وفى رواية أكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبى الغين التغطية والستر أى يلبس على قلبى ويغطى وسبب ذلك ما أطلعه الله عليه من أحوال أمته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفرلهم وقيل انه لما كان يشغله النظر فى أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع مقام مماهو فيه وهو التفرد بربه عزوجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شئ سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيآت المقربين وقيل هو ماخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذى يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التى تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيى الدين النووى عن القاضى عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذى كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر أوغفل عدذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبى خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا

(فاعلم انه) ان الشان (لااله الاالله واستغفر لذنبك

(فاعلم) يا محمد (انه لااله الا الله) لاضار ولا نافع ولا مانع ولا معطى ولا معز ولا مذل الاالله ويقال فاعلم انه ليس شئ فضله كفضل لااله الاالله (واستغفر لذنبك) يا محمد من ضرب اليهودى زيد بن السمين

﴿ فهل ينظرون الا الساعة ﴾ فهل ينظرون غيرها ﴿ ان تأتيهم بغتة ﴾ بدل اشتمال من الساعة وقوله ﴿ فقد جاء اشراطها ﴾ كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه ﴿ فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ﴾ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها

وقيل آتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى * قوله عز وجل ﴿ فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة ﴾ يعنى الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وقوله تعالى ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ أى أماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة أمرا مستبطأ فى النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فكأن قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء أشراطها قال المفسرون من أشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتى تلى الابهام وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وفى رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفى رواية قال بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ان ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شئ يسير كما بين الاصبعين فى الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن أنس قال عند قرب وفاته ألا أحدثكم حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة أو قال من أشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفى رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفى رواية يرفع العلم ويثبت الجهل أو قال ويظهر الجهل (خ) عن أبى هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم اذ جاءه أعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة * وقوله تعالى ﴿ فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ﴾ يعنى فمن أين لهم

(التذكر)

لهم ما يتقون (فهل ينظرون الا الساعة) أى ينتظرون (أن تأتيهم) أى اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة (بغتة) فجأة (فقد جاء أشراطها) علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان وقيل قطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام (فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) قال الاخفش التقدير فانى لهم ذكراهم اذا جاءتهم

المنسوخ (فهل ينظرون) اذا كذبوك كفار مكة (الا الساعة) قيام الساعة (ان تأتيهم بغتة) فجأة (فقد جاء اشراطها) معالمها انشقاق القمر وخروج النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن من اعلامها أى معالمها (فأنى لهم) فمن أين لهم (اذا جاءتهم) قيام الساعة (ذكراهم) التوبة

(ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا) بالايمان واستماع القرآن (زادهم) الله (هدى) أي بصيرة وعلما أو شرح صدورهم (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم أو بين

﴿ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك﴾ يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ويسمعون كلامه فاذا خرجوا ﴿قالوا للذين اوتوا العلم﴾ اى لعلماء الصحابة ﴿ماذا قال آنفا﴾ ما الذى قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشئ لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير فى قال وقرئ أنفا ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم﴾ فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ اى زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول ﴿وآتاهم تقواهم﴾ بين لهم ما يتقون اواعانهم على تقواهم اواعطاهم جزاءها

الترمذى وقال حديث غريب حسن صحيح عن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله تعالى ﴿ومنهم﴾ يعنى ومن هؤلاء الكفار ﴿من يستمع اليك﴾ وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه ﴿حتى اذا خرجوا من عندك﴾ يعنى ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك ﴿قالوا﴾ يعنى المنافقين ﴿للذين أوتوا العلم﴾ يعنى من الصحابة ﴿ماذا قال آنفا﴾ يعنى ما الذى قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال ائتنفت الامر أى ابتدأته قال مقاتل وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل ﴿أولئك﴾ يعنى المنافقين ﴿الذين طبع الله على قلوبهم﴾ يعنى فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ يعنى فى الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق أمات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا أهواءهم فى الباطل ﴿والذين اهتدوا﴾ يعنى المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن المهتدى الذى ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعنى بهداية الله اياهم الى الايمان ﴿زادهم هدى﴾ يعنى انهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم ﴿وآتاهم تقواهم﴾ يعنى وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير آتاهم ثواب تقواهم

مباعيهم (ومنهم) من المنافقين (من يستمع اليك) الى خطبتك يوم الجمعة (حتى اذا خرجوا من عندك) تفرقوا من عندك (قالوا) يعنى المنافقين (للذين أوتوا العلم) اعطوا العلم يعنى عبد الله بن مسعود (ماذا قال) محمد عليه السلام (آنفا) الساعة على المنبر استهزاء قال محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك) المنافقون هم (الذين طبع الله) ختم الله (على قلوبهم) فهم لا يعقلون الحق والهدى (واتبعوا أهواءهم) بكفر السر والنفاق والخيانة والعداوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذين اهتدوا) بالايمان (زادهم) خطبتك (هدى) بصيرة فى أمر الدين وتصديقا فى النيات (وآتاهم تقواهم) ألهمهم تقواهم يقول أكرمهم بترك المعاصى واجتناب المحارم ويقال والذين اهتدوا بالناسخ زادهم هدى بالمنسوخ وآتاهم الله تبارك وتعالى تقواهم أكرمهم الله باستعمال الناسخ وترك

لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي [illegible] الجنة
انواع [illegible] منها في الدنيا بالجري [illegible] وتعدد الوصف [illegible]
وسقي [illegible] ولهم فيها من كل الثمرات [illegible] ومغفرة من ربهم
عطف على [illegible] المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اى لهم مغفرة كمن هو خالد
في النار وسقوا ماء حميما ﴿ مكان تلك الاشربة ﴾ فقطع امعاءهم ﴿ من فرط الحرارة

عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر اردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهم ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي عنه * وقوله تعالى ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان مأكول أهل الجنة لذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة ﴿ ومغفرة من ربهم ﴾ فان قلت المؤمن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة من فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه * قوله تعالى ﴿ كمن هو خالد في النار ﴾ يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار يتجرع من حميمها وهو قوله ﴿ وسقوا ماء حميما ﴾ يعني شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا أدني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم ﴿ فـ ﴾ اذا شربوه ﴿ قطع أمعاءهم ﴾ يعني فخرجت من أدبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم (ت) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه

[illegible] كل الثمرات [illegible] ومغفرة [illegible] [illegible] خبره كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما) حارا في النهاية (فقطع أمعاءهم) والتقدير أمثال الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار وهو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم

(ولهم) ولاهل الجنة (فيها) في الجنة (من كل الثمرات) من ألوان الثمرات (ومغفرة من ربهم) لذنوبهم في الدنيا (كمن هو خالد في النار) لا يموت فيها ولا يخرج منها وهو أبو جهل (وسقوا ماء حميما) حارا (فقطع أمعاءهم)

صلى الله عليه وسلم (كمن زين له سوء عمله) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم [illegible] الله ورسوله وقال سوء
عمله (واتبعوا أهواءهم) للحمل على لفظ من ومعناه (مثل الجنة) صفة الجنة العجيبة [illegible] وعد المتقون) عن الشرك
(فيها أنهار) داخل في حكم [illegible] ٥٠٣ [illegible] الصلة كالتكرير لها [illegible] سورة [illegible] الجنة قولك التي

عنده وهو القرآن او المعجزة و [illegible] العقلية كالنبي والمؤمنين [illegible] كمن زين له سوء عمله
كالشرك والمعاصي [illegible] واتبعوا اهواءهم [illegible] في ذلك لاشبهة لهم عليه فضلا عن حجة [illegible] مثل
الجنة التي وعد المتقون [illegible] اى فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن
هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد اوامثال الجنة
كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ماحذف استغناء بجرى
مثله تصويرا لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوى
بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن
هو خالد في النار اوبدل من قوله كمن زين ومابينهما اعتراض لبيان ماعتاز به من هو
على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة [illegible] فيها انهار من ماء غير آسن [illegible] استئناف
بشرح المثل اوحال من العائد المحذوف اوخبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا
تغير طعمه وريحه اوبالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسن [illegible] وانهار من لبن
لم يتغير طعمه [illegible] لم يصر قارصا ولا حازرا [illegible] وانهار من خمر لذة للشاربين [illegible] لذيذة
لايكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار
اوتجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة [illegible] وانهار من عسل مصفى

معه [illegible] كمن زين له سوء عمله [illegible] وهو الكافر أبو جهل ومن معه من المشركين [illegible] واتبعوا
أهواءهم [illegible] يعني في عبادة الاوثان [illegible] قوله عز وجل [illegible] مثل الجنة التي وعد المتقون [illegible]
لما بين الله عز وجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بين في هذه الآية ما أعد
لكل واحد من الفريقين فبين أولا ما أعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي
وعد المتقون يعني صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف ومعناه وصف الجنة وذلك
لايقتضي مشابهة وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد
المتقون مثل عجيب وشئ عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد في النار
[illegible] فيها [illegible] يعني الجنة التي وعد المتقون [illegible] أنهار من ماء غير آسن [illegible] يعني غير متغير
ولا منتن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه [illegible] وأنهار من لبن لم يتغير طعمه [illegible]
يعني كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا مايكره من الطعوم [illegible] وأنهار
من خمر لذة للشاربين [illegible] يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الارجل
بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار [illegible]
لذة [illegible] للالتذاذ فقط [illegible] وأنهار من عسل مصفى [illegible] يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا [illegible]
يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض النحل [illegible] من الشمع [illegible]

[illegible] أو حال أي
[illegible] فيها أنهار (من ماء
غير آسن) غير متغير اللون
والريح والطعم يقال أسن
الماء اذا تغير طعمه وريحه
أسن مكي (وأنهار من لبن
لم يتغير طعمه) كما تتغير
ألبان الدنيا الى الحموضة
وغيرها (وأنهار من خمر
لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ
(للشاربين) أي ماهو الا
التلذذ الخالص ليس معه
ذهاب عقل ولا خمار
ولا صداع ولا آفة من
آفات الخمر (وأنهار
من عسل مصفى) لم يخرج
من بطون النحل فيخالطه
الشمع وغيره

(كمن زين له سوء
عمله) قبيح عمله وهو
[illegible] (واتبعوا
أهواءهم) عبادة الاوثان
([illegible] الجنة) صفة الجنة
([illegible] وعد المتقون) الكفر
[illegible] والفواحش (فيها
[illegible] من ماء غير آسن)
[illegible] (وأنهار
[illegible] الى
[illegible] مرعوفة [illegible]

يخرج من بطون النياق (وأنهار من خمر لذة للشاربين) [illegible] للشاربين لم تعصر بالاقدام (وأنهار من عسل مصفى)
لاشمع لم يخرج من بطون النحل

من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم والنصرة فهو مولى المؤمنين والكافرين من جهة الاختراع والتصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) بمتاع الحيوة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير متفكرين فى العاقبة (كما تأكل الانعام) فى معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية) أى وكم من قرية وهى للتكثير وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم (هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) أى وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك (أهلكناهم فلا ناصر لهم) أى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم (أفمن كان على بينة من ربه) أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعنى رسول الله (ان الله يدخل الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (والذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن أبو سفيان وأصحابه (يتمتعون) يعيشون فى الدنيا (ويأكلون) فى الدنيا بلا همة ... (كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم) منزل لهم فى الآخرة (وكأين من قرية) وكم من اهل قرية (هى أشد قوة) بالابدان والمال (من قريتك) مكة (التى أخرجتك) أخرجك أهلها الى المدينة أهلكناهم بالعذاب عند التكذيب (فلا ناصر لهم) فلم يكن لهم مانع من عذاب الله (أفمن كان على بينة) على بيان ودين (من ربه) وهو محمد صلى الله عليه وسلم

مولاهم الحق وان المولى فيه بمعنى المالك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) يتنعمون بمتاع الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) حريصين غافلين عن العاقبة (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب (أهلكناهم) بانواع العذاب (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم وهو كالحال المحكية (أفمن كان على بينة من ربه) حجة من

لا ناصر لهم ينفع ولا ناصر من عذابه فلا ناصر لهم (فان قلت) ما الفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق (قلت) المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ يعنى هذا لهم فى الآخرة ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها ﴿ويأكلون كما تأكل الانعام﴾ يعنى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه فان المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقد وصف الكافر بتمتعه فى الدنيا لانها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما أعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم ﴿والنار مثوى لهم﴾ يعنى مقام الكفار فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم قوله تعالى ﴿وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك﴾ يعنى أخرجك أهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى أشد قوة من أهل مكة أهلكهم الله يدل عليه قوله ﴿أهلكناهم﴾ ولم يقل أهلكناها ﴿فلا ناصر لهم﴾ يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب ... عن ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله تعالى الى الله وأحب البلاد الى ولولا أن المشركين أخرجونى لم أخرج منك فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ ... وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون

فالتعس اولى لها من ان اقول لعا
وانتصابه بفعله او اوجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا اوه فسرة لناصبه ﴿ واضل اعمالهم ﴾ عطف عليه ﴿ ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله ﴾ القرآن لمافيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال ﴿ فاحبط ﴾ الله ﴿ اعمالهم ﴾ كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولاينفك عنه بحال ﴿ أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ﴾ استأصل عليهم مااختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم ﴿ وللكافرين ﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر ﴿ امثالها ﴾ امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها اولاسنة لقوله تعالى سنة الله التى قد خلت ﴿ ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ﴾ ناصرهم على اعدائهم ﴿ وان الكافرين لامولى لهم ﴾ فيدفع العذاب عنهم وهو لايخالف قوله ثم ردوا الى الله

لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه وفى هذا اشارة جليلة وهى ان الله تعالى لما قال فى حق المؤمنين ويثبت أقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر أيضا يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لايجب عليه شئ وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم ﴿ وأضل أعمالهم ﴾ يعنى أبطل أعمالهم لانها كانت فى طاعة الشيطان ﴿ ذلك ﴾ يعنى التعس والضلال ﴿ بانهم كرهوا ما أنزل الله ﴾ يعنى القرآن الذى فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله ﴿ فاحبط أعمالهم ﴾ يعنى فابطل أعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى ﴿ أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ يعنى من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة ﴿ دمر الله عليهم ﴾ يقال دمره الله يعنى أهلكه ودمر عليه اذا أهلك مايختص به والمعنى أهلك الله عليهم مايختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم ﴿ وللكافرين ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أمثالها ﴾ يعنى ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا التعذيب انما يكون فى الآخرة ﴿ ذلك ﴾ يعنى الاهلاك والهوان ﴿ بان ﴾ أى بسبب ان ﴿ الله مولى الذين آمنوا ﴾ يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم ﴿ وان الكافرين لامولى لهم ﴾ يعنى لاناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وهى جماد

والتعس العثور وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار (ذلك) أى التعس والضلال (بانهم كرهوا ما أنزل الله) أى القرآن (فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا فى الارض) يعنى كفار أمتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلكهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشركى قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لان التدمير يدل عليها (ذلك) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بان الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وان الكافرين لامولى لهم) أى لاناصر لهم فالله مولى العباد جميعا

(وأضل أعمالهم) ابطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر (ذلك) الابطال (بأنهم كرهوا) جحدوا (ما انزل الله) به جبريل على محمد عليه السلام (فأحبط أعمالهم) فابطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر (أفلم يسيروا) يسافروا كفار مكة (فى الارض فينظروا) فيتفكروا (كيف كان عاقبة) جزاء (الذين من قبلهم دمر الله عليهم) اهلكهم الله (وللكافرين) لكفار مكة (امثالها) اشباهها من العذاب (ذلك) النصرة للمؤمنين (بأن الله مولى) ناصر (الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وان الكافرين) كفار مكة (لامولى لهم) لاناصر لهم

[illegible] لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كخسف أو رجفة أو غير ذلك (ولكن [illegible] بعض) أي المؤمنين بالكافرين [illegible] الكافرين (والذين قتلوا) [illegible] وحفص [illegible] الثواب في جوب منكر ونكير (ويصلح بالهم [illegible] (ويدخلهم الجنة عرفها [illegible]

[illegible] ذلك ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ لانتقم منهم بالاستئصال ﴿ ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ ولكن [illegible] المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم [illegible] والثواب العظيم [illegible] المؤمنين [illegible] على أيديهم ببعض عذابهم [illegible] عن الكفر ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله ﴾ [illegible] جاهدوا [illegible] وقرأ [illegible] وحفص [illegible] [illegible] وقرئ [illegible] [illegible] الثواب [illegible] ﴿ ويصلح بالهم [illegible] الجنة عرفها لهم ﴾ وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا إليها [illegible] ما [illegible] بحيث [illegible] كل أحد [illegible] كأنه كان ساكنه منذ [illegible] من العرف وهو طيب [illegible] بحيث يكون لكل جنة [illegible] الذين آمنوا إن تنصروا الله ﴾ إن تنصروا دينه ورسوله ﴿ ينصركم ﴾ [illegible] ويثبت أقدامكم ﴾ في [illegible] بحقوق الإسلام و[illegible] مع الكفار [illegible] كفروا فتعسا لهم ﴾ فعثورا و[illegible] ونقيضه [illegible] لا انتعاش

[illegible] من حكم الكفار [illegible] ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ يعني ولو شاء الله [illegible] غير قتال [illegible] أمرهم ﴿ ولكن ﴾ يعني ولكن أمركم بالقتال ﴿ ليبلو [illegible] ببعض ﴾ يعني فيصير من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكافرين [illegible] العذاب ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله ﴾ يعني [illegible] وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون [illegible] فلن يضل أعمالهم ﴾ [illegible] بل يوفيهم ثواب أعمالهم التي [illegible] قال قتادة ذكر لنا [illegible] أحد وقد فشت في المسلمين [illegible] في الدنيا إلى أرشد الأمور وفي الآخرة [illegible] أعمالهم وتقبلها [illegible] ويدخلهم الجنة [illegible] مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون [illegible] درجته ومنزله وزوجته [illegible] المفسرين ونقل عن ابن عباس [illegible] قوله [illegible] ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا [illegible] دين الله ورسوله [illegible] ويثبت أقدامكم [illegible]

[illegible] عرفها [illegible] ([illegible]) [illegible] (إن تنصروا الله [illegible] (ويثبت أقدامكم) في الحرب [illegible]) [illegible] عليه السلام والقرآن وهم المطعمون يوم بدر (فتعسا لهم) فتعسا لهم وبعدا لهم

[illegible] عرفها [illegible] [illegible] العرف وهو [illegible] (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله) [illegible] ورسوله (ينصركم) [illegible] [illegible] (والذين كفروا [illegible]) [illegible] [illegible] من الكفر [illegible] (ولكن [illegible]) [illegible] في سبيل الله يوم بدر [illegible] (أعمالهم) [illegible] في الجنة ([illegible]) [illegible]

ضرب العنق أو المراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء أن يفادى بأساراهم اسارى المسلمين فقد ... ٤٩٩ ... رواه الطحاوى مذهبا عن ... محمد

أبى حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند الشافعى رحمه الله تعالى الامام أن يختار أحد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن (حتى تضع الحرب أوزارها) أثقالها وآلاتها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع وقيل أوزارها آثامها يعنى حتى تترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا وحتى لا يخلوا من ان يتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا التعلقين عند الشافعى رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبى حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويأسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى

انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها ... ان تأول المن والفداء ... من التأويل (ذلك) أى الامر ذلك فهو مبتدأ وخبر أو افعلوا بهم ذلك فهو فى محل النصب

والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر احد ... ذا اسر تخيير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق ومنسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا ﴿حتى تضع الحرب اوزارها﴾ آلاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اى تنقضى الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى صلى الله عليه وسلم ﴿ذلك﴾ اى الامر

كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض أبغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فاصبح دينك أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فصبح بلدك أحب البلاد كلها الى وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكنى أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخارى عن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف أخرجه الشافعى فى مسنده وأخرجه مسلم وأبو داود بلفظ أطول من هذا وقوله تعالى ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ يعنى أثقالها وأحمالها والمراد أهل الحرب يعنى حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون أوزارهم بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل أهل الملل كلها فى الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتى الدجال هكذا ذكره البغوى بغير سند وقال الكلبى معناه حتى يسلموا أو يسالموا وقال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم ﴿ذلك﴾ ...

واما ان يفادى المأسور نفسه (حتى تضع الحرب) الكفار (أوزارها) اسلحتهم ويقال حتى يترك الكفار شراكها (ذلك) العقوبة

باشد ... سورة ... فاذا ... اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ (فشدوا الوثاق) فأسروهم ... والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به (فاما منا بعد واما فداء) اى فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسرين بين

قتل الانسان أشنع مايكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر فى الامر بالقتل ولان الرأس من أشرف أعضاء البدن فاذا أبين عن بدنه كان أسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء ﴿حتى اذا أثخنتموهم﴾ يعنى بالغتم فى القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشئ الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا أثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة ﴿فشدوا الوثاق﴾ يعنى فى الاسرى والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لايفلتوا منكم والوثاق اسم مايوثق به أى يشد به ﴿فاما منا بعد واما فداء﴾ يعنى بعد الاسر اما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض وأما ان تفادوهم فداء

﴿ فصل فى حكم الآية ﴾

اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدى وابن جريج واليه ذهب الاوزاعى وأصحاب الرأى قالوا لايجوز المن على من وقع فى الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل أو الاسترقاق أيهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولافداء انما هو الاسلام أوضرب العنق ويجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية وكانوا من أهل الذمة ويراد بالفداء أن يفادى باسراهم أسرى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة والمشهور عنه أنه لايرى فداءهم لابمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وذهب أكثر العلماء الى ان الآية محكمة والامام بالخيار فى الرجال البالغين من الكفار اذا أسروا بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلاعوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى وأحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل فى الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن أبى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة ابن أثال فربطوه فى سارية من سوارى المسجد فخرج اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماعندك يا ثمامة فقال عندى خير يا محمد ان تقتل تقتل ذادم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ماعندك ياثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذادم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من بعد الغد قال ما عندك ياثمامة ... ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذادم وان

اى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا ان الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان أكثر مايكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم فيهم القتل (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم مايوثق به والمعنى فشدوا وثاق الاسارى حتى لايفلتوا منكم (فامامنا بعد) أى بعد أن تأسروهم (وامافداء) منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أى فاما تمنون منا أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين الامرين بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق والمن والفداء المذكور فى الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة من آخر مانزل وعن مجاهد ليس اليوم من ولافداء انما هو الاسلام أو

فاسرين ... (حتى اذا أثخنتموهم) قهرتموهم وأسرتموهم (فشدوا الوثاق) فاستوثقوا الاسير (فما منا بعد) يقول تمن على الاسير فترسله بغير فداء (واما فداء) ﴿كنت﴾

كفر عنهم سيآتهم) سترها [illegible] وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي [illegible] (وأصلح بالهم)
في حالهم وشأنهم بالتوفيق [illegible] على الدنيا [illegible]
الباطل وأن الذين آمنوا [illegible]
وتكفير سيآت [illegible] ٤٩١ [illegible] أن بسبب اتباع [illegible]

بكونه ناسخا لا ينسخ [illegible] أنزل على البناء للفاعل و نزل على البناءين [illegible]
﴿كفر عنهم سيآتهم﴾ سترها بالايمان وعملهم الصالح ﴿واصلح بالهم﴾ حالهم
فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ﴿ذلك﴾ اشارة الى مامر من الاضلال و[illegible]
والاصلاح وهو مبتدأ خبره ﴿بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا
الحق من ربهم﴾ بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح [illegible]
ماقبلها و ذلك تسمى تفسيرا ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الضرب ﴿يضرب الله للناس
امثالهم﴾ احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع [illegible]
لعمل الكفار و الاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيآت
لفوزهم ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا﴾ فى المحاربة ﴿فضرب الرقاب﴾ اصله [illegible]
الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول [illegible]
للاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغى ان يكون بضرب الرقبة حيث [illegible]

وآمنوا بما نزل على محمد يعنى لم يخالفوه فى شئ [illegible] كفر عنهم سيآتهم [illegible]
وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم [illegible] فغفرلهم [illegible]
ما كان منهم ﴿وأصلح بالهم﴾ يعنى حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق فى أمور [illegible]
والتسليط على أمور الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم وقيل أصلح بالهم [illegible]
قلوبهم لأن القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم [illegible]
أن هذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا ﴿ذلك بأن الذين كفروا
اتبعوا الباطل﴾ يعنى الشيطان ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ [illegible]
القرآن ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال أعمال الكفار وتكفير سيآت [illegible]
كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق من ربهم ﴿كذلك يضرب
للناس أمثالهم﴾ [illegible] الضمير فى أمثالهم [illegible] على أنه تعالى يضرب [illegible]
أمثال أنفسهم أو هو راجع الى الفريقين [illegible] تعالى ضرب أمثالهم
للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين و[illegible]
الكافرين للناس [illegible] قوله تعالى ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا﴾ من اللقاء وهو [illegible]
﴿فضرب الرقاب﴾ يعنى فاضربوا الرقاب ضربا وضرب الرقاب عبارة [illegible]
لأن [illegible] الأعضاء [illegible]

وأصلح [illegible] المؤمنين [illegible] ٦٣ [illegible]
(اتبعوا الباطل) يعنى [illegible]
(كذلك) هكذا (يضرب الله) يبين الله (للناس) لأمة محمد صلى الله عليه وسلم [illegible]
اهلكهم الله عند تكذيب الرسل ثم حرض المؤمنين على القتال (فاذا لقيتم الذين كفروا [illegible] (فضرب الرقاب)

وامتنعوا عن الدخول في الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال الجوهري صد عنه يصد صدودا أي أعرض وصده عن الامر صدا
منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر أو أهل الكتاب
أو عام في كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل وأعمالهم ما عملوه في كفرهم من صلة الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام أو ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هم ناس من قريش أو من الانصار أو من أهل الكتاب أو عام (وآمنوا بما نزل على محمد) وهو القرآن وتخصيص الايمان بالمنزل على رسوله من بين ما يجب الايمان به لتعظيم شأنه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهي قوله (وهو الحق من ربهم) أي القرآن وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره

طريقه ودعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر وشياطين قريش والمصرين من أهل الكتاب ﴿أضل أعمالهم﴾ جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة أي ضائعة محبطة بالكفر ومغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن أو ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك أكده بقوله ﴿وهو الحق من ربهم﴾ اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيته

أضل أعمالهم﴾ يعني أبطلها ولم يتقبلها منهم وأراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من أعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كأن قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فأخبر بان الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعني أبطلها لانها لم تكن لله ولا بأمره انما فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم أبو جهل والحرث ابن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الاسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول في الاسلام أضل أعمالهم يعني أبطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين ﴿و ... الذين ... آمنوا بما نزل على محمد﴾ يعني القرآن الذي أنزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما لشأن القرآن الكريم وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به وأكد ذلك بقوله ﴿وهو الحق من ربهم﴾ وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثوري في قوله

عن دين الله وطاعته وهم المطعمون يوم بدر عتبة وشيبة ابنا ربيعة ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام وأبو جهل بن هشام وأصحابهم (أضل أعمالهم) ابطل حسناتهم ونفقتهم يوم بدر (وآمنوا)
(والذين آمنوا) بالله ومحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم وهم أصحاب محمد عليه السلام
(وآمنوا بما نزل على محمد) بما أنزل الله به جبريل على محمد عليه السلام (وهو الحق من ربهم) يعني القرآن

ولاتستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب أى لاتدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لامحالة وان تأخر (كأنهم يوم يرون مايوعدون

لم يلبثوا الاساعة من نهار) أى انهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا

وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلى الله عليهم اجمعين ﴿ولاتستعجل لهم﴾ لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لامحالة ﴿كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الاساعة من نهار﴾ استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة ﴿بلاغ﴾ هذا الذى وعظتم به اوهذه السورة بلاغ اى كفاية اوتبليغ من الرسول به ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل بلاغ مبتدأ خبره لهم ومابينهما اعتراض اى لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذا بلغوه ورأوا مافيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اى بلغوا بلاغا ﴿فهل يهلك الاالقوم الفاسقون﴾ الخارجون عن الاتعاظ اوالطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

سورة محمد عليه الصلاة والسلام وتسمى سورة القتال وهى

مدنية وقيل مكية وآيها تسع اوثمان وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك

ولاقوة الابالله * قوله تعالى ﴿ولاتستعجل لهم﴾ يعنى اصبر على أذاهم ولاتستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لامحالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فامره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب العذاب فقال تعالى ﴿كأنهم يوم يرون مايوعدون﴾ يعنى من العذاب فى الآخرة ﴿لم يلبثوا﴾ يعنى فى الدنيا ﴿الاساعة من نهار﴾ يعنى أنهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لان مامضى وان كان طويلا فهو يسير الى مايدوم عليهم من العذاب وهو أبد الآبدين بلا انقطاع ولافناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿بلاغ﴾ أى هذا القرآن ومافيه من البينات والهدى بلاغ من الله الحكيم والبلاغ بمعنى التبليغ ﴿فهل يهلك﴾ يعنى بالعذاب اذا نزل ﴿الا القوم الفاسقون﴾ يعنى الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تاويله لايهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم مافى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم

تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى مدنية

وهى ثمان وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزوجل ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾

حتى يحسبوها ساعة من نهار (بلاغ) هذا بلاغ اى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول (فهل يهلك) هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله (الا القوم الفاسقون) أى المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه قال عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهى ثمان وثلاثون آية أوتسع وثلاثون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا

(ولاتستعجل لهم) بالهلاك (كأنهم يوم يرون مايوعدون) من العذاب مقدم ومؤخر (لم يلبثوا) لم يمكثوا فى الدنيا (الاساعة) قدر ساعة (من نهار بلاغ) بلغة واجل فاذا جاء وقت العذاب والهلاك (فهل يهلك) بالعذاب (الا القوم الفاسقون) الكافرون وهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله

ومن السورة التى يذكر فيها محمد صلى الله عليه وسلم وهى كلها مكية نزلت فى القتال ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وصدوا عن سبيل الله) صرفوا الناس

﴿قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم ﴿فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل﴾ اولو الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولو العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة

الرسل وهو الحق ﴿قالوا بلى وربنا﴾ هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعدما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك ﴿قال﴾ لهم ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ قوله عز وجل ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالاقتداء باولى العزم من الرسل في الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا في أولى العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم وصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم أولو العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوي بسنده عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا ان كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لا بدلي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن

الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم في الدنيا (فاصبر كما صبر أولو العزم) أولو الجد والثبات والصبر (من الرسل) من للتبعيض والمراد باولى العزم ما ذكر في الاحزاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما أو للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم

(قالوا بلى وربنا) انه الحق (قال) الله لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) تجحدون في الدنيا بمحمد عليه السلام والقرآن (فاصبر) يا محمد على أذى الكفار (كما صبر اولو العزم) ذوو اليقين والحزم (من الرسل) مثل نوح وابراهيم وموسى وعيسى ويقال ذوو الشدة والصبر مثل نوح وأيوب وزكريا ويحيى

قبلهم ولاجان (ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) أى لاينجى منه مهرب (وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن)

على ان لاثواب لهم والاظهر انهم فى توابع التكليف كبنى آدم ﴿ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض﴾ اذلاينجى منه مهرب ﴿وليس له من دونه اولياء﴾ يمنعونه منه ﴿اولئك فى ضلال مبين﴾ حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه ﴿او لم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن﴾ ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لاتنقص ولاتنقطع بالايجاد ابدالآباد ﴿بقادر على ان يحيي الموتى﴾ اى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفى فانه مشتمل على ان وما فى حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله ﴿بلى انه على كل شئ قدير﴾ تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ منصوب بقول مضمر مقوله ﴿اليس هذا بالحق﴾ والاشارة الى العذاب

جرت عليهم أحكام الاسلام فمن أتى بذنب أخذبه مالم يتب منه او يبقى تحت خطر المشيئة ان شاءالله غفرله وان شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء فى حكم مؤمنى الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الانجاتهم من النار وتاولوا قوله يغفرلكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم واليه ذهب أبو حنيفة وحكى عن الليث قال ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن أبى الزناد قال اذا قضى بين الناس قيل لمؤمنى الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعندذلك يقول الكافر ياليتنى كنت تراباوقال لآخرون لهم الثواب فى الاحسان كما يكون عليهم العقاب فى الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن أبى ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبدالعزيز ان مؤمنى الجن حول الجنة فى ربض ورحاب وليسوا فيها يعنى فى الجنة وقوله تعالى ﴿ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض﴾ يعنى لايعجزالله فيفوته ﴿وليس له من دونه أولياء﴾ يعنى انصارا يمنعونه من الله ﴿أولئك﴾ يعنى الذى لم يجيبوا داعى الله ﴿فى ضلال مبين﴾ قوله تعالى ﴿أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن﴾ يعنى انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ يعنى ان اعادة الخلق واحياءه بعدالموت أهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهوقوله ﴿بلى انه على كل شئ قدير﴾ يعنى من اماتة الخلق واحيائهم لانه قادرعلى كل شئ ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ فيه اضمار تقديره فيقال لهم ﴿اليس هذا بالحق﴾ يعنى هذا العذاب هوالذى وعدكم

هو كقوله وما مسنامن لغوب ويقال عييت بالامر اذالم تعرف وجهه (بقادر) محله الرفع لانه خبر يدل عليه قراءة عبدالله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفى فى اول الآية على ان ومافى حيزها وقال الزجاج لو قلت ماظننت ان زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر الاترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شئ من البعث وغيره لا لرؤيتهم (على ان يحيي الموتى بلى) هوجواب للنفى (انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هذا بالحق) وناصب الظرف القول المضمر وهذا اشارة

(ومن لايجب داعى الله) محمدا عليه السلام (فليس بمعجز) فليس بفائت من عذاب الله (فى الارض وليس له من دونه) من دون الله (أولياء) اقرباء ينفعونه (أولئك فى ضلال مبين) فى كفر بين (أولم يروا) يعلموا كفار مكة (أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى) ولم يعجز (بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى) للبعث (بلى انه على كل شئ) من الحياة والموت (قدير ويوم يعرض الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (على النار) قبل ان يدخلوا النار فيقال لهم (أليس هذا) العذاب (بالحق) بالعدل

شديدا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فلما قضى) أى فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من القراءة (ولوا الى قومهم منذرين) بهم (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (يهدى الى الحق) الى الله تعالى (والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله) أى محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال أبو حنيفة رضي الله عنه لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبى ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك انهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن انس

حتى تسمعوا كلام النبى صلى الله عليه وسلم (فلما قضى) فلما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من قراءته وصلاته آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن (ولوا الى قومهم منذرين) رجعوا الى قومهم مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن مخوفين لقومهم (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا) قراءة كتاب يعنون القرآن (أنزل) على محمد صلى الله عليه وسلم (من بعد موسى مصدقا لما بين يديه) موافقا بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته لما بين يديه من التوراة وكانوا قد آمنوا بموسى (يهدى) يرشد (الى الحق والى طريق مستقيم) الى دين حق قائم يرضاه وهو الاسلام (ياقومنا أجيبوا داعى الله) محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) يغفر لكم ربكم ذنوبكم فى الجاهلية (ويجركم) ينجكم (من عذاب أليم) وجميع

﴿فلما قضى﴾ تم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ﴿ولوا الى قومهم منذرين﴾ اى منذرين اياهم بما سمعوا روى انهم وافوا رسول الله عليه السلام بوادى نخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجده ﴿قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا نزل من بعد موسى﴾ قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا اوما سمعوا بامر عيسى عليه السلام ﴿مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق﴾ من العقائد ﴿والى طريق مستقيم﴾ من الشرائع ﴿ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم﴾ بعض ذنوبكم وهو ما يكون فى خالص حق الله تعالى فان المظالم لا تغفر بالايمان ﴿ويجركم من عذاب اليم﴾ هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة رضى الله عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة

الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شئ فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه ﴿فلما قضى﴾ أى فرغ من قراءته ﴿ولوا﴾ أى رجعوا ﴿الى قومهم منذرين﴾ يعنى داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من مخالفته وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له ﴿قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا﴾ قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعنى من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فلذلك هو تصديقه ما بين يديه من الكتب ﴿يهدى الى الحق والى طريق مستقيم﴾ يعنى يهدى الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدى الى طريق الجنة ﴿ياقومنا أجيبوا داعى الله﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفى الآية دليل على انه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله ﴿وآمنوا به﴾ فان قلت قوله تعالى أجيبوا داعى الله أمر باجابته فى كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما أعاده لان الايمان أهم أقسام المأمور به وأشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم عطف عليه أشرف أنواعه ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هى على أصلها وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا أسلموا

﴿يستمعون القرآن﴾ حال محمولة على المعنى ﴿فلما حضروه﴾ اى القرآن او الرسول ﴿قالوا انصتوا﴾ قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه

أكلت فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاني فقال هل معك ماء قلت يارسول الله معي اداوة فيها شئ من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا أن ابن مسعود قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ماأشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتاب الخلافيات باسانيده وأجاب عنها كلها والذى صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد قال ماصحبه منا أحد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات قوم قال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة أخرجه مسلم في صحيحه ❊ وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يامحمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد أولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروى ان الجن ثلاثة أصناف صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان أولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وأطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب ﴿يستمعون القرآن فلما حضروه﴾ الضمير يعود الى القرآن يعني فلما حضروا القرآن وقيل يحتمل انه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن ﴿قالوا أنصتوا﴾ يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع

(فلما حضروه) أي الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن اى كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء رجموا بالشهب قالوا ماهذا الالنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلى أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وعن سعيد بن جبير ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولارآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لايشعر فانبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم فقال انى أمرت ان أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لى خطا وقال لاتخرج منه حتى أعود اليك ثم فتح القرآن وسمعت لغطا

(يستمعون القرآن) الى قراءة القرآن (فلما حضروه) أي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخل (قالوا) قال بعضهم لبعض (انصتوا)

من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس ابن متى فقال له عداس ومايدريك مايونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال أحد ابني ربيعة أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك ياعداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدي ما في الارض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بامر مايعلمه الانبي فقالا له ويحك ياعداس لايصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفي الآية قول آخر وسيأتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروى ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال أبو حمزة بلغنا انهم من بني الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني أمرت ان أقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله ابن مسعود قال عبد الله بن مسعود لم يحضر معه أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم أمرني ان اجلس فيه وقال لاتخرج منه حتى أعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى مثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لاأسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الي فقال لي نمت فقلت لاوالله يارسول الله قد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيأ قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يارسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يارسول الله ومايغني ذلك عنهم فقال انهم لايجدون عظما الاوجدوا عليه لحمه يوم أكل ولاروثة الاوجدوا فيها حبها يوم

واذصرفنا اليك نفرا من الجن ﴾ املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار

يعنى يكذبون بقولهم انها آلهة وأنها تشفع لهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذصرفنا اليك نفرا من الجن ﴾ الآية

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾

قال المفسرون لما مات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبدياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بنى جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءله من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغى لى ان أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيزيد ذلك فى تجرئهم عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان مالقى من سفهاء ثقيف وقد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التى من بنى جمح فقال لها ماذا لقينا من أحمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس فانت رؤف وأنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أوالى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذين أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لاحول ولاقوة الابك فلما رأى ابنا ربيعة مالقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت ياعداس وما دينك فقال أنا نصرانى وأنا رجل

على الله يكذب (واذصرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (من الجن) جن نصيبين

(واذصرفنا اليك نفرا) وجهنا اليك جماعة (من الجن) وهم تسعة رهط

(ولا أفئدتهم من شئ) أى من شئ من الاغناء وهو القليل منه (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اذ نصب بقوله أغنى وجرى مجرى التعليل والظرف فى قولك ضربته لاسائته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته فى وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أى كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما تقرب به الى الله تعالى أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذوا الراجع الى الذين محذوف أى اتخذوهم والثانى آلهة وقربانا حال (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرتهم (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم

﴿ ولا أفئدتهم من شئ ﴾ من الاغناء وهو القليل ﴿ اذ كانوا يجحدون بآيات الله ﴾ صلة لما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما أضيف اليه وكذلك حيث ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ من العذاب ﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ من القرى ﴾ كحجر ثمود وقرى قوم لوط ﴿ وصرفنا الآيات ﴾ بتكريرها ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ عن كفرهم ﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ﴾ فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولى اتخذ الراجع الى الموصول محذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء ﴿ بل ضلوا عنهم ﴾ غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال ﴿ وذلك افكهم ﴾ وذلك الاتخاذ الذى هو أثره صرفهم عن الحق • وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم اى جعلهم آفكين وآفكهم اى قولهم الافك اى ذو الافك ﴿ وما كانوا يفترون

﴿ ولا أفئدتهم من شئ ﴾ يعنى انه لما نزل بهم العذاب ما أغنى ذلك عنهم شيأ ﴿ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ يعنى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يصبونه على سبيل الاستهزاء ﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ﴾ الخطاب لاهل مكة يعنى أهلكنا قرى ديار ثمود وهى الحجر وسدوم وهى قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف أهل مكة بذلك ﴿ وصرفنا الآيات ﴾ يعنى وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ يعنى عن كفرهم فلم يرجعوا فهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم فى الكفر ﴿ فلولا ﴾ يعنى فهلا ﴿ نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ﴾ يعنى انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى ﴿ بل ضلوا عنهم ﴾ يعنى بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم ﴿ وذلك افكهم ﴾ يعنى كذبهم الذى كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده ﴿ وما كانوا يفترون ﴾

(ولا أفئدتهم) قلوبهم (من شئ) شيأ من عذاب الله (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) يكفرون بمحمد وبكتاب الله (وحاق بهم) نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) يهزؤن من العذاب (ولقد أهلكنا ما حولكم من) {يعنى} القرى) يا أهل مكة (وصرفنا الآيات) بينا الآيات بالامر والنهى والهلاك لمن أهلكناهم (لعلهم يرجعون) عن كفرهم فيتوبوا (فلولا نصرهم) فهلا نصرهم (الذين اتخذوا) عبدوا (من دون الله قربانا آلهة) قربانا تقربا الى الله مقدم ومؤخر (بل ضلوا عنهم) بطل عنهم ما كانوا يعبدون (وذلك افكهم) كذبهم (وما كانوا يفترون) يكذبون على الله

جرمهم وهو تحذير لمشركي العرب عن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه في حظيرة مايصيبهم من الريح الاماتلذ الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية أي فيما ما مكناكم فيه الا ان ان أحسن في اللفظ لما في مجامعة ماء مثلها من التكرير المستبشع ألا ترى ان الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء وقد جعلت ان صلة وتؤول بانا مكناهم في مثل مامكناكم فيه والوجه هو الاول لقوله تعالى هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وما بمعنى الذي أو نكرة موصوفة (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) أي آلات الدرك والفهم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم

لكل شئ ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر ويكون النهاء لكل شئ منه بمعنى الاشياء ﴿فاصبحوا لاترى الامساكنهم﴾ اى فجأتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لاترى الامساكنهم ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي لايرى الامساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ روى ان هودا عليه السلام لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ﴿ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه﴾ ان نافية وهي احسن من ماههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما اوشرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي اوفي شئ ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر اوصلة كما في قوله

يرجي المرء ما ان لايراه ، ويعرض دون ادناه الخطوب

والاول اظهر واوفق كقوله هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا ﴿وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة﴾ ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها ﴿فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم

قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه اذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفته عائشة ذلك فقال وما أدري لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفي رواية أخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني أسألك خيرها وخيرما فيها وخيرما أرسلت به وأعوذبك من شرها وشرما فيها وشرما أرسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت السماء سري عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذي يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا تغيمت وقولها سري عنه أي كشف وأزيل عنه ماكان به من الغم والحزن * وقوله تعالى ﴿فاصبحوا لاترى الامساكنهم﴾ قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ماترى يامحمد الامساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها أحد ، وقرئ بالياء المضمومة والمعنى لايرى الا آثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ﴿ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه﴾ الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال ﴿وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة﴾ يعني انا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في أمر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها فلاجرم ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم

(وصبحوا) فصاروا بعد الهلاك (لايرى الا مساكنهم) منازلهم (كذلك) هكذا (نجزي القوم المجرمين) المشركين (ولقد مكناهم) اعطيناهم من المال والقوة والاعمار (فيما ان مكناكم فيه) مالم نمكن لكم ولم نعطكم يا اهل مكة (وجعلنا لهم سمعا) يسمعون بها (وابصارا) يبصرون بها (وأفئدة) قلوبا يعقلون بها (فما اغنى عنهم سمعهم ولاأبصارهم

وبالتخفيف أبو عمرو أى الذى هو من شانى أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف (ولكنى أراكم قوما تجهلون) أى ولكنكم جهلون لاتعلمون ان الرسل بعثوا منذرين لامقترحين ولاسائلين غيرما أذن لهم فيه (فلما رأوه) الضمير يرجع الى ماتعدنا أوهو مبهم وضح أمره بقوله (عارضا) اما تمييزا أوحالا والعارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء (مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) روى ان المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة (بل هو) أى قال هود بل هوويدل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بامر ربها) رب

﴿ ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾ لاتعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لامعذبين مقترحين ﴿ فلما رأوه عارضا ﴾ سحابا عرض فى افق من السماء ﴿ مستقبل اوديتهم ﴾ متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ اى يأتينا بالمطر ﴿ بل هو ﴾ اى قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو ﴿ ما استعجلتم به ﴾ من العذاب وقرئ قل بل ﴿ ريح ﴾ هى ويجوز ان يكون بدل ما ﴿ فيها عذاب اليم ﴾ صفتها وكذلك قوله ﴿ تدمر ﴾ تهلك ﴿ كل شئ ﴾ من نفوسهم واموالهم ﴿ بامر ربها ﴾ اذلاتوجد نابضة حركة ولاقابضة سكون الا بمشيئته وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء فى ربها ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان

من الوحى الذى أنزله الله على وأمرنى بتبليغه اليكم ﴿ ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾ يعنى قدر العذاب الذى ينزل بكم ﴿ فلما رأوه ﴾ يعنى رأوا مايوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى ﴿ عارضا ﴾ يعنى رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذى يعرض فى ناحية السماء ثم يطبق السماء ﴿ مستقبل أوديتهم ﴾ وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا تلك السحابة استبشروا بها ثم ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ قال الله ردا عليهم ﴿ بل هو ما استعجلتم به ﴾ يعنى من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى ﴿ ريح فيها عذاب أليم ﴾ ثم وصف تلك الريح فقال تعالى ﴿ تدمر كل شئ بامر ربها ﴾ يعنى تهلك كل شئ مرت به من رجال عاد وأموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وأمر الله الريح فهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم فى البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التى تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى أمر خزان الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فهلكهم الله بهذا القدر وفى هذا اظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد فى رواية وكان اذا رأى غيما عرف فى وجهه قالت يارسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك اذا رأيت غيما عرف فى وجهك الكراهة فقال ياعائشة ومايؤمننى ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفى رواية

(ولكنى اراكم قوما تجهلون) أمر الله وعذابه (فلما رأوه عارضا) سحابا (مستقبل اوديتهم) اودية ريحهم ومطرهم (قالوا هذا عارض) سحاب (ممطرنا) سيمطر حرو ثنا قال لهم هود (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (ريح فيها عذاب اليم) وجمع (تدمر) تهلك (كل شئ بامر ربها) باذن ربها (قالت)

ى باستكباركم وفسقكم (واذكر أخاعاد) أى هودا (اذأنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه
حناء من احقوقف الشئ اذا اعوج عن ابن عباس رضى الله عنهما هو وادبين عمان ومهرة (وقدخلت النذر) جمع نذير
ى المنذر أو الانذار (من بين يديه ومن خلفه) من قبل هود ومن خلف هود وقوله

تفسقون بالكسر ﴿واذكر اخاعاد﴾ يعنى هودا ﴿اذانذرقومه بالاحقاف﴾ جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن ﴿وقد خلت النذر﴾ الرسل ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ قبل هود وبعده والجملة حال اواعتراض ﴿الاتعبدوا الاالله﴾ اى لاتعبدوا اوبان لاتعبدوا فان النهى عن الشئ انذار عن مضرته ﴿انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ هائل بسبب شرككم ﴿قالوا اجئتنالتأفكنا﴾ لتصرفنا ﴿عن آلهتنا﴾ عن عبادتها ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب على الشرك ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فى وعدك ﴿قال انما العلم عندالله﴾ لاعلم لى بوقت عذابكم ولامدخل لى فيه فاستعجل به وانما علمه عندالله فيأتيكم به فى وقته المقدر له ﴿وابلغكم مارسلت به﴾ اليكم وماعلى الرسول الاالبلاغ

ابن عبدالرحمن ان عبدالرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب ابن عمير وهو خيرمنى فكفن فى بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال قتل حمزة وهو خيرمنى فلم يوجد مايكفن فيه الابردة ثم بسط لنا من الدنيا مابسط وقد خشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبدالله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ماهذا ياجابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أوكلما اشتهيت ياجابر اشتريت أما تخاف هذه الآية أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ۞ قوله تعالى ﴿واذكر أخاعاد﴾ يعنى هودا عليه السلام ﴿اذ أنذر قومه بالاحقاف﴾ قال ابن عباس الاحقاف وادبين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن فى حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمل سيارة فى الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من لرمل ﴿وقدخلت النذر﴾ أى مضت الرسل ﴿من بين يديه﴾ أى من قبل هود ﴿ومن خلفه﴾ أى من بعده ﴿ألاتعبدوا الاالله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ والمعنى ان هودا قد أنذرهم بذلك وأعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾ أى لتصرفنا ﴿عن آلهتنا﴾ أى عبادتها ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ أى من العذاب ﴿ان كنت من الصادقين﴾ يعنى أن العذاب نازل بنا ﴿قال﴾ يعنى هود ﴿انما العلم عندالله﴾ يعنى هو يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وأبلغكم ما أرسلت به﴾ يعنى

وقدخلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراضا بين نذر قومه وبين (ألا تعبدوا الاالله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه مثل ذلك (قالوا) أى قوم هود (أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا فالافك الصرف يقال افكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) فى وعدك (قال انما العلم) بوقت مجئ العذاب (عندالله) ولاعلم لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم (وأبلغكم ما أرسلت به) اليكم

تكفرون وتعصون فى الارض فى الدنيا (واذكر) لكفار مكة يامحمد (اخاعاد) نبى عاد هودا (اذ انذر قومه) خوفهم (بالاحقاف) يقول بحقوف الدار أى سنة الدار حقبا بعد حقب ويقال بجبل نحو [illegible] ويقال نحو الشام ويقال بجبل الرمل

ويقال كان مكانا باليمن قام عليه وانذر قومه (وقد خلت النذر من بين يديه) وقد كانت الرسل من قبل هود (ومن خلفه) من بعده
(الا تعبدوا الاالله) قال لهم هود لاتوحدوا الاالله (انى اخاف عليكم) اعلم ان يكون عليكم (عذاب يوم عظيم) شديد ان لم تؤمنوا
(قالوا أجئتنا) ياهود (لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) عبادة آلهتنا (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين)
بنزول العذاب علينا ان لم نؤمن (قال) لهم هود (انما العلم) بنزول العذاب (عندالله وابلغكم ماارسلت به) من التوحيد

ثواب وزيادة عقاب ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض ﴿اذهبتم﴾ اى يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم • وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين ﴿طيباتكم﴾ لذاتكم ﴿في حياتكم الدنيا﴾ باستيفائها ﴿واستمتعتم بها﴾ فما بقى لكم منها شئ ﴿فاليوم تجزون عذاب الهون﴾ الهوان وقد قرئ به ﴿بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾ بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله • وقرئ

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ أى يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم ﴿اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ يعنى ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد أفنيتموه في الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شئ ﴿فاليوم تجزون عذاب الهون﴾ أى الذى فيه ذل وخزى ﴿بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾ علق هذا العذاب بأمرين أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الايمان والثانى الفسق وهو المعاصى والاول من عمل القلوب والثانى من عمل الجوارح

﴿فصل﴾

لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت استأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسى في البيت فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يارسول الله (ق) عن عائشة قالت ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا أن نؤتى باللحيم وفى رواية أخرى قالت انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت ياخالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير أخرجه الترمذى وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله وما يخاف أحد وأوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام الا شئ يوارى ابط بلال (خ) عن أبى هريرة قال لقد رأيت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (خ) عن ابراهيم

قولهم عرضت بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أذهبتم) أى يقال لهم أذهبتم وهو ناصب الظرف (طيباتكم في حياتكم الدنيا) أى ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى استبقى طيباتى وقوله (واستمتعتم بها) بالطيبات (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الهوان وقرئ به (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون)

لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) قبل دخول النار فيقال لهم (اذهبتم طيباتكم) أكلتم ثواب حسناتكم (في حياتكم الدنيا واستمتعتم) استنفعتم (بها) بثواب حسناتكم في الدنيا (فاليوم تجزون عذاب الهون) الشديد (بما كنتم تستكبرون في الارض) عن الايمان (بغير الحق) بلا حق كان لكم (وبما كنتم تفسقون)

(ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (آمن) بالله وبالبعث (ان وعد الله) بالبعث (حق) صدق (فيقول) لهما (ماهذا) القول (الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول) أى لاملأن جهنم (فى أمم) فى جملة أمم (قد خلت) مضت (من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين

ولكل) من الجنسين المذكورين الابرار والفجار (درجات مما عملوا) أى منازل ومراتب من جزاء ماعملوا من الخير والشر أومن أجل ماعملوا منهما وانما قال درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات على وجه التغليب (وليوفيهم أعمالهم) بالياء مكى وبصرى وعاصم (وهم لايظلمون) أى وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات واللام متعلقة بمحذوف

ان يغيثه بالتوفيق للايمان ﴿ ويلك آمن ﴾ اى يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على مايخاف على تركه ﴿ ان وعد الله حق فيقول ماهذا الا اساطير الاولين ﴾ اباطيلهم التى كتبوها ﴿ اولئك الذين حق عليهم القول ﴾ بانهم اهل النار وهو يرد النزول فى عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه ﴿ فى امم قد خلت من قبلهم ﴾ كقوله فى اصحاب الجنة ﴿ من الجن والانس ﴾ بيان للامم ﴿ انهم كانوا خاسرين ﴾ تعليل الحكم على الاستئناف ﴿ ولكل ﴾ من الفريقين ﴿ درجات مما عملوا ﴾ مراتب من جزاء ماعملوا من الخير والشر او من اجل ماعملوا والدرجات غالبة فى المثوبة وههنا جاءت على التغليب ﴿ وليوفيهم اعمالهم ﴾ جزاءها وقرأ نافع وابن ذكوان وحمزة والكسائى وابن عامر بالنون ﴿ وهم لايظلمون ﴾ بنقص

أى يستصرخان بالله عليه ويقولان له ﴿ ويلك آمن ان وعد الله حق ﴾ أى بالبعث ﴿ فيقول ماهذا ﴾ أى الذى تدعونى اليه ﴿ الا أساطير الاولين ﴾ قال ابن عباس نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل اسلامه وكان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى ويقول احيوا لى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وأنكرت عائشة أن يكون قد نزل هذا فى عبد الرحمن بن أبى بكر ﴿ خ ﴾ عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له فقال له عبد الرحمن بن أبى بكر شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذى أنزل الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيأ من القرآن الا ما أنزل الله فى سورة النور من براءتى والقول الصحيح انه ليس المراد من الآية شخصا معينا بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وأنكر وقيل نزلت فى كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى ﴿ اولئك الذين حق عليهم القول ﴾ أعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب أى وجب عليهم العذاب ﴿ فى أمم ﴾ اى مع أمم ﴿ قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا ﴾ قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعنى منازل ومراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى اسفل ﴿ وليوفيهم أعمالهم ﴾ أى جزاء أعمالهم ﴿ وهم لايظلمون ﴾ قوله عز وجل

(ويلك) ضيق الله عليك دنياك (آمن) بمحمد عليه السلام والقرآن (ان وعد الله) بالبعث (حق) كائن بعد الموت (فيقول) عبد الرحمن (ماهذا) الذى يقول محمد (الا أساطير الاولين) الا كذب الاولين (أولئك) أجداد عبد الرحمن جدعان وعثمان (الذين حق عليهم القول) هو الذين وجب عليهم القول بالسخط والعذاب (فى أمم) مع أمم (قد خلت) مضت (من قبلهم من الجن والانس) كفار الجن والانس فى النار (انهم كانوا خاسرين) مغبونين لايبعثون الى الدنيا الى يوم القيامة فاسلم عبد الرحمن وحسن اسلامه (ولكل) اى لكل واحد من المؤمنين والكافرين (درجات) للمؤمنين فى الجنة ودركات للكافرين فى النار (مما عملوا) بما عملوا فى الدنيا (وليوفيهم) بوفرهم (اعمالهم) جزاء اعمالهم (وهم لايظلمون)

نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم) حمزة وعلى وحفص يتقبل ويتجاوز وأحسن غيرهم (فى أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمنى الامير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من اكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله عنهم (الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل

ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت فى عبد الرحمن ابن أبى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبى بكر لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة رضى الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت فى صلبه فانت فضض من لعنة الله (أف لكما) مدنى وحفص أف مكى وشامى أف غيرهم وهو صوت اذا صوت به الانسان (اى) علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان أى هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما (أتعداننى أن اخرج) ان ابعث وأخرج من الارض (وقد خلت القرون من قبلى) ولم يبعث منهم أحد (وهما) أبواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له

يتقبل عنهم احسن ما عملوا * يعنى طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه * ويتجاوز عن سيآتهم * لتوبتهم ٥ وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون فيهما * اصحاب الجنة * كائنين فى عدادهم اومثابين اومعدودين فيهم * وعد الصدق * مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد * الذى كانوا يوعدون * اى فى الدنيا * والذى قال لوالديه اف لكما * مبتدأ خبره اولئك الذين حق والمراد به الجنس وان صح نزولها فى عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفى اف قراآت ذكرت فى سورة بنى اسرائيل * اتعداننى ان اخرج * ابعث وقرأ هشام اتعدانى بنون واحدة مشددة * وقد خلت القرون من قبلى * فلم يرجع واحد منهم * وهما يستغيثان الله * يقولان الغياث بالله منك اويسألانه

يتقبل عنهم احسن ما عملوا * يعنى أعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها * ويتجاوز عن سيآتهم * فلا يؤاخذهم بها * فى أصحاب الجنة * أى مع أصحاب الجنة * وعد الصدق * أى الذى وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيآتهم ووعده صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة * الذى كانوا يوعدون * أى فى الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى * والذى قال لوالديه * يعنى اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت * أف لكما * وهى كلمة كراهية * أتعداننى أن أخرج * أى من قبرى حيا * وقد خلت القرون من قبلى * أى فلم يبعث منهم أحد * وهما يستغيثان الله *

نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) باحسانهم (ونتجاوز عن سيآتهم) ولا نعاقبهم بها (فى أصحاب الجنة) مع اهل الجنة فى الجنة (وعد الصدق) الجنة (الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا (والذى قال لوالديه) وهو عبد الرحمن بن أبى بكر قال لابيه وامه قبل ان اسلم (اف لكما) قذرا لكما (اتعداننى) اتحدثاننى (ان اخرج) من القبر لبعث (وقد خلت) مضت (القرون من قبلى) ولم ارهم بعثوا وكان له جدان من اجداده ماتا فى الجاهلية جدعان وعثمان ابنا عمرو وعناهما (وهما) يعنى ابويه (يستغيثان الله) يدعوان الله

بهما ﴿ حتى اذا بلغ اشده ﴾ اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله ﴿ وبلغ اربعين سنة ﴾ قيل لم يبعث نبي الا بعد الاربعين ﴿ قال رب اوزعني ﴾ الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ﴿ ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ﴾ يعني نعمة الدين اومايعمها وغيره وذلك يؤيد ماروى انها نزلت في ابي بكر رضى الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه ﴿ وان اعمل صالحا ترضاه ﴾ نكره للتعظيم اولانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى الله عزوجل ﴿ واصلح لي في ذريتي ﴾ واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه

يجرح في عراقيبها نصلي

﴿ اني تبت اليك ﴾ عما لاترضاه اويشغل عنك ﴿ واني من المسلمين ﴾ المخلصين لك ﴿ اولئك الذين

أرضعت أربعة وعشرين شهرا ﴿ حتى اذا بلغ أشده ﴾ أي نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو مابين ثمان عشرة سنة الى أربعين سنة وهوقوله تعالى ﴿ وبلغ أربعين سنة ﴾ قيل نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وذلك انه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى أبوبكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبي آخر الزمان فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق فكان لايفارق النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به أبوبكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عزوجل ﴿ قال رب أوزعني ﴾ أي الهمني ﴿ ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ﴾ أي بالايمان والهداية وقال علي بن أبي طالب في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا في أبي بكر أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان أسلم أبواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده ﴿ وأن أعمل صالحا ترضاه ﴾ قال ابن عباس أجابه الله تعالى فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيأ من الخير الا أعانه الله عليه ودعا ايضا فقال ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾ فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابي بكر اسلام أبويه أبوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبدالرحمن وابن عبدالرحمن أبي عتيق محمد فهؤلاء أربعة أبو بكر وأبوه وابنه عبدالرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير أبي بكر وقوله ﴿ اني تبت اليك ﴾ أي رجعت اليك الى كل ماتحب ﴿ واني من المسلمين ﴾ أي وأسلمت بقلبي ولساني ﴿ اولئك الذين

ومعنى (حتى اذا بلغ أشده) هوجمع لاواحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وذلك ... اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الاشد وغايته الاربعون (وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني) ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه (وأن أعمل صالحا ترضاه) قيل هي الصلوات الخمس (وأصلح لي في ذريتي) أي اجعل ذريتي موقعا للصلاح ومظنة له (اني تبت اليك) من كل ذنب (واني من المسلمين) المخلصين (أولئك الذين

(حتى اذا بلغ أشده) انتهى ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة (وبلغ) انتهى (أربعين سنة قال) أبوبكر (رب أوزعني) ألهمني (ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي) بالتوحيد (وعلى والدي) بالتوحيد وتسليمهما من أبواه قبل هذا (وان أعمل صالحا) خالصا (ترضاه) تقبله (واصلح لي في ذريتي) وأكرم ذريتي بالتوبة والاسلام ولم يكن مسلما ابنه عبدالرحمن قبل ذلك ثم أسلم بعد ذلك (اني تبت اليك) اني اقبلت اليك بالتوبة (واني من المسلمين) مع المسلمين على دينهم (أولئك الذين

﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ على توحيد الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) فى القيامة (ولاهم يحزنون) عند الموت (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من أصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة التى دل عليه أولئك (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أى جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) كوفى أى وصيناه بان يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم أى وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن أى بامر ذى حسن فهو فى موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وبفتح الكافين حجازى وأبو عمرو وهما لغتان فى معنى المشقة وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على انه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفطامه (ثلاثون شهرا) وفيه دليل على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضى الله عنه المراد به الحمل بالاكف وفصله يعقوب والفصل والفصال كالعظم والعظام بناء ومعنى

عطف على محله ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ من لحوق مكروه ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط ﴿ اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن فى اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزاء ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اى ايصاء حسنا ﴿ حملته امه كرها ووضعته كرها ﴾ ذات كره اوحملا ذا كره وهو المشقة ه وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر ﴿ وحمله وفصاله ﴾ ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله اووقته والمراد الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال

كل حى مستكمل مدة العمـ ❊ ـر ومود اذا انتهى امده

﴿ ثلاثون شهرا ﴾ كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ تقدم تفسيره ❊ قوله عز وجل ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ أى يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة ﴿ حملته أمه كرها ﴾ يعنى حين أثقلت وثقل عليها الولد ﴿ ووضعته كرها ﴾ يريد شدة الطلق ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ يعنى ومدة حمله الى أن ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت أحدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة أشهر

(ان الذين قالوا ربنا الله) وحدوا الله (ثم استقاموا) على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه ولم يروغوا روغان الثعالب (فلا خوف عليهم) فيما يستقبلهم من العذاب (ولاهم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم ويقال فلا خوف عليهم حين يخاف اهل النار ولاهم يحزنون اذا حزن غيرهم (اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (جزاء بما كانوا يعملون) ويقولون فى الدنيا (ووصينا الانسان أمرنا عبد الرحمن بن ابى بكر فى القرآن (بوالديه احسانا) برا بهما وهو ابو بكر بن أبى قحافة وزوجه (ارضعت) (حملته أمه) فى بطنها (كرها) مشقة (ووضعته كرها) مشقة (وحمله) فى بطن أمه (وفصاله) فطامه فى الله (ثلاثون شهرا

لناس وأظلمهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) أى لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا لسقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لوكان خيرا ماسبقونا اليه) لوكان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا ليه هؤلاء (واذ لم يهتدوا به) العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وقولهم افك قديم أى كذب متقادم كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) أى القرآن (كتاب موسى) أى التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال نحو فى الدار زيد قائما ومعنى اماما قدوة يؤتم به

فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول (لينذر) أى الكتاب لتنذر حجازى وشامى (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) فى محل النصب معطوف على محل لتنذر لانه مفعول له (للمحسنين) المؤمنين المطيعين

اهلا لذلك (وقال الذين كفروا) أسد وغطفان وحنظلة (للذين آمنوا) لجهينة ومزينة وأسلم

المحذوف مثل الستم ظالمين ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ لاجلهم ﴿ لوكان ﴾ الايمان اوما اتى به محمد عليه السلام ﴿ خيرا ماسبقونا اليه ﴾ وهم سقاط اذعامتهم فقراء وموالى ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل اليهود حين اسلم ابن سلام رضى الله عنه واصحابه ﴿ واذ لم يهتدوا به ﴾ ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله ﴿ فسيقولون هذا افك قديم ﴾ مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ﴿ ومن قبله ﴾ ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله ﴿ كتاب موسى ﴾ ناصب لقوله ﴿ اماما ورحمة ﴾ على الحال ﴿ وهذا كتاب مصدق ﴾ لكتاب موسى اولما بين يديه ﴿ وقد قرئ به ﴿ لسانا عربيا ﴾ حال من ضمير كتاب فى مصدق اومنه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه حق دل على انه وحى وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اى يصدق ذالسان عربى باعجازه ﴿ لينذر الذين ظلموا ﴾ علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء ﴿ وبشرى للمحسنين ﴾

الشرط المحذوف والتقدير قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لاتكونون مهتدين بل تكونون ضالين * قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعنى من اليهود ﴿ للذين آمنوا لوكان خيرا ﴾ يعنى دين محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ماسبقونا اليه ﴾ يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لوكان مايدعونا اليه محمد خيرا ماسبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعنى جهينة ومزينة لوكان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا اليه رعاء البهم * قال الله تعالى ﴿ واذ لم يهتدوا به ﴾ أى بالقرآن كما اهتدى به أهل الايمان ﴿ فسيقولون هذا أفك قديم ﴾ أى كذب متقدم ﴿ ومن قبله ﴾ أى من قبل القرآن ﴿ كتاب موسى ﴾ يعنى التوراة ﴿ اماما ﴾ أى جعلناه اماما يقتدى به ﴿ ورحمة ﴾ أى من الله لمن آمن به ﴿ وهذا كتاب ﴾ يعنى القرآن ﴿ مصدق ﴾ أى للكتب التى قبله ﴿ لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ وبشرى للمحسنين

لوكان خيرا) لوكان مايقول محمد عليه السلام خيرا وحقا (ماسبقونا اليه) جهينة ومزينة وأسلم (واذ لم يهتدوا به) ؤمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن أسد وغطفان (فسيقولون هذا افك قديم) هذا القرآن كذب قد تقادم من قبله) من قبل القرآن (كتاب موسى) التوراة (اماما) يقتدى به (ورحمة) من العذاب لمن آمن به فلم يؤمنوا لم يقتدوا به (وهذا كتاب) هذا القرآن كتاب (مصدق) موافق للتوراة بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم عته (لسانا عربيا) على مجرى لغة العرب (لتنذر) لتخوف (الذين ظلموا) اشركوا (وبشرى للمحسنين) للمؤمنين بالجنة

المطابقة لها اوءثل ذلك وهو كونه من عندالله ﴿ فآمن ﴾ اى بالقرآن لما رآه من جنس الوحى مطابقا للحق ﴿ واستكبرتم ﴾ عن الايمان ﴿ ان الله لايهدى القوم الظالمين ﴾ استئناف مشعربان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل عن الجواب

انه من عنـدالله ﴿ فآمن ﴾ يعنى الشاهد ﴿ واستكبرتم ﴾ أى عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك اليس قد ظلمتم وتعديتم ﴿ ان الله لايهـدى القوم الظـالمين ﴾ واختلفوا فى هذا الشاهد فقيل هوعبدالله بن سلام آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليـه ماروى عن أنس بن مالك قال بلغ عبدالله بن سلام مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو فى أرض يخترف النخل فأتاه وقال انى سائلك عن ثلاث لايعلمهن الانبى ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أى شئ ينزع الولد الى أبيه ومن أى شئ ينزع الى أخواله فقال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم أخبرنى بهن آنفا جبريل قال فقال عبدالله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الشبه فى الولد فان الرجل اذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشـبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال أشـهد أنك رسول الله ثم قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامى قبل ان تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهـود ودخل عبـدالله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى رجل فيكم عبدالله بن سلام قالوا أعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم ان أسلم عبدالله قالوا أعاذه الله من ذلك زاد فى رواية فعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبدالله اليهم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد فى رواية فقال يعنى عبدالله بن سلام هذا الذى كنت أخاف يارسول الله أخرجه البخارى فى صحيحه (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال ماسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبدالله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال الراوى لا أدرى قال مالك الآية أو فى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السـلام قال مسروق فى هذه الآية والله مانزلت فى عبدالله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما أسـلم عبدالله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية فى محاجة كانت من رسـول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التى هى مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن أنه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واسـتكبرتم أنتم يامعشر العرب ان تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لايهدى القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب

(فآمن) الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عندالله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (ان الله لايهـدى القوم الظالمين) والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشـهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عندالله وكفرتم به والمعنى قل أخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عندالله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنـه وعن الايمـان به ألستم أضل

وسلم والقرآن (فآمن) عبدالله بن سلام واصحابه بمحمد عليه السلام والقرآن (واستكبرتم) تعظمتم أنتم يامعشر اليهود عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ان الله لايهدى القوم الظالمين) لايرشد الى دين اليهود من لم يكن

ان أتبع الا مايوحى الى وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عندالله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل) وعبدالله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل ان هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام بالمدينة روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له انى سائلك عن ثلاث

مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله ﴿ ان اتبع الا مايوحى الى ﴾ لاتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب اواستعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين ﴿ وما انا الا نذير ﴾ عن عقاب الله ﴿ مبين ﴾ يبين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة ﴿ قل أرأيتم ان كان من عندالله ﴾ اى القرآن ﴿ وكفرتم به ﴾ وقد كفرتم به ويجوز ان تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله ﴿ وشهد شاهد من بنى اسرائيل ﴾ الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ماقبله والشاهد هو عبدالله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته مافى التوراة من نعت الرسول ﴿ على مثله ﴾ مثل القرآن وهو مافى التوراة من المعانى المصدقة للقرآن

الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفى رواية غير البخارى قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما أدرى وأنا رسول الله مايفعل بى ولابكم وقيل فى معنى قوله ما أدرى مايفعل بى ولابكم هذا فى الدنيا أما فى الآخرة فقد علم انه فى الجنة وأن من كذبه فى النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له أصحابه متى تهاجر الى الارض التى أريت فسكت فانزل الله هذه الآية وما أدرى مايفعل بى ولابكم أأترك فى مكانى أم أخرج أنا وأنتم الى الارض التى رفعت لى وقيل لاأدرى الى ماذا يصير أمرى وأمركم فى الدنيا أما أنا فلا أدرى أخرج كما أخرجت الانبياء من قبلى أم أقتل كما قتل بعض الانبياء من قبلى وأما أنتم أيها المصدقون فلا أدرى أتخرجون معى أم تتركون أم ماذا يفعل بكم ولا أدرى مايفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أى شئ يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم أخبره الله عزوجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هوالذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال فى أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه مايصنع به وبامته وقيل معناه لا أدرى الى ماذا يصير أمرى وأمركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره انه يظهر دينه على الاديان وأمته على سائر الامم * وقوله ﴿ ان أتبع الا مايوحى الى ﴾ معناه ما أتبع غير القرآن الذى يوحى الى ولا أبتدع من عندى شيأ ﴿ وما أنا الا نذير مبين ﴾ أى أنذركم العذاب وأبين لكم الشرائع ﴿ قل أرأيتم ﴾ أى أخبرونى ماذا تقولون ﴿ ان كان من عندالله ﴾ يعنى القرآن ﴿ وكفرتم به ﴾ أيها المشركون ﴿ وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله ﴾ أى

لايعلمهن الا نبى ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى امه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا (على مثله) الضمير للقرآن أى مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عندالله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عندالله

قالوا له متى يكون خروجنا من مكة ونجاتنا من الكفار فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ما أدرى مايفعل بى ولابكم أأخرج وتخرجون الى الهجرة أم لا (ان أتبع

ما اعمل (الا مايوحى الى) الا بما امرت فى القرآن (وما أنا الا نذير مبين) رسول مخوف بلغة تعلمونها (قل) يامحمد لليهود (أرأيتم) يامعشر اليهود (ان كان من عندالله) يقول هذا القرآن من عند الله (وكفرتم به) بالقرآن يامعشر اليهود (وشهد شاهد من بنى اسرائيل) بنيامين (على مثله) على مثل شهادة عبدالله بن سلام واصحابه بمحمد صلى الله عليه

بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر وآمنوا (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى انى لست باول مرسل فتنكروا نبوتى (وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) أي مايفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى مايفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر وما فى مايفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وانما دخل لا فى قوله ولا بكم مع أن يفعل مثبت غير منفى لتناول النفى فيما أدرى ما وما فى حيزه

توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم ﴿هو علم بما تفيضون فيه﴾ تندفعون فيه من القدح فى آياته ﴿كفى به شهيدا بينى وبينكم﴾ يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ بديعا منهم ادعوكم الى مالا يدعون اليه او اقدر على مالم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف ❊ وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اى ذا بدع ﴿وما ادرى مايفعل بى ولا بكم﴾ فى الدارين على التفصيل اذلا علم لى بالغيب ولا لتأكيد النفى المشتمل على مايفعل بى وما اما موصولة منصوبة او استفهامية

على الله من أجلكم ﴿هو أعلم﴾ أى الله أعلم ﴿بما تفيضون فيه﴾ أى تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر ﴿كفى به شهيدا بينى وبينكم﴾ أى ان القرآن جاء من عنده ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ أى فى تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به ❊ قوله تعالى ﴿قل﴾ يا محمد ﴿ما كنت بدعا﴾ أى بديعا ﴿من الرسل﴾ أى لست بأول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتى ﴿وما أدرى مايفعل بى ولا بكم﴾ اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدرى مايفعل بى ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع مايقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئالك يا نبى الله قد علمت مايفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله مايفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلاء امرأة من الانصار وكانت بايعت النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه فى أبياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ومايدريك ان الله أكرمه فقلت بابى أنت يارسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله انى لأرجو له الخير والله ما أدرى وأنا رسول الله مايفعل بى قالت فوالله لاأزكى بعده أحدا يارسول الله قالت وأريت لعثمان فى النوم عينا تجرى فجئت رسول

(هو اعلم بما تفيضون فيه) تخوضون فى القرآن من الكذب (كفى به) كفى بالله (شهيدا بينى وبينكم) بانى رسوله وهذا القرآن كلامه (وهو الغفور) لمن تاب منكم (الرحيم) لمن مات على التوبة (قل) لهم يا محمد (ما كنت بدعا من الرسل) لست باول مرسل من الآدميين قد كان قبلى رسل (وما ادرى مايفعل بى ولا بكم) من الشدة والرخاء والعافية ويقال نزلت هذه الآية فى شأن اصحابه عليه السلام حيث

الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) أى ابدا (واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء) أى الاصنام لعبدتها (وكانوا) اى الاصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون مادعوناهم الى عبادتنا ومعنى الاستفهام فى من اضل انكار ان يكون فى الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شئ ويدعون من دونه جمادا لايستجيب لهم ولاقدرة له على استجابة احد منهم مادامت الدنيا والى ان تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا فى الدارين الا على نكد ومضرة لاتتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما اسند اليهم مايسند الى اولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولوسمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (واذا تتلى ﴿٤٧٥﴾ عليهم آياتنا بينات) {سورة الاحقاف} جمع بينة وهى الحجة والشاهد اوواضحات مبينات (قال الذين كفروا للحق) المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لما جاءهم) أى بادؤه بالجحود ساعة أتاهم وأول ماسمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر (هذا سحر مبين) ظاهر أمره فى البطلان لاشبهة فيه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا عليه السلام افتراه أى اختلقه وأضافه الى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته فلاتملكون لى من الله شيأ) أى ان افتريته على سبيل الفرض عاجلنى الله بعقوبة الافتراء عليه فلاتقدرون على كفه عن معاجلتى ولاتطيقون دفع شئ من عقابه فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه

عبادة من لايستجيب لهم لوسمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم ﴿ الى يوم القيامة ﴾ مادامت الدنيا ﴿ وهم عن دعائهم غافلون ﴾ لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم ﴿ واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء ﴾ يضرونهم ولاينفعونهم ﴿ وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ مكذبين بلسان الحال اوالمقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ماكنا مشركين ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ واضحات اومبينات ﴿ قال الذين كفروا للحق ﴾ لاجله وفى شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة ﴿ لما جاءهم ﴾ حين ماجاءهم من غير نظر وتأمل ﴿ هذا سحر مبين ﴾ ظاهر بطلانه ﴿ ام يقولون افتراه ﴾ اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجب ﴿ قل ان افتريته ﴾ على الفرض ﴿ فلاتملكون لى من الله شيأ ﴾ اى ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسى للعقاب من غير

﴿ الى يوم القيامة ﴾ يعنى لاتجيب أبدا مادامت الدنيا ﴿ وهم عن دعائهم غافلون ﴾ يعنى لانها جمادات لاتسمع ولاتفهم ﴿ واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ أى جاحدين ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ﴾ سموا القرآن سحرا ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ أى اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عزوجل ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ ﴾ أى لاتقدرون أن تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف أفترى

من لايجيبه ان دعاه (الى يوم القيامة وهم) يعنى الاصنام (عن دعائهم) عن دعاء من يعبدهم (غافلون) جاهلون (واذا حشر الناس) يوم القيامة (كانوا) يعنى الاصنام (لهم) لمن يعبدها (اعداء وكانوا) يعنى الاصنام (بعبادتهم) بعبادة من يعبدهم (كافرين) جاحدين (واذا تتلى) تقرأ (عليهم) على كفار اهل مكة (آياتنا) القرآن (بينات) واضحات بالامر والنهى (قال الذين كفروا) كفار مكة (للحق) للقرآن (لما جاءهم) حين جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم به (هذا سحر مبين) كذب بين (أم يقولون) بل يقولون (افتراه) اختلق محمد عليه السلام القرآن من تلقاء نفسه (قل) لهم يامحمد (ان افتريته) اختلقت القرآن من تلقاء نفسى كما تقولون (فلاتملكون لى) فلاتقدرون لى (من الله) من عذاب الله (شيأ

ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق) ملتبسا بالحق (واجل مسمى) وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما انذروا) عما انذروه من هول ذلك اليوم الذى لابد لكل مخلوق من انتهائه اليه (معرضون) لايؤمنون به ولايهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون مامصدرية أى عن انذارهم ذلك اليوم (قل أرايتم) أخبرونى (ماتدعون من دون الله)

تعبدونه من الاصنام

(أرونى ماذا خلقوا من الارض) أى شى خلقوا فى الارض ان كانوا آلهة (أم لهم شرك فى السموات) شركة مع الله فى خلق السموات والارض (ائتونى بكتاب من قبل هذا) أى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك ومامن كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ماأنتم عليه من عبادة غيرالله (أواثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (ان كنتم صادقين) ان الله أمركم بعبادة الاوثان (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له

ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق ﴾ الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ماتقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ماقررناه مرارا ﴿ واجل مسمى ﴾ وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه الكل وهو يوم القيامة اوكل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له ﴿ والذين كفروا عما انذروا ﴾ من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون مامصدرية ﴿ معرضون ﴾ لايتفكرون فيه ولايستعدون لحلوله ﴿ قل ارأيتم ماتدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ﴾ اى أخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل فى انفسها فى خلق شئ من اجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السفلية ﴿ ائتونى بكتاب من قبل هذا ﴾ من قبل هذا الكتاب يعنى القرآن فانه ناطق بالتوحيد ﴿ اواثارة من علم ﴾ اوبقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها مايدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى دعواكم وهو الزام بعدم مايدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم مايقتضيها عقلا ✹ وقرئ اثارة بالكسر اى مناظرة فان المناظرة تثير المعانى وأثرة اى شئ أوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم مايؤثر ﴿ ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له ﴾ انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى

ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق ﴾ أى بالعدل ﴿ وأجل مسمى ﴾ يعنى يوم القيامة وهو الاجل الذى ينتهى اليه فناء السموات والارض ﴿ والذين كفروا عما أنذروا ﴾ أى خوفوا به فى القرآن من البعث والحساب ﴿ معرضون ﴾ أى لايؤمنون به ﴿ قل أرأيتم ماتدعون من دون الله ﴾ يعنى الاصنام ﴿ أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا ﴾ أى بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ماتقولون ﴿ أو أثارة من علم ﴾ أى بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه فى الارض ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ أى فى أن لله شريكا ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له ﴾ يعنى الاصنام لاتجيب عابديها الى شئ يسألونها

وقضائه امر ان لايعبد غيره (ماخلقنا السموات والارض وما بينهما) من الخلق والعجائب (الا بالحق) للحق (واجل مسمى) لوقت معلوم ينتهى اليه (والذين كفروا) كفار مكة (عما انذروا) خوفوا (معرضون) مكذبون بمحمد صلى الله عليه ﴿ الى ﴾ وسلم والقرآن (قل) يامحمد لاهل مكة (أرأيتم ماتدعون) ماتعبدون (من دون الله) من الاوثان (أرونى) أخبرونى (ماذا خلقوا من الارض) ما فى الارض (أم لهم شرك فى السموات) عون فى خلق السموات (ائتونى بكتاب من قبل هذا) من قبل هذا القرآن فيه تقولون (أواثارة من علم) أورواية من العلماء ويقال بقية من علم الانبياء (ان كنتم صادقين) فيما تقولون (ومن أضل) عن الحق والهدى (ممن يدعو) يعبد (من دون الله) وهو الكافر (من لايستجيب له)

السموات ورب الأرض رب العالمين) أى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين
فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب

السموات ورب الارض رب العالمين ﴾ اذ الكل نعمة ودال على كمال قدرته ﴿ وله الكبرياء فى السموات والارض ﴾ اذ ظهر فيها آثارها ﴿ وهو العزيز ﴾ الذى لا يغلب ﴿ الحكيم ﴾ فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له * عن النبى عليه السلام من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

﴿ سورة الاحقاف مكية وهى اربع اوخمس وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم

السموات ورب الارض رب العالمين ﴾ معناه فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال ﴿ وله الكبرياء ﴾ أى وكبروه فان له الكبرياء والعظمة ﴿ فى السموات والارض ﴾ وحق لمثله أن يكبر ويعظم ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ (م) عن أبى سعيد وأبى هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه قال الله تعالى فمن نازعنى عذبته لفظ مسلم وأخرجه البرقانى وأبو مسعود رضى الله عنهما يقول الله عز وجل العز ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيأ منهما عذبته ولابى داود عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى واحد منهما قذفته فى النار ﴿ شرح غريب ألفاظ الحديث ﴾ قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب فى بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا له فى انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التى يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه فى ازاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغى ان يشاركه فيهما أحد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التى لا تليق بغيره والله أعلم

﴿ تفسير سورة الاحقاف وهى مكية ﴾

قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهى أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

* قوله عز وجل ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم

(وله الكبرياء فى السموات والارض) وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض (وهو العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى أحكامه

﴿ سورة الاحقاف مكية وهى خمس وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم

السموات ورب الارض) خالق السموات وخالق الارض (رب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه الارض (وله الكبرياء) العظمة والسلطان (فى السموات والارض) على أهل السموات وأهل الارض (وهو العزيز) فى ملكه وسلطانه (الحكيم) فى أمره وقضائه

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الاحقاف وهى مكية الا قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل الى آخر الآية وثلاث آيات فى ابى بكر وابنه عبد الرحمن من قوله ووصينا الانسان بوالديه الى قوله فيقول ماهذا الا

اساطير الاولين فانهن مدنيات (قا و خا ٦٠ مس) آياتها اثنتان وثلاثون آية وكلماتها ستمائة واربع واربعون وحروفها الفان وستمائة حرف ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (حم) يقول قضى ماهو كائن أى بين ويقال قسم اقسم به (تنزيل الكتاب) ان هذا الكتاب تكليم (من الله العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) فى امره

وبدالهم) ظهر لهؤلاء الكفار (سيآت ماعملوا) قبائح أعمالهم أوعقوبات أعمالهم السيآت كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهي الطاعة واضافة اللقاء الى اليوم كاضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار أي نسيتم لقاء الله تعالى في يومكم هذا ولقاء جزائه (ومأويكم النار) أي منزلكم (ومالكم من ناصرين ذلكم) العذاب (بانكم) بسبب انكم (اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لايخرجون منها) لايخرجون حمزة وعلي (ولا هم يستعتبون) ولايطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه (فلله الحمد رب

الجزء السادس والعشرون

اللهم اجرنا من النار

﴿ وبدالهم ﴾ ظهرلهم ﴿ سيآت ماعملوا ﴾ على ماكانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها اوجزاؤها ﴿ وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن ﴾ وهوالجزاء ﴿ وقيل اليوم ننساكم ﴾ نترككم في العذاب ترك ماينسى ﴿ كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ﴿ ومأويكم النار ومالكم من ناصرين ﴾ يخلصونكم منها ﴿ ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزؤا ﴾ استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها ﴿ وغرتكم الحياة الدنيا ﴾ فحسبتم ان لاحياة سواها ﴿ فاليوم لايخرجون منها ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه ﴿ فلله الحمد رب

﴿ وبدالهم ﴾ أي في الآخرة ﴿ سيآت ماعملوا ﴾ أي في الدنيا والمعنى بدالهم جزاء سيآتهم ﴿ وحاق بهم ﴾ أي نزل بهم ﴿ ماكانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم ﴿ ومأويكم النار ومالكم من ناصرين ﴾ أي مالكم من مانعين يمنعونكم من العذاب ﴿ ذلكم ﴾ أي هذا الجزاء ﴿ بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا ﴾ يعني حين قلتم لابعث ولاحساب ﴿ فاليوم لايخرجون منها ﴾ أي من النار ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ أي لايطلب منهم أن يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لايقبل ذلك اليوم عذر ولاتوبة ﴿ فلله الحمد رب

(وبدالهم) ظهرلهم (سيآت ماعملوا) قبح أعمالهم (وحاق بهم) نزل بهم (ماكانوا به يستهزؤن) عقوبة استهزائهم بالرسل والكتب (وقيل) لهم (اليوم ننساكم) نترككم في النار (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) كما تركتم الاقرار بيومكم هذا (ومأويكم) مستقركم (النار ومالكم من ناصرين) من مانعين من عذاب الله (ذلكم) العذاب (بأنكم اتخذتم آيات الله) كتاب الله ورسوله (هزوا) سخرية (وغرتكم الحيوة الدنيا) مافي الحياة الدنيا عن طاعة الله (فاليوم لايخرجون منها) من النار (ولاهم يستعتبون) يرجعون الى الدنيا وهم الذين يعطون كتابهم بشمالهم (فلله الحمد) الشكر والمنة (رب

من غير زيادة ولانقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نستكتب الملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين (واذا قيل ان وعدالله) بالجزاء (حق والساعة) بالرفع

عطف على محل ان واسمها والساعة حمزة عطف على وعد الله (لاريب فيها قلتم ماندرى ما الساعة) أى شئ الساعة (ان نظن الاظنا) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله (ومانحن بمستيقنين

﴿ انا كنا نستنسخ ﴾ نستكتب الملائكة ﴿ ما كنتم تعملون ﴾ اعمالكم ﴿ فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ﴾ التى من جملتها الجنة ﴿ ذلك هو الفوز المبين ﴾ الظاهر لخلوصه عن الشوائب ﴿ واما الذين كفروا افلم تكن آياتى تتلى عليكم ﴾ اى فيقال لهم الم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة ﴿ فاستكبرتم ﴾ عن الايمان بها ﴿ وكنتم قوما مجرمين ﴾ عادتهم الاجرام ﴿ واذا قيل ان وعدالله ﴾ يحتمل الموعود والمصدر ﴿ حق ﴾ كائن هو او متعلقه لامحالة ﴿ والساعة لاريب فيها ﴾ افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان ﴿ قلتم ما ندرى ما الساعة ﴾ اى شئ الساعة استغرابا لها ﴿ ان نظن الاظنا ﴾ اصله نظن ظنا فادخل حرف النفى والاستثناء لاثبات الظن ونفى ماعداه كأنه قال مانحن الانظن ظنا اولنفى ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله ﴿ ومانحن بمستيقنين ﴾ اى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ماسمعوا من آبائهم وماتليت عليهم من الآيات فى امر الساعة

بالكتاب اللوح المحفوظ ﴿ انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ أى نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أى نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بنى آدم والاستنساخ لايكون الامن أصل فينسخ كتاب من كتاب ﴿ فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ﴾ أى جنته ﴿ ذلك هو الفوز المبين ﴾ أى الظفر الظاهر ﴿ وأما الذين كفروا ﴾ أى يقال لهم ﴿ أفلم تكن آياتى تتلى عليكم ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿ فاستكبرتم ﴾ أى عن الايمان بها ﴿ وكنتم قوما مجرمين ﴾ يعنى كافرين منكرين * قوله عزوجل ﴿ واذا قيل ان وعدالله حق ﴾ أى البعث كائن ﴿ والساعة لاريب فيها ﴾ أى لاشك فى انها كائنة ﴿ قلتم ماندرى ما الساعة ﴾ أى أنكرتموها وقلتم ﴿ ان نظن الاظنا ﴾ أى مانعلم ذلك الاحدسا وتوهما ﴿ ومانحن بمستيقنين ﴾ أى انها كائنة

بالعدل (انا كنا نستنسخ) نكتب (ما كنتم تعملون) وتقولون فى الدنيا (فاما الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (فيدخلهم ربهم فى رحمته) فى جنته (ذلك هو الفوز المبين) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ومافيها ونجوا من النار وما فيها وهم الذين يعطون كتابهم بيمينهم (وأما الذين كفروا) يقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى) تقرأ (عليكم) فى الدنيا بالامر والنهى (فاستكبرتم) فتعظمتم عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) مشركين (واذاقيل) لهم فى الدنيا (ان وعدالله) البعث بعد الموت (حق والساعة) قيام الساعة (لاريب) لاشك (فيها) كائنة (قلتم ما ندرى ما الساعة) ماقيام الساعة (ان نظن الاظنا) ان نقول مانقول الا بالظن (ومانحن بمستيقنين) بقيام الساعة

وحجتهم خبر كان واسمها أن قالوا والمعنى ما كان حجتهم الامقالتهم ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع على أنها اسم كان وان قالوا الخبر (قل الله يحييكم) فى الدنيا (ثم يميتكم) فيها عند انتهاء أعماركم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أى يبعثكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائكم ضرورة (لاريب فيه) أى فى الجمع (ولكن أكثر الناس لايعلمون) قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التفكر فى الدلائل (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) عامل النصب فى يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم (وترى كل أمة جاثية) جالسة على الركب يقال جثافلان يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة (كل أمة) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الابدال من كل أمة (تدعى الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا (هذا كتابنا) أضيف الكتاب اليهم لملابسته اياهم لان أعمالهم مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق)

اسلوب قولهم ٭ تحية بينهم ضرب وجيع ٭ فانه لايلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقا ٭ قل الله يحييكم ثم يميتكم ٭ على مادلت عليه الحجج ٭ ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ٭ فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ماقرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ٭ ولكن اكثر الناس لايعلمون ٭ لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على مايحسونه ٭ ولله ملك السموات والارض ٭ تعميم للقدرة بعد تخصيصها ٭ ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اى ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه ٭ وترى كل امة جاثية ٭ مجتمعة من الجثوة وهى الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم ٭ كل امة تدعى الى كتابها ٭ صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاولى وتدعى صفة اومفعول ثان ٭ اليوم تجزون ما كنتم تعملون ٭ محمول على القول ٭ هذا كتابنا ٭ اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ٭ ينطق عليكم بالحق ٭ يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان

معناه ان منكرى البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث ٭ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ٭ يعنى فى ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار ٭ وترى كل أمة جاثية ٭ أى باركة على الركب وهى جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسى ان فى القيامة ساعة هى عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادى ربه لاأسألك الانفسى ٭ كل أمة تدعى الى كتابها ٭ أى الذى فيه أعمالها ويقال لهم ٭ اليوم تجزون ما كنتم تعملون ٭ أى من خير وشر ٭ هذا كتابنا ٭ يعنى ديوان الحفظة فان قلت كيف أضاف الكتاب اليهم أولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لامنافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب أعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه ٭ ينطق عليكم بالحق ٭ أى يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل المراد

من الصادقين أن نبعث بعد الموت (قل) يا محمد لابى جهل وأصحابه (الله يحييكم) فى القبر (ثم يميتكم) فى القبر (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) ويقال قل الله يميتكم مقدر ومؤخر ثم يجمعكم الى يوم القيامة (لاريب فيه) لاشك فيه (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (بالكتاب) (لايعلمون) ذلك ولايصدقون (ولله ملك السموات) خزائن السموات المطر (والارض) النبات (ويوم تقوم الساعة) وهو يوم القيامة (يومئذ يخسر) يغبن (المبطلون) المشركون بذهاب الدنيا الآخرة (وترى كل أمة) كل أهل دين (جاثية) جامعة (كل امة) كل اهل دين (تدعى الى كتابها) الى قراءة كتابها كتاب الحسنات والسيآت فمنهم من يعطى كتابه بيمينه ومنهم من يعطى كتابه بشماله (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) وتقولون فى الدنيا (هذا كتابنا) يعنى ديوان الحفظة (ينطق عليكم) يشهد عليكم (بالحق)

(وقالواماهى) أى ماالحياة لانهم وعدوا حياة ثانية (الاحياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيا) نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أونكون نطفا فى الاصلاب امواتا ونحيا بعدذلك أو يصيبنا الامر ان الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى موات فيحيا به … كانوا يزعمون أن مرور الايام والليالى هو المؤثر فى هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لاالدهر (ومالهم بذلك من علم انهم الايظنون) ومايقولون ذلك من علم ويقين ولكن من ظن وتخمين (واذاتتلى عليهم آياتنا) أى القرآن يعنى مافيه من ذكر البعث (بينات ماكان حجتهم) وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لانه فى زعمهم حجة (الاأن قالوا ائتوا بآبائنا) أى أحيوهم (ان كنتم صادقين) فى دعوى البعث

﴿وقالوا ماهى﴾ ماالحياة اوالحال ﴿الاحياتنا الدنيا﴾ التى نحن فيها ﴿نموت ونحيا﴾ اى نكون امواتا نطفا وماقبلها ونحيي بعد ذلك اونموت بانفسنا ونحيي ببقاء اولادنا اويموت بعضنا ويحيي بعضنا اويصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان ﴿ومايهلكنا الاالدهر﴾ الامرور الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه ﴿ومالهم بذلك من علم﴾ يعنى نسبة الحوادث الى حركات الافلاك ومايتعلق بها على الاستقلال اوانكار البعث اوكليهما ﴿ان هم الايظنون﴾ اذلادليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسبوا به ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم اومبينات لهم ﴿ماكان حجتهم﴾ ماكان لهم متشبث يعارضونها به ﴿الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين﴾ وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم اوعلى

هذه الآية عذر ولاحيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره ﴿وقالوا﴾ يعنى منكرى البعث ﴿ماهى الاحياتنا الدنيا﴾ أى ما الحياة الا حياتنا الدنيا ﴿نموت ونحيا﴾ أى يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت ﴿ومايهلكنا الاالدهر﴾ اى ومايفنينا الامر الزمان واختلاف الليل والنهار ﴿ومالهم بذلك من علم﴾ أى لم يقولوه عن علم علموه ﴿ان هم الايظنون﴾ (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل والنهار وفى رواية يؤذينى ابن آدم ويقول ياخيبة الدهر فلايقولن أحدكم ياخيبة الدهر فانى أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فاذاشئت قبضتهما وفى رواية يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر مايصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عزوجل عنهم بقوله ومايهلكنا الا الدهر فاذا أضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذهو الفاعل فى الحقيقة للامور التى يضيفونها الى الدهر لاالدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لاتسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عزوجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم ۞ قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين﴾

بالقرآن أن الله واحد لاشريك له (وقالوا) كفار مكة (ماهى الاحياتنا الدنيا) فى الدنيا (نموت ونحيا) يعنون تموت الآباء وتحيا الابناء (ومايهلكنا الا الدهر) يعنون طول الليالى والايام والشهور والساعات (وما لهم بذلك) بما يقولون (من علم) من حجة ولابيان (ان هم الايظنون) مايقولوا الابالظن (واذاتتلى عليهم) على أبى جهل وأصحابه (آياتنا بينات) بالامر والنهى (ماكان حجتهم) عذرهم وجوابهم لمحمد عليه السلام (الاأن قالوا ائتوا بآبائنا) احى يامحمد آباءنا حتى نسألهم عن قولك أحق هو أم باطل (ان كنتم صادقين) ان كنت

بئس مايقضون اذا حسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد فى مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلى المؤمنين ونخزى الكافرين (وخلق الله السموات والارض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) معطوف على هذا المعلل المحذوف (كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى هو مطواع لهوى النفس يتبع مايدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه (وأضله الله على علم) منه باختياره الضلال اوأنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقا (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبرة غشوة حمزة وعلى (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلال الله اياه (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وغيرهم بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كله فى مخالفته فنعم ماقال ه اذا طلبتك النفس يوما بشهوة ه وكان اليها للخلاف طريق ه فدعها وخالف ماهويت فانما ه هواك عدو والخلاف صديق ه

﴿ وخلق الله السموات والارض بالحق ﴾ كأنه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعى انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسئ والمحسن واذا لم يكن فى المحيا كان بعد الممات ﴿ ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ عطف على بالحق لانه فى معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته اوليعدل ولتجزى ﴿ وهم لايظلمون ﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولوفعله الله لم يكن منه ظلما لانه لوفعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار ﴿ افرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه ﴿ واضله الله ﴾ وخذله ﴿ على علم ﴾ عالما بضلاله وفساد جوهر روحه ﴿ وختم على سمعه وقلبه ﴾ فلايبالى بالمواعظ ولايتفكر فى الآيات ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾ فلاينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة ﴿ فمن يهديه من بعد الله ﴾ من بعد اضلاله ﴿ افلا تذكرون ﴾ وقرئ تتذكرون

مسروق قال لى رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الدارى ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أوقرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكى أم حسب الذين اجترحوا السيآت الآية ﴿ وخلق الله السموات والارض بالحق ﴾ أى بالعدل ﴿ ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون ﴾ ومعنى الآية أن المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لايتم الا فى القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين فى الدرجات والدركات ه قوله عزوجل ﴿ أفرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ قال ابن عباس اتخذ دينه مايهواه فلا يهوى شيأ الاركبه لانه لايؤمن بالله ولايخافه ولايحرم ماحرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ماتهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيأ أحسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمى هوى لانه يهوى بصاحبه فى النار ﴿ وأضله الله على علم ﴾ أى علما منه بعاقبة أمره وقيل على ماسبق فى علم الله انه ضال قبل أن يخلقه ﴿ وختم على سمعه وقلبه ﴾ أى فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾ أى ظلمة فهو لايبصر الهدى ﴿ فمن يهديه من بعد الله ﴾ أى من بعد أن أضله الله ﴿ أفلا تذكرون ﴾ قال الواحدى ليس يبقى للقدرية مع (هذه)

لانفسهم (وخلق الله السموات والارض بالحق) للحق (ولتجزى كل نفس) برة وفاجرة (بما كسبت) من خير أوشر (وهم لايظلمون) لاينقص من حسناتهم ولايزاد على سيآتهم (أفرأيت) يامحمد (من اتخذ آلهه هواه) من عبد الآلهة بهوى نفسه كلما هوى نفسه شيأ عبده وهو النضر ويقال هو أبوجهل ويقال هوالحرث بن قيس (وأضله الله) عن الايمان (على علم) كما علم الله انه من أهل الضلالة (وختم على سمعه) لكى لايسمع الحق (وقلبه) لكى لايفهم الحق (وجعل على بصره غشاوة) غطاء لكى لايبصر الحق (فمن يهديه) فمن يرشده الى دين الله (من بعد الله) من بعد أن أضله الله (أفلا تذكرون) تتعظون

جعل مافيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث (أم حسب الذين) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان (اجترحوا السيآت) اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أي كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف في (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) والجملة التي هي (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد سواء علي وحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير في نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الاعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج أي سواء ﴿٤٦٥﴾ في محياهم ﴿سورة الجاثية﴾ وفي مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعة وأولئك على اقتراف السيآت ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة في الرزق والصحة وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يافضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت (ساء مايحكمون)

بينات تبصرهم وجه الفلاح ﴿وهدى﴾ من الضلال ﴿ورحمة﴾ ونعمة من الله ﴿لقوم يوقنون﴾ يطلبون اليقين ﴿ام حسب الذين اجترحوا السيآت﴾ ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ﴿ان نجعلهم﴾ ان نصيرهم ﴿كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ اى مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استئناف يبين المقتضى للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني والضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة او استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ﴿ساء مايحكمون﴾ ساء حكمهم هذا او بئس شيأ حكموا به ذلك

معالم للناس في الحدود والاحكام يبصرون به ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيآت﴾ اى اكتسبوا المعاصي والكفر ﴿ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ماتقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ معناه أحسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا والمعنى ان المؤمن مؤمن في محياه ومماته في الدنيا والآخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا والآخرة وشتان مابين الحالين في الحال والمآل ﴿ساء مايحكمون﴾ أي بئس مايقضون قال

وهدى) من الضلالة ﴿قا و خا ٥٩ مس﴾ (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون) يصدقون بمحمد عليه السلام والقرآن (أم حسب) أيظن (الذين اجترحوا السيآت) أشركوا بالله يعني عتبة وشيبة والوليد بن عتبة الذين بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة بن الحرث وقالوا ان كان لهم مايقول محمد عليه السلام في الآخرة حق وثوابا لنفضلن كما فضلنا عليهم في الدنيا فقال الله أيظنون (ان نجعلهم) نجعل الكفار في الآخرة بالثواب (كالذين آمنوا) علي وصاحبيه (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (سواء) ليسوا بسواء (محياهم) محيي المؤمنين على الايمان (ومماتهم) على الايمان ومحيي الكافرين على الكفر ومماتهم على الكفر ويقال محيي المؤمنين وممات المؤمنين سواء بسواء على الايمان والطاعة ومرضاة الله ومحيي الكافرين ومماتهم سواء بسواء على الكفر والمعصية وغضب الله (ساء مايحكمون) بئس مايقضون

على عالمي زمانهم (وآتيناهم بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من أمر الدين (فما اختلفوا) فما وقع الخلاف بينهم في الدين (الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) أي الا من بعد ماجاءهم ماهو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم أي لعداوة وحسد بينهم (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل المراد اختلافهم في أوامر الله ونواهيه في التوراة حسدا وطلبا للرياسة لاعن جهل يكون الانسان به معذورا (ثم جعلناك) بعد اختلاف أهل الكتاب

(على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الامر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بامرنا والدلائل (ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون) ولاتتبع مالا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم روساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك (انهم) ان هؤلاء الكافرين (لن يغنوا عنك من الله شيا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) وهم موالوه وما أبين الفضل بين الولايتين (هذا) أي القرآن (بصائر للناس)

مالم نؤت غيرهم ﴿ وآتيناهم بينات من الامر ﴾ ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبي عليه السلام مبينة لصدقه ﴿ فما اختلفوا ﴾ في ذلك الامر ﴿ الا من بعد ماجاءهم العلم ﴾ بحقيقة الحال ﴿ بغيا بينهم ﴾ عداوة وحسدا ﴿ ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ بالمؤاخذة والمجازاة ﴿ ثم جعلناك على شريعة ﴾ طريقة ﴿ من الامر ﴾ امر الدين ﴿ فاتبعها ﴾ فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ﴿ ولاتتبع اهواء الذين لايعلمون ﴾ آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك ﴿ انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ ﴾ مما اراد بك ﴿ وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ﴾ اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم ﴿ والله ولي المتقين ﴾ فواله بالتقى واتباع الشريعة ﴿ هذا ﴾ اى القرآن او اتباع الشريعة ﴿ بصائر للناس ﴾

لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم ﴿ وآتيناهم بينات من الامر ﴾ أي بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ومابين لهم من أمره ﴿ فما اختلفوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجيء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف ﴿ ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك ﴾ يامحمد ﴿ على شريعة ﴾ أي على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى ﴿ من الامر ﴾ أي من الدين ﴿ فاتبعها ﴾ أي اتبع شريعتك الثابتة ﴿ ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون ﴾ يعني مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك قال تعالى ﴿ انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ ﴾ أي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيأ ان اتبعت أهواءهم ﴿ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض ﴾ يعني ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الآخرة ﴿ والله ولي المتقين ﴾ أي هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الآخرة ﴿ هذا ﴾ يعني القرآن ﴿ بصائر للناس ﴾ أي

(وآتيناهم) أعطيناهم (بينات من الامر) أي واضحات من أمر الدين (فما اختلفوا) في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والاسلام (الا من بعد ماجاءهم العلم) بيان مافي كتابهم (بغيا بينهم) حسدا منهم كفروا بمحمد عليه السلام والقرآن (ان ربك) يامحمد (يقضي بينهم) بين اليهود والنصارى والمؤمنين (يوم القيامة فيما كانوا فيه) في الدين (يختلفون) يخالفون في الدنيا (ثم جعلناك) اخترناك (على شريعة من الامر) على سنة ومنهاج من أمري وطاعتي (فاتبعها) استقم عليها واعمل بها ويقال أكرمناك بالاسلام وأمرناك أن تدعو الخلق اليه (ولا تتبع أهواء الذين) دين الذين (لايعلمون) توحيد الله يعني اليهود والنصارى والمشركين (انهم لن يغنوا عنك من الله) من عذاب الله (شيأ) ان اتبعت أهواءهم (وان الظالمين) الكافرين (بعضهم أولياء بعض) على دين بعض (والله ولي المتقين) الكفر والشرك والفواحش (هذا) القرآن (بصائر) بيان (للناس)

حذف اللام للدلالة على الامر (للذين لا يرجون ايام الله) لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يؤملون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم ان يبطش به (ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة أى انما أمروا بان يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قوما) على المدح لهم كأنه قيل ليجزى اى قوم وقوم مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم لنجزى شامى وحمزة وعلى ليجزى قوما بزيد أى ليجزى الخير قوما فاضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس فى قوله حتى توارت بالحجاب لان قوله ﴿٤٦٣﴾ اذ عرض عليه بالعشى {سورة الجاثية} دليل على توارى الشمس وليس

والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا ﴿ للذين لا يرجون ايام الله ﴾ لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم اولا يأملون الاوقات التى وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه غفارى فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال ﴿ ليجزى قوما بما كانوا يكسبون ﴾ علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون اوكلاهما فيكون التنكير للتعظيم اوالتحقير اوالشيوع والكسب المغفرة اوالاساءة اومايعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اى ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعنى مايجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ﴾ اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ﴿ ثم الى ربكم ترجعون ﴾ فيجازيكم على اعمالكم ﴿ ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب ﴾ التوراة ﴿ والحكم ﴾ والحكمة النظرية والعملية اوفصل الخصومات ﴿ والنبوة ﴾ اذ كثر فيهم الانبياء مالم يكثر فى غيرهم ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ مما احل الله من اللذائذ ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ حيث آتيناهم

للذين لا يرجون ايام الله ﴾ اى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يبطش به فانزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقيل نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا فى اذى شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال ﴿ ليجزى قوما بما كانوا يكسبون ﴾ أى من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ﴾ قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب ﴾ يعنى التوراة ﴿ والحكم ﴾ يعنى معرفة أحكام الله ﴿ والنبوة ورزقناهم من الطيبات ﴾ أى الحلالات وهو ماوسع عليهم فى الدنيا وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ اى على عالمى زمانهم قال ابن عباس

التقدير ليجزى الجزاء قوما لان المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما اقامة المفعول الثانى مقام الفاعل فجائز وأنت تقول جزاك الله خيرا (بما كانوا يكسبون) من الاحسان (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أى لها الثواب وعليها العقاب (ثم الى ربكم ترجعون) أى الى جزائه (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أوفصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم (والنبوة) خصها بالذكر لكثرة الانبياء عليهم السلام فيهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين)

(للذين لا يرجون) لا يخافون (أيام الله) عذاب الله يعنى أهل مكة (ليجزى قوما) يعنى عمر وأصحابه (بما كانوا يكسبون) يعملون من الخيرات وهذا العفو قبل الهجرة ثم أمروا بالقتال (من عمل صالحا) خالصا فى ايمانه (فلنفسه) ثواب ذلك (ومن أساء) أشرك بالله (فعليها) فعلى نفسه عقوبة ذلك (ثم الى ربكم ترجعون) بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم (ولقد آتينا) أعطينا (بنى اسرائيل الكتاب والحكم) العلم والفهم (والنبوة) اى فيهم الانبياء والكتب (ورزقناهم من الطيبات) من المن والسلوى ويقال من الغنائم (وفضلناهم على العالمين) عالمى زمانهم بالكتاب والرسول

ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من الاموال (شيأ) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) مافيهما مصدرية او موصولة (من دون الله) من الاوثان (اولياء ولهم عذاب عظيم) فى جهنم (هذا هدى) اشارة الى القرآن ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربهم) لان آيات ربهم هى القرآن اى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل اى كامل فى الرجولية (لهم عذاب من رجز) هو اشد العذاب (اليم) بالرفع مكى ويعقوب وحفص صفة لعذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره) باذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة وبالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى (ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات

وما فى الارض جميعا) هو تأكيد ما فى السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (منه) حال اى سخر هذه الاشياء كائنة منه حاصلة من عنده او خبر مبتدأ محذوف اى هذه النعم كلها منه وصفة للمصدر اى تسخيرا منه (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا) اى قل لهم اغفروا يغفروا فحذف المقول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو امر مستأنف وجاز

متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ﴿ولا يغنى عنهم﴾ ولا يدفع ﴿ما كسبوا﴾ من الاموال والاولاد ﴿شيأ﴾ من عذاب الله ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء﴾ اى الاصنام ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ لا يتحملونه ﴿هذا هدى﴾ الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله ﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم﴾ وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب ﴿الله الذى سخر لكم البحر﴾ بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه ﴿لتجرى الفلك فيه بامره﴾ بتسخيره وانتم راكبوها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ﴿ولعلكم تشكرون﴾ هذه النعم ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا﴾ بان خلقها نافعة لكم ﴿منه﴾ حال منها اى سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر محذوف اى هى جميعا منه او لما فى السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد او لما فى الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازى او خبر محذوف ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فى صنائعه ﴿قل للذين آمنوا يغفروا﴾ حذف المفعول لدلالة الجواب عليه

ولهم فى الآخرة النار ﴿ولا يغنى عنهم ما كسبوا﴾ اى من الاموال ﴿شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء﴾ اى ولا يغنى عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة ﴿ولهم عذاب عظيم هذا﴾ يعنى القرآن ﴿هدى﴾ اى هو هدى من الضلالة ﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله﴾ اى بسبب التجارة واستخراج منافعه ﴿ولعلكم تشكرون﴾ نعمته على ذلك ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض﴾ يعنى انه تعالى خلقها ومنافعها فهى مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها ﴿جميعا منه﴾ قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ قوله عز وجل ﴿قل للذين آمنوا يغفروا

(ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ) ما جمعوا من المال ولا ما عملوا من السيئات شيأ من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) عبدوا (من دون الله أولياء) أربابا (ولهم عذاب عظيم) أعظم ما يكون وكل هذا العذاب للنضر (هذا) يعنى القرآن (هدى) من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهو النضر وأصحابه (لهم عذاب من رجز أليم) وجيع (الله الذى سخر) ذلل (لكم البحر لتجرى الفلك) السفن (فيه بأمره) باذنه (ولتبتغوا) لتطلبوا (من فضله) من رزقه (ولعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته (وسخر لكم) ذلل لكم (ما فى السموات) من الشمس والقمر والنجوم والسحاب (وما فى الارض) من الشجر والدواب والجبال والبحار (جميعا منه) من الله (ان فى ذلك) فيما ذكرت (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يتفكرون) فيما خلق الله (قل) يا محمد (للذين آمنوا) عمر وأصحابه (يغفروا) يتجاوزوا

(تتلوها) في محل الحال اي متلوة (عليك بالحق) والعامل مادل عليه تلك من معنى الاشارة (فبأي حديث بعد الله وآياته) اي بعد آيات الله كقولهم أعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد (يؤمنون) حجازي وابو عمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد (ويل لكل افاك) كذاب (اثيم) بالغ في اقتراف الآثام (يسمع آيات الله) في موضع جر صفة (تتلى عليه) حال من آيات الله (ثم يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من احاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله وجيء بثم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في العقول (كأن لم يسمعها) كأن مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب اليم) فاخبره خبرا يظهر اثره على البشرة (واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية

نفسي بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها * حيث اراد عتبة (اولئك) اشارة الى كل افاك لشموله الافاكين (لهم عذاب مهين) مخز (من ورائهم) من قدامهم الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف اوقدام (جهنم

﴿ تتلوها عليك ﴾ حال عاملها معنى الاشارة ﴿ بالحق ﴾ ملتبسين به او ملتبسة به ﴿ فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون ﴾ اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين * وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ﴿ ويل لكل افاك ﴾ كذاب ﴿ اثيم ﴾ كثير الآثام ﴿ يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر ﴾ يقيم على كفره ﴿ مستكبرا ﴾ عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله * يرى غمرات الموت ثم يزورها * ﴿ كأن لم يسمعها ﴾ اي كأنه فخففت وحذف ضمير الشان والجملة في موضع الحال اي يصر مثل غير السامع ﴿ فبشره بعذاب اليم ﴾ على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم ﴿ واذا علم من آياتنا شيأ ﴾ واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها ﴿ اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين ﴾ لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او الشيء لانه بمعنى الآية ﴿ من ورائهم جهنم ﴾ من قدامهم لانهم

تتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله ﴾ اي بعد كتاب الله ﴿ وآياته يؤمنون ﴾ قوله تعالى ﴿ ويل لكل افاك اثيم ﴾ اي كذاب صاحب اثم يعني النضر بن الحرث ﴿ يسمع آيات الله ﴾ يعني آيات القرآن ﴿ تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من آياتنا شيأ ﴾ يعني آيات القرآن ﴿ اتخذها هزوا ﴾ اي سخر منها ﴿ اولئك ﴾ اشارة الى من هذه صفته ﴿ لهم عذاب مهين ﴾ ثم وصفهم فقال تعالى ﴿ من ورائهم جهنم ﴾ يعني امامهم جهنم وذلك خزيهم في الدنيا

(تتلوها عليك) نزل عليك جبريل بها (بالحق) لتبيان الحق والباطل (فبأي حديث) كلام (بعد الله) بعد كلام الله (وآياته) كتابه ويقال عجائبه (يؤمنون) ان لم يؤمنوا بهذا القرآن (ويل) شدة العذاب ويقال ويل وادفي جهنم من قيح ودم (لكل أفاك) كذاب (أثيم) فاجر وهو نضر بن الحرث (يسمع آيات الله) قراءة آيات الله تتلى عليه تقرأ عليه بالامر والنهي (ثم يصر) يقيم على كفره (مستكبرا) متعظما عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (كأن لم يسمعها) لم يسمعها (فبشره) يا محمد (بعذاب اليم) وجيع فقتل يوم بدر صبرا (واذا علم) سمع (من آياتنا) القرآن (شيأ اتخذها هزوا) سخرية (أولئك لهم عذاب مهين) شديد وهو النضر (من ورائهم جهنم) من قدامهم بعد الموت جهنم

عليه (آيات) حمزة وعلى بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك ان زيدا فى الدار وعمرا فى السوق او وعمرو فى السوق (لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق) اى مطر وسمى به لانه سبب الرزق (فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلى (آيات لقوم يعقلون) بالنصب على وحمزة وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت اورفعت فالعاملان اذا نصبت ان وفى اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى واختلاف الليل والنهار والنصب فى آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفى عملت الرفع فى آيات والجر فى واختلاف هذا مذهب الاخفش لانه يجوز العطف على عاملين واما سيبويه فانه لا يجيزه وتخريج الآية عنده ان يكون على اضمار فى والذى حسنه تقدم ذكره فى {الجزء الخامس والعشرون} فى الآيتين قبل ... ٤٦٠ ... هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وفى اختلاف الليل والنهار ويجوز ان ينصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله او على التكرير توكيدا لآيات فى الاولى كأنه قيل آيات آيات ورفعها باضمار هى والمعنى فى تقديم الآيات على الايقان وتوسيطه وتأخيره ان المنصفين من العباد اذا نظروا فى السموات والارض نظرا صحيحا علموا انها مصنوعة وانه لابد لها من صانع فآمنوا بالله فاذا نظروا فى خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وفى خلق ما ظهر على الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا فاذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم (تلك) اشارة الى الآيات المتقدمة اى تلك الآيات (آيات الله) وقوله

مجرور بل عطفه على المضاف اليه بحذف المضاف اى وفى خلقكم وما يبث وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار ﴿ آيات لقوم يوقنون ﴾ محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بالنصب حملا على الاسم ﴿ واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق ﴾ من مطر وسماه رزقا لانه سببه ﴿ فاحيا به الارض بعد موتها ﴾ يبسها ﴿ وتصريف الرياح ﴾ باختلاف جهاتها واحوالها ﴿ وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح ﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾ فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين فى والابتداء او ان الا ان يضمر فى او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هى ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات فى الدقة والظهور ﴿ تلك آيات الله ﴾ اى تلك آيات دلائله

من جميع الحيوانات على اختلاف اجناسها فى الخلق والشكل والصورة ﴿ آيات ﴾ دلالات تدل على وحدانية من خلقها وانه لااله القادر المختار ﴿ لقوم يوقنون ﴾ يعنى انه لااله غيره ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ يعنى بالظلام والضياء والطول والقصر ﴿ وما انزل الله من السماء من رزق ﴾ يعنى المطر الذى هو سبب ارزاق العباد ﴿ فاحيا به ﴾ اى بالمطر ﴿ الارض بعد موتها ﴾ اى بعد يبسها ﴿ وتصريف الرياح ﴾ اى فى مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك ﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾ فان قلت ما وجه هذا الترتيب فى قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا فى هذه الدلائل النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لابد لها من صانع فآمنوا به واقروا انه الاله القادر على كل شئ ثم اذا امعنوا النظر ازدادوا يقينا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا فى زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده فى اسرار كتابه ﴿ تلك آيات الله

(آيات) علامات وعبرا (لقوم يوقنون) يصدقون (واختلاف الليل والنهار) فى تقليب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وذهابهما ومجيئهما آية وعبرة لكم (وما انزل الله) وفيما انزل الله (من السماء من رزق) من مطر (فاحيى به) بالمطر (الارض بعد موتها) قحطها ويبسها علامات وعبرا لكم (وتصريف الرياح) وفى تقليب الرياح يمينا وشمالا قبولا ودبورا عذابا ورحمة (آيات) علامات وعبرا (لقوم يعقلون) يصدقون انها من الله (تلك) هذه (آيات الله

ارتقب) فانتظر مايحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون مايحل بك الدوائر ﴿ سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون
﴾ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ (حم) ان جعلتها اسما للسورة فهى مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب
من الله) صلة بتنزيل وان جعلتها ... ٤٥٩ ... تعديدا للحروف ﴿ سورة الجاثية ﴾ كان تنزيل الكتاب
مبتدأ والظرف خبره (العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى تدبيره (ان فى السموات والارض لآيات) لدلالات على وحدانيته ويجوز ان يكون المعنى ان فى خلق السموات والارض لآيات (للمؤمنين) دليله قوله (وفى خلقكم) ويعطف (وما يبث من دابة) على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف

يتذكروا ﴿ فارتقب ﴾ فانتظر ما يحل بهم ﴿ انهم مرتقبون ﴾ منتظرون مايحل بك * عن النبى عليه السلام من قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة اصبح يستغفرله سبعون الف ملك وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

﴿ سورة الجاثية مكية وهى سبع اوست وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم تنزيل الكتاب ﴾ ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره ﴿ من الله العزيز الحكيم ﴾ وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ﴿ ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين ﴾ وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله ﴿ وفى خلقكم وما يبث من دابة ﴾ ولا يحسن عطف ما على الضمير

﴿ فارتقب ﴾ اى فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب ﴿ انهم مرتقبون ﴾ اى منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفرله سبعون الف ملك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعمر ابن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخارى هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفرله اخرجه الترمذى وقال هشام ابو المقدام احد رواته ضعيف والله اعلم

﴿ سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة وهى مكية وهى سبع وثلاثون آية واربعمائة وثمان وثمانون كلمة والفان ومائة واحد وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عزوجل ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض ﴾ اى ان فى خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهوقوله ﴿ لآيات للمؤمنين وفى خلقكم ﴾ اى وفى خلق انفسكم من تراب ثم من نطفة الى ان يصير انسانا ذا عقل وتميز ﴿ وما يبث من دابة ﴾ اى ومايفرق فى الارض

بالقرآن (فارتقب) فانتظر هلاكهم يوم بدر (انهم مرتقبون) منتظرون هلاكك فاهلكهم الله يوم بدر

ومن السورة التى يذكر فيها الجاثية وهى كلها مكية آياتها ست وثلاثون آية وكلماتها ستمائة وأربع وأربعون وحروفها ألفان وستمائة حرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (حم) يقول قضى ما هو كائن أى بين ويقال قسم أقسم به (تنزيل الكتاب) ان هذا الكتاب تكليم (من الله العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أمر أن لا يعبد غيره ويقال العزيز فى ملكه وسلطانه الحكيم فى أمره وقضائه (ان فى السموات) مافى السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (والارض) ومافى الارض من الشجر والجبال والبحار وغير ذلك (لآيات) لعلامات وعبرا (للمؤمنين) المصدقين فى ايمانهم (وفى خلقكم) فى تحويل أحوالكم حالا بعد حال آية وعبرة لكم (ومايبث من دابة) وفيما خلق من ذوى الارواح

فى القرآن العربى (متقابلين) فى مجالسهم وهو اتم للانس (كذلك) الكاف مرفوعة أى الامر كذلك (وزوجناهم) وقرناهم
وابدلنا عدى بالباء (بحور) جمع حوراء وهى الشديدة سواد العين و الشديدة بياضها (عين) جمع عيناء وهى واسعة العين
(يدعون فيها) يطلبون فى الجنة (بكل فاكهة آمنين) من الزوال
والانقطاع وتولد الضرر
من الاكثار (لايذوقون
فيها) اى فى الجنة (الموت)
البتة (الا الموتة الاولى) اى
سوى الموتة الاولى التى
ذاقوها فى الدنيا وقيل لكن
الموتة قد ذاقوها فى الدنيا
(ووقاهم عذاب الجحيم
فضلا من ربك) اى تفضل
فهو مفعول له او مصدر
مؤكد لما قبله لان قوله
ووقاهم عذاب الجحيم
تفضل منه لهم لان العبد
لا يستحق على الله شيأ
(ذلك) أى صرف العذاب
ودخول الجنة (هو الفوز
العظيم فانما يسرناه) اى
الكتاب وقد جرى ذكره
فى اول السورة (بلسانك
لعلهم يتذكرون) يتعظون

والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البرقة ﴿ متقابلين ﴾ فى مجالسهم ليستأنس
بعضهم ببعض ﴿ كذلك ﴾ الامر كذلك او اثبناهم مثل ذلك ﴿ وزوجناهم بحور
عين ﴾ وقرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف
فى انهن نساء الدنيا او غيرهن ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة ﴾ يطلبون ويأمرون باحضار
ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان ﴿ آمنين ﴾ من الضرر
﴿ لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ﴾ بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع
او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت
ويشاهدها عنده فكأنه فيها او الاستثناء للمبالغة فى تعميم النفى وامتناع الموت فكأنه قال
لايذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل ﴿ ووقيهم عذاب
الجحيم ﴾ وقرئ ووقيهم على المبالغة ﴿ فضلا من ربك ﴾ اى اعطوا كل ذلك عطاء
وتفضلا منه ﴿ وقرئ بالرفع اى ذلك فضل ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ لانه خلاص
عن المكاره وفوز بالمطالب ﴿ فانما يسرناه بلسانك ﴾ سهلناه حيث انزلناه بلغتك
وهو فذلكة للسورة ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم

واجرائه على أوجه الاعراب ﴿ متقابلين ﴾ أى يقابل بعضهم بعضا ﴿ كذلك ﴾ أى كما
اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك ﴿ و ﴾ اكرمناهم بان ﴿ زوجناهم
بحور عين ﴾ اى قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج قيل جعلناهم ازواجا لهن اى
جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن
وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة ﴾
اى ارادوها واشتهوها ﴿ آمنين ﴾ اى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها
من الموت والاوصاب والشيطان ﴿ لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ﴾ اى
لايذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا وقيل الا بمعنى لكن
وتقديره لايذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة
الاولى وهى فى الدنيا من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون
الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كانه فى الجنة لاتصالهم
باسبابها ومشاهدتهم اياها ﴿ ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ﴾ يعنى كل ما وصل
اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بتفضل الله
تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه ﴿ ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك ﴾ اى
سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ اى يتعظون

(متقابلين) فى الزيارة
(كذلك) هكذا مقام
المؤمنين فى الجنة
(وزوجناهم) نزوجهم
فى الجنة (بحور) بجوار
بيض (عين) عظام الاعين
حسان الوجوه (يدعون
فيها) يسألون فى الجنة
وقيل يتناولون فى الجنة (بكل فاكهة) من كل فاكهة (آمنين) من الموت والزوال والعذاب (الا ذوقتهم)
(لايذوقون فيها) فى الجنة (الموت الا الموتة الاولى) بعد موتهم فى الدنيا (ووقاهم) رفع عنهم ربهم (عذاب الجحيم)
عذاب النار (فضلا من ربك) منا من ربك وتفضل عطاء من ربك (ذلك) الذى (هو الفوز العظيم) النجاة الوافرة
فازوا بالجنة ونجوا من النار (فانما يسرناه بلسانك) يقول هونا عليك قراءة القرآن (لعلهم يتذكرون) لكى يتعظوا

خذوه) أى الاثيم (فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب هو الحميم لا عذابه الا انه اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزء والتهكم انك أى لانك انك أى لانك

أى (ان هذا) أى العذاب أو هذا الامر هو (ما كنتم به تمترون) تشكون (ان المتقين فى مقام) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم وبالضم مدنى وشامى وهو

من ماء حار بعدما يضرب رأسه بمقامع الحديد (ذق) يا أبا جهل (انك أنت العزيز)

فى قومك (الكريم) عليهم ويقال انك انت العزيز المتعزز فى قومك الكريم المتكرم بهم (ان هذا) هو العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون فى الدنيا انه لا يكون (ان المتقين) عن الكفر والشرك والفواحش (فى مقام) مكان (امين) من الموت والزوال والعذاب (فى جنات) بساتين (وعيون) انهار خمر وماء ولبن وعسل (يلبسون من سندس) مالطف من الديباج (واستبرق) وما ثخن من الديباج

عليانا مثل غليه ﴿خذوه﴾ على ارادة القول والمقول له الزبانية ﴿فاعتلوه﴾ فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان ﴿الى سواء الجحيم﴾ وسطه ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ﴿ذق انك انت العزيز الكريم﴾ اى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائى انك بالفتح اى ذق لانك او عذاب انك ﴿ان هذا﴾ اى هذا العذاب ﴿ما كنتم به تمترون﴾ تشكون وتمارون فيه ﴿ان المتقين فى مقام﴾ فى موضع اقامة وهو قراءة نافع وابن عامر والباقون بفتح الميم ﴿امين﴾ يأمن صاحبه من الآفة والانتقال ﴿فى جنات وعيون﴾ بدل من مقام جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب ﴿يلبسون من سندس واستبرق﴾ خبر ثان او حال من الضمير فى الجار او استئناف والسندس مارق من الحرير

الترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى ﴿خذوه﴾ أى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم ﴿فاعتلوه﴾ أى ادفعوه وسوقوه بالعنف ﴿الى سواء الجحيم﴾ أى الى وسط النار ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له ﴿ذق﴾ أى هذا العذاب ﴿انك أنت العزيز الكريم﴾ أى عند قومك بزعمك وذلك أن أبا جهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل الوادى وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ ﴿ان هذا ما كنتم به تمترون﴾ أى تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى ﴿ان المتقين فى مقام أمين﴾ أى فى مجلس أمنوا فيه من الغير ﴿فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق﴾ قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو معرب استبر فان قلت كيف ساغ أن يقع فى القرآن العربى المبين لفظ اعجمى قلت اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه

موضع لاقامة (أمين) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد خائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كأنما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (فى جنات وعيون) بدل من مقام أمين (يلبسون من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ماغلظ منه وهو تعريب استبر واللفظ اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ أن يقع

(خذوه) يقول الله للزبانية خذوا أبا جهل (فاعتلوه) فنتلوه ويقال فسوقوه واذهبوا به (الى سواء الجحيم) الى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه) على رأسه (من عذاب الحميم)

(ميقاتهم أجمعين) وقت موعدهم كلهم (يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ) أي ولي كان عن أي ولي كان شيأ من اغناء أي قليلا منه (ولاهم ينصرون) الضمير للمولى لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الا من رحم الله) في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمتنع من العذاب الا من رحمه الله (انه هو العزيز) الغالب على اعدائه (الرحيم) لاوليائه (ان شجرة الزقوم) هي على صورة شجرة الدنيا لكنها في النار والزقوم ثمرها وهو كل طعم ثقيل (طعام الاثيم) هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر ياهذا وبهذا نستدل على ان ابدال الكلمة مكان الكلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة رضي الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدي القارئ المعاني كلها على كمالها من غير أن يخرم منها شيأ قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني والدقائق مالا يستقل باداته لسان من فارسية وغيرها وروى رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد (كالمهل) هو دردي الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (تغلي في البطون) وبالياء مكي وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام (كغلي الحميم) أي الماء الحار الذي انتهى غليانه ومعناه غليا كغلي الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية

واحبائه ﴿ ميقاتهم ﴾ وقت موعدهم ﴿ اجمعين ﴾ وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اى ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل ﴿ يوم لا يغنى ﴾ بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم اوظرف لمادل عليه الفصل لا له للفصل ﴿ مولى ﴾ من قرابة او غيرها ﴿ عن مولى ﴾ اى مولى كان ﴿ شيأ ﴾ شيأ من الاغناء ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام ﴿ الا من رحم الله ﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو اوالنصب على الاستثناء ﴿ انه هو العزيز ﴾ لاينصر منه من اراد تعذيبه ﴿ الرحيم ﴾ لمن اراد ان يرحمه ﴿ ان شجرة الزقوم ﴾ وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات ﴿ طعام الاثيم ﴾ الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ماقبله ومابعده عليه ﴿ كالمهل ﴾ وهو مايمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت ﴿ تغلي في البطون ﴾ وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا المهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما ﴿ كغلي الحميم ﴾

الذي يفصل الله فيه بين العباد ﴿ ميقاتهم أجمعين ﴾ أي يوافي يوم القيامة الاولون والآخرون ﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ ﴾ أي لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيأ ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ أي يمنعون من عذاب الله ﴿ الا من رحم الله ﴾ يعني المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض ﴿ انه هو العزيز ﴾ أي في انتقامه من أعدائه ﴿ الرحيم ﴾ أي باوليائه المؤمنين قوله تعالى ﴿ ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ﴾ أي ذي الاثم وهو أبو جهل ﴿ كالمهل ﴾ أي كدردي الزيت الاسود ﴿ يغلي في البطون ﴾ أي في بطون الكفار ﴿ كغلي الحميم ﴾ يعني كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذي

(ميقاتهم) ميعادهم (اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ) ولي حميم يعني قرابة عن قرابة شيأ وكافر عن كافر وقريب عن قريب شيأ من الشفاعة ولا من عذاب الله (ولاهم ينصرون) يمنعون مما يراد بهم من العذاب (الا من رحم الله) من المؤمنين فانهم ليسوا كذلك ولكن يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) بالنقمة من الكافرين (الرحيم) بالمؤمنين (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم) طعام الفاجر في النار ابي جهل واصحابه (كالمهل) سوداء كدردي الزيت ويقال حارة كالفضة المذابة (يغلي في البطون كغلي الحميم) الماء الحار

وحير الخيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادرى أكان تبع نبيا أم غير نبى وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون ﴿ والذين من قبلهم ﴾ كعاد وثمود ﴿ اهلكناهم ﴾ استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش اوحال باضمار قد اوخبر من الموصول ان استؤنف به ﴿ انهم كانوا مجرمين ﴾ بيان للجامع المقتضى للاهلاك ﴿ وماخلقنا السموات والارض ومابينهما ﴾ اى وما بين الجنسين وقرئ ومابينهن ﴿ لاعبين ﴾ لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر فى الانبياء وغيرها ﴿ ماخلقناهما الا بالحق ﴾ الابسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ﴿ ولكن اكثرهم لايعلمون ﴾ لقلة نظرهم ﴿ ان يوم الفصل ﴾ فصل الحق عن الباطل اوالمحق عن المبطل بالجزاء اوفصل الرجل عن اقاربه

له انا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أى بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما أراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده أحد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا مانعلم لله فى الارض بيتا غير هذا البيت الذى بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم الا هلاكك وما ناواه أحد قط الاهلك فاكرمه واصنع عنده مايصنعه أهله فلما قالوا له ذلك أخذ أولئك النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب شعب المطابخ وكسا البيت الوصائل وهى برود تصنع باليمن وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لاتدخلها علينا وأنت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار فى أسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولاتضر المظلوم قال تبع أنصفتم فخرج القوم باوثانهم ومايتقربون به فى دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار فاقبلت حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت فى النار حتى رجعت الى مخرجها الذى خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينها فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن وقال الرياشى كان أبو كرب أسعد الحميرى من التبابعة ممن آمن بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه قوله تعالى ﴿ والذين من قبلهم ﴾ أى من الامم الكافرة ﴿ أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق ﴾ أى بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿ ولكن اكثرهم لايعلمون ﴾ قوله عز وجل ﴿ ان يوم الفصل ﴾ أى

(والذين من قبلهم) مرفوع بالعطف على قوم تبع (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) كافرين منكرين للبعث (وماخلقنا السموات والارض ومابينهما) أى ومابين الجنسين (لاعبين) حال ولو لم يكن بعث ولاحساب ولاثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (ماخلقناهما الابالحق) بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لايعلمون) انه خلق لذلك (ان يوم الفصل) بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة

(والذين من قبلهم) من قبل قوم تبع (اهلكناهم انهم كانوا مجرمين) مشركين افلا يخاف قومك من هلاكهم وعذابهم (وماخلقنا السموات والارض ومابينهما) من الخلق (لاعبين) لاهين (ما خلقناهما الابالحق) للحق لا للباطل (ولكن اكثرهم) أهل مكة (لا يعلمون) ذلك ولا يصدقون (ان يوم الفصل) يوم القضاء بين الخلائق

ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من

شأنها ان يعقبها حياة الا الموتة الاولى فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله الا حياتنا الدنيا فى المعنى ويحتمل أن يكون هذا انكارا لما فى قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم (فأتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان كنتم صادقين) أى ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق (أهم خير) فى القوة والمنعة (أم قوم تبع) هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفى الحديث ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى

الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنا الاولى اى ما الموتة التى من شأنها تلك الا الموتة الاولى ﴿ وما نحن بمنشرين ﴾ بمبعوثين ﴿ فأتوا بآبائنا ﴾ خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل والمؤمنين ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى وعدكم ليدل عليه ﴿ اهم خير ﴾ فى القوة والمنعة ﴿ أم قوم تبع ﴾ تبع الحميرى الذى سار بالجيوش

وهو قوله ﴿ وما نحن بمنشرين ﴾ أى بمبعوثين بعد موتتنا هذه ﴿ فأتوا بآبائنا ﴾ أى الذين ماتوا قبل ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ أى انا نبعث أحياء بعد الموت قيل طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يحيي لهم قصى بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى ﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾ أى ليسوا خيرا من قوم تبع يعنى فى الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميرى وكان من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذى قبله كما يسمى فى الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا * وكان من قصته على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره وذكره عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحى من الانصار حين سمعوا بذلك من أمره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينا هو كذلك اذ جاءه حبران عالمان من أحبار بنى قريظة وكانا ابنى عم اسم أحدهما كعب والآخر أسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان أبيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذى أنت فيه يكون به من القتال والجراح أمر كبير فى أصحابه و فى عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبى قالا يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما و أكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فأتاه فى الطريق نفر من هذيل وقالوا

(وما نحن بمنشرين) بمحيين بعد الموت (فأتوا بآبائنا) فاحى يا محمد آباؤنا الذين ماتوا حتى نسألهم أحق ما تقول أم باطل (ان كنتم صادقين) ان كنت من الصادقين ان نبعث بعد الموت قال الله تعالى (أهم خير) أقومك خير (أم قوم تبع) حمير واسمه اسعد بن ملكيكرب وكنيته ابو كرب سمى تبعا لكثرة تبعه

(له)

(وماكانوا منظرين) أى لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) أى الاستخدام والاستعباد وقتل الاولاد (من فرعون) بدل من العذاب المهين باعادة الجار كانه فى نفسه كان عذابا مهينا لافراطه فى تعذيبهم واهانتهم أوخبر مبتدأ محذوف أى ذلك من فرعون (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا (ولقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل أى عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا (على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات)

مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ماروى فى الاخبار ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فابكت عليهم اهل السماء والارض ﴿ وماكانوا منظرين ﴾ ممهلين الى وقت آخر ﴿ ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين ﴾ من استعباد فرعون وقتله ابناءهم ﴿ من فرعون ﴾ بدل من العذاب على حذف المضاف اوجعله عذابا لافراطه فى التعذيب اوحال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ماكان عليه من الشيطنة ﴿ انه كان عاليا ﴾ متكبرا ﴿ من المسرفين ﴾ فى العتو والشرارة وهو خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا اوحال من الضمير فى عاليا اى كان رفيع الطبقة من بينهم ﴿ ولقد اخترناهم ﴾ اخترنا بنى اسرائيل ﴿ على علم ﴾ عالمين بانهم احقاء بذلك اومع علم منا بانهم يزيغون فى بعض الاحوال ﴿ على العالمين ﴾ لكثرة الانبياء فيهم اوعلى عالمى زمانهم ﴿ وآتيناهم من الآيات ﴾ كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ﴿ مافيه بلاء مبين ﴾ نعمة جلية اواختبار ظاهر ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ماحل بهم ﴿ ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى ﴾ ما العاقبة ونهاية الامر الا

فقال ومالللارض لاتبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ومالسماء لاتبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل وقيل المراد أهل السماء وأهل الارض ﴿ وماكانوا منظرين ﴾ أى لم يمهلوا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها ❁ قوله عز وجل ﴿ ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين ﴾ أى من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب فى العمل ﴿ من فرعون انه كان عاليا ﴾ أى جبارا ﴿ من المسرفين ولقد اخترناهم على علم ﴾ أى علمه الله تعالى فيهم ﴿ على العالمين ﴾ أى عالمى زمانهم ﴿ وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين ﴾ أى نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التى أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاءهم بالرخاء والشدة ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى ﴾ أى لاموتة لنا الا هذه التى نموتها فى الدنيا ولا بعث بعدها

كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك (مافيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش (ليقولون ان هى) ماالموتة (الا موتتنا الاولى) والاشكال ان الكلام وقع فى الحياة الثانية لافى الموت فهلا قيل ان هى الا حياتنا الدنيا ومامعنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة أخرى حتى جحدوها وأثبتوا الاولى والجواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم

لم يكن لهم باب فى السماء لرفع عملهم ولا مصلى فى الارض (وماكانوا منظرين) مؤجلين من الغرق (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) الاليم الشديد (من فرعون وقومه) من ذبح الابناء واستخدام النساء وغير ذلك (انه كان عاليا) مخالفا عاتيا (من المسرفين) فى الشرك (ولقد اخترناهم) اخترنا بنى اسرائيل (على علم) كما علمنا (على العالمين) عالمى زمانهم بالمن والسلوى والكتاب والرسول والنجاة من فرعون وقومه والنجاة من الغرق (وآتيناهم) اعطيناهم (من الآيات) من العلامات (مافيه بلاء مبين) نعمة عظيمة ويقال اختبار بين وهو الذى نجاهم من فرعون ومن الغرق وانزل عليهم المن والسلوى فى التيه وغير ذلك (ان هؤلاء) قومك يامحمد (ليقولون ان هى) ماهى اى حياتنا (الا موتتنا) بعد موتتنا (الاولى

انكم متبعون) أي دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين (واترك البحر رهوا) ساكنا أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيأ ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة

او واسعة أي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أي لانهم (كم) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر (ونعمة) تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين (كذلك) أي الامر كذلك فالكاف في موضع الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر (وأورثناها قوما آخرين) ليسوا منهم في شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) لانهم ماتوا كفارا والمؤمن اذا مات تبكي عليه السماء والارض فيبكي على المؤمن من الارض مصلاه ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن أهل السماء والارض

اي فقال اسر او وقيل ان كان الامر كذلك فأسر ﴿ وقرأ نافع وابن كثير بوصل الهمزة من سرى ﴿انكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم ﴿واترك البحر رهوا﴾ مفتوحا ذا فجوة واسعة اوساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير شيأ ليدخله القبط ﴿انهم جند مغرقون﴾ وقرئ بالفتح بمعنى لانهم ﴿كم تركوا﴾ كثيرا تركوا ﴿من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ محافل مزينة ومنازل حسنة ﴿ونعمة﴾ وتنعم ﴿كانوا فيها فاكهين﴾ متنعمين وقرئ فكهين ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها اوالامر كذلك ﴿واورثناها﴾ عطف على الفعل المقدر اوعلى تركوا ﴿قوما آخرين﴾ ليسوا منهم في شئ وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر ﴿فما بكت عليهم السماء والارض﴾

﴿انكم متبعون﴾ أي يتبعكم فرعون وقومه ﴿واترك البحر﴾ أي اذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رهوا﴾ أي ساكنا والمعنى لا تأمره أن يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو ﴿انهم جند مغرقون﴾ يعني أخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه في تركه البحر كما هو ﴿كم تركوا﴾ أي بعد الغرق ﴿من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ أي مجلس شريف حسن ﴿ونعمة﴾ أي وعيش لين رغد ﴿كانوا فيها﴾ أي في تلك النعمة ﴿فاكهين﴾ أي ناعمين وقرئ فكهين أي أشرين بطرين ﴿كذلك﴾ أي افعل بمن عصاني ﴿وأورثناها قوما آخرين﴾ يعني بني اسرائيل ﴿فما بكت عليهم السماء والارض﴾ وذلك ان المؤمن اذا مات تبكي عليه السماء والارض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكي الارض عليه عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة أطرافها وقال مجاهد ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا فقيل أوتبكي

(انكم متبعون) في البحر (واترك البحر رهوا) طرقا واسعة بقدر ما عبر موسى وقومه (انهم) يعني فرعون وقومه (جند مغرقون) (فقال) في البحر (كم تركوا) خلفوا (من جنات) بساتين (وعيون) ماء ظاهر في البساتين (وزروع) حروث (ومقام كريم) منازل حسنة (ونعمة كانوا فيها فاكهين) معجبين (كذلك) فعلنا بهم (وأورثناها قوما آخرين) جعلت ميراثا لبني اسرائيل من بعدهم (فما بكت عليهم) على فرعون وقومه (السماء) باب السماء (والارض) ولا مصلاه على الارض لان المؤمن اذا مات بكي عليه باب السماء الذي يصعد منه عمله وينزل منه رزقه ومصلاه في الارض التي كان يصلي فيها ولم يبك على فرعون وقومه لانه

تعالى لم يبعث نبيا الامين سراة قوله وكرامهم (ان أدوا الى) هى ان المفسره لان مجئ الرسل الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لايجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشأن والحديث أدوا الى سلموا الى (عبادالله) هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم الى وأرسلوهم معى كقوله أرسل معنا بنى اسرائيل ولاتعذبهم ويجوز أن يكون نداءلهم على معنى أدوا الى ياعباد الله ماهو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بقوله (انى لكم رسول أمين) أى على رسالتى غير متهم (وأن لاتعلوا على الله) أن هذه مثل الاولى فى وجهيها أى لاتستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لاتستكبروا على نبى الله (انى آتيكم بسلطان مبين) بحجة واضحة تدل على أنى نبى

مدغم أبو عمرو وحمزة وعلى

لشرف نسبه وفضل حسبه ﴿ان ادوا الى عبادالله﴾ بان ادوهم الى وارسلوهم معى اوبان ادوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة ياعبادالله ويجوز ان تكون ان مخففة ومفسرة لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة ﴿انى لكم رسول امين﴾ غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه اولائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر ﴿وان لاتعلوا على الله﴾ ولاتتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله عليه السلام وان كالاولى فى وجوهها ﴿انى آتيكم بسلطان مبين﴾ علة النهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لايخفى ﴿وانى عذت بربى وربكم﴾ التجأت اليه وتوكلت عليه ﴿ان ترجمون﴾ ان تؤذونى ضربا اوشتما اوان تقتلونى . وقرأ ابوعمرو وحمزة والكسائى عت بالادغام ﴿وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون﴾ فكونوا بمعزل منى لاعلى ولالى ولاتتعرضوا لى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى مافيه فلاحكم ﴿فدعا ربه﴾ بعدما كذبوه ﴿ان هؤلاء﴾ بان هؤلاء ﴿قوم مجرمون﴾ وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر مااستوجبوه به ولذلك سماه دعاء . وقرئ بالكسر على اضمار القول ﴿فاسر بعبادى ليلا﴾

السلام ﴿أن أدوا الى عبادالله﴾ أى اطلقوا الى بنى اسرائيل ولاتعذبوهم ﴿انى لكم رسول أمين﴾ أى على الوحى ﴿وان لاتعلوا على الله﴾ أى لاتتجبروا عليه بترك طاعته ﴿انى آتيكم بسلطان مبين﴾ أى ببرهان بين على صدق قولى فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال ﴿وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون﴾ أى تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هذا ساحر وقيل ترجمونى بالحجارة ﴿وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون﴾ أى فاتركون لامعى ولا على وقال ابن عباس اعتزلوا أذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا ﴿فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون﴾ أى مشركون ﴿فأسر بعبادى ليلا﴾ أى أجاب الله دعاءه وأمره أن يسرى ببنى اسرائيل بالليل

(بربى وربكم ان ترجون) ان تقتلونى رجما ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لايؤمن فتنحوا عنى أو فخلونى كفافا لالى ولاعلى ولاتتعرضوا لى بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم الى مافيه فلاحكم ذلك ترجونى فاعتزلونى فى الحالين يعقوب (فدعا ربه) شاكيا قومه (ان هؤلاء قوم مجرمون) بان هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم مايستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول أى فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فاسر) من أسرى فاسر بالوصل مجازى من سرى والقول مضمر بعد الفاء أى فقال اسر (بعبادى) أى بنى اسرائيل (ليلا

(أن أدوا الى) ادفعوا الى وأرسلوا معى (عباد الله) بنى اسرائيل (انى لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (وان لاتعلوا) لاتتكبروا ولاتفتروا (على الله انى آتيكم بسلطان مبين) بحجة بينة وعذر بين (وانى عذت) اعتصمت (بربى وربكم أن ترجمون) من أن تقتلون (وان لم تؤمنوا لى) ان لم تصدقونى بالرسالة (فاعتزلون) فاتركونى لالى ولاعلى (فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون) مشركون اجترموا الهلاك على أنفسهم (فاسر بعبادى) قال الله لموسى سر بعبادى بنى اسرائيل (ليلا) من اول الليل

(أنى لهم الذكرى) كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى وقد جاءهم ماهو أعظم وأدخل فى وجوب الاذكار من كشف الدخان وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون (انا كاشفوا العذاب قليلا) زمانا قليلا أو كشفا قليلا (انكم عائدون) الى الكفر الذى كنتم فيه أو الى العذاب (يوم نبطش البطشة الكبرى) هى يوم القيامة او يوم بدر (انا منتقمون) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر أو بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها (ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين أى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم فى نفسه حسيب نسيب لان الله {السلام}

(أنى لهم الذكرى) من أين لهم العظة والتوبة اذا كشفنا عنهم العذاب ويقال اذا اهلكناهم يوم بدر ويقال يوم القيامة (وقد جاءهم رسول) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (مبين) يبين لهم بلغة يعلمونها (ثم تولوا عنه) اعرضوا عن الايمان به (وقالوا معلم) يعنون محمدا يعلمه جبر ويسار (مجنون) مخنوق يختنق (انا كاشفوا العذاب) يعنى الجوع (قليلا) يسيرا الى يوم بدر (انكم) يا أهل مكة (عائدون) راجعون الى المعصية فلما رفع عنهم العذاب عادوا الى المعصية فهلكهم الله يوم بدر لقوله (يوم نبطش البطشة الكبرى) نعاقبهم العقوبة العظمى يوم بدر بالسيف (انا منتقمون) منهم بالعذاب (ولقد فتنا) ابتلينا (قبلهم) قبل قريش (قوم فرعون) فرعون وقومه بالعذاب (وجاءهم رسول كريم) على ربه يعنى موسى

حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم ﴿انى لهم الذكرى﴾ من اين وكيف يتذكرون بهذه الحالة ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ بين لهم ما هو اعظم منهما فى ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون ﴿انا كاشفوا العذاب﴾ بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط ﴿قليلا﴾ كشفا قليلا اوزمانا قليلا وهو مابقى من اعمارهم ﴿انكم عائدون﴾ الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما فى القيامة اوله بالشرط والتقدير ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يوم القيامة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه ﴿انا منتقمون﴾ لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه اوبدل من يوم تأتى وقرئ نبطش اى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم اونحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم اواوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد اولكثرة القوم ﴿وجاءهم رسول كريم﴾ على الله اوعلى المؤمنين اوفى نفسه

يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره ﴿أنى لهم الذكرى﴾ أى كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ معناه وقد جاءهم ماهو اعظم وأدخل فى وجوب الطاعة وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرات ﴿ثم تولوا عنه﴾ أى أعرضوا عنه ﴿وقالوا معلم﴾ أى يعلمه بشر ﴿مجنون﴾ أى تلقى اليه الجن هذه الكلمات حال مايعرض له الغشى ﴿انا كاشفوا العذاب﴾ أى الجوع ﴿قليلا﴾ أى زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر ﴿انكم عائدون﴾ أى الى كفركم ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ هو يوم بدر ﴿انا منتقمون﴾ أى منكم فى ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود وأكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس أنه يوم القيامة * قوله تعالى ﴿ولقد فتنا قبلهم﴾ أى قبل هؤلاء ﴿قوم فرعون وجاءهم رسول كريم﴾ أى على الله وهو موسى بن عمران عليه

من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره اويوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين ﴿ يغشى النـاس ﴾ يحيط بهم صفة الدخان وقوله ﴿ هـذا عذاب اليم ربنـا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴾ مقـدر بقول وقع

يغشى النـاس هذا عذاب أليم ﴾ ٥ (ق) عن مسروق قال كنـا جلوسـا عند عبدالله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال ياأبا عبدالرحمن ان قاصا عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجئ فتأخذ بانفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبدالله وجلس وهو غضـبان فقـال ياأيها النـاس اتقوا الله من علم منكم شيأ فليقل به ومن لايعلم شيأ فليقل الله أعلم فان من العلم ان يقول لما لايعلم الله أعلم فان الله عزوجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف وفى رواية لما دعا قريشا فكذبوه واسـتعصوا عليه قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسـف فاخذتهم سنة حصت كل شئ حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فاتاه أبو سفيان فقال يامحمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عزوجل فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفى رواية للبخارى قالوا ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴾ فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شئ بالحاء والصاد المهملتين أى أهلكت واسـتأصلت كل شئ (ق) عن عبدالله بن مسعود قال خمس قدمضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل أصابهم من الجوع كالظلمة فى أبصارهم وسبب ذلك ان فى سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجئ قبل قيام الساعة ولم يات بعد فيدخل فى اسماع الكفار والمنـافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعنى المشوى ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يارسـول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تاتى السماء بدخان مبين يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث أربعين

(يغشى النـاس) يشملهم ويلبسـهم وهو فى محل الجر صفة لدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) أى سنؤمن ان تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك

(يغشى النـاس) ذلك الدخان (هـذا) الدخان (عذاب أليم) وجيع وهو الجوع (ربنا اكشف) قالوا ربنا اكشف (عنا العذاب) يعنى الجوع (انا مؤمنـون) بك وبكتابك ورسولك

وعادتنا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم أوتعليل لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف لرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بأحوالهم (رب) كوفى بدل من ربك وغيرهم بالرفع أى هو رب (السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذى أنتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم) أى هو ربكم (ورب آبائكم الاولين) عطف عليه ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) فان اقرارهم غير صادر عن علم وايقان بل قول مخلوط بهزء ولعب (فارتقب) فانتظر يوم (يوم تأتى السماء بدخان) يأتى دخان من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان (مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد فى أنه دخان

منذرين اى انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية اوعلة ليفرق اوامرا ورحمة مفعول به اى يفصل فيها كل امر اوتصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة ﴿ انه هو السميع العليم ﴾ يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته ﴿ رب السموات والارض وما بينهما ﴾ خبر آخر اواستئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ﴿ ان كنتم موقنين ﴾ اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم وان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا اوان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك ﴿ لا اله الا هو ﴾ اذلا خالق سواه ﴿ يحيي ويميت ﴾ كما تشاهدون ﴿ ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ وقرئتا بالجر بدلا ﴿ بل هم فى شك يلعبون ﴾ رد لكونهم موقنين ﴿ فارتقب ﴾ فانتظر لهم ﴿ يوم تأتى السماء بدخان مبين ﴾ يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره اولان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار اويوم ظهور الدخان المعدود من اشراط الساعة لما روى انه عليه السلام لما قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج

ربك ﴿ انه هو السميع ﴾ أى لاقوالهم ﴿ العليم ﴾ أى باحوالهم ﴿ رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ﴾ أى ان الله رب السموات والارض وما بينهما ﴿ لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ قال تعالى ﴿ بل هم فى شك ﴾ أى من هذا القرآن ﴿ يلعبون ﴾ أى يهزؤن به لاهون عنه ﴿ فارتقب ﴾ أى يا محمد ﴿ يوم تأتى السماء بدخان مبين

على عباده ارساله الرسل بالكتب (انه هو السميع) لمقالة قريش حيث قالوا ربنا اكشف عنا العذاب (العليم) بهم وبعقوبتهم (رب) خالق (السموات والارض وما بينهما) من الخلق هو الله (ان كنتم موقنين) مصدقين بذلك (لا اله) لا خالق (الا هو) الذى خلق السموات والارض (يحيي) للبعث (ويميت) فى الدنيا (ربكم ورب آبائكم الاولين) خالقكم وخالق آبائكم الاقدمين (بل هم) يعنى كفار مكة (فى شك) من قيام الساعة (يلعبون) يهزؤن بقيام الساعة (فارتقب) فانتظر عذابهم يا محمد (يوم تأتى السماء بدخان مبين) بين السماء والارض

أى ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان وقيل بينهما وبين ليلة القدر أربعون ليلة والجمهور على الاول لقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الاقاويل فى شهر رمضان ثم قالوا أنزله جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل فى وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله فى ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كانه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر التى تجىء فى السنة المقبلة (حكيم) ذى حكمة أى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجازا (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بان قال أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا (انا كنا مرسلين) بدل من انا كنا منذرين (رحمة من ربك) مفعول له على معنى انا أنزلنا القرآن لان من شأننا

الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول عليه السلام نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية اولما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية ﴿ انا كنا منذرين ﴾ استئناف يبين فيه المقتضى للانزال وكذلك قوله ﴿ فيها يفرق كل امر حكيم ﴾ فان كونها مفرق الامور المحكمة اوالملتبسة بالحكمة استدعى ان ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر * وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق اى يفرقه الله ونفرق بالنون ﴿ امرا من عندنا ﴾ اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل اوامر او ضميره المستكن فى حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميرى انزلنا بمعنى آمرين أو مأمورا ﴿ انا كنا مرسلين رحمة من ربك ﴾ بدل من انا كنا

ليلة القدر أنزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع فى عشرين سنة وقيل هى ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب أخرجه الترمذى ﴿ انا كنا منذرين ﴾ أى مخوفين عقابنا ﴿ فيها ﴾ أى فى تلك الليلة المباركة ﴿ يفرق ﴾ أى يفصل ﴿ كل أمر حكيم ﴾ أى محكم قال ابن عباس يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما هو كائن فى السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الاحياء من الاموات وروى البغوى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها فى ليلة القدر ﴿ أمرا ﴾ أى أنزلناه أمرا ﴿ من عندنا انا كنا مرسلين ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء ﴿ رحمة من ربك ﴾ قال ابن عباس رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل انزلناه فى ليلة مباركة رحمة من

الليلة القدر ثم أنزل الله جبريل بعد ذلك على محمد عليه السلام بآية وسورة وكان بين أوله وآخره عشرون سنة (انا كنا منذرين) انا كنا مخوفين بالقرآن (فيها) فى ليلة القدر (يفرق) يبين (كل أمر حكيم) كائن من سنة الى سنة (أمرا من عندنا) بيانا منا نبين لجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ما هم موكلون عليه من سنة الى سنة (انا كنا مرسلين) الرسل بالكتب (رحمة) نعمة (من ربك)

(يارب) والهاء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره فى قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وبالنصب الباقون عطفا على محل الساعة وعلم قيله أى قيل محمد يارب والقيل والقول والقال والمقال واحد ويجوز أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه وجواب القسم (ان هؤلاء قوم لايؤمنون) كأنه قيل وأقسم بقيله يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون)

وعيد من الله لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتاء مدنى وشامى
سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
فى الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له (حم والكتاب المبين) أى القرآن الواو فى والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وجواب القسم (انا أنزلناه فى ليلة مباركة)

خبره ﴿ يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون ﴾ او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يارب قسمى وان هؤلاء جوابه ﴿ فاصفح عنهم ﴾ فاعرض عن دعواهم آيسا عن ايمانهم ﴿ وقل سلام ﴾ تسلم منكم ومتاركة ﴿ فسوف يعلمون ﴾ تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال لهم يوم القيامة ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية

وهى سبع اوتسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم والكتاب المبين ﴾ القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله ﴿ انا انزلناه فى ليلة مباركة ﴾ فى ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او نزل فيها جملة

يارب ﴾ يعنى قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يارب ﴿ ان هؤلاء قوم لايؤمنون ﴾ قال ابن عباس شكا الى الله تعالى تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أى أعرض عنهم وفى ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب ﴿ وقل سلام ﴾ معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم ﴿ فسوف يعلمون ﴾ أى عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى أعلم

تفسير سورة الدخان وهى مكية وهى سبع وقيل تسع

وخمسون آية وثلثمائة وست واربعون كلمة وألف

وأربعمائة واحد وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ حم والكتاب المبين ﴾ أى المبين ما يحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام ﴿ انا انزلناه فى ليلة مباركة ﴾ قيل هى

(يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون) بك وبالقرآن فافعل بهم ماشئت (فاصفح عنهم) قيل له اعرض عنهم (وقل سلام) سداد من القول (فسوف) وهذا وعيد لهم (يعلمون) ماذا يفعل بهم يوم بدر ويوم احد ويوم الأحزاب ثم امر بالقتال بعد ذلك فسوف يعلمون ماذا ينزل بهم من الجوع والدخان ومن السورة التى يذكر فيها الدخان وهى كلها مكية آياتها تسع وخمسون آية وكلمها ثلثمائة وست واربعون كلمة وحروفها الف واربعمائة واحد وثلاثون حرفا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس (فى قوله جل ذكره (حم) يقول قضى ما هو كائن أى بين (والكتاب المبين) وأقسم بالكتاب المبين لقد قضى ما هو كائن أى بين ويقال قسم أقسم بالحاء والميم والقرآن المبين بالحلال والحرام والامر والنهى (انا انزلناه) أنزلنا جبريل بالقرآن ولهذا كان القسم أنزل الله جبريل الى سماء الدنيا حتى املى القرآن على الكتبة وهم أهل سماء الدنيا (فى ليلة مباركة) فيها الرحمة والمغفرة والبركة وهى (ليلة)

مضمر ولايرتفع اله بالابتداء وخبره فى السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود الى الموصول (وهوالحكيم) فى أقواله وأفعاله (العليم) بما كان ويكون (وتبارك الذى له ملك السموات والارض ومابينهما وعنده علم الساعة) أى علم قيامها (واليه ترجعون) يرجعون مكى وحمزة وعلى (ولايملك) آلهتهم (الذين يدعون)

فى البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بتعلق الخبر والعطف عليه ولايجوز جعله خبرا له لانه لايبقى له عائد لكن لوجعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه فى السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية ﴿وهوالحكيم العليم﴾ كالدليل عليه ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والارض ومابينهما﴾ كالهواء ﴿وعنده علم الساعة﴾ العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها ﴿واليه يرجعون﴾ للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ كازعموا انهم شفعاؤهم عندالله ﴿الا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ماعبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ﴿ولئن سألتهم من خلقهم﴾ سألت العابدين او المعبودين ﴿ليقولن الله﴾ لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره ﴿فانى يؤفكون﴾ يصرفون عن عبادة غيره ﴿وقيله﴾ وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة اولاضمار فعله اى وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ

السماء وفى الارض لااله الاهو ﴿وهوالحكيم﴾ أى فى تدبير خلقه ﴿العليم﴾ أى بمصالحهم ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والارض ومابينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ قيل سبب نزولها ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان مايقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله ﴿الامن شهد بالحق﴾ لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة وقال الله تعالى لايملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهى كلمة الاخلاص وهى لااله الاالله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله ﴿وهم يعلمون﴾ أى بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وقيل يعلمون أن الله عزوجل خالق عيسى وعزيرا والملائكة ويعلمون أنهم عباده ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ يعنى انهم اذا أقروا بان الله خالق العالم بأسره فكيف قدموا على عبادة غيره ﴿فأنى يؤفكون﴾ أى يصرفون عن عبادته الى غيره ﴿وقيله﴾

يدعونهم (من دونه) من دون الله (الشفاعة) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عندالله (الامن شهد بالحق) أى ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وهم يعلمون) ان الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك هوالذى يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع أو متصل لان فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لاالاصنام والملائكة (فأنى يؤفكون) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار (وقيله) بالجر عاصم وحمزة أى وعنده علم الساعة وعلم قيله

فى الارض (وهوالحكيم) فى امره وقضائه (العليم) بخلقه وتدبيره (وتبارك) تعالى وتبرأ عن الولد والشريك (الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) من الخلق (وعنده علم الساعة) علم قيام الساعة (واليه ترجعون) فى الآخرة (ولا يملك الذين يدعون) يعبدون (من دونه) من دون الله (الشفاعة) يقول لاتقدر الملائكة ان يشفعوا لاحد (الامن شهد بالحق) بلا اله الاالله مخلصا بها (وهم يعلمون) انها حق من قبل انفسهم نزلت هذه الآية فى بنى مليح حيث قالوا الملائكة بنات الله (ولئن سألتهم) يعنى بنى مليح (من خلقهم ليقولن الله) خلقنا (فانى يؤفكون) فمن اين يكذبون على الله بعد الاقرار (وقيله) قال محمد صلى الله عليه وسلم

واسبقكم الى طاعته والانقياد اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وادر على سبيل الفرض والمرا
نفي الولد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن
جبير للحجاج حين قال له والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ماعبدت الها غيرك وقيل ان كان للرحمن
ولد في زعمكم فأنا أول العابدين أي الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم
فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرئ العبدين وقيل هي ان النافية أي
ماكان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى ان النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر
ألاترون أنه صدقني فقال له الوليد ماصدقك ولكن قال ماكان للرحمن

ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة ان لاولد له ولد حمزة وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أي هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسما اذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسما لايكون له ولد لان التولد من صفة الاجسام (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي القيامة وهذا دليل على أن مايقولونه من باب الجهل والخوض واللعب (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) ضمن
اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما يقول هو حاتم في طيء
وحاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو جواد في طيء جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء
الله وفي الارض الله ومثله قوله وهو الله في السموات وفي الارض فكأنه ضمن معنى المعبود والراجع الى الموصول محذوف
لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل لك شيأ والتقدير وهو الذي هو في السماء اله واله يرتفع على أنه خبر مبتدأ

ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ماكان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم ﴿سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون﴾ عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها ﴿فذرهم يخوضوا﴾ في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ اى القيامة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة ﴿وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله﴾ مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم

عباس ان كان أي ماكان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لاولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين أي أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الآية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى ﴿سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون﴾ أي عما يقولونه من الكذب ﴿فذرهم يخوضوا﴾ أي في باطلهم ﴿ويلعبوا﴾ أي في دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ يعني يوم القيمة ﴿وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله﴾ أي هو الاله الذي يعبد في

اول المقرين بان ليس لله ولد ولاشريك (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) يقولون من الولد والشريك (فذرهم) اتركهم يامحمد (يخوضوا) في الباطل (ويلعبوا) يهزؤا بالقرآن (حتى يلاقوا) يعاينوا (يومهم الذي يوعدون) فيه الموت والعذاب (وهو الذي في السماء اله) هو اله كل شئ في السماء (وفي الارض اله) اله كل شئ

قال انكم ماكثون) لابثون فى العذاب لاتخلصون عنه بموت ولافتور (لقدجئناكم بالحق) كلام الله تعالى ويجب ان يكون فى قال ضمير الله لما سالوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك وقيل هومتصل بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذهم رسل الله وهو منهم (ولكن اكثركم للحق كارهون) لاتقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب

ام احكم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا كما ابرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (أم يحسبون انا لانسمع سرهم) حديث انفسهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا) اى الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك وعن يحيي بن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وابداها لمن لاتخفى عليه خافية فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من امارات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببرهان (فانا اول العابدين) فانا اول من يعظم ذلك الولد

سنة (قال انكم ماكثون) دائمون فى العذاب ولا تخرجون (لقد جئناكم بالحق) يقول جاء جبريل الى نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (ولكن اكثركم) كلكم (للحق) بمحمد عليه السلام والقرآن (كارهون) جاحدون (أم أبرموا أمرا)احكموا امرا فى شأن محمد(فانا مبرمون) محكمون امرا بهلاكهم (ام يحسبون) أيظنون يعنى صفوان بن امية وصاحبيه (انا لانسمع سرهم)فيما بينهم (ونجواهم) خلوتهم حول الكعبة (بلى) نسمع (ورسلنا لديهم) عندهم (يكتبون) سرهم ونجواهم وهم الحفظة(قل) يامحمد النضر بن الحرث وعلقمة (ان كان) ما كان (للرحمن ولد فانا اول العابدين)

فانه رجاء وتمن للموت من فرط الشدة ﴿ قال انكم ماكثون ﴾ لاخلاص لكم بموت ولاغيره ﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾ بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان فى قال ضمير الله والافجواب منه وكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ﴿ ولكن اكثركم للحق كارهون ﴾ لما فى اتباعه من اتعاب النفس وآداب الجوارح ﴿ أم أبرموا أمرا ﴾ فى تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته ﴿ فانا مبرمون ﴾ امرا فى مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او انه احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ﴿ أم يحسبون انا لانسمع سرهم ﴾ حديث نفسهم بذلك ﴿ ونجواهم ﴾ وتناجيهم ﴿ بلى ﴾ نسمعهما ﴿ ورسلنا ﴾ والحفظة مع ذلك ﴿ لديهم ﴾ ملازمة لهم ﴿ يكتبون ﴾ ذلك ﴿ قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ﴾ منكم فان النبى يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لايصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولايلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لوكان فيهما آلهة الاالله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا لاتشعر به ولابنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم بانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لوكان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه

مائة سنة وروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال ان أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم ﴿ قال انكم ماكثون ﴾ قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون فى العذاب ﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾ يقول أرسلنا اليكم يامعشر قريش رسولنا بالحق ﴿ ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا ﴾ أى أحكموا أمرا فى المكر بالرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ فانا مبرمون ﴾ أى محكمون أمرا فى مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم بمثله ﴿ أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم ﴾ أى مايسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم ﴿ بلى ﴾ نسمع ذلك كله ونعلمه ﴿ ورسلنا ﴾ يعنى الحفظة من الملائكة ﴿ لديهم يكتبون ﴾ قوله عز وجل ﴿ قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين ﴾ معناه ان كان للرحمن ولد فى قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبد الرحمن فانه لاشريك له ولاولد له وقال ابن

(وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون) تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبر والتى اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة المبتدأ الذى هو اسم الاشارة والتى اورثتموها صفة الجنة وبما كنتم تعملون الخبر والباء يتعلق بمحذوف اى حاصلة اوكائنة كما فى الظروف التى تقع اخبارا وفى الوجه الاول يتعلق باورثتموها وشبهت فى بقائها على اهلها بالميراث الباقى على الورثة (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) من للتبعيض اى لا تأكلون الا بعضها واعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار ابدا

وفى الحديث لاينزع احد فى الجنة من ثمرها الانبت مكانها مثلاها (ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لا يفتر عنهم) خبر آخر اى لا يخفف ولاينقص (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحيرون (وما ظلمناهم) بالعذاب (ولكن كانوا هم الظالمين) هم فصل (ونادوا يامالك) لما يئسوا من فتور العذاب نادوا يامالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يامال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) ليميتنا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضى علينا

(وانتم فيها) فى الجنة (خالدون) دائمون لاتموتون ولاتخرجون منها (وتلك الجنة) هذه الجنة (التى اورثتموها) انزلتموها جعلت لكم ميراثا (بما كنتم تعملون) وتقولون (مدنة) فى الدنيا (لكم فيها) فى الجنة (فاكهة) الوان الفاكهة (كثيرة منها) من الوان الفاكهة (تأكلون ان المجرمين) المشركين اباجهل واصحابه (فى عذاب جهنم خالدون) لايموتون ولايخرجون منها (لايفتر) لا يرفع (عنهم) العذاب ولايقطع (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الرفع ومن كل خير (وماظلمناهم) بهلاكهم وعذابهم (ولكن كانوا هم الظالمين) بالكفر والشرك (ونادوا يامالك) فلماقل صبرهم نادوا يامالك خازن النار (ليقض علينا ربك) الموت فيجيبهم مالك بعد اربعين

وذلك تعميم بعد تخصيص مايعد من الزوائد فى التنعم والتلذذ ﴿ وانتم فيها خالدون ﴾ فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر فى ثانى الحال ﴿ وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتى اورثتموها صفتها او تلك مبتدأ والجنة صفتها والتى اورثتموها خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف لاباورثتموها ﴿ لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾ بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ﴿ ان المجرمين ﴾ الكاملين فى الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم مايخص بالكفار ﴿ فى عذاب جهنم خالدون ﴾ خبر ان او خالدون خبر والظرف متعلق به ﴿ لايفتر عنهم ﴾ لايخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف ﴿ وهم فيه ﴾ فى العذاب ﴿ مبلسون ﴾ آيسون من النجاة ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ مرمثله غير مرة وهم فصل ﴿ ونادوا يامالك ﴾ وقرئ يامال على الترخيم مكسورا اومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لايستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ﴿ ليقض علينا ربك ﴾ والمعنى سل ربنا ان يقضى علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لاينافى ابلاسهم

أخرجه الترمذى ﴿ وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾ ورد فى الحديث أنه لاينزع أحد فى الجنة من ثمرها ثمرة الانبت مكانها مثلاها قوله تعالى ﴿ ان المجرمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم ﴾ أى لايخفف عنهم ﴿ وهم فيه مبلسون ﴾ أى آيسون من رحمة الله تعالى ﴿ وماظلمناهم ﴾ أى وماعذبناهم بغير ذنب ﴿ ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ أى لانفسهم بماجنوا عليها ﴿ ونادوا يامالك ﴾ يعنى يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون ﴿ ليقض علينا ربك ﴾ أى ليمتنا ربك فنستريح والمعنى أنهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد

ياعبادى) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وابوعمرو وبفتح الياء ابوبكر الباقون بحذف الياء (لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ (الذين) منصوب المحل صفة عبادى لانه منادى مضاف (آمنوا بآياتنا) صدقوا بآياتنا (وكانوا مسلمين) لله منقادين له (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم) المؤمنات فى الدنيا (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم (يطاف عليهم بصحاف) جمع صحفة (من ذهب واكواب) اى من ذهب ايضا والكوب الكوز لا عروة له (وفيها) وفى الجنة (ماتشتهيه الانفس) مدنى وشامى وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول (وتلذ الاعين) وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات فى القلوب او مستلذة فى العيون

لما كانت فى الله تبقى نافعة ابدالآباد ﴿ ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولاانتم تحزنون ﴾ حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرأ ابوعمرو وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء ﴿ الذين آمنوا بآياتنا ﴾ صفة للمنادى ﴿ وكانوا مسلمين ﴾ حال من الواو اى الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد وابلغ ﴿ ادخلوا الجنة انتم وازواجكم ﴾ نساءكم المؤمنات ﴿ تحبرون ﴾ تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم اوتزينون من الحبر وهو حسن الهيئة اوتكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب ﴾ الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له ﴿ وفيها ﴾ وفى الجنة ﴿ ماتشتهى الانفس ﴾ وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل ﴿ وتلذ الاعين ﴾ بمشاهدته

أى الا الموحدين المتحابين فى الله عزوجل المجتمعين على طاعته روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يامرنى بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم ويامرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك يارب فلاتضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول رب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب قوله عزوجل ﴿ ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولاانتم تحزنون ﴾ قيل ان الناس حين يبعثون ليس أحد منهم الافزع فينادى مناد ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم ﴿ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴾ أى تسرون وتنعمون ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب ﴾ جمع صحفة وهى القصعة الواسعة ﴿ وأكواب ﴾ جمع كوب وهواناء مستدير بلاعروة ﴿ وفيها ﴾ أى فى الجنة ﴿ ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين ﴾ عن عبدالرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة خيل فانى أحب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى أى الجنة شئت الافعلت وسأله آخر فقال يارسول الله هل فى الجنة من ابل فانى أحب الابل قال فلم يقل له ماقال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها مااشتهت نفسك ولذت عينك

(ياعباد لاخوف عليكم اليوم) حين يخاف غيركم (ولاانتم تحزنون) حين يحزن غيركم (الذين آمنوا بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وكانوا مسلمين) مخلصين بالعبادة والتوحيد (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم) حلائلكم الجنة (تحبرون) تكرمون بالتحف وتنعمون فى الجنة (يطاف (قا و خ ٥٦ مس) عليهم) فى الخدمة (بصحاف) بقصاع (من ذهب) فيها ألوان الطعام (واكواب) كيزان بلا آذان ولاعرى مدورة الرؤس فيها شرابهم (وفيها) فى الجنة (ماتشتهى الانفس) تمنى الانفس (وتلذ الاعين) تعجب الاعين بالنظر اليه

اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات اوبآيات الانجيل والشرائع البينات والواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) اى بالانجيل والشرائع (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو امر الدين لا امر الدنيا (فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية (من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) حيث قالوا فى عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم اليم) وهو يوم القيامة

بدل من الساعة اى هل ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة وهم لا يشعرون) اى وهم غافلون لاشتغالهم بامر دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الاخلاء) جمع خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو الا المتقين) اى المؤمنين وانتصاب يومئذ بعد واى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا الاخلة المتصادقين فى الله

للبينة ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات ﴾ بالمعجزات أوبآيات الانجيل أوبالشرائع الواضحات ﴿ قال قد جئتكم بالحكمة ﴾ بالانجيل اوالشريعة ﴿ ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه ﴾ وهو مايكون من امر الدين لامايتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم ﴿ فاتقوا الله واطيعون ﴾ فيما ابلغه عنه ﴿ ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه ﴾ بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى صلى الله عليه وسلم اواستئناف من الله يدل على ماهو المقتضى للطاعة فى ذلك ﴿ فاختلف الاحزاب ﴾ الفرق المتحزبة ﴿ من بينهم ﴾ من بين النصارى اواليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم ﴿ فويل للذين ظلموا ﴾ من المتحزبين ﴿ من عذاب يوم اليم ﴾ القيامة ﴿ هل ينظرون الا الساعة ﴾ الضمير لقريش اوللذين ظلموا ﴿ ان تأتيهم ﴾ بدل من الساعة والمعنى هل ينتظرون الا اتيان الساعة ﴿ بغتة ﴾ فجأة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها ﴿ الاخلاء ﴾ الاحباء ﴿ يومئذ بعضهم لبعض عدو ﴾ اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ماكانوا يتخالون له سببا للعذاب ﴿ الا المتقين ﴾ فان خلتهم

ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ﴾ أى بالنبوة ﴿ ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه ﴾ أى من أحكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى أمر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى الانجيل وهو بعض الذى اختلفوا فيه فبين لهم عيسى فى غير الانجيل مااحتاجوا اليه ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ أى فيما آمركم به ﴿ ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم ﴾ أى اختلاف الفرق المتحزبة بعد عيسى ﴿ فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون ﴾ أى ينتظرون ﴿ الا الساعة أن تأتيهم بغتة ﴾ أى فجأة والمعنى انها تأتيهم لامحالة ﴿ وهم لايشعرون الاخلاء ﴾ أى على الكفر والمعصية فى الدنيا ﴿ يومئذ ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ بعضهم لبعض عدو ﴾ أى ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة ﴿ الا المتقين ﴾

(ولما جاء عيسى بالبينات) بالامر والنهى والعجائب (قال قد جئتكم بالحكمة) بالامر والنهى والنبوة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) تخالفون فى الدين (فاتقوا الله) فاخشوا الله فيما امركم (واطيعون) اتبعوا وصيتى

وقولى (ان الله هو ربى) خالقى (وربكم) خالقكم (فاعبدوه) فوحدوه (هذا) التوحيد (صراط) (ى) مستقيم) دين قائم يرضاه (فاختلف الاحزاب) النصارى (من بينهم) فيما بينهم فى عيسى فقال بعضهم هو ابن الله وهم النسطورية وقال بعضهم هو الله وهم الماريعقوبية وقال بعضهم هو شريكه وهم الملكانية وقال بعضهم هو ثالث ثلاثة وهم المرقوسية (فويل) شدة عذاب (للذين ظلموا) تحزبوا فى عيسى (من عذاب يوم اليم) وجيع (هل ينظرون) ماينتظرون اذ لايتوبون عن مقالتهم (الا الساعة) الاقيام الساعة (ان تأتيهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) لايعلمون بنزول العذاب بهم (الاخلاء) فى المعصية (يومئذ) يوم القيامة مثل عقبة بن ابى معيط وابى بن خلف (بعضهم لبعض عدو الا المتقين) الكفر والشرك والفواحش مثل ابى بكر وعمر وعثمان وعلى واصحابهم فانهم ليسوا كذلك فيقول الله

وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ماهو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقهـا ابداعا فمن اين لهم استحقـاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وتعالى ﴿ وانه ﴾ وان عيسى ﴿ لعلم للساعة ﴾ لان حدوثه اونزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها اولان احياءه الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اى علامة ولذكر على تسمية مايذكر به ذكرا • وفى الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسـة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والنـاس فى صلاة الصبح والامام يؤم بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد عليهما السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس و يقتل النصـارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالسـاعة والدلالة عليها ﴿ فلا تمترن بها ﴾ فلا تشكن فيها ﴿ واتبعون ﴾ واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله ﴿ هذا ﴾ هذا الذى ادعوكم اليه ﴿ صراط مستقيم ﴾ لايضل سالكه ﴿ ولايصدنكم الشيطان ﴾ عن المتابعة ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ ثابت عداوته بان اخرجكم من الجنة وعرضكم

الارض ويعبدونى ويطيعونى وقيل يخلف بعضهم بعضا ﴿وانه﴾ يعنى عيسى ﴿لعلم للساعة ﴾ يعنى نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله أحده وفى رواية أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبين عيسى نبى وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجـل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقـاتل النـاس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله تعـالى فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم • وفى رواية فأمكم منكم قال ابن أبى ذؤيب فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى أنه ينزل عيسى وبيده حربة وهى التى يقتل بها الدجال فيأتى بيت المقدس والنـاس فى صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنـازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن وقيل فى معنى الآية وانه أى وان القرآن لعلم للساعة أى يعلم قيامها ويخبركم باحوالها وأهوالها ﴿ فلا تمترن بها ﴾ أى لاتشكون فيهـا وقال ابن عبـاس لاتكذبوا بها ﴿ واتبعونى ﴾ أى على التوحيد ﴿ هذا ﴾ أى الذى أنا عليه ﴿ صراط مستقيم ولا يصدنكم ﴾ أى لايصرفكم ﴿ الشيطان ﴾ أى عن دين الله الذى أمر به ﴿ انه ﴾ يعنى الشيطان ﴿ لكم عدو مبين

على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا منكم يارجال ملائكة يخلفونكم فى الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقـدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسـام لاتتولد الا من اجسام والقديم متعـال عن ذلك (وانه لعـلم للسـاعة) وان عيسى مما يعلم به مجئ الساعة وقرأ ابن عبـاس لعلم للسـاعة وهو العلامة اى وان نزوله لعلم للساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك (واتبعون) وبالياء فيهما سهل ويعقوب اى واتبعوا هداى وشرعى او رسـولى او هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله (هـذا صراط مستقيم) اى هذا الذى ادعوكم اليه (ولا يصدنكم الشيطان) عن الايمان بالسـاعة او عن الاتبـاع (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة اذ

(وانه) يعنى نزول عيسى ابن مريم (لعلم للساعة) لبيان قيام الساعة و يقال علامة لقيام الساعة ان قرأت بنصب العين واللام (فلا تمترن بها) فلا تشكن بها بقيام الساعة (واتبعون) بالتوحيد (هذا) التوحيد (صراط مستقيم) دين قائم يرضاه وهو الاسلام (ولايصدنكم) لا يصرفنكم (الشيطان) عن دين الاسلام والاقرار بقيام الساعة (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة

عنـه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) أى ماضربوا هذا المثل (لك الاجدلا) الالاجل الجدل والغلبة فى القول لالطلب الميز بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لدشداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك ان قوله تعالى انكم وماتعبدون لم يرد به

الاالاصنام لان مالغير العقلاء الاأن ابن الزبعرى بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به أصنامهم لاغير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غيرالله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه (ان هو) ماعيسى (الاعبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبنى اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض) اى بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل (يخلفون)

(وقالوا) يعنى عبدالله بن الزبعرى (أآلهتنا خير) يامحمد (أم هو) يعنى عيسى ابن مريم ان جازله فى النار مع النصارى يجوزلنا فى النار مع آلهتنا (ماضربوه لك) ماذكروا لك (الاجدلا) لالمجـدل والخصومة (بل هم قوم خصمون) جدلون بالباطل (ان هو) ماهو يعنى عيسى ابن مريم (الاعبد انعمنا عليه) بالرسالة وليس هو كآلهتهم (وجعلناه مثلا) عبرة (لبنى اسرائيل) ولدا بلااب (ولو نشاء لجعلنا منكم) بمكانكم ويقال خلقنا منكم (ملائكة فى الارض يخلفون) خلفاء منكم بدلكم ويقال يمشون فى الارض بدلكم

عامر والكسائى بالضم من الصدود اى يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف ﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو﴾ اى آلهتنا خير عندك أم عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه أو آلهتنا الملائكة خير أم عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك أو آلهتنا خير أم محمد عليه السلام فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين والالف بعدهما والباقون بتليين الثانية ﴿ماضربوه لك الاجدلا﴾ ماضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل ﴿بل هم قوم خصمون﴾ شداد الخصومة حراص على اللجاج ﴿ان هو الا عبد انعمنا عليه﴾ بالنبوة ﴿وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل﴾ امرا عجيبا كالمثل السائر لبنى اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ لولدنا منكم يارجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ﴿ملائكة فى الارض يخلفون﴾ ملائكة يخلفونكم فى الارض والمعنى ان حال عيسى عليه السلام

أى يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا مايريد منا الا أن نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعنى عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد ان كل ماعبد من دون الله فى النار فنحن قدر ضينا ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة فى النار قال الله تعالى ﴿ما ضربوه﴾ يعنى هذا المثل ﴿لك الاجدلا﴾ أى خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام ﴿بل هم قوم خصمون﴾ أى بالبطل * عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضل قوم بعدهدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى ﴿ان هو﴾ أى ماعيسى ﴿الاعبد انعمنا عليه﴾ أى بالنبوة ﴿وجعلناه مثلا﴾ أى آية وعبرة ﴿لبنى اسرائيل﴾ يعرفون به قدرة الله على مايشاء حيث خلقه من غير أب ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ الخطاب لاهل مكة ﴿ملائكة﴾ معناه لونشاء لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة ﴿فى الارض يخلفون﴾ أى يكونون خلفا منكم يعمرون

آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين) آسف منقول من أسف أسفا اذا اشتد غضبه ومعناه انهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن يجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لانحلم عنهم (فجعلناهم سلفا) جمع سالف كخادم وخدم سلفا حمزة وعلى جمع سليف أى فريق قد سلف (ومثلا) وحديثا عجيب الشان سائرا مسير المثل يضرب بهم الامثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون (للآخرين) لمن يجئ بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (ولما ضرب ابن مريم مثلا) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وماتعبدون

جهنم غضبوا فقال ابن الزبعرى يامحمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال ألست تزعم ان عيسى ابن مريم نبى وتثنى عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك

آسفونا ﴾ اغضبونا بالافراط فى العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه ﴿ انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين ﴾ فى اليم ﴿ فجعلناهم سلفا ﴾ قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به اوجمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام جمع سليف كرغف اوسالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة اوعلى انه جمع سلفة اى ثلة سلفت ﴿ ومثلا للآخرين ﴾ وعظة لهم اوقصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا ﴾ اى ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك اوعلى قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا عليه السلام يريد ان نعبده كما عبد المسيح ﴿ اذا قومك ﴾ قريش ﴿ منه ﴾ من هذا المثل ﴿ يصدون ﴾ يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقرأ نافع وابن

آسفونا ﴾ أى أغضبونا وهو فى حق الله تعالى ارادته العقاب وهو قوله تعالى ﴿ انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ يعنى جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجئ من بعدهم قوله تعالى ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا ﴾ قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى مجادلة عبدالله بن الزبعرى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره فى سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبدالله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل رسول الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه ﴿ اذا قومك ﴾ يعنى قريشا ﴿ منه ﴾ أى من المثل ﴿ يصدون ﴾

قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات النبى صلى الله عليه وسلم بجدله يصدون مدنى وشامى والاعشى وعلى من الصدود أى من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون

آسفونا) اغضبوا نبينا موسى ومالوا الى غضبنا (انتقمنا منهم) بالعذاب (فاغرقناهم اجمعين) فى البحر (فجعلناهم سلفا) ذهابا بالعذاب (ومثلا) عبرة (للآخرين) لمن بقى بعدهم (ولما ضرب ابن مريم مثلا) شبهوه بآلهتهم (اذا قومك منه) من قول عبدالله بن الزبعرى واصحابه (يصدون) يضحكون

الخصيب وكان خادمه على وضوئه وعن عبدالله بن طاهر أنه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من أن أدخلها فثنى عنانه (أفلا تبصرون) قوتى وضعف موسى وغناى وفقره (أم أنا خير) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه حالى (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) الكلام لما كان به من الرتة (فلولا) فهلا (ألقى عليه أسورة) حفص ويعقوب وسهل جمع أسوار غيرهم أساورة جمع أسورة وأساوير جمع أسوار وهو السوار حذف الياء من أساوير وعوض منها التاء (من ذهب) أراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (أو جاء معه الملائكة مقترنين) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه (فاستخف قومه) استفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة وهى الاسراع (فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين من دين الله (فلما

فتجرى حال منها أو واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبرها ﴿ أفلا تبصرون ﴾ ذلك ﴿ أم أنا خير ﴾ مع هذه المملكة والبسطة ﴿ من هذا الذى هو مهين ﴾ ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهى القلة ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وأم اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى خير منه ﴿ فلولا ألقى عليه اساورة من ذهب ﴾ اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهى جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿ او جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ مقرونين به يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن ﴿ فاستخف قومه ﴾ فطلب منهم الخفة فى مطاوعته او فاستخف احلامهم ﴿ فأطاعوه ﴾ فيما امرهم به ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق ﴿ فلما

تجرى بين يدى جنانى وبساتينى وقيل تجرى بأمرى ﴿ أفلا تبصرون ﴾ أى عظمتى وشدة ملكى ﴿ أم أنا ﴾ أى بل أنا ﴿ خير ﴾ وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير ﴿ من هذا الذى هو مهين ﴾ أى ضعيف حقير يعنى موسى ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ أى يفصح بكلامه للثغة التى كانت فى لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام ﴿ فلولا ألقى عليه ﴾ أى ان كان صادقا ﴿ أسورة من ذهب ﴾ قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته ﴿ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ أى متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره قال الله تعالى ﴿ فاستخف ﴾ يعنى فرعون ﴿ قومه ﴾ يعنى القبط أى وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل ﴿ فأطاعوه ﴾ أى على تكذيب موسى ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ يعنى حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به ﴿ فلما

(أفلا تبصرون أم أنا خير) انى خير (من هذا الذى هو مهين) ضعيف فى بدنه (ولا يكاد يبين) يبين حجته (فلولا ألقى عليه اسورة) هلا ألبس عليه اقبية (من ذهب) كما لكم (او جاء معه الملائكة مقترنين) معاونين مصدقين له بالرسالة (فاستخف) فاستزل (قومه) القبط (فأطاعوه) فى قوله (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (فلما (آسفونا)

وأخذناهم بالعذاب) وهو ماقال تعالى ولقد أخذ آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم الطوفان آية (لعلهم يرجعون) عن الكفر الى الايمان (وقالوا ياأيه الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم سحر ياأيه الساحر بضم الهاء بلا ألف شامي ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت لالتقاء ساكنين اتبعت حركتها حركة ماقبلها (ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (اننا لمهتدون) مؤمنون به (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) ينقضون العهد بالايمان ولايفون به (ونادى فرعون) نادى بنفسه عظماء القبط أو أمر مناديا فنادى كقولك قطع الامير اللص اذا أمر بقطعه (في قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعا له (قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار) أي أنهار النيل ومعظمها أربعة (تجري من تحتي) من تحت قصري وقيل بين يدي في جناني والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها أو الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدأ وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها أخس عبيدي فولاها

(وأخذناهم بالعذاب) بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والنقص والسنين (لعلهم يرجعون) لكي يرجعوا عن كفرهم (وقالوا ياأيه الساحر) العالم يوقرونه بذلك وكان الساحر فيهم عظيما (ادع لنا ربك بما عهد عندك) سل لنا ربك بما عهد الله لك وكان عهد الله لموسى ان آمنوا كشفنا عنهم العذاب فمن ذلك قالوا بما عهد الله عندك (اننا لمهتدون) مؤمنون بك وبما جئت به (فلما كشفنا) رفعنا (عنهم العذاب اذاهم ينكثون) ينقضون عهودهم ولايؤمنون (ونادى فرعون في قومه) خطب فرعون قومه القبط (قال ياقوم أليس لي ملك مصر) اربعين فرسخا في اربعين فرسخا (وهذه الانهار تجري من تحتي) من حولي ويقال عني بها الافراس تجري من تحتي

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم التي يسرى بها الساري

اوالا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار ﴿ واخذناهم بالعذاب ﴾ كالسنين والطوفان والجراد ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ على وجه يرجى رجوعهم ﴿ وقالوا ياأيه الساحر ﴾ نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم اولانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ﴿ ادع لنا ربك ﴾ اى تدعو لنا فيكشف عنا العذاب ﴿ بما عهد عندك ﴾ بعهده عندك من النبوة اومن ان يستجيب دعوتك اوان يكشف العذاب عمن اهتدى اوبما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة ﴿ اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ﴾ فاجأوا نكث عهدهم بالاهتداء ﴿ ونادى فرعون ﴾ بنفسه اوبمناديه ﴿ في قومه ﴾ في مجمعهم اوفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم ﴿ قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار ﴾ انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس ﴿ تجري من تحتي ﴾ تحت قصري اوامري اوبين يدي في جناني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك

التي قبلها ﴿ واخذناهم بالعذاب ﴾ اي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات دلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي عن كفرهم ﴿ وقالوا ﴾ يعني لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب ﴿ ياأيه الساحر ﴾ أي العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه ياأيها الذي غلبنا بسحره ﴿ ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾ أي بما أخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمنا كشف عنا العذاب فاسأله أن يكشفه عنا ﴿ اننا لمهتدون ﴾ أي لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ﴾ أي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ﴿ ونادى فرعون في قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي ﴾ يعني أنهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه

جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يد
و تعقيب رالله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لاحاجة الى غيرها وقيل ا
عليه السلام جمع له الانبياء ليلة الاسراء فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وه
أهل الكتابين أى التوراة والانجيل وانما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ومعنى هذا السؤا
التقرير لعبدة الاوثان انهم على الباطل وسل بلا همز مكى وعلى وسل رسلنا أبو عمرو ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقو
(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين) ما أجابوه به عند قوله انى رسو
رب العالمين محذوف { الجزء الخامس والعشرون } ٤٣٤ دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو
مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذا هم منها يضحكون) يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا و اذا للمفاجأة وهو جواب فلما لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محل اذا كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الاهى أكبر من أختها) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها فى نقض العادة وظاهر النظم يدل على ان اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر ولايكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما اخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر

ملتهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ﴿ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول من رب العالمين ﴾ يريد باقتصاصه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام الى التوحيد ﴿ فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون ﴾ فاجأوا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها ﴿ وما نريهم من آية الاهى اكبر من اختها ﴾ الا وهى بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله

فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا اسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسرى به وامر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال اكثر المفسرين معناه سل مؤمنى اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى اكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل * قوله تعالى ﴿ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون ﴾ اى يسخرون ﴿ وما نريهم من آية الاهى اكبر من اختها ﴾ اى من قرينتها

من دون الرحمن مقدم ومؤخر ويقال سلهم هل أمرنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (التى)
وفيها وجه آخر يقول سل الذى أرسلنا اليهم الرسل من قبلك يعنى أهل الكتاب أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
يقول سل هل جاءت الرسل الا بالتوحيد فلم يسألهم النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان موقنا بذلك (ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا) باليد والعصا (الى فرعون وملئه) قومه القبط (فقال انى رسول رب العالمين) اليكم (فلما جاءهم) موسى
(بآياتنا) باليد والعصا (اذا هم منها) من الآيات (يضحكون) يتعجبون ويسخرون فلا يؤمنون بها (وما نريهم من آية)
من علامة (الاهى أكبر من أختها) أعظم من التى كانت قبلها فلم يؤمنوا بها

(فانامنهم منتقمون) أشد الانتقام في الآخرة (أو نرينك الذي وعدناهم) قبل ان نتوفينك يوم بدر (فانا عليهم مقتدرون) قادرون وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال عن بقوله أفأنت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فاما نذهبن بك الآيتين (فاستمسك) فتمسك (بالذى أوحى اليك) وهو القرآن واعمل به (انك على صراط مستقيم) على الدين الذى لاعوج له (وانه) وان الذى اوحى اليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولامتك (وسوف تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل

اى فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة ﴿فانا منهم منتقمون﴾ بعذاب فى الدنيا والآخرة ﴿أو نرينك الذى وعدناهم﴾ اوان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب ﴿فانا عليهم مقتدرون﴾ لايفوتوننا ﴿فاستمسك بالذى اوحى اليك﴾ من الآيات والشرائع ٭ وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿انك على صراط مستقيم﴾ لاعوج له ﴿وانه لذكر لك﴾ لشرف لك ﴿ولقومك وسوف تسئلون﴾ اى عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه ﴿واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا﴾ اى واسئل اممهم وعلماء دينهم ﴿أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من

﴿فانا منهم منتقمون﴾ اى بالقتل بعدك ﴿او نرينك﴾ اى فى حياتك ﴿الذى وعدناهم﴾ اى من العذاب ﴿فانا عليهم مقتدرون﴾ اى قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم واراد بهم مشركى مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حياته او بعد وفاته وهذا قول اكثر المفسرين وقيل عنى به مايكون فى امته وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فى امته ولكن اكرم الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره فى امته الا الذى تقر به عينه وابقى النقمة بعده وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم ارى مايصيب امته بعده فما رؤى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى ﴿فاستمسك بالذى اوحى اليك﴾ يعنى القرآن ﴿انك على صراط مستقيم﴾ اى على دين مستقيم لايميل عنه الا الضال ﴿وانه﴾ يعنى القرآن ﴿لذكر﴾ اى لشرف عظيم ﴿لك ولقومك وسوف تسئلون﴾ يعنى عن حقه واداء شكره وروى ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشئ حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال هذا الامر فى قريش مابقى منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لايعاديهم احد الا اكبه الله تعالى على وجهه ما اقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذكر لك اى ذلك شرف لك مما اعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعنى المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه ٭ قوله تعالى ﴿واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ اختلف العلماء من هؤلاء المسؤلون فروى عن ابن عباس فى رواية عنه لما اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين

(فانامنهم منتقمون) بالعذاب (أو نرينك الذى وعدناهم) يوم بدر (فاناعليهم مقتدرون) على عذابهم قادرون قبل موتك وبعد موتك (فستمسك) اعمل (بالذى أوحى اليك) يعنى القرآن (انك) يامحمد (على صراط مستقيم) على دين قائم برضاه (وانه) يعنى القرآن (لذكر لك) شرف لك (ولقومك) قريش لانه بلغتهم (وسوف تسئلون) عن شكر (قا و خا ٥٥ س) هذا الشرف (واسئل من أرسلنا من قبلك) يامحمد (من رسلنا) مثل عيسى وموسى وابراهيم وهذا فى الليلة التى أسرى به الى السماء وصلى بسبعين نبيا مثل ابراهيم وموسى وعيسى فأمر الله نبيه أن سلهم يامحمد (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) يقول سلهم هل جعلنا آلهة يعبدون

(قال) لشيطانه (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) اذ صح ظلمكم أى كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين و اذ بدل من اليوم (أنكم في العذاب مشتركون) انكم في محل الرفع على الفاعلية اى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب أو كونكم مشتركين في العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب في الدنيا كقول الخنساء ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسي * ولا يبكون مثل أخي ولكن * أعزي النفس عنه بالتأسي * أما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ماهم فيه وقيل الفاعل مضمر أى ولا ينفعكم هذا التمني أو الاعتذار لانكم في العذاب مشتركون لاشتراككم في سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ انكم بالكسر (أفأنت تسمع الصم) أى من فقد سمع القبول (أو تهدى العمى) أى من فقد البصر (ومن كان في ضلال مبين) ومن كان في علم الله انه يموت على الضلال (فاما) دخلت ما على ان توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة في (نذهبن بك) أى نتوفينك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم

والشيطان ﴿ قال ﴾ اى العاشى للشيطان ﴿ ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ﴾ بعد المشرق والمغرب فغلب المشرق من المغرب وثنى واضيف البعد اليهما ﴿ فبئس القرين ﴾ انت ﴿ ولن ينفعكم اليوم ﴾ اى ما انتم عليه من التمنى ﴿ اذ ظلمتم ﴾ اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم ﴿ انكم في العذاب مشتركون ﴾ لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوى الاول ﴿ أفأنت تسمع الصم او تهدى العمى ﴾ انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ﴿ ومن كان في ضلال مبين ﴾ عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى ﴿ فاما نذهبن بك ﴾

جاآنا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة ﴿ قال ﴾ الكافر لقرينه الشيطان ﴿ ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ﴾ أى بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابي بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول أصح ﴿ فبئس القرين ﴾ يعنى الشيطان قال أبو سعيد الخدرى اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصيرا الى النار ﴿ ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم ﴾ يعنى أشركتم ﴿ انكم في العذاب مشتركون ﴾ يعنى لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيأ لان كل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر ﴿ أفأنت تسمع الصم او تهدى العمى ومن كان في ضلال مبين ﴾ يعنى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب انهم لا يؤمنون * قوله عز وجل (فاما نذهبن بك) اى بان نميتك قبل ان نعذبهم

(قال) لقرينه الشيطان (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) مشرق الشتاء والصيف (فبئس القرين) الصاحب والرفيق الشيطان (ولن ينفعكم) يقول الله ولن ينفعكم (اليوم) (فانا) هذا الكلام (اذ ظلمتم) كفرتم في الدنيا (أنكم في العذاب مشتركو) الشياطين وبنو آدم (أفأنت تسمع) ق والهدى يا محمد (الصم) من يتصامم وهو الكافر (أو تهدى العمى) حتى يبصر الحق و الهدى وهو الكافر (ومن كان في ضلال مبين) في كفر بين لا تقدر أن ترشده الى الهدى (فاما نذهبن بك) نميتك

ى وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) أى ثواب الآخرة (عندربك للمتقين) لمن يتقى الشرك (ومن يعش)
.قرئ ومن يعش والفرق بينهما أنه اذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى يعشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا
عشو أومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن

لقوله صم بكم عمى ومعنى
لقراءة بالضم ومن يتعام
عن ذكره أى يعرف انه
الحق وهو يتجاهل كقوله
وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم (نقيض له شيطانا
فهوله قرين) قال ابن عباس
رضى الله عنهما نسلطه
عليه فهو معه فى الدنيا
والآخرة يحمله على
المعاصى وفيه اشارة الى ان
من داوم عليه لم يقرنه
الشيطان (وانهم) أى
الشياطين (ليصدونهم)
ليمنعون العاشين (عن
السبيل) عن سبيل الهدى
(ويحسبون) أى العاشون
(انهم مهتدون) وانما جمع
ضمير من وضمير الشيطان
لان من مبهم فى جنس
العاشى وقد قيض له شيطان
مبهم من جنسه فجاز ان
يرجع الضمير اليهما مجموعا
(حتى اذا جاءنا) على
الواحد عراقى غير أبى
بكر اى العاشى جاآنا
غيرهم أى العاشى وقرينه

﴿ والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ الكفر والمعاصى وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم
فى الآخرة لا فى الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان
وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى مالهم فى الآخرة مخل فى الاغلب لما فيه من الآفات التى قل
من يتخلص منها كما اشار اليه بقوله ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن ﴾ يتعام و يعرض
عنه بفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه فى الشهوات ٭ وقرئ يعش بالفتح اى يعم يقال
عشى اذا كان فى بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من
موصولة ﴿ نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ يوسوسه ويغويه دائما ٭ وقرأ يعقوب بالياء
على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغى ان يرفعه ﴿ وانهم ليصدونهم عن السبيل ﴾
عن الطريق الذى من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشى والشيطان
المقيد له ﴿ ويحسبون انهم مهتدون ﴾ الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان
﴿ حتى اذا جاءنا ﴾ اى العاشى وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاآنا اى العاشى

يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضى لان الدنيا سريعة الزوال والذهاب ﴿ والآخرة عند ربك
للمتقين ﴾ يعنى الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا ٭ عن سهل بن سعد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها
شربة ماء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ٭ وعن المستورد بن شداد حدثنى
فهر قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من
هوانها ألقوها يارسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه
الترمذى وقال حديث حسن ٭ وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء أخرجه الترمذى
وقال حديث حسن غريب (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ٭ قوله تعالى ﴿ ومن يعش ﴾
أى يعرض ﴿ عن ذكر الرحمن ﴾ أى فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره
عن القرآن ﴿ نقيض له شيطانا ﴾ أى نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه ﴿ فهو له
قرين ﴾ يعنى لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى ﴿ وانهم ﴾ يعنى
الشياطين ﴿ ليصدونهم عن السبيل ﴾ يعنى يمنعونهم عن الهدى ﴿ ويحسبون انهم مهتدون ﴾
يعنى ويحسب كفار بنى آدم انهم على الهدى ﴿ حتى اذا جاءنا ﴾ يعنى الكافر وحده وقرئ

صاة ويقال كل ذلك متاع
الحيوة الدنيا ولما علة (والآخرة) يعنى الجنة (عند ربك للمتقين) الكفر والشرك والفواحش خير من متاع الدنيا (ومن يعش) يعرض
يقال على ان قرأت بالخفض ويقال يعم ان قرأت بالنصب (عن ذكر الرحمن) عن توحيد الرحمن وكتابه (نقيض له شيطانا) نجعل له
قرينا من الشيطان (فهو له قرين) فى الدنيا وفى النار (وانهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم) ليصرفونهم (عن السبيل) عن سبيل الحق
الهدى (ويحسبون) يظنون (أنهم مهتدون) بالحق والهدى (حتى اذا جاءنا) يعنى ابن آدم وقرينه الشيطان فى سلسلة واحدة

عاله وهذا باعماله (ورحت ربك) أى النبوة أودين الله ومايتبعه من الفوز فى المآب (خيرمما يجمعون) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه مايقرر قلة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندنا (لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج { الجزء الخامس والعشرون } عليها يظهرون ﴿٤٣٠﴾ ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا) أى لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنالهم زخرفا أى زينة من كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف أى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سقفا على الجنس مكى وأبو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهى المصاعد الى العلالى عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح أى يعلونها (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) ان نافية ولما بمعنى الا أى وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقد قرئ به وقرأ لما غير عاصم وحمزة على ان اللام هى الفارقة بين ان المخففة والنافية وماصلة

(ورحمة ربك) النبوة والكتاب ويقال الجنة للمؤمنين (خيرمما يجمعون) مما يجمع الكفار فى الدنيا من المال والزهرة (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) على ملة واحدة ملة الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا) سماء بيوتهم (من فضة ومعارج) درجات (عليها يظهرون) يرتقون من فضة (ولبيوتهم أبوابا) من فضة (وسررا) من فضة (عليها يتكئون) ينامون (وزخرفا) ذهبا وكل شئ لهم من أوانى منازلهم من الذهب والفضة (وان كل ذلك لما) يقول وما كل ذلك الا (متاع الحيوة الدنيا) والميم (يستمتع)

بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم تألف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال فى الموسع ولا لنقصان فى المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا فى ذلك ولا تصرف فكيف يكون التصرف فيما هو اعلى منه ﴿ ورحمة ربك ﴾ هذه يعنى النبوة ومايتبعها ﴿ خير مما يجمعون ﴾ من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ﴿ ولولا ان يكون الناس امة واحدة ﴾ لولا ان يرغبوا فى الكفر اذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ﴾ ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج ﴿ عليها يظهرون ﴾ يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة فى سقف ﴿ ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون ﴾ اى ابوابا وسررا من فضة ﴿ وزخرفا ﴾ وزينة عطف على سقفا اوذهبا عطف على محل من فضة ﴿ وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ﴾ ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به معان وما

لوانا سوينا بينهم فى كل الاحوال لم يخدم أحد أحدا ولم يصر أحد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضى ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فتسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك ﴿ ورحمت ربك ﴾ يعنى الجنة ﴿ خير ﴾ يعنى للمؤمنين ﴿ مما يجمعون ﴾ أى يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى أبد الآبدين ✻ قوله عز وجل ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ أى لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذ رأوا الكفار فى سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار أكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ﴾ يعنى مصاعد ودرجات من فضة ﴿ عليها يظهرون ﴾ يعنى يصعدون ويرتقون عليها ﴿ ولبيوتهم أبوابا ﴾ أى من فضة ﴿ وسررا ﴾ أى وجعلنا لهم سررا من فضة ﴿ عليها يتكئون وزخرفا ﴾ أى وجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شئ ﴿ وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ﴾ يعنى ان الانسان

القرآن (قالوا هذا سحر وانابه كافرون وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) فيه استهانة به (على رجل من القريتين عظيم) اى رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من احدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفى وارادوا بالعظيم من كان ذامال وذا جاه ولم يعرفوا ان العظيم من كان عند الله عظيما (اهم يقسمون رحمت ربك) اى النبوة والهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم فى اختيار من يصلح للنبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) مايعيشون به وهو أرزاقهم (فى الحيوة الدنيا) أى لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة أو كما فضلت البعض على البعض فى الرزق فكذا أخص بالنبوة من أشاء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أى جعلنا البعض أقوياء وأغنياء وموالى والبعض ضعفاء وفقراء وخدما (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا الى منافعهم هذا

﴿قالوا هذا سحر وانابه كافرون﴾ زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين﴾ اى من احدى القريتين مكة والطائف ﴿عظيم﴾ بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فان الرسالة منصب عظيم لايليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة عظيمة روحانية تستدعى عظم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية ﴿اهم يقسمون رحمت ربك﴾ انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا﴾ وهم عاجزون عن تدبيرها وهى خويصة امرهم فى دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التى هى اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ واوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره ﴿ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ ليستعمل بعضهم

﴿قالوا هذا سحر وانابه كافرون﴾ قوله عز وجل ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لايليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا فى هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفى من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفى قال الله تعالى ردا عليهم ﴿أهم يقسمون رحمت ربك﴾ معناه أبايديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا﴾ أى نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض فى حكمنا فى أحوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا فى تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ يعنى

(قالوا هذا) يعنون الكتاب (سحر) كذب (وانابه) بمحمد عليه السلام والقرآن (كافرون) جاحدون (وقالوا) يعنى كفار مكة وليد وأصحابه (لولا) هلا (نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يقول على رجل عظيم كالوليد بن المغيرة وأبى مسعود الثقفى من القريتين من مكة والطائف (أهم يقسمون رحمت ربك) يعنى نبوة ربك وكتاب ربك فيقسمون لمن شاؤا (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) بالمال والولد (فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) فضائل بالمال والولد (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أى مسخرا خدما وعبيدا

كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه) أي واذكر اذقال (انني براء) أي برئ وهو مصدر يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى

ذو عدل ... عدل (مما تعبدون الا الذى فطرنى

استثناء منقطع كأنه قال لكن الذى فطرنى (فانه سيهدين) يثبتنى على الهداية (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فلم يزل فيهم من يوحد الله ويدعوالى توحيده (لعلهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحده منهم والترجى لابراهيم (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعنى أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) أى القرآن (ورسول) محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (ولما جاءهم الحق

كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ولا تكترث بتكذيبهم ﴿ واذ قال ابراهيم ﴾ واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل اوليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم ﴿ لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون ﴾ برئ من عبادتكم اومعبوديكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء ككريم وكرام ﴿ الا الذى فطرنى ﴾ استثناء منقطع اومتصل على ان ماتعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان اوصفة على ان ما موصوفة اى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى ﴿ فانه سيهدين ﴾ سيثبتنى على الهداية اوسيهدينى الى ماوراء ماهدانى اليه ﴿ وجعلها ﴾ وجعل ابراهيم عليه السلام اوالله كلمة التوحيد ﴿ كلمة باقية فى عقبه ﴾ فى ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه اى فيمن عقبه ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده ﴿ بل متعت هؤلاء ﴾ هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش ﴿ وآباءهم ﴾ بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ دعوة التوحيد اوالقرآن ﴿ ورسول مبين ﴾ ظاهر الرسالة بماله من المعجزات ومبين للتوحيد بالحجج والآيات ﴿ ولما جاءهم الحق ﴾ لينبههم عن غفلتهم

كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ قوله تعالى ﴿ واذقال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء ﴾ أى برئ ﴿ مما تعبدون الا الذى فطرنى ﴾ معناه أنا أتبرأ مما تعبدون الامن الله الذى خلقنى ﴿ فانه سيهدين ﴾ أى يرشدنى الى دينه ﴿ وجعلها ﴾ أى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى لااله الاالله ﴿ كلمة باقية فى عقبه ﴾ أى فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أى لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ بل متعت هؤلاء ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ وآباءهم ﴾ فى الدنيا بالمد فى العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ يعنى القرآن وقيل الاسلام ﴿ ورسول ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ مبين ﴾ أى يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة وأوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى ﴿ ولما جاءهم الحق ﴾ يعنى القرآن

كيف كان عاقبة المكذبين) آخر أمر المكذبين بالكتب والرسل (واذ قال ابراهيم لابيه) آزر (وقومه) حين جاء اليهم (اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى) (قالوا) لا معبودى الذى خلقنى (فانه سيهدين) سيحفظنى على دينه وطاعته (وجعلها) يعنى لااله الا الله (كلمة باقية) ثابتة (فى عقبه) فى نسله نسل ابراهيم (لعلهم يرجعون) عن كفرهم الى لااله الاالله (بل متعت) أجلت (هؤلاء) أهل مكة (وآباءهم) قبل (حتى جاءهم الحق) يعنى الكتاب (ورسول مبين) يبين لهم لهؤلاء بلغة يعلمونها (ولما جاءهم الحق) الكتاب والرسول

ان الله لايعاقبهم على شئ فعلوه بمشيئة وجعلوا أنفسهم معذورين فى ذلك فرد الله تعالى عليهم (ام آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن أو من قبل قولهم هذا (فهم به مستمسكون) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا فيه ان الملائكة اناث (بل قالوا) بل لاحجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الاقولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين فقلدناهم وهى من الام وهو القصد فالامة الطريقة التى تؤم أى تقصد (وانا على آثارهم مهتدون) الظرف صلة لمهتدون أوهما خبران (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير) نبى (الاقال مترفوها) أى متنعموها وهم الذين أترفتهم النعمة أى أبطرتهم فلايحبون الاالشهوات والملاهى ويعافون مشاق الدين وتكاليفه(انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان تقليد الآباء داء قديم (قال) شامى وحفص أى النذير قل غيرهما أى قيل للنذير قل (أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى (فانتقمنا منهم) فعاقبناهم بما استحقوه على اصرارهم (فانظر

الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ﴿ ام آتيناهم كتابا من قبله ﴾ من قبل القرآن اوادعائهم ينطق على صحة ماقالوه ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ بذلك الكتاب متمسكون ﴿ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ﴾ اى لاحجة لهم على ذلك عقلية ولانقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد ومنها الدين ﴿ وكذلك ماارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الاقال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد ﴿ قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ اى اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير اوخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله ﴿ قالوا انا بما ارسلتم به كافرون ﴾ اى وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا اويتفكروا فيه ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ بالاستئصال ﴿ فانظر

بعبادتها وقيل يكذبون فى قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله ﴿ أم آتيناهم كتابا من قبله ﴾ أى من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ أى يأخذون بما فيه ﴿ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ أى على دين وملة ﴿ وانا على آثارهم مهتدون ﴾ يعنى انهم جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم أخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى ﴿ وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الاقال مترفوها ﴾ أى أغنياؤها ورؤساؤها ﴿ انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ﴾ أى بهم ﴿ قل أولو جئتكم باهدى ﴾ أى بدين هو أصوب ﴿ مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ فأبوا أن يقبلوا ﴿ قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر

لان الله نهاهم عن ذلك (أم آتيناهم) أعطيناهم (كتابا من قبله) من قبل القرآن فهم به) بالكتاب (مستمسكون) آخذون منه ويقولون ان الملائكة بنات الله قالوا لا يامحمد ولكن وجدنا آباءنا على هذا الدين فقال الله (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) على هذا الدين (وانا على آثارهم) على دينهم وأعمالهم (مهتدون) مقتدون (وكذلك) هكذا أى كما قال قومك (ما أرسلنا من قبلك فى قرية) الى أهل قرية (من نذير) من نبى مخوف (الاقال مترفوها) جبابرتها (انا وجدنا آباءنا على أمة) على هذا الدين (وانا على آثارهم) على دينهم وأعمالهم (مقتدون) مستنون (قل) لهم يامحمد (أولو جئتكم) قد جئتكم (باهدى) باصوب دينا (مما وجدتم عليه آباءكم) ألا تقبلون ذلك (قالوا انا بما أرسلتم به) من الكتاب (كافرون) جاحدون (فانتقمنا منهم) بالعذاب عند تكذيبهم الرسل والكتب (فانظر

فى الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد (أشهدوا خلقهم) وهذا تهكم بهم يعنى انهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن تهكم بهم يعنى انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسئلون) عنها وهذا وعيد (وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) أى الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية فى ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا ان الله شاء منهم الكفر وماشاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم أى لوشاء منا ترك عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم بقوله (مالهم بذلك) المقول (من علم ان هم الايخرصون) أى يكذبون ومعنى الآية عندنا انهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا لولم يرض بذلك لعجل عقوبتنا أولمنعنا عن عبادتها منعقهر واضطرار واذا لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله مالهم بذلك من علم الآية أوقالوا هذا القول استهزاء لاجدا واعتقادا فاكذبهم الله تعالى فيه وجلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم انطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا حق فى الاصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان أنتم الا فى ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا (بعبادتها)

كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع ﴿ اشهدوا خلقهم ﴾ احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآاشهدوا بمدة بينهما ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ التى شهدوا بها على الملائكة ﴿ ويسألون ﴾ اى عنها يوم القيامة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهى ان لله جزأ وان له بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة ﴿ وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم ﴾ اى لوشاء عدم عبادة الملائكة ماعبدناهم فاستدلوا بنفى مشيئة عدم العبادة على امتناع النهى عنها اوعلى حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان اومنهيا حسنا كان اوغيره ولذلك جهلهم فقال ﴿ مالهم بذلك من علم ان هم الايخرصون ﴾ يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كأنه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه

أشهدوا خلقهم ﴾ أى حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار أى لم يشهدوا ذلك ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ أى على الملائكة انهم بنات الله ﴿ ويسئلون ﴾ أى عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال ومايدريكم انها بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها فى الآخرة ﴿ وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم ﴾ يعنى الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى رداعليهم ﴿ مالهم بذلك من علم ﴾ أى فيما يقولون ﴿ ان هم الايخرصون ﴾ يعنى ماهم الا كاذبون فى قولهم ان الله رضى منا

(أشهدوا خلقهم) حين خلقوا أنهم أناث فيعلمون بذلك انهم اناث قالوا لا يامحمد ولكن سمعنا من آبائنا يقولون ذلك فقال الله يامحمد (ستكتب شهادتهم) بالكذب على الله بمقالتهم ان الملائكة بنات الله (ويسئلون) عنه يوم القيمة أى قيل لهم حين جعلوا الملائكة بنات الله أشهدتم قالوا لا قال فمايدريكم انهن اناث وانهن بنات الله قالوا سمعنا هذا من آبائنا قال الله ستكتب شهادتهم يعنى ماتكلموا به ويسئلون عنه يوم القيامة (وقالوا) بنو مليح (لوشاء الرحمن) لونهانا الرحمن وصرفنا (ماعبدناهم) استهزاء ولكن أمرنا بعبادتهم ولم ينهنا عن عبادتهم (مالهم بذلك) بما يقولون (من علم) من حجة ولابيان (ان هم) ماهم (الا يخرصون) يكذبون على الله

الاعلى (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعله له مثلا أي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزأ لله وبعضهم منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة (أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) أي أويجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ في الحلية أي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لا تتكلم المرأة الا وتأتي بالحجة عليها وفيه انه جعل النشأة في الزينة من المعايب فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى أوجعلوا من ينشأ في الحلية يعني البنات لله عز وجل ينشأ حمزة وعلي وحفص أي يربى قد جمعوا في كفرهم ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أي سموهم وقالوا انهم اناث عند الرحمن

معنى الهمزة في ام الانكار والتعجيب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزأ حتى جعلوا له من مخلوقاته جزأ اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به كما قال ﴿ واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ﴾ بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لابد وان يماثل الوالد ﴿ ظل وجهه مسودا ﴾ صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة ﴿ وهو كظيم ﴾ مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا ﴿ اومن ينشأ في الحلية ﴾ اي اوجعلوا له اواتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات ﴿ وهو في الخصام ﴾ في المجادلة ﴿ غير مبين ﴾ مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اي اومن هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ اي يربى وقرئ ينشأ وينشاشا بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ﴾

واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ﴾ أي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان أحدهم اذا قيل له قد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا وأسفا وهو قوله تعالى ﴿ ظل وجهه ﴾ أي صار وجهه ﴿ مسودا وهو كظيم ﴾ أي من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولدله أنثى فهجر بيت امرأته التي ولدت فيه الانثى فقالت المرأة

مالابي حمزة لا يأتينا • يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا • ليس لنا من أمرنا ماشينا
وانما نأخذ ما أعطينا • حكمة رب ذي اقتدار فينا

* قوله عز وجل ﴿ أومن ينشأ ﴾ يعني أو من يتربى ﴿ في الحلية ﴾ يعني الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها ما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله ﴿ وهو في الخصام ﴾ أي المخاصمة ﴿ غير مبين ﴾ للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها ﴿ وجعلوا ﴾ أي وحكموا وأثبتوا ﴿ الملائكة الذين هم عباد ﴾ وقرئ عند ﴿ الرحمن اناثا

مكي ومدني وشامي أي عندية (قا و خا ٥٤ مس) منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو ألزم

(واذا بشر أحدهم) احد بني مليح [illegible] (بما ضرب للرحمن مثلا) أنثى (ظل [illegible]) (وجهه مسودا وهو كظيم) مغموم مكروب يتردد الغيظ في جوفه أترضون لله ما لا ترضون لانفسكم (أومن ينشأ) يغذى ويربى (في الحلية) حلية الذهب والفضة (وهو في الخصام) في الكلام (غير مبين) غير ثابت الحجة وهن النساء فمثلهن كيف ينبغي ان يكن بنات الله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) بنات الله

للضعيف (وانا الى ربنا لمنقلبون) لراجعون فى المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخرلنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب فى السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وحكى ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذى سخرلنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقة لاتتحرك هزالا فقال انى مقرن لهذه فسقط منها لوثبتها واندقت عنقه وينبغى أن لايكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لامحالة ومنقلب الى الله غير منفلت من قضائه (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد جزأ لوالده جزأ أبو بكر وحماد (ان الانسان لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أى بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث ادعوا انه اختار لنفسه المنزلة الادنى ولهم (واذا)

﴿وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله تعالى اولانه مخطر فينبغى للراكب ان لايغفل عنه ويستعد للقاء الله تعالى ﴿وجعلوا له من عباده جزأ﴾ متصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزأ كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق فى ذاته وقرئ جزأ بضمتين ﴿ان الانسان لكفور مبين﴾ ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله تعالى لانها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه ﴿ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين﴾

﴿ وانا الى ربنا لمنقلبون ﴾ أى لمنصرفون فى المعاد (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذى سخرلنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل اللهم انى أعوذبك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعنى تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزينا كئيبا أو يصادف مايحزنه فى أهل أومال عن على بن ربيعة قال شهدت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذى سخرلنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك انى ظلمت نفسى فاغفرلى فانه لايغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت ياأمير المؤمنين مم ضحكت قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يارسول الله من أى شئ ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال رب اغفرلى ذنوبى انه لايغفر الذنوب غيرك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله تعالى ﴿ وجعلوا له من عباده جزأ ﴾ يعنى ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا وأثبتوا ﴿ ان الانسان لكفور مبين ﴾ أى لجحود لنعم الله تعالى عليه ﴿ أم اتخذ مما يخلق بنات ﴾ هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول أتخذ ربكم لنفسه البنات ﴿ وأصفاكم ﴾ أى أخلصكم ﴿ بالبنين ﴾

مطيعين مالكين (وانا الى ربنا لمنقلبون) راجعون بعد الموت (وجعلوا) وصفوا (له من عباده) يعنى الملائكة (جزأ) ولدا قالوا الملائكة بنات الله وهم بنو مليح (ان الانسان) يعنى بنى مليح (لكفور) كافر بالله (مبين) ظاهر الكفر (أم اتخذ) اختار (مما يخلق) يعنى الملائكة (بنات وأصفاكم) اختاركم يابنى مليح (بالبنين) بالذكور

مهادا أى موضع قرار (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا فى أسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد (فانشرنا) فأحيينا عدول من المغايبة الى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد (به بلدة ميتا) يزيد ميتا (كذلك تخرجون) من قبوركم أحياء تخرجون حمزة وعلى ولا وقف على العليم لان الذى صفته وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذى لان هذه الاوصاف ليست من مقول الكفار لانهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم فى انكار البعث (والذى خلق الازواج) الاصناف (كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) أى تركبونه يقال ركبوا فى الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (لتستووا على ظهوره) على ظهور ماتركبونه وهو الفلك والانعام (ثم تذكروا) بقلوبكم (نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا) بالسنتكم (سبحان الذى سخر لنا هذا) ذلل لنا هذا المركوب (وما كنا له مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشئ اذا أطاقه وحقيقة أقرنه وجده قرينته لان الصعب لايكون قرينة

﴿ وجعل لكم فيها سبلا ﴾ تسلكونها ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ لكى تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك ﴿ والذى نزل من السماء ماء بقدر ﴾ بمقدار ينفع ولا يضر ﴿ فانشرنا به بلدة ميتا ﴾ مال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الانشار ﴿ تخرجون ﴾ تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء ﴿ والذى خلق الازواج كلها ﴾ اصناف المخلوقات ﴿ وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون ﴾ ماتركبونه على تغليب المتعدى بنفسه المتعدى بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ اى ظهور ماتركبون وجمعه للمعنى ﴿ ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ﴾ تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها ﴿ وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينته اذ الصعب لايكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله

راحة الصبى فلذلك سمى الارض مهادا لكثرة مافيها من الراحة للخلق ﴿ وجعل لكم فيها سبلا ﴾ أى طرقا ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ يعنى الى مقاصدكم فى أسفاركم ﴿ والذى نزل من السماء ماء بقدر ﴾ أى بقدر حاجتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى أهلكهم ﴿ فانشرنا به ﴾ أى بالمطر ﴿ بلدة ميتا ﴾ أى كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر ﴿ كذلك تخرجون ﴾ أى من قبوركم أحياء ﴿ والذى خلق الازواج كلها ﴾ أى الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ماسوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية ﴿ وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون ﴾ يعنى فى البر والبحر ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ أى على ظهور الفلك والانعام ﴿ ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ﴾ يعنى بتسخير المركب فى البر والبحر ﴿ وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا ﴾ أى ذلل لنا هذا ﴿ وما كنا له مقرنين ﴾ أى مطيقين وقيل ضابطين

فراشا (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بالطرق (والذى نزل من السماء ماء) مطرا (بقدر) معلوم بعلم الخزان (فانشرنا به) أحيينا بالمطر (بلدة ميتا) مكانا لا نبات فيه (كذلك) هكذا (تخرجون) تحيون وتخرجون من القبور كما أحيينا الارض بالمطر (والذى خلق الازواج) الاصناف (كلها) الذكر والانثى (وجعل لكم) وخلق لكم (من الفلك) يعنى السفن فى البحر (والانعام) يعنى الابل (ماتركبون) الذى تركبون عليه (لتستووا على ظهوره) ظهور الانعام يعنى الابل (ثم تذكروا نعمة ربكم) بتسخيرها (اذا استويتم عليه) على ظهورها وسخرها لكم (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) الابل (وما كنا له مقرنين)

عنكم ويجوز ان يكون مصدرا على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه أى أعرضت عنه كذا قاله الفراء (ان كنتم) لان كنتم مدنى وحمزة وهو من باب الشرط الذى يصدر من المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك (قوما مسرفين)

الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة

ماذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ﴿ ان كنتم قوما مسرفين ﴾ اى لان كنتم وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وماقبلها دليل الجزاء ﴿ وكم ارسلنا من نبى فى الاولين ومايأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه ﴿ فاهلكنا اشد منهم بطشا ﴾ اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ﴿ ومضى مثل الاولين ﴾ وسلف فى القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ماجرى على الاولين ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ لعله لازم مقولهم اومادل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكأنهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع اخر وهو الذى من صفته ماسرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم ومابعده استئناف ﴿ الذى جعل لكم الارض مهدا ﴾ فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيين مهادا بالالف

أسرفتم فى كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى ﴿ أن كنتم ﴾ أى لان كنتم ﴿ قوما مسرفين ﴾ والمعنى لانفعل ذلك قال قتادة والله لوكان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أوماشاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين أى معرضين عنكم وقيل معناه أفنطوى الذكر عنكم طيا فلاتدعون ولاتوعظون وقيل أفنتركم فلا نعاقبكم على كفركم ﴿ وكم أرسلنا من نبي فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن ﴾ يعنى كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ فاهلكنا أشد منهم بطشا ﴾ أى أقوى من قومك قوة ﴿ ومضى مثل الاولين ﴾ أى صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا فى الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل مانزل بالاولين من الخزى والعقوبة ٭ قوله عز وجل ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أى ولئن سألت يامحمد قومك ﴿ من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ يعنى انهم أقروا بان الله تعالى خلقهما وأقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى ﴿ الذى جعل لكم الارض مهدا ﴾ معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع

(وكم أرسلنا من نبى فى الاولين) أى كثيرا من الرسل أرسلنا الى من تقدمك (ومايأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) هى حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فاهلكنا أشد منهم بطشا) تمييز والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا) كوفى وغيره

بلا أمر ولانهى (ان كنتم قوما مسرفين) بان كنتم قوما مشركين لاتؤمنون فى علم الله (وكم أرسلنا من نبى) قبلك يامحمد (فى الاولين) فى الامم الماضية قد علمنا انهم لايؤمنون فلم نتركهم بلا كتاب ولا رسول (ومايأتيهم) ﴿ راحة ﴾ أى الاولين (من نبى الا كانوا به) بالنبى (يستهزؤن) يهزؤن بالنبى (فأهلكنا أشد منهم) من أهل مكة (بطشا) قوة ومنعة (ومضى مثل الاولين) سنة الاولين بالعذاب عند تكذيبهم الرسل (ولئن سألتهم) كفار مكة (من خلق السموات والارض ليقولن) كفار مكة (خلقهن العزيز) فى ملكه وسلطانه (العليم) بتدبيره وبخلقه فقال الله نعم خلق (الذى جعل لكم الارض مهدا)

(اناجعلناه) صيرناه (قرآناعربيا) جواباللقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين للذين أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم أو الواضح للمتدبرين أو الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ماتحتاج اليه الامة فى أبواب الديانة (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه فى أم الكتاب لدينا) وان القرآن مثبت عندالله فى اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وسمى أم الكتاب لانه الاصل الذى أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ام الكتاب بكسر الالف على وحمزة (لعلى) خبران أى فى أعلى طبقات البلاغة أو رفيع الشان فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة (أفنضرب عنكم الذكر) أفننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ماقدم من انزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليعملوا بمواجبه (صفحا) مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب على انه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا

﴿ انا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابى تمام

وثناياك انها اغريض

ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز عظيم مبين طرق الهدى ومايحتاج اليه فى الديانة او بين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ لكى تفهموا معانيه ﴿ وانه ﴾ عطف على انا ﴿ فى ام الكتاب ﴾ فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائى ام الكتاب بالكسر ﴿ لدينا ﴾ محفوظا عندنا من التغيير ﴿ لعلى ﴾ رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها ﴿ حكيم ﴾ ذو حكمة بالغة او محكم لاينسخه غيره وهما خبران لان وفى ام الكتاب متعلق بعلى واللام لا تمنع او حال منه ولدينا بدل منه او حال من ام الكتاب ﴿ افنضرب عنكم الذكر صفحا ﴾ افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها • ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف يعنى انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولى الشئ صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف

الهدى من طرق الضلالة وأبان مايحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعنى الواضح للمتدبرين وجواب القسم ﴿ اناجعلناه ﴾ أى صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه ﴿ قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ يعنى معانيه وأحكامه ﴿ وانه ﴾ يعنى القرآن ﴿ فى أم الكتاب ﴾ أى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ماخلق الله عزوجل القلم فامره أن يكتب مايريد ان يخلق فى الكتاب عنده ثم قرأ وانه فى أم الكتاب ﴿ لدينا ﴾ أى عندنا فالقرآن مثبت عندالله تعالى فى اللوح المحفوظ ﴿ لعلى حكيم ﴾ أخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا أهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلى أى رفيع شريف وقيل على على جميع الكتب حكيم أى محكم لايتطرق اليه الفساد والبطلان * قوله تعالى ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحا ﴾ معناه أفنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم

والنهى والامر أن قد قضى ماهو كائن أى بين قال حكيم

لايالوهى كل ماجم واقع • وذا الطير يسرى والنجوم الطوالع

ويقال قسم أقسم به بالحاء والميم والكتاب المبين بالحلال والحرام والامر والنهى (اناجعلناه) قلناه ووضعناه (قرآنا عربيا) على مجرى لغة العرب ولهذا كان القسم (لعلكم تعقلون) لكى تعلموا مافى القرآن من الحلال والحرام والامر والنهى (وانه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) فى اللوح المحفوظ مكتوب (لدينا) عندنا (لعلى) كريم شريف مرتفع (حكيم) محكم بالحلال والحرام (أفنضرب عنكم الذكر) أفنرفع عنكم الوحى والرسول يا أهل مكة (صفحا) أونترككم هملا

التهدى) لتدعو وقرئ به (الى صراط مستقيم) الاسلام (صراط الله) بدل (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا (ألا الى الله تصير الامور) هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم والله أعلم بالصواب (سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله

دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ﴿ ولكن جعلناه ﴾ اى الروح او الكتاب او الايمان ﴿ نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾ بالتوفيق للقبول والنظر فيه ﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم ﴾ هو الاسلام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله ﴿ صراط الله ﴾ بدل من الاول ﴿ الذى له ما فى السموات وما فى الارض ﴾ خلقا وملكا ﴿ الا الى الله تصير الامور ﴾ بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين ، عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسأل

من ارسلنا الآيه وآيها تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

((حم والكتاب المبين

اتفاقهم على أن الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدرى قبل الوحى شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق عن ابن خزيمة الايمان فى هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم ولم يرد به الايمان الذى هو الاقرار بالله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه الا بعد الوحى اليه ﴿ ولكن جعلناه نورا ﴾ قال ابن عباس يعنى الايمان وقيل القرآن لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى ﴿ نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى ﴾ أى لتدعو ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ يعنى الى دين الاسلام ﴿ صراط الله ﴾ يعنى دين الله الذى شرعه لعباده ﴿ الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور ﴾ يعنى أمور الخلائق فى الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسئ والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الزخرف وهى مكية وهى تسع وثمانون

آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة

آلاف وأربعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ حم والكتاب المبين ﴾ أقسم بالكتاب وهو القرآن الذى أبان طرق

الى التوحيد (ولكن جعلناه) قلناه يعنى القرآن (نورا) بيانا للامر والنهى والحلال والحرام والحق والباطل (نهدى به) بالقرآن (من نشاء) من كان أهلا لذلك (من عبادنا وانك لتهدى) لتدعو (الى صراط مستقيم) دين مستقيم حق (صراط الله) دين الله (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) من الخلق (ألا الى الله تصير الامور) عواقب الامور فى الآخرة تصير الى الحكيم الملك ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الزخرف وهى كلها مكية آياتها تسع وثمانون آية وكلماتها ثمانمائة وثلاثة وثلاثون وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة حرف ﴾ (الهدى)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (حم) يقول قضى ما هو كائن أى بين (والكتاب المبين) يقول واقسم بالكتاب المبين بالحلال والحرام

الولد (أومن وراء حجاب) أي يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب ولكن المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية فى الدنيا (أو يرسل رسولا) أي يرسل ملكا (فيوحى) أي الملك اليه وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل فى معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم أحد الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا بان يوحى أو ان يسمع من وراء حجاب أو ان يرسل رسولا وهو اختيار الخليل أو يرسل رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقدير أو هو يرسل (باذنه) باذن الله (ما يشاء) من الوحى (انه على) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب فى أقواله وافعاله فلا يعارض (وكذلك) أي كما أوحينا الى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أوحينا اليك) ايحاء كذلك (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى اليه لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح (ما كنت تدرى) الجملة حال من الكاف فى اليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان) أي شرائعه أو ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول أشياء بعضها الطريق

تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روى فى حديث المعراج وما وعد به فى حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى فى طوى والطور لكن عطف قوله ﴿ او من وراء حجاب ﴾ عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء فى الروع او الوحى المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله ﴿ او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ﴾ او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحى الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوال وقرأ نافع اويرسل برفع اللام ﴿ انه على ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿ حكيم ﴾ يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب ﴿ وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ﴾ يعنى ما اوحى اليه وسماه روحا لان القلوب تحيي به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحى ﴿ ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ﴾ اى قبل الوحى وهو

ان كنت نبيا كما كلمه موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فانزل الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أي يوحى اليه فى المنام أو بالالهام كما رأى ابراهيم فى المنام ان يذبح ولده وهو وحى وكما الهمت أم موسى أن تقذفه فى البحر ﴿ أو من وراء حجاب ﴾ أي يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ أو يرسل رسولا ﴾ يعنى من الملائكة اما جبريل أو غيره ﴿ فيوحى باذنه ما يشاء ﴾ يعنى يوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب فى الدنيا ويأتى بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى فى سورة النجم ﴿ انه على ﴾ أي عن صفات المخلوقين ﴿ حكيم ﴾ أي فى جميع أفعاله * قوله عز وجل ﴿ وكذلك ﴾ أي وكما أوحينا الى سائر رسلنا ﴿ أوحينا اليك روحا من أمرنا ﴾ قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل ﴿ ما كنت تدرى ﴾ أي قبل الوحى ﴿ ما الكتاب ﴾ يعنى القرآن ﴿ ولا الايمان ﴾ اختلف العلماء فى هذه الآية مع

(أو من وراء حجاب) ستر كما كلم موسى عليه السلام (أو يرسل رسولا) جبريل كما أرسل الى محمد عليه السلام (فيوحى باذنه) بأمره (ما يشاء) الذى شاء من الامر والنهى (انه على) أعلى من كل شئ (حكيم) فى أمره وقضائه (وكذلك) هكذا (أوحينا اليك روحا من أمرنا) يعنى جبريل بالقرآن (ما كنت تدرى ما الكتاب) ما القرآن قبل نزول جبريل عليك وما كنت تحسن قراءة القرآن قبل القرآن (ولا الايمان) ولا الدعوة

موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها قيل أريد به كفران النعمة وقيل اريد به الكفر بالله تعالى (لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم) أي يقرنهم (ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له تعالى الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد مايشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التي لا تلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لا يولد له وقدم الاناث أولا على الذكور لان سياق الكلام أنه فاعل مايشاؤه لا مايشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة مالا يشاؤه الانسان أهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا وقيل نزلت فى الانبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيي وعيسى عليهما السلام عقيمين (انه عليم) بكل شئ (قدير) قادر على كل شئ (وما كان لبشر) وما صح لاحد من البشر (أن يكلمه الله الا وحيا) أى الهاما (ان) كما روى نفث فى روعى أو رؤيا فى المنام كقوله عليه السلام رؤيا الانبياء وحى وهو كامر ابراهيم عليه السلام بذبح

الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة ﴿لله ملك السموت والارض﴾ فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء ﴿يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ من غير لزوم ومجال اعتراض ﴿او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما﴾ بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد فى الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم آخرين واعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل اولان مساق الآية للدلالة على ان الواقع مايتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك اولان الكلام فى البلاء والعرب تعدهن بلاء اولتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور اولجبر التأخير وتغيير العاطف فى الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة ﴿انه عليم قدير﴾ فيفعل مايفعل بحكمة واختيار ﴿وما كان لبشر﴾ وما صح له ﴿ان يكلمه الله الا وحيا﴾ كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس فى ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على

عز وجل ﴿لله ملك السموات والارض﴾ يعنى له التصرف فيهما بما يريد ﴿يخلق مايشاء﴾ أى لا يقدر أحد أن يعترض عليه فى ملكه وارادته ﴿يهب لمن يشاء اناثا﴾ أى فلا يولد له ذكر ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ أى فلا يولد له أنثى ﴿أو يزوجهم ذكرانا واناثا﴾ أى يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث ﴿ويجعل من يشاء عقيما﴾ أى فلا يولد له ولد وقيل هذا فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعنى لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعنى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا واناثا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعنى يحيي وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والا فالآية عامة فى جميع الناس ﴿انه علم﴾ أى بما يخلق ﴿قدير﴾ أى على مايريد ان يخلق ﴿ قوله تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا﴾ قيل فى سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه

كافر بالله وبنعمته (لله ملك السموات والارض) خزائن السموات والارض المطر والنبات (يخلق مايشاء) كما يشاء (يهب لمن يشاء اناثا) مثل لوط لم يكن له ولد ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) مثل ابراهيم لم يكن له أنثى (أو يزوجهم) يخلطهم (ذكرانا واناثا) مثل محمد صلى الله عليه وسلم كان له الذكر والانثى (ويجعل من يشاء عقيما) بلا ولد مثل يحيي بن زكريا (انه عليم قدير) فيما وهب من الذكور والاناث (وما كان) ما جاز (لبشر أن يكلمه الله) مواجهة بغير ستر (الا وحيا) فى المنام

المؤمنين واقع في الدنيا أو يقال أي يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) من دون عذابه (ومن يضلل الله فماله من سبيل) الى النجاة (استجيبوا لربكم) أجيبوه الى ما دعاكم اليه (من قبل أن يأتي يوم) أي يوم القيامة (لا مرد له من الله) من متصل بلا مرد أي لا يرده الله بعدما حكم به أو بيأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر احد على رده (مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير) أي ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم والنكير الانكار (فان أعرضوا) عن الايمان (فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيبا (ان عليك الا البلاغ) ما عليك الا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان) المراد الجمع لا الواحد (منا رحمة) نعمة وسعة وأمنا وصحة (فرح بها) بطر لاجلها (وان تصبهم سيئة) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع في وان تصبهم باعتبار المعنى (بما قدمت أيديهم) بسبب معاصيهم (فان الانسان كفور) ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس

الحال ﴿ ألا ان الظالمين في عذاب مقيم ﴾ تمام كلامهم او تصديق من الله لهم ﴿ وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل ﴾ الى الهدى او النجاة ﴿ استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتي اى من قبل ان يأتي يوم من الله لا يمكن رده ﴿ مالكم من ملجأ ﴾ مفر ﴿ يومئذ ومالكم من نكير ﴾ انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم ﴿ فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ﴾ رقيبا او محاسبا ﴿ ان عليك الا البلاغ ﴾ وقد بلغت ﴿ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها ﴾ اراد بالانسان الجنس لقوله ﴿ وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور ﴾ بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير في

في الجنة ﴿ ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل ﴾ أي وصول الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير ﴿ استجيبوا لربكم ﴾ أي أجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت ﴿ مالكم من ملجأ يومئذ ﴾ أي مالكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت ﴿ ومالكم من نكير ﴾ أي ينكر حالكم وقيل النكير الانكار يعني لا تقدرون ان تنكروا من أعمالكم شيأ ﴿ فان أعرضوا ﴾ أي عن الاجابة ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ أي تحفظ أعمالهم ﴿ ان عليك الا البلاغ ﴾ أي ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة ﴾ قال ابن عباس يعني الغنى والصحة ﴿ فرح بها وان تصبهم سيئة ﴾ أي قحط ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ أي من الاعمال الخبيثة ﴿ فان الانسان كفور ﴾ أي لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه * قوله

(ألا ان الظالمين) المشركين أبا جهل وأصحابه (في عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم من أولياء) أقرباء (ينصرونهم) يمنعونهم (من دون الله) من عذاب الله (قا و خا ٥٣ مس) (ومن يضلل الله) عن دينه مثل أبي جهل (فماله من سبيل) من دين ولا حجة (استجيبوا لربكم) بالتوحيد (من قبل أن يأتي يوم) وهو يوم القيامة (لا مرد له) لا مانع له (من الله) من عذاب الله (مالكم من ملجأ) من نجاة (يومئذ) من عذاب الله (ومالكم من نكير) من معين (فان أعرضوا) عن الايمان (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظهم (ان عليك) ما عليك (الا البلاغ) التبليغ عن الله ثم أمره بالقتال بعد ذلك (وانا اذا أذقنا الانسان) أصبنا الكافر (منا رحمة) نعمة (فرح بها) أعجب بها غير شاكر لها (وان تصبهم سيئة) شدة وفقر وبلية (بما قدمت) عملت (أيديهم) في الشرك (فان الانسان) يعني أبا جهل (كفور)

اولئك لهم عذاب أليم) وفسر السبيل بالتبعة والحجة (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك) أى الصبر والغفران منه (لمن عزم الامور) أى من الامور التى ندب اليها أو مما ينبغى أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص فى تركه وحذف الراجع أى منه لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم وقال أبو سعيد القرشى الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) فماله من أحد يلى هدايته من بعد اضلال الله اياه

ويمنعه من عذابه (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا العذاب) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضى للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) يسألون ربهم الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا به (وتراهم يعرضون عليها) على النار اذ العذاب يدل عليها (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار (من طرف خفى) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم وأهليهم يوم القيمة) يوم متعلق بخسروا وقول

اولئك لهم عذاب اليم ﴾ على ظلمهم وبغيهم ﴿ ولمن صبر ﴾ على الاذى ﴿ وغفر ﴾ ولم ينتصر ﴿ ان ذلك لمن عزم الامور ﴾ اى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ﴿ ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده ﴾ من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب ﴾ حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا ﴿ يقولون هل الى مرد من سبيل ﴾ اى الى رجعة الى الدنيا ﴿ وتريهم يعرضون عليها ﴾ على النار ويدل عليها العذاب ﴿ خاشعين من الذل ﴾ متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ﴿ ينظرون من طرف خفى ﴾ اى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف ﴿ وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم ﴾ بالتعريض للعذاب المخلد ﴿ يوم القيمة ﴾ ظرف لخسروا والقول فى الدنيا اولقال اى يقولون اذا رأوهم على تلك

يعملون فيها بالمعاصى ﴿ أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر ﴾ اى لم ينتصر ﴿ وغفر ﴾ تجاوز عن ظالمه ﴿ ان ذلك ﴾ أى الصبر والتجاوز ﴿ لمن عزم الامور ﴾ يعنى تركه الانتصار لمن عزم الامور الجيدة التى أمر الله عز وجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب أتم عزما ﴿ ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده ﴾ يعنى ماله من أحد يلى هدايته بعد اضلال الله اياه أو يمنعه من عذابه ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ يقولون هل الى مرد من سبيل ﴾ يعنى انهم يسألون الرجعة الى الدنيا ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ أى على النار ﴿ خاشعين من الذل ﴾ أى خاضعين متواضعين ﴿ ينظرون من طرف خفى ﴾ يعنى يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفى أى ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى ﴿ وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ﴾ يعنى بان صاروا الى النار ﴿ وأهليهم يوم القيمة ﴾ يعنى وخسروا أهليهم بان صاروا لغيرهم

(أولئك لهم عذاب أليم) وجيع (ولمن صبر) على مظلمته (وغفر) تجاوز ولم يقتص ولم يكافئ به (ان ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) من خير الامور ويقال من حزم الامور ونزل من قوله والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الى قوله لمن عزم الامور (فى) فى شأن أبى بكر الصديق وصاحبه عمرو بن غزية الانصارى فى كلام وتنازع كان بينهما فشتم الانصارى أبا بكر الصديق فأنزل الله فيهما هؤلاء الآيات (ومن يضلل الله) عن دينه (فماله من ولى) من مرشد (من بعده) غير الله (وترى الظالمين) المشركين أبا جهل وأصحابه يوم القيامة (لما رأوا العذاب) حين رأوا العذاب (يقولون هل الى مرد من سبيل) هل الى رجوع الى الدنيا من حيلة (وتراهم يعرضون عليها) على النار (خاشعين من الذل) ذليلين من الحزن (ينظرون) اليك (من طرف خفى) مسارقة الاعين (وقال الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (ان الخاسرين) المغبونين (الذين خسروا) الذين غبنوا (أنفسهم وأهليهم) خدمهم فى الجنة (يوم القيمة)

ظلمهم أى يقتصرون فى الانتصار على ماجعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وانما حمدوا على الانتصار لان من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز فى ذلك حد الله فلم يسرف فى القتل ان كان ولى دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وانما سميت سيئة لانها مجازاة السوء أو لانها تسوء من تنزل به ولانه لولم تكن الاولى لكانت الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها أو فى تسمية الثانية سيئة اشارة الى أن العفو مندوب اليه والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء (فاجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها فى العظم (انه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤن بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار فى الحديث ينادى مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى أخذ حقه بعد ما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول (فاولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ماعليهم من سبيل) للمعاقب ولا للمعاتب والمعايب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالظلم (ويبغون فى الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (بغير الحق

بالقصاص لا بالمكابرة

التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغى ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدى فقال ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به ﴿ فمن عفا واصلح ﴾ بينه وبين عدوه ﴿ فأجره على الله ﴾ عدة مبهمة تدل على عظم الموعود ﴿ انه لا يحب الظالمين ﴾ المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين فى الانتقام ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ بعد ماظلم وقد قرئ به ﴿ فاولئك ماعليهم من سبيل ﴾ بالمعاتبة والمعاقبة ﴿ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ﴾ يبتدئونهم بالاضرار او يطلبون مالا يستحقونه تجبرا عليهم ﴿ ويبغون فى الارض بغير الحق

من غير تمد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ماغضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا فى هذه الآية وقال ابراهيم النخعى كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغراء للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل فى الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ سمى الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة وقيل لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال أخزاك الله فقل له اخزاك الله ولا تزد واذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو فى القصاص فى الجراحات والدماء يقتص بمثل ماجنى عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب فى الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو أولى بقوله تعالى ﴿ فمن عفا ﴾ أى عمن ظلمه ﴿ وأصلح ﴾ أى بالعفو بينه وبين الظالم ﴿ فاجره على الله ﴾ قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الآية ﴿ انه لا يحب الظالمين ﴾ قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ أى بعد ظلم الظالم اياه ﴿ فاولئك ﴾ يعنى المنتصرين ﴿ ماعليهم من سبيل ﴾ أى بعقوبة ومؤاخذة ﴿ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ﴾ أى يبدؤن بالظلم ﴿ ويبغون فى الارض بغير الحق ﴾ أى

(وجزاء سيئة سيئة مثلها) جزاء جراحة جراحة مثلها (فمن عفا) عن مظلمته (وأصلح) ترك القصاص ولا يكافئ به (فأجره على الله) فثوابه على الله (انه لا يحب الظالمين) المبتدئين بالظلم (ولمن انتصر) انتصف بالقصاص (بعد ظلمه) مظلمته (فأولئك ماعليهم من سبيل) من مأثم بالقصاص (انما السبيل) المأثم (على الذين يظلمون الناس) بالابتداء بغير قصاص (ويبغون) يتطاولون (فى الارض بغير الحق) بلا حق يكون لهم

من عذابه (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وماعندالله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ماالاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذا مابعده (كبائر الاثم) أى الكبائر من هذا الجنس كبير لاثم على وحمزة وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك (والفواحش) قيل ماعظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (واذا ما غضبوا) من أمور دنياهم (هم يغفرون) أى هم الاخصاء بالغفران فى حال الغضب وانجى بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ماتشاور قوم الاهدوا لارشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والذين اذا أصابهم البغى) الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون ممن

من العذاب والجملة معلق عنها الفعل ﴿ فما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا ﴾ تمتعون به مدة حياتكم ﴿ وماعندالله ﴾ من ثواب الآخرة ﴿ خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا فجازت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية وعن على رضى الله عنه تصدق ابوبكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت ﴿ والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون ﴾ مابعده عطف على الذين آمنوا اومدح منصوب اومرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاحقاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم ﴿ والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة ﴾ نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له ﴿ وامرهم شورى بينهم ﴾ ذوشورى لاينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم فى الامور وهى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ فى سبيل الخير ﴿ والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ على ماجعله الله لهم كراهة

من مهرب من عذابه ﴿ فما أوتيتم من شئ ﴾ أى من زينة الدنيا ﴿ فمتاع الحيوة الدنيا ﴾ أى ليس هو من زاد المعاد ﴿ وماعندالله ﴾ أى من الثواب ﴿ خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان فى متاع الحياة الدنيا فاذا صارا الى الله تعالى كان ماعندالله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن ﴿ والذين يجتنبون كبائر الاثم ﴾ يعنى كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك ﴿ والفواحش ﴾ يعنى ماعظم قبحه من الاقوال والافعال ﴿ واذا ماغضبوا هم يغفرون ﴾ يعنى يكظمون الغيظ ويحلمون ﴿ والذين استجابوا لربهم ﴾ يعنى أجابوه الى مادعاهم اليه من طاعته ﴿ وأقاموا الصلوة ﴾ يعنى المفروضة ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ يعنى يتشاورون فيما يبدو لهم ولايعجلون ولاينفردون برأى ما لم يجتمعوا عليه قيل ماتشاور قوم الاهدوا لأرشد أمرهم ﴿ ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغى ﴾ يعنى الظلم والعدوان ﴿ هم ينتصرون ﴾ يعنى ينتقمون من ظالمهم

من عذاب الله (فما أوتيتم) أعطيتم (من شئ) من المال والزهرة (فمتاع الحيوة الدنيا) لايبقى (وماعندالله) من الثواب (خير) مما عندكم فى الدنيا (وأبقى) أدوم من متاع الدنيا فانها فانية ثم بين لمن هو فقال (للذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن يعنى أبابكر وأصحابه (وعلى ربهم يتوكلون) لاعلى المال (ومن) (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعنى الشرك (والفواحش) يعنى الزنا والمعاصى (واذا ماغضبوا هم) بالجفاء (يغفرون) يتجاوزون ولايكافئون به (والذين استجابوا لربهم) أجابوا لربهم بالتوحيد والطاعة (وأقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) اذا أرادوا أمرا وحاجة تشاوروا فيما بينهم ثم عملوا به (ومما رزقناهم) أعطيناهم من المال (ينفقون) يتصدقون (والذين اذا أصابهم البغى) الظلمة (هم ينتصرون) ينتصفون

واذا عقلا يعود (وماانتم بمعجزين فى الارض) أى بفائتين ماقضى عليكم من المصائب (ومالكم من دون الله من ولى) متول بالرحمة (ولانصير) ناصر يدفع عنكم العذاب اذاحل بكم (ومن آياته الجوار) جمع جارية وهى السفينة الجوارى فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وافقهم مدنى وأبوعمرو فى الوصل (فى البحر كالاعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) الرياح مدنى (فيظللن رواكد) ثوابت

لاتجرى (على ظهره) على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه أى لكل مؤمن مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعمته (أو يوبقهن) يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) منها فلا يجازى عليها وانما أدخل العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (ويعلم) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم (الذين يجادلون فى آياتنا) أى فى ابطالها ودفعها ويعلم مدنى وشامى عطف على الاستئناف (مالهم من محيص) مهرب

فان مااصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه ﴿ وماانتم بمعجزين فى الارض ﴾ فائتين ماقضى عليكم من المصائب ﴿ ومالكم من دون الله من ولى ﴾ يحرسكم منها ﴿ ولانصير ﴾ يدفعها عنكم ﴿ ومن آياته الجوار ﴾ السفن الجارية ﴿ فى البحر كالاعلام ﴾ كالجبال قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

﴿ ان يشأ يسكن الريح ﴾ وقرأ نافع الرياح ﴿ فيظللن رواكد على ظهره ﴾ فيبقين ثوابت على ظهر البحر ﴿ ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر فى آيات الله والتفكر فى آلائه اولكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ﴿ أو يوبقهن ﴾ اويهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله ﴿ بما كسبوا ﴾ واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله ﴿ ويعف عن كثير ﴾ اذالمعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ﴿ ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ﴾ عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى اويجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ﴿ مالهم من محيص ﴾ محيد

شوكة فمافوقها الارفعه الله بها درجة وحط عنها خطيئة ﴿ وماأنتم بمعجزين ﴾ أى بفائتين ﴿ فى الارض ﴾ هربا يعنى لاتعجزوننى حيثما كنتم ﴿ ومالكم من دون الله من ولى ولانصير ﴾ * قوله عزوجل ﴿ ومن آياته الجوار ﴾ يعنى السفن وهى السيارة ﴿ فى البحر كالاعلام ﴾ أى كالقصور وكل شئ مرتفع عند العرب فهو علم ﴿ ان يشأ يسكن الريح ﴾ أى التى تجرى بها السفن ﴿ فيظللن ﴾ يعنى السفن الجوارى ﴿ رواكد ﴾ أى ثوابت ﴿ على ظهره ﴾ أى على ظهر البحر لاتجرى ﴿ ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ وهذه صفة المؤمن لانه يصبر فى الشدة ويشكر فى الرخاء ﴿ أو يوبقهن ﴾ أى يغرقهن ويهلكهن ﴿ بما كسبوا ﴾ أى بما كسبت ركابها من الذنوب ﴿ ويعف عن كثير ﴾ أى من ذنوبهم فلايعاقب عليها ﴿ ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص ﴾ يعنى يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذاصاروا الى الله تعالى مالهم

(وماأنتم بمعجزين فى الارض) بفائتين من عذاب الله (وما لكم من دون الله) من عذاب الله (من ولى) قريب ينفعكم (ولانصير) مانع عنكم من عذاب الله (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (الجوار) يعنى السفن (فى البحر كالاعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) التى تجرى بها السفن (فيظللن) فيصرن (رواكد) ثوابت (على ظهره) على ظهر الماء (ان فى ذلك) فيما ذكرت من السفن (لآيات) لعلامات وعبرا (لكل صبار) على الطاعة (شكور) بنعم الله (أو يوبقهن) يهلكهن يعنى السفن فى البحر (بما كسبوا) بمعصية أهلهن (ويعف عن كثير) لايجازيهم به (ويعلم) لكى يعلم (الذين يجادلون فى آياتنا) يكذبون بمحمد عليه السلام والقرآن (مالهم من محيص) من مغيث ولانجاة

(ومابث) فرق ومجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف اليه (فيهما) فى السموات والارض (من دابة) الدواب تكون فى الارض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو فى فخذ من أفخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ولا يبعد أن يخلق فى السموات حيوانات يمشون فيها مشى الاناسى على الارض أو يكون للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسى (وهو على جمعهم) يوم القيامة (اذا يشاء قدير) اذ تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم ومكروه (فبما كسبت أيديكم) أى بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما كسبت بغير الفاء مدنى وشامى على أن ما مبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالمكلفين بالسباق والسياق وهو (ويعفوا عن كثير) أى من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر فى احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات فى كل أوان وجناياته فى طاعته أكثر من جناياته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة وعن على رضى الله تعالى عنه هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا

بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم ﴿ ومابث فيهما ﴾ عطف على السموات او الخلق ﴿ من دابة ﴾ من حى على اطلاق اسم المسبب للسبب او مما يدب على الارض وما يكون فى احد الشيئين يصدق انه فيهما فى الجملة ﴿ وهو على جمعهم اذا يشاء ﴾ فى أى وقت يشاء ﴿ قدير ﴾ متمكن منه واذ كما تدخل على الماضى تدخل على المضارع ﴿ وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ﴾ فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما فى الباء من معنى السببية ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين

﴿ ومابث ﴾ أى أوجد ﴿ فيهما ﴾ أى فى السموات والارض ﴿ من دابة ﴾ فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق فى السموات انواعا من الحيوانات يدبون دبيب الانسان ﴿ وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصى ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ﴿ وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى سخيلة قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وسأفسرها لكم يا على ما أصابكم من مصيبة أى من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من ان يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها أو درجة لم يكن الله ليرفعه لها الا بها (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن (شوكة)

ومابث) نشر (فيهما) ما خلق فى الارض (من دابة) كلها آية لكم (وهو على جمعهم) على احيائهم (اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة) ما تصابون فى أنفسكم (فبما كسبت أيديكم) فبما جنت أيديكم يصيبكم (ويعفوا عن كثير) من الذنوب فلا يجزيكم به

انه عليم بذات الصدور ﴾ استئناف لنفى الافتراء عما يقوله بانه لوكان مفترى محقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحق باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذى لامرد له وسقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله ويدع الانسان ﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ﴾ بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن على رضى الله عنه هى اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها

كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الاسلام ﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ قال ابن عباس لما نزلت قل لاأسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد ان يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره أنهم اتهموه وأنزل الله هذه الآية فقال القوم يارسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل عز وجل ﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أولياءه وأهل طاعته

فصل فى ذكر التوبة وحكمها

قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لاتتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أحدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث أن يعزم أن لايعود اليها أبدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق ادمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبدالله التسترى التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن بشار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس توبوا الى الله فانى اتوب اليه فى اليوم مائة مرة (ق) عن عبدالله ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش أوما شاء الله قال أرجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة (ق) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة ﴿ ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين

فيجرى الامر على حسب ذلك (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) يقال قبلت منه الشئ اذا اخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ويقال قبلته عنه اى عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لايعاود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التقضى على طريقه وقال على رضى الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدى هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو ان لاتجد حلاوة الذنب فى القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وعن الجنيد هو الاعراض عما

(ومن يقترف حسنة) يكتسب طاعة عن السدي انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في ابي بكر رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها تتناول المودة تناولا أوليا لذكرها عقيب ذكر المودة في القربى (نزد له فيها حسنا) اى تضاعفا كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود الى الحسنة او الى الجنة (ان الله غفور) لمن أذنب بطوله (شكور) لمن اطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور في صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (ام يقولون افترى على الله كذبا) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها (فان يشأ الله يختم على قلبك) قال مجاهد اى يربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقة بتكذيبهم (ويمح الله الباطل) أي الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وانما سقطت الواو في الخط كما سقطت في ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة في مصحف نافع (ويحق الحق) ويظهر الاسلام ويثبته (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فمحا { كتابه }

في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ﴿ ومن يقترف حسنة ﴾ ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه ومودته لهم ﴿ نزد له فيها ﴾ اى في الحسنة ﴿ حسنا ﴾ بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وحسنى ﴿ ان الله غفور ﴾ لمن اذنب ﴿ شكور ﴾ لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ﴿ أم يقولون ﴾ بل أيقولون ﴿ افترى على الله كذبا ﴾ افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن ﴿ فان يشأ الله يختم على قلبك ﴾ استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ﴿ ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته

قل لا اسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الآية وروى عن ابن عباس في معنى الآية قول آخر قال الا ان توادوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح * وقوله تعالى ﴿ ومن يقترف حسنة ﴾ أي يكتسب طاعة ﴿ نزد له فيها حسنا ﴾ أي بالتضعيف ﴿ ان الله غفور ﴾ للذنوب ﴿ شكور ﴾ أي للقليل من الاعمال حتى يضاعفها ﴿ أم يقولون ﴾ أي بل يقول كفار مكة ﴿ افترى على الله كذبا ﴾ فيه توبيخ لهم معناه أيقع في قلوبهم ويجري على لسانهم أن ينسبوا مثله الى الكذب وانه افترى على الله كذبا وهو أقبح أنواع الكذب ﴿ فان يشأ الله يختم على قلبك ﴾ اى يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما أخبر به في هذه الآية ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ أخبر الله تعالى أن ما يقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه ﴿ ويحق الحق بكلماته ﴾ أي يحق الاسلام بما أنزل من

(ومن يقترف) يكتسب (حسنة نزد له فيها حسنا) تسعا (ان الله غفور) لمن تاب (شكور) يشكر اليسير ويجزي الجزيل (أم يقولون) بل يقولون (افترى) اختلق محمد (على الله كذبا) فاغتم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فان يشأ الله يختم) يربط (على قلبك) ويقال يحفظ قلبك (ويمح الله الباطل) يهلك الله الشرك وأهله (ويحق الحق بكلماته) يظهر دينه الاسلام بتحقيقه

منقطع والمعنى لااسألكم اجرا قط لكن اسالكم المودة فى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى اهلها اوفى حق القرابة ومن اجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله روى انهـا لما نزلت قيل يارسـول الله من قرابتك قال عـلى وفاطمة وابنا همـا وقيل القربى التقرب الى الله اى الاان تودوا الله ورسـوله

قوله الاالمودة فى القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبت ان النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن بطن من قريش الاوله فيهم قرابة فقال الا أن تصلوا مابينى وبينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا فى قوله الاالمودة فى القربى يعنى أن تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسـدى والضحاك (خ) عن ابن عمر ان أبابكر قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسـلم فى أهل بيته واختلفوا فى قرابته فقيل على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعـالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه وهم بنوهاشم وبنوالمطلب الذين لم يفترقوا فى جاهلية ولافى الاسـلام (م) عن زيد بن أرقم أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم ثقلين أولهمـا كتاب الله فيه الهدى والنور فخـذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى فقال له حصين من أهل بيته يازيد أليس نسـاؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس * فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحى لايجوز لقوله فى قصة نوح عليه السلام وغـيره من الانبياء وماأسئلكم عليـه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين * قلت لانزاع فى أنه لايجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقى الجواب عن قوله الاالمودة فى القربى فالجواب عنه من وجهين * الاول معناه لاأطلب منكم الاهذا وهذا فى الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر

ولاعيب فيهم غير ان سـيوفهم * بهن فلول من قراع الكتـائب

معنـاه اذا كان هـذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلـمين أمر واجـب واذا كان كذلك فى حق جميـع المسلمين كان فى أهـل بيت النبى صلى الله عليه وسـلم أولى فقـوله قل لاأسـئلكم عليـه أجرا الاالمودة فى القربى المـودة فى القربى ليسـت أجرا فى الحقيقـة لان قرابتـه قرابتهم فكانت مودتهـم وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لااجر البتة * والوجه الثانى ان هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لاأسئلكم عليه أجرا ثم ابتدأ فقال الاالمودة فى القربى أى لكن أذكركم المودة فى قرابتى الذين هم قرابتكم فلاتؤذوهم وقيل ان هذه الآية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة وآواه الانصار ونصره أحب الله تعالى ان يلحقه باخوانه من النبيين فنزل الله تعالى قل ماسئلكم من اجر فهو لكم ان أجرى الا على الله فصارت هذه الآية ناسخة لقوله

يجوزأن يكون استثناء متصلا ويجوز ان يكون منقطعا أى لا أسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتى أى لاأسألكم عليه أجرا الاهذا وهو أن تودوا أهـل قرابتى الذين هـم قرابتكم ولاتؤذوهم ولم يقل الامودة القربى أو المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فـلان مودة ولى فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى بصـلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقـديره الاالمودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى أهـل القربى وروى أنه لما نزلت قيـل يارسول الله مـن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وقيل معناه الاأن تودونى لقرابتى فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا على اذ لم يكن بطن من بطون قريش الابين رسول الله وبينهم قرابة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى أى الاأن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح

قرابتى من بعدى ويقال الاان تتقربوا الى الله بالتوحيد فى قول الحسن البصرى وفى قول الفراء تتقربوا الى الله بالتوبة

(لقضى بينهـم) بين الكافرين والمؤمنين أولعجلت لهم العقوبة (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وان المشركين لهم عذاب أليم فى الآخرة وان أخرعنهم فى دار الدنيا (ترى الظالمين) المشركين فى الاخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لا محالة أشفقوا أولم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) كأن روضة جنـة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزههـا (لهم مايشاؤن عندربهـم) عند نصب بالظرف لا بيشاؤن (ذلك هو الفضل الكبير) على العمل القليل (ذلك) أى الفضل الكبير (الذى يبشرالله) يبشر مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (عبـاده الذين آمنـوا وعمـلوا الصـالحات) اى به عباده لذين آمنو فحـذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حـذف الراجـع الى الموصول كقوله أهذا الذى بعث الله رسولا ولمـا قال المشركون أيبتغى محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل (قل لاأسئلكم عليه) على التبليغ (أجرا الا المودة فى القربى

السـابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصـل يكون يوم القيـامة ﴿ لقضى بينهم ﴾ بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم ﴿ وان الظالمين لهم عذاب اليم ﴾ وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة ﴿ ترى الظالمين ﴾ فى القيامة ﴿ مشفقين ﴾ خائفين ﴿ مما كسبوا ﴾ من السيآت ﴿ وهو واقع بهم ﴾ اى وباله لاحق بهم اشفقوا اولم يشفقوا ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات ﴾ فى اطيب بقاعها وانزهها ﴿ لهم مايشاؤن عنـد ربهم ﴾ اى مايشتهونه ثابت لهم عندربهم ﴿ ذلك ﴾ اشـارة الى ما للمؤمنين ﴿ هو الفضل الكبير ﴾ الذى يصغر دونه مالغيرهم فى الدنيا ﴿ ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العـائد او ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ يبشر من ابشره ﴿ قل لااسألكم عليه ﴾ على ماأتعاطـاه من التبليغ والبشـارة ﴿ اجرا ﴾ نفعـا منكم ﴿ الا المودة فى القربى ﴾ ان تودونى لقرابتى منكم اوتودوا قرابتى وقيـل الاسـتثناء

يعنى ان الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة ﴿ لقضى بينهم ﴾ اى لفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا ﴿ وان الظالمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ لهم عذاب أليم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ ترى الظالمين ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ مشفقين ﴾ أى وجلين خائفين ﴿ مما كسبوا ﴾ أى من الشرك والاعمال الخبيثة ﴿ وهو واقع بهـم ﴾ أى جزاء كسبهم واقع بهم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات ﴾ لان هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على أن فى الجنة منازل غير الروضات هى لمن هو دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة ﴿ لهم مايشاؤن عند ربهم ﴾ أى من الكرامة ﴿ ذلك هو الفضل الكبير ذلك ﴾ أى الذى ذكر من نعيم الجنة ﴿ الذى يبشر الله ﴾ به ﴿ عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ قوله عز وجل ﴿ قل لا أسئلكم عليه ﴾ أى على تبليغ الرسالة ﴿ أجرا ﴾ أى جزاء ﴿ الا المودة فى القربى ﴾ (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن

(لقضى بينهم) لفرغ من هلاكهم (وان الظالمين) الكافرين أبا جهل وأصحابه (لهم عذاب اليم) وجيع (ترى الظالمين) الكافرين يوم القيامة (مشـفقين) خائفين (مما كسبوا) مما قالوا وعملوا فى الكفر (وهو واقع) نازل (بهم) مايحذرون (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم وهو ابوبكر واصحابه (فى روضات الجنات) فى رياض الجنة (لهم مايشاؤن) ماتمنون ويشتهون (قوله) (عند ربهم) فى الجنة (ذلك) الجنة (هو الفضل الكبير) لمن العظيم (ذلك) الفضل (الذى يبشر الله عباده) فى لدنيا (الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (قل) لهم يامحمد لاصحابك ويقال لاهل مكة (لااسألكم عليه) على التوحيد والقرآن (اجرا) جعلا (الا المودة فى القربى) الا ان تودوا

المؤمنين من لايصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لايصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع الذى لايغلب (من كان يريد حرث الآخرة) سمى مايعمله العامل مما يبتغى به الفائدة حرثا مجازا (نزد له فى حرثه) بالتوفيق فى عمله أو التضعيف فى احسانه أو بان ينال به الدنيا والآخرة (ومن كان يريد حرث الدنيا) اى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤته منها) أى شيأ منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذى قسم له مايريده و يبتغيه (وماله فى الآخرة من نصيب) وماله نصيب قط فى الآخرة وله فى الدنيا نصيب ولم يذكر فى عالم الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ماهو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب (أم لهم شركاء) قيل هى أم المنقطعة وتقديره بل ألهم شركاء وقيل هى المعادلة لالف الاستفهام وفى الكلام اضمار تقديره أيقبلون ماشرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أى لم يأمر به (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أى ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيامة

﴿وهو القوى﴾ الباهر القدرة ﴿العزيز﴾ المنيع الذى لايغلب ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض ويقال للزرع الحاصل منه ﴿نزد له فى حرثه﴾ فنعطه بالواحد عشرة الى سبعمائة فمافوقها ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها﴾ شيأ منها على ماقسمنا له ﴿وماله فى الآخرة من نصيب﴾ اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى ﴿أم لهم شركاء﴾ بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم ﴿شرعوا لهم﴾ بالتزيين ﴿من الدين مالم يأذن به الله﴾ كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به اوصور من سنه لهم ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ اى القضاء

يعنى ان الاحسان والبر انعام فى حق كل العباد وهو اعطاء مالابد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه وقيل لطفه فى الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقكم من الطيبات والثانى انه لم يدفع اليكم مرة واحدة ﴿وهو القوى﴾ أى القادر على كل مايشاء ﴿العزيز﴾ أى الذى لايغالب ولا يدافع ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ أى كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة ﴿نزد له فى حرثه﴾ أى بالتضعيف الواحدة الى عشرة الى مايشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيد فى توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات اليه ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا﴾ يعنى يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة ﴿نؤته منها﴾ أى ماقدر وقسم له منها ﴿وماله فى الآخرة من نصيب﴾ يعنى لانه لم يعمل لها * عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب ذكره فى جامع الاصول ولم يعزه الى احد من الكتب الستة وأخرجه البغوى باسناده * قوله تعالى ﴿أم لهم﴾ يعنى كفار مكة ﴿شركاء﴾ يعنى الاصنام وقيل الشياطين ﴿شرعوا لهم من الدين﴾ قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام ﴿مالم يأذن به الله﴾ يعنى ان تلك الشرائع باسرها على خلاف دين الله تعالى الذى أمر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لايعلمون غيرها ﴿ولولا كلمة الفصل﴾

بالمال (وهو القوى) بارزاق لعباده (العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن به (من كان يريد حرث الآخرة) ثواب الآخرة بعمله لله (نزد له فى حرثه) فى ثوابه ويقال فى قوته ونشاطه وحسنته فى العمل (ومن كان يريد حرث الدنيا) ثواب الدنيا بعمله الذى افترض الله عليه (نؤته) نعطه (منها) من الدنيا وندفع عنه منها (وماله فى الآخرة) فى الجنة (من نصيب) من ثواب لانه عمل لغير الله (أم لهم) ألهم لكفار مكة (شركاء) آلهة (شرعوا لهم) اختاروا لهم (من الدين مالم يأذن به الله) مالم يأمر الله به الكافرين أبا جهل وأصحابه (ولولا كلمة الفصل) الحق بتأخير العذاب عن هذه الامة

(بالحق) بالصدق أو متلبسا به (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان أنزله في زمن نوح عليه السلام (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدري والمراد مجيء الساعة والساعة في تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم بالعدل والتسوية والعمل الصالح فاعملوا بالكتاب والعدل قبل ان يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون لهولها (ويعلمون انها الحق) الكائن لا محالة (ألا ان الذين يمارون في الساعة) لمماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه (لفي ضلال بعيد) عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لابد من دار جزاء (الله لطيف بعباده) في ايصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف ادراكه أو هو بر بليغ البر بهم وقد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه او من ينشر المناقب ويستر المثالب او يعفو عمن يهفو أو يعطي العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد لطف بأوليائه فعرفوه ولو لطف بأعدائه ماجحدوه (يرزق من يشاء) أي يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه في الحديث ان من عبادي (يعني)

﴿بالحق﴾ متلبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام ﴿والميزان﴾ والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن بان اوحى باعداده ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ اتيانها فتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفجأك اليوم الذي يوزن فيه عملك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ استهزاء ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب ﴿ويعلمون انها الحق﴾ الكائن لا محالة ﴿ألا ان الذين يمارون في الساعة﴾ يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة ﴿لفي ضلال بعيد﴾ عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ماوراءها ﴿الله لطيف بعباده﴾ يبرهم بصنوف من البر لا يبلغها الافهام ﴿يرزق من يشاء﴾ اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته

﴿بالحق﴾ أي الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والاحكام ﴿والميزان﴾ أي العدل سمي العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ أي وقت اتيانها قريب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ أي ظنا منهم انها غير آتية ﴿والذين آمنوا مشفقون﴾ أي خائفون ﴿منها ويعلمون أنها الحق﴾ أي انها آتية لا شك فيها ﴿ألا ان الذين يمارون﴾ أي يخاصمون ﴿في الساعة﴾ وقيل يشكون فيها ﴿لفي ضلال بعيد﴾ * قوله عز وجل ﴿الله لطيف بعباده﴾ أي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى ﴿يرزق من يشاء﴾

بالقرآن (بالحق) لبيان الحق والباطل (والميزان) بين فيه العدل (وما يدريك) يا محمد ولم تدر (لعل الساعة قريب) قيام الساعة يكون قريبا (يستعجل بها) بقيام الساعة (الذين لا يؤمنون بها) بقيام الساعة وهو أبو جهل وأصحابه (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن وقيام الساعة وهو أبو بكر وأصحابه (مشفقون منها) خائفون من قيام الساعة وأهوالها وشدائدها (ويعلمون أنها) يعني قيام الساعة (الحق) لكائن (ألا ان الذين يمارون) يجادلون ويشكون (في الساعة) في قيام الساعة (لفي ضلال بعيد) عن الحق والهدى (الله لطيف بعباده) البر والفاجر ويقال لطف علمه بعباده البر والفاجر (يرزق من يشاء) يوسع على من يشاء

كتاب صح أن الله تعالى أنزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (وأمرت لاعدل بينكم) في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم) أي كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله لكم دينكم ولي دين ويجوز أن يكون معناه انا لا نؤاخذ بأعمالكم وأنتم لا تؤاخذون بأعمالنا (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين

يورد هذا حجته وهذا حجته

آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿وأمرت لاعدل بينكم﴾ في تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية ﴿الله ربنا وربكم﴾ خالق الكل ومتولى امره ﴿لنا اعمالنا ولكم اعمالكم﴾ فكل مجازى بعمله ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة ﴿واليه المصير﴾ مرجع الكل بفصل القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال ﴿والذين يحاجون في الله﴾ في دينه ﴿من بعد ما استجيب له﴾ من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به ﴿حجتهم داحضة عند ربهم﴾ زائلة باطلة ﴿وعليهم غضب﴾ بمعاندتهم ﴿ولهم عذاب شديد﴾ على كفرهم ﴿الله الذي انزل الكتاب﴾ جنس الكتاب

كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض ﴿وأمرت لاعدل بينكم﴾ قال ابن عباس أمرت ان لا أحيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الى ﴿الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ يعني ان اله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله ﴿لا حجة﴾ أي لا خصومة ﴿بيننا وبينكم﴾ وهذه الآية منسوخة بآية القتال اذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة ﴿الله يجمع بيننا﴾ أي في المعاد لفصل القضاء ﴿واليه المصير﴾ قوله عز وجل ﴿والذين يحاجون في الله﴾ أي يخاصمون في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم ﴿من بعد ما استجيب له﴾ أي من بعد ما استجاب الناس لدين الله تعالى فاسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿حجتهم داحضة﴾ أي خصومتهم باطلة ﴿عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾ أي في الآخرة ﴿الله الذي أنزل الكتاب

(الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم (والذين يحاجون في الله) يخاصمون في دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (حجتهم داحضة) باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة (عند ربهم وعليهم غضب) بكفرهم ولهم عذاب شديد) في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب) اي جنس الكتاب

(وامرت) في القرآن (لاعدل بينكم) بالتوحيد (الله ربنا وربكم) يقضي بيننا وبينكم يوم القيامة (لنا اعمالنا) لنا عبادة الله ودين الاسلام (ولكم اعمالكم) عليكم اعمالكم عبادة الاصنام ودين الشيطان (لا حجة) لا خصومة (بيننا وبينكم) في الدين (الله يجمع بيننا) وبينكم يوم القيامة (واليه المصير) مصير المؤمنين والكافرين ثم أمر الله بعد ذلك بالقتال (والذين يحاجون في الله) يخاصمون في دين الله يعني اليهود والنصارى (من بعد ما استجيب له) في الكتاب ويقال هم المشركون من بعد ما استجيب له يوم الميثاق (حجتهم داحضة) خصومتهم باطلة (عند ربهم وعليهم غضب) سخط (ولهم عذاب شديد) أشد ما يكون (الله الذي أنزل الكتاب) جبريل

يقبل على طاعته (وماتفرقوا) أى أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الامن بعدماجاءهم العلم) الامن بعد ان علموا ان الفرقة ضلال مأمرتوعد عليه على ألسنة الانبياء عليهم السلام (بغيابينهم) حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى) وهى بل الساعة موعدهم (لقضى بينهم) لاهلكوا حين افترقوا العظم مااقترفو (وان الذين ورثوا الكتاب من بعدهم) عم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفى شك منه) من كتابهم لايؤمنون به حق الايمان

مدخل فى ريبة وقيل وماتفرق أهل الكتاب الامن بعد ماجاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وماتفرق الذين أوتوا الكتاب الامن بعدماجاءتهم البينة وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعدماأورث أهل الكتاب التوراة والانجيل (فلذلك) فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القوية (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها (كما أمرت) كما أمرك الله (ولاتتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) باى

﴿ وماتفرقوا ﴾ يعنى الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله تعالى وماتفرق الذين اوتوا الكتاب ﴿ الامن بعدماجاءهم العلم ﴾ بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول عليه السلام اواسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها ﴿ بغيا بينهم ﴾ عداوة اوطلبا للدنيا ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بالامهال ﴿ الى اجل مسمى ﴾ هو يوم القيامة او آخر اعمارهم المقدرة ﴿ لقضى بينهم ﴾ باستئصال المبطلين حين افترقوا العظم مااقترفوا ﴿ وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم ﴾ يعنى اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اوالمشركين الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا ﴿ لفى شك منه ﴾ من كتابهم لايعلمونه كما هو او لايؤمنون به حق الايمان اومن القرآن ﴿ مريب ﴾ مقلق اومدخل فى الريبة ﴿ فلذلك ﴾ فلاجل ذلك التفرق اوالكتاب اوالعلم الذى اوتيته ﴿ فادع ﴾ الى الاتفاق على الملة الحنيفية اوالاتباع لمااوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام فى موضع الى لافادة الصلة اوللتعليل ﴿ واستقم كما امرت ﴾ واستقم على الدعوة كما امرك الله تعالى ﴿ ولاتتبع اهواءهم ﴾ الباطلة ﴿ وقل آمنت بما انزل الله من كتاب ﴾ يعنى جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين

﴿ ومتفرقوا ﴾ يعنى أهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعنى أهل الكتاب ﴿ الامن بعدما جاءهم العلم ﴾ أى بان الفرقة ضلالة ﴿ بغيابينهم ﴾ أى ولكنهم فعلوا ذلك للبغى وقيل بغيامنهم على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ أى فى تأخير العذاب عنهم ﴿ الى أجل مسمى ﴾ يعنى الى يوم القيامة ﴿ لقضى بينهم ﴾ أى بين من آمن وكفر يعنى لانزل العذاب بالمكذبين فى الدنيا ﴿ وان الذين أورثوا الكتاب ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ من بعدهم ﴾ أى من بعد أنبيائهم وقيل من الامم الخالية ﴿ لفى شك منه ﴾ أى من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فلايؤمنون به ﴿ مريب ﴾ يعنى مرتابين شاكين فيه ﴿ فلذلك ﴾ أى الى ذلك ﴿ فادع ﴾ أى الى ماوصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ماحدث به من الاختلاف فى الدين الكثير فادع أنت الى الاتفاق على الملة الحنيفية ﴿ واستقم كما أمرت ﴾ أى اثبت على الدين الذى أمرت به ﴿ ولاتتبع أهواءهم ﴾ أى المختلفة الباطلة ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾ أى آمنت بكتب الله المنزلة

(وماتفرقوا) وماختلف اليهود والنصارى فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والاسلام (الامن بعدما جاءهم العلم) بيان مافى كتابهم من صفة محمد عليه السلام ونعته (بغيابينهم) حسدامنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ولولا كلمة سبقت) وجبت (من ربك) (كلمتها) بتأخير عذاب هذه الامة (الى أجل مسمى) الى وقت معلوم (لقضى بينهم) لفرغ من هلاك اليهود والنصارى (وان الذين أورثوا الكتاب) أعطوا التوراة (من بعدهم) من بعد رسل ويقال من بعد الاولين (لفى شك منه) من التوراة ويقال القرآن (مريب) ظاهر الشك (فلذلك فادع) الى توحيد ربك وكتاب ربك (واستقم) على التوحيد (كما أمرت) فى القرآن (ولاتتبع اهواءهم) قبلتهم ودينهم قبلة اليهود ودين اليهود (وقل آمنت بما انزل الله) على الانبياء (من كتاب) من كتاب الله

شرع) بين واظهر (لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد وما بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله (ان اقيموا الدين) والمراد اقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر مايكون المرء باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وماذاك المشروع فقيل هو اقامة الدين (ولا تتفرقوا فيه) ولا تختلفوا فى الدين قال على رضى الله عنه لاتتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبى) يجتلب ويجمع (اليه) الى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدى اليه من ينيب)

﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ﴾ اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما عليهم السلام من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ﴿ ان اقيموا الدين ﴾ وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستئناف كأنه جواب وماذاك المشروع او الجر على البدل من هاء به ﴿ ولا تتفرقوا فيه ﴾ ولا تختلفوا فى هذا الاصل امافروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴿ كبر على المشركين ﴾ عظم عليهم ﴿ ماتدعوهم اليه ﴾ من التوحيد ﴿ الله يجتبى اليه من يشاء ﴾ يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم اوللدين ﴿ ويهدى اليه ﴾ بالارشاد والتوفيق ﴿ من ينيب ﴾ يقبل اليه

والتضييق * قوله عز وجل ﴿ شرع لكم من الدين ﴾ أى بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين أى دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى ﴿ ماوصى به نوحا ﴾ يعنى انه أول الانبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يامحمد دينا واحدا ﴿ والذى أوحينا اليك ﴾ أى من القرآن وشرائع الاسلام ﴿ وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ﴾ انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولوا العزم ثم فسر المشروع الذى اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله تعالى ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله فى أوامره ونواهيه وسائر مايكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التى هى مصالح الامم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة ﴿ كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ﴾ أى من التوحيد ورفض الاوثان ﴿ الله يجتبى اليه من يشاء ﴾ اى يصطفى لدينه من يشاء من عباده ﴿ ويهدى اليه من ينيب ﴾ أى يقبل على طاعته

شرع لكم) اختار لكم ياأمة محمد عليه السلام (من الدين) دين الاسلام (ماوصى به نوحا) الذى أوحينا به الى نوح وامرنا ان يدعو الخلق اليه ويستقيم عليه (والذى أوحينا اليك) وفى الذى أوحينا اليك يامحمد يعنى القرآن أمرناك ان تدعو الخلق الى الاسلام وتستقيم عليه (وما وصينا به ابراهيم) والذى اخترنا بالاسلام (قا و خا ٥١ مس) ابراهيم وامرناه ان يدعو الخلق اليه ويستقيم عليه (وموسى وعيسى) كذلك (ان أقيموا الدين) أمر الله جملة الانبياء ان أقيموا الدين أن اتفقوا فى الدين (ولا تتفرقوا فيه) لا تختلفوا فى الدين (كبر) عظم (على المشركين) أبى جهل وأصحابه (ماتدعوهم اليه) من التوحيد والقرآن (الله يجتبى اليه) لدينه (من يشاء) وهو من ولد فى الاسلام ويموت على ذلك (ويهدى اليه من ينيب) يرشد الى دينه من يقبل اليه من أهل الكفر

أى وخلق للانعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم (فيه) فى هذا التدبير وهو أن جعل الناس والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل واختير فيه على به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل (ليس كمثله شىء) قيل ان كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفى التماثل وتقديره ليس مثله شىء وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهو شىء كقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وهذا لان المراد نفى المثلية واذا لم تجعل الكاف أو المثل زيادة كان اثبات المثل وقيل المراد ليس كذاته شىء لانهم يقولون مثلك لايبخل يريدون به نفى البخل عن ذاته ويقصدون المبالغة فى ذلك بسلوك طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وقد نفوه عنه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شىء وبين قوله ليس كمثله شىء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له (وهو السميع) لجميع المسموعات بلا اذن (البصير) لجميع المرئيات بلا حدقة وكأنه ذكرهما لئلا يتوهم انه لا صفة له كما لا مثل له (له مقاليد السموات والارض) مر فى الزمر (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يضيق (انه بكل شىء عليم

للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا ﴿ يذرأكم ﴾ يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذر والذرو ﴿ فيه ﴾ اى فى هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ اى ليس مثله شىء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لايبخل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب الاوفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطى معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفة اى ليس كصفته صفة ﴿ وهو السميع البصير ﴾ لكل ما يسمع ويبصر ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ خزائنهما ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ يوسع ويضيق على وفق مشيئته ﴿ انه بكل شىء عليم ﴾ فيفعله على ما ينبغى

﴿ يذرؤكم ﴾ أى يخلقكم وقيل يكثركم ﴿ فيه ﴾ أى فى الرحم وقيل فى البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل فى بمعنى الباء أى يذرؤكم به أى يكثركم بالتزويج ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ المثل صلة أى ليس كهو شىء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شىء قال ابن عباس ليس له نظير • فان قلت هذه الآية دالة على نفى المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى فى السموات والارض يقتضى اثبات المثل فما الفرق • قلت المثل الذى يكون مساويا فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شىء معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما ﴿ وهو السميع ﴾ أى لسائر المسموعات ﴿ البصير ﴾ أى لسائر المبصرات ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ أى مفاتيح الرزق فى السموات يعنى المطر وفى الارض يعنى النبات يدل عليه قوله تعالى ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ يعنى انه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده ﴿ انه بكل شىء عليم ﴾ أى من البسط

ذكرا وأنثى (يذرؤكم فيه) يخلقكم فى الرحم وقيل يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شىء) فى الصفة والعلم والقدرة والتدبير (وهو السميع) لمقالتكم (البصير) باعمالكم (له مقاليد السموات) خزائن السموات المطر (والارض) النبات (يبسط الرزق لمن يشاء) يوسع المال على من يشاء (ويقدر) يقتر على من يشاء (انه بكل شىء) من البسط والتقتير (عليم

(ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي يكرم من يشاء بالاسلام (والظالمون) والكافرون (مالهم من ولي) شافع (ولا نصير) دافع (ام اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي) الفاء لجواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو الذي يجب ان يتولى وحده لا ولي سواه (وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين (فحكمه) أي حكم ذلك المختلف فيه مفوض (الى الله) وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم (الله ربي عليه توكلت) في رد كيد أعداء الدين (واليه أنيب) أرجع في كفاية شرهم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره (فاطر السموات والارض) ارتفاعه على انه أحد اخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف (جعل لكم من انفسكم) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الانعام ازواجا)

لجمع اليهود والنصارى والمشركين على ملة واحدة ملة الاسلام (ولكن يدخل) يكرم (من يشاء في رحمة) بدينه الاسلام (والظالمون) اليهود والنصارى والمشركون (مالهم من ولي) قريب ينفعهم (ولا نصير) مانع يمنعهم من عذاب الله (أم اتخذوا من دونه) عبدوا من دون الله (أولياء) أربابا (فالله هو الولي) بهم جميعا (وهو يحيي الموتى) للبعث (وهو على كل شئ) من الاحياء والاماتة (قدير وما اختلفتم فيه) في الدين (من شئ فحكمه الى الله) فاطلبوا حكمه من كتاب الله (ذلكم الله ربي) أمركم بذلك (عليه توكلت) اتكلت (واليه أنيب) أقبل (فاطر السموات) أي هو خالق السموات (والارض جعل لكم) خلق لكم (من أنفسكم) آدميا مثلكم (أزواجا) أصنافا ذكرا وأنثى (ومن الانعام أزواجا) اصنافا

مهتدين او ضالين ﴿ ولكن يدخل من يشاء في رحمته ﴾ بالهداية والحمل على الطاعة ﴿ والظالمون مالهم من ولي ولا نصير ﴾ اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذاب ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار ﴿ ام اتخذوا ﴾ بل اتخذوا ﴿ من دونه اولياء ﴾ كالاصنام ﴿ فالله هو الولي ﴾ جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق ﴿ وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ﴾ كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية ﴿ وما اختلفتم ﴾ انتم والكفار ﴿ فيه من شئ ﴾ من امر من امور الدين او الدنيا ﴿ فحكمه الى الله ﴾ مفوض اليه يميز المحق عن المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ﴿ ذلكم الله ربي عليه توكلت ﴾ في مجامع الامور ﴿ واليه انيب ﴾ ارجع في المعضلات ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره ﴿ جعل لكم ﴾ وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله وبالرفع ﴿ من انفسكم ﴾ من جنسكم ﴿ ازواجا ﴾ نساء ﴿ ومن الانعام ازواجا ﴾ اي وخلق

﴿ ولكن يدخل من يشاء في رحمته ﴾ أي في دين الاسلام ﴿ والظالمون ﴾ أي الكافرون ﴿ مالهم من ولي ﴾ أي يدفع عنهم العذاب ﴿ ولا نصير ﴾ أي يمنعهم من العذاب ﴿ أم اتخذوا ﴾ يعني الكفار ﴿ من دونه أولياء فالله هو الولي ﴾ قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك ﴿ وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ﴾ يعني ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي ﴿ وما اختلفتم فيه من شئ ﴾ أي من أمر الدين ﴿ فحكمه الى الله ﴾ أي يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته ﴿ ذلكم الله ﴾ أي الذي يحكم بين المختلفين هو الله ﴿ ربي عليه توكلت ﴾ أي في جميع أموري ﴿ واليه أنيب ﴾ أي واليه أرجع في كل المهمات ﴿ فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم ﴾ أي من جنسكم ﴿ أزواجا ﴾ أي حلائل وانما قال من أنفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم ﴿ ومن الانعام أزواجا ﴾ أي أصنافا ذكرانا واناثا

عليهم) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لايفوته منها شئ فيجزيهم عليها (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل عليهم ولامفوض اليك أمرهم انما أنت منذر فحسب (وكذلك) ومثل ذلك (اوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية التى قبلها من أن الله رقيب عليهم لا أنت بل أنت منذر لان هذا المعنى كرره الله فى كتبه أوهو مفعول به لاوحينا (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين (لتنذر أم القرى) أى مكة لان الارض دحيت من تحتها أولانها أشرف البقاع والمراد أهل أم القرى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجتمع فيه (لاريب فيه) اعتراض لامحل له يقال أنذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدى لتنذر أم القرى الى المفعول الاول وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثانى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى منهم فريق فى الجنة ومنهم فريق فى السعير والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق (ولوشاء الله لجعلهم أمة واحدة) أى مؤمنين كلهم

عليهم) شهيد عليهم وعلى أعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) بكفيل تؤخذ بهم ثم أمره بعد ذلك بقتالهم (وكذلك) هكذا (أوحينا اليك) أنزلنا اليك جبريل بالقرآن (قرآنا عربيا) بقرآن على مجرى لغة العرب (لتنذر) لتخوف بالقرآن (أم القرى) أهل مكة (ومن حولها) من البلدان (وتنذر) تخوف (يوم الجمع) من أهوال يوم الجمع يجتمع فيه أهل السماء وأهل الارض (لاريب فيه) لاشك فيه (فريق) منهم من أهل الجمع (فى الجنة) وهم المؤمنون (وفريق) طائفة منهم (فى السعير) فى نار الوقود وهم الكافرون (ولوشاء الله لجعلهم أمة واحدة) { ولكن }

عليهم ﴾ رقيب على احوالهم واعمالهم فيجزيهم بها ﴿ وماانت ﴾ يا محمد ﴿ عليهم بوكيل ﴾ بموكل بهم اوبموكول اليه امرهم ﴿ وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا ﴾ الاشارة الى مصدر يوحى اوالى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر فى القرآن فى مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حالا منه ﴿ لتنذر ام القرى ﴾ اهل ام القرى وهى مكة ﴿ ومن حولها ﴾ من العرب ﴿ وتنذر يوم الجمع ﴾ يوم القيامة يجمع الخلائق فيه اوالارواح والاشباح اوالاعمال والعمال وحذف ثانى مفعولى الاول واول مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر باليـاء والفعل للقرآن ﴿ لاريب فيه ﴾ اعتراض لامحل له ﴿ فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴾ اى بعد جمعهم فى الموقف يجمعون اولانهم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال من هم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق اومتفرقين فى دارى الثواب والعقاب ﴿ ولوشاء الله لجعلهم امة واحدة ﴾

عليهم ﴾ أى رقيب على أحوالهم وأعمالهم ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ أى لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم انما انت نذير ﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل ماذكرنا ﴿ أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ﴾ يعنى مكة والمراد أهلها ﴿ ومن حولها ﴾ يعنى قرى الارض كلها ﴿ وتنذر يوم الجمع ﴾ أى وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين ﴿ لاريب فيه ﴾ أى لاشك فى الجمع انه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى ﴿ فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴾ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال أتدرون ماهذان الكتابان قلنا لا يارسول الله فقال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا فى الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولاناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذى فى يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا فى الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولاناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبدالله بن عمرو ففيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أى عمل ثم قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده * قوله تعالى ﴿ ولوشاء الله لجعلهم أمة واحدة ﴾ قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام

(له مافى السموات ومافى الارض)ملكا وملكا(وهوالعلى)شانه (العظيم) برهانه (تكادالسموات) وبالياء نافع وعلى (يتفطرن من فوقهن) يتشققن ينفطرن بصرى وأبوبكر ومعناه يكدن يتفطرن من علوشان الله وعظمته يدله عليه مجيئه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكادالسموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة قال عليه السلام أطت السماء أطا وحق لها ان تئط مافيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أوراكع أوساجد (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) خضوعا لما يرون من عظمته (ويستغفرون لمن فى الارض) أى للمؤمنين منهم كقوله ويستغفرون للذين آمنوا خوفا عليهم من سطواته أو يوحدون الله وينزهونه عما لايجوز عليه من الصفات حامدين له على ماأولاهم من الطاعة متعجبين مما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى ويستغفرون لمؤمنى أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة أويطلبون الى ربهم أن يحلم عن أهل الارض ولايعاجلهم بالعقاب (ألا ان الله هو الغفور الرحيم)لهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ

﴿ له مافى السموات ومافى الارض وهوالعلى العظيم ﴾ خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته ﴿ تكادالسموات ﴾ وقرأ نافع والكسائى بالياء ﴿ يتفطرن ﴾ يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر ﴿ من فوقهن ﴾ اى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الآيات وادلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ﴾ بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة ﴿ ألا ان الله هو الغفور الرحيم ﴾ اذما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ﴿ والذين اتخذوا من دونه اولياء ﴾ شركاء واندادا ﴿ الله حفيظ

فقال تعالى ﴿ له مافى السموات ومافى الارض وهوالعلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ﴾ أى من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ﴾ أى ينزهونه عما لايليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم ﴿ ويستغفرون لمن فى الارض ﴾ أى من المؤمنين دون الكفار لان الكافر لايستحق ان تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من فى الارض اما فى حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار أن لايعاجلهم بالعقاب وأما فى حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيآتهم وقيل استغفارهم لمن فى الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر ﴿ ألا ان الله هو الغفور الرحيم ﴾ يعنى انه تعالى يعطى المغفرة التى سألوها ويضم اليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة * قوله تعالى ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ أى جعلوا له شركاء وانداداً ﴿ الله حفيظ

(له مافى السموات ومافى الارض) من الخلق كلهم عبيده واماؤه (وهوالعلى) اعلى كل شئ (العظيم)أعظم كل شئ (تكاد السموات يتفطرن) يتشققن (من فوقهن) بعضها فوق بعض من هيبة الرحمن ويقال من مقالة اليهود (والملائكة) فى السماء (يسبحون بحمد ربهم) يصلون بامر ربهم (ويستغفرون) يدعون بالمغفرة (لمن فى الارض)من المؤمنين المخلصين (ألا ان الله هو الغفور) لمن تاب (الرحيم) لمن مات على التوبة (والذين اتخذوا)عبدوا (من دونه)من دون الله (أولياء) أربابا من الاصنام (الله حفيظ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا باخواتها ولانه آيتان وكهيعص آية واحدة (كذلك يوحي اليك) أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب يوحي اليك (والى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعني ان ماتضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله اليك مثله في غيرها من السور وأوحاه الى من قبلك يعني الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعاني في القرآن في جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من نبي صاحب كتاب الا أوحي اليه بحم عسق يوحي بفتح الحاء مكي ورافع اسم الله على هذه القراءة مادل عليه يوحي كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب في فعله وقوله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم عسق﴾ لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق ﴿كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ اى مثل مافي هذه السورة من المعاني اوايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز ومابعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿حم عسق﴾ سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره لان حم عسق عدت آيتين وعدت أخواتها التي لم تقطع آية واحدة وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انها حروف التهجي واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر أي قضي وبقي عسق على أصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته أقسم الله عز وجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب في قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه وقيل هذا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى ﴿كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك﴾ وقيل معناه كذلك نوحي اليك اخبار الغيب كما أوحينا الى الذين من قبلك ﴿الله العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه والمعنى كانه قيل من يوحي فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (حم عسق) قال هي شيء أثنى بها على نفسه يقول الحاء حلمه والميم ملكه والعين علمه والسين سناؤه والقاف قدرته على خلقه ويقال الحاء كل حرب يكون والميم تحويل كل ملك يكون والعين كل عدو يكون والسين سنون كسني يوسف والقاف كل قذف يكون ويقال قسم أقسم بها ان لا يعذب في النار أبدا من قال لا اله الا الله مخلصا لربه واتقى بها ربه (كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك) من الرسل يقول كما أوحينا اليك حم عسق (فقال) كذلك أوحينا الى الذين من قبلك من الرسل (الله العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) في أمره وقضائه أمر أن لا يعبد غيره ويقال العزيز في ملكه وسلطانه الحكيم في أمره او قضائه

(حتى يتبين لهم أنه الحق) أى القرآن أو الاسلام (أولم يكف بربك) موضع بربك الرفع على انه فاعل والمفعول محذوف وقوله (انه على كل شئ شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم ان ربك على كل شئ شهيد أى أولم تكفهم شهادة ربك على كل شئ ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد (ألا انهم فى مرية) شك (من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم

سورة شورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية

(حتى يتبين لهم انه الحق ان ما تقوله [illegible] هو الحق (أولم يكف بربك) أولم [illegible] بربك من [illegible] على كل شئ [illegible] شهيد (ألا انهم [illegible] فى مرية) فى شك [illegible] من لقاء ربهم) [illegible] البعث [illegible] (ألا انه بكل شئ) من [illegible] (محيط) عالم [illegible] السورة التى [illegible] حم عسق وهى مكية الا [illegible] آيات [illegible] لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له الى آخر الآية وخمس آيات نزلت فى أبى بكر الصديق وأصحابه من قوله والذين يجتنبون كبائر الاثم الى قوله ان ذلك لمن عزم الامور فهن مدنيات آياتها خمسون آية وكلماتها ثمانمائة وستة وثمانون وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا

﴿حتى يتبين لهم انه الحق﴾ الضمير للقرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم او التوحيد او الله ﴿أولم يكف بربك﴾ اى اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كانه قيل اولم يحصل الكفاية به ولا يكاد تزاد فى الفاعل الا مع كفى ﴿انه على كل شئ شهيد﴾ بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة ومطلع فيعلم حالك وحالهم او ولم يكف الانسان رادعا عن المعاصى انه تعالى مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية ﴿الا انهم فى مرية﴾ شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية ﴿من لقاء ربهم﴾ بالبعث والجزاء ﴿الا انه بكل شئ محيط﴾ عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شئ منها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وآيها ثلاث وخمسون

على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفى أنفسهم وهو فتح مكة ﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يعنى دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل فى الآفاق يعنى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفى أنفسهم يعنى من لطف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم أنه الحق يعنى لا يقدر على هذه الاشياء الا الله تعالى ﴿أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد﴾ يعنى يشهد أن القرآن من عند الله تعالى وقيل أولم تكفهم الدلائل الكثيرة التى أوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شئ ﴿ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم﴾ أى فى شك عظيم من البعث والقيامة ﴿ألا انه بكل شئ محيط﴾ أى عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى وهى
مكية فى قول ابن عباس والجمهور وحكى عن ابن عباس الا
أربع آيات نزلت بالمدينة أولها قل لا اسئلكم عليه أجرا
وقيل فيها من المدنى ذلك الذى يبشر الله عباده الى قوله
تعالى بذات الصدور وقوله والذين اذا أصابهم البغى هم
ينتصرون الى قوله من سبيل وهى ثلاث وخمسون آية
وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة
وثمانية وثمانون حرفا والله تعالى أعلم

الجنة أو حالة حسنة من الكرامة والنعمة قياساً أمر الآخرة على أمر الدنيا (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا [illegible] حقيقة العذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفترعنهم (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض) هذا [illegible] الأصلية [illegible] أطرت النعمة فنسي المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن [illegible] نفسه وتكبر وتعظم وحقيقته أن يضع جانبه موضع نفسه لأن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه [illegible] الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه (وإذا مسه الشر) الضر والفقر (فذو دعاء عريض) كثير أي أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الأجرام

كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا

منافاة بين قوله فيؤس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لأن الأول في قوم والثاني في قوم أو قنوط في البر وذو دعاء عريض في البحر أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان أو قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى (قل أرأيتم) أخبروني (ان كان) القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) ثم جحدتم أنه من عند الله (من أضل منكم) إلا أنه وضع قوله (ممن هو في شقاق بعيد) موضع منكم بياناً لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) من فتح البلاد شرقاً وغرباً (وفي أنفسهم) فتح مكة

عنه ﴿ فلننبئن الذين كفروا ﴾ فلنخبرنهم ﴿ بما عملوا ﴾ بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ﴿ ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ لا يمكنهم التفصي عنه ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ﴾ عن الشكر ﴿ ونأى بجانبه ﴾ وانحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبراً والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله تعالى في جنب الله ﴿ وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ﴾ كثير مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ﴿ قل أرأيتم ﴾ أخبروني ﴿ إن كان من عند الله ﴾ أي القرآن ﴿ ثم كفرتم به ﴾ من غير نظر واتباع دليل ﴿ من أضل ممن هو في شقاق بعيد ﴾ أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق ﴾ يعني ما أخبرهم النبي عليه السلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة ﴿ وفي أنفسهم ﴾ ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم أو ما في بدن الإنسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة

والمعنى كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة ﴿ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ﴾ قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوي أعمالهم ﴿ ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم ﴿ وإذا مسه الشر ﴾ أي الشدة والفقر ﴿ فذو دعاء عريض ﴾ أي كثير ﴿ قل ﴾ أي قل يا محمد لكفار مكة ﴿ أرأيتم إن كان من عند الله ﴾ يعني هذا القرآن ﴿ ثم كفرتم به ﴾ أي جحدتموه ﴿ من أضل ممن هو في شقاق بعيد ﴾ أي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أحد أضل منكم ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق ﴾ قال ابن عباس يعني منازل الأمم الخالية ﴿ وفي أنفسهم ﴾ أي بالبلاء والأمراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد

(فلننبئن) فلنخبرن (الذين كفروا بما عملوا) في كفرهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد وما يعذبون في النار

(وإذا أنعمنا على الإنسان) يعني الكافر بالمال والولد (أعرض) عن شكر ذلك (ونأى بجانبه) تباعد عن الإيمان (وإذا مسه الشر) أصابه الفقر (فذو دعاء عريض) طويل بالمال ويقال كثير الولد وهو عتبة (قل) لهم يا محمد (أرأيتم إن كان [illegible]) [illegible] القرآن [illegible] (ثم كفرتم به) بالقرآن أنه ليس من الله [illegible] (من أضل) عن الحق [illegible] (ممن هو في شقاق) في خلاف (بعيد) عن الحق والهدى ويقال في معاداة شديدة مع محمد صلى الله عليه وسلم (سنريهم) يا محمد أهل مكة (آياتنا) علامات عجائبنا ووحدانيتنا وقدرتنا (في الآفاق) في أطراف الأرض من خراب مساكن الذين من قبلهم مثل عاد وثمود والذين من بعدهم (وفي أنفسهم) ونريهم في أنفسهم من الأمراض والأوجاع والمصائب وغير ذلك

(مامنا من شهيد) أي مامنا أحد اليوم يشهد بان لك شريكا ومامنا الامن هو موحد لك أو مامنا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لايبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي مامنا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشرك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) في الدنيا (وظنوا) وأيقنوا (مالهم من محيص) مهرب (لايسأم) لايمل (الانسان) الكافر بدليل قوله وما أظن الساعة قائمة (من دعاء الخير) من طلب السعة في المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل وأضيف الى المفعول (وان مسه الشر) الفقر (فيؤس) من الخير (قنوط) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي ينقطع الرجاء من فضل الله ورحمته وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال هذا لي أي هذا حق وصل الى لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لي لايزول عني (وما أظن الساعة قائمة) أي ما أظنها تكون قائمة (ولئن رجعت الى ربي) كما يقول المسلمون (ان لي عنده للحسنى) أي ... عندالله (للحسنى) أي

أعلمناك ﴿ مامنا من شهيد ﴾ من احد يشهد لهم بالشرك اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اى مامنا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين ﴿ وضل عنهم ما كانوا يدعون ﴾ يعبدون ﴿ من قبل ﴾ لاينفعهم او لايرونه ﴿ وظنوا ﴾ وايقنوا ﴿ مالهم من محيص ﴾ مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى ﴿ لايسأم الانسان ﴾ لايمل ﴿ من دعاء الخير ﴾ من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء بالخير ﴿ وان مسه الشر ﴾ الضيقة ﴿ فيؤس قنوط ﴾ من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط من ظهور اثر اليأس ﴿ ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ﴾ بتفريجها عنه ﴿ ليقولن هذا لى ﴾ استحقه عالى من الفضل والعمل اولى دائما لايزول ﴿ وما اظن الساعة قائمة ﴾ تقوم ﴿ ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ﴾ اى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لاينفك

أى أعلمناك ﴿ مامنا من شهيد ﴾ أى يشهد أن لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام ﴿ وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل ﴾ أى يعبدون فى الدنيا ﴿ وظنوا مالهم من محيص ﴾ أى مهرب * قوله تعالى ﴿ لايسأم الانسان ﴾ أى لايمل الكافر ﴿ من دعاء الخير ﴾ يعنى لايزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة ﴿ وان مسه الشر ﴾ أى الشدة والفقر ﴿ فيؤس ﴾ أى من روح الله تعالى ﴿ قنوط ﴾ أى من رحمته ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا ﴾ أى آتيناه خيرا وعافية وغنى ﴿ من بعد ضراء مسته ﴾ أى من بعد شدة وبلاء أصابه ﴿ ليقولن هذا لى ﴾ أى أستحقه بعملى ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أى ولست على يقين من البعث ﴿ ولئن رجعت الى ربى ﴾ يقول هذا الكافر اى فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربى ﴿ ان لى عنده للحسنى ﴾ أى الجنة

علمناك وقيناك قبل هذا

(مامنا من شهيد) يشهد على نفسه (قا و خا ٥٠ مس) أنه عبد دونك احدا (وضل عنهم) اشتغل عنهم (ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) علموا وايقنوا (مالهم من محيص) من ملجأ ولا غيث ولا نجاة من النار (لايسأم الانسان) يعنى الكافر لايمل ولا نفتر (من دعاء الخير) المال والولد والصحة (وان مسه الشر) ان اصابته الشدة والفقر (فيؤس قنوط) فيصير آيس شئ وأقنطه من رحمة الله (ولئن اذقناه) أصبناه (رحمة منا) نعمة ... (من بعد ضراء مسته) شدة اصابته (ليقولن هذا لى) بخير ... (وما أظن الساعة) قيام الساعة (قائمة) كائنة كما يقول محمد عليه السلام انكارا منه للبعث (ولئن رجعت الى ربى) كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم (ان لى عنده) فى الآخرة (للحسنى) الجنة وهو عتبة بن أبى ربيعة وأصحابه

الجزء الخامس والعشرون

اللهم لا تردنا خائبين

(اليه يرد علم الساعة) أى علم قيامها يرد اليه أى يجب على المسؤل أن يقول الله يعلم ذلك (وماتخرج من ثمرات) مدنى وشامى وحفص وغيرهم بغير ألف (من أكمامها) أوعيتها قبل أن تنشق جمع كم (وما تحمل من أنثى) حملها (ولاتضع الابعلمه) أى مايحدث شئ من خروج ثمرة ولاحمل حامل ولا وضع واضع الاوهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك (ويوم يناديهم أين شركائى) أضافهم الى نفسه على زعمهم وبيانه فى قوله أين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع (قالوا آذناك) أعلمناك وقيل أخبرناك وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال أما الاخبار للعالم بالشئ تحقق بما علم به الا أن يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه

﴿ اليه يرد علم الساعة ﴾ اى اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو ﴿ وماتخرج من ثمرة من اكمامها ﴾ من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون ما موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله ﴿ وماتحمل من انثى ولا تضع ﴾ بمكان ﴿ الا بعلمه ﴾ الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ﴿ ويوم يناديهم اين شركائى ﴾ بزعمكم ﴿ قالوا آذناك ﴾

☼ قوله عز وجل ﴿ اليه يرد علم الساعة ﴾ يعنى اذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك ﴿ وماتخرج من ثمرة من أكمامها ﴾ أى من أوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل أن ينشق ﴿ وماتحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ﴾ أى يعلم قدر أيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو أم أنثى ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم مايحدث من كل شئ كالثمار والنتاج وغيره ٭ فان قلت قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون ٭ قلت أما أصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذى يرد اليه وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشركه فيه أحد ﴿ ويوم يناديهم ﴾ أى ينادى الله تعالى المشركين فيقول ﴿ أين شركائى ﴾ أى الذين تدعون أنها آلهة ﴿ قالوا ﴾ يعنى المشركين ﴿ آذناك ﴾

(اليه يرد علم الساعة) علم قيام الساعة لا يعلم قيامها احد غير الله (وماتخرج من ثمرات من اكمامها) من كفراها (وماتحمل من انثى) الحوامل (ولا تضع) حملها (الا بعلمه) باذنه لا يعلمه غيره (ويوم يناديهم) فى النار فيقول الله (اين شركائى) الذين كنتم تعبدون وتقولون انهم شركائى (قالوا آذناك) (اى)

(أولئك ينادون من مكان بعيد) يعنى أنهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كأنهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون فى القيامة من مكان بعيد بأقبح الاسماء (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما

اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لقضى بينهم) لاهلكهم اهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا (وانهم) وان الكفار (لفى شك منه مريب) موقع فى الريبة (من عمل صالحا فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضر (وماربك بظلام للعبيد) فيعذب غير المسئ

عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ اى هم تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرآن ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهى العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ اوتقدير الآجال ﴿لقضى بينهم﴾ باستئصال المكذبين ﴿وانهم﴾ وان اليهود او الذين لا يؤمنون ﴿لفى شك منه﴾ من التوراة او القرآن ﴿مريب﴾ موجب للاضطراب ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾ نفعه ﴿ومن اساء فعليها﴾ ضره ﴿وماربك بظلام للعبيد﴾ فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله

أى صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به ﴿ أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ أى كان من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء فى قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴾ أى فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك فى كتابك ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ أى فى تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن ﴿ لقضى بينهم ﴾ أى لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم ﴿ وانهم لفى شك منه مريب ﴾ أى من كتابك وصدقك ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ﴾ أى يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه ﴿ ومن ساء فعليها ﴾ أى ضرر اساءته أوكفره يعود على نفسه أيضا ﴿ وماربك بظلام للعبيد ﴾ يعنى فيعذب غير المسئ

(أولئك) أهل مكة أبو جهل وأصحابه (ينادون من مكان بعيد) كأنهم ينادون الى التوحيد من السماء (ولقد آتينا) اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) فى كتاب موسى فمنهم مصدق به ومنهم مكذب به (ولولا كلمة سبقت) وجبت (من ربك) بتأخير العذاب عن هذه الامة (لقضى) بينهم) لفرغ من هلاك اليهود والنصارى والمشركين يقول عذبوا عند التكذيب كما عذب الذين من قبلهم عند التكذيب (وانهم)يعنى اليهود والنصارى والمشركين (لفى شك منه) من القرآن (مريب) ظاهر الشك ويقال من كتاب موسى (من عمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (فلنفسه) ثواب ذلك (ومن أساء فعليها) من أشرك بالله فعليها على نفسه عقوبة ذلك (وماربك) يا محمد (بظلام للعبيد) أن يأخذهم بلاجرم

قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم (ولو جعلناه) اى الذكر (قرآنا أعجميا) أى بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل فى جوابهم لو كان كما يقترحون (لقالوا لولا فصلت اياته) أى بينت بلسان العرب حتى نفهمها لتعنتنا (أأعجمى وعربى) بهمزتين كوفى غير حفص والهمزة للانكار يعنى لا نكروا وقالوا أقرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل اليه عربى الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والاعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب والعجمى منسوب

أوغير فصيح والمعنى ان آيات الله على أى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون أهواءهم وفيه اشارة على أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلا لابى حنيفة رضى الله عنه فى جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية (قل هو) أى القرآن (للذين آمنوا هدى) ارشاد الى الحق (وشفاء) لما فى صدور من الشك اذ الشك مرض (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) فى موضع الجر لكونه معطوفا على للذين آمنوا أى هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر أى صمم الا ان فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الاخفش أو الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو فى آذانهم منه وقر (وهو) أى القرآن (عليهم عمى) ظلمة وشبهة

اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ﴿ ولو جعلناه قرآنا اعجميا ﴾ جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر ﴿ لقالوا لولا فصلت آياته ﴾ بينت بلسان نفقهه ﴿ أأعجمى وعربى ﴾ أكلام اعجمى ومخاطب عربى انكار مقرر للتحضيض والاعجمى يقال للذى لا يفهم كلامه ولكلامه وهذه قراءة ابى بكر وحمزة والكسائى وقرأ قالون وابو عمرو بالمد والتسهيل وورش بالمد وابدال الثانية الفا وابن كثير وابن ذكوان وحفص بغير المد بتسهيل الثانية وقرئ أعجمى وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام اعجمى على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور اوللدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى ﴾ الى الحق ﴿ وشفاء ﴾ لما فى الصدور من الشك والشبهة ﴿ والذين لا يؤمنون ﴾ مبتدأ خبره ﴿ فى آذانهم وقر ﴾ على تقدير هو فى آذانهم وقر لقوله ﴿ وهو عليهم عمى ﴾ وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم

﴿ ولو جعلناه ﴾ أى هذا الكتاب الذى تقرؤه على الناس ﴿ قرآنا اعجميا ﴾ أى بغير لغة العرب ﴿ لقالوا لولا فصلت آياته ﴾ أى هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها ﴿ أأعجمى وعربى ﴾ أى أكتاب أعجمى ورسول عربى وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل أعجميا وقيل فى معنى الآية انا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزل الكلام العجمى الى القوم العرب ولصح قولهم أن يقولوا قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وانا لما أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم أن يقولوا قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه سلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمى وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمنى فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ هو ﴾ يعنى القرآن ﴿ للذين آمنوا هدى ﴾ أى من الضلالة ﴿ وشفاء ﴾ أى لما فى القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام ﴿ والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾

لمن مات على الكفر (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) لو نزلنا جبريل بالقرآن على غير مجرى لغة العربية (لقالوا) كفار مكة (لولا فصلت) هلا بينت وعربت (آياته) بالعربية ((أأعجمى وعربى) قرآن أعجمى ورجل عربى كيف هذا (قل) لهم يا محمد (هو) يعنى القرآن (للذين آمنوا) أبى بكر وأصحابه (هدى) من الضلالة (وشفاء) بيان لما فى الصدور من العمى (والذين لا يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهو أبو جهل وأصحابه (فى آذانهم وقر) صمم (وهو) يعنى القرآن (عليهم عمى) حجة

الوعيد (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذكر)بالقرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله(لما جاءهم) حين جاءهم وخبران محذوف أى يعذبون أو هالكون أوأولئك ينادون من مكان بعيد ومابينهما اعتراض(وانه لكتاب عزيز)أى منيع محمى بحماية الله(لاياتيه الباطل)التبديل أوالتناقض(من بين يديه ولامن خلفه أى بوجه من الوجوه (تنزيل من حكيم حيد) مستحق للحمد (مايقال لك) مايقول لك كفار قومك (الاماقد قيل للرسل من قبلك) الامثل ماقال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعنة فى الكتب المنزلة (انربك لذومغفرة) ورحمة لانبيائه (وذوعقاب أليم) لاعدائهم ويجوز أن يكون مايقول لك الله الامثل ماقال للرسل من

﴿ انه بما تعملون بصير ﴾ وعيد بالمجازاة ﴿ ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا اومستأنف وخبران محذوف مثل معاندون اوهالكون اواولئك ينادون والذكر القرآن ﴿ وانه لكتاب عزيز ﴾ كثير النفع عديم النظير اومنيع لايتأتى ابطاله وتحريفه ﴿ لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ﴾ لايتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات اومما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية ﴿ تنزيل من حكيم ﴾ واى حكيم ﴿ حميد ﴾ يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمة ﴿ مايقال لك ﴾ اى مايقول لك كفار قومك ﴿ الاماقد قيل للرسل من قبلك ﴾ الامثل ماقال لهم كفار قومهم اومايقول الله لك الامثل ماقال لهم ﴿ ان ربك لذو مغفرة ﴾ لمن آمن لانبيائه ﴿ وذو عقاب اليم ﴾ لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل انيكون المقول بمعنى انحاصل ماأوحى

أمر تهديد ووعيد ﴿ انه بما تعملون بصير ﴾ أى انه عالم باعمالكم فيجازيكم عليها ﴿ ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ يعنى القرآن وفى جواب ان وجهان أحدهما أنه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثانى جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ فى وصف الذكر فقال تعالى ﴿ وانه لكتاب عزيز ﴾ قال ابن عباس كريم على الله تعالى وقيل العزيز العديم النظير وذلك أن الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلايجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى ﴿ لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ﴾ قيل الباطل هو الشيطان فلايستطيع أن يغيره وقيل انه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أويزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لاياتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولايجئ بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لايتطرق اليه ولايجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لاياتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولافيما تاخر ﴿ تنزيل من حكيم ﴾ أى فى جميع أفعاله ﴿ حميد ﴾ أى الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه فقال عز وجل ﴿ مايقال لك ﴾ أى من الاذى والتكذيب ﴿ الاماقد قيل لرسل من قبلك ﴾ يعنى أنه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت ﴿ ان ربك لذو مغفرة ﴾ أى لمن تاب وآمن بك ﴿ وذو عقاب أليم ﴾ أى لمن أصر على التكذيب ☼ قوله عز وجل

وعيدلهم (انه بما تعملون بصير) يجزيكم باعمالكم (ان الذين كفروا بالذكر) بالقرآن (لما جاءهم)حين جاءهم محمد عليه السلام به وهو أبو جهل وأصحابه لهم فى الآخرة نار جهنم (وانه) يعنى القرآن (لكتاب عزيز) كريم شريف (لاياتيه الباطل)لم يخالفه التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب (من بين يديه) من قبله (ولامن خلفه) ولايكون من بعده كتاب فيخالفه ويقال لاتكذبه التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب من قبله ولايكون من بعده كتاب فيكذبه ويقال لم يأت ابليس الى محمد عليه السلام من قبل اتيان جبريل فزاد فى القرآن ولامن بعد ذهاب جبريل فنقص من القرآن ويقال لايخالف القرآن (ولو) بعضه بعضا ولكن يوافق بعضه بعضا(تنزيل من حكيم) تكليم من حكيم فى أمره وقضائه (حميد)محمود فى فعاله(مايقال لك يامحمد من الشتم والتكذيب(الاماقد قيل للرسل)من الشتم والتكذيب من قبلك ويقال مايقال لك ماأمرلك من تبليغ الرسالة الاماقد قيل أمر للرسل (من قبلك) بتبليغ الرسالة (ان ربك)يامحمد(لذو مغفرة)لمن تاب من الكفر وآمن بالله (وذو عقاب ال

والمعنى فان استكبروا ولم يمتثلوا ماامروابه وأبوا الا الواسطة وأمروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فان الله تعالى لايعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وعندربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا عند لايسأمون وعند الشافعي رحمه الله عند تعبدون والاول أحوط (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لانبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير) فيكون قادرا على البعث

(ان الذين يلحدون فى آياتنا) يميلون عن الحق فى أدلتنا بالطعن يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة لحفر فى شق فاستعير لحال الارض اذا كانت ملحودة فاستعير الانحراف فى تاويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة (لايخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيمة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم) هذا نهاية فى التهديد ومبالغة فى

﴿ ومن آياته انك ترى الارض خاشعة ﴾ يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل ﴿ فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اى زادت ﴿ ان الذى احياها ﴾ بعد موتها ﴿ لمحيي الموتى انه على كل شئ ﴾ من الاحياء والاماتة ﴿ قدير ان الذين يلحدون ﴾ يميلون عن الاستقامة ﴿ فى آياتنا ﴾ بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها ﴿ لايخفون علينا ﴾ فنجازيهم على الحادهم ﴿ أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيمة ﴾ قابل الالقاء فى النار بالاتيان آمنا مبالغة فى احاد حال المؤمنين ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ تهديد شديد

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعي أحدهما انه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن أبى حنيفة وأحمد لان ذكر السجدة قبله والثانى وهو الاصح عند أصحاب الشافعي وكذلك نقله الرافعي انه عند قوله تعالى وهم لايسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن أبى حنيفة لان عنده يتم الكلام ﴿ ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير ﴾ قوله تعالى ﴿ ان الذين يلحدون ﴾ أى يميلون عن الحق ﴿ فى آياتنا ﴾ أى فى أدلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون ﴿ لايخفون علينا ﴾ تهديد ووعيد قيل نزلت فى أبى جهل ﴿ أفمن يلقى فى النار ﴾ هو أبو جهل ﴿ خير أم من يأتى آمنا يوم القيمة ﴾ المعنى الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾

الله ولا يفترون (ومن آياته) ومن علامات وحدانيته وقدرته (أنك ترى الارض خاشعة) ذليلة منكسرة ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) استبشرت بالمطر يقال تحركت بالنبات (وربت) كثر نباتها ويقال انتفخت بنباتها (ان الذى أحياها) بعد موتها (لمحيي الموتى) للبعث انه على كل شئ) من الاماتة والاحياء (قدير ان الذين يلحدون فى آياتنا) يجحدون بآياتنا بمحمد عليه السلام والقرآن يقال يكذبون بآياتنا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ان قرأت بضم الياء (لايخفون علينا) لايخفى علينا من أعمالهم شئ (أفمن يلقى فى النار) وهو أبو جهل وأصحابه (خير أم من يأتى آمنا) من العذاب (يوم القيمة) وهو محمد عليه السلام وأصحابه (اعملوا) يا أهل مكة (ما شئتم) وهذا

وصار وليا مصافيا (ومايننزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه يبعثه على مالا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو اريد وامايننزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنزغ الشيطان (ومن آياته) الدالة على وحدانيته (الليل والنهار) فى تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) فى اختصاصهما بسير مقدر ونور مقرر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما (واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) الضمير فى خلقهن للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة مالا يعقل حكم الانثى أو الاناث تقول الاقلام بريتها وبريتهن ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله (فان استكبروا فالذين عند ربك) أى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون

وكال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة ﴿ وامايننزغنك من الشيطان نزغ ﴾ نخس شبه به وسوسته لانها بعث على مالا ينبغى كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر ﴿ فاستعذ بالله ﴾ من شره ولا تطعه ﴿ انه هو السميع ﴾ لاستعاذتك ﴿ العليم ﴾ بنيتك او بصلاحك ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ﴾ لانهما مخلوقان مأموران مثلكم ﴿ واسجدوا لله الذى خلقهن ﴾ الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد مالا يعلم ولا يختار ﴿ ان كنتم اياه تعبدون ﴾ فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابى حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى ﴿ فان استكبروا ﴾ عن الامتثال ﴿ فالذين عند ربك ﴾ من الملائكة ﴿ يسبحون له بالليل والنهار ﴾ اى دائما لقوله ﴿ وهم لا يسأمون ﴾ لا يملون

له الجنة ﴿ وامايننزغنك من الشيطان نزغ ﴾ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه أى يبعثه الى مالا ينبغى ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أى من شره ﴿ انه هو السميع ﴾ أى لاستعاذتك ﴿ العليم ﴾ باحوالك * قوله تعالى ﴿ ومن آياته ﴾ أى ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته ﴿ الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ﴾ أى انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم ﴿ واسجدوا لله الذى خلقهن ﴾ أى المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر ﴿ ان كنتم اياه تعبدون ﴾ يعنى أن ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسائط وأمروا بالسجود لله الذى خلق هذه الاشياء كلها ﴿ فان استكبروا ﴾ أى عن السجود لله ﴿ فالذين عند ربك ﴾ يعنى الملائكة ﴿ يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ أى لا يفترون ولا يملون

(وامايننزغنك من الشيطان نزغ) أن يصيبك من الشيطان وسوسة بالجفاء عند جفاء أبى جهل (فاستعذ بالله) من الشيطان الرجيم (انه هو السميع) (فصل) لمقالة أبى جهل (العليم) بعقوبته وقال السميع باستعاذتك العليم بوسوسة الشيطان (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها من آيات الله (لا تسجدوا للشمس) لا تعبدوا الشمس (ولا للقمر) ولا القمر (واسجدوا لله) واعبدوا الله (الذى خلقهن) يعنى خالق الشمس والقمر والليل والنهار (ان كنتم اياه تعبدون) ان كنتم تريدون عبادة الله ولا تعبدوا الشمس والقمر ولكن اعبدوا الله الذى خلقهما ويقال ان كنتم تريدون بعبادة الشمس والقمر عبادة الله فلا تعبدوهما فان عبادة الله فى ترك عبادتهما (فان استكبروا) تعظموا عن الايمان والعبادة لله (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون له) يصلون لله (بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون من عبادة

وقال انني من المسلمين) تفاخرا بالاسلام ومعتقداله أو أصحابه عليه السلام أو المؤذنون أو جميع الهداة والدعاة الى الله (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن) يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك كما لو اساء اليك رجل اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه اويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال (ومايلقيها) اي ومايلقى هذه الخصلة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) الا اهل الصبر (ومايلقيها الا ذو حظ عظيم) الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل فادفع بالتي هي احسن لانه على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقال ادفع بالتي هي احسن وقيل لا مزيدة للتاكيد والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ماعظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبي صلى الله عليه وسلم

﴿ وقال انني من المسلمين ﴾ تفاخرا به واتخاذا الاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي عليه السلام وقيل في المؤذنين ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ﴾ في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي ﴿ ادفع بالتي هي احسن ﴾ ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او بالحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة ﴿ فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق ﴿ ومايلقيها ﴾ ومايلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان ﴿ الا الذين صبروا ﴾ فانها تحبس النفس عن الانتقام ﴿ ومايلقيها الا ذو حظ عظيم ﴾ من الخير

هذا حديث حسن ﴿ وقال انني من المسلمين ﴾ قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به * قوله تعالى ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ﴾ يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ قال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة ﴿ فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ﴾ أي صديق قريب قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة ﴿ ومايلقيها ﴾ أي ومايلقى هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة ﴿ الا الذين صبروا ﴾ أي على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام ﴿ ومايلقيها الا ذو حظ عظيم ﴾ أي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني مايلقاها الا من وجبت

المغرب (وقال انني من المسلمين) انحل (قا و غا ٤٩ مس) الاسلام وقال اني مؤمن حقا وهو محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه (ولا تستوى الحسنة) الدعوة الى التوحيد من محمد صلى الله عليه وسلم (ولا السيئة) الدعوة الى الشرك من ابي جهل ويقال ولا تستوى الحسنة شهادة ان لا اله الا الله ولا السيئة الشرك بالله (ادفع) يا محمد الشرك من ابي جهل ان يفتنك (بالتي هي احسن) بلا اله الا الله ويقال ادفع السيئة من ابي جهل عن نفسك بالتي هي احسن بالكلام الحسن والسلام واللطف (فاذا) فعلت ذلك صار (الذي بينك وبينه عداوة) في الدين وهو ابو جهل (كانه ولي) في الدين (حميم) قريب في النسب (ومايلقيها) مايعطى الجنة في الآخرة (الا الذين صبروا) على المرازي واذى الاعداء في الدنيا (ومايلقيها) وما يوفق لدفع السيئة بالحسنة (الا ذو حظ عظيم) ثواب وافر في الجنة مثل محمد عليه السلام وأصحابه

فالخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا وقال محمد بن علي الترمذي تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند مفارقة الارواح الابدان

أن لاتخافوا سلب الايمان ولاتحزنوا على ما كان من العصيان وبشروا بدخول الجنان التي كنتم توعدون في سالف الزمان (نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة) كما أن الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين (ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ماتدعون) تتمنون (نزلا) هو رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من ما (من غفور رحيم) نعت له (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته هو رسول الله دعا الى التوحيد (وعمل صالحا) خالصا

(وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا (نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا) تولينا كم في الدنيا (وفي الآخرة) ونتولاكم في الآخرة وهم الحفظة (ولكم فيها) في الجنة (ماتشتهي) ماتمنى (انفسكم ولكم فيها) في الجنة (ماتدعون) تسألون (نزلا) ثوابا وطعاما وشرابا لكم (من غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (ومن أحسن قولا) أحكم قولا وقيل أحسن دعوة (ممن دعا الى الله) بالتوحيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وعمل صالحا) ادى الفرائض ويقال نزلت (هذا) هذه الآية في المؤذنين يقول ومن احسن قولا دعوة ممن دعا الى الله بالاذان وعمل صالحا صلى ركعتين بعد الاذان غير اذان صلاة

مفسرة ﴿ وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ في الدنيا على لسان الرسل ﴿ نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا ﴾ نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة ﴿ وفي الآخرة ﴾ بالشفاعة والكرامة حيثما تتعادى الكفرة وقرناؤهم ﴿ ولكم فيها ﴾ في الآخرة ﴿ ماتشتهي انفسكم ﴾ من اللذائذ ﴿ ولكم فيها ماتدعون ﴾ ماتتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول ﴿ نزلا من غفور رحيم ﴾ حال من ماتدعون للاشعار بان ماتتمنون بالنسبة الى مايعطون مما لايخطر ببالهم كالنزل للضيف ﴿ ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ﴾ الى عبادته ﴿ وعمل صالحا ﴾ فيما بينه وبين ربه

كله وقيل لاتخافوا من ذنوبكم ولاتحزنوا فانا أغفرها لكم ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم ﴾ أي تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن أولياؤكم أي أنصاركم وأحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم ﴿ في الحيوة الدنيا و ﴾ نحن أولياؤكم ﴿ في الآخرة ﴾ لانفارقكم حتى تدخلوا الجنة ﴿ ولكم فيها ﴾ أي في الجنة ﴿ ماتشتهي أنفسكم ﴾ أي من الكرامات واللذات ﴿ ولكم فيها ماتدعون ﴾ أي تتمنونه ﴿ نزلا ﴾ أي رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف ﴿ من غفور رحيم ﴾ قال أهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا أعطى هذا النزل فاظنك بما بعده من الالطاف والكرامة * قوله تعالى ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله ﴾ أي الى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو المؤمن اجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما اجاب اليه ﴿ وعمل صالحا ﴾ في اجابته وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية وللدعوة الى الله تعالى مراتب ٠ الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات بالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء ٠ المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله وبالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله ٠ المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته ٠ المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاة الى الله تعالى والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة وقال في الثالثة لمن شاء ٠ عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لايرد أخرجه أبو داود والترمذي وقال

(اللذين أضلانا) أى الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين) فى النار جزاء اضلالهما ايانا (ان الذين قالوا ربنا الله) اى نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ماتقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب اى لم ينافقوا وعن عثمان رضى الله عنه اخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه ادوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا فى الفانية ورغبوا فى الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (ان) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة وأصله بانه (لاتخافوا) والهاء ضمير الشأن أى لاتخافوا ماتقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ماخلفتم

اللذين اضلانا من الجن والانس ﴾ يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابوبكر والسوسى ارنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء ﴿ نجعلهما تحت اقدامنا ﴾ ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ﴿ ليكونا من الاسفلين ﴾ مكانا اوذلا ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ﴾ اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ﴿ ثم استقاموا ﴾ فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة اولانها عسر قلما يتبع الاقرار وماروى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن اوعند الموت اوالخروج من القبر ﴿ ان لاتخافوا ﴾ ماتقدمون عليه ﴿ ولاتحزنوا ﴾ على ماخلفتم وان مصدرية اومخففة مقدرة بالباء اى بانه لاتخافوا او

اللذين أضلانا من الجن والانس ﴾ يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذى قتل أخاه لانهما سنا المعصية ﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ﴾ أى فى النار ﴿ ليكونا من الاسفلين ﴾ أى فى الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ قال اهل التحقيق كمال الانسان أن يعرف الحق لذاته لاجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة أن يكون الانسان مستقيما فى الوسط غير مائل الى طرفى الافراط والتفريط فتكون الاستقامة فى أمر الدين والتوحيد فتكون فى الاعمال الصالحة سئل أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال ان لاتشرك بالله شيأ وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهى ولاتروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضى الله تعالى عنه استقاموا أخلصوا فى العمل وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث ﴿ أن لاتخافوا ﴾ أى من الموت وقيل لاتخافوا على ماتقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ ولاتحزنوا ﴾ أى على ماخلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك

اللذين أضلانا) عن الحق والهدى (من الجن والانس) من الجن ابليس والانس قابيل الذى قتل أخاه هابيل ويقال من الجن ابليس والشياطين ومن الانس رؤساؤهم (نجعلهما تحت أقدامنا) بالعذاب (ليكونا من الاسفلين) من الاضلين بالعذاب (ان الذين قالوا ربنا الله) وحدوا الله (ثم استقاموا) على الايمان ولم يكفروا ويقال على أداء الفرائض ولم يروغوا روغان الثعلب (تتنزل عليهم الملائكة) عند قبض أرواحهم (ألا تخافوا) على ما أمامكم من العذاب (ولاتحزنوا) على ماخلفتم من خلفكم

أمم ومحله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى حق عليهم القول كائنين فى جملة أمم (قد خلت من قبلهم) قبل أهل مكة (من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم والامم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ (والغوا فيه لعلكم تغلبون) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) يجوز ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) أى أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر (ذلك جزاء أعداء الله) ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب

أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف (لهم فيها دار الخلد) أى النار فى نفسها دار الخلد كما تقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جزاء) أى جوزوا بذلك جزاء (بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ مكى وشامى وأبو بكر وبالاختلاس أبو عمرو

وهو حال من الضمير المجرور ﴿ قد خلت من قبلهم من الجن والانس ﴾ وقد عملوا مثل اعمالهم ﴿ انهم كانوا خاسرين ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ وعارضوه بالخرافات اوارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغى يلغو اذا هذى ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ اى تغلبونه على قراءته ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ﴾ المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ﴿ ولنجزينهم اسوء الذى كانوا يعملون ﴾ سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الاسوء ﴿ جزاء اعداء الله ﴾ خبره ﴿ النار ﴾ عطف بيان للجزاء او خبر محذوف ﴿ لهم فيها ﴾ فى النار ﴿ دار الخلد ﴾ فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة ﴿ جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو ﴿ وقال الذين كفروا ربنا ارنا

﴿ قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ﴾ * قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعنى مشركى قريش ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ قال ابن عباس والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصى الى بعض اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل أكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا فى وجهه ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ يعنى محمدا على قراءته ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ ﴾ يعنى بأسوأ ﴿ الذى كانوا يعملون ﴾ أى فى الدنيا وهو الشرك ﴿ ذلك ﴾ أى الذى ذكر من العذاب ﴿ جزاء أعداء الله ﴾ ثم بين ذلك الجزاء فقال ﴿ النار لهم فيها دار الخلد ﴾ أى دار الاقامة لا انتقال لهم عنها ﴿ جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ﴾ أى النار ﴿ ربنا ﴾ أى يقولون يا ربنا ﴿ ارنا

أمم (قد خلت) قد مضت (من قبلهم من الجن والانس) من كفار الجن والانس (انهم كانوا خاسرين) مغبونين بالعقوبة (وقال الذين كفروا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه (لا تسمعوا لهذا القرآن) الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (والغوا) (الذين) الغطوا (فيه) وهو الشغب (لعلكم تغلبون) لكى تغلبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيسكت (فلنذيقن الذين كفروا) أبا جهل وأصحابه (عذابا شديدا) فى الدنيا يوم بدر (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) بأقبح ما كانوا يعملون فى الدنيا (ذلك) لهم فى الدنيا (جزاء أعداء الله) وجزاء أعداء الله فى الآخرة (النار لهم فيها) فى النار (دار الخلد) قد خلدوا فيها (جزاء بما كانوا بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (يجحدون) يكفرون (وقال الذين كفروا) فى النار (ربنا) يا ربنا (أر "

اسـتترتم اظنكم أن الله لا يعـلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالـكم (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرديكم) وذلك الظن هو الذى أهلككم وذلكم مبتدأ وظنكم خـبر والذى ظننتم بربكم صفته وأرديكم خبر ثان أو ظنكم بدل من ذلكم وأرديكم الخـبر (فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (وان يسـتعتبوا فما هم

الرضا فماهم من المرضيـين أو ان يسـألوا العتبى وهى الرجـوع جزعا مما هم فيه لم يعتبوا أى لم يعطوا العتبى ولم يجـابوا اليهـا (وقيضنا لهم) أى قـدرنا لمشركى مكة يقـال هـذان ثوبان قيضان أى مثلان والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم (قرناء) اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من امر الدنيـا واتبـاع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وان لا بعث ولا حسـاب (وحق عليهم القول) كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة

على ما فعلتم ﴿ وذلكم ﴾ اشارة الى ظنهم هـذا وهو مبتدأ وقوله ﴿ ظنكم الذى ظننتم بربكم ارديكم ﴾ خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارديكم خبرا ﴿ فاصبحتم من الخاسرين ﴾ اذ صار ما منحوا للاستسعاد به فى الدارين سـببا لشقاء المنزلين ﴿ فان يصبروا فالنار مثوى لهم ﴾ لا خلاص لهم عنهـا ﴿ وان يسـتعتبوا ﴾ يسـألوا العتبى وهى الرجوع الى ما يحبون ﴿ فما هم من المعتبين ﴾ المجابين اليهـا ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص • وقرئ وان يسـتعتبوا فما هم من المعتبين اى ان يسـئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة ﴿ وقيضنا ﴾ وقـدرنا ﴿ لهم ﴾ للكفرة ﴿ قرناء ﴾ اخدانا من الشـياطين يسـتولون عليهم اسـتيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصـل القيض البـدل ومنه المقايضة للمعاوضة ﴿ فزينوا لهم ما بين ايديهم ﴾ من امر الدنيا واتباع الشهوات ﴿ وما خلفهم ﴾ من امر الآخرة وانكاره ﴿ وحق عليهم القول ﴾ اى كلمة العذاب ﴿ فى امم ﴾ فى جملة امم كقوله

ان تك عن احسن الصنيعة مأ • فوكا ففى آخرين قدافكوا

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما فى أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع ان أخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا أخفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليـكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفى هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية ۞ قوله تعـالى ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ﴾ أى ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ﴿ أرديكم ﴾ أى أهلككم قال ابن عباس طرحكم فى النـار ﴿ فاصبحتم من الخاسرين ﴾ ثم أخبر عن حالهم بقوله تعالى ﴿ فان يصبروا فالنـار مثوى لهم ﴾ أى مسكن ﴿ وان يستعتبوا ﴾ أى يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذى قبل عتابه وأجيب الى ما سأل ﴿ فما هم من المعتبين ﴾ أى المرضيين ﴿ وقيضنا لهم ﴾ أى بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم ﴿ قرناء ﴾ أى نظراء من الشياطين حتى اضلوهم ﴿ فزينوا لهم ما بين أيديهم ﴾ أى من أمر الدنيا حتى آثروهم على الآخرة ﴿ وما خلفهم ﴾ أى فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة ﴿ وحق عليهم القول ﴾ أى وجب ﴿ فى أمم ﴾ أى مع أمم

فى السر (وذلكم ظنكم) قولكم بالظن (الذى ظننتم بربكم) وقلتم عـلى ربكم بالكذب (أرديكم) أهلككم (فاصبحتم) صرتم (من الخاسرين) من المغبونين بالعقوبة (فان يصبروا) فى النار أو لا يصبروا (فالنار مثوى لهم) منزل لهم لصفوان ابن أمية وأصحابه (وان يستعتبوا) يسأوا الرجعة الى الدنيا (فما هم من المعتبين) الراجعين الى الدنيا (وقيضنا لهم) وجعلنا لهم (قرناء) أعوانا وشركاء من الشياطين (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمر الآخرة ان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب (وما خلفهم) من خلفهم من أمر الدنيا أن لا تنفقوا ولا تعطوا وان الدنيا باقية لا تفنى (وحق) وجب (عليهم القول) بالعذاب (فى أمم) مع

(حتى اذا ماجاؤها) صاروا بحضرتها وما مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد ان وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هي كناية عن الفروج (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وهو قادر على انشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجوعكم الى جزائه (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أي انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) ولكنكم انما

وهي عبارة عن كثرة اهل النار ﴿ حتى اذا ماجاؤها ﴾ اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور ﴿ شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا تدل على ما قترف بها فتنطق بلسان الحال ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب ﴿ قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء ﴾ اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء اوليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة ﴿ وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ﴾ يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا ﴿ وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ﴾ اي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق ان لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ﴿ ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ﴾ فلذلك اجترأتم

﴿ حتى اذا ماجاؤها ﴾ يعني النار ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم ﴾ أي بشراتهم وقيل فروجهم ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز اليوم على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل ﴿ وقالوا ﴾ يعني الكفار الذين يجرون الى النار ﴿ لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ معناه ان القادر الذي خلقكم أول مرة في الدنيا وأنطقكم ثم أعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى ﴿ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ﴾ وقيل تم الكلام عند قوله الذي أنطق كل شيء ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود ﴿ وما كنتم تستترون ﴾ أي تستخفون وقيل معناه تظنون ﴿ أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم ﴿ ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ﴾

(حتى اذا ماجاؤها) اي النار (شهد عليهم سمعهم) بما سمعوا بها (وابصارهم) بما ابصروا بها (وجلودهم) اعضاؤهم (بما كانوا يعملون) بها في كفرهم (وقالوا لجلودهم) لاعضائهم وقيل لفروجهم (لم شهدتم علينا) وكنا نحابس عنكم بالجدال (قالوا انطقنا الله) بالكلام (الذي انطق كل شيء) من الدواب اليوم (وهو خلقكم) انطقكم (قال) (أول مرة) في الدنيا (واليه ترجعون) بعد الموت (وما كنتم تستترون) تقدرون ان تمنعوا أعضاءكم (أن يشهد) من أن يشهد (عليكم سمعكم) في الآخرة (ولا ابصاركم ولا جلودكم) ويقال وما كنتم تستترون تقدرون في الدنيا أن تستروا اكتساب الاعضاء عن الاعضاء أن يشهد لكي لا يشهد عليكم ويقال وما كنتم تستترون تستيقنون ان يشهد عليكم سمعكم في الآخرة ولا أبصاركم ولا جلودكم (ولكن ظننتم) زعمتم (ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) وتقولون

يريد الفعل السي ويدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة اخزى) وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به فشتان مابين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر (وهم لا ينصرون) من الاصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم (وأما ثمود) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فهديناهم) وبالنصب المفضل باضمار فعل يفسره فهديناهم أي بينا لهم الرشد (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب (الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه (بما كانوا يكسبون) بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ماذكر من الهداية التبيين كما بينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت أليس معنى

جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم فازواح عللهم ولم يبق لهم عذر فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل مايوجبها ويقتضيها وانما تمحل بهذا لانه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد (ونجينا الذين آمنوا) أي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتقون) اختيار العمى على الهدى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أي الكفار من الاولين والآخرين نحشر أعداء نافع ويعقوب (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أي كففته

العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ﴿ ولعذاب الآخرة اخزى ﴾ وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة ﴿ وهم لا ينصرون ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿ واما ثمود فهديناهم ﴾ فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره مابعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فاختاروا الضلالة على الهدى ﴿ فاخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾ صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ من اختيار الضلالة ﴿ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ من تلك الصاعقة ﴿ ويوم يحشر اعداء الله الى النار ﴾ وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا

الخزى والهوان في الحياة الدنيا ﴿ ولعذاب الآخرة أخزى ﴾ أي أشد اهانة ﴿ وهم لا ينصرون ﴾ أي لا يمنعون من العذاب ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ أي اختاروا الكفر على الايمان ﴿ فاخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾ أي ذي الهوان ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ أي من الشرك ﴿ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ أي يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه ❁ قوله تعالى ﴿ ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون ﴾ أي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم

ولعذاب الآخرة أخزى) أشد مما كان لهم في الدنيا (وهم لا ينصرون) لا يمنعون من عذاب الله (وأما ثمود) قوم صالح (فهديناهم) بعثنا اليهم صالحا وبينا لهم الكفر والايمان والحق والباطل (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) الصيحة بالعذاب (الهون) الشديد (بما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون في كفرهم وبعقرهم الناقة (ونجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) الكفر والشرك وعقر الناقة (ويوم) وهو يوم القيامة (يحشر أعداء الله الى النار) صفوان بن امية وختناه ربيعة بن عمرو وحبيب بن عمرو وسائر الكفار (فهم يوزعون) يحبس الاول على الآخر

(فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) أى تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام أو استولوا على الارض بغير استحقاق للولاية (وقالوا من اشد منا قوة) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان { الجزء الرابع والعشرون } يقتلع الصخرة ﴿ ٣٧٨ ﴾ من الجبل بيده (أولم يروا) أولم يعلموا

لكم عليك ﴿ فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق ﴾ فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق ﴿ وقالوا من اشد منا قوة ﴾ اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده ﴿ أولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة ﴾ قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غيره ﴿ وكانوا بآياتنا يجحدون ﴾ يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا ﴿ فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر اى يجمع او شديد الصوت فى هبوبها من الصرير ﴿ فى ايام نحسات ﴾ جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء ﴿ لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ﴾ اضاف

لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائى انى سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يا معشر قريش أطيعونى يا معشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله محمد يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيى لكم فاصنعوا ما بدا لكم * قوله عز وجل ﴿ فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ﴾ وذلك أن هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوى أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم ﴿ أولم يروا ﴾ أى أولم يعلموا ﴿ ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ أى عاصفا شديد الصوت وقيل هى الريح الباردة قيل ان الريح ثمانية فاربع منها عذاب وهى الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهى الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا جميعا ﴿ فى أيام نحسات ﴾ أى نكدات مشؤمات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقيل أمسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر ﴿ لنذيقهم عذاب الخزى ﴾ أى عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا فى الارض بغير الحق ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ أى ذلك الذى نزل بهم من

علم يقوم مقام العيان (ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) أوسع منهم قدرة لانه قادر على كل شئ وهم قادرون على بعض الاشياء باقداره (وكانوا بآياتنا يجحدون) معطوف على فاستكبروا أى كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة (فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) عاصفة تصرصر أى تصوت فى هبوبها من الصرير أو باردة تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل انها الدبور (فى أيام نحسات) مشؤمات عليهم نحسات مكى وبصرى ونافع ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فاما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر وكانت من الاربعاء فى آخر شوال الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا) أضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على أنه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزى كما تقول فعل السوء

(فاما عاد) قوم هود (فاستكبروا) تعظموا عن الايمان (فى الارض بغير الحق) بلا حق كان لهم (وقالوا) لهود (الخزى) (من أشد منا قوة) بالبدن والمنعة فيما يكننا (أولم يروا) أولم يعلموا (ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) منعة يقدر على اهلاكهم (وكانوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا هود (يجحدون) يكفرون (فارسلنا) سلطنا (عليهم ريحا صرصرا) باردة شديدا (فى أيام نحسات) مشؤمات عليهم بالعذاب ويقال شديدة (لنذيقهم عذاب الخزى) الشديد (فى الحيوة الدنيا

التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك فأتاه فلما خرج اليه قال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كان مابك للرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رئيسا مابقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أي بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ماتستغني به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لايتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يامعشر قريش والله مانرى عتبة الا قد صبأ الى محمد وأعجبه طعامه وماذاك الا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل والله ياعتبة ماحبسك عنا الا أنك صبوت الى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لايكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظي حدثت ان عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يامعشر قريش ألا أقوم الى محمد فاكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا بلى ياأبا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياابن أخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكانة في النسب وانك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال صلى الله عليه وسلم قل ياأبا الوليد فقال ياابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه لاتستطيع رده طلبنا لك الطب أو لعل هذا شعر جاش به صدرك فنعذرك فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على مالايقدر عليه أحد حتى اذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقد فرغت ياأبا الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال اسمعت ياأبا الوليد فانت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم

(ذلك تقدير العزيز) الغالب غير المغلوب (العليم) بمواقع الامور (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة) عذابا شديد الوقع كأنه صاعقة وأصلها رعد معه نار (مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة (أن) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة أصله بانه (لا تعبدوا الا الله قالوا) أى القوم (لو شاء ربنا) ارسال الرسل فمفعول شاء محذوف (لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) معناه فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله أرسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وقولهم فانا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم روى ان قريشا بعثوا عتبة ابن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر ما يريد فأتاه وهو فى الحطيم فلم يسأل شيأ الا اجابه ثم قرأ عليه السلام السورة الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة ان يصب عليهم العذاب فاخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر فقالوا لقد صبأت أما فهمت منه كلمة فقال لا ولم اهتد الى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا انه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال ﴿ التبس ﴾

﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ البالغ فى القدرة والعلم ﴿ فان اعرضوا ﴾ عن الايمان بعد هذا البيان ﴿ فقل انذرتكم صاعقة ﴾ فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة ﴿ مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهى المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا ﴿ اذ جاءتهم الرسل ﴾ حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى ﴿ من بين ايديهم ومن خلفهم ﴾ من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم فى الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ﴿ ألا تعبدوا الا الله ﴾ بان لا تعبدوا او اى لا تعبدوا ﴿ قالوا لو شاء ربنا ﴾ ارسال الرسل ﴿ لانزل ملائكة ﴾ برسالته ﴿ فانا بما ارسلتم به ﴾ على زعمكم ﴿ كافرون ﴾ اذ انتم بشر مثلنا لا فضل

السمع ﴿ ذلك ﴾ أى الذى ذكر من صنعه وخلقه ﴿ تقدير العزيز ﴾ أى فى ملكه ﴿ العليم ﴾ أى بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم * قوله تعالى ﴿ فان أعرضوا ﴾ يعنى هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان ﴿ فقل أنذرتكم ﴾ أى خوفتكم ﴿ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ أى هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شئ ﴿ اذ جاءتهم الرسل ﴾ يعنى الى عاد وثمود ﴿ من بين أيديهم ﴾ يعنى الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم ﴿ ومن خلفهم ﴾ يعنى ومن بعد الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا اليهم وهما هود وصالح وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم ﴿ أن لا ﴾ أى بان لا ﴿ تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة ﴾ يعنى لو شاء ربنا دعوة الخلق لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل ﴿ فانا بما أرسلتم به كافرون ﴾ روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد

(ذلك تقدير) تدبير (العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (العليم) بتدبيره وبمن آمن به وبمن لا يؤمن به (فان أعرضوا) كفار مكة عن الايمان وهو عتبة وأصحابه (فقل أنذرتكم) خوفتكم بالقرآن (صاعقة) عذابا (مثل صاعقة) مثل عذاب (عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم) من قبل عاد وثمود الى قومهم (ومن خلفهم) من بعدهم أيضا جاءت الرسل الى قومهم وقالوا لقومهم (ألا تعبدوا) أن لا توحدوا (الا الله قالوا) كل قوم لرسولهم (لو شاء ربنا) أن ينزل الينا رسولا (لانزل ملائكة) من الملائكة الذين عنده (فانا بما أرسلتم به كافرون) جاحدون ما أنتم الا بشر مثلنا

هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما أراد تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا يريدون انه أكمل الاول وابتدأ الثانى ويفهم منه ان خلق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما وعنه انه قال أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضا والدخان سماء ومعنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه أراد ان يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وانما ذكر الارض مع السماء فى الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين لانه قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتى يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقبية سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وقوله طوعا أو كرها لبيان تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين وانما لم يقل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانهما سموات وأرضون لانهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع والكره قيل طائعين فى موضع طائعات كقوله ساجدين (فقضاهن فاحكم خلقهن قال وعليهما امسر ودتان قضاهما والضمير يرجع الى السماء لان السماء للجنس ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله (سبع سموات) والفرق بين النصبين فى سبع سموات الاول على الحال والثانى على التمييز (فى يومين) فى يوم الخميس والجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك (وزينا السماء الدنيا) القريبة من الارض (بمصابيح) بكواكب (وحفظا) وحفظناها من المسترقة بالكواكب حفظا

تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله تعالى ساجدين ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى اومبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثانى ﴿فى يومين﴾ قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة ﴿واوحى فى كل سماء امرها﴾ شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا اوطبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها ﴿وحفظا﴾ اى وحفظناها من الآفات اومن المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا

من المنافع لمصالح العباد اما أنت يا سماء فاطلعى شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض فشقى أنهارك وأخرجى ثمارك ونباتك * وقوله تعالى ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ أى أتمهن وفرغ من خلقهن ﴿فى يومين﴾ وهما الخميس والجمعة ﴿وأوحى فى كل سماء أمرها﴾ قال ابن عباس خلق فى كل سماء خلقا من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل أوحى الى كل سماء ما أراد من الامر والنهى ﴿وزينا السماء الدنيا﴾ أى التى تلى الارض ﴿بمصابيح﴾ أى بكواكب تشرق كالمصابيح ﴿وحفظا﴾ أى وجعلناها يعنى الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون

الخلق (فقضاهن) خلقهن (سبع سموات) بعضها فوق بعض (فى يومين) طول كل يوم ألف سنة (وأوحى فى كل سماء امرها) خلق لكل سماء أهلا وأمرلها أمرها (وزينا السماء الدنيا) الاولى (بمصابيح) بالنجوم (وحفظا) وحفظناها بالنجوم من الشياطين فبعض النجوم زينة السماء لا يتحرك وبعضها يهتدى به فى ظلمات البر والبحر وبعضها رجوم للشياطين

الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة قيل هي الساعة التي تقوم فيها القيامة (سواء) منصوب صفة للايام أي في أربعة أيام مستويات تامات سواء بالرفع يزيد أي هي سواء غيرهما سواء على المصدر اى استوت سواء أي استواء أو على الحال (للسائلين) متعلق بقدر أي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها والمحتاجين اليها لان كلا يطلب القوت ويسأله أو بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)

باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة ﴿ سواء ﴾ اى استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء ﴿ للسائلين ﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها الاقوات للطالبين لها ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها ﴿ وهي دخان ﴾ امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها ﴿ فقال لها وللارض ائتيا ﴾ بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه اولتأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المؤاتاة اى ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما ﴿ طوعا او كرها ﴾ شئتما ذلك اوابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال ﴿ قالتا اتينا طائعين ﴾ منقادين بالذات والاظهر ان المراد

ردالآخر على الاول في الذكر ﴿ سواء للسائلين ﴾ معناه سواء لمن سأل عن ذلك أي فهكذا الامر سواء لا زيادة فيه ولا نقصان جوابا لمن سأل في كم خلقت الارض والاقوات ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ أي عمد الى خلق السماء ﴿ وهي دخان ﴾ ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما أراد الله تعالى ان يخلق السموات والارض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس الماء فخلقه أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض أولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وجواب آخر وهو ان يقال ان خلق السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض في يومين وليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى ان يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء فعلى هذا يزول الاشكال والله أعلم بالحقيقة ﴿ فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها ﴾ أي ائتيا ما أمرتكما به أي افعلاه وقيل افعلا ما أمرتكما طوعا والا ألجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ معناه أتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما اخرجا ما خلقت فيكما

سنة من سني الدنيا وقدر فيها ارزاق الاجساد قبل أرواحها باربعة آلاف سنة من سني الدنيا (سواء للسائلين) سواء لمن سأل ولمن لم يسأل يعني الرزق ويقال بيانا للسائلين كيف خلقها هكذا خلقها (ثم استوى الى السماء) ثم عمد الى خلق السماء (وهي دخان) بخار الماء (فقال لها) للسماء (وللارض) بعد ما فرغ منهما (ائتيا) أعطيا ما فيكما من الماء والنبات (طوعا أو كرها قالتا أتينا) أعطينا (طائعين) لله كارهين بجفاء (من

لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) الاحد والاثنين تعليما للاناة ولو أراد ان يخلقها فى لحظة لفعل (وتجعلون له أندادا) شركاء وأشباها (ذلك) الذى خلق ما سبق (رب العالمين) خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها (وجعل فيها) فى الارض (رواسى) جبالا ثوابت (من فوقها) انما اختار ارساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله عز وجل (وبارك) بالماء والزرع والشجر والثمر (فيها) فى الارض وقيل وبارك فيها وأكثر خيرها (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة والى الكوفة فى خمسة عشرة أى تتمة خمسة عشر ولا بد من هذا التقدير لانه لو أجرى على الظاهر لكانت ثمانية أيام لانه قال خلق الارض فى يومين ثم قال وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات فى يومين فيكون خلاف قوله فى ستة أيام فى موضع آخر وفى الحديث ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء

لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين ﴾ فى مقدار يومين او بنوبتين وخلق فى كل نوبة ما خلق فى اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما فى جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها فى يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم فى ذاته وصفاته ﴿ وتجعلون له اندادا ﴾ ولا يصح ان يكون له ند ﴿ ذلك ﴾ الذى خلق الارض فى يومين ﴿ رب العالمين ﴾ خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها ﴿ وجعل فيها رواسى ﴾ استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة ﴿ من فوقها ﴾ مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب ﴿ وبارك فيها ﴾ واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوانات ﴿ وقدر فيها اقواتها ﴾ اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها ﴿ فى اربعة ايام ﴾ فى تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة ايام والى الكوفة فى خمسة عشر يوما ولعله قال ذلك ولم يقل فى يومين للاشعار باتصالهما

احدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى ﴿ لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين ﴾ وثانيهما ﴿ وتجعلون له أندادا ﴾ اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة أندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذى خلق الارض فى يومين يعنى الاحد والاثنين ﴿ ذلك رب العالمين ﴾ أى هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر ﴿ وجعل فيها رواسى ﴾ أى جبالا ثوابت ﴿ من فوقها ﴾ أى من فوق الارض ﴿ وبارك فيها ﴾ أى فى الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق أصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه ﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ أى قسم فى الارض أرزاق العباد والبهائم وقيل قدر فى كل بلدة ما لم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات وقيل ان الزراعة أكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات فى الارض قال الله تعالى وقدر فيها أقواتها ﴿ فى أربعة أيام ﴾ أى مع اليومين الاولين فخلق الارض فى يومين وقدر الاقوات فى يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء فصارت أربعة أيام

(لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) طول كل يوم ألف سنة مما تعدون يوم الاحد ويوم الاثنين (وتجعلون له أندادا) اعدالا من الاصنام (ذلك) الذى خلقهما (رب العالمين) رب كل شئ ذى روح (وجعل فيها) خلق فيها (رواسى) الجبال الثوابت (من فوقها) أوتادا لها (وبارك فيها) فى الارض بالماء والشجر والنبات والثمار (وقدر فيها أقواتها) معايشها فى كل أرض معيشة ليست فى غيرها (فى أربعة أيام) يقول خلق الله الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف

انما الهكم اله واحد) هذا جواب لقولهم قلوبنا في أكنة ووجهه أنه قال لهم اني لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحي الي دونكم فصحت نبوتي بالوحي الي وأنا بشر واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الي ان الهكم اله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (واستغفروه) من الشرك (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة) لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها أولا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الايمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم كافرون) وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لان أحب الشيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة الا بمنع الزكاة وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مقطوع قيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون (قل أئنكم

انما الهكم اله واحد ﴾ لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل ﴿ فاستقيموا اليه ﴾ فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه اوفاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل ﴿ واستغفروه ﴾ مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال ﴿ وويل للمشركين ﴾ من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله ﴿ الذين لا يؤتون الزكوة ﴾ لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكى انفسهم وهو الايمان والطاعة ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ﴾ لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون ﴿ قل ائنكم

﴿ أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه ﴾ أي توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله ﴿ واستغفروه ﴾ أي من ذنوبكم وشرككم ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة ﴾ قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بالزكاة المفروضة ولا يرون ايتاءها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون في طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون أعمالهم ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ أي جاحدون بالبعث بعد الموت ﴿ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه (خ) عن أبي موسى الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض أو سفر كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم

* قوله عز وجل ﴿ قل أئنكم ﴾ استفهام بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين منكرين

بالقرآن أبانكم (انما الهكم اله واحد) بلا ولد ولا شريك (فاستقيموا اليه) فاقبلوا اليه بالتوبة من الشرك (واستغفروه) وحدوه (وويل) شدة العذاب ويقال ويل واد في جهنم من قيح ودم (للمشركين) لابي جهل وأصحابه (الذين لا يؤتون الزكوة) لا يقرون بلا اله الا الله (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت والجنة والنار (هم كافرون) جاحدون (ان الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (لهم أجر) ثواب (غير ممنون) غير منقوص ويقال غير منقطع عنهم ويقال لا يمنون بذلك ويقال يكتب ثواب اعمالهم بعد الهرم أو الموت الى يوم القيامة غير منقوص (قل) يا محمد (أئنكم) يا أهل مكة

آناعربيا) نصب على الاختصاص والمدح أى أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت أو على الحال فصلت آياته فى حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يعلمون مانزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم ربى ولقوم يتعلق بتنزيل أو بفصلت أى تنزيل من الله لاجلهم أو فصلت آياته لهم ولا تنفر أن يكون صفة مثل له وما بعده أى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب (بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآنا (فاعرض أكثرهم فهم لايسمعون) أى تباون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه (وقالوا قلوبنا فى أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مما تدعونا اليه) من التوحيد (وفى آذاننا وقر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ومج اسماعهم له كأن بها صمما عنه وتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا أو فاعمل فى ابطال أمرنا اننا عاملون فى ابطال أمرك وفائدة زيادة من ان الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى

الفواصل والمعانى اوفصلت بين الحق والباطل ﴿ قرآنا عربيا ﴾ نصب على المدح او الحال من فصلت آياته وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه ﴿ لقوم يعلمون ﴾ العربية اولاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا اوصلة لتنزيل اولفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ للعاملين به والمخالفين له وقرئتا بالرفع على الصفة لكتاب اوالخبر لمحذوف ﴿ فاعرض اكثرهم ﴾ لوقوعه عن تدبره وقبوله ﴿ فهم لايسمعون ﴾ سماع تأمل وطاعة ﴿ وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه ﴾ اغطية جمع كنان ﴿ وفى آذاننا وقر ﴾ صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ماتدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ فاعمل ﴾ على دينك اوفى ابطال امرنا ﴿ اننا عاملون ﴾ على ديننا اوفى ابطال امرك ﴿ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى

وجهات معانى مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد ﴿ قرآنا عربيا ﴾ اى باللسان العربى ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى انما أنزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم مافهموه ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ نعتان للقرآن أى بشيرا لاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب ﴿ فاعرض اكثرهم ﴾ أى عنه ﴿ فهم لايسمعون ﴾ أى لايصغون اليه تكبرا ﴿ وقالوا ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ قلوبنا فى أكنة ﴾ أى أغطية ﴿ مما تدعونا اليه ﴾ أى فلا نفقه ماتقول ﴿ وفى آذاننا وقر ﴾ أى صمم فلا نسمع ماتقول والمعنى انا فى ترك القبول منك بمنزلة من لايفهم ولايسمع ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ أى خلاف فى الدين وحاجز فى الملة فلا نوافقك على ماتقول ﴿ فاعمل ﴾ أى أنت على دينك ﴿ اننا عاملون ﴾ أى على ديننا ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ انما أنا بشر مثلكم ﴾ أى كواحد منكم ﴿ يوحى الى ﴾ أى لولا الوحى مادعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع

الحرام (قرآنا عربيا) على مجرى لغة العرب نزل الله جبريل به على محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يعلمون) يصدقون بمحمد عليه السلام والقرآن (بشيرا) بالجنة (ونذيرا) من النار يبشر بالجنة من آمن بالقرآن ويخوف من النار من كفر بالقرآن (فاعرض أكثرهم) كفار مكة عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فهم لايسمعون) لايصدقون بمحمد عليه السلام والقرآن ولا يطيعون الله (وقالوا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه (قلوبنا فى أكنة) فى أغطية (مما تدعونا اليه) من القرآن والتوحيد (وفى آذاننا وقر) صمم لانسمع قولك لنا (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر غطوا رؤسهم بالثياب ثم قالوا يامحمد بيننا وبينك حجاب ستر لانسمع كلامك استهزاء منهم بك (فاعمل) فى دينك لالهك بهلاكنا (اننا عاملون) لآلهتنا فى دينك بهلاكك (قل) لهم يامحمد (انما أنا بشر) آدمى (مثلكم يوحى الى) ارسل الى جبريل

(سنت الله) بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة (التي قد خلت في عباده) أن الايمان عند نزول العذاب لا ينفع وان العذ[اب]
نازل بمكذبي الرسل (وخسر هنالك الكافرون) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون في كل أوان ولكن [يتبين]
خسرانهم اذا عاينوا العذاب وفائدة ترادف الفاآت في هذه الآيات أن فما
أغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم

سورة فصلت مكية وهي ثلاث وخمسون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) ان جعلته اسما للسورة كان مبتدأ (تنزيل) خبر وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو تنزيل مبتدأ (من الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك

(سنت الله) هكذا سيرة الله (التي قد خلت) مضت (في) على (عباده) بالعذاب عند التكذيب وبرد الاعذار والتوبة عند المعاينة (وخسر هنالك) (و... غبن بالعقوبة عند المعاينة (الكافرون) بالله ◄ ومن السورة التي يذكر فيها السجدة وهي كلها مكية ► ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (حم) يقول قضي ما هو كائن أي بين وهو قسم أقسم به (تنزيل من الرحمن الر[حيم] كتاب) يقول هذا كتاب تنزيل من الرحمن الرحيم على محمد عليه السلام (فصلت) بينت (آياته) بالامر والنهي والحلا[ل]

لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم رسلهم كالتفسير لقوله فما اغنى عنهم والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية ﴿سنت الله التي قد خلت في عباده﴾ اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ اى وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة حم السجدة مكية وآيها ثلاث او اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم﴾ ان جعلته مبتدأ فخبره ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره ﴿كتاب﴾ وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية ﴿فصلت آياته﴾ ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اى فصل بعضها من بعض باختلاف

﴿سنت الله التي قد خلت في عباده﴾ يعني ان سنة الله قد جرت في الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعني بتلك السنة انهم اذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب ﴿وخسر هنا الكافرون﴾ أي بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح

وهي مكية وهي أربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون

كلمة وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته﴾ أي بينت وميزت

أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم) عددا (وأشد قوة) بدنا (وآثارا فى الارض) قصورا ومصانع (فما أغنى عنهم) ما نافية (ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) يريد علمهم امور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهى أبعد شئ من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أو الفرح للرسل أى الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) أى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم

(قا و خا ٤٧ س)

﴿ أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض ﴾ ما بقى منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار أقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات او الآيات الواضحات ﴿ فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم فى الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او من علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به فرح ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادى جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ﴿ فلما رأوا بأسنا ﴾ شدة عذابنا ﴿ قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ يعنون الاصنام ﴿ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ﴾

❁ قوله تعالى ﴿ أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض ﴾ يعنى مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء فى أطراف الارض لعرفوا ان عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا أكثر عددا وأموالا من هؤلاء ﴿ فما أغنى عنهم ﴾ أى لم ينفعهم ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ أى أى شئ أغنى عنهم كسبهم ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا ﴾ أى رضوا ﴿ بما عندهم من العلم ﴾ قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم بأحوال الدنيا سمى ذلك علما على ما يدعونه ويزعمون وهو فى الحقيقة جهل ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا ﴾ أى عذابنا ﴿ قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ أى تبرأنا مما كنا نعدل بالله ﴿ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا

يدت من الله (أفلم يسيروا) يسافروا كفار مكة (فى الارض فينظروا) ويتفكروا (كيف كان عاقبة) جزاء (الذين من قبلهم) كيف أهلكناهم عند تكذيبهم الرسل (كانوا أكثر منهم) من أهل مكة فى العدد (وأشد قوة) بالبدن (وآثارا فى الارض) أشد لها طلبا وأبعد ذهابا (فما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون فى دينهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهى (فرحوا) عجبوا (بما عندهم من العلم) لدين والعمل وكان ذلك منهم ظنا بغير يقين (وحاق) نزل ودار (بهم ما كانوا به يستهزؤن) عقوبة استهزائهم بالرسل (فلما رأوا بأسنا) عذابنا اهلاكهم (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به) بالله مشركين) وهذا باللسان دون القلب عند معاينة العذاب (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) عذابنا اهلاكهم فالايمان عند المعاينة لا ينفع وقبل ذلك ينفع وكذلك التوبة

(وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا يعنى انا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتى بآية لا باذن الله فمن أين لى بان آتى بآية مما تقترحونه الا أن شاء الله ويأذن فى الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) أى يوم القيامة وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات (قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا (الله الذى جعل) خلق (لكم الانعام) الابل (لتركبوا منها ومنها تأكلون) أى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها (ولكم فيها منافع) أى الالبان والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) أى لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الامور (وعليها) وعلى الانعام

(وعلى الفلك تحملون) أى على الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر (ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون) انها ليست من عند الله وأى نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لابهامه

قصتهم اشخاص معدودة ﴿ وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله ﴾ فان المعجزات عطايا الله قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم احتيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها ﴿ فاذا جاء امر الله ﴾ بالعذاب فى الدنيا والآخرة ﴿ قضى بالحق ﴾ بانجاء المحق وتعذيب المبطل ﴿ وخسر هنالك المبطلون ﴾ المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها ﴿ الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ﴾ فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ﴿ ولكم فيها منافع ﴾ كالالبان والجلود والاوبار ﴿ ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم ﴾ بالمسافرة عليها ﴿ وعليها ﴾ فى البر ﴿ وعلى الفلك ﴾ فى البحر ﴿ تحملون ﴾ وانما قال على الفلك ولم يقل فى الفلك للمزاوجة وتغيير النظم فى الاكل لانه فى حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ﴿ ويريكم آياته ﴾ دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته ﴿ فأى آيات الله ﴾ اى فأى آية من تلك الآيات ﴿ تنكرون ﴾ فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اى اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء فى اى اغرب منها فى الاسماء غير الصفات لابهامه

فصبروا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله ﴾ أى بأمره وارادته ﴿ فاذا جاء أمر الله ﴾ أى قضاؤه بين الانبياء والامم ﴿ قضى بالحق ﴾ أى بالعدل ﴿ وخسر هنالك المبطلون ﴾ أى الذين يجادلون فى آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم * قوله تعالى ﴿ الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ﴾ أى فى أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ﴿ ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم ﴾ أى تحمل أثقالكم من بلد الى بلد فى أسفاركم وحاجاتكم ﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ أى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر ﴿ ويريكم آياته ﴾ أى دلائل قدرته ﴿ فأى آيات الله تنكرون ﴾ يعنى ان هذه الآيات التى ذكرها ظاهرة باهرة فليس شئ منها يمكن انكاره

لا تعلمهم (وما كان لرسول أن يأتى بآية) بعلامة (الا باذن الله) بامر الله وذلك حين طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم آية (فاذا جاء أمر الله) وقت عذاب الله فى الامم الماضية (قضى بالحق) عذبوا بالحق ويقال تقضى يوم القيامة بالعدل بين الرسل والامم (وخسر هنالك) غبن عند ذلك (المبطلون) الكافرون (الله الذى جعل لكم) خلق لكم (الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) من لحومها تأكلون (ولكم فيها منافع) (قوله) من ألبانها وأصوافها (ولتبلغوا) لكى تطلبوا (عليها حاجة فى صدوركم) فى قلوبكم (وعليها) على ظهورها فى البر (وعلى الفلك) على السفن فى البحر (تحملون) تسافرون (ويريكم) يا أهل مكة (آياته) عجائبه الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والجبال والسحب والبحار وغير ذلك وكل هذا من آيات الله (فأى آيات الله) أى فبأى آيات الله (تنكرون) تجحدون انها

آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة اوطلبتهم الآلهة لم يتصادقوا او كما اضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذلكم) اى العذاب الذين نزل بكم (بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان فيقال لهم (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) باهلاك الكفار (حق) كائن (فامانرينك) أصله فان نريك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل الا ترى انك لا تقول ان تكرمنى أكرمك ولكن اما تكرمنى أكرمك (بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون) هذا الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره واما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبى أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن على رضى الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم تذكر قصته فى القرآن

الى شئ ينفعهم فى الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ﴿ ذلكم ﴾ الا ضلال ﴿ بما كنتم تفرحون فى الارض ﴾ تبطرون وتتكبرون ﴿ بغير الحق ﴾ وهو الشرك والطغيان ﴿ وبما كنتم تمرحون ﴾ تتوسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ ﴿ ادخلوا ابواب جهنم ﴾ الابواب السبعة المقسومة لكم ﴿ خالدين فيها ﴾ مقدرين الخلود ﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾ عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى ﴿ فاصبر ان وعد الله ﴾ بهلاك الكافرين ﴿ حق ﴾ كائن لا محالة ﴿ فامانرينك ﴾ فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية فلذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها ﴿ بعض الذى نعدهم ﴾ وهو القتل والاسر ﴿ او نتوفينك ﴾ قبل ان تراه ﴿ فالينا يرجعون ﴾ يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك اولم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع فى هذا المعرض ﴿ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور

﴿ ذلكم ﴾ أى العذاب الذين نزل بكم ﴿ بما كنتم تفرحون ﴾ أى تبطرون وتأشرون ﴿ فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾ أى تختالون وتفرحون به ﴿ ادخلوا أبواب جهنم ﴾ يعنى السبعة ﴿ خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ أى عن الايمان ❊ قوله تعالى ﴿ فاصبر ان وعد الله حق ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى بنصرك على الاعداء ﴿ فامانرينك بعض الذى نعدهم ﴾ أى من العذاب فى حياتك ﴿ أو نتوفينك ﴾ أى قبل أن يحل ذلك بهم ﴿ فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ﴾ أى خبره وحاله فى القرآن ﴿ ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ أى ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم أحد الا أعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وماجرى عليهم يقارب ماجرى عليك

عن الحجة (ذلكم) العذاب فى النار (بما كنتم تفرحون) تبطرون (فى الارض بغير الحق) بلا حق (وبما كنتم تمرحون) تكبرون فى الشرك (ادخلوا أبواب جهنم خالدين) مقيمين (فيها) لا يموتون ولا يخرجون منها (فبئس مثوى المتكبرين) منزل الكافرين النار (فاصبر) يا محمد على أذى الكفار (ان وعد الله) بالنصر لك عليهم بهلاكهم (حق) كائن (واما نرينك بعض الذى نعدهم) من العذاب يوم بدر (او نتوفينك) قبل أن نريك (فالينا يرجعون) بعد الموت فنريك عذابهم أولم نر (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك) الى قومهم (منهم من قصصنا عليك) من الرسل من سميناهم لك لتعلمهم (ومنهم من لم نقصص عليك) لم نسمهم لك

سريعا من غير كلفة (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) ذكر الجدال في هذه السورة في ثلاثة مواضع فجاز أن يكون في ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أو للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون اذ الاغلال في أعناقهم) اذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال وهذا لان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال (والسلاسل) عطف على الاغلال والخبر في أعناقهم والمعنى اذ الاغلال في أعناقهم (يسحبون في الحميم) يجرون في الماء الحار (ثم في النار يسجرون) من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوأة بها أجوافهم (ثم قيل لهم) أي تقول لهم الخزنة (أينما كنتم تشركون من دون الله) يعني الاصنام التي تعبدونها (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) اى تبين لنا أنهم لم يكونوا شيأ وما كنا نعبد بعبادتهم شيأ كما تقول حسبت ان فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ اذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال

(ألم تر) ألم تخبر يا محمد في القرآن (الى الذين) عن الذين (يجادلون في آيات الله) يكذبون بالقرآن (أنى يصرفون) بالكذب فكيف يكذبون على الله (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف) وهذا وعيد لهم (يعلمون) (ذلكم) يوم القيامة ماذا يفعل بهم (اذ الاغلال في أعناقهم) أغلال الحديد في أعناقهم (والسلاسل) في أعناقهم مع الشياطين (يسحبون في الحميم) يجرون في النار (ثم في النار يسجرون) يوقدون (ثم قيل لهم) تقول الزبانية (أينما كنتم تشركون) تعبدون (من دون الله) وتقولون انهم شركاء الله (قالوا ضلوا عنا) اشتغلوا بانفسهم عنا ثم جحدوا ذلك وقالوا (بل لم نكن ندعوا) نعبد (من قبل) من قبل هذا (شيأ) من دون الله (كذلك) هكذا (يضل الله الكافرين)

الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد ﴿ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون﴾ عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتأكيد ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ بالقرآن او بجنس الكتب السماوية ﴿وبما ارسلنا به رسلنا﴾ من سائر الكتب او الوحي والشرائع ﴿فسوف يعلمون﴾ جزاء تكذيبهم ﴿اذ الاغلال في اعناقهم﴾ ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه ﴿والسلاسل﴾ عطف على الاغلال او مبتدأ خبره ﴿يسحبون في الحميم﴾ والعائد محذوف اى يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ﴿ثم في النار يسجرون﴾ يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اى ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا﴾ غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم ﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ﴾ اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيأ بعبادتهم فانهم ليسوا شيأ يعتد به كقولك حسبته شيأ فلم يكن ﴿كذلك﴾ مثل هذا الضلال ﴿يضل الله الكافرين﴾ حتى لا يهتدوا

ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته كانه قال من الاقتدار اذا قضى أمرا كان أهون شئ وأسرعه ✻ قوله تعالى ﴿ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله﴾ يعني القرآن ﴿أنى يصرفون﴾ أي عن دين الحق وقيل نزلت في القدرية ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون﴾ فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى (اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون) أي يجرون بتلك السلاسل ﴿في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ أي توقد بهم النار ﴿ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله﴾ يعني الاصنام ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ أي فقدناهم فلا نراهم ﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ﴾ قيل انهم أنكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيأ ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكأنا لم نكن ندعو من قبل شيأ ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ أي كما أضل هؤلاء

(قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي) هي القرآن وقيل العقل والوحي (وأمرت أن أسلم) أستقيم وأنقاد (لرب العالمين هو الذي خلقكم) أي أصلكم (من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) اقتصر على الواحد لان المراد بيان الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك (ثم لتكونوا شيوخا) وبكسر الشين مكي وحمزة وعلي وحماد ويحيي والاعشى (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل بلوغ الاشد أو من قبل الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما في ذلك من العبر والحجج (هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أي فانما يكونه

قائلين له ﴿قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي﴾ من الحجج والآيات او من الآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها ﴿وامرت ان اسلم لرب العالمين﴾ اى انقاد له واخلص له ديني ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا﴾ اطفالا والتوحيد لارادة الجنس اوعلى تأويل كل واحد منكم ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ﴿ثم لتكونوا شيوخا﴾ ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيوخا بالكسر وشيخا كقوله طفلا ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ من قبل الشيخوخة اوبلوغ الاشد ﴿ولتبلغوا﴾ ويفعل ذلك لتبلغوا ﴿اجلا مسمى﴾ وهو وقت الموت اويوم القيامة ﴿ولعلكم تعقلون﴾ ما في ذلك من الحجج والعبر ﴿هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا﴾ فاذا اراده ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء

﴿قل اني نهيت ان أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ وذلك حين دعي الى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك * قوله تعالى ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ يعني أصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهي من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب ﴿ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا﴾ يعني ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث الطفولية وهي حالة النمو والزيادة الى أن يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ أي من قبل ان يصير شيخا ﴿ولتبلغوا﴾ أي جميعا ﴿أجلا مسمى﴾ أي وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني أجل الحياة الى الموت ﴿ولعلكم تعقلون﴾ أي ما في هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته ﴿هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون﴾ أي يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والاماتة وسائر

الارض (قل) لاهل مكة يا محمد حين قالوا له ارجع الى دين آبائك (اني نهيت) في القرآن (أن أعبد الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) من الاوثان (لما جاءني البينات) حين جاءني البيان (من ربي) بان الله واحد لا شريك له (وأمرت) في القرآن (أن أسلم) ان استقيم على الاسلام (لرب العالمين) رب كل ذي روح دب على وجه الارض (هو الذي خلقكم من تراب) من آدم وآدم من تراب (ثم من نطفة) ثم خلقكم من نطفة آبائكم (ثم من علقة) من دم عبيط (ثم يخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلا) صغارا (ثم لتبلغوا أشدكم) ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة (ثم لتكونوا شيوخا) بعد الاشد (ومنكم من يتوفى) تقبض روحه (من قبل) من قبل البلوغ والشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معلوما منتهى آجالكم (ولعلكم تعقلون) لكي تصدقوا بالبعث بعد الموت (هو الذي يحيي) للبعث (ويميت) في الدنيا (فاذا قضى أمرا) فاذ أراد ان يخلق ولدا بلا أب مثل عيسى (فانما يقول له كن فيكون) ولدا بلا أب ويقال فاذا قضى أمرا فاذا أراد أن تكون القيامة فانما يقول للقيامة كن فتكون بين الكاف والنون قبل أن تتصل الكاف مع النون فيكون

خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة اى هو الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شئ والوحدا
(فأنى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات ا
يجحدون) أى كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أفك كما أفكوا (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) مستق
(والسماء بناء) سقفا فوقكم (وصوركم فاحسن صوركم) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلق
منكوسين كالبهائم (ورزقكم من الطيبات) المذنذات (ذلكم الله ربكم فتبارك ا
رب العالمين هو الحى لا اله
الا هو فادعوه) فاعبدوه
(مخلصين له الدين) أى
الطاعة من الشرك والرياء
قائلين (الحمد لله رب العالمين)
وعن ابن عباس رضى الله
عنهما من قال لا اله الا الله
فليقل على أثرها الحمد لله
رب العالمين ولما طلب
الكفار منه عليه السلام
عبادة الاوثان نزل

ربكم فاشكروه (خالق كل
شئ) بأن منه (لا اله) لا خالق
(الا هو فأنى تؤفكون) من
أين تكذبون على الله (كذلك)
هكذا (يؤفك) يكذب على الله
(الذين كانوا بآيات الله)
بمحمد عليه السلام والقرآن
(يجحدون) يكفرون (الله
الذى جعل لكم) خلق لكم
(الارض قرارا) منزلا
الاحياء والاموات (والسماء
بناء) سقفا مرفوعا (وصوركم)
فى الارحام (فاحسن صوركم)
من صور الدواب ويقال
احكم صوركم (ورزقكم من الطيبات) جعل أرزاقكم أطيب وألين من رزق الدواب ويقال رزقكم من الحلال (قل
(ذلكم الله ربكم) الذى فعل ذلك هو ربكم فاشكروه (فتبارك الله) ذو بركة (رب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه الار
(هو الحى) الذى لا يموت (لا اله) يفعل ذلك (الا هو فادعوه) فوحدوه (مخلصين له الدين) مخلصين له بالعبادة والتوحيد (الحمد
الشكر لله والربوبية لله (رب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه

خالق كل شئ لا اله الا هو ﴾ اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ فكيف ومن اى وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره ﴿ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ﴾ اى كما أفكوا أفك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ﴿ الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء ﴾ استدلال ثان بافعال أخر مخصوصة ﴿ وصوركم فاحسن صوركم ﴾ بان خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ اللذائذ ﴿ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ﴾ فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال ﴿ هو الحى ﴾ المتفرد بالحياة الذاتية ﴿ لا اله الا هو ﴾ اذ لا موجود يساويه او يدانيه فى ذاته وصفاته ﴿ فادعوه ﴾ فاعبدوه ﴿ مخلصين له الدين ﴾ اى الطاعة من الشرك والرياء ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم ﴿ خالق كل شئ لا اله الا هو ﴾ أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وأنه لا شريك له فى ذلك ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ أى فانى تصرفون عن الحق (كذلك ﴾ أى كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك ﴿ يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا ﴾ أى فراشا تستقرون عليها وقيل منزلا فى حال الحياة وبعد الموت ﴿ والسماء بناء ﴾ أى سقفا مرفوعا كالقبة ﴿ وصوركم فاحسن صوركم ﴾ أى خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ قيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب ﴿ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى ﴾ وهذا يفيد الحصر أى لا حى الا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذى يمتنع أن يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله تعالى الذى لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحى هو المدرك الفعال لما يريد وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله ﴿ لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾ أى فاعبدوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين

ان الذين يستكبرون عن عبادتي) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما وحدوني أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد [illegible] أعطكم (سيدخلون جهنم) سيدخلون مكي وأبو عمرو (داخرين) صاغرين (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) هو من الاسناد المجازي أي مبصرا فيه لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان معنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج أي ساكن لاريح فيه (ان الله لذو فضل على الناس) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لايوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لايشكرون) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لايتكرر ذكر الناس لان في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولايشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) الذي خلق لكم الليل والنهار (الله ربكم

﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس ﴿ والنهار مبصرا ﴾ يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ لايوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمتفضل ﴿ ولكن اكثر الناس لايشكرون ﴾ لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ﴿ ذلكم ﴾ المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية ﴿ الله ربكم

سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * عن أنس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذي * وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * فان قلت كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت للدعاء شروط منها الاخلاص في الدعاء وأن لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وأن لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما ان يعجلها له واما أن يؤخرها له يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما أن يعجل له به في الدنيا واما أن يدخر له في الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾ أي عن توحيدي وقيل عن دعائي ﴿ سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أي صاغرين ذليلين * قوله عز وجل ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ أي لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون ﴿ والنهار مبصرا ﴾ أي لتحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم ﴾ أي ذلكم المميز

(ان الذين يستكبرون) يتعاظمون (عن عبادتي) عن توحيدي وطاعتي (سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) لتستقروا في الليل (والنهار مبصرا) مطابا مضيئا (ان الله لذو فضل) [illegible] من (على الناس) أهل مكة (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لايشكرون) بذلك ولايؤمنون بالله (ذلكم [illegible]) الذي فعل ذلك هو

﴿ وما يستوى الاعمى والبصير ﴾ الغافل والمستبصر ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء ﴾ والمحسن والمسىء فينبغى ان يكون لهم حال فيها يظهر التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسىء لان المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل ﴿ قليلا ما يتذكرون ﴾ اى تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول عليه السلام بالمخاطبة ﴿ ان الساعة لآتية لاريب فيها ﴾ فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ﴿ ولكن اكثر الناس لايؤمنون ﴾ لايصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به ﴿ وقال ربكم ادعونى ﴾ اعبدونى ﴿ استجب لكم ﴾ اثبكم لقوله

الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائى المعتزلى وموافقيه من الجهمية وغيرهم فى أنه صحيح الوجود ولكن الاشياء التى أتى بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لاحقائق لها وزعموا أنه لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعى الربوبية وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذى فى عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لايغتر به الا عوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق أو خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة وقوله قلت يارسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه أنه ليس معه شىء من ذلك لانه ثبت فى الحديث ان معه ماء ونارا فناره ماء بارد والله تعالى أعلم * قوله عز وجل ﴿ وما يستوى الاعمى والبصير ﴾ أى الجاهل والعالم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء ﴾ أى لايستوون ﴿ قليلا ما تتذكرون ان الساعة ﴾ يعنى القيامة ﴿ لآتية لاريب فيها ﴾ أى لاشك فى قيامها ومجيئها ﴿ ولكن أكثر الناس لايؤمنون ﴾ أى لايصدقون بالبعث بعد الموت * قوله تعالى ﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ﴾ أى اعبدونى دون غيرى أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة * عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى

(وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) لا زائدة قليلا ما تتذكرون تتعظون بالتاء والياء أى تذكرهم وبالياء غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف أى تذكرا قليلا يتذكرون وما صلة زائدة (ان الساعة لآتية لاريب فيها) لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق عبثا خاصة (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) لايصدقون بها (وقال ربكم ادعونى) اعبدونى (أستجب لكم) أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه قوله

(وما يستوى الاعمى) يعنى الكافر (والبصير) يعنى المؤمن بالثواب والكرامة (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (ولا المسىء) المشرك بالله (قليلا ما تتذكرون) ما تتعظون بقليل ولا بكثير من أمثال القرآن (ان الساعة) قيام الساعة (لآتية) لكائنة (لاريب فيها) لاشك فى قيامها (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لايؤمنون) بقيام الساعة (وقال ربكم ادعونى) وحدونى (أستجب لكم) اغفر لكم ويقال ادعونى أستجب لكم أعطكم وأقبل اليكم (سيدخلون)

جاء في صحيح مسلم قال قلنا يارسول الله مالبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كايامكم هذه قلنا يارسول الله فذاك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لاأقدروا له قدره قلنا يارسول الله وماإسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفى رواية ابى داود عنه فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جوار كم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقى دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما الذى يرى الناس انه نار فماء بارد والذى يرى الناس أنه ماء فنار محرقة فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يرى أنه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن ابى هريره رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا احدثكم حديثا عن الدجال ماحدث به نبى قومه انه أعور وانه يجيء بمثال الجنة والنار فالتى يقول انها الجنة هى النار وانى انذركم كما أنذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال ماسألته وانه قال لى مايضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك ❁ عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع الدجال فلينأ منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أوقال لما يبعث به من الشبهات أخرجه أبو داود (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الامكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتى المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشأم وهنالك يهلك ❁ عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة ❁ عن مجمع بن جارية الانصارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيي الدين النووى قال القاضى عياض هذه الاحاديث التى وردت فى قصة الدجال حجة لمذهب الحق فى صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فاقدره على أشياء من المقدورات من احياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والارض أن تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولاغيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول

على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لأشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد ﴿ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم

خلق السموات والارض وذلك أعظم في الصدور من خلق النـاس فكيف لا يقرون بالبعث بعد المـوت ﴿ ولكن أكثر النـاس لا يعلمون ﴾ يعني ان الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى أكبر من خلق النـاس أي أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال

﴿ فصل في ذكر الدجال ﴾

(م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام السـاعة خلق أكبر من الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة * ولابي داود والترمذي عنـه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال اني أنذركموه وما من نبي الا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه لكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وان الله ليس باعور (ق) عن أنس رضي الله عنـه قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد أنذر أمته الاعور الكذاب ألا انه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر * وفي رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرؤه كل مسلم * عن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سـنة تمسك السمـاء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السمـاء قطرها والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم الا هلكت ومن أشد فتنته أنه يأتي الاعرابي فيقول أرأيت ان أحييت لك ابلك ألست تعلم أني ربك قال فيقول بلى فيتمثـل له الشيطان نحو ابله كأحسـن ما تكون ضروعا وأعظمه أسنمـة ويأتي الرجـل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت لك أخاك وأباك ألست تعلم أني ربك فيقول بلى فيتمثـل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قالت وأخذ بلحمتي الباب فقال مهيم أسماء فقلت يا رسول الله لقـد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حي فأنا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يا رسول الله والله انا لنعجن عجينا فما نخبزه حتى نجوع فكيف المؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس وفي رواية عنهـا قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار هذا حديث أخرجه البغوي بسنده والذي

لما كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حج بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لانهم لا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم

(ولكن أكثر الناس) يعني اليهود (لا يعلمون) فتنة الدجال

حق (واستغفر لذنبك) أى لذنب أمتك (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) أى دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا الفجر والعصر وقيل قل سبحان الله وبحمده (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) لا وقف عليه لان خبر ان (ان فى صدورهم الا كبر) [illegible] وهو ارادة التقدم [illegible] [illegible] [illegible] خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت [illegible] (٢٥١) [illegible] [illegible]

وعظمته و جوع [illegible] لهم عند خروج الدجال (بغير [illegible]) [illegible] (أتاهم) [illegible] (ان فى صدورهم) ما فى [illegible] (الا كبر) عن الحق (ماهم ببالغيه) [illegible] [illegible]
خروج الدجال (فاستعذ بالله) يا محمد من فتنة الدجال (انه هو السميع) لمقالة اليهود (البصير) بهم [illegible] وبفتنة الدجال وبخروجه (لخلق السموات والارض أكبر) أعظم (من خلق الناس) من خلق الدجال

لايخالفه واستشهد بحال موسى وفرعون ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ واقبل على أمر دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بأمر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك فى النصر واظهار الامر ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ﴾ ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا ﴿ ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ﴾ عام فى كل مجادل مبطل وان نزلت فى مشركى مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار ﴿ ان فى صدورهم الا كبر ﴾ الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لايكون الا لهم ﴿ ماهم ببالغيه ﴾ ببالغى دفع الآيات او المراد ﴿ فاستعذ بالله ﴾ فالتجئ اليه ﴿ انه هو السميع البصير ﴾ لاقوالكم وافعالكم ﴿ لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ﴾ فمن قدر

واهلاك أعدائك قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ يعنى الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعنى على ترك الاولى والافضل وقيل على ما صدر منه قبل النبوة وعند من لايجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة فى قسمين التوبة عما لا ينبغى والاشتغال بما ينبغى والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثانى الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ أى نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك ﴿ بالعشى والابكار ﴾ يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس ﴿ ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ﴾ يعنى كفار قريش ﴿ ان فى صدورهم ﴾ أى ما فى قلوبهم ﴿ الا كبر ﴾ قال ابن عباس ماحملهم على تكذيبك الا ما فى صدورهم من الكبر والعظمة ﴿ ماهم ببالغيه ﴾ يعنى ببالغى مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان فى صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وماهم ببالغى ذلك وقيل نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح ابن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أى من فتنة الدجال ﴿ انه هو السميع ﴾ أى لاقوالهم ﴿ البصير ﴾ أى بافعالهم * قوله عز وجل ﴿ لخلق السموات والارض ﴾ أى مع عظمها ﴿ أكبر من خلق الناس ﴾ أى [illegible] [illegible]

أو ارادة أن تكون لهم [illegible] دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس)

(واستغفر لذنبك) لتقصير شكر [illegible] عليك وعلى أصحابك (وسبح بحمد ربك) وصل بامر ربك (بالعشى والابكار) غدوة وعشية (ان الذين يجادلون فى آيات الله) يكذبون بمحمد عليه السلام والقرآن وهم اليهود وكانوا [illegible] [illegible] محمد صلى [illegible] [illegible]

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) أي في الدنيا والآخرة يعني أنه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وإن غلبوا في الدنيا في بعض الأحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك أمس واليوم والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة والأنبياء فالأنبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بني آدم بما عملوا من الأعمال تقوم بالتاء الرازي عن هشام (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) هذا بدل من يوم يقوم أي لا يقبل عذرهم لا ينفع كوفي ونافع (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أي سوء دار الآخرة وهو عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) يريد به جميع ما أتى به في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا بني إسرائيل الكتاب) أي التوراة والإنجيل والزبور لأن الكتاب جنس أي تركنا الكتاب من بعده إلى هذا (هدى وذكرى) إرشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له وعلى الحال (لأولي الألباب) لذوي العقول (فاصبر) على ما يجرعك قومك من الغصص (إن وعد الله حق) يعني أن ما سبق به وعدي من نصرتك وإعلاء كلمتك

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا) الرسل (في الحيوة الدنيا) بالنصرة والغلبة على أعدائهم (ويوم) وهو يوم القيامة (يقوم الأشهاد) الملائكة ينصرونهم بالعذر (وهلاك) والحجة والأشهاد الرسل ويقال هم الحفظة يشهدون عليهم بما عملوا (يوم لا ينفع الظالمين) الكافرين (معذرتهم) اعتذارهم من الكفر (ولهم اللعنة) السخط والعذاب (ولهم سوء الدار) النار (ولقد آتينا) أعطينا (موسى الهدى) يعني التوراة وآتينا داود الزبور وعيسى ابن مريم الإنجيل (وأورثنا بني إسرائيل الكتاب) أنزلنا على بني إسرائيل من بعدهم الكتاب كتابا ذو ذو بيني (هدى) من الضلالة (وذكرى) عظة (لأولي الألباب) لذوي العقول من الناس (فاصبر) يا محمد على أذى اليهود والنصارى والمشركين (إن وعد الله) بالنصرة على هلاكهم (حق) كائن

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة ﴿في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ أي في الدارين ولا ينقض ذلك ما كان لأعدائهم عليهم من الغلبة أحيانا إذ العبرة بالعواقب وغالب الأمر والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والأنبياء والمؤمنين ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ بدل من الأول وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة ولأنه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ﴿ولهم اللعنة﴾ البعد من الرحمة ﴿ولهم سوء الدار﴾ جهنم ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع ﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة ﴿هدى وذكرى﴾ هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا ﴿لأولي الألباب﴾ لذوي العقول السليمة ﴿فاصبر﴾ على أذى المشركين ﴿إن وعد الله حق﴾ بالنصر

يعني يعطل ويبطل ولا ينفعهم * قوله عز وجل ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا﴾ قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم وأهلك أعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى ابن زكريا لما قتل فإنه قتل به سبعون ألفا ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ يعني وننصرهم يوم القيامة يوم يقوم الأشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ أي إن اعتذروا عن كفرهم لم تقبل منهم ﴿ولهم اللعنة﴾ أي البعد من الرحمة ﴿ولهم سوء الدار﴾ يعني جهنم ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ يعني النبوة وقيل التوراة ﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ يعني التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم ﴿هدى وذكرى لأولي الألباب﴾ قوله تعالى ﴿فاصبر﴾ أي يا محمد على أذاهم ﴿إن وعد الله حق﴾ أي في إظهار دينك

فيقول الضعفاء للذين استكبروا) يعني الرؤساء (انا كنا لكم تبعا) أتباعا كخدم في جمع خادم (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزأ (من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها) التنوين عوض من المضاف اليه أي انا كلنا فيه لا يغني أحد عن أحد (ان الله قد حكم بين العباد) قضى بينهم بان ادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وقال الذين في النار لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها وانما لم يقل لخزنتها الان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين

بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) بقدر يوم من الدنيا (من العذاب قالوا) أي الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة (أولم تك) أي أولم تك قصة وقوله (تأتيكم) تفسير للقصة (بالبينات) بالمعجزات (قالوا) أي الكفار (بلى قالوا) أي الخزنة تهكما بهم (فادعوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل ان يكون من كلام الخزنة

﴿ فيقول الضعفاء للذين استكبروا ﴾ تفصيل له ﴿ انا كنا لكم تبعا ﴾ اتباعا كخدم جمع خادم اوذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز ﴿ فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار ﴾ بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون اوله بالتضمن اومصدر كشيأ في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ فيكون من صلة مغنون ﴿ قال الذين استكبروا انا كل فيها ﴾ نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ﴿ ان الله قد حكم بين العباد ﴾ بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ﴾ اي لخزنتها فوضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ﴿ ادعوا ربكم يخفف عنا يوما ﴾ قدر يوم ﴿ من العذاب ﴾ شيأ من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه ﴿ قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ﴾ ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة ﴿ قالوا بلى قالوا فادعوا ﴾ فانا لا نجترئ فيه اذلم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة ﴿ وما دعاء الكافرين الا في ضلال ﴾ ضياع لا يجاب

فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا ﴾ أي في الدنيا ﴿ فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا ﴾ يعني الرؤساء والقادة ﴿ انا كل فيها ﴾ يعني نحن وأنتم ﴿ ان الله قد حكم بين العباد ﴾ أي قضى علينا وعليكم ﴿ وقال الذين في النار ﴾ يعني حين اشتد عليهم العذاب ﴿ لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا ﴾ يعني الخزنة ﴿ أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ﴾ يعني لا عذر لكم بعد مجيء الرسل ﴿ قالوا بلى ﴾ أي اعترفوا بذلك ﴿ قالوا فادعوا ﴾ يعني انتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى ﴿ وما دعاء الكافرين الا في ضلال ﴾

والسفلة (فيقولوا اضعفاء) السفلة (للذين استكبروا) تعظموا عن الايمان يعني القادة (انا كنا لكم) في الدنيا (تبعا) مطيعا على دينكم (فهل أنتم مغنون) حاملون (عنا نصيبا) بعضا (من النار) مما علينا (قال الذين استكبروا) تعظموا عن الايمان وهم القادة للسفلة (انا كل) العابد والمعبود والقادة والسفلة (فيها) في النار (ان الله قد حكم بين العباد) بين العابد والمعبود والقادة والسفلة بالنار ويقال بين المؤمنين والكافرين بالجنة والنار (وقال الذين في النار) اذا اشتدت عليهم النار وقل صبرهم وأيسوا من دعائهم (لخزنة جهنم) للزبانية (ادعوا ربكم يخفف) يرفع (عنا يوما من العذاب) بقدر يوم من أيام الدنيا (قالوا) يعني الزبانية للكفار (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) بالأمر والنهي والعلامات وتبليغ الرسالة من الله (قالوا بلى) قد أتونا بالرسالة (قالوا) يعني الزبانية لهم استهزاء بهم (فادعوا وما دعاء الكافرين) في النار (الا في ضلال) في باطل ويقال وما عبادة الكافرين في الدنيا الا في خطأ

باعمالهم ومآلهم (فوقاه الله سيآت ما مكروا) شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا من ألف فى طلبه فنهم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وحاق) ونزل (بآل فرعون سوء العذاب النار)

بدل من سوء العذاب او خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به (غدوا وعشيا) أى فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا فى الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الادخال مدنى وحمزة وعلى وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) أى عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (واذ يتحاجون) واذكر وقت تخاصمهم (فى النار)

المفهوم من قوم ﴿ فوقاه الله سيآت ما مكروا ﴾ شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى ﴿ وحاق بآل فرعون ﴾ بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم ﴿ سوء العذاب ﴾ الغرق او القتل او النار ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾ جملة مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه ان ارواحهم فى اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ اى هذا مادامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ﴿ ادخلوا آل فرعون ﴾ يا آل فرعون ﴿ اشد العذاب ﴾ عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص أدخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار ﴿ واذ يتحاجون فى النار ﴾ واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا

بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى ﴿ فوقاه الله سيآت ما مكروا ﴾ أى ما أرادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا ﴿ وحاق ﴾ أى نزل ﴿ بآل فرعون سوء العذاب ﴾ يعنى الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة وذلك قوله تعالى ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾ يعنى صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة * ثم اخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون ﴾ أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون ﴿ أشد العذاب ﴾ قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذى كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا * قوله تعالى ﴿ واذ يتحاجون ﴾ أى واذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى أهل النار ﴿ فى النار ﴾

لا يؤمن به (فوقاه الله سيآت ما مكروا) فدفع الله عنه ما أرادوا به من القتل (وحاق) نزل ودار (بآل فرعون) بفرعون وقومه (سوء العذاب) شدة العذاب وهو الغرق (النار يعرضون عليها) يقول يعرض أرواح آل فرعون على النار (غدوا وعشيا) غدوة وعشية الى يوم القيامة (ويوم تقوم الساعة) وهو يوم القيامة يقول الله (فيقول) للملائكة (أدخلوا آل فرعون) قومه (أشد العذاب) أسفل النار (واذ يتحاجون) يتخاصمون (فى النار) القادة

أى ربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله وماليس بآله كيف يصح ان يعلم الهاً (وأنا ادعوكم الى العزيز الغفار) وهو الله سبحانه وتعالى وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم [illegible] الغفلة وفيه انهم قومه وانه من آل فرعون وجئ بالواو فى النداء الثالث دون الثانى لان الثانى داخل على كلام هو بيان لمجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لاجرم) عند البصريين لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما فى حيزه فاعله اى حق ووجب بطلان دعوته (ان ماتدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) معناه ان ما يدعوننى اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اى من حق المعبود [illegible] ان يدعو العباد الى طاعته وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو [illegible] الى ذلك ولا يدعى الربوبية او معناه ليس له استجابة دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة [illegible] ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل [illegible] عليه بالجزاء فى قوله كما تدين تدان (وأن مردنا الى الله) وأن رجوعنا اليه (وأن المسرفين) وأن المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أى من النصيحة عند نزول العذاب (وأفوض أمرى) الى الله لانهم توعدوه (ان الله بصير بالعباد) [illegible]

والاشعار بان الالوهية لابد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان ﴿ وانا ادعوكم الى العزيز الغفار ﴾ المستجمع بصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران ﴿ لاجرم ﴾ لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله ﴿ ان ماتدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ﴾ اى حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضى الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لابد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد ﴿ وان مردنا الى الله ﴾ بالموت ﴿ وان المسرفين ﴾ فى الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء ﴿ هم اصحاب النار ﴾ ملازموها ﴿ فستذكرون ﴾ فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ﴿ ما اقول لكم ﴾ من النصيحة ﴿ وافوض امرى الى الله ﴾ ليعصمنى من كل سوء ﴿ ان الله بصير بالعباد ﴾ فيحرسهم فكأنه جواب توعدهم

بانه كيف يعقل جعله شريكا للاله الحق ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله ﴿ وأنا أدعوكم الى العزيز ﴾ أى فى انتقامه ممن كفر ﴿ الغفار ﴾ أى لذنوب أهل التوحيد ﴿ لاجرم ﴾ يعنى حقا ﴿ ان ماتدعوننى اليه ﴾ يعنى الصنم ﴿ ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ﴾ يعنى ليست له استجابة دعوة لاحد فى الدنيا ولا فى الآخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته فى الدنيا ولا فى الآخرة لان الاصنام لا تدعى الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفى الآخرة تتبرأ من عابديها ﴿ وأن مردنا الى الله ﴾ أى مرجعنا الى الله فيجازى كلا بما يستحقه ﴿ وأن المسرفين ﴾ يعنى المشركين ﴿ هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم ﴾ أى اذا نزل بكم العذاب حين لا ينفعكم الذكر ﴿ وأفوض أمرى الى الله ﴾ أى أرد أمرى الى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم ﴿ ان الله بصير بالعباد ﴾ يعنى عالم بحق من يطيعه [illegible]

له شريك ولى به علم انه ليس له شريك (وأنا أدعوكم الى العزيز) [illegible] (لاجرم) حقا (ان ماتدعوننى اليه ليس له دعوة) مقدرة (فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا) [illegible] (الى الله) بعد الموت (وأن المسرفين) المشركين (هم أصحاب النار) أهل النار (فستذكرون) فستعلمون [illegible] (ما أقول لكم) [illegible] العذاب (وأفوض) أكل (أمرى الى الله) وأثق به (ان الله بصير بالعباد) [illegible]

(وقال الذى آمن ياقوم اتبعون) اتبعونى فى الحالين مكى ويعقوب وسهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو نقيض الغى وفيه تعريض [illegible] ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى [illegible] أولا ثم فسر [illegible] الدنيا وتصغير شأنها بقوله (ياقوم [illegible] الآخرة [illegible] والمستقر [illegible] لا تماثلهما وحسنها

[illegible] ﴿ ياقوم اتبعون اهدكم ﴾ [illegible] سبيل الرشاد ﴾ سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى ﴿ ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع ﴾ تمتع يسير لسرعة زوالها ﴿ وان الآخرة هى دار القرار ﴾ لخلودها ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ﴾ عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ﴿ ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط فى اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ﴿ ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ﴾ كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثانى الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطفه على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا وتعريضا او على الاول ﴿ تدعوننى لاكفر بالله ﴾ بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام ﴿ واشرك به ما ليس لى به ﴾ بربوبيته ﴿ علم ﴾ والمراد نفى المعلوم

﴿ وقال الذى آمن ياقوم اتبعونى اهدكم سبيل الرشاد ﴾ أى طريق الهدى ﴿ ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع ﴾ أى متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع ﴿ وان الآخرة هى دار القرار ﴾ أى التى لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة والباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ﴾ قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصى فجزاؤه العقوبة بقدرها ﴿ ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ أى لا تبعة عليهم فيما يعطون فى الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير ﴿ ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ﴾ معناه أنا ادعوكم الى الايمان الذى يوجب النجاة من النار وأنتم تدعوننى الى الشرك الذى يوجب النار ثم فسر ذلك فقال ﴿ تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم ﴾ أى لا اعلم ان الذى تدعوننى اليه اله وما ليس

(من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدخلون مكى و بصرى ويزيد وأبو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذى ثمرته الجنات ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذى عاقبته النار بقوله (ويا قوم مالى) بفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أدعوكم الى النجاة) أى الجنة (وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله) هو بدل من تدعوننى الاول يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له (وأشرك به ما ليس لى به علم)

(وقال الذى آمن) يعنى حزقيل (ياقوم اتبعون) فى دينى (أهدكم سبيل الرشاد) أدعكم الى الحق والهدى (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا

متاع [illegible] ([illegible]) عمل [illegible] يجزى [illegible] (وهو مؤمن) ومع [illegible] يرزقون [illegible]) بالقوة ولا هنا زلا منازوين ومالى ادعوكم الى النجاة) الى التوحيد وهذا قول حزقيل أيضا (وتدعوننى الى النار) الى ما هو من أهل النار الشرك بالله (تدعوننى لاكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم)

كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قلب بالتنوين أبو عمرو وانما وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة (وقال فرعون) تمويها على قومه أو جهلا منه (ياهامان ابن لى صرحا) أى قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر [illegible] من قولهم صرح الشئ اذا ظهر (لعلى) وبفتح الياء حجازى وشامى وأبو عمرو (أبلغ الاسباب) ثم [illegible] تفخيم لشأنها وابانة انه قصد أمرا عظيما (أسباب السموات) أى طرقها وأبوابها وما يؤدى اليها وكل ما أداك الى شئ فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فاطلع) بالنصب حفص على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى وغيره بالرفع عطفا على أبلغ (الى اله موسى) والمعنى فانظر اليه (وانى لأظنه) أى موسى (كاذبا) فى قوله له اله غيرى (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) المستقيم وبفتح الصاد كوفى ويعقوب أى غيره صدا أو هو بنفسه صدودا والمزين الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (وما كيد فرعون الا فى تباب) خسران وهلاك

ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اى وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر ﴿ كذلك ﴾ اى كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله ﴿ يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عينى وسمعت اذنى اوعلى حذف مضاف اى على كل ذى قلب متكبر ﴿ وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا ﴾ بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا ظهر ﴿ لعلى ابلغ الاسباب ﴾ الطرق ﴿ اسباب السموات ﴾ بيان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها ﴿ فأطلع الى اله موسى ﴾ عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجى ولعله اراد ان يبنى له رصدا فى موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التى هى اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها مايدل على ارسال الله اياه اوان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه ﴿ وانى لاظنه كاذبا ﴾ فى دعوى الرسالة ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك التزيين ﴿ زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾ سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ زين بالفتح وبتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامى وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده ﴿ وما كيد فرعون الا فى تباب ﴾ اى خسار

كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ * قوله عز وجل ﴿ وقال فرعون ﴾ يعنى لوزيره ﴿ ياهامان ابن لى صرحا ﴾ أى بناء ظاهرا لا يخفى على الناظرين وان بعد وقد تقدم ذكره فى سورة القصص ﴿ لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات ﴾ أى طرقها وأبوابها من سماء الى سماء ﴿ فاطلع الى اله موسى وانى لأظنه ﴾ يعنى موسى ﴿ كاذبا ﴾ أى فيما يدعى ويقول ان له ربا غيرى ﴿ وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أى وصد فرعون الناس عن السبيل ﴿ وما كيد فرعون الا فى تباب ﴾ أى وما كيده فى ابطال آيات موسى الا فى خسار وهلاك * قوله تعالى

(كذلك) كهذا (يطبع الله) يختم الله (على كل قلب متكبر) عن الايمان (جبار) عن قبول الحق والهدى (وقال فرعون) لوزيره (ياهامان ابن لى صرحا) ([illegible] ٤٥ [illegible]) قصرا (لعلى أبلغ الاسباب) [illegible] ([illegible] السموات) أبواب السموات (فاطلع) فانظر (الى اله موسى) الذى يزعم انه فى السماء أرسله الى (وانى لأظنه) [illegible] واشتغل بموسى (وكذلك) هكذا (زين لفرعون سوء عمله) قبح عمله (وصد عن السبيل) صرف فرعون عن الحق والهدى (وما كيد فرعون) صنع فرعون (الا فى تباب) فى خسار

النار (مالكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) مانع ودافع (ومن يضلل الله فما له من هاد) مرشد (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل فرعون آخر ووبخهم بان يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فما زلتم في شك مما جاءكم به) فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين (حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان أي أقمتم على كفركم وظننتم انه لا يجدد عليكم ايجاب الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أي مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف (في آيات الله) في دفعها وابطالها (بغير سلطان) حجة (أتاهم كبر مقتا) أي عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه ويجوز ان يرفع الذين على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا

النار وقيل فارين عنها ﴿ مالكم من الله من عاصم ﴾ يعصمكم من عذابه ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف ﴾ يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد اوسبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف صلى الله عليه وسلم ﴿ من قبل ﴾ من قبل موسى ﴿ بالبينات ﴾ بالمعجزات ﴿ فما زلتم في شك مما جاءكم به ﴾ من الدين ﴿ حتى اذا هلك ﴾ مات ﴿ قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده اوجزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الاضلال ﴿ يضل الله ﴾ في العصيان ﴿ من هو مسرف مرتاب ﴾ اي شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد ﴿ الذين يجادلون في آيات الله ﴾ بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع ﴿ بغير سلطان ﴾ بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة ﴿ أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ فيه

﴿ مالكم من الله من عاصم ﴾ أي يعصمكم من عذابه ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ أي يهديه ﴿ ولقد جاءكم يوسف ﴾ يعني يوسف بن يعقوب ﴿ من قبل ﴾ اي من قبل موسى ﴿ بالبينات ﴾ يعني قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر ﴿ فما زلتم في شك مما جاءكم به ﴾ قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين في نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها ﴿ حتى اذا هلك ﴾ يعني مات ﴿ قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ أي أقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا في تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته ﴿ كذلك يضل الله من هو مسرف ﴾ أي في شركه وعصيانه ﴿ مرتاب ﴾ أي في دينه ﴿ الذين يجادلون في آيات الله ﴾ قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في ابطال آيات الله بالتكذيب ﴿ بغير سلطان ﴾ أي بغير حجة وبرهان ﴿ أتاهم ﴾ من الله ﴿ كبر ﴾ أي ذلك الجدال ﴿ مقتا عند الله وعند الذين آمنوا

من عذاب الله (مالكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) من مانع (ومن يضلل الله) عن دينه (فما له من هاد) من مرشد غير الله (ولقد جاءكم يوسف) قال لهم حزقيل هذا (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالامر والنهي وتعبير الرؤيا وشق القميص (فما زلتم في شك مما جاءكم به) يوسف (حتى اذا هلك) مات (قلتم لن يبعث الله من بعده) من بعد موته (رسولا كذلك يضل الله) عن دينه (من هو مسرف) مشرك (مرتاب) في شركه (الذين يجادلون في آيات الله) يكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (بغير سلطان) حجة (أتاهم) من الله وهو أبو جهل وأصحابه المستهزؤن (كبر مقتا) عظم بغضا (عند الله) يوم القيامة (وعند الذين آمنوا) في الدنيا

على الاشارة (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى مثل أيامهم لانه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم لايفترون عنه ولابد من حذف مضاف اى مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثانى بانه عطف بيان لمثل الاول (وما الله يريد ظلما للعباد) أى وما يريد الله ان يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب يستحقون من العذاب يعنى ان تدميرهم كان عدلا لانهم استحقوه باعمالهم وهو أبلغ من قوله وماربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم بالعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد وتفسير المعتزلة بانه لايريد لهم ان يظلموا بعيد لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلما لك معناه لا أريد ان اظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أى يوم القيامة التنادى حكى ويعقوب فى الحالين واثبات الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الآية على الدال وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الاعراف ونادى أصحاب الجنة اصحاب النار ونادى أصحاب النار اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف وقيل ينادى مناد ألا ان فلانا سعد سعادة لايشقى بعدها ابدا ألا ان فلانا شقى شقاوة لايسعد بعدها ابدا (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن موقف الحساب الى

طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات ﴿ وقال الذى آمن ياقوم انى اخاف عليكم ﴾ فى تكذيبه والتعرض له ﴿ مثل يوم الاحزاب ﴾ مثل ايام الامم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم ﴿ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ﴾ مثل جزاء ماكانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل ﴿ والذين من بعدهم ﴾ كقوم لوط ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب ولايخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وماربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفى فيه نفى حدوث تعلق ارادته بالظلم ﴿ وياقوم انى اخاف عليكم يوم التناد ﴾ يوم القيامة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكى فى الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يفر بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه ﴿ يوم تولون ﴾ عن الموقف ﴿ مدبرين ﴾ منصرفين عنه الى

ان يحل به ما حل بالامم قبله بقوله ﴿ وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ﴾ أى مثل عادتهم فى الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ أى لايهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ﴿ وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد ﴾ يعنى يوم القيامة سمى يوم القيامة يوم التناد لانه يدعى فيه كل أناس بامامهم وينادى بعضهم بعضا فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان بن فلان سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقى شقاوة لايسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت ياأهل الجنة خلود بلاموت وياأهل النار خلود بلاموت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر ياليتنى لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يعنى يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه ﴿ يوم تولون مدبرين ﴾ أى منصرفين عن موقف الحساب الى النار

(وقال الذى آمن) يعنى حزقيل (ياقوم انى أخاف عليكم) أن يكون عليكم (مثل يوم الاحزاب) مثل عذاب الكفار قبلكم (مثل دأب) مثل عذاب (قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (والذين من بعدهم) من الكفار (وما الله يريد ظلما للعباد) أن يكون منه ظلم على العباد وأن يأخذهم بلاجرم (وياقوم انى أخاف عليكم) أعلم ان يكون عليكم العذاب (يوم التناد) يوم ينادى بعضكم بعضا وناديكم أصحاب الاعراف ويقال يوم الفرار ان قرأت مثقلة الدال (يوم تولون مدبرين) هاربين

مرتيب (ان الله لايهدى من هو مسرف) مجاوز للحد (كذاب) فى ادعائه وهذا أيضا من باب المجاملة والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه فتتخلصون منه اذ لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات وقيل أوهم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعنى به فرعون (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) عالين وهو حال من كم فى لكم (فى الارض) فى أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله أى عذابه بقتله فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بان الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم برأى الا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيأ ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعنى ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الامر

الانصاف وعدم التعصب وثالث قدم كونه كاذبا ويصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد

تراك امكنة اذ لم ارضها ‌ ‌ او يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لانه اراد بالبعض نفسه ﴿ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب﴾ احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثانى ليلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لايهديه الله تعالى سبيل الصواب وسبيل النجاة ﴿ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ غالبين عالين ﴿فى الارض﴾ ارض مصر ﴿فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا﴾ اى فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله تعالى بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما درج نفسه فى الضميرين لانه كان منهم فى القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم ﴿قال فرعون ما اريكم﴾ ما اشير اليكم ﴿الا ما ارى﴾ واستصوبه من قتله ﴿وما اهديكم﴾ وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبى ولسانى متواطئان عليه ﴿الا سبيل الرشاد﴾

قيل معناه يصبكم الذى يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قال على طريق الاحتجاج أقل ما فى صدقه ان يصيبكم بعض الذى يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل ﴿ان الله لايهدى﴾ أى الى دينه ﴿من هو مسرف كذاب﴾ أى على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبدالله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم * قوله عز وجل ﴿ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض﴾ أى غالبين فى الارض أى أرض مصر ﴿فمن ينصرنا﴾ أى يمنعنا ﴿من بأس الله ان جاءنا﴾ والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبى فانه لا مانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم ﴿قال فرعون ما أريكم﴾ أى من الرأى والنصيحة ﴿الا ما أرى﴾ أى لنفسى ﴿وما أهديكم الا سبيل الرشاد﴾ أى ما أدعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه

(ان الله لايهدى) لايرشد الى دينه (من هو مسرف) مشرك (كذاب) كاذب على الله (ياقوم لكم الملك اليوم) (ان) ظاهرين) غالبين (فى الارض) أرض مصر (فمن ينصرنا) يمنعنا (من بأس الله) من عذاب الله (ان جاءنا) حين جاءنا (قال فرعون ما أريكم) ما آمركم (الا ما أرى) لنفسى حقا ان تعبدونى (وما أهديكم) أدعوكم (الا سبيل الرشاد) طريق الحق والهدى

وربكم بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع فى الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وعت بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا

ومن آل فرعون صلة ليكتم

اى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب اوخربيل او حزبيل والظاهر الاول (أتقتلون رجلا ان يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم كأنه قيل اترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة ومالكم علة فى ارتكابها الا كلمة الحق وهى قوله (ربى الله) وهو ربكم أيضا لا ربه وحده (وقد جاءكم) الجملة حال (بالبينات من ربكم) يعنى أنه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به (وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذى يعدكم مع انه وعد من نبى صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفى اصابة الكل فكأنه قال لهم أقل ما يكون فى صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفى ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا وتفسير البعض بالكل

الكلام بان تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى عت فيه وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ من اقاربه وقيل من متعلق بقوله ﴿يكتم ايمانه﴾ والرجل اسرائيلى اوغريب موحد كان ينافقهم ﴿أتقتلون رجلا﴾ أتقصدون قتله ﴿ان يقول﴾ لان يقول ووقت ان يقول من غير روية وتأمل فى امره ﴿ربى الله﴾ وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيد ﴿وقد جاءكم بالبينات﴾ المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات ﴿من ربكم﴾ اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال ﴿وان يك كاذبا فعليه كذبه﴾ لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله ﴿وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار

﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه﴾ قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بنى اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب ﴿أتقتلون رجلا ان يقول﴾ أى لان يقول ﴿ربى الله﴾ وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد * وقوله ﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه ﴿وان يك كاذبا فعليه كذبه﴾ أى لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه ﴿وان يك صادقا﴾ أى فكذبتموه ﴿يصبكم بعض الذى يعدكم﴾

يوم القيامة (وقال رجل مؤمن) وهو حزقيل (من آل فرعون) وهو ابن عم فرعون (يكتم ايمانه) من فرعون وقومه مائة سنة ويقال وقال رجل مؤمن وهو حزقيل يكتم ايمانه من آل فرعون وقومه مقدم ومؤخر (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) أرسلنى اليكم (وقد جاءكم بالبينات) بالامر والنهى وعلامات النبوة (من ربكم وان يك كاذبا) فيما يقول (فعليه كذبه) عقوبة كذبه (وان يك صادقا) فيما يقول وقد كذبتموه (يصبكم بعض الذى يعدكم) من العذاب فى الدنيا

باشروا قتلهم ولا فأغني عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بانه قد وقع أعاده عليهم غيظا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا (وقال فرعون) لملئه (ذروني أقتل موسى) كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته دخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتالا سفاكا للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس بانه هو الذي يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع (اني أخاف) ان لم أقتله (ان يبدل دينكم) ان [illegible] أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام (أو أن يظهر) موسى (في الارض الفساد) بضم الياء ونصب الدال مدني وبصري وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول أولى لموافقة يبدل والفساد في الارض التقاتل والتهايج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال اني أخاف أن يفسد عليكم (و) دينكم بدعوتكم الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير أهل الكوفة وأن ومعناه اني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وفي قوله

في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة ﴿وقال فرعون ذروني اقتل موسى﴾ كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله اوظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله ﴿وليدع ربه﴾ فانه تجلد وعدم مبالاة بدعاء ربه ﴿اني اخاف﴾ ان لم اقتله ﴿ان يبدل دينكم﴾ ان يغير ما انتم عليه من عبادتي وعبادة الاصنام لقوله ويذرك وآلهتك ﴿او ان يظهر في الارض الفساد﴾ ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد ﴿وقال موسى﴾ اي لقومه لما سمع كلامه ﴿اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ صدر

تعالى ﴿ وقال فرعون ﴾ أي لملئه ﴿ ذروني أقتل موسى ﴾ وانما قال فرعون هذا لانه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف فلا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه ﴿ وليدع ربه ﴾ أي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه أرسله الينا فيمنعه منا ﴿ اني أخاف أن يبدل دينكم ﴾ يعني يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه ﴿ أو ان يظهر في الارض الفساد ﴾ يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره ﴿ وقال موسى ﴾ يعني لما توعده فرعون بالقتل ﴿ اني عذت بربي وربكم ﴾ يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت في دفع الشدة الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية ﴿ من كل متكبر ﴾ أي متعظم عن الايمان ﴿ لا يؤمن بيوم الحساب ﴾ قوله عز وجل

(وقال فرعون ذروني أقتل) أي اتركوني أقتل (موسى وليدع ربه) الذي يزعم أنه أرسله الي (اني أخاف أن يبدل دينكم) الذي أنتم عليه (او ان يظهر في الارض الفساد) يقتل أبناءكم ويستخدم نساءكم كما قتلتم واستخدمتم ويقال أو أن يظهروا في الارض الفساد بترك دينكم ودين آبائكم ويدخلكم في دينه ان قرأت بنصب الياء والهاء (وقال موسى اني عذت) اعتصمت (بربي وربكم من كل متكبر) متعظم عن الايمان (لا يؤمن بيوم الحساب)

عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كانوا هم أشد منهم قوة) هم فصل وحقه ان
تقع بين معرفتين الا أن أشد منهم ضارع المعرفة فى انه لا يدخله الالف واللام فاجرى مجراه منكم شامى (وآثارا فى الارض)
أى حصونا وقصورا (فاخذهم الله بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شئ يقيهم
من عذاب الله (ذلك بانهم) أى الاخذ بسبب انهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى) قادر على
كل شئ (شديد العقاب) اذا عاقب ﴿٣٤٧﴾ (ولقد أرسلنا { سورة المؤمن } موسى بآياتنا) التسع
(وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب) فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة من عندنا (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أى أعيدوا عليهم القتل كالذى كان أولا (واستحيوا نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الافى ضلال) ضياع يعنى انهم

عاقبة الذين كانوا من قبلهم ﴾ مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود ﴿ كانوا هم اشد منهم قوة ﴾ قدرة وتمكنا وانما جئ بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف ﴿ وآثارا فى الارض ﴾ مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله «متقلدا سيفا ورمحا» ﴿فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ يمنع العذاب عنهم ﴿ ذلك ﴾ الاخذ ﴿ بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات والاحكام الواضحة ﴿ فكفروا فاخذهم الله انه قوى ﴾ متمكن مما يريده غاية التمكن ﴿ شديد العقاب ﴾ لايؤبه بعقاب دون عقابه ﴿ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ﴾ يعنى المعجزات ﴿ وسلطان مبين ﴾ وحجة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين اولافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه ﴿ الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ﴾ يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا ﴿ فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ﴾ اى اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كى يصدوا عن مظاهرة موسى ﴿ وما كيد الكافرين الافى ضلال ﴾

عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الارض ﴾ أى المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم ﴿ فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿ ذلك ﴾ أى ذلك العذاب الذى نزل بهم ﴿ بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب ﴾ قوله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا ﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿ اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه ﴾ قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فمعناه أعيدوا عليهم القتل ﴿ واستحيوا نساءهم ﴾ أى استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته ﴿ وما كيد الكافرين ﴾ أى وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم ﴿ الافى ضلال ﴾ أى يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله

عاقبة) جزاء (الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة) بالبدن (وآثارا فى الارض) أشد لها طلبا وأبعد ذهابا فى طلبها (فاخذهم الله بذنوبهم) فعاقبهم الله بذنوبهم بتكذيبهم الرسل (وما كان لهم من الله) من عذاب الله (من واق) من مانع (ذلك) العذاب فى الدنيا (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (فكفروا) بالرسل وتاهوا به (فأخذهم الله) بالعقوبة (انه قوى) بأخذه (شديد العقاب) لمن عاقبه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) حجة مبينة (الى فرعون وهامان) وزير فرعون (وقارون) ابن عم موسى (فقالوا) لموسى هذا (ساحر) يفرق بين الاثنين (كذاب) يكذب على الله (فلما جاءهم) موسى (بالحق) بالكتاب (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أى أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) ستخدموا نساءهم ولا تقتلوهن (وما كيد الكافرين) ماصنع فرعون وقومه (الافى ضلال) فى خطأ

(كاظمين) ممسكين بحناجرهم من كظم القربة شد رأسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها وانما جمع الكاظ
جمع العقلاء ... بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء او من الذين الكافرين (من حميم) محب مشفق (ولا شفيع
يطاع) ... وهو مجاز عن الطاعة لان الطاعة حقيقة لا تكون الا لمن فوقك والمراد في الشفاعة والطاعة كافي قو
ولا ترى الضب بها ينجحر يريد به نفي الضب والانجحار وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة فمن الحسن واله
ما لهم شفيع البتة يعلم خائنة الاعين) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل
(وما تخفي الصدور) وما تسره من أمانة وخيانة وقيل هو ان ينظر الى أجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه في جمالها ولا يه
بنظرته وفكرته من يحضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الاعين خبر من أخبار هو في قوله هو الذي يريكم آياته مثل
يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد عال بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطر
ذكر أحوال يوم التلاق
الى قوله ولا شفيع يطاع
فبعد ذلك عن أخوته (والله
يقضي بالحق) أي والذي
هذه صفته لا يحكم الا
بالعدل (والذين يدعون
من دونه لا يقضون بشئ)
وآلهتهم لا يقضون بشئ
وهذا تهكم بهم لان ما لا
يوصف بالقدرة لا يقال
فيه يقضي أو لا يقضي
تدعون بالتاء (ان الله هو
السميع البصير) تقرير
لقوله يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور ووعيد
لهم بانه يسمع ما يقولون
ويبصر ما يعملون وانه
يعاقبهم عليه وتعريض بما
يدعون من دونه وانها
لا تسمع ولا تبصر (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
(عاقبة)

فيستريحوا ﴿ كاظمين ﴾ على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة
ومنها او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت
اعناقهم لها خاضعين او من مفعول أنذرهم على انه حال مقدرة ﴿ ما للظالمين من حميم ﴾
قريب مشفق ﴿ ولا شفيع يطاع ﴾ ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر
كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم ﴿ يعلم
خائنة الاعين ﴾ النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه
وخيانة الاعين ﴿ وما تخفي الصدور ﴾ من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه
ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء ﴿ والله يقضي بالحق ﴾ لانه المالك الحاكم على
الاطلاق فلا يقضي بشئ الا وهو حقه ﴿ والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ﴾ تهكم بهم
لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ﴿ ان
الله هو السميع البصير ﴾ تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون
ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه ﴿ اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان

تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا ﴿ كاظمين ﴾ أي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا
حتى يضيق القلب عنه ﴿ ما للظالمين من حميم ﴾ أي من قريب ينفعهم ﴿ ولا شفيع ﴾
أي يشفع لهم ﴿ يطاع ﴾ أي فيهم ﴿ يعلم خائنة الاعين ﴾ أي خيانتها وهي مسارقة النظر
الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين الى ما نهى الله عنه ﴿ وما تخفي الصدور ﴾ أي من مضمرات
القلوب ﴿ والله يقضي بالحق ﴾ أي يحكم بالعدل ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ يعني
الاصنام ﴿ لا يقضون بشئ ﴾ لانها لا تعلم شيأ ولا تقدر على شئ ﴿ ان الله هو السميع ﴾
أي لاقوال الخلق ﴿ البصير ﴾ بأفعالهم ﴿ أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان

(كاظمين) مغمومين محزونين يتردد الغيظ في أجوافهم (ما للظالمين) المشركين (من حميم) من قريب ينفعهم (ولا
شفيع يطاع) فيهم بالشفاعة (يعلم خائنة الاعين) النظرة بعد النظرة الثانية من الخيانة (وما تخفي الصدور) ما تضمر القلوب
عند النظرة الثانية يعلم الله ذلك (والله يقضي بالحق) يحكم بالشفاعة لمن شاء يوم القيامة ويقال يأمر بالعدل (والذين يدعون)
يعبدون (من دونه) من دون الله من الاوثان (لا يقضون بشئ) لا يحكمون بشئ من الشفاعة يوم القيامة لانه ليس لهم مقدرة
... لا يقضون بشئ لا يأمرون بشئ في الدنيا لانهم ... (ان الله هو السميع) لمقالتهم (البصير) بهم وبأعمالهم (أولم
يسيروا) يسافروا كفار مكة (في الارض فينظروا) فيتفكروا (كيف كان

ظاهرون لا يسترهم شىء من جبل او اكمة او بناء (لايخفى على الله منهم شىء) أى من أعمالهم وأحوالهم (لمن الملك اليوم) أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وينتصب اليوم بمدلول لمن اى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم

وقيل ينادى مناد فيقول

لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب) لما قرران الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى ان كل نفس تجزى بما كسبت عملت فى الدنيا من خير وشر وان الظلم مأمون منه لانه ليس بظلام للعبيد وان الحساب لايبطئ لانه لايشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين (وأنذرهم يوم الآزفة) أى القيامة سميت بها لازوفها أى لقربها ويبدل من يوم الآزفة (اذ القلوب لدى الحناجر) أى التراقى يعنى ترفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع الى موضعها فيتنفسوا ويتروحوا

اواعمالهم وسرائرهم ﴿ لايخفى على الله منهم شىء ﴾ من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو مايتوهم فى الدنيا ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به اولما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴾ كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيآت توجب لذتها وألمها لكنها لاتشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها وألمها ﴿ لاظلم اليوم ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ اذ لايشغله شأن عن شأن فيصل اليهم مايستحقونه سريعا ﴿ وانذرهم يوم الآزفة ﴾ اى القيامة سميت بها لازوفها اى قربها اوالخطة الآزفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت ﴿ اذ القلوب لدى الحناجر ﴾ فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولاتخرج

ظاهرون لايسترهم شىء ﴿ لايخفى على الله منهم شىء ﴾ أى من أعمالهم وأحوالهم فان قلت ان الله تعالى لايخفى عليه شىء فى سائر الايام فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لايراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لايتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه فى الدنيا ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ أى يقول الله عز وجل فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول ﴿ لله الواحد القهار ﴾ أى الذى قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرون فى يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق فى يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه فى الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة فى العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه فى الدنيا ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴾ يعنى يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته ﴿ لاظلم اليوم ﴾ أى ان الخلق آمنون فى ذلك اليوم من الظلم لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ أى انه تعالى لايشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم فى وقت واحد * قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة ﴾ يعنى يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ماهو آت فهو قريب ﴿ اذ القلوب لدى الحناجر ﴾ وذلك انها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هى تعود الى أماكنها ولا هى

(لايخفى على الله منهم شىء) ولا من اعمالهم شىء فيقول الله بعد نفخة الموت (لمن الملك اليوم) فليس يجيبه احد فيرد على نفسه فيقول (لله الواحد) (قا و خا ٤٤ مس) بلا ولد ولا شريك (القهار) لخلقه بالموت الغالب عليهم (اليوم) وهو يوم القيامة (تجزى كل نفس) برة أو فاجرة (بما كسبت) من الخير والشر (لاظلم اليوم) على أحد أى لاينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم (ان الله سريع الحساب) اذا حاسب ويقال شديد العقاب اذا عاقب (وأنذرهم) خوفهم يا محمد (يوم الآزفة) من أهوال يوم الآزفة وهو يوم القيامة يزف بعضهم الى بعض ويسرع (اذ القلوب لدى الحناجر) عند الحناجر

الا من ينيب)وماينعظ وما يعتبر بآيات الله الامن يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لايتذكر ولايتعظ ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) فاعبدوا (مخلصين له الدين) من الشرك (ولوكره الكافرون) وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذى يريكم أو اخبار مبتدأ محذوف ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات عباده فى الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطافا للملائكة اظهار العظمته مع استغنائه فى مملكته والروح جبريل عليه السلام أو الوحى الذى تحيي به القلوب (من أمره) من أجل امره أو بامره (على من يشاء من عباده لينذر) أى الله او الملق عليه وهو النبى عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر (يوم التلاق) يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء واهل الارض والاولون والآخرون التلاقى مكى ويعقوب (يوم هم بارزون)

عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى ﴿ الا من ينيب ﴾ يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشئ لاينظر فيما ينافيه ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ من الشرك ﴿ ولوكره الكافرون ﴾ اخلاصكم وشق عليهم ﴿ رفيع الدرجات ذوالعرش ﴾ خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لايظهر دونها كمال وكان العرش الذى هو اصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لايصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات اومصاعد الملائكة الى العرش اوالسموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح ﴿ يلقى الروح من امره على من يشا من عباده ﴾ خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحى وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن امره بيانه لانه امر بالخير اومبدؤه والامر هو الملك المبلغ ﴿ على من يشآء من عباده ﴾ يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية ﴿ لينذر ﴾ غاية الالقاء والمستكن فيه لله تعالى اولمن اوللروح واللام مع القرب يؤيد الثانى ﴿ يوم التلاق ﴾ يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبودون والعباد والاعمال والعمال ﴿ يوم هم بارزون ﴾ خارجون من قبورهم اوظاهرون لايسترهم شئ اوظاهرة نفوسهم لاتحجبهم غواشى الابدان

﴿ الا من ينيب ﴾ أى يرجع الى الله تعالى فى جميع أموره ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ أى الطاعة والعبادة ﴿ ولوكره الكافرون ﴾ ❁ قوله تعالى ﴿ رفيع الدرجات ﴾ أى رافع درجات الانبياء والاولياء والعلماء فى الجنة وقيل معناه المرتفع أى انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغنى عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه ﴿ ذوالعرش ﴾ أى خالقه ومالكه والفائدة فى تخصيص العرش بالذكر لانه أعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى ﴿ يلقى الروح ﴾ يعنى ينزل الوحى سماه روحا لان به تحيي الارواح كما تحيي الابدان بالارواح ﴿ من أمره ﴾ قال ابن عباس من قضائه وقيل بامره وقيل من قوله ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ يعنى الانبياء ﴿ لينذر يوم التلاق ﴾ يعنى لينذر النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل يلتقى الخلق والخالق وقيل يلتقى العابدون والمعبودون وقيل يلتقى المرء مع عمله وقيل يلتقى الظالم والمظلوم ﴿ يوم هم بارزون ﴾ أى خارجون من قبورهم

ما يتعظ بالقرآن (الامن ينيب) الامن يقبل الى الله (فادعوا الله) فاعبدوا الله (مخلصين له الدين) له بالعبادة والتوحيد (ولو كره) وان كره (الكافرون) أهل مكة (رفيع الدرجات) (ظاهرون) خالق السموات رفعها فوق كل شئ (ذوالعرش) السرير (يلقى الروح من أمره) ينزل جبريل بالقرآن (على من يشاء) على من يحب (من عباده) يعنى محمدا عليه السلام (لينذر) ليخوف محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (يوم التلاق) يوم يلتقى أهل السماء و أهل الارض ويقال يوم يلتقى الخالق والمخلوق (يوم هم بارزون)خارجون من القبور

والثاني للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) من النار أي الى نوع من الخروج سريع أو بطيء لنتخلص (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذ كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) أي وأن لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العلي) شأنه فلا يرد قضاؤه (الكبير) العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج أهل حروراء قال علي رضي الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون أي يقولون لا حكم الا لله فقال علي رضي الله عنه كلمة حق أريد بها باطل (هو الذي يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها (وينزل لكم من السماء) وبالتخفيف مكي وبصري (رزقا) مطرا لانه سبب الرزق (وما يتذكر

بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله ﴿ فاعترفنا بذنوبنا ﴾ فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث ﴿ فهل الى خروج ﴾ نوع خروج من النار ﴿ من سبيل ﴾ طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ﴿ ذلكم ﴾ اى الذي انتم فيه ﴿ بانه ﴾ بسبب انه ﴿ اذا دعي الله وحده ﴾ متوحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية ﴿ كفرتم ﴾ بالتوحيد ﴿ وان يشرك به تؤمنوا ﴾ بالاشراك ﴿ فالحكم لله ﴾ المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد ﴿ العلي الكبير ﴾ من ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم به على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة ﴿ هو الذي يريكم آياته ﴾ الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم ﴿ وينزل لكم من السماء رزقا ﴾ اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم ﴿ وما يتذكر ﴾ بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول

الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التي هي من الدنيا فلم يعدوها لانها ليست من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهي الموتة الاولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها ﴿ فاعترفنا بذنوبنا ﴾ يعني انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم ﴿ فهل الى خروج ﴾ أي من النار ﴿ من سبيل ﴾ والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى ﴿ ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم ﴾ معناه فاجيبوا أن لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بانكم اذا دعي الله وحده كفرتم يعني اذا قيل لا اله الا الله أنكرتم ذلك ﴿ وان يشرك به ﴾ أي غيره ﴿ تؤمنوا ﴾ أي تصدقوا ذلك الشرك ﴿ فالحكم لله العلي ﴾ أي الذي لا أعلى منه ﴿ الكبير ﴾ أي الذي لا أكبر منه * قوله عز وجل ﴿ هو الذي يريكم آياته ﴾ أي عجائب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته ﴿ وينزل لكم من السماء رزقا ﴾ يعني المطر الذي هو سبب الارزاق ﴿ وما يتذكر ﴾ أي يتعظ بهذه الآيات

(فاعترفنا) فأقررنا (بذنوبنا) بشركنا وجحودنا من ذلك (فهل الى خروج) رجوع الى الدنيا (من سبيل) من حيلة فنؤمن بك يقول الله لهم (ذلكم) العذاب في النار والمقت (بأنه اذا دعي الله وحده) اذا قيل لكم قولوا لا اله الا الله (كفرتم) جحدتم (وان يشرك به) الاوثان (تؤمنوا) تقروا (فالحكم لله) فالقضاء بين العباد لله حكم بالنار لمن كفر به (العلي) أعلى كل شيء (الكبير) أكبر كل شيء (هو الذي يريكم) يا أهل مكة (آياته) علامات وحدانيته وقدرته وعجائبه من خراب مساكن الذين ظلموا (وينزل لكم من السماء رزقا) مطرا (وما يتذكر)

ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيمة اذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة والمقت أشد البغض وانتصاب (اذ تدعون الى الايمان) بالمقت الاول عند الزمخشري والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل وقال جامع العلوم وغيره اذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله أى يمقتهم الله حين دعوا الى الايمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت الاول لان قوله لمقت الله مبتدأ وهو مصدر وخبره أكبر من مقتكم أنفسكم فلا يعمل فى اذ تدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ولا بالثانى لاختلاف الزمانين وهذا لانهم مقتوا أنفسهم فى النار وقد دعوا الى الايمان فى الدنيا (فتكفرون) فتصرون على الكفر (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أى اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وصح ان يسمى خلقهم أمواتا اماتة كما صح ان يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر والسبب فيه ان الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالاحياءتين الاحياءة الاولى فى الدنيا والاحياءة (الثانية) البعث ويدل عليه قوله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى فى الدنيا والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء الاول احياؤه فى القبر بعد موته للسؤال

اومجموعهما * ان الذين كفروا ينادون * يوم القيامة فيقال لهم ﴿ لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم ﴾ أى لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء ﴿ اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ﴾ ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثانى لان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يأول بنحو « فى الصيف ضيعت اللبن » او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد ﴿ قالوا ربنا امتنا اثنتين ﴾ اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقبوليه تصيير وصرف له عن الآخر ﴿ واحييتنا اثنتين ﴾ الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياآن ما فى القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم

الى كنه عظمته وجلاله * قوله تعالى ﴿ ان الذين كفروا ينادون ﴾ أى يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيآتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم ﴿ لمقت الله ﴾ أى اياكم فى الدنيا ﴿ أكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ﴾ أى اليوم عند حلول العذاب بكم ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فاحياهم الله تعالى فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لابد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى القبر للسؤال ثم أميتوا فى قبورهم ثم أحيوا للبعث فى الآخرة وذلك انهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهى اربعة الموتة الاولى ثم الحياة فى القبر ثم الموتة

من النار (ان الذين كفروا) بالله وبالكتب والرسل اذا دخلوا النار يقول كل واحد منهم مقتك يا نفسى (ينادون) فيناديهم الملائكة (لمقت الله) فى الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم) اليوم فى النار (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) فتجحدون (قالوا) يعنى الكفار فى النار (ربنا) يا ربنا (أمتنا اثنتين) مرتين مرة بقبض أرواحنا ومرة بعد ما سألنا منكر ونكير فى القبور (وأحييتنا اثنتين) مرتين مرة قبل ان سألنا منكر ونكير فى القبور ومرة للبعث

لتناسب ذكر الرحمة والعلم (واتبعوا سبيلك) أي طريق الهدى الذي دعوت اليه (وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم) من في موضع نصب عطف على هم في وأدخلهم أو في وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم والمعنى وعدتهم (وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) أي الملك الذي لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك (وقهم السيآت) أي جزاء السيآت وهو عذاب النار (ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته وذلك) أي رفع العذاب (هو الفوز العظيم

وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانه اقوى المناسبات كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة ﴿ ربنا ﴾ اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال ﴿ وسعت كل شئ رحمة وعلما ﴾ اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ﴾ للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب ﴿ ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴾ اياها ﴿ ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم ﴾ عطف على هم الاول اى ادخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد ﴿ انك انت العزيز ﴾ الذي لا يمتنع عليه مقدور ﴿ الحكيم ﴾ الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد ﴿ وقهم السيآت ﴾ العقوبات او جزاء السيآت وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ﴿ ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته ﴾ أي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب ﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ يعني الرحمة او الوقاية

أيجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في أحد بشئ يكرهه ان يستغفر له ﴿ ربنا ﴾ أي ويقولون ربنا ﴿ وسعت كل شئ رحمة وعلما ﴾ أي وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ﴾ أي دينك ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين ﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم ﴾ قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبي وأين أمي وأين ولدي وأين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول اني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة كان أكمل لسروره ولذته ﴿ وقهم السيآت ﴾ أي عقوبات السيآت بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التي توجب العقاب ﴿ ومن تق السيآت يومئذ ﴾ أي من تقه في الدنيا ﴿ فقد رحمته ﴾ أي في القيامة ﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ أي النعيم الذي لا ينقطع في جوار مليك لا تصل العقول

(ربنا) يا ربنا (وسعت كل شئ رحمة) ملأت كل شئ نعمة (وعلما) عالم أنت بكل شئ (فاغفر للذين تابوا) من الشرك (واتبعوا سبيلك) دينك الاسلام (وقهم عذاب الجحيم) ادفع عنهم عذاب النار (ربنا) يا ربنا (وادخلهم جنات عدن) معدن الانبياء والصالحين (التي وعدتهم) في الكتاب (ومن صلح) من وحد أيضا (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز) في ملكك وسلطانك (الحكيم) في أمرك وقضائك (وقهم السيآت) ادفع عنهم عذاب يوم القيامة (ومن تق السيآت) ومن دفعت عنه العذاب (يومئذ) يوم القيامة (فقد رحمته) غفرت له وعصمته وعظمته (وذلك) الغفران والدفع (هو الفوز العظيم) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونجوا

ومن حوله) يعنى حاملين العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر
وروى ان حملة العرش أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قدخرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفى الحديث
ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على

حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قدوضعوا أيديهم على عواتقهم يهللون ويكبرون ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل مامنهم أحد الاوهو يسبح بمالا يسبح به الآخر (يسبحون) خبر المبتدأ وهو الذين (بحمدربهم) أي مع حمده اذالباء تدل على ان تسبيحهم بالحمدلة (ويؤمنون به) وفائدته مع علمنا بان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء فى غير موضع بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وقد روعى التناسب فى قوله
ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن فى مثل حالهم وفيه دليل على (أ يجمل)
ان الاشتراك فى الايمان يجب أن يكون ادعى شئ الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس والا ماكن

ومن حوله ﴾ الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له اوكناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ امره ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ﴿ ويؤمنون به ﴾ اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ واشعارا بان حملة العرش

ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض * قوله ﴿ ومن حوله ﴾ يعنى الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم قدوضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ماأعظمك وأجلك أنت الله لااله غيرك أنت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قدوضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الايسبح بتحميد لايسبحه الآخر مابين جناحى أحدهم مسير ثلثمائة عام ومابين شحمة أذنه الى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عزوجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد ومالا يعلمه الاالله عزوجل * قوله تعالى ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ أى ينزهون الله تعالى عمالايليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق ﴿ ويؤمنون به ﴾ أى يصدقون بانه واحد لاشريك له ولا مثل له ولانظيرله * فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولايكون التسبيح الابعد الايمان فافائدة قوله ويؤمنون به * قلت فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عزوجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بنى آدم ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ أى يسألون الله تعالى المغفرة لهم قبل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقوله

الحملة (ومن حوله) من الملائكة (يسبحون بحمد ربهم) بأمر ربهم (ويؤمنون به) وهم يؤمنون بالله (ويستغفرون) يدعون (للذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن ويقولون

فيقتلوه والاخيذ الاسير (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليبطلوا به الايمان (فاخذتهم) مظهر مكي وحفص يعني انهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذ الرسل ان أخذتهم فعاقبتهم (فكيف كان عقاب) وبالياء يعقوب أي فانكم تمرون على بلادهم

ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا) كلمات ربك مدني وشامي (انهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش

وقتل من الاخذ بمعنى الاسر ﴿ وجادلوا بالباطل ﴾ بما لا حقيقة له ﴿ ليدحضوا به الحق ﴾ ليزيلوه به ﴿ فاخذتهم ﴾ بالاهلاك جزاء لهمهم ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك ﴾ وعيده او قضاؤه بالعذاب ﴿ على الذين كفروا ﴾ لكفرهم ﴿ انهم اصحاب النار ﴾ بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى ﴿ الذين يحملون العرش

ويهلكوه وقيل ليأسروه ﴿ وجادلوا ﴾ أي خاصموا ﴿ بالباطل ليدحضوا ﴾ أي ليبطلوا ﴿ به الحق ﴾ الذي جاءت به الرسل ﴿ فاخذتهم فكيف كان عقاب ﴾ أي أنزلت بهم من الهلاك ما همواهم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا ﴿ وكذلك حقت ﴾ أي وجبت ﴿ كلمة ربك ﴾ أي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت ﴿ على الذين كفروا ﴾ أي من قومك ﴿ انهم ﴾ أي بانهم ﴿ أصحاب النار ﴾ * قوله عز وجل ﴿ الذين يحملون العرش ﴾ قيل حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى باربعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم اقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفوا بهما في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان أقدامهم في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم تسبيحهم سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التي تليها والتي تليها أشد خوفا من التي تليها وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي ان أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود. وأما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون

كل قوم قتل رسولهم (وجادلوا بالباطل) خاصموا الرسل بالشرك (ليدحضوا به الحق) ليبطلوا بالشرك الحق ما جاءت به الرسل (فاخذتهم) عاقبتهم عند التكذيب (فكيف كان عقاب) انظر يا محمد كيف كان عقوبتي عليهم عند التكذيب (وكذلك) هكذا (حقت) وجبت (كلمة ربك) بالعذاب (على الذين كفروا) بالرسل (أنهم أصحاب النار) أهل النار في الآخرة (الذين يحملون العرش) عرش الرحمن وهو السرير وهم عشرة أجزاء من الملائكة

عليه (لااله الاهو) صفة أيضا لذى الطول ويجوز أن يكون مستأنفا (اليه المصير) المرجع (مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) مايخاصم فيها بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها فاعظم جهاد فى سبيل الله (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة سالمين غانمين فان عاقبة أمرهم الى العذاب ثم بين كيف ذلك فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) نوحا (والاحزاب) أى الذين تحزبوا على الرسل و ناصبوهم وهم عاد وثمود و قوم لوط وغيرهم (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة) من هذه الامم التى هى قوم نوح والاحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكنوا منه

بين محو الذنوب وقبول التوبة اوتغاير الوصفين اذربما يتوهم الاتحاد اوتغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون الذنب باقيا وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها ﴿لااله الا هو﴾ فيجب الاقبال الكلى على عبادته ﴿اليه المصير﴾ فيجازى المطيع والعاصى ﴿مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا﴾ لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة ﴿فلا يغررك تقلبهم فى البلاد﴾ فلا يغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم﴾ والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود ﴿وهمت كل امة﴾ من هؤلاء ﴿برسولهم﴾ وقرئ برسولها ﴿ليأخذوه﴾ ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب

وأصل الطول الانعام الذى تطول مدته على صاحبه ﴿لااله الاهو﴾ أى هو الموصوف بصفات الوحدانية التى لا يوصف بها غيره ﴿اليه المصير﴾ أى مصير العباد اليه فى الآخرة * قوله تعالى ﴿مايجادل﴾ أى مايخاصم ويحاجج ﴿فى آيات الله﴾ أى فى دفع آيات الله بالتكذيب والانكار ﴿الا الذين كفروا﴾ قال أبو العالية آيتان ما اشدهما على الذين يجادلون فى القرآن قوله تعالى مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا فى القرآن كفر أخرجه أبو داود وقال المراء فى القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وماجهلتم منه فكلوه الى عالمه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب ﴿فلا يغررك تقلبهم﴾ أى تصرفهم ﴿فى البلاد﴾ للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم﴾ أى الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح ﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ قال ابن عباس ليقتلوه

(لااله) يفعل ذلك (الاهو اليه المصير) مصير من آمن به ومصير من لم يؤمن به (ما يجادل فى آيات الله) مايكذب بمحمد عليه السلام والقرآن (الا الذين كفروا) بالله أهل مكة (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) فلا تغتر يا محمد بذهابهم ومجيئهم فى الاسفار بالتجارة فانهم ليسوا على شئ (كذبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (والاحزاب) الكفار (من بعدهم) من بعد قوم نوح كذبوا الرسل كما كذبك قومك (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أراد (ويهلكوه)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) ومابعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيي وحماد وبين الفتح والكسر مدنى وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس انه اسم الله الاعظم (تنزيل الكتاب) أى هذا تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أى المنيع بسلطانه عن أن يتقول عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) ساتر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذى الطول) ذى الفضل على العارفين أو ذى الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والاوب أخوات فى معنى الرجوع والطول الغنى والفضل • فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة • قلت أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين كما يكون فى تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه وأما شديد العقاب فهو فى تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بان كلها أبدال غير أوصاف وادخال الواو فى وقابل التوب لنكتة وهى افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروى ان عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع فى هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر (قا و خا ٤٣ مس) الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخاكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ امالها ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث او لانها على زنة اعجمى كقابيل وهابيل ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ لعل تخصيص الوصفين لما فى القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول﴾ صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ماهو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿حم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف اسمه الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حليم وحميد وحى وحكيم وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء أى قضى ما هو كائن ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز﴾ أى الغالب القادر وقيل الذى لا مثل له ﴿العليم﴾ أى بكل المعلومات ﴿غافر الذنب﴾ أى ساتر الذنب ﴿وقابل التوب﴾ اى التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله ﴿شديد العقاب﴾ لمن لا يقول لا اله الا الله ﴿ذى الطول﴾ أى السعة والغنى وقيل ذى الفضل والنعم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله جل ذكره (حم) يقول قضى أو بين ما هو كائن الى يوم القيامة ويقال قسم أقسم به (تنزيل الكتاب) ان هذا القرآن تنزيل (من الله العزيز العليم) على محمد عليه السلام العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به العليم بمن آمن به وبمن لا يؤمن به (غافر الذنب) لمن قال لا اله الا الله (وقابل التوب) لمن تاب من الشرك (شديد العقاب) لمن مات على الشرك (ذى الطول) ذى المن والفضل والغنى يعنى ذا المن والفضل على من آمن به وذا الغنى على من لا يؤمن به

أي محدقين من حوله ومن { جزء الرابع والعشرون } لابتداء الغاية اى ابتداء ﴿٣٣٦﴾ حفوفهم من حول العرش الى حيث

﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية ومقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق فى صفات الحق ﴿ وقضى بينهم بالحق ﴾ اى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ اى على ماقضى بيننا بالحق و القائلون هم المؤمنون من المقضى بينهم اوالملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم ٠ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه عليه السلام انه كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

﴿ سوة المؤمن مكية وآيها ثمانون وخمس آيات ﴾

﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول فى ذلك اليوم ﴿ وقضى بينهم بالحق ﴾ بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ أى يقول أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد فى قوله الحمد لله الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختم بالحمد فى آخر الامر وهو استقرار الفريقين فى منازلهم فيه فنبه بذلك على تحميده فى بداءة كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر وهى مكية ﴾
﴿ قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون فى آيات ﴾
﴿ الله والتى بعدها وهى خمس وثمانون آية والف ومائة ﴾
﴿ وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون ﴾
﴿ حرفا عن عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال ان مثل ﴾
﴿ صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر ﴾
﴿ بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذهبط على ﴾
﴿ روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا ﴾
﴿ أعجب منه وأعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم ﴾
﴿ القرآن وان مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم ﴾
﴿ فى القرآن وعن ابن عباس قال لكل شىء لباب ولباب ﴾
﴿ القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت فى آل حم ﴾
﴿ وقعت فى روضات الجنة أتأنق فيهن وقال سعد ﴾
﴿ ابن ابراهيم كن آل حم تسمى العرائس ﴾

شاء الله (يسبحون) حال من الضمير فى حافين (بحمد ربهم أى يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر او سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد لزوال التكليف (وقضى بينهم) بين الانبياء و الامم أو بين أهل الجنة و النار (بالحق) بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى يقول أهل الجنة شكرا حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر واخوانهم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضى الله عنهما

﴿ سورة المؤمن مكية وهى خمس وثمانون آية ﴾

يسبحون بحمد ربهم) بأمر ربهم (وقضى بينهم) بين النبيين والامم (بالحق) بالعدل (وقيل) لهم بعد الفراغ من الحساب قولوا (الحمد لله) الشكر لله والمنة لله (رب العالمين) سيد الجن والانس على ما فرق بيننا وبين أعدائنا وهو منزل حم وهو العزيز العليم

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها المؤمن وهى كلها مكية آياتها اثنتان وثمانون آية وكلمها ألف ومائة وتسع وتسعون وحروفها أربعة آلاف وتسعمائة وستون ﴾ (بسم)

وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لان فى الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها فعندهم جاؤها محذوف والمعنى اذا جاؤها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما أبواب الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جىء بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج أى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين أى لم تكونوا أصحاب خبائث وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرهم الله من كل دنس وطيبهم من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أنجزنا ما وعدنا فى الدنيا من نعيم العقبى (واورثنا الارض) ارض الجنة وقد اورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرث واتساعه فيه (نتبوأ) حال من الجنة (حيث نشاء) أى يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ أى فيتخذ متبوأ مقرا من جنته حيث يشاء (فنعم أجر العاملين) في الجنة (وترى الملائكة حافين [illegible] محدقين (من حول العرش

لهم قبل مجيئها منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف ﴿ وقال لهم خزنتها سلام عليكم ﴾ لا يعتريكم بعد مكروه ﴿ طبتم ﴾ طهرتم من دنس المعاصى ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصى بعفوه لانه يطهره ﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴾ بالبعث والثواب ﴿ واورثنا الارض ﴾ يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه ﴿ نتبوأ من الجنة حيث نشاء ﴾ اى يتبوأ كل منا فى اى مقام اراده من جنته الواسعة مع ان فى الجنة مقامات معنوية لا تتمانع واردوها ﴿ فنعم اجر العاملين ﴾ الجنة ﴿ وترى الملائكة حافين ﴾ محدقين ﴿ من حول العرش ﴾ اى حوله ومن مزيدة اولا بتداء الحفوف

الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو * الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه ﴿ وقال لهم خزنتها سلام عليكم ﴾ أى أبشروا بالسلامة من كل الآفات ﴿ طبتم ﴾ قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احدهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴾ اى بالجنة ﴿ وأورثنا الارض ﴾ أى أرض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى ﴿ نتبوأ ﴾ أى ننزل ﴿ من الجنة ﴾ فى أى الجنة ﴿ حيث نشاء ﴾ فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل تبوأ أحدهم مكان غيره * قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل ﴿ فنعم أجر العاملين ﴾ أى ثواب المطيعين فى الدنيا الجنة فى العقبى ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ أى محدقين محيطين بحافته وجوانبه

(وقال لهم خزنتها) خزان الجنان على باب الجنان (سلام عليكم) يسلمون عليكم [illegible] وجوههم ويدل ظهرهم وصلحتم (فادخلوها) يعنى الجنة (خالدين) دائمين مقيمين فيها لا تموتون ولا تخرجون منها (وقالوا) بعد ذلك حين علموا كرامة الله (الحمد لله) المنة لله (الذى صدقنا وعده) أنجزنا وعده (وأورثنا الارض) أنزلنا أرض الجنة (نتبوأ) ننزل (من الجنة حيث نشاء) نشتهى (فنعم أجر العاملين) ثواب العاملين لله فى الدنيا (وترى الملائكة حافين) محدقين (من حول العرش

دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس لأن مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف اليه مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) المراد سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك (حتى اذا جاؤها) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على انه شئ لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤها (وفتحت أبوابها

قالوا بلى) قد أتونا بالرسالة (ولكن حقت) وجبت (كلمة العذاب على الكافرين) قبل ذلك (قيل) يقول لهم الزبانية (ادخلوا أبواب جهنم) (الجواب) خالدين فيها) دائمين فى النار (فبئس مثوى المتكبرين) منزل المتعظمين عن الايمان بالكتاب والرسول (وسيق الذين اتقوا) أطاعوا (ربهم الى الجنة زمرا) فوجا فوجا (حتى اذا جاؤها) الجنة (وفتحت ابوابها) وقد كانت مفتوحة قبل ذلك

وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب ﴿ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ﴿ قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ﴾ ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم ﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾ اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف سبق ذكره ولا ينافى اشعاره بان مثواهم فى النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة ﴾ اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين ﴿ زمرا ﴾ على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلو الطبقة ﴿ حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ﴾ حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح

قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب ﴾ أى وجبت ﴿ على الكافرين ﴾ وهى قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ قوله عز وجل ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ﴾ فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين أو المراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين ﴿ حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها ﴾ فان قلت قال فى أهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق قلت فيه وجوه أحدها انها زائدة الثانى انها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو فى الآية الاولى لبيان ان أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة فى ذلك ان أهل الجنة اذا جاؤها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك واهل النار اذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فاين جوابه قلت فيه وجوه أحدها انه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على انه بلغ فى الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثانى ان

وناقة الله (ووضع الكتاب) أى صحائف الاعمال ولكنها اكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وجىء بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما أجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة وقيل هم الابرار فى كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لايظلمون) ختم الآية بنفى الظلم كما افتتحها باثبات العدل (ووفيت كل نفس ماعملت) أى جزاءه (وهو اعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الآية تفسير قوله وهم لايظلمون أى ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لايزاد فى شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل (زمرا) حال أى أفواجا متفرقة بعضها فى أثر بعض (حتى اذا جاؤها فتحت) بالتخفيف فيهما كوفى (أبوابها) وهى سبعة (وقال لهم خزنتها) أى حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها (ألم يأتكم رسل منكم) من بنى آدم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى وقتكم هذا وهو وقت

الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافها الى نفسه ﴿ ووضع الكتاب ﴾ الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال فى ايدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف ﴿ وجىء بالنبيين والشهداء ﴾ الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون ﴿ وقضى بينهم ﴾ بين العباد ﴿ بالحق وهم لايظلمون ﴾ بنقص ثواب اوزيادة عقاب على ماجرى به الوعد ﴿ ووفيت كل نفس ماعملت ﴾ جزاءه ﴿ وهو اعلم بما يفعلون ﴾ فلا يفوته شىء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال ﴿ وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ﴾ افواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة والزمر وهى جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لاتخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة وهى جمع القليل ﴿ حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ﴾ ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء ﴿ وقال لهم خزنتها ﴾ تقريعا وتوبيخا ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ من جنسكم ﴿ يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾

فما يضارون فى نوره كما لايضارون فى الشمس فى اليوم الصحو وقيل بعدل ربها وأراد بالارض عرصات القيامة ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أى كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه أعمال جميع الخلق من المبدأ الى المنتهى ﴿ وجىء بالنبيين ﴾ يعنى ليكونوا شهداء على أممهم ﴿ والشهداء ﴾ قال ابن عباس يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعنى الحفظة ﴿ وقضى بينهم بالحق ﴾ أى بالعدل ﴿ وهم لايظلمون ﴾ أى لايزاد فى سيآتهم ولا ينقص من حسناتهم ﴿ ووفيت كل نفس ماعملت ﴾ أى ثواب ماعملت ﴿ وهو أعلم بما يفعلون ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لايحتاج الى كاتب ولا الى شاهد ✲ قوله تعالى ﴿ وسيق الذين كفروا الى جهنم ﴾ يعنى سوقا عنيفا ﴿ زمرا ﴾ أفواجا بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدتها زمرة ﴿ حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها ﴾ يعنى السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة ﴿ وقال لهم خزنتها ﴾ يعنى توبيخا وتقريعا ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ أى من أنفسكم ومن جنسكم ﴿ يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا

ويقال بعدل ربها (ووضع الكتاب) فى الايمان والشمائل وهو ديوان الحفظة (وجىء بالنبيين) الذين ليسوا بمرسلين (والشهداء) يعنى المرسلين ويقال وجىء بالنبيين والمرسلين والشهداء شهداء المرسلين على قومهم (وقضى بينهم) وبين النبيين (بالحق) بالعدل (وهم لا يظلمون) لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم (ووفيت) وفرت (كل نفس) برة أو فاجرة (ماعملت) من خير أو شر (وهو أعلم بما يفعلون) من الخير والشر (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) أمما الاول فالاول (حتى اذا جاؤها) يعنى النار (فتحت أبوابها) طرقها لهم ولم تكن قبل ذلك مفتوحة (وقال لهم خزنتها) يعنى الزبانية (ألم يأتكم) يامعشر الكفار (رسل منكم) آدميون مثلكم (يتلون) يقرؤن (عليكم آيات ربكم) بالامر والنهى (وينذرونكم) يخوفونكم (لقاء) عذاب (يومكم هذا

(ونفخ فى الصور فصعق) مات (من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) أى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم حملة العرش أو رضوان والحور العين ومالك والزبانية (ثم نفخ فيه أخرى) هى فى محل الرفع لان المعنى ونفخ فى الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان (فاذا هم قيام ينظرون) يقلبون أبصارهم

فى الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينتظرون أمر الله فيهم ودلت الآية على ان النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ فى الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة (وأشرقت الارض) أضاءت (بنور ربها) أى بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وقال الامام أبو منصور رحمه الله يجوز أن يخلق الله نورا فينور به أرض الموقف واضافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله

﴿ ونفخ فى الصور ﴾ يعنى المرة الاولى ﴿ فصعق من فى السموات ومن فى الارض ﴾ خروا ميتا او مغشيا عليهم ﴿ الا من شاء الله ﴾ قيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ﴿ ثم نفخ فيه اخرى ﴾ نفخة اخرى وهى تدل على ان المراد بالاولى ونفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرح به فى مواضع واخرى يحتمل الرفع والنصب ﴿ فاذا هم قيام ﴾ قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ﴿ ينظرون ﴾ وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم فى الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم ﴿ واشرقت الارض بنور ربها ﴾ بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفى الحديث

أصابعه أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شئ منه حتى انى أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخارى ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض قال أبو سليمان الخطابى ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هى صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهى الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه ❊ قوله عز وجل ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض ﴾ أى ماتوا من الفزع وهى النفخة الاولى ﴿ الا من شاء الله ﴾ تقدم فى سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعنى الله وحده ﴿ ثم نفخ فيه ﴾ أى فى الصور ﴿ أخرى ﴾ مرة أخرى وهى النفخة الثانية ﴿ فاذا هم قيام ﴾ أى من قبورهم ﴿ ينظرون ﴾ أى ينتظرون أمر الله فيهم (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ❊ قوله تعالى ﴿ وأشرقت الارض بنور ربها ﴾ وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه

به من الاوثان (ونفخ فى الصور) وهى نفخة الموت (فصعق) فمات (من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) من فى الجنة والنار ويقال جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فانهم لا يموتون فى النفخة الاولى ولكن يموتون بعد ذلك (ثم نفخ فيه أخرى) وهى نفخة البعث وبينهما أربعون سنة تمطر السماء كنطف الرجال (فاذا هم قيام) من القبور (ينظرون) ما يقال لهم (وأشرقت الارض) اضاءت الارض (بنور ربها) بضوء نور ربها

جعلك سيد ولد آدم (وماقدروا الله حق قدره) وماعظموه حق عظمته اذدعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذاعرفه الانسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وماقدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لاغير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز والمراد بالارض الارضون السبع شهد لذلك قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تفخيم فهو مقتض للمبالغة والارض مبتدأ وقبضته خبر وجميعا منصوب على الحال أى والارض اذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض بالكف ويقال اعطنى قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن لايبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضهن قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان أى لاتفى الا باكلة فذة من أكلاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطى الذى هو ضد النشر كما قال يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وعادة طاوى السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء

﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ ماقدروا عظمته فى انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لايليق به وقرئ بالتشديد ﴿ والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ﴾ تنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر اوبتقدير ذات قبضة وقرئ قبضته بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع اوجميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة فى حكمها ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم اوما يضاف اليه من الشركاء

﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ أى ماعظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ﴿ ثم أخبر عن عظمته فقال ﴿ والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (ق) عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على أصبع والارض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والانهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وماقدروا الله حق قدره وفى رواية والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وماقدروا الله حق قدره الآية (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض

والكتاب والاسلام (وماقدروا الله حق قدره) ماعظموا الله حق عظمته حين قالوا يد الله مغلولة وحين قالوا ان الله فقير محتاج يطلب منا القرض وهذه مقالة مالك بن الصيف اليهودى خذله الله (والارض جميعا قبضته) فى قبضته (يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه) بقدرته يوم القيمة وكلتا يدى الله يمين (سبحانه) نزه نفسه عن مقالة اليهود (وتعالى) تبرأ وارتفع (عما يشركون)

الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأمروني أعبد) تأمروني مكي تأمرونني على الاصل شمي تأمروني مدني والنصب أفغير الله بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان (أيها الجاهلون) بتوحيده (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) الذي عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) وانما قال لئن أشركت على التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه أوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مساد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان رسله لا يشركون لان الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها وقيل لئن طالعت غيري في السر ليحبطن (وما) بيني وبينك من السر (بل الله فاعبد) رد لما امروه به من عبادة آلهتهم كانه قيل لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (وكن من الشاكرين) على ما انعم به عليك من ان

وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ أي أفغير الله أعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمروني أعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تأمرونني ان أعبد فحذف ان ورفع أعبد كقوله احضر الوغى ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ﴿ ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك ﴾ أي من الرسل ﴿ لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ كلام على سبيل الفرض والمراد تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب ﴿ بل الله فاعبد ﴾ رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص

﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه فوصفهم بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ﴿ ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ أي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره ﴿ ولتكونن من الخاسرين ﴾ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ أي لانعامه عليك ﴿ قوله تعالى

المغبونين قوله (قل) يا محمد لاهل مكة حين دعوه ان يرجع الى دين آبائه (أفغير) دين (الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) الكافرون (ولقد أوحي اليك) في القرآن (والى الذين من قبلك) من الرسل (لئن أشركت ليحبطن عملك) في الشرك (ولتكونن من الخاسرين) من المغبونين بالعقوبة (بل الله فاعبد) وحد (وكن من الشاكرين) بما أنعم الله عليك من النبوة

لا يمسهم السوء) النار (ولا هم يحزنون) كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم أى لا يمس أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزى أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى منجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للا يمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف ومحله النصب على الحال على الثانى بمفازاتهم كوفى غير حفص (الله خالق كل شئ) رد على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شئ وكيل) حافظ (له مقاليد السموات والارض) أى هو مالك أمرهما وحافظهما وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان يملك مقاليد الملك وهى المفاتيح واحدها اقليد وقيل لا واحد لها من لفظها أو الكلمة أصلها فارسية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) هو متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق كل شئ (قا و خا ٤٢ مس) فهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شئ من أعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها أو بما يليه على ان كل شئ فى السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون

مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها بأهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاقها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجى او لقوله ﴿ لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾ وهو حال او استئناف لبيان المفازة ﴿ الله خالق كل شئ ﴾ من خير وشر وايمان وكفر ﴿ وهو على كل شئ وكيل ﴾ يتولى التصرف فيه ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضى الله عنه انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه ﴿ والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون ﴾ متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة فى فلاح المؤمنين فضل الله وفى هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده

﴿ لا يمسهم السوء ﴾ أى لا يصيبهم المكروه ﴿ ولا هم يحزنون الله خالق كل شئ ﴾ أى مما هو كائن أو يكون فى الدنيا والآخرة ﴿ وهو على كل شئ وكيل ﴾ أى ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ أى مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسى معرب قال الراجز

لم يؤذها الديك بصوت تغريد • ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى ان الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ أى جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ * قوله عز وجل

(لا يمسهم السوء) لا يصيبهم الشدة والعذاب (ولا هم يحزنون) اذا حزن غيرهم (الله خالق كل شئ) بائن منه (وهو على كل شئ وكيل) على قوت كل شئ كفيل ويقال على كل شئ من أعمالهم شهيد وكيل (له مقاليد السموات والارض) خزائن السموات المطر والارض النبات (والذين كفروا بآيات الله) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اولئك هم الخاسرون) فى الآخرة

المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا الاتباعهم لو هدانا الله لهدينا كم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعونا كم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل ان عندالله لطفا من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعدما مكن من تحصيله لذلك (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى رد من الله عليه فانه يقول بلى قد جاءتك آياتى وبينت لك الهداية من الغواية وسبل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما امرت به فانما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى جواب لنفى تقديرى لان المعنى لو أن الله هدانى ما هديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لابد من حكاية اقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله) وصفوه بما لايجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه ونفى الصفات عنه (وجوههم) مبتدأ (مسودة) خبر والجملة فى محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب فمفعول ثان (أليس فى جهنم مثوى) منزل (للمتكبرين) هو اشارة الى قوله واستكبرت (وينجى الله) وينجى روح (الذين اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لايمسهم)

﴿ اوتقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين ﴾ فى العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لاتخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لاطائل تحته ﴿ بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هدانى من معنى النفى وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لايمنع تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد ولا مافيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس ﴿ ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله ﴾ بان وصفوه بما لايجوز كاتخاذ الولد ﴿ وجوههم مسودة ﴾ بما ينالهم من الشدة اوماتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو ﴿ أليس فى جهنم مثوى ﴾ مقام ﴿ للمتكبرين ﴾ عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك ﴿ وينجى الله الذين اتقوا ﴾ وقرئ وينجى ﴿ بمفازتهم ﴾ بفلاحهم

﴿ أو تقول حين ترى العذاب ﴾ أى عيانا ﴿ لو أن لى كرة ﴾ أى رجعة الى الدنيا ﴿ فاكون من المحسنين ﴾ أى الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بان الاعذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى ﴿ بلى قد جاءتك آياتى ﴾ يعنى القرآن ﴿ فكذبت بها ﴾ أى قلت ليست من الله ﴿ واستكبرت ﴾ أى تكبرت عن الايمان بها ﴿ وكنت من الكافرين ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله ﴾ أى زعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل ﴿ وجوههم مسودة ﴾ قيل هو سواد مخالف لسائر انواع السواد ﴿ أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ أى عن الايمان * قوله تعالى ﴿ وينجى الله الذين اتقوا ﴾ أى الشرك ﴿ بمفازتهم ﴾ أى الطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم أى ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار

(أو تقول) ولكى لاتقول (حين ترى العذاب لو أن لى كرة) رجعة الى دار الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين فيقول الله لهم (بلى قد جاءتك آياتى) كتابى ورسولى (فكذبت بها) بالكتاب والرسول (واستكبرت) عن الايمان (وكنت من الكافرين) مع الكافرين على دينهم (ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله) فى عزير وعيسى والملائكة حين قالوا الملائكة بنات الله وعزير وعيسى ولد الله (وجوههم مسودة) وأعينهم مزرقة (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) منزل للكافرين (وينجى الله الذين اتقوا) آمنوا وأطاعوا ربهم (بمفازتهم) بايمانهم واحسانهم

(من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيأ لفرط غفلتكم (أن تقول) لئلا تقول (نفس) انما نكرت لان المراد بها بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما باللجاج فى الكفر شديداً أو بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير (ياحسرتا) الالف بدل من ياء المتكلم وقرئ ياحسرتى على الاصل ويا حسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه (على ما فرطت) قصرت وما مصدرية مثلها فى بما رحبت (فى جنب الله) أمر الله أو فى طاعة الله أو فى ذاته وفى حرف عبد الله فى ذكر الله والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفى ان يصلى الرجل لمكان الرجل أى لاجله وقال الزجاج معناه فرط فى طريق الله وهو توحيده والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى (أو تقول لو أن الله هدانى) أى أعطانى الهداية (لكنت من المتقين) من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من

ماهو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة ﴿من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون﴾ بمجيئه فتتداركون ﴿ان تقول نفس﴾ كراهة ان تقول وتنكير نفس للتقليل لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه • اتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

﴿ياحسرتا﴾ وقرئ بالياء على الاصل ﴿على ما فرطت﴾ قصرت ﴿فى جنب الله﴾ فى جانبه اى فى حقه وهو طاعته قال سابق البربرى

اما تتقين الله فى جنب وامق • له كبد حرى عليك تقطع

وهو كناية فيها مبالغة كقوله

ان السماحة والمروءة والندى • فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وقيل فى ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله ﴿وان كنت لمن الساخرين﴾ المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وانا ساخر ﴿أو تقول لو ان الله هدانى﴾ بالارشاد الى الحق ﴿لكنت من المتقين﴾ الشرك والمعاصى

ليجتنب، وذكر الادون لئلا يرغب فيه وذكر الحسن لتؤثره وتأخذه وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ يعنى غافلين عنه ﴿أن تقول نفس﴾ أى لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا ان تقول وقيل خوف أن تصيروا الى حال ان تقول نفس ﴿ياحسرتا﴾ أى يا ندمى ويا حزنى والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات ﴿على ما فرطت فى جنب الله﴾ أى على ما قصرت فى طاعة الله وقيل فى أمر الله وقيل فى حق الله وقيل على ما ضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ما قصرت فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله تعالى ﴿وان كنت لمن الساخرين﴾ أى المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها ﴿أو تقول لو أن الله هدانى﴾ أى أرشدنى الى دينه وطاعته ﴿لكنت من المتقين﴾ أى الشرك

يعنى القرآن أحلوا حلاله وحرموا حرامه واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة) فجأة (وأنتم لا تشعرون) لا تعلمون نزوله (أن تقول نفس) لكى لا تقول نفس (ياحسرتا) يا ندامتا (على ما فرطت فى جنب الله) تركت من طاعة الله (وان كنت لمن الساخرين) وقد كنت من المستهزئين بالكتاب والرسول (أو تقول) ولكى لا تقول (لو أن الله هدانى) بين لى الايمان (لكنت من المتقين) من الموحدين

﴿وأنيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب ﴿واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم﴾ القرآن او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله

فأتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها ناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله الى هذه ان تقربي والى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض الذي أراد فقبضته ملائكة الرحمة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل أسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا أنا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر على ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله تعالى الارض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يارب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني اسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال له خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر لك الله أو قال لا يدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال أبو هريرة تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذي قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملأها * قوله عز وجل ﴿ وأنيبوا الى ربكم ﴾ أي ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة ﴿ وأسلموا له ﴾ أي أخلصوا له التوحيد ﴿ من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ أي لا تمنعون منه ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ﴾ يعني القرآن لانه كله حسن ومعنى الآية على ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه أنزل في القرآن ذكر القبيح

(وأنيبوا الى ربكم) وتوبوا اليه (واسلموا له) وأخلصوا له العمل (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله

(وأنيبوا الى ربكم) أقبلوا الى ربكم بالتوبة من الكفر (وأسلموا له) آمنوا بالله وأطيعوا الله (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) لا تمنعون من عذاب الله نزلت هذه الآية في الوحشي وأصحابه ثم قال (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم)

(ليجتنب)

﴿ان الله يغفر الذنوب جميعا﴾ عفوا ولو بعد تعذيب وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله ﴿انه هو الغفور الرحيم﴾ على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وماروى انه عليه الصلاة والسلام قال ما احب ان يكون لى الدنيا ومافيها بها فقال رجل يارسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن اشرك ثلاث مرات وماروى ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل فى عياش والوليد بن الوليد فى جماعة فتنوا فافتتنوا اوفى الوحشى لا ينفى عمومها وكذا قوله

والامن من مكر الله من الكبائر ﴿ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم﴾ فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها يكون اغراء بالمعاصى واطلاقا فى الاقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منها التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصى انه لا خلاص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا أحد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا أى اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول الى مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وعفا عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب مطلوب فلعل الله تعالى يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله اعلم

﴿ فصل فى ذكر أحاديث تتعلق بالآية ﴾

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على رأسه فقال لم تقنط الناس ثم قرأ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ✽ عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل هل له توبة فاتى راهبا فسأله فقال هل لى من توبة قال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فضرب صدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله تعالى الى هذه ان تقربى وأوحى الله الى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجد أقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ البخارى ولمسلم قال فدل على راهب

(ان الله يغفر الذنوب جميعا) بالعفو عنها الا الشرك وفى قراءة النبى عليه السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظير نفى المبالات ونفى الخوف فى قوله ولا يخاف عقباها قيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية (انه هو الغفور) بستر عظائم الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع الكروب

(ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور) لمن تاب من الكفر وآمن بالله (الرحيم) لمن مات على التوبة

كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم ﴿ وماهم بمعجزين ﴾ فائتين ﴿ أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ بان الحوادث كلها من الله بوسط او بغيره ﴿ قل ياعبادى الذى اسرفوا على انفسهم ﴾ افرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ماهو عرف القرآن ﴿ لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ لاتيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا

وماهم بمعجزين ﴾ أى بفائتين لان مرجعهم الى الله تعالى ﴿ أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ﴾ أى يوسع الرزق لمن يشاء ﴿ ويقدر ﴾ أى يقتر ويفيض على من يشاء ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ أى يصدقون ✲ قوله تعالى ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب نزول هذه الآية ان ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا وانتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد ان الذى تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لايدعون مع الله الها آخر الى قوله فاؤلئك يبدل الله سيآتهم حسنات قال يبدل شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائى وعن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشى يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعونى الى دينك وأنت تزعم ان من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فنزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لاأقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشى أرانى بعد فى شبهة فلا أدرى أيغفر لى أم لا فانزل الله تعالى قل ياعبادى الذى أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله فقال وحشى نعم هذا فجاء فاسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهم قال نزلت هذه الآيات فى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لايقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فانزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيده ثم بعث بها الى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد والى أولئك النفر فاسلموا جميعا وهاجروا ✲ وعن ابن عمر أيضا قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولاتبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ماهذا الذى يبطل أعمالنا فقال الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيأ منها قلنا هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول فى ذلك وكنا اذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيأ من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيأ رجوناله ٭ وقوله اسرفوا على أنفسهم أى تجاوزوا الحد فى كل فعل مذموم وقيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لاتقنطوا من رحمة الله أى لاتيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله

سيصيبهم مثل ما اصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وماهم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بانه لاقابض ولا باسط الا الله عز وجل (قل ياعبادى الذين) وبسكون الياء بصرى وحمزة وعلى (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلو فيها (لاتقنطوا) لاتيأسوا وبكسر النون على وبصرى (من رحمة الله

ما أصاب الذين من قبلهم (وماهم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله (أولم يعلموا) كفار مكة (ان الله يبسط الرزق لمن يشاء) يوسع المال على من يشاء وهو مكر منه (ويقدر) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (ان فى ذلك) فى البسط والتقتير (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يؤمنون) بمحمد عليه السلام والقرآن (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) بالكفر والشرك والزنا والقتل (لاتقنطوا من رحمة الله) لاتيأسوا من مغفرة الله

ضل واستحقاق أوعلى علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى وانما ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة مناشيأ من النعمة وقسما منها وقيل ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها أى ان الذى أوتيته على علم (بل هى فتنة) انكار له كأنه قال ماخولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لاجله وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها فتنة والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة واذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بين بينه قلت ما فى الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بامر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله فى الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يارب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة ﴿ ٣٢٣ ﴾ الا أنت وقوله { سورة الزمر } وان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل عاما أو اياهم خاصة ان عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين حكم عليهم بسوء العذاب وأما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هى الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة انك تقول زيد يؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجئ بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان فى جعله سببا فى الالتجاء (قد قالها) هذه المقالة وهى قوله انما أوتيته على علم (الذين من قبلهم) أى قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون فى الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها (فاصابهم سيآت ما كسبوا) أى جزاء سيآت كسبهم أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء) أى من مشركى قومك (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أى

ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها ﴿ بل هى فتنة ﴾ امتحان له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر اولفظ النعمة وقرئ بالتذكير ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ الهاء لقوله انما أوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضى به قومه ﴿ فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ من متاع الدنيا ﴿ فاصابهم سيآت ما كسبوا ﴾ جزاء سيآت اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه فى مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك ﴿ والذين ظلموا ﴾ بالعتو ﴿ من هؤلاء ﴾ المشركين ومن للبيان والتبعيض ﴿ سيصيبهم سيآت ما كسبوا ﴾

﴿ بل هى فتنة ﴾ يعنى تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ يعنى انها استدراج من الله تعالى ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ يعنى قارون فانه قال انما أوتيته على علم عندى ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ أى فما أغنى الكفر من العذاب شيأ ﴿ فاصابهم سيآت ما كسبوا ﴾ أى جزاؤها وهو العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال تعالى ﴿ والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا

(بل هى فتنة) بلية ومكر منا لهم (ولكن أكثرهم) كلهم (لا يعلمون) ذلك (قد قالها) يعنى هذه المقالة (الذين من قبلهم) من قبل قومك يا محمد مثل قارون وغيره (فما أغنى عنهم) ما نفع لهم من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون ويعبدون من دون الله ولا ما كانوا يجمعون من المال (فاصابهم سيآت ما كسبوا) عذاب ما قالوا وعملوا وجمعوا فى الدنيا من المال (والذين ظلموا) أشركوا (من هؤلاء) من كفار مكة (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أى عقوبات ما عملوا مثل

من الهدى والصلاة وقيل هذه محاكمة من النبى للمشركين الى الله وعن ابن المسيب لاأعرف آية قرئت فدعى عندها الأجيد سواهـا ومن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلم فزاد ان قال آه أو فعلوا وقرأ هـذه الآية وروى انه قال على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه (ولو أن للذين ظلموا مافى الارض جميعا ومثله معه) الهاء تعود الى ما (لافتدوا به من سوء العذاب) شدته (يوم القيمة وبدا لهم من الله مالم يكونوا

يحتسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه مالم يكن قط فى حسبانهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيآت وعن سفيان الثورى انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال له أخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا أخشى أن يبدو لى من الله مالم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى سيآت أعمالهم التى كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه) أى أعطيناه تفضلا يقال خولنى اذا أعطاك على غير جزاء (نعمة منا) ولا تقف عليه لان جواب اذا (قال انما أوتيته على علم) منى أنى سأعطاه لما فى من

﴿ ولو ان للذين ظلموا مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة ﴾ وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص ﴿ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم فى الوعد ﴿ وبدا لهم سيآت ما كسبوا ﴾ سيآت اعمالهم او كسبهم حين يعرض صحائفهم ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ واحاط بهم جزاؤه ﴿ فاذا مس الانسان ضر دعانا ﴾ اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم فى التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ﴿ ثم اذا خولناه نعمة منا ﴾ اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به ﴿ قال انما اوتيته على علم ﴾ اى على علم منى بوجوه كسبه او بانى سأعطاه لما لى من استحقاقه او من الله تعالى بى واستحقاقى والهاء لما

رضى الله تعالى عنها بأى شئ كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم * قوله عز وجل ﴿ ولو ان للذين ظلموا مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ أى ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا أنه نازل بهم فى الآخرة وقيل ظنوا ان لهم حسنات فبدت لهم سيآت والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله مالم يحتسبوا وروى أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له فى ذلك فقال أخشى أن يبدو لى مالم أكن أحتسب ﴿ وبدا لهم سيآت ما كسبوا ﴾ أى مساوى أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى ﴿ وحاق ﴾ أى نزل ﴿ بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر ﴾ أى شدة ﴿ دعانا ثم اذا خولناه ﴾ أى أعطيناه ﴿ نعمة منا قال انما أوتيته على علم ﴾ أى من الله تعالى علم انى له أهل وقيل على خير علمه الله عندى

(ولو أن للذين ظلموا) أشركوا (مافى الارض جميعا ومثله معه) ضعفه معه (لافتدوا به) لفادوا به أنفسهم (من سوء (بل) العذاب) من شدة العذاب (يوم القيمة وبدا لهم) ظهر لهم (من الله) من عذاب الله (مالم يكونوا يحتسبون) يظنون (وبدا لهم) ظهر لهم (سيآت ما كسبوا) أقبح أعمالهم (وحاق بهم) نزل بهم عذاب (ما كانوا به يستهزؤن) يهزؤن بالانبياء والكتب وبقى عذاب ما كانوا يستهزؤن به (فاذا مس) أصاب (الانسان) الكافر (ضر) شدة (دعانا) لكشف شدة (ثم اذا خولناه) بدلناه (نعمة منا قال انما أوتيته) أعطيت هذا المال الذى أعطيت (على علم) صلاح وخير علمه الله منى

ـه ولاعقل لهم (قل لله الشفاعة جيعا) أى هو مالكها فلايستطيع أحد شفاعة الاباذنه وانتصب جيعا على الحال (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله لله الشفاعة جيعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (ثم اليه ترجعون) متصل بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلايكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة (واذا ذكر الله وحده) مدار المعنى على قوله وحده أى اذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم (اشمأزت) أى نفرت وانقبضت (قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) يعنى آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر (اذاهم يستبشرون) لافتتانهم بها واذا قيل لا اله الا الله وحده لاشريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية فى بابه فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه والعامل فى اذا ذكر هو العامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض) أى يافاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء (عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (أنت تحكم) تقضى (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)

تشاهدونهم جمادات لاتقدر ولا تعلم ﴿ قل لله الشفاعة جيعا ﴾ رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هى تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لايستطيع احد شفاعة الاباذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم فى امره دون اذنه ورضاه ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ يوم القيامة فيكون الملك له ايضا حينئذ ﴿ واذا ذكر الله وحده ﴾ دون آلهتهم ﴿ اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ﴾ انقبضت ونفرت ﴿ واذا ذكر الذين من دونه ﴾ يعنى الاوثان ﴿ اذاهم يستبشرون ﴾ لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله وقد بالغ فى الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل فى اذا المفاجأة ﴿ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ﴾ التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت فى امرهم وعجزت فى عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها ﴿ انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ فانت وحدك تقدر ان تحكم بينى وبينهم

انكم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة ﴿ قل لله الشفاعة جيعا ﴾ أى لايشفع أحد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لانه هو الشفيع فى الحقيقة وهو يأذن فى الشفاعة لمن يشاء من عباده ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ أى لاملك لاحد فيهما سواه ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ أى فى الآخرة * قوله تعالى ﴿ واذا ذكر الله وحده اشمأزت ﴾ أى نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت ﴿ قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ﴾ قيل اذا اشمأز القلب من عظيم غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة ﴿ واذا ذكر الذين من دونه ﴾ يعنى الاصنام ﴿ اذاهم يستبشرون ﴾ أى يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل * قوله عز وجل ﴿ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ﴾ وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ أى من أمر الدين (م) عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال سألت عائشة

يشفعون (قل لله الشفاعة جيعا) (قا و خا ٤١ مس) بيد الله الشفاعة جيعا فى الآخرة (له ملك) خزائن (السموات) المطر (والارض) النبات (ثم اليه ترجعون) فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم (واذا ذكر الله وحده) اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله (اشمأزت) نفرت (قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (واذا ذكر الذين من دونه) من دون الله اللات والعزى ومناة (اذاهم يستبشرون) بذكر آلهتهم (قل اللهم) قل يا الله أمنا أى اقصد بنا الى الخير (فاطر السموات والارض) ياخالق السموات والارض (عالم الغيب) ياعالم الغيب ماغاب عن العباد (والشهادة) ماعلمه العباد (أنت تحكم بين عبادك) تقضى بين عبادك يوم القيامة (فيما كانوا فيه) فى الدين (يختلفون) يخالفون

النفس والنائم يتنفس ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهي التي تفارق عند الموت والاخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه اذا نام وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن علي رضي الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة وعنه ما رأت نفس النائم في السماء فهي الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الارسال فيلقنها الشيطان فهي كاذبة وعن سعيد بن جبير ان أرواح الاحياء وأرواح الاموات تلتقى في المنام فيتعارف منها ما شاء الله ان يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجسادها الى انقضاء مدة حياتها وروى أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم في السماء فمن كان منهم طاهرا أذن له في السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه (ان في ذلك) ان في توفى الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل (لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه (شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد الا باذنه (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيأ

المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت وتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ﴿ ان في ذلك ﴾ من التوفى والامساك والارسال ﴿ لآيات ﴾ على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لاتفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفى آجالها ﴿ أم اتخذوا ﴾ بل اتخذ قريش ﴿ من دون الله شفعاء ﴾ تشفع لهم عند الله ﴿ قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون ﴾ أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما

على بن أبي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان أرواح الاحياء والاموات تلتقى في المنام فتتعارف ما شاء الله تعالى فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله تعالى أرواح الاموات عنده وأرسل أرواح الاحياء الى أجسادها الى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لايدرى ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان أمسكت نفسى فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين • فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا • قلت المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله تعالى ولملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينتزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ﴿ ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ أى في البعث وذلك أن توفى نفس النائم وارسالها بعد التوفى دليل على البعث وقيل ان في ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم نغلط في امساك ما نمسك من الارواح وارسال ما نرسل منها • قوله تعالى ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء ﴾ يعنى الاصنام ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أولو كانوا ﴾ يعنى الآلهة ﴿ لا يملكون شيأ ﴾ أى من الشفاعة ﴿ ولا يعقلون ﴾ أى

عند الله (ان في ذلك) في امساكه وارساله (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يتفكرون) ... (أم اتخذوا) بل عبدوا (من دون الله) كفار مكة (شفعاء) آلهة لكي يشفعوا لهم (قل) لهم يا محمد (أولو كانوا لا يملكون شيأ) يقول هم لا يقدرون على شئ من الشفاعة (ولا يعقلون) الشفاعة فكيف

لاترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لانه اذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبه من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ويخزيه صفة لعذاب كمقيم أى عذاب مخزله وهو يوم بدر [illegible] وهو عذاب النار مكانكم أبوبكر وحماد (انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم [illegible] ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية (بالحق فمن اهتدى فلنفسه) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن اختار الضلالة فقد ضرها ﴿ ٣١٩ ﴾ (وما أنت عليهم بوكيل) [illegible] سورة الزمر [illegible] بحفيظ ثم أخبر بانه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس [illegible] وتوفيها [illegible] [illegible] (والتى لم تمت فى منامها) ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين تنام [illegible] باليقظة [illegible] [illegible] فهو كان الموت كذلك [illegible] والذى يتوفى [illegible] (فيمسك الانفس التى قضى) [illegible] حمزة وعلى (عليها الموت) الحقيقى [illegible] لا يردها فى وقتها [illegible] (ويرسل الاخرى) [illegible] (الى أجل مسمى) [illegible] وقيل يتوفى الانفس أى يستوفيها ويقبضها وهى الانفس التى تكون معها الحياة والحركة

ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها وهى انفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى المنام هى نفس التمييز [illegible] التى تزول معها

توعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ فان خزى اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ دائم وهو عذاب النار ﴿انا انزلنا عليك الكتاب للناس﴾ لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم ومعادهم ﴿بالحق﴾ متلبسا به ﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾ اذ نفع به نفسه ﴿ومن ضل فانما يضل عليها﴾ فان وباله لا يتخطاها ﴿وما انت عليهم بوكيل﴾ وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها﴾ اى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت ظاهرا لا باطنا وهو فى النوم ﴿فيمسك التى قضى عليها الموت﴾ ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ﴿ويرسل الاخرى﴾ اى النائمة الى بدنها عند اليقظة ﴿الى اجل مسمى﴾ هو الوقت

﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ أى أنا أو أنتم ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ أى دائم وهو تهديد وتخويف ﴿انا أنزلنا عليك الكتاب﴾ يعنى القرآن ﴿للناس بالحق﴾ أى ليهتدى به كافة الخلق ﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾ أى ترجع ثمرة هدايته اليه ﴿ومن ضل فانما يضل عليها﴾ أى يرجع وبال ضلالته عليه ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أى بموكل بهم [illegible] تؤخذ بهم قيل هذا منسوخ بآية القتال ﴿قوله تعالى﴾ ﴿الله يتوفى الانفس﴾ أى الارواح ﴿حين موتها﴾ أى فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجلها وهو موت الاجساد ﴿والتى لم تمت فى منامها﴾ والنفس التى يتوفاها عند النوم وهى التى يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هى التى تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هى التى يكون بها التمييز وهى التى تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها النفس ﴿فيمسك التى قضى عليها الموت﴾ أى فلا يردها الى جسدها ﴿ويرسل الاخرى﴾ أى يرد النفس التى لم يقض عليها الموت الى جسدها ﴿الى أجل مسمى﴾ أى الى أن يأتى وقت موتها وقيل ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال

(فسوف) وهذا وعيد لهم من الله (تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يهلكه يهلك (ويحل عليه) [illegible] (عذاب مقيم) دائم (انا أنزلنا عليك الكتاب) جبريل بالقرآن (للناس بالحق) لتبين الحق والباطل [illegible] [illegible] (فلنفسه) الثواب (ومن ضل) كفر بالقرآن (فانما يضل عليها) [illegible] [illegible] كفيل تؤخذ بهم (الله يتوفى الانفس) [illegible] [illegible] التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى) التى لم تمت فى منامها (الى أجل مسمى) الى وقت

بدعهم من أعداء [illegible] وعد [illegible] القريش ووعد المؤمنين [illegible] بنصرهم عليهم ثم [illegible] مع عبادهم [illegible] خلق السموات [illegible] ليقولن [illegible] يعبدون [illegible] أفرأيتم [illegible] هل هن [illegible] كاشفات [illegible] رحمته [illegible] أو أرادني برحمة) كنعمة [illegible] (هل هن ممسكات رحمته) كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين [illegible] بصري وفرض المسئلة في نفسه دونهم لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فإن أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر أو برحمة هل يقدرون على [illegible] (قل حسبي الله) في [illegible] معرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) [illegible] أن الذي [illegible] [illegible] (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم [illegible] وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة اسم للمكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما استعير هنا وحيث للزمان وهما للمكان (إني عامل) أي على مكانتي وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والإيذان بأن حالته تزداد كل يوم قوة لأن الله تعالى ناصره ومعينه

(فسوف)

يتقربوا [illegible] ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره﴾ [illegible] الخالق للعالم هو الله أن آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني بضر هل يكشفنه ﴿أو أرادني برحمة﴾ بنفع ﴿هل هن ممسكات رحمته﴾ فيمسكنها [illegible] كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته [illegible] في إصابة الخير ودفع الضر [illegible] بهذا التقرير أنه [illegible] خير وشر روي أن النبي عليه الصلاة والسلام سألهم [illegible] كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الأنوثة تنبيها على [illegible] ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ لعلمهم بأن الكل منه تعالى ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ على حالكم [illegible] استعير لحال كما استعير هنا وحيث من المكان [illegible] ﴿إني عامل﴾ أي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والإشعار بأن حاله لا تقف [illegible] يزداد [illegible] قوة ونصرة [illegible]

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ يعني أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق لأن فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فإن من تأمل عجائب السموات والأرض وما فيهما من أنواع الموجودات علم بذلك [illegible] أنها من إبداع قادر حكيم ثم أمر الله تعالى أن يحتج عليهم بأن ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير أو دفع ضر وهو قوله تعالى ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام ﴿إن أرادني الله بضر﴾ أي بشدة وبلاء ﴿هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة﴾ أي بنعمة وخير وبركة ﴿هل هن ممسكات رحمته﴾ فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿قل حسبي الله﴾ أي هو ثقتي وعليه اعتمادي ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ أي عليه يثق الواثقون ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي اجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم وهو من تهديد وتقريع ﴿إني عامل﴾ أي فيما أمرت به من إقامة الدين

(ولئن سألتهم) يعني كفار مكة (من خلق السموات والأرض ليقولن) كفار مكة (الله) خلقهما (قل) لهم يا محمد (أفرأيتم ما تدعون) تعبدون (من دون الله) اللات والعزى ومناة (إن أرادني الله بضر) بشدة وبلاء (هل هن) اللات والعزى ومناة (كاشفات ضره) قادرات بدفع شدته عني (أو أرادني برحمة) بعافية (هل هن) اللات والعزى ومناة (ممسكات) مانعات (رحمته) عني حتى تأمروني بعبادتها (قل) يا محمد (حسبي الله) ثقتي بالله (عليه يتوكل المتوكلون) يعني به يثق الواثقون ويقال على الله [illegible] (قل) يا قوم اعملوا على مكانتكم) على دينكم وفي منازلكم بهلاكي (إني عامل) بهلاككم

صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وروى ان الذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه فى العربية ان يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعى اضمار الذى وذا غير جائز أو اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم باحسن

عنه وذلك يقتضى اضمار الذى وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل اوصار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول ﴿ لهم ما يشاؤن عند ربهم ﴾ فى الجنة ﴿ ذلك جزاء المحسنين ﴾ على احسانهم ﴿ ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ﴾ خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج اعدلا بنى مروان وقرئ اسواء جمع سوء ﴿ ويجزيهم اجرهم ﴾ ويعطيهم ثوابهم ﴿ باحسن الذى كانوا يعملون ﴾ فيعدلهم محاسن اعمالهم باحسنها فى زيادة الاجر وعظمه افرط اخلاصهم فيها ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى عباده وفسر بالانبياء ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ يعنى قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا بعيبك اياها وقيل انه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا رضى الله عنه ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه عليه الصلاة والسلام لانه الآمر له بما خوف عليه ﴿ ومن يضلل الله ﴾ حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر ﴿ فما له من هاد ﴾ يهديه الى الرشاد ﴿ ومن يهدى الله فما له من مضل ﴾ اذ لا راد لفعله كما قال ﴿ أليس الله بعزيز ﴾ غالب منيع ﴿ ذى انتقام ﴾

الذين اتقوا الشرك ﴿ لهم ما يشاؤن عند ربهم ﴾ أى من الجزاء والكرامة ﴿ ذلك جزاء المحسنين ﴾ أى فى أقوالهم وأفعالهم ﴿ ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ﴾ أى يستره عليهم بالمغفرة ﴿ ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون ﴾ أى يجزيهم بمحاسن أفعالهم ولا يجزيهم بمساويها ﴿ قوله عز وجل ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ وذلك انهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ﴾ أى منيع فى ملكه ﴿ ذى انتقام ﴾ أى منتقم من أعدائه

الذى كانوا يعملون) اضافة أسوأ وأحسن من اضافة الشئ الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج أعدل بنى مروان (أليس الله بكاف) أدخلت همزة الانكار على كلمة النفى فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريره (عبده) أى محمدا صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلى أى الانبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين (ويخوفونك بالذين من دونه) أى بالاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك مضرتها لعيبك اياها (ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهدى الله فما له من مضل أليس الله بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام)

والشرك والفواحش (لهم ما يشاؤن) ما يشتهون (عند ربهم فى [illegible]) (ذلك) الكرامة

(جزاء المحسنين) الموحدين (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أقبح أعمالهم (ويجزيهم أجرهم) ثوابهم (بأحسن الذى كانوا يعملون) باحسانهم (أليس الله بكاف عبده) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ويقال خالد بن الوليد مما يريدون به (ويخوفونك) يا محمد (بالذين من دونه) من دون الله يعنى اللات والعزى ومناة يقولون لك لا تشتمها ولا تعبها فتخبلك (ومن يضلل الله) عن دينه (فما له من هاد) مرشد الى دينه وهو أبو جهل وأصحابه (ومن يهدى الله) لدينه (فما له من مضل) مغو وهو أبو بكر وأصحابه ويقال هو أبو القاسم عليه السلام (أليس الله بعزيز) فى ملكه وسلطانه (ذى انتقام) ذى نقمة لمن لا يؤمن به

(و ...) وقوله والذى جاء بالصدق وصدق به وهو الابيات وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة

الجزء الرابع والعشرون

اللهم اجعلنا من الصادقين

﴿ فمن اظلم ممن كذب على الله ﴾ باضافة الولد والشريك اليه ﴿ وكذب بالصدق ﴾ وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ اذ جاءه ﴾ من غير توقف وتفكر فى امره ﴿ أليس فى جهنم مثوى للكافرين ﴾ وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجىء الرسول به بالتكذيب ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به ﴾ للجنس ليتناول الرسول والمؤمنين لقوله ﴿ اولئك هم المتقون ﴾ وقيل هو النبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائى هو الرسول صلى الله عليه وسلم والمصدق ابو بكر رضى الله

قوله تعالى ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله ﴾ فزعم ان له ولدا اوشريكا ﴿ وكذب بالصدق اذ جاءه ﴾ أى بالقرآن وقيل بالرسالة اليه ﴿ أليس فى جهنم مثوى ﴾ أى منزل ومقام ﴿ للكافرين ﴾ قوله تعالى ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به ﴾ أى والذى صدق به قال ابن عباس الذى جاء بالصدق هو رسول صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله والذى صدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا بلغه الى الخلق وقيل الذى جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذى جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذى جاء بالصدق أهل القرآن وهو الصدق يجيئون به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ أى

كسب ... هو الصدق ... وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه وجاءه بالتكذيب ... من غير وقفة لاعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى للكافرين اشارة اليهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ... (أولئك هم المتقون) وقال الزجاج روى عن على رضى الله عنه ان الذى جاء بالصدق ... (فمن أظلم ممن كذب على الله) ما ... بجعل الولد والشريك له أبو جهل وأصحابه (وكذب بالصدق) بالقرآن والرسول (اذ جاءه) محمد (أليس فى جهنم مثوى) منزل ومقام (للكافرين) لابى جهل وأصحابه (والذى جاء بالصدق) بالقرآن والتوحيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وصدق به) أبو بكر وأصحابه (أولئك هم المتقون) الكفر (الذين)

يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى وهو متحير لايدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن [illegible] واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) [illegible] حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو وتسألنى [illegible] وميت فدونك [illegible] ان كنت تعقل * فمن كان [illegible] ميت * وما الميت الا من الى القبر [illegible] * [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم موته [illegible] الموت يعمهم [illegible] وشماتة الفانى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم أى انك واياهم فى عداد الموتى لان ما هو [illegible] كائن فكان قد كان (ثم انكم) أى انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يوم القيمة عندربكم تختصمون) فتحتج أنت عليهم بانك [illegible] فكذبوا واجتهدت فى الدعوة ولجوا فى العناد ويعتذرون بالاباطيل [illegible] تقول الاتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون قال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبى [illegible]

﴿انك ميت وانهم ميتون﴾ فان الكل بصدد الموت وفى عداد الموتى * وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ﴿ثم انكم﴾ على تغليب المخاطب على الغيب ﴿يوم القيمة عندربكم تختصمون﴾ فتحتج عليهم بانك كنت على الحق فى التوحيد وكانوا على الباطل فى التشريك واجتهدت فى الارشاد والتبليغ ولجوا فى التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل أطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم فى الدنيا

أى ان المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له * قوله تعالى ﴿انك ميت﴾ أى ستموت ﴿وانهم ميتون﴾ أى سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وقيل نعى الى نبيه نفسه واليكم أنفسكم والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم أحياء فانكم فى عداد الموتى ﴿ثم انكم يوم القيمة عندربكم تختصمون﴾ قال ابن عباس يعنى المحق والمبطل والظالم والمظلوم * عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عندربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أيكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضى الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفى أهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عندربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها فينا نزلت * وعن أبى سعيد الخدرى فى هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيامة عندربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لايكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار

العالية نزلت فى أهل القبلة وذلك (قا و خا ٤٠ مس) فى الدماء والمظالم التى بينهم والوجه [illegible] قوله

أمثال القرآن (انك) يامحمد (ميت) ستموت (وانهم) يعنى كفار مكة (ميتون) سيموتون (ثم انكم يوم القيمة عندربكم تختصمون) تتكلمون بالحجة يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ورؤساء الكفار

بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعاني وقيل المراد بالموج الشك استشهادا بقوله

وقد اتاك يقين غير ذي عوج ٭ من الاله وقول غير مكذوب

وهو تخصيص له ببعض مدلوله ﴿لعلهم يتقون﴾ علة اخرى مرتبة على الاولى ﴿ضرب الله مثلا﴾ للمشرك والموحد ﴿رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل﴾ مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خاص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخص الاختلاف ٭ وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت بها وحذف منها ذا ورجل سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع ﴿هل يستويان مثلا﴾ صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع اولان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل ﴿الحمد لله﴾ كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق ﴿بل اكثرهم لا يعلمون﴾ فيشركون به غيره من فرط جهلهم

وقيل غير ذي لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكي عن سفيان ابن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق ﴿لعلهم يتقون﴾ أي الكفر والتكذيب ٭ فان قلت ما الحكمة في تقديم التذكر في الآية الاولى على التقوى في هذه الآية ٭ قلت سبب تقديم التذكر أن الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشيء واختاط بمعناه اتقاه واحترز منه قوله تعالى ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون﴾ أي متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم والشكس السيء الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف ﴿ورجلا سلما لرجل﴾ أي خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي انه عبده وهم يتجاذبونه في مهن شتى فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير في أمره لا يدري أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه في حاجاته فأي هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذي يعبد آلهة شتى والمؤمن الذي يعبد الله تعالى وحده فكان حال المؤمن الذي يعبد الها واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذي يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى ﴿هل يستويان مثلا﴾ وهذا استفهام انكار أي لا يستويان في الحال والصفة قال تعالى ﴿الحمد لله﴾ أي لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا الله الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾

مستقيما للاشعار بان لا يكون (لعلهم يتقون) الكفر (ضرب الله مثلا رجلا) بدل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون ومختلفون (ورجلا سلما) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لرجل) أي ذا خلوص له من الشركة سالما مكي وأبو عمرو أي خالصا له (هل يستويان مثلا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين (الحمد لله) الذي لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره مثل الكافر ومعبوديه بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم

عوج غير مخلوق وهو قول السدي (لعلهم يتقون) لكي يتقوا بالقرآن عما نهاهم الله (ضرب الله مثلا) بين الله شبه رجل (رجلا فيه شركاء) سادات (متشاكسون) متخالفون يأمر هذا بشيء وينهى ذلك عنه وهذا مثل الكافر يعبد آلهة شتى (ورجلا سلما) خالصا (لرجل) وهذا مثل المؤمن يعبد ربه وحده وأسلم دينه وعمله لله (هل يستويان مثلا) في المثل المؤمن والكافر (الحمد لله) لشكر الله والوحدانية لله (بل أكثرهم لا يعلمون) { أي }

الى الحق (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة) كمن أمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره. وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه (وقيل للظالمين) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم (كذب الذين من قبلهم) من قبل قريش (فاتاهم العذاب من حيث لايشعرون) من الجهة التى لايحتسبون ولايخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون اذ فوجؤا من مأمنها (فاذاقهم الله الخزى) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لامنوا (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) ليتعظوا (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا فتذكر رجلا أو انسانا توكيدا أو نصب على المدح (غير ذى عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل

﴿ أفمن يتقى بوجهه ﴾ يجعله درقة يقى به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقى الا بوجهه ﴿ سوء العذاب يوم القيمة ﴾ كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف فى نظائره ﴿ وقيل للظالمين ﴾ اى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعار بالموجب لما يقال لهم وهو ﴿ ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ اى وباله والواو للحال وقد مقدرة ﴿ كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لايشعرون ﴾ من الجهة التى لايخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها ﴿ فاذاقهم الله الخزى ﴾ الذل ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء ﴿ ولعذاب الآخرة ﴾ المعد لهم ﴿ اكبر ﴾ لشدته ودوامه ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ﴿ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ﴾ يحتاج اليه الناظر فى امر دينه ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون به ﴿ قرآنا عربيا ﴾ حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا او مدح له ﴿ غير ذى عوج ﴾ لا اختلال فيه

﴿ أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب ﴾ أى شدته ﴿ يوم القيمة ﴾ قيل يجر على وجهه فى النار وقيل يرمى به فى النار منكوسا فاول شئ تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشعل النار فى تلك الصخرة وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لايطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه ومعنى الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب ﴿ وقيل للظالمين ﴾ أى تقول لهم الخزنة ﴿ ذوقوا ما ﴾ أى وبال ما ﴿ كنتم تكسبون ﴾ أى فى الدنيا من المعاصى ﴿ كذب الذين من قبلهم ﴾ أى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل ﴿ فاتاهم العذاب من حيث لايشعرون ﴾ يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب ﴿ فاذاقهم الله الخزى ﴾ أى العذاب والهوان ﴿ فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ * قوله عز وجل ﴿ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ﴾ أى يتعظون ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أى فصيحا أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته ﴿ غير ذى عوج ﴾ أى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف

(أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) شدة العذاب (يوم القيمة) وهو أبو جهل وأصحابه تجمع يده الى عنقه بغل من حديد فمن ذلك يتقى العذاب بوجهه (وقيل للظالمين) للكافرين أبى جهل وأصحابه تقول لهم الزبانية (ذوقوا) عذاب (ما كنتم تكسبون) تقولون وتعملون فى الدنيا من المعاصى (كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك يا محمد قوم هود وصالح وشعيب وغيرهم (فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون) لايعلمون بنزوله (فاذاقهم الله الخزى فى الحيوة الدنيا) عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم مما كان لهم فى الدنيا (لو كانوا يعلمون) ولكن لم يكونوا يعلمون (ولقد ضربنا للناس) بينا للناس (فى هذا القرآن من كل مثل) وجه (لعلهم يتذكرون) لكى يتعظوا (قرآنا عربيا) على مجرى اللغة العربية (غير ذى عوج) غير مخالف التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب بالتوحيد وبعض الاحكام والحدود ويقال غير ذى

كتركيب اقطر من القمط وهو الشد ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ﴾ بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هى من عوارضها ﴿ ذلك ﴾ اى الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء ﴿ هدى الله يهدى به من يشاء ﴾ هدايته ﴿ ومن يضلل الله ﴾ ومن يخذله ﴿ فما له من هاد ﴾ يخرجه من الضلالة

﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ﴾ أى لذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفى رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السيارون فى بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت أولياء الله الذى نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك فى أهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة الزبير قال قلت لجدتى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل فى جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا فى جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا فى الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد فى أول وهلة واذا ذكر الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم وقيل ان المكاشفة فى مقام الرجاء أكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد ﴿ ذلك ﴾ أى القرآن الذى هو أحسن الحديث ﴿ هدى الله يهدى به من يشاء ﴾ أى هو الذى يشرح الله به صدره لقبول الهداية ﴿ ومن يضلل الله ﴾ أى يجعل قلبه قاسيا مظلما لقبول الهداية ﴿ فما له من هاد ﴾ أى يهديه قوله عز وجل

تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى اذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم زال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة وعدى بالى لتضمنه معنى فعل متعد بالى كانه قيل اطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لان رحمته سبقت غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر الله لم يخطر بالبال الا كونه رؤفا رحيما وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به من يشاء) من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء (ومن يضلل الله) بخلق الضلالة فيه (فما له من هاد)

ثم تلين جلودهم) بآية الرحمة (وقلوبهم) راجعة (الى ذكر الله ذلك) يعنى القرآن (هدى الله) بيان الله (يهدى به من يشاء) الى دينه (ومن يضلل الله) عن دينه (فما له من هاد) مرشد لدينه

(أولئك في ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزل أحسن الحديث) في ايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث (كتابا) بدل من أحسن الحديث أوحال منه (متشابها) يشبه بعضه بعضا في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك

(مثاني) نعت (كتابا جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها الان القصص المكررة وغيرها لا تكون الامتشابهة وقيل لانه ثنى في التلاوة فلا يمل وانما جاز وصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هي جملته الاتراك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات أومنصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانية (تقشعر) تضطرب وتتحرك (منه جلود الذين يخشون ربهم) يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفي الحديث اذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله

وهو أبو جهل وأصحابه

من اجل الشئ اشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليهم ﴿ اولئك في ضلال مبين ﴾ يظهر للناظر بادنى نظر والآية نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده ﴿ الله نزل احسن الحديث ﴾ يعني القرآن روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد الاسناد اليه وتفخيم المنزل واستشهاد على حسنه ﴿ كتابا متشابها ﴾ بدل من احسن اوحال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة ﴿ مثاني ﴾ جمع مثنى او مثنى على في مامر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب اوجعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل ﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا

عن قبول الحق فان سماعها لذكر الله لايزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولايزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وماغضب الله تعالى على قوم الانزع منهم الرحمة ﴿ أولئك في ضلال مبين ﴾ قيل نزلت هذه الآية في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وفي أبي بن خلف وقيل في علي وحمزة وفي أبي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل * قوله عز وجل ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ يعني القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه واما الوجه الثاني وهو كون القرآن من أحسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار ﴿ كتابا متشابها ﴾ أي يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا ﴿ مثاني ﴾ أي ثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار والاحكام ﴿ تقشعر ﴾ أي تضطرب وتشمئز ﴿ منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ والمعنى تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم

(أولئك) أهل هذه الصفة (في ضلال مبين) في كفر بين (الله نزل أحسن الحديث) أحسن الكلام في القرآن (كتابا متشابها) تشبه آيات الوعد والرحمة والنصرة والمغفرة والعفو بعضها بعضا وتشبه آيات الوعد والعذاب والزجر والتخويف بعضها بعضا (مثاني) مثنى مثنى آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والامر والنهي والناسخ والمنسوخ وغير ذلك ويقال مكرر (تقشعر منه) تتحرك من آيات العذاب والوعيد (جلود الذين يخشون) يخافون (ربهم

وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فادخله (ينابيع في الارض) عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد وينابيع نصب على الحال أو على الظرف وفي الارض صفة لينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك (ثم يهيج) يجف (فتراه مصفرا) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت وغيره (ان في ذلك) في انزال الماء واخراج الزرع (لذكرى لاولي الالباب) لتذكيرا وتنبيها على انه لابد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن اهمال وتعطيل (أفمن شرح الله صدره) أي وسع صدره (للاسلام) فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فهل لذلك من علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فهو على نور من ربه) بيان وبصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره واهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فحذف لان قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدل عليه (من ذكر الله) أي من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أي اذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم

﴿فسلكه﴾ فادخله ﴿ينابيع في الارض﴾ هي عيون ومجار كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر او الحال ﴿ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه﴾ اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ﴿ثم يهيج﴾ يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته ﴿فتراه مصفرا﴾ من يبسه ﴿ثم يجعله حطاما﴾ فتاتا ﴿ان في ذلك لذكرى﴾ لتذكيرا بانه لابد له من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحيوة الدنيا فلا تغتربها ﴿لاولي الالباب﴾ اذ لا يتذكر به غيرهم ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام﴾ حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابل للاسلام ﴿فهو على نور من ربه﴾ يعني المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي

﴿فسلكه﴾ أي أدخل ذلك الماء ﴿ينابيع في الارض﴾ أي عيونا وركايا ومسالك ومجاري في الارض كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ماء في الارض فمن السماء نزل ﴿ثم يخرج به﴾ أي بالماء ﴿زرعا مختلفا ألوانه﴾ أي مثل أصفر وأخضر واحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب ﴿ثم يهيج﴾ أي ييبس ﴿فتراه﴾ أي بعد خضرته ونضرته ﴿مصفرا ثم يجعله حطاما﴾ أي فتاتا متكسرا ﴿ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب﴾ * قوله عز وجل ﴿أفمن شرح الله صدره﴾ أي وسعه ﴿للاسلام﴾ وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد ﴿فهو على نور من ربه﴾ على يقين وبيان وهداية * روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يارسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يارسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ القسوة جمود وصلابة تحصل في القلب . فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية . قلت انهم كلما تلي ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة

مطرا (فسلكه ينابيع في الارض) فجعل منه العيون والانهار في الارض (ثم يخرج به) ينبت بالمطر (زرعا مختلفا { عن } ألوانه) حبوبه (ثم يهيج) يتغير (فتراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يجعله حطاما) يابسا كذلك الدنيا تفنى ولا تبقى (ان في ذلك) فيما ذكرت من فناء الدنيا (لذكرى) لعظة (لاولي الالباب) لذوي العقول من الناس (أفمن شرح الله صدره) وسع الله ولين الله قلبه (للاسلام) بنور الاسلام (فهو على نور من ربه) على كرامة وبيان من ربه وهو عمار بن ياسر كمن شرح الله صدره للكفر وهو أبو جهل (فويل) شدة عذاب ويقال ويل واد في جهنم من قيح ودم (للقاسية) لليابسة (قلوبهم) لا تلين قلوبهم (من ذكر الله)

ويكشف عما سواه (اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) أى المنتفعون بعقولهم (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من فى النار) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أى وجب أفانت تنقذه جملة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب ووضع من فى النار موضع الضمير أى تنقذه فالآية على هذا جملة واحدة أو معناه أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه أفانت تنقذه أى لايقدر أحد ان ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه انه من أهل النار (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف (مبنية تجرى من تحتها الانهار) أى تحت منازلها (وعد الله لايخلف الله الميعاد) وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر

وانهم نقاد فى الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل ﴿ اولئك الذين هداهم الله ﴾ لدينه ﴿ واولئك هم اولو الالباب ﴾ العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفى ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها ﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من فى النار ﴾ جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه اللام تقديره ءانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة فى الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك والدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف ﴾ علالى بعضها فوق بعض ﴿ مبنية ﴾ بنيت بناء المنازل على الارض ﴿ تجرى من تحتها الانهار ﴾ اى من تحت تلك الغرف ﴿ وعد الله ﴾ مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى الوعد ﴿ لايخلف الله الميعاد ﴾ لان الخلف نقص وهو على الله تعالى محال ﴿ ألم تر ان الله انزل من السماء ماء ﴾ هو المطر

ابن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل نزلت هذه الآية فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لااله الاالله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسى ﴿ أولئك الذين هداهم الله ﴾ أى الى عبادته وتوحيده ﴿ وأولئك هم أولو الالباب أفمن حق عليه كلمة العذاب ﴾ قال ابن عباس سبق فى علم الله تعالى انه فى النار وقيل كلمة العذاب قوله لاملأن جهنم وقيل قوله هؤلاء فى النار ولا أبالى ﴿ أفأنت تنقذ من فى النار ﴾ أى لاتقدر عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اباالهب وولده ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية ﴾ أى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى أرفع منها ﴿ تجرى من تحتها الانهار وعد الله لايخلف الله الميعاد ﴾ أى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لايخلفه (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم فقالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لايبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ٭ قوله الغابر اى الباقى فى الافق اى فى ناحية المشرق او المغرب قوله تعالى ﴿ ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء ﴾

يعملون به ويريدونه (اولئك الذين هداهم الله) للصدق والصواب ويقال لمحاسن الامور (وأولئك هم أولو الالباب) ذووا العقول من الناس وهم أبو بكر وأصحابه ومن اتبعهم بالسنة والجماعة (أفمن حق عليه) وجب عليه (كلمة العذاب) وهو أبو جهل وأصحابه (أفأنت تنقذ) تنجى (من فى النار) من قدرت عليه النار (لكن الذين اتقوا) وحدوا (ربهم) يعنى أبابكر وأصحابه (لهم غرف) علالى (من فوقها غرف) علالى أخر (مبنية) مشيدة مرفوعة فى الهواء (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (وعد الله لايخلف الله الميعاد) للمؤمنين (ألم تر) ألم تخبر يامحمد فى القرآن (ان الله أنزل من السماء ماء)

(ذلك) الذى وصف من العذاب أو ذلك الظلل (يخوف الله به عباده) ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه (ياعباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل الاشتمال من الطاغوت أى عبادتها (وأنابوا) رجعوا (الى الله لهم البشرى) هى البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) هم الذين اجتنبوا وأنابوا وانما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقادا فى الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع (ابن)

هى ظلل للآخرين ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ﴾ ذلك العذاب هو الذى يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ﴿ ياعباد فاتقون ﴾ ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت ﴾ البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة فى النعت ولذلك اختص بالشيطان ﴿ ان يعبدوها ﴾ بدل اشتمال منه ﴿ وانابوا الى الله ﴾ واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه ﴿ لهم البشرى ﴾ بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت ﴿ فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ﴾ وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم

النار بهم من جميع الجهات والجوانب . فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة . قلت فيه وجوه . الاول أنه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر . الثانى أن الذى تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته فى النار لانها دركات . الثالث أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية فى الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ﴾ أى المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار فى الآخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى ﴿ ياعباد فاتقون ﴾ أى فخافون * قوله تعالى ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت ﴾ يعنى الاوثان ﴿ أن يعبدوها وأنابوا الى الله ﴾ أى رجعوا الى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره ﴿ لهم البشرى ﴾ أى فى الدنيا وفى الآخرة اما فى الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع فى القبر وأما فى الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفى الجنة ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان ﴿ فبشر عبادى الذين يستمعون القول ﴾ يعنى القرآن ﴿ فيتبعون أحسنه ﴾ أى أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر فى القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو أحسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبد الرحمن

تحتهم (ذلك) الظلل (يخوف الله به عباده) فى القرآن (ياعبادى) يعنى أبا بكر وأصحابه (فاتقون) فاطيعونى فيما امرتكم (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) تركوا عبادة الطاغوت وهو الشيطان والصنم (وأنابوا الى الله) أقبلوا الى الله بالتوبة والايمان وسائر الطاعات (لهم البشرى) بالجنة عند الموت وبشرى بكرامة الله على باب الجنة (فبشر عبادى الذين يستمعون القول) الحديث (فيتبعون أحسنه) أحكمه وأبينه

عذاب يوم عظيم) لمن دعاك بالرجوع الى دين آبائك وذلك ان كفار قريش قالوا له عليه السلام ألا تنظر الى ابيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم (قل الله أعبد مخلصا له دينى) وهذه الآية اخبار بانه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره والاولى اخبار بانه مأمور بالعبادة والاخلاص فالكلام اولا واقع فى نفس الفعل واثباته وثانيا فيما يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام ان خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت (قل ان الخاسرين) أى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم) باهلاكها فى النار (وأهليهم) أى وخسروا أهليهم (يوم القيمة) لانهم أضلوهم فصاروا الى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران و نعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا وبالدرجات دركات (لهم من فوقهم ظلل) أطباق (من النار ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار وهى ظلل لآخرين أى النار محيطة بهم

(عذاب يوم عظيم) شديد لو ما يبدلون (قل الله أعبد مخلصا له بالعبادة والتوحيد دينى فاعبدوا ماشئتم من دونه) (قا و خا ٣٩ مس) من دون الله وهذا وعيد وتوبيخ لهم من قبل ان يؤمر النبى صلى الله عليه وسلم بالقتال (قل) لهم يا محمد (ان الخاسرين) المغبونين (الذين خسروا أنفسهم) غبنوا أنفسهم بذهاب الدنيا والآخرة (وأهليهم) خدمهم ومنازلهم فى الجنة (يوم القيمة ألا ذلك هو الخسران المبين) الغبن البين بذهاب الدنيا والآخرة (لهم) لكفار مكة (من فوقهم ظلل من النار) علالى من النار (ومن تحتهم ظلل) فراش من النار وهو علالى من

الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ لعظمة ما فيه ﴿ قل الله اعبد مخلصا له دينى ﴾ امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ تهديدا وخذلانا لهم ﴿ قل ان الخاسرين ﴾ الكاملين فى الخسران ﴿ الذين خسروا انفسهم ﴾ بالضلال ﴿ واهليهم ﴾ بالاضلال ﴿ يوم القيامة ﴾ حين يدخلون النار بدل الجنه لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لارجوع بعده ﴿ ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ مبالغة فى خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين ﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ﴾ شرح لخسرانهم ﴿ ومن تحتهم ظلل ﴾ أطباق من النار

عذاب يوم عظيم ﴾ وذلك ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذى أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فانزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصى لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصى فغيره أولى بذلك ﴿ قل الله أعبد مخلصا له دينى ﴾ فان قلت ما معنى التكرار فى قوله قل انى أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين وفى قوله قل الله أعبد مخلصا له دينى قلت هذا ليس بتكرار لان الاول الاخبار بأنه مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثانى انه اخبار بأنه أمر أن يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد أحدا غيره مخلصا له دينه لان قوله أمرت أن اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا غيره ثم اتبعه بقوله ﴿ فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ ليس أمرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله ﴿ قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم ﴾ يعنى أزواجهم وخدمهم ﴿ يوم القيمة ﴾ قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا وأهلا فى الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بأن يفرق بينه وبين أهله ﴿ ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ﴾ أى أطباق وسرادقات ﴿ ومن تحتهم ظلل ﴾ أى فراش ومهاد وقيل أحاطت

ومعنى (وأرض الله واسعة) أى لاعذر للمفرطين فى الاحسان البتة حتى ان اعتلوا بانهم لا يتمكنون فى أوطانهم من التوفر [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] وفى هذه بيان لمكن حسنة
﴿ وارض الله واسعة ﴾ [illegible] الاحسان فى وطنه فيها جرائى
[illegible] من احتمل البلاء ومهاجرة
الاوطان لها ﴿ اجرهم بغير حساب ﴾ [illegible] الحساب وفى الحديث
انه تنصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم
ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى تمنى اهل العافية فى الدنيا
ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل ﴿ قل انى امرت
ان اعبد الله مخلصا له الدين ﴾ موحدا له ﴿ وامرت لان اكون اول المسلمين ﴾
وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة لان قصب السبق
فى الدين بالاخلاص اولانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم
والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص
وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهى ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبقة فى الدين
ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما فى اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم فى الاخلاص
والبدء بنفسه فى الدعاء اليه بعد الامر به ﴿ قل انى اخاف ان عصيت ربى ﴾ بترك

فى هذه الدنيا ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ قال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث
على الهجرة من البلد الذى يظهر فيه المعاصى وقيل من أمر بالمعاصى فى بلد فليهرب منه
وقيل نزلت فى مهاجرى الحبشة وقيل نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حيث
لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا ﴿ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير
حساب ﴾ قال على بن أبى طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانه
يحثى لهم حثيا وروى انه يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان
ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى تمنى أهل العافية فى الدنيا لو أن أجسادهم
تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل ۞ قوله عز وجل ﴿ قل ﴾ يا محمد
﴿ انى أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين ﴾ أى مخلصا له التوحيد أى لا أشرك به شيأ ﴿ وأمرت
لان أكون أول المسلمين ﴾ أى من هذه الامة قال أمره أولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم
[illegible] صلى الله عليه وسلم وهو
[illegible] صلى الله عليه وسلم
[illegible] عصيت ربى

[illegible]
[illegible] مفارقة
أوطانهم وعشائرهم الى
غيرها من تجرع الغصص
واحتمال البلايا فى طاعة الله
وازدياد الخير (أجرهم بغير
حساب) عن ابن عباس
رضى الله عنهما لا يهتدى
اليه حساب الحساب ولا
يعرف وهو حال من الاجر
أى موفرا (قل انى أمرت
ان أعبد الله) بان أعبد الله
(مخلصا له الدين) أى أمرت
باخلاص الدين (وأمرت
لان أكون أول المسلمين)
وأمرت بذلك لاجل ان
أكون اول المسلمين أى
مقدمهم وسابقهم فى الدنيا
والآخرة والمعنى ان
الاخلاص له السبقة فى
الدين فمن اخلص كان سابقا
فالاول امر بالعبادة مع
الاخلاص والثانى بالسبق
فلاختلاف جهتيهما نزلا
منزلة المختلفين فصح عطف
احدهما على الآخر (قل
انى اخاف ان عصيت ربى

القدر [illegible] أمر الله [illegible]

[illegible]
[illegible]
(انى أمرت) [illegible] الله مخلصا له الدين) مخلصا له بالعبادة والتوحيد (وأمرت) فى القرآن (لان أكون أول
المسلمين) أول من يكون على الاسلام (قل) لهم يا محمد (انى أخاف) أعلم (ان عصيت ربى) رجعت الى دينكم

(يحذر الآخرة) أى عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) أى الجنة ودلت الآية على ان المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله ويحذر عقابه لتقصيره فى عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون امنا والخوف اذا جاوز حده يكون اياسا وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فيجب أن لا يجاوز أحدهما حده (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أى يعلمون ويعملون به كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ﴿ ٣٠٣ ﴾ ويفتنون فيها ثم يفتنون {سورة الزمر} بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء أو أريد به التشبيه أى كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع والعاصى (انما يتذكر أولو الالباب) جمع لب أى انما يتعظ بوعظ الله أولو العقول (قل ياعباد الذين آمنوا) بلا ياء عند الاكثر (اتقوا ربكم) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى أطاعوا الله فى الدنيا وفى يتعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة لا توصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية

بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين ﴿ يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ فى موضع الحال او الاستئناف للتعليل ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون ﴿ انما يتذكر اولو الباب ﴾ بامثال هذه البينات وقرئ يذّكر بالادغام ﴿ قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم ﴾ بلزوم طاعته ﴿ للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ﴾ اى للذين احسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبة حسنة فى الآخرة وقيل

منه وذلك لان الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر ﴿ يحذر ﴾ أى يخاف ﴿ الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهى انه قال فى مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر اليه تعالى وقال فى مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء أكمل وأولى ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله تعالى ما يرجو منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذى ﴿ قل هل يستوى الذى يعلمون ﴾ أى ما عند الله من الثواب والعقاب ﴿ والذين لا يعلمون ﴾ ذلك وقيل الذين يعلمون عمار وأصحابه والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومى وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله ﴿ انما يتذكر أولو الباب ﴾ ✽ قوله تعالى ﴿ قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم ﴾ أى بطاعته واجتناب معاصيه ﴿ للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ﴾ يعنى للذين آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعنى الجنة وقيل الصحة والعافية

فى الصلاة (يحذر الآخرة) يخاف عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) جنة ربه كأبى جهل وأصحابه (قل) لهم يا محمد (هل يستوى) فى الثواب والطاعة (الذين يعلمون) توحيد الله وأمره ونهيه وهو أبو بكر وأصحابه (والذين لا يعلمون) توحيد الله وأمره ونهيه وهو أبو جهل وأصحابه (انما يتذكر) يتعظ بامثال القرآن (أولو الالباب) ذوو العقول من الناس (قل) لهم يا محمد (ياعباد الذين آمنوا) أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلى المرتضى وأصحابهم (اتقوا ربكم) أطيعوا ربكم فى الصغير من الامور والكبير (للذين أحسنوا) وحدوا (فى هذه الدنيا حسنة) لهم جنة يوم

باعمالكم ويجازيكم عليها (انه عليم بذات الصدور) بخفيات القلوب (واذا مس الانسان) هو أبو جهل أو كل كافر (ضر) بلاء وشدة والمس في الاعراض مجاز (دعا ربه منيبا اليه) راجعا الى الله بالدعاء لا يدعو غيره (ثم اذا خوله) أعطاه (نعمة منه) من الله عز وجل (نسي ما كان يدعو اليه من قبل) أي نسي ربه الذي كان يتضرع اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى أو نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه (وجعل الله أندادا) أمثالا (ليضل) ليضل مكي وأبو عمرو ويعقوب (عن سبيله) أي الاسلام (قل) يا محمد (تمتع) أمر تهديد (بكفرك قليلا) أي في الدنيا (انك من أصحاب النار) من أهلها (أمن) قرأ بالتخفيف مكي ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على ادخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن (هو قانت) كغيره أي أمن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) حالان من الضمير في قانت

﴿انه عليم بذات الصدور﴾ فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم ﴿واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه﴾ لزوال ماينازع العقل في الدلالة على ان مبدأ الكل منه ﴿ثم اذا خوله﴾ اعطاه من الخول وهو التعهد او من الخول وهو الافتخار ﴿نعمة منه﴾ من الله ﴿نسي ما كان يدعو اليه﴾ اى الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر والانثى ﴿من قبل﴾ من قبل النعمة ﴿وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله﴾ وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين ﴿قل تمتع بكفرك قليلا﴾ امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشه لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله ﴿انك من اصحاب النار﴾ على سبيل الاستئناف للمبالغة ﴿امن هو قانت﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿آناء الليل﴾ ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت له كمن هو بضده وقرأ الحجاز يان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت له كمن هو جعل له اندادا ﴿ساجدا وقائما﴾ حالان من ضمير قانت وقرئا

﴿انه عليم بذات الصدور﴾ أي بما في القلوب * قوله تعالى ﴿واذا مس الانسان ضر﴾ أي بلاء وشدة ﴿دعا ربه منيبا﴾ أي راجعا ﴿اليه﴾ مستغيثا به ﴿ثم اذا خوله﴾ أي أعطاه ﴿نعمة منه نسي﴾ أي ترك ﴿ما كان يدعو اليه من قبل﴾ والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه ﴿وجعل لله أندادا﴾ يعني الاصنام ﴿ليضل عن سبيله﴾ أي ليرد عن دين الله تعالى ﴿قل﴾ أي لهذا الكافر ﴿تمتع بكفرك قليلا﴾ أي في الدنيا الى انقضاء أجلك ﴿انك من أصحاب النار﴾ قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في أبي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر ﴿أمن هو قانت﴾ قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذي جعل لله أندادا اخير أم من هو قانت وقيل معنى الآية تمتع بكفرك انك من أصحاب النار ويا من هو قانت أنت من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت في أبي بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه ﴿آناء الليل﴾ أي ساعات الليل أوله ووسطه وآخره ﴿ساجدا وقائما﴾ أي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه أفضل

في الدنيا (انه عليم بذات الصدور) بما في القلوب من الخير والشر (واذا مس) أصاب (الانسان) الكافر أبا جهل وأصحابه (ضر) شدة وبلاء (دعا ربه) برفع الشدة والبلاء عنه (منيبا اليه) مقبلا اليه بالدعاء (ثم اذا خوله) بدله (نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل) (منه) من قبل النعمة (وجعل لله أندادا) أشكالا وأعدالا (ليضل) بذلك الناس (عن سبيله) عن دينه وطاعته (قل) لابي جهل (تمتع بكفرك) عش في كفرك (قليلا) يسيرا في الدنيا (انك من أصحاب النار) من أهل النار (أمن هو قانت) مطيع لله وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (آناء الليل) ساعات الليل (ساجدا وقائما)

خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم الى تمام الخلق (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) الذى هذه مفعولاته هو (الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره [illegible] ٣٠١ [illegible] (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم [illegible] ثم [illegible] بالكفر وانتفاعكم بالايمان (ولا يرضى لعباده الكفر) لان الكفر ليس [illegible] تعالى وان كان بارادته (وان تشكروا) فتؤمنوا (يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والاشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم يرضه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يؤخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم مرجعكم) الى جزاء ربكم رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيخبركم

القدرة غير انه غلب اولى العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون ﴿ خلقا من بعد خلق ﴾ حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة او لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف ﴿ فى ظلمات ثلاث ﴾ ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ﴿ ذلكم ﴾ الذى هذه افعاله ﴿ الله ربكم ﴾ هو المستحق لعبادتكم والمالك ﴿ له الملك لا اله الا هو ﴾ اذ لا يشاركه فى الخلق غيره ﴿ فأنى تصرفون ﴾ يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ﴿ ان تكفروا فان الله غنى عنكم ﴾ عن ايمانكم ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ لاستضرارهم به رحمة عليهم ﴿ وان تشكروا يرضه لكم ﴾ لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع فى رواية وأبو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابى عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ﴿ ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بالمحاسبة والمجازاة

﴿ خلقا من بعد خلق ﴾ يعنى نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿ فى ظلمات ثلاث ﴾ قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ أى الذى خلق هذه الاشياء ربكم ﴿ له الملك ﴾ أى لا لغيره ﴿ لا اله الا هو ﴾ أى لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى ﴿ فأنى تصرفون ﴾ أى عن طريق الحق بعد هذا البيان * قوله عز وجل ﴿ ان تكفروا فان الله غنى عنكم ﴾ يعنى أنه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا أو ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غنى عن الخلق على الاطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا انه غنى عن جميع العالمين فلو كفروا واصروا عليه فان الله تعالى غنى عنهم * ثم قال الله تعالى ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ يعنى انه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى [illegible] عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباده وأجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله تعالى وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشئ والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثنى عليه ولا يكون فى ملكه الا ما أراد [illegible] يرضى به ولا [illegible] عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا ﴿ وان تشكروا ﴾ أى تؤمنوا ربكم وتطيعوه ﴿ يرضه لكم ﴾ فيثيبكم عليه ﴿ ولا تزر وازرة وزر اخرى ﴾ [illegible] ﴿ ثم الى ربكم مرجعكم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أى فى الدنيا

(خلقا من بعد خلق) حالا من بعد حال نطفة وعلقة ومضغة وعظاما (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذلكم الله ربكم) فعل ذلك (له الملك) [illegible] لا يزول [illegible] (لا اله الا هو) لا خالق ولا معبود [illegible] (فأنى تصرفون) [illegible] الكذب [illegible] تقول [illegible] على الله [illegible] (ان تكفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يا أهل مكة (فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم (ولا يرضى لعباده الكفر) [illegible] لا يقبل منهم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لانه ليس دينه (وان تشكروا) تؤمنوا (يرضه لكم) [illegible] (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لا تحمل حاملة حمل أخرى ما عليها من ذنب ويقال لا تؤخذ نفس [illegible] أخرى [illegible] [illegible] التى [illegible] (ثم الى ربكم مرجعكم) بعد الموت (فينبئكم) فيخبركم [illegible] تعملون وتقولون

[illegible] القيامة ([illegible]) الغالب القادر على
[illegible] ٣٠٠ [illegible] فادة [illegible] هما (الغفار)

[illegible] عليه كرر [illegible] الا قواد
[illegible] اجل مسمى ﴾ هو منتهى دوره او
[illegible] على كل ممكن الغالب على كل شئ
[illegible] لم [illegible] فى هذه الصنائع من الرحمة وعموم
[illegible] من نفس واحدة [illegible] منها زوجها ﴾ استدلال آخر بما
[illegible] مبدأ [illegible] خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب
[illegible] ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم عليه السلام اولا من غير اب وام
ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق [illegible] منهما وثم لعطف على
[illegible] واحدة اى من نفس وجدت ثم جعل
[illegible] ما بين الآيتين فان الاولى عادة
[illegible] وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه حواء ﴿ وانزل
[illegible] وقضى او قسم لكم فان [illegible] وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث
[illegible] الكواكب و الامطار ﴿ من الانعام
[illegible] والبقر والضأن والمعز ﴿ يخلقكم فى بطون
[illegible] ما ذكر [illegible] والانعام [illegible] من عجائب

[illegible] أحدهما [illegible] الآخر [illegible] نقص من الليل زاد فى النهار
[illegible] ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة
[illegible] احدهما [illegible] الآخر وذلك بقدرة قادر
[illegible] لاجل مسمى ﴾ يعنى الى يوم القيامة
[illegible] الاشياء [illegible] يدل على كونه سبحانه
[illegible] الرحمة [illegible] والاحسان ﴿ خلقكم
[illegible] زوجها ﴾ يعنى حواء وما ذكر الله تعالى
[illegible] على [illegible] ثم اتبعه بذكر خلق
[illegible] وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج ﴾
[illegible] الذكر والانثى من هذه الاصناف
[illegible] والانثى وقيل ان الحيوان لا يعيش
[illegible] فكان التقدير أنزل الماء الذى
[illegible] خلقت فى الجنة ثم أنزلت الى الارض
﴿ يخلقكم فى بطون أمهاتكم ﴾ لما ذكر الله تعالى أصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر
الانعام عقبه [illegible] مشتركة بين الانسان والحيوان وهى كونها مخلوقة فى بطون
[illegible] أمهاتكم [illegible] العقل وشرف الانسان على سائر الخلق

[illegible] ثم (ثمانية أزواج) أصناف ذكر وأنثى من الضأن (خلقا)
[illegible] اثنين ذكرا [illegible]

والمشركين (فيماهم فيه يختلفون) قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (ان الله لايهدى من هو كاذب كفار) أى لا يهدى من هو فى علمه انه يختار الكفر يعنى لا يوفقه ليهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء) أى لو جاز اتخاذ الولد على ماتظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لاما تختارون أنتم وتشاؤن (سبحانه) نزه ذاته عن أن يكون له أحد مانسبوا اليه من الاولياء والاولاد ودل على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعنى انه واحد متبرئ عن انضمام ﴿ ٢٩٩ ﴾ الاعداد { سورة الزمر } متعال عن التجزؤ والولادة قهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فانى يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لايشارك قهار لايغالب بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها والمعنى ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ماغيبه عن مطامح الابصار وأن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة

على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى حيزه حالا اوبدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال * وقرئ قالوا مانعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم و نعبدهم بضم النون اتباعا ﴿ فيماهم فيه يختلفون ﴾ من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ﴿ ان الله لايهدى ﴾ لايوفق للاهتداء الى الحق ﴿ من هو كاذب كفار ﴾ فانهما فاقدا البصيرة ﴿ لو اراد الله ان يتخذ ولدا ﴾ كما زعموا ﴿ لاصطفى مما يخلق مايشاء ﴾ اذلا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ماعدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لايماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله ﴿ سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله ﴿ خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس

فيماهم فيه يختلفون ﴾ أى من أمر الدين ﴿ ان الله لايهدى ﴾ أى يرشد لدينه ﴿ من هو كاذب ﴾ أى من قال ان الآلهة تشفع له ﴿ كفار ﴾ أى باتخاذه الآلهة دون الله تعالى ﴿ لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى ﴾ أى لاختار ﴿ مما يخلق مايشاء ﴾ يعنى الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى ﴿ سبحانه ﴾ أى تنزيها له عن ذلك وعما لايليق بطهارة قدسه ﴿ هو الله الواحد ﴾ أى فى ملكه الذى لاشريك له ولاولد ﴿ القهار ﴾ أى الغالب الكامل القدرة * قوله تعالى ﴿ خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ يعنى يغشى هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على

يوم القيامة (فيماهم فيه) فى الدين (يختلفون) يخالفون (ان الله لايهدى) لايرشد الى دينه (من هو كاذب)على الله(كفار) كافر بالله وهم اليهود والنصارى وبنو مليح والمجوس ومشركو العرب (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) من الملائكة والآدميين كما قالت اليهود والنصارى وبنو مليح (لاصطفى) لاختار (مما يخلق) عنده فى الجنة (مايشاء) من قبل الملائكة (سبحانه) نزه نفسه عن ذلك (هو الله الواحد) بلا ولد ولاشريك (القهار) الغالب على خلقه (خلق السموات والارض بالحق) لا بالباطل (يكور الليل على النهار) يدور الليل على النهار فيكون النهار أطول من الليل (ويكور النهار على الليل) يدور النهار على الليل

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (تنزيل الكتاب) اى القرآن مبتد خبره (من الله) اى نزل من عند الله أو خبر مبتد محذوف والجار صلة التنزيل او غير صلة بل هو خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله (العزيز) في سلطانه (الحكيم) في تدبيره (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثاني لبيان ما في (فاعبد الله مخلصا) حال (له الدين) اى ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا (الا لله الدين الخالص) اى هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا من دونه اولياء) اى آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصدر اى تقريبا (ان الله يحكم بينهم) بين المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تنزيل الكتاب ﴾ خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره ﴿ من الله العزيز الحكيم ﴾ وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان اوحال عمل فيها معنى الاشارة اوالتنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ اوالزم ﴿ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ﴾ ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال ﴿ الا لله الدين الخالص ﴾ اى الا هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر ﴿ والذين اتخذوا من دونه اولياء ﴾ يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول ﴿ مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ﴾ باضمار القول او ﴿ ان الله يحكم بينهم ﴾ وهو متعين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ أى هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل ﴿ من الله العزيز الحكيم ﴾ أى لا من غيره ﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ﴾ أى لم ننزله باطلا لغير شئ ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ أى الطاعة ﴿ الا لله الدين الخالص ﴾ أى شهادة أن لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعنى الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذى أمر به لان رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهى ﴿ والذين اتخذوا من دونه ﴾ أى من دون الله ﴿ أولياء ﴾ يعنى الاصنام ﴿ مانعبدهم ﴾ أى قالوا مانعبدهم ﴿ الا ليقربونا الى الله زلفى ﴾ يعنى قربة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده ﴿ ان الله يحكم بينهم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله جل ذكره (تنزيل الكتاب) يقول هذا الكتاب تكليم (من الله العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (فيما) (الحكيم) فى أمره وقضائه أمر ان لا يعبد غيره (انا انزلنا اليك الكتاب) جبريل بالكتاب (بالحق) لا بالباطل (فاعبد الله مخلصا له الدين) مخلصا له بالعبادة والتوحيد (ألا لله) على الناس (الدين الخالص) الدين بالاخلاص لا يخالطه شئ (والذين اتخذوا) عبدوا (من دونه) من دون الله كفار مكة (أولياء) أربابا اللات والعزى ومناة قالوا (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) قربى فى المنزلة والشفاعة (ان الله يحكم بينهم) وبين المؤمنين

[illegible]

ومجرورين على اضمار حرف القسم فى الاول وحكاية لفظ المقسم على الثانى [illegible]
شائع فيه اذا شارك الاول برفع الاول وجره ونصب الثانى [illegible]
فى مبهم للناس اذا الكلام فيهم والمراد من منك من جنسك ليتناول الشياطين [illegible]
واجمعين تأكيد له اوللضمير ﴿ قل ما أسألكم عليه من اجر ﴾ اى على القرآن او على
تبليغ الوحى ﴿ وما انا من المتكلفين ﴾ المتصنعين بما ليسوا من اهله على ما عرفتم من حالى
فانتحل النبوة واتقول القرآن ﴿ ان هو الا ذكر ﴾ عظة ﴿ للعالمين ﴾ للثقلين ﴿ ولتعلمن نبأه ﴾
وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك ﴿ بعد حين ﴾ [illegible]
اوعند ظهور الاسلام وفيه تهديد [illegible]
بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات [illegible]

سورة الزمر مكية الا من قوله قل ياعبادى الذين اسرفوا

الى قوله وانتم لا تشعرون وآيها خمس وسبعون او ثنتان وسبعون

﴿ قل ما أسألكم عليه ﴾ أى على تبليغ الرسالة ﴿ من أجر ﴾ أى جعل ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾
أى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى وكل من قال شيأ من تلقاء نفسه فقد تكلفه [illegible]
مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان
من العلم ان يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما
أنا من المتكلفين لفظ البخارى ﴿ ان هو ﴾ يعنى القرآن ﴿ الا ذكر ﴾ أى موعظة ﴿ للعالمين ﴾
أى للخلق أجمعين ﴿ ولتعلمن ﴾ يعنى أنتم يا أهل مكة ﴿ نبأه ﴾ أى خبر صدقه ﴿ بعد حين ﴾ قال
ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقى علم بذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه
بعد الموت وقال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الزمر نزلت بمكة الا قوله تعالى قل ياعبادى

الذين أسرفوا على أنفسهم وقوله تعالى الله نزل أحسن

الحديث وقيل قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم [illegible]

قوله الله نزل أحسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من

قوله قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى قوله

لا تشعرون وهى ثنتان [illegible]

[illegible] مائة واثنتان [illegible]

آلاف وتسعة [illegible]

[illegible] السورة [illegible]
أنفسهم الى آخر الآية فانها مدنية آياتها [illegible]

نورانيا (فانك رجيم) مرجوم أى مطرود تكبر ابليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه ان الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره اجلالا لخطابه وتعظيما لامره فصار مرجوما ملعونا بترك أمره (وان عليك لعنتى) بفتح الياء مدنى أى ابعادى من كل الخير (الى يوم الدين) أى يوم الجزاء ولا يظن ان لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع لان معناه ان عليه اللعنة فى الدنيا وحدها فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد ولما كان عليه اللعنة فى أوان الرحمة فولى ان تكون عليه فى غير أوانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قال رب فأنظرنى) فامهلنى (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى هو وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين) أى أقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره (الا عبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام مكى وبصرى وشامى (قال فالحق) بالرفع كوفى غير على الابتداء أى الحق منى أو على الخبر أى أنا الحق، وغيرهم بالنصب على أنه مقسم به كقوله الله لافعلن كذا يعنى حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لأملان (والحق أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب باقول ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذى فى قوله ان الله هو الحق أو الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به (لأملان جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) أى لأملان جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا (قل)

﴿فانك رجيم﴾ مطرود من الرحمة ومحل الكرامة ﴿وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾ مر بيانه فى الحجر ﴿قال فبعزتك﴾ فبسلطانك وقهرك ﴿لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين﴾ الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله تعالى على اختلاف القراءتين ﴿قال فالحق والحق اقول﴾ اى فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله

ان عليك الله ان تبايعا

وجوابه ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين﴾ وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول، وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اى الحق يمينى او قسمى او الخبر اى انا الحق، وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله

فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته ﴿فانك رجيم﴾ أى مطرود ﴿وان عليك لعنتى الى يوم الدين﴾ فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند مجئ يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من انواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه ﴿قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾ يعنى النفخة الاولى ﴿قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول﴾ أى أنا أقول الحق وقيل الاول قسم يعنى فبالحق وهو الله تعالى أقسم بنفسه ﴿لأملأن جهنم منك﴾ أى بنفسك وذريتك ﴿وممن تبعك منهم أجمعين﴾ يعنى من بنى آدم

(فانك رجيم) ملعون مطرود من رحمتى وكرامتى (وان عليك لعنتى) عذابى وسخطى ويقال أجلاه الله الى جزائر البحر ولا يدخل فيها الا كهيئة السارق وعليه أطمار يروع فيها (الى يوم الدين) يوم الحساب (قال) ابليس (رب) يارب (فأنظرنى) فاجلنى (الى يوم يبعثون) من القبور أراد الخبيث أن لا يذوق الموت (قال) الله (فانك من المنظرين) لمؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم) الى النفخة الاولى (قال فبعزتك) فبنعمتك وقدرتك (لاغوينهم) لاضلنهم عن دينك وطاعتك (أجمعين الا عبادك منهم) من بنى آدم (المخلصين) المعصومين منى (قال) الله (فالحق) يقول انا الحق (والحق) يقول وبالحق (أقول لأملأن جهنم منك) ومن ذريتك (وممن تبعك منهم) من بنى آدم (أجمعين) جميع من أطاعك

(فسجد الملائكة كلهم أجمعون) كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فافاد انهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (الا ابليس استكبر) تعظم عن السجود (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين باباه الامر (قال ياابليس ما منعك أن تسجد) ماصنعك عن السجود (لما خلقت بيدى) أى بلا واسطة امتثالا لامرى واعظاما لخطابى وقدمر ان ذا اليدين يباشر اكثراعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو ما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدى (استكبرت) استفهام انكار (ام كنت من العالين) ممن علوت وفقت وقيل استكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف اسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان والايضاح (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التى أنت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان

الكلام فيه فى البقرة ﴿ فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر ﴾ تعظم ﴿ وكان ﴾ وصار ﴿ من الكافرين ﴾ باستكباره امر الله تعالى واستنكافه عن المطاوعة اوكان منهم فى علم الله تعالى ﴿ قال ياابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى ﴾ خلقته بنفسى من غير توسط كاب وام والتثنية لما فى خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل * وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعى للتعظيم اوبانه الذى تشبث به فى تركه سجوده وهو لا يصلح للمانعية اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص ﴿ أستكبرت أم كنت من العالين ﴾ تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين * وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار ﴿ قال أنا خير منه ﴾ ابداء للمانع وقوله ﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ دليل عليه وقد سبق الكلام فيه ﴿ قال فاخرج منها ﴾ من الجنة او السماء او من صورة الملائكة

فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر ﴾ أى تعظم ﴿ وكان من الكافرين قال ياابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى ﴾ اى توليت خلقه ﴿ استكبرت ﴾ أى تعظمت بنفسك عن السجود له ﴿ ام كنت من العالين ﴾ أى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله ﴿ قال أنا خير منه ﴾ يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال ﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ والنار اشرف من الطين وأفضل منه واخطأ ابليس فى القياس لان مآل النار الى الرماد الذى لا ينتفع به والطين اصل كل ماهو نام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة ﴿ قال فاخرج منها ﴾ أى من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التى كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته

فسجد الملائكة كلهم أجمعون) لآدم (الا ابليس استكبر) تعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) صار من الكافرين باباته عن أمر الله (قال) الله له (ياابليس) ياخبيث (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) صورت بيدى (أستكبرت) عن السجود لآدم (أم كنت من العالين) من المخالفين لامرى (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) فالنار تأكل الطين فلذلك لم أسجد له (قال) الله له (فاخرج منها) من صورة الملائكة ويقال من الارض

انما بالكسر على الحكاية ﴿ اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ﴾ بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم عليه السلام واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر فى البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة ﴿ فاذا سويته ﴾ عدلت خلقته ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته ﴿ فقعوا له ﴾ فخروا له ﴿ ساجدين ﴾ تكرمة وتبجيلا له وقدم

وتعالى فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله أتانى ربى فى أحسن صورة يحتمل وجهين أحدهما وأنا فى أحسن صورة كأنه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وانما التغير وقع بعد ذلك لشدة الوحى وثقله الوجه الثانى ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه فى أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال فى صفات الله تعالى انه جميل ومعناه أنه مجمل فى أفعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع الى صفاته العلية من التناهى فى العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع فى لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه احد حتى وجد برد النعمة والمعرفة فى قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما فى السموات وما فى الارض باعلام الله تعالى اياه وانما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو أليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان فى المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التأويل ورؤية البارئ عز وجل فى المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائى وسبب اختصام الملأ الاعلى وهم الملائكة فى الكفارات وهى الخصال المذكورة فى الحديث فى أيها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهى من باب تسمية الشئ باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم * قوله عز وجل ﴿ اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ﴾ يعنى آدم ﴿ فاذا سويته ﴾ أى أتممت خلقه ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ أضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الانسان سريان الضوء فى الفضاء وكسريان النار فى الفحم ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾

العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملأ الاعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم واذ يختصمون متعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لى من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم (اذ قال ربك) بدل من اذ يختصمون أى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة انى خالق بشرا من طين) وقال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (فاذا سويته) فاذا أتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحى) الذى خلقته وأضافه اليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى أحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا (له ساجدين) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية

الملائكة فقال اذكر يا محمد لهم (اذ قال) قد قال (ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) يعنى آدم (فاذا سويته) جمعت خلقه (ونفخت فيه من روحى) جعلت الروح فيه (فقعوا له) فخروا له (ساجدين) (فسجد)

ظرف لعلم ومتعلق به اومحذوف اذالتقدير من علم بكلام الملأ الاعلى ﴿ ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين ﴾ اى لانما كأنه لما جوز ان الوحى يأتيه بين بذلك ماهو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز أن يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ

وهوعلة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة ﴿ ان يوحى الى ﴾ أى انما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى الى ﴿ الا انما أنا نذير مبين ﴾ يعنى الا انما أنا نبى أنذركم وأبين لكم ماتأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى ربى فى أحسن صورة قال أحسبه قال فى المنام فقال يامحمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لاقال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى أوقال فى نحرى فعلمت مافى السموات ومافى الارض قال يامحمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم فى الكفارات والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يامحمد اذاصليت فقل اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفى رواية فقلت لبيك وسعديك فى المرتين وفيها فعلمت مابين المشرق والمغرب خراجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

فصل فى الكلام على معنى هذا الحديث

وللعلماء فى هذا الحديث وفى أمثاله من أحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهومذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولاتشبيه ولاتعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شئ وهوالسميع البصير المذهب الثانى هوتأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقى هذا حديث مختلف فى اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الحلاج عن عبدالرحمن بن عائش عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبدالله عن يحيى بن أبى كثير عن زيد بن سلام عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمى عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمى عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهوأبو سلام عن ابن السكسكى عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه أبو أيوب عن قلابة عن ابن عباس وقال فيه احسبه قال فى المنام ورواه قتادة عن أبى قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخارى عبدالرحمن بن عائش الحضرمى له حديث واحد الا انهم يضطربون فيه وهوحديث الرؤية قال البيهقى وقدروى من طرق كلها ضعيف وفى ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبدالله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما مايدل على ان ذلك كان فى المنام فاما تأويله فان الصورة هى التركيب والمصورهوالمركب ولايجوز أن يكون البارى تبارك وتعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصور مختلفة والهيآت متضادة ولايجوز اضافة ذلك اليه سبحانه

من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له الابالوحى من الله تعالى (ان يوحى الى الاانما أنانذير مبين) أى لانما أنانذير مبين ومعناه مايوحى الى الاللانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى مايوحى الى الاهذا وهوان أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى مأأومر الابهذا الامر وحده وليس لى غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية أى الا هذا القول وهوان أقول لكم انما أنانذير مبين ولا أدعى شيا آخر وقيل النبأ

يتسدفيها الآية (ان يوحى) مايوحى (الى الاانما أنانذير) رسول تخوف (مبين) بلغة تعلمونها ثم بين خصومة

ان يتكلموا به ثم بين ماهو فقال هو (تخاصم أهل النار) ولما شبه تقاولهم ومايجرى بينهم من السؤال والجواب بـ
[illegible] سماه تخاصما ولان قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول اتباعهم بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة
[illegible] لاشتماله على ذلك (قل) يامحمد لمشركى مكة (انما أنا منذر) ما أنا الا رسول منذر أنذر
عذاب [illegible] (ومامن

اله الا الله) وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله
وان تعتقدوا ان لا اله الا الله (الواحد) بلا ند ولا شريك (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض وما بينهما) له الملك والربوبية فى العالم كله (العزيز) الذى لا يغلب اذا عاقب (الغفار) لذنوب من التجأ اليه (قل هو) أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذرا وان الله واحد لاشريك له ([illegible]) [illegible] (ما [illegible] من علم بالملأ الاعلى) [illegible] (اذ يختصمون) احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملأ الاعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم ما لم يعلموا وهو الاخذ

صدق (تخاصم أهل النار) كلام أهل النار بالخصومة بعضهم مع بعض (قل) يامحمد لاهل مكة (انما انا منذر)

لا بد ان يتكلموا به ثم بين ماهو فقال ﴿ تخاصم اهل النار ﴾ وهو بدل من حق او خبر محذوف ، وقرئ بالنصب على البدل من ذلك ﴿ قل ﴾ يامحمد للمشركين ﴿ انما انا منذر ﴾ انذركم عذاب الله ﴿ ومامن اله الا الله الواحد ﴾ الذى لا يقبل الشركة والكثرة فى ذاته ﴿ القهار ﴾ لكل شئ ﴿ رب السموات والارض وما بينهما ﴾ منه خلقها واليه امرها ﴿ العزيز ﴾ الذى لا يغلب اذا عاقب ﴿ الغفار ﴾ الذى يغفر مايشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية مايشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار ﴿ قل هو ﴾ اى ماانبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذا صفته وانه واحد فى الوهيته وقيل مابعده من نبأ آدم عليه السلام ﴿ نبأ عظيم انتم عنه معرضون ﴾ لتمادى غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ﴿ ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ﴾ فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على [illegible] والكتاب [illegible] من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحى واذ

[illegible] ذلك بقوله تعالى ﴿ تخاصم أهل النار ﴾ أى فى النار وانما سماه تخاصما [illegible] عبادة الاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لا مرحبا بكم [illegible] خصومة ﴿ قوله عز وجل ﴿ قل ﴾ أى يامحمد لمشركى مكة ﴿ انما أنا منذر ﴾ أى مخوف ﴿ ومامن اله الا الله الواحد ﴾ يعنى الذى لا شريك له فى ملكه ﴿ القهار ﴾ أى الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى ﴿ رب السموات والارض ومابينهما العزيز الغفار ﴾ فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بأنه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم ﴿ قل هو نبأ عظيم ﴾ يعنى القرآن قاله ابن عباس وقيل يعنى القيامة ﴿ أنتم عنه معرضون ﴾ أى لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقى فى نبوتى وان ماجئت به لم أعلمه الا بوحى من الله تعالى ﴿ ما كان لى من علم بالملأ الاعلى ﴾ يعنى الملائكة ﴿ اذ يختصمون ﴾ يعنى فى شأن آدم حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا تمكن قلت لاشك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة

رسول مخوف (ومامن اله الا الله الواحد) بلا ولد ولا شريك (القهار) الغالب على خلقه (رب السموات) خالق (السموات والارض وما بينهما) من الخلق والعجائب (العزيز) هو العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به (الغفار) لمن تاب وآمن به (قل يامحمد [illegible] يعنى القرآن (نبأ) خبر (عظيم) كريم شريف فيه خبر الاولين والآخرين (أنتم عنه معرضون) مكذبون به تاركون له (ما [illegible] الاعلى) يعنى الملائكة [illegible] أكن رسولا (اذ يختصمون) اذ يتكلمون حين قالوا أتجعل فيها من

لدى دعوتم به علينا أنتم أحق به وعالوا ذلك بقوله (أنتم قدمتموه لنـا) والضمير للعذاب أو لصليهم أى انكم دعوتمونا اليـه فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) أى النار (قالوا) أى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا (فى النار) ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله (وقالوا) الضمير لرؤسـاء الكفرة (مالنـا لانرى رجالا) يعنون فقراء المسلمين (كنا نعدهم) فى الدنيـا (من الاشرار) من الارازل الذين لاخـير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخريا) بلفظ الاخبار عراقى غير عاصم على انه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على انه انكار على أنفسهم فى الاستسخار منهم سخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) هو متصل بقوله مالنا أى مالنا لانراهم فى النار كأنهم ليسوا فيهـا بل أزاغت عنهم أبصارنا فلانراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين ان يكونوا من أهل الجنة وبين ان يكونوا من أهل النار لانه خفى عليهم مكانهم (ان ذلك) الذى حكيناه عنهم (لحق) لصدق كائن لا محالة لابد

لا وسـع الله عليكم (أنتم قدمتموه) شرعتموه (لنا) هذا الدين فاقتدينا بكم (فبئس القرار) المنزل لنا ولكم (قالوا) الاول والآخر (ربنا) ياربنا (من قدم لنا) من شرع لنا (هذا) الدين يعنون ابليس وسائر الرؤساء (فزده عذابا ضعفا فى النار) مما علينا (وقالوا مالنا لانرى) فى النار (رجالا) يعنون فقراء المؤمنين (كنا نعدهم من الاشرار) من السفلة والفقراء (اتخذناهم سخريا) سخرناهم فى الدنيا (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) أبصارنا فلانراهم (ان ذلك) الذى ذكرت من خبر أهل النار (لحق)

بما قلتم اوقيل لنا اضلالكم واضلالكم كما قالوا ﴿ انتم قدمتموه لنـا ﴾ قدمتم العذاب او الصلى لنا باغوائنـا واغرائنا عـلى ماقدمناه من العقـائد الزائغة والاعمال القبيحـة ﴿ فبئس القرار ﴾ فبئس المقر جهنم ﴿ قالوا ﴾ اى الاتباع ايضا ﴿ ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفـا فى النار ﴾ مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴿ وقالوا ﴾ اى الطـاغون ﴿ مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار ﴾ يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم ﴿ اتخذناهم سخريا ﴾ صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى سخريا بالضم وقد سبق مثله فى المؤمنين ﴿ أم زاغت ﴾ مالت ﴿ عنهم الابصـار ﴾ فلا نراهم وام معادلة لما لنـا لانرى عـلى ان المراد نفى رؤيتهم لغيبتهم كأنهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصـارنا اولاتخذناهم على القراءة الثـانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهم على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ﴿ ان ذلك ﴾ اى الذى حكيناه عنهم ﴿ لحق ﴾

أتيت رحبا وسعة ﴿ أنتم قدمتموه لنا ﴾ يعنى وتقول الاتبـاع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر ﴿ فبئس القرار ﴾ أى فبئس دار القرار جهنم ﴿ قالوا ﴾ يعنى الاتباع ﴿ ربنا من قدم لنا هذا ﴾ أى شرعه وسنه لنا ﴿ فزده عذابا ضعفا فى النار ﴾ أى ضعف عليه العذاب فى النار قال ابن عباس حيات وأفاعى ﴿ وقالوا ﴾ يعنى كفـار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم فى النار ﴿ مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم ﴾ اى فى الدنيا ﴿ من الاشرار ﴾ يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمـان وانمـا سموهم أشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم ﴿ اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصـار ﴾ يعنى ان الكفار اذا دخلوا النـار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لانرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم الابصار أى أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم فى النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقيـل معناه ام كانوا خيرا منا ونحن لانعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم فى الدنيـا فلا نعدهم شيأ ﴿ ان ذلك ﴾ اى الذى ذكر ﴿ لحق ﴾

النائم (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أي هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدأ وحميم خبره وغساق عطف على الخبر فليذوقوه اعتراض أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق بالتشديد حمزة وعلي وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده (وآخر) أي وعذاب آخر أو مذوق آخر (من شكله) من مثل العذاب المذكور وأخر بصري أي ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق في الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم والاقتحام الدخول في الشيء بشدة والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) أي داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أي الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم) أي الدعاء

لقوله لهم من جهنم مهاد ﴿ هذا فليذوقوه ﴾ اى ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره ﴿ حميم وغساق ﴾ وهو على الاولين خبر محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائى وغساق بتشديد السين ﴿ وآخر ﴾ اى مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان واخر اى ومذوقات او انواع عذاب اخر ﴿ من شكله ﴾ من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهي لغة ﴿ ازواج ﴾ اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم ﴿ هذا فوج مقتحم معكم ﴾ حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها ﴿ لا مرحبا بهم ﴾ دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال منه اى مقولا فيهم لا مرحبا اى ما أتوا بهم رحبا وسعة ﴿ انهم صالوا النار ﴾ داخلون النار باعمالهم مثلنا ﴿ قالوا ﴾ اى الاتباع للرؤساء ﴿ بل انتم لا مرحبا بكم ﴾ بل انتم احق

﴿ هذا فليذوقوه حميم وغساق ﴾ معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين في جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه ﴿ وآخر من شكله ﴾ أي مثل الحميم والغساق ﴿ أزواج ﴾ أي أصناف أخر من العذاب ﴿ هذا فوج مقتحم معكم ﴾ قال ابن عباس هو أن القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني جماعة الاتباع مقتحم معكم النار أي داخلوها كما دخلتموها أنتم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة ﴿ لا مرحبا بهم ﴾ أي الاتباع ﴿ انهم صالوا النار ﴾ أي داخلوها كما صليناها نحن ﴿ قالوا ﴾ أي قال الاتباع للقادة ﴿ بل أنتم لا مرحبا بكم ﴾ أي لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا وأهلا وسهلا أي

لهم النار (هذا) للكافرين (فليذوقوه) عذاب جهنم (حميم) ماء حار قد انتهى حره (وغساق) زمهرير يحرقهم كما تحرقهم النار (وآخر من شكله) من نحو الحميم والغساق (أزواج) ألوان العذاب فيدخلهم الله النار الاول فالاول فكلما دخلت أمة لعنت أختها التي دخلت قبلها فيقول الله لاول أمة دخلت النار (هذا فوج) جماعة (مقتحم) داخل (معكم) النار فيقول أول الامة لآخر الامة (لا مرحبا بهم) لا وسع الله عليهم (انهم صالوا النار) داخلوا النار (قالوا) آخر الامة (بل أنتم لا مرحبا بكم)

ال (جنات عدن) بدل من حسن مآب (مفتحة) حال من جنات لانها معرفة لاضافتها الى عدن وهو علم والعامل فيها ما فى
متقين من معنى الفعل (لهم الابواب) ارتفاع الابواب بانها فاعل مفتحة والعائد محذوف أى مفتحة لهم الابواب منها
فحذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى المأوى أى لهم أو أبوابها الا ان الاول أجود أو هى بدل من الضمير فى مفتحة وهو
ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الابواب وهو من بدل الاشتمال (متكئين) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة
فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) أى وشراب كثير فحذف اكتفاء بالاول (وعندهم قاصرات الطرف) أى قصرن
طرفهن على أزواجهن (أتراب) لدات اسنانهن كاسنانهم لان التحاب بين الاقران أثبت
كأن اللدات سمين أترابا
لان التراب مسهن فى وقت
واحد (هذا ما توعدون)
وبالياء مكى وأبو عمرو (ليوم
الحساب) أى ليوم تجزى
كل نفس بما عملت (أن هذا
لرزقنا ماله من نفاد) من انقطاع
والجملة حال من الرزق
والعامل الاشارة (هذا)
خبر والمبتدا محذوف أى
الامر هذا أو هذا كما ذكر
(وان للطاغين لشر مآب)
مرجع (جهنم) بدل منه
(يصلونها) يدخلونها (فبئس
المهاد) شبه ما تحتهم من
النار بالمهاد الذى يفترشه

﴿ جنات عدن ﴾ عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده وانتصب عنها ﴿ مفتحة لهم الابواب ﴾ على الحال والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف ﴿ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ﴾ حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير فى لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولا تحلل ثمه ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ لا ينظرن الى غير ازواجهن ﴿ اتراب ﴾ لدات لهم فان التحاب بين الاقران أثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم فى وقت واحد ﴿ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾ لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ﴿ ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ﴾ انقطاع ﴿ هذا ﴾ اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا ﴿ وان للطاغين لشر مآب جهنم ﴾ اعرابه ما سبق ﴿ يصلونها ﴾ حال من جهنم ﴿ فبئس المهاد ﴾ المهد والفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم

ثم ذكر ذلك فقال تعالى ﴿ جنات عدن مفتحة لهم الابواب ﴾ قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالامر يقال لها انفتحى انغلقى ﴿ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾ أى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن ﴿ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾ أى قيل للمؤمنين هذا ما توعدون أو قيل هذا ما يوعد به المتقون ﴿ ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ﴾ أى دائم ماله من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شئ عاد مثله فى مكانه * قوله تعالى ﴿ هذا ﴾ أى الامر الذى ذكرناه ﴿ وان للطاغين ﴾ يعنى الكافرين ﴿ لشر مآب ﴾ يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى ﴿ جهنم يصلونها ﴾ أى يدخلونها ﴿ فبئس المهاد ﴾ أى الفراش

(جنات عدن) معدن الانبياء
والصالحين (مفتحة لهم
الابواب) يوم القيامة
(متكئين فيها) جالسين على
السرر فى الحجال ناعمين فى
الجنة (يدعون فيها) يسألون
فى الجنة (بفاكهة) ألوان
الفاكهة (كثيرة وشراب) وألوان (قا و خا ٣٧ مس) الشراب (وعندهم) فى الجنة جوار (قاصرات الطرف)
غاضات العين قانعات بأزواجهن (أتراب) مستويات فى السن والميلاد يقول الله لهم (هذا ما توعدون) إذ أنتم فى الدنيا (ليوم
الحساب) يوم القيامة (ان هذا لرزقنا) اطعامنا ونعيمنا لهم (ماله من نفاد) من فناء و [illegible] (هذا) [illegible] (وان للطاغين)
للكافرين أبى جهل وأصحابه (لشر مآب) مرجع فى الآخرة (جهنم يصلونها) يدخلونها يوم القيامة (فبئس المهاد)
الفراش والقرار

النصب أو الرفع باضمار أعنى أوهى أو الجر على البدل من خالصة والمعنى انا أخلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعنى جعلناهم لنا خالصين بان جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويزهدونهم فى الدنيا كما هو ديدن الانبياء عليهم السلام أو معناه انهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى الله وينسون ذكرى الدنيا بخالصة ذكرى الدار على الاضافة مدنى ونافع وهى من اضافة الشئ الى ما يبينه لان الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى وذكرى مصدر مضاف الى المفعول أى باخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهى مضافة الى الفاعل أى بان خلصت لهم ذكرى الدار على انهم لايشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لاغير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا وهذا شئ قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم فى الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الاخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كاموات فى جمع ميت أو ميت (واذكر اسمعيل واليسع) كان حرف التعريف دخل على يسع (وذا الكفل وكل) التنوين عوض عن المضاف اليه أى وكلهم (من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب) أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع (ثم)

تذكرهم الآخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله تعالى والفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف هشام ونافع بخالصة الى ذكرى للبيان اولانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله ﴿ وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ﴾ لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم فى الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت اوميت ﴿ واذكر اسمعيل واليسع ﴾ هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام كما فى قوله ٭ رأيت الوليد بن اليزيد مباركا ٭ وقرأ حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع ﴿ وذا الكفل ﴾ ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من بنى اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة ﴿ وكل ﴾ اى وكلهم ﴿ من الاخيار هذا ﴾ اشارة الى ما تقدم من امورهم ﴿ ذكر ﴾ شرف لهم اونوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع فى بيان ما اعدلهم ولامثالهم فقال ﴿ وان للمتقين لحسن مآب ﴾ مرجع

فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة والى الله تعالى وقيل أخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم فى القلب وقيل أخلصناهم بافضل ما فى الآخرة ﴿ وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ﴾ يعنى من الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار ﴿ واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل ﴾ أى اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم ﴿ وكل من الاخيار ﴾ ٭ قوله عز وجل ﴿ هذا ذكر ﴾ أى الذى يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به ﴿ وان للمتقين لحسن مآب ﴾ أى حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه فى الآخرة

يقول بخالصة ذكر الله وذكر الآخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) المختارين فى الدنيا بالنبوة والاسلام الاخيار عند الله يوم القيامة (واذكر اسمعيل واليسع) ابن عم الياس (وذا الكفل) الذى كفل وضمن أشياء لقوم فوفاها ويقال تكفل لله بشئ فوفى ويقال كفل مائة نبى فكان يطعمهم حتى نجاهم الله من القتل وكان رجلا صالحا ولم يكن نبيا (وكل) كل هؤلاء (من الاخيار) عند الله (هذا ذكر) ذكر الصالحين ويقال فى هذا القرآن خبر الاولين والآخرين (وان للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (لحسن مآب) مرجع فى الآخرة ثم بين مستقرهم فى الآخرة فقال

مائة اذا برأ فحلل الله يمينه باهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها اياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة والسبب فى يمينه انها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام اذا قام (انا وجدناه) علمناه (صابرا) على البلاء نعم قد شكا الى الله مابه واسترحمه لكن الشكوى الى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثى وحزنى الى الله على انه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم أنه لوكان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان (نعم العبد) أيوب (أنه أواب واذكر عبادنا) عبدنا مكى (ابراهيم واسحق ويعقوب) فمن جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايد غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدى أو كان العمال جذما لا أيدى لهم وعلى هذا ورد قوله (أولى الايدى والابصار) أى أولى الاعمال الظاهرة والفكر الباطنة كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يتفكرون أفكار ذوى الديانات فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما (انا أخلصناهم) جعلناهم لنا خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لا شوب فيها (ذكرى الدار) ذكرى فى محل

وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى رخصة باقية فى الحدود ﴿ انا وجدناه صابرا ﴾ فيما اصابه فى النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه فى الدين ﴿ نعم العبد ايوب ﴾ ﴿ انه اواب ﴾ مقبل بشراشره على الله تعالى ﴿ واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب ﴾ وقرأ ابن كثير عبدنا على وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه ﴿ اولى الايدى والابصار ﴾ اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعمات ﴿ انا اخلصناهم بخالصة ﴾ جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لاشوب فيها هى ﴿ ذكرى الدار ﴾

مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فافتاه فى ضربها وسهل له الامر وأمره بان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث فى يمينه وهل ذلك لايوب خاصة أم لا فيه قولان أحدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبى رباح والثانى انه خاص بايوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد وأحمد لا يبر وقال أبو حنيفة والشافعى اذا ضربه ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية ﴿ انا وجدناه صابرا ﴾ أى على البلاء الذى ابتليناه به ﴿ نعم العبد انه أواب ﴾ ● قوله تعالى ﴿ واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب ﴾ أى اذكر صبرهم فابراهيم ألقى فى النار فصبر واسحق أضجع للذبح فى قول فصبر ويعقوب ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره فصبر ﴿ أولى الايدى ﴾ قال ابن عباس أولى القوة فى طاعة الله تعالى ﴿ والابصار ﴾ أى فى المعرفة بالله تعالى وقيل المراد باليد أكثر الاعمال وبالبصر أقوى الادراكات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوتان عالمية وعاملية وأشرف مايصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى وأشرف مايصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدى والابصار ﴿ انا أخلصناهم ﴾ أى اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين ﴿ بخالصة ذكرى الدار ﴾ قيل معناه أخلصناهم بذكرى الآخرة

قبل ذلك حلف بالله لئن شفاه الله ليجلدنها مائة جلدة فى سبب كلام تكلمت به لم يرض الله به (انا وجدناه صابرا) على البلاء (نعم العبد انه أواب) مطيع لله مقبل الى طاعة الله (واذكر عبادنا ابراهيم) خليل الرحمن (واسحق ويعقوب أولى الايدى) القوة فى العبادة لله (والابصار) فى الدين (انا أخلصناهم) اختصصناهم (بخالصة ذكرى الدار)

يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان ان الله لا يبتلى الانبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه انه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع أو رأى منكرا فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه (اركض برجلك) حكاية ما اجيب به أيوب عليه السلام أى أرسلنا اليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أى أضرب برجلك الارض وهى أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أى هذا ما تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله تعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله تعالى باعيانهم وزاده مثلهم (رحمة منا وذكرى لاولى الالباب) مفعول لهما أى الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء (وخذ) معطوف على اركض (بيدك ضغثا) حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به ولا تحنث) وكان حلف فى مرضه ليضربن امرأته

(اركض) اضرب (برجلك) على الارض فضرب فخرج منها عين فقال له جبريل (هذا مغتسل) غتسل منه فاغتسل منه فالتأم ما به ثم قال له اضرب ضربة اخرى فضرب فخرج منها عين اخرى فقال له جبريل (بارد وشراب) اى وهذا شراب بارد عذب اشرب منه فشرب فالتأم ما فى جوفه (ووهبنا له أهله) الذين أهلكناهم (ومثلهم معهم) فى الآخرة ويقال فى الدنيا (رحمة منا) نعمة منا عليه (وذكرى) عظة (لاولى الالباب) لذوى العقول من الناس (وخذ بيدك) يا أيوب (ضغثا) قبضة من سنبل فيها مائة سنبلة (فاضرب به) امرأتك رحمة بنت يوسف الصديق (ولا تحنث) لا تأثم فى يمينك وكان

وهو حكاية لكلامه الذى ناداه به ولولاهى لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه وكانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب اولانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم اولان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل ﴿ اركض برجلك ﴾ حكاية لما اجيب به اى اضرب برجلك الارض ﴿ هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ اى فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اى ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ﴿ ووهبنا له اهله ﴾ بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ﴿ ومثلهم معهم ﴾ حتى كان له ضعف ما كان ﴿ رحمة منا ﴾ لرحمتنا عليه ﴿ وذكرى لاولى الالباب ﴾ وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء الى الله فيما يحيق به ﴿ وخذ بيدك ضغثا ﴾ عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه ﴿ فاضرب به ولا تحنث ﴾ روى ان زوجته ليا بنت يعقوب عليه السلام

فى المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب ﴿ اركض ﴾ يعنى انه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض أى اضرب ﴿ برجلك ﴾ يعنى الارض ففعل فنبعت عين ماء عذب ﴿ هذا مغتسل بارد ﴾ أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الارض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان فى بطنه فذلك قوله عز وجل ﴿ وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا ﴾ أى انما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم ﴿ وذكرى لاولى الالباب ﴾ يعنى سلطنا البلاء عليه فصبر ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوى العقول والبصائر ﴿ وخذ بيدك ضغثا ﴾ أى ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان ﴿ فاضرب به ولا تحنث ﴾ وكان قد حلف أن يضرب امرأته

ويغوصون له فى البحر لاخراج اللؤلؤ وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين (وآخرين) عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل (مقرنين فى الاصفاد) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هذا) الذى اعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فاعط منه ما شئت من المنة وهى العطاء (أو أمسك) عن العطاء وكان اذا اعطى اجر وان منع لم يأثم بخلاف غيره (بغير حساب) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أى هذا عطاؤنا جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق او امسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب اى لا حساب عليك فى ذلك (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لزلفى اسم ان والخبر له والعامل فى عند الخبر (واذكر عبدنا ايوب) هو بدل من عبدنا او عطف بيان (اذ) بدل اشتمال منه (نادى ربه) دعاه (أنى مسنى) بانى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب (الشيطان بنصب) قراءة العامة بنصب يزيد تثقيل نصب بنصب كرشد ورشد يعقوب بنصب على أصل المصدر هبيرة والمعنى واحد وهو التعب والمشقة (وعذاب) يريد مرضه وما كان

﴿ وآخرين مقرنين فى الاصفاد ﴾ عطف على كل كأنه فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران فى الصفد وهو القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعده واوعده وفى ذلك نكتة ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ اى هذا الذى اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا ﴿ فامنن او امسك ﴾ فاعط من شئت وامنع من شئت ﴿ بغير حساب ﴾ حال من المستكن فى الامر اى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم فى القيد ﴿ وان له عندنا لزلفى ﴾ فى الآخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا ﴿ وحسن مآب ﴾ وهو الجنة ﴿ واذكر عبدنا ايوب ﴾ هو ابن عيص بن اسحق ﴿ اذ نادى ربه ﴾ بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له ﴿ انى مسنى ﴾ بانى مسنى وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها من الوصل ﴿ الشيطان بنصب ﴾ بتعب ﴿ وعذاب ﴾ الم

من استخرج اللؤلؤ من البحر ﴿ وآخرين ﴾ أى وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين ﴿ مقرنين فى الاصفاد ﴾ أى مشدودين فى القيود سخروا له حتى قرنهم فى الاصفاد ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ أى قلنا له هذا عطاؤنا ﴿ فامنن ﴾ أى أحسن الى من شئت ﴿ او أمسك ﴾ أى عمن شئت ﴿ بغير حساب ﴾ أى لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان أعطى أجر وان لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا فى أمر الشياطين يعنى هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وامسك أى احبس من شئت منهم فى العمل وقيل فى الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه ﴿ وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ لما ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه فى الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه فى الآخرة * قوله عز وجل ﴿ واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب ﴾ أى بمشقة ﴿ وعذاب ﴾ أى ضر وذلك

فى قعر البحر (وآخرين) من غيرهم (مقرنين) مصفدين مسلسلين (فى الاصفاد) فى اغلال الحديد وهم المردة من الشياطين الذين لا يبعثهم الى عمل الا انقلبوا (هذا عطاؤنا) ملكنا يا سليمان ملكناك على الشياطين (فامنن) على من شئت من المتمردين وخل سبيلهم من الغل (او امسك) احبس فى الغل (بغير حساب) من غير ان تحاسب وتأثم بذلك (وان له عندنا لزلفى) قربى فى الدرجات (وحسن مآب) مرجع فى الآخرة (واذكر عبدنا) اذكر لكفار مكة خبر عبدنا (أيوب اذ نادى ربه) دعا ربه (انى مسنى الشيطان) أصابنى من تسليطك الشيطان على (بنصب) تعب وعناء (وعذاب) بلاء ومرض فقال له جبريل يا أيوب

بصورة شيطان ... به صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فيه وفى نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطاردته فعلم ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لاروح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره ﴿ قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ﴾ لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى اولا ينبغى لاحد ان يسلبه منى بعد هذه السلبة اولا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ماليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لاان لايعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم مايجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وابوعمرو بفتح الياء ﴿ انك انت الوهاب ﴾ المعطى ماتشاء لمن تشاء ﴿ فسخرنا له الريح ﴾ فذللناها لطاعته اجابة لدعوته ، وقرئ الرياح ﴿ تجرى بامره رخاء ﴾ لينة من الرخاوة لاتزعزع اولا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد ﴿ حيث اصاب ﴾ راد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب ﴿ والشياطين ﴾ عطف على الريح ﴿ كل بناء وغواص ﴾ بدل منه

وقيل أناب الى الاستغفار وهو قوله ﴿ قال رب اغفرلى ﴾ أى سأل ربه المغفرة ﴿ وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ﴾ أى لايكون لاحد من بعدى وقيل لاتسلبنيه فى باقى عمرى وتعطيه غيرى كما سلبتنيه فيما مضى من عمرى ﴿ انك أنت الوهاب ﴾ فان قلت قول سليمان لا ينبغى لاحد من بعدى مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده فى ذلك أن لايسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فسأل شيأ يختص به كما روى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته فاردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا ❊ قوله تعالى ﴿ فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء ﴾ أى لينة ليست بعاصفة ﴿ حيث اصاب ﴾ أى حيث أراد ﴿ والشياطين ﴾ أى وسخرنا له الشياطين ﴿ كل بناء ﴾ أى يبنون له مايشاء ﴿ وغواص ﴾ يعنى يستخرجون له اللآلى من البحر وهو أول

عادة الانبياء عليهم السلام والصالحين فى تقديم الاستغفار على السؤال (لا ينبغى) لايتسهل ولايكون (لاحد من بعدى) أى دونى وبفتح الياء مدنى وأبوعمرو وانما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لاحسدا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولم يكن معجزة حتى يخرق العادات (انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح) الرياح أبوجعفر (تجرى) حال من الريح (بامره) بامر سليمان (رخاء) لينة طيبة لاتزعزع وهو حال من ضمير تجرى (حيث) ظرف تجرى (أصاب) قصد وأراد والعرب تقول أصاب الصواب فاخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح أى سخرنا له الشياطين (كل بناء) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ماشاء من الابنية (وغواص) أى

(قال رب اغفرلى) ذنبى (وهب لى ملكا لا ينبغى) لايصلح (لاحد من بعدى) ويقال لايسلب فيما بقى كما سلب المرة الاولى (انك انت الوهاب) بالملك والنبوة لمن شئت (فسخرنا له الريح) بعد ذلك (تجرى بامره) ام اتقه يقال اصاب ... (رخاء) لينة (حيث اصاب) اراد (والشياطين) وسخرنا له الشياطين (كل بناء وغواص) (من)

والقيناعلى كرسيه جسدا ثم اناب ﴾ واظهر ماقيل فيه ماروى مرفوعا انه قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاءالله فطاف عليهن فلم يحمل الاامرأة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لوقال ان شاءالله لجاهدوا فرسانا وقيل ولدله ابن فاجمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الاان القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها و كان لايرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لهـا صورته فكانت تغدو اليهـا وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف رضى الله عنه فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا و كانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها

الله عليك ففر سليمان الى الله تعالى تائبا وأعطى آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت فى يده فاقام آصف فى ملك سليمان بسيرته أربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره وأعاد الخاتم فى يده فثبت فهو الجسد الذى ألقى على كرسيه وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فاوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر فى امور عبادى فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه قال القاضى عياض وغيره من المحققين لايصح مانقله الاخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه وان الشياطين لايسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذى ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ماأخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تاتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاءالله فلم يقل ان شاءالله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الاامرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الله الذى نفسى بيده لو قال ان شاءالله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وفى رواية لاطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل ان شاءالله فلم يقل ونسى قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه وهى عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنى وقيل نسى ان يستثنى كما صح فى الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذى ألقى على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده أونخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل فى بعض مهماته اذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه فى ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل ﴿ وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ﴾ أى رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما

بعد ماملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه فى السحابة خوفا من مضرة الشياطين فالقى ولده ميتا على كرسيه فتنبه على زلته فى ان لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاءالله فطاف عليهن فلم تحمل الاامرأة واحدة جاءت بشق رجل فجئ به على كرسيه فوضع فى حجره فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاءالله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وأما ماروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود

(والقينا) اجلسنا (على كرسيه جسدا) شيطانا (ثم اناب) ثم رجع الى ملكه والى طاعة ربه وتاب من ذنبه

حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به فى ثيابه تذللا الى الله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له أم ولد يقال لها أمينة كان اذا دخل الخلاء أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان اسمه صخر المارد فى صورة سليمان لا تنكر منه شيأ فقال خاتمى أمينة فناولته اياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فاتى أمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمى قالت من أنت قال سليمان ابن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بنى اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون أى شئ يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوى الاخرى فيأكلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن فى داره ثم ان آصف وعظماء بنى اسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان فى تلك المدة فقال آصف يا معشر بنى اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم قالوا نعم فقال امهلونى حتى أدخل على نسائه فاسألهن هل أنكرن من خاصة أمره ما أنكرنا فى عامة الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من ابن داود ما أنكرنا فقلن أشده ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نساء نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم ان آصف خرج على بنى اسرائيل فقال ما فى الخاصة أشد مما فى العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه فى جوفها فاخذه وجعله فى يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف الذى كان دخل عليه لما كان أحدث فى داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين ان يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فأتى به فادخله فى جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذفوه فى البحر * وقيل فى سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام ان جرادة كانت أبر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان أخى بينه وبين فلان خصومة فاحب أن تقضى له فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله نعم وذكروا نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده واعاده فى يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فاتاه آصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك فى يدك ففر الى الله تائبا فانى أقوم مقامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب

للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى مافيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحبه شيأ من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ قالت انى أذكر أبى وأذكر ملكه وماكان فيه وما أصابه فيحزننى ذلك فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا أعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابنى ماتراه من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزنى وأن يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى فامر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التى كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه فى ولائدها فتسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع فى ملكه وتروح فى كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك آصف ابن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أى ساعة أراد دخول شئ من بيوته دخل حاضرا كان سليمان او غائبا فأتاه فقال يانبى الله كبر سنى ورق عظمى ونفد عمرى وقد حان منى الذهاب وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلمى فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير أمرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان أحكمك فى صغرك وأورعك فى صغرك وأفضلك فى صغرك وأحكم أمرك فى صغرك وأبعدك عن كل ما يكره الله تعالى فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى ملئ غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكرتنى جعلت تثنى على خيرا فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر عمرى فقال آصف ان غير الله يعبد فى دارك منذ أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال فى دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك ماقلت الذى قلت الا عن شئ بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهيرة فاتى بها وهى ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله تعالى

المشي عليه ﴿ ردوها على ﴾ الضمير للصافنات ﴿ فطفق مسحا ﴾ وأخذ يمسح بالسيف مسحا ﴿ بالسوق والاعناق ﴾ اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبالها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ماقبلها كمؤقن وعن ابى عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الالباس ﴿ ولقدفتنا سليمان

دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ﴿ ردوها على ﴾ أى ردوا الخيل على ﴿ فطفق مسحا بالسوق ﴾ جمع ساق ﴿ و الاعناق ﴾ أى جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك أسفا على مافاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها فى سبيل الله تعالى وكوى سوقها وأعناقها بكي الصدقة وحكى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال معنى ردوها على يقول بامر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على فردوها عليه فصلى العصر فى وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما أنه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر أنى لاأحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها على فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور الاول تشريفا لها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو الثانى انه أراد أن يظهر انه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها مايدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولايلزمنا شئ من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فاقولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان المقام الاول أن يدعى ان لفظ الآية لايدل على شئ من تلك الوجوه التى ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا ظهورا لايرتاب عاقل فيه المقام الثانى ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا أنه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات * قوله عز وجل ﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾ أى اختبرناه وابتليناه [illegible] سبب ذلك ماذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن

(ردوها على) أى [illegible] ردوا الشمس على لاصلى العصر فردت الشمس له وصلى العصر أو ردوا الصافنات (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) فجعل يمسح مسحا أى يمسح السيف بسوقها وهى جمع ساق كدار ودور وأعناقها يعنى يقطعها لانها منعته عن الصلاة تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع أطرافه بسيفه وقيل انما فعل ذلك كفارة لها أو شكرا لرد الشمس وكانت الخيل مأكولة فى شريعته فلم يكن اتلافا وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه

(ردوها على) مامر ض على فردوها (فطفق) عمد (مسحا بالسوق) ضرب سوقهن (والاعناق) واعناقهن ويقال فطفق مسحا بالسوق والاعناق حتى توارت بالحجاب حتى غابت الشمس وذهبت منه صلاة العصر فمن اجل ذلك فعل مافعل (ولقد فتناه) ابتلينا (سليمان) بذهاب ملكه اربعين يوما بقدر ماعبد فى بيته الصنم من كل يوم يوم

(الجياد) السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون في الهجان وانما هو في العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وروى ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها

أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله فبقي مائة فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أى آثرت حب الخير عن ذكر ربى كذا عن الزجاج فاحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وبمعنى على وسمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال أبو على أحببت بمعنى جلست من احباب البعير وهو بروكه حب الخير أى المال مفعول له مضاف الى المفعول (حتى توارت) الشمس (بالحجاب) والذى دل على ان الضمير

الا في العراب الخلص ﴿ الجياد ﴾ جمع جواد اوجود وهو الذى يسرع في جريه وقيل الذى يجود بالركض وقيل جمع جيد روى انه عليه الصلاة والسلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم يزل يعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وعن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى ﴿ فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى ﴾ اصل حببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ أحبا ، اى برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرا ابن كثير ونافع بفتح الياء ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ اى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة

الجياد ﴾ قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم ما أصاب وهو ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وقيل أنها كانت خيلا من البحر لها أجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التى هى الظهر وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فاقبل فضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقى منها مائة فرس فالذى فى أيدى الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك المائة فلما عقرها لله تعالى أبدله الله خيرا منها وأسرع وهى الريح

تجرى بامره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد قيل هى الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل أو يد وقيل الصافن القائم وجاء فى الحديث من سره أن يقوم له الناس صفوفا فليتبوأ مقعده من النار أى قياما الجياد أى الخيار السراع فى الجرى واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق ﴿ فقال انى أحببت حب الخير ﴾ أى آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود فى نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعنى المال ومنه الخيل التى عرضت عليه ﴿ عن ذكر ربى ﴾ يعنى صلاة العصر ﴿ حتى توارت ﴾ أى استترت الشمس ﴿ بالحجاب ﴾ أى ما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل

للشمس مرور ذكر العشى ولا بد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر أو الضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام

(الجياد) السراع ويقال الصافنات هو الفرس اذا قام بثلاث قوائم ورفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر (فقال انى احببت حب الخير) اخترت المال (عن ذكر ربى) على طاعة ربى (حتى توارت) الشمس (بالحجاب) بجبل قاف

(فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما (كتاب) أى هذا كتاب (أنزلناه اليك) يعنى القرآن (مبارك) صفة أخرى (ليدبروا آياته) وأصله ليتدبروا قرئ به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه

وضيعوا حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف احدى التاءين يزيد (وليتذكر أولو الالباب) وليتعظ بالقرآن اولو العقول (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أى سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف (انه أواب) وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا أى كثير الرجوع الى الله تعالى (اذ عرض عليه) على سليمان (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف حافر

﴿فويل للذين كفروا من النار﴾ بسبب هذا الظن ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض﴾ أم منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ كأنه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضيه الحكمة فيها او فى غيرها وذلك يستدعى ان تكون لهم حال اخرى يجازون فيها ﴿كتاب انزلناه اليك مبارك﴾ نفاع وقرئ بالنصب على الحال ﴿ليدبروا اياته﴾ ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك ﴿وليتذكر اولو الالباب﴾ وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثانى ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد﴾ اى نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله ﴿انه اواب﴾ رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له ﴿اذ عرض عليه﴾ ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور ﴿بالعشى﴾ بعد الظهر ﴿الصافنات﴾ الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد اورجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يكون

﴿فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض﴾ قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية ﴿أم نجعل المتقين﴾ يعنى الذين اتقوا الشرك وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ﴿كالفجار﴾ يعنى الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء فى الآخرة ﴿كتاب أنزلناه اليك﴾ أى هذا كتاب يعنى القرآن أنزلناه اليك ﴿مبارك﴾ أى كثير خيره ونفعه ﴿ليدبروا آياته﴾ أى ليتدبروا ويتفكروا فى أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه فى أوامره ونواهيه ﴿وليتذكر﴾ أى وليتعظ ﴿أولو الالباب﴾ أى ذوو العقول والبصائر * قوله تعالى ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات

(فويل) فشدة العذاب (للذين كفروا) بالبعث بعد الموت (من النار) فى النار (أم نجعل الذين آمنوا) محمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم وهو على ابن ابى طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحرث (كالمفسدين) كالمشركين (فى الارض) وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة (أم نجعل المتقين) الكفر والشرك والفواحش عليا وصاحباه (كالفجار) كالكفار عتبة وشيبة والوليد (الجياد) وهم الذين بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة فقتل على الوليد بن عتبة وقتل حمزة عتبة بن ربيعة وقتل عبيدة شيبة (كتاب) هذا كتاب (انزلناه اليك) انزلنا جبريل به اليك (مبارك) فيه المغفرة والرحمة لمن آمن به (ليدبروا آياته) لكى يتفكروا فى آياته (وليتذكر) لكى يتعظ (اولو الالباب) ذوو العقول من الناس (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب) مقبل الى الله والى طاعته (اذ عرض عليه بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الخيل العراب الخوالص

(ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) الى أستخلفناك على الملك فى الارض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أى بحكم الله ان كنت خليفة أو بالعدل (ولا تتبع الهوى) أى هوى النفس فى قضائك (فيضلك) الهوى (عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله) دينه لهم عذاب شديد (بما نسوا يوم الحساب) اى بنسيانهم يوم الحساب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق (باطلا) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم (ذلك) اشارة الى خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) الظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة فى خلق العالم

﴿ ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض ﴾ استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق ﴿ فاحكم بين الناس بالحق ﴾ بحكم الله ﴿ ولا تتبع الهوى ﴾ ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم الآخر قبل مسألته ﴿ فيضلك عن سبيل الله ﴾ دلائله التى نصبها على الحق ﴿ ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى ﴿ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ﴾ خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ﴿ ذلك ظن الذين كفروا ﴾ الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون

الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغى الى قراءته وقيل انها قالت ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك ✽ قوله عز وجل ﴿ ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض ﴾ أى لتدبر أمر الناس بامرنا فتحكم فيهم ﴿ فاحكم بين الناس بالحق ﴾ أى بالعدل ﴿ ولا تتبع الهوى ﴾ أى لا تمل مع ما تشتهى اذا خالف أمر الله تعالى ﴿ فيضلك عن سبيل الله ﴾ أى عن دين الله وطريقه ﴿ ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ أى بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل فى القضاء ✽ قوله تعالى ﴿ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ﴾ قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه وما خلقتهما عبثا لا لشئ ﴿ ذلك ظن الذين كفروا ﴾ يعنى أهل مكة هم الذين ظنوا انا خلقناهم لغير شئ وانه لا بعث ولا حساب

(ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) نبيا ملكا على بنى اسرائيل (فاحكم بين الناس بالحق) بالعدل (ولا تتبع الهوى) كما اتبعت فى بتشايع امرأة أوريا وكانت بنت عم داود (فيضلك عن سبيل الله) عن طاعة الله (ان الذين يضلون عن سبيل الله) عن طاعة الله (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) بما تركوا العمل ليوم الحساب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق والعجائب (باطلا) عبثا جزافا بلا أمر ولا نهى (ذلك ظن الذين كفروا) انكار الذين كفروا بالبعث بعد الموت

فتزوجها هو امرأة وريا والدلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا هذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ اي ما استغفر عنه ﴿ وان له عندنا لزلفى ﴾ لقربة بعد المغفرة ﴿ وحسن مآب ﴾ مرجع في الجنة

اي رجع ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ اي الذنب ﴿ وان له عندنا ﴾ اي يوم القيامة بعد المغفرة ﴿ لزلفى ﴾ اي لقربة ومكانة ﴿ وحسن مآب ﴾ اي حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته ويبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته ويبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب ويبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر ما ترى فلو عدل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يا رب غفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي واستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته في يده اليمنى فما رفع لها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا واستغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل

(فغفرنا له ذلك) أي زلته (وان له عندنا لزلفى) لقربى (وحسن مآب) مرجع وهو الجنة

(فغفرنا له ذلك) الذنب (وان له عندنا لزلفى) قربى في الدرجات (وحسن مآب) مرجع في الآخرة

﴿ واناب ﴾ ورجع الى الله بالتوبة واقصى مافى هذه القصة الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وماروى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وماقيل انه ارسل اورياء الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل

أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهى أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور الهى كيف تستتر الخطاؤن بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى سبحان خالق النور الهى اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور الهى أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودى ياداود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فاجيب فى غير ماطلب ولم يجب فى ذكر خطيئته بشئ فحزن حتى هاج ماحوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود أتاه نداء انى قد غفرت لك قال يارب كيف وأنت لا تظلم أحدا قال اذهب الى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى ياأوريا فقال من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال أنا داود قال ماجاء بك يانبى الله قال أسألك أن تجعلنى فى حل مما كان منى اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال بل عرضتنى للجنة فانت فى حل فاوحى الله تعالى اليه ياداود ألم تعلم أنى حكم عدل لا أقضى بالتعنت الا أعلمته انك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال أنا داود قال ماجاء بك يانبى الله أليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبى لم يعف عنى قال ياداود اعطيه يوم القيامة من الثواب مالم تر عيناه ولم تسمع أذناه فاقول له رضيت عبدى فيقول يارب من اين لى هذا ولم يبلغه عملى فاقول هذا عوض من عبدى داود فاستوهبك منه فيهبك لى قال يارب الآن قد عرفت انك غفرت لى فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا ﴿ واناب ﴾

(وأناب) ورجع الى الله بالتوبة وقيل انه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو مالا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع

(وأناب) أقبل الى الله بالتوبة والندامة

السجود ركوعا لانه مبدؤه اوخر للسجود راكعا اى مصليا كأنه احرم بركعتى الاستغفار

ساجدا بعدما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده

فصل

اختلف العلماء فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود فذهب الشافعى رحمه الله تعالى الى أنها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لانها توبة نبى فلا توجب سجدة التلاوة وقال أبو حنيفة هى من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان الركوع يقوم مقام السجود فى سجود التلاوة وعن أحمد فى سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس اسجد فى ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن أمر أن يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكرا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان فى يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس لسجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هى توبة نبى ولكنى رأيتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا أخرجه أبو داود قوله تشوف الناس يعنى تهيؤا وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله رأيتنى الليلة وأنا نائم كانى أصلى خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها تقول اللهم اكتب لى بها أجرا وحط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة أخرجه الترمذى قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة أولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهى خليت بينى وبين عدوى ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بى سبحان خالق النور الهى أنت خلقتنى وكان فى سابق علمك ما أنا اليه صائر سبحان خالق النور الهى الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهى بأى عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور الهى بأى قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهى من أين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهى أنا لا أطيق حر شمسك فكيف

بتلك الحكومة هل يتنبه بها ﴿ فاستغفر ربه ﴾ لذنبه ﴿ وخر راكعا ﴾ ساجدا على تسمية الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص عليه الله فى قصة داود وظن داود انما فتناه وليس فى قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وهذا هو الذى ينبغى أن يعول عليه من أمر داود قال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره ان الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا أنت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه أثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه القديم * فان قلت فى الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود أنما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك * قلت ليس فى هذه الالفاظ شئ مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الاخلاق والاوصاف وأسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين * فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان فى الآية * قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم فى هذه القصة الى أن داود عليه الصلاة والسلام مازاد على أن قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى أن تكون امرأة أوريا له فاتفق أن أوريا هلك فى الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى وقيل ان أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزنى فى الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما فى الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها فعوتب داود بسببين أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثانى اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله أعلم * وقوله عز وجل ﴿ فاستغفر ربه ﴾ أى سأل ربه الغفران ﴿ وخر راكعا ﴾ أى ساجدا عبر بالرجوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه راكعا

(فاستغفر ربه) زلته (وخر راكعا) أى سقط على وجهه ساجدا لله وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود فى الصلاة اذا نوى لان المراد مجرد ما يصلح تواضعا عند هذه التلاوة والركوع فى الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلاة

(فاستغفر ربه) من الذنب (وخر راكعا) ساجدا

﴿ وان كثيرا من الخلطاء ﴾ الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ﴿ ليبغى ﴾ ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله

اضرب عنك الهموم طارقها

وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة ﴿ بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم ﴾ اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجيب من قلتهم ﴿ وظن داود انما فتناه ﴾ ابتليناه بالذنب او امتحناه

﴿ وان كثيرا من الخلطاء ﴾ أى الشركاء ﴿ ليبغى بعضهم على بعض ﴾ أى يظلم بعضهم بعضا ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فانهم لا يظلمون احدا ﴿ وقليل ماهم ﴾ اى هم قليل وما صلة والمعنى الا الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما الى صاحبه وضحك وصعد الى السماء فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى ﴿ وظن داود ﴾ أى أيقن وعلم ﴿ انما فتناه ﴾ أى ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا فى صورتيهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود انه انما عنى به * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم فقطع على بنى اسرائيل أوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود ان الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ماشاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله يا داود عن الذى ارسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يارب فيقول الله تعالى فان لك فى الجنة ماشئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان دواد

فصل

فى تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وما ينسب اليه * اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب اليه ما لو نسب الى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب الى بعض أعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضى عياض لا يجوز أن يلتفت الى ما سطره الاخباريون من أهل

(وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء والاصحاب (ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وقليل ماهم) ما للابهام وهم مبتدأ وقليل خبره (وظن داود) أى علم وأيقن وانما استعيرله لان الظن الغالب يدانى العلم (انما فتناه) ابتليناه

(وان كثيرا من الخلطاء) من الشركاء والاخوان (ليبغى) يظلم (بعضهم على بعض الا الذين آمنوا) بالله (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (وقليل ماهم) ما لا يظلمون فخرجا من حيث دخلا (وظن داود) علم وأيقن بعد ذلك (أنما فتناه) ابتليناه بالذنب الذى كان منه

قبل ان التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة (ان هذا أخى) هو بدل من هذا أو خبر لان المراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة أو اخوة الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) ولى حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصويرا للمسئلة وفرضا لها لا يمتنع ان يفرض الملائكة فى أنفسهم كما تقول لى اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها ومالكما من الاربعين أربعة ولا ربعها (فقال أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما أكفل ماتحت يدى وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجعلها كفلى أى نصيبى (وعزنى) وغلبنى يقال عزه يعزه (فى الخطاب) فى الخصومة أى انه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب

مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى ووجه التمثيل ان مثلت قصة أورياء مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وانما كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كأنه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب وانما ظلم الآخر بعد مااعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم ويروى انه قال أنا أريد ان آخذها منه وأكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال ياداود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا و أنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ماوقع فيه

﴿ ان هذا اخى ﴾ بالدين او الصحبة ﴿ له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ﴾ هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء لى نعجة ﴿ فقال اكفلنيها ﴾ ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ماتحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى ﴿ وعزنى فى الخطاب ﴾ وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده اوفى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى على تخفيف عزبت ﴿ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ﴾ جواب قسم محذوف قصد به المبالغة فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه اوعلى تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمينه معنى الاضافة

﴿ ان هذا أخى ﴾ أى على دينى وطريقتى لا من جهة النسب ﴿ له تسع وتسعون نعجة ﴾ يعنى أمرأة ﴿ ولى نعجة واحدة ﴾ أى أمرءة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغى ﴿ فقال أكفلنيها ﴾ قال ابن عباس أى أعطنيها وقيل معناه انزل لى عنها وضمها الى واجعلنى كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها ﴿ وعزنى فى الخطاب ﴾ يعنى غلبنى وقهرنى فى القول لانه أفصح منى فى الكلام وان حارب كان أبطش منى لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لامر داود مع أورياء زوج المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولاورياء امرأة واحدة فضمها داود الى نسائه ﴿ قال ﴾ داود ﴿ لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ﴾ أى بضمها الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول

(ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة) امرأة (ولى نعجة) امرأة (واحدة فقال أكفلنيها) اعطنيها (وعزنى فى الخطاب) غلبنى فى الكلام وهذا مثل ضربه لداود لكى يفهم مافعل باوريا (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك) باخذ نعجتك (الى نعاجه) مع كثرة نعاجه

(اذ) بدل من الاولى (دخلوا على داود ففزع منهم) روى ان الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب فى غير يوم القضاء ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لايتركون من يدخل عليها (قالوا لاتخف خصمان) خبر مبتدأ محذوف اى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) تعدى وظلم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولاتجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق (واهدنا الى سواء الصراط) وارشدنا الى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى ان أهل

عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكان لهم عادة فى المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحى ان يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلته ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكى انه بعث مرة بعد مرة أوريا الى غزوة البلقاء وأحب ان يقتل ليتزوجها فلايليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وقال (ان) على رضى الله عنه من حدثكم بحديث دواد عليه السلام على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ماذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى اظهاره عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من

واذا الثانية فى قوله ﴿ اذ دخلوا على داود ﴾ بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ﴿ ففزع منهم ﴾ لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لايتركون من يدخل عليه فانه كان عليه الصلاة والسلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صور الانسان فى يوم الخلوة ﴿ قالوا لاتخف خصمان ﴾ نحن فوجان متخاصمان على تسمية صاحب الخصم خصما ﴿ بغى بعضنا على بعض ﴾ وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور ﴿ فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط ﴾ ولا تجر فى الحكومة وقرئ ولاتشطط اى لاتبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد ﴿ واهدنا الى سواء الصراط ﴾ الى وسطه وهو العدل

ان يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ماتقدم وقيل ان داود قال لبنى اسرائيل لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه أعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين وذلك فى يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فما شعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب ﴿ اذ دخلوا على داود ففزع منهم ﴾ أى خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال لهما من أدخلكما على ﴿ قالوا لاتخف خصمان ﴾ أى نحن خصمان ﴿ بغى بعضنا على بعض ﴾ أى تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضى بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لايبغى بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغى من أحدهما والمعنى رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر ﴿ فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط ﴾ أى لاتجر فى حكمك ﴿ واهدنا الى سواء الصراط ﴾ أى ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال أحدهما

(اذ دخلوا على داود ففزع منهم) داود (قالوا) يعنى الملكين اللذين دخلا عليه يا داود (لاتخف خصمان) نحن خصمان (بغى) تطاول وظلم (بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق) بالعدل (ولاتشطط) لاتمل ولاتجر (واهدنا الى سواء الصراط) دلنا الى الصواب

واذ متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا اوبالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم اوبالخصم لما فيه من معنى الفعل لاباتى لان اتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ

الله به دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بنى اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها له فابصر امرأة في بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هى نشابع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته ان ابعث أوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لايحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه فبعثه فقتل المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى أم سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل ان داود أحب ان يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير أن الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لانه رغبة في الدنيا وازدياد من النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان داود انه كان جزأ الدهر أجزاء يوما للنساء ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بنى اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لايصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود في نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق عليه الابواب وأمر أن لايدخل عليه أحد وأكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ اذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان داود عليه السلام مازال يجتهد في العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم قال اخبرونى بأى شئ أنتم موكلون قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال في نفسه ليت شعرى كيف اكون لو خلونى ونفسى وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله تعالى الى الملكين ان يعتزلاه ليعلم انه لاغنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد في العبادة الى ان ظن انه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى

الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) على القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو تمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من

يخاطب به لايلتبس عليه وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن على رضى الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبى هو قوله أما بعد وهو اول من قال أما بعد فان من تكلم فى الامر الذى له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لانه مصدر فى الاصل تقول خصمه خصما وانتصاب (اذ) بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد

﴿ وفصل خطاب ﴾ وفصل الخطاب تمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فصل لانزر ولاهذر ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم ﴾ استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع ﴿ اذ تسوروا المحراب ﴾ اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام

﴿ وفصل الخطاب ﴾ قال ابن عباس يعنى بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال على بن أبى طالب هو أن البينة على المدعى واليمين على من أنكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبى بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد اذا أراد الشروع فى كلام آخر وأول من قاله داود عليه الصلاة والسلام ❁ قوله عز وجل ﴿ وهل أتاك ﴾ أى وقد أتاك يا محمد ﴿ نبأ الخصم ﴾ أى خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع ﴿ اذ تسوروا المحراب ﴾ أى صعدوا وعلوا المحراب أى البيت الذى كان يدخل فيه داود ويشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى أنهم أتوا المحراب من سوره وهو أعلاه وفى الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام واختلف العلماء باخبار الانبياء فى سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لايليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها وأما ما قاله المفسرون فهو ان داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وذلك أنه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب وابتلينى بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذى وعده

(وفصل الخطاب) القضاء كان لا يتعتع فى الكلام عند القضاء يقضى بالبينة واليمين البينة على الطالب واليمين على المطلوب (وهل أتاك) ما أتاك ثم أتاك يا محمد (نبأ الخصم) خبر الخصم خصم داود (اذ تسوروا المحراب) نزلوا عليه من فوق المحراب

لنهار والعشى وقت العصر الى الليل والاشراق وقت الاشراق وهو حين تشرق

تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق ✻ وعن ام هانئ انه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية ﴿ والطير محشورة ﴾ اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر ﴿ كل له اواب ﴾ كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ماقبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح ﴿ وشددنا ملكه ﴾ وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت انى قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ النبوة او كمال العلم واتقان العمل

بهذه الآية لاأدرى ماهى حتى حدثتنى أم هانئ بنت أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال ياأم هانئ ان هذه صلاة الاشراق قلت والذى أخرجاه فى الصحيحين من حديث أم هانئ فى صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أنا أم هانئ بنت أبى طالب فقال مرحبا ياأم هانئ فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت أم هانئ وذلك ضحى ✻ ولهما عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال ماحدثنا أحد انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى غير أم هانئ فانها قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير انه يتم الركوع والسجود ✻ قوله تعالى ﴿ والطير ﴾ أى وسخرنا له الطير ﴿ محشورة ﴾ أى مجموعة اليه تسبح معه ﴿ كل له أواب ﴾ أى رجاع الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه ﴿ وشددنا ملكه ﴾ أى قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروى عن ابن عباس أن رجلا من بنى اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان هذا غصبنى بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر فى أمركما فأوحى الله الى داود فى منامه أن يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتثبت فأوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فارسل اليه داود فقال ان الله عز وجل أوحى الى أن أقتلك فقال تقتلنى بغير بينة فقال داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لاتعجل حتى أخبرك انى والله ماأخذت بهذا الذنب ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك أخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ يعنى النبوة والاصابة فى الامور

الشمس اى تضئ وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية (والطير محشورة) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه (وآتيناه الحكمة) الزبور وعلم

(والطير) وسخرنا له الطير (محشورة) مجموعة (كل له) الطير والجبال (اواب) لله مطيع (وشددنا ملكه) بالحرس وكان يحرس كل ليلة محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل (وآتيناه) وأعطيناه (الحكمة) النبوة

وترداد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) حظنا من الجنة لانه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منه أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب واصل القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس (قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) فيك وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم (واذكر عبدنا داود) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من عتاب الله ما لقى (ذا الايد) ذا القوة فى الدين وما يدل على ان الايد القوة فى الدين قوله (انه أواب) أى رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لذى الايد روى انه كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل (انا سخرنا) ذللنا (الجبال معه) قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا أراد سيرها الى حيث يريد (يسبحن) فى معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال (بالعشى والاشراق) أى فى طرفى

اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائى بالضم وهما لغتان ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾ قسطنا من العذاب الذى توعدنا به او الجنة التى تعد المؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها ﴿قبل يوم الحساب﴾ استعجلوا ذلك استهزاء ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود﴾ واذكر لهم قصته تعظم المعصية فى اعينهم فانه مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال ﴿ذا الايد﴾ ذا القوة يقال فلان ايد وذو أيد وذو آد وأياد بمعنى ﴿انه اواب﴾ رجاع الى مرضاة الله وهو تعليل الايد دليل على ان المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل ﴿انا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾ قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال ﴿بالعشى والاشراق﴾ ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى

والمعنى ان تلك الصيحة التى هى ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾ أى حظنا ونصيبنا من الجنة التى تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحرث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعنى كتابنا والقط الصحيفة التى احصت كل شئ قيل لما نزلت فى الحاقة فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من اوتى كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا فى الدنيا ﴿قبل يوم الحساب﴾ وقيل قطنا أى حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿اصبر على ما يقولون﴾ أى على ما يقول الكفار من التكذيب ﴿واذكر عبدنا داود ذا الايد﴾ قال ابن عباس ذا القوة فى العبادة (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود وكان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة فى الملك ﴿انه أواب﴾ أى رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح بلغة الحبشة ﴿انا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾ أى بتسبيحه اذا سبح ﴿بالعشى والاشراق﴾ أى غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس فى قوله بالعشى والاشراق قال كنت أمر

(وقالوا) يعنى كفار مكة حين ذكر الله فى كتابه فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه بشماله (ربنا) (بهذه) يا ربنا (عجل لنا قطنا) يعنون كتابنا أى صحيفة أعمالنا (قبل يوم الحساب) حتى نعلم ما فيها (اصبر) يا محمد (على ما يقولون) من التكذيب (واذكر عبدنا داود) يقول اذكر لهم خبر عبدنا داود (ذا الايد) ذا القوة بالعبادة (انه أواب) مطيع لله مقبل الى طاعة الله (انا سخرنا) ذللنا (الجبال معه يسبحن) معه (بالعشى والاشراق) غدوة وعشية

تادوحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة اوتاد فى يديه ورجليه (وثمود) وهم قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الايكة) الغيضة شعيبا (أولئك الاحزاب) أراد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب (ان كل الا كذب الرسل) ذكر تكذيبهم أولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها وبين المكذب وهم الرسل وذكر ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لان فى تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وابلغه ثم قال (فحق عقاب) أى فوجب لذلك ان أعاقبهم حق عقابهم عذابى وعقابى فى الحالين يعقوب (وما ينظر هؤلاء) وما ينتظر أهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب (الاصيحة واحدة) أى النفخة الاولى وهى الفزع الاكبر (مالها من فواق) وبالضم حمزة وعلى أى مالها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب أى اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر (قا و خا ٣٤ مس) من الزمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما مالها من رجوع

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • فى ظل ملك ثابت الاوتاد

مأخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده اوذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت ﴿ وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة ﴾ واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب ﴿ اولئك الاحزاب ﴾ يعنى المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ﴿ ان كل الا كذب الرسل ﴾ بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه ﴿ فحق عقاب ﴾ وهو اما مقابلة الجمع بالجمع اوجعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم ﴿ وما ينظر هؤلاء ﴾ وما ينتظر قومك اوالاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر اوحضورهم فى علم الله تعالى ﴿ الا صيحة واحدة ﴾ هى النفخة ﴿ مالها من فواق ﴾ من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين اورجوع وترداد فان فيه يرجع

قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو فى عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • فى ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو قوة وأصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ذو الجنود والجموع الكثيرة يعنى انهم يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوى الوتد الشئ وسميت الاجناد أوتادا لكثيرة المضارب التى كانوا يضربونها ويوتدونها فى أسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وأحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه ﴿ وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ﴾ أى الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله تعالى ان مشركى قريش حزب من أولئك الاحزاب ﴿ ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ﴾ يعنى ان أولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب وفى الآية زجر وتخويف للسامعين ﴿ وما ينظر ﴾ أى تنتظر ﴿ هؤلاء ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ الا صيحة واحدة مالها من فواق ﴾ أى رجوع

ويقال صاحب العذاب بالاوتاد وانما سمى ذا أوتاد لانه كان اذا غضب على أحد وتده بأربعة أوتاد (وثمود) قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الايكة) الغيضة وهم قوم شعيب كذبوا شعيبا (أولئك الاحزاب) الكفار (ان كل الا كذب الرسل) يقول كل هؤلاء كذبوا الرسل كما كذبك قريش (فحق عقاب) فوجبت عليهم عقوبتى (وما ينظر هؤلاء) قومك ان كذبوك (الا صيحة واحدة) لا تثنى وهى نفخة البعث (مالها من فواق) من نظرة ولا رجعة

العزيز الوهاب) يعنى ماهم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد وانما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ماتقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) حتى يتكلموا فى الامور الربانية والتدابير الالهية اى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة (فليرتقوا فى الاسباب) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها الى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى الى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله (جند) مبتدأ (ما) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هنالك) اشارة الى بدر ومصارعهم أوالى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدا (مهزوم) مكسور (من الاحزاب) متعلق بجند أو بمهزوم يريد ماهم الا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب فلاتبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون (كذبت قبلهم) قبل اهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) موسى (ذوالاوتاد) قيل كانت له

العزيز الوهاب ﴾ بل اعندهم خزائن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لامانع له فانه العزيز الغالب الذى لايغلب الوهاب الذى له ان يهب كل مايشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ﴿ أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما ﴾ كأنه لما انكر عليهم التصرف فى نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التى لانهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى امر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها ﴿ فليرتقوا فى الاسباب ﴾ جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية ﴿ جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب ﴾ اى هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية أو فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيأ ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لايلائم مابعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد ﴾ ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله

﴿ العزيز ﴾ أى فى ملكه ﴿ الوهاب ﴾ الذى وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما ﴾ اى ليس لهم ذلك ﴿ فليرتقوا فى الاسباب ﴾ يعنى ان ادعوا شيأ من ذلك فليصعدوا فى الاسباب التى توصلهم الى السماء وليأتوا منها بالوحى الى من يختاروا وقيل اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز ﴿ جند ماهنالك ﴾ أى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ماهنالك ﴿ مهزوم ﴾ أى مغلوب ﴿ من الاحزاب ﴾ يعنى ان قريشا من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ﴾

العزيز الوهاب) يقول أبأيديهم النبوة والكتب فيعطون من شاؤا وهو العزيز بالنقمة لمن لايؤمن الوهاب وهب النبوة والكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم) ألهم (ملك السموات والارض) قدرة على السموات والارض (وما بينهما) من الخلق والعجائب (فليرتقوا) فليصعدوا (فى الاسباب) فى أبواب السموات ان كانت لهم مقدرة ذلك فلينظروا أأنزل عليه النبوة والكتاب أم لا (جند) هم جند (ماهنالك) عندما أرادوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر (مهزوم) مقتول مغلوب فقتلوا يوم بدر (من الاحزاب) من الكفار كفار مكة (كذبت قبلهم) قبل قومك يا محمد (قوم نوح) نوحا (وعاد) قوم هود هودا (وفرعون) موسى (ذوالاوتاد) صاحب الملك الثابت

منطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول (واصبروا على) عبادة (آلهتكم ان هذا) الامر (لشئ يراد) أي يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر أو أن هذا الامر لشئ من نوائب الدهر

يراد بنا فلا انفكاك لنا منه (ماسمعنا بهذا) بالتوحيد (في الملة الآخرة) في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا (ان هذا) ما هذا (الا اختلاق) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) أنكروا أن يختص بالشرف من بين اشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بل هم في شك من ذكرى) من القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) بل هم لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ أي انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ (أم عندهم خزائن رحمة ربك

بعضهم لبعض امشوا ﴿ واصبروا ﴾ واثبتوا ﴿ على آلهتكم ﴾ على عبادتها فلا ينفعكم كلامه وان هي المفسرة لان الانطلاق من مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اى اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ﴿ ان هذا لشئ يراد ﴾ ان هذا الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذى يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم لشئ يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه ﴿ ماسمعنا بهذا ﴾ بالذى يقوله ﴿ فى الملة الآخرة ﴾ فى الملة التى ادركنا عليها آباءنا او فى ملة عيسى عليه السلام التى هى آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان تكون حالا من هذا اى ماسمعنا من أهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا فى الملة المترقبة ﴿ ان هذا الا اختلاق ﴾ كذب اختلقه ﴿ أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ انكار لاختصاصه بالوحى وهو مثلهم او ادون منهم فى الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوى ﴿ بل هم فى شك من ذكرى ﴾ من القرآن او الوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس فى عقيدتهم مايبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك

﴿ واصبروا على آلهتكم ﴾ أى اثبتوا على عبادة آلهتكم ﴿ ان هذا لشئ يراد ﴾ أى لامر يراد بنا وذلك ان عمر رضى الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذى نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشئ يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا ﴿ ماسمعنا بهذا ﴾ أى بالذى يقوله محمد من التوحيد ﴿ فى الملة الآخرة ﴾ قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهى دينهم الذى هم عليه ﴿ ان هذا الا اختلاق ﴾ أى كذب وافتعال ﴿ أأنزل عليه الذكر ﴾ أى القرآن ﴿ من بيننا ﴾ أى يقول أهل مكة ليس هو باكبرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى ﴿ بل هم فى شك من ذكرى ﴾ أى وحيي وما أنزلت ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ أى لو ذاقوه لما قالوا هذا القول ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك ﴾ يعنى مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا

(واصبروا على آلهتكم) اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا لشئ) يعنون محمدا عليه السلام (يراد) أن يهلك ويقال ان هذا الذى يقول محمد عليه السلام لشئ يراد يكون بأهل الارض (ماسمعنا بهذا) لذى يقول محمد عليه السلام (فى الملة الآخرة) فى الملة اليهودية والنصرانية يعنون لم نسمع من اليهود ولا النصارى ان الاله واحد (ان هذا) ماهذا الذى يقول محمد عليه السلام (الا اختلاق) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (أأنزل عليه الذكر من بيننا) أخص بالنبوة والكتاب من بيننا (بل هم) كفار مكة (فى شك من ذكرى) من كتابى ونبوة نبيي (بل لما يذوقوا عذاب) لم يذوقوا عذابى فمن ذلك يكذبون على (أم عندهم خزائن رحمة ربك

هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذ
القول لايجسر عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى اذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا
ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج وروى ان عمر رضى الله عنه لما أسلم فرح به
المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشو
الى أبى طالب وقالوا أنت
كبيرنا وقد علمت مافعل
هؤلاء السفهاء يريدون
الذين دخلوا فى الاسلام
وجئناك لتقضى بيننا وبين
ابن أخيك فاستحضر
أبو طالب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا ابن أخى
هؤلاء قومك يسألونك
السواء فلا تمل كل الميل
على قومك فقال عليه السلام
ماذا يسألونى فقالوا
ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا
وندعك والهك فقال
عليه السلام أتعطونى كلمة
واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم قالوا
نعم وعشرا أى نعطيكها
وعشر كلمات معها
فقال قولوا لا اله الا الله
فقاموا وقالوا أجعل الآلهة
الها واحدا أى أصيران هذا
لشئ عجاب أى بليغ فى العجب
وقيل العجيب ماله مثل والعجاب
مالا مثل له (وانطلق الملأ
منهم ان امشوا) وانطلق
اشراف قريش عن مجلس
أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وان بمعنى أى لان (و)

موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول ﴿ هذا ساحر ﴾ فيما يظهره معجزة ﴿ كذاب ﴾ فيما يقول على الله تعالى ﴿ أجعل الآلهة الها واحدا ﴾ بان جعل الالوهية التى كانت لهم لواحد ﴿ ان هذا لشئ عجاب ﴾ بليغ فى العجب فانه خلاف ماطبق عليه آباؤنا ومانشاهده من ان الواحد لايفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روى انه لما اسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا اباطالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وانما جئناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونى قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان اعطيتكم ماسألتم امعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك ﴿ وانطلق الملأ منهم ﴾ وانطلق اشراف قريش من مجلس ابى طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ان امشوا ﴾ قائلين

هذا ساحر كذاب ﴾ * قوله عز وجل ﴿ أجعل الآلهة الها واحدا ﴾ وذلك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة أمشوا الى أبى طالب فأتوا الى أبى طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وانما أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فأرسل اليه أبو طالب فدعاه فلما أتى النبى صلى الله عليه وسلم اليه قال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألونى قالوا ارفض آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد ﴿ ان هذا لشئ عجاب ﴾ أى عجب ﴿ وانطلق الملأ منهم ﴾ أى من مجلسهم الذى كانوا فيه عند أبى طالب ﴿ أن امشوا ﴾ أى يقول بعضهم لبعض امشوا

مكة (هذا) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (ساحر) يفرق بين الاثنين (كذاب) يكذب على الله (أجعل الآلهة الها واحدا) أيسعنا ويكفينا اله واحد فى حوائجنا كما يقول محمد عليه السلام (ان هذا) الذى يقول محمد عليه السلام (لشئ عجاب) عجيب (وانطلق الملأ) الرؤساء (منهم) من قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبى بن خلف الجمحى وأبو جهل بن هشام (أن امشوا) قال لهم أبو جهل أن امضوا الى آلهتكم

وتفاقهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوي العزة والشقاق (من قبلهم) من قبل قومك (من قرن) من امة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (ولات) هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم

يبرز الا أحد مقتضيها اما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وقوله (حين مناص) منجا منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص (وعجبوا أن جاءهم) من أن جاءهم (منذر منهم) رسول من أنفسهم ينذرهم يعني استبعدوا ان يكون النبي من البشر (وقال الكافرون

فيه بل الذين كفروا في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم النظر فيه ﴿كم اهلكنا من قبلهم من قرن﴾ وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا ﴿فنادوا﴾ استغاثة او توبة واستغفارا ﴿ولات حين مناص﴾ اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله

طلبوا صلحنا ولات اوان • فاجبنا ان لات حين بقاء

اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله • لولاك هذا العام لم احجج • اولان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله • العاطفون تحين لا من عاطف • والمطعمون زمان ما من مطعم •
والمناص المنجى من ناصه ينوصه اذا فاته ﴿وعجبوا ان جاءهم منذر منهم﴾ بشر مثلهم او امي من عدادهم ﴿وقال الكافرون﴾ وضع فيه الظاهر

الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز الآية ان الله تعالى أقسم بص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة في عزة أي حمية جاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ يعني من الامم الخالية ﴿فنادوا﴾ أي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة ﴿ولات حين مناص﴾ أي ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله عز وجل ولات حين مناص أي ليس الحين حين هذا القول ﴿وعجبوا﴾ يعني كفار مكة ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم ﴿وقال الكافرون

وعداوة وبهذا كان المقسم عليه كم أهلكنا من قبلهم) من قبل قريش (من قرن) من الامم الخالية (فنادوا ولات حين مناص) فنادتهم الملائكة عند هلاكهم ولات حين مناص أي ليس بحين حيلة ولا فرار فوقفوا حتى أهلكهم الله وقد كانوا قبل ذلك اذا قاتلوا عدوا نادى بعضهم بعضا مناص مناص يعنون حملة واحدة فينجو من نجا ويهلك من هلك واذا غلب العدو عليهم كانوا يبدرون بعضهم بعضا وينادون بعضهم بعضا مناص مناص بنصب الصاد أي فرارا فرارا فيفرون من القتال وهذه علامة كانت بينهم في القتال اذا أرادوا أن يحملوا على العدو أو يفروا من العدو فلما أراد الله هلاكهم نادتهم الملائكة ولات حين مناص أي ليس بحين حيلة ولا فرار (وعجبوا) قريش (أن جاءهم) بأن جاءهم (منذر) رسول مخوف (منهم) من نسبهم (وقال الكافرون) كفار

﴿ سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصري وست مدني ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال (والقرآن ذي الذكر) أي ذي الشرف انه لكلام معجز ويجوز ان يكون ص خبر مبتدأ محذوف على انه اسم للسورة كأنه قال هذه ص اي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال (بل الذين كفروا في عزة) تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها ص وهي كلها مكية آياتها ست وثمانون آية وكلماتها سبعمائة واثنان وثلاثون كلمة وحروفها ثلاثة آلاف وستة وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (ص) يقول ص والقرآن أي كرروا القرآن حتى تعلموا الايمان من الكفر والسنة من البدعة والحق من الباطل والصدق من الكذب والحلال من الحرام والخير من الشر ويقال ص صد عن الهدى صرف أهل مكة عن الحق والهدى ويقال أبو جهل ويقال ص صادق (الا ...) في قوله ويقال ص اسم من أسماء الله صادق ويقال قسم اقسم به (والقرآن) أقسم بالقرآن (ذي الذكر) ذي الشرف والبيان شرف من آمن به وبيان الاولين والآخرين (بل الذين كفروا) كفار مكة (في عزة) حمية وتكبر (وشقاق) خلاف

من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

﴿ سورة ص مكية وآيها ثمانون وثماني آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ص ﴾ قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين على تأويل الكتاب ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف ومذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد صلى الله عليه وسلم او للسورة خبرا لمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق او قوله ﴿ بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴾ اي ما كفر به من كفر لخلل وجده

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة ص ويقال انها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل ﴿ ص ﴾ قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ قال ابن عباس أي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص أقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الامر كما تقول الكفار دل على هذا المحذوف قوله تعالى ﴿ بل الذين كفروا ﴾ وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا ﴿ في عزة وشقاق ﴾ والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه ان كل

وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) وانما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصرون وهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة) أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد انه ما من عزة لاحد الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء (عما يصفون) من الولد والصاحبة والشريك (وسلام على المرسلين) عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء اشتملت السورة على ذكر ماقاله المشركون فى الله ونسبوه اليه عما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد عن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

صباحا وان وقعت فى وقت آخر ﴿ وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون ﴾ تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الآخرة ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ عما قاله المشركون فيه على ما حكى فى السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له اولمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله ٭ وعن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة ٭ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ

قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تأكيدا لوعيد العذاب فقال تعالى ﴿ وتول عنهم حتى حين ﴾ وقيل المراد من الآية الاولى ذكر أحوالهم فى الدنيا وهذه ذكر أحوالهم فى الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار ﴿ وأبصر ﴾ أى العذاب اذا نزل بهم ﴿ فسوف يبصرون ﴾ ثم نزه نفسه فقال تعالى ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾ أى الغلبة والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث ﴿ عما يصفون ﴾ أى عن اتخاذ الشركاء والاولاد ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ أى الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لان أعلى مراتب البشر ان يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا جرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ أى على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين ان يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه

يؤمنوا (وتول) أعرض (عنهم) يا محمد (حتى حين) الى وقت هلاكهم يوم بدر (وأبصر) اعلم (فسوف يبصرون) يعلمون ماذا يفعل بهم (سبحان ربك) نزه نفسه عن الولد والشريك (رب العزة) المنعة والقدرة (عما يصفون) يقولون من الكذب (وسلام) منا سلامة على المرسلين) بتبليغهم الرسالة (والحمد لله) الشكر والوحدانية لله بنجاة الرسل وهلاك قومهم (رب العالمين) سيد الانس والجن

فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهي كلمات لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة وعن الحسن ما غلب نبي في حرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهي المدة التي أمهلوا فيها أو الى يوم بدر أو الى فتح مكة (وأبصرهم) أي أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك وهو للوعيد لا للتبعيد أو انظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستعجلون) قبل حينه (فاذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فانكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في (قال)

اشرف الاذكار والمهيمن عليها ﴿ فسوف يعلمون ﴾ عاقبة كفرهم ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ أي وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى ﴿ انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ﴾ وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد ﴿ فتول عنهم ﴾ فاعرض عنهم ﴿ حتى حين ﴾ وهو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح ﴿ وابصرهم ﴾ على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كأنه قدامه ﴿ فسوف يبصرون ﴾ ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل ﴿ فاذا نزل بساحتهم ﴾ فاذا نزل العذاب بفنائهم بغتة شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اى العذاب ﴿ فساء صباح المنذرين ﴾ فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم منهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة

﴿ فسوف يعلمون ﴾ فيه تهديد لهم ✽ قوله تعالى ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم ﴿ انهم لهم المنصورون ﴾ أي بالحجة البالغة ﴿ وان جندنا ﴾ أي حزبنا المؤمنين ﴿ لهم الغالبون ﴾ أي لهم النصرة في العاقبة ﴿ فتول ﴾ أي أعرض ﴿ عنهم حتى حين ﴾ قال ابن عباس يعني الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى ان يأتيهم العذاب ﴿ وأبصرهم ﴾ أي اذا نزل بهم العذاب ﴿ فسوف يبصرون ﴾ أي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل ﴿ أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل ﴾ يعني العذاب ﴿ بساحتهم ﴾ أي بحضرتهم وقيل بفنائهم ﴿ فساء صباح المنذرين ﴾ أي فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب (ق) عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية

حين جاءهم (فسوف يعلمون) ماذا يفعل بهم عند الموت وفي القبر ويوم القيامة (ولقد سبقت) وجبت (كلمتنا) بالنصرة والدولة (لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون) بالحجة والعذر (وان جندنا) الرسل والمؤمنين (لهم الغالبون) بالحجة والمدد الى يوم القيامة (فتول) فاعرض يا محمد (عنهم) عن كفار مكة (حتى حين) الى وقت هلاكهم يوم بدر (وأبصرهم) أعلمهم عذاب الله (فسوف يبصرون) يعلمون ماذا يفعل بهم (أفبعذابنا يستعجلون) أفبمثل عذابنا يستعجلون قبل أجله (فاذا نزل بساحتهم) بقربهم (فساء صباح المنذرين) فبئس الصباح لمن أنذرتهم الرسل

لصفة مقامه (وانا لنحن الصافون) نصف أقدامنا فى الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وانا لنحن المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا

عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الا من كان من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة وما نحن الا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على لعباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى وما من المسلمين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه (وان كانوا ليقولون) أى مشركو قريش قبل مبعثه عليه السلام (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل

وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علمت الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ﴿وانا لنحن الصافون﴾ فى اداء الطاعة ومنازل الخدمة ﴿وانا لنحن المسبحون﴾ المنزهون لله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم فى الطاعات وهذا فى المعارف وما فى ان واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم فى الجنة او بين يدى الله فى القيامة وانا لنحن الصافون له فى الصلاة والمنزهون له عن السوء ﴿وان كانوا ليقولون﴾ اى مشركوا قريش ﴿لو ان عندنا ذكرا من الاولين﴾ كتابا من الكتب التى نزلت عليهم ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم ﴿فكفروا به﴾ أى لما جاءهم الذكر الذى هو

يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما فى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى أو يسبح ﴿ وروى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذى وهو طرف من حديث قيل الاطيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما فى السماء من الملائكة قد أثقلها حتى اطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم أى فى القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا ﴿ وانا لنحن الصافون ﴾ يعنى الملائكة صفوا أقدامهم فى عبادة الله تعالى كصفوف الناس فى الصلاة فى الارض ﴿ وانا لنحن المسبحون ﴾ اى المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا معبودين كما زعمت الكفار ﴿ قوله عز وجل ﴿وان كانوا ليقولون﴾ يعنى كفار مكة قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ لو أن عندنا ذكرا من الاولين ﴾ يعنى كتابا مثل كتاب الاولين ﴿ لكنا عباد الله المخلصين ﴾ أى لاخلصنا العبادة لله ﴿ فكفروا به ﴾ أى فلما أتاهم الكتاب كفروا به

(لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا (قا و خا ٣٣ مس) العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به

في السماء (وانا لنحن الصافون) في الصلاة (وانا لنحن المسبحون) المصلون (وان كانوا) وقد كان أهل مكة (ليقولون) قبل مجئ محمد صلى الله عليه وسلم اليهم (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) رسولا مثل رسل الاولين كما كان للاولين (لكنا عباد الله المخلصين) الموحدين (فكفروا به) بمحمد عليه السلام والقرآن

فولدت له الملائكة (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ماوقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبودكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله (بفاتنين) بمضلين (الا من هو صال الجحيم) بكسر اللام أى لستم تضلون أحدا الا أصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فانكم أيها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الاصنام ما أنتم على عبادة الاوثان بمضلين أحدا الا من قدر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل النار وقيل ما أنتم بمضلين الا من أوجبت عليه الضلال فى السابقة وما فى ما أنتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه ان يكون جمعا فحذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (ومامنا) أحد (الا له مقام معلوم) فى العبادة لايتجاوزه فحذف الموصوف وأقيمت

قالوا الله والشيطان اخوان ﴿ ولقد علمت الجنة انهم ﴾ ان الكفرة او الانس او الجنة ان فسرت بغير الملائكة ﴿ لمحضرون ﴾ فى العذاب ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ من الولد والنسب ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ استثناء من المحضرون منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون ﴿ فانكم وما تعبدون ﴾ عود الى خطابهم ﴿ ما انتم عليه ﴾ على الله ﴿ بفاتنين ﴾ مفسدين الناس بالاغواء ﴿ الا من هو صال الجحيم ﴾ الا من سبق فى علمه انه من اهل النار يصلاها لامحالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لمافيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اى انكم وآلهتكم قرناء لاتزالون تعبدونها ما انتم على ماتعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة الاضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك فى شائك او المحذوف منه كالمنسى كما فى قولهم ماباليت به بالة فان اصلها بالية كعافية ﴿ وما منا الا له مقام معلوم ﴾ حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى ما منا احد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله فى تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا

عن الابصار قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم أشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان ﴿ ولقد علمت الجنة انهم ﴾ يعنى قائلى هذا القول ﴿ لمحضرون ﴾ اى فى النار ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ نزه الله تعالى نفسه عما يقولون ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لايحضرون ﴿ فانكم ﴾ يعنى يا أهل مكة ﴿ وماتعبدون ﴾ اى من الاصنام ﴿ ما أنتم عليه ﴾ أى على ماتعبدون ﴿ بفاتنين ﴾ أى بمضلين أحدا ﴿ الا من هو صال الجحيم ﴾ أى الا من سبق له فى علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار ﴿ قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة ﴿ ومامنا الا له مقام معلوم ﴾ يعنى ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم ومامنا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم

نسبا حيث قالوا الملائكة بنات الله ويقال نزلت فى الزنادقة حيث قالوا ابليس لعنه الله مع الله شريك الله (يعبد) خالق الخير وابليس خالق الشر (ولقد علمت الجنة) الملائكة (انهم) يعنى كفار مكة بنى مليح (لمحضرون) معذبون فى النار (سبحان الله) نزه نفسه (عما يصفون) عما يقولون من الكذب (الا عباد الله المخلصين) فى العبادة والتوحيد فانهم لايكذبون على الله ويقال انهم محضرون لمعذبون الا عباد الله المخلصين المعصومين من الكفر والشرك والفواحش (فانكم) يا أهل مكة (وماتعبدون) من دون الله (ما أنتم عليه) على عبادته (بفاتنين) بمضلين (الا من هو صال الجحيم) داخل النار معكم وهو ابليس ويقال الا من قدرت عليه انه داخل النار معكم (ومامنا) قال جبريل عليه السلام ومامنا (الا له مقام معلوم) معروف

تعالى الاناث ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لانهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموا بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أو معناه انهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لافراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) فى قولهم (اصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص (أم لكم سلطان مبين) حجة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه) بين الله (وبين الجنة) الملائكة لاستتارهم (نسبا) وهو زعمهم انهم بناته أو قالوا ان الله تزوج من الجن

جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين فى قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر وهو التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله فى كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام على التقسيم ﴿أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون﴾ وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم ﴿ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله﴾ لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه ﴿وانهم لكاذبون﴾ فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اى الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿اصطفى البنات على البنين﴾ استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اى لكاذبون فى قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ﴿مالكم كيف تحكمون﴾ بما لا يرتضيه عقل ﴿أفلا تذكرون﴾ انه منزه عن ذلك ﴿ام لكم سلطان مبين﴾ حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذى انزل عليكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى دعواكم ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ يعنى الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل

والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذى يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق ﴿أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون﴾ أى حاضرون خلقنا اياهم ﴿الا انهم من افكهم﴾ أى من كذبهم ﴿ليقولون ولد الله﴾ اى فى زعمهم ﴿وانهم لكاذبون﴾ اى فيما زعموا ﴿أصطفى البنات﴾ أى فى زعمكم ﴿على البنين﴾ وهو استفهام توبيخ وتقريع ﴿مالكم كيف تحكمون﴾ أى بالبنات لله ولكم بالبنين ﴿أفلا تذكرون﴾ أى أفلا تتعظون ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ أى برهان بين على ان لله ولدا ﴿فأتوا بكتابكم﴾ يعنى الذى لكم فيه حجة ﴿ان كنتم صادقين﴾ أى فى قولكم ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ قيل أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم

لانفسكم (أم خلقنا الملائكة اناثا) كما تقولون (وهم شاهدون) حاضرون (الا انهم) أى ان الامر (من افكهم) كذبهم (ليقولون ولد الله) حيث قالوا الملائكة بنات الله (وانهم لكاذبون) فى مقالتهم (اصطفى البنات) أختار الاناث (على البنين) على الذكور (مالكم كيف تحكمون) بئسما تقضون لانفسكم ترضون لله ما لا ترضون لانفسكم (أفلا تذكرون) أفلا تتعظون بما تقولون (أم لكم) يا أهل مكة (سلطان مبين) كتاب بين فيه ان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) ان الملائكة بنات الله (وجعلوا) كفار مكة بنو مليح (بينه وبين الجنة نسبا) بين الله وبين الملائكة

عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز يتغطى بورقه ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره ﴿وارسلناه الى مائة الف﴾ هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ماسبق من ارساله اوارسال ثان اليهم اوالى غيرهم ﴿أو يزيدون﴾ فى مرأى الناظر اى اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو ﴿فآمنوا﴾ فصدقوه اوفجددوا الايمان بمحضره ﴿فمتعناهم الى حين﴾ الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبراء واولى العزم من الرسل اواكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة ﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون﴾ معطوف على مثله فى اول السورة امر رسوله صلى الله عليه وسلم اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام فى تقريره جاريا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث

القرع قيل ان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفى شجر القرع فائدة وهى ان الذباب لايجتمع عنده فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على ارض لم يمكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكي فارسل الله تعالى اليه جبريل وقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا ﴿وأرسلناه الى مائة ألف﴾ قيل أرسله الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه الى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر ان يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين ﴿أو يزيدون﴾ قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل أو على أصله والمعنى أو يزيدون فى تقدير الرائى اذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين الفا ويعضده ماروى عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعة وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا ﴿فآمنوا﴾ يعنى الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب ﴿فمتعناهم الى حين﴾ أى الى انقضاء آجالهم
* قوله عز وجل ﴿فاستفتهم﴾ أى فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾ وذلك ان جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله

وامتدادا وارتفاعا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس (وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به القوم الذين بعث اليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة (أو يزيدون) فى مرأى الناظر أى اذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فآمنوا) به وبما أرسل به (فمتعناهم الى حين) أى منتهى آجالهم (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا الله

لا يقوم على ساق فهو اليقطين (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) بل يزيدون عشرين ألفا (فآمنوا) به (فمتعناهم) فأجلناهم (الى حين) الى وقت الموت بلا عذاب (فاستفتهم) سل أهل مكة بنى مليح (ألربك البنات) الاناث (ولهم البنون) الذكور قالوا نعم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم أترضون لله مالا ترضون (والمعنى)

(فكان من المدحضين)المغلوبين بالقرعة(فالتقمه الحوت) فابتلعه (وهو مليم)داخل فى الملامة (فلولا انه كان من المسبحين)
من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح أو من القائلين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت
من الظالمين أو من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة ويقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وقد لبث فى بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما وعن الشعبى التقمه ضحوة ولفظه عشية (فنبذناه بالعراء) فالقيناه بالمكان الخالى الذى لاشجر فيه ولانبات (وهو سقيم) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى انه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد (وأنبتنا عليه شجرة) أى أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان (من يقطين) الجمهور على انه القرع وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وانه أسرع الاشجار نباتا

اهله ﴿ فكان من المدحضين ﴾ فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا له فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه فى الماء ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ فابتلعه من اللقمة ﴿ وهو مليم ﴾ داخل فى الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب ﴿ فلولا انه كان من المسبحين ﴾ الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او فى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين ﴿ للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ﴾ حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن اقبل عليه فى السراء اخذ بيده عند الضراء ﴿ فنبذناه ﴾ بان حملنا الحوت على لفظه ﴿ بالعراء ﴾ بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف فى مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون ﴿ وهو سقيم ﴾ مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد ﴿ وانبتنا عليه ﴾ اى فوقه مظلة عليه ﴿ شجرة من يقطين ﴾ من شجرة ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل

﴿ فكان من المدحضين ﴾ يعنى من المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة فى سورة يونس والانبياء ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ أى ابتلعه ﴿ وهو مليم ﴾ أى آت بما يلام عليه ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ أى من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا أنه كان من المسبحين ﴿ للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ﴾ وقيل لولا انه كان يسبح فى بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون أى لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة * قوله عز وجل ﴿ فنبذناه ﴾ أى طرحناه انما أضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان أعمال العباد كلها مخلوقة لله تعالى ﴿ بالعراء ﴾ أى بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل ﴿ وهو سقيم ﴾ اى عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة قيل انه لبث فى بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية ﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ يعنى

(فكان من المدحضين) من المقروعين ذهبى الحجة والقى نفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) السمكة (وهو مليم) لوم نفسه بما فر من قومه (فلولا انه كان من المسبحين) من المصلين من قبل ذلك (للبث فى بطنه) مكث فى بطن السمكة (الى يوم يبعثون) من القبور (فنبذناه) طرحناه (بالعراء) الصحراء على وجه الارض (وهو سقيم) مريض صار بدنه كبدن الطفل (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) من قرع وكل شئ

الآل (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) فى الباقين (ثم دمرنا) أهلكنا (الآخرين وانكم) يا اهل مكة (لتمرون عليهم مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) والوقف عليه مطلق (افلا تعقلون) يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم الى الشأم ليلا ونهارا أفما فيكم عقول تعتبرون بها وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق) الاباق الهرب الى حيث لا يهتدى اليه الطالب فسمى هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا مجازا (الى الفلك المشحون) المملوء وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهام والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة

ادريس النبى (انا كذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالقول والفعل والثناء الحسن (انه من عبادنا المؤمنين) المصدقين (وان لوطا لمن المرسلين) الى قومه (اذ نجيناه وأهله) بنتيه زاعورا وريثا (أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) (فكان) الامرأته المنافقة تخلفت مع المتخلفين بالهلاك (ثم دمرنا الآخرين) أهلكنا من بقى بعد لوط وابنتيه (وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم) على قريات لوط سدوم وعمورا وصبورا وداذوما (مصبحين) بالنهار (وبالليل أفلا تعقلون) أفلا تصدقون ما فعل بهم فلا تقتدوا بهم (وان يونس لمن المرسلين) الى قومه (اذ أبق) خرج من عند قومه ويقال فر من قومه (الى الفلك المشحون) الى السفينة الموقرة المجهزة (فساهم) فقارع فى السفينة

اضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ اذ الظاهر ان الضمير لالياس ﴿ وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين ﴾ سبق بيانه ﴿ وانكم ﴾ يا اهل مكة ﴿ لتمرون عليهم ﴾ على منازلهم فى متاجركم الى الشام فان سدوم فى طريقه ﴿ مصبحين ﴾ داخلين فى الصباح ﴿ وبالليل ﴾ اى ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أفليس فيكم عقل تعتبرون به ﴿ وان يونس لمن المرسلين ﴾ وقرئ بكسر النون ﴿ اذ ابق ﴾ هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه ﴿ الى الفلك المشحون ﴾ المملوء ﴿ فساهم ﴾ فقارع

وفيه بعد وقرئ الياسين بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المؤمنين ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ * قوله تعالى ﴿ وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ﴾ اى الباقين فى العذاب ﴿ ثم دمرنا ﴾ اى اهلكنا ﴿ الآخرين وانكم ﴾ اى يا اهل مكة ﴿ لتمرون عليهم ﴾ اى على آثارهم ومنازلهم ﴿ مصبحين ﴾ اى فى وقت الصباح ﴿ وبالليل ﴾ اى وبالليل فى اسفاركم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ اى فتعتبرون بهم * قوله عز وجل ﴿ وان يونس لمن المرسلين ﴾ اى من جملة رسل الله تعالى ﴿ اذ أبق ﴾ اى هرب ﴿ الى الفلك المشحون ﴾ اى المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس فقال انا الآبق وزج نفسه فى الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فاراد ان يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة اخرى فأخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فاخذ الابن الاصغر فبقى فريدا فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى ﴿ فساهم ﴾ أى فقارع

(اذ قال لقومه ألا تتقون) ألا تخافون الله (أتدعون) أتعبدون (بعلا) هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وأربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بك وهو من بلاد الشام وقيل في الياس والخضر انهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار والحسن ل قد هلك الياس والخضر ولانقول كما يقول الناس انهما حيان (وتذرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادة الله الذي هو أحسن المقدرين (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) بنصب الكل عراقي غير أبي بكر وأبي عمرو على البدل من أحسن وغيرهم بالرفع على الابتداء (فكذبوه فانهم لمحضرون) في النار (الا عباد الله المخلصين) من قومه (وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين) أي الياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون يعني أبا خبيب عبدالله ابن الزبير وقومه آل ياسين شامي ونافع لان ياسين اسم أبي الياس فاضيف اليه

﴿اذ قال لقومه ألا تتقون﴾ عذاب الله ﴿أتدعون بعلا﴾ أتعبدونه او أتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك بالشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى أتدعون بعض البعول ﴿وتذرون احسن الخالقين﴾ وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله ﴿الله ربكم ورب آبائكم الاولين﴾ وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل ﴿فكذبوه فانهم لمحضرون﴾ اى في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة اولان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا ﴿الا عباد الله المخلصين﴾ مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى ﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين﴾ لغة في الياس كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن ينافيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على

عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله عزوجل على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته اربيل في الجنينة التي اغتصبتها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرائيل واوحى اليه وايده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع روى السدي عن يحيى بن عبدالعزيز عن ابي رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين ﴿اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا﴾ يعني أتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة اهل اليمن ﴿وتذرون﴾ اى وتتركون عبادة ﴿احسن الخالقين﴾ فلا تعبدونه ﴿الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون﴾ اى في النار ﴿الا عباد الله المخلصين﴾ اى من قومه الذين آمنوا به فانهم نجوا من العذاب ﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين﴾ قرئ آل ياسين بالقطع قيل أراد آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان ياسين من أسماء القرآن

الى قومه (اذ قال لقومه الا تتقون) عبادة غير الله (أتدعون بعلا) أتعبدون ربا من دون الله ويقال ثورا ويقال كان لهم صنم طوله ثلاثون ذراعا وله أربعة أوجه يقال له بعل (وتذرون أحسن الخالقين) تتركون عبادة أعظم الخالقين فلا تعبدونه (الله ربكم) هو خالقكم (ورب آبائكم) خالق آبائكم (الاولين) قبلكم (فكذبوه) بالرسالة (فانهم لمحضرون) لمعذبون في النار (الا عباد الله المخلصين) في العبادة والتوحيد فانهم ليسوا كذلك (وتركنا عليه) على الياس ثناء حسنا (في الآخرين) في الباقين بعده (سلام) سعادة وسلامة (على آل ياسين) على آل محمد عليه السلام فان قرأت على الياسين تقول سلام منا سعادة وسلامة على الياسين وهو

ابى وان يلبس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس

وأهليا وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني أعطك فقال الياس ان لم تمتني فاعطني ثأرى من بني اسرائيل قال الله عز وجل وأى شئ تريد أن أعطك قال تملكني خزائن السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة الا بدعوتى ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتى فانه لا يذلهم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال انا أرحم بخلقي ولكن أعطيك ثأرك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأى شئ أعيش يا رب قال أسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التى لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عز وجل عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس أصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها أعندك طعام قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه أوى الى بيت امرأة من بني اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضر فآوته وأخفت امره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذى كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر واسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يا رب دعني أكن انا الذى ادعو لهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما انتم فيه من البلاء فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد اهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله عز وجل عليهم المطر فاغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذى امر به اقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدى الياس فوثب

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وان ادريس فى موضع الياس

بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف

روى عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه وقال أكثر المفسرين هو نبي من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران

ذكر الاشارة الى القصة

قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فاخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس الى الملك وزوجته وأمره ان يخبرهما أن الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول أهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان فيها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوي الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكنى الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فاوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي سلني أعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا باليوم الذي أعري منك الارض

ابن ياسين من ولد هرون أخي موسى وقيل هو ادريس النبي عليه السلام

من الصالحين (وباركنا عليه وعلى اسحق) أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم فى أولاده وعلى اسحق بان أخرجنا من صلبه ألف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين) ظاهر أو محسن الى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع وفيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لا يجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه (ولقد مننا) أنعمنا (على موسى وهرون) بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) أى موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) صراط أهل الاسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين) هو الياس

بالفعل على الاطلاق ﴿ وباركنا عليه ﴾ على ابراهيم فى ولاده ﴿ وعلى اسحق ﴾ بان اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب اوافضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ﴿ ومن ذريتهما محسن ﴾ فى عمله او على نفسه بالايمان والطاعة ﴿ وظالم لنفسه ﴾ بالكفر والمعاصى ﴿ مبين ﴾ ظاهر ظلمه وفى ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له فى الهدى والضلال وان الظلم فى اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ﴿ ولقد مننا على موسى وهرون ﴾ انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ﴿ ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ﴾ من تغلب فرعون او الغرق ﴿ ونصرناهم ﴾ الضمير لهما مع القوم ﴿ فكانوا هم الغالبين ﴾ على فرعون وقومه ﴿ وآتيناهما الكتاب المستبين ﴾ البليغ فى بيانه وهو التوراة ﴿ وهديناهما الصراط المستقيم ﴾ الطريق الموصل الى الحق والصواب ﴿ وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين ﴾ سبق مثل ذلك ﴿ وان الياس لمن المرسلين ﴾ وهو الياس بن ياسين سبط هرون اخى موسى بعث

بنبوة اسحق وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ ﴿ وباركنا عليه ﴾ يعنى على ابراهيم فى أولاده ﴿ وعلى اسحق ﴾ أى بكون أكثر الانبياء من نسله ﴿ ومن ذريتهما محسن ﴾ أى مؤمن ﴿ وظالم لنفسه ﴾ أى كافر ﴿ مبين ﴾ أى ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن ٭ قوله عز وجل ﴿ ولقد مننا على موسى وهرون ﴾ أنعمنا عليهما بالنبوة والرسالة ﴿ ونجيناهما وقومهما ﴾ يعنى بنى اسرائيل ﴿ من الكرب العظيم ﴾ يعنى الذى كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق ﴿ ونصرناهم ﴾ يعنى موسى وهرون وقومهما ﴿ فكانوا هم الغالبين ﴾ أى على القبط ﴿ وآتيناهما الكتاب ﴾ يعنى التوراة ﴿ المستبين ﴾ المستنير ﴿ وهديناهما الصراط المستقيم ﴾ اى دللناهما على طريق الجنة ﴿ وتركنا عليهما فى الآخرين ﴾ أى الثناء الحسن ﴿ سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين ﴾ ٭ قوله عز وجل ﴿ وان الياس لمن المرسلين

من المرسلين (وباركنا عليه) بالثناء الحسن والذرية الطيبة (وعلى اسحق ومن ذريتهما) ذرية ابراهيم واسحق (محسن) موحد (وظالم لنفسه) بالكفر (مبين) ظاهر الكفر (ولقد مننا على موسى وهرون) بالنبوة والاسلام (ونجيناهما وقومهما) من آمن بهما (من الكرب العظيم) من { روى } الغرق (ونصرناهم) على فرعون وقومه (فكانوا هم الغالبين) القاهرين بالحجة (وآتيناهما) أعطيناهما (الكتاب) وهو التوراة (المستبين) المبين بالحلال والحرام (وهديناهما الصراط المستقيم) ثبتناهما على الدين الحق المستقيم (وتركنا عليهما) على موسى وهرون ثناء حسنا (فى الآخرين) الباقين بعدهما (سلام) منا سعادة وسلامة (على موسى وهرون انا كذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالثناء الحسن (انهما من عبادنا المؤمنين) المصدقين (وان الياس لمن المرسلين)

كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وانما قيل وفديناه وان كان الفادى ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح لانه تعالى وهب له الكبش ليفتدى به وههنا اشكال وهو أنه لايخلو اما أن يكون ما أتى به ابراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وأمرار الشفرة على حلقه فى حكم الذبح أم لا فان كان فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل وان لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح اصلا أو بدلا ولم يصح والجواب انه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل مايفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضى

فيه وهذا لايقدح فى فعل ابراهيم ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة فى نفس اسمعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا الا ان المحل الذى أضيف اليه لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم الامر عند المخاطب فى آخر الحال على ان المبتغى منه فى حق الولد أن يصير قربانا بنسبة الحكم اليه مكرما بالفداء الحاصل لمرة لذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وانما النسخ بعد استقرار المراد بالامر لا قبله وقد سمى فداء فى الكتاب لا نسخا (وتركنا عليه فى الآخرين) ولا وقف عليه لان (سلام على ابراهيم) مفعول وتركنا (كذلك نجزى المحسنين) ولم يقل انا كذلك هنا كما فى غيره لانه قد سبق فى هذه القصة فاستخف بطرحها اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا) حال مقدرة من اسحق ولابد من تقدير مضاف محذوف اى وبشرناه بوجود اسحق نبيا أى بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل فى الحال الوجود لا البشارة (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء اذ كل نبى لابد وان يكون

سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادى على الحقيقة ابراهيم وانما قال وفديناه لانه المعطى له والامر به على التجوز فى الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه مايدل عليه ﴿ وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم ﴾ سبق بيانه فى قصة نوح ﴿ كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ لعله طرح منه انا اكتفاء بذكره مرة فى هذه القصة ﴿ وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ﴾ مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال غير مشروط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به للاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لايصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل

ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم وأتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى فى الجنة أربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذى ذبحه ابراهيم هو الذى قربه ابن آدم قيل حق له ان يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمى عظيما لانه من عند الله تعالى وقيل لعظمه فى الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن ما فدى اسمعيل الا بتيس من الاروى أهبط عليه من ثبير ﴿ وتركنا عليه فى الآخرين ﴾ أى تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده ﴿ سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ قوله تعالى ﴿ وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ﴾ اى بوجود اسحق وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الآية وبشرناه

سمين (وتركنا عليه) على ابراهيم ثناء حسنا (فى الآخرين) فى الباقين بعده (سلام) منا سعادة وسلامة (على ابراهيم كذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالثناء الحسن والنجاة (انه) يعنى ابراهيم (من عبادنا المؤمنين) المصدقين فى ايمانهم (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين)

(وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أى حققت ما أمرناك به فى المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله أو الجواب قلنا منه ونادينا معطوف عليه (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتحويل ما حولهما من الفرج بعد الشدة (ان هذا لهو البلاء المبين) لاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة (وفديناه بذبح) هو ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه

يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الاضاحى وروى أنه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة والاظهر أن الذبيح اسمعيل وهو قول أبى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح آخرولده تقربا وكان عبد الله آخر افتداه بمائة من الابل ولان قرنى الكبش كانا منوطين فى الكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى ان (ابنه) احترق البيت فى زمن الحجاج وابن الزبير وعن الاصمعى انه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعى اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة وعن على وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم انه اسحق ويدل عليه كتاب

بمنى اوفى الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذى ينحر فيه اليوم ﴿ وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روى انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين ﴾ تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ﴿ ان هذا لهو البلاء المبين ﴾ الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها ﴿ وفديناه بذبح ﴾ بما يذبح بدله فيتم به الفعل ﴿ عظيم ﴾ عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى واى نبى من نسله

عن ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد ان يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله عز وجل وهو قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين ﴿ وناديناه ﴾ أى فنودى من الجبل ﴿ أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ أى حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله تعالى وكذلك الولد • فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها لو حصل منه الذبح • قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده وأتى بما أمكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو استسلامهما لامر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين ﴾ يعنى جزاه الله باحسانه فى طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزى المحسنين فى طاعتنا ﴿ ان هذا لهو البلاء المبين ﴾ أى الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر

(ونادينا أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) قد وفيت ما أمرت فى المنام (انا كذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالقول والفعل (ان هذا لهو البلاء المبين) الاختبار البين (وفديناه بذبح عظيم) بكبش

وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرار الرؤيا ﴿ ستجدني ان شاء الله من الصابرين ﴾ على الذبح او على قضاء الله وقرأ نافع بفتح الياء ﴿ فلما اسلما ﴾ استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه ﴿ وتله للجبين ﴾ صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة

﴿ ستجدني ان شاء الله من الصابرين ﴾ انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ﴿ فلما أسلما ﴾ يعني انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه ﴿ وتله للجبين ﴾ أي صرعه على الارض قال ابن عباس أضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا أبت اشدد رباطي كيلا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها شئ من دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن واستحد شفرتك وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد واذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني وان رأيت ان ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيأ ثم انه حدها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع ان يقطع شيأ قيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والاول أبلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا أبت كبني لوجهي فانك اذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروى عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجاله قالوا لما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا فتمثل الشيطان في صورة رجل وأتى أم الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطبا من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك قال انه يزعم أن الله أمره بذلك قالت ان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا أن يذبحك قال ولم قال ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيأ مما أراد وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروى

(ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على الذبح روى ان الذبيح قال لابيه يا أبت خذ بناصيتي واجلس بين كتفي حتى لا أوذيك اذا أصابتني الشفرة ولا تذبحني وأنت تنظر في وجهي عسى أن ترحمني واجعل وجهي الى الارض ويروى اذبحني وأنا ساجد واقرأ على أمي السلام وان رأيت ان ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها (فلما أسلما) انقادا لامر الله وخضعا وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا روى ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين

(ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على الذبح (فلما أسلما) اتفقا وسلما لامر الله (وتله للجبين) كبه لوجهه ويقال لجنبه

باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلايناسبها الامر بذبحه مراهقا ومارووى انه صلى الله عليه وسلم سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب ابن اسحق ابن ابراهيم والزوائد من الراوى ومارووى ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما ﴿فانظر ماذا ترى﴾ من الرأى وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون عليه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائى ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها ﴿قال يا ابت﴾ وقرأ ابن عامر بفتح التاء ﴿افعل ما تؤمر﴾ اى ما تؤمر به فحذفا دفعة اوعلى الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به اوعلم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لايقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به فى المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص

أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر فى المنام بذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى فى نفسه أى فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى فى المنام ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمى ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك ﴿فانظر ماذا ترى﴾ أى من الرأى على وجه المشاورة ٭ فان قلت لم شاوره فى أمر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة فى ذلك ٭ قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه وانما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته ويثبت قدمه ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله ٭ فان قلت لم كان ذلك فى المنام دون اليقظة وما الحكمة فى ذلك ٭ قلت ان هذا الامر كان فى نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد فى المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك أقوى فى الدلالة ورؤيا الانبياء وحى وحق ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ أى قال الغلام لابيه افعل ما أمرت به قال ابن اسحق وغيره لما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى الشعب أخبره بما أمره الله به فقال افعل ما تؤمر

(فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر ترى على وجه حمزة أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أى ما تؤمر به وقرئ به

فانظر ماذا ترى) تشير وتأمر (قال يا ابت افعل ما تؤمر) من الذبح

رأى ذلك اوانه رأى ماهو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله اومن الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب به اسمعيل لانه الذى وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبدالله فان عبدالمطلب نذران يذبح ولدا ان سهل الله له حفر بئر زمزم اوبلغ بنوه عشرة فلما سهل اقرع فخرج السهم على عبدالله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقامعها فى ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة

وبفتح الياء فيهما حجازى وأبو عمرو قيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى فى اليقظة وانما لم يقل رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمه سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثمه سمى يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر

قصة الذبح يدل على انه تعالى اعابشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد فى قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان أول الآية وآخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح وبماذكر أيضا فى كتاب يعقوب الى ولده يوسف لماكان بمصر من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وأيضا فان الله تعالى قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرطبى سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان أسلم وحسن اسلامه أى ابنى ابراهيم أمره الله تعالى بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يامعشر العرب على أن يكون أبوكم هو الذى أمر الله تعالى بذبحه ويدعون انه اسحق أبوهم ومن الدليل أيضا ان قرنى الكبش كانا معلقين على الكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت فى زمن ابن الزبير قال الشعبى رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذى نفسى بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس وقال الاصمعى سألت أباعمرو بن العلاء عن الذبيح أاسحق كان أو اسمعيل فقال يا أصمعى أين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل وهو الذى بنى البيت مع أبيه والله تعالى أعلم

ذكر الاشارة الى قصة الذبح

قال العلماء بالسير وأخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لى من الصالحين وبشر به قال هواذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب فى أمر الله تعالى اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام ياأبت أين قربانك فقال يابنى انى أرى فى المنام انى

عليه الصلاة والسلام حيث قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل ولذلك ذكر بصيغة التوقع ﴿ رب هب لى من الصالحين ﴾ بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله تعالى ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم ويكون حليما اواى حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه ﴿ فلما بلغ معه السعى ﴾ اى فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل فى الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه اولانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة ﴿ قال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك ﴾ يحتمل انه

المقدسة سأل ربه الولد فقال ﴿ رب هب لى من الصالحين ﴾ أى هب لى ولدا صالحا ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ قيل غلام عليم فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهى فى السن حتى يوصف بالحلم * قوله تعالى ﴿ فلما بلغ معه السعى ﴾ قال ابن عباس يعنى المشى معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى مع ابراهيم والمعنى بلغ ان ينصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين ﴿ قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك ﴾ قيل انه لم يرفى منامه انه ذبحه وانما أمر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيأ فعلوه واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه انه اسحق وروى انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشأم وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام وهو بالشأم فسار به مسيرة شهر فى غدة واحدة حتى أتى به المنحر من منى فلما أمره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثانى انه اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد والربيع ابن أنس ومحمد بن كعب القرظى والكلبى ورواية عطاء بن أبى رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى أمر بذبح من بشر به وليس فى القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى فى سورة هود فبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد

بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب فى الولد (فبشرناه بغلام حليم) انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم لان الصبى لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك (فلما بلغ معه السعى) بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقى أن يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعى أى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من قال مع أبيه وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قال يابنى) حفص والباقون بكسر الياء (انى أرى فى المنام أنى أذبحك

سيرشدنى وينجينى منهم ربى ثم قال (رب هب لى من الصالحين) ولدا من المرسلين (فبشرناه بغلام) بولد (حليم) عليم فى صغره حليم فى كبره (فلما بلغ معه السعى) العمل لله بالطاعة ويقال المشى معه الى الجبل (قال) ابراهيم لابنه اسمعيل ويقال اسحق (يابنى انى أرى فى المنام) أمرت فى المنام (انى أذبحك { قصة }

(يزفون) يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة من أزف اذا دخل فى الزفيف ازفافا فكانه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فاقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فاجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا اباجمهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فاجابهم بقوله (قال أتعبدون ماتنحتون) بايديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخلق ماتعملونه من الاصنام أو ما مصدرية أى وخالق أعمالكم وهو دليلنا فى خلق الافعال أى الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره (قالوا ابنوا له) أى لاجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فالقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم (فارادوا به كيدا) بالقائه فى النار (فجعلناهم الاسفلين) المقهور عند الالقاء فخرج من النار (وقال انى ذاهب الى ربى) الى موضع أمرنى بالذهاب اليه (سيهدين) سيرشدنى الى ما فيه صلاحى فى دينى

(يزفون) يسرعون ويمشون (قال) لهم ابراهيم (أتعبدون ماتنحتون) بايديكم من العيدان والحجارة (والله خلقكم) وتتركون عبادة الله الذى خلقكم (وما تعملون) وخلق نحتكم ومنحوتكم (قالوا ابنوا له بنيانا) أتونا (فالقوه) فاطرحوه (فى الجحيم) فى النار (فارادوا به كيدا) حرقا بالنار (فجعلناهم الاسفلين) من الاسفلين فى النار (قا و خا ٣١ مس) ويقال من الاخسرين بالعقوبة (وقال) ابراهيم للوط (انى ذاهب الى ربى) مقبل الى طاعة ربى (سيهدين)

هذا بآلهتنا الآية ﴿ يزفون ﴾ يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازف اى يحملون على الزفيف ويزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه ﴿ قال أتعبدون ماتنحتون ﴾ ماتنحتونه من الاصنام ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ اى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه مايتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ماتنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز ﴿ قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ﴾ فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة التأجج [٢] واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان ﴿ فأرادوا به كيدا ﴾ فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم ﴿ فجعلناهم الاسفلين ﴾ الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما ﴿ وقال انى ذاهب الى ربى ﴾ اى الى حيث امرنى ربى وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته ﴿ سيهدين ﴾ الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى

﴿ يزفون ﴾ أى يسرعون وذلك انهم أخبروا بصنع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه ﴿ قال ﴾ لهم ابراهيم على وجه الحجاج ﴿ أتعبدون ماتنحتون ﴾ أى بايديكم من الاصنام ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ أى وعملكم وقيل وخلق الذى تعملونه بايديكم من الاصنام وفى الآية دليل على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ﴿ قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم ﴾ قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى ﴿ فارادوا به كيدا ﴾ أى شرا وهو ان يحرقوه ﴿ فجعلناهم الاسفلين ﴾ أى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم ﴿ وقال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ انى ذاهب الى ربى ﴾ أى مهاجر الى ربى وأهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار ﴿ سيهدين ﴾ أى الى حيث أمرنى بالمصير اليه وهو أرض الشام فلما قدم الارض

[٢] التأجج والاجيج تلهب النار يقال اجت النار تؤج اجيجا واججتها فتأججت لما اورد ابراهيم عليه الصلاة والسلام حجته على قومه بكونهم مبطلين فى امرهم ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريقة الايذاء والاهلاك عنادا للحق بعد وضوحه لئلا يظهر عجزهم ومغلوبيتهم انتهى من شيخ زاده

على ابيه [illegible] (فقال اني سقيم) أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى [illegible] بدعهم وتركوه في بيت الاصنام [illegible] الاصنام [illegible] النجوم ان [illegible] ثلاثا [illegible] عليه

[illegible] ﴿فقال اني سقيم﴾ أراهم أنه استدل بها [illegible]
لانهم كانوا منجمين على أنه مشارف [illegible] لئلا يخرجوه الى معبدهم فانه كان أغلب أسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى أو أراد اني سقيم القلب لكفركم أو خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه أو بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ۞ ليصحني فاذا السلامة داء

﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ هاربين مخافة العدوى ﴿فراغ الى آلهتهم﴾ فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة ﴿فقال﴾ أي للاصنام استهزاء ﴿ألا تأكلون﴾ يعني الطعام الذي كان عندهم ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ بجوابي ﴿فراغ عليهم﴾ فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ﴿ضربا باليمين﴾ مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم ﴿فأقبلوا اليه﴾ الى ابرهيم بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه في قوله تعالى من فعل

[illegible] سقيم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم ألا تخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس أي مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه سأسقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم أشتكي رجلي ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ أي الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى ﴿فراغ﴾ أي مال ﴿الى آلهتهم﴾ مائلا في خفية ﴿فقال﴾ أي الاصنام استهزاء بها ﴿ألا تأكلون﴾ يعني الطعام الذي بين أيديكم ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ [illegible] ﴿ضربا باليمين﴾ أي [illegible] لان اليمين أقوى من الشمال في العمل [illegible] والتعدية عليهم وقيل أراد [illegible] وقوله لاكيدن أصنامكم ﴿فأقبلوا اليه﴾ أي الى ابراهيم

[illegible] وتى عنده [illegible] ومنه المثل كفى [illegible] داء [illegible] مات [illegible] فجأة وتواترت وهو صحيح فقال اعرابي أصحيح [illegible] الموت في عنقه أو أراد [illegible] النفس [illegible] كقول أبا مرين [illegible] (فتولوا) [illegible] مدبرين) أي [illegible] (فراغ الى آلهتهم) [illegible] (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) وكان عندها طعام (ما لكم لا تنطقون) والجمع بالواو والنون لما انه خاطبها خطاب من يعقل (فراغ عليهم ضربا) فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أي ضاربا (باليمين) أي ضربا شديدا بالقوة لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما أو بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذي سبق منه [illegible] قوله تالله لاكيدن أصنامكم (فأقبلوا اليه) الى ابراهيم

فتفكر [illegible] في نفسه (فقال اني سقيم) مريض مطعون لكي يتركوه (فتولوا عنه مدبرين) فاعرضوا عنه (مدبرين) ذاهبين الى عيدهم وتركوه (فراغ) فاقبل ابراهيم (الى آلهتهم فقال) لهم (ألا تأكلون) مما عليكم من الطعام تجيبوه فقال لهم (ما لكم لا تنطقون) لا تجيبون (فراغ عليهم) فاقبل عليهم (ضربا باليمين) بالفاس ويقال بيمينه (فأقبلوا اليه) من عيدهم

محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثم أغرقنا الآخرين) أى الكافرين (وان من شيعته لابراهيم) أى من شيعة نوح أى ممن شايعه على اصول الدين او شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح (اذ جاء ربه) اذ تعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بقلب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجئ بقلبه ربه انه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجئ مثلا لذلك (اذ) بدل من الاولى (قال لابيه وقومه ﴿ ٢٣٩ ﴾ ماذا تعبدون أئفكا آلهة { سورة والصافات } دون الله تريدون) أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا؛ قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به أى أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون الله على انها افك فى نفسها أو حالا أى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) أى شئ ظنكم (برب العالمين) وأنتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر ظنكم أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة فى النجوم) أى نظر فى النجوم راميا ببصره الى السماء متفكرا فى نفسه كيف يحتال أو أراهم انه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم انه استدل بامارة

لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ﴿ ثم اغرقنا الآخرين ﴾ يعنى كفار قومه ﴿ وان من شيعته ﴾ ممن شايعه فى الايمان واصول الشريعة ﴿ لابراهيم ﴾ ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع اوغالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح صلوات الله عليهم ﴿ اذ جاء ربه ﴾ متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر ﴿ بقلب سليم ﴾ من آفات القلوب او من العلائق خالص لله اومخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجئ به ربه اخلاصه له كأنه جاءبه متحفا اياه ﴿ اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ﴾ بدل من الاولى اوظرف لجاء أوسليم ﴿ أئفكا آلهة دون الله تريدون ﴾ اى أتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك فى انفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف اوحالا بمعنى آفكين ﴿ فما ظنكم برب العالمين ﴾ بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره اوامنتم من عذابه والمعنى انكار مايوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته أو يجوز الاشراك به او يقتضى الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ماقبله ﴿ فنظر نظرة فى النجوم ﴾ فرأى مواقعها واتصالاتها اوفى علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده

ثم أغرقنا الآخرين ﴾ يعنى الكفار * قوله عز وجل ﴿ وان من شيعته ﴾ أى من شيعة نوح ﴿ لابراهيم ﴾ يعنى انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته ﴿ اذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ أى مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس مايحب لنفسه ﴿ اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ﴾ استفهام توبيخ ﴿ أئفكا آلهة دون الله تريدون ﴾ أى أتأفكون أفكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى ﴿ فما ظنكم برب العالمين ﴾ يعنى اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم ﴿ فنظر نظرة فى النجوم

المصدقين (ثم أغرقنا الآخرين) الباقين بعده (وان من شيعته) من شيعة نوح وعلى ملته ومنهاجه محمد عليه السلام (لابراهيم) يقول ابراهيم كان على دين نوح ومنهاجه ومحمد عليه السلام كان على دين ابراهيم ومنهاجه (اذ جاء ربه) يقول أقبل ابراهيم الى طاعة ربه (بقلب سليم) خالص من كل عيب (اذ قال لابيه) آزر (وقومه) عبدة الاوثان (ماذا تعبدون) من دون الله قالوا نعبد أصناما قال لهم ابراهيم (أئفكا آلهة) بالكذب آلهة (دون الله تريدون) تعبدون (فما ظنكم برب العالمين) ماذا يفعل بكم اذا عبدتم غيره (فنظر نظرة فى النجوم) الى النجوم ويقال

المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين أيس من قومه بقوله (ولقد نادينا نوح) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله أني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره والله لقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن الاجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بابلغ مايكون (ونجيناه وأهله) ومن آمن به وأولاده (من الكرب العظيم) وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقد فني غيرهم قال قتادة الناس كلهم

من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من المشرق الى المغرب و يافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه في الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهي (سلام على نوح) يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها (في العالمين) أي ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم (انا كذلك نجزي المحسنين) علل مجازاته نوحا بتلك التكرمة السنية بأنه كان محسنا (انه من عبادنا المؤمنين) ثم علل كونه

مع الرسول عليه السلام والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم ﴿ ولقد نادينا نوح ﴾ شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد دعانا حين ايس من قومه ﴿ فلنعم المجيبون ﴾ اى فاجبناه احسن الاجابة والتقدير فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ماحذف لقيام مايدل عليه ﴿ ونجيناه واهله من الكرب العظيم ﴾ من الغرق او اذى قومه ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ من الامم ﴿ سلام على نوح ﴾ هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء ﴿ في العالمين ﴾ متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية من الملائكة والثقلين جميعا ﴿ انا كذلك نجزي المحسنين ﴾ تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه ﴿ انه من عبادنا المؤمنين ﴾ تعليل

لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره وأصالة أمره ﴿ ثم اغرقنا الآخرين ﴾ يعني كفار قومه ﴿ وان من شيعته لابراهيم ﴾ ممن شايعه في الايمان

لاعباد الله المخلصين * قوله عز وجل ﴿ ولقد نادانا نوح ﴾ أي دعا ربه على قومه وقيل دعاه أن ينجيه من الغرق ﴿ فلنعم المجيبون ﴾ نحن أي دعانا فاجبناه وأهلكنا قومه ﴿ ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ أي من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم * عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب * وفي رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ أي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾ أي سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه في الآخرين يسلمون عليه الى يوم القيامة ﴿ انا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي جزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين ﴿ انه من عبادنا المؤمنين

الا من فانهم لم يكذبوهم ولم يؤذوهم كلهم (وعن ابن عباس ان نوحا دعا على قومه بالغرق على الارض من الكافرين (ثم) دياراً الى آخر الآية (فلنعم المجيبون) لدعائه على قومه (ونجيناه وأهله) ومن آمن به (من الكرب العظيم) يعني الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) الى يوم القيامة وكان له ثلاثة بنين سام وحام ويافث فاما سام فهو أبو العرب ومن في جزائرهم وأما حام فهو أبو الحبش والبربر والسند وأما يافث فهو أبو سائر الناس (وتركنا عليه) على نوح ثناء حسنا (في الآخرين) في الباقين بعد (سلام على نوح) سلامة وسعادة منا على نوح (في العالمين) من بين العالمين في زمانه (انا كذلك) هكذا (نجزي المحسنين) بالقول والفعل بالثناء الحسن والنجاة (انه من عبادنا المؤمنين)

الجوع الشديد (ثم ان لهم عليها) على أكلها (لشوبا) خلطا ولمزاجا (من حميم) ماء حار يشوى وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم انهم يملؤن البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملى تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) أى انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات الى [illegible] الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يتملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك ظاهر (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) علة استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم اياهم فى الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (أكثر الاولين) يعنى الامم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) لانهم أنذروا وحذروا اى أهلكوا جميعا (الا عباد الله المخلصين) الا الذين آمنوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ([illegible]) من قوم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (ثم [illegible] [illegible]) [illegible] (الى [illegible]) [illegible] [illegible] [illegible]) [illegible] فى الدنيا (منذرين) [illegible] [illegible] ([illegible]) [illegible] (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك ايضا (أكثر الاولين) من الامم الماضية (ولقد أرسلنا فيهم [illegible] [illegible] فلم يؤمنوا بهم فهلكناهم (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة) جزاء (المنذرين) لمن أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا كيف أهلكناهم ثم استثنى (الا عباد الله المخلصين) المعصومين من الكفر والشرك ويقال المخلصين بالعبادة والتوحيد ان قرأت بخفض

﴿ ثم ان لهم عليها ﴾ اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة ﴿ لشوبا من حميم ﴾ لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمى به ﴿ ثم ان مرجعهم ﴾ مصيرهم ﴿ لالى الجحيم ﴾ الى دركاتها والى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم ﴿ انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ﴾ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الضلال والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ﴿ ولقد ضل قبلهم ﴾ قبل قومك ﴿ أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين ﴾ انبياء انذروهم من العواقب ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ من الشدة والفظاعة ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه [illegible]

انهم يكرهون على [illegible] [illegible] [illegible] ﴿ ثم ان لهم عليها لشوبا ﴾ أى خلطا ومزاجا ﴿ من حميم ﴾ أى [illegible] [illegible] [illegible] يدل انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه [illegible] شاب [illegible] [illegible] فى بطونهم [illegible] ﴿ ثم ان مرجعهم لالى الجحيم ﴾ وذلك انهم يردون الى الجحيم [illegible] ﴿ انهم ألفوا ﴾ أى وجدوا ﴿ آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ﴾ [illegible] يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم ﴿ ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين ﴾ أى من الامم الخالية [illegible] ﴿ ولقد أرسلنا فيهم منذرين ﴾ أى [illegible] ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ [illegible] [illegible] العذاب ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ أى [illegible] [illegible] [illegible]

(أذلك خير نزلا) [illegible] الزقوم [illegible] الجنة [illegible] والشراب خير نزلا أم شجرة الزقوم خير

 والزقوم شجر [illegible] يكون بتهامة (إنا

لا [illegible] الشوبة [illegible] وهو أيضا يحتمل الامرين ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم﴾ [illegible] وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان [illegible] لأهل [illegible] تقابل النزل ولهم ما وراء ذلك [illegible] وهو شجرة صغيرة الورق دفرة مرة [illegible] سميت به الشجرة الموصوفة [illegible] ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ محنة وعذابا لهم في الآخرة [illegible] في الدنيا [illegible] قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر [illegible] ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ [illegible] في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها ﴿طلعها﴾ حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ في تناهي [illegible] الهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك ﴿فإنهم لآكلون منها﴾ من الشجرة او من طلعها ﴿فمالئون منها البطون﴾ لغلبة الجوع او الجبر على اكلها

[illegible] في شرب [illegible] (أذلك) [illegible] المذكور [illegible] من اسم [illegible] خير نزلا ﴿أي رزقا﴾ أم شجرة الزقوم [illegible] أهل النار [illegible] خبيثة مرة كريهة الطعم [illegible] أهل النار [illegible] على أشد كراهة [illegible] شجرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ [illegible] وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال [illegible] قريش [illegible] الزقوم [illegible] الزبد والتمر [illegible] الزبد والتمر [illegible] ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ أي [illegible] ﴿طلعها﴾ أي ثمرها [illegible] ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ [illegible] شبه [illegible] الناس [illegible] تشبيها [illegible] قد استقر في النفوس [illegible] الشياطين [illegible] في قلوبهم [illegible] الناس [illegible] رأت منظرا قبيحا قالت [illegible]

[illegible]

[illegible] شجرة قبيحة منتنة [illegible] ﴿فإنهم لآكلون منها﴾ [illegible] ﴿فمالئون منها البطون﴾ [illegible]

جعلناها [illegible] [illegible] الآخرة [illegible] كيف يكون [illegible] والنار تحرق الشجر (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) [illegible] جهنم [illegible] (طلعها) [illegible] (كأنه رؤوس الشياطين) [illegible] فستعير [illegible] الزقوم [illegible] برؤوس الشياطين [illegible] على التناهي [illegible] مكروه مستقبح [illegible] الناس [illegible] وقيل الشياطين [illegible] (فإنهم لآكلون منها) الشجرة [illegible] (فمالئون) [illegible] في [illegible] فليبذل [illegible] في سبيل [illegible] (أذلك) [illegible] الجنة [illegible] الطعام والشراب (خير نزلا) [illegible] (أم شجرة) [illegible]

(الجحيم) [illegible] (فتنة) [illegible] (للظالمين) [illegible] (إنها شجرة تخرج) [illegible] (في أصل الجحيم) [illegible] (كأنه رؤس) [illegible] الشياطين يكون نحو [illegible] (فإنهم لآكلون منها) من الزقوم (فمالئون منها) [illegible]

النار (فاطلع) المسلم (فرآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) فى وسطها (قال تالله ان كدت لتردين) ان مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وبالياء فى الحالين يعقوب (ولولا نعمة ربى) وهى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الاسلام (لكنت من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) الفاء للعطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى ان هذا حال المؤمنين وهو ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لحكيم ما شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره ولا نموت الا مرة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت فى الدنيا ثم قال لقرينه تقريعا له (ان هذا) أى الامر الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) ثم قال الله عز وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون) وقيل هو أيضا من كلامه

جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله

هم الآمرون الخير والفاعلونه

اوشبه اسم الفاعل بالمضارع ﴿ فاطلع ﴾ عليهم ﴿ فرآه ﴾ اى قرينه ﴿ فى سواء الجحيم ﴾ وسطه ﴿ قال تالله ان كدت لتردين ﴾ لتهلكنى باغواء وقرئ لتغوين وان هى المخففة واللام هى الفارقة ﴿ ولولا نعمة ربى ﴾ بالهداية والعصمة ﴿ لكنت من المحضرين ﴾ معك فيها ﴿ أفما نحن بميتين ﴾ عطف على محذوف اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين ﴿ الا موتتنا الاولى ﴾ التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له اومعاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ﴿ ان هذا لهو الفوز العظيم ﴾ يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ اى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون

﴿ فاطلع ﴾ أى المؤمن قال ابن عباس ان فى الجنة كوى ينظر منها أهلها الى النار ﴿ فرآه فى سواء الجحيم ﴾ أى فرأى قرينه فى وسط النار سمى وسط الشئ سواء لاستواء الجوانب منه ﴿ قال تالله ان كدت لتردين ﴾ أى والله لقد كدت ان تهلكنى وقيل تغوينى ومن أغوى انسانا فقد أرداه وأهلكه ﴿ ولولا نعمة ربى ﴾ أى رحمة ربى وانعامه على بالاسلام ﴿ لكنت من المحضرين ﴾ أى معك فى النار ﴿ أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى ﴾ أى فى الدنيا ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لا فيقولون ﴿ ان هذا لهو الفوز العظيم ﴾ وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم فى انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعادوا الكلام ليزدادوا سرورا بتكراره وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى ﴿ لمثل هذا ﴾ أى المنزل والنعيم الذى ذكره فى قوله أولئك لهم رزق معلوم ﴿ فليعمل العاملون ﴾ هذا

ترون حاله (فاطلع) هو بنفسه (فرآه) فرأى أخاه الكافر (فى سواء الجحيم) فى وسطها (قال تالله) والله (ان كدت) قد هممت واردت (لتردين) لتغوين عن الدين وتهلكنى لو أطعتك (ولولا نعمة ربى) منة ربى بالايمان وعصمته عن الكفر (لكنت من المحضرين) من المعذبين معك فى النار ثم سمع مناديا ينادى يا أهل الجنة ذبح الموت فلا موت فيقول لاخوته (أفما نحن بميتين) بعد ما ذبح الموت (الا موتتنا الاولى) بعد موتتنا فى الدنيا فيقولون له نعم فسمع مناديا ينادى يا أهل النار ان قد أطبقت النار فلا دخول فيها ولا خروج منها فيقول لاخوته (وما نحن بمعذبين) فى النار بعد ما أطبقت النار فيقولون له نعم (ان هذا لهو الفوز العظيم) النجاة والوفرة فزنا بالجنة وما فيها ونجونا من النار وما فيها وهى قصة الاخوين اللذين ذكرهما الله فى سورة الكهف أحدهما مؤمن وهو يهوذا والآخر كافر وهو أبو قطروس ثم يقول الله (لمثل هذا) الخلود والنعيم (فليعمل العاملون) فليبادر المبادرون

أو شرابه (وعندهم قصرات الطرف) قصرن أبصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم (عين) جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين (كأنهن بيض مكنون) مصون شبههن ببيض النعام المكنون فى الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فاقبل بعضهم) يعنى اهل الجنة (على بعض يتساءلون

على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات الا
أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا الا انه جىء به ماضيا على ما عرف فى اخباره (قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك) بهمزتين شامى وكوفى (لمن المصدقين) بيوم الدين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين وهو الجزاء (قال) ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان فى الجنة كوى ينظر أهلها منها الى أهل النار وقال الله تعالى لاهل الجنة هل أنتم مطلعون الى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة اهل

والكسائى بكسر الزاى وتابعهما عاصم فى الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله وشرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ اى قصرن ابصارهن على ازواجهن ﴿عين﴾ نجل العيون جمع عيناء ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان ﴿فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ معطوف على يطاف عليهم اى يشربون فيتحادثون على الشراب قال

وما بقيت من اللذات الا
احاديث الكرام على المدام

والتعبير عنه بالماضى للتأكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم فى الدنيا ﴿قال قائل منهم﴾ فى مكالمتهم ﴿انى كان لى قرين﴾ جليس فى الدنيا ﴿يقول أئنك لمن المصدقين﴾ يوبخنى على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون﴾ لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء ﴿قال﴾ اى ذلك القائل ﴿هل انتم مطلعون﴾ الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعون على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه

شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال تعالى ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أى حابسات الاعين غاضات العيون قصرت أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ﴿عين﴾ أى حسان الاعين عظامها ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ أى مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها أبيض فى صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو ان تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن بيضات الخدور * قوله عز وجل ﴿فاقبل بعضهم على بعض﴾ يعنى أهل الجنة فى الجنة ﴿يتساءلون﴾ أى يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا ﴿قال قائل منهم﴾ أى من أهل الجنة ﴿انى كان لى قرين﴾ أى فى الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما فى سورة الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين ﴿يقول أئنك لمن المصدقين﴾ أى بالبعث ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون﴾ أى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكارى ﴿قال﴾ الله تعالى لاهل الجنة ﴿هل أنتم مطلعون﴾ أى الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من أهل الجنة هل انتم مطلعون أى لننظر كيف منزلة أخى فى النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا

يتصدع رؤسهم (وعندهم) فى الجنة (قاصرات الطرف) جوار غاضات العين عن غير أزواجهن قانعات بأزواجهن لا يبغين بهم بدلا (عين) عظام الاعين حسان الوجوه (كأنهن) فى الصفاء (بيض مكنون) قد كن من الحر (فطبع) والبرد (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يتحدثون (قال قائل منهم) من أهل الجنة وهو يهوذا المؤمن (انى كان لى قرين) صاحب يقال له أبو قطروس وهو أخوه (يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا) صرنا (ترابا وعظاما) بالية (أئنا لمدينون) مملوكون ومحاسبون انكارا منه للبعث (قال) لاخوته فى الجنة (هل أنتم مطلعون) فى النار لعلكم

المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان ارزاقهم كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات
لان اجسادهم محكمة مخلوقة للابد [illegible]
ورائحة ولذة وحسن منظر [illegible]
منعمون (في جنات النعيم) [illegible]

والقوت بالعكس واهل الجنة لما عيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت [illegible]
فواكه خالصة ﴿ وهم مكرمون ﴾ في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما [illegible]
الدنيا ﴿ في جنات النعيم ﴾ في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال [illegible]
في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك ﴿ على سرر ﴾ يحتمل الحال او الخبر [illegible]
﴿ متقابلين ﴾ حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون [illegible]
ضمير مكرمون ﴿ يطاف عليهم بكأس ﴾ باناء فيه خمر او خمر كقوله

وكأس شربت على لذة

﴿ من معين ﴾ من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج من العيون
وهو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار
بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة [illegible]
قوله تعالى ﴿ بيضاء لذة للشاربين ﴾ وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة [illegible]
ولانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال

ولذ كطعم الصرخدي تركته ٭ بارض العدى من خشية الحدثان

﴿ لا فيها غول ﴾ غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول
﴿ ولا هم عنها ينزفون ﴾ يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب
عقله افرده بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من عظم فساده كأنه جنس برأسه وقرأ حمزة

رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم
مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم خلقت للابد فكل ما يأكلونه على سبيل
التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم كما قال تعالى ﴿ وهم مكرمون ﴾ أي بثواب
الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى ﴿ في جنات النعيم على سرر متقابلين ﴾ يعني لا يرى
بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين ﴾ كل اناء فيه
شراب يسمى كأسا واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر
٭ وكأسا شربت على لذة ٭ ومعنى معين أي من خمر جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون
﴿ بيضاء ﴾ يعني ان خمر الجنة أشد بياضا من اللبن ﴿ لذة ﴾ أي لذيذة ﴿ للشاربين لا فيها غول ﴾
أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول [illegible]
يلحق في خفاء وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن
وصداع الرأس والبول والقيء [illegible] ونحو ذلك ولا يوجد شيء من ذلك في خمر
الجنة ﴿ ولا هم عنها ينزفون ﴾ أي لا تغلب على عقولهم ولا يسكرون [illegible]

ومنزوف يزفون على وجهين اي لا يسكرون [illegible] ٣٠ [illegible] تله
انهم أرزاق الفواكه (وهم مكرمون) [illegible] (في جنات النعيم) [illegible] (متقابلين)
عليهم) في الجنة (بكأس) خمر [illegible] (لا فيها غول) وجع
البطن وذهاب العقل ولا أذى ولا اثم (ولا هم عنها ينزفون) [illegible] ولا هم بها يسكرون [illegible]

[illegible] خبر وكذا
[illegible] بين) [illegible]
[illegible] أو [illegible] وهو جاري
[illegible] يغوله غولا
[illegible] ذهب
[illegible]

(فاغويناكم) فدعوناكم الى الغي (انا كنا غاوين) فاردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة (في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في الغواية (انا كذلك نفعل بالمجرمين) أي بالمشركين أنا مثل ذلك الفعل

(انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الاالله يستكبرون) انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا الا الشرك (ويقولون أئنا) بهمزتين شامى و كوفى (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه السلام (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الاما كنتم تعملون) بلا زيادة (الاعباد الله المخلصين) بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده أى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أولئك لهم رزق معلوم فواكه) فسر الرزق

فاغويناكم انا كنا غاوين ﴾ ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان امرا مقضيا لامحيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغى لانهم كانوا على الغى فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم اذلو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم ﴿ فانهم ﴾ فان الاتباع والمتبوعين ﴿ يومئذ فى العذاب مشتركون ﴾ كما كانوا مشتركين فى الغواية ﴿ انا كذلك ﴾ مثل ذلك الفعل ﴿ نفعل بالمجرمين ﴾ بالمشركين لقوله تعالى ﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الاالله يستكبرون ﴾ اى عن كلمة التوحيد اوعلى من يدعوهم اليها ﴿ ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ يعنون محمدا عليه السلام ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون ﴿ انكم لذائقوا العذاب الاليم ﴾ بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله

ولا ذاكر الله الا قليلا

وهو ضعيف فى غير المحلى باللام وعلى الاصل ﴿ وما تجزون الا ما كنتم تعملون ﴾ الامثل ما عملتم ﴿ الاعباد الله المخلصين ﴾ استثناء منقطع الا ان يكون الضمير فى تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار ﴿ اولئك لهم رزق معلوم ﴾ خصائصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله ﴿ فواكه ﴾ فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذى

يعنى ان الضال والمضل جميعا فى النار ﴿ فاغويناكم ﴾ يعنى فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه ﴿ انا كنا غاوين ﴾ أى ضالين قال الله تعالى ﴿ فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون ﴾ يعنى الرؤساء والاتباع ﴿ انا كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى أنهم انما وقعوا فى ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى ﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الاالله يستكبرون ﴾ أى يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ﴿ ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ردا عليهم ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ يعنى انه انما أتى بما أتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفى الشرك ﴿ انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الاما كنتم تعملون ﴾ أى فى الدنيا من الشرك والتكذيب ﴿ الا ﴾ أى لكن وهو استثناء منقطع ﴿ عباد الله المخلصين ﴾ أى الموحدين ﴿ أولئك لهم رزق معلوم ﴾ يعنى بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى ﴿ فواكه ﴾ جمع فاكهة وهى الثمار كلها

(فأغويناكم) أضللناكم عن الدين (انا كنا غاوين) ضالين عن الدين (فانهم يومئذ) يوم القيامة (فى العذاب مشتركون) العابد والمعبود (انا كذلك) هكذا (نفعل بالمجرمين) المشركين (انهم كانوا اذا قيل لهم) فى الدنيا قولوا (لااله الاالله يستكبرون) يتعاظمون عن ذلك (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا) عبادة آلهتنا (لشاعر مجنون) مختلق يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (بل جاء) محمد عليه السلام (بالحق) بالقرآن والتوحيد (وصدق المرسلين) وبتصديق المرسلين قبله (ربطها) (انكم) يا أهل مكة (لذائقون لعذاب الاليم) الوجيع فى النار (وما تجزون) فى الآخرة (الاما كنتم تعملون) فى الدنيا فى الكفر والشرك (الاعباد الله المخلصين) المعصومين من الكفر والشرك ويقال المخلصين بالعبادة والتوحيد ان قرأت بخفض اللام (أولئك لهم رزق معلوم) طعام معروف على قدر غدوة وعشية فى الدنيا وليس ثم بكرة ولا عشية (فواكه)

(ما لكم لاتناصرون) أى لاينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا متناصرين فى الدنيا وقيل هو جواب لابى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو فى موضع النصب على الحال أى مالكم غير متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون أو قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر (وأقبل بعضهم على بعض) أى التابع على المتبوع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) أى الاتباع للمتبوعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة وبها تقع البطش أى انكم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه (قالوا) أى الرؤساء (بل لم تكونوا مؤمنين) أى بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وما كان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما طاغين) بل كنتم قوما مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا جميعا (قول ربنا انا لذائقون) يعنى وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لامحالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قوله • لقد زعمت هوازن قل مالى • ولو حكى قولها لقال قل مالك

(مالكم لا تناصرون)

والواو لاتوجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفه ﴿ مالكم لاتناصرون ﴾ لاينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة اومتسالمون كأنه يسلم بعضهم بعضا ويخذله ﴿ واقبل بعضهم على بعض ﴾ يعنى الرؤساء والاتباع اوالكفرة والقرناء ﴿ يتساءلون ﴾ يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون ﴿ قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ عن اقوى الوجوه وايمنها اوعن الدين او عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو اقوى الجانبين واشرفهما وانفعهما ولذلك سمى يمينا وتيمن بالسانح اوعن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال اوعن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق ﴿ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين ﴾ اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين فى انفسهم وثانيا بانهم مااجبروهم على الكفر اذلم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان ﴿ فحق علينا قول ربنا انا لذائقون

رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون ﴿ مالكم لاتناصرون ﴾ اى تقول لهم خزنة جهنم توبيخا مالكم لاينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لاحيلة لهم ﴿ وأقبل بعضهم على بعض ﴾ يعنى الرؤساء والاتباع ﴿ يتساءلون ﴾ أى يتخاصمون ﴿ قالوا ﴾ يعنى الرؤساء للاتباع ﴿ انكم كنتم تاتوننا عن اليمين ﴾ أى من قبل الدين فتضلوننا وترووننا ان الدين ماتضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذى يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين أى عن العزة والقدرة والقول الاول أصح ﴿ قالوا ﴾ يعنى الرؤساء للاتباع ﴿ بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ أى لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ أى من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا ﴿ بل كنتم قوما طاغين ﴾ أى ضالين ﴿ فحق علينا ﴾ أى وجب علينا جميعا ﴿ قول ربنا ﴾ يعنى كلمة العذاب وهى قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿ انا لذائقون ﴾

لاتمنعون من عذاب الله ولايمنع بعضكم بعضا ويقال انهم مسئولون عن تركهم لااله الا الله (بل هم اليوم) وهو يوم القيامة (مستسلمون) استسلم العابد والمعبود لله وعلموا ان الحق لله (وأقبل بعضهم على بعض) الانس على الشياطين والسفلة على القادة (يتساءلون) يتلاومون ويتخاصمون (قالوا) يعنى الانس للشياطين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) تغووننا عن الدين (قالوا) يعنى الشياطين للانس (بل لم تكونوا مؤمنين) بالله (وما كان لنا عليكم من سلطان) من عذر وحجة نأخذكم بها (بل كنتم قوما طاغين) كافرين بالله (فحق علينا) فوجب علينا (قول ربنا) بالسخط والعذاب (انا لذائقون) العذاب فى النار

ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الابل أو الغنم اذا صاح عليها (فاذاهم) أحياء بصراء (ينظرون) الى سوء أعمالهم أو ينتظرون مايحل بهم (وقالوا ياويلنا) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هذا يوم الدين) أى اليوم الذى ندان فيه أى نجازى باعمالنا (هذا يوم الفصل) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (الذى كنتم به تكذبون) ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون ياويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم (احشروا) خطاب الله للملائكة (الذين ظلموا) كفروا (وأزواجهم) أى وأشباههم وقرناءهم من الشياطين او نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير فى ظلموا (وما كانوا يعبدون من دون الله) أى الاصنام (فاهدوهم) دلوهم عن الاصمعى هديته فى الدين هدى وفى الطريق هداية (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم (انهم مسؤلون) عن أقوالهم وأفعالهم

نفخة البعث (فاذاهم) قيام من القبور (ينظرون) ماذا يؤمرون به (وقالوا) اذا قاموا من القبور (ياويلنا هذا يوم الدين) يوم الحساب فتقول لهم الملائكة (هذا يوم الفصل) يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين (الذى كنتم به) فى الدنيا (تكذبون) انه لايكون فيقول الله للملائكة (رجل) (احشروا الذين ظلموا) أشركوا (وأزواجهم) قرناءهم وضرباءهم من الجن والانس والشياطين (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام (فاهدوهم) فاذهبوا بهم (الى صراط الجحيم) الى وسط النار يقول الله للملائكة (وقفوهم) احبسوهم على النار (انهم مسئولون) عن هذا القول

رتب عليها ﴿ فاذاهم ينظرون ﴾ فاذاهم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون مايفعل بهم ﴿ وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين ﴾ اليوم الذى نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله ﴿ هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ﴾ جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسئ ﴿ احشروا الذين ظلموا ﴾ امر الله للملائكة اوامر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم ﴿ وازواجهم ﴾ واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتى على دينهم او قرناءهم من الشياطين ﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ من الاصنام وغيرها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون ﴿ فاهدوهم الى صراط الجحيم ﴾ فعرفوهم طريقها ليسلكوها ﴿ وقفوهم ﴾ احبسوهم فى الموقف ﴿ انهم مسؤلون ﴾ عن عقائدهم واعمالهم

﴿ فاذاهم ينظرون ﴾ يعنى احياء ﴿ وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين ﴾ يعنى يوم الحساب والجزاء ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ اى القضاء وقيل بين المحسن والمسئ ﴿ الذى كنتم به تكذبون ﴾ أى فى الدنيا ﴿ احشروا ﴾ أى أجمعوا ﴿ الذين ظلموا ﴾ أى أشركوا وقيل هو عام فى كل ظالم ﴿ وأزواجهم ﴾ أى أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع اهل الزنا وقيل أزواجهم أى قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة وقيل أزواجهم المشركات ﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ أى فى الدنيا يعنى الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده ﴿ فاهدوهم الى صراط الجحيم ﴾ قال ابن عباس اى دلوهم الى طريق النار ﴿ وقفوهم ﴾ أى احبسوهم ﴿ انهم مسؤلون ﴾ لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم ويروى عنه عن لااله الاالله وروى عن أبى برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفى رواية عن شبابه فيما أبلاه أخرجه الترمذى وله عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن داع دعا الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لايفارقه وان دعا

اياك (ويسخرون) هم منك ومن تعجبك أو عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث بل عجبت حمزة وعلى أى استعظمت والعجب روعة تعترى الانسان عند استعظام الشئ فجرد لمعنى الاستعظام فى حقه تعالى لانه لا يجوز عليه الروعة أو معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لا يذكرون) ودأبهم انهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون به (واذا رأوا آية) معجزة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون)

يستدعى بعضهم بعضا ان يسخر منها أو يبالغون فى السخرية (وقالوا ان هذا) ما هذا (الا سحر مبين) ظاهر (أئذا) استفهام انكار (متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) اى انبعث اذا كنا ترابا وعظاما (أو آباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم أبعد وأبطل أو آباؤنا بسكون الواو مدنى وشامى أى أيبعث واحد منا على المبالغة فى الانكار (الاولون) الاقدمون (قل نعم) تبعثون نعم على وهما لغتان (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما هى) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فما هى الا (زجرة واحدة) وهى لا ترجع الى شئ انما هى مبهمة موضحها خبرها

﴿ ويسخرون ﴾ من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء اى بلغ كمال قدرتى وكثرة خلائقى انى تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والتعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظامه الشئ وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت ﴿ واذا ذكروا لا يذكرون ﴾ واذا وعظوا بشئ لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم ﴿ واذا رأوا آية ﴾ معجزة تدل على صدق القائل به ﴿ يستسخرون ﴾ يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها ﴿ وقالوا ان هذا ﴾ يعنون ما يرونه ﴿ الا سحر مبين ﴾ ظاهر سحريته ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة فى الانكار واشعارا بان البعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائى ويعقوب بطرح الثانية ﴿ او آباؤنا الاولون ﴾ عطف على محل ان واسمها او على الضمير فى مبعوثون فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد ﴿ قل نعم وانتم داخرون ﴾ صاغرون وانما اكتفى به فى الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجزة على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اى الله او الرسول وقرأ الكسائى وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه ﴿ فانما هى زجرة واحدة ﴾ جواب شرط مقدر اى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هى النفخة الثانية من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وامرها فى الاعادة كامر كن فى الابداء ولذلك

من هذا القرآن حين أنزل وضلال بنى آدم وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت ﴿ ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون ﴾ أى واذا وعظوا لا يتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس يعنى انشقاق القمر ﴿ يستسخرون ﴾ أى يستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم بعضا الى أن يسخر ﴿ وقالوا ان هذا الا سحر مبين ﴾ أى بين ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون ﴾ اى صاغرون ﴿ فانما هى زجرة واحدة ﴾ اى صيحة واحدة وهى نفخة البعث

اياك (ويسخرون) بك وبكتابك (واذا ذكروا) وعظوا بالقرآن (لا يذكرون) لا يتعظون (واذا رأوا) أهل مكة (آية) علامة مثل انشقاق القمر وكسوف الشمس (يستسخرون) يهزؤن بها (وقالوا ان هذا) ما هذا الذى أتانا به محمد عليه السلام (الا سحر مبين) كذب بين (أئذا متنا وكنا) صرنا (ترابا وعظاما) بالية (أئنا لمبعوثون) لمحيون بعد الموت قل لهم يا محمد نعم قالوا (أو آباؤنا الاولون) الاقدمون مثلنا (قل نعم وأنتم) وهم (داخرون) صاغرون ذليلون (فانما هى زجرة واحدة) نفخة واحدة وهى

الشيطان من النار فلايحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ﴿ ثاقب ﴾ مضئ كأنه يثقب الجو بضوئه ﴿ فاستفتهم ﴾ فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة اولبني آدم ﴿ أهم اشد خلقا أم من خلقنا ﴾ يعني ماذكر من الملائكة والسماء والارض ومابينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ أم من عددنا وقوله تعالى ﴿ انا خلقناهم من طين لازب ﴾ فانه الفارق بينهم وبينها لابينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه امالاعترافهم بحدوث العالم اوبقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلاتوسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم لذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على خلق مالايعتدبه بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لاتتغير ﴿ بل عجبت ﴾ من قدرة الله وانكارهم البعث

ثاقب ﴾ أي كوكب مضئ قوي لايخطئه بل يقتله ويحرقه أو يخبله وقيل سمي النجم الذي ترمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم ٭ فان قلت كيف يمكن أن تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولايصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك ٭ قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لايصلون اليه طمعا في السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة ٭ وقوله عزوجل ﴿ فاستفتهم ﴾ يعني سل أهل مكة ﴿ أهم أشد خلقا أم من خلقنا ﴾ يعني من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير اى هذه الاشياء أشد خلقا وقيل أم من خلقنا يعني من الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد أهلكناهم بذنوبهم فالذي يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى ﴿ انا خلقناهم من طين لازب ﴾ يعني آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن ﴿ بل عجبت ﴾ قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لان العجب من الناس محمول على انكار الشئ وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث آخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم ٭ وقوله من الكم الال أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال ان الله لايعجب من شئ ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أي هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم

رجم (ثاقب) مضئ (فاستفتهم) فاستخبر كفار مكة (أهم أشد خلقا) أي أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض وما بينهما وجئ بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أم من عددنا بالتشديد والتخفيف (انا خلقناهم من طين لازب) لاصق أو لازم وقرئ به وهذا شهادة عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث (بل عجبت) من تكذيبهم

ثاقب) يلحقه نجم مضئ يحرقه (فاستفتهم) سل أهل مكة (أهم أشد خلقا) بعثا (أم من خلقنا) قبلهم من الملائكة وسائر الخلق (انا خلقناهم من طين) من آدم وآدم من طين (لازب) لاصق (بل عجبت) يا محمد من تكذيبهم (من)

كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يتسمعوا وقيل أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى جئتك أن تكرمنى فبقى أن لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما فى قوله ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وفيه

القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر ثم فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه أن المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك (الى الملأ الاعلى) أى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض (ويقذفون) يرمون بالشهب (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال أو لان القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكانه قيل يدحرون أو قذفا (ولهم عذاب واصب) دائم من الوصوب أى انهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع من فى (الامن) فى محل الرفع بدل من الواو فى لا يسمعون أى لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذى (خطف الخطفة) أى سلب السلبة يعنى أخذ شيأ من كلامهم بسرعة (فأتبعه) لحقه (شهاب) أى نجم

الى الملأ الاعلى ﴾ كلام مبتدأ لبيان حالهم بعدما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضى ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما فى جئتك ان تكرمنى ثم حذف ان واهدارها كقوله

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى

فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم ﴿ ويقذفون ﴾ ويرمون ﴿ من كل جانب ﴾ من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده ﴿ دحورا ﴾ علة اى للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اى قذفا دحورا ﴿ ولهم عذاب ﴾ اى عذاب آخر ﴿ واصب ﴾ دائم وشديد وهو عذاب الآخر ﴿ الامن خطف الخطفة ﴾ استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف ﴿ فاتبعه شهاب ﴾ اتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كأن كوكبا انقض وما قيل من انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا فى قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل فى الجو العالى فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كأنه على سطحها ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر فى بعض الاوقات رجما للشياطين تتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روى ان ذلك حدث بميلاد النبى عليه الصلاة والسلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف فى ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال ان

الى الملأ الاعلى ﴾ يعنى الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما يسمعوا كلام الملائكة فيخبرون به اولياءهم الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى ﴿ ويقذفون ﴾ اى يرمون بها ﴿ من كل جانب ﴾ أى من آفاق السماء ﴿ دحورا ﴾ أى يبعدونهم عن مجالس الملائكة ﴿ ولهم عذاب واصب ﴾ أى دائم ﴿ الامن خطف الخطفة ﴾ أى اختلس الكلمة من كلام الملائكة ﴿ فاتبعه ﴾ أى لحقه ﴿ شهاب

(الى الملا الاعلى) الى كلام الملائكة يعنى الحفظة فيما يكون بينهم (ويقذفون من كل جانب) يرمون من كل ناحية يصعدون اليها (دحورا) يدحرون عن السماء واستماع كلام الملائكة (ولهم عذاب واصب) دائم بالنجوم ويقال فى النار (الامن خطف الخطفة) الامن اختلس خلسة واستمع استماعا الى كلام الملائكة (فأتبعه شهاب

المشرق والمغرب فانه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الادنى (بزينة الكواكب) حفص وحمزة على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا بزينة

الكواكب أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على اضمار أعني أو على اعمال المصدر منونا في المفعول بزينة الكواكب غيرهم باضافة المصدر الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينة الكواكب لقراءة أبي بكر (وحفظا) محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المعلل مقدر كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب أو معناه حفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة والضمير في (لا يسمعون) لكل شيطان لانه في معنى الشياطين يسمعون كوفي غير أبي بكر وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وينبغي ان يكون

الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف ومابينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وماقيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال ﴿ انا زينا السماء الدنيا ﴾ القربى منكم ﴿ بزينة الكواكب ﴾ بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابداله منه اوبزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدر كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة ﴿ وحفظا ﴾ منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا ﴿ من كل شيطان مارد ﴾ خارج من الطاعة برمي الشهب ﴿ لا يسمعون

باحدهما قال السدي المشارق ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب ٭ فان قلت قد قال في موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات ٭ قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل أراد مشارق الكواكب ٭ قوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا) يعني التي تلي الارض وهي ادنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من احسن الصفات واكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح أزرق نظر غاية الزينة ﴿ وحفظا من كل شيطان مارد ﴾ أي وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب ﴿ لا يسمعون

مشارق الشتاء والصيف (انا زينا السماء الدنيا) الاولى (بزينة الكواكب) يقول زينت بالكواكب (وحفظا) (الى) يقول حفظت بالنجوم (من كل شيطان مارد) متمرد شديد (لا يسمعون) لكي لا يسمعوا

الزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة فالزاجرات لسحاب سوقا أو عن المعاصي بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك وصفا مصدر مؤكد وكذلك

زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات في التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم الزجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (ان الهكم لواحد) قيل هو جواب قولهم أجعل الالهة الها واحدا (رب السموات والارض) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أي هو رب (وما بينهما ورب المشارق) أي مطالع الشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فانه أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما وأما رب

فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ﴾ اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل والعدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتب الوجود كقوله

يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب

فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة او الرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاآت فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا ﴿ ان الهكم لواحد ﴾ جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ماهو المألوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله تعالى ﴿ رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق ﴾ فان وجودها وانتظامها على الوجه

الخلق في الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف لفظ أبي داود وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنحتها في الهواء ﴿ فالزاجرات زجرا ﴾ يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح ﴿ فالتاليات ذكرا ﴾ يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ان الهكم لواحد ﴾ وذلك ان كفار مكة قالوا أجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما أقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى ﴿ رب السموات والارض وما بينهما ﴾ يعني أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك ﴿ وقوله ﴿ ورب المشارق ﴾ قيل أراد والمغارب فاكتفى

اقسم الله بالملائكة الذين في السماء صفوفا كصفوف المؤمنين في الصلاة (فالزاجرات زجرا) اقسم بالملائكة الذين يزجرون السحاب ويؤلفونه (فالتاليات ذكرا) (قا و خا ٢٩ مس) اقسم بالملائكة قرأة الكتاب ويقال اقسم بقرأة القرآن (ان الهكم لواحد) بلا ولد ولا شريك ولهذا كان القسم ان الهكم يا أهل مكة لواحد بلا ولد ولا شريك (رب السموات والارض) خالق السموات والارض (وما بينهما) من الخلائق والعجائب (ورب المشارق)

أي فهو كائن موجود لا محالة فالحاصل ان المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كانه يقول كما لايثقل قول كن عليكم فكذا لايثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامي وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن فيكون (فسبحان) تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ماقالوا (الذي بيده ملكوت كل شئ) أي ملك كل شئ وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعني هو مالك كل شئ (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت بلا فوت ترجعون يعقوب. وقال عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة. وقال عليه السلام من قرأ يس امام حاجته قضيت له وقال عليه السلام من قرأها ان كان جائعا اشبعه الله وان كان ظمآن ارواه الله وان كان عريانا البسه الله وان كان خائفا أمنه الله وان كان مستوحشا آنسه الله وان كان فقيرا أغناه الله وان كان في السجن أخرجه الله وان كان أسيرا خلصه الله وان كان ضالا هداه الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والله أعلم ﴿سورة والصافات (الخلق) مكية وهي مائة واحدى أو اثنتان وثمانون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والصافات صفا

فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ﴾ تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شئ ﴿واليه ترجعون﴾ وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ماروى في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية. وعنه عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر له واعطى من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

﴿سورة الصافات مكية وآيها مائة واحدى او اثنتان وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والصافات صفا

﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ﴾ أي هو مالك كل شئ والمتصرف فيه ﴿واليه ترجعون﴾ أي تردون بعد الموت والله أعلم

﴿تفسير سورة والصافات وهي مكية وهي مائة﴾

﴿واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة﴾

﴿آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿والصافات صفا﴾ قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف

(فسبحان) نزه نفسه (الذي بيده ملكوت كل شئ) خزائن كل شئ وخالق كل شئ (واليه ترجعون) بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم ﴿ومن السورة التي يذكر فيها الصافات وهي كلها مكية آياتها مائة واحدى وثمانون وكلماتها ثمانمائة وستون وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعة وعشرون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (والصفات صفا)

ابتداء (وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) لا تخفى عليه أجزاؤه وان تفرقت في البر والبحر فيجمعه ويعيده كما كان (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى به الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفى أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لان المرخ شجر سريع الورى والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار فى الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة فى البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب اسهل فى العقل من الجمع معا بلا ترتيب والاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين أن من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسى أقدر بقوله (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) فى الصغر بالاضافة الى السموات والارض أو ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبدأ وليس به (بلى) أى قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيأ ان يقول له كن) أن يكونه (فيكون) فيحدث

اللازمة لذاتها ﴿ وهو بكل خلق عليم ﴾ يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها بضم بعضها الى بعض على نمط السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها اواحداث مثلها ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ﴾ كالمرخ والعفار ﴿ نارا ﴾ بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار ﴿ فاذا انتم منه توقدون ﴾ لا تشكون فى انها نار خرجت منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالؤن منها البطون ﴿ أوليس الذى خلق السموات والارض ﴾ مع كبر جرمهما وعظم شأنهما ﴿ بقادر على ان يخلق مثلهم ﴾ فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر ﴿ بلى ﴾ جواب من الله لتقرير ما بعد النفى مشعر بانه لا جواب سواه ﴿ وهو الخلاق العليم ﴾ كثير المخلوقات والمعلومات ﴿ انما امره ﴾ انما شأنه ﴿ اذا أراد شيأ ان يقول له كن ﴾ اى تكون ﴿ فيكون ﴾

﴿ وهو بكل خلق ﴾ أى من الابتداء والاعادة ﴿ عليم ﴾ أى يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المبدأ والمعاد ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر منها وذلك ان هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء فى كل شجر نار الا العناب ﴿ فاذا أنتم منه توقدون ﴾ أى تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى ﴿ أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ﴾ أى هو القادر على ذلك ﴿ وهو الخلاق ﴾ يعنى يخلق خلقا بعد خلق ﴿ العليم ﴾ أى بجميع ما خلق ﴿ انما أمره اذا أراد شيأ ﴾ أى احداث شئ وتكوينه ﴿ ان يقول له كن ﴾ أى يكونه من غير توقف ﴿ فيكون ﴾ أى فيحدث ويوجد لا محالة

(وهو بكل خلق) بخلق كل شئ (عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) غير العذاب (فاذا أنتم) يا أهل مكة (منه توقدون) تقدحون منه النار (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق) يحيي (مثلهم بلى) قادر على ذلك (وهو الخلاق) الباعث (العليم انما أمره) فى البعث (اذا أراد شيأ) اذا أراد أن يكون البعث فيكون البعث (أن يقول له كن فيكون) قيام الساعة

الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم والنهي عن حزنه ليس اثباتا لحزنه بذلك كما في قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر ونزل في أبي بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفتته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة) مذرة خارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة (فاذا هو خصيم مبين) بين الخصومة أي فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزه وصفه له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وضرب لنا مثلا) بفتته العظم (ونسي خلقه) من المني فهو أغرب من احياء العظم المصدر مضاف الى المفعول أي خلقنا اياه (قال من يحيي العظام وهي رميم) هو اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها تشبث بهذه الآية وهي عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (قل يحييها الذي أنشأها) خلقها (أول مرة) أي (وهو)

التعليل جاز ﴿أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين﴾ تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقته ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه ﴿وضرب لنا مثلا﴾ امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ﴿ونسي خلقه﴾ خلقنا اياه ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر الموت فيه كسائر الاعضاء ﴿قل يحييها الذي انشأها اول مرة﴾ فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية

---

* قوله تعالى ﴿أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة﴾ أي من نطفة قذرة خسيسة ﴿فاذا هو خصيم مبين﴾ أي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره البعث وكيف لا يتفكر في بدء خلقه وانه من نطفة قذرة ويدع الخصومة نزلت في أبي ابن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث وأتاه بعظم قد رم وبلي ففتته بيده وقال أترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه الآيات ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه﴾ أي بدء أمره ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ أي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله تعالى يحييه ونسي أول خلقه وانه مخلوق من نطفة ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ أي خلقها أول مرة وابتدأ خلقها

العداوة (أولم ير الانسان) أولم يعلم أبي بن خلف (انا خلقناه من نطفة) منتنة ضعيفة (فاذا هو خصيم) رجل جدل بالباطل (مبين) ظاهر الجدال (وضرب لنا مثلا) وصف لنا مثلا بالعظام (ونسي خلقه) ترك ذكر خلقه الاول (قال من يحيي العظام وهي رميم) تراب بالية (قل) له يا محمد (يحييها الذي أنشأها) خلقها (أول مرة) من النطفة

م ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها (ولهم فيها منافع) من الجلود والاوبار وغير ذلك (ومشارب) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب (أفلا يشكرون) الله على انعام الانعام (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أي لعل أصنامهم تنصرهم اذا حزبهم امر (لا يستطيعون) أي آلهتهم (نصرهم) نصر عابديهم (وهم لهم) أي الكفار للاصنام (جند) أعوان وشيعة (محضرون) يخدمونهم ويذبون عنهم أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم و الامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار (فلا يحزنك قولهم) وبضم الياء و كسر الزاء نافع من حزنه وأحزنه يعني فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم (انا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم ان من قرأ انا نعلم بالفتح فسدت صلاته وان اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لانه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل فان قلت ان كان المفتوح بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مقولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان و فتحها و انما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كانك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

لحمه ﴿ ولهم فيها منافع ﴾ من الجلود والاصواف والاوبار ﴿ ومشارب ﴾ من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر ﴿ أفلا يشكرون ﴾ نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها لما امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ اشركوها به في العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها ﴿ لعلهم ينصرون ﴾ رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم ﴿ لا يستطيعون نصرهم وهم لهم ﴾ لآلهتهم ﴿ جند محضرون ﴾ معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم في النار ﴿ فلا يحزنك ﴾ فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن ﴿ قولهم ﴾ في الله بالالحاد والشرك اوفيك بالتكذيب والتهجين ﴿ انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام

﴿ ولهم فيها منافع ﴾ أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ونسلها ﴿ ومشارب ﴾ أي من ألبانها ﴿ أفلا يشكرون ﴾ أي رب هذه النعم ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ يعني الاصنام ﴿ لعلهم ينصرون ﴾ أي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط ﴿ لا يستطيعون نصرهم ﴾ قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب ﴿ وهم لهم جند محضرون ﴾ أي الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه في الدنيا كانهم جند محضرون في النار ﴿ فلا يحزنك قولهم ﴾ يعني قول كفار مكة في تكذيبك يا محمد ﴿ انا نعلم ما يسرون ﴾ أي في ضمائرهم من التكذيب ﴿ وما يعلنون ﴾ أي من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون بالسنتهم من الاذى

أكلون (ولهم) يعني لاهل مكة (فيها) في الانعام (منافع) في حملها وكسبها (ومشارب) من البانها (أفلا يشكرون) من فعل بهم ذلك فيؤمنوا به (واتخذوا) عبدوا كفار مكة (من دون الله آلهة) اصناما (لعلهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (لا يستطيعون نصرهم) لا يستطيع الآلهة منع عذاب الله عنهم (وهم) يعني كفار مكة (لهم) بالباطل الاصنام (جند محضرون) كالعبيد قيام بين أيديهم (فلا يحزنك قولهم) تكذيبهم يا محمد (انا نعلم ما يسرون) من المكر والخيانة (وما يعلنون) من

وقرآن مبين) أى ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول لتنذر مدنى وشامى وسهل ويعقوب (من كان حيا) عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو حيا بالقلب (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون وهم فى حكم الاموات (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) أى مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا (فهم لها مالكون) أى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فمنها ركوبهم) وهو ما يركب (ومنها يأكلون) أى سخرناها

من الله ﴿ وقرآن مبين ﴾ وكتاب سماوى يتلى فى المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز ﴿ لينذر ﴾ القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء ﴿ من كان حيا ﴾ عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا فى علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ﴿ ويحق القول ﴾ وتجب كلمة العذاب ﴿ على الكافرين ﴾ المصرين على الكفر وجعلهم فى مقابلة من كان حيا اشعار بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات فى الحقيقة ﴿ أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا ﴾ مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدى واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث ﴿ انعاما ﴾ خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع ﴿ فهم لها مالكون ﴾ متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال

اصبحت لا احمل السلاح ولا ٭ املك رأس البعير ان نفرا

﴿ وذللناها لهم ﴾ وصيرناها منقادة لهم ﴿ فمنها ركوبهم ﴾ مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اى ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ﴿ ومنها يأكلون ﴾ أى ما يأكلون

بشعر لانه ليس على أساليب الشعر ولا يدخل فى بحوره ﴿ وقرآن مبين ﴾ أى انه كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين ﴿ لتنذر ﴾ أى يا محمد وقرئ بالياء أى القرآن ﴿ من كان حيا ﴾ يعنى مؤمنا حى القلب لان الكافر كالميت الذى لا يتدبر ولا يتفكر ﴿ ويحق القول ﴾ أى وتجب حجة العذاب ﴿ على الكافرين ﴾ قوله عز وجل ﴿ أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا ﴾ أى تولينا خلقه بابداعنا له من غير اعانة أحد فى انشائه كقول القائل عملت هذا بيدى اذا تفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التى لا يقدر عليها الا هو ﴿ أنعاما ﴾ انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله تعالى وايجاده لان النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم ﴿ فهم لها مالكون ﴾ أى خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه وهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ٭ أملك رأس البعير ان نفرا

أى لا أضبط رأس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بنى آدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى ﴿ وذللناها لهم فمنها ركوبهم ﴾ أى الابل ﴿ ومنها يأكلون ﴾ أى الغنم

(وقرآن مبين) مبين بالحلال والحرام والامر والنهى (لينذر) محمد صلى الله عليه وسلم القرآن (من كان حيا) من كان له عقل (ويحق القول) يجب القول بالسخط والعذاب (على الكافرين) كفار مكة فلا يؤمنون (و) بمحمد عليه السلام والقرآن (أولم يروا) أولم يخبروا (انا خلقنا لهم) لاهل مكة (مما عملت أيدينا) مما خلقنا لهم بقدرتنا بكن فكان (انعاما فهم لها مالكون) ضابطون مالكون عليها (وذللناها لهم) سخرناها لهم (فمنها ركوبهم) منها ما يركبون (ومنها يأكلون) ومن لحومها

شاعر اى ماعلمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه مايتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها ﴿ وماينبغى له ﴾ ومايصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام انا النبى لا كذب ٭ انا ابن عبدالمطلب

وقوله صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت ٭ وفى سبيل الله مالقيت

اتفاقى من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثل ذلك كثيرا فى تضاعيف المنثورات على ان الخليل ماعد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرك البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اى ومايصح للقرآن ان يكون شعرا ﴿ ان هو الا ذكر ﴾ عظة وارشاد

وماينبغى له ﴾ قيل ان كفار قريش قالوا ان محمدا شاعر ومايقوله شعر فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وماعلمناه الشعر وماينبغى له أى مايسهل له ذلك ومايصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ماكان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت ٭ كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا ٭ فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يانبى الله انما قال الشاعر ٭ كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ٭ أشهد أنك رسول الله وماعلمناه الشعر وماينبغى له هذا حديث مرسل ٭ وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول ٭ ويأتيك بالاخبار من لم تزود ٭ أخرجه الترمذى وفى رواية لغيره أن عائشة رضى الله عنها سئلت هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث ولم يتمثل الا ببيت اخى بنى قيس طرفة

ستبدى لك الايام ماكنت جاهلا ٭ ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار ٭ فقال أبو بكر رضى الله عنه ليس هكذا يارسول الله فقال انى لست بشاعر ولا ينبغى لى ٭ فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبدالله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فدميت أصبعه فقال

هل أنت الا أصبع دميت ٭ وفى سبيل الله مالقيت

اخرجاه فى الصحيحين ولهما من حديث أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال

اللهم ان العيش عيش الآخره ٭ فاكرم الانصار والمهاجره

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال

أنا النبى لا كذب ٭ أنا ابن عبدالمطلب

قلت ماهذا الا من كلامه الذى يرمى به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشاآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل فى وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى ﴿ ان هو الا ذكر ﴾ يعنى ماهو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس

(وماينبغى له) ومايصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدى الى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله

أنا النبى لا كذب
انا ابن عبدالمطلب

وقوله

هل أنت الا أصبع دميت
وفى سبيل الله مالقيت

فما هو الا من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق فى خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعرا لان صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على انه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الباء فى كذب وخفض الباء فى المطلب ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) أى المعلم (الا ذكر

(وماينبغى له) مايصلح له الشعر (ان هو) ماهو يعنى القرآن (الا ذكر) عظة

الصراط (فأنى يبصرون) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولو نشاء لمسخناهم) قردة أو خنازير أو حجارة (على مكاناتهم) على مكاناتهم أبو بكر وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم فى منازلهم حيث يجترحون المآثم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجئ أو مضيا امامهم ولا يرجعون خلفهم (ومن نعمره ننكسه) عاصم وحمزة والتنكيس جعل الشئ أعلاه أسفله الباقون ننكسه (فى الخلق) أى نقلبه فيه بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل

الشباب هرما وذلك انا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع الى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ (أفلا يعقلون) ان من قدر على أن ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكاناتهم ويبعثهم بعد الموت وبالتاء مدنى ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل (وما علمناه الشعر) أى وما علمنا النبى عليه السلام قول الشعراء أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر (و) على معنى ان القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فان الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققته

اوبتضمين الاستباق معنى الابتدار اوجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع اوبالظرف ﴿ فأنى يبصرون ﴾ الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ﴿ ولو نشاء لمسخناهم ﴾ بتغيير صورهم وابطال قواهم ﴿ على مكانتهم ﴾ مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم ﴿ فما استطاعوا مضيا ﴾ ذهابا ﴿ ولا يرجعون ﴾ ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتى والعتى ومضيا كصبى والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ﴿ ومن نعمره ﴾ ومن نطل عمره ﴿ ننكسه فى الخلق ﴾ نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر ﴿ أفلا يعقلون ﴾ ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غيرانه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله ﴿ وما علمناه الشعر ﴾ رد لقولهم ان محمدا

﴿ فأنى يبصرون ﴾ أى كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعنى لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم نفعل ذلك بهم ﴿ ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم ﴾ يعنى ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير فى منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها ﴿ فما استطاعوا مضيا ﴾ أى لا يقدرون أن يبرحوا ﴿ ولا يرجعون ﴾ أى الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع ﴿ ومن نعمره ننكسه فى الخلق ﴾ أى نرده الى أرذل العمر شبه الصبى فى أول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها وننقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان فى ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم فى حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى أن بلغ أشده واستكمل قوته وعقله وعلم ماله وما عليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه فى الخلق ﴿ أفلا يعقلون ﴾ أى فيعتبرون ويعلمون ان الذى قدر على تصريف أحوال الانسان قادر على البعث بعد الموت * قوله عز وجل ﴿ وما علمناه الشعر

(فأنى يبصرون) من أين يبصرون ولم نفقأ عين ضلالتهم (ولو نشاء لمسخناهم) قردة وخنازير (على مكانتهم) فى منازلهم فى ديارهم (فما استطاعوا مضيا) ذهابا ولا مجيئا (ولا يرجعون) فى ديارهم الى الحال الاول (ومن نعمره) نمهله فى العمر (ننكسه) نحطه (فى الخلق) فى الخلق الاول حتى صار كأنه طفل لا لحى له ولا اسنان ولا قوة يتول ويتغوط كالطفل (أفلا يعقلون) أفلا يصدقون بذلك (وما علمناه الشعر) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم

وفي الحديث انهم يحجون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم ﴿ ولو نشاء لطمسنا على اعينهم ﴾ لمسخنا اعينهم حتى تصير ممسوحة ﴿ فاستبقوا الصراط ﴾ فاستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض

قلت ما الحكمة فى تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا يارسول الله قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد ربه فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يارب أفظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يارب فيقول افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير مااستطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقول له الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه * قوله أى فل يعنى يافلان * قوله وأسودك أى أجعلك سيدا * قوله وأذرك ترأس أى تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع أى تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروى ترتع بتاءين أى تتنعم وتنبسط من الرتع * قوله وذلك ليعذر من نفسه أى ليقيم الحجة عليها بشهادة أعضائه عليه (م) عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك قال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل قوله لا أجيز أى لا أقبل شاهدا على * قوله بعدا لكن وسحقا أى هلاكا * قوله فعنكن كنت أناضل أى أجادل وأخاصم * قوله تعالى ﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ﴾ أى أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم ﴿ فاستبقوا الصراط ﴾ أى فبادروا الى الطريق

(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لاعميناهم وأذهبنا أبصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصطرا) على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى

الشر (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لفقأنا أعين ضلالتهم (فاستبقوا الصراط) فابصروا الطريق

انه لكم عدو مبين) العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم (وأن اعبدونى) وحدونى وأطيعونى (هذا) اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صراط مستقيم) أى صراط بليغ فى استقامته ولا صراط أقوم منه (ولقد أضل منكم جبلا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامى وأبو عمرو

وجبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات فى معنى الخلق (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ادخلوها بكفركم وانكاركم لها (اليوم نختم على أفواههم) أى نمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا أجيز على الاشاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل

وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة من عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واعهد واحهد واحد على لغة تميم ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه ﴿ وان اعبدونى ﴾ عطف على ان لا تعبدوا ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ اشار الى ما عهد اليهم او الى عبادته فجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه او بشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ﴿ ولقد اضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون ﴾ رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائى بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا بتخفيف جمع جبلة كخلق وخلقة وجيلا واحد الاجيال ﴿ هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا ﴿ اليوم نختم على افواههم ﴾ نمنعها من الكلام ﴿ وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ بظهور آثار المعاصى عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله تعالى اياها

يعنى لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ أى ظاهر العداوة ﴿ وأن اعبدونى ﴾ أى أطيعونى ووحدونى ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ أى لا صراط أقوم منه * قوله تعالى ﴿ ولقد أضل منكم جبلا كثيرا ﴾ أى خلقا كثيرا ﴿ أفلم تكونوا تعقلون ﴾ يعنى ما أتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار ﴿ هذه جهنم التى كنتم توعدون ﴾ يعنى بها فى الدنيا ﴿ اصلوها ﴾ أى ادخلوها ﴿ اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ * قوله تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ معنى الآية ان الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم بعملوا لان أعضاءهم التى كانت عونا لهم على المعاصى صارت شاهدة عليهم وذلك ان أقرار الجوارح أبلغ من أقرار اللسان وفى

(انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (وأن اعبدونى) وحدونى (هذا) التوحيد الذى أمرتكم (صراط مستقيم) (قت) دين حق مستقيم (ولقد أضل) الشيطان (منكم) يا بنى آدم (جبلا) خلقا (كثيرا) قبلكم (أفلم تكونوا تعقلون) تعلمون ما صنع بهم فلا تقتدوا بهم (هذه جهنم التى كنتم توعدون) فى الدنيا (اصلوها) ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) تجحدون به وبالكتب والرسل (اليوم) وهو يوم القيامة (نختم على أفواههم) نمنع ألسنتهم عن الكلام بعد ما أنكروا (وتكلمنا أيديهم) بما بطشوا به (وتشهد أرجلهم) بما مشوا به وتشهد جوارحهم (بما كانوا يكسبون) يعملون من

قراءة حمزة والكسائى فى ظلل ﴿ على الارائك ﴾ على السرر المزينة ﴿ متكؤن ﴾ وهم مبتدأ خبره فى ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة اوخبر ثان اومتكؤن والجاران صلتان له اوتأكيد للضمير فى شغل اوفى فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة فى الاحكام الثلاثة وفى ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه ﴿ لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون ﴾ مايدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذاشوى وجمل لنفسه اومايتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه اويتمنون من قولهم ادع على ماشئت بمعنى تمنه على اومايدعونه فى الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة اوموصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله ﴿ سلام ﴾ بدل منها اوصفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها اوخبر محذوف اومبتدأ محذوف الخبر اى ولهم سلام * وقرئ بالنصب على المصدر اوالحال اى لهم مرادهم خالصا ﴿ قولا من رب رحيم ﴾ اى يقول الله اويقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة اوبغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص ﴿ وامتازوا اليوم ايها المجرمون ﴾ وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا عن كل خير اوتفرقوا فى النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لايرى ولايرى ﴿ ألم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان ﴾ من جملة مايقال لهم تقريعا والزاما للحجة

يعنى اكنان القصور ﴿ على الارائك ﴾ يعنى السرر فى الحجال ﴿ متكؤن ﴾ أى ذووا اتكاء تحت تلك الظلال ﴿ لهم فيها فاكهة ﴾ أى فى الجنة ﴿ ولهم مايدعون ﴾ يعنى مايتمنون ويشتهون والمعنى ان كل مايدعون أى أهل الجنة يأتيهم ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾ يعنى يسلم الله عز وجل عليهم * روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم ينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ اى اعتزلوا اوانفردوا اوتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر فى النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه أبد الآبدين لايرى ولايرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض * قوله عز وجل ﴿ ألم أعهد اليكم يابنى آدم ﴾ أى ألم آمركم وأوصكم يابنى آدم ﴿ أن لاتعبدوا الشيطان ﴾

حال جمع ظل وهو الموضع الذى لاتقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة وبرام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهى ماستر عن شمس (على الارائك) جمع اريكة وهى السرير فى الحجلة أوالفراش فيها (متكؤن) خبر أو فى ظلال خبر وعلى الارائك مستأنف (ولهم مايدعون) يفتعلو[ن] من الدعاء أى كل مايدعو[ه] أهل الجنة يأتيهم أو يتمنو[ن] من قولهم ادع على ماشئ[ت] أى تمنه على عن الفر[اء] هو من الدعوى ولايدعو[ن] مالايستحقون (سلام) بدل مما يدعون كأنه قا[ل] لهم سلام يقال لهم (قولا من رب رحيم) والمعنى ان الله يسلم علي[هم] بواسطة الملائكة أو بغ[ير] واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لايمنعو[نه] قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وامتازو[ا] اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمني[ن] وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنو[ن] ويسار بهم الى الجنة وع[ن] الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لايرى ولايرى أبدا ويقول لهم يوم القيامة (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيـ[ـطان]) ... فى ظل الشجر (على الارائك) على السرر فى الحجال (متكؤن) جالسو[ن] (لهم فيها) فى الجنة (فاكهة) ألوان الفواكه (ولهم مايدعون) مايسألون ويشتهون (سلام قولا) يسلمون عليهم سلاما (من رب رحيم وامتازوا اليوم) يقول الله لهم تفرقوا اليوم (أيها المجرمون) المشركون فميزهم الله من المؤمنين ويقول لهم (ألم أعهد اليكم) ألم أقدم اليكم فى الكتاب مع الرسول (يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان) لاتطيعوا الشيطان

هذاماوعد الرحمن وصدق المرسلون) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ماسمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون (ان كان) النفخة الاخيرة (الاصيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون) للحساب ثم ذكر مايقال لهم فى ذلك اليوم (فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الاما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) بضمتين كوفى وشامى وبضمة وسكون مكى ونافع وأبو عمرو والمعنى فى شغل فى أى شغل وفى شغل لايوصف وهو افتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار أوضرب الاوتار أو ضيافة الجبار (فاكهون) خبر ثان فكهون يزيد والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة (هم) مبتدأ (وأزواجهم) عطف عليه (فى ظلال)

عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر ﴿ هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ مبتدأ وخبر ومامصدرية اوموصولة محذوفة الراجع اوهذا صفة لمرقدنا وماوعد خبر محذوف اومبتدأ خبره محذوف اى ماوعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة اوللمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث فارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ﴿ ان كانت ﴾ ما كانت الفعلة ﴿ الاصيحة واحدة ﴾ هى النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة ﴿ فاذاهم جميع لدينا محضرون ﴾ بمجرد تلك الصيحة وفى كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التى ينوطانهما فيما يشاهدونه ﴿ فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الاما كنتم تعملون ﴾ حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له فى النفوس وكذا قوله ﴿ ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ﴾ متلذذون فى النعمة من الفكاهة وفى تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى مايحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فى شغل بالسكون ويعقوب فى رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون فى شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفكهين وفاكهين على الحال من المستكن فى الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات ﴿ هم وازواجهم فى ظلال ﴾ جمع ظل كشعاب اوظلة كقباب ويؤيده

وأنواع عذابها صار عذاب القبر فى جنبها كالنوم فقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴿ هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ أقروا حين لاينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ﴿ ان كانت الاصيحة واحدة ﴾ يعنى النفخة الاخيرة ﴿ فاذاهم جميع لدينا محضرون ﴾ أى للحساب ﴿ فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الاما كنتم تعملون ﴾ ● قوله تعالى ﴿ ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل ﴾ قال ابن عباس فى افتضاض الابكار وقيل فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله تعالى وقيل فى السماع وقيل شغلوا عما فى الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب الاليم ﴿ فاكهون ﴾ قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه ﴿ هم وازواجهم فى ظلال ﴾

(هذا ماوعد الرحمن) فى الدنيا ويقال تقول لهم الملائكة يعنى الحفظة هذا ماوعد الرحمن على ألسنة الرسل فى الدنيا (وصدق المرسلون) بالبعث بعد الموت (ان كانت) ما كانت (الاصيحة واحدة) نفخة واحدة وهى نفخة البعث (فاذاهم جميع لدينا) (يعنى) عندنا (محضرون) للحساب (فاليوم) وهو يوم القيامة (لاتظلم نفس شيأ) لاينقص من حسنات أحد ولايزاد على سيئات أحد (ولاتجزون) فى الآخرة (الاما كنتم تعملون) وتقولون فى الدنيا (ان أصحاب الجنة) أهل الجنة (اليوم) وهو يوم القيامة (فى شغل) عما فيه أهل النار (فكهون) معجبون بافتضاضهم الابكار ويقال ناعمون ان قرأت بالالف (هم وأزواجهم) حلائلهم (فى ظلال

فى الخصومة وشدد الباقون الصاد أى يخصمون بادغام التاء فى الصاد لكنه مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة اليها وبسكون الخاء مدنى وبكسر الياء والخاء يحيي فاتبع الياء الخاء فى الكسر وبفتح لياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضا فى معاملاتهم (فلا يستطيعون توصية) فلا يستطيعون ان يوصوا فى شئ من أمورهم توصية (ولا الى أهلهم يرجعون) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية والصور القرن أو جمع صورة (فاذاهم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها (قالوا) أى الكفار (ياويلنا من بعثنا) من أنشرنا (من مرقدنا) أى مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا

امرها كقوله فاخذتهم الساعة بغتة وهم لايشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكأنه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله ﴿ فلايستطيعون توصية ﴾ فى شئ من امورهم ﴿ ولا الى اهلهم يرجعون ﴾ فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ اى مرة ثانية وقد سبق فى سورة المؤمنين ﴿ فاذاهم من الاجداث ﴾ من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء ﴿ الى ربهم ينسلون ﴾ يسرعون وقرئ بالضم ﴿ قالوا ياويلنا ﴾ وقرئ ياويلتنا ﴿ من بعثنا من مرقدنا ﴾ وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط

أى فى أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون فى الاسواق والمجالس وفى متصرفاتهم فتأتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح فى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها أخرجه البخارى وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبدالله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج ٭ وقوله وهو يليط حوضه يعنى يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله واصله من اللوط ٭ وقوله أصغى ليتا الليت صفحة العنق وأصغى يعنى امال عنقه يسمع ٭ وقوله تعالى ﴿ فلايستطيعون توصية ﴾ أى لايقدرون على الايصاء بل أعجلوا عن الوصية فماتوا ﴿ ولا الى أهلهم يرجعون ﴾ يعنى لايقدرون على الرجوع الى أهلهم لان الساعة لاتمهلهم بشئ ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ هذه النفخة الثانية وهى نفخة البعث وبين النفختين أربعون سنة (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين أربعون قالوا ياأباهريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا اربعين شهرا قال أبيت قالوا أربعين سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ لايبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ﴿ فاذاهم من الاجداث ﴾ أى القبور ﴿ الى ربهم ينسلون ﴾ أى يخرجون منها أحياء ﴿ قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم

فى السوق (فلايستطيعون توصية) وصية ويقال كلاما (ولا الى أهلهم يرجعون) من السوق ويقال ولا الى اهلهم يرجعون يحيرون الجواب (ونفخ فى الصور) وهى نفخة البعث (فاذاهم من الاجداث) من القبور (الى ربهم ينسلون) يخرجون (قالوا) بعدما خرجوا من القبور يعنى الكفار (ياويلنا من بعثنا) من نبهنا (من مرقدنا) من منامنا فيقول بعضهم لبعض

(وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الاكانوا عنها معرضين) يدل عليه ومن الاولى لتأكيد النفى والثانية للتبعيض أى ودأ
الاعراض عن كل آية وموعظة (واذا قيل لهم) لمشركى مكة (أنفقوا مما رزقكم الله) أى تصدقوا على الفقراء (قال الذ
كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) عن ابن عباس رضى الله عنه
كان بمكة زنادقة فاذا أمروا
بالصدقة على المساكين
قالوا لاوالله أيفقره الله
ونطعمه نحن (ان أنتم
الا فى ضلال مبين) قول الله
لهم أو حكاية قول المؤمنين
لهم أو هو من جملة جوابهم
للمؤمنين (ويقولون متى
هذا الوعد) أى وعد
البعث والقيامة (ان كنتم
صادقين) فيما تقولون
خطاب للنبى وأصحابه
(ماينظرون) ينتظرون
(الاصيحة واحدة) هى
النفخة الاولى (تأخذهم
وهم يخصمون) بسكون الخاء وتخفيف
الصاد من خصمه اذا غلبه

(وماتأتيهم) كفار مكة (من آية) من علامة (من آيات) علامات (ربهم) مثل انشقاق القمر وكسوف الشمس ومحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الاكانوا عنها) بها (معرضين) مكذبين (واذا قيل لهم) لاهل مكة قال لهم فقراء المؤمنين (أنفقوا) تصدقوا على الفقراء (مما رزقكم الله) أعطاكم الله (قال الذين كفروا) كفار
مكة (للذين آمنوا) الفقراء المؤمنين (أنطعم) أنتصدق (من لو يشاء الله) على من لو يشاء الله (أطعمه) رزقه (ان (اى)
أنتم) ماأنتم يامعشر المؤمنين ويقال قال لهم المؤمنون ان أنتم ما أنتم (الا فى ضلال مبين) فى خطأ بين ويقال نزلت هذه الآية
فى زنادقة قريش (ويقولون) كفار مكة (متى هذا الوعد) الذى تعدنا يامحمد (ان كنتم صادقين) ان كنت من الصادقين أن نبعث بعد
الموت (ماينظرون) ماينتظر قومك بالعذاب اذ كذبوك (الاصيحة واحدة) وهى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) يتنازعون

﴿ وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ﴾ كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه ﴿ واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله ﴾ على محاويجكم ﴿ قال الذين كفروا ﴾ بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة ﴿ للذين آمنوا ﴾ تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته ﴿ أنطعم من لو يشاء الله اطعمه ﴾ على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ﴿ ان انتم الا فى ضلال مبين ﴾ حيث امرتمونا مايخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ يعنون وعد البعث ﴿ ماينظرون ﴾ ماينتظرون ﴿ الا صيحة واحدة ﴾ هى النفخة الاولى ﴿ تأخذهم وهم يخصمون ﴾ يتخصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لايخطر ببالهم

﴿ وماتأتيهم من آية من آيات ربهم ﴾ أى دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ الا كانوا عنها معرضين ﴾ قوله عز وجل ﴿ واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم ﴾ أى مما أعطاكم ﴿ الله ﴾ نزلت فى كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله تعالى من أموالكم وهو ماجعلوه لله من حروثهم وأنعامهم ﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم ﴾ أى أنرزق ﴿ من لو يشاء الله أطعمه ﴾ أى رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمى اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى منى بك ويقول قد منعه الله أفأطعمه أنا ومعنى الآية انهم قالوا لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما تمسك به البخلاء يقولون لانعطى من حرمه الله وهذا الذى يزعمون باطل لان الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لابخلا وأعطى الدنيا الغنى لا استحقاقا وأمر الغنى بالانفاق لاحاجة الى ماله ولكن ليبلو الغنى بالفقير فيما فرض له من مال الغنى ولا اعتراض لاحد فى مشيئة الله وحكمته فى خلقه والمؤمن يوافق أمر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء ﴿ ان أنتم الا فى ضلال مبين ﴾ قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ماأنتم الا فى خطأ بين باتباعكم محمدا وترك مانحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ يعنى يوم القيامة والبعث ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ قال الله تعالى ﴿ ماينظرون ﴾ اى ينتظرون ﴿ الا صيحة واحدة ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد النفخة الاولى ﴿ تأخذهم وهم يخصمون ﴾

م مدنى وشامى (فى الفلك المشحون) اى المملوء والمراد بالذرية الاولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم
تجارات فى برا وبحرا والآباء لانها من الاضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله
م فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ فى الامتنان عليهم
وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهى سفائن البر

يشحنونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارها
فى السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم ﴿ فى الفلك
المشحون ﴾ المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها
آباءهم الاقدمين وفى اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ فى الامتنان
وادخل فى التعجيب مع الايجاز ﴿ وخلقنا لهم من مثله ﴾ من مثل الفلك ﴿ ما يركبون ﴾
من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق ﴿ وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ﴾
فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق اوفلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ﴿ ولاهم
ينقذون ﴾ ينجون من الموت به ﴿ الا رحمة منا ومتاعا ﴾ الا لرحمة وتمتيع بالحياة
﴿ الى حين ﴾ زمان قدر لآجالهم ﴿ واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم ﴾
الوقائع التى خلت والعذاب المعد فى الآخرة اونوازل السماء ونوائب الارض كقوله
اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض اوعذاب الدنيا وعذاب
الآخرة اوعكسه اوما تقدم من الذنوب وما تأخر ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ لتكونوا
راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله

﴿ فى الفلك المشحون ﴾ أى المملوء ﴿ وخلقنا لهم من مثله ﴾ اى مثل الفلك ﴿ ما يركبون ﴾
أى من الابل وهى سفائن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام
ومعنى الآية ان الله عز وجل حمل آباءهم الاقدمين فى أصلاب الذين كانوا فى السفينة
فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق

وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ فى الامتنان عليهم وأبلغ فى التعجب من قدرته فعلى
هذا القول يكون قوله من مثله أى من مثل ذلك الفلك ما يركبون أى من السفن والزوارق
فى الانهار الكبار والصغار ﴿ وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ﴾ أى لا مغيث لهم ﴿ ولاهم
ينقذون ﴾ أى ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابى ﴿ الا رحمة
منا ومتاعا الى حين ﴾ أى الا ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء آجالهم ﴿ واذا قيل لهم اتقوا
ما بين أيديكم وما خلفكم ﴾ قال ابن عباس ما بين أيديكم يعنى الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم
يعنى الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين أيديكم يعنى وقائع الله تعالى بمن كان
قبلكم من الامم وما خلفكم يعنى الآخرة ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أى لتكونوا على رجاء الرحمة
وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى

(وان نشأ نغرقهم) فى البحر (فلا صريخ لهم) فلا مغيث اوفلا اغاثة (ولاهم ينقذون) لا ينجون (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) اى ولا ينقذون الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى انقضاء الاجل فهما منصوبان على المفعول له (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) أى ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أنتم تعملون من بعد اومن مثل الوقائع التى ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من أمر الساعة أوفتنة الدنيا وعقوبة الآخرة (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر أى أعرضوا وجاز حذفه لان قوله

آبائهم حين حمل الآباء والذرية (فى الفلك) فى سفينة نوح (المشحون) الموقرة ويقال المجهزة المملوءة التى فرغ من جهازها التى لم يبق لها الا رفعها (وخلقنا لهم من مثله) من مثل سفينة نوح

ما يركبون) من الزواريق والابل (وان نشأ نغرقهم) فى البحر (فلا صريخ لهم) فلا مغيث لهم من الغرق (ولاهم ينقذون) يجارون
من الغرق (الا رحمة منا) نعمة منا تنجيهم من الغرق (ومتاعا) أجلا (الى حين) الى وقت موتهم وهلاكهم (واذا قيل لهم) لاهل
مكة قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم (اتقوا ما بين أيديكم) من أمر الآخرة فآمنوا بها واعملوا لها (وما خلفكم) من أمر الدنيا
لا تغتروا بها وبزهوها (لعلكم ترحمون) لكى ترحموا فى الآخرة فلا تعذبوا

ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لايتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل
الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر ولا بد فى قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر
منازل أى قدرنا نوره فيزيد وينقص أو قدرنا مسيره منازل فيكون

فاذا كان فى آخر منازله دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) هو عود الشمراخ اذا يبس واعوج ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (القديم) العتيق المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه (لا الشمس ينبغى لها) أى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أن تدرك القمر) فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره لان لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (ولا الليل سابق النهار) ولا يسبق الليل النهار أى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وكل) التنوين فيه عوض من المضاف اليه اى وكلهم والضمير للشموس والاقمار (فى فلك يسبحون) يسيرون (وآية لهم انا حملنا ذريتهم)

او سيره فى منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء ﴿ حتى عاد كالعرجون ﴾ كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون ﴿ القديم ﴾ العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا ﴿ لا الشمس ينبغى لها ﴾ يصح لها ويتسهل ﴿ ان تدرك القمر ﴾ فى سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او فى آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره ﴿ وكل ﴾ وكلهم والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما فى الذات او للكواكب فان ذكرهما مشعر بها ﴿ فى فلك يسبحون ﴾ يسيرون فيه بانبساط ﴿ وآية لهم انا حملنا ذريتهم ﴾ اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين

فى منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص فاذا كان فى آخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى ﴿ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ وهو العود الذى عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذى أتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه الى آخر منازله ﴿ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ﴾ أى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ أى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجئ أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما فى سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر فى فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ أى والشمس والقمر فى فلك يسيرون * قوله عز وجل ﴿ وآية لهم انا حملنا ذريتهم ﴾ يعنى أولادهم

جعلناله منازل كمنازل الشمس يزيد وينقص (حتى عاد) يصير (كالعرجون القديم) كالعذق المقوس اليابس اذا حال (فى عليه الحول (لا الشمس ينبغى لها) يصلح لها (ان تدرك القمر) ان تطلع فى سلطان القمر فيذهب ضوؤه (ولا الليل سابق النهار) ولا الليل يطلع فى سلطان النهار فيذهب ضوؤه (وكل) الشمس والقمر والنجوم (فى فلك يسبحون) فى دوران يدورون وفى ع يجرون (وآية لهم) عبرة وعلامة لاهل مكة (انا حملنا ذريتهم) فى أصلاب

عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق ﴿ فاذا هم مظلمون ﴾ داخلون في الظلام ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾ لحد معين ينتهى اليه دورها شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال

والشمس حيرى لها بالجو تدويم

او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اى لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ﴿ ذلك ﴾ الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى يكل الفطن عن احصائها ﴿ تقدير العزيز ﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور ﴿ العليم ﴾ المحيط علمه بكل معلوم ﴿ والقمر قدرناه ﴾ قدرنا مسيره ﴿ منازل ﴾

من الدواب ✻ قوله عز وجل ﴿ وآية لهم ﴾ يعنى تدلهم على قدرتنا ﴿ الليل نسلخ ﴾ أى ننزع ونكشط ﴿ منه النهار فاذا هم مظلمون ﴾ أى فاذا هم في الظلمة وذلك ان الاصل هى الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾ أى الى مستقرها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير في منازلها حتى تنتهى الى مستقرها الذى لا تجاوزه ثم ترجع الى أول منازلها وهو انها تسير حتى تنتهى الى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجرى لا مستقر لها أى لا قرار لها ولا وقوف فهى جارية أبدا الى يوم القيامة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفى رواية قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت الشمس أتدرى أين تذهب الشمس قال الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيى الدين النووى اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدى فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى أن تطلع وقيل تجرى الى وقت لها وأجل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم ﴿ ذلك ﴾ أى الذى ذكر من جرى الشمس على ذلك التقدير والحساب الذى يكل النظر عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه ﴿ تقدير العزيز ﴾ أى الغالب بقدرته على كل شئ مقدور ﴿ العليم ﴾ أى المحيط علما بكل شئ ✻ قوله تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ أى قدرنا له منازل وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نخرج منه النهار اخراجا لا يبقى معه شئ من ضوء النهار أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الابيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجى أسود لان أصل ما بين السماء والارض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فاذا غاب السراج أظلم (فاذا هم مظلمون) داخلون في الظلام (والشمس تجرى) وآية لهم الشمس تجرى (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهى اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرائى عيوننا وهو المغرب أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا (ذلك) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بكل معلوم (والقمر) نصب بفعل يفسره (قدرناه) وبالرفع مكى ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (منازل) وهى أصنافا (وآية لهم) عبرة وعلامة لاهل مكة (الليل) المظلم (نسلخ منه) نذهب عنه (النهار فاذا هم مظلمون) فى الليل (والشمس تجرى لمستقر لها) منازلها ويقال تجرى ليلا ونهارا لا مستقر لها (ذلك تقدير العزيز) تدبير العزيز بالنقمة (ع و خا ۲۷ مس) لمن لا يؤمن به (العليم) بخلقه وتدبيرهم (والقمر قدرناه منازل)

قدم الظرف ليدل على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وجعلنا فيها) في الارض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ماينتفعون به (ليأكلوا من ثمره) والضمير لله تعالى أي ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمره حمزة وعلى (وماعملته أيديهم) أي ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والتلقيح وغير ذلك من الاعمال الى أن يبلغ الثمر منتهاه يعنى

ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز أن يرجع الضمير الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل مما علق به من اكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة . فيها خطوط من بياض وبلق كأنه في الجلد توليع البهق . فقيل له فقال أردت كان ذاك وما عملت كوفي غير حفص وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشأم مع الضمير وقيل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه (أفلا يشكرون) استبطاء وحث على شكر النعمة (سبحان الذي خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الارض) من النخيل والشجر والزرع والثمر (ومن أنفسهم) الاولاد ذكورا واناثا (ومما لايعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها في الاودية والبحار أشياء لايعلمها الناس (من)

ان الحب معظم مايؤكل ويعاش به ﴿ وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب ﴾ من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع ﴿ وفجرنا فيها ﴾ وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى ﴿ من العيون ﴾ اى شيأ من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه اوالعيون ومن مزيدة عند الاخفش ﴿ ليأكلوا من ثمره ﴾ ثمر ماذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه اوجمع ثمار وقرئ بضمة وسكون ﴿ وماعملته ايديهم ﴾ عطف على الثمر والمراد مايتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل مانافية والمراد ان الثمر بخلق الله لابفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها ﴿ أفلا يشكرون ﴾ امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه ﴿ سبحان الذى خلق الازواج كلها ﴾ الانواع والاصناف ﴿ مما تنبت الارض ﴾ من النبات والشجر ﴿ ومن انفسهم ﴾ الذكر والانثى ﴿ ومما لايعلمون ﴾ وازواجا مما لم يطلعهم الله

أى من الحب ﴿ وجعلنا فيها ﴾ أى في الارض ﴿ جنات ﴾ أى بساتين ﴿ من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره ﴾ أى من الثمر الحاصل بالماء ﴿ وماعملته أيديهم ﴾ أى من الزرع والغرس الذى تعبوا فيه وقرئ عملت بغير هاء وقيل ماللنفي والمعنى ولم تعمله أيديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والانهار التى لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة ﴿ أفلا يشكرون ﴾ أى نعمة الله تعالى ﴿ سبحان الذى خلق الازواج كلها ﴾ يعنى الاصناف كلها ﴿ مما تنبت الارض ﴾ أى من الاشجار والثمار والحبوب ﴿ ومن أنفسهم ﴾ أى الذكر والانثى ﴿ ومما لايعلمون ﴾ يعنى مما خلق الله تعالى من الاشياء في البر والبحر

وجعلنا فيها) في الارض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب) يعنى الكروم (وفجرنا) شققنا (فيها) في الارض (من العيون) الانهار (ليأكلوا من ثمره) من ثمر النخل (وما عملته أيديهم) ما أنبتته أيديهم ويقال ما غرست أيديهم (أفلا يشكرون) من فعل بهم ذلك فيؤمنوا به (سبحان) نزه نفسه (الذى خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الارض) الحلو والحامض وغير ذلك (ومن أنفسهم) أصنافا ذكرا وأنثى (ومما لايعلمون) في البر والبحر

مايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى ياحسرة فهذه من أحوالك السيء حقك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم أحقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أوهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (ألم يروا) ألم يعلموا (كم اهلكنا قبلهم من القرون) كم نصب باهلكنا ويروا معلق عن العمل فى كم لان كم لايعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ فى الجملة وقوله (انهم اليهم لايرجعون) بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) لما بالتشديد شامى وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية وغيرهم بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لامحالة والتنوين فى كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أو معذبون وانما أخبر عن كل بجميع لان كلا يفيد معنى الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعنى ان المحشر يجمعهم (وآية لهم) مبتدأ وخبر أى وعلامة تدل على ان الله يبعث الموتى باحياء الارض الميتة ويجوز أن يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الارض الميتة) اليابسة وبالتشديد مدنى (أحييناها) بالمطر وهو استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل باعيانهما وهو ملامة للنكرات فى وصفهما بالافعال ونحوه ولقد أمر على اللئيم يسبنى (وأخرجنا منها حبا) أريد به الجنس (فمنه يأكلون)

وهى مادل عليها ﴿ مايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴾ فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا او يتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله تعالى عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ماجنوه على انفسهم ويؤيده قراءة ياحسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ ياحسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول وياحسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف ﴿ ألم يروا ﴾ الم يعلموا وهو معلق عن قوله ﴿ كم اهلكنا قبلهم من القرون ﴾ لان كم لايعمل فيها ماقبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام ﴿ انهم اليهم لايرجعون ﴾ بدل من كم على المعنى اى ألم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف ﴿ وان كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ يوم القيامة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وما مزيدة للتأكيد. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او المحضرون ﴿ وآية لهم الارض الميتة ﴾ وقرأ نافع بالتشديد ﴿ احييناها ﴾ خبر للارض والجملة خبر آية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهى الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استئناف لبيان كونها آية ﴿ واخرجنا منها حبا ﴾ جنس الحب ﴿ فمنه يأكلون ﴾ قدم الصلة للدلالة على

ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى ﴿ مايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴾ * قوله تعالى ﴿ ألم يروا ﴾ أى ألم يخبروا خطاب لاهل مكة ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون ﴾ أى من الامم الخالية من أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود ﴿ أنهم اليهم لايرجعون ﴾ أى لايعودون الى الدنيا أفلا يعتبرون بهم ﴿ وان كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ يعنى ان جميع الامم يحضرون يوم القيامة ﴿ وآية لهم ﴾ يعنى تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى ﴿ الارض الميتة أحييناها ﴾ أى بالمطر ﴿ وأخرجنا منها ﴾ أى من الارض ﴿ حبا ﴾ يعنى الحنطة والشعير وماأشبههما ﴿ فمنه يأكلون ﴾

(مايأتيهم) لم يأتهم (من رسول) رسول (الا كانوا به يستهزؤن) يهزؤن ويسخرون به وأخذوا هؤلاء الرسل وقتلوهم ودسوهم فى بئر (ألم يروا) ألم يخبر كفار مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) من الامم الخالية (أنهم اليهم لايرجعون) الى يوم القيامة (وان كل لما) ما كل الا (جميع) يقول القرون كلهم جميع (لدينا) عندنا (محضرون) للحساب وما هنا صلة (وآية لهم) عبرة وعلامة لاهل مكة (الارض الميتة) بالنبات (أحييناها) بالمطر (وأخرجنا منها) أنبتنا فيها (حبا) الحبوب كلها (فمنه يأكلون

الجزء الثالث والعشرون

اللهم اجعلنا من المكرمين

﴿وما انزلنا على قومه من بعده﴾ من بعد اهلاكه او رفعه ﴿من جند من السماء﴾ لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام ﴿وما كنا منزلين﴾ وما صح فى حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شئ سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ﴿ان كانت﴾ ما كانت الاخذة او العقوبة ﴿الا صيحة واحدة﴾ صاح بها جبريل وقرئ بالرفع على كان التامة ﴿فاذاهم خامدون﴾ ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوءه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

﴿يا حسرة على العباد﴾ تعالى فهذه من الاحوال التى من حقها ان تحضرى فيها

﴿وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء﴾ يعنى الملائكة ﴿وما كنا منزلين﴾ أى ما كنا لنفعل هذا بل الامر فى اهلاكهم كان أيسر مما تظنون * ثم بين عقوبتهم فقال تعالى ﴿ان كانت الا صيحة واحدة﴾ قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتى باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة ﴿فاذاهم خامدون﴾ أى ميتون ﴿يا حسرة على العباد﴾ يعنى يالها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة أن تركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى يا حسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل

(وما أنزلنا) ما نافية (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أى من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (ان كانت) الاخذة أو العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فاذاهم خامدون) ميتون كما تخمد النار والمعنى ان الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (يا حسرة على العباد

(وما أنزلنا على قومه) بهلاكهم (من بعده) من بعد ما قتلوه (من جند من السماء) بالملائكة من السماء (وما كنا منزلين) عليهم الملائكة ويقال ما أرسلنا اليهم الرسل من بعد قتله (ان كانت) ما كانت (الا صيحة واحدة) من جبريل أخذ جبريل بعضادتى الباب فصاح فيهم صيحة واحدة (فاذاهم خامدون) ميتون لا يتحركون (يا حسرة) أى حسرة وندامة تكون (على العباد) يوم القيامة بما لم يؤمنوا (ثم)

واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل ﴿ انى آمنت بربكم ﴾ الذى خلقكم ﴿ فاسمعون ﴾ فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه ﴿ قيل ادخل الجنة ﴾ قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا فى دخولها كسائر الشهداء اولما هموا بقتله فرفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف فى حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه فى نصر دينه ولذلك ﴿ قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على دأب الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء اوليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم فى امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر أى بأى شئ غفر لى يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم

﴿ انى آمنت بربكم فاسمعون ﴾ أى فاشهد والى بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود ووطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا ايرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى أهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقى الله تعالى ﴿ قيل ﴾ له ﴿ ادخل الجنة ﴾ فلما أفضى الى الجنة ورأى نعيمها ﴿ قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ تمنى أن يعلم قومه ان الله تعالى غفر له وأكرمه ليرغبوا فى دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فعجل لهم العقوبة فامر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى

لهم (انى آمنت بربكم فاسمعون) أى اسمعوا ايمانى لتشهدوا لى به ولما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وقبره فى سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة على ان الجنة مخلوقة وقال الحسن لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله اليه وهو فى الجنة ولا يموت الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بمغفرة ربى لى أو بالذى غفر لى (وجعلنى من المكرمين) بالجنة

قال لهم (انى آمنت بربكم فاسمعون) فأطيعون بالايمان ويقال قال هذا للرسل انى آمنت بربكم فاسمعون فاشهدوا لى انى عبد الله فأخذوه وقتلوه وصلبوه ووطؤه بأرجلهم حتى خرجت قصبه من دبره (قيل ادخل الجنة) فوجب له الجنة وقيل لروحه ادخل الجنة (قال) روحه بعد ما دخل الجنة (ياليت قومى يعلمون) يدرون ويصدقون (بما غفر لى ربى) بالذى غفر لى ربى به يعنى التوحيد (وجعلنى من المكرمين) فى الجنة بالثواب بشهادة أن لا اله الا الله

فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون فى ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان فى غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أتسألون على ما جئتم به أجرا قالوا لا (قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجرا) على تبليغ الرسالة (وهم مهتدون) أى الرسل فقالوا أوأنت على دين هؤلاء فقال (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) خلقنى (واليه ترجعون) واليه مرجعكم ومالى حمزة (أأتخذ) بهمزتين كوفى (من دونه آلهة) يعنى الاصنام (ان يردن الرحمن بضر) شرط جوابه (لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون) من مكروه ولا ينقذونى فاسمعونى فى الحالين يعقوب (انى اذا) أى اذا أتخذت (انى ضلال مبين) ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال

بالله (وجاء من أقصى المدينة) من وسط المدينة (رجل) وهو حبيب النجار (يسعى) يسرع فى المشى حيث سمع بالرسل (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) بالايمان بالله (اتبعوا من لا يسألكم أجرا) جعلا ولا مالا الا على الايمان بالله (وهم مهتدون) وهم مرشدون الى التوحيد قالوا له تبرأت منا ومن ديننا ودخلت فى دين عدونا فقال لهم (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) خلقنى (واليه ترجعون) بعد الموت (أأتخذ) أعبد (من دونه) من دون الله بأمركم (آلهة) أصنافا (ان يردن الرحمن بضر) ان يصبنى الرحمن بشدة عذاب (لا تغن عنى شفاعتهم شيأ) ليس لهم شفاعة من عذاب الله (ولا ينقذون) لا يجيرون من عذاب الله يعنى الآلهة (انى اذا) ان عبدت دون الله شيأ (انى ضلال مبين) فى خطأ بين ثم

الاسراف فى العصيان فمن ثمه جاءكم الشؤم وفى الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ﴾ وهو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه ﴿ قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا ﴾ على النصح وتبليغ الرسالة ﴿ وهم مهتدون ﴾ الى خير الدارين ﴿ ومالى لا اعبد الذى فطرنى ﴾ على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء فيه تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال ﴿ واليه ترجعون ﴾ مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ﴿ أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ﴾ لا تنفعنى شفاعتهم ﴿ ولا ينقذون ﴾ بالنصرة والمظاهرة ﴿ انى اذا لفى ضلال مبين ﴾ فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر

﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ﴾ هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المسجد وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم ﴿ قال ياقوم اتبعوا المرسلين ﴾ وقيل كان فى غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم أتسألون على هذا أجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال ياقوم اتبعوا المرسلين ﴿ اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون ﴾ أى لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا أوأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ﴿ ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون ﴾ قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق وقيل معناه وأى شئ لى اذا لم أعبد خالقى واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم ﴿ أأتخذ من دونه آلهة ﴾ أى لا أتخذ من دونه آلهة ﴿ ان يردن الرحمن بضر ﴾ أى بسوء ومكروه ﴿ لا تغن عنى ﴾ أى لا تدفع عنى ﴿ شفاعتهم شيأ ﴾ أى لا شفاعة لها فتغنى عنى ﴿ ولا ينقذون ﴾ أى من ذلك المكروه وقيل من العذاب ﴿ انى اذا لفى ضلال مبين ﴾ اى خطأ ظاهر

(قالوا) أى أصحاب القرية (ماأنتم الابشر مثلنا) رفع بشرهنا ونصب فى قوله ماهـذا بشرا لانتقاض النفى بالا فلم يبق لماشبه بليس وهوالموجب لعمله (وماأنزل الرحمن من شئ) أى وحيا ان (أنتم الاتكذبون) ماانتم الا كذبة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) أكدالثانى باللام دون الاول لان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار فيحتاج الى زيادة تأكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهدالله وعلم الله (وماعلينا الاالبلاغ المبين) أى التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته (قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت عنه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه

وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هـذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) لنقتلنكم أو لنطردنكم او لنشتمنكم (وليمسنكم منـا عذاب أليم) وليصيبنكم عذاب النـار وهو أشـد عـذاب (قالوا طائركم) أى سبب شؤمكم (معكم) وهوالكفر (أئن) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفى وشامى (ذكرتم) وعظتم ودعيتم الى الاسلام وجـواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم آين بهمزة ممدودة بعدهاياء مكسورة أبو عمرو واين بهمزة مقصورة بعـدهـا ياء مكسورة مكى ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون الحد فى العصيان

ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال انى ادخلت فى سبعة اودية من النار وانا احذركم ماانتم فيـه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن فى جمع ومن لم يؤمن فصاح عليهم جبريل فهلكوا ﴿ قالوا ماانتم الابشر مثلنا ﴾ لامزية لكم علينا تقتضى اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى اعمال ما بالا ﴿ وماانزل الرحمن من شئ ﴾ وحى ورسالة ﴿ ان انتم الاتكذبون ﴾ فى دعوى رسالته ﴿ قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ﴾ استشهدوا بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم ﴿ وماعلينا الا البلاغ المبين ﴾ الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لايحسن الا ببينة ﴿ قالوا انا تطيرنا بكم ﴾ تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم مادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنـه ﴿ لئن لم تنتهوا ﴾ عن مقـالتكم هذه ﴿ لنرجمنكم وليمسنكم منا عـذاب اليم قالوا طائركم معـكم ﴾ سبب شؤمكم معـكم وهو سـوء عقيدتكم واعمالـكم وقرئ طيركم ﴿ ائن ذكرتم ﴾ وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم اوتوعـدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد بالالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان بغير استفهام واين ذكرتم بالتخفيف بمعنى طائركم معـكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ ﴿ بل انتم قوم مسرفون ﴾ قوم عادتكم

قالوا ماأنتم الابشر مثلنا وماأنزل الرحمن من شئ ﴾ أى لم يرسل رسولا ﴿ ان أنتم الا تكذبون ﴾ أى فيما تزعمون ﴿ قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ﴾ أى وان كذبتمونا ﴿ وماعلينا الا البلاغ المبين ﴾ أى بالآيات الدالة على صدقنا ﴿ قالوا انا تطيرنا بكم ﴾ أى تشاءمنا منكم وذلك لان المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا ذلك بشؤمكم ﴿ لئن لم تنتهوا ﴾ أى تسكتوا عنا ﴿ لنرجمنكم ﴾ أى لنقتلنكم وقيل بالحجارة ﴿ وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طـائركم معكم ﴾ أى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم بمعنى أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر ﴿ أئن ذكرتم ﴾ معناه اطيرتم لان ذكرتم ووعظتم ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ أى فى ضلالكم وشرككم متمادون فى غيكم ﴿ قوله عزوجل

قالوا ماأنتم الابشر) آدمى (مثلنا وماأنزل (قا و خا ٢٦ مس) الرحمن من شئ) من كتاب ولا رسول (ان أنتم) ماأنتم (الاتكذبون) على الله (قالوا) يعنى الرسل (ربنا يعلم) يشهد (انا اليكم لمرسلون وماعلينا الا البلاغ) التبليغ عن الله (المبين) بلغة تعلمونها (قالوا) للرسـل (انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم (لنرجمنكم) لنقتلنكم (وليمسنكم) يصيبنكم (مناعذاب أليم) وجع وهو القتل (قالوا) يعنى الرسل (طائركم) شدتكم وشؤمكم (معكم) من الله بفعلكم (أئن ذكرتم) أتشاءمتم بأن ذكرناكم وخوفناكم بالله (بل أنتم قوم مسرفون) مشركون

(اذ) بدل من اذ الاولى (أرسلنا اليهم) أى أرسل عيسى بأمرنا (اثنين) صادق وصدوق فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسألهما عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام وآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فآنس به فقال له ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ ورزق كل حى وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام أكمه فدعوا الله فأبصر الغلام فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لى عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احيائه ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى ادخلت فى سبعة أودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا (فكذبوهما) فكذب أصحاب القرية الرسولين (فعززنا) فقويناهما ﴿قالوا﴾ فعززنا أبو بكر من عزه يعزه اذا غلبه أى فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لان المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجيهه اليه كأن ما سواه مرفوض (فقالوا انا اليكم مرسلون) اى قال الثلاثة لاهل القرية

﴿اذ ارسلنا اليهم اثنين﴾ لانه فعل رسوله وخليفته وهما يوحنا ويونس وقيل غيرهما ﴿فكذبوهما فعززنا﴾ فقوينا وقرأ أبو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به ﴿بثالث﴾ هو شمعون ﴿فقالوا انا اليكم مرسلون﴾ وذلك انهم كانوا عبدة صنم فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا الى المدينة رأيا حبيب النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرئ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال حتى انظر فى امركما فحبسهما ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فآنس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين قال فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع

فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى ﴿اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما﴾ قال وهب اسمهما يوحنا وبولس وقال كعب صادق وصدوق ﴿فعززنا بثالث﴾ أى قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما أضاف الله تعالى الارسال اليه لان عيسى عليه الصلاة والسلام انما بعثهم باذن الله عز وجل ﴿فقالوا﴾ يعنى الرسل جميعا لاهل انطاكية ﴿انا اليكم مرسلون﴾

(اذ أرسلنا اليهم) فأرسلنا اليهم (اثنين) رسولين سمعان وتومان (فكذبوهما فعززنا بثالث) فقويناهما بشمعون حيث صدقهما على تبليغ رسالتهما (فقالوا انا اليكم مرسلون

الى اهلها واضافته الى نفسه فى قوله

والابرص باذن الله قال الشيخ ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعاهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذى أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى انظر فى أمركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتى جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضى عشرته فقال للملك ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فمازالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه على ماتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قدمات منذ سبعة أيام ابن لدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال انى ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فادخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده الى صاحبيه فتعجب الملك من ذاك فلما علم شمعون ان قوله قد أثر فى الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة

أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان

رسول عيسى شمعون الصفا فلم يؤمنوا به وكذبوه

الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كشاعة باطل وتأسيس ظلم ﴿ وكل شئ احصيناه في امام مبين ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿ واضرب لهم ﴾ ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اى مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما ﴿ مثلا اصحاب القرية ﴾ على حذف مضاف اى اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا والقرية انطاكية ﴿ اذ جاءها المرسلون ﴾ بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام

أى ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أجورهم شئ ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ وقيل نكتب خطاهم الى المسجد ❊ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فارادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضي الله عنه قال أراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فاقاموا ❊ قوله تعرى يعني تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شئ (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني انكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال بني سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا انا كنا تحولنا ❊ قوله بني سلمة أي يا بني سلمة ❊ وقوله دياركم أي الزموا دياركم (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذي يصلي ثم ينام ❊ قوله تعالى ﴿ وكل شئ أحصيناه ﴾ أي حفظناه وعددناه وأثبتناه ﴿ في امام مبين ﴾ يعني اللوح المحفوظ ❊ قوله عز وجل ﴿ واضرب لهم مثلا ﴾ أي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة ﴿ أصحاب القرية ﴾ يعني انطاكية ﴿ اذ جاءها المرسلون ﴾ يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما أمعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه

بدأ الانسان به وهو قدمه وآخره قدمه من عمله أو أخر من آثاره وقيل هي خطاهم الى الجمعة أو الى الجماعة (وكل شئ احصيناه) عددناه وبيناه (في امام مبين) يعني اللوح المحفوظ لانه اصل الكتب ومقتداها (واضرب لهم مثلا اصحاب القرية) ومثل لهم من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اى من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اى انطاكية اى اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب (اذ) بانه بدل من اصحاب القرية (جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى

(وكل شئ) من أعمالهم (أحصيناه في امام مبين) كتبناه في اللوح المحفوظ (واضرب لهم) بين لاهل مكة (مثلا) مثل (أصحاب القرية) صفة أهل انطاكية كيف أهلكناهم (اذ جاءها المرسلون) يعني جاء اليهم

السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فاغشيناهم) أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فهم لا يبصرون) الحق والرشاد وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أباجهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أى سواء عليهم الانذار وتركه والمعنى من أضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار وروى ان عمر بن عبدالعزيز قرأ الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك انى تائب عن قولى فى القدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فخذه هشام بن عبدالملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق (انما تنذر من اتبع الذكر) أى انما ينتفع بانذارك من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقاب الله ولم يره (فبشره بمغفرة) وهى العفو عن ذنوبه (وأجر كريم) أى الجنة (انا نحن نحيى الموتى) نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ماقدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحات وغيرها (وآثارهم) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو رباط أو مسجد صنعوه أو سيء كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى

فاغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى انهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل * وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان فى بنى مخزوم حلف ابوجهل ان يرضخ رأس النبى صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومى آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ سبق فى البقرة ﴿ انما تنذر ﴾ انذارا يترتب عليه البغية المرومة ﴿ من اتبع الذكر ﴾ اى القرآن بالتأمل فيه والعمل به ﴿ وخشى الرحمن بالغيب ﴾ وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله اوفى سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار ﴿ فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيى الموتى ﴾ الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ﴿ ونكتب ماقدموا ﴾ ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة ﴿ وآثارهم ﴾

معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب أمامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى ﴿ فاغشيناهم ﴾ أى فاعميناهم ﴿ فهم لا يبصرون ﴾ يعنى سبيل الهدى ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ يعنى من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار ﴿ انما تنذر من اتبع الذكر ﴾ يعنى انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه ﴿ وخشى الرحمن بالغيب ﴾ أى خافه فى السر والعلن ﴿ فبشره بمغفرة ﴾ أى لذنوبه ﴿ وأجر كريم ﴾ يعنى الجنة * قوله تعالى ﴿ انا نحن نحيى الموتى ﴾ أى للبعث ﴿ ونكتب ماقدموا ﴾ أى من الاعمال من خير وشر ﴿ وآثارهم ﴾

(فاغشيناهم) أغشينا أبصارهم وقلوبهم (فهم لا يبصرون) الحق والهدى ويقال وجعلنا من بين أيديهم سدا سترا حيث أرادوا أن يرجموا النبى صلى الله عليه وسلم بالحجارة وهو فى الصلاة فلم يبصروا النبى عليه السلام ومن خلفهم سدا سترا حتى لا يبصروا أصحابه فاغشيناهم أغشينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبى فيؤذوه (وسواء عليهم) على بنى مخزوم أبى جهل وأصحابه (أأنذرتهم) خوفتهم بالقرآن (أم لم تنذرهم) لم تخوفهم (لا يؤمنون) لا يريدون ان يؤمنوا وقد ماتوا على الكفر ونزل من قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا الى ههنا فى شأن أبى جهل والوليد وأصحابهما (انما تنذر) يقول ينفع انذارك يا محمد بالقرآن (من اتبع الذكر) يعنى القرآن وعمل به مثل أبى بكر وأصحابه (وخشى الرحمن بالغيب) عمل للرحمن وان كان لا يراه (فبشره بمغفرة) لذنوبه فى الدنيا (وأجر كريم) ثواب حسن فى الجنة (انا نحن نحيى الموتى) للبعث (ونكتب ماقدموا) نحفظ عليهم ما أسلفوا من الخير والشر (وآثارهم) ماتركوا من سنة صالحة فعمل بها بعد موتهم أو سنة سيئة فعمل بها بعد موتهم

أى مثل ما أنذر آباؤهم (فهم غافلون) ان جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفى أى لم ينذروا فهم غافلون والا فهو متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر ... (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) يعنى قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أى تحقق عليهم القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل ... الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فى أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر فى آيات الله بقوله (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان) معناه فالأغلال واصلة الى الأذقان ملزوقة اليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع رأسه وهذا لأن طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح ...

رسول (فهم غافلون) عن أمر الآخرة جاحدون بها (لقد حق القول) لقد وجب القول بالسخط والعذاب (على أكثرهم) على أهل مكة أبى جهل (وأصحابه (فهم لا يؤمنون) فى علم الله ولا يريدون أن يؤمنوا فلا يؤمنوا ابدا وأيضا بسرعلى الكفر (انا جعلنا فى أعناقهم) فى أيمانهم (أغلالا) من حديد (فهى) مغلولة مردودة (الى الأذقان) الى اللحى (فهم مقمحون) مغلولون ويقال جعلنا أيديهم الى الأذقان حين أرادوا أن يرجموا النبى صلى الله عليه وسلم بالحجارة وهو فى الصلاة فهم مقمحون مغلولون من كل خير محرومون (وجعلنا من بين أيديهم) من أمر الآخرة (سدا) غطاء (ومن خلفهم) من أمر الدنيا (سدا) غطاء

لا يعلمون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر أو الذى أنذره آباؤهم على المصدر ﴿فهم غافلون﴾ متعلق بالنفى على الأول أى لم ينذروا فبقوا غافلين أو بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الأخر أى ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون ﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾ يعنى قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿فهم لا يؤمنون﴾ لأنهم ممن علم أنهم لا يؤمنون ﴿انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا﴾ تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم ﴿فهى الى الأذقان﴾ فالأغلال واصلة الى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم ﴿فهم مقمحون﴾ رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم فى أنهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا﴾

لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب ﴿فهم غافلون﴾ أى عما يراد بهم من الايمان والرشد ﴿لقد حق القول﴾ أى وجب العذاب ﴿على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ فيه اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك ﴿قوله عز وجل ﴿انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا﴾ نزلت فى أبى جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه بحجارة فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بنى مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلى ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلنى وأنزل الله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الأغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله بموانع كالأغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف فى الحقيقة وهى ما سينزله الله عز وجل بهم فى النار ﴿فهى﴾ يعنى الأيدى ﴿الى الأذقان﴾ جمع ذقن وهو مجمع اللحيين لأن الغل يجمع اليد الى العنق ﴿فهم مقمحون﴾ أى رافعون رؤسهم مع غض البصر وقيل المراد أن الأغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الأغلال اياها ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (يس) عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طيء وعن ابن الحنفية يا محمد وفي الحديث ان الله تعالى سماني في القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقيل يا سيد يس لة علي وحمزة وخلف وحماد ويحيى (والقرآن) قسم (الحكيم) ذي الحكمة أو لانه دليل ناطق بالحكمة أو لانه كلام فوصف بصفة المتكلم به (انك لمن المرسلين) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أي الذين أرسلوا على صراط مستقيم أي طريقة مستقيمة وهو الاسلام (تنزيل) بنصب اللام شامي وكوفي غير أبي بكر على اقرأ تنزيل أو على انه مصدر أي نزل تنزيل وغيرهم بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول (العزيز) الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام ذوي العناد (الرحيم) الجاذب بلطافة معنى خطابه افهام اولي الرشاد واللام في (لتنذر قوما) متصل بمعنى المرسلين اي ارسلت لتنذر قوما (ما أنذر آباؤهم) ما نافية عند الجمهور أي قوما غير منذر آباؤهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني أي العذاب الذي أنذره آباؤهم كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا أو مصدرية أي انذر قوما انذار آبائهم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يس ﴾ كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كأين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث اواعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائي وابو بكر وحفص وروح وادغم النون في واو ﴿ والقرآن الحكيم ﴾ ابن عامر والكسائي وابو بكر وقالون وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به ﴿ انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ﴾ لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما ﴿ تنزيل العزيز الرحيم ﴾ خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب على اضمار اعني او فعله على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن ﴿ لتنذر قوما ﴾ متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ﴿ ما انذر آباؤهم ﴾ قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيأ انذره آباؤهم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ يس ﴾ قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طيء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن ﴿ والقرآن الحكيم ﴾ أي ذي الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه ﴿ انك لمن المرسلين ﴾ أي أقسم بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا ﴿ على صراط مستقيم ﴾ معناه وانك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة ﴿ تنزيل العزيز الرحيم ﴾ أي القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه ﴿ لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ﴾ يعني لم تنذر آباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وباسناده عن ابن عباس في قول الباري جل ذكره (يس) يقول يا انسان بلغة السريانية (والقرآن الحكيم انك) يا محمد (لمن المرسلين) ويقال قسم أقسم بالياء والسين والقرآن الحكيم وأقسم بالقرآن المحكم بالحلال والحرام والامر والنهي انك يا محمد لمن المرسلين لهذا كان القسم (على صراط مستقيم) ثابت على دين قائم يرضاه وهو الاسلام (تنزيل العزيز) يقول القرآن تكليم العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به (الرحيم) لمن آمن به (لتنذر) لتخوف بالقرآن (قوما) يعني قريشا (ما أنذر) كما أنذر (آباؤهم) ويقال لم ينذر آباءهم قبلك

الذين من قبلهم) ستشهدعليهم ما كانوا يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمار
(وكانوا أشد منهم) من أهل مكة (قوة) وقدارا فلم يتمكنوا من الفرار (وما كان الله ليعجز

ليسبقه ويفوته (من شئ) أى شئ (في السموات ولا في الارض انه كان عليما) بهم (قديرا) قادرا عليهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) بما اقترفوا من المعاصي (ما ترك على ظهرها) على ظهر الارض لانه جرى ذكر الارض في قوله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) أى لم تخف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم والله الموفق للصواب ﴿سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية﴾

الذين من قبلهم ﴾ استشهد عليهم بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين ﴿ وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ ﴾ ليسبقه ويفوته ﴿ في السموات ولا في الارض انه كان عليما ﴾ بالاشياء كلها ﴿ قديرا ﴾ عليها ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ﴾ من المعاصي ﴿ ما ترك على ظهرها ﴾ ظهر الارض ﴿ من دابة ﴾ من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ﴿ ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ﴾ فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اى باب شئت

﴿ سورة يس وهي مكية وآيها ثلاث وثمانون آية وعنه عليه ﴾

﴿ الصلاة والسلام يس تدعى المعمة تعم خير الدارين ﴾

﴿ صاحبها والدافعة والقاضية تدفع عنه كل ﴾

﴿ سوء وتقضي له كل حاجة ﴾

الذين من قبلهم ﴾ معناه انهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم ﴿ وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه ﴾ أى ليفوت عنه ﴿ من شئ في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ﴾ أى من الجرائم ﴿ ما ترك على ظهرها ﴾ أى ظهر الارض ﴿ من دابة ﴾ أى من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وغيرهم كما أهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في السفينة ﴿ ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى ﴾ أى يوم القيامة ﴿ فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ سورة يس عليه الصلاة والسلام مكية وهي ثلاث وثمانون ﴾

﴿ آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف ﴾

﴿ عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله ﴾

﴿ له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذى ﴾

﴿ وقال حديث غريب وفي اسناده شيخ مجهول ﴾

﴿ وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال قال رسول ﴾

﴿ الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم ﴾

﴿ يس أخرجه أبو داود وغيره ﴾

(الذين من قبلهم) عند تكذيبهم الرسل (وكانوا أشد منهم قوة) بالبدن والمال (وما كان الله ليعجزه) ليفوته (من شئ) أحد (في السموات ولا في الارض) من الخلق (انه كان عليما) بخلقه (قديرا) عليهم (ولو يؤاخذ الله الناس) الجن والانس (بما كسبوا) بجملة ذنوبهم (ما ترك على ظهرها) على وجه الارض (من دابة) من الجن والانس خاصة أحدا (ولكن يؤخرهم) يؤجلهم (الى أجل مسمى) الى وقت معلوم (فاذا جاء أجلهم) وقت هلاكهم (فان الله كان بعباده بصيرا) بمن يهلك وبمن ينجو ﴿ ومن السورة التي يذكر فيها يس وهي كلها مكية آياتها ثمان وثمانون آية وكلماتها ﴾ (بسم الله) سبعمائة وتسع وعشرون وحروفها ثلاثة آلاف حرف ﴾

من احدى الامم) بلغ قريشا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم أي من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما يقال للداهية العظيمة هي احدى الدواهي (فلما جاءهم نذير) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما زادهم الا نفورا) أي ما زادهم مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم الا تباعدا عن الحق وهو اسناد مجازي (استكبارا في الارض) مفعول له وكذا (ومكر السيء) والمعنى وما زادهم الا نفورا للاستكبار ومكر السيء أو حال يعني مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل قوله ومكر السيء وأن مكروا السيء أي المكر السيء ثم ومكر السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه قوله (ولا يحيق) يحيط وينزل (المكر السيء الا بأهله) ولقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا (فهل ينظرون الا سنت الاولين) وهو انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك الا أن ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبي الرسل جعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) بين ان سنته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يبدلها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وان ذلك (ثالوث ٢٦ س) مفعول لاجله (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة

من احدى الامم ﴾ وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو أتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ ما زادهم ﴾ اي النذير او مجيئه على التسبب ﴿ الا نفورا ﴾ تباعدا عن الحق ﴿ استكبارا في الارض ﴾ بدل من نفورا أو مفعول له ﴿ ومكر السيء ﴾ واصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الاصل ﴿ ولا يحيق ﴾ ولا يحيط ﴿ المكر السيء الا باهله ﴾ وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اي ولا يحيق الله ﴿ فهل ينظرون ﴾ ينتظرون ﴿ الا سنت الاولين ﴾ سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم ﴿ فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾ اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله ﴿ أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة

من احدى الامم ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ ما زادهم ﴾ مجيئه ﴿ الا نفورا ﴾ أي تباعدا عن الهدى ﴿ استكبارا في الارض ﴾ يعني عتوا وتكبرا عن الايمان به ﴿ ومكر السيء ﴾ يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يحيق المكر السيء الا باهله ﴾ أي لا يحل ولا يحيط الا بأهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن أشرك ﴿ فهل ينظرون ﴾ أي ينتظرون ﴿ الا سنت الاولين ﴾ يعني أن ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار ﴿ فلن تجد لسنت الله تبديلا ﴾ أي تغييرا ﴿ ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾ أي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم ﴿ أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة

اجابة وأصوب دينا (من احدى الامم) من اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (ما زادهم الا نفورا) تباعدا منه (استكبارا في الارض) للاعراض عن الايمان بمحمد عليه السلام والقرآن (ومكر السيء) في هلاك محمد عليه السلام (ولا يحيق) لا يجب ولا يحيط (المكر السيء) قول القبيح والعمل القبيح (الا باهله) على أهله (فهل ينظرون) فهل ينتظرون قومك ان كذبوك (الا سنت الاولين) عذاب الاولين قبلهم عند تكذيبهم (فلن تجد لسنت الله) لعذاب الله (تبديلا) تغييرا (ولن تجد لسنت الله) لعذاب الله (تحويلا) الى غيره (أولم يسيروا) يسافروا أهل مكة (في الارض فينظروا) يتفكروا ويعتبروا (كيف كان عاقبة) جزاء

دون الله (أم لهم شرك فى السموات) أم لهم مع الله شركة فى خلق السموات (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أى معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بينات على وابن عامر ونافع وأبو بكر (بل ان يعد) ما يعد (الظالمون بعضهم) بدل من الظالمون وهم الرؤساء (بعضا) أى الاتباع (الا غرورا) وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) يمنعهما من أن تزولا لان الامساك منع (ولئن زالتا) على سبيل الفرض (ان أمسكهما) ما أمسكهما (من أحد من بعده) أى بعد امساكه من الاولى مزيدة لتأكيد النفى والثانية للابتداء (انه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) نصب على المصدر أى اقساما بليغا أو على الحال أى جاهدين فى أيمانهم (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى

استبدوا بخلقه ﴿ أم لهم شرك فى السموات ﴾ أم لهم شركة مع الله فى خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية ﴿ أم آتيناهم كتابا ﴾ ينطق على انا تخذنا شركاء ﴿ فهم على بينة منه ﴾ على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائى على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل ﴿ بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ﴾ لما نفى انواع الحجج فى ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ﴿ ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ﴾ كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ﴿ ولئن زالتا ان امسكهما ﴾ ما امسكهما ﴿ من احد من بعده ﴾ من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء ﴿ انه كان حليما غفورا ﴾ حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ﴿ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى

استبدوا بخلقه من الارض ﴿ أم لهم شرك فى السموات ﴾ أى خلق فى السموات والارض ﴿ أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه ﴾ أى على حجة وبرهان من ذلك ﴿ بل ان يعد الظالمون بعضهم ﴾ يعنى الرؤساء ﴿ بعضا الا غرورا ﴾ يعنى قولهم هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ﴾ أى لكى لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين بان تزولا وتهدا هدا لعظم كلمة الشرك ﴿ ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده ﴾ أى ليس يمسكهما أحد سواه ﴿ انه كان حليما غفورا ﴾ أى غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ يعنى كفار مكة وذلك لما بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن أهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الآية واقسموا بالله جهد أيمانهم ﴿ لئن جاءهم نذير ﴾ أى رسول ﴿ ليكونن أهدى

الارض (أم لهم شرك) مع الله (فى السموات) فى خلق السموات (أم آتيناهم) أعطيناهم يعنى كفار مكه (كتابا فهم على بينة منه) على بيان من الكتاب أن لا يعذبوا (بل ان يعد الظالمون) ما يقول المشركون يعنى فى الدنيا (بعضهم بعضا) يعنى الرؤساء للسفلة (الا غرورا) باطلا فى الآخرة (ان الله يمسك) يمنع (السموات والارض أن تزولا) لكى لا تزولا عن مكانهما بمقالة اليهود والنصارى حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله (ولئن زالتا) ولو زالتا عن أمكنتهما (ان أمسكهما) ما أمسكهما (من أحد) أحد (من بعده) بعد امساكه غيره (انه كان حليما) عن مقالة اليهود والنصارى (غفورا) لمن تاب منهم (وأقسموا بالله) يعنى كفار مكة قبل مجىء محمد صلى الله عليه وسلم (جهد أيمانهم) جهد يمينهم بالله (لئن جاءهم نذير) رسول مخوف (ليكونن أهدى) أسرع

النذير (فذوقوا) العذاب (فما للظالمين من نصير) ناصر يعينهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) ماغاب فيهما عنكم (انه عليم بذات الصدور) كالتعليل لانه اذا علم مافى الصدور وهو أخفى مايكون فقد علم كل غيب فى العالم وذات الصدور مضمراتها وهى تأنيث ذو فى نحو قول أبى بكر رضى الله عنه ذو بطن خارجة جارية أى مافى بطنها من الحبل لان الحبل يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور وذو موضوع لمعنى الصحبة (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) يقال للمستخلف خليفة ويجمع على خلائف والمعنى انه جعلكم خلفاءه فى أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على مافيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية (فعليه كفره) فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة كما قال (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الامقتا) وهو أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الاخسارا) هلاكا وخسرانا (قل أرأيتم شركاءكم) آلهتكم التى أشركتموهم فى العبادة (الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض) أرونى بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم اخبرونى كانه قيل أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشركة أرونى أى جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه

اليوم فلم تؤمنوا به (فذوقوا) عذاب النار (فما للظالمين) الكافرين (من نصير) مانع من عذاب الله (ان الله عالم غيب السموات والارض) غيب مايكون فى السموات والارض علم الله لو ردوا الى الدنيا لعادوا الى مانهوا عنه (انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب من الخير والشر (هو الذى جعلكم) ياأمة محمد صلى الله عليه وسلم (خلائف فى الارض) سكان الارض بعد هلاك الامم الماضية (فمن كفر) بالله (فعليه كفره) عقوبة كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم) بمحمد عليه السلام والقرآن (عند ربهم) يوم القيامة (الا مقتا) بغضا (ولا يزيد الكافرين كفرهم) فى الدنيا (الا خسارا) غبنا فى الآخرة (قل) يامحمد لاهل مكة (أرأيتم شركاءكم) آلهتكم (الذين تدعون) تعبدون (من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض) مما فى

وجاءكم النذير وهو النبى اوالكتاب وقيل العقل اوالشيب اوموت الاقاريب ﴿ فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿ ان الله عالم غيب السموات والارض ﴾ لايخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم ﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى اخفى مايكون كان اعلم بغيرها ﴿ هو الذى جعلكم خلائف فى الارض ﴾ يلقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف ﴿ فمن كفر فعليه كفره ﴾ جزاء كفره ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الامقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الاخسارا ﴾ بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة ﴿ قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ﴾ يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله اولانفسهم فيما يملكونه ﴿ أرونى ماذا خلقوا من الارض ﴾ بدل من ارأيتم بدل اشتمال لانه بمعنى اخبرونى كأنه قال اخبرونى عن هؤلاء الشركاء أرونى اى جزء من الارض

﴿ فذوقوا ﴾ أى يقال لهم ذوقوا العذاب ﴿ فما للظالمين من نصير ﴾ أى مالهم من مانع يمنعهم من عذابه ﴿ ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور ﴾ يعنى انه اذا علم ذلك وهو أخفى مايكون فقد علم غيب كل شئ فى العالم * قوله تعالى ﴿ هو الذى جعلكم خلائف فى الارض ﴾ أى يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الامم ورأت ماينبغى ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء فى أرضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ﴿ فمن كفر ﴾ أى جحد هذه النعمة وغمطها ﴿ فعليه كفره ﴾ أى وبال كفره ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الامقتا ﴾ أى غضبا وقيل المقت أشد البغض ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم الاخسارا ﴾ أى فى الآخرة ﴿ قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ﴾ يعنى الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم ﴿ أرونى ماذا خلقوا من الارض ﴾ يعنى أى جزء

لغوب بفتح اللام وهو ما يلغب منه أي لانتكلف عملا يلغبنا (والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا) جواب النفي ونصبه باضمار أن أي لايقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا (ولايخفف عنهم من عذابها) من عذاب نار جهنم (كذلك) مثل ذلك الجزاء (نجزي كل كفور) يجزى كل كفور أبو عمرو (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون فهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقة واستعمل في الاستغاثة لجهر صوت المستغيث (ربنا) يقولون ربنا (أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي أخرجنا من النار وردنا الى الدنيا نؤمن بدل الكفر ونطيع بعد المعصية فيجاوبون بعد قدر عمر الدنيا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) يجوز أن يكون ما نكرة موصوفة أي تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو متناول لكل عمر تمكن منه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا أن التوبيخ في المتطاول أعظم ثم قيل هو ثمان عشرة سنة وقيل أربعون وقيل ستون سنة (وجاءكم النذير) الرسول عليه السلام أو الشيب وهو عطف على معنى أولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه اخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم

تكليف فيها ولا كد تبع في النصب في ما يتبعه مبالغة ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم ﴾ لايحكم عليهم بموت ثان ﴿ فيموتوا ﴾ فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولايؤذن لهم فيعتذرون ﴿ ولايخفف عنهم من عذابها ﴾ بل كلما خبت زيد اسعارها ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الجزاء ﴿ نجزي كل كفور ﴾ مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ أبو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجزى ﴿ وهم يصطرخون فيها ﴾ يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ﴿ ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ﴾ باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه يتناول كل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه الصلاة والسلام العمر الذي عذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كأنه قيل عمرناكم

﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ﴾ أي فيستريحوا مما هم فيه ﴿ ولايخفف عنهم من عذابها ﴾ أي من عذاب النار ﴿ كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون ﴾ أي يستغيثون ويصيحون ﴿ فيها ﴾ يقولون ﴿ ربنا أخرجنا ﴾ أي من النار ﴿ نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ﴾ أي في الدنيا من الشرك والسيآت فيقول الله تعالى توبيخا لهم ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى كل امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين ﴿ وجاءكم النذير ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قال ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى أولم نعمركم حتى شبتم وقيل الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت

(والذين كفروا) كذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أبو جهل وأصحابه (لهم نار جهنم) في الآخرة (لايقضى عليهم) لايكون عليهم قضاء الموت (فيموتوا) فيستريحوا (ولايخفف) لايهون ولايرفه ولايرفع (عنهم من عذابها) طرفة عين (فذوقوا) (كذلك) هكذا (نجزي) في الآخرة (كل كفور) كافر بالله وبنعمته (وهم) يعني الكفار (يصطرخون فيها) يستغيثون فيها في النار ويدعون ويتضرعون ويقولون (ربنا) يا ربنا (أخرجنا) من النار ردنا الى الدنيا نؤمن بك (نعمل صالحا) خالصا في الايمان (غير الذي كنا نعمل) في الشرك فيقول الله لهم (أولم نعمركم) نمهلكم يا معشر الكفار في الدنيا (ما يتذكر فيه) بقدر ما يتعظ فيه (من تذكر) من أراد ان يتعظ ويؤمن (وجاءكم النذير) محمد بالقرآن وخوفكم من هذا

(ذلك) أى ايراث الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) خبر ثان لذلك أو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وا خبر (يدخلونها) أى الفرق الثلاثة يدخلونها أبو عمرو (يحلون فيها من أساور) جمع اسورة جمع سوار (من ذهب ولؤلؤا) أى من ذهب مرصع باللؤلؤ ولؤلؤا بالنصب والهمزة نافع وحفص عطفا على محل من أساور اى يحلوا اساور ولؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) لما فيه من اللذة والزينة (وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن) خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا (ان ربنا لغفور) يغفر الجنايات وان كثرت (شكور) يقبل الطاعات وان قلت (الذى أحلنا دار المقامة) أى الاقامة لا نبرح منها ولا نفارقها يقال أقمت اقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه وافضاله لا باستحقاقنا (لا يمسنا فيها نصب) تعب ومشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) اعياء من التعب وفترة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى

اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ﴿ ذلك هو الفضل الكبير ﴾ اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق ﴿ جنات عدن يدخلونها ﴾ مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات عدن منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمر ويدخلونها على بناء المفعول ﴿ يحلون فيها ﴾ خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية ﴿ من اساور من ذهب ﴾ من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ﴿ ولؤلؤا ﴾ عطف على ذهب اى من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ﴿ ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ﴾ همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ﴿ ان ربنا لغفور ﴾ للمذنبين ﴿ شكور ﴾ للمطيعين ﴿ الذى احلنا دار المقامة ﴾ دار الاقامة ﴿ من فضله ﴾ من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه ﴿ لا يمسنا فيها نصب ﴾ تعب ﴿ ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ كلال اذ لا

بامر الله وارادته ﴿ ذلك هو الفضل الكبير ﴾ يعنى ايراثهم الكتاب واصطفاءهم ثم أخبر بثوابهم فقال تعالى ﴿ جنات عدن يدخلونها ﴾ يعنى الاصناف الثلاثة ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ تقدم تفسيره ﴿ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴾ قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيآت وخوف رد الطاعات وأنهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وهموم الحصر والمعيشة فى الدنيا وقيل اذهب عن أهل الجنة كل حزن كان لمعاش أو معاد * روى البغوى بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم وكأنى باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴿ ان ربنا لغفور شكور ﴾ يعنى غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال ﴿ الذى أحلنا ﴾ أى أنزلنا ﴿ دار المقامة ﴾ أى الاقامة ﴿ من فضله ﴾ أى لا باعمالنا ﴿ لا يمسنا فيها نصب ﴾ أى لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة ﴿ ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ أى اعياء من التعب * قوله تعالى

(ذلك) لاصطفاء والمسابقة (هو الفضل الكبير) المن العظيم من الله عليهم ثم بين مستقرهم فقال (جنات عدن) مقصورة الرحمن داره والجنان حوله (يدخلونها يحلون فيها) يلبسون فى الجنة (من أساور) أساور (من ذهب ولؤلؤا) هذا حلية النساء وحلية الرجال من الذهب (ولباسهم فيها) فى الجنة (حرير وقالوا) أهل الجنة فى الجنة (الحمد لله) الشكر والمنة لله (الذى أذهب عنا الحزن) حزن الموت والزوال وأهوال يوم القيامة ويقال حزن مخاطرة الدنيا (ان ربنا لغفور) للذنوب العظيمة (شكور) للاعمال اليسيرة (الذى أحلنا) أنزلنا (دار المقامة) يعنى الجنة (من فضله) بفضله لا ظعن فيها (لا يمسنا) لا يصيبنا (فيها) فى الجنة (نصب) تعب وعناء (ولا يمسنا) لا يصيبنا (فيها) فى الجنة (لغوب) اعياء

عمر رضى الله عنه انه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقال عليه السلام السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة واما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن انه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة رواه أبو الدرداء والأثر فمن ابن عباس رضى الله عنهم السابق المخلص والمقتصد المرائى والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب لهما وقال الحسن البصرى الظالم من رجحت سيآته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيآته وسئل أبو يوسف رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فانه قال فمنهم ومنهم ومنهم والكل راجع الى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أهل الايمان وعليه الجمهور وانما قدم الظالم للايذان بكثرتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لئلا ييأس من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يبعده من ربه وقيل أن أول الاحوال معصية ثم توبة ثم استقامة وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال أيضا السابق الذى اشتغل بمعاده والمقتصد الذى اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذى اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذى يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذى يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذى يعبده على الهيبة والاستحقاق وقيل الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت أو حراما والمقتصد من يجتهد ان لا يأخذها الا من حلال والسابق من أعرض عنها جملة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى (باذن الله) بامره او بعلمه أو بتوفيقه

في الدنيا ومقرب الى جنة عدن في الآخرة (باذن الله) بتوفيق الله وكراماته

باذن الله ﴾ بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيء والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام

هذا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عزوجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يابنى كلهم فى الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم فمثلى ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائى والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيآته والمقتصد من استوت سيآته وحسناته والظالم من رجحت سيآته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذى استوى ظاهره وباطنه والسابق الذى باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالى للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالى له العالم به والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر فى الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره وكلهم فى الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل فى حيز الظالمين فاذا تاب دخل فى جملة المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل فى عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق أقل من القليل فلهذا أخرهم ومعنى سابق بالخيرات أى بالأعمال الصالحة الى الجنة أو الى رحمة الله ﴿ باذن الله ﴾

ومن للتبيين (هو الحق مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لاينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (ان الله بعباده لخبير بصير) فعلمك وأبصر أحوالك ورآك أهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر

﴿ هو الحق مصدقا لما بين يديه ﴾ احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام ﴿ ان الله بعباده لخبير بصير ﴾ عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في احوالك ماينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبر للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية ﴿ ثم اورثنا الكتاب ﴾ حكمنا بتوريثه منك اونورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه اواورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذين اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم اوالامة بأسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿ ومنهم مقتصد ﴾ يعمل به في اغلب الاوقات ﴿ ومنهم سابق بالخيرات

يعني القرآن ﴿ هو الحق مصدقا لما بين يديه ﴾ أي من الكتب ﴿ ان الله بعباده لخبير بصير ﴾ * قوله تعالى ﴿ ثم اورثنا الكتاب ﴾ أي أوحينا اليك الكتاب وهو القرآن ثم أورثناه يعني حكمنا بتوريثه وقيل أورثناه بمعنى نورثه ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بان جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل افضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ روى عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند * وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب * وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة أحد رواته فحدثت به يحيي بن معين فجعل يتعجب منه أخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وآنس وحشتي وسق الي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لانا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذي أذهب

حكمنا بتوريثه (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله ثم رتبهم على مراتب فقال (فمنهم ظالم لنفسه) وهو المرجى لامر الله (ومنهم مقتصد) هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيأ { ومنهم سابق بالخيرات } وهذا التأويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين الآية وقال بعده وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية وقال بعده وآخرون مرجون لامر الله الآية والحديث فقد روى عن

(هو الحق) الصدق (مصدقا) موافقا بالتوحيد وبعض الشرائع (لما بين يديه) من الكتاب (ان الله بعباده لخبير) عن يؤمن ومن لايؤمن (بصير) بأعمالهم (ثم) من بعد ما أنزلنا جبريل بالقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم (أورثنا الكتاب) أكرمنا بحفظ القرآن وكتابته وقراءته (الذين اصطفينا) اخترنا (من عبادنا) من بين عبادنا بالايمان وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (فمنهم ظالم لنفسه) بالكبائر لاينجو الا بالشفاعة أو بالمغفرة أو بانجاز الوعد (ومنهم مقتصد) وهو من استوت حسناته وسيآته يحاسب حسابا يسيرا ثم ينجو (ومنهم سابق) بالغ (بالخيرات)

العلماء (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) أي مسرين النفل ومعلنين الفرض يعني لا يقتنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به (يرجون) خبر ان (تجارة) هي طلب الثواب بالطاعة ان تكسد يعني تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أي ليوفيهم نفاقها عنده (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فيمن أحسن اليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه أو يرجون في موضع الحال أي راجين واللام في ليوفيهم تتعلق بيتلون وما بعده أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق لهذا الغرض وخبر ان (انه غفور) لفرطاتهم (شكور) أي غفور لهم شكور لاعمالهم أي يعطي الجزيل على العمل القليل (والذي أوحينا اليك من الكتاب) أي القرآن

﴿ان الله عزيز غفور﴾ تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب المصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ﴿ان الذين يتلون كتاب الله﴾ يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين ﴿وأقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية﴾ كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة ﴿يرجون تجارة﴾ تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان ﴿لن تبور﴾ لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ﴿ليوفيهم اجورهم﴾ علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم اولمدلول ما عد من افعالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ﴿ويزيدهم من فضله﴾ على ما يقابل اعمالهم ﴿انه غفور﴾ لفرطاتهم ﴿شكور﴾ لطاعتهم اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا ﴿والذي اوحينا اليك من الكتاب﴾ يعني القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض

(ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي أفتني أيها العالم فقال الشعبي انما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم ﴿ان الله عزيز﴾ أي في ملكه ﴿غفور﴾ أي لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويتقى ❊ قوله عز وجل ﴿ان الذين يتلون كتاب الله﴾ أي يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به ﴿وأقاموا الصلوة﴾ أي ويقيمون الصلاة في أوقاتها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾ أي في سبيل الله ﴿سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ أي لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب ﴿ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ قال ابن عباس سوى الثواب يعني مما لم تر عين ولم تسمع أذن ﴿انه غفور شكور﴾ قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم ﴿والذي أوحينا اليك من الكتاب﴾

(ان الله عزيز) في ملكه وسلطانه (غفور) لمن آمن به (ان الذين يتلون) يقرؤن (كتاب الله) القرآن أبو بكر وأصحابه (وأقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (وأنفقوا) تصدقوا (مما رزقناهم) أعطيناهم من الاموال (سرا) فيما بينهم وبين الله (وعلانية) فيما بينهم وبين الناس (يرجون تجارة) يعني (يعني) الجنة (لن تبور) لن تهلك ولن تفسد (ليوفيهم) الله (أجورهم) ثوابهم في الجنة (ويزيدهم من فضله) بفضله من واحدة الى عشرة (انه غفور) لذنوبهم العظيمة (شكور) لاعمالهم اليسيرة يشكر اليسير ويجزي الجزيل (والذي أوحينا اليك) أنزلنا جبرئيل عليك به (من الكتاب) يعني القرآن

(ومن الجبال جدد) طرق مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد (بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) اجمع غربيب وهو تأكيد الاسود يقال أسود غربيب وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه ومنه الغراب وكان من حق لتأكيد ان يتبع المؤكد كقولك أصفر فقع الا انه أضمر المؤكد قبله والذى بعده تفسير للمضمر وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله ومن الجبال جدد أى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤل الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعنى ومنهم بعض مختلف ألوانه (كذلك) أى كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك (انما يخشى الله من عباده العلماء) أى العلماء به الذين علموه بصفاته فعظموه ومن ازداد علما به ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن ان معناه ان الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون أحدا الا الله وبينهما تغاير ففى الاول بيان ان الخاشعين هم العلماء وفى الثانى (قا و خا ٢٤ مس) بيان ان المخشى منه هو الله تعالى وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضى الله عنهم انما يخشى الله من عباده العلماء والخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى انما يعظم الله من عباده

من الصفرة والخضرة ونحوهما ﴿ ومن الجبال جدد ﴾ اى ذو جدد اى خطط وطرائق فيقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح ﴿ بيض وحمر مختلف الوانها ﴾ بالشدة والضعف ﴿ وغرابيب سود ﴾ عطف على بيض او على جدد كأنه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره فان الغربيب تأكيد الاسود ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قول النابغة

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ۞ ركبان مكة بين الغيل والسند

وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ﴿ ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك ﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انى اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا

والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعنى ألوانها فى الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر ﴾ يعنى الخطط والطرق فى الجبال ﴿ مختلف ألوانها ﴾ يعنى منها ما هو أبيض ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو أصفر ﴿ وغرابيب سود ﴾ أى شديدة السواد كما يقال أسود غربيب تشبيها بلون الغراب ﴿ ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه ﴾ أى خلق مختلف ألوانه ﴿ كذلك ﴾ أى كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ قال ابن عباس يريد انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية قولها فرخص فيه أى لم يشدد فيه قولها فتنزه عنه أقوام أى تباعد عنه وكرهه قوم

(ومن الجبال جدد) طرق (بيض وحمر مختلف ألوانها) كألوان الثمار (وغرابيب سود) جبل سود شديدة السواد (ومن الناس) كذلك مختلف ألوانه (والدواب) كذلك مختلف ألوانه (والانعام كذلك مختلف ألوانه) جناسه مقدم ومؤخر (انما يخشى الله من عباده العلماء) يقول انما العلماء يخشون الله من عباده

(ان أنت الا نذير) أي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك (انا ارسلناك بالحق) حال من أحد الضميرين يعني محقا أو محقين أو صفة للمصدر أي ارسالا مصحوبا بالحق (بشيرا) بالوعد (ونذيرا) بالوعيد (وان من امة) وما من أمة قبل أمتك والامة الجماعة الكثيرة وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة والمراد هنا أهل العصر وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلم تخل تلك الامم من نذير وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام (الا خلا) مضى (فيها نذير) يخوفهم وخاتمة الطغيان وسوء عاقبة الكفران واكتفى

بالنذير عن البشير في آخر الآية بعدما ذكرهما لان النذارة مشفوعة بالبشارة فدل ذكر النذارة على ذكر البشارة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) رسلهم (جاءتهم رسلهم) حال وقد مضمرة (بالبينات) بالمعجزات (و بالزبر) وبالصحف (والكتاب المنير) أي التوراة والانجيل والزبور ولما كانت هذه الاشياء في جنسهم أسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أخذت) عاقبت (الذين كفروا) بانواع العقوبة (فكيف كان نكير) انكاري عليهم وتعذيبي لهم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به) بالماء (ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيآتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها

بالاموات ومبالغة في اقناطه منهم ﴿ ان انت الا نذير ﴾ فما عليك الا الانذار اما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم ﴿ انا ارسلناك بالحق ﴾ محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق ﴿ وان من امة ﴾ اهل عصر ﴿ الا خلا ﴾ مضى ﴿ فيها نذير ﴾ من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذرة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة ﴿ وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم ﴿ وبالزبر ﴾ وبصحف ابراهيم ﴿ وبالكتاب المنير ﴾ كالتوراة والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ﴿ ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ اي انكاري بالعقوبة ﴿ ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ﴾ اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيآتها

﴿ أن أنت الا نذير ﴾ أي ما أنت الا منذر تخوفهم بالنار ﴿ انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ﴾ أي بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر ﴿ وان من أمة ﴾ أي من جماعة كثيرة فيما مضى ﴿ الا خلا ﴾ اي سلف ﴿ فيها نذير ﴾ أي نبي منذر * فان قلت كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير * قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الا أن تندرس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيامة لانه لا نبي بعده ﴿ وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ أي بالمعجزات الدالة على نبوتهم ﴿ وبالزبر ﴾ أي الصحف ﴿ وبالكتاب المنير ﴾ أي الواضح قيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر تأكيدا ﴿ ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ يعني المطر ﴿ فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ﴾ يعني أجناسها من الرمان والتفاح

﴿ والتين ﴾ في القبور (ان أنت) ما أنت يا محمد (الا نذير) رسول مخوف بالقرآن (انا أرسلناك) يا محمد (بالحق) بالقرآن (بشيرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر به (وان من أمة) ما من أمة (الا خلا) مضى (فيها نذير) رسول مخوف (وان يكذبوك) قريش يا محمد (فقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك قريش رسلهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهي والعلامات (وبالزبر) بخبر كتب الاولين (وبالكتاب المنير) المبين بالحلال والحرام (ثم أخذت) عاقبت (الذين كفروا) بالكتب والرسل (فكيف كان نكير) انظر يا محمد كيف كان تغييري عليهم بالعذاب حين لم يؤمنوا (ألم تر) ألم تعلم (ان الله أنزل من السماء) مطرا (فاخرجنا به) بالمطر (ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها الحلو والحامض وغير ذلك

ان الاول دال على عدل الله فى حكمه وان لايؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثانى فى بيان أنه لاغياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد أثقلتها الاوزار لودعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أى انما ينتفع بانذارك هؤلاء (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب فى السر حيث لااطلاع للغير عليه (وأقاموا الصلوة) فى مواقيتها (ومن تزكى) تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى (فانما يتزكى لنفسه) وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكى (والى الله المصير) المرجع وهو وعد للمتزكى بالثواب (وما يستوى الاعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن أو للجاهل والعالم (ولا الظلمات) مثل للكفر (ولا النور) للايمان (ولا الظل ولا الحرور)الحق والباطل أو الجنة والنار والحرور الريح الحار كالسموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار عن الفراء (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) مثل للذين دخلوا فى الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وزيادة لا لتأكيد معنى النفى والفرق بين هذه الواوات أن بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر (ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور) يعنى انه قد علم من يدخل فى الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى من يشاء هدايته وأما أنت فخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص على اسلام قوم مخذولين شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم

وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان تامة فانها لاتلايم نظم الكلام ﴿ انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ غائبين عن عذابه او عن الناس فى خلواتهم او غائبا عنهم عذابه ﴿ واقاموا الصلوة ﴾ فانهم المنتفعون بالانذار لاغير واختلاف الفعلين لما مر ﴿ ومن تزكى ﴾ ومن تطهر عن دنس المعاصى ﴿ فانما يتزكى لنفسه ﴾ اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة المزكى ﴿ والى الله المصير ﴾ فيجازيهم على تزكيتهم ﴿ ومايستوى الاعمى والبصير ﴾ الكافر والمؤمن وقيل هما مثالان للصنم ولله عز وجل ﴿ ولا الظلمات ولا النور ﴾ ولا الباطل ولا الحق ﴿ ولا الظل ولا الحرور ﴾ ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفى الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم مايهب نهارا والحرور مايهب ليلا ﴿ ومايستوى الاحياء ولا الاموات ﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ﴿ ان الله يسمع من يشاء ﴾ هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته ﴿ وماانت بمسمع من فى القبور ﴾ ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر

فيقول لاأستطيع حسبي ماعلى ﴿ انما تنذر الذين يخشون ربهم ﴾ أى يخافون ربهم ﴿ بالغيب ﴾ أى لم يروه والمعنى وانما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم بالغيب ﴿ وأقاموا الصلوة ومن تزكى ﴾ أى أصلح وعمل خيرا ﴿ فانما يتزكى لنفسه ﴾ أى لها ثوابه ﴿ والى الله المصير ومايستوى الاعمى والبصير ﴾ أى الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المؤمن ﴿ ولا الظلمات ولا النور ﴾ يعنى الكفر والايمان ﴿ ولا الظل ولا الحرور ﴾ يعنى الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار ﴿ ومايستوى الاحياء ولا الاموات ﴾ يعنى المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال ﴿ ان الله يسمع من يشاء ﴾ يعنى حتى يتعظ ويجيب ﴿ وماانت بمسمع من فى القبور ﴾ يعنى الكفار شبههم بالاموات فى القبور لانهم لايجيبون اذا دعوا

(انما تنذر) ينفع انذارك يا محمد (الذين يخشون ربهم بالغيب) يعملون لربهم وان كان الله غائبا عنهم والله لايغيب عنه شئ (وأقاموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (ومن تزكى) وحد وأصلح وتصدق ماله فى سبيل الله (فانما يتزكى)يوحد ويصلح ويتصدق (لنفسه) يكون له ثواب ذلك (والى الله المصير) المرجع فى الآخرة (ومايستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعنى الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعنى الجنة والنار (ومايستوى الاحياء ولا الاموات) يعنى المؤمنين والكافرين فى الطاعة والكرامة (ان الله يسمع) يفهم (من يشاء) من كان أهلا لذلك (وما أنت بمسمع) بمفهم (من فى القبور) من كأنه ميت

خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره اليه فينبغي للعبد أن يكون مفتقرا بالسر اليه ومنقطعا عن الغير اليه حتى تكون عبوديته محضة فالعبودية هي الذل والخضوع وعلامته ان لا يسأل من احد وقال الواسطي من استغنى بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين على مقدار افتقار العبد الى الله يكون غنيا بالله وكلما ازداد افتقارا ازداد غنى وقال يحيي الفقر خير للعبد من الغنى لان المذلة في الفقر والكبر في الغنى والرجوع الى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع اليه بتكثير الاعمال وقيل صفة الاولياء ثلاثة الثقة بالله في كل شئ والفقر اليه في كل شئ والرجوع اليه من كل شئ وقال الشبلي الفقر بحر البلاء وبلاؤه كله عز (ان يشأ يذهبكم) كلكم الى العدم فان غناه بذاته لا بكم في القدم (ويأت بخلق جديد) وهو بدون حمدكم حميد (وماذلك) الانشاء والافناء (على الله { الجزء الثاني والعشرون } بعزيز) بممتنع ﴿١٨٢﴾ وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيأ (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس آثمة أثم نفس أخرى والوزر والوقر اخوان ووزر الشئ اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار وانما قيل وازرة ولم يقل ولا تزر نفس وزر أخرى لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها الا وزر غيرها وقوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وارد في الضالين المضلين فانهم يحملون أثقال اضلال الناس مع أثقال ضلالهم (فيقول) وذلك كله أوزارهم مافيها شئ من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ (وان تدع مثقلة) أي نفس مثقلة بالذنوب أحدا (الى حملها) ثقلها أي ذنوبها ليتحمل عنها بعض ذلك (لا يحمل منه شئ ولوكان) اى المدعو وهو مفهوم من قوله وان تدع (ذاقربى) ذقرابة قريبة كأب أوولد أوأخ والفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ

استحق عليهم الحمد ﴿ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ بقوم آخرين اطوع منكم اوبعالم آخر غير ماتعرفونه ﴿وماذلك على الله بعزيز﴾ بمتعذر اومتعسر ﴿ولا تزر وازرة وزر اخرى﴾ ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واماقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شئ من اوزار غيرهم ﴿وان تدع مثقلة﴾ نفس اثقلتها الاوزار ﴿الى حملها﴾ تحمل بعض اوزارها ﴿لا يحمل منه شئ﴾ لم يجب بحمل شئ منه نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ﴿ولوكان ذاقربى﴾ ولوكان المدعو ذاقرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه

المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه ﴿ان يشأ يذهبكم﴾ أى لاتخاذكم أندادا وكفركم بآياته ﴿ويأت بخلق جديد﴾ أى يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيأ ﴿وماذلك على الله بعزيز﴾ أى بممتنع ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ بذنب غيرها * فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع اثقالهم . قلت هذه الآية في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك كله من كسبهم ﴿وان تدع مثقلة الى حملها﴾ معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها ﴿لا يحمل منه شئ ولوكان ذاقربى﴾ أى ولوكان المدعو ذا قرابة كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يلقى الاب والام بالابن فيقول يابني احمل عني بعض ذنوبي

(ان يشأ يذهبكم) يهلككم ويميتكم ياأهل مكة (ويأت بخلق جديد) خيرا منكم وأطوع لله (وماذلك) الاهلاك والاتيان (على الله بعزيز) بشديد (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لا تحمل حاملة حمل أخرى ماعليها من الذنوب بطيبة النفس ولكن يحمل عليها بالكره ويقال لا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى ويقال لا تعذب نفس بغير ذنب (وان تدع مثقلة) من الذنوب (الى حملها) من الذنوب (لا يحمل منه) من الذنوب (شئ ولوكان ذاقربى) ذاقرابة منه في الرحم أباه وأمه وابنه وابنته

لاستواء سيره (كل يجرى لاجل مسمى) اى يوم القيامة ينقطع جريهما (ذلكم) مبتدأ (الله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة فى قران قوله (والذين تدعون من دونه) يعنى الاصنام التى تعبدونها من دون الله يدعون فتيبة (ما يملكون من قطمير) هى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة (ان تدعوهم) أى الاصنام (لا يسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض (ما استجابوا لكم) لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها (ويوم القيمة يكفرون بشرككم) باشراككم لهم وعبادتكم اياهم ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) ولا ينبئك أيها المفتون

ينبئك الله الخبير بخبايا الامور وتحقيقه ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذى أخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير بما أخبرت به (ياايها الناس أنتم الفقراء الى الله) قال ذوالنون الخلق محتاجون اليه فى كل نفس وخطرة ولحظة وكيف لا ووجودهم به وبقاؤهم به (والله هو الغنى) عن الاشياء أجمع (الحميد) المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغنى الذى هو مطعم الاغنياء وذكر الحميد ليدل به على انه الغنى النافع بغناه خلقه والجواد المنعم عليهم

كل يجرى لاجل مسمى ﴿ هى مدة دوره او منتهاه او يوم القيامة ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك ﴿ الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ فى قران ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴿ للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ﴿ ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ﴿ لانهم جماد ﴿ ولو سمعوا ﴿ على سبيل الفرض ﴿ ما استجابوا لكم ﴿ لعدم قدرتهم على الانفاع اولتبرئهم منكم مما تدعون لهم ﴿ ويوم القيمة يكفرون بشرككم ﴿ باشراككم لهم يقرون ببطلانه اويقولون ما كنتم ايانا تعبدون ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴿ ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله تعالى فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به عن حال آلهتهم ونفى ما يدعون لهم ﴿ ياايها الناس انتم الفقراء الى الله ﴿ فى انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة فى فقرهم فانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء اوان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا ﴿ والله هو الغنى الحميد ﴿ المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى

كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ﴿ يعنى الاصنام ﴿ ما يملكون من قطمير ﴿ هو لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة ﴿ ان تدعوهم ﴿ يعنى الاصنام ﴿ لا يسمعوا دعاءكم ﴿ يعنى انهم جماد ﴿ ولو سمعوا ﴿ أى على سبيل الفرض والتمثيل ﴿ ما استجابوا لكم ﴿ أى ما أجابوكم وقيل ما نفعوكم ﴿ ويوم القيمة يكفرون بشرككم ﴿ أى يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياها ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴿ يعنى نفسه أى لا ينبئك أحد مثلى لانى عالم بالاشياء ﴿ قوله تعالى ﴿ ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله ﴿ أى الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء ﴿ والله هو الغنى ﴿ عن خلقه لا يحتاج اليهم ﴿ الحميد ﴿ أى المحمود فى احسانه اليهم

اذ ليس كل غنى نافعا بغناه الا اذا كان الغنى جوادا منعما واذا جادوا نعم حمده المنعم عليهم قال سهل لما

بنى آدم (كل) الشمس والقمر والليل والنهار (يجرى لاجل مسمى) الى وقت معلوم فى منازل معروفة (ذلكم الله ربكم) يفعل ذلك لا الآلهة (له الملك) الخزائن (والذين تدعون) تعبدون (من دونه) من دون الله (ما يملكون من قطمير) لا يقدرون أن يفعلوا من ذلك قدر قطمير وهو الشئ الذى يتعلق به النواة مع القمع (ان تدعوهم) يعنى الآلهة (لا يسمعوا دعاءكم) لانهم صم بكم لا يسمعون (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) من بغضهم اياكم (ويوم القيمة يكفرون بشرككم) تتبرأ الآلهة من شرككم وعبادتكم اياهم (ولا ينبئك) يخبرك بهم وباعمالهم (مثل خبير) وهو الله (ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله) الى مغفرته ورحمته ورزقه وعافيته فى الدنيا والى جنته فى الآخرة (والله هو الغنى) عما عندكم من الاموال (الحميد) المحمود فى فعاله

سهل (وما يستوي البحران هذا) أي أحدهما (عذب فرات) شديد العذوبة وقيل هو الذي يكسر العطش (سائغ شرابه) مرئ سهل الانحدار لعذوبته وبه يرتفع شرابه (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل هو الذي يحرق بملوحته (ومن كل) ومن كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا) وهو السمك (وتستخرجون حلية تلبسونها) وهي اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) في كل (مواخر) شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء أي شقته وهي جمع ماخرة (لتبتغوا من فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه (ولعلكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمه وعطائه ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) يدخل من ساعات أحدهما في الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا (وسخر الشمس والقمر) أي ذلل أضواء صوره (كل)

﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾ ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والأجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ﴿ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم أو تمام التمثيل والمعنى كأنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يستويان من حيث أنهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر أو تفضيل للأجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت ﴿وترى الفلك﴾ فيه في كل ﴿مواخر﴾ تشق الماء بجريها ﴿لتبتغوا من فضله﴾ من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز أن تتعلق بما دل عليه الأفعال المذكورة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر﴾

﴿وما يستوي البحران﴾ يعني العذب والمالح ثم وصفهما فقال ﴿هذا عذب فرات﴾ أي طيب يكسر العطش ﴿سائغ شرابه﴾ أي سهل في الحلق هني مرئ ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر ﴿ومن كل﴾ يعني من البحرين ﴿تأكلون لحما طريا﴾ يعني السمك ﴿وتستخرجون﴾ أي من الملح دون العذب ﴿حلية تلبسونها﴾ يعني اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ إليهما لأنه يكون في البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ أي جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لتبتغوا من فضله﴾ أي بالتجارة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي تشكرون الله على نعمه ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر﴾

(وما يستوي البحران) العذب والمالح (هذا عذب فرات) حلو (سائغ) شهي (شرابه وهذا ملح أجاج) مر مالح زعاق لا يستطاع شربه (ومن كل) من كل البحرين العذب والمالح (تأكلون لحما طريا) سمكا طريا (وتستخرجون) من المالح خاصة (حلية) زينة اللؤلؤ والجوهر (تلبسونها وترى الفلك) السفن (فيه) في البحر (مواخر) مقبلة ومدبرة تجيء وتذهب بريح واحد (لتبتغوا) لتطلبوا (من فضله) من رزقه (ولعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته (يولج الليل في النهار) يدخل الليل في النهار فيكون النهار أطول من الليل بست ساعات (ويولج النهار) يدخل النهار (في الليل) فيكون الليل أطول من النهار بست ساعات (وسخر الشمس والقمر) ذلل ضوء الشمس والقمر

(لهم عـذاب شـديد) فى الآخرة (ومكر أولئك) مبتدأ(هو) فصل(يبور) خبر أى ومكر أولئـك الذين مكروا هوخاصة يبور أى يفسـد ويبطل دون مكر الله بهم حـين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهـم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقـق فيهم قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله (والله خلقـكم) أى أباكم (من تراب ثم) أنشـأكم (من نطفـة ثم جعلكم أزواجا) أصنافا أو ذكرانا وانانا (وماتحمل من أنثى ولاتضع الابعلمه) هو

فى موضع الحال أى الا معلومة له (ومايعـمر من معمر) أى ومايعمر من أحد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه (ولاينقص من عمره الافى كتاب) يعنى اللوح أو صحيفة الانسان ولاينقص زيد فان قلت الانسان اما معمر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخـلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولاينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة فى تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لايلتبس عليهم احالة الطـول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون لايثيب الله عبدا ولايعاقبه الابحق أو تأويل الآية انه يكتب فى الصحيفة عمره كذا كذا سـنة ثم يكتب فى أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتى على آخره فذلك نقصان عمره وعن قتادة المعمر من يبلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سـنة (ان ذلك) أى احصاءه أو زيادة العمر ونقصانه (على الله يسير)

واجلاله ﴿ لهم عـذاب شـديد ﴾ لايؤبه دونه بما يمكرون به ﴿ ومكر اولئـك هو يبور ﴾ يفسد ولاينفذ لان الامور مقدرة لاتتغير به كما دل عليه بقوله ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾ بخلق آدم منه ﴿ ثم من نطفة ﴾ بخلق ذريته منها ﴿ ثم جعلكم ازواجا ﴾ ذكرانا وانانا ﴿ وماتحمل من انثى ولاتضع الابعلمه ﴾ الامعلومة له ﴿ ومايعمر من معمر ﴾ ومايمد فى عمر من مصيره الى الكبر ﴿ ولاينقص من عمره ﴾ من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره اولاينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه اوللمعمر على التسامح فيه ثقة فهم السامع كقولهم لايثيب الله عبدا ولايعـاقبه الابحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحـد باعتبار اسباب مختلفة أثبتت فى اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان مايمر من عمره وينتقص فانه يكتب فى صحيفة عمره يومافيوما وعن يعقوب ولاينقص على بنـاء الفاعل ﴿ الافى كتاب ﴾ هو علم الله اواللوح اوالصحيفة ﴿ ان ذلك على الله يسير ﴾ اشـارة الى الحفظ اوالزيادة والنقص

مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وقيل هم أصحاب الرياء ﴿ لهم عذاب شـديد ومكر أولئك هو يبـور ﴾ أى يبطل ويهلك فى الآخرة * قوله عزوجل ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾ يعنى آدم ﴿ ثم من نطفة ﴾ يعنى ذريته ﴿ ثم جعلكم أزواجا ﴾ يعنى أصنافا ذكرانا وانانا وقيل زوج بعضكم بعضا ﴿ وماتحمل من أنثى ولاتضع الابعلمه ومايعمر من معمر ﴾ أى لايطول عمر أحد ﴿ ولاينقص من عمره ﴾ أى عمر آخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب فى أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لايطول عمر انسان ولاينقصر الافى كتاب قال كعب الاحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لودعا عمر ربه أن يؤخر أجله لاخر فقيل له ان الله تعالى يقول فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فاماقبل ذلك فيجوز أن يزاد ذلك وقرأ هذه الآية ﴿ الافى كتاب ﴾ يعنى اللوح المحفوظ ﴿ ان ذلك على الله يسير ﴾ أى كتابة الآجال والاعمال على الله هين * قوله تعالى

جميعا (لهم عذاب شـديد) أشد مايكون (ومكر أولئك) صنع أولئك (هو يبور) يفسد ويهلك وهو أبو جهل وأصحابه ويقال نزلت هذه الآية فى أهل الربا (والله خلقكم من تراب) من آدم وآدم من تراب (ثم من نطفة) نطفة آبائكم (ثم جعلكم أزواجا) أصنافا (وماتحمل من أنثى) من حوامل (ولاتضع) لتمام أو لغير تمام (الابعلمه) بعلم الله وباذنه (ومايعمر من معمر) مايعطى عمر معمر ولايمد فى عمره (ولاينقص من عمره الافى كتاب) مكتوب فى كتاب مبين فى اللوح المحفوظ (ان ذلك) حفظ ذلك (على الله يسير) هين بغير كتابة

اى فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول ﴿ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ بيان لمايطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما اوصعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم فان العمل لايقبل الابالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل اوللعمل فانه يحقق الايمان ويقويه اولله وتخصيص العمل بهذا الشرف لمافيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هوالله تعالى اوالمتكلم به اوالملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام هو سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيي بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل ﴿ والذين يمكرون السيئات ﴾ المكرات السيئات يعنى مكرات قريش للنبي صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتداورهم الرأى فى احدى ثلاث حبسه وقتله

وطلبوابها التعزز فبين الله ان لاعزة الالله ولرسوله ولاوليائه المؤمنين ﴿ اليه ﴾ أى الى الله ﴿ يصعد الكلم الطيب ﴾ قيل هو قول لااله الاالله وقيل هو سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله أكبر ❊ روى البغوى باسناده عن ابن مسعود قال اذاحدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عزوجل مامن عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعدبهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الااستغفروا لقائلهن حتى يجئ بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفى اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد أى يقبل الله الكلم الطيب ﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ قال ابن عباس أى يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمنى وليس بالتحلى ولكن ماوقر فى القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بان الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء فى الحديث لايقبل الله قولا الابعمل ولاقولا ولاعملا الابنية وقيل الهاء فى يرفعه راجعة الى العمل الصالح أى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلايقبل عملا الاأن يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال ﴿ والذين يمكرون السيئات ﴾ أى يعملون السيئات أى الشرك وقيل يعنى الذين

والكلم الطيب كلمات التوحيد أى لااله الاالله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحده الاالتاء يذكر ويؤنث والعمل الصالح العبادة الخالصة يعنى والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لايقبل عمل الامن موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل اى العمل الصالح يرفعه الله وفيه اشارة الى ان العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه أى من أراد العزة فليعمل عملا صالحا فانه هو الذى يرفع العبد (والذين يمكرون السيآت) هى صفة لمصدر محذوف أى المكرات السيآت لان مكر فعل غير متعد لايقال مكر فلان عمله والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا فى دار الندوة كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية

اليه يصعد الكلم الطيب)لااله الاالله(والعمل الصالح يرفعه)يقبله بالكلم الطيب(والذين يمكرون السيئات) (مكروا) يشركون بالله ويقال يصنعون فى هلاك محمد صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة أن يحبسوه سجنا أويخرجوه طردا أويقتلو

(ان الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذى أرسل الرياح) الريح مكى وحمزة وعلى (فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت) بالتشديد مدنى وحمزة وعلى وحفص وبالتخفيف غيرهم (فاحيينا به) بالمطر لتقدم ذكره ضمنا (الارض بعد موتها) يبسها وأنما قيل فتثير لتحكى الحال التى تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية بحال تستغرب وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كان من الدليل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ماهو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه (كذلك النشور) الكاف فى محل الرفع أى مثل احياء الموات نشور الاموات قيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أى العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة وكان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لا عزة الا بالله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله لله العزة جميعا موضعه استغناء عنه به لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الابرار تريد (قا و خا ٢٣ مس) فليطلبها عندهم الا انك أقمت مايدل عليه مقامه وفى الحديث ان ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز ثم عرف ان مايطلب به العزة هو

اوبيان للمتحسر عليه ﴿ ان الله عليم بما يصنعون ﴾ فيجازيهم عليه ﴿ الله الذى ارسل الرياح ﴾ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح ﴿ فتثير سحابا ﴾ على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصور البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر ﴿ فسقناه الى بلد ميت ﴾ وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص بتشديد الياء ﴿ فاحيينا به الارض ﴾ بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره اوبالسحاب فانه سبب السبب اوالصائر مطرا ﴿ بعد موتها ﴾ بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ماهو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع ﴿ كذلك النشور ﴾ اى مثل احياء الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل فى كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش فبنيت منه اجساد الخلق ﴿ من كان يريد العزة ﴾ الشرف والمنعة ﴿ فلله العزة جميعا ﴾

لاتغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا ﴿ ان الله عليم بما يصنعون ﴾ فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم ﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا ﴾ أى تزعجه من مكانه وقيل تجمعه وتجئ به ﴿ فسقناه ﴾ أى فنسوقه ﴿ الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور ﴾ أى مثل احياء الموات نشور الاموات روى ابن الجوزى فى تفسيره عن أبى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته فى خلقه * قوله تعالى ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ﴾ قيل معناه من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعاء الى طاعة من له العزة أى فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام

يؤمنوا (ان الله عليم بما يصنعون) فى كفرهم من المكر والخيانة بهلاك محمد صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (والله الذى أرسل الرياح فتثير) فتهيج وترفع (سحابا فسقناه) بالمطر (الى بلد ميت) الى مكان لا نبات فيه (فاحيينا به) بالمطر (الارض بعد موتها) قحطها ويبوستها (كذلك النشور) كذلك تحيون وتخرجون من القبور (من كان يريد العزة) أن يعلم أن العزة والقدرة والمنعة لمن هى (فلله العزة) والقدرة والمنعة (جميعا

يؤمه فى دعوة شيعته هوان يوردهم موردالهلاك بقوله (انما يدعواحزبه ليكونوا من أصحاب السعير)ثم كشف الغطاء فبنى الامر كله على الايمان وتركه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد) أى فمن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لانه صار من حزبه أى اتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه بل عادوه (لهم مغفرة وأجر كبير) لكبر جهادهم ولما ذكر الفريقين قال لنبيه عليه الصلاة والسلام (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) بتزيين الشيطان كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وذكر الزجاج ان المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه فلا تذهب نفسك يزيد أى لاتهلكها حسرات مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا تتقدم عليه

مجامع احوالكم ﴿ انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ﴾ تقرير لعداوته وبيان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير ﴾ وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للامانى الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴾ تقرير له اى أفمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ماهى عليه فحذف الجواب لدلالة ﴿ فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ وقيل تقديره أفمن زين سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف لدلالة ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلاث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم اوكثرة مساوى افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليست صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب

به من الكفر والمعاصى ﴿ انما يدعوا حزبه ﴾ أى أشياعه وأولياءه ﴿ ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ * قوله عز وجل ﴿ أفمن زين له سوء عمله ﴾ قال ابن عباس نزلت فى أبى جهل ومشركى مكة وقيل نزلت فى أصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله ﴿ فرآه حسنا ﴾ وفى الآية حذف مجازه أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا ﴿ فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ وقيل مجاز الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والحسرة شدة الحزن على مافات والمعنى

والطاعة (انما يدعوا حزبه) أهل دينه وطاعته (ليكونوا) ليجتمعوا (من أصحاب السعير) مع أصحاب السعير فى السعير معه (الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن أبو جهل وأصحابه (لهم عذاب شديد) غليظ (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (لا تغتم) (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم أبو بكر الصديق وأصحابه (لهم مغفرة) لذنوبهم فى الدنيا (وأجر كبير) ثواب عظيم فى الجنة (أفمن زين له) حسن له (سوء عمله) قبيح عمله (فرآه حسنا) حقا وهو أبو جهل كمن أكرمناه بالايمان والطاعة يعنى أبا بكر الصديق وأصحابه (فان الله يضل من يشاء) عن دينه من كان أهلا لذلك يعنى أبا جهل وأصحابه (ويهدى) لدينه (من يشاء) من كان أهلا لذلك يعنى أبا بكر وأصحابه (فلا تذهب نفسك) فلا تهلك نفسك بالحزن (عليهم حسرات) ندامات على هلاكهم ان

(من السماء) بالمطر (والارض) بانواع النبات (لااله الاهـو) جـملة مفصولة لامحل لها (فانى تؤفكون) فباى وجـه تصرفون عن التوحيـد الى الشرك (وان يكذبوك فقـد كذبت رسـل من قبلك) نعى به على قريش سـوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له فى الانبياء قبله اسوة ولهذا نكر رسل أى رسل ذوو عـدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل اعمار طوال وأصحـاب صـبر وعزم لانه أسلى له وتقدير الـكلام وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسـل من قبـلك لان الجزاء يتعقب الشرط ولو أجرى على الظاهر يكون سابقا عليه ووضع فقد كذبت رسـل من قبلك موضـع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أى بالتكذيب عن التأسى (والى الله ترجع الامـور) كلام يشتمل على الوعـد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه ترجع بفتح التاء شامى وحمزة وعلى ويعقوب وخلف وسـهل (ياايها النـاس ان وعـد الله) بالبعث والجزاء (حق) كائن (فلا تغرنكم الحيوة الدنيـا) فلاتخـدعنكم الدنيا ولايذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ماعنـد الله (ولايغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان فانه يمنيكم الامانى الكاذبة ويقـول ان الله غنى عن عبـادتك وعن تكذيبك (ان الشيـطان لكم عدو) ظاهر العداوة فعل بابيكم مافعل وأنتم تعاملونه معاملة من لاعلم له باحواله (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وأفعالكم ولايوجدن منكم الا مايدل على معاداته فى سركم وجهركم ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذى

من السماء والارض لااله الاهو فأنى تؤفكون ﴾ فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفـع غير للحمل عـلى محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى اولانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حمـلا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق اواستئناف مفسر له اوكلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله ﴿ وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ﴾ اى فتأس بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية والحث على المصابرة ﴿ والى الله ترجـع الامور ﴾ فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب ﴿ ياأيها الناس ان وعد الله ﴾ بالحشر والجزاء ﴿ حـق ﴾ لاخلف فيـه ﴿ فلاتغرنكم الحيوة الدنيـا ﴾ فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها ﴿ ولايغرنكم بالله الغرور ﴾ الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ﴿ ان الشيطان لكم عدو ﴾ عداوة عامة قديمة ﴿ فاتخذوه عدوا ﴾ فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى

من السماء ﴾ يعنى المطر ﴿ والارض ﴾ أى النبات ﴿ لااله الاهو فانى تؤفكون ﴾ أى من أين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وأنتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم ﴿ وان يكذبوك فـقد كذبت رسل من قبلك ﴾ يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ أى فيجزى المكذب من الكفـار بتكذيبه * قوله تعالى ﴿ ياأيها الناس ان وعد الله حق ﴾ يعنى وعد القيامة ﴿ فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ﴾ أى لاتخدعنكم بلذاتها ومافيها عن عمل الآخرة وطلب ماعند الله ﴿ ولايغرنكم بالله الغرور ﴾ أى لايقل لكم اعملوا ماشئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى ﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ أى عادوه بطاعة الله ولاتطيعوه فيما يأمركم

من السماء) المطر (والارض) النبات (لااله الاهو) الذى يرزقكم (فأنى تؤفكون) من أين تكذبون أن الآلهة ترزقكم (وان يكذبوك) قريش (فقد كذبت رسـل من قبلك) كذبهم قومهم كما كذبك قومك قريش (والى الله ترجع الامور) عواقب الامور فى الآخرة (ياأيها الناس) ياأهل مكة (ان وعد الله) البعث بعد الموت (حق) كائن (فلاتغرنكم) عن طاعة الله (الحيوة الدنيا) مافى الحياة الدنيا من الزهرة والنعيم (ولايغرنكم بالله) عن دين الله (الغرور) الشيطان ويقال أباطيل الدنيا ان قرأت بضم الغين (ان الشيطان لكم عدو) فى الدين والطاعة (فاتخذوه عدوا) فحاربوه ولاتطيعوه فى الدين

فى الرأى وذلاقة فى اللسان ومحبة فى قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك (ان الله على كل شئ قدير) قادر (ما يفتح الله للناس من رحمة) نكرت الرحمة للاشاعة والابهام كأنه قال من أية رحمة رزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك (فلا ممسك لها) فلا أحد يقدر على امساكها وحبسها واستعير الفتح للاطلاق والارسال ألا ترى الى قوله (وما يمسك) يمنع ويحبس (فلا مرسل له) مطلق له (من بعده) من بعد امساكه وأنث الضمير الراجع الى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة ثم ذكر حملا على اللفظ المرجع اليه اذلا تأنيث فيه لان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثانى فترك على أصل التذكير وعن معاذ أمر فوع الانزال يد الله مبسوطة على هذه الامة مالم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برهم فاجرهم وتعن قراءهم أمراءهم على معصية الله فاذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم) الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة ارساله وامساكه (يا أيها الناس اذكروا) باللسان والقلب (نعمت الله عليكم) وهى التى تقدمت من بسط الارض كالمهاد ورفع السماء بلا عماد وارسال الرسل لبيان السبيل دعوة اليه وزلفة لديه والزيادة فى الخلق وفتح أبواب الرزق ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) برفع غير على الوصف لان خالق مبتدأ خبره محذوف أى لكم وبالجر على وحمزة على الوصف لفظا (يرزقكم) (من) يجوز ان يكون مستأنفا ويجوز ان يكون صفة لخالق

وسماحة النفس ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة ﴿ ما يفتح الله للناس ﴾ ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب ﴿ من رحمة ﴾ كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة ﴿ فلا ممسك لها ﴾ يحبسها ﴿ وما يمسك فلا مرسل له ﴾ يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه ﴿ من بعده ﴾ من بعد امساكه ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه ﴿ الحكيم ﴾ لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم

ستمائة جناح وقيل فى قوله يزيد فى الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة فى العينين وقيل هو العقل والتمييز ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ أى مما يريد أن يخلقه * قوله تعالى ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة ﴾ قيل المطر وقيل من خير ورزق ﴿ فلا ممسك لها ﴾ أى لا يستطيع أحد حبسها ﴿ وما يمسك فلا مرسل له من بعده ﴾ أى لا يقدر أحد على فتح ما أمسك ﴿ وهو العزيز ﴾ أى فيما أمسك ﴿ الحكيم ﴾ أى فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد الغنى والبخت أى لا ينفع المبخوت والغنى حظه وغناه لانهما منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ أى لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ ﴿ يرزقكم

فى صوت حسن ما يشاء (ان الله على كل شئ) من الزيادة والنقصان (قدير ما يفتح الله) ما يرسل الله (للناس من رحمة) من مطر ورزق وعافية (فلا ممسك لها) فلا مانع لها للرحمة (وما يمسك) وما يمنع (فلا مرسل له) لما يمسك غيره (من بعده) من بعد امساكه (وهو العزيز) فى امساكه (الحكيم) فيما أرسل (يا أيها الناس) يا أهل مكة (اذكروا نعمت الله) منة الله (عليكم) بالمطر والرزق والعافية (هل من خالق) من اله (غير الله يرزقكم

﴿ سورة الملائكة مكية وهى خمس وأربعون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحمد لله) حمد ذاته تعليما وتعظيما (فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى اختصم الى اعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها (والارض جاعل الملائكة رسلا) الى عباده (أولى) ذوى اسم جمع لذو وهو بدل من رسلا أو نعت له (أجنحة) ﴿ ١٧٣ ﴾ جمع جناح (مثنى ﴿ سورة الملائكة ﴾ وثلاث ورباع) صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن ألفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرير الى غير تكرير وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى ان الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد فى الخلق) أى يزيد فى خلق الاجنحة وغيره (ما يشاء) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة فى العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الاعضاء وقوة فى البطش وحصافة فى العقل وجزالة

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الملائكة وهى كلها مكية

المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

﴿ سورة الملائكة مكية وآيها خمس واربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله فاطر السموات والارض ﴾ مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضى ﴿ جاعل الملائكة رسلا ﴾ وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه ﴿ اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾ ذوى اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت مالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون اويسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه ويتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفى مازاد عليها لما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح ﴿ يزيد فى الخلق ما يشاء ﴾ استئناف للدلالة على ان تفاوتهم فى ذلك بمقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافى لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل

والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة وهى مكية وخمس ﴾
﴿ واربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة ﴾
﴿ آلاف ومائة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

* قوله عز وجل ﴿ الحمد لله فاطر السموات والارض ﴾ أى خالقهما ومبتدعهما على غير مثال سبق ﴿ جاعل الملائكة رسلا ﴾ أى الى الانبياء ﴿ أولى اجنحة ﴾ أى ذوى اجنحة ﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ أى بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة ﴿ يزيد فى الخلق ما يشاء ﴾ أى يزيد فى خلق الاجنحة ما يشاء قال عبد الله بن مسعود فى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له

آياتها خمس وأربعون وكلماتها سبعمائة وسبع وتسعون وحروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا والله أعلم باسرار كتابه ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الحمد لله) يقول الشكر لله والمنة لله (فاطر السموات) خالق السموات (والارض جاعل الملائكة) خالق الملائكة ومكرم الملائكة (رسلا) بالرسالة يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت والرعد والحفظة الى خلقه (أولى أجنحة) ذوى أجنحة يعنى الملائكة (مثنى) من له جناحان يطير بهما (وثلاث) من له ثلاثة أجنحة (ورباع) من له أربعة أجنحة (يزيد فى الخلق) فى خلق الملائكة (ما يشاء) ويقال فى هذه الاجنحة ما يشاء ويقال فى نعمة حسنة ما يشاء ويقال

الدنيا وبعدت من الآخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريدان يتناول الشئ من غلوة كما يتناول الآخر من قيس ذراع التناؤش بالهمزة أبو عمرو وكوفى غير حفص همزت الواو لان كل واو مضمومة ضمتها لازمة ان شئت أبدلتها همزة وأن شئت لم تبدل نحو قولك ادور وتقاوم وان شئت قلت ادؤر وتقاؤم وعن ثعلب التناؤش بالهمز التناول من بعد وبغير همز التناول من قرب (وقد كفروا به من قبل) من قبل العذاب أو فى الدنيا (ويقذفون بالغيب) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشئ الغائب يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحق والصواب أو هو قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان أبعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شئ من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب ويقذفون بالغيب عن أبى عمرو على البناء للمفعول أى تأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم فى طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيأ من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا ويجوز ان يكون الضمير فى آمنا به للعذاب الشديد فى قوله بين يدى عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من ان يعذبنا قايسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (وحيل) وحجز (بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم بقوله ارجعنا نعمل صالحا والافعال التى هى فزعوا وأخذوا وحيل كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لتحقق وقوعه (كما فعل بأشياعهم من قبل) بأشباههم من الكفرة (انهم كانوا فى شك) من أمر الرسل والبعث (مريب) موقع فى الريبة من أرابه اذا أوقعه فى الريبة هذا رد على من زعم ان الله لا يعذب على الشك والله أعلم

فيكون بمعنى التناول من بعد ﴿ وقد كفروا به ﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام او بالعذاب ﴿ من قبل ﴾ من قبل ذلك اوان التكليف ﴿ ويقذفون بالغيب ﴾ ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن او فى العذاب من البت على نفيه ﴿ من مكان بعيد ﴾ من جانب بعيد من امره وهو الشبه التى تمحلوها فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم او حال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيأ لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائى باشمام الضم للحاء ﴿ كما فعل بأشياعهم من قبل ﴾ باشباههم من كفرة الامم الدارجة ﴿ انهم كانوا فى شك مريب ﴾ موقع فى الريبة او ذى ريبة منقول من

﴿ وقد كفروا به من قبل ﴾ أى بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة ﴿ ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾ قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه شاعر ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ يعنى الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها ﴿ كما فعل بأشياعهم ﴾ أى بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار ﴿ من قبل ﴾ أى لم تقبل منهم التوبة والايمان فى وقت اليأس ﴿ انهم كانوا فى شك ﴾ أى من البعث ونزول العذاب بهم ﴿ مريب ﴾ أى موقع الريبة والتهمة

(وقد كفروا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (من قبل) من قبل ما خسف بهم الارض (ويقذفون بالغيب) يقولون بالظن فى الدنيا ان لا جنة ولا نار (من مكان بعيد) بعد الموت ويقال يقذفون بالغيب يسئلون الرجعة الى الدنيا بالظن من مكان بعيد بعد الموت (وحيل بينهم) فرق بينهم (وبين ما يشتهون) من الرجوع الى الدنيا (كما فعل بأشياعهم) بأشباههم وأهل دينهم (من قبل) من قبلهم من الكفار (انهم كانوا فى شك مريب) ظاهر الشك بفاطر السموات والارض

وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) أى فبتسديده بالوحى الى وكان قياس التقابل أن يقال وان اهتديت فانما أهتدى لها كقوله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولكنهما متقابلان معنى لان النفس كل ماهو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء ومالها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسوله أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (انه سميع) لما أقوله لكم

جوابه محذوف أى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة (اذفزعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فلافوت) فلامهرب أو فلا يفوتون الله ولا يسبقونه (وأخذوا) عطف على فزعوا أى فزعوا واخذوا فلافوت لهم أو على لافوت على معنى اذفزعوا فلم يفوتوا وأخذوا (من مكان قريب) من الموقف الى النار اذا بعثوا أو من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من صحراء بدر الى القليب (وقالوا) حين عاينوا العذاب (آمنابه) بمحمد عليه السلام لمرور ذكره فى قوله مابصاحبكم من جنة أو بالله (وانى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش التناول أى كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريد ان التوبة كانت تقبل منهم فى الدنيا وقد ذهبت

بقوله ﴿ وان اهتديت فبما يوحى الى ربى ﴾ فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه ﴿ انه سميع قريب ﴾ يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ﴿ ولوترى اذفزعوا ﴾ عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت امرا فظيعا ﴿ فلا فوت ﴾ فلا يفوتون الله بهرب او تحصن ﴿ وأخذوا من مكان قريب ﴾ من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لافوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اى فلافوت هناك وهناك اخذ ﴿ وقالوا آمنابه ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم وقدمر ذكره فى قوله ما بصاحبكم ﴿ وأنى لهم التناوش ﴾ ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا ﴿ من مكان بعيد ﴾ فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد مافات منهم وبعد عنهم بحال من يريدان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمزة على قلب الواو لضمتها او انه من نأشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة

اقحمنى جار ابى الخاموش * اليك نأش القدر النؤوش

او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله

تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى * وقد حدثت بعد الامور امور

أضل على نفسى أى اثم ضلالتى على نفسى ﴿ وان اهتديت فبما يوحى الى ربى ﴾ أى من القرآن والحكمة ﴿ انه سميع قريب ﴾ * قوله عزوجل ﴿ ولوترى أى يامحمد ﴾ ﴿ اذفزعوا ﴾ أى عند البعث أى حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت ﴿ فلافوت ﴾ أى لايفوتوننا ولا نجاة لهم ﴿ وأخذوا من مكان قريب ﴾ قيل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فانهم من الله قريب لايفوتونه ولايعجزونه وقيل من مكان قريب يعنى عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآية ولو ترى اذفزعوا لرأيت أمرا تعتبر به ﴿ وقالوا آمنابه ﴾ أى حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث ﴿ وأنى لهم التناوش ﴾ أى التناول والمعنى كيف لهم تناول مابعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا منهم فى الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد الى الدنيا ﴿ من مكان بعيد ﴾ أى من الآخرة الى الدنيا

(وان اهتديت) الى الحق والهدى (فبما يوحى الى ربى) اهتديت (انه سميع) لمن دعاه (قريب) بالاجابة لمن وحده (ولو ترى) يامحمد (اذفزعوا) خسف بهم الارض وماتوا وهو خسف البيداء بهم (فلا فوت) فلايفوت منهم أحد (وأخذوا من مكان قريب) من تحت أقدامهم وخسف بهم الارض (وقالوا) عند ماخسف بهم الارض (آمنابه) بمحمد عليه السلام والقرآن قال الله تعالى (وأنى لهم التناوش) التوبة والرجعة (من مكان بعيد) بعد الموت

جزاء الشرط تقديره أي شيء سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ومعناه نفي مسئلة الاجر رأساً نحو ما لي في هذا فهو لك أي ليس لي فيه شيء (ان أجري) مدني وشامي وأبو بكر وحفص وبسكون الياء غيرهم (الا على الله وهو على كل شيء شهيد) فيعلم اني لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه (قل ان ربي يقذف بالحق) بالوحي والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعار لمعنى الالقاء ومنه وقذف في قلوبهم الرعب أن اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه

مرفوع على البدل من الضمير في يقذف أو على انه خبر مبتدأ محذوف (قل جاء الحق) الاسلام والقرآن (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي زال الباطل وهلك لان الابداء والاعادة من صفات الحي فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنها بعود معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وقيل الباطل الاصنام وقيل ابليس لانه صاحب الباطل أولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك أي لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحدا ولا يبعثه فالمنشئ والباعث هو الله ولما قالوا قد ضللت بترك دين آبائك قال الله تعالى (قل ان ضللت) عن الحق (فانما أضل على نفسي) ان ضللت فمني وعلي (أضل)

مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض اولغيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفي كيلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ﴿ ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد ﴾ مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان الياء ﴿ قل ان ربي يقذف بالحق ﴾ يلقيه وينزل على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه ﴿ علام الغيوب ﴾ صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدر اباعني وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وابو بكر وحمزة والكسائي الغيوب بالكسر كالبيوت والباقي بالضم كالمشور وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب ﴿ قل جاء الحق ﴾ اي الاسلام ﴿ وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴾ وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق اثر مأخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال

اقفر من اهله عبيد ٭ فاليوم لا يبدي ولا يعيد

وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده ولا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها ﴿ قل ان ضللت ﴾ عن الحق ﴿ فانما اضل على نفسي ﴾ فان وبال ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية

أي لم أسألكم شيأ ﴿ ان أجري ﴾ أي ثوابي ﴿ الا على الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف بالحق ﴾ أي يأتي بالوحي من السماء فيقذفه الى الانبياء ﴿ علام الغيوب ﴾ أي خفيات الامور ﴿ قل جاء الحق ﴾ أي القرآن والاسلام ﴿ وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴾ أي ذهب الباطل وزهق فلم تبق منه بقية تبدي شيأ أو تعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس أحدا ابتداء ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل الاصنام ﴿ قل ان ضللت فانما أضل على نفسي ﴾ وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون أنتم فانما

ان أجري) ما ثوابي (الا على الله وهو على كل شيء) من أعمالكم (شهيد) عالم (قل) لهم يا محمد (ان ربي يقذف بالحق) يبين الحق ويأمر بالحق (علام الغيوب) ما غاب عن العباد يعلم الله ذلك (قل جاء الحق) ظهر الاسلام وكثر المسلمون (وما يبدئ الباطل) ما يخلق الشيطان والاصنام (وما يعيد) يحيي بعد الموت (قل) لهم يا محمد (ان ضللت) عن الحق والهدى (فانما أضل على نفسي) يقول عقوبة ذلك على نفسي

على انه عطف بيان لها او قيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو فى محل الجر وقيل هو فى محل الرفع على تقدير وهى ان تقوموا والنصب على تقدير أعنى وأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده أو قيام القصد الى الشئ دون النهوض والانتصاب والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى أن تقوموا (لله) أى لوجه الله خالصا لا للحمية ولا عصبية بل لطلب الحق (مثنى) اثنين اثنين

لله ﴾ وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد ﴿ مثنى وفرادى ﴾ متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخواطر ويخلط القول ﴿ ثم تتفكروا ﴾ فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعنى ﴿ مابصاحبكم من جنة ﴾ فتعلموا مابه جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ماعرفوا من رجاحة كمال عقله كاف فى ترجح صدقه فانه لايدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا أى شئ به من آثار الجنون ﴿ ان هو الانذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾ قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة ﴿ قل ماسألتكم من اجر ﴾ اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة ﴿ فهو لكم ﴾ والمراد نفى السؤال كأنه جعل التنبي

لله ﴾ أى لاجل الله ﴿ مثنى ﴾ أى اثنين اثنين ﴿ وفرادى ﴾ أى واحدا واحدا ﴿ ثم تتفكروا ﴾ أى تجتمعوا جميعا فتنظروا وتتحاوروا وتتفكروا فى حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا أن ﴿ مابصاحبكم من جنة ﴾ ومعنى الآية انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب فى الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظرا فيه نظر متصادقين متناصفين لايميل بهما اتباع الهوى وأما الفرد فيفكر فى نفسه أيضا بعدل ونصفة هل رأينا فى هذا الرجل جنونا قط أو جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلى الله صلى الله عليه وسلم مابه من جنة بل قد علمتم انه من أرجح قريش عقلا وأوزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأرصنهم رأيا وأصدقهم قولا وازكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال و يمدحون به واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بآية واذا جاء بها تبين انه نبى نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا أى فى السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لاشريك له ثم ابتدأ فقال مابصاحبكم من جنة ﴿ ان هو الانذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ماسألتكم ﴾ أى على تبليغ الرسالة ﴿ من أجر ﴾ أى جعل ﴿ فهو لكم ﴾

(وفرادى) فردا فردا (ثم تتفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران و يعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والانصاف حتى يؤديهما النظر الصحيح الى الحق وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر و يمنع من الروية ويقل الانصاف فيه ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولايسمع الانصرة المذهب وتتفكروا معطوف على تقوموا (مابصاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من جنة) جنون والمعنى ثم تتفكروا فتعلموا مابصاحبكم من جنة (ان هو الانذير لكم بين يدى عذاب شديد) قدام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله (قاو خا ٢٢ مس) عليه السلام بعثت بين يدى الساعة ثم بين انه لايطلب أجرا على الانذار بقوله (قل ما سألتكم من أجر) على انذارى وتبليغى الرسالة (فهو لكم)

لله مثنى) اثنين اثنين (وفرادى) واحدا واحدا (ثم تتفكروا) هل كان محمد صلى الله عليه وسلم ساحرا أو كاهنا أو كاذبا أو مجنونا ثم قال الله تعالى (مابصاحبكم) مابنبيكم (من جنة) من جنون (ان هو) ماهو يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (الانذير) رسول مخوف (لكم بين يدى عذاب شديد) يوم القيامة ان لم تؤمنوا (قل) لهم يامحمد (ماسألتكم من أجر) من جعل ومؤنة (فهو لكم

القرآن (الاأفك مفترى وقال الذين كفروا) أي وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد (للحق) للقرآن أو لامر النبوة كله (لما جاءهم) وعجزوا عن الاتيان بمثله (ان هذا) أي الحق (الاسحر مبين) بتوء على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) أي ما أعطينا مشركى مكة كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) ولا أرسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين من قبلهم) أي وكذب الذين تقدموهم من الامم الماضية والقرون الخالية الرسل كما كذبوا (وما بلغوا

معشار ما

آتيناهم) أي وما بلغ أهل مكة عشر ما أوتى الاولون من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال والاولاد (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله وبالياء في الوصل والوقف يعقوب أي فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكارى بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون به فما بال هؤلاء وانما قال فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لانه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (قل انما أعظكم بواحدة) بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا)

﴿ الافك ﴾ لعدم مطابقة ما فيه الواقع ﴿ مفترى ﴾ باضافته الى الله سبحانه ﴿ وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ﴾ لامر النبوة والاسلام او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ﴿ ان هذا الا سحر مبين ﴾ ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه ﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها ﴾ وفيها دليل على صحة الاشراك ﴿ وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير ﴾ يدعوهم اليه وينذرهم على تركه فقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ كما كذبوا ﴿ وما بلغوا معشار ما آتيناهم ﴾ وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى ﴿ فكذبوا رسلى فكيف كان نكير ﴾ فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء ﴿ قل انما اعظكم بواحدة ﴾ ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ﴿ ان تقوموا

الاأفك مفترى ﴾ يعنون القرآن ﴿ وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم ﴾ يعنى هؤلاء المشركين ﴿ من كتب يدرسونها ﴾ أي يقرؤنها ﴿ وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير ﴾ أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا أنزل اليهم كتاب ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ أي من الامم السالفة رسلنا ﴿ وما بلغوا ﴾ يعنى هؤلاء المشركين ﴿ معشار ﴾ أي عشر ﴿ ما آتيناهم ﴾ أي أعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار ﴿ فكذبوا رسلى فكيف كان نكير ﴾ أي انكارى عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية ﴿ قوله عز وجل ﴿ قل انما أعظكم ﴾ أي آمركم وأوصيكم ﴿ بواحدة ﴾ أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى ﴿ أن تقوموا

الذي يقول محمد عليه السلام (الا افك) كذب (مفترى) مختلق من تلقاء نفسه (وقال الذين كفروا) كفار مكة (للحق) بالقرآن أي (لما جاءهم) حين جاءهم محمد به صلى الله عليه وسلم (ان هذا) ما هذا (الا سحر مبين) كذب بين (وما آتيناهم) أعطيناهم كفار مكة (من كتب يدرسونها) يقرؤن فيها ما يقولون (وما أرسلنا اليهم قبلك) يا محمد (من نذير) من رسول مخوف لهم الا قالوا له مثل ما يقولون لك (وكذب الذين من قبلهم) من قبل قومك قريش لرسل (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) يقول ما بلغت قريش عشر من كان قبلهم من الكفار ويقال ما بلغت أموالهم ولا أولادهم واعمارهم وقوتهم عشر ما أعطينا من كان قبلهم (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) تغييرى عليهم بالعذاب حين لم يؤمنوا (قل) يا محمد لكفار مكة (انما أعظكم بواحدة) بكلمة واحدة لا اله الا الله وهذا كقول الرجل للرجل تعال حتى أكلمك كلمة واحدة ثم يكلمه باكثر من ذلك (أن تقوموا

فيهما حفص ويعقوب وهذا خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر، اياك أعنى واسمعى ياجاره، ونحوه قوله أأنت قلت للناس اتخذونى الآية (قالوا) أى الملائكة (سبحانك) تنزيها لك أن يعبد معك غيرك (أنت ولينا) الموالاة خلاف المعاداة وهى مفاعلة من الولى وهو القرب والولى يقع على الموالى والموالى جميعا والمعنى أنت الذى نواليه (من دونهم) اذلا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله أو كانوا يدخلون

فى أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها (أكثرهم) أكثر الانس أو الكفار (بهم) بالجن (مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) لان الامر فى ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التى هى دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد انه لاضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة فى غير موضعها معطوف على لا يملك (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى اذا قرئ عليهم القرآن (بينات) واضحات (قالوا) أى المشركون (ماهذا) أى محمد (الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا) أى

وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص ويعقوب يحشرهم ويقول بالياء فيهما ﴿ قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ﴾ انت الذى نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم ﴿ بل كانوا يعبدون الجن ﴾ اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم ﴿ اكثرهم بهم مؤمنون ﴾ الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن ﴿ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ﴾ اذ الامر فيه كله لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده ﴿ ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ﴾ عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا ﴾ يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام ﴿ الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ﴾ فيستتبعكم بما يستبدعه ﴿ وقالوا ماهذا ﴾ يعنون القرآن

الدنيا وهذا استفهام تقريع وتقرير للكفار فتتبرأ الملائكة منهم من ذلك * وهو قوله تعالى ﴿ قالوا سبحانك ﴾ أى تنزيها لك ﴿ انت ولينا من دونهم ﴾ أى نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم ﴿ بل كانوا يعبدون الجن ﴾ يعنى الشياطين * فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن * قلت أراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوهم فى ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون فى أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها ﴿ اكثرهم بهم مؤمنون ﴾ أى مصدقون للشياطين قال الله تعالى ﴿ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ﴾ أى شفاعة ﴿ ولا ضرا ﴾ أى بالعذاب يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر ﴿ ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا الا رجل ﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا

(قالوا) يعنى الملائكة (سبحانك) نزهوا الله (أنت ولينا) ربنا (من دونهم) من دون أن أمرناهم بعبادتنا (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) مقرون يرون انهم الملائكة (فاليوم) وهو يوم القيامة (لا يملك) لا يقدر (بعضكم لبعض) يعنى الملائكة والجن لكم (نفعا) من الشفاعة (ولا ضرا) بدفع العذاب (ونقول للذين ظلموا) أشركوا (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها) فى الدنيا (تكذبون) أنها لا تكون (واذا تتلى عليهم) تقرأ على كفار مكة (آياتنا) آيات القرآن (بينات) مبينات بالحلال والحرام (قالوا ماهذا) يعنون محمدا عليه السلام (الا رجل يريد أن يصدكم) يصرفكم (عما كان يعبد آباؤكم) من الآلهة (وقالوا ماهذا)

فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرأ يعقوب جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء (بما عملوا) باعمالهم (وهم فى الغرفات) اى غرف منازل الجنة الغرفة حمزة (آمنون) من كل هائل وشاغل (والذين يسعون فى آياتنا) فى ابطالها (معجزين أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق) يوسع (لمن يشاء من عباده ويقدر له وماأنفقتم) ماشرطية فى موضع النصب (من شئ) بيانه (فهو يخلفه) يعوضه لامعوض سواء اما عاجلا بالمال اوآجلا بالثواب جواب الشرط (وهوخير الرازقين) المطعمين لان كل مارزق غيره من سلطان أوسيد أوغيرهما فهومن رزق الله أجراه على أيدى هؤلاء وهوخالق الرزق وخالق الاسباب التى بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمدلله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لايجد وواجد لايشتهى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) وباليناء

الحسنات (بماعملوا) فى اعمالهم (وهم فى الغرفات) فى الدرجات (آمنون) من الموت والزوال (والذين يسعون فى آياتنا) يكذبون بآياتنا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (معاجزين) ليسوا بفائتين من عذابنا (أولئك فى العذاب) فى النار (الدنيا) (محضرون) معذبون (قل) لهم يامحمد (ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء) يوسع المال على من يشاء (من عباده) وهو مكر منه (ويقدر له) يقتر له وهو نظر منه (وماأنفقتم من شئ) فى سبيل الله (فهو يخلفه) فى الدنيا بالمال وفى الآخرة بالحسنات (وهوخير الرازقين) أفضل المخلفين والمعطين (ويوم نحشرهم) يعنى بنى مليح والملائكة (جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوايعبدون) بامركم

عليه ﴿ بماعملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾ من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس ﴿ والذين يسعون فى آياتنا ﴾ بالرد والطعن فيها ﴿ معاجزين ﴾ مسابقين لانبيائنا اوظانين انهم يفوتوننا ﴿ اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وماسبق فى شخصين فلاتكرير ﴿ وما انفقتم من شئ فهو يخلفه ﴾ عوضا اماعاجلا اوآجلا ﴿ وهوخير الرازقين ﴾ فان غيره وسط فى ايصال رزقه لاحقيقة لرازقيته ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ المستكبرين والمستضعفين ﴿ ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوايعبدون ﴾ تقريعا للمشركين

بماعملوا ﴾ أى يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة ﴿ وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا ﴾ اى يعملون فى ابطال حججنا ﴿ معجزين ﴾ أى معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا ﴿ أولئك فى العذاب محضرون ﴾ * قوله عزوجل ﴿ قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وماأنفقتم من شئ فهو يخلفه ﴾ أى يعطى خلفه اذا كان فى غير اسراف ولاتقتير فهو يخلفه ويعوضه لايعوض سواه اما عاجلا بالمال أوبالقناعة التى هى كنز لاينفد واما بالثواب فى الآخرة الذى كل خلف دونه وقيل ماتصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال مايقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ماقسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع مافى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولايتأولن وماأنفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن يوم يصبح العباد فيه الاوملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (م) عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مانقصت صدقة من مال ومازاد الله عبدا بعفو الاعزا وماتواضع أحد لله الارفعه الله ﴿ وهوخير الرازقين ﴾ أى خير من يعطى ويرزق لان كل مارزق غيره من سلطان يرزق جنده أوسيد يرزق مملوكه أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه الله على أيدى هؤلاء وهو الرزاق الحقيقى الذى لارازق سواه * قوله تعالى ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ يعنى هؤلاء الكفار ﴿ ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوايعبدون ﴾ أى فى

ورؤساؤها (انا بما ارسلتم به كافرون) هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الاقالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة وافتخروا بكثرة الاموال والاولاد كما قال (وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا ومانحن بمعذبين) ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وظنوا انهم لولم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فابطل الله ظنهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما او ضيق عليهما فلا ينقاس عليهما امر الثواب بقوله (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) قدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ذلك (وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) اى وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتى وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث والزلفى والزلفة كالقربى وكالقربة ومحلها النصب على المصدر اى تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا (الا من آمن وعمل صالحا) الاستثناء من كم فى تقربكم يعنى ان الاموال لاتقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله والاولاد لاتقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم فى الدين ورشحهم للصلاح والطاعة وعن ابن عباس الا بمعنى لكن ومن شرط جوابه (فاولئك لهم جزاء الضعف) وهو من اضافة المصدر الى المفعول اصله

منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا ﴿ انا بما ارسلتم به كافرون ﴾ على مقابلة الجمع بالجمع ﴿ وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا ﴾ فنحن اولى بما تدعونه ان امكن ﴿ ومانحن بمعذبين ﴾ اما لان العذاب لايكون اولانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب ﴿ قل ﴾ ردا لحسبانهم ﴿ ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة فى الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ﴿ ولكن اكثر الناس لايعلمون ﴾ فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا مايكون للاستدراج كما قال ﴿ وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ﴾ قربة والتى اما لان المراد وما جماعة اموالكم والاولاد اولانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذى اى بالشئ الذى يقربكم ﴿ الا من آمن وعمل صالحا ﴾ استثناء من مفعول تقربكم اى الاموال والاولاد لاتقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف ﴿ فاولئك لهم جزاء الضعف ﴾ ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذى دل

وأغنياؤها ﴿ انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا ﴾ يعنى المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا ﴿ نحن أكثر أموالا وأولادا ﴾ يعنى لولم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا أموالا ولا أولادا ﴿ ومانحن بمعذبين ﴾ أى ان الله قد أحسن الينا فى الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا فى الآخر ﴿ قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ يعنى ان الله تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضييق على سخطه ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ أى انها كذلك ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ﴾ أى بالتى تقربكم عندنا تقريبا ﴿ الا ﴾ أى لكن ﴿ من آمن وعمل صالحا ﴾ قال ابن عباس يريد ايمانه وعلمه يقربه منى ﴿ فاولئك لهم جزاء الضعف

(انا بما ارسلتم به كافرون) جاحدون (وقالوا) للرسل (نحن أكثر أموالا وأولادا) منكم (ومانحن بمعذبين) بدينناهذا مع هذه الاموال والاولاد وهكذا قال كفار مكة لمحمد عليه السلام قال الله (قل) لهم يا محمد (ان ربى يبسط الرزق) يوسع المال (لمن يشاء) على من يشاء وهو مكر منه (ويقدر) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لايعلمون) ذلك ولا يصدقون به (وما أموالكم) كثرة أموالكم يا أهل مكة (ولا أولادكم) كثرة أولادكم (بالتى تقربكم عندنا زلفى) قربى بالدرجات (الا من آمن) بالله ولكن ايمان من آمن بالله (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه يقربه الى الله (فاولئك لهم جزاء الضعف) فى

(وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) لم يأت بالعاطف في قول الذين استكبروا وأتى به في وقال الذين استضعفوا لان الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجئ بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جئ بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول (بل مكر الليل والنهار) بل مكركم بنا بالليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي أي الليل والنهار مكرا بطول السلامة فيهما حتى ظننا انكم على الحق (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أشباها والمعنى ان المستكبرين لما أنكروا بقولهم أنحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك كسب واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فأبطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد (وأسروا الندامة) أضمروا أو أظهروا وهو من الاضداد وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (لما رأوا العذاب) الجحيم (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم فجاء بالصريح للدلالة على ما استحقوا به الاغلال (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) في الدنيا (وما أرسلنا في قرية من نذير) نبي (الا قال مترفوها) متنعموها

ولذلك بنوا الانكار على الاسم ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾ اضراب عن اضرابهم أي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا ﴿اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا﴾ والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير أو اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات وللسلب كما في اشكيته ﴿وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا﴾ أي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا لموجب اغلالهم ﴿هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ أي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ

لايمان ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾ أي مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الامل فيها ﴿اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا﴾ أي هو قول القادة للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار أن تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة ﴿وأسروا الندامة﴾ أي أظهروها وقيل اخفوها وهو من الاضداد ﴿لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا﴾ أي في النار الاتباع والمتبوعين جميعا ﴿هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ أي من الكفر والمعاصي في الدنيا * قوله عز وجل ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها﴾ أي رؤساؤها

(وقال الذين استضعفوا) قهروا وهم السفلة (للذين استكبروا) تعظموا عن الايمان وهم القادة (بل مكر الليل) (و) (والنهار) قولكم ايانا بالليل والنهار (اذ تأمروننا) اذ أمرتمونا (ان نكفر بالله) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ونجعل له أندادا) اعدالا واشكالا (وأسروا) أخفوا (الندامة) القادة من السفلة ويقال اظهر الندامة القادة والسفلة (لما) حين (رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن يقول غلت ايمانهم الى أعناقهم (هل يجزون) يوم القيامة (الا ما كانوا يعملون) الا بما كانوا يعملون ويقولون في كفرهم (وما أرسلنا في قرية) الى أهل قرية (من نذير) رسول مخوف (الا قال مترفوها) جبابرتها وأغنياؤها

التقدم اليه بالاستعجال ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم انهم سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا
لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا للسؤال على الانكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم
لا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه (وقال الذين كفروا) أي أبو جهل وذووه (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى
بين يديه) أي ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى انهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون
لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون) محبوسون (عند ربهم يرجع) يرد (بعضهم الى
بعض القول) في الجدال أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للمخاطب ولو ترى
في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب (يقول الذين
استضعفوا) أي الاتباع (للذين

استكبروا) أي للرؤس والمقدمين (لولا أنتم لكنا مؤمنين) لولا دعاؤكم ايانا الى الكفر لكنا مؤمنين بالله ورسوله (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى) أولى الاسم أي نحن حرف الانكار لان المراد انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم (بعد اذ جاءكم) انما وقعت اذ مضافا اليها وان كانت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية لانه قد اتسع في الزمان مالم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان (بل كنتم مجرمين) كافرين لاختياركم وايثاركم الضلال على الهدى لا بقولنا وتسويلنا

مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار ﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ﴾ ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيامة ﴿ ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم ﴾ اى في موضع المحاسبة ﴿ يرجع بعضهم الى بعض القول ﴾ يتحاورون ويتراجعون القول ﴿ يقول الذين استضعفوا ﴾ يقول الاتباع ﴿ للذين استكبروا ﴾ للرؤساء ﴿ لولا انتم ﴾ لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان ﴿ لكنا مؤمنين ﴾ باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين ﴾ انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه

عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بأن يزاد في آجالهم أو ينقص منها ﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ﴾ يعني التوراة والانجيل ﴿ ولو ترى ﴾ أي يا محمد ﴿ اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول ﴾ معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب ﴿ يقول الذين استضعفوا ﴾ وهم الاتباع ﴿ للذين استكبروا ﴾ وهم القادة والاشراف ﴿ لولا أنتم لكنا مؤمنين ﴾ يعني أنتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله ﴿ قال الذين استكبروا ﴾ أي أجاب المتبوعون في الكفر ﴿ للذين استضعفوا أنحن صددناكم ﴾ أي منعناكم ﴿ عن الهدى ﴾ أي عن الايمان ﴿ بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين ﴾ أي بترك

قبل الاجل ساعة (وقال الذين كفروا) كفار مكة أبو جهل بن هشام وأصحابه (لن نؤمن بهذا القرآن) الذي يقرأ علينا
محمد عليه السلام (ولا بالذى بين يديه) قبله من التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب (ولو ترى) يا محمد (اذ الظالمون)
المشركون أبو جهل وأصحابه (موقوفون) محبوسون (عند ربهم) يوم القيامة (يرجع بعضهم الى بعض القول) يجيب بعضهم
بعضا ويرد بعضهم ويلعن بعضهم بعضا (يقول الذين استضعفوا) قهروا وهم السفلة (للذين استكبروا) تعظموا عن الايمان
وهم القادة (لولا أنتم لكنا مؤمنين) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قال الذين استكبروا) تعظموا عن الايمان
وهم القادة (للذين استضعفوا) قهروا وهم السفلة (أنحن صددناكم) صرفناكم (عن الهدى) عن الايمان (بعد اذ جاءكم)
محمد به (بل كنتم مجرمين) مشركين قبل مجيء محمد عليه السلام اليكم

(كلا) ردع وتنبيه أي ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم (بل هو الله العزيز) الغالب فلا يشاركه أحد وهو ضمير الشان (الحكيم) في تدبيره (وما أرسلناك الا كافة للناس) الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج معنى الكافة في اللغة الاحاطة والمعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلامة (بشيرا) بالفضل لمن اقر (ونذيرا) بالعدل لمن اصر (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى هذا الوعد) اي القيامة المشار اليها في قوله قل يجمع بيننا ربنا (ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم) الميعاد ظرف الوعد من مكان اوزمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم واما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول بعير سانية (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) اي لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال

ثم قال الله (كلا) حقا لم يخلقوا شيأ (بل هو الله) خلق ذلك (العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) في أمره وقضائه امر أن لا يعبد غيره (وما أرسلناك) يا محمد (الا كافة) جماعة (للناس) الانس والجن (بشيرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر به (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لا يعلمون) ذلك (عن) ولا يصدقون (ويقولون) كفار مكة (متى هذا الوعد) يا محمد الذي تعدنا (ان كنتم صادقين) ان كنت من الصادقين ان نبعث بعد الموت (قل) لهم يا محمد (لكم ميعاد يوم) ميقات يوم يوم القيامة (لا تستأخرون عنه ساعة) بعد الاجل (ولا تستقدمون)

الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم ﴿كلا﴾ ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة ﴿بل هو الله العزيز الحكيم﴾ الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشان ﴿وما ارسلناك الا كافة للناس﴾ الا رسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم اوالا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار ﴿بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك ﴿ويقولون﴾ من فرط جهلهم ﴿متى هذا الوعد﴾ يعنون المبشر به والمنذر عنه اوالموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ﴿ان كنتم صادقين﴾ يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ وعد يوم اوزمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعني ﴿لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء

يخلقون أو يرزقون وأراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله ﴿كلا﴾ كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون ﴿بل هو الله العزيز﴾ أي الغالب على أمره ﴿الحكيم﴾ أي في تدبير خلقه فأنى يكون له شريك في ملكه * قوله عز وجل ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس﴾ أي للناس كلهم عامة أحمرهم وأسودهم عربيهم وعجميهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها أحد (ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة في الحديث بيان الفضائل التي خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء وان هذه الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث الى قومه أو الى أهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقيل في معنى كافة أي كافا تكفهم عما هم عليه من الكفر فتكون الهاء للمبالغة ﴿بشيرا﴾ أي لمن آمن بالجنة ﴿ونذيرا﴾ أي لمن كفر بالنار ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ يعني يوم القيامة ﴿قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل

وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ومعناه وان أحد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفى درجه بعد تقدم ما قدم من التقرير دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ولكن التعريض أوصل بالمجادل الى الغرض ونحوه قولك للكاذب ان أحدنا لكاذب وخولف بين حرفى الجر الداخلين على الهدى والضلال

لان صاحب الهدى كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس فى ظلام لا يرى أين توجه (قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون) هذا أدخل فى الانصاف من الاول حيث أسند الاجرام الى المخاطبين وهو مزجور عنه محظور والعمل الى المخاطبين وهو مأمور به مشكور (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح)يحكم (بيننا بالحق) بلا جور ولا ميل (وهو الفتاح) الحاكم (العليم) بالحكم (قل أرونى الذين ألحقتم) أى ألحقتموهم (به) بالله (شركاء) فى العبادة معه ومعنى قوله أرونى وكان يراهم ان يريهم الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الاشراك به

﴿ وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ اى وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال الواضح وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان

أتهجوه ولست له بكفء • فشركما لخيركما الفداء

وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها اوركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك فيه لا يرى شيأ اومحبوس فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها ﴿ قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون ﴾ هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ﴾ يوم القيامة ﴿ ثم يفتح بيننا بالحق ﴾ يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿ وهو الفتاح ﴾ الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة ﴿ العليم ﴾ بما ينبغى ان يقضى به ﴿ قل ارونى الذين ألحقتم به شركاء ﴾ لأرى بأى صفة ألحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام

﴿ وانا او اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ معناه ما نحن وأنتم على أمر واحد بل احد الفريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس على طريق الشك بل على جهة الالزام والانصاف فى الحجاج كما يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبى صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه فى ضلال فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفء • فشركما لخيركما الفداء

وقيل أو بمعنى الواو ومعنى الآية انا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين ﴿ قل لا تسئلون عما أجرمنا ﴾ أى لا تؤاخذون به ﴿ ولا نسئل عما تعملون ﴾ أى من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالاجرام الصغائر والزلات التى لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ ثم يفتح ﴾ أى يقضى ويحكم ﴿ بيننا بالحق ﴾ أى بالعدل ﴿ وهو الفتاح ﴾ أى القاضى ﴿ العليم ﴾ أى بما يقضى ﴿ قل أرونى ﴾ أعلمونى ﴿ الذين ألحقتم به ﴾ أى بالله ﴿ شركاء ﴾ أى الاصنام التى أشركوها معه فى العبادة هل

(وانا او اياكم) يا أهل مكة (لعلى هدى أو فى ضلال مبين) فى رزق الله سواء ويقال وانا معشر المؤمنين لعلى هدى او اياكم يا أهل مكة فى ضلال (قا و خا ٢١ مس) مبين فى كفر وخطأ بين مقدم ومؤخر فى الكلام (قل)لهم يا محمد (لا تسئلون عما أجرمنا) اذنبنا (ولا نسئل عما تعملون) فى كفركم ثم نسخ بعد ذلك بآية السيف (قل يجمع بيننا ربنا)يوم القيامة (ثم يفتح) يقضى (بيننا بالحق) بالعدل (وهو الفتاح) القاضى بالقضاء (العليم) بالحكم (قل)يا محمد لاهل مكة (أرونى الذين ألحقتم به) أشركتم به (شركاء) آلهة ماذا خلقوا

الاذن وفزع شامى أى الله تعالى والتفزيع ازالة الفزع وحتى غاية لمافهم من ان ثمه انتظارا للاذن وتوقفا وفزعا
من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أولا يؤذن لهم كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين حتى اذا فزع
عن قلوبهم (قالوا) سأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق)
أى القول الحق وهو الاذن
بالشفاعة لمن ارتضى (وهو
العلى الكبير) ذو العلو
والكبرياء ليس لملك ولا نبى
أن يتكلم ذلك اليوم الا باذنه
وأن يشفع الا لمن ارتضى
(قل من يرزقكم من
السموات والارض قل الله)
أمره بان يقررهم بقوله
من يرزقكم ثم أمره بان يتولى
الاجابة والاقرار عنهم
بقوله يرزقكم الله وذلك
للاشعار بانهم مقرون به
بقلوبهم الا انهم ربما أبوا
ان يتكلموا به لانهم ان تفوهوا
بان الله رازقهم لزمهم
ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون
من يرزقكم وتؤثرون عليه
من لا يقدر على الرزق
وأمره ان يقول لهم بعد
الالزام والالجام الذى ان
لم يزد على اقرارهم بالسنتهم
لم يتقاصر عنه

(قالوا) يعنى الملائكة جبريل
ومن معه من الملائكة (ماذا
قال ربكم) ياجبريل (قالوا)
يعنى جبريل ومن معه من
الملائكة (الحق) القرآن
(وهو العلى) أعلى كل
شئ (الكبير) أكبر كل شئ (قل) يامحمد لكفار مكة (من يرزقكم من السموات) بالمطر (والارض) بالنبات (وانا)
فان أجابوك وقالوا الله والا (قل الله) يرزقكم

للاذن اى يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن
وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء
للفاعل وقرئ فرغ اى نفى او جلى من فرغ الزاد اذا فنى ﴿ قالوا ﴾ قال بعضهم لبعض
﴿ ماذا قال ربكم ﴾ فى الشفاعة ﴿ قالوا الحق ﴾ قالوا قال القول الحق وهو الاذن
بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اى مقوله الحق ﴿ وهو العلى الكبير ﴾
ذو العلو والكبرياء ليس لملك اونبى ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه ﴿ قل من يرزقكم من
السموات والارض ﴾ يريد به تقرير قوله لا يملكون ﴿ قل الله ﴾ اذ لا جواب سواه
وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم

كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم
عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فزع عن قلوبهم
﴿ قالوا ماذا قال ربكم قالوا ﴾ الذى قال ﴿ الحق وهو العلى الكبير ﴾ وللترمذى اذا قضى
الله فى السماء أمرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع
عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال الترمذى حديث
حسن صحيح قوله خضعا جمع خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان الحجر الاملس
عن ابن مسعود رضى الله عنه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات صلصلة كجر
السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم
فيقولون ياجبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق أخرجه أبو داود الصلصلة صوت
الاجراس الصلبة بعضها على بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قيل كانت
الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة سنة أو ستمائة لم تسمع الملائكة
فيها صوت وحى فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله
عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند أهل
السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل
جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال
ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون
وقيل اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم فى الدنيا
لاقامة الحجة عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلى الكبير أى ذو العلو
والكبرياء ﴿ قوله عز وجل ﴿ قل من يرزقكم من السموات والارض ﴾ يعنى المطر والنبات
﴿ قل ﴾ الله يعنى ان لم يقولوا ان رازقنا هو الله فقل أنت ان رازقكم هو الله

ومفاعل متآخيان (قل) لمشركى قومك (ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أى زعمتموهم الهة من دون الله فالمفعول الاول الضمير الراجع الى الموصول وحذف كما حذف فى قوله أهذا الذى بعث الله استخفافا لطول الموصول بصلته والمفعول الثانى آلهة وحذف لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه والتجؤا اليهم فيما يعروكم كما تلتجؤن اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير

أوشر أونفع أوضر (فى السموات ولافى الارض وما لهم فيهما من شرك) ومالهم فى هذين الجنسين من شركة فى الخلق ولافى الملك (وماله) تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) من عون يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أى أذن له الله يعنى الا من وقع الاذن للشفيع لاجله وهى اللام الثانية فى قولك أذن لزيد لعمرو أى لاجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله أذن له كوفى غير عاصم الا الاعمش (حتى اذا فزع عن قلوبهم) أى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق

والزنتان متآخيتان ﴿ قل ﴾ للمشركين ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾ اى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفته وهى من دون الله مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثانى لانه لايلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لايزعمونه ﴿ من دون الله ﴾ والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع اودفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لايقبل المكابرة فقال ﴿ لا يملكون مثقال ذرة ﴾ من خير اوشر ﴿ فى السموات ولا فى الارض ﴾ فى امر ما وذكرهما للعموم العرفى اولان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام اولان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم ﴿ ومالهم فيهما من شرك ﴾ من شركة لاخلقا ولاملكا ﴿ وماله منهم من ظهير ﴾ يعينه على تدبير امرهما ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده ﴾ فلا ينفعهم شفاعتهم ايضا كما يزعمون اذ لاتنفع الشفاعة عند الله ﴿ الا لمن اذن له ﴾ اذن له ان يشفع اواذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام فى قولك الكرم لزيد وعلى الثانى كاللام فى جئتك لزيد * وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بضم الهمزة ﴿ حتى اذا فزع عن قلوبهم ﴾ غاية لمفهوم الكلام من ان ثمة توقفا وانتظارا

وقيل حفيظ بمعنى حافظ * قوله تعالى ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لكفار مكة ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾ أى انهم آلهة ﴿ من دون الله ﴾ والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذى نزل بكم فى سنى الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى ﴿ لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ﴾ يعنى من خير وشر ونفع وضر ﴿ ومالهم ﴾ أى للآلهة ﴿ فيهما ﴾ أى فى السموات والارض ﴿ من شرك ﴾ أى من شركة ﴿ وماله ﴾ أى الله ﴿ منهم ﴾ أى من الآلهة ﴿ من ظهير ﴾ عوين ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ﴾ أى أذن الله له فى الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز أن يكون المعنى الا لمن أذن الله فى ان يشفع له ﴿ حتى اذا فزع عن قلوبهم ﴾ معناه

(قل) يا محمد لكفار مكة بنى مليح (ادعوا الذين زعمتم) عبدتم (من دون الله) حتى يجيبوكم وكانوا يعبدون الجن ويظنون انهم الملائكة قال الله لهم (لا يملكون) لايقدرون ان ينفعوكم (مثقال ذرة) وزن ذرة (فى السموات) مما فى السموات (ولا فى الارض) ولا مما فى الارض (ومالهم) للملائكة (فيهما) فى خلق السموات والارض (من شرك) من شركة مع الله (وماله) لله (منهم) من الملائكة (من ظهير) من عون فى خلق السموات والارض (ولا تنفع الشفاعة) ولا تشفع الملائكة (عنده) يوم القيامة (الا لمن أذن له) بالشفاعة ثم ذكر ضعف الملائكة حيث كلم الله جبريل بالوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم فسمعت الملائكة كلام الرب تبارك وتعالى فخروا مغشيا عليهم من هيبة كلام الله فكانوا كذلك (حتى اذا فزع) كشط وجلى (عن قلوبهم) الخوف حين انحدر عليهم جبريل فرفعوا رؤسهم

اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدى سبأ وتفرقوا ايادى سبأ فلحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) عن المعاصى (شكور) للنعم أو لكل مؤمن لان الايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) بالتشديد كوفى أى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا وبالتخفيف غيرهم أى صدق فى ظنه (فاتبعوه) الضمير فى عليهم واتبعوه لاهل سبأ أو لبنى آدم وقال المؤمنين بقوله (الافريقا من المؤمنين) لقلتهم بالاضافة الى الكفار ولا تجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) لابليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا (من سلطان) من تسليط واستيلاء بالوسوسة (الالنعلم) موجودا ما علمناه معدوما والتغير على المعلوم لا على العلم (من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ) محافظ عليه وفعيل

حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ﴿ ان فى ذلك ﴾ فيما ذكر ﴿ لآيات لكل صبار ﴾ عن المعاصى ﴿ شكور ﴾ على النعم ﴿ ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ﴾ اى صدق فى ظنه اوصدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما فى صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه اووجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اماظنه بسبأ حين رأى انهماكهم فى الشهوات اوبنى آدم حين رأى اباهم آدم ضعيف العزم اوما ركب فيهم من الشهوة والغضب اوسمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال لاضلنهم ولاغوينهم ﴿ فاتبعوه الافريقا من المؤمنين ﴾ الافريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار اوالا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون ﴿ وما كان له عليهم ﴾ على المتبعين ﴿ من سلطان ﴾ تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء ﴿ الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك ﴾ الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء اوليتميز المؤمن من الشاك اوليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفى نظم الصلتين نكتة لا تخفى ﴿ وربك على كل شىء حفيظ ﴾ محافظ

كل التفريق قيل لما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد فاما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج ولحق آل خزيمة بالعراق ﴿ ان فى ذلك لآيات ﴾ أى لعبرا ودلالات ﴿ لكل صبار ﴾ أى عن المعاصى ﴿ شكور ﴾ أى لله على نعمه قيل المؤمن صبر على البلاء شاكر للنعماء وقيل المؤمن اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر * قوله عز وجل ﴿ ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ﴾ قيل على أهل سبأ وقيل على الناس كلهم ﴿ فاتبعوه الافريقا من المؤمنين ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه فى أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سأل النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ماقاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ماظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاغتروا ﴿ وما كان له عليهم من سلطان ﴾ أى ما كان تسليطنا اياه عليهم ﴿ الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك ﴾ أى لنرى ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور اذا كان معلوما عنده لانه عالم الغيب ﴿ وربك على كل شىء حفيظ ﴾ أى رقيب

وأهلكناهم كل مهلك (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيات) لعلامات وعبرات (لكل صبار) على الطاعة (شكور) بنعم الله (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) قوله أى ظن بهم ظنا فوافق ظنه قوله (فاتبعوه) فى الكفر (الافريقا من المؤمنين) جملة المؤمنين ويقال فاتبعوه بالمعصية الافريقا طائفة من المؤمنين وهم سبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب (وما كان له) لابليس (عليهم) على بنى آدم (من سلطان) ﴿ وقيل ﴾ من مقدرة ونفاذ أمر (الالنعلم) الا بقدر ماترى ونميز (من يؤمن بالآخرة) من علمت فى القدم ان يؤمن بالبعث بعد الموت (ممن هو منها) من قيام الساعة (فى شك) ريب (وربك) يا محمد (على كل شىء) من أعمالهم (حفيظ) عليم

(وجعلنا بينهم) بين سبأ (وبين القرى التى باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها فى النعم والمياه وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لأعين الناظرين أو ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وهى أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ الى الشام (وقدرنا فيها السير) أى جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقيل المسافر فى قرية ويروح فى أخرى الى ان يبلغ الشام (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول ثمة ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكأنهم أمروا بذلك (ليالى وأياما آمنين) أى سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أى سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وان تطاولت مدة سفركم وامتدت أياما وليالى (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) قالوا ياليتها كانت بعيدة فنسير على نجائبنا ونربح فى التجارات ونفاخر فى الدواب والاسباب بطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب بعد مكى وأبو عمرو (وظلموا) بما قالوا (أنفسهم فجعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم (ومزقناهم كل ممزق) وفرقناهم تفريقا

﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها﴾ بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشام ﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة يظهر بعضها لبعض اوراكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل ﴿وقدرنا فيها السير﴾ بحيث يقيل الغادى فى قرية ويبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ الشام ﴿سيروا فيها﴾ على ارادة القول بلسان الحال والمقال ﴿ليالى واياما﴾ متى شئتم من ليل ونهار ﴿آمنين﴾ لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالى اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن ﴿فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا﴾ اشروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا بالرفع باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفية وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد او بعد على النداء واسناد الفعل الى بين ﴿وظلموا انفسهم﴾ حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها ﴿فجعلناهم احاديث﴾ يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدى سبأ ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ ففرقناهم غاية التفريق

بحسناته ولا يكافأ بسيئاته ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها﴾ أى بالماء والشجر وهى قرى الشام ﴿قرى ظاهرة﴾ أى متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبأ الى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ الى الشام ﴿وقدرنا فيها السير﴾ أى قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم فى الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار فكان مابين اليمن والشام كذلك ﴿سيروا﴾ أى وقلنا لهم سيروا ﴿فيها ليالى وأياما﴾ أى فى أى وقت شئتم ﴿آمنين﴾ أى لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جناتنا أبعد مما هى كان أجدر أن نشتهيها وطلبوا الكد والتعب فى الاسفار ﴿فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا﴾ وقرئ باعد بين أسفارنا أى اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فلما تمنوا ذلك عجل الله لهم الاجابة ﴿وظلموا أنفسهم﴾ أى بالبطر والطغيان ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ أى عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم وشأنهم ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أى فرقناهم فى كل وجه من البلاد

بالله وبنعمته (وجعلنا بينهم) بين أهل سبأ (وبين) أهل (القرى التى باركنا فيها) بالماء والشجر يعنى الاردن وفلسطين (قرى ظاهرة) متصلة معاينة (وقدرنا فيها) يعنى القرى (السير) على قدر المقيل والمبيت (سيروا فيها) سافروا فيها (ليالى وأياما آمنين) من الجوع والعطش واللصوص فقال لهم الانبياء بعد ذلك اشكروا نعمة ربكم لئلا يأخذها منكم كما أخذ النعمة الاولى (فقالوا ربنا) يا ربنا (باعد بين اسفارنا) مسيرنا (وظلموا أنفسهم) بالكفر والشرك وتركوا شكر ذلك (فجعلناهم أحاديث) لمن بعدهم (ومزقناهم) فرقناهم فى البلدان (كل ممزق) مفرق

نعم بهم (وبدلناهم بجنتيهم) المذكورتين (جنتين) وتسمية البدل جنتين لمشاكلة وازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (ذواتي أكل خمط) لاكل ثمر يثقل ويخفف وهو قراءة نافع ومكي والخمط شجر الاراك وقيل كل شجر ذي شوك (وأثل وشيء من سدر قليل) الاثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عوداً ووجه منون الاكل وهو غير أبي عمرو ان أصله ذواتي أكل

خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الاكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع ووجه أبي عمرو ان أكل الخمط في معنى البرير وهو ثمر الاراك اذا كان غضا فكأنه قيل ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لان الاثل لا أكل له وعن الحسن قلل السدر لانه أكرم ما بدلوا لانه يكون في الجنان (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي جزيناهم ذلك بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم (وهل نجازي الا الكفور) كوفي غير أبي بكر وهل نجازي الا الكفور غيرهم يعني وهل نجازي مثل هذا الجزاء الا من كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله أو هل يعاقب لان الجزاء وان كان عاما يستعمل في معنى المعاقبة وفي معنى الاثابة لكن المراد خاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام

وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط ﴾ ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان ٭ وقرأ ابو عمرو اكل خمط بالاضافة ٭ وقرأ الحرميان بتخفيف اكل ﴿ واثل وشيء من سدر قليل ﴾ معطوفان على كل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له ٭ وقرأ بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ﴾ بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص ﴿ وهل نجازي الا الكفور ﴾ وهل نجازي بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر ٭ وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب

يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جنانهم وأخرب أرضهم وقال وهب رأوا فيما يزعمون ويجدون في علمهم ان الذي يخرب سدهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد وحفرت حتى أوهنت المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل منه حتى اقتلع السد وفاض الماء حتى علا أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل ففرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيادي سبا فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم ﴿ وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط ﴾ قيل هو شجر الاراك وثمره البرير وقيل كل نبت أخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو خمط وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به ﴿ وأثل ﴾ قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء الا أنه أعظم منه ﴿ وشيء من سدر قليل ﴾ هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذي بدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وقوله تعالى ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ﴾ اي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم ﴿ وهل نجازي الا الكفور ﴾ أي هل يكافأ بعمله الا الكفور لله في نعمه قيل المؤمن يجزى ولا يجازى يجزى

الماء (وبدلناهم بجنتيهم) اللتين هلكتا (جنتين ذواتي اكل خمط) ثمر خمط أراك (وأثل) طرفاء (وشيء من سدر قليل) من شجر ﴿ بحسناته ﴾ قليل الثمر كثير الشوك (ذلك جزيناهم) أي الذي أصابهم عقوبة لهم عاقبناهم (بما كفروا) بالله وبنعمته (وهل نجازي) نعاقب (الا الكفور) الكافر

شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة أو أراد بستان كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أوهم أحقاء بان يقال لهم ذلك ولما امرهم بذلك تبعوه قوله (بلدة طيبة ورب غفور) أى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من التمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن يمر بها من الغرباء يموت قمله لطيب هوائها (فاعرضوا) عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة (فارسلنا عليهم سيل العرم) أى المطر الشديد أو العرم اسم الوادى أو هو الجرذ الذى نقب عليهم السكر لما طغوا سلط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسفله

رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له ﴾ حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك ﴿ بلدة طيبة ورب غفور ﴾ استئناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره * وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة ﴿ فاعرضوا ﴾ عن الشكر ﴿ فارسلنا عليهم سيل العرم ﴾ سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التى عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام

به الجنتان ﴿ كلوا ﴾ أى قيل لهم كلوا ﴿ من رزق ربكم ﴾ أى من ثمار الجنتين قيل كان المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلئ المكتل من انواع الفواكه من غير ان تمس بيدها شيأ ﴿ واشكروا له ﴾ أى على ما رزقكم من النعمة واعملوا بطاعته ﴿ بلدة طيبة ﴾ اى أرض مارب وهى سبأ بلدة طيبة فسيحة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى فى بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفى ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء ﴿ ورب غفور ﴾ قال وهب اى وربكم ان شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره * قوله عز وجل ﴿ فاعرضوا ﴾ قال وهب أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك اعراضهم ﴿ فارسلنا عليهم سيل العرم ﴾ العرم الذى لا يطاق قيل كان ماء أحمر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذى يحبس الماء وقيل العرم الوادى قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاء هم المطر اجتمع عليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الاسفل ولا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا اسلط الله عليهم جرذا

لهم الانبياء (كلوا من رزق ربكم) من فضل ربكم من الثمار والنعيم (واشكروا له) بالتوحيد (بلدة طيبة) هذه بلدة طيبة ليست بسبخة (ورب غفور) لمن آمن به وتاب (فأعرضوا) عن الايمان واجابة الرسل ولم يشكروا بذلك (فأرسلنا) سلطنا (عليهم سيل العرم) سيل الوادى فأهلك ما كان لهم من البساتين والبيوت والنعيم وغير ذلك والعرم وادفى اليمن يقال له وادى الشجر وكان فيه مسناة يحبسون الماء فى الوادى بذلك وكان لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض فهدم الله تلك المسناة وأهلكهم بذلك

حولا في تسخيره الى ان خر اوظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات داود وقبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذدنا اجله فاعلمه به فاراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه ﴿ لقد كان لسبأ ﴾ لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب ﴿ في مساكنهم ﴾ في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ماشذ من القياس كالمسجد والمطلع ﴿ آية ﴾ علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على مايشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان ﴿ جنتان ﴾ بدل من آية اوخبر محذوف وتقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين ﴿ عن يمين وشمال ﴾ جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منها في تقاربها وتضايقها كأنها جنة واحدة اوبستانا كل

ان لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت ويظنونه حيا أراد الله تعالى بذلك أن يعلم الجن انهم لايعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى الآية انه ظهر أمر الجن وانكشف للانس انهم لايعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين * قوله عز وجل ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ﴾ عن فروة بن مسيك المرادي قال لما أنزل في سبأ ما أنزل قال رجل يارسول الله وما سبأ أرض أو امرأة قال ليس بارض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يارسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة أخرجه الترمذي مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم أي بمأرب من أرض اليمن آية أي دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى ﴿ جنتان ﴾ أي بستانان ﴿ عن يمين وشمال ﴾ أي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من أتاهما وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاطت

لاربع مضين من ملكه و روى أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعده ان يدنو منه (لقد كان لسبأ) بالصرف بتاويل الحي وبعدمه أبو عمرو بتاويل القبيلة (في مسكنهم) حمزة وحفص مسكنهم علي وخلف وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها باليمن أومسكن كل واحد منهم غيرهم مساكنهم (آية) اسم كان (جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان ومعنى كونهما آية ان أهلهما لما أعرضوا عن شكر الله سلبهم الله النعمة ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ماكانوا عليه من الكفر وغمط النعم أوجعلهما آية أي علامة دالة على قدرة الله واحسانه ووجوب شكره (عن يمين وشمال) أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن

الغيب فتبين لهم بعد ذلك انهم لايعلمون (لقد كان لسبأ) لاهل سبأ قرية من اليمن (في مساكنهم) في منازلهم (آية) علامة (جنتان) بستانان (عن يمين) يمين الطريق (وشمال) شمال الطريق وكان ثلاث عشرة قرية نحو اليمن بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فقال (به)

واعترافا وكدحا وعن ابن عباس رضى الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر و حكى عن داود عليه السلام انه جزأ ساعات الليل و النهار على أهله فلم تكن تاتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى (فلما ﴿ ١٥٣ ﴾ قضينا عليه الموت) {سورة سبأ} أى على سليمان (مادلهم) أى الجن و آل داود (على موته الادابة الارض) أى الارضة وهى دويبة يقال لها سرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة (تأكل منسأته) والعصا تسمى منسأة لانه ينسأ بها أى يطرد ومنساته بغير همز مدنى وأبو عمرو (فلما خر) سقط سليمان (تبينت الجن) علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (فى العذاب المهين) وروى ان داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمره سنة سال ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة

يؤدى شكر الشكور (فلما قضينا عليه) على سليمان (الموت) كان سليمان ميتا قائما فى محرابه سنة (مادلهم على موته) موت سليمان (الادابة الارض) الارضة (تأكل (قا و خا ٢٠ مس) منسأته) عصاه ويقال عنزته (فلما خر) وقع سليمان (تبينت الجن) تبين للانس ان الجن لايعلمون الغيب (ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) الشديد من العمل بالسخرة وكان قبل ذلك يظن الانس ان الجن يعلمون

على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لايوفى حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر ﴿ فلما قضينا عليه الموت ﴾ اى على سليمان ﴿ مادلهم على موته ﴾ مادل الجن وقيل آله ﴿ الادابة الارض ﴾ اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا ﴿ تأكل منسأته ﴾ عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساءته على مفعالة كميضاءة فى ميضأة ومن ساءته اى طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قحة وقحة ﴿ فلما خر تبينت الجن ﴾ علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ﴿ ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ﴾ انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده

شكرا النعمتى ❊ قوله تعالى ﴿ فلما قضينا عليه الموت ﴾ أى على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التى مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لايصبح يوما الا وقد نبتت فى محرابه ببيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لاى شئ خلقت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت لغرس أمر بها فغرست وان كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما أنت قالت أنا الخروبة قال ولاى شئ نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها فى حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس ان الجن لايعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب شيأ ويعلمون ما فى غد ثم دخل المحراب وقام يصلى على عادته متكئا على عصاه فمات قائما و كان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التى كانوا يعملون فى حياة سليمان وينظرون اليه ويحسبون انه حى ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يدأبون بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين فى جوف الخشب فذلك قوله تعالى ﴿ مادلهم على موته الادابة الارض ﴾ يعنى الارضة ﴿ تأكل منسأته ﴾ قال البخارى يعنى عصاه ﴿ فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ﴾ معناه علمت الجن وأيقنت

[illegible] ﴿وتماثيل﴾ وصوراً [illegible] وتماثيل
الملائكة والأنبياء على [illegible] عبادة [illegible] ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة
التصاوير شرع مجدد روي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا
أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما ﴿وجفان﴾
وصحاف ﴿كالجواب﴾ كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة
﴿وقدور راسيات﴾ ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾
حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة أي اعملوا له واعبدوه شكرا أو مصدر لأن
العمل له شكر أو وصف له أو حال أو المفعول به ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ المتوفر

حكمة [illegible] وفق حكمته [illegible] وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وسأله
عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا أخرجه من
خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه النسائي وغيره النسائي سأل ربه ثلاثا وأعطاه اثنين وأنا
أرجو أن يكون أعطاه الثالثة وذكر نحوه قوله لا ينهزه أي لا ينهضه إلا الصلاة فيه وبقي
بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه بختنصر فخرب
المدينة وهدم المسجد وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله
إلى دار مملكته من أرض العراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر وقوله
عز وجل ﴿وتماثيل﴾ أي ويعملون له تماثيل أي صورا من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا
يصورون السباع والطيور وغيرها قيل كانوا يصورون صور الملائكة والأنبياء والصالحين
في [illegible] الناس فيزدادوا عبادة قال يحتمل [illegible] اتخاذ الصور كان مباحا في
شريعتهم وهذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لأنه ليس من الأمور القبيحة في العقل
كالظلم والفسق والكذب ونحوها مما يقبح في كل الشرائع قيل عملوا له أسدين تحت
كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط له الأسدان ذراعيهما وإذا جلس
أظله النسران بأجنحتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان والنسور على درجات
سريره وفوق كرسيه لكي يهابه [illegible] أراد [illegible] ﴿وجفان﴾ أي قصاع ﴿كالجواب﴾
أي كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف
رجل يأكلون منها ﴿وقدور راسيات﴾ أي ثابتات على أثافيها لا تحرك ولا تنزل
عن أماكنها لعظمهن وكان يصعد إليها بالسلالم وكانت باليمن ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾
أي وقلنا يا آل داود [illegible] طاعة لله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه
وقيل داود وسليمان وأهل بيته [illegible] ثابت البناني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام
قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان
من آل داود قائم يصلي ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ أي [illegible] العامل بطاعتي

جفان [illegible]
[illegible]
جمع جفنة (كالجواب) جمع جابية
وهي الحوض الكبير يقال كان
يقعد على الجفنة ألف
رجل كالجوابي في الوصل
والوقف مكي ويعقوب و
سهل وافق أبو عمرو
في الوصل الباقون بغير
ياء اكتفاء بالكسرة (وقدور
راسيات) ثابتات على
الأثافي لا تزل عنها لعظمها
وقيل إنها باقية باليمن
وقلنا لهم (اعملوا آل داود
شكرا) أي ارحموا أهل
البلاء وسلوا ربكم العافية
عن الفضيل وشكرا
مفعول له أو حال أي
شاكرين أو اشكروا شكرا
لأن اعملوا فيه معنى اشكروا
من حيث إن العمل
للمنعم شكر له أو مفعول
به يعني إنا سخرنا لكم
الجن يعملون لكم ما شئتم
فاعملوا أنتم شكرا [illegible]
الجنيد عن الشكر فقال
بذل المجهود بين يدي المعبود
(وقليل من عبادي)
بسكون الياء حمزة وغيره
بفتحها (الشكور) المتوفر
على أداء الشكر الباذل
وسعه فيه [illegible]
[illegible]
المسجد [illegible]

[illegible] (وجفان) جمع جفنة (كالجوابي) جمع جابية وهي حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها (وقدور
راسيات) ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم (اعملوا) يا (آل داود) بطاعة الله
(شكرا) له على ما آتاكم (وقليل من عبادي الشكور) العامل بطاعتي شكرا لنعمتي؛ وقلنا: فعمل داود ما أنعمت عليكم بقول اعملوا عملا خيرا حتى تؤدوا بذلك شكر ما أنعمت عليكم (وقليل من عبادي الشكور) من

﴿ واسلناله عين القطر ﴾ نحاس المذاب اساله من معدنه فنبع منه نبوع [illegible] من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه ﴾ عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة أو جملة من مبتدأ وخبر ﴿ باذن ربه ﴾ بامره ﴿ ومن يزغ منهم عن امرنا ﴾ ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه ﴿ نذقه من عذاب السعير ﴾ عذاب الآخرة ﴿ يعملون له مايشاء من محاريب ﴾ قصورا حصينة

﴿ وأسلناله عين القطر ﴾ أى أذبناله عين النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان النحاس كما ألان لداود الحديد ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ﴾ أى بامر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة و السلام وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به ﴿ ومن يزغ ﴾ أى يعدل ﴿ منهم ﴾ من الجن ﴿ عن أمرنا ﴾ أى الذى امرناه به من طاعة سليمان ﴿ نذقه من عذاب السعير ﴾ قيل هذا فى الآخرة وقيل فى الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته ﴿ يعملون له مايشاء من محاريب ﴾ أى مساجد وقيل هى الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام ابتدأه ورفعه قامة رجل فأوحى الله اليه لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضى تمامه على يديه فلما توفى داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فارسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثنى عشر ربضا وأنزل على كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافى من اماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من اماكنها فاتى من ذلك بشئ كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الاحجار وتصييرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلى فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافى وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروزج فلم يكن على وجه تلك الارض يومئذ بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد فكان يضئ فى الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بنى اسرائيل وأعلمهم أنه بناه لله تعالى وأن كل شئ فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل [illegible]

أسالة وكان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء و[illegible] قبل سليمان لا يذوب وتسميته عين القطر باسم ما آل اليه (ومن الجن من يعمل) [illegible] فى موضع نصب أى [illegible] الجن من يعمل [illegible] يديه باذن ربه) بامر ربه (ومن يزغ منهم) من يعدل منهم (عن أمرنا) الذى أمرناه من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة وقيل [illegible] ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان عليه السلام ضربه ضربة أحرقته (يعملون له مايشاء من محاريب) أى مساجد أو [illegible]

[illegible] الذهب [illegible] (وأسلناله) أجرينا له (عين القطر) [illegible] المذاب [illegible] ماشاء [illegible] باليمن (ومن الجن) و[illegible] له من الجن (من يعمل بين يديه) [illegible] البنيان و[illegible] (باذن ربه) بأمر [illegible] (ومن يزغ) يمل ويعدل (منهم [illegible] أمرنا) الذى امرنا [illegible] عن أمر سليمان (نذقه من عذاب السعير) [illegible]

له مايشاء من [illegible]

الشخامة (وألنا له الحديد) وجعلناه له كالطين المعجون يصرفه كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده [illegible] من شدة قوة (أن اعمل) أن مفسرة أي أمرناه أن اعمل (سابغات) دروعا واسعة تامة من السبوغ وهو أول من اتخذها وكان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون { الجزء الثاني والعشرون } في داود فيأتيه ﴿ ١٥٠ ﴾ عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي

في تنفيذ مشيئته فيه ﴿ وألنا له الحديد ﴾ وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بآلاته أو بقوته ﴿ أن اعمل ﴾ أمرناه ان اعمل وان مفسرة أو مصدرية ﴿ سابغات ﴾ دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو أول من اتخذها ﴿ وقدر في السرد ﴾ وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بأن دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد ﴿ واعملوا صالحا ﴾ الضمير فيه لداود عليه السلام وأهله ﴿ إني بما تعملون بصير ﴾ فأجازيكم عليه ﴿ ولسليمان الريح ﴾ أي وسخرنا له الريح وقرأ أبو بكر الريح بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح ﴿ غدوها شهر ورواحها شهر ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها

وتقول أسعد الله تعالى تسبح الجبال فينشط له ﴿ وألنا له الحديد ﴾ يعني كان الحديد في يده كالشمع أو كالعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة قيل سبب ذلك أن داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال نعم الرجل هو لولا خصلة فيه ففزع داود عليه الصلاة والسلام لذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل ربه تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فألان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فيأكل منه ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين [illegible] وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده ﴿ أن اعمل سابغات ﴾ أي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الأرض قيل كان يعمل كل يوم درعا ﴿ وقدر في السرد ﴾ أي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على القصد وقدر الحاجة ﴿ واعملوا صالحا ﴾ يريد داود وآله ﴿ إني بما تعملون بصير ﴾ قوله تعالى ﴿ ولسليمان الريح ﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) معناه ان مسيرة غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسيرة رواحها مسيرة شهر وكانت تسير في كل يوم مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند

وسأله على عادته فقال نعم الرجل هو لولا خصلة فيه وهو انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر في السرد) لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله (صالحا) خالصا يصلح للقبول (إني بما تعملون بصير) فأجازيكم عليه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبا ورفع الريح أبو بكر وحماد والمفضل أي ولسليمان الريح مسخرة (غدوها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وكان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند

(وألنا له الحديد) جعلناه لينا في يده كالشمع يعمل به ما يشاء من غير نار (أن اعمل سابغات) دروعا واسعات (وقدر في السرد) قدر المسمار في الحلق لا تدق المسمار فيتزلزل ولا تغلظه فيخرق الحلق (واعملوا صالحا) خالصا (إني بما تعملون) من خير وشر (بصير) عليم (ولسليمان الريح) وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر) مسيرة غدوته من بيت المقدس الى اصطخر مسيرة شهر (ورواحها شهر) مسيرة رواحه من اصطخر الى بيت المقدس مسيرة شهر

العذاب من لوازمه جعلا كأنهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازى لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض) ادغم على للتقارب بين الفاء والباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء (الارض ونسقط) ثلاثتها بالياء كوفى وغيرهم بالنون أى على شكل (عليهم كسفا) كسفا حفص (من السماء) أى أعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لايقدرون ان ينفذوا من اقطارهما

وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة (ان فى ذلك) النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله تعالى (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مطيع له اذ المنيب لايخلو من النظر فى آيات الله على انه قادر على كل شئ من البعث ومن عقاب من يكفر به (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال) بدل من فضلا أو من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال (أوبى معه) من التأويب رجعى معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام (والطير) عطف على محل الجبال والطير عطف على لفظ الجبال وفى هذا النظم من الفخامة مالايخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين اذا أمرهم أطاعوا واذا دعاهم أجابوا اشعارا بانه مامن حيوان وجماد الا وهو منقاد لمشيئته تعالى [illegible]

الضلال به على الاسناد المجازى ﴿أفلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء﴾ تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله ومايحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا أهم اشد خلقا ام هى من خلقنا وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائى يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ﴿ان فى ذلك﴾ النظر والفكر فيهما ومايدلان عليه ﴿لآية﴾ لدلالة ﴿لكل عبد منيب﴾ راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل فى امره ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ اى على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن ﴿يا جبال اوبى معه﴾ رجعى معه التسبيح على الذنب اوالنوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل مافيها اوسيرى معه حيث سار وقرئ اوبى من الاوب اى ارجعى فى التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا اوقلنا ﴿والطير﴾ عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية او على فضلا او مفعول معه لاوبى وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره

﴿أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض﴾ أى فيعلموا انهم حيث كانوا فى أرضى وتحت سمائى فان ارضى وسمائى محيطة بهم لايخرجون من اقطارها وأنا قادر عليهم ﴿ان نشأ نخسف بهم الارض﴾ أى كما خسفنا بقارون ﴿أو نسقط عليهم كسفا من السماء﴾ أى كما فعلنا باصحاب الايكة ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ترون من السماء والارض ﴿لآية﴾ أى تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت ﴿لكل عبد منيب﴾ اى تائب راجع الى الله بقلبه ﴿قوله عز وجل ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ يعنى النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتى من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به ﴿يا جبال أوبى معه﴾ أى وقلنا يا جبال سبحى معه اذا سبح قيل [illegible] رجع ونوحى معه اذا ناح ﴿والطير﴾ أى وأمرنا الطير ان تسبح معه [illegible] أو بالنياحة حتى ان الجبال [illegible] وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل [illegible]

والهدى فى الدنيا (أفلم يروا) ينظروا (الى ما بين أيديهم) مما قدامهم (وما خلفهم) مما وراءهم (من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض) فى الارض (أو نسقط عليهم كسفا) قطعا [illegible] (ان فى ذلك) فيما ذكرت لهم من السماء والارض (لآية) لعبرة (لكل عبد منيب) مقبل الى الله والطاعة (ولقد آتينا) أعطينا (داود منا فضلا) ملكا ونبوة (يا جبال) وقلنا يا جبال (أوبى معه) سبحى مع داود (والطير) وسخرنا له الطير

[illegible] أو [illegible] ازداد يقينه في الإيقان (ويهدى) الله أو الذى [illegible]
[illegible] بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون
[illegible] [illegible] قريش [illegible] البعث [illegible] اعتقدهم تجاهلا به وبأمره وبعث
[illegible] (إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد) أى يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب انكم
[illegible] خلقا جديدا [illegible] وتمزق [illegible] كل ممزق أى يفرقكم كل تفريق
[illegible] التمزق {الجزء الثاني والعشرون} [illegible] ﴿١٤٨﴾ [illegible] إذا بدل [illegible] انكم لفي خلق جديدا أى

ويبين [illegible] معطوف على ليجزى [illegible] وهو [illegible] الساعة انه الحق
[illegible] ﴿ويهدى الى صراط العزيز الحميد﴾ الذى هو التوحيد
[illegible] التقوى ﴿وقال الذين كفروا﴾ يعنى منكرى البعث قال بعضهم
[illegible] ﴿هل ندلكم على رجل﴾ يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام ﴿ينبئكم﴾
يحدثكم [illegible] الأعاجيب ﴿إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد﴾ انكم تنشأون
[illegible] التمزق [illegible] كل تمزق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم
[illegible] على [illegible] ومبالغة فيه [illegible] محذوف دل عليه [illegible] مقبله لم
[illegible] ويحتمل [illegible] بينه [illegible] وممزق يحتمل ان يكون مكانا
[illegible] مزقتم ذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى
[illegible] من جد فهو [illegible] من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه
﴿أفترى على الله كذبا أم به جنة﴾ جنون [illegible] ذلك [illegible] على لسانه واستدل
[illegible] الافتراء [illegible] بين الصدق والكذب [illegible] وهو
كل [illegible] عن [illegible] بين لأن الافتراء أخص من الكذب
﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ رد من الله تعالى عليهم
[illegible] ما هو أفظع [illegible] وهو الضلال البعيد عن الصواب
[illegible] لا يرجى الخلاص منه وهو [illegible] من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع
[illegible] في [illegible] في الأصل صفة الضال ووصف

[illegible] ﴿الى صراط العزيز الحميد﴾ أى دين الاسلام ﴿وقال
الذين كفروا﴾ من [illegible] البعث [illegible] ﴿هل ندلكم﴾ أى قال بعضهم لبعض هل
ندلكم ﴿على رجل ينبئكم﴾ [illegible] يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب
[illegible] ﴿إذا مزقتم كل ممزق﴾ أى [illegible] وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا ﴿إنكم
لفى خلق جديد﴾ [illegible] ترابا ﴿أفترى
[illegible] أى [illegible] ﴿أم به جنة﴾ أى جنون [illegible]
[illegible] من الافتراء
[illegible] ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ [illegible] منكرى البعث
﴿في العذاب والضلال البعيد﴾ أى عن الحق [illegible]

(و) [illegible] (الى صراط العزيز) [illegible] (الحميد) [illegible] (وقال الذين كفروا) (أبو سفيان)
[illegible] أصحابه [illegible] (هل ندلكم) [illegible] يخبركم (إذا مزقتم) فرقتم في الأرض (كل ممزق) كل مفرق
[illegible] (انكم لفى خلق جديد) [illegible] الروح بعد الموت (افترى) اختلق محمد (على الله كذبا أم به جنة)
جنون [illegible] (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت (في العذاب) في الآخرة (والضلال) الخطأ (البعيد) عن الحق

(لايعزب عنه) وبكسر الزاء على يقال عزب يعزب ويعزب اذا غاب وبعد (مثقال ذرة) مقدار أصغر نملة (فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك) من مثقال ذرة (ولا أكبر) من مثقال ذرة (الا فى كتاب مبين) الا فى اللوح المحفوظ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون الا بمعنى لكن او رفعا بالابتداء والخبر فى كتاب واللام فى (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) لما قصروا فيه من مدارج الايمان (ورزق كريم) لما صبروا عليه من مناهج الاحسان متعلق بلتأتينكم تعليلا له (والذين سعوا فى آياتنا) جاهدوا فى رد القرآن (معاجزين) مسابقين ظانين انهم يفوتوننا معجزين مكى وأبو عمرو أى مثبطين الناس عن اتباعها وتأملها أو ناسبين الله الى العجز

مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره ﴿لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض﴾ وقرأ الكسائى لايعزب بالكسر ﴿ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين﴾ جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولايجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لاينفصل عن الغيب شئ الا مسطورا فى اللوح ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها ﴿اولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾ لاتعب فيه ولامن عليه ﴿والذين سعوا فى آياتنا﴾ بالابطال وتزهيد الناس فيها ﴿معاجزين﴾ مسابقين كى يفوتوناه وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين أى مثبطين عن الايمان من اراده ﴿اولئك لهم عذاب من رجز﴾ من سيء العذاب ﴿أليم﴾ مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ﴿ويرى الذين اوتوا العلم﴾ ويعلم اولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة اومن مسلمى اهل الكتاب ﴿الذى انزل اليك من ربك﴾ القرآن ﴿هو الحق﴾ ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق خبره والجملة ثانى مفعول يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات

قيام الساعة وانها آتية ﴿لايعزب عنه﴾ أى لا يغيب عنه ﴿مثقال ذرة﴾ أى وزن ذرة ﴿فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك﴾ أى من الذرة ﴿ولا اكبر الا فى كتاب مبين﴾ أى فى اللوح المحفوظ ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة﴾ أى لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعنى الجنة ﴿والذين سعوا فى آياتنا﴾ أى فى ابطال أدلتنا ﴿معجزين﴾ أى أى يحسبون انهم يفوتوننا ﴿أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ قيل الرجز سوء العذاب ﴿ويرى الذين اوتوا العلم﴾ يعنى مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ﴿الذى انزل اليك من ربك﴾ يعنى القرآن ﴿هو الحق﴾ يعنى انه من

(أولئك لهم عذاب من رجز أليم) برفع أليم مكى وحفص ويعقوب صفة لعذاب أى عذاب أليم من سيء العذاب قال قتادة الرجز سوء العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (ويرى) فى موضع الرفع بالاستئناف أى ويعلم (الذين أوتوا العلم) يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الاول ليرى (الذى أنزل اليك من ربك) يعنى القرآن (هو الحق) أى الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان أو فى موضع

(لايعزب عنه) لا يغيب عن الله (مثقال ذرة) وزن نملة وهى النملة الحمراء الصغيرة (فى السموات ولا فى الارض) من أعمال العباد (ولا اصغر) اخف (من ذلك ولا اكبر) اثقل من ذلك (الا فى كتاب مبين) مكتوب فى اللوح المحفوظ تحصى عليهم (ليجزى) لكى يجزى (الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الخيرات فيما بينهم وبين ربهم (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم فى الدنيا (ورزق كريم) ثواب حسن فى الجنة (والذين سعوا) كذبوا (فى آياتنا) بآياتنا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (معاجزين) ليسوا بفائتين من عذابنا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) عذاب وجيع (ويرى) لكى يرى (الذين أوتوا العلم) أعطوا العلم بالتوراة عبد الله بن سلام وأصحابه (الذى أنزل اليك من ربك هو الحق) يعنى القرآن

الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا من الاجر العظيم بقولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن (وهو الحكيم) بتدبير ما في السماء والارض (الخبير) بضمير من يحمده يوم الجزاء والعرض (يعلم) مستأنف (ما يلج) ما يدخل (في الارض) من الاموات والدفائن (وما يخرج منها) من النبات وجواهر المعادن (وما ينزل من السماء) من الامطار وأنواع البركات (وما يعرج فيها) يصعد اليها من الملائكة والدعوات (وهو الرحيم) بانزال ما يحتاجون اليه (الغفور) لما يجترئون عليه (وقال الذين كفروا) أي منكرو البعث (لا تأتينا الساعة) في البعث وانكار مجيء الساعة (قل بلى) أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى أليس الامر الا اتيانها (وربي لتأتينكم) ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمي بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله (عالم الغيب) لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به ارفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية كان الوصف بما يرجع الى علم الغيب أولى وأحق عالم الغيب مدني وشامي أي هو عالم الغيب علام الغيب حمزة وعلى على المبالغة

كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة ﴿ وهو الحكيم ﴾ الذي احكم امور الدارين ﴿ الخبير ﴾ ببواطن الاشياء ﴿ يعلم ما يلج في الارض ﴾ كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والاموات ﴿ وما يخرج منها ﴾ كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون ﴿ وما ينزل من السماء ﴾ كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق ﴿ وما يعرج فيها ﴾ كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة ﴿ وهو الرحيم الغفور ﴾ للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها وفي الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ﴾ انكار لمجيئها واستبطاء استهزاء بالوعد به ﴿ قل بلى ﴾ رد لكلامهم واثبات لما نفوه ﴿ وربي لتأتينكم عالم الغيب ﴾ تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر

في الدارين كانها منه فكما انه محمود على نعم الدنيا فهو محمود على نعم الآخرة وقيل الحمد في الآخرة هو حمد اهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس ﴿ وهو الحكيم ﴾ أي الذي أحكم أمور الدارين ﴿ الخبير ﴾ أي بكل ما كان وما يكون ﴿ يعلم ما يلج في الارض ﴾ أي من المطر والكنوز والاموات ﴿ وما يخرج منها ﴾ أي من النبات والشجر والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا ﴿ وما ينزل من السماء ﴾ أي من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة ﴿ وما يعرج فيها ﴾ أي في السماء من الملائكة واعمال العباد ﴿ وهو الرحيم الغفور ﴾ أي للمفرطين في أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه ۞ قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ﴾ معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطؤا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية ۞ قل بلى وربي لتأتينكم ﴾ يعني الساعة ﴿ عالم الغيب ﴾ أي لا يفوت علمه شيء من الخفيات واذا كان كذلك اندرج في علمه وقت

في الجنة (وهو الحكيم) في أمره وقضائه أمر أن لا يعبد غيره (الخبير) بمن يخلقه وبعمالهم (يعلم ما يلج) (قيم) ما يدخل (في الارض) من الامطار والمياه والاموات والكنوز (وما يخرج منها) ويعلم ما يخرج من الارض من النبات ومن المياه والكنوز والموتى (وما ينزل من السماء) من الامطار والرزق وغير ذلك (وما يعرج فيها) ويعلم ما يصعد اليها من الملائكة والحفظة بديوان العباد (وهو الرحيم) بالمؤمنين (الغفور) لمن تاب (وقال الذين كفروا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه (لا تأتينا الساعة) قيام الساعة (قل) لهم يا محمد (بلى وربي) أقسم بنفسه (لتأتينكم) الساعة قيام الساعة (عالم الغيب) ما غاب عن العباد يعلم ذلك

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) [illegible] لان [illegible] تأديب فلا نقص على جهولا (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) [illegible]
الى فعل الحامل ويبتدئ أو يتوب [illegible] المشهور [illegible]
الى او فى كل نوع من عذاب [illegible] ومعاقبة اى جهة لانسان [illegible]
وكان الله غفورا) للتائبين (رحيما) بعباده

المؤمنين والله [illegible]

ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته أدبا وذكر التوبة فى [illegible] كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم عن فرطات ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ حيث تاب على فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وماملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وقيل الا وقال الذين اوتوا العلم الآية وآيها اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذى له مافى السموات وما فى الارض ﴾ خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته ﴿ وله الحمد فى الآخرة ﴾ لان مافى الآخرة [illegible]

النبى صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله تعالى ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ أى بما خانوا الامانة ونقضوا العهد ﴿ ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ أى يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب عليه أى يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير فى بعض الطاعات ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة سبأ وهى مكية وأربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وألف وخمسمائة واثنا عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الارض ﴾ معناه ان كل نعمة [illegible] فهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من أجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذى له مافى السموات وما فى الارض أى ملكا وخلقا ﴿ وله الحمد فى الآخرة ﴾ [illegible]

[illegible] تحرسون آية [illegible] الرحيم (الحمد لله) [illegible] الحمد [illegible] (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا وقدرة [illegible] (المنافقين) [illegible] المنافقين [illegible] والمنافقات [illegible]

من النساء بتركهم الامانة لانهم (ق و خا ١٩ س) [illegible]
يتوب الله (على المؤمنين) المخلصين من الرجال (والمؤمنات) المخلصات من النساء [illegible]
غفورا) لمن تاب منهم (رحيما) بالمؤمنين [illegible] سورة [illegible]
وثلاثة وثلاثون كلمة وحروفها ألف وخمسمائة [illegible]
قوله تعالى (الحمد لله) يقول الشكر لله [illegible]
من الخلق (وله الحمد) المنة (فى الآخرة) على اهل الجنة

[illegible] والتقصير وقيل إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما وقال لها إني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالأمانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الإنسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فإن من فوائد العقل أن يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد

قال ابن عباس إنه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه وما تحمل من الأمانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا أي لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها وقيل في تفسير الآية قول آخر وهو أن الله تعالى ائتمن السموات والأرض والجبال على كل شيء وائتمن آدم وأولاده على شيء فالأمانة في حق الأجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله فأبين أن يحملنها أي أدين الأمانة ولم يخن فيها وأما الأمانة في حق بني آدم فهي ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض وقوله وحملها الإنسان أي خان فيها وعلى هذا القول حكي عن الحسن أنه قال الإنسان هو الكافر والمنافق حملا الأمانة وخاناها والقول الأول هو قول السلف وهو الأولى

﴿ فصل ﴾

في الأمانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه علي دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانا وفلانا قوله نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال جذر الشيء أصله والوكت الأثر اليسير كالنقطة في شيء من غير لونه والمجل غلظ الجلد من أثر العمل وقيل إنه هو النفطات في الجلد وقد فسره في الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شيء (خ) عن أبي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم فجاء أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف إضاعتها يا رسول الله قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة وعنه قال قال

على عظم ما حق [illegible] من الأجرام وأقواها في حمله وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه إنه كان ظلوما جهولا حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن إلا على أساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي العوج [illegible]

بالغسل قال فالقوم وما لنا يارسول الله نزل

فابين ان يحملنها واشفقن منها وحمل الانسان ﴾ تقرير الوعد السابق بتعظيم [illegible]
من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام [illegible]
وكانت ذات شعور وادراك لأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف
بنيته ورخاوة قوته لاجرم فان الراعى لها والقائم بحقوقها بخير الدارين ﴿ انه كان
ظلوما ﴾ حيث لم يف بها ولم يراع حقها ﴿ جهولا ﴾ بكنه عاقبتها وهذا وصف
للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التى تعم الطبيعية والاختيارية
وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها
الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لايؤديها فيبرأ

الحديث وقضاء الدين والعدل فى المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقيل جميع
ما أمروا به ونهوا عنه وقيل هى الصوم وغسل الجنابة ومايخفى من الشرائع وقال عبدالله
ابن عمرو بن العاص أول ماخلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة استودعكها
فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا
امانة له وفى رواية عن ابن عباس هى امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل
مؤمن ان لايغش مؤمنا ولا معاهدا فى شئ لا فى قليل ولا كثير فعرض الله تعالى
هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين
وأكثر السلف فقال لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان أحسنتن
جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لايارب نحن مسخرات لامرك لانريد ثوابا ولا عقابا
وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان لايقوموا بها لامعصية ولا مخالفة
لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها
خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة له قال بعض أهل العلم ركب الله تعالى
فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن واجبن بما اجبن وقيل
المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على أهلها من الملائكة دون اعيانها والقول
الاول أصح وهو قول العلماء ﴿ فابين ان يحملنها واشفقن منها ﴾ اى خفن من الامانة
ان لايؤدينها فيلحقهن العقاب ﴿ وحملها الانسان ﴾ يعنى آدم قال الله عز وجل لآدم
انى عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها
قال يارب ومافيها قال ان أحسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فتحملها آدم فقال بين
اذنى وعاتقى قال الله اما اذا تحملت فسأعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان لاتنظر
الى مالايحل فأرخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فاذا خشيت فاغلقه واجعل
لفرجك لباسا فلا تكشفه على ماحرمت عليك قال مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين ان
اخرج من الجنة الا مقدار مابين الظهر والعصر وقيل ان [illegible] الانسان [illegible]
عظمه وثقل محمله انه عرض على أعظم ماخلق الله تعالى من الاجرام وأقواها وأشدها [illegible]
ويستقل به فأبى حمله وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه [illegible]

واراد به ايجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة واشكال [illegible] متنوعة كما قال ثم استوى [illegible]
[illegible] وهى دخان فقال لها [illegible]
[illegible] ائتيا طوعا أو كرها
[illegible] أتينا طائعين وأخبر ان
[illegible] الشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب
يسجدون [illegible] وان من الحجارة
لما يهبط من خشية الله واما
الانسان فلم [illegible]
يصح منه من الطاعة [illegible] به
من الانقياد [illegible]
ونواهيه وهو حيوان عاقل
صالح للتكليف [illegible]
الجمادات [illegible]
من الانقياد وعدم الامتناع
وهذا معنى قوله (فأبين أن
يحملنها) أى ابين [illegible]
وان لايؤدينها (واشفقن منها)
وخفن من الخيانة فيها (وحملها
الانسان) أى خان فيها
أبى ان لايؤديها (انه كان
ظلوما) [illegible] لاداء
[illegible] (جهولا) لاخلاله
[illegible]
[illegible] الكافر
[illegible] أى
[illegible] المطيع ومن أطاع
[illegible] والمؤمنين
[illegible] كان ظلوما جهولا
[illegible] الآيتين [illegible]
[illegible] عظمة العرض
[illegible] أن يحملنها بالثواب
والعقاب (وأشفقن [illegible])
خفن [illegible]
الانسان) آدم بالثواب والعقاب (انه كان ظلوما) نحملها وتقلبا كله من الشجرة (جهولا) بعاقبتها فلما نزلت [illegible]

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) صدقا وصوابا أو قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسددوا قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير ولا تقف على سديدا لان جواب الامر قوله (يصلح لكم أعمالكم) يقبل طاعتكم أو يوفقكم لصالح العمل (ويغفر لكم ذنوبكم) أي يمحها والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه ولما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أتبعه قوله (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) وهو يريد بالامانة الطاعة لله وبحمل الامانة الخيانة يقال فلان حامل للامانة ومحتمل لها أي لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته اذ الامانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولي عليه حق فاذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها يعني ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التي تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله ﴿وقولوا قولا سديدا﴾ قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في الاوامر والنواهي ﴿فقد فاز فوزا عظيما﴾ يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا ﴿انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال﴾

بفتح النون والدال وهو الصحيح وأصله أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندب بسكون الدال وقيل في معنى الآية انه اذ هم بموت هرون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فأمر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استأجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فأعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك وأعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيته فأخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ أحمر يصبغ به الاديم قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾ قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ قال ابن عباس يتقبل حسناتكم ﴿ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ أي ظفر بالخير العظيم قوله عز وجل ﴿انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال﴾ الآية قال ابن عباس أراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم ان أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة أداء الصلوات وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أطيعوا الله فيما أمركم (وقولوا قولا سديدا) عدلا لا اله الا الله (يصلح لكم أعمالكم) يقبل أعمالكم بالتوحيد (ويغفر لكم ذنوبكم) بالتوحيد (ومن يطع الله) في أمره (ورسوله) فيما أمره (فقد فاز فوزا عظيما) فقد فاز بالجنة ونجا من النار نجاة وافرة (انا عرضنا الامانة) الفريضة والعبادة (على السموات) على أهل السموات (والارض والجبال) [illegible]

الاسنان منا او علماء نا (فاضلونا السبيلا) يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان مابعده مستأنف

(ربنا آتهم ضعفين من العذاب) الضلال والاضلال (والعنهم لعنا كبيرا) بالباء [illegible] ليدل على أشد اللعن وأعظمه وغيره بالثاء تكثيرا لاعداد [illegible] ونزل فى شأن زيد وزينب وماسمع فيه من قالة بعض الناس (يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ما مصدرية او موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهو الامر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التى أرادها قارون على قذفه بنفسها أو اتهامهم اياه بقتل هارون فاحياه الله تعالى فاخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأ نبينا عليه السلام بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (وكان عند الله وجيها) ذا جاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والاعمش وكان عبد الله وجيها [illegible] [illegible] [illegible] العذاب) [illegible] علينا ([illegible] لعنا كبيرا) [illegible] عذابا [illegible] يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا) فى ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم (كالذين آذوا موسى) [illegible] آدر (فبرأه الله مما قالوا [illegible] عند الله وجيها) له القدر والمنزلة

يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب سادتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة ﴿فاضلونا السبيلا﴾ بما زينوا لنا ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ مثلى ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا ﴿والعنهم لعنا كثيرا﴾ كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اى لعنا هو اشد اللعن واعظمه ﴿يا ايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾ فاظهر براءته من مقولهم يعنى مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر فى القصص او اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى او قذفوه بعيب فى بدنه من برص اوادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله انه برئ منه ﴿وكان عند الله وجيها﴾ ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها

الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم ﴿فاضلونا السبيلا﴾ يعنى عن سبيل الهدى ﴿ربنا آتهم﴾ يعنون السادة والكبراء ﴿ضعفين من العذاب﴾ يعنى ضعفى عذاب غيرهم ﴿والعنهم لعنا كبيرا﴾ أى لعنا متتابعا ❊ قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾ أى فطهره الله مما قالوه فيه ﴿وكان عند الله وجيها﴾ أى كريما ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند الله لايسأل الله شيأ الا أعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما أوذى به موسى فروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا الا أنه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى باثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة أو سبعة من ضرب موسى الحجر أخرجه البخارى ومسلم وللبخارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لايرى شئ من جلده استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما أدرة واما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملأ من بنى اسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون [illegible] فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ❊ الادرة عظم الخصية لنفخة فيها ❊ وقوله فجمح أى أسرع ❊ وقوله ثوبى حجر أى دع ثوبى يا حجر ❊ وقوله وطفق أى جعل يضرب الحجر ❊ وقوله [illegible]

(ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي لا يبدل الله سنته [illegible] (يسألك الناس عن الساعة) كان المشركون يسألون [illegible] عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فأمر رسوله بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين بقوله (قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيأ قريبا أو لأن الساعة في معنى اليوم (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا) هذا يرد مذهب الجهمية لأنهم يزعمون أن الجنة والنار تفنيان [illegible] عن الضمير في لهم (لا يجدون وليا ولا نصيرا) ناصرا ينصرهم

(يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف في جهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت وخصصت الوجوه لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة (يقولون) حال (يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فنتخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لا ينفعهم التمني (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا) جمع سيد وسادة شاذ [illegible] وسيل ويعقوب جمع الجمع والمراد رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (وكبراءنا) ذوي

[illegible] سنة الله في الذين خلوا من قبل [illegible] الأنبياء [illegible] في [illegible] بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ [illegible] لا يقدر أحد أن يبدلها ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ عن وقت [illegible] استهزاء وتعنتا أو امتحانا ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ لم يطلع عليه [illegible] ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾ شيأ قريبا أو تكون الساعة عن قريب [illegible] على الظرف ويجوز أن يكون التذكير لأن الساعة في معنى اليوم [illegible] مستعجلين وإسكات المتعنتين ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا﴾ شديدة الاتقاد ﴿خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا﴾ يحفظهم ﴿ولا نصيرا﴾ يدفع [illegible] من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار [illegible] يتعلق الظرف ﴿يقولون يا ليتنا أطعنا [illegible] ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾

[illegible] حيث ثقفوا [illegible] ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ قوله عز وجل ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ قيل إن المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لأن الله تعالى عمى عليهم علمها في التوراة فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم [illegible] الله تعالى ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ أي لم يطلع عليه نبيا ولا ملكا [illegible] ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾ أي [illegible] مستعجلين وإسكات الممتحنين ﴿إن الله لعن الكافرين [illegible] خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار﴾ أي تقلب ظهرا لبطن حين يسحبون عليها ﴿يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ يعني رؤس

من المنافقين [illegible] النبيين والمؤمنين أمرا أبدعه أن يقتلوهم (ولن تجد لسنة الله) لعادة الله (تبديلا) تغيرا فلما نزلت هذه الآية فيهم انتهوا عن ذلك [illegible] (قل إنما علمها عند الله [illegible] يا محمد (لعل الساعة [illegible] (إن الله لعن الكافرين) [illegible] عن رحمته (وأعد لهم سعيرا) نارا [illegible] (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) حافظا يحفظهم من عذاب الله (ولا نصيرا) [illegible] (يوم تقلب) تجر [illegible] وجوههم في النار يقولون) يعني القادة والسفلة (يا ليتنا أطعنا الله) [illegible] (وقالوا ربنا) [illegible] (إنا أطعنا سادتنا) رؤساءنا (وكبراءنا) [illegible]

(وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط (رحيما) بتعليمهن آداب المكارم (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض)فجور وهم الزناة من قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض (والمرجفون فى المدينة)هم أناس كانوا يرجفون أخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم (ثم لايجاورونك فيها) فى المدينة وهو عطف على لنغرينك لانه يجوز عن أن يجاب به القسم لصحة قولك لئن لم ينتهوا لايجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بثم لبعد حاله عن حال المعطوف عليه (الاقليلا) زمنا قليلا والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بان تفعل الافعال التى تسوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لايساكنوك فيها الازمانا قليلا ريثما يرتحلون فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أى لايجاورونك الاملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كامر ولا ينتصب عن أخذوا لان ما بعد حروف الشرط لايعمل فيما قبلها (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) والتشديد يدل على التكثير (سنة الله) فى موضع مصدر مؤكد أى سن الله فى الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا أينما وجدوا (والذين خلوا) مضوا (من قبل

﴿ وكان الله غفورا ﴾ لما سلف ﴿ رحيما ﴾ بعباده حيث يراعى مصالحهم حتى الجزئيات منها ﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾ عن نفاقهم ﴿ والذين فى قلوبهم مرض ﴾ ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم فى الدين او فجورهم ﴿ والمرجفون فى المدينة ﴾ يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهى الزلزلة سمى به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت ﴿ لنغرينك بهم ﴾ لنأمرنك بقتالهم واجلائهم أو مايضطرهم الى طلب الجلاء ﴿ ثم لايجاورونك ﴾ عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم مايصيبهم ﴿ فيها ﴾ فى المدينة ﴿ الاقليلا ﴾ زمانا قليلا أو جوارا قليلا ﴿ ملعونين ﴾ نصب على الشتم أو الحال والاستثناء شامل له ايضا اى لايجاورونك الاملعونين ولايجوز ان ينتصب عن قوله ﴿ اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ﴾ لان مابعد كلمة الشرط لايعمل فيما قبلها ﴿ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ﴾

لهن ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ أى لما سلف منهن قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متنقبة فعلاها بالدرة وقال يالكاع أتتشبهين بالحرائر ألقى القناع لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك ياخسيس ✺ قوله تعالى ﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾ أى عن نفاقهم ﴿ والذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى فجور وهم الزناة ﴿ والمرجفون فى المدينة ﴾ أى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون فى الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف وقيل كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وتفشوا الاخبار ﴿ لنغرينك بهم ﴾ أى لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم ﴿ ثم لايجاورونك فيها الاقليلا ﴾ أى لايساكنونك فى المدينة الاقليلا أى حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة ﴿ ملعونين ﴾ أى مطرودين ﴿ أينما ثقفوا ﴾ أى وجدوا أو أدركوا ﴿ أخذوا وقتلوا تقتيلا ﴾ أى الحكم فيهم هذا على الامر به ﴿ سنة الله ﴾ أى كسنة الله ﴿ فى الذين خلوا من قبل ﴾ أى فى المنافقين والذين

(وكان الله غفورا) لما كان منهن (رحيما) فيهن بكون منهن (لئن لم ينته المنافقون) عبد الله بن أبى وأصحابه عن المكر والخيانة (والذين فى قلوبهم مرض) شهوة الزنا وهم الزناة (والمرجفون فى المدينة)الطالبون عيوب المؤمنين فى المدينة وهم المؤلفة (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم (ثم لايجاورونك فيها) لايساكنون معك فى المدينة (الاقليلا) يسيرا (ملعونين) مقتولين (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله) هكذا كان عذاب الله فى الدنيا (فى الذين خلوا) مضوا (من قبل) من قبلهم

(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) أطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان اذاه قد يكون غير حق أبدا وأما هذا فمنه حق كالحد والتعزير ومنه باطل قيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لايحل لك أن تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف ايذاء المؤمنين والمؤمنات (فقد احتملوا) تحملوا (بهتانا) كذبا عظيما (واثما مبينا) ظاهرا (ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) جلباب مايستر الكل مثل الملحفة عن المبرد ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة ادن ثوبك على وجهك ومن للتبعيض اى ترخى بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تميز من الامة أو المراد ان يجلببن ببعض مالهن من الجلابيب وأن لاتكون المرأة متبذلة في درع وخمار كالأمة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها وذلك ان النساء في أول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لافصل بين الحرة والامة وكان الفتيان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة لحسبان الامة فأمرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الملاحف وستر الرؤس والوجوه فلايطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى أولى وأجدر بان يعرفن فلايتعرض لهن

بتوبيخهم مع الايلام ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ﴾ بغير جناية استحقوا بها ﴿ فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ﴾ ظاهرا قيل انها نزلت في المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات ﴿ ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخى بعض جلبابها وتتلفع ببعض ﴿ ذلك ادنى ان يعرفن ﴾ يميزن من الاماء والقينات ﴿ فلا يؤذين ﴾ فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن

وقال تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على مايتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن أن يلحقه أذى من أحد وأما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو أنه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ﴾ أى من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم ﴿ فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ﴾ قيل انها نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فان سكتت تبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لايعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة في درع وخمار فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالاماء فقال تعالى ﴿ ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين ﴾ أى يرخين ويغطين ﴿ عليهن من جلابيبهن ﴾ جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر وهو قوله تعالى ﴿ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ أى لايتعرض

(والذين يؤذون المؤمنين) يعني صفوان (والمؤمنات) يعني عائشة بالفرية (بغير ما اكتسبوا) يعني ما كان منهم (لهن) ذلك (فقد احتملوا) قالوا (بهتانا واثما) كذبا (مبينا) بينا ويقال نزلت هذه الآية في حق زناة بالمدينة كانوا يؤذون نساء المؤمنين والمؤمنات فنهاهم الله عن ذلك فانتهوا (ياأيها النبي قل لأزواجك)لنسائك (وبناتك) يعني بنات النبي صلى الله عليه وسلم (ونساء المؤمنين يدنين عليهن) يرخين عليهن على نحورهن وجيوبهن (من جلابيبهن) من جلبابهن وهي المقنعة والرداء (ذلك) الذي ذكرت من أمر الجلباب (أدنى) أحرى (أن يعرفن) بالحرائر (فلا يؤذين) فلايؤذوهن الزناة

عزيزا جليلا ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله﴾ [illegible] والمعاصي او يؤذون رسول الله [illegible] وقولهم [illegible] الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسر بالمعنيين باعتبار المعمولين ﴿لعنهم الله﴾ ابعدهم من رحمته ﴿في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾

عشرا ✽ عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيآت ورفعت له عشر درجات أخرجه [illegible] ✽ وله عن أبي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر في وجهه [illegible] انا لنرى البشر في وجهك قال أتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا ✽ وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام ✽ عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ✽ وله عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ✽ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وأزواجه امهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد أخرجه أبو داود ✽ قوله عز وجل ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾ قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لي كفوا أحد (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي أقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث أنه كان من عادة العرب في الجاهلية أن تذم الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أي أنا الذي أحل بهم النوازل وأنا فاعل لذلك الذي تنسبونه الى الدهر [illegible] وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاوير (ق) عن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة وقيل [illegible] أي يؤذون [illegible] كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [illegible]

([illegible] والله ورسوله) [illegible] يؤذون رسول الله وذكر اسم الله للتشريف أو عبر بايذاء الله ورسوله عن فعل ما لا يرضى به الله ورسوله كالكفر وانكار النبوة مجازا لامتناع حمل الايذاء على حقيقته في الله تعالى [illegible] [illegible] لا يجتمع المجاز والحقيقة في لفظ واحد (لعنهم الله في الدنيا والآخرة) طردهم الله عن رحمته في الدارين (وأعد لهم عذابا مهينا) في الآخرة

(ان الذين يؤذون الله ورسوله) [illegible] عليهما [illegible] الآية في اليهود والنصارى (لعنهم الله) [illegible] الله (في الدنيا) بالقتل والجلاء (والآخرة) في النار (وأعد لهم عذابا مهينا) [illegible]

فيه (ان الله كان على كل شيء شهيدا) عالما قال ابن عطاء الشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اي قولوا اللهم صل على محمد وصلى الله على محمد (وسلموا تسليما) أي قولوا اللهم سلم على محمد او انقادوا لامره وحكمه انقيادا وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي على الاقال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي على الاقال ذانك الملكان لاغفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ثم هي واجبة مرة عند الطحاوي وكلما ذكر اسمه عند الكرخي وهو الاحتياط وعليه الجمهور وان صلى على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة فكروه وهو من شعائر الروافض

النور ﴿ واتقين الله ﴾ فيما امرتن به ﴿ ان الله كان على كل شيء شهيدا ﴾ لايخفى عليه خافية ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه ﴿ يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه ﴾ اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد ﴿ وسلموا تسليما ﴾ وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلاة في الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا له وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان

الاماء دون العبيد ﴿ واتقين الله ﴾ أي ان يراكن أحد غير هؤلاء ﴿ ان الله كان على كل شيء ﴾ أي من أعمال العباد ﴿ شهيدا ﴾ قوله عز وجل ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ قال ابن عباس أراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ﴾ أي ادعوا له بالرحمة ﴿ وسلموا تسليما ﴾ أي حيوه بتحية الاسلام

فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها

اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الاكثر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد الاخير وهو مذهب الشافعي واحدى الروايتين عن أحمد وقيل تجب كلما ذكر (١) واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (ق) عن أبي حميد الساعدي قال قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد (م) عن أبي مسعود البدري قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يارسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها

(واتقين الله) في دخول هؤلاء عليكن وكلا مكن معهم (ان الله كان على كل شيء) من أعمالكم (شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) بالدعاء (وسلموا تسليما) لامره (عشرا)

(١) قوله واختاره الطحاوي الخ ضعيف والمعتمد قول الكرخي انها واجبة مرة واما كلما ذكر فمستحبة افاده في مجمع الانهر وبه تعلم ما في كلام النسفي اه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح ازواجه من بعد موته (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أى ذنبا عظيما (ان تبدوا شيأ) من ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم او من نكاحهن (أو تخفوه) فى انفسكم من ذلكم (فان الله كان بكل شئ عليما) فيعاقبكم به ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله

أونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزل (لاجناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن ولا نسائهن) أى نساء المؤمنات (ولا ماملكت أيمانهن) أى لا اثم عليهن فى ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى وله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وعبيدهن عند الجمهور كالاجانب ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفى هذا النقل فضل تشديد كانه قيل

أو فراقه وخص التى لم يدخل بها لما روى ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة فى ايام عمر رضى الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ﴿ ان ذلكم ﴾ يعنى ايذاءه ونكاح نسائه ﴿ كان عند الله عظيما ﴾ ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ فى الوعيد عليه فقال ﴿ ان تبدوا شيأ ﴾ كنكاحهن على ألسنتكم ﴿ أو تخفوه ﴾ فى صدوركم ﴿ فان الله كان بكل شئ عليما ﴾ فيعلم ذلك فيجازيكم به وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة فى الوعيد ﴿ لاجناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ﴾ استيناف لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول أو نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم ابا فى قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق اولانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما ﴿ ولا نسائهن ﴾ يعنى النساء المؤمنات ﴿ ولا ماملكت ايمانهن ﴾ من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقدم فى سورة

نزلت فى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأنكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال ﴿ ان ذلكم كان عند الله عظيما ﴾ أى ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده ﴿ ان تبدوا شيأ ﴾ أى من أمر نكاحهن على ألسنتكم ﴿ أو تخفوه ﴾ أى فى صدوركم ﴿ فان الله كان بكل شئ عليما ﴾ أى يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة مابالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب لرسول الله ونحن أيضا يارسول الله نكلمهن من وراء حجاب فانزل الله عز وجل ﴿ لاجناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ﴾ أى لا اثم عليهن فى ترك الحجاب عن هؤلاء الاصناف من الاقارب ﴿ ولا نسائهن ﴾ قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام فى المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسائهن لانهن من أجناسهن ﴿ ولا ماملكت أيمانهن ﴾ اختلفوا فى ان عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى ولا ماملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من الآية

موت النبى عليه السلام (ان ذلكم) الذى قاتم وتمنيتم من تزوج أزواجه بعد موته (كان عند الله عظيما) ذنبا عند الله عظيما فى العقوبة (ان تبدوا شيأ) تظهروا شيأ من ذلك (أو تخفوه) تسروه (فان الله كان بكل شئ) من الاسرار والابداء (عليما) يؤاخذكم به (لاجناح عليهن) على أزواج النبى عليه السلام وأزواج المؤمنين (فى آبائهن) فى دخول آبائهن عليهن وكلام آبائهن معهن (ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن) من كلا الوجهين (ولا نسائهن) نساء أهل دينهن ولا يحل لمسلمة أن تتجرد عند يهودية أو نصرانية أو مجوسية (ولا ماملكت أيمانهن) الاماء دون العبيد

(ولامستأنسين لحديث) هو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب أى ولا تدخلوها مستأنسين نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به (ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيي منكم) من اخراجكم (والله لايستحيي من الحق) يعنى ان اخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لايستحيي من الحق أى لا يمنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم هذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضى الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا (واذا سألتموهن) الضمير لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبي لان فيها نساءه (متاعا) عارية أو حاجة (فسئلوهن) المتاع (من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان عمر رضى الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن ويود ان ينزل فيه وقال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وذكر ان بعضهم قال أننهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة فنزل (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) اى وما صح لكم ايذاء

﴿ ولامستأنسين لحديث ﴾ لحديث بعضكم بعضا أو لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أو مقدر بفعل اى ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين ﴿ ان ذلكم ﴾ اللبث ﴿ كان يؤذى النبي ﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه ﴿ فيستحيي منكم ﴾ من اخراجكم لقوله ﴿ والله لايستحيي من الحق ﴾ يعنى ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لايستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء ﴿ واذا سألتموهن متاعا ﴾ شيأ ينتفع به ﴿ فاسألوهن ﴾ المتاع ﴿ من وراء حجاب ﴾ ستر روى ان عمر رضى الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة رضى الله عنها فكره النبي عليه الصلاة والسلام ذلك فنزلت ﴿ ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ من الخواطر الشيطانية ﴿ وما كان لكم ﴾ وما صح لكم ﴿ ان تؤذوا رسول الله ﴾ ان تفعلوا ما يكرهه ﴿ ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ﴾ من بعد وفاته

﴿ ولامستأنسين لحديث ﴾ أى لا تطيلوا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك ﴿ إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيي منكم ﴾ أى فيستحيي من اخراجكم ﴿ والله لايستحيي من الحق ﴾ أى لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قال لايستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وقيل بحسبك من الثقلاء ان الله لم يحتملهم ﴿ واذا سألتموهن متاعا ﴾ أى واذا سألتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة ﴿ فسئلوهن من وراء حجاب ﴾ أى من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت أو غير متنقبة ﴿ ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ أى من الريب ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ﴾ أى ليس لكم أذاه فى شئ من الاشياء ﴿ ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ﴾

(ولامستأنسين لحديث) ولا تجلسوا مستأنسين الحديث مع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (ان ذلكم) الدخول والجلوس والحديث مع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (كان يؤذى النبي) { نزلت } صلى الله عليه وسلم (فيستحيي منكم) أن يأمركم بالخروج وينهاكم عن الدخول (والله لايستحيي من الحق) من أن يأمركم بالخروج وينهاكم عن الدخول (واذا سألتموهن) كلمتموهن يعنى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (متاعا) كلاما لابد لكم منه (فسألوهن) فكلموهن (من وراء حجاب) من خلف الستر (ذلكم) الذى ذكرت (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الريبة (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) بالدخول عليه بغير اذنه والحديث مع أزواجه (ولا أن تنكحوا) تتزوجوا (أزواجه من بعده) من بعد موته (أبدا) نزلت هذه الآية فى طلحة بن عبيد الله أراد ان يتزوج بعائشة بعد

الى طعام غير ناظرين اناه)ان يؤذن لكم فى موضع الحال أى لاتدخلوا الامأذونا لكم أو فى معنى الظرف تقديره الاوقت أن يؤذن
لكم وغـير ناظرين حال من لاتدخلوا وقع الاستثناء على الحـال والوقت معـا كانه قيل لاتدخلوا بيوت النبى الاوقت
الاذن ولاتدخلوهـا الاغيرناظرين أى غيرمنتظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام
رسـول الله صلى الله عليه
وسلم فيدخلون ويقعدون
منتظرين لادراكه ومعناه
لاتدخلوا ياأيها المتحينون
للطعام الاأن يؤذن لكم
الى طعام غـير ناظرين اناه
وانى الطعام ادراكه يقال
انى الطعام انى كقولك قلاه
قلى وقيل اناه وقته أى غير
ناظـرين وقت الطعـام
وساعة أكله وروى ان
النبى صلى الله عليه وسلم
أولم على زينب بتمر وسويق
وشاة وأمر أنسا أن يدعو
بالناس فترادفوا أفواجا
يأكل فوج ويخرج ثم يدخل
فوج الى ان قال يارسول الله
دعوت حتى ماأجد أحدا
أدعوه فقال ارفعوا طعامكم
وتفرق الناس وبقى ثلاثة
نفر يتحدثون فاطالوا فقام
رسـول الله صلى الله عليه
وسـلم ليخرجوا فطـاف
رسـول الله صلى الله عليه
وسلم بالحجرات وسلم عليهن
ودعون له ورجـع فاذا
الثلاثة جلوس يتحدثون
وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم شديد الحياء فتولى
فلمـا رأوه متوليا خرجوا
فرجع ونزلت (ولكن اذا دعيتم فادخـلوا فاذا طعمتم فانتشروا) فتفرقوا

وقت ان يؤذن لكم أو الا مأذونا لكم ﴿ الى طعام ﴾ متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشـعار بانه لايحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله ﴿ غيرناظرين اناه ﴾ غير منتظرين وقته أوادراكه وهو حال من فاعل لاتدخلوا أو المجرور فى لكم وقرئ بالجر صـفة لطعـام فيكون جاريا على غير من هوله بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عـند البصريين وقد امال حمزة والكسائى اناه لانه مصدر انى الطعـام اذا ادرك ﴿ ولـكن اذا دعيـتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ﴾ تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطـاب لقـوم كانوا يتحينون طعام رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والالما جاز لاحدان يدخـل بيـوته بالاذن لغـير الطعـام ولا اللبث بعـد الطعـام لمهم

النبى صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن انهم قد خرجـوا فرجع ورجعت معه فاذاهم قد خرجوا فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينه بالستر وأنزل الحجاب زاد فى رواية قال دخـل يعنى النبى صلى الله عليه وسـلم البيت وأرخى الستر وانى لفى الحجرة وهو يقول ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الاأن يؤذن لكم الى قوله والله لايستحيي من الحق (ق) عن عائشـة ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر رضى الله عنـه يقول للنبى صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك ياسودة حرصا على أن ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المنـاصع المواضع الخاليـة لقضاء الحـاجة من البول أو الغائط والصعيد وجه الارض والافيح الواسع (ق) عن أنس وابن عمر أن عمر قال وافقت ربى فى ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها نزلت فى ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صـلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام قبل أن يدرك ثم يأكلون ولايخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت الآية ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الاأن يؤذن لكم يعـنى الاأن تدعـوا ﴿ الى طعام ﴾ فيؤذن لكم فتأكلون ﴿ غيرناظرين اناه ﴾ يعنى منتظرين نضجه ووقت ادراكه ﴿ ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم ﴾ أى أكلتم الطعام ﴿ فانتشروا ﴾ أى فاخرجوا مـن منزله وتفرقوا

(الى طعام غير ناظرين اناه) نضجه وحينه (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) أكلتم (فانتشروا) فاخرجوا

الازواج بالتحريم (ولو أعجبك حسنهن) فى موضع الحال من الفاعل وهو الضمير فى تبدل أى تبدل لا من المفعول الذى هو
من أزواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هى اسماء

الاستغراق ﴿ ولو أعجبك حسنهن ﴾ حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف فى ان الآية محكمة أو منسوخة بقوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء على المعنى الثانى فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتى نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر ﴿ الا ما ملكت يمينك ﴾ استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع ﴿ وكان الله على كل شئ رقيبا ﴾ فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم ﴾ الا

بان تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك الا ما ملكت يمينك أى لا بأس ان تبادل بجاريتك ما شئت فأما الحرائر فلا ﴿ ولو أعجبك حسنهن ﴾ يعنى ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها قال ابن عباس يعنى أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبى طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهى عن ذلك ﴿ الا ما ملكت يمينك ﴾ قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية ﴿ وكان الله على كل شئ رقيبا ﴾ أى حافظا وفى الآية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن ابى هريرة ان رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان فى أعين الانصار شيأ قال الحميدى يعنى هو الصغر عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم ﴾ الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية فى شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن أنس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت أم هانئ تواظبنى على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما نزل فى مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبى صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط عند النبى صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبى صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشى النبى صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذاهم جلوس لم يقوموا فرجع

بنت عميس امرأة جعفر بن أبى طالب فانه ممن اعجبه حسنهن وعن عائشة وام سلمة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له ان يتزوج من النساء ما شاء يعنى ان الآية نسخت ونسخها اما بالسنة او بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (الا ما ملكت يمينك) استثنى ممن حرم عليه الاماء ومحل ما رفع بدل من النساء (وكان الله عن كل شئ رقيبا) حافظا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم

باخرى (ولو أعجبك حسنهن) حسن المرأة فليس لك ان تتزوج بها (الا ما ملكت يمينك) مارية القبطية (وكان الله على كل شئ) من أعمالكم (رقيبا) حفيظا (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى) نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يدخلون فى بيوت النبى صلى الله عليه وسلم غدوة وعشية فيجلسون وينتظرون حين الطعام حتى يأكلوا ثم يتحدثون مع نساء النبى عليه السلام فاغتم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم واستحيا أن يأمرهم بالخروج وينهاهم عن الدخول فنهاهم الله عن ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا (النبى) لا تدخلوا بيوت النبى بغير اذن النبى الى طعام غير ناظرين اناه نضجه وحينه (الا أن يؤذن لكم) بالدخول

يرضين بما آتيتهن كلهن) أي أقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانهن اذا علمن ان هذا التفويض من عند الله
اطمأنت نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرضا وقرت العيون كلهن بالرفع تأكيد لنون يرضين وقرئ ويرضين كلهن
آتيتهن على التقديم وقرئ شاذا كلهن بالنصب تأكيدا لهن في آتيتهن (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله
من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما)لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ويحذر
لا تحل لك النساء) بالتاء ابو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيقي

و يرضين بما آتيتهن كلهن ﴾ ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه من حكم الله فتطمئن نفوسهن به وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن توكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن ﴿ والله يعلم ما في قلوبكم ﴾ فاجتهدوا في احسانه ﴿ وكان الله عليما ﴾ بذات الصدور ﴿ حليما ﴾ لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ﴿ لا يحل لك النساء ﴾ بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء ﴿ من بعد ﴾ من بعد التسع وهو في حقه عليه السلام كالاربع في حقنا اومن بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ﴿ ولا ان تبدل بهن من ازواج ﴾ فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد

ذلك من الله تعالى ﴿ ويرضين بما آتيتهن ﴾ أي أعطيتهن ﴿ كلهن ﴾ من تقريب وارجاء وعزل وايواء ﴿ والله يعلم ما في قلوبكم ﴾ أي من أمر النساء والميل الى بعضهن ﴿ وكان الله عليما ﴾ أي بما في ضمائركم ﴿ حليما ﴾ أي عنكم * قوله تعالى ﴿ لا تحل لك النساء من بعد ﴾ أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترنك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبيح له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنسائي عنها حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء وقال أنس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال انما أحل له ضربا من النساء فقال تعالى يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك الآية ثم قال لا تحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ﴿ ولا أن تبدل بهن من أزواج ﴾ أي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك أي من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل في قوله ولا ان تبدل بهن من أزواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل انزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من أزواج أي تبادل بأزواجك غيرك

واذا جاز بغير فصل فمع الفصل اجوز (من بعد) من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب امته (ولا ان تبدل بهن من ازواج) بالطلاق والمعنى ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن او بعضهن كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع التي مات عنهن عائشة حفصة ام حبيبة سودة ام سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية ومن في من ازواج لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس

(ويرضين بما آتيتهن) أعطيتهن من قسمة البدن (كلهن) مقدم ومؤخر (والله يعلم ما في قلوبكم) من الرضا والسخط (وكان الله عليما) بصلاحكم وصلاحهن (حليما) فيما بين لكم وتجاوز عنكم (لا يحل لك النساء)
ويح النساء (من بعد) من بعد هذه الصفة ويقال من بعد نسائك التسع وكانت عنده تسع نسوة عائشة بنت أبي بكر وحفصة
بنت عمر بن الخطاب وزينب بنت جحش الاسدية وأم سلمة بنت أبي أمية المخزومي وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وصفية
بنت حيي بن أخطب وميمونة بنت الحرث الهلالية وسودة بنت زمعة بن الاسود وجويرية بنت الحرث المصطلقية (ولا أن
تبدل بهن من أزواج) مما بينت لك من بنات عمك وخالك ويقال ولا ان تبدل بهن من بنات عمك أزواجا مما عندك من النساء يقول
لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج

من تشاء) تضم بمعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما أن يخلى المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها وروى أنه أرجى منهن جويرية وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسا وآوى أربعا وروى انه كان يسوى مع ما أطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر فى زمرة نسائك (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) أى ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالارجاء فلا ضيق عليك فى ذلك أى ليس اذا عزلتها لم يجز لك ردها الى نفسك ومن رفع بالابتداء وخبره فلا جناح (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى ان تقر أعينهن ولا يحزن

(من تشاء) فتتزوج بها (ومن ابتغيت) اخترت بالتزوج (ممن عزلت) تركت (فلا جناح عليك) فلا حرج عليك ويقال فيها وجه آخر ترجى توقف من تشاء منهن من نسائك ولا تأتيها وتؤوى اليك تضم اليك من تشاء (ذلك) وتأتيها ومن ابتغيت اخترت بالاتيان اليها ممن عزلت عن الاتيان فلا جناح فلا حرج عليك ولا مأثم عليك (ذلك) التوسع والرخصة (أدنى) أى أحرى (أن تقر أعينهن) تطيب أنفسهن ان علمن ان ذلك التوسع من الله (ولا يحزن) بمخافة الطلاق

من تشاء ﴾ وتضم اليك وتضاجعها أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء ه وقرأ حمزة والكسائى وحفص ترجى بالياء والمعنى واحد ﴿ ومن ابتغيت ﴾ طلبت ﴿ ممن عزلت ﴾ طلقت بالرجعة ﴿ فلا جناح عليك ﴾ فى شئ من ذلك ﴿ ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن

اليك ﴿ من تشاء ﴾ قيل هذا فى القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن فى القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبى صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا وعلى انه يؤوى اليه من يشاء منهن ويرجى من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن فى النفقة والكسوة فيكون الامر فى ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا فى انه هل أخرج أحدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل أخرج بعضهن روى عن أبى رزين قال لما نزل التخيير أشفقن ان يطلقهن فقلن يا نبى الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فأرجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى اليه بعضهن فكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهن سواء وأرجى منهن خمسا أم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية وصفية فكان يقسم لهن ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من النساء قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتى يهبن أنفسهن فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن أنفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحى المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ربك الا يسارع فى هواك ﴿ ومن ابتغيت ممن عزلت ﴾ أى طلبت ان تؤوى اليك امرأة ممن عزلتهن عن القسمة ﴿ فلا جناح عليك ﴾ أى لا اثم عليك فأباح الله له ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن فى نوبتها ويطأ من يشاء منهن فى غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على سائر الرجال ﴿ ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ﴾ أى ذلك التخيير الذى خيرتك فى صحبتهن أقرب الى رضاهن وأطيب لانفسهن وأقل لحزنهن اذا علمن ان

اللفظ تابع للمعنى وقد خص النبي عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد أي خلص احلالها أواحلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك أوحال من الضمير في وهبت أوصفة لمصدر محذوف اى هبة خالصة ﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم ﴾ من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطئ حيث لم يسم ﴿ وماملكت ايمانهم ﴾ من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى ﴿ وكان الله غفورا ﴾ لما يعسر التحرز عنه ﴿ رحيما ﴾ بالتوسعة في مظان الحرج ﴿ ترجي من تشاء منهن ﴾ تؤخرها وتترك مضاجعتها ﴿ وتؤوى اليك

جاءة الى انها لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة فدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولى ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج كما في حق سائر الامة لقوله تعالى ان أراد النبي أن يستنكحها وكان اختصاصه في ترك المهر لا في لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح أو بملك يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هى زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية أم المساكين وقال قتادة هى ميمونة بنت الحرث وقال على بن الحسين والضحاك ومقاتل هى أم شريك بنت جابر من بنى أسد وقال عروة بن الزبير هى خولة بنت حكيم من بنى سليم ❊ وقوله تعالى ﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم ﴾ أى أوجبنا على المؤمنين ﴿ في أزواجهم ﴾ أى من الاحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا الا بولى وشهود ومهر ﴿ وماملكت أيمانهم ﴾ أى ما أوجبنا من الاحكام في ملك اليمين ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ وهذا يرجع الى أول الآية معناه أحللنا لك أزواجك وماملكت يمينك والموهوبة لكى لا يكون عليك ضيق ﴿ وكان الله غفورا ﴾ أى للواقع في الحرج ﴿ رحيما ﴾ أى بالتوسعة على عباده ❊ قوله تعالى ﴿ ترجى ﴾ أى تؤخر ﴿ من تشاء منهن وتؤوى اليك ﴾ أى تضم

تكرير النبي تفخيم له (قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم) اى ما اوجبنا من المهور على امتك في زوجاتهم او ما اوجبنا عليهم في ازواجهم من الحقوق (وماملكت ايمانهم) بالشراء وغيره من وجوه الملك وقوله (لكيلا يكون عليك حرج ضيق متصل بخالصة لك من دون المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم جملة اعتراضية (وكان الله غفورا رحيما) بالتوسعة على عباده (ترجى) بلا همز مدنى وحمزة وعلى وخلف وحفص وبهمز غيرهم تؤخر (من تشاء منهن وتؤوى اليك

قد علمنا ما فرضنا عليهم) ما أحللنا لهم وأوجبنا عليهم على المؤمنين (في أزواجهم) الاربع بمهر ونكاح (وماملكت أيمانهم) بغير عدد (لكيلا يكون عليك حرج) مأثم وضيق في تزوج ما أحل الله لك (وكان الله غفورا) لما كان منك (رحيما) فيما رخص لك (ترجى) تترك (من تشاء منهن) من بنات عمك وبنات خالك ولا تتزوج بها (وتؤوى اليك) تضم اليك

وتزوجتها (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) ومع ليس للقران بل لوجوده فحسب كقوله وأسلمت مع سليمان وعن أم هانئ بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرنى فانزل الله هذه الآية فلم أحل له لانى لم أهاجر معه (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى)وأحللناك من وقعها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذا نكرها قال ابن عباس هو بيان حكم فى المستقبل ولم يكن عند احد منهن بالهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحرث أو زينب بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه بغير ان (ان أراد النبى أن يستنكحها) استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثانى تقييد للشرط الاول شرط فى الاحلال هبتها نفسها وفى الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله وعليه وسلم كانه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد ان تستنكحها لان ارادته هى قبول الهبة ومابه تتم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء فى الاحكام الا فيما خصه الدليل (خالصة) بلا مهر حال من الضمير فى وهبت أو مصدر مؤكد أى خلص لك احلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة فى المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة (لك من دون المؤمنين) بل يجب المهر لغيرك وان لم يسمه أو نفاه عدل عن الخطاب الى (جاعة) الغيبة فى قوله ان اراد النبى ثم رجع الى الخطاب ايؤذن ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره اى

لا يحقق بدء امرها وماجرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه فى قوله ﴿ وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك ﴾ ويحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لانى لم اهاجر معه كنت من الطلقاء ﴿ وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ﴾ نصب بفعل يفسره ماقبله او عطف على ماسبق ولا يدفعه التقييد بان التى للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل أى اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف فى اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اى لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس مادام زيد جالسا ﴿ ان اراد النبى ان يستنكحها ﴾ شرط للشرط الاول فى استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبى مكررا ثم الرجوع اليه فى قوله ﴿ خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان

عينه فولدت له ابراهيم ﴿ وبنات عمك وبنات عماتك ﴾ يعنى نساء قريش ﴿ وبنات خالك وبنات خالاتك ﴾ يعنى نساء بنى زهرة ﴿ اللاتى هاجرن معك ﴾ الى المدينة فمن لم تهاجر منهن لم يجز له نكاحها عن أم هانئ بنت أبى طالب قالت خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم أنزل الله انا أحللنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لانى لم أهاجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة فى التحليل ﴿ وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ أى أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المؤمنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكتابية بالمهر فذهب

(وبنات عمك) وأحل لك تزوج بنات عمك (وبنات عماتك) من بنى عبد المطلب (وبنات خالك وبنات خالاتك) من بنى عبد مناف بن زهرة (اللاتى هاجرن معك) من مكة الى المدينة (وامرأة مؤمنة) مصدقة بتوحيد الله وهى أم شريك بنت جابر العامرية (ان وهبت نفسها) مهرها (للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها) ان يتزوج بها بغير مهرها (خالصة لك) خصوصية لك ورخصة لك (من دون المؤمنين

﴿ فمالكم عليهن من عدة ﴾ ايام يتربصن فيها بانفسهن ﴿ تعتدونها ﴾ تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فمالكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضى عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخى الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر فى النسب يؤثر فى العدة ﴿ فمتعوهن ﴾ أى ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهى سنة لها ويجوز ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها ﴿ وسرحوهن ﴾ اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة ﴿ سراحا جميلا ﴾ من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السنى لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن ﴿ يا أيها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن ﴾ مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله ﴿ وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك ﴾ فان المشتراة

أنه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم فى الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهى طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك أخرجه أبو داود والترمذى بمعناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخارى فى ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح ﴿ فمالكم عليهن من عدة تعتدونها ﴾ أى تحصونها بالاقراء والاشهر أجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب أحمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق ﴿ فمتعوهن ﴾ أى أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية ﴿ وسرحوهن سراحا جميلا ﴾ أى خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن * قوله عز وجل ﴿ يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن ﴾ أى مهورهن ﴿ وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ﴾ أى من السبى فتملكها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما ملكت

(فمالكم عليهن من عدة تعتدونها) فيه دليل على ان العدة تجب على النساء للرجال ومعنى تعتدونها تستوفون عددها تفتعلون من العد (فمتعوهن) والمتعة تجب للتى طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها (وسرحوهن سراحا جميلا) أى لا تمسكوهن ضرارا وأخرجوهن من منازلكم اذ لا عدة لكم عليهن (يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) مهورهن اذ المهر أجر على البضع ولهذا قال الكرخى ان النكاح بلفظ الاجارة جائز وقلنا التأبيد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الاجارة وبينهما منافاة وايتاؤها اعطاؤها عاجلا أو فرضها وتسميتها فى العقد (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) وهى صفية وجويرية فاعتقهما

(فمالكم عليهن من عدة تعتدونها) بالشهور أو الحيض (فمتعوهن) متعة الطلاق درعا وخمارا أو ملحفة أدنى شئ (وسرحوهن سراحا جميلا) طلقوهن طلاقا حسنا بغير أذى (يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت) أعطيت (أجورهن) مهورهن (وما ملكت يمينك) مارية القبطية (مما أفاء الله عليك) مما فتح الله عليك

(وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) ثوابا عظيما (ولا تطع الكافرين والمنافقين) المراد به التهييج أو الدوام والثبات على ما كان عليه (ودع أذاهم) هو بمعنى الايذاء فيحتمل أن يكون مضافا الى الفاعل أى اجعل ايذاءهم اياك فى جانب ولا تبال بهم ولا تخف من ايذائهم أو الى المفعول أى دع ايذاءك اياهم مكافأة لهم (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) وكفى به مفوضا اليه وقيل ان الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا أعرض عنهم أقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لانه اذا ترك أذاهم فى الحاضر والاذى لابد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به فى المستقبل والداعى الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله فان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أى تزوجتم والنكاح هو الوطء فى الاصل وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه كتسمية الخمر اثما لانها سببه وكقول الراجز

أسنمة الآبال فى سحابه

سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن الآبال وارتفاع أسنمتها ولم يرد لفظ النكاح فى كتاب الله تعالى الا فى معنى العقد لانه فى معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية (انه) عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشى والاتيان وفى تخصيص المؤمنات مع ان الكتابيات تساوى المؤمنات فى هذا الحكم اشارة على ان الاولى بالمؤمن ان ينكح مؤمنة (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) والخلوة الصحيحة كالمس

﴿وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا﴾ على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ﴿ودع اذاهم﴾ ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة ومؤاخذة على كفرهم ولهذا قيل منسوخ بآية السيف ﴿وتوكل على الله﴾ فانه يكفيكهم ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ موكولا اليه الامر فى الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهى عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعى الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله تعالى برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن﴾ تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائى تماسوهن بالف وضم التاء

﴿وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا﴾ أى ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم﴾ قال ابن عباس اصبر على أذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ أى حافظا ❁ قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أى تجامعوهن فى الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فانت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهى طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول على وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبى وقتادة وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعى وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعى وأصحاب الرأى وقال ربيعة ومالك والاوزاعى ان عين امرأة وقع وان عمم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس

عند الله فقال الله (وبشر) يا محمد (المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) ثوابا عظيما فى الجنة ثم رجع الى أول السورة فقال (ولا تطع) يا محمد (الكافرين) من أهل مكة أبا سفيان وأصحابه (والمنافقين) من أهل المدينة عبد الله بن أبى وأصحابه (ودع أذاهم) ولا تقتلهم يا محمد (وتوكل على الله) ثق بالله (وكفى بالله وكيلا) كفيلا فيما وعدك من النصرة ويقال حفيظا (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم) أى اذا تزوجتم (المؤمنات) ولم تسموا مهورهن (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) تجامعوهن

الى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) هو دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة وروى انه لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يارسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فنزلت (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أى تحية الله لهم (يوم يلقونه) يرونه (سلام) يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم (وأعد لهم أجرا كريما) يعنى الجنة (يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم على تكذيبهم وتصديقهم أى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم وهو حال مقدرة كما تقول مررت برجل معه صقر صائدا به أى مقدرا به الصيد غدا (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وداعيا الى الله باذنه) بامره او بتيسيره والكل منصوب على الحال (وسراجا منيرا) جلا به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجمهور على انه القرآن فيكون التقدير وذا سراج منير أو وتاليا سراجا منيرا ووصف بالانارة لان من السرج ما لا يضىء اذا قل سليطه ودقت فتيلته أو شاهدا بوحدانيتنا ومبشرا برحمتنا ونذيرا بنقمتنا وداعيا الى عبادتنا وسراجا وحجة ظاهرة لحضرتنا

الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل فى ذلك ملائكته المقربين ﴿ تحيتهم ﴾ من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيون ﴿ يوم يلقونه ﴾ يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة ﴿ سلام ﴾ اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة ﴿ واعد لهم اجرا كريما ﴾ هى الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم ﴿ يأيها النبى انا ارسلناك شاهدا ﴾ على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ﴿ ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله ﴾ الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته ﴿ باذنه ﴾ بتيسيره اطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه ﴿ وسراجا منيرا ﴾ يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر

ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ فيه بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى ان قوله يصلى عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحى بل هو عام لجميع المسلمين ﴿ تحيتهم ﴾ يعنى تحية المؤمنين ﴿ يوم يلقونه ﴾ أى يرون الله يوم القيامة ﴿ سلام ﴾ أى يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعنى يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه عن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم ﴿ وأعد لهم أجرا كريما ﴾ يعنى الجنة * قوله عز وجل ﴿ يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ﴾ أى للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة ﴿ ومبشرا ﴾ أى لمن آمن بالجنة ﴿ ونذيرا ﴾ أى لمن كذب بالنار ﴿ وداعيا الى الله ﴾ أى الى توحيده وطاعته ﴿ باذنه ﴾ أى بامره ﴿ وسراجا منيرا ﴾ سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضىء * فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد اضاءة من السراج وأنور * قلت نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شئ بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه أنوار كثيرة

الكفر الى الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما) رفيقا (تحيتهم) تحية المؤمنين (يوم يلقونه) يلقون الله (سلام) من الله وتسلم عليهم الملائكة عند أبواب الجنة (وأعد لهم أجرا كريما) ثوابا حسنا فى الجنة (يأيها النبى) يعنى محمدا عليه السلام (انا أرسلناك شاهدا) على أمتك بالبلاغ (ومبشرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر به (وداعيا الى الله) الى دين الله وطاعته (باذنه) بامره (وسراجا منيرا) مضيئا يقتدى بك فلما نزل قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال المؤمنون هنيئا لك يارسول الله بالمغفرة فما لنا

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) أثنوا عليه بضروب الثناء وأكثروا ذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخر النهار وخصهما بالذكر لان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والفعلان أي اذكروا الله وسبحوه موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختص من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ابانة لفضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات وجاز أن يراد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والعبادات فانها من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وهي صلاة الفجر وأصيلا وهي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أو صلاة الفجر والعشاءين (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) لما كان من شأن المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف والمراد بصلاة الملائكة قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حين يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة (ليخرجكم من الظلمات الى النور) من ظلمات المعصية الى نور الطاعة (ودعاء

شأنه ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ يغلب الاوقات ويعم أنواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ بالرحمة ﴿وملائكته﴾ بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ﴿ليخرجكم من الظلمات الى النور﴾ من ظلمات

الذي يمحو الله الكفر بي وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما (م) عن أبي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي وأنا الماحي ونبي التوبة ونبي الرحمة المقفي هو المولى الذاهب يعني آخر الانبياء المتبع لهم فاذا قفى فلا نبي بعده ❊ قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا ﴿وسبحوه﴾ معناه اذا ذكرتموه ينبغي لكم أن يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء ﴿بكرة وأصيلا﴾ فيه اشارة الى المداومة لان ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا وقيل معناه صلوا له بكرة صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معنى سبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن أخواته والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده والثناء عليه قال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزل الله هذه الآية ﴿ليخرجكم من الظلمات الى النور﴾ يعني انه برحمته وهدايته

يا أيها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اذكروا الله ذكرا كثيرا) باللسان والقلب عند المعصية والطاعة (وسبحوه بكرة وأصيلا) صلوا له غدوة وعشيا (هو الذي يصلي عليكم) يغفر لكم (وملائكته) يستغفرون لكم (ليخرجكم من الظلمات الى النور) وقد أخرجكم من

ولا يخشون أحدا الاالله) وصف الانبياء بانهم لايخشون الاالله تعريض بعدالتصريح فى قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف ومحاسبا على الصغيرة والكبيرة فكان جديرا بان تخشى منه (ما كان محمد أباأحدمن رجالكم) أى لم يكن أبارجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح والمرادمن رجالكم البالغين والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وابراهيم توفوا صبيانا (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا فى سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه كحكمهم والتبنى من باب الاختصاص والتقريب لاغير (وخاتم النبيين) بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أى آخرهم يعنى لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه بعض أمته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (وكان الله بكل شئ عليما

ولايخشون أحدا الاالله ﴾ تعريض بعد تصريح ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغى ان لايخشى الامنه ﴿ ما كان محمدأ باأحدمن رجالكم ﴾ على الحقيقة فيثبت بينه وبينه مابين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر الطيب والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لارجالهم ﴿ ولكن رسول الله ﴾ وكل رسول ابو امته لامطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اى ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر ﴿ وخاتم النبيين ﴾ وآخرهم الذى ختمهم اوختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولوكان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ ﴿ وكان الله بكل شئ عليما ﴾ فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغى

﴿ ولايخشون أحدا الاالله ﴾ أى لايخافون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ أى حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم * قوله عز وجل ﴿ ما كان محمد اباأحد من رجالكم ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فانزل الله ما كان محمد اباأحد من رجالكم يعنى زيد بن حارثة والمعنى انه لم يكن أبارجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه مايثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح فان قلت قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال للحسن ان ابنى هذا سيد قلت قد أخرجوا من حكم النفى بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل أراد بالرجال الذين لم يلدهم ﴿ ولكن رسول الله ﴾ أى ان كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه ﴿ وخاتم النبيين ﴾ ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أى ولا معه قال ابن عباس يريد لولم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم أن لا نبى بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا ﴿ وكان الله بكل شئ عليما ﴾ أى دخل فى علمه انه لانبى بعده فان قلت قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان بعده وهو نبى قلت ان عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وحين ينزل فى آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كأنه بعض أمته (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الانبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى

(ولايخشون أحدا الاالله وكفى بالله حسيبا) شهيدا (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) يعنى زيدا (ولكن رسول الله) ولكن كان محمد رسول الله (وخاتم النبيين) ختم الله به النبيين قبله فلا يكون نبى بعده (وكان الله بكل شئ) من قولكم وفعلكم (عليما

(لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) قيل قضاء الوطر ادراك الحاجة وبلوغ المراد منه (وكان أمر الله) الذى يريد أن يكونه (مفعولا) مكونا لامحالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) أحل له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد او قدر له من عدد النساء (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا وكذا قوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة فى الأنبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم فى الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسرارى وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية (فى الذين خلوا من قبل) فى الأنبياء الذين مضوا من قبل (وكان امر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ولا وقف عليه ان جعلت (الذين يبلغون رسالات الله) بدلا من الذين الاول ووقف ان جعلته فى محل الرفع أو النصب على المدح أى هم الذين يبلغون أو أعنى الذين يبلغون (ويخشونه

بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تولى انكاحى وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ﴾ علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل ﴿ وكان امر الله ﴾ امره الذى يريده ﴿ مفعولا ﴾ مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ﴿ ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ﴾ قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم ﴿ سنة الله ﴾ سن ذلك سنة ﴿ فى الذين خلوا من قبل ﴾ من الانبياء وهو نفى الحرج عنهم فيما اباح لهم ﴿ وكان امر الله قدرا مقدورا ﴾ قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ﴾ صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ﴿ ويخشونه

أم غيرى قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فالقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب (ق) عن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شئ من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة وفى رواية أكثر وافضل ما أولم على زينب قال ثابت بم أولم قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه * قوله عز وجل ﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج ﴾ أى اثم ﴿ فى أزواج أدعيائهم ﴾ جمع الدعى وهو المتبنى ﴿ اذا قضوا منهن وطرا ﴾ يقول زوجناك زينب وهى امرأة زيد الذى كنت تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لا تحل للاب ﴿ وكان أمر الله مفعولا ﴾ أى قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى فى زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ﴾ أى فيما أحل الله له من النكاح وغيره ﴿ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ﴾ معناه سن الله سنة فى الانبياء وهو أن لا حرج عليهم فى الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره فقد كان لهم الحرائر والسرارى فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمن ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم فى التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ أى قضاء مقضيا ان لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أثنى الله تعالى على الانبياء بقوله ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ﴾ أى فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه الى من أرسلوا اليهم ﴿ ويخشونه ﴾ أى يخافونه

لكيلا يكون على المؤمنين) بعدك (حرج) مأثم (فى أزواج أدعيائهم) فى تزويج نساء من تبنوهم (اذا قضوا منهن وطرا) حاجة اذا خرجن من عدتهن بعد موتهم أو طلاقهن (وكان أمر الله) تزويج زينب محمدا صلى الله عليه وسلم (مفعولا) كائنا ويقال كان أمر الله قضاء الله مفعولا كائنا (ما كان على النبي من حرج) من مأثم وضيق (فيما فرض الله) فيما (ولا) رخص الله (له) من التزويج (سنة الله) هكذا كان قضاء الله (فى الذين خلوا) مضوا (من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم يعنى داود فى تزويج امرأة أوريا ويقال سليمان فى تزويج بلقيس (وكان أمر الله قدرا مقدورا) كان قضاء الله قضاء كائنا (الذين) فى تزويج الذين (يبلغون رسالات الله) يعنى داود وسليمان ومحمدا صلى الله عليه وسلم (ويخشونه) يخافون الله فى تبليغ الرسالة

فان الاولى فى امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى رأيه ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا ﴾ حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها ﴿ زوجناكها ﴾ وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لى فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر

صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد ابا أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم فان قلت فما الفائدة فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها قلت هو ان الله تعالى أعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفى فى نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشى قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته وقيل كان فى أمره بامساكها قمع للشهوة ورد للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا القول المتقدم الذى ذكره المفسرون وهو انه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها زيد ومثل ذلك لا يقدح فى حال الانبياء مع ان العبد غير ملوم على ما يقع فى قلبه من مثل هذه الاشياء وانه رآها الفجأة فاستحسنها ومثل هذه لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ما لم يقصد مأثما لان الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم * وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسن لا اثم فيه * وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاكم الله وأتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله أحق بالخشية فى عموم الاحوال فى جميع الاشياء * قوله عز وجل ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا ﴾ أى حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها ﴿ زوجناكها ﴾ قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن آباؤكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات وقال الشعبى كانت زينب تقول للنبى صلى الله عليه وسلم انى لادل عليك بثلاث ما من امرأة من نسائك تدل بهن جدى وجدك واحد وانى أنكحنيك الله فى السماء وان السفير جبريل عليه السلام (م) عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها على قال فانطلق زيد حتى أتاها وهى تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع ان انظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فلقد رأيتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى أناس يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا

(فلما قضى زيد منها وطرا) الوطر الحاجة فاذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) روى انها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما أجد أحدا أوثق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب ابشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار

(فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة يقول اذا خرجت من عدتها من زيد (زوجناكها

وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها ﴿ وتخشى الناس ﴾ تعييرهم اياك به ﴿ والله احق ان تخشاه ﴾ ان كان فيه ماتخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ماينافي اضماره

قال ابن عباس حبها وقيل ود أنه طلقها ﴿ وتخشى الناس ﴾ قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لائمتهم أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ قال عمر وابن مسعود وعائشة مانزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وعن عائشة قالت لوكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكتم هذه الآية واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

فصل

فان قلت ماذكروه في تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما رآها وارادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج ومالايليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مدعينيه لمانهي عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا اقدام عظيم من قائلة وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلايشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كماذكر عن جماعة من المفسرين وأصح مافي هذا الباب ماروى عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني زين العابدين علي بن الحسين قال مايقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني أريد أن أطلق زينب أعجبه ذلك وقال أمسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك فان الله عزوجل قد أعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال اني أريد أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ماأخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لايجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولايظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ماأعلمه الله انها ستكون زوجته وانما أخفى ذلك استحياء ان يخبر زيدا ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي وكم من شئ يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لامقال فيه ولاعيب عندالله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين وهو انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي

أي تخفي في نفسك نكاحها ان طلقها زيد وهو الذي أبداه الله تعالى وقيل الذي أخفى في نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد اياها والواو في وتخفي في نفسك (وتخشى الناس) أي قالة الناس انه نكح امرأة ابنه (والله أحق أن تخشاه) والواو الحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة أن لايمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله وعن عائشة رضى الله عنها لوكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحي اليه لكتم هذه الآية

القرآن (وتخشى الناس) تستحيي من الناس من ذلك (والله أحق أن تخشاه) أن تستحيي منه

الامر للوجوب (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) فان كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصيان فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق (واذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام الذى هو أجل النعمة (وأنعمت عليه) بالاعتاق والتبنى

تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما فى سياق النفى وجمع الثانى للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ بين الانحراف عن الصواب ﴿ واذ تقول للذى انعم الله عليه ﴾ بتوفيقه الاسلام وتوفيقك اعتاقه واختصاصه ﴿ وانعمت عليه ﴾ بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة ﴿ امسك عليك زوجك ﴾ زينب وذلك انه عليه الصلاة والسلام ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتى فقال مالك ارابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال له امسك عليك زوجك ﴿ واتق الله ﴾ فى امرها فلا تطلقها ضرارا او تعللا بتكبرها ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾

وفيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن يعنى عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعنى أخته زينب اذا قضى الله ورسوله أمرا يعنى نكاح زيد لزينب أن تكون لهم الخيرة من أمرهم أى الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ أى أخطأ خطأ ظاهرا فلما سمعت بذلك زينب وأخوها رضيا وسلما وجعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا ودخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر

* قوله عز وجل ﴿ واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك ﴾ الآية نزلت فى زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب فى درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش وقعت فى نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد وألقى فى نفسه كراهيتها فى الوقت وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال له مالك أرابك منها شئ قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على بشرفها وتؤذينى بلسانها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله فى أمرها ثم ان زيدا طلقها فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذى أنعم الله عليه أى بالاسلام وانعمت عليه أى بالاعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه أمسك عليك زوجك يعنى زينب بنت جحش ﴿ واتق الله ﴾ أى فيها ولا تفارقها ﴿ وتخفى فى نفسك ﴾ أى تسر وتضمر فى نفسك ﴿ ما الله مبديه ﴾ أى مظهره قيل كان فى قلبه لو فارقها تزوجها

فهو متقلب فى نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعدما أنكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له أمسك عليك زوجك (واتق الله) فلا تطلقها وهو نهى تنزيه اذ الاولى ان لا يطلق أو واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وأذى الزوج (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه)

الله ورسوله لهما (ومن يعص الله ورسوله) فيما أمره (فقد ضل ضلالا مبينا) فقد أخطأ خطأ بينا عن أمر الله (واذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام يعنى زيدا (وأنعمت عليه) بالعتق (أمسك عليك زوجك) ولا تطلقها (واتق الله) واخش الله ولا تخل سبيلها (وتخفى فى نفسك) تسر فى نفسك حبها وتزوجها (ما الله مبديه) مظهره فى

بينهما وأما الثاني فمن عطف على الصفة بحرف الجمع ومعناه ان الجامعين

والسنتهم ﴿ أعد الله لهم مغفرة ﴾ لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات ﴿ واجرا عظيما ﴾ على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روى ان ازواج النبي عليه الصلاة والسلام قلن يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير أفما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ﴾ وما صح له ﴿ اذا قضى الله ورسوله امرا ﴾ اى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره وللاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد ﴿ ان تكون لهم الخيرة من امرهم ﴾ ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم

العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبق المفردون قالوا يارسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره الى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن أقر بان الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ﴿ أعد الله لهم مغفرة ﴾ أي لذنوبهم ﴿ وأجرا عظيما ﴾ يعني الجنة * قوله تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش الاسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمهما أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ وأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد ابن حارثة أبت وقالت أنا ابنة عمتك يارسول الله ولا أرضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة

والجامعات لهذه الصفات (أعد الله لهم مغفرة واجرا (عظيما ع[illegible] خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فابت وأبى أخوها عبد الله فنزلت (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (اذا قضى الله ورسوله) أي رسول الله (امرا) من الامور (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) ان يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره فقالا رضينا يارسول الله فأنكحها اياه وساق عنه اليها مهرها وانما جمع الضمير في لهم وان كان من حقه ان يوحد لان المذكورين وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير الى المعنى لا الى اللفظ ويكون بالياء كوفي والخيرة ما يتخير ودل ذلك على ان

(أعد الله لهم) للرجال والنساء (مغفرة) لذنوبهم في الدنيا (وأجرا عظيما) ثوابا وافرا في الجنة (وما كان لمؤمن) زيد (ولا مؤمنة) زينب (اذا قضى الله ورسوله أمرا) تزويج بينهما (أن تكون لهم الخيرة) الاختيار (من أمرهم) خلاف ما اختار (وفيها)

(والمؤمنين) المصدقين بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به (والمؤمنات والقانتين) القائمين بالطاعة (والقانتات والصادقين) في النيات والاقوال والاعمال (والصادقات والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن السيآت (والخاشعين) المتواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين (والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات) فرضا ونفلا (والصائمين والصائمات) فرضا ونفلا وقيل من تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين (والحافظين فروجهم) عما لا يحل (والحافظات والذاكرين الله كثيرا) بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر والمعنى والحافظات فروجهن (والذاكرات) الله فحذف لدلالة ما تقدم عليه والفرق بين عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين لان الاول نظير قوله ثيبات وأبكارا في انهما جنسان مختلفان واشتركا في حكم واحد فلم يكن بد من توسط العاطف

الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله ﴿ والمؤمنين والمؤمنات ﴾ المصدقين بما يجب ان يصدق به ﴿ والقانتين والقانتات ﴾ المداومين على الطاعة ﴿ والصادقين والصادقات ﴾ في القول والعمل ﴿ والصابرين والصابرات ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿ والخاشعين والخاشعات ﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم ﴿ والمتصدقين والمتصدقات ﴾ بما وجب في مالهم ﴿ والصائمين والصائمات ﴾ الصوم المفروض ﴿ والحافظين فروجهم والحافظات ﴾ عن الحرام ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذكرات ﴾ بقلوبهم

الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فانزل الله هذه الآية عن أم عمارة الانصارية قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت مالي ارى كل شئ الى الرجال وما أرى النساء يذكرن بشئ فنزلت ان المسلمين والمسلمات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ان أم سلمة بنت أبي أمية وأنيسة بنت كعب الانصارية قالتا للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شئ من كتابه ونخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروى أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شئ من القرآن قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما ذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بها معهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما يرد به أمر الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله ﴿ والمؤمنين والمؤمنات ﴾ الثالثة الطاعة وهو قوله ﴿ والقانتين والقانتات ﴾ الرابعة الصدق في الاقوال والافعال وهو قوله ﴿ والصادقين والصادقات ﴾ الخامسة الصبر على ما أمر الله وفيما ساء وسر وهو قوله ﴿ والصابرين والصابرات ﴾ السادسة الخشوع في الصلاة وهو أن لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله ﴿ والخاشعين والخاشعات ﴾ السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله ﴿ والمتصدقين والمتصدقات ﴾ الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله ﴿ والصائمين والصائمات ﴾ التاسعة العفة وهو قوله ﴿ والحافظين فروجهم ﴾ يعني عما لا يحل ﴿ والحافظات ﴾ العاشرة كثرة الذكر وهو قوله ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ﴾ وقيل لا يكون

من النساء (والمؤمنين) المقرين من الرجال (والمؤمنات) المقرات من النساء (والقانتين) المطيعين من الرجال (والقانتات) المطيعات من النساء (والصادقين) في ايمانهم من الرجال (والصادقات) في ايمانهن من النساء (والصابرين) على ما أمر الله والمرازي من الرجال (والصابرات) على ما أمر الله والمرازي من النساء (والخاشعين) المتواضعين من الرجال (والخاشعات) المتواضعات من النساء (والمتصدقين) باموالهم من الرجال (والمتصدقات) باموالهن من النساء (والصائمين) من الرجال (والصائمات) من النساء (والحافظين فروجهم) عن الفجور من الرجال (والحافظات) فروجهن من النساء (والذاكرين الله كثيرا) باللسان والقلب ويقال بالصلوات الخمس من الرجال (والذاكرات) من النساء

نجاسة الآثام ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالعرض منها نقى كالثوب الطاهر وفيه تنفير لاولى الالباب عن المناهى وترغيب لهم فى الاوامر (واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) أى السنة أو بيان معانى القرآن (ان الله كان لطيفا) عالما بغوامض الاشياء (خبيرا) عالما بحقائقها أى هو عالم بافعالكن واقوالكن فاحذرن مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله ولما نزل فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت (ان المسلمين والمسلمات) المسلم الداخل فى السلم بعد الحرب المنقاد الذى لا يعاند أو المفوض أمره الى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه الى الله

الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما رضى الله عنهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فأتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجتماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لايناسب ماقبل الآية ومابعدها والحديث يقتضى انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم ﴿واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحى وما شاهدن من برحاء الوحى مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ﴿ان الله كان لطيفا خبيرا﴾ يعلم ويدبر مايصلح فى الدين ولذلك خيركن ووعظكن اويعلم من يصلح لنبوته ويصلح ان يكون اهل بيته ﴿ان المسلمين والمسلمات﴾

عليه وسلم لانهن فى بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى أنهم على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم يدل عليه ماروى عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرحال وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال ✽ عن أم سلمة قالت ان هذه الآية نزلت فى بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يارسول الله ألست من أهل البيت فقال انك الى خير أنت من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قالت وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح غريب ✽ عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة ياأهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل البيت من حرم الصدقة بعده آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ✽ قوله تعالى ﴿واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله﴾ يعنى القرآن ﴿والحكمة﴾ قيل هى السنة وقيل هى أحكام القرآن ومواعظه ﴿ان الله كان لطيفا﴾ أى باوليائه وأهل طاعته ﴿خبيرا﴾ أى بجميع خلقه ✽ قوله عز وجل ﴿ان المسلمين والمسلمات﴾ الآية وذلك ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يارسول الله ذكر الله

الذنوب (واذكرن) واحفظن (مايتلى) مايقرأ عليكن (فى بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) الامر والنهى والحلال والحرام (ان الله كان لطيفا) عالما بما فى قلوبهن (خبيرا) باعمالهن ويقال لطيفا اذ أمر النبى عليه السلام أن يطلقهن خبيرا بصلاحهن ثم نزلت فى قول أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ونسيبة بنت كعب الانصارية لقولهما (الرجال) يارسول الله ما نرى الله يذكر النساء فى شئ من الخير انما ذكر الرجال فنزل (ان المسلمين) الموحدين من الرجال (والمسلمات) الموحدات

وعاصم غير هبيرة وأصله اقررن فحذفت الراء تخفيفا وألقيت فتحتها على ماقبلها أو من قار يقار اذا اجتمع والباقون قرن من
وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن فرارا من التكرار ونقلت كسرتها الى القاف (في بيوتكن) بضم
الباء بصرى ومدنى وحفص (ولا تبرجن ﴿١١٥﴾ تبرج الجاهلية الاولى) {سورة الاحزاب} أى القديمة والتبرج التبختر
في المشى أو اظهار الزينة والتقدير ولا تبرجن تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية الاولى وهى الزمان الذى ولد فيه ابراهيم أو ما بين آدم ونوح عليهما السلام أو زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام أو الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام (وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله) خص الصلاة والزكاة بالامر ثم عم بجميع الطاعات تفضيلا لهما لان من واظب عليهما جرتاه الى ماوراءهما (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفيه دليل على ان نساءه من أهل بيته وقال عنكم لانه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة (ويطهركم تطهيرا) من

في بيوتكن ﴾ من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى بها عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ﴿ ولا تبرجن ﴾ ولا تتبخترن في مشيكن ﴿ تبرج الجاهلية الاولى ﴾ تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هى ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذى ولد فيه ابراهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابى الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر ﴿ واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله ﴾ في سائر ما امركن به ونهاكن عنه ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾ الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم ﴿ اهل البيت ﴾ نصب على النداء او المدح ﴿ ويطهركم ﴾ من المعاصى ﴿ تطهيرا ﴾ واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص

في بيوتكن ﴾ أى الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أى كن أهل وقار وسكون ﴿ ولا تبرجن تبرج ﴾ قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال ﴿ الجاهلية الاولى ﴾ قيل الجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها منه وقيل كان في زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشى به وسط الطريق ليس عليها شئ غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى ما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفى النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفى الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من اهل السهل وأجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيأ مثل الذى يزمر به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فاتى أصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد تذكر الاولى وان لم تكن لها أخرى ﴿ وأقمن الصلوة ﴾ أى الواجبة ﴿ وآتين الزكوة ﴾ أى المفروضة ﴿ وأطعن الله ورسوله ﴾ أى فيما أمر وفيما نهى ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾ أى الاثم الذى نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعنى عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشك وقيل السوء ﴿ اهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ هم نساء النبى صلى الله

في بيوتكن) استقررن في بيوتكن ولا تخرجن من البيوت وليكن عليكن الوقار (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) ولا تتزين بزينة الكفار
في الثياب الرقاق الملونة (وأقمن الصلوة) أتممن الصلوات الخمس (وآتين الزكوة) أعطين زكاة أموالكن (وأطعن الله
ورسوله) في المعروف (انما يريد الله) بذلك (ليذهب عنكم الرجس) الاثم (أهل البيت) يا أهل بيت النبوة (ويطهركم تطهيرا) من

(ومن يقنت منكن لله ورسوله) القنوت الطاعة (وتعمل صالحا نؤتها)وبالياء فيهما حمزة وعلي (أجرها مرتين) مثلي ثواب غيرها (وأعتدنا لها رزقا كريما) جليل القدر وهو الجنة(يانساء النبي لستن كأحد من النساء) أي لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل وأحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد و ماوراءه (ان اتقيتن) ان أردتن التقوى أو ان كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) أي اذا كلمتن الرجال من وراء حجاب فلا تجئن بقولكن خاضعا أي لينا خنثا مثل كلام المريبات (فيطمع) بالنصب على جواب النهي (الذي في قلبه مرض) ريبة وفجور (وقلن قولا معروفا) حسنا مع كونه خشنا (وقرن) مدني

الجزء الثاني والعشرون

اللهم اجعلنا من القانتين

﴿ومن يقنت منكن﴾ ومن يدم على الطاعة ﴿لله ورسوله﴾ ولعل ذكر الله للتعظيم او لقوله ﴿وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين﴾ مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء ايضا حملا على اللفظ من ويؤتها بالياء ايضا على ان فيه ضمير اسم الله ﴿واعتدنا لها رزقا كريما﴾ في الجنة زيادة على اجرها ﴿يانساء النبي لستن كاحد من النساء﴾ اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث و الواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل ﴿ان اتقيتن﴾ مخالفة حكم الله ورضى رسوله ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول ﴿وقلن قولا معروفا﴾ حسنا بعيدا عن الريبة ﴿وقرن

﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ أي تطع الله ورسوله ﴿وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين﴾ أي مثلي اجر غيرها قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى أنهن أشرف نساء العالمين ﴿وأعتدنا لها رزقا كريما﴾ يعني الجنة ✲ قوله تعالى ﴿يانساء النبي لستن كاحد من النساء﴾ قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي ﴿ان اتقيتن﴾ يعني الله فطعتنه فان الاكرم عند الله هو الاتقى ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ أي لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن ﴿وقلن قولا معروفا﴾ أي يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى ✲ قوله عز وجل ﴿وقرن

(ومن يقنت) يطع (منكن لله ورسوله وتعمل صالحا) خالصا فيما بينها وبين ربها (نؤتها) نعطها (أجرها) ثوابها (مرتين) ضعفين (وأعتدنا لها رزقا كريما) ثوابا حسنا في الجنة (يانساء النبي لستن كأحد من النساء) لستن كسائر النساء بالمعصية والطاعة والثواب والعقاب (ان اتقيتن) ان أطعتن الله ورسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا ترققن بالقول وتليين الكلام مع المريب (فيطمع الذي في قلبه مرض) شهوة زنا (وقلن قولا معروفا) صحيحا بلا ريبة (وقرن

غيرهم * وقرأ البصريان يضعف على البناء للمفعول ورفع العذاب وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه

الحرة الى الامة ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ أى عذابها

(وكان ذلك) أى تضعيف العذاب عليهن (على الله يسيرا) هينا

(وكان ذلك) العذاب (على الله يسيرا) هينا

ومن المتبيين (لأن تمهل لن تحسنت ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة ﴾ بكبيرة ﴿ مبينة ﴾ ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبي بكر والباقون بكسر الياء ﴿ يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه وتلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به

والواجم الذي أسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها أي دققته وقوله لم يبعثني معنتا العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم أقسم ان لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون

﴿ فصل في حكم الآية ﴾

اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن بدليل انه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري أبويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا ﴿ التفريع على حكم الآية ﴾ اختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس واذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء وان اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي الا أن عند أصحاب الرأي يقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فطلقة بائنة وأكثر العلماء على انها ان اختارت زوجها لا يقع شيء (ق) عن مسروق قال ما أبالي خيرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة رضي الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيئا ﴿ قوله تعالى ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة ﴾ أي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا أن منهن من أتت بفاحشة فان الله تعالى صان أزواج الأنبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق ﴿ يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ أي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة وذلك لأن نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك أزواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة

يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة) سيئة بليغة في القبح (مبينة) ظاهر فحشها من بين بمعنى تبين وبفتح الياء مكي وأبو بكر قيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك (يضاعف لها العذاب) يضعف لها العذاب مكي وشامي نضعف أبو عمرو ويزيد ويعقوب (ضعفين) ضعفي عذاب غيرهن من النساء لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذا فضل حد الأحرار على العبيد ولا يرجم الكافر

(يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) بزنا ظاهرة بالشهود (يضاعف لها العذاب ضعفين) بالجلد والرجم

عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف ﴿وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما﴾ تستحقر دونه الدنيا وزينتها

فواحدة بائنة (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن) من للبيان لا للتبعيض (أجرا عظيما

(وان كنتن تردن الله ورسوله) طاعة لله وطاعة رسوله (والدار الآخرة) يعنى الجنة (فان الله أعد للمحسنات) الصالحات (منكن أجرا عظيما) ثوابا وافرا فى الجنة

﴿وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ سبب نزول هذه الآية ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم سألنه من عرض الدنيا شيأ وطلبن منه زيادة فى النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لأعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله انى دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأنزل فأخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد وناديت باعلى صوتى لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت هذا الامر وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبى سفيان وأم سلمة بنت أبى أمية وسودة بنت زمعة وأربع غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحرث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحل لك النساء من بعد (م) ع جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم فاذن لابى بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فاذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجما ساكتا فقال لأقولن شيأ أضحك به النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقال هن حولى كما ترى يسألننى النفقة فقام أبو بكر الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر الى حفصة فوجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية يا أيها النبى قل لازواجك ان كنتن حتى بلغ للمحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة انى أريد ان أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوى بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت قال لا تسألنى امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا ولكن بعثنى معلما مبشرا قوله واجما أى مهتما

([illegible] قل لأزواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها) أى السعة فى الدنيا وكثرة الاموال (فتعالين) أصل تعال
[illegible] فى الدنيا [illegible] لامتعتهن ومعنى تعالين أقبلن بارادتكن واختياركن
لاحد [illegible] { [illegible] والسرور [illegible] ﴿ ١٠٨ ﴾ كقوله [illegible] (أمتعكن

أمتعكن متعة الطلاق [illegible] التعلق [illegible] قيل [illegible] وأسرحكن) وأطلقكن ([illegible]) لاضرار [illegible] من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة تغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضى الله عنها وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها وروى انه قال لعائشة انى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفى هذا استأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وحكم التخيير فى الطلاق انه اذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسى ان تقع تطليقة بائنة واذا اختارت زوجها لم يقع شئ وعن على رضى الله عنه اذا اخترت زوجها فواحدة رجعية و[illegible] عليها

﴿ [illegible] قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا ﴾ اى السعة والتنعم فيها ﴿ وزينتها ﴾ وزخارفها ﴿ فتعالين ﴾ [illegible] ﴿ أمتعكن ﴾ [illegible] ﴿ وأسرحكن سراحا جميلا ﴾ طلاقا من غير ضرار و[illegible] ولذا [illegible] عائشة تخيرها واختارت الله ورسوله [illegible] خيارها [illegible] الله [illegible] لا يحل لك النساء من بعد وتعليق [illegible] لرسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] تخيرة اذا اختارت زوجها [illegible] وحكى [illegible] عن على [illegible] عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل [illegible] صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بنى عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى عنها وهى فى ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركنى فى ملكك فهو أخف على وعليك فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد فى نفسه لذلك من أمرها فبينما هو بين أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا ثعلبة بن شعبة يبشرنى باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك [illegible] فتى شأن بنى قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد ان حكم فى بنى قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم أحب الى ان أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيأ فأبقنى له وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى اليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التى ضربت عليه فى المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فوالذى نفس محمد بيده انى لاعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وانى فى حجرتى قالت وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم (خ) عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلى الاحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له أعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلا شئ بعده قوله تعالى ﴿ يا أيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن ﴾ أى متعة الطلاق ﴿ وأسرحكن سراحا جميلا ﴾ أى من غير ضرار

([illegible] وان)

يا أيها النبى) يعنى محمد عليه السلام (قل لازواجك اللاتى (ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) ما فى الحياة الدنيا (وزينتها) زهرتها (فتعالين أمتعكن) متعة الطلاق (وأسرحكن) أطلقكن (سراحا جميلا) طلاقا حسنا بالسنة

وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي
صلى الله عليه وسلم وأتي بحيي بن أخطب عدو الله وعليه حلة فقاحية قد شققها عليه من كل
ناحية كموضع الانملة أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال والله مالمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على
الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس
فضرب عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة الا امرأة واحدة قالت والله
انها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم
بالسيف اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قلت ويلك مالك قالت اقتل قلت ولم قالت
حدثا أحدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجبا منها طيب
نفس وكثرة ضحك وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم
القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن اسحق عن الزهري ان الزبير بن
باطا القرظي ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم
بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن
هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني أريد أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم
يجزي الكريم قال ثم أتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان
للزبير عندي يد وله على منة وقد أحببت ان أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك قال شيخ
كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
أهله وأولاده فقال هم لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني امرأتك
وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ماله يا رسول الله قال هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أعطاني مالك فهو لك فقال أي ثابت ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية تتراءى فيه
عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال
ابن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال
قتلوا قال فاني أسألك يا ثابت بيدي عندك الا ما ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء
من خير فما أنا بصابر حتى ألقى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله
حتى ألقى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا أبدا قال وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين وأعلم
في ذلك اليوم سهمين للخيل وسهما للرجال فكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفرس
وللفارس سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان
أول يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري
أخا بني الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا وكان رسول الله

مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد صلى الله عليه
وسلم أبدا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه
حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى أين
ذهب من الأرض إلى يومه هذا فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه
وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت رمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب فقال فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتواثب الأوس فقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي
الخزرج بالأمس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر
بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله إياهم عبد الله بن أبي ابن سلول
فوهبهم له فلما كلمه الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الأوس
أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك إلى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوي
الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى
أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه فحملوه
على حمار قد وطؤا له بوسادة من أدم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم
فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل
اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قوموا إلى سيدكم فأنزلوه فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم
ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم قال سعد فاني أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا
فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بني النجار ثم خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم
بعث اليهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله حيي
ابن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين
الثمانمائة إلى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع

{ وان }

ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل على بنى قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن أسد بما عاهده فلما أيقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يامعشر يهود انكم قد نزل بكم من الامر ماترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وماهن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله قد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فقالوا لانفارق حكم التوراة أبدا ولانستبدل به غيره قال فاذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولانترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيأ نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنتخذن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما في العيش بعدهم خير قال فان أبيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فانزلوا فلعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يكن أحدث فيه من قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ مالم يخف عليك قال مابات رجل منكم منذ ولدته أمه حازما ليلة من الدهر ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبالبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره فى أمرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال والنساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم فقالوا ياأبالبابة أترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فوالله مازالت قدماى حتى عرفت انى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت النبى صلى الله عليه وسلم حتى ربط فى المسجد الى عمود من عمده وقال والله لاأبرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله لايطأ أرض بنى قريظة أبدا ولايرانى الله فى بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو قد جاءنى لاستغفرت له فاما اذ فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله أنزل توبة أبى لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مم ضحكت يارسول الله اضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة فقلت الا أبشره بذلك يارسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت ياأبالبابة ابشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لاوالله حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح أطلقه قال ثم ان ثعلبة بن سعيد واسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد وهم نفر من بنى هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فى تلك الليلة عمرو بن السعدى القرظى فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصارى تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل

﴿وارضا لم تطؤها﴾ كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة ﴿وكان الله على كل شئ قديرا﴾ فيقدر على ذلك

وأرضا لم تطؤها ﴿يعني بعد قيل هي خيبر وبقال انها مكة وقيل فارس والروم وقيل هي كل أرض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة ﴿وكان الله على كل شئ قديرا﴾

ذكر غزوة بني قريظة

قيل كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن عقبة أنها كانت في سنة أربع قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صبح من الليلة التي انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمما بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يارسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ماوضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة ومارجعت الآن الامن طلب القوم وروى انه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يأمرك بالمسير الى بني قريظة وأنا عامد الى بني قريظة فانهز اليهم فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا مطيعا فلايصلين العصر الافي بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب برايته اليهم وابتدرها الناس وسار علي حتى اذا دنا من الحصون وسمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يارسول الله لاعليك ان لاتدنو من هؤلاء الاخابث قال أظنك سمعت لي منهم أذى قال نعم يارسول الله قال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة قد أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ماكنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا يارسول الله مر بنا دحية ابن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فأتاه رجل بعد صلاة العشاء الاخيرة ولم يصلوا العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لايصلين أحد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الاخيرة فما عابهم الله بذلك ولاعنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين

(وأرضا لم تطؤها) بقصد القتال وهي مكة أو فارس والروم أو خيبر أو كل أرض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا) قادرا

(وأرضا) أرض خيبر (لم تطؤها) لم تملكوها بعد ستكون لكم (وكان الله على كل شئ) من الفتح والنصرة (قديرا

(وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا عزيزا) قادرا غالبا (وأنزل الله الذين ظاهروهم) عاونوا الاحزاب (من أهل الكتاب) من بنى قريظة (من صياصيهم) من حصونهم الصيصية ماتحصن به روى ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ماهذا ياجبريل قال من متابعة قريش فقال يارسول الله ان الله يأمرك بالمسير الى بنى قريظة وأنا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن فى الناس ان من كان سامعا مطيعا فلايصل العصر الا فى بنى قريظة فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمى فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخندق فى سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف وبضم العين شامى وعلى ونصب (فريقا) بقوله (تقتلون) وهم الرجال (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذرارى (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أى المواشى والنقود والامتعة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال لهم انكم فى منازلكم

ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ بالريح والملائكة ﴿ وكان الله قويا ﴾ على احداث مايريده ﴿ عزيزا ﴾ غالبا على كل شئ ﴿ وانزل الذين ظاهروهم ﴾ ظاهروا الاحزاب ﴿ من اهل الكتاب ﴾ يعنى قريظة ﴿ من صياصيهم ﴾ من حصونهم جمع صيصية وهى مايتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ الخوف وقرئ بالضم ﴿ فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ﴾ وقرئ بضم السين روى ان جبرائيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال يا محمد اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فاذن فى الناس ان لايصلوا العصر الا ببنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين أوخمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثروا سر منهم سبعمائة ﴿ واورثكم ارضهم ﴾ مزارعهم ﴿ وديارهم ﴾ حصونهم ﴿ واموالهم ﴾ نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لى طعمة

﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ أى بالملائكة والريح ﴿ وكان الله قويا ﴾ أى فى ملكه ﴿ عزيزا) أى فى انتقامه * قوله تعالى ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ﴾ أى عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة ﴿ من صياصيهم ﴾ أى من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ أى الخوف ﴿ فريقا تقتلون ﴾ يعنى الرجال يقال كانوا ستمائة ﴿ وتأسرون فريقا ﴾ يعنى النساء والذرارى يقال كانوا سبعمائة قيل وخمسين ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم

ولاغنيمة ولادولة (وكفى الله المؤمنين القتال) رفع الله مؤنة القتال عن المؤمنين بالريح والملائكة (وكان الله قويا) بنصر المؤمنين (عزيزا) بنقمة الكافرين (وأنزل الذين ظاهروهم) أعانوا كفار مكة (من أهل الكتاب)وهم بنوقريظة والنضير كعب بن الاشرف وحيي بن أخطب واصحابهما (من صياصيهم)من قصورهم وحصونهم (وقذف) وجعل (فى قلوبهم الرعب) الخوف من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا اقبل ذلك لايخافون ويقاتلون (فريقا تقتلون) يقول تقتلون فريقا منهم وهم المقاتلة (وتأسرون فريقا) منهم وهم الذرارى والنساء (وأورثكم) أنزلكم (أرضهم) قصورهم (وديارهم) منازلهم (وأموالهم) جعل اموالهم غنيمة لكم

أي نذره (ومنهم من ينتظر) الموت أي على الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد (تبديلا) ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه

تعريض لمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب كما في قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) بوفائهم بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء) ذا لم يتوبوا (او يتوب عليهم) ان تابوا (ان الله كان غفورا) بقبول التوبة (رحيما) بعفو الحوبة جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي في تحصيلها (ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغيظهم) حال أي مغيظين كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) ظفرا أي لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا بزعمهم وهو حال أي غير ظافرين

كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ﴿ ومنهم من ينتظر ﴾ الشهادة كعثمان وطلحة ﴿ وما بدلوا ﴾ العهد ولا غيروه ﴿ تبديلا ﴾ شيأ من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ﴾ تعليل للمنطوق والمعرض به فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ﴿ ان الله كان غفورا رحيما ﴾ لمن تاب ﴿ ورد الله الذين كفروا ﴾ يعني الاحزاب ﴿ بغيظهم ﴾ متغيظين ﴿ لم ينالوا خيرا ﴾ غير

استشهد يوم بدر واحد ﴿ ومنهم من ينتظر ﴾ يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الامرين اما الشهادة أو النصر على الاعداء ﴿ وما بدلوا ﴾ يعني عهدهم ﴿ تبديلا ﴾ (ق) عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال ياسعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يارسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته ببنانه قال أنس كنا نرى أو نظن ان هذه الآية نزلت فيه وفي اشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخر الآية (ق) عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيأ منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة وكنا اذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدت رأسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعل على رجليه من الاذخر ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها النمرة كساء ملون من صوف وقوله ومنا من أينعت أي أدركت ونضجت له ثمرته وهذه استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها أي يجتنيها ويقطفها * عن أبي موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال ألا أبشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد * قوله عز وجل ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ﴾ أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد ﴿ ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ﴾ أي فيهديهم الى الايمان ويشرح له صدورهم ﴿ ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا ﴾ أي من قريش وغطفان ﴿ بغيظهم ﴾ أي لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا ﴿ لم ينالوا خيرا ﴾ أي ظفرا

(ومنهم من ينتظر) الوفاء الى الموت (وما بدلوا) غيروا العهد (تبديلا) تغييرا بالنقض (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) الوافين بوفائهم (ويعذب المنافقين ان شاء) ان ماتوا على النفاق (أو يتوب عليهم) قبل الموت (ان الله كان غفورا) لمن تاب (رحيما) لمن مات على التوبة (ورد الله) صرف الله (الذين كفروا) كفار مكة أبا سفيان وأصحابه (بغيظهم) بحنقهم (لم ينالوا خيرا) لم يصيبوا سرورا (وكفى)

كائنة لمن كان (وذكر الله كثيرا) أى فى الخوف والرجاء والشدة والرخاء (ولما رأى المؤمنون الاحزاب) وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب فلما جاء الاحزاب واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وعلموا ان الغلبة والنصرة قد وجبت لهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم فى آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلاء (وما زادهم) ما رأوا من اجتماع الاحزاب عليهم ومجيئهم (الا ايمانا) بالله وبمواعيده (وتسليما) لقضائه وقدره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى فيما عاهدوه عليه فحذف الجار كما فى المثل صدقنى سن بكره أى صدقنى فى سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) أى مات شهيدا كحمزة ومصعب وقضاء النحب صار عبارة عن الموت لان كل حى من المحدثات لا بد له ان يموت فكأنه نذر لازم فى رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه

يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة اوصفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه ﴿ وذكر الله كثيرا ﴾ وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك ﴿ ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ﴾ بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه الصلوة والسلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع اوعشر وقرأ حمزة والكسائى بكسر الراء وفتح الهمزة ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ وظهر صدق خبر الله ورسوله اوصدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم ﴿ وما زادهم ﴾ فيه ضمير لما رأوا اوالخطب اوالبلاء ﴿ الا ايمانا ﴾ بالله ومواعيده ﴿ وتسليما ﴾ لاوامره ومقاديره ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾ نذره بان قاتل حتى استشهد

يوم البعث الذى فيه الجزاء ﴿ وذكر الله كثيرا ﴾ أى فى جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب فقال تعالى ﴿ ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ﴾ أى قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا بوعده ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ أى فيما وعدا وهو فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة فى جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان تلحقهم شدة وبلاء فلما رأوا الاحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ﴿ وما زادهم الا ايمانا ﴾ أى تصديقا لله ﴿ وتسليما ﴾ أى لامره * قوله تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ أى قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾ أى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعنى أجله فقتل على الوفاء يعنى حمزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أى بذل جهده فى الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه

(وذكر الله كثيرا) باللسان والقلب ثم ذكر نعت المؤمنين المخلصين فقال (ولما رأى المؤمنون) المخلصون (الاحزاب) كفار مكة أبا سفيان وأصحابه (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) لمدة الايام (وصدق الله ورسوله) فى الميعاد وكان قد وعدهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتى الاحزاب تسعا أو عشرا يعنى الى عشرة أيام (وما زادهم) برؤية الكفار (الا ايمانا) يقينا بقول الله تعالى وبقول رسوله (وتسليما) خضوعا لامر الله وأمر الرسول (من المؤمنين رجال صدقوا) وفوا (ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) نذره ويقال قضى اجله وهو حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه

الاعمال (وكان ذلك) احباط أعمالهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أي لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع انهم قد انصرفوا (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون في الاعراب) البادون جمع البادي أي يتمنى المنافقون لجبنهم انهم خارجون من المدينة الى البادية حاصلون بين الاعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا مما فيه الخوف من القتال (يسئلون) كل قادم منهم من جانب المدينة (عن أنبائكم) عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ما قاتلوا الاقليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) بالضم حيث كان عاصم أي قدوة وهو المؤتسى به أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد أو فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها حيث قاتل بنفسه (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أي يخاف الله ويخاف اليوم الآخر أو يأمل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر قالوا لمن بدل من لكم وفيه ضعف لانه لا يجوز البدل من ضمير المخاطب وقيل لمن يتعلق بحسنة أي أسوة حسنة

اوابطل تصنعهم ونفاقهم ﴿ وكان ذلك ﴾ الاحباط ﴿ على الله يسيرا ﴾ هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه ﴿ يحسبون الاحزاب لم يذهبوا ﴾ اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة ﴿ وان يأت الاحزاب ﴾ كرة ثانية ﴿ يودوا لو انهم بادون في الاعراب ﴾ تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب ﴿ يسئلون ﴾ كل قادم من جانب المدينة ﴿ عن انبائكم ﴾ عما جرى عليكم ﴿ ولو كانوا فيكم ﴾ هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ﴿ ما قاتلوا الا قليلا ﴾ رياء وخوفا من التعيير ﴿ لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ﴾ خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد اوهو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه ﴿ لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾ اي ثواب الله اولقاءه ونعيم الآخرة اوايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم والرجاء

* وكان ذلك على الله يسيرا ﴿ أي احباط أعمالهم معان كل شئ على الله يسير * قوله تعالى ﴿ يحسبون ﴾ يعني هؤلاء المنافقين ﴿ الاحزاب ﴾ يعني قريشا وغطفان واليهود ﴿ لم يذهبوا ﴾ أي لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم ﴿ وان يأت الاحزاب ﴾ أي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب ﴿ يودوا لو أنهم بادون في الاعراب ﴾ أي تمنون لو أنهم كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف ﴿ يسئلون عن أنبائكم ﴾ أي عن أخباركم وما آل اليه أمركم ﴿ ولو كانوا فيكم ﴾ يعني هؤلاء المنافقين * ما قاتلوا الا قليلا ﴾ يعني يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمي بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب * قوله عز وجل ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ أي قدوة صالحة أي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته ﴿ لمن كان يرجوا الله ﴾ يعني ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجوا الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله ﴿ واليوم الآخر ﴾ يعني ويخشى

(وكان ذلك) ابطال حسناتهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الاحزاب) يظن عبد الله ابن أبي وأصحابه ان كفار مكة (لم يذهبوا) بعد ماذهبوا من الخوف والجبن ويقال ظنوا ان لا يذهبوا حتى يقتلوا محمدا عليه السلام (وان يأت الاحزاب) كفار مكة (يودوا) تمنى عبد الله بن أبي وأصحابه (لو انهم بادون في الاعراب) (يوم) خارجون من المدينة من خوفهم وجبنهم (يسئلون) في المدينة (عن أنبائكم) عن أخباركم في الخندق (ولو كانوا فيكم) معكم في الخندق (ما قاتلوا الا قليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) سنة حسنة واقتداء صالح بالجلوس معه في الخندق (لمن كان يرجو الله) يرجو كرامة الله وثوابه ويقال يخاف الله (واليوم الآخر) ويخاف عذاب الآخرة

ولايأتون البأس) أي الحرب (الاقليلا) الااتيانا قليلا أي يحضرون ساعة رياء ويقفون قليلا مقدار مايرى شهودهم ينصرفون (أشحة) جمع شحيح وهو البخيل نصب على الحال من الضمير في يأتون أي يأتون الحرب بخلاء (عليكم) ظفر والغنيمة (فاذاجاء الخوف) من قبل العدو أو منه عليه السلام (رأيتهم ينظرون اليك) في تلك الحالة (تدور أعينهم) بنا وشمالا (كالذى يغشى عليه من الموت) كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولو اذا بك (فاذاذهب الخوف) زال ذلك الخوف وأمنوا وجزئت الغنائم (سلقوكم بالسنة حداد) خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام خطيب مسلق فصيح ورجل مسلاق مبالغ في الكلام أي يقولون وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم (أشحة على الخير) اى خاطبوكم أشحة على المال والغنيمة وأشحة حال من فاعل سلقوكم (أولئك لم يؤمنوا) في الحقيقة بل بالالسنة (فاحبط الله أعمالهم) أبطل باضمارهم الكفر ماأظهروه من

﴿ ولايأتون البأس الاقليلا ﴾ الااتيانا اوزمانا اوبأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ماامكن لهم اويخرجون مع المؤمنين ولكن لايقاتلون الاقليلا لقوله وماقاتلوا الاقليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولايأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الاقليلا ﴿ اشحة عليكم ﴾ بخلاء عليكم بالمعاونة اوالنفقة في سبيل الله اوالظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون اوالمعوقين اوعلى الذم ﴿ فاذاجاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم ﴾ في احداقهم ﴿ كالذى يغشى عليه ﴾ كنظر المغشى عليه اوكدوران عينه اومشبهين به اومشبهة بعينه ﴿ من الموت ﴾ من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك ﴿ فاذا ذهب الخوف ﴾ وحيزت الغنائم ﴿ سلقوكم ﴾ ضربوكم ﴿ بالسنة حداد ﴾ ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد اوباللسان ﴿ اشحة على الخير ﴾ نصب على الحال اوالذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه ﴿ اولئك لم يؤمنوا ﴾ اخلاصا ﴿ فاحبط الله اعمالهم ﴾ فاظهر بطلانها اذلم يثبت لهم اعمال فتبطل

المرة لم يستبقوا منكم أحدا وانا نشفق عليكم فانتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا فاقبل عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابى سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحدا ماترجون عن محمد ماعنده خير ماهو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنى اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا ❁ وقوله تعالى ﴿ ولايأتون البأس ﴾ يعنى الحرب ﴿ الاقليلا ﴾ أى رياء وسمعة من غير احتساب ولوكان ذلك القليل لله لكان كثيرا ﴿ أشحة عليكم ﴾ أى بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن ﴿ فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم ﴾ أى في رؤسهم من الخوف والجبن ﴿ كالذى يغشى عليه من الموت ﴾ أى كدوران عين الذى قرب من الموت وغشيه أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلايطرف ﴿ فاذاذهب الخوف ﴾ أى زال ﴿ سلقوكم ﴾ أى آذوكم ورموكم في حالة الامن ﴿ بالسنة حداد ﴾ أى ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند الحرب أجبن قوم ﴿ اشحة على الخير ﴾ أى يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال ﴿ أولئك لم يؤمنوا ﴾ أى لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان أظهروا الايمان لفظا ﴿ فاحبط الله أعمالهم ﴾ أى التى كانوا يأتون بها مع المسلمين قيل هى الجهاد وغيره

(ولايأتون البأس) القتال عبد الله بن أبي وصاحباه (الاقليلا) رياء وسمعة (أشحة عليكم) أشفقة عليكم قالوا ذلك ويقال بخلا بالنفقة عليكم (فاذاجاء الخوف) خوف العدو (رأيتهم) يامحمد المنافقين في الخندق (ينظرون اليك تدور أعينهم) تتقلب أعينهم في الجفون (كالذى يغشى عليه من الموت) كمن هو في غشيان الموت ونزعاته (فاذاذهب الخوف) خوف العدو (سلقوكم) طعنوكم وعابوكم (بالسنة حداد) ذربة سليطة (أشحة على الخير) بخيلة بالنفقة في سبيل الله (أولئك) أهل هذه الصفة (لم يؤمنوا) لم يصدقوا في ايمانهم (فأحبط الله أعمالهم) فابطل الله بسيآتهم حسناتهم

(ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم الى الاحزاب (لا يولون الادبار) منهزمين (وكان عهد الله مسؤلا) مطلوبا مقتضى حتى يوفى به (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا) أي ان كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار وان لم يحضر وفررتم لم تمتعوا في الدنيا الا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل وسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب (قل من ذا الذي يعصمكم من الله) أي مما أراد الله نزوله بكم

في أنفسكم من قتل أو غيره (أو أراد بكم رحمة) أي طالة عمر في عافية وسلامة أو من يمنع الله من ان يرحمكم ان أراد بكم رحمة لما في العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) ناصرا (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي من يعوق عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يمنع وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) في الظاهر من المسلمين (هلم الينا) أي قربوا أنفسكم الينا ودعوا محمدا وهي لغة أهل الحجاز فانهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر وقرب

﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ﴾ يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله ﴿ وكان عهد الله مسؤلا ﴾ عن الوفاء به مجزي عليه ﴿ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل ﴾ فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم ﴿ واذا لا تمتعون الا قليلا ﴾ أي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا ﴿ قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ او أراد بكم رحمة ﴾ اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ﴿ ولا يجدون لهم من دون الله وليا ﴾ ينفعهم ﴿ ولا نصيرا ﴾ يدفع الضر عنهم ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم ﴾ المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون ﴿ والقائلين لاخوانهم ﴾ من ساكني المدينة ﴿ هلم الينا ﴾ قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام

اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا * قوله عز وجل ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل ﴾ أي من قبل غزوة الخندق ﴿ لا يولون الادبار ﴾ أي لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم أحد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها وقيل هم أناس غابوا عن وقعة بدر فلما رأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك ﴿ وكان عهد الله مسئولا ﴾ أي عنه في الآخرة ﴿ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل ﴾ يعني الذي كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل لابد من ذلك ﴿ واذا لا تمتعون ﴾ أي بعد الفرار ﴿ الا قليلا ﴾ أي مدة آجالكم وهي قليل ﴿ قل من ذا الذي يعصمكم ﴾ اي يمنعكم ﴿ من الله ان أراد بكم سوأ ﴾ أي هزيمة ﴿ أو أراد بكم رحمة ﴾ أي نصرا ﴿ ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ اي ناصرا يمنعهم ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم ﴾ أي المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ والقائلين لاخوانهم هلم الينا ﴾ أي ارجعوا الينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم أناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أي ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت اليهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه

(ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) من قبل الخندق يوم الاحزاب (لا يولون الادبار) منهزمين من المشركين (وكان عهد الله) ناقض عهد الله (مسؤلا) يوم القيامة عن نقضه (قل) يا محمد لبني حارثة (لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا (المرة) لا تمتعون) لا تعيشون في الدنيا (الا قليلا) يسيرا (قل) يا محمد لبني حارثة (من ذا الذي يعصمكم) يمنعكم (من الله) من عذاب الله (ان أراد بكم سوأ) عذابا بالقتل (أو أراد بكم رحمة) عافية من القتل (ولا يجدون لهم) لبني حارثة (من دون الله) من عذاب الله (وليا) حافظا يحفظهم من عذاب الله (ولا نصيرا) مانعا يمنعهم من عذاب الله (قد يعلم الله المعوقين)المانعين بالرجوع الى الخندق (منكم) يعني المنافقين (والقائلين لاخوانهم) لاصحابهم المنافقين (هلم الينا) بالمدينة وكان هؤلاء عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير

لامقام لكم) وبضم الميم حفص أى لاقرار لكم ههنا ولامكان تقومون فيه اوتقيمون (فارجعوا)عن الايمان الى الكفر
من عسكر رسول الله الى المدينة(ويستأذن فريق منهم النبى) أى بنو حارثة(يقولون ان بيوتنا عورة)أى ذات عورة
وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا)العورة الخلل والعورة ذات العورة وهى قراءة ابن عباس يقال عور المكان
ورا اذابدا منه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم عرضة
عدو والسارق لانها غير محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لايخافون ذلك وانما يريدون الفرار
ن القتال(ولو دخلت عليهم) المدينة اوبيوتهم من قولك دخلت على فلان داره(من
اقطارها) من جوانبها اى
ولودخلت هذه العساكر
المتحزبة التى يفرون خوفا
منها مدينتهم اوبيوتهم
من نواحيها كلها وانثالت
على اهاليهم واولادهم
ناهبين سابين (ثم سئلوا)
عندذلك الفزع (الفتنة)
اى الردة والرجعة الى الكفر
ومقاتلة المسلمين (لآتوها)
لاعطوها لاتوها بالامد
حجازى اى لجاؤها وفعلوها
(وما تلبثوابها) باجابتها
(الايسيرا) ريثما يكون
السؤال والجواب من غير
توقف او مالبثوا بالمدينة
بعدارتدادهم الايسيرا فان الله
يهلكهم والمعنى انهم يتعللون
باعورار بيوتهم ليفروا عن
نصرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين وعن
مصافة الاحزاب الذين
ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب (قا و خا ١٣ مس) كماهم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم
الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشئ وما ذلك الالمقتهم الاسلام وحبهم الكفر

اهل المدينة وقيل هواسم ارض وقعت المدينة فى ناحية منها ﴿ لامقام لكم ﴾ لاموضع
قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان اومصدر من اقام ﴿ فارجعوا ﴾ الى منازلكم
هاربين وقيل المعنى لامقام لكم على دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى الشرك اواسلموه
لتسلموا اولامقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ﴿ ويستأذن فريق منهم النبى ﴾
للرجوع ﴿ يقولون ان بيوتنا عورة ﴾ غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف
العورة من عورة الدار اذا اختلت وقد قرئ بها ﴿ وماهى بعورة ﴾ بل هى حصينة ﴿ ان
يريدون الافرارا ﴾ ومايريدون بذلك الا الفرار من القتال ﴿ ولو دخلت عليهم ﴾
دخلت المدينة اوبيوتهم ﴿ من اقطارها ﴾ من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول
هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه
﴿ ثم سئلوا الفتنة ﴾ الردة ومقاتلة المسلمين ﴿ لآتوها ﴾ لاعطوها وقرأ الحجازيان
بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها ﴿ وماتلبثوابها ﴾ بالفتنة او باعطائها ﴿ الايسيرا ﴾ ريثما
يكون السؤال والجواب وقيل ومالبثوا بالمدينة بعدالارتداد الايسيرا

﴿ لامقام لكم ﴾ أى لامكان لكم تنزلون وتقيمون فيه ﴿ فارجعوا ﴾ أى الى منازلكم
وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال ﴿ ويستأذن فريق منهم
النبى ﴾ يعنى بنى حارثة وبنى سلمة ﴿ يقولون ان بيوتنا عورة ﴾ أى خالية ضائعة وهى
ممايلى العدو ويخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله ﴿ وماهى بعورة ان يريدون
الافرارا ﴾ أى انهم لايخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال ﴿ ولودخلت عليهم
من أقطارها ﴾ يعنى لودخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من
نواحى المدينة وجوانبها ﴿ ثم سئلوا الفتنة ﴾ أى الشرك ﴿ لآتوها ﴾ أى لجاؤها
وفعلوها ورجعوا عن الاسلام ﴿ وماتلبثوابها ﴾ أى مااحتبسوا عن الفتنة ﴿ الايسيرا ﴾
أى لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وماأقاموا بالمدينة بعد

(لامقام لكم) لامكان لكم فى الخندق عند القتال (فارجعوا) الى المدينة (ويستأذن فريق منهم)من المنافقين بنى حارثة (النبى)
صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى المدينة (يقولون) ائذن لنا يانبى الله بالرجوع الى المدينة (ان بيوتنا عورة)خالية من الرجال
نخاف عليها سرق السراق (وماهى بعورة)بخالية (ان يريدون) مايريدون بذلك (الافرارا) من القتل (ولودخلت عليهم)
على المنافقين بالمدينة (من أقطارها)من نواحيها (ثم سئلوا الفتنة) دعوا الى الشرك (لآتوها)لاجابوها سريعا (وماتلبثوابها)
ومامكثوا باجابتها ويقال بالمدينة بعداجابتهم (الايسيرا)قليلا

(وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون فظن الاولون بالله انهم يبتليهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم قرأ ابو عمرو وحمزة الظنون بغير الف فى الوصل والوقف وهو القياس وبالالف فيهما مدنى وشامى وابو بكر اجراء للوصل مجرى الوقف وبالالف فى الوقف مكى وعلى وحفص ومثله الرسولا والسبيلا زادوها فى الفاصلة كما زادها فى القافية من قال • أقلى اللوم عاذل والعتابا • وهن

(هنالك ابتلى المؤمنون) امتحنوا بالصبر على الايمان (وزلزلوا زلزالا شديدا) وحركوا بالخوف تحريكا بليغا (واذ يقول المنافقون) عطف على الاول (والذين فى قلوبهم مرض) قيل هو وصف المنافقين بالواو كقوله • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة فى المزدحم • وقيل هم قوم لا بصيرة لهم فى الدين كان المنافقون يستميلونهم بادخال الشبه عليهم (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) وروى ان معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) من المنافقين وهم عبدالله ابن أبى وأصحابه (يا أهل يثرب) هم أهل المدينة

تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس ﴿ هنالك ابتلى المؤمنون ﴾ اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل ﴿ وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾ من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح ﴿ واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ﴾ ضعف اعتقاد ﴿ ما وعدنا الله ورسوله ﴾ من الظفر واعلاء الدين ﴿ الا غرورا ﴾ وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد بفتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور ﴿ واذ قالت طائفة منهم ﴾ يعنى اوس بن قيظى واتباعه ﴿ يا اهل يثرب ﴾

حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته واذا انتفخت رئته رفعت القلب الى الحنجرة فلهذا يقال للجبان انتفخ سحره ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ أى اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم ﴿ هنالك ابتلى المؤمنون ﴾ أى عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين ﴿ وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾ أى حركوا حركة شديدة ﴿ واذ يقول المنافقون ﴾ يعنى معتب بن قشير وقيل عبدالله بن أبى وأصحابه ﴿ والذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى شك وضعف اعتقاد ﴿ ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ﴾ هو قول أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشأم وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجوز رحله هذا هو الغرور ✻ قوله تعالى ﴿ واذ قالت طائفة منهم ﴾ أى من المنافقين وهم أوس بن قيظى وأصحابه ﴿ يا أهل يثرب ﴾ يعنى يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها فى قديم الزمان وفى بعض الاخبار ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هى طيبة كانه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ

(وتظنون بالله الظنونا) وظننتم بالله يا معشر المنافقين أن الله لا ينصر نبيه (هنالك)عند ذلك الخوف (ابتلى المؤمنون) اختبر المؤمنون (لا) بالبلاء (وزلزلوا زلزالا شديدا) أجهدوا جهدا شديدا وحركوا تحريكا شديدا (واذ يقول المنافقون) عبدالله بن أبى ابن سلول وأصحابه (والذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق معتب بن قشير وأصحابه (ما وعدنا الله ورسوله) من فتح المدائن ومحق الكفار (الا غرورا) باطلا (واذ قالت طائفة منهم) من بنى حارثة بن الحرث لاصحابهم فى الخندق (يا أهل يثرب) يعنون يا أهل المدينة

﴿ اذجاؤكم ﴾ بدل من اذجاءتكم ﴿ من فوقكم ﴾ من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ﴿ ومن اسفل منكم ﴾ من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش ﴿ واذزاغت الابصار ﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ رعبا فان الرئة

القوم وماقام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فماقام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياحذيفة ولم يكن لي بد من القيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يارسول الله وقمت حتى أتيته فأخذ بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولاتحدثن شيأ حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت على اسلابي ثم انطلقت أمشي نحوهم كانما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لاتقر لهم قدرا ولانارا ولابناء قال وابو سفيان قاعد يصطلي فأخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فاردت ان أرميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما رأى أبو سفيان ماتفعل الريح وجنود الله بهم لاتقر لهم قدرا ولانارا ولابناء قام فقال يامعشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت فقال سبحان الله أماتعرفني أنا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يامعشر قريش انكم والله ماأصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بمافعل قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أمشي في حمام فأتيته وهو قائم يصلي فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء فأدفاني النبي صلى الله عليه وسلم فانامني عند رجليه وألقى علي طرف ثوبه وألصق صدري ببطن قدميه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يانومان فذلك قوله عز وجل ﴿ اذجاؤكم من فوقكم ﴾ أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود قريظة ﴿ ومن أسفل منكم ﴾ يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وأبو الاعور عمرو ابن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم ﴿ واذزاغت الابصار ﴾ أي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شئ فلم تنظر الى عدوها ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ أي زالت عن أماكنها

(اذجاؤكم) بدل من اذجاءتكم (من فوقكم) أي من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش (واذزاغت الابصار) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة أو عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع (وبلغت القلوب الحناجر) الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وقيل هو مثل في اضطراب القلوب وان لم تبلغ الحناجر حقيقة روى ان المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا

(اذ جاؤكم) كفار مكة (من فوقكم) من فوق الوادي طلحة بن خويلد الاسدي وأصحابه (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي أبو الاعور السلمي وأصحابه وأبو سفيان وأصحابه (واذ زاغت الابصار) مالت أبصار المنافقين في الخندق عن موضعها (وبلغت القلوب) قلوب المنافقين (الحناجر) انتفخت عند الحناجر من الخوف الرئة

هذا الرجل والرجل ببلدكم لاطاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد أشرت برأي ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا فقد بلغني أمر رأيت حقا على ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على مافعلنا فهل يرضيك عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فأرسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان أنتم أهلي وعشيرتي وأحب الناس الي ولا أراكم تتهمونني قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا نفعل فقال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو لانعمل فيه شيأ وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم مالم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله لاندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق مايريد القوم الا أن يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مااختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر مافعل القوم ليلا وروى محمد بن اسحق عن يزيد ابن زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن ابراهيم التيمي عن أبيه قالا قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان ياأباعبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ماتركناه يمشي على الارض ولحملناه على أعناقنا وخدمناه وفعلنا معه مافعلنا فقال حذيفة ياابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت

﴿ القوم ﴾

ونوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يامعشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحاجة لنا في جسده وثمنه فشأنكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت ام سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول * لابأس بالموت اذا حان الاجل * فقالت له الحق يابني فقد والله اخترت قالت عائشة فقلت ياام سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمى سعد يومئذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه خباب بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وانا ابن العرقة قال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فابقني لها فانه لاقوم أحب الي ان أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قال محمد بن اسحق فيما بلغه ان صفية بنت عبدالمطلب كانت في قارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا مع النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم لايستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا آت قالت فقلت ياحسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يابنت عبدالمطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت ياحسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل قال مالي بسلبه حاجة يابنت عبدالمطلب قالوا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر ابن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فأمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال لهم يابني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لاتقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره ان رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين

كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير اخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال اوس بن قيظي أحد بني حارثة يارسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن عوف وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقالا يارسول الله أشيء أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيء تحبه فتصنعه ام شيء تصنعه لنا قال بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك الا اني قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون ان يأكلوا منا تمرة واحدة الا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام وعزنا بك نعطيهم أموالنا مالنا بهذا من حاجة والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش عمرو بن عبدود أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم فمروا على بني كنانة فقالوا تهيؤا للحرب يابني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا وضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبدود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال علي ياعمرو انك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا أخذت منه احداهما قال أجل قال له علي فاني أدعوك الى الله ورسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال اني أدعوك الى النزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب اني أقتلك فقال علي لكني والله أحب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فتناولا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة

ويرفع بها صوته وفي رواية قد وارى التراب بياض ابطيه رجعنا الى حديث بن اسحق قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نعمى الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا الى الآطام وخرج عدو الله حيي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وكان قد واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن أخطب اغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فابى أن يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح لنا فقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤم انى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا فقال ويحك افتح اكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله ان أغلقت دوني الا تخوفا ان آكل معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نعمى الى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني ان لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هرق ماؤه ويرعد ويبرق ليس فيه شئ دعني ومحمدا وما أنا عليه فاني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بن أخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على ان أعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أحد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة أحد بني ساعدة وهو يومئذ سيد بني الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحرث ابن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا عن هؤلاء القوم أحق أم لا فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد ابن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة احذر عضل القارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون

علينا فقلنا ياسلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فاما أن يعدل عنها فان المعدل قريب واما أن يأمرنا فيها بأمره فانا لانحب أن نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يارسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى مايحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فانا لانحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شق الخندق وأخذ عليه السلام المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها يعنى المدينة حتى كأنه مصباح فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى أضاء مابين لابتيها حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه وأخذ بيد سلمان ورقى فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد رأيت شيأ مارأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال أرأيتم مايقول سلمان قالوا نعم يارسول الله قال ضربت ضربتى الاولى فبرق البرق الذى رأيتم فأضاء لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل ان أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتى الثانية فبرق البرق الذى رأيتم أضاء لى منها قصور قيصر من أرض الروم كانها أنياب الكلاب فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذى رأيتم أضاء لى منها قصور صنعاء كانها أنياب الكلاب فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لاتستطيعون أن تبرزوا قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا وأنزل الله قل اللهم مالك الملك الآية (ق) عن أنس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال

اللهم ان العيش عيش الآخره ٭ فاغفر للانصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا ٭ على الجهاد ما حيينا أبدا

عن البراء بن عازب قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا ٭ ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا ٭ وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا ٭ اذا أرادوا فتنة أبينا

(ويرفع)

وسفت التراب فى وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأ كم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال ﴿ وكان الله بما تعملون ﴾ من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة ﴿ بصيرا ﴾ رائيا

وماجت الخيل بعضها فى بعض وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يابنى فلان النجاء النجاء هلموا الى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب ﴿ وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾

﴿ ذكر غزوة الخندق وهى الاحزاب ﴾

قال البخارى قال موسى بن عقبة كانت فى شوال سنة أربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم فى بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام ابن أبى الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وهو ابن قيس وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يامعشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ماقالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان وقيسا وعيلان فاجتمعوا على ذلك وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان ابن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحرث ابن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذى أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسى وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار فى سلمان الفارسى وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الانصار فى أربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا تحت اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت

خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنسوان فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وكانت قريش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لاحرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (وكان الله بما تعملون) أى بعملكم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبى صلى الله عليه وسلم (بصيرا) وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الكفار من البغى والسعى فى اطفاء نور الله

(وكان الله بما تعملون) من الخندق وغيره (بصيرا

وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وثيقا وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف اليه وانما فعلنا ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أى الانبياء (عن صدقهم) عما قالوه لقومهم أو ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا فى قوله أو ليسأل الانبياء ما الذى أجابتهم أممهم وهو كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (وأعد للكافرين) بالرسل (عذابا أليما) وهو عطف على أخذنا لان المعنى ان الله أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على مادل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) أى ما أنعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد حرب أحد بسنة (اذ جاءتكم جنود) أى الاحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير (فأرسلنا عليهم ريحا) أى الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فأخصرتهم وأسفت التراب فى وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان ثم

ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له ﴿واخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ اى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم ﴿واعد للكافرين عذابا اليما﴾ عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على مادل عليه ليسأل كأنه قال فأثاب المؤمنين واعد للكافرين ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود﴾ يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنا عشر الفا ﴿فارسلنا عليهم ريحا﴾ ريح الصبا ﴿وجنودا لم تروها﴾ الملائكة روى انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاخصرتهم

مثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ أى عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالة ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ يعنى أخذ ميثاقهم لكى يسأل الصادقين يعنى النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة فى سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت من أرسلوا اليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم فى قلوبهم ﴿وأعد للكافرين عذابا أليما﴾ قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ وذلك حين حوصر المسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق ﴿اذ جاءتكم جنود﴾ يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير ﴿فارسلنا عليهم ريحا﴾ يعنى الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقى ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الريح التى أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقيل الصبا ريح فيها روح ماهبت على محزون الا ذهب حزنه قوله تعالى ﴿وجنودا لم تروها﴾ يعنى الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور

من عيسى ابن مريم (أخذنا منهم ميثاقا غليظا) وثيقا أن يبلغ الرسالة الاول الآخرون يصدق الآخر الاول وان يأمروا (وماجت) قومهم أن يؤمنوا به (ليسأل الصادقين عن صدقهم) المبلغين عن تبليغهم والوافين عن وفائهم والمؤمنين عن ايمانهم (وأعد للكافرين) بالكتب والرسل (عذابا أليما) وجيعا فى النار يخلص وجعه الى قلوبهم (يا أيها الذين امنوا اذكروا نعمة الله) احفظوا نعمة الله منة الله (عليكم) بدفع العدو عنكم بالريح ريح الصبا والملائكة (اذ جاءتكم جنود) جموع الكفار (فارسلنا) فسلطنا (عليهم ريحا) ريح الصبا (وجنودا) صفا من الملائكة (لم تروها) يعنى الملائكة

(فى كتاب الله) فى حكمه وقضائه أو فى اللوح المحفوظ او فيما فرض الله (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لاولى الارحام أى الاقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بان يرث بعضا من الاجانب وان يكون لابتداء الغاية أى أولو الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين أى الانصار بحق الولاية فى الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الا ان تفعلوا الى أوليائكم معروفا) الاستثناء من خلاف الجنس أى لكن فعلكم الى أوليائكم معروفا جائز وهو أن توصوا لمن أحببتم من هؤلاء بشئ فيكون ذلك بالوصية لا بالميراث وعدى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) أى التوارث بالارحام كان مسطورا فى اللوح (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) واذكر حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك) خصوصا وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لان هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لانهم أولوا العزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم

﴿ فى كتاب الله ﴾ فى اللوح او فيما انزل وهو هذه الآية أو آية المواريث او فيما فرض الله تعالى ﴿ من المؤمنين والمهاجرين ﴾ بيان لاولى الارحام او صلة لاولى اى اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة ﴿ الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا ﴾ استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع ﴿ كان ذلك فى الكتاب مسطورا ﴾ كان ما ذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح او القرآن وقيل فى التوراة ﴿ واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ﴾ مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ﴿ ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ خصهم بالذكر لانهم مشاهير

قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يؤاخى بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت و أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل فى معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر ﴿ فى كتاب الله ﴾ أى فى حكم الله ﴿ من المؤمنين ﴾ الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ﴿ والمهاجرين ﴾ يعنى ان ذوى القرابات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة ﴿ الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا ﴾ يعنى الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخاء والهجرة أباح ان يوصى لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله وقيل أراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا أن توصوا الى قرابتكم بشئ وان كانوا من غير أهل الايمان والهجرة ﴿ كان ذلك ﴾ أى الذى ذكر من أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض ﴿ فى الكتاب ﴾ أى فى اللوح المحفوظ وقيل فى التوراة ﴿ مسطورا ﴾ أى مكتوبا مثبتا * قوله تعالى ﴿ واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ﴾ أى على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحوا القومهم ﴿ ومنك ﴾ يعنى يا محمد ﴿ ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل وقدم النبى صلى الله عليه وسلم فى الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما روى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث قال قتادة وذلك قول الله واذ أخذنا من النبيين

(فى كتاب الله) هكذا مكتوب فى اللوح المحفوظ ويقال فى التوراة ويقال فى القرآن (من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم) فى الدين أو أصدقائكم (معروفا) وصية من الثلث (كان ذلك) الميراث للقرابة والوصية للاولياء (فى الكتاب مسطورا) فى اللوح المحفوظ مكتوبا ويقال فى التوراة مكتوبا يعمل به بنو اسرائيل (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) اقرارهم على عهودهم أن يبلغ بعضهم بعضا (ومنك) أوله أخذنا منك ان تبلغ قومك خبر الرسل والكتب قبلك وتأمرهم أن يؤمنوا به (ومن نوح) وأخذنا من نوح (وابراهيم) وأخذنا من ابراهيم (وموسى) وأخذنا من موسى (وعيسى ابن مريم) وأخذنا

النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وعتق ان كان عبدا (وكان الله غفورا رحيما) لا يؤاخذكم بالخطأ ويقبل التوبة من المتعمد (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي احق بهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم

من حكمها فعليهم ان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه وهو اولى بهم أي أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤف رحيم وفي قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي أبو أمته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين (وأزواجه أمهاتهم) في تحريم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالارث ونحوه كالاجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم الى بناتهن (وأولوا الارحام) وذوا القرابات (بعضهم أولى ببعض) في التوارث وكان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة

(وكان الله غفورا) فيما مضى (رحيما) فيما يكون نزلت هذه الآية في شأن زيد بن حارثة وكان قد تبناه النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون زيد بن محمد فنهاهم الله عن ذلك ودلهم الى الصواب فقال (النبي أولى بالمؤمنين) أحق بحفظ أولاد المؤمنين (من أنفسهم) (قيل) من بعد موتهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم من مات وترك كلا فالي أو دينا فعلي أو مالا فلورثته (وأزواجه) أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (أمهاتهم) كامهاتهم في الحرمة (وأولوا الارحام) ذوو القرابة في النسب (بعضهم أولى) أحق (ببعض) بالميراث

﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ لعفوه عن المخطئ وعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به ﴿ النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ﴾ في الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عليه الصلاة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة ﴿ وازواجه امهاتهم ﴾ منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء ﴿ واولوا الارحام ﴾ وذوو القرابات ﴿ بعضهم اولى ببعض ﴾ في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين

(وكان الله غفورا رحيما) (ق) عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم انه غير أبيه فالجنة عليه حرام * قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته وقال ابن عباس اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم أنفسهم الى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة أنفسهم وهذا صحيح لان أنفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا فنزلت الآية (ق) عن أبي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فايما مؤمن ترك مالا فلترثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا أو ضياعا فليأتني فانا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر وقوله أو ضياعا أي عيالا وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد كان جمع ضائع * وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) يعني أمهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأبيد لا في النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لاخوانهن واخواتهن هن أخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير اسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين وقيل ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن أمهات الرجال دون النساء بدليل ما روي عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة يا أمه فقالت لست لك بأم انما أنا أم رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) يعني في الميراث

(ذلكم قولكم بأفواهكم) أى ان قولكم للزوجة هى أم وللدعى هو ابن قول تقولونه بالسنتكم لا حقيقة له اذ الابن يكون بالولادة وكذا الام (والله يقول الحق)أى ماهو حق ظاهره وباطنه (وهو يهدى السبيل)أى سبيل الحق ثم قال ماهو الحق وهدى الى ماهو سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لآبائهم هو أقسط)أعدل (عندالله) وبين ان دعاءهم بآبائهم هو ادخل الامرين فى القسط والعدل وقيل كان الرجل فى الجاهلية اذا أعجبه ولد الرجل ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان ثم انظر الى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينها ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطلبية (فان لم تعلموا آباءهم) فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم (فاخوانكم فى الدين ﴿٨٥﴾ ومواليكم)أى فهم اخوانكم {سورة الاحزاب} فى الدين واولياؤكم فى الدين فقولوا هذا أخى وهذا مولاى ويا أخى ويا مولاى يريد الاخوة فى لدين والولاية فيه (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهى (ولكن ماتعمدت قلوبكم)ولكن الاثم عليكم فيما تعمدتموه بعد النهى أولا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يابنى على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين وما فى موضع الجر عطف على ما الاولى ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التبنى وعمده واذا وجد التبنى فان كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا منه ثبت نسبه وعتق ان كان عبدا له وان كان أكبر سنا منه لم يثبت النسب وعتق عند أبى حنيفة رضى الله عنه وأما المعروف

الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى كل ماذكر اوالى الاخير ﴿ قولكم بافواهكم ﴾ لا حقيقة له فى الاعيان كقوله الهاذى ﴿ والله يقول الحق ﴾ ماله حقيقة عينية مطابقة له ﴿ وهو يهدى السبيل ﴾ سبيل الحق ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله ﴿ هو اقسط عندالله ﴾ تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ فى الصدق ﴿ فان لم تعلموا آباءهم ﴾ فتنسبوهم اليهم ﴿ فاخوانكم فى الدين ﴾ فهم اخوانكم فى الدين ﴿ ومواليكم ﴾ واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التأويل ﴿ وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ﴾ ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى اوبعده على النسيان اوسبق اللسان ﴿ ولكن ماتعمدت قلوبكم ﴾ ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن فيما تعمدت فيه الجناح

هذه الآية ونسخ بها التبنى ﴿ ذلكم قولكم بافواهكم ﴾ أى لا حقيقة له يعنى قولهم زيد ابن محمد وادعاء النسب لا حقيقة له ﴿ والله يقول الحق ﴾ أى قوله الحق ﴿ وهو يهدى السبيل) أى يرشد الى سبيل الحق ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ أى الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة ﴿ هو أقسط عندالله ﴾ أى أعدل عندالله (ق) عن ابن عمر قال ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله الآية ﴿ فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ﴾ أى فهم اخوانكم ﴿ ومواليكم ﴾ أى كانوا محررين وليسوا بنيكم أى فسموهم باسماء اخوانكم فى الدين وقيل معنى مواليكم أولياؤكم فى الدين ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ﴾ أى قبل النهى فنسبتموه الى غير أبيه ﴿ ولكن ماتعمدت قلوبكم ﴾ أى من دعائهم الى غير آبائهم بعد النهى وقيل فيما أخطأتم به ان تدعوه الى غير أبيه وهو يظن انه كذلك

(ذلكم قولكم بافواهكم) بالسنتكم فيما بينكم (والله يقول الحق) يبين الحق (وهو يهدى السبيل) يدل الى الصواب (ادعوهم لآبائهم)انسبوهم الى آبائهم(هو أقسط) هو أفضل وأصوب وأعدل (عندالله) فى النسبة (فان لم تعلموا آباءهم) نسبة آباءهم (فاخوانكم فى الدين)فادعوهم باسم اخوانكم فى الدين عبدالله وعبدالرحمن وعبدالرحيم وعبدالرزاق (ومواليكم) وباسم مواليكم (وليس عليكم جناح)مأثم (فيما أخطأتم به)من النسبة (ولكن ماتعمدت)بما عقدت به (قلوبكم) بالقربة ان تنسبوهم الى غير آبائهم يؤاخذكم الله بذلك

وماجعل أدعياءكم أبناءكم) أي ماجمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى انه تعالى كما لم يجعل لانسان قلبين لانه لا يخلو اما أن يفعل بالآخر فعلا من أفعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليه واما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذاك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم يحكم أيضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون أصيلا وغير أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فانزل الله هذه الآية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم وقلب مع أصحابه وقيل كان أبو معمر أحفظ العرب فقيل له ذو القلبين فاكذب الله قولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين وذكر الجوف للتأكيد اللائي بياء بعد الهمزة حيث كان كوفي وشامي اللاء نافع ويعقوب وسهل وهي جمع التي تظاهرون عاصم من ظاهر اذا قال لامرأته أنت علي كظهر أمي تظاهرون علي وحمزة وخلف تظاهرون شامي من اظاهر بمعنى تظاهر غيرهم تظهرون من أظهر بمعنى ظهر وعدي بمن لتضمنه معنى البعد لانه كان طلاقا في الجاهلية ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدي بمن والا فآلى في أصله الذي هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه والدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا وجمع على أفعلاء شاذا لان بابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي للتشبيه اللفظي

وماجعل ادعياءكم ابناءكم ﴾ وماجمع الزوجية والامومة في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر وجميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي الذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو والبزي اللاي بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي على

وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله في سورة المجادلة ﴿ قوله تعالى ﴿ وماجعل أدعياءكم ﴾ يعني الذين تبنونهم ﴿ أبناءكم ﴾ وفيه نسخ التبني وذلك ان الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة ابن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله

(وماجعل أدعياءكم) الذين تبنيتم في العون والنصرة (أبناءكم) كابنائكم من النسب

﴿ ان الله كان عليما ﴾ بالمصالح والمفاسد ﴿ حكيما ﴾ لايحكم الا بما تقتضيه الحكمة ﴿ واتبع مايوحى اليك من ربك ﴾ كالنهى عن طاعتهم ﴿ ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ فموح اليك مايصلحه ومغن عن الاستماع الى الكفرة وقرأ أبو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اى ان الله خبير بمكائدهم فيدفعها عنك ﴿ وتوكل على الله ﴾ وكل امرك الى تدبيره ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ موكولا اليه الامور كلها ﴿ ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ﴾ اى ماجمع قلبين فى جوف لان القلب معدن الروح الحيوانى المتعلق للنفس الانسانى اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد ﴿ وماجعل ازواجكم اللائى تظهرون منهن امهاتكم

﴿ ان الله كان عليما ﴾ أى بخلقه قبل أن يخلقهم ﴿ حكيما ﴾ أى فيما دبره لهم ﴿ واتبع مايوحى اليك من ربك ﴾ أى من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين ﴿ ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله ﴾ أى ثق بالله وكل أمرك اليه ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ أى حافظا لك وقيل كفيلا برزقك * قوله تعالى ﴿ ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ﴾ نزلت فى أبى معمر حميد بن معمر الفهرى وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقال قريش ماحفظ أبو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لى قلبين اعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه فى يده والاخرى فى رجله فقال له ياأبا معمر ماحال الناس فقال انهزموا فقال له فما بال احدى نعليك فى يدك والاخرى فى رجلك فقال أبو معمر ماشعرت الا انهما فى رجلى فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده وعن أبى ظبيان قال قلنا لابن عباس أرأيت قول الله ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ماعنى بذلك قال قام نبى الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التى تحصل للانسان فى صلاته وقيل فى معنى الآية انه لما قال الله تعالى ياأيها النبى اتق الله فكان ذلك أمرا بالتقوى فكانه قال ومن حقها أن لايكون فى قلبك تقوى غير الله فان المرأ ليس له قلبان حتى يتقى الله باحدهما وبالآخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للمظاهر من أمرأته وللمتبنى ولد غيره فكما لايكون لرجل قلبان لانه لايخلو اما ان يفعل باحدهما مايفعل بالآخر من أفعال القلوب فالآخر فضلة غير محتاج اليه واما أن يفعل بهذا مالا يفعل بذاك فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكا فى حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان فكذلك لاتكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين * قوله تعالى ﴿ وماجعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم ﴾ وصورة الظهار ان يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى يقول الله وماجعل نساءكم التى تقولون لهن هذا فى التحريم كأمهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة

من ربك) فى الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله) الذى يوحى اليك (كان بما تعملون خبيرا) اى لم يزل عالما باعمالهم وأعمالكم قيل انما جمع لان المراد بقوله اتبع هو وأصحابه وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) أسند أمرك اليه وكله الى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) حافظا موكولا اليه كل أمر وقال الزجاج لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلا (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وماجعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم

(ان الله كان عليما) بمقالتهم وارادتهم قتالك (حكيما) حكم الوفاء بالعهد ونهاكم عن نقض العهد (واتبع) يامحمد (مايوحى اليك من ربك) اعمل بما تؤمر بالقرآن (ان الله كان بما تعملون) من وفاء العهد ونقضه (خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) كفيلا بما وعدك من النصرة والدولة ويقال حفيظا منهم (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه)

فى صدره نزلت فى أبى معمر جميل بن أسد كان يقال له ذو قلبين من حفظ حديثه (وماجعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن) باليمين (أمهاتكم) كامهاتكم فى الحرام نزلت فى أوس بن الصامت أخى عبادة بن الصامت وامرأته خولة

﴿ سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قال أبى بن كعب رضى الله عنه لابى بلزركم تعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين قال فوالذى يحلف به أبى ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبى ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت فى صحيفة

فى بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض (يا أيها النبى) وبالهمز نافع أى يا أيها المخبر عنا المأمون على أسرارنا المبلغ خطابنا الى أحبابنا وانما لم يقل يا محمد كما قال يا آدم يا موسى تشريفا له وتنويها بفضله وتصريحه باسمه فى قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بانه رسول الله (اتق الله) أثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لا يدرك مداه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ولا تساعدهم على شئ واحترس منهم فانهم أعداء الله والمؤمنين وروى ان أبا سفيان وعكرمة ابن أبى جهل وأبا الاعور السلمى قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبد الله ابن أبى وأعطاهم النبى الامان على أن يكلموه فقالوا ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تنفع وتشفع ووازرهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا { ان الله }

كأنما احيى ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة ايام

﴿ سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا ايها النبى اتق الله ﴾ ناداه بالنبى وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ فيما يعود بوهن فى الدين روى ان ابا سفيان وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وندعك وربك فنزلت

وتبارك الذى بيده الملك أخرجه الترمذى وقال طاوس تفضلان عن كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الاحزاب وهى مدنية وثلاث وسبعون ﴾
﴿ آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف ﴾
﴿ وسبعمائة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله تعالى ﴿ يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ نزلت فى أبى سفيان ابن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبى الاعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الامان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لى فى قتلهم فقال انى أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى يا أيها النبى اتق الله أى دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذى بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعنى من أهل مكة يعنى أبا سفيان وعكرمة وأبا الاعور والمنافقين يعنى من أهل المدينة عبد الله بن أبى وعبد الله بن سعد وطعمة

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الاحزاب وهى كلها مدنية آياتها ثلاثة وتسعون وكلماتها ألف ومائتان واثنان وثمانون وحروفها خمسة آلاف وسبعمائة ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها النبى اتق الله) يقول اخش الله فى نقض العهد قبل أجله (ولا تطع الكافرين) من أهل مكة أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبا الاعور الاسلمى (والمنافقين) من أهل المدينة عبد الله بن أبى ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس فيما يأمرونك من المعصية

وأنفسهم) من حبه (أفلا يبصرون) بأعينهم فيستدلوا به على قدرته على احياء الموتى (ويقولون متى هذا الفتح) النصر او الفصل
لحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا و بينهم فاذا سمع المشركون ذلك قالوا
ى هذا الفتح أى فى أى وقت يكون (ان كنتم صادقين) فى أنه كائن (قل يوم الفتح) أى يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين
أعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة (لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون) وهذا الكلام لم ينطبق
جوابا على سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء
جيبوا على حسب ماعرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل انهم لاتستعجلوا به ولاتستهزؤا

كالتبن والورق ﴾ وانفسهم ﴿ كالحب والثمر ﴾ أفلا يبصرون ﴿ فيستدلون به على
كمال قدرته وفضله ﴾ ويقولون متى هذا الفتح ﴿ النصر او الفصل بالحكومة من قوله
ربنا افتح بيننا ﴾ ان كنتم صادقين ﴿ فى الوعد به ﴾ قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا
ايمانهم ولاهم ينظرون ﴿ وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل
بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لاينفعهم ايمانهم
حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ماعرف من
اغراضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال ﴾ فاعرض
عنهم ﴿ ولاتبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ آية السيف ﴾ وانتظر ﴿ النصرة عليهم ﴾ انهم
منتظرون ﴿ الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة
ينتظرونه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك اعطى من الاجر

فكانى بكم وقد حصلتم فى ذلك
اليوم وآمنتم فلا ينفعكم
الايمان أو استنظرتم فى ادراك
العذاب فلم تنظروا ومن
فسره بيوم الفتح أو بيوم
بدر فهو يريد المقتولين منهم
فانهم لاينفعهم ايمانهم فى حال
القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند
الغرق (فأعرض عنهم وانتظر)
النصرة وهلاكهم (انهم
منتظرون) الغلبة عليكم
وهلاككم وكان عليه السلام
لاينام حتى يقرأ الم تنزيل
السجدة وتبارك الذى بيده
الملك وقال من قرأ ألم تنزيل
فى بيته لم يدخله الشيطان
ثلاثة أيام وعن ابن مسعود
رضى الله عنه قال سورة
الم تنزيل هى المانعة تمنع من
عذاب القبر والله أعلم

العشب والتبن ﴾ وأنفسهم ﴿ أى من الحبوب والاقوات ﴾ أفلا يبصرون ﴿ أى فيعتبروا
﴿ قوله تعالى ﴾ ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ﴿ قيل أراد بيوم الفتح يوم
القيامة الذى فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء
متى هذا الفتح أى القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان أصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون
متى هذا الفتح ﴾ قل يوم الفتح ﴿ يعنى يوم القيامة ﴾ لاينفع الذين كفروا ايمانهم ﴿ أى
لايقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لاينفع
الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا ﴾ ولاهم ينظرون ﴿ أى يمهلون ليتوبوا
او يعتذروا ﴾ فاعرض عنهم ﴿ قال ابن عباس نسختها آية السيف ﴾ وانتظر ﴿ أى
موعدى لك بالنصر عليهم ﴾ انهم منتظرون ﴿ أى بك حوادث الزمان وقيل معناه
انتظر عذابنا اياهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على
الانسان عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لاينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب

وانفسهم) من الحبوب والثمار
والبقول (أفلا يبصرون)
أفلا يعلمون أنه من الله
(ويقولون) يعنى بنى
خزعة وبنى كنانة (متى هذا الفتح) (قا و خا ١١ مس) فتح مكة (ان كنتم صادقين) ن يفتح لكم يسخرون بذلك
على المؤمنين (قل) يا محمد لبنى خزعة وكنانة (يوم الفتح) فتح مكة (لاينفع الذين كفروا) بنى خزعة (ايمانهم) من القتل
(ولاهم ينظرون) يؤجلون من القتل (فأعرض عنهم) عن بنى خزعة ولاتشتغل بهم (وانظر) هلاكهم يوم فتح مكة (انهم
منتظرون) هلاكك فاهلكهم الله يوم فتح مكة

﴿ وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى اقومه هدى (وجعلنا منهم أئمة) بهمزتين كوفى وشامى (يهدون) بذلك الناس ويدعونهم الى مافى التوراة من دين الله وشرائعه (بامرنا) اياهم بذلك (لماصبروا) حين صبروا على الحق بطاعة الله أو عن المعاصى لماصبروا حمزة وعلى أى لصبرهم عن الدنيا وفيه دليل على أن الصبر ثمرته امامة الناس (وكانوا بآياتنا) التوراة (يوقنون) يعلمون علما لايخالجه شك (ان ربك هو يفصل) تقضى (بينهم يوم القيمة) بين الانبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين (فيما كانوا فيه يختلفون) فيظهر الحق من المبطل (أولم) الواو للعطف على معطوف عليه منوى من جنس المعطوف أى أولم يدع (يهد) يبين والفاعل الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب نهد (لهم) لاهل مكة (كم) لايجوز أن يكون كم فاعل يهدى لان كم للاستفهام فلا يعمل فيه ماقبله ومحله نصب بقوله (أهلكنا من قبلهم من القرون) كعاد وثمود وقوم لوط (يمشون فى مساكنهم) أى أهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم (ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) المواعظ فيتعظوا (أو لم يروا أنا نسوق الماء) نجرى المطر والانهار (الى الارض الجرز) أى الارض التى جرز نباتها أى قطع اما لعدم الماء أو لانه رعى ولايقال للتى لاتنبت كالسباخ جرز بدليل قوله (فنخرج به) بالماء (زرعا تأكل منه) من الزرع (أنعامهم) من عصفه

﴿ وجعلناه ﴾ اى المنزل على موسى ﴿ هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون ﴾ الناس الى مافيه من الحكم والاحكام ﴿ بامرنا ﴾ اياهم به أو بتوفيقنا له ﴿ لماصبروا ﴾ وقرأ حمزة والكسائى ورويس لماصبروا أى لصبرهم على الطاعة أو عن الدنيا ﴿ وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ لامعانهم فيها النظر ﴿ ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة ﴾ يقضى فيميز الحق من الباطل تمييز المحق من المبطل ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من امر الدين ﴿ أولم يهد لهم ﴾ الواو للعطف على منوى من جنس المعطوف والفاعل ضمير مادل عليه ﴿ كم اهلكنا من قبلهم من القرون ﴾ اى كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية أو ضمير الله بدليل القراءة بالنون ﴿ يمشون فى مساكنهم ﴾ يعنى اهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد ﴿ ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ سماع تدبر واتعاظ ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز ﴾ التى جرز نباتها اى قطع وازيل لا التى لاتنبت لقوله ﴿ فنخرج به زرعا ﴾ وقيل اسم موضع باليمن ﴿ تأكل منه ﴾ من الزرع ﴿ انعامهم ﴾

موسى كتاب الله بالرضا والقبول ﴿ وجعلناه ﴾ يعنى الكتاب ﴿ هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم ﴾ أى من بنى اسرائيل ﴿ أئمة ﴾ أى قادة للخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا فى بنى اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء ﴿ يهدون بامرنا ﴾ أى يدعون الناس الى طاعتنا ﴿ لماصبروا ﴾ أى على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر ﴿ وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ أى أنها من الله تعالى ﴿ ان ربك هو يفصل ﴾ أى يقضى ويحكم ﴿ بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ قيل هم الانبياء وأممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون * قوله تعالى ﴿ أولم يهد لهم ﴾ أى نبين لهم ﴿ كم أهلكنا ﴾ أى كثرة من أهلكنا ﴿ من قبلهم من القرون ﴾ أى الامم الخالية ﴿ يمشون فى مساكنهم ﴾ يعنى أهل مكة يسيرون فى بلادهم ومنازلهم اذا سفروا ﴿ ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ أى آيات الله ومواعظه فيتعظون بها * قوله عز وجل ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز ﴾ أى الارض اليابسة الغليظة التى لانبات فيها قال ابن عباس هى أرض باليمن وقيل هى أبين ﴿ فنخرج به ﴾ أى بذلك الماء ﴿ زرعا تأكل منه أنعامهم ﴾ أى

(وجعلناه) يعنى كتاب موسى (هدى لبنى اسرائيل) من الضلالة (وجعلنا منهم) من بنى اسرائيل (أئمة) قادة بالخير (يهدون بامرنا) يدعون الخلق الى أمرنا (لماصبروا) حين صبروا على الايمان (العشب) والطاعة (وكانوا بآياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن (يوقنون) يصدقون فى كتابهم (ان ربك) يا محمد (هو يفصل) يقضى (بينهم) بين الكافر والمؤمن ويقال بين بنى اسرائيل (يوم القيمة فيما كانوا فيه) فى الدين (يختلفون) يخالفون (أولم يهد لهم) أولم يبين لكفار مكة (كم أهلكنا من قبلهم) بالعذاب (من القرون) الماضية (يمشون فى مساكنهم) فى منازلهم منازل قوم شعيب وصالح وهود (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (لآيت) لعلامات وعبرات لمن بعدهم (أفلا يسمعون) أفلا يطيعون من فعل بهم ذلك (أولم يروا) يعلموا كفار مكة (أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) الملساء التى لانبات فيها (فنخرج به) بالمطر (زرعا) نباتا (تأكل منه) من العشب (أنعامهم

فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كافى بيت الحماسة

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

﴿ انا من المجرمين منتقمون ﴾ فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ كما آتيناك ﴿ فلا تكن فى مرية ﴾ فى شك ﴿ من لقائه ﴾ من لقائك الكتاب كقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه اومن لقاء موسى الكتاب اومن لقائك موسى وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسرى بى موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة

﴿ انا من المجرمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ منتقمون ﴾ معناه انهم لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا منهم منتقمون بالعذاب الاكبر * قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ يعنى التوراة ﴿ فلا تكن فى مرية ﴾ أى فى شك ﴿ من لقائه ﴾ أى من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بى موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والى البياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والدجال فى آيات أراهن الله اياه فلا تكن فى مرية من لقائه (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسرى بى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره * فان قلت قد صح فى حديث المعراج انه رآه فى السماء السادسة عند مراجعته فى الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين * قلت يحتمل أن تكون رؤيته فى قبره عند الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك فى طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شئ قدير * فان قلت كيف تصح منه الصلاة فى قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو فى دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا * قلت يجاب عنه باجوبة أحدها ان الانبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا أو يصلوا كما صح فى الحديث وأن يتقربوا الى الله بما استطاعوا وان كانوا قد ماتوا لانهم بمنزلة الاحياء فى هذه الدار التى هى دار العمل الى أن تفنى ثم يرحلون الى دار الجزاء التى هى الجنة * الجواب الثانى انه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذى كانوا عليه فى حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم * الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم فى الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه فى الجنة أكثر مما كان يعبده فى الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما فى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى على مقتضى الطبع والله اعلم وقيل فى قوله فلا تكن فى مرية من لقائه أى من تلقى

أى فتولى عنها ولم يتدبر فيها وثم للاستبعاد أى ان الاعراض عن مثل هذه الآيات فى وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد فى العقل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز (انا من المجرمين منتقمون) ولم يقل منه لانه اذا جعله أعظم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تكن فى مرية) شك (من لقائه) من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء موسى ربه فى الآخرة كذا عن النبى صلى الله عليه وسلم

جاحدا بها (انا من المجرمين) من المشركين (منتقمون) بالعذاب (ولقد آتينا) أعطينا (موسى الكتاب) التوراة جملة واحدة (فلا تكن) يا محمد (فى مرية) فى شك (من لقائه) من لقاء موسى ليلة أسرى بك الى بيت المقدس

قوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هى نوع من الجنان تأوى اليها أرواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش (نزلا بما كانوا يعملون) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) أى ملجؤهم ومنزلهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) وهذا دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذ التكذيب يقابل الايمان (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) أى عذاب الدنيا من الاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين (دون العذاب الاكبر)أى عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة وعن الدارانى العذاب الادنى الخذلان والعذاب الاكبر الخلود فى النيران وقيل عذاب الادنى عذاب القبر (لعلهم) لعل المعذبين بالعذاب الادنى (يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه) أى بالقرآن (ثم أعرض عنها)

والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى ﴿ اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ فانها المأوى الحقيق والدنيا منزل مرتحل عنها لامحالة وقيل المأوى جنة من الجنان ﴿ نزلا ﴾ سبق فى آل عمران ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ بسبب اعمالهم او على اعمالهم ﴿ واما الذين فسقوا فمأويهم النار ﴾ مكان جنة المأوى للمؤمنين ﴿ كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها ﴾ عبارة عن خلودهم فيها ﴿ وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ﴾ اهانة لهم وزيادة فى غيظهم ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الادنى ﴾ عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر ﴿ دون العذاب الاكبر ﴾ عذاب الآخرة ﴿ لعلهم ﴾ لعل من بقى منهم ﴿ يرجعون ﴾ يتوبون عن الكفر روى ان وليد بن عتبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات ﴿ ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها ﴾ فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع

نزلت فى على بن أبى طالب والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان بينهما تنازع وكلام فى شئ فقال الوليد لعلى اسكت فانك صبى وأنا شيخ والله انى أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق فانزل الله هذه الآية وقوله لا يستوون أراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى ﴾ أى التى يأوى اليها المؤمنون ﴿ نزلا ﴾ هو ما يهيأ للضيف عند نزوله ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ يعنى من الطاعات فى دار الدنيا ﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ﴾ ✻ قوله تعالى ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر ﴾ أى سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها وعنه انه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أى الى الايمان يعنى من بقى منهم بعد القحط وبعد بدر ﴿ ومن اظلم ﴾ أى لا أحد أظلم ﴿ ممن ذكر بآيات ربه ﴾ أى بدلائل وحدانيته وانعامه عليه ﴿ ثم أعرض عنها ﴾ أى ترك الايمان بها

وفى الآخرة بالثواب والكرامة عند الله وكان بينهما كلام وتنازع حتى قال على بن طالب رضى الله عنه يا فاسق ثم بين مستقرهما بعد الموت فقال (أما الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الخيرات فيما بينهم وبين ربهم (فلهم جنات المأوى نزلا) منزلا ثوابا لهم فى الآخرة (بما كانوا يعملون) فى الدنيا من الخيرات (وأما الذين فسقوا) نافقوا فى ايمانهم (فمأواهم) فمصيرهم (النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (أعيدوا) ردوا (اليها) (فيها) فى النار بمقامع الحديد (وقيل لهم) قالت لهم الزبانية (ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به) فى الدنيا (تكذبون) انه لا يكون (ولنذيقنهم) لنصيبنهم يعنى كفار مكة (من العذاب الادنى) من عذاب الدنيا بالقحط والجدوبة والجوع والقتل وغير ذلك ويقال عذاب القبر (دون العذاب الاكبر) قبل عذاب النار نخوفهم بذلك (لعلهم يرجعون) عن كفرهم فيتوبوا (ومن أظلم) ليس أحد أعتى وأظلم (ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه) نزلت فى المنافقين المستهزئين بالقرآن (ثم أعرض عنها)

(يدعون) داعين (ربهم) عابدين له (خوفا وطمعا) مفعول له أى لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم فى رحمته وهم المتهجدون وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعن ابن عطاء أبت جنوبهم ان تسكن على بساط الغفلة وطابت بساط القربة يعنى صلاة الليل وعن أنس كان

أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الاخيرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها (ومما رزقناهم ينفقون) فى طاعة الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) ما بمعنى الذى اخفى على حكاية النفس حمزة ويعقوب (من قرة أعين) أى لا يعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة (جزاء) مصدر أى جوزوا جزاء (بما كانوا يعملون) عن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وفيه دليل على ان المراد الصلاة فى جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا ثم بين ان من كان فى نور الطاعة والايمان لا يستوى مع من هو فى ظلمة الكفر والعصيان بقوله (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أى كافرا وهما محمولان على لفظ من وقوله (لا يستوون) على المعنى بدليل

﴿ يدعون ربهم ﴾ داعين اياه ﴿ خوفا ﴾ من سخطه ﴿ وطمعا ﴾ فى رحمته وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ فى وجوه الخير ﴿ فلا تعلم نفس ما اخفى لهم ﴾ لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ﴿ من قرة اعين ﴾ مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقرأ حمزة ويعقوب اخفى على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفى واخفى والفاعل للكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية معلق عنها الفعل ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ اى جزوا جزاء اواخفى للجزاء فان اخفاءه لعلو شأنه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ﴾ خارجا عن الايمان ﴿ لا يستوون ﴾ فى الشرف

الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذى (خ) عن الهيثم بن أبى سنان انه سمع أبا هريرة رضى الله عنه فى قصة يذكر النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان أخا لكم لا يقول الرفث يعنى بذلك ابن رواحة قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه ۞ اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ۞ به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه ۞ اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أخرجه البخارى وليس للهيثم بن سنان عن أبى هريرة فى الصحيحين غير هذا الحديث ۞ وقوله تعالى ﴿ يدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾ قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا فى الجنة ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام فى الواجب والتطوع ۞ قوله عز وجل ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ أى مما تقر به أعينهم فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أى من الطاعات فى دار الدنيا (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ۞ قوله تعالى ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ﴾

(يدعون ربهم) يعبدون ربهم بالصلوات الخمس ويقال ترفع جنوبهم عن الفراش حتى يصلوا صلاة العشاء الاخيرة ويقال ترفع جنوبهم عن الفراش بعد النوم بالليل لصلاة التطوع (خوفا) منه ومن عذابه (وطمعا) اليه والى رحمته (ومما رزقناهم) أعطيناهم من المال (ينفقون) يتصدقون به (فلا تعلم نفس) فليس تعلم أنفسهم (ما أخفى لهم) ما أعدلهم وما رفع لهم وما ذخر لهم (من قرة أعين) من طيبة النفس والثواب والكرامة فى الجنة (جزاء بما كانوا يعملون) فى الدنيا من الخيرات (أفمن كان مؤمنا) مصدقا فى ايمانه وهو على بن أبى طالب (كمن كان فاسقا) منافقا فى ايمانه وهو الوليد بن عقبة بن أبى معيط (لا يستوون) فى الدنيا بالطاعة

في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الاوابين وروي عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا وأشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة

فصل في فضل قيام الليل والحث عليه

عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة فأصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يارسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله قال فأخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا فقلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أوقال على مناخرهم الاحصائد ألسنتهم أخرجه الترمذي * عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيآت ومنهاة عن الآثام ومطردة للداء عن الجسد أخرجه الترمذي * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله الى صلاته فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا الى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله وانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله تعالى لملائكته انظروا الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه أخرجه الترمذي بمعناه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا * عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدها الله لمن ألان

فى تبصر الادلة (ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) ولكن وجب القول منى بما علمت انه يكون منهم مايستوجبون به جهنم وهو ماعلم منهم انهم يختارون الرد والتكذيب وفى تخصيص الانس والجن اشارة الى انه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم (فذوقوا) العذاب (بما نسيتم لقاء) بما تركتم من عمل لقاء (يومكم هذا) وهو الايمان به (انا نسيناكم) تركناكم فى العذاب كالمنسى ﴿٧٥﴾ (وذوقوا عذاب الخلد) ﴿ سورة السجدة ﴾ اى العذاب الدائم الذى لا انقطاع له (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصى (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) اى وعظوا بها (خروا سجدا) سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على مارزقهم من الاسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله عما لايليق به واثنوا عليه حامدين له (وهم لايستكبرون) عن الايمان به والسجود له (تتجافى) ترتفع وتتنحى (جنوبهم عن المضاجع) عن الفرش ومضاجع النوم قال سهل وهب لقوم هبة وهو ان أذن لهم فى مناجاته وجعلهم من أهل وسيلته ثم مدحهم عليه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع

والعمل الصالح بالتوفيق له ﴿ ولكن حق القول منى ﴾ ثبت قضائى وسبق وعيدى وهو ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ﴾ وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بأنهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له ﴿ انا نسيناكم ﴾ تركناكم من الرحمة أو فى العذاب ترك المنسى وفى استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم ﴿ وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾ كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصى كما علله بتركهم تدبير امر العاقبة والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضى ذلك ﴿ انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها ﴾ وعظوا بها ﴿ خروا سجدا ﴾ خوفا من عذاب الله ﴿ وسبحوا ﴾ نزهوه عما لايليق به كالعجز عن البعث ﴿ بحمد ربهم ﴾ حامدين له شكرا على ماوفقهم للاسلام وآتاهم الهدى ﴿ وهم لايستكبرون ﴾ عن الايمان والطاعات كما يفعل من يصر مستكبرا ﴿ تتجافى جنوبهم ﴾ ترتفع وتتنحى ﴿ عن المضاجع ﴾ الفرش ومواضع النوم

وتوفيقها للايمان ﴿ ولكن حق القول منى ﴾ اى وجب القول منى ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ أى من كفار الجن والانس ﴿ فذوقوا ﴾ أى فاذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا ﴿ بما نسيتم لقاء يومكم ﴾ أى تركتم الايمان فى الدنيا ﴿ هذا انا نسيناكم ﴾ أى تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعل بالناسى قطعا لرجائكم ﴿ وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾ أى من الكفر والتكذيب * قوله تعالى ﴿ انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها ﴾ أى وعظوا بها ﴿ خروا سجدا ﴾ أى سقطوا على وجوههم ساجدين ﴿ وسبحوا بحمد ربهم ﴾ أى صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده ﴿ وهم لايستكبرون ﴾ أى عن الايمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التى فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى مايجد أحدنا مكانا لوضع جبهته فى غير وقت الصلاة (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارئ وللمستمع * قوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم ﴾ أى ترتفع وتنبو ﴿ عن المضاجع ﴾ جمع مضجع وهو الموضع الذى يضطجع عليه يعنى الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال أنس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس

(ولكن حق القول) وجب القول (منى لأملأن جهنم من الجنة والناس) من كفار الجن والانس (اجمعين) لولا ذلك لاكرمت كل نفس بالمعرفة والتوحيد (فذوقوا بما نسيتم) تركتم الاقرار والعمل (لقاء يومكم) بلقاء يومكم (هذا انا نسيناكم) تركناكم فى النار (وذوقوا عذاب الخلد) الدائم (بما كنتم تعملون) فى الكفر (انما يؤمن) يصدق (بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الذين اذا ذكروا بها) دعوا بها الى الصلوات الخمس بالاذان والاقامة (خروا سجدا) أتوا تواضعا (وسبحوا بحمد ربهم) صلوا بأمر ربهم (وهم لايستكبرون) لايتعظمون عن الايمان بمحمد عليه السلام والقرآن والصلوات الخمس فى الجماعة نزلت هذه الآية فى شان المنافقين وكانوا لايأتون الصلاة الا كسالى متثاقلين (تتجافى جنوبهم) تتقلب جنوبهم (عن المضاجع) عن الفراش

ثم الى ربكم ترجعون) أي يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ثم ترجعون الى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله والتوفي استيفاء النفس وهي الروح أي يقبض أرواحكم أجمعين من قولك توفيت حقي من فلان اذا أخذته وافيا كاملا من غير نقصان وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر اعوانه بقبضها والله تعالى هو الآمر لذلك كله وهو الخالق لافعال المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها (ولو ترى) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل {الجزء الحادي والعشرون} أحد ولو امتناعية ﴿٧٤﴾ والجواب محذوف أي لرأيت أمرا عظيما (اذ المجرمون) هم الذين قالوا أئذا ضللنا في الارض ولو واذ للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له (ناكسو رؤسهم) من الذل والحياء والندم (عند ربهم) عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف اذ التقدير يقولون (ربنا ابصرنا) صدق وعدك ووعيدك (وسمعنا) منك تصديق رسلك أو كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا) أي الايمان والطاعة (انا موقنون) بالبعث والحساب الآن (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) في الدنيا أي لو شئنا أعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا لكن لم نعطهم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره (و) هو حجة على المعتزلة فان عندهم شاء الله ان يعطى كل نفس ما به اهتدت وقد أعطاها لكنها لم تهتد وهم اولوا الآية بمشيئة الجبر وهو تأويل فاسد لما عرف

﴿ثم الى ربكم ترجعون﴾ للحساب او الجزاء ﴿ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم﴾ من الحياء والخزي ﴿ربنا﴾ قائلين ربنا ﴿ابصرنا﴾ ما وعدتنا ﴿وسمعنا﴾ منك تصديق رسلك ﴿فارجعنا﴾ الى الدنيا ﴿نعمل صالحا انا موقنون﴾ اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان تكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما يدل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ ما نهتدي به الى الايمان

أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا شغل له الا ذلك روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أرواح الخلائق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتنزع أعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت ✿ عن معاذ ابن جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهي تتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت وقوله ﴿ثم الى ربكم ترجعون﴾ أي تصيرون الى ربكم احياء فيجزيكم باعمالكم ✿ قوله عز وجل ﴿ولو ترى اذ المجرمون﴾ أي المشركون ﴿ناكسوا رؤسهم عند ربهم﴾ أي يطأطؤنها حياء من ربهم وندما على ما فعلوا عند ربهم يقولون ﴿ربنا ابصرنا﴾ اي ما كنا به مكذبين ﴿وسمعنا﴾ يعني منك تصديق ما أتتنا به رسلك وقيل ابصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فيها ﴿فارجعنا﴾ أي فارددنا الى الدنيا ✿ نعمل صالحا انا موقنون ﴿أي في الحال آمنا ولكن لا ينفع ذلك الايمان ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ أي رشدها

(ثم الى ربكم ترجعون) في الآخرة (ولو ترى اذ المجرمون) المشركون (ناكسوا رؤسهم) مطأطؤا رؤسهم (عند ربهم) يوم القيامة (ربنا) يقولون يا ربنا (ابصرنا) علمنا ما لم نعلم (وسمعنا) ايقنا بما لم نكن به موقنين (فارجعنا) حتى نؤمن بك (نعمل صالحا) خالصا (انا موقنون) مقرون بك وبكتابك ورسولك وبالبعث بعد الموت (ولو شئنا لآتينا) لاعطينا (كل نفس هداها) تقواها

(وبدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته (من سلالة) من نطفة (من ماء) أى منى وهو بدل من سلالة (مهين) ضعيف حقير (ثم سواه) قومه كقوله فى أحسن تقويم (ونفخ) ادخل (فيه من روحه) لاضافة للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من الشئ الذى اختص هو به وبعلمه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلا ماتشكرون) أى تشكرون قليلا (وقالوا) القائل أبى بن خلف ولرضاهم بقوله أسند اليهم (أئذا ضللنا فى الارض) أى صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لانتميز منه كما يضل الماء فى اللبن أو غبنا فى الارض بالدفن فيها وقرأ على ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وانتصب الظرف فى أئذا ضللنا بما يدل عليه (أئنا لفى خلق جديد) وهو نبعث (بل هم بلقاء ربهم كافرون) جاحدون لما ذكر كفرهم بالبعث اضرب عنه الى ما هو أبلغ وهو انهم كافرون بجميع مايكون فى العاقبة لا بالبعث وحده (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم

اللام على الوصف فالشئ على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثانى بمتصل ﴿ وبدأ خلق الانسان ﴾ يعنى آدم ﴿ من طين ثم جعل نسله ﴾ ذريته سميت به لانها تنسل منه اى تنفصل ﴿ من سلالة من ماء مهين ﴾ ممتهن ﴿ ثم سواه ﴾ قومه بتصوير اعضائه على ماينبغى ﴿ ونفخ فيه من روحه ﴾ اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه ﴿ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ﴾ خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ﴿ قليلا ماتشكرون ﴾ تشكرون شكرا قليلا ﴿ وقالوا أئذا ضللنا فى الارض ﴾ أى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لاتتميز منه أو غبنا فيها وقرئ فيها ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه مادل عليه ﴿ أئنا لفى خلق جديد ﴾ وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائى ويعقوب انا على الخبر والقائل ابى بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به ﴿ بل هم بلقاء ربهم ﴾ بالبعث او بتلقى ملك الموت ومابعده ﴿ كافرون ﴾ جاحدون ﴿ قل يتوفيكم ﴾ يستوفى نفوسكم لايترك منها شيأ أو لايبقى منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ﴿ ملك الموت الذى وكل بكم ﴾ لقبض ارواحكم واحصاء آجالكم

معناه الهم خلقه مايحتاجون اليه وعلمهم اياه وقيل معناه أحسن الى كل خلقه ﴿ وبدأ خلق الانسان من طين ﴾ يعنى آدم ﴿ ثم جعل نسله ﴾ يعنى ذريته ﴿ من سلالة ﴾ أى من نطفة تنسل من الانسان ﴿ من ماء مهين ﴾ أى ضعيف ﴿ ثم سواه ﴾ أى سوى خلقه ﴿ ونفخ فيه من روحه ﴾ أضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر مايترتب على نفخ الروح فى الجسد فقال ﴿ وجعل لكم ﴾ أى خلق بعد ان كنتم نطفا مواتا ﴿ السمع والابصار والافئدة ﴾ قيل قدم السمع لان الانسان يسمع أولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه فى ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان الانسان يسمع الكلام من أى جهة كان ﴿ قليلا ماتشكرون ﴾ يعنى انكم لاتشكرون رب هذه النعمة فتوحدوه الا قليلا ۞ قوله تعالى ﴿ وقالوا ﴾ يعنى منكرى البعث ﴿ أئذا ضللنا ﴾ هلكنا ﴿ فى الارض ﴾ والمعنى صرنا ترابا ﴿ أئنا لفى خلق جديد ﴾ استفهام انكارى قال الله تعالى ﴿ بل هم بلقاء ربهم كافرون ﴾ أى بالبعث بعد الموت ﴿ قل يتوفاكم ﴾ أى يقبض أرواحكم حتى لايبقى أحد ممن كتب عليه الموت ﴿ ملك الموت ﴾ وهو عزرائيل عليه السلام ﴿ الذى وكل بكم ﴾ أى انه لايغفل عنكم واذا جاء

شئ (وبدأ خلق الانسان) يعنى آدم (من طين) أخذ من أديم الارض (ثم جعل نسله) ذريته (من سلالة) من نطفة (من ماء مهين) من نطفة ضعيفة من ماء الرجل والمرأة (ثم سواه) جمع خلقه فى بطن أمه (ونفخ فيه من روحه) (قا و خا ١٠ مس) جعل الروح فيه (وجعل لكم السمع) خلق لكم السمع لكى تسمعوا به الحق والهدى (والابصار) لكى تبصروا بها الحق والهدى (والافئدة) يعنى القلوب لكى تفقهوا بها الحق والهدى (قليلا ماتشكرون) شكركم بما صنع اليكم قليل (وقالوا) يعنى أبا جهل وأصحابه (أئذا ضللنا) هلكنا (فى الارض) بعد الموت (أئنا لفى خلق جديد) نجدد بعد الموت هذا مالا يكون (بل هم بلقاء ربهم) بالبعث بعد الموت (كافرون) جاحدون (قل) لهم يا محمد (يتوفاكم) يقبض أرواحكم (ملك الموت الذى وكل بكم) بقبض أرواحكم

والوقوع وقيل يدبر الأمر بإظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج إليه في زمان هو كمسيرة ألف سنة لأن مسافة نزوله وعروجه مسيرة ألف سنة فإن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الألف لألف آخر وقيل يدبر الأمر إلى قيام الساعة ثم يرجع إليه الأمر كله يوم القيامة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلاً من السماء إلى الأرض بالوحي ثم لا يعرج إليه خالصاً كما يرتضيه إلا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والأعمال الخالص وقرئ يعرج ويعدون ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ فيدبر أمرهما على وفق الحكمة ﴿العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الرحيم﴾ على العباد في تدبيره وفيه إيماء إلى أنه تعالى يراعي المصالح تفضلاً وإحساناً ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ خلقه موفراً عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله عليه السلام قيمة المرء ما يحسنه أي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح

الأرض ثم صعوده إلى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية أنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يعرج إليه أي يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحكام في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فإن قلت قد قال في موضع آخر تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الأرض وسدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كلها في القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا في حق الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا وقال إبراهيم التيمي لا يكون على المؤمنين إلا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل أن يكون هذا إخباراً عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبي مليكة دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضي الله عنهما أيام سماها الله تعالى لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ يعني ذلك الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والأرض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة يعني ما حضر وظهر ﴿العزيز﴾ أي الممتنع المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بأوليائه وأهل طاعته قوله تعالى ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل

كما استشهد بقوله إني ذاهب إلى ربي إني مهاجر إلى ربي ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله (ذلك عالم الغيب والشهادة) أي الموصوف بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه (العزيز) الغالب أمره (الرحيم) البالغ لطفه وتيسيره وقيل لا وقف عليه لأن (الذي) صفته (أحسن كل شيء) أي حسنه لأن كل شيء مرتب على ما اقتضته الحكمة (خلقه) كوفي ونافع وسهل على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسنه غيرهم على البدل أي أحسن خلق كل شيء

(ذلك) المدبر (عالم الغيب) ما غاب عن العباد وما يكون (والشهادة) ما علمه العباد وما كان (العزيز) بالنقمة من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين (الذي أحسن كل شيء خلقه) أحكم خلق كل

لان أم هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة معناه بل أيقولون افتراه انكارا لقولهم وتعجيبا منهم لظهور أمره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه (بل هو الحق) ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق (من ربك) ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا تعنتا وجهلا (لتنذر قوما) أى العرب (ما أتاهم من نذير من قبلك) ما للنفى والجملة صفة قوما (لعلهم يهتدون) على الترجى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله ينذر على الترجى من موسى وهرون (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما { سورة السجدة } ٧١ فى ستة أيام ثم استوى على العرش) استولى عليه باحداثه (ما لكم من دونه) من دون الله (من ولى ولا شفيع) أى اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا أى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم (أفلا تتذكرون) تتعظون بمواعظ الله (يدبر الامر) أى أمر الدنيا (من السماء الى الارض) الى أن تقوم الساعة (ثم يعرج اليه) ذلك الامر كله أى يصير اليه ليحكم فيه (فى يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة (مما تعدون) من أيام الدنيا ولا تمسك للمشبهة بقوله اليه فى اثبات الجهة لان معناه الى حيث يرضاه أو أمره

(بل هو الحق) يعنى القرآن (من ربك) نزل به جبريل (لتنذر) لكى تخوف بالقرآن (قوما) يعنى قريشا (ما أتاهم من نذير من قبلك) لم يأتهم رسول مخوف قبلك يا محمد (لعلهم يهتدون) من الضلالة (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما) من الخلق والعجائب (فى ستة أيام) من أيام أول الدنيا طول كل يوم ألف سنة مما تعدون من سنى الدنيا (أول يوم منها يوم الاحد وآخر يوم منها يوم الجمعة (ثم استوى على العرش) وكان الله على العرش قبل أن خلقهما (ما لكم) يا أهل مكة (من دونه) من دون الله (من ولى) من قريب ينفعكم (ولا شفيع) يشفع لكم من عذاب الله (أفلا تتذكرون) تتعظون بالقرآن فتؤمنوا (يدبر الامر من السماء الى الارض) يبعث الملائكة بالوحى والتنزيل والمصيبة (ثم يعرج اليه) يصعد اليه يعنى الملائكة (فى يوم كان مقداره) مقدار صعوده على غير الملائكة (ألف سنة مما تعدون) من سنين الدنيا (٤) قوله من سنين الدنيا الصواب من سنى للاضافة اهـ مصححه

من رب العالمين وقوله ﴿ بل هو الحق من ربك ﴾ فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفى الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان أم منقطعة ثم ضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال ﴿ لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾ اذ كانوا اهل الفترة ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ بانذارك اياهم ﴿ الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ﴾ مر بيانه فى الاعراف ﴿ ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ﴾ ما لكم اذا جاوزتم رضاء الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم فى مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا ناصر ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ بمواعظ الله ﴿ يدبر الامر من السماء الى الارض ﴾ يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض ﴿ ثم يعرج اليه ﴾ ثم يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا ﴿ فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ﴾ فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة ما بين التدبير

صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه ﴿ بل هو الحق ﴾ أى القرآن ﴿ من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾ يعنى العرب كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا لم يأتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت أما قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا وأما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فنعم لان معهم أدلة العقل الموصلة الى ذلك فى كل زمان ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ يعنى تنذرهم راجيا اهتداءهم ﴿ الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ قوله تعالى ﴿ يدبر الامر ﴾ أى يحكم الامر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحى مع جبريل عليه السلام ﴿ من السماء الى الارض ثم يعرج ﴾ أى يصعد ﴿ اليه ﴾ جبريل بالامر ﴿ فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ يعنى مسافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى

كان معرفة ما عداهن أبعد وأما المنجم الذي يخبر بوقت الغيث والموت فإنه يقول بالقياس والنظر في الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا إنما هو مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب وإياكم والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والنفاق وروي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل ويديم النظر إليه فقال الرجل [illegible] هو [illegible] ٧ [illegible] (ان الله [illegible]) الغيوب

(خبير [illegible] الغيوب
وعن الزهري رضي الله تعالى عنه أكثروا قراءة سورة لقمان فإن فيها أعاجيب
والله أعلم ﴿سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية مدني وكوفي وتسع وعشرون آية بصري﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(الم) على أنه اسم السورة مبتدأ وخبره (تنزيل الكتاب) وإن جعلته تعديدا للحروف ارتفع تنزيل بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) أو يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين لأنه معجز للبشر ومثله أبعد شيء من الريب ثم أضرب عن ذلك إلى قوله (أم يقولون افتراه) أي اختلقه محمد

روي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري إليه تعجبا منه إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وإنما جعل العلم لله والدراية للعبد لما فيها من معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على أنه إن عمل حيلته وأنفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو ألحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن ﴿إن الله عليم﴾ يعلم الأشياء كلها ﴿خبير﴾ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾ إن جعل اسما للسورة أو القرآن فمبتدأ خبره ﴿تنزيل الكتاب﴾ على أن التنزيل بمعنى المنزل وإن جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره ﴿لا ريب فيه﴾ فيكون ﴿من رب العالمين﴾ حالا من الضمير في فيه لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز أن يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب أو اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ﴿أم يقولون افتراه﴾ فإنه إنكار لكونه من رب العالمين [illegible]

أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض في بر أو بحر في سهل أو جبل ﴿إن الله عليم﴾ أي بهذه الأشياء وغيرها ﴿خبير﴾ أي ببواطن الأشياء كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فمن ادعى أنه يعلم شيئا من هذه فإنه كفر بالقرآن لأنه خالفه والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة السجدة وهي مكية

قال عطاء إلا ثلاث آيات من قوله أفمن كان مؤمنا وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا والله تعالى أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه﴾ أي لا شك فيه أنه ﴿من رب العالمين أم يقولون﴾ أي بل يقولون يعني المشركين ﴿افتراه﴾ يعني اختلقه محمد

وهو مخزون عن العباد (ان الله عليم) بخلقه (خبير) بأعمالهم وبما يصيبهم من النفع والضر ﴿ومن السورة التي يذكر فيها السجدة وهي كلها مكية آياتها تسع وعشرون وكلماتها ثلثمائة وثلاثون كلمة وحروفها ألف وخمس مائة وثمانية عشر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (الم) يقول أنا الله أعلم ويقال قسم أقسم به (تنزيل الكتاب) ان هذا الكتاب تكليم من الله (لا ريب فيه) لا شك فيه أنه (من رب العالمين أم يقولون) بل يقولون كفار مكة (افتراه) اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه

فى الكشاف (ان وعد الله) بالبعث والحساب والجزاء (حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) بزينتها فان نعيمها دانية ولذتها فانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان أو الدنيا أو الامل (ان الله عنده علم الساعة) أى وقت قيامها (وينزل) بالتشديد شامى ومدنى وعاصم وهو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره ان الله يثبت عنده علم الساعة وينزل (الغيث) فى ابانه من غير تقديم ولا تاخير (ويعلم ما فى الارحام) أذكر أم أنثى وتام أم ناقص (وما تدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة ﴿٦٩﴾ على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا (وما تدرى نفس باى أرض تموت) أى أين تموت وربما أقامت بارض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال له ملك الموت قال كانه يريدنى وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى اليه تعجبا منه لانى أمرت ان أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان أعملت حيلها ما يختص بها ولا شئ أخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما

اباء الكافر فى الآخرة ﴿ان وعد الله﴾ بالثواب والعقاب ﴿حق﴾ لا يمكن خلفه ﴿فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾ علم وقت قيامها لما روى ان الحارث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد ألقيت حباتى فى الارض فتى السماء تمطر وحمل امرأتى ذكر ام انثى وما أعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية ﴿وينزل الغيث﴾ فى ابانه المقدر له والمحل المعين له فى علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ﴿ويعلم ما فى الارحام﴾ أذكر أم أنثى أتام أم ناقص ﴿وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا﴾ من خير او شر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه ﴿وما تدرى نفس باى ارض تموت﴾ كما لا تدرى فى اى وقت تموت

بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه ﴿ان وعد الله حق﴾ قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوما هذا شأنه وهو كائن لوعد الله به ووعده حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعنى لا يجزى والد عن ولده فى ذلك اليوم والقول الاول أحسن وأظهر ﴿فلا تغرنكم الحيوة الدنيا﴾ أى لانها فانية ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ يعنى الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصى ويتمنى المغفرة ﴿قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة﴾ الآية نزلت فى الحرث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من أهل البادية أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان ارضنا أجدبت فقل لى متى ينزل الغيث وتركت امرأتى حبلى فمتى تلد ولقد علمت أين ولدت فبأى أرض أموت فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى أرض تموت ان الله عليم خبير ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة فى أى سنة أو أى شهر أو أى يوم ليلا أو نهارا ﴿وينزل الغيث﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا الا الله ﴿ويعلم ما فى الارحام﴾ أذكر أم أنثى أحمر أم أسود تام الخلقة أم ناقص ﴿وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا﴾ من خير أو شر ﴿وما تدرى نفس باى أرض تموت﴾ أى ليس

عذاب الله (ان وعد الله) بالبعث بعد الموت (حق) كائن صدق (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) ما فى الدنيا من الزهرة والنعيم (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان ويقال الاباطيل ان قرأت بضم الغين (ان الله عنده علم الساعة) بقيام الساعة وهو مخزون عن العباد (وينزل الغيث) المطر يعلم نزول الغيث وهو مخزون عن العباد (ويعلم ما فى الارحام) من الولد ذكر أو أنثى تام أو غيره شقى أو سعيد وهو مخزون عن العباد (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من الخير والشر وهو مخزون عن العباد (وما تدرى نفس باى أرض تموت) باى قدم تؤخذ

(شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن [illegible] شكر و [illegible] صبر فكانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن [illegible] كل [illegible] من جبل أو سحاب أو [illegible] الذي كان منه [illegible] في البحر

[illegible] بالذكر [illegible] (شكور) [illegible] ويتعرف مانحه والمؤمنين فإن الإيمان [illegible] صبر و [illegible] شكر ﴿ وإذا غشيهم ﴾ [illegible] وغطاهم ﴿ موج كالظلل ﴾ كما [illegible] من جبل او سحاب او غيرهما [illegible] جمع ظلة كقلة وقلل ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ [illegible] من الهوى و [illegible] من خوف الشديد ﴿ فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ﴾ [illegible] على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار ﴿ وما يجحد بآياتنا الا كل ختار ﴾ غدار [illegible] والختر اشد الغدر ﴿ كفور ﴾ للنعم ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ﴾ لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزي فيه ﴿ ولا مولود ﴾ عطف على والد او مبتدأ خبره ﴿ هو جاز عن والده شيئا ﴾ وتغيير النظم [illegible] على ان المولود اولى بان لا يجزي [illegible] وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع

أي على [illegible] الله ﴿ شكور ﴾ لانعامه ﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل ﴾ أي كالجبل وقيل كالسحاب شبه به الموج في كثرتها وارتفاعها ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ معناه ان الانسان اذا وقع في شدة [illegible] الى الله [illegible] وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه فاذا نجا من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى ﴿ فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ﴾ أي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت على الايمان وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب [illegible] الى البحر [illegible] فقال عكرمة لئن انجاني الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يده في يدي فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة وأسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله ﴿ وما يجحد بآياتنا الا كل ختار ﴾ أي غدار ﴿ كفور ﴾ أي جحود لانعمه [illegible] قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ أي خافوا ربكم ﴿ واخشوا ﴾ أي وخافوا ﴿ يوما لا يجزي ﴾ أي لا يقضي [illegible] ﴿ والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ﴾ قيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد [illegible] الاعلى على الادنى و [illegible] على الاعلى فالوالد يجزي عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزي عن والده لما له من حق التربية وغيرها [illegible] يوم القيامة فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم

[illegible] حادث عن [illegible] لاحد [illegible] والمقتصد قليل نادر (وما يجحد بآياتنا) أي بحقيتها (الا كل ختار) غدار والختر أقبح الغدر (كفور) لربه (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده) لا يقضي عنه شيئا والمعنى لا يجزي فيه فحذف (ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر [illegible] حسم اطماعهم ان ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى [illegible] في لفظ المولود انه واحد منهم وشفع الاب لادنى الذي ولد منه [illegible] شفاعته فضلا ان يشفع لاجداده [illegible]

الصاعقة (شكور) [illegible] (واذا غشيهم) [illegible] موج [illegible] (كالظلل) أي [illegible] سحاب [illegible] (دعوا الله مخلصين له الدين) مفردين له بالدعوة (فلما نجاهم) من البحر [illegible] الى البر (فمنهم مقتصد) [illegible] والفعل [illegible] أي [illegible] كان قبل ذلك (وما يجحد بآياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن (الا كل ختار) غدارا (كفور) كافر بالله وبنعمته (يا أيها الناس) يا أهل مكة (اتقوا ربكم) أطيعوا ربكم (واخشوا يوما) [illegible] يوم (لا يجزي) لا يغني (والد عن ولده ولا مولود هو جاز) مغن (عن والده شيئا) من

شأن (ان الله سميع) لقول المشركين انه لا بعث (بصير) بأعمالهم فيجازيهم (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار) اى يدخل كل منهما فى ضوء النهار اذا أقبل الليل (ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر) ذللهما (كل) اى كل واحد من الشمس والقمر (يجرى) فى فلكه ويقطعه (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة أو الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر (وأن الله بما تعملون خبير) وبالياء عياش دل أيضا بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين فى فلكيهما على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون) بالياء عراقى غير أبى بكر (من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير) أى ذلك الوصف الذى وصف به من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وأنه هو العلى الشأن الكبير السلطان (ألم تر أن الفلك) وقرئ الفلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل فعل (تجرى فى البحر بنعمت الله) باحسانه ورحمته أو بالريح لأن الريح من نعم الله (ليريكم من آياته) عجائب قدرته فى البحر اذا ركبتموها (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على البلاء

انما امرنا الشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴿ ان الله سميع ﴾ يسمع كل مسموع ﴿ بصير ﴾ يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق ﴿ الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى ﴾ كل من النيرين يجرى فى فلكه ﴿ الى اجل مسمى ﴾ الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجرى وثمة غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل فى الغايات ﴿ وان الله بما تعملون خبير ﴾ عالم بكنهه ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الذى ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى بها ﴿ بان الله هو الحق ﴾ بسبب انه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته ﴿ وان ماتدعون من دونه الباطل ﴾ المعدوم فى حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابى بكر بالياء ﴿ وان الله هو العلى الكبير ﴾ مرتفع على كل شئ ومتسلط عليه ﴿ الم تران الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله ﴾ باحسانه فى تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز فى مثله الكسر والفتح والسكون ﴿ ليريكم من آياته ﴾ دلائله ﴿ ان فى ذلك لآيات لكل صبار ﴾ على المشاق

﴿ ان الله سميع ﴾ أى لاقوالكم ﴿ بصير ﴾ باعمالكم ﴿ ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق ﴾ أى ذلك الذى هو قادر على هذه الاشياء التى ذكرت هو الحق المستحق للعبادة ﴿ وأن ما يدعون من دونه الباطل ﴾ أى لا يستحق العبادة ﴿ وأن الله هو العلى ﴾ أى فى صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى ﴿ الكبير ﴾ فى ذاته لانه أكبر من كل كبير ﴿ قوله تعالى ﴿ ألم تر أن الفلك ﴾ أى السفن والمراكب ﴿ تجرى فى البحر بنعمت الله ﴾ أى ذلك من نعمة الله عليكم ﴿ ليريكم من آياته ﴾ أى من عجائب صنائعه ﴿ ان فى ذلك لآيات لكل صبار ﴾

لا بعثكم نفس واحدة (ان الله سميع) لمقالتكم كيف يبعثنا (بصير) ببعثكم (ألم تر) الم تخبر فى القرآن (أن الله يولج الليل فى النهار) يزيد الليل على النهار فيكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات (ويولج النهار فى الليل) يزيد النهار على الليل فيكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات (وسخر الشمس) ذلل الشمس (والقمر كل يجرى الى أجل مسمى) الى وقت معلوم فى منازل معروفة لهما (وأن الله بما تعملون) من الخير والشر (خبير ذلك) القدرة لتعلموا وتقروا (بان الله هو الحق) بان عبادته هو الحق (وأن ما يدعون) يعبدون (من دونه) من دون الله (الباطل) هو الباطل (وان الله هو العلى) أعلى كل شئ (الكبير) أكبر كل شئ (ألم تر) الم تخبر (ان الفلك) السفن (تجرى فى البحر بنعمت الله) بمنة الله (ليريكم من آياته) من عجائبه (ان فى ذلك) فيما ذكرت (لآيات) لعلامات وعبرات (لكل صبار) على

كلام [illegible] وعد الله أن كلامه لا ينفد بقوله ﴿ ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ [illegible] نصب أبو عمرو ويعقوب عطفا على اسم أن وهو ما ورفع على محل أن ومعمولها أي ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا [illegible] على الابتداء [illegible] ولو أن الاشجار أقلام في حال كون البحر ممدودة [illegible] يقتضى الكلام [illegible] البحر مدادا [illegible] عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولهم [illegible] بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة [illegible] مدادا فيهن تصب فيه [illegible] لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام [illegible] كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام [illegible] كقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت أن قوله والبحر يمده حال في أحد وجهى الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذى الحال قلت هو كقولك جئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد بريت أقلاما وأوثر الكلمات وهي جمع قلة على الكلم وهي جمع كثرة لان معناه أن كلماته لا تفى بكتبها البحار فكيف بكلمه ﴿ ان الله عزيز ﴾ لا يعجزه شيء ﴿ حكيم ﴾ لا يخرج من علمه وحكمته شيء [illegible] كله وحكمته ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ﴾ الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة [illegible] عليه أن يخلق [illegible] قليل وكثير لا يشغله شأن

﴿ ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام ﴾ [illegible] توحيد شجرة [illegible] تفصيل [illegible] ﴿ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ﴾ والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة أبحر [illegible] عن ذكر المداد بيمده لانه من مد الدواة وأمدها ورفعه بالعطف على محل ان ومعمولها [illegible] حال أو الابتداء على انه مستأنف أو الواو للحال ونصبه البصريون بالعطف على اسم ان أو بفعل يفسره يمده وقرئ يمده ويمده بالياء والتاء ﴿ ما نفدت كلمات الله ﴾ بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ﴿ ان الله عزيز ﴾ لا يعجزه شيء ﴿ حكيم ﴾ لا يخرج عن علمه وحكمته امر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التوراة وفيها علم كل شيء ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ﴾ الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال

﴿ ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام ﴾ قال المفسرون لما نزلت بمكة ويسئلونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أعنيتنا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك انا أوتينا التوراة فيها علم كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم به قالوا كيف تزعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود أمروا وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفد فينقطع فأنزل الله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام أي فبريت اقلاما بعدد كل شجرة قلم ﴿ والبحر يمده ﴾ أي يزيده وينصب اليه ﴿ من بعده سبعة أبحر ﴾ أي مداد والخلائق يكتبون به كلام الله ﴿ ما نفدت كلمات الله ﴾ لانها لا نهاية لها ﴿ ان الله عزيز حكيم ﴾ قوله تعالى ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ﴾ أي الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء

في [illegible] الارض من شجرة أقلام [illegible] والبحر يمده) يعطف [illegible] (من بعده [illegible] سبعة أبحر) مدادا [illegible] (ما نفدت كلمات الله) [illegible] كلام الله [illegible] (ان الله عزيز) في ملكه وسلطانه (حكيم) في أمره وتدبيره (ما خلقكم) على الله خلقكم (ولا بعثكم) الا بعثكم (الا كنفس واحدة)

انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه (وهو محسن) فيما يعمل (فقد استمسك) تمسك وتعلق (بالعروة) هي ما يعلق به الشيء (الوثقى) تأنيث الاوثق مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أي هي صائرة اليه فيجازي عليها (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا يحزنك كفره) من حزن ... أي لا يهمنك كفر من كفر (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) فنعاقبهم على أعمالهم (ان الله عليم بذات الصدور) ... عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) زمانا (قليلا) بدنياهم (ثم نضطرهم) نلجئهم (الى عذاب غليظ) شديد شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم باضطرار المضطر الى الشيء والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله) الزامهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا (لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمدوه قال المشركين ان هذا الى حى

(وهو محسن) موحد مخلص (فقد استمسك) فقد أخذ (بالعروة) بلا اله الا الله (الوثقى) وثيقة التي لا انفصام لها (قا و خا ٩ مس) (والى الله عاقبة الامور) مرجع عواقب الامور في الآخرة التي يموتون عليها (ومن كفر) بالله من قريش أو من غيره (فلا يحزنك) يا محمد (كفره) ... (الينا مرجعهم) بعد الموت (فننبئهم) فنخبرهم (بما عملوا) في الدنيا في كفرهم (ان الله عليم بذات الصدور) بما في القلوب من خير او شر (نمتعهم) نعيشهم (قليلا) يسيرا في الدنيا (ثم نضطرهم) نصيرهم ونقلهم (الى عذاب غليظ) شديد ... (ولئن سألتهم) يا محمد (من خلق السموات والارض ليقولن) كفار مكة ... (قل الحمد لله) الشكر لله ... (بل أكثرهم) كلهم (لا يعلمون) توحيد الله ولا يشكرون نعمه (لله ما في السموات) من الخلق (والارض ان الله هو الغني) عن خلقه (الحميد) المحمود

بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدى باللام فتضمن معنى الاخلاص ﴿ وهو محسن ﴾ في عمله ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه ﴿ والى الله عاقبة الامور ﴾ اذ الكل صائر اليه ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره ﴾ فانه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من احزنه وليس بمستفيض ﴿ الينا مرجعهم ﴾ في الدارين ﴿ فننبئهم بما عملوا ﴾ بالاهلاك والتعذيب ﴿ ان الله عليم بذات الصدور ﴾ فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر ﴿ نمتعهم قليلا ﴾ تمتيعا قليلا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ﴿ ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ﴾ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او نضم الى الاحراق الضغط ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ﴾ لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه ﴿ قل الحمد لله ﴾ على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم ﴿ بل اكثرهم لا يعلمون ﴾ ان ذلك يلزمهم ﴿ لله ما في السموات والارض ﴾ لا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿ ان الله هو الغنى ﴾ عن حمد الحامدين ﴿ الحميد ﴾ المستحق للحمد وان لم يحمد

ويفوض اليه أمره ﴿ وهو محسن ﴾ أي في عمله ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ أي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه ولا يخاف انقطاعه يرتقي بسببه الى أعلى المراتب والغايات ﴿ والى الله عاقبة الامور ﴾ أي مصير جميع الاشياء اليه ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور ﴾ أي لا يخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم ❊ قوله تعالى ﴿ نمتعهم قليلا ﴾ أي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى انقضاء آجالهم ﴿ ثم نضطرهم ﴾ أي نلجئهم ونردهم ﴿ الى عذاب غليظ ﴾ الى النار في الآخرة ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ﴾ تقدم تفسيره ❊ قوله تعالى

توحيده (ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات) يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (ومافي الارض) يعني البحار والانهار والمعادن والدواب وغير ذلك (وأسبغ) وأتم (عليكم نعمه) مدني وأبو عمرو وسهل وحفص نعمته غيرهم والنعمة كل نفع قصد به الاحسان (ظاهرة) بالمشاهدة (وباطنة) مالا يعلم الا بدليل ثم قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام الهي دلني على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتي عليهم النفس وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع والخلق والخلق ونيل العطايا وصرف البلايا وقبول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس الظاهرة ماسوى من خلقك والباطنة ماستر من عيوبك (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) نزلت في النضر بن الحرث وقد مر في الحج (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب (ومن يسلم وجهه الى الله) عدى هنا بالى وفي بلى من أسلم وجهه لله باللام فمعناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أي خالصا له ومعناه مع الى

﴿ألم تروا ان الله سخر لكم مافي السموات﴾ بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم ﴿ومافي الارض﴾ بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط ﴿واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ محسوسة ومعقولة ماتعرفونه ومالاتعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة • وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر • وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ﴿ومن الناس من يجادل في الله﴾ في توحيده وصفاته ﴿بغير علم﴾ مستفاد من دليل ﴿ولا هدى﴾ راجع الى رسول ﴿ولا كتاب منير﴾ انزله الله بل بالتقليد كما قال ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ وهو منع صريح من التقليد في الاصول ﴿اولو كان الشيطان يدعوهم﴾ يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم ﴿الى عذاب السعير﴾ الى مايؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجيب ﴿ومن يسلم وجهه الى الله﴾

• قوله عز وجل ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الارض وأسبغ﴾ أي أتم وأكمل ﴿عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ماستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ نزلت في النضر بن الحرث وأبي بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته بغير علم ﴿ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ قال الله تعالى ﴿أولو كان الشيطان يدعوهم﴾ معناه أفيتبعونهم وان كان الشيطان يدعوهم ﴿الى عذاب السعير﴾ • قوله عز وجل ﴿ومن يسلم وجهه الى الله﴾ أي يخلص لله دينه

(ألم تروا) ألم تخبروا في القرآن (ان الله سخر لكم) ذلل لكم (مافي السموات) من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر (ومافي الارض) من الشجر والدواب (وأسبغ عليكم) وأتم عليكم (نعمه ظاهرة) بالتوحيد (وباطنة) بالمعرفة (و) يقال ظاهرة مايعلم الناس من حسناتك وباطنة مالا يعلم الناس من سيئاتك ويقال ظاهرة من الطعام والشراب والدراهم والدنانير وغير ذلك وباطنة من النبات والثمار والامطار والمياه وغير ذلك ويقال ظاهرة ما أكرمك بها وباطنة ماحفظك عنها (ومن الناس) وهو نضر بن الحرث (من يجادل في الله) يخاصم في دين الله (بغير علم) بلا علم (ولا هدى) ولا حجة (ولا كتاب منير) مبين بما يقول (واذا قيل لهم) لكفار مكة (اتبعوا ما أنزل الله) على نبيه من القرآن اقرؤه واعملوا بما فيه (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) من الدين والسنة (أولو كان الشيطان يدعوهم) يدعو آباءهم (الى عذاب السعير) الى الكفر والشرك وما يجب به عذاب السعير فهم يقتدون بهم (ومن يسلم وجهه الى الله) من يخلص دينه وعمله لله

المتكبرون (ولا تمش فى الارض مرحا) أى تمرح مرحا أو أوقع المصدر موقع الحال أى مرحا أو لا تمش لاجل المرح والاشر (ان الله لايحب كل مختال) متكبر (فخور) من يعدد مناقبه تطاولا (واقصد) القصد التوسط بين الغلو والتقصير (فى مشيك) أى اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثوب الشطار قال عليه والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة فى عمر رضى الله عنه كان اذا مشى أسرع فانما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وعن ابن مسعود رضى الله عنه كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك معناه وانظر موضع قدميك متواضعا (واغضض من صوتك) وانقص منه أى اخفض صوتك (ان أنكر الاصوات) أى أوحشها (لصوت الحمير) لان أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار وعن الثورى صياح كل شئ تسبيح الا الحمار فانه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكرا وفى تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيه على ان رفع الصوت فى غاية الكراهة يؤيده ماروى انه عليه السلام كان يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت ويكره ان يكون جهور الصوت وانما وحد صوت الحمير ولم يجمع لانه لم يرد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب

من الصعر وهو داء يعترى البعير فيلوى منه عنقه * وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائى ولا تصاعر * وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ﴿ ولا تمش فى الارض مرحا ﴾ اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا اولاجل المرح وهو البطر ﴿ ان الله لايحب كل مختال فخور ﴾ علة للنهى وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشى مرحا ليوافق رؤس الآى ﴿ واقصد فى مشيك ﴾ توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضى الله عنها فى عمر رضى الله عنه كان اذا مشى اسرع * فالمراد مافوق دبيب المتماوت * وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية ﴿ واغضض من صوتك ﴾ وانقص منه واقصر ﴿ ان انكر الاصوات ﴾ اوحشها ﴿ لصوت الحمير ﴾ والحمار مثل فى الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس فى التنكير دون الآحاد اولانه مصدر فى الاصل

وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه شحنة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذى اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لاتحتقر الفقراء فليكن الفقير والغنى عندك سواء ﴿ ولا تمش فى الارض مرحا ﴾ أى خيلاء ﴿ ان الله لايحب كل مختال ﴾ فى مشيه ﴿ فخور ﴾ أى على الناس ﴿ واقصد فى مشيك ﴾ أى ليكن فى مشيتك قصد بين الاسراع والتأنى أما الاسراع فهو من الخيلاء وأما التأنى فهو ان يرى فى نفسه الضعف تزهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار ﴿ واغضض ﴾ أى اخفض وقيل انقص ﴿ من صوتك ان أنكر ﴾ أى أقبح ﴿ الاصوات لصوت الحمير ﴾ لان أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثورى فى هذه الآية قال صياح كل شئ تسبيح الا الحمار وقيل معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتنى بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه أخرى وقال له اذبحها وائتنى باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان أى الناس شر قال الذى لايبالى أن يراه الناس مسيأ

ويقال لاتحقر فقراء المسلمين (ولا تمش فى لارض مرحا) بالتكبر والخيلاء (ان الله لايحب كل مختال) فى مشيته (فخور) بنعم الله (واقصد فى مشيك) تواضع فيها (واغضض من صوتك) واخفض صوتك ولا تكن سليطا (ان أنكر الاصوات) يقول أقبح وأشر الاصوات (لصوت الحمير

وأنث المثقل لاضافته الى الحبة كما قال ٭ كما شرقت صدر القناة من الدم ٭ وكان تامة والباقون بالنصب والضمير للهيئة من الاساءة والاحسان أى ان كانت مثلا فى الصغر لحبة خردل (فتكن فى صخرة أوفى السموات أوفى الارض) أى فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أوحيث كانت فى العالم العلوى أوالسفلى والاكثر على انها التى عليها الارض وهى السجين يكتب فيها أعمال الفجار وليست من الارض (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (ان الله لطيف) يتوصل علمه الى كل خفى (خبير) عالم بكنهه اولطيف باستخراجها خبير بمستقرها (يابنى أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك) فى ذات الله تعالى اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أوعلى ماأصابك من المحن فانها تورث المنح (ان ذلك) الذى وصيتك به (من عزم الامور) أى مما عزمه الله من الامور أى قطعه قطع ايجاب والزام أى أمر به أمراحتما وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الامور أى مقطوعاتها ومفروضاتها وهذا دليل على ان هذه الطاعات كانت مأمورا بها فى سائر الامم (ولاتصعر خدك للناس) أى ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر أبوعمرو ونافع وحمزة وعلى وهو بمعنى تصعر والصعر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولاتولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله (وتعرض)

ان تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقل الى الحبة كقوله

كما شرقت صدر القناة من الدم

اولان المراد به الحسنة او السيئة ﴿ فتكن فى صخرة اوفى السموات اوفى الارض ﴾ فى اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة اواعلاه كمحدب السموات اواسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر فى وكنته ﴿ يأت بها الله ﴾ يحضرها فيحاسب عليها ﴿ ان الله لطيف ﴾ يصل علمه الى كل خفى ﴿ خبير ﴾ عالم بكنهه ﴿ يابنى اقم الصلوة ﴾ تكميلا لنفسك ﴿ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ﴾ تكميلا لغيرك ﴿ واصبر على ما اصابك ﴾ من الشدائد سيما فى ذلك ﴿ ان ذلك ﴾ اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به ﴿ من عزم الامور ﴾ مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اى جد ﴿ ولاتصعر خدك للناس ﴾ لاتمله عنهم ولاتولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون

ياأبت ان عملت الخطيئة حيث لايرانى أحد كيف يعلمها الله قال يابنى انها أى الخطيئة ان تك مثقال حبة من خردل أى فى الصغر ﴿ فتكن ﴾ أى مع صغرها ﴿ فى صخرة ﴾ قال ابن عباس صخرة تحت الارضين السبع وهى التى يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على صخرة وهى التى ذكر لقمان انها ليست فى الارض ولا فى السماء فلذلك قال ﴿ أوفى السموات أوفى الارض ﴾ والصخرة على متن الريح والريح على القدرة ﴿ يأت بها الله ﴾ معناه ان الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله ﴿ ان الله لطيف ﴾ أى باستخراجها ﴿ خبير ﴾ أى بمكانها ومعنى الآية له الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمتها فمات ﴿ يابنى أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ﴾ من الاذى ﴿ ان ذلك من عزم الامور ﴾ يعنى اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التى أمر الله بها ﴿ ولاتصاعر ﴾ وقرئ تصعر ﴿ خدك للناس ﴾ قال ابن عباس لاتتكبر فتحقر الناس

فتكن فى صخرة) اى تحت الارضين (أوفى السموات) أوفوق السموات (أوفى الارض) أو فى بطن الارض (يأت بها الله) الى صاحبها حيثما يكون (ان الله لطيف) باستخراجها (خبير) بمكانها (يابنى أقم الصلوة) أتم الصلاة (وأمر بالمعروف) بالتوحيد والاحسان (وانه عن المنكر) عن الشرك والقبيح من القول والعمل (واصبر على ماأصابك) فيهما (ان ذلك) يعنى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويقال الصبر (من عزم الامور) من حزم الامور وخير الامور (ولاتصعر خدك للناس) لاتعرض وجهك من الناس تكبرا وتعظما عليهم

من المشاق في حمله وفصاله هذه المدة الطويلة تذكيرا بحقها العظيم مفردا وعن ابن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما (الى المصير) أي مصيرك الى وحسابك على (وان جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم) أراد بنفي العلم به نفيه أي لاتشرك بي ماليس بشيء يريد الاصنام (فلا تطعهما) في الشرك (وصاحبهما في الدنيا معروفا) صفة مصدر محذوف أي صحابا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة (واتبع سبيل من أناب الى) أي سبيل المؤمنين في دينك ولاتتبع سبيلهما فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا وقال ابن عطاء صاحب من ترى عليه أنوار خدمتي (ثم الى مرجعكم) أي مرجعك ومرجعهما (فانبئكم بما كنتم تعملون) فاجازيك على ايمانك وأجازيهما على كفرهما وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك يعني انا وصيناه بوالديه وأمرناه أن لا يطيعهما في الشرك وان جهدا كل الجهد لقبحه (يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل) بالرفع مدني والضمير للقصة

تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثمه قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك ﴿الى المصير﴾ فاحاسبك على شكرك وكفرك ﴿وان جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم﴾ باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه ﴿فلا تطعهما﴾ في ذلك ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم ﴿واتبع﴾ في الدين ﴿سبيل من اناب الى﴾ بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ﴿ثم الى مرجعكم﴾ مرجعك ومرجعهما ﴿فانبئكم بما كنتم تعملون﴾ بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال وقد وصينا بمثل ماوصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لايجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيأ ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضي الله عنه فانه اسلم بدعوته ﴿يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل﴾ اى ان الخصلة من الاساءة اوالاحسان

الى المصير﴾ لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال الى المصير يعني ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والآخرة وقيل لما أمر بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير الى قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين ﴿وان جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما﴾ قال النخعي يعني ان طاعتهما واجبة فان أفضى ذلك الى الاشراك بي فلا تطعهما في ذلك لانه لاطاعة للمخلوق في معصية الخالق ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة ﴿واتبع سبيل من أناب الى﴾ أي اتبع دين من أقبل الى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب الى يعني أبا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام أسلموا بارشاد أبي بكر ﴿ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل﴾ وذلك ان ابن لقمان قال لابيه

(الى المصير) مصيرك ومصير والديك (وان جاهداك) أمراك وأراداك (على أن تشرك بي ماليس لك به علم) انه شريكي ولك به علم انه ليس بشريكي (فلا تطعهما) في الشرك (وصاحبهما في الدنيا معروفا) بالبر والاحسان (واتبع سبيل من أناب الى) دين من أقبل الى والى طاعتي وهو محمد عليه السلام (ثم الى مرجعكم) ومرجع أبويكم (فانبئكم) أخبركم (بما كنتم تعملون) من الخير والشر ثم رجع الى كلام لقمان (يابني انها) يعني الحسنة ويقال الرزق (ان تك مثقال حبة) وزن حبة (من خردل

حكيما في قوله وفعله ومعاشرته وصحبته وقال السري السقطي الشكر أن لا تعصى الله بنعمه وقال الجنيد أن لا ترى معه شريكا في نعمه وقيل هو الاقرار بالعجز عن الشكر والحاصل ان شكر القلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الاركان الطاعة ورؤية العجز في الكل دليل قبول الكل (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لان منفعته تعود اليه فهو يريد المزيد (ومن كفر النعمة (فان الله غنى) غير محتاج الى الشكر (حميد) حقيق بان يحمد وان لم يحمده أحد (واذ) أى واذكر اذ (قال لقمان لابنه) انعم أو اشكم (وهو يعظه يابنى) بالاسكان مكي يابنى حفص بفتحه في كل القرآن (لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لا نعمة الا وهى منه ومن لا نعمة له أصلا (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) أى حملته تهن وهنا على وهن أى تضعف ضعفا فوق ضعف أى يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد أو عظم ازدادت ثقلا وضعفا (وفصاله فى عامين) أى فطامه عن الرضاع لتمام عامين (أن اشكر لى ولوالديك) هو تفسير لوصينا أى وصيناه بشكرنا وبشكر والديه وقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين اعتراض بين المفسر والمفسر لانه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه

﴿ ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ﴾ لان نفعه عائد اليه وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ﴿ ومن كفر فان الله غنى ﴾ لا يحتاج الى الشكر ﴿ حميد ﴾ حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال ﴿ واذ قال لقمان لابنه ﴾ انعم او اشكم او ماثان ﴿ وهو يعظه يابنى ﴾ تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يابنى لاتشرك بالله باسكان الياء وقنبل يابنى اقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يابنى انها ان تك بفتح الياء والبزى مثله فى الاخير وقرأ الباقون فى الثلاثة بكسر الياء ﴿ لاتشرك بالله ﴾ قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لاتشرك جعل بالله قسما ﴿ ان الشرك لظلم عظيم ﴾ لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ﴾ ذات وهن او تهن وهنا ﴿ على وهن ﴾ اى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة فى موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا ﴿ وفصاله فى عامين ﴾ وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ﴿ ان اشكر لى ولوالديك ﴾

وذلك لان المراد من العلم العمل به والشكر عليه ﴿ ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ﴾ أى عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه ﴿ ومن كفر ﴾ عليه يعود وبال كفره ﴿ فان الله غنى ﴾ أى غير محتاج الى شكر الشاكرين ﴿ حميد ﴾ أى هو حقيق بان يحمد وان لم يحمده أحد * قوله تعالى ﴿ واذ قال لقمان لابنه ﴾ قيل اسمه أنعم وقيل أشكم ﴿ وهو يعظه ﴾ وذلك لان أعلى مراتب الانسان أن يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله اشارة الى الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل لغيره وبدأ بالاقرب اليه وهو ابنه وبدأ فى وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله ﴿ يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ﴾ لان التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ﴾ قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف والرضاعة ضعف ﴿ وفصاله فى عامين ﴾ أى فطامه فى سنتين ﴿ أن اشكر لى ولوالديك

(ومن يشكر) نعمته بالتوحيد والطاعة (فانما يشكر) بالتوحيد والطاعة (لنفسه) الثواب (ومن كفر) نعمته (فان الله غنى) عن شكره (حميد) فى فعاله (واذ قال لقمان لابنه) {الى سلام (وهو يعظه) ينهاه عن الشر ويأمره بالخير (يابنى لاتشرك بالله ان الشرك) بالله (لظلم عظيم) لذنب عظيم عقوبته عند الله (ووصينا الانسان) سعد بن أبى وقاص (بوالديه) برهما (حملته أمه) فى بطنها (وهنا على وهن) ضعفا على ضعف وشدة على شدة ومشقة على مشقة كلما كبر الولد فى بطنها كان أشد عليها (وفصاله) فطامه (فى عامين) فى سنتين (ان اشكر لى) بالتوحيد والطاعة (ولوالديك) بالتربية

استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق اوما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه ﴿ بل الظالمون فى ضلال مبين ﴾ اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لايخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ يعنى لقمان بن باعوراء من اولاد آزر بن اخت ايوب اوخالته وعاش الف سنة حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت فى يدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح شاة ويأتى باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتى باخبث مضغتين منها فأتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا ﴿ ان اشكر لله ﴾ لان اشكر اواى اشكر فان ايتاء الحكمة فى معنى القول

﴿ بل الظالمون فى ضلال مبين ﴾ قوله عز وجل ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ قيل هو لقمان بن باعوراء ابن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا فى بنى اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الاعكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان نائما نصف الليل فنودى يالقمان هل لك أن نجعلك خليفة فى الارض فتحكم بين الناس فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة وانى أعلم ان الله ان فعل بى ذلك أعاننى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لايراهم لم يالقمان قال ان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان عدل فبالحرى ان ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى فى الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود بحكمته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست فلانا الراعى قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك مالا يعنينى وقيل كان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خير السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشى رابعهم أوتى الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة فى الامور وقيل الحكمة شئ يجعله الله فى القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك المبصر * وقوله ﴿ أن اشكر لله ﴾

فى ضلال ليس بعده ضلال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب او ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفى اذا كفيت وقيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل وقال عكرمة والشعبى كان نبيا والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وهى الاصابة فى القول والعمل وقيل تتلمذ لالف نبى وتتلمذ له ألف نبى وان فى (أن اشكر لله) مفسرة والمعنى أى اشكر لله لان ايتاء الحكمة فى معنى القول وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقى هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيما حتى يكون

يعنى الاوثان (بل الظالمون) المشركون (فى ضلال مبين) فى خطأ بين (ولقد آتينا) أعطينا (لقمان الحكمة) العلم والفهم واصابة القول والفعل (أن اشكر لله) بالتوحيد والطاعة

ان الذين أمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) ولاوقف عليه لان (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره اذ لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد وحقا يدل على معنى الثبات فأكد به معنى الوعد ومؤكدهما لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذى لايغلبه شئ فيهين أعداءه بالعذاب المهين (الحكيم) بما يفعل فيثيب أولياءه بالنعيم المقيم (خلق السموات بغير عمد) جمع عماد (ترونها) الضمير للسموات وهو استشهاد برؤيتهم انها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح ترانى ولا محل لها من الاعراب لانها مستأنفة أو فى محل الجر صفة لعمد أى بغير عمد مرئية يعنى انه عمدها بعمد لاترى وهى امساكها بقدرته (وألقى فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن تميد بكم) لئلا تضطرب بكم (وبث) ونشر (فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن (هذا) اشارة الى ماذكر من مخلوقاته (خلق الله) أى مخلوقه (فأرونى ماذا خلق الذى من دونه) يعنى آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله فأرونى ماخلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم

نافع فى اذنيه وذكر البشارة على التهكم ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ﴾ اى لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة ﴿ خالدين فيها ﴾ حال من الضمير فى لهم او من جنات والعامل ماتعلق به اللام ﴿ وعد الله حقا ﴾ مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا ﴿ وهو العزيز ﴾ الذى لايغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده ﴿ الحكيم ﴾ الذى لايفعل الا ماتستدعيه حكمته ﴿ خلق السموات بغير عمد ترونها ﴾ استئناف وقد سبق فى الرعد ﴿ والقى فى الارض رواسى ﴾ جبالا شوامخ ﴿ ان تميد بكم ﴾ كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضى تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته اولشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين ﴿ وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله ﴿ هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ﴾ هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا ﴾ يعنى وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لايخلف الميعاد ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ قوله تعالى ﴿ خلق السموات بغير عمد ﴾ قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصحفة مستوية وهو قول المفسرين وهى فى الفضاء والفضاء لانهاية له وكون السماء فى بعضه دون بعض ليس ذلك الا بقدرة قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد ﴿ ترونها ﴾ أى ليس لها شئ يمنعها الزوال من موضعها وهى ثابتة لاتزول وليس ذلك الا بقدرة الله تعالى وفى قوله ترونها وجهان أحدهما انه راجع الى السموات أى ليست هى بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثانى انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية ﴿ وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم ﴾ أى لئلا تتحرك بكم ﴿ وبث فيها ﴾ أى فى الارض ﴿ من كل دابة ﴾ أى يسكنون فيها ﴿ وأنزلنا من السماء ماء ﴾ يعنى المطر وهو من انعام الله على عباده وفضله ﴿ فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ أى من كل صنف حسن ﴿ هذا ﴾ يعنى الذى ذكرت مما تعاينون ﴿ خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه ﴾ أى آلهتكم التى تعبدونها

(ان الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (لهم جنات النعيم) لايفنى نعيمها (خالدين فيها) مقيمين فيها لايموتون ولايخرجون منها (وعد الله) المؤمنين بالجنة (حقا) صدقا (وهو العزيز) فى ملكه وسلطانه (الحكيم) فى أمره وقضائه (خلق) لله (السموات بغير عمد ترونها) بلا عمد ويقال بعمد لاترونها (وألقى فى الارض) خلق الارض (رواسى) الجبال الثوابت أوتادها (أن تميد بكم) لكى لاتميد بكم (وبث فيها) خلق وبسط فى الارض (من كل دابة) فيها الروح (وأنزلنا من السماء ماء) مطرا (فأنبتنا فيها) فى الارض (من كل زوج) لون (كريم) حسن (هذا خلق الله) هذا مخلوقى أنا خلقته (فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) من دون الله

فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذى يسقط والاشتراء من الشراء كما روى عن النضر أو من قوله اشتروا الكفر بالايمان أى استبدلوه منه واختاروه عليه أى يختارون حديث الباطل على حديث الحق واضافة اللهو الى الحديث للتبيين بمعنى من لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء فى الحديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش أو للتبعيض كانه قيل ومن الناس من يشترى بعض الحديث الذى هو اللهو منه (ليضل) أى ليصد الناس عن الدخول فى الاسلام واستماع القرآن ليضل مكى وأبو عمرو أى ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ويزيد فيه (عن سبيل الله) عن دين الاسلام والقرآن (بغير علم) أى جهلا منه بما عليه من الوزر به (ويتخذها) أى السبيل بالنصب كوفى غير أبى بكر عطفا على ليضل ومن رفع عطفه على يشترى (هزوا) بسكون الزاى والهمزة حمزة وبضم الزاى بلا همز حفص وغيرهم بضم الزاى والهمزة (أولئك لهم عذاب مهين) أى يهينهم ومن لابهامه يقع على الواحد والجمع أى النضر وأمثاله (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) أعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن الاصغاء الى القرآن (كأن لم يسمعها) يشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والاصل كانه والضمير ضمير الشأن (كأن فى أذنيه وقرا) ثقلا وهو حال من لم يسمعها أذنيه نافع (فبشره بعذاب أليم

وقيل نزلت فى النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ دينه اوقراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه ﴿بغير علم﴾ بحال مايشتريه اوبالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ﴿ويتخذها هزؤا﴾ ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى ويعقوب وحفص عطفا على ليضل ﴿اولئك لهم عذاب مهين﴾ لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه ﴿واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا﴾ متكبرا لايعبأ بها ﴿كأن لم يسمعها﴾ مشابها حاله حال من لم يسمعها ﴿كأن فى اذنيه وقرا﴾ مشابها من فى اذنيه ثقل لايقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى اومستكبرا والثانية بدل منها اوحال من المستكن فى لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين ﴿فبشره بعذاب اليم﴾ اعلمه بان العذاب يحيقه لامحالة وقرأ

ولاخير فى تجارة فيهن وثمنهن حرام وفى مثل هذا نزلت ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب المزمار وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشترى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعى الغناء ينبت النفاق وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ أى عن دين الاسلام وسماع القرآن ﴿بغير علم﴾ أى يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ﴿ويتخذها هزوا﴾ أى يتخذ آيات الله مزحا ﴿أولئك﴾ يعنى الذين هذه صفتهم ﴿لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا﴾ أى لايعبأ بها ولا يرفع لها رأسا ﴿كأن لم يسمعها﴾ أى يشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع ﴿كأن فى أذنيه وقرا﴾ أى ثقلا ولا وقر فيهما ﴿فبشره بعذاب أليم

ويقال هو الشرك بالله (ليضل) بذلك (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (بغير علم) بلا علم ولا حجة (ويتخذها هزوا) سخرية (أولئك لهم عذاب مهين) شديد (واذا تتلى) تقرأ (عليه آياتنا) بالامر والنهى (ولى مستكبرا) رجع متعظما عن الايمان بها (كأن لم يسمعها) لم يعها (كأن فى أذنيه وقرا) صمما (فبشره) يامحمد (بعذاب اليم) وجيع يوم بدر فقتل يوم بدر صبرا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الم تلك آيات الكتاب الحكيم) ذى الحكمة أو وصفه بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازى (هدى ورحمة) حالان من الآيات والعامل معنى الاشارة فى تلك وقرأ حمزة بالرفع على أن تلك مبتدأ وآيات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أى هو أو هى هدى ورحمة (للمحسنين) الذين يعملون الحسنات المذكورة فى قوله (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون) ونظيره قول أوس الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

أو للذين يعملون جميع مايحسن ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاثة لفضلها (أولئك على هدى) مبتدأ وخبر (من ربهم) صفة لهدى (وأولئك هم المفلحون) عطف عليه (ومن الناس من يشترى لهوا الحديث) نزلت فى النضر بن الحرث وكان يشترى أخبار الاكاسرة من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث الاكاسرة فيميلون الى حديثه ويتركون استماع القرآن واللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعنى ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير التى لا أصل لها والغناء وكان ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما يحلفان أنه الغناء وقيل الغناء مفسدة للقلب منفدة للمال مسخطة للرب وعن النبى صلى الله عليه وسلم مامن رجل يرفع صوته بالغناء الابعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ سبق بيانه فى يونس ﴿هدى ورحمة للمحسنين﴾ حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعها حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر محذوف ﴿الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتدادبها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره ﴿اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون﴾ لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير التى لا اعتبار فيها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين﴾ أى الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم فقال ﴿الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ * قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ الآية قيل نزلت فى النضر بن الحرث بن كلدة وكان يتجر فيأتى الحيرة ويشترى أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنين ومعنى الآية ومن الناس من يشترى ذات لهو أوذا لهو الحديث وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل تعليم المغنيات ولابيعهن وثمنهن حرام وفى مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ومامن رجل يرفع صوته بالغناء الابعث الله له شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلايزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت أخرجه الترمذى وهذا لفظه عن أبى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتبيعوا القينات المغنيات ولاتشتروهن ولاتعلموهن

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الم) يقول أنا الله أعلم ويقال قسم أقسم به (تلك) هذه السورة (آيات الكتاب الحكيم) آيات القرآن مبين الحلال والحرام والامر والنهى (هدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (للمحسنين) لخصيص الموحدين (الذين يقيمون الصلوة) يتمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها ومايجب فيها فى مواقيتها (ويؤتون الزكوة) يعطون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (هم يوقنون) يصدقون (أولئك على هدى) على بيان وكرامة (من ربهم أولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (ومن الناس) وهو نضر بن الحرث (من يشترى لهو الحديث) أباطيل الحديث وكتب الاساطير والشعر والنجوم والحساب والغنا

ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون) أى ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم

اذا جئتهم

بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أى مثل ذلك الطبع وهو الختم يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرف خلق الله فى تلك الصفة (فاصبر) على أذاهم او عداوتهم (ان وعد الله) بنصرتك على أعدائك واظهار دين الاسلام على كل دين (حق) لابد من انجازه والوفاء به (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) أى لا يحملنك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والعجلة فى الدعاء عليهم بالعذاب أو لا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم ضلال شاكون لا يستبدع منهم ذلك ولا يستخفنك بسكون النون عن يعقوب والله الموفق للصواب

﴿ سورة لقمان مكية وهى ثلاث أو أربع وثلاثون آية ﴾

من كل وجه (ولئن جئتهم بآية) من السماء كما طلبوا

هى فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبئهم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ﴿ ولئن جئتهم بآية ﴾ من آيات القرآن ﴿ ليقولن الذين كفروا ﴾ من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ﴿ ان انتم ﴾ يعنون الرسول والمؤمنين ﴿ الا مبطلون ﴾ مزورون ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الطبع ﴿ يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على اذاهم ﴿ ان وعد الله ﴾ بنصرتك واظهار دينك على الدين كله ﴿ حق ﴾ لابد من انجازه ﴿ ولا يستخفنك ﴾ ولا يحملنك على الخفة والقلق ﴿ الذين لا يوقنون ﴾ بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب تخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اى لا يزيغوك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وادرك ماضيع فى يومه وليلته

﴿ سورة لقمان مكية وقيل الا الآية وهى الذين يقيمون الصلاة ﴾
﴿ ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف ﴾
﴿ لانه لا ينافى شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ﴾
﴿ ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وآيها اربع ﴾
﴿ وثلاثون وقيل ثلاث وثلاثون آية ﴾

الكفاية من الانذار ﴿ ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون ﴾ يعنى ما أنتم الا على باطل وذلك على سبيل العناد فان قلت ما معنى توحيد الخطاب فى قوله ولئن جئتهم والجمع فى قوله ان أنتم الا مبطلون قلت فيه لطيفة وهى ان الله تعالى قال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن أن يقال معناه انكم كلكم ايها الرسل مبطلون ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ أى توحيد الله ﴿ فاصبر ان وعد الله حق ﴾ أى فى نصرك واظهارك على عدوك ﴿ ولا يستخفنك ﴾ أى لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستخفن رأيك ﴿ الذين لا يوقنون ﴾ اى بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة لقمان وهى مكية واربع وثلاثون آية وخمسمائة ﴾
﴿ وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف ﴾

(ليقولن الذين كفروا) كفار مكة (ان أنتم) ما أنتم يا معشر المؤمنين (الا مبطلون) كاذبون (كذلك) هكذا (يطبع الله) يختم الله (على قلوب الذين لا يعلمون) توحيد الله ولا يصدقون به (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) بالنصرة والدولة وبهلاكهم (حق) كائن صدق (ولا يستخفنك) لا يستزلنك عن الايمان يوم القيامة (الذين لا يوقنون) لا يصدقون وهم أهل مكة ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها لقمان وهى كلها مكية آياتها أربع وثلاثون وكلماتها سبعمائة وثمان وأربعون وحروفها ألفان ومائة وعشرة أحرف ﴾

في القبور أو في الدنيا (غير ساعة) جواب القسم استقلوا مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لهول يوم القيامة وطول مقامهم في شدائده أو ينسون أو يكذبون (كذلك كانوا يؤفكون) أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق الى الكذب في الدنيا ويقولون ماهي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) هم الانبياء والملائكة والمؤمنون (لقد لبثتم في كتاب الله) في علم الله المثبت في اللوح أو في حكم الله وقضائه (الى يوم البعث) ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم) في الدنيا (لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه والفاء لجواب شرط يدل عليه الكلام تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذي أنكرتموه (فيومئذ لا ينفع) بالياء كوفي (الذين ظلموا) كفروا (معذرتهم) عذرهم (ولاهم يستعتبون) أي لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل

في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل الساعات والايام والاعوام ﴿غير ساعة﴾ استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة ونسيانا ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق ﴿كانوا يؤفكون﴾ يصرفون في الدنيا ﴿وقال الذين اوتوا العلم والايمان﴾ من الملائكة او من الانس ﴿لقد لبثتم في كتاب الله﴾ في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ ﴿الى يوم البعث﴾ ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه ﴿فهذا يوم البعث﴾ الذي انكرتموه ﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ انه حق لتفريطكم في النظر والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ﴿ولاهم يستعتبون﴾ لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فأعتبته اي استرضاني فأرضيته ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي

أي في الدنيا ﴿غير ساعة﴾ معناه انهم استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه ما لبثوا في قبورهم غير ساعة ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ أي يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك انهم كذبوا في قولهم ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا يبعثوا والمعنى ان الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى ﴿وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث﴾ أي في كتاب الله الذي كتب لكم في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل معنى الآية وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والايمان يعني الذين يعلمون كتاب الله قالوا للمنكرين لقد لبثتم الى يوم البعث أي في قبوركم ﴿فهذا يوم البعث﴾ أي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ أي وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن يدل عليه قوله تعالى ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون﴾ أي لا تطلب منهم العتبى والرجوع في الآخرة وقيل لا تطلب منهم التوبة التي تزيل الجريمة لانه لا تقبل منهم قوله تعالى ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق

(غير ساعة) غير قدر ساعة (كذلك) كما كانوا يكذبون في الآخرة (كانوا يؤفكون) يكذبون في الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) أكرموا بالعلم والايمان (لقد لبثتم) في القبور (في كتاب الله) بكتاب الله وهم الملائكة وقيل هم النبيون وقيل هم المخلصون في ايمانهم يقولون للكفار (الى يوم البعث) { الكفاية } الى يوم يبعثون من القبور (فهذا يوم البعث) يوم القيامة (ولكنكم كنتم) في الدنيا (لا تعلمون) ذلك ولا تصدقون (فيومئذ) وهو يوم القيامة (لا ينفع الذين ظلموا) أشركوا (معذرتهم) اعتذارهم من ذنب (ولاهم يستعتبون) ولاهم يرجعون عن سيئة ولاهم يردون الى الدنيا (ولقد ضربنا) بينا (للناس في هذا القرآن من كل مثل)

(ولاتسمع الصم الدعاء)ولايسمع الصم مكي (اذاولوا مدبرين) فان قلت الاصم لايسمع مقبلا أومدبرا فمافائدة هذا التخصيص قلت هو اذاكان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذاولى لايسمع ولايفهم بالاشارة (وماأنت بهادى العمى)أى عمى القلوب وماأنت تهدى العمى حمزة (عن ضلالتهم)أى لايمكنك ان تهدى الاعمى الى طريق قدضل عنه باشارة منك له اليه (ان تسمع) ماتسمع (الامن يؤمن بآياتنافهم مسلمون)منقادون لاوامر الله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف)من النطف كقوله من ماء مهين (ثم جعل من بعدضعف ﴿ ٥٣ ﴾ قوة) يعنى حال { سورة الروم } الشباب وبلوغ الاشد

وهم مثلهم لماسدواعن الحق مشاعرهم ﴿ ولاتسمع الصم الدعاءاذاولوامدبرين ﴾ قيدالحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيأوقرأ ابن كثير بالياءمفتوحة ورفع الصم ﴿ ومااانت بهادى العمى عن ضلالتهم ﴾ سماهم عميالفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار اولعمى قلوبهم وقرأ حمزة وحدة تهدى العمى ﴿ ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا ﴾ فان ايمانهم يدعوهم الى تلقى اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يرادبالمؤمن المشارف للايمان ﴿ فهم مسلمون ﴾ لماتأمرهم به ﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ﴾ اى ابتدأكم ضعفاءوجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان ضعيفا اوخلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ﴿ ثم جعل من بعدضعف قوة ﴾ وذلك اذابلغتم الحلم اوتعلق بابدانكم الروح ﴿ ثم جعل من بعدقوة ضعفا وشيبة ﴾ اذا اخذمنكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد فى جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضى الله عنه قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأنى من ضعف وهمالغتان كالعقر والعقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم ﴿ يخلق مايشاء ﴾ من ضعف وقوة وشيبة وشيبة ﴿ وهو العليم القدير ﴾ فان الترديد فى الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ القيامة سميت لانهاتقوم فى آخرساعة من ساعات الدنيا ولانهاتقع بغتة وصارت علمالها بالغلبة كالكوكب للزهرة ﴿ يقسم المجرمون مالبثوا ﴾

ولاتسمع الصم الدعاءاذاولوامدبرين وماأنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الامن يؤمن بآياتنافهم مسلمون ﴾ تقدم تفسيره ✲ قوله تعالى ﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ﴾ أى بدأكم وانشأكم على ضعف وقيل من ماءذى ضعف وقيل هواشارة الى احوال الانسان كان جنينا ثم طفلاومولودا ومفطومافهذه أحوال غاية الضعف ﴿ ثم جعل من بعدضعف قوة ﴾ أى من بعدضعف الصغر شباباوهووقت القوة ﴿ ثم جعل من بعدقوة ضعفا ﴾ أى هرما ﴿ وشيبة ﴾ وهو تمام النقصان ﴿ يخلق مايشاء ﴾ أى من الضعف والقوة والشباب والشيبة وليس ذلك من أفعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته ﴿ وهو العليم ﴾ بتدبير خلقه ﴿ القدير ﴾ على مايشاء ✲ قوله تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ﴾ أى يحلف المشركون ﴿ مالبثوا ﴾

(ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة)يعنى حال الشيخوخة والهرم (يخلق مايشاء) من ضعف وقوة وشباب وشيبة(وهو العليم)باحوالهم (القدير) على تغييرهم وهذا الترديد فى الاحوال أبين دليل على الصانع العليم القدير بفتح الضاد فى الكل عاصم وحمزة وضم غيرهما وهواختيار حفص وهما لغتان والضم أقوى فى القراءة لماروى عن ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأنى من ضعف (ويوم تقوم الساعة)أى القيامة سميت بذلك لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أولانها تقع بغتة كما تقول فى ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا (يقسم المجرمون) يحلف الكافرون ولاوقف عليه لان (مالبثوا)

اموى من ث ندعت (ولاتسمع الصم)المتصامم (الدعاء) دعوتك الى الحق والهدى (اذاولوا)أعرضوا (مدبرين) عن الحق والهدى (وماأنت بهادى العمى عن ضلالتهم)الى الهدى(ان تسمع)ماتسمع دعوتك(الامن يؤمن بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (فهم مسلمون) مخلصون له بالعبادة والتوحيد(الله الذى خلقكم من ضعف)من نطفة ضعيفة(ثم جعل من بعدضعف قوة) رجالا شبابا قويا (ثم جعل من بعدقوة ضعفا) هرما(وشيبة) شمطابعدشباب(يخلق مايشاء)يحول خلقه كمايشاء من حال الى حال(وهوالعليم) بخلقه(القدير)عليهم بتحويله(ويوم تقوم الساعة) وهويوم القيامة (يقسم المجرمون)يحلف المشركون بالله (مالبثو) فى القبور

التوكيد وفيها الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم يأسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك (لمبلسين) آيسين (فانظر الى آثار) شامي وكوفي غير أبي بكر وغيرهم أثر (رحمت الله) أي المطر (كيف يحيي الارض) بالنبات وأنواع الثمار (بعد موتها ان ذلك) أي الله (لمحيي الموتى) يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم فهذا استدلال باحياء الموات على احياء الاموات (وهو على كل شئ قدير) ى وهو على كل شئ من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء (ولئن أرسلنا ريحا) أي الدبور (فرأوه) أي أثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت (مصفرا) بعد اخضراره وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لان السحاب الاصفر لا يمطر واللام في لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط فسد مسد جوابي القسم والشرط (لظلوا) ومعناه ليظلن (من بعده يكفرون) أي من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار ذمهم الله تعالى بانه اذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فاذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففرحوا وأن يصبروا على بلائه فكفروا (فانك لا تسمع الموتى) أي موتى القلوب أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع ان يقبلوا منك ﴿ ولا تسمع ﴾

للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال ﴿ لمبلسين ﴾ لآيسين ﴿ فانظر الى آثر رحمت الله ﴾ اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزه والكسائي وحفص ﴿ كيف يحيي الارض بعد موتها ﴾ وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ﴿ ان ذلك ﴾ يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها ﴿ لمحيي الموتى ﴾ لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ﴿ ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا ﴾ فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله ﴿ لظلوا من بعده يكفرون ﴾ جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييئسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه ﴿ فانك لا تسمع الموتى ﴾

لمبلسين ﴾ أي آيسين ﴿ فانظر الى آثار رحمت الله ﴾ أي المطر والمعنى انظر الى حسن تأثيره في الارض وهو قوله تعالى ﴿ كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى ﴾ يعني ان الذي أحيا الارض بعد موتها قدر على احياء الموتى ﴿ وهو على كل شئ قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا ﴾ أي الزرع بعد الخضرة ﴿ لظلوا من بعده ﴾ أي من بعد اصفرار الزرع ﴿ يكفرون ﴾ أي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم لجحدوا سالف نعمتي ﴿ فانك لا تسمع الموتى

(لمبلسين) آيسين من المطر (فانظر) يا محمد (الى آثار رحمت الله) قدام المطر و بعد المطر (كيف يحيي الارض بعد موتها) بعد قحطها ويبوستها (ان ذلك) الذي يحيي الارض بعد موتها (لمحيي الموتى) للبعث (وهو على كل شئ) من الحياة والموت والبعث للخلق (قدير ولئن أرسلنا ريحا) حارة أو باردة على الزرع (فرأوه) الزرع (مصفرا) متغيرا بعد خضرته (لظلوا) لصاروا (من بعده) من بعد صفرته (يكفرون) بالله وبنعمته يقول يقيمون على الكفر بالله وبنعمته (فانك لا تسمع الموتى) لا تفقه

الآية (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) أي ولتشكروا نعمة الله فيها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) أي فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله (فانتقمنا من الذين أجرموا) أي كفروا بالاهلاك في الدنيا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي وكان نصر المؤمنين حقا علينا بانجائهم مع الرسل وقد وقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم تبتدئ علينا نصر المؤمنين والاول أصح (الله الذي يرسل الرياح) الريح مكى (فتثير سحابا فيبسطه) أي السحاب (في السماء) أي في سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء (كيف يشاء) من ناحية الشمال أو الجنوب أو الدبور أو الصبا (ويجعله كسفا) قطعا جمع كسفة أي يجعله منبسطا يأخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعا متفرقة غير منبسطة مرة كسفا يزيد وابن ذكوان (فترى الودق) المطر (يخرج) في التارتين جميعا (من خلاله) وسطه (فاذا أصاب به) بالودق (من يشاء من عباده) يريد اصابة بلادهم وأراضيهم (اذا هم يستبشرون) يفرحون (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) كرر للتأكيد كقوله فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى

ولتبتغوا من فضله ﴾ يعنى تجارة البحر ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ ولتشكروا نعمة الله فيها ﴿ ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا ﴾ بالتدمير ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلاة والسلام مامن امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه ﴾ متصلا تارة ﴿ في السماء ﴾ في سمتها ﴿ كيف يشاء ﴾ سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ﴿ ويجعله كسفا ﴾ قطعا تارة اخرى * وقرأ ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به ﴿ فترى الودق ﴾ المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ في التارتين ﴿ فاذا اصاب به من يشاء من عباده ﴾ يعنى بلادهم واراضيهم ﴿ اذا هم يستبشرون ﴾ بمجئ الخصب ﴿ وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم ﴾ المطر ﴿ من قبله ﴾ تكرير

ولتبتغوا من فضله ﴾ معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أي هذه النعم * قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات ﴾ أي بالدلالات الواضحات على صدقهم ﴿ فانتقمنا من الذين أجرموا ﴾ يعنى انا عذبنا الذين كذبوهم ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ أي مع انجائهم من العذاب ففيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الاعداء * عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول مامن مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن * قوله عز وجل ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا ﴾ أي تنشره ﴿ فيبسطه في السماء كيف يشاء ﴾ يعنى مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على مايشاء ﴿ ويجعله كسفا ﴾ أي قطعا متفرقة ﴿ فترى الودق ﴾ أي المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ أي من وسطه ﴿ فاذا أصاب به ﴾ أي بالودق ﴿ من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون ﴾ أي يفرحون بالمطر ﴿ وان كانوا ﴾ أي وقد كانوا ﴿ من قبل ان ينزل عليهم من قبله

بمشيئته في البحر (ولتبتغوا من فضله) لكي تطلبوا بركوبكم السفن من فضله من رزقه (ولعلكم تشكرون) لكي تشكروا انعمته (ولقد أرسلنا) بعثنا (من قبلك) يا محمد (رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) بالامر والنهي والعلامات فلم يؤمنوا (فانتقمنا) بالعذاب (من الذين أجرموا) أشركوا (وكان حقا علينا) واجبا علينا (نصر المؤمنين) مع الرسل بنجاتهم وهلاك اعدائهم (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) فترفع سحابا ثقالا بالمطر (فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا) قطعا ان شاء (فترى الودق) يعنى المطر (يخرج من خلاله) من خلال السحاب (فاذا أصاب به) بالمطر (من يشاء) من يريد (من عباده) في الارض (اذا هم يستبشرون) بالمطر (وان كانوا) وقد كانوا (من قبل أن ينزل عليهم من قبله) من قبل المطر

بيأتى والمعنى من قبل ان يأتى من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو يرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته (يومئذ يصدعون) يتصدعون أي يتفرقون ثم أشار الى غناه عنهم فقال (من كفر فعليه كفره) اى وبال كفره (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) أي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد لنفسه فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغص عليه مرقده من نتوء وغيره والمعنى انه يمهد لهم الجنة بسبب أعمالهم فاضيف اليهم وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تجاوز (ليجزى) متعلق بيمهدون تعليل له وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن (من فضله) أي عطائه وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (ومن آياته) أي ومن آيات قدرته (ان يرسل الرياح) هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الفوائد في ارسالها فقال (مبشرات) أي أرسلها للبشارة بالغيث (وليذيقكم من رحمته) ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض وغير ذلك وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم (وتجرى الفلك) في البحر عند هبوبها (بأمره) أي بتدبيره أو بتكوينه كقوله انما أمره اذا أراد شيأ (ولتبتغوا)

ان يتعلق بيرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته بمجيئه ﴿يومئذ يصدعون﴾ يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال ﴿من كفر فعليه كفره﴾ اي وباله وهو النار المؤبدة ﴿ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون﴾ يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله ﴿انه لا يحب الكافرين﴾ فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح بهم المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ﴿ومن آياته ان يرسل الرياح﴾ الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على ارادة الجنس ﴿مبشرات﴾ بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ﴿وتجرى الفلك بامره

على رده من الخلق ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أي وبال كفره ﴿ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون﴾ أي يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ قال ابن عباس ليثيبهم الله ثوابا أكثر من أعمالهم ﴿انه لا يحب الكافرين﴾ فيه تهديد ووعيد لهم * قوله تعالى ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ أي تبشر بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ أي بالمطر وهو الخصب ﴿وتجرى الفلك﴾ أي بهذه الرياح ﴿بامره

الله (يومئذ) يوم القيمة (يصدعون) يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير (من كفر) بالله (فعليه كفره) عقوبة كفره خلود النار (ومن عمل صالحا) في الدنيا (فلانفسهم يمهدون) يفرشون ويجمعون الثواب والكرامة في الجنة (ليجزى الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (من فضله) من ثوابه وكرامته في الجنة (انه لا يحب الكافرين) لا يرضى دينهم (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (أن يرسل الرياح مبشرات) خلقه بالمطر (وليذيقكم) لكي يصيبكم (من رحمته) نعمته (وتجرى الفلك) السفن (بأمره)

وتجهيل عبدتهم (ظهر الفساد في البر والبحر) نحو القحط وقلة الامطار والريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات من كل شيء (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وشركهم كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم ﴿ ٤٩ ﴾ بجميعها في الآخرة وبالنون ﴿ سورة الروم ﴾ عن قنبل (لعلهم يرجعون) عما هم عليه من المعاصي ثم أكد تسبيب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم بان يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الامم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم (فاقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) هو مصدر بمعنى الرد (من الله) يتعلق

لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتأكيد لتعجيز الشركاء وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر ﴾ كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور ﴿ بما كسبت ايدي الناس ﴾ بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندي كان يأخذ كل سفينة غصبا ﴿ ليذيقهم بعض الذي عملوا ﴾ بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ عما هم عليه ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾ لتشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدقه ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم ﴿ فاقم وجهك للدين القيم ﴾ البليغ الاستقامة ﴿ من قبل ان يأتي يوم لا مرد له ﴾ لا يقدر ان يرده احد وقوله ﴿ من الله ﴾ متعلق بيأتي ويجوز

تقدم تفسيره ﴿ قوله تعالى ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر ﴾ أي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا تقول أجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر بخلو أجواف الاصداف من اللؤلؤ وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح أفواهها فما وقع فيها المطر صار لؤلؤا ﴿ بما كسبت أيدي الناس ﴾ أي بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل أحد ابني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض امتلأت ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة ﴿ ليذيقهم بعض الذي عملوا ﴾ أي عقوبة الذي عملوا من الذنوب ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾ أي لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ أي فاهلكوا بكفرهم ﴿ قوله عز وجل ﴿ فاقم وجهك للدين القيم ﴾ أي لدين الاسلام ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ يعني يوم القيامة لا يقدر أحد

به من الاوثان (ظهر الفساد) تبينت المعصية (في البر) من قتل قابيل أخاه هابيل (والبحر) من جلندي الازدي (بما كسبت أيدي الناس) بقتل قابيل هابيل وبغصب جلندي سفن الناس في البحر ويقال ظهر الفساد بموت البهائم والقحط والجدوبة ونقص الثمرات والنبات في البر في السهل والجبل والبادية والمفازة والبحر في الريف والقرى والعمران بما كسبت أيدي الناس بمعصية الناس (ليذيقهم) لكي يصيبهم (بعض الذي عملوا) بعض الذي (قا و خا ٧ مس) عملوا من المعاصي (لعلهم يرجعون) لكي يرجعوا عن ذنوبهم فيكشف عنهم (قل) يا محمد لاهل مكة (سيروا) سافروا (في الارض فانظروا) تفكروا (كيف كان عاقبة) جزاء (الذين من قبل) من قبلهم كيف أهلكهم الله عند تكذيبهم الرسل (كان أكثرهم) كلهم (مشركين) بالله (فاقم وجهك) نفسك وعملك (للدين القيم) يقول أخلص دينك وعملك لله وكن على دين الحق المستقيم (من قبل أن يأتي يوم) وهو يوم القيامة (لا مرد له) لا مانع له (من الله) من عذاب

من ربا ليربوا فى أموال الناس) يزيد وما أعطيتم أعطية الربا من ربا ليربو فى أموالهم (فلا يربوا عند الله) ولا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الربا الحلال أى وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلا يربو عند الله لانكم لم تريدوا بذلك وجه الله (وما آتيتم من زكوة) صدقة (تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء ولا سمعة (فاولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار أتيتم من ربا بالمد بمعنى أعطيتم وبالقصر بمعنى جئتم من اعطاء ربا لتربوا بالتاء أى لتزيدوا أموالكم وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن لانه يفيد

ثم قيل من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين والمعنى المضعفون به لانه لا بد له من ضمير يرجع الى ما الموصولة وقال الزجاج فى قوله فاولئك هم المضعفون أى فاهلها هم المضعفون أى هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها ثم أشار الى عجز الهتهم فقال (الله الذى خلقكم) مبتدأ وخبر (ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) أى هو المختص بالخلق والرزق والاماتة والاحياء (هل من شركائكم) أى أصنامكم التى زعمتم أنهم شركاء الله (من يفعل من ذلكم) أى من الخلق من الرزق والاماتة والاحياء (من شئ) أى شيأ من تلك الافعال فلم يجيبوا عجزا فقال استبعادا (سبحانه وتعالى عما يشركون) ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد تعجيز شركائهم

من ربا ﴾ زيادة محرمة فى المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافأة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ماجئتم به من اعطاء ربا ﴿ ليربوا فى أموال الناس ﴾ ليزيد ويزكو فى اموالهم ﴿ فلا يربوا عند الله ﴾ فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربو اى لتزيدوا او لتصيروا ذوى ربوا ﴿ وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله ﴾ تبتغون به وجهه خالصا ﴿ فاولئك هم المضعفون ﴾ ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكاة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون ﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ ﴾ اثبت له لوازم الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيد ان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة

﴿ من ربا ليربوا فى اموال الناس ﴾ أى فى اجتلاب اموال الناس واجتذابها قيل فى معنى الآية هو الرجل يعطى غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهو جائز حلال ولكن لا يثاب عليها فى القيامة وهذا قوله ﴿ فلا يربوا عند الله ﴾ وكان هذا حراما على النبى خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر أى لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطى صديقه أو قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله تعالى ولا يربو عند الله لانه لم يرد بعمله وجه الله ﴿ وما آتيتم من زكوة ﴾ أى أعطيتم من صدقة ﴿ تريدون وجه الله ﴾ أى بتلك الصدقة ﴿ فاولئك هم المضعفون ﴾ أى يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الاضعاف من الحسنات ۞ قوله تعالى ﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾

أعطيتم (من ربا) من عطية (ليربو فى أموال الناس) لتكثروا أموالكم باموال الناس يقول لتعطوا أكثر وأفضل مما تعطون (فلا يربوا عند الله) فلا يكثر عند الله بالتضعيف ولا تقبل منه لانها ليست لله تعالى (وما آتيتم) أعطيتم (من زكوة) من صدقة الى المساكين (تريدون بذلك (وجه الله فاولئك هم المضعفون) فاولئك هم الذين تضعف صدقتهم فى الآخرة وكثرت أموالهم فى الدنيا بالحفظ والبركة (الله الذى خلقكم) نسما فى بطون أمهاتكم ثم أخرجكم وفيكم الروح (ثم رزقكم) الطيبات من الرزق الى الموت (ثم يميتكم) عند انقضاء مدتكم (ثم يحييكم) للبعث بعد الموت (هل من شركائكم) من آلهتكم يا أهل مكة (من يفعل من ذلكم من شئ) من يقدر ان يفعل من ذلك شيأ (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (وتعالى) ارتفع وتبرأ (عما يشركون)

مامصدرية أى بكونهم بالله يشركون أوموصولة ويرجع الضمير اليها أى فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون أومعنى الآية أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون (واذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من مطر أوسعة أوصحة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) أى بلاء من جدب أوضيق أومرض (بما قدمت أيديهم) بسبب شؤم معاصيهم (اذاهم يقنطون) من الرحمة واذا المفاجأة جواب الشرط نابت عن الفاء لتآخيهما فى التعقيب (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أنكر عليهم بانهم قد علموا بانه القابض الباسط فمالهم يقنطون من رحمته ومالهم لا يرجعون اليه تائبين عن المعاصى التى عوتبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد اليهم رحمته ولما ذكر ان السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر مايجب ان يفعل ومايجب ان يترك فقال (فآت ذا القربى) أعط قريبك (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهبنا (ذلك) أى ايتاء حقوقهم (خير للذين يريدون وجه الله) أى ذاته أى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا (وأولئك هم المفلحون وما آتيتم

يشركون فى الوهيته ﴿واذا اذقنا الناس رحمة﴾ نعمة من صحة وسعة ﴿فرحوا بها﴾ بطروا بسببها ﴿وان تصبهم سيئة﴾ شدة ﴿بما قدمت ايديهم﴾ بشؤم معاصيهم ﴿اذاهم يقنطون﴾ فاجأوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائى بكسر النون ﴿اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ فمالهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ ماوظف لهما من الزكاة والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اولمن بسط له ولذلك رتب على ماقبله بالفاء ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ ذاته اوجهته اى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا اوجهة التقرب اليه لاجهة اخرى ﴿واولئك هم المفلحون﴾ حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم ﴿وما آتيتم

﴿واذا أذقنا الناس رحمة﴾ أى الخصب وكثرة المطر ﴿فرحوا بها﴾ أى فرحوا وبطروا ﴿وان تصبهم سيئة﴾ أى جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من السيئات ﴿اذاهم يقنطون﴾ أى ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة ﴿أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ تقدم تفسيره * قوله عز وجل ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ أى من البر والصلة ﴿والمسكين﴾ أى حقه وهو التصدق عليه ﴿وابن السبيل﴾ أى المسافر وقيل هو الضيف ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ أى يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ * قوله عز وجل ﴿وما آتيتم﴾ أى أعطيتم

يعدلون ان الله أمرهم بذلك (واذا أذقنا الناس) أصبنا كفار مكة (رحمة) نعمة (فرحوا بها) أى أعجبوا بها غير شاكرين بها (وان تصبهم سيئة) شدة ضيق وقحط ومرض (بما قدمت) بما عملت (أيديهم) فى الشرك (اذاهم يقنطون) ييأسون من رحمة الله غير صابرين بها (أولم يروا) يخبروا فى الكتاب كفار مكة (ان الله يبسط الرزق) يوسع المال (لمن يشاء) على من يشاء وهو مكر منه (ويقدر) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (ان فى ذلك) فيما ذكرت من البسط والتقتير (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فآت ذا القربى) فأعط يامحمد ذا القربى فى الرحم (حقه) صلته (والمسكين) أعط المسكين الكسوة والطعام (وابن السبيل) أكرم الضيف النازل بك ثلاثة أيام فما فوق ذلك فهو صدقة معروف (ذلك) الذى ذكرت من الصلة والعطية والاكرام (خير) ثواب وكرامة فى الآخرة (للذين يريدون وجه الله) بعطيتهم (وأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (وما آتيتم)

دليله قوله ولا تكونوا (واتقوه وأقيموا الصلوة) أي أدوها في أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين) ممن يشرك به غيره في العبادة (من الذين) بدل من المشركين باعادة الجار (فرقوا دينهم) جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم فارقوا حمزة وعلى وهي قراءة على رضى الله عنه أي تركوا دين الاسلام (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشايع امامها الذى أضلها (كل حزب) منهم (بما لديهم فرحون) فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا (واذا مس الناس ضر) شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك (دعوا ربهم منيبين اليه) تائبين (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) أي خلاص من الشدة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) في العبادة (ليكفروا) هذه لام كى وقيل لام الامر للوعيد (بما آتيناهم) من النعم (فتمتعوا) بكفركم قليلا أمر وعيد (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة (فهو يتكلم) وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته (بما كانوا به يشركون)

بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من اناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في أقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله ﴿واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين﴾ غير انها صدرت بخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له ﴿من الذين فرقوا دينهم﴾ بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذى امروا به ﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا يشايع كل امامها الذى اصل دينها ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا ﴿واذا مس الناس ضر﴾ شدة ﴿دعوا ربهم منيبين اليه﴾ راجعين اليه من دعاء غيره ﴿ثم اذا اذاقهم منه رحمة﴾ خلاصا من تلك الشدة ﴿اذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذى عافاهم ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله ﴿فتمتعوا﴾ غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ﴿ام انزلنا عليهم سلطانا﴾ حجة وقيل ذا سلطان اى ملكا معه برهان ﴿فهو يتكلم﴾ تكلم دلالة لقوله (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) او نطق ﴿بما كانوا به يشركون﴾ باشراكهم وصحته بالامر الذى بسببه

الى الله تعالى بالتوبة ومتقبين اليه بالطاعة ﴿واتقوه﴾ أي ومع ذلك خافوه ﴿واقيموا الصلوة﴾ أي داوموا على أدائها في أوقاتها ﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ أي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الامة ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أي راضون بما عندهم قوله تعالى ﴿واذا مس الناس ضر﴾ أي قحط وشدة ﴿دعوا ربهم منيبين اليه﴾ أي مقبلين اليه بالدعاء ﴿ثم اذا أذاقهم منه رحمة﴾ أي خصبا ونعمة ﴿اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي ليجحدوا نعمة الله عليهم ﴿فتمتعوا﴾ فيه تهديد ووعيد خوطب به الكفار ﴿فسوف تعلمون﴾ أي حالكم في هذه الآخرة ﴿أم أنزلنا عليهم سلطانا﴾ قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا ﴿فهو يتكلم﴾ أي ينطق ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي بشركهم ويأمرهم به

اليه بالطاعة (واتقوه) وأطيعوه فيما أمركم (وأقيموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (ولا تكونوا من المشركين) مع المشركين على دينهم (من الذين فرقوا دينهم) تركوا دين الاسلام (وكانوا شيعا) صاروا فرقا اليهود والنصارى وسائر أهل الملل (كل حزب) كل أهل دين (بما لديهم) بما عندهم من الدين (فرحون) معجبون يرون انه حق (واذا مس) أصاب (الناس) كفار مكة (ضر) شدة (دعوا) (ربهم) برفع الشدة (منيبين اليه) مقبلين بالدعاء اليه (ثم اذا أذاقهم) أصابهم (منه) من الله (رحمة) نعمة (اذا فريق منهم) من الكفار (بربهم يشركون) يعدلون به الاصنام (ليكفروا) حتى يكفروا (بما آتيناهم) أعطيناهم من النعمة (فتمتعوا) فعيشوا يا أهل مكة في الدنيا (فسوف تعلمون) ماذا يفعل بكم في الآخرة (أم أنزلنا) هل أنزلنا (عليهم) على أهل مكة (سلطانا) كتابا فيه العذر والبرهان من السماء (فهو يتكلم) يشهد وينطق (بما كانوا به) بالله (يشركون)

عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته ﴿ لاتبديل لخلق الله ﴾ لايقدر احد ان يغيره اوماينبغى ان يغير ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له اوالفطرة ان فسرت بالملة ﴿ الدين القيم ﴾ المستوى الذى لاعوج فيه ﴿ ولكن اكثر الناس لايعلمون ﴾ استقامته لعدم تدبرهم ﴿ منيبين اليه ﴾ راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة

رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مولود الايولد على الفطرة ثم قال اقرؤا فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم زاد البخارى فابواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيهامن جدعاء ثم يقول أبو هريرة أقرؤا فطرت الله الآية ولهما فى رواية قالوا يارسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين قوله مامن مولود يولد الاعلى الفطرة يعنى على العهد الذى أخذالله عليهم بقوله ألست بربكم قالوا بلى فكل مولود فى العالم على ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وضعت الخلقة عليها وان عبد غيرالله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولكن لااعتبار بالايمان الفطرى فى أحكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأموربه المكتسب بالارادة والفعل الاترى الى قوله فابواه يهودانه أوينصرانه فهومع وجود الايمان الفطرى فانه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر يقول الله عزوجل انى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحكى عن عبدالله بن المبارك انه قال فى معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته أى خلقته التى خلقه الله عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى مافطر عليه وعامل فى الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين أونصرانيين فيحملانه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود فى مبدأ الخلقة على الفطرة أى على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلوترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره لانه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم تمثل لاولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل الى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء أى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شئ وقوله هل تحسون فيها من جدعاء يعنى هل تشعرون أوتعلمون فيهامن جدعاء وهى المقطوعة الاذن أوالانف ﴿ قوله عزوجل ﴿ لاتبديل لخلق الله ﴾ أى لاتبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولاتبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لاتبديل لخلق الله هو ماجبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلايصير السعيد شقيا ولا الشقى سعيدا وقيل الآية فى تحريم اخصاء البهائم ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ أى المستقيم ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ ﴿ قوله عزوجل ﴿ منيبين اليه ﴾ أى فأقم وجهك أنت وأمتك منيبين اليه لان خطاب النبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة والمعنى [illegible]

(لاتبديل لخلق الله) أى ماينبغى أن تبدل تلك الفطرة أوتغير وقال الزجاج معناه لاتبديل لدين الله ويدل عليه مابعده وهو قوله (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (ولكن أكثرالناس لايعلمون) حقيقة ذلك منيبين اليه) راجعين اليه وهوحال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولاتكونوا معطوف على هذا الضمير أومن قوله فاقم وجهك لان الامر له عليه السلام أمر لامته فكانه قال فاقيموا وجوهكم منيبين اليه أوالتقدير كونوا منيبين

(لاتبديل لخلق الله) لاتبديل لدين الله (ذلك) هو (الدين القيم) الحق المستقيم (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لايعلمون) ان دين الله الحق هو الاسلام (منيبين اليه) كونوا مؤمنين أى مقبلين

ومالك الاحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك) موضع الكاف نصب أي مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات) نبين لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها (لقوم يعقلون) يتدبرون في ضرب الأمثال فلما لم ينزجروا أضرب عنهم فقال (بل اتبع الذين ظلموا) أنفسهم بالشرك (أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم جاهلين (فمن يهدي من أضل الله) أي لا أحد يقدر على هدايته (وما لهم من ناصرين) من العذاب (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه (حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أي الزموا فطرة الله والفطرة

[illegible] قوله لا تبديل لخلق الله فالمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن والإنس ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقال الزجاج معناه أن الله تعالى فطر الخلق على الإيمان به على ما جاء في الحديث أن الله عز وجل أخرج من صلب آدم كالذر وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم فقال وإذ أخذ ربك الآية وكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدت بأن الله تعالى خالقها فهي فطرة الله (التي فطر الناس عليها) أي خلق

﴿كذلك﴾ مثل ذلك التفصيل ﴿نفصل الآيات﴾ نبينها فإن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها ﴿لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ بالإشراك ﴿أهواءهم بغير علم﴾ جاهلين لا يكفهم شيء فإن العالم إذا اتبع هواه ربما ردعه علمه ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ فمن يقدر على هدايته ﴿وما لهم من ناصرين﴾ يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾ فقومه له غير ملتفت أو ملتفت عنه وهو تمثيل للإقبال والاستقامة عليه والاهتمام به ﴿فطرت الله﴾ خلقته نصب على الإغراء أو المصدر لما دل عليه ما بعدها ﴿التي فطر الناس عليها﴾ خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو ملة الإسلام فإنهم لو خلوا وما خلقوا

وكما لا ترضون أن يكون [illegible] فكيف ترضون أن يكونوا شركائي وهم عبيدي ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ أي الدلالات والبراهين والأمثال ﴿لقوم يعقلون﴾ أي ينظرون في هذه الدلائل بعقولهم ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ يعني أشركوا بالله ﴿أهواءهم﴾ أي في الشرك ﴿بغير علم﴾ جهلا بما يجب عليهم ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ أي عن طريق الهدى ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أي مانعين يمنعونهم من عذاب الله * قوله تعالى ﴿فأقم وجهك للدين﴾ يعني أخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه إلى الله تعالى به الإنسان ودينه وعمله مما يتوجه إليه ليسدده * قوله تعالى ﴿حنيفا﴾ أي مائلا إليه مستقيما عليه ﴿فطرت الله﴾ أي دين الله والمعنى الزموا فطرة الله ﴿التي فطر الناس عليها﴾ قال ابن عباس خلق الله الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الإسلام (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال

حقوقهم في الميراث [illegible] أتخافونهم [illegible] ما لا ترضون لأنفسكم [illegible] ملكي ولا تشركون عبيدكم في رزقنا لكم (كذلك) هكذا (نفصل الآيات) نبين علامات وحدانيتي وقدرتي (لقوم يعقلون) يصدقون بأمثال القرآن (بل اتبع الذين ظلموا) كفروا اليهود والنصارى والمشركون (أهواءهم) أي ما هم عليه من اليهودية والنصرانية والشرك (بغير علم) بلا علم ولا حجة (فمن يهدي) فمن يرشد إلى دين الله (من أضل الله) عن دينه (وما لهم) لليهود والنصارى والمشركين (من ناصرين) من مانعين من عذاب الله (فأقم وجهك للدين) [illegible] (حنيفا) مسلما يقول أخلص دينك وعملك لله واستقم على دين الإسلام (فطرت الله) دين الله (التي فطر الناس عليها) التي خلق الناس عليها في بطون أمهاتهم ويقال التي [illegible] يوم الميثاق

خلقهم (وله المثل الاعلى فى السموات والارض) أى الوصف الاعلى الذى ليس لغيره وقد عرف به ووصف فى السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذى لا يعجز عن شئ من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله (وهو العزيز) اى القاهر لكل مقدور (الحكيم) الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما المثل الاعلى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وعن مجاهد هو قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الارفع الذى هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) فهذا مثل ضربه الله عزوجل لمن جعل له شريكا من خلقه ومن للابتداء ﴿ ٤٣ ﴾ {سورة الروم} كانه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شئ منكم وهى أنفسكم (هل لكم) معاشر الاحرار (مما ملكت أيمانكم) عبيدكم ومن للتبعيض (من شركاء) من مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم) معاشر الاحرار والعبيد (فيه) فى ذلك الرزق (سواء) من غير تفصلة بين حر وعبد تحكم مماليككم فى أموالكم كحكمكم (تخافونهم) حال من ضمير الفاعل فى سواء أى متساوون خائفا بعضكم بعضا مشاركته فى المال والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها حكما دون اذنهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم (كخيفتكم أنفسكم) يعنى كما يخاف بعض الاحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب

اولان الاعادة بمعنى ان يعيد ﴿وله المثل﴾ الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية ﴿الاعلى﴾ الذى ليس لغيره ما يساويه او يدانيه ﴿فى السموات والارض﴾ وصفه به ما فيهما دلالة ونطقا ﴿وهو العزيز﴾ القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته ﴿الحكيم﴾ الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته ﴿ضرب لكم مثلا من انفسكم﴾ منتزعا من احوالها التى هى اقرب الامور اليكم ﴿هل لكم مما ملكت ايمانكم﴾ من مماليككم ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ من الاموال وغيرها ﴿فانتم فيه سواء﴾ فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ﴿تخافونهم﴾ ان يستبدوا بتصرف فيه ﴿كخيفتكم انفسكم﴾ كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض

هو أهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء وهو رواية عن ابن عباس ﴿وله المثل الاعلى﴾ أى الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثله شئ وقيل هو الذى لا اله الا هو ﴿فى السموات والارض وهو﴾ أى فى ملكه ﴿العزيز الحكيم﴾ أى فى خلقه ❊ قوله عزوجل ﴿ضرب لكم مثلا﴾ أى بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل ﴿من أنفسكم﴾ ثم بين المثل فقال تعالى ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم﴾ أى عبيدكم وامائكم ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ أى من المال ﴿فانتم فيه سواء﴾ أى هل يشارككم عبيدكم فى أموالكم التى أعطيناكم ﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ أى تخافون أن يشاركوكم فى اموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر فى المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بامره دون شريكه ويخاف الرجل شريكه فى الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولا ترضوه لانفسكم

(وله المثل الاعلى فى السموات والارض) يقول له الصفة العليا بالقدرة على أهل السموات والارض (وهو العزيز) فى ملكه وسلطانه (الحكيم) فى أمره وقضائه (ضرب لكم) بين لكم يا معشر الكفار (مثلا) شبها (من أنفسكم) آدميا مثلكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم) من عبيدكم وامائكم (من شركاء فيما رزقناكم) فيما أعطيناكم من المال والاهل والولد (فأنتم) وعبيدكم واماؤكم (فيه) فيما رزقناكم (سواء) شركاء (تخافونهم) تخافون لائمتهم (كخيفتكم أنفسكم) كلائمة آبائكم وأبنائكم واخوانكم اذا لم تؤدوا

(ومن آياته ان تقوم) تثبت بلا عمد (السماء والارض بامره) أى باقامته وتدبيره وحكمته (ثم اذا دعاكم) للبعث (دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) من قبوركم هذا كقوله يريكم فى ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكها بغير عمد ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهى تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط ومن الارض متعلق بالفعل لا بالمصدر وقولك دعوته من مكان كذا يجوز أن يكون مكانك ويجوز أن يكون مكان صاحبك (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقرون بالعبودية (وهو الذى يبدؤ الخلق) أى ينشئهم (ثم يعيده) للبعث (وهو) أى البعث (أهون) أيسر (عليه) عندكم لان الاعادة عندكم أسهل من الانشاء فلم أنكرتم الاعادة وأخرت الصلة فى قوله وهو أهون عليه وقدمت فى قوله هو على هين لقصد الاختصاص هناك وأما هنا فلا معنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الاهون بمعنى الهين فوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله يسيرا كقولهم الله أكبر أى كبير (هو) والاعادة فى نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء أو هو أهون على الخلق من الانشاء لان قيامهم بصيحة واحدة أسهل من كونهم نطفا ثم علقا ثم مضغا الى تكميل

وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ﴿ ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره ﴾ قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزهما المعين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى عن الآلة ﴿ ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ﴾ عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى المطاع على دعائه وثم اما لتراخى زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادى فطلع الى لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاولى ﴿ وله من فى السموات والارض كل له قانتون ﴾ منقادون لفعله تعالى فيهم لا يمتنعون عليه ﴿ وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ بعد هلاكهم ﴿ وهو اهون عليه ﴾ والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدرتكم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون

﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره ﴾ قال ابن عباس وابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامره ﴿ ثم اذا دعاكم دعوة من الارض ﴾ قال ابن عباس من القبور ﴿ اذا أنتم تخرجون ﴾ أى منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون من الارض ﴿ وله من فى السموات والارض كل له قانتون ﴾ أى مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون فى الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا فى العبادة ﴿ وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ أى يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث ﴿ وهو أهون عليه ﴾ أى هو هين عليه وما من شئ عليه بعزيز وقيل معناه وهو أيسر عليه فان الذى يقع فى عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الانشاء وقيل

(ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (أن تقوم السماء) ان تكون السماء (والارض بأمره) باذنه (ثم اذا دعاكم) يعنى الله يوم القيامة على لسان اسرافيل (دعوة من الارض) من القبور (اذا أنتم تخرجون) من القبور (وله) عبيد (من فى السموات والارض كل له قانتون) مطيعون غير الكفار (وهو الذى يبدؤ الخلق) من النطفة (ثم يعيده) يحييه يوم القيامة (وهو أهون عليه) هين عليه اعادته كابدائه

(ان فى ذلك لآيات للعالمين) جمع عالم وبكسر اللام حفص جمع عالم ويشهد لكسره قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم
بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) هذا من باب اللف وترتيبه أى ومن آياته منامكم و ... بالليل والنهار الا انه فصل
بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين أو المراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما والجمهور على الاول لتكرره فى القرآن
وأسد المعانى مادل عليه القرآن (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) اى يسمعون ... بآذان واعية (ومن آياته
يريكم البرق) فى يريكم وجهان اضمار ان كما فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وانزال
الفعل منزلة المصدر وبهما
فسر المثل تسمع بالمعيدى
خير من أن تراه أى ان تسمع
أو سماعك قوله (خوفا)
من الصاعقة ومن الاخلاف
(وطمعا) فى الغيث أو
خوفا للمسافر وطمعا
للحاضر وهما منصوبان على
المفعول له على تقدير حذف
المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه اى ارادة خوف
وارادة طمع أو على الحال
اى خائفين وطامعين (وينزل
من السماء) وبالتخفيف مكى
وبصرى (ماء) مطرا
(فيحيى به الارض بعد موتها
ان فى ذلك لآيات لقوم
يعقلون) يتفكرون بعقولهم

وغيرذلك (ان فى ذلك) فيما
ذكرت من الاختلاف
(لآيات) العلامات (للعالمين)
الجن والانس (ومن آياته)
من علامات وحدانيته
وقدرته (منامكم) بنومكم
(بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) من رزقه (قاله خالد ...) ... (ان فى ذلك) فيما ذكرت ... بالليل والنهار (لآيات) العلامات
وعبرا (لقوم يسمعون) ويطيعون (ومن آياته) من علامات ... وقدرته (يريكم البرق خوفا) ... (خوفا) للمسافر من المطر
أن يبل ثيابه (وطمعا) للمقيم فى المطر أن يسقى حروثه (وينزل من السماء ماء) مطرا (فيحيى به) بالمطر (الارض بعد موتها) بعد قحطها
ويبوستها (ان فى ذلك) فيما ذكرت من المطر (لآيات) العلامات وعبرا (لقوم يعقلون) يصدقون أنه من الله

فى شئ من ذلك لامحالة ﴿ ان فى ذلك لآيات للعالمين ﴾ لايكاد يخفى على عاقل من ملك
اوانس اوجن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ﴿ ومن
آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ﴾ منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى
النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما اومنامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار
فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان
اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ﴿ ان
فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ﴿ ومن
آياته يريكم البرق ﴾ مقدر بان كقوله

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى * وان اشهد اللذات هل انت مخلدى

او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله تسمع بالمعيدى خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية
يريكم بها البرق كقوله

فالدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح

﴿ خوفا ﴾ من الصاعقة وللمسافر ﴿ وطمعا ﴾ فى الغيث وللمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم
المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم اوله على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع
او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغم الشيطان او على الحال مثل كلمته
شفاها ﴿ وينزل من السماء ماء ﴾ وقرئ بالتشديد ﴿ فيحيى به الارض ﴾ بالنبات ﴿ بعد
موتها ﴾ يبسها ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم فى استنباط اسبابها

مصالح كثيرة وليعرف صاحب الخلق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد
فسبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وفى ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة
﴿ ان فى ذلك لآيات للعالمين ﴾ أى لعموم العلم فيهم ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله ﴾ أى منامكم بالليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب أسباب
المعيشة بالنهار ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ أى سماع تدبر واعتبار ﴿ ومن
آياته يريكم البرق خوفا ﴾ أى للمسافر ليستعد للمطر ﴿ وطمعا ﴾ أى للمقيم ليستعد
المحتاج اليه من أجل الزرع وتسوية طرق المصانع ﴿ وينزل من السماء ماء فيحيى به
الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ أى قدرة الله وانه القادر ...

ثم إذا أنتم بشر) أي آدم وذريته (تنتشرون) منتشرون في الأرض ... ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الأرض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) أي حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال ومن شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون { الجزء الحادي والعشرون } وما بين جنسين ٤٠ ... الجنسين مختلفين من التنافر يقال سكن إليه إذا مال إليه (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بينكم التواد والتراحم بسبب الزواج وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان أي بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون أن قوام الدنيا بوجود التناسل (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم) أي اللغات أو أجناس النطق وأشكاله (وألوانكم) كالسواد والبياض وغيرهما ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو تشاكلت واتفقت لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت المصالح وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله متفاوتون

خلق أصلهم منه ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الأرض ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ لأن حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال أو لأنهن من جنسهم لا من جنس آخر ﴿لتسكنوا إليها﴾ لتميلوا إليها وتألفوا بها فإن الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر ﴿وجعل بينكم﴾ أي بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس ﴿مودة ورحمة﴾ بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لأمر المعاش أو بأن تعيش الإنسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج إلى التوادد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فيعلمون ما في ذلك من الحكم ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم﴾ لغاتكم بأن علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فإنك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية ﴿وألوانكم﴾ بياض الجلد وسواده أو تخطيطات الأعضاء وهيآتها وألوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان

﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ أي تنبسطون في الأرض ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ أي جنسكم من بني آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم ﴿لتسكنوا إليها﴾ أي لتميلوا إلى الأزواج وتألفوهن ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما إلا الزوجان ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ أي في عظمة الله وقدرته ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم﴾ أي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد أجناس النطق وأشكاله خالف بينها حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهم بنطقه ونغمته لا يشبه صوت أحدهم صوت الآخر ﴿وألوانكم﴾ أي أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغيرها من اختلاف الألوان وأنتم بنو رجل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة في اختلاف الأشكال والأصوات للتعارف أي ليعرف كل واحد بشكله وحليته وصورته فلو اتفقت الأصوات والصور وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت

أولادا (ثم إذا أنتم بشر) نسم (تنتشرون) تذهبون على وجه الأرض (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (أن خلق لكم من أنفسكم) من صلبكم (أزواجا) آدمية مثلكم (لتسكنوا إليها) ليسكن الرجل إلى زوجته (وجعل بينكم) بين المرأة والزوج (مودة) محبة المرأة على الزوج (ورحمة) للرجل على المرأة أي على زوجته ويقال مودة الصغير على الكبير ورحمة الكبير على الصغير (إن في ذلك) فيما ذكرت (لآيات) لعلامات وعبرا (لقوم يتفكرون) فيما خلق الله (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته (خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم) لغاتكم العربية والفارسية وغير ذلك (وألوانكم) واختلاف ألوان صوركم الأحمر والأسود

(يخرج الحى من الميت) الطائر من البيضة أو الانسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحى) أى البيضة من الطائر أو النطفة من الانسان أو الكافر من المؤمن والميت بالتخفيف فيهما مكى وشامى وأبو عمرو وأبو بكر وحماد وبالتشديد غيرهم (ويحيي الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك تخرجون) تخرجون حمزة وعلى وخلف أى ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم والكاف فى محل

النصب بتخرجون والمعنى ان الابداء والاعادة تساويان فى قدرة من هو قادر على اخراج الميت من الحى وعكسه روى ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ فسبحان الله حين تمسون الى الثلاث وآخر سورة والصافات دبر كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الامطار وورق الاشجار وتراب الارض فاذا مات أجرى له بكل حرف عشر حسنات فى قبره قال عليه السلام من قرأ حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك مافاته فى يومه ومن قالها حين يمسى أدرك مافاته فى ليلته (ومن آياته) ومن علامات ربوبيته وقدرته (ان خلقكم) أى أباكم (من تراب

عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك مافاته فى ليلته ومن قال حين يمسى ادرك مافاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه ﴿ يخرج الحى من الميت ﴾ كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ﴿ ويخرج الميت من الحى ﴾ النطفة والبيضة او يعقب الحياة الموت وبالعكس ﴿ ويحيي الارض ﴾ بالنبات ﴿ بعد موتها ﴾ يبسها ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الاخراج ﴿ تخرجون ﴾ من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحياة الموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء ﴿ ومن آياته ان خلقكم من تراب ﴾ اى فى اصل الانشاء لانه

من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ماقال أو زاد عليه أخرجهما الترمذى وقال فيهما حسن صحيح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث أخرجه فى صحيح البخارى (م) عن جويرية بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهى فى مسجدها فرجع بعد ماتعالى النهار فقال مازلت فى مجلسك هذا مذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن أبى وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكتسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتسب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وفى رواية غير مسلم ويحط عنه أربعين ألفا ۞ قوله تعالى ﴿ يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ﴾ أى يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن ﴿ ويحيي الارض بعد موتها ﴾ أى بالمطر واخراج النبات منها ﴿ وكذلك تخرجون ﴾ أى مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من القبور للبعث والحساب ﴿ ومن آياته ان خلقكم من تراب ﴾ أى خلق أصلكم وهو آدم من تراب

(يخرج الحى من الميت) النسمة والدواب من النطفة والطير من البيضة والنخل من النواة (ويخرج الميت من الحى) النطفة من النسمة والدواب والبيض من الطير والنواة من النخل (ويحيي الارض بعد موتها) بعد قحطها ويبوستها (وكذلك تخرجون) يقول هكذا تحيون وتخرجون من القبور (ومن آياته) من علامات وحدانيته وقدرته ونبوة رسوله (أن خلقكم من تراب) من آدم وآدم من تراب وأنتم

(فأولئك في العذاب محضرون) مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر { الجزء الحادي والعشرون } ما يوصل حزب ٨ الى الوعد وينجي من الوعيد فقال (فسبحان الله) والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما تجدد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة فقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن فقال نعم وتلا هذه الآية وهو نصب على المصدر والمعنى نزهوه عما لا يليق به أو صلوا لله (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وله الحمد في السموات والارض) اعتراض ومعناه ان على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه وفي السموات حال من الحمد (وعشيا) صلاة العصر وهو معطوف على حين تمسون وقوله عشيا متصل بقوله حين تمسون (وحين تظهرون) صلاة الظهر أظهر أي دخل في وقت الظهيرة والقول الاكثر أن الصلوات الخمس فرضت بمكة

فأولئك في العذاب محضرون ﴿ مدخلون لا يغيبون عنه ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون ﴾ اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من شواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه

﴿ فأولئك في العذاب محضرون ﴾ قوله تعالى ﴿ فسبحان الله ﴾ يعني فسبحوا الله ومعناه صلوا لله ﴿ حين تمسون ﴾ أي تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء ﴿ وحين تصبحون ﴾ أي تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح ﴿ وله الحمد في السموات والارض ﴾ قال ابن عباس يحمده أهل السموات والارض ويصلون له ﴿ وعشيا ﴾ أي وصلوا لله عشيا يعني صلاة العصر ﴿ وحين تظهرون ﴾ أي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم انه انما خص هذه الاوقات بالتسبيح لان أفضل الاعمال أدومها والانسان لا يقدر أن يصرف جميع أوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من مأكول ومشروب وغيرذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وأمر بها في أول النهار ووسطه وآخره وفي أول الليل وآخره فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما صبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في أوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته في التسبيح والعبادة

﴿ فصل في فضل التسبيح ﴾

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

(فأولئك في العذاب) في النار (محضرون) معذبون (فسبحان الله) فصلوا لله (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وله الحمد في { من } السموات والارض) الشكر [illegible] على أهل السموات والارض (وعشيا) وهي صلاة العصر (وحين تظهرون) وهي صلاة الظهر

(الله يبدؤ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يحييهم بعد الموت (ثم اليه ترجعون) وبالياء ابو عمرو وسهل (ويوم تقوم الساعة يبلس) ييأس ويتحير يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييئس من أن يحتج (المجرمون) المشركون (ولم يكن لهم من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله وكتب (شفعؤا) في المصحف بواو وقبل الالف كما كتب علمؤ بني اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها (وكانوا بشركائهم كافرين) أي يكفرون بآلهتهم ويجحدونها أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) الضمير في يتفرقون المسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي بستان وهي الجنة والتنكير لابهام أمرها وتفخيمه (يحبرون) يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه المسار فقيل يكرمون وقيل يحبون وقيل هو السماع في الجنة (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي البعث

يستحرون (الله يبدؤ الخلق) من النطفة (ثم يعيده) يوم القيامة (ثم اليه ترجعون) تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم (ويوم تقوم الساعة) وهو يوم القيامة (يبلس المجرمون) ييأس المشركون من كل خير (ولم يكن لهم) لعبدة الاوثان (من شركائهم) من آلهتهم (شفعؤا) أحد يشفع لهم من عذاب الله (وكانوا بشركائهم) بآلهتهم بعبادتهم اياها (كافرين) جاحدين يتبرؤن ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين (ويوم تقوم الساعة) وهو يوم القيامة (يومئذ يتفرقون) فريق في الجنة وفريق في السعير (فاما الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (فهم في روضة) في جنة (يحبرون) ينعمون ويكرمون بالتحف (وأما الذين كفروا) بالله (وكذبوا بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ولقاء الآخرة) بالبعث بعد الموت

كذبوا بالآيات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوفا للابهام والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى او ان كذبوا على الوجوه المذكورة ﴿ الله يبدؤ الخلق ﴾ ينشئهم ﴿ ثم يعيده ﴾ يبعثهم ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴾ يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ﴿ ولم يكن لهم من شركائهم ﴾ ممن اشركوهم بالله ﴿ شفعؤا ﴾ يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه ﴿ وكانوا بشركائهم كافرين ﴾ يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعؤا وعلمؤا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ﴾ اي المؤمنون والكافرون لقوله ﴿ فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ﴾ ارض ذات ازهار وانهار ﴿ يحبرون ﴾ يسرون سرورا تهللت له وجوههم ﴿ واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة

تعالى ﴿ الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ أي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء ﴿ ثم اليه يرجعون ﴾ أي فيجزيهم بأعمالهم ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴾ قيل معناه أنهم ييأسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون ﴿ ولم يكن لهم من شركائهم ﴾ يعني أصنامهم التي عبدوها ﴿ شفعؤا ﴾ أي يشفعون لهم ﴿ وكانوا بشركائهم كافرين ﴾ أي جاحدين متبرئين يتبرؤن منها وتتبرأ منهم ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ﴾ أي يتميز أهل الجنة من أهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار فلا يجتمعون أبدا فهو قوله تعالى ﴿ فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ﴾ أي في جنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة ﴿ يحبرون ﴾ قال ابن عباس يكرمون وقيل يتنعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال الاوزاعي ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا أخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة الا وردته وسأل أبا هريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فيحاوب بعضها بعضا فما سمع أحد أحسن منه ﴿ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾ أي البعث يوم القيامة

(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هو تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وأضرابهم ... (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض) وحرثوها (وعمروها) أي المدمرون (أكثر مما عمروها) صفة مصدر محذوف ... أي من عمارة أهل مكة وجاءتهم رسلهم بالبينات) وتقف ... الحذف أي فلم يؤمنوا فأهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) فما كان تدميره إياهم ظالماً لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ... ظلموا أنفسهم (الجزء الحادي والعشرون) حيث عملوا ... ٣٦ ... ما أوجب تدميرهم (ثم كان عاقبة) بالنصب شامي وكوفي (الذين أساؤا السوأى) تأنيث الاسوأ وهو الاقبح كما أن الحسنى تأنيث الاحسن وغيرهما رفع على أنها اسم كان عند من نصب عاقبة على الخبر ونصب عند من رفعها والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى لأنه وضع المظهر وهو الذين أساؤا موضع المضمر أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي النار التي أعدت للكافرين (أن كذبوا) لأن كذبوا أو بأن وهو يدل على أن معنى أساؤا كفروا (بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) معنى ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها

... ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ تقرير لسيرهم في أقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ كعاد وثمود ﴿وأثاروا الارض﴾ وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها ﴿وعمروها﴾ وعمروا الارض ﴿أكثر مما عمروها﴾ من عمارة أهل مكة إياها فإنهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم أضعف حالاً فيها إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في أقطار الارض بأنواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لا نفع له ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات أو الآيات الواضحات ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ حيث عملوا ما أدى الى تدميرهم ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى﴾ أي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى أو الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان تكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل أفعالهم والسوأى تأنيث الأسوء كالحسنى أو مصدر كالبشرى نعت بها ﴿ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن﴾ علة أو بدل أو عطف بيان للسوأى وخبر كان والسوأى مصدر أساؤا ومفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى

﴿أولم يسيروا في الأرض﴾ أي يسافروا فيها ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي ينظروا الى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا ﴿كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض﴾ أي حرثوها وقلبوها للزراعة ﴿وعمروها﴾ يعني الأمم الخالية ﴿أكثر مما عمروها﴾ يعني أهل مكة ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي فلم يؤمنوا فأهلكهم الله ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ أي بنقص حقوقهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أي ببخس حقوقهم ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤا﴾ أي أساؤا العمل فاستحقوا ﴿السوأى﴾ يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوء اسم جهنم ومعنى الآية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار ﴿أن كذبوا﴾ أي لأنهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم تلك السيئات على أن كذبوا ﴿بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن﴾ ﴿قوله

(أولم يسيروا) يسافروا كفار مكة (في الارض فينظروا) فيتفكروا (كيف كان عاقبة) جزاء (الذين من قبلهم) عند تكذيبهم الرسل (كانوا أشد منهم قوة) بالبدن (وأثاروا الارض) شقوها وحفروها ... وذهبوا في السفر (في تعالى) والتجارة ويقال أثاروا الارض حرثوها وقلبوها للزراعة والغرس أكثر مما حرث أهل مكة (وعمروها) بقوافيها (أكثر مما عمروها) أكثر مما بقي فيها أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالأمر والنهي والعلامات فلم يؤمنوا بهم فأهلكهم الله تعالى (فما كان الله ليظلمهم) بهلاكهم اياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والشرك وتكذيب الرسل (ثم كان عاقبة) جزاء (الذين أساؤا) أشركوا بالله (السوأى) النار في الآخرة (ان كذبوا) بأن كذبوا (بآيات الله) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وكانوا بها) بآيات الله (يستهزؤن)

انها مجاز الى الآخرة يتزودمنها اليها بالطاعة وبالاعمال الصالحة وتنكير الظاهر يفيدانهم لايعلمون الاظاهرا واحدا من جملة ظواهرها (وهم عن الآخرة هم غافلون) هم الثانية مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبرهم الاولى وفيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها (أولم يتفكروا في أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كانه قيل أولم يثبتوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لايكون الافي القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقوله اعتقده في قلبك وأن يكون صلة للتفكر نحو تفكر في الامر وأجال فيه فكره ومعناه على هذا أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم باحوالها منهم باحوال ماعداها فيتدبروا ماأودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الاهمال ﴿٣٥﴾ وانه لابد لها من {سورة الروم} الانتهاء الى وقت تجازى فيه على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة في التدبير وانه لابد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت (ماخلق الله السموات والارض ومابينهما) متعلق بالقول محذوف معناه أو لم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه (الابالحق وأجل مسمى) أي ماخلقها باطلا وعبثا بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة انما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لابد لها من أن تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى الى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بالبعث والجزاء (لكافرون) لجاحدون وقال الزجاج أي لكافرون بلقاء ربهم

﴿ وهم عن الآخرة ﴾ التي هي غايتها والمقصودة منها ﴿ هم غافلون ﴾ لاتخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لايعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لافرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا ﴿ أولم يتفكروا في انفسهم ﴾ اولم يحدثوا التفكر فيها أو أولم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها للمستبصر مايجتلي له في الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ﴿ ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الابالحق ﴾ متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه الكلام ﴿ واجل مسمى ﴾ تنتهي عنده ولاتبقى بعده ﴿ وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم ﴾ بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى اوقيام الساعة ﴿ لكافرون ﴾ جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة

يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولايعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولايعلمون فناءها ﴿ وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ أي ساهون عنها لايتفكرون فيها ولايعملون بها * قوله عز وجل ﴿ أولم يتفكروا في أنفسهم ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الابالحق ﴾ يعني لاقامة الحق ﴿ وأجل مسمى ﴾ أي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة ﴿ وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون

والبيع والحساب من واحد الى ألف ومايحتاجون في الشتاء والصيف (وهم عن الآخرة) عن أمر الآخرة (هم غافلون) جاهلون بها تاركون لعملها (أولم يتفكروا) كفار مكة (في أنفسهم) فيما بينهم (ماخلق الله السموات والارض ومابينهما) من الخلق والعجائب (الابالحق) للحق والامر والنهي لاللباطل (وأجل مسمى) لوقت معلوم يقضى فيه (وان كثيرا من الناس) يعني كفار مكة (بلقاء ربهم) بالبعث بعد الموت (لكافرون) لجاحدون

ومن بعد كل شئ أو حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلب من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم وأيضا يتصل بفرحهم فيوقف على نصرة الله تعالى المؤمنين (ينصر من يشاء وهو العزيز) العذاب على أعدائه (الرحيم) على أوليائه (وعد الله) مصدر مؤكد لان قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله المؤمنين فقوله وعد الله بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدا (لا يخلف الله وعده) بنصر الروم على فارس (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ذلك (يعلمون) بدل من لا يعلمون وفيه بيان أنه لافرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا وقوله (ظاهرا من الحيوة الدنيا) يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها وباطنها

مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اى له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كأنه قيل قبلا وبعدا اى اولا وآخرا ﴿ ويومئذ ﴾ ويوم تغلب الروم ﴿ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ﴿ ينصر من يشاء ﴾ فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى ﴿ وهو العزيز الرحيم ﴾ ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى ﴿ وعد الله ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لان ماقبله فى معنى الوعد ﴿ لا يخلف الله وعده ﴾ لامتناع الكذب عليه ﴿ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم ﴿ يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ﴾ ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها

فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بامر الله تعالى وقضائه وقدره ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ أى الروم على فارس وقيل فرح النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك ﴿ ينصر من يشاء ﴾ أى بيده النصر ينصر من يشاء ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب ﴿ الرحيم ﴾ أى بالمؤمنين * قوله تعالى ﴿ وعد الله ﴾ أى وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس ﴿ لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أى أن الله لا يخلف وعده ثم قال تعالى ﴿ يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ﴾ يعنى أمر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن ان أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلى وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما

فارس على الروم ويقال من قبل من قبل غلبة الروم ومن بعد من بعد غلبة الروم على فارس ويقال لله الامر العلم والقدرة والمشيئة من قبل من قبل ابداء الخلق ومن بعد من بعد فناء الخلق ويقال كان الله آمرا من قبل المأمورين ومن بعد المأمورين وكذلك كان خالقا من قبل المخلوقين ورازقا من قبل المرزوقين وخالقا ورازقا بعد المخلوقين والمرزوقين وكذلك كان مالكا من قبل المملوكين ومالكا من بعد المملوكين لقوله تعالى مالك يوم الدين قبل يوم الدين (ويومئذ) يوم غلبة الروم على فارس ونصرة النبى صلى الله عليه وسلم على أهل مكة وكان ذلك يوم بدر ويقال يوم الحديبية (يفرح المؤمنون بنصر الله) محمد صلى الله عليه وسلم على عدائه وبدولة الروم على فارس (ينصر من يشاء) الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (وهو العزيز) بالنقمة من أبى جهل وأصحابه يوم بدر (الرحيم) بالمؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (وعد الله) بالنصرة والدولة لمحمد صلى الله عليه وسلم (لا يخلف الله وعده) لنبيه بالنصرة والدولة (ولكن اكثر الناس) أهل مكة (لا يعلمون) أن الله لا يخلف وعده لنبيه (يعلمون) أهل مكة (ظاهرا من الحيوة الدنيا) مع معاملة الدنيا من الكسب والتجارة والشراء

(وهم)أي الروم(من بعد غلبهم) أي غلبة فارس اياهم وقرئ بسكون اللام والغلب والغلب مصدران وقد أضيف المصدر الى المفعول (سيغلبون)فارس ولا وقف عليه لتعلق (في بضع سنين) به وهو ما بين الثلاث الى العشر قيل احتربت فارس والروم بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى أبرويز فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام زد في الخطر وأبعد في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي فقال عليه السلام تصدق به وهذه آية بينة على صحة نبوته وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة ومن (قا و خا ه مس) مذهب أبي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بهذه القصة (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل كل شيء

﴿ وهم من بعد غلبهم ﴾ من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب ﴿ سيغلبون في بضع سنين ﴾ روى ان فارسا غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفرس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل ﴿ لله الامر من قبل ومن بعد ﴾ من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم

وشجاعتنا وان كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخي فابيت عليه ثم أمر أخي بقتلي فبي عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد أصبتما وأشار أحدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوزهما فشا فقتلا الترجمان معا بسكينيهما فاديلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل ألم غلبت الروم في أدنى الارض يعني قرب أرض الشأم الى فارس وقيل هي أذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة ﴿ وهم من بعد غلبهم ﴾ أي فارس اياهم ﴿ سيغلبون ﴾ أي الروم لفارس ﴿ في بضع سنين ﴾ البضع ما بين الثلاثة الى السبع وقيل الى التسع وقيل ما دون العشرة ﴿ لله الامر من قبل ومن بعد ﴾ أي من قبل دولة الروم على

المؤمنون وسر بذلك المشركون وقالوا نحن نغلب على أهل الانجيل كما غلب أهل فارس على [illegible] (وهم) يعني أهل الروم (من بعد غلبهم) غلبة فارس عليهم (سيغلبون) على فارس (في بضع سنين) [illegible] سبع سنين وكان قد تبايع بذلك أبو بكر الصديق أبي بن خلف الجمحي على عشر قلائص من الابل (لله الامر) النصرة والدولة [illegible] وسلم (من قبل) من قبل غلبة فارس على الروم (ومن بعد) من بعد غلبة

ليظهرن الروم على فارس أخبر بذلك أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فقال اليه أبي بن
خلف الجمحي وقال كذبت فقال أنت أكذب ياعدو الله فقال اجعل بيننا أجلا
أناحبك عليه والمناحبة بالحاء المهملة القمار والمراهنة أي أراهنك على عشر قلائص
مني وعشر قلائص منك فان ظهرت فارس على الروم غرمت واذا ظهرت الروم على
فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر الى النبي صلى الله عليه
وسلم وأخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماهكذا ذكرت
انما البضع مابين الثلاثة الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فخرج أبو بكر فلقى
أبيا فقال لعلك ندمت فقال لا فتعال أزايدك في الخطر وأمادك في الاجل فجعلها مائة
قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشي أبي بن خلف ان يخرج
أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال اني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي ضامنا كفيلا فكفله
ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف ان يخرج الى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر
فلزمه وقال والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى أحد قال ثم
رجع أبي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم
حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من
مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة
وسموها رومية فقمر أبو بكر أبيا وأخذ مال الخطر من ورثته وجاء به النبي صلى الله
عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان
سبب غلبة الروم فارسا على ماقال عكرمة وغيره ان شهرمان لما غلب الروم لم يزل
يطؤهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينا أخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب
قال لاصحابه لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب الى
شهرمان اذا أتاك كتابي فابعث الي برأس أخيك فرخان فكتب اليه أيها الملك انك
لن تجد مثل فرخان ان له نكاية وصولة في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس
خلفا عنه فعجل الي برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس
اني قد نزعت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرخان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة
وأمره فيها بقتل شهرمان وقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فاعطه الصحيفة
فلما وصل البريد الى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعا وطاعة ونزل
عن سرير الملك وأجلس عليه أخاه فرخان فدفع البريد الصحيفة الى فرخان فلما قرأها
استدعى باخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لاتعجل حتى أكتب وصيتي
قال نعم فدعا بسفط ففتحه وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك
كسرى وأنت تريد قتلي بكتاب واحد فرد فرخان الملك الى أخيه شهرمان فكتب
الى قيصر ملك الروم أما بعد فان لي اليك حاجة لاتحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني
في خمسين روميا حتى ألقاك في خمسين فارسيا فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل
يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه فأخبروه انه
ليس معه الا خمسون رجلا فلما التقيا ضربت لهما قبة من ديباج فدخلاها مع كل واحد
سكين [illegible] بينهما فقال [illegible] وأخي بكيدنا

جاهدوا فى اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا فى رضانا لنهدينهم الى الوصول الى محل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا فى طاعتنا لنهديهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا فى التوبة

لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى * وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ﴿ وان الله لمع المحسنين ﴾ بالنصرة والاعانة قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

﴿ سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله حين تمسون ﴾

﴿ وهى ستون أو تسع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الم غلبت الروم فى ادنى الارض ﴾ ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او فى ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة

لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطريق المستقيمة وهى التى توصل الى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا باقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ﴿ وان الله لمع المحسنين ﴾ أى بالنصرة والمعونة فى دنياهم والمغفرة فى عقباهم فى الآخرة وثوابهم الجنة والله أعلم

﴿ تفسير سورة الروم وهى مكية وستون آية وثمانمائة وتسع ﴾

﴿ عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ الم غلبت الروم فى أدنى الارض ﴾ سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارسا كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهربان وبعث قيصر رجالا وجيشا وأمر عليهم رجلا يدعى يحنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهى أدنى الشأم الى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله هذه الآيات فخرج ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله

نهدينهم سبل الاخلاص أو جاهدوا فى خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا والانس بنا وجاهدوا فى طلبنا تحريا لرضانا لنهدينهم سبل الوصول الينا (وان الله لمع المحسنين) بالنصرة والمعونة فى الدنيا وبالثواب والمغفرة فى العقبى

﴿ سورة الروم مكية وهى ستون أو تسع وخمسون آية ولاختلاف فى بضع سنين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الم غلبت الروم) أى غلبت فارس الروم (فى أدنى الارض) أى فى أقرب أرض العرب لان الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشأم أو أراد أرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أى فى أدنى أرضهم الى عدوهم

طاعتنا (وان الله لمع المحسنين) بعين المحسنين بالقول والفعل بالتوفيق والعصمة ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الروم وهى كلها مكية ... وتسع عشرة كلمة وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الم) يقول أنا الله أعلم ويقال قسم أقسم به (غلبت الروم) قهرت الروم وهم أهل الكتاب غلبهم فارس وهم المجوس عبدة النيران (فى أدنى الارض) مما يلى فارس فاغتم بذلك

سوء تدبيرهم عند تدبيرهم (أولم يروا) أى أهل مكة (أنا جعلنا) بلدهم (حرما) ممنوعا مصونا (آمنا) يأمن داخله (ويتخطف الناس من حولهم) يستلبون قتلا وسبيا (أفبالباطل يؤمنون) أى بالشيطان والأصنام (وبنعمة الله يكفرون) أى بمحمد والاسلام (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن جعل له شريكا (أو كذب بالحق) بنبوة محمد عليه السلام والكتاب (لما جاءه) أى لم يتلعثموا فى تكذيبهم حين سمعوه (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) هذا تقرير لثوائهم فى جهنم لأن همزة الانكار اذا دخلت على النفى صار ايجابا يعنى ألا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو ألم يصح عندهم أن فى جهنم مثوى للكافرين حين اجترؤا مثل هذه الجراءة وذكر المثوى فى مقابلة لنبوئنهم يؤيد قراءة الثانى (والذين جاهدوا) أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين (فينا) فى حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لنهدينهم سبلنا) سبلنا أبو عمرو أى لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا وعن ... الذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا فقد قيل من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو لتقصيرنا فيما نعلم وعن فضيل والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وعن سهل والذين

يعقبون ﴿أولم يروا﴾ يعنى أهل مكة ﴿أنا جعلنا حرما آمنا﴾ أى جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدى آمنا أهله عن القتل والسبى ﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ بعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم أو الشيطان يؤمنون ﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ حيث أشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام أو الاختصاص على طريق المبالغة ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بأن زعم أن له شريكا ﴿أو كذب بالحق لما جاءه﴾ يعنى الرسول أو الكتاب وفى لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب أول ما سمعوه ﴿أليس فى جهنم مثوى للكافرين﴾ تقرير لثوائهم كقوله

ألستم خير من ركب المطايا

أى ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو لاجترائهم أى ألم يعلموا أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ فى حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الأعادى الظاهرة والباطنة بنوعيه ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ سبل السير الينا والوصول الى جنابنا أو لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها

[illegible] قوله عز وجل ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ يعنى العرب يسبى بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون ﴿أفبالباطل﴾ يعنى الشيطان والأصنام ﴿يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾ أى بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام يكفرون ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ أى فزعم أن له شريكا فانه منزه عن الشريك ﴿أو كذب بالحق﴾ أى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين﴾ معناه أما لهذا الكافر المكذب مأوى فى جهنم ﴿ قوله عز وجل ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ معناه جاهدوا المشركين لنصرة ديننا ﴿لنهدينهم سبلنا﴾

(أولم يروا) كفار مكة (أنا جعلنا حرما آمنا) من أن يهاج فيه (ويتخطف الناس) يطرد ويذهب الناس (من حولهم) طردهم ويذهب بهم عدوهم فلا يدخل عليهم فى الحرم (لنثوينهم)
(أفبالباطل يؤمنون) أفبالشيطان والأصنام يصدقون (وبنعمة الله) التى أطعمهم فى الحرم وبوحدانية الله (يكفرون) (ومن أظلم) أعتى وأجرأ على الله (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) فجعل له ولدا وشريكا (أو كذب بالحق) أو كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه) حين جاءه محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (أليس فى جهنم مثوى) منزل (للكافرين) لأبى جهل وأصحابه (والذين جاهدوا فينا) فى طاعتنا قال ابن عباس فى قول الله (لنهدينهم سبلنا) أى من عمل بما يعلم نوفقه لما لا يعلم ويقال الذين جاهدوا ... ويقال لنهدينهم سبلنا لنوفقهم

(وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى الحياة أى ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكانها فى ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهى الحياة لما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة ويوقف على الحيوان لان التقدير (لو كانوا يعلمون) حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفانى على الحيوان الباقى ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك (فاذا ركبوا فى الفلك) هو متصل بمحذوف دل عليه ماوصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ماوصفوا به من الشرك والعناد

(دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر (فلما نجاهم الى البر) وأمنوا (اذا هم يشركون) عادوا الى حال الشرك (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة قيل هى لام كى وكذا فى (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكسر أى لكى يكفروا وكى يتمتعوا والمعنى يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة وقاصدين التمتع بها والتلذذ لاغير على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة فانهم يشكرون نعمة الله اذ أنجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التلذذ والتمتع وعلى هذا الوقف على يشركون ومن جعله لام الامر متشبثا بقراءة ابن كثير وحمزة وعلى وليتمتعوا بسكون اللام على وجه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وحمل الاول على [illegible] (فسوف يعلمون)

الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين ﴿ وان الدار الآخرة لهى الحيوان ﴾ لهى دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها اوهى جعلت فى ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمى به ذو الحياة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحياة لما فى بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها ههنا ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ لم يؤثروا عليها الدنيا التى اصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال ﴿ فاذا ركبوا فى الفلك ﴾ متصل بما دل عليه شرح حالهم اى هم على ماوصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ كائنين فى صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو ﴿ فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ﴾ فاجأوا المعاودة الى الشرك ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ اللام فيه لام كى اى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة ﴿ وليتمتعوا ﴾ باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها أو لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائى وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون ﴿ فسوف يعلمون ﴾ عاقبة ذلك حين

لا يعنيه ومالا يهمه واللعب هو العبث وفى هذا تصغير للدنيا وازدراء بها ومعنى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون ﴿ وان الدار الآخرة لهى الحيوان ﴾ أى الحياة الدائمة الخالدة التى لا موت فيها ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ فناء الدنيا وبقاء الآخرة لما آثروا الفانى على الباقى ﴿ قوله عز وجل ﴿ فاذا ركبوا فى الفلك ﴾ معناه هم على ماوصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى الفلك وخافوا الغرق ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ اى تركوا الاصنام ولجؤا الى الله تعالى بالدعاء ﴿ فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ﴾ أى عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان أهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح ألقوها فى البحر وقالوا يارب يارب ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ أى ليجحدوا نعمة الله فى انجائه اياهم ومعناه التهديد والوعيد ﴿ وليتمتعوا ﴾ معناه لا فائدة لهم فى الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به فى العاجلة ولا نصيب لهم فى الآخرة ﴿ فسوف يعلمون ﴾ عاقبة أمرهم [illegible]

(وان الدار الآخرة) يعنى الجنة (لهى الحيوان) الحياة لا موت فيها (ولو كانوا يعلمون) [illegible] لكن لا يعلمون ولا يصدقون بذلك (فاذا ركبوا فى الفلك) فى السفينة يعنى كفار مكة (دعوا الله) بالنجاة (مخلصين له الدين) مخلصين له الدعوة (فلما نجاهم) من البحر (الى البر) الى القرار (اذا هم يشركون) بالله الاوثان (ليكفروا بما آتيناهم) لكى يكفروا بما أعطيناهم من النعم (وليتمتعوا) ليعيشوا فى كفرهم (فسوف يعلمون) ماذا يفعل بهم عند نزول العذاب بهم

أى ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلق السموات والارض على كبرهم وسعتهم ومن الذى سخر الشمس والقمر ... (ليقولن الله فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم بهذا كله (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) ... لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله قدر الرزق وقتره ... (ان الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم فى الحديث ان من عبادى من لا يصلح ايمانه ... الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض { الجزء الحادى والعشرون } من بعد ٢٨ موتها ليقولن الله) أى هم مقرون ... (قل الحمد لله) على ... لاحياء الارض ... اقر بنحو ما ... اقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله و ... فى الشركاء ... ولكن اقرارا طالا ... المشركين (بل اكثرهم لا يعقلون) لا يتدبرون ... من العقول فيما ... من الآيات وتقيم ... من الدلالات او لا ... بتوليك ... (وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب) أى ... ونهاية ... اكبرها ... عند ... زوال ... لامرها ... وهى ... لا تزن عند الله جناح بعوضة ... به الانسان ... ثم ينقضى ... (ت)

... وزال (فأنى يؤفكون) فمن اين يكذبون على الله (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) يوسع المال على (لا) من يشاء من عباده وهو مكر منه (ويقدر له) يقتر على من يشاء وهو نظر منه (ان الله بكل شئ) من البسط والتقتير (عليم ولئن سألتهم) يعنى كفار مكة (من نزل من السماء ماء) مطرا (فأحيى به) بالمطر (الارض من بعد موتها) قحطها ويبسها (ليقولن) كفار مكة (الله) نزل ذلك (قل الحمد لله) الشكر لله على ذلك (بل اكثرهم) كلهم (لا يعقلون) لا يعلمون ولا يصدقون ... (وما هذه الحيوة الدنيا) ما فى الحياة الدنيا من الزهرة والنعيم (الا لهو) فرح (ولعب) باطل لا يبقى

﴿ليقولن الله﴾ لما تقرر فى العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود ﴿فأنى يؤفكون﴾ يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ﴿ان الله بكل شئ عليم﴾ يعلم مصالحهم ومفاسدهم ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله﴾ معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يقدر على شئ من ذلك ﴿قل الحمد لله﴾ على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك ﴿بل اكثرهم لا يعقلون﴾ فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ﴿وما هذه الحيوة الدنيا﴾ اشارة تحقير وكيف لا هى لا تزن عند الله جناح بعوضة ﴿الا لهو ولعب﴾ الا كما يلهى ويلعب به

... أحدهما اشارة الى اتحاد الذات والثانى اشارة الى اتحاد الصفات وهى الحركة فى الشمس والقمر ﴿ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم انه خالق السموات والارض ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده﴾ لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان ﴿ويقدر له﴾ أى يضيق عليه اذا شاء ﴿ان الله بكل شئ عليم﴾ أى يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله﴾ ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله تعالى ﴿قل الحمد لله﴾ أى على ان الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بانه خالقهم ﴿بل اكثرهم لا يعقلون﴾ أى انهم ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشياء ﴿قوله تعالى﴾ ﴿وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب﴾ اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما

على العاملين على ان (الذين صبروا) خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين صبروا على مفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى [illegible] (وعلى ربهم يتوكلون) ولم يتوكلوا فى جميع ذلك الا على الله ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسر من مكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فنزلت (وكأين من دابة) أى وكم من دابة وكائن بالمد والهمز مكى والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت أم لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله (الله يرزقها وإياكم) أى [illegible] يرزق [illegible] الدواب الضعاف [illegible] وإياكم أيها الاقوياء [illegible] وان كنتم مطيقين حمل أرزاقكم وكسبها لانه لو لم [illegible] لكم أسباب الكسب [illegible] أعجز من الدواب التى لا تحمل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] من الحيوان [illegible] والفأرة [illegible] (وهو السميع) لقولكم [illegible] (العليم) [illegible] (ولئن سألتهم) [illegible] السموات والارض [illegible] (الذين صبروا) على أمر الله والمرازى (وعلى ربهم يتوكلون) لا على غيره فلما أمرهم الله بالهجرة الى المدينة [illegible] ليس لنا بها أحد يؤوينا ويطعمنا ويسقينا فقال (وكأين) وكم (من دابة لا تحمل رزقها) لغد [illegible] (الله يرزقها) من يحمل ومن لا يحمل (وإياكم) يا معشر المؤمنين (وهو السميع) لمقالتكم من يرزقنا [illegible] (العليم) بأرزاقكم يعلم من أين يرزقكم (ولئن سألتهم) يعنى كفار مكة (من خلق السموات والارض وسخر) ذلل (الشمس والقمر)

بالمدح محذوف دل عليه ما قبله ﴿ الذين صبروا ﴾ على أذية المشركين والهجرة [illegible] الى غير ذلك من المحن والمشاق ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ولا يتوكلون الا على الله ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها ﴾ لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها ﴿ الله يرزقها وإياكم ﴾ ثم انها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى انه لا يرزقها وإياكم الا الله لان رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما أمروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت ﴿ وهو السميع ﴾ لقولكم هذا ﴿ العليم ﴾ بضميركم ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ﴾ المسؤل عنهم أهل مكة

أى الله بطاعته ﴿ الذين صبروا ﴾ على الشدائد ولم يتركوا دينهم [illegible] لحقتهم [illegible] قال صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ أى يعتمدون على الله فى جميع أمورهم * قوله عز وجل ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها ﴾ وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فأنزل الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها أى لا ترفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيأ لغد مثل البهائم والطير ﴿ الله يرزقها وإياكم ﴾ حيث كنتم ﴿ وهو السميع ﴾ أى لأقوالكم ﴿ العليم ﴾ بما فى قلوبكم * عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب أول النهار جياعا [illegible] وتروح آخر النهار الى أوكارها شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيأ قال سفيان بن عيينة ليس شئ من خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والنملة * عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أيها الناس ليس من شئ يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به وليس شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه ألا وان الروح الامين نفث فى روعى الروع بضم الراء وبالعين المهملة هو القلب والعقل وبفتح الراء الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع أى الخوف انه ليس من نفس تموت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق [illegible] بمعاصى الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته * قوله [illegible] * [illegible] سألتهم ﴾ يعنى كفار مكة * من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ﴾ [illegible]

[illegible] (يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة) وبفتح الياء شامي يعني [illegible] لا يتيسر لكم فيه أمر دينكم [illegible] واصلح دينا وأكثر [illegible] نفس وجمع [illegible] وأحث على القناعة [illegible] ظهرت المعاصي والبدع [illegible] فاخرجوا [illegible] أرض الى أرض ولو كان شبرا [illegible] وتقديره فإياي

فاعبدوا فاعبدوني [illegible] في [illegible] لأنه جواب شرط محذوف لأن المعنى ان أرضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص ثم شجع المهاجر بقوله (كل نفس ذائقة الموت) أي واجدة مرارته [illegible] (ثم الينا ترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب يرجعون يحيى ترجعون يعقوب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) لننزلنهم من الجنة علالي لنثوينهم كوفي غير عاصم من الثواء وهو النزول للاقامة وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة لم يجاوز مفعولا واحدا [illegible] (أي) [illegible] المؤمنين والى الغرف [illegible] لاجرائه مجرى لننزلنهم ولنبوئنهم أو حذف الجار [illegible] أو شبه الظرف المؤقت بالمبهم (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) ويوقف

﴿يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ أي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من أرض الى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان أرضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ تناله لا محالة ﴿ثم الينا ترجعون﴾ للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ أبو بكر بالياء ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم﴾ لننزلنهم ﴿من الجنة غرفا﴾ علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم أي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾ وقرئ فنعم والمخصوص

قوله تعالى ﴿يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها الى أرض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل معناه ان أرضي واسعة فهاجروا من فيها أي فجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا عمل في الأرض بالمعاصي فاخرجوا منها فان أرضي واسعة وقيل اذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فان أرضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى بلد يتهيأ له فيه العبادة وقيل معنى ان أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أي كل أحد ميت خوفهم بالموت لتهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت ﴿ثم الينا ترجعون﴾ فنجزيكم بأعمالكم قوله تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا﴾ أي علالي جمع غرفة وهي العلية ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾

في مكة [illegible] (يا عبادي الذين آمنوا [illegible] (ان أرضي واسعة) [illegible] (فإياي فاعبدون) [illegible] (كل نفس) منفوسة (ذائقة الموت) تذوق الموت (ثم الينا ترجعون) بعد الموت فنجزيكم [illegible] (والذين آمنوا [illegible] وعملوا الصالحات) [illegible] (لنبوئنهم) [illegible] في الجنة (غرفا) علالي (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الأنهار) [illegible] (خالدين فيها) مقيمين في الجنة (نعم أجر العاملين) ثواب العاملين

على وبتكذيبكم (يعلم مافى السموات والارض)فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحقى وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل)منكم وهو ما يعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون) المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وروى ان كعب بن الاشرف وأصحابه قالوا يامحمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء الآية

(ولولا أجل مسمى) وهو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فنائهم [illegible] (لجاءهم [illegible]) والمعنى ولولا أجل قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذابهم والحكمة [illegible] تأخيره الى ذلك الاجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم العذاب) عاجلا أو ليأتينهم العذاب فى الاجل المسمى (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئه (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) [illegible] (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) لقوله تعالى [illegible] من النار ومن تحتهم ظلل ولا وقف [illegible] لأن يوم ظرف [illegible] لهم (ويقول) [illegible] ونافع وقرأ [illegible] (ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاءه

مارسلت به اليكم ونصحى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت ﴿ يعلم مافى السموات والارض ﴾ فلا يخفى عليه حالى وحالكم ﴿ والذين آمنوا بالباطل ﴾ وهو مايعبد من دون الله ﴿ وكفروا بالله ﴾ منكم ﴿ اولئك هم الخاسرون ﴾ فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ﴿ ولولا اجل مسمى ﴾ لكل عذاب اوقوم ﴿ لجاءهم العذاب ﴾ عاجلا ﴿ وليأتينهم بغتة ﴾ فجأة فى الدنيا كوقعة بدر أو الآخرة عند نزول الموت بهم ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ باتيانه ﴿ يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب اوهى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى التى توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة اوللجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم ﴿ يوم يغشاهم العذاب ﴾ ظرف لمحيطة أومقدر مثل كان كيت وكيت ﴿ من فوقهم ومن تحت ارجلهم ﴾ من جميع جوانبهم ﴿ ويقول ﴾ الله اوبعض الملائكة بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ﴿ ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ اى جزاءه

﴿ يعلم مافى السموات والارض ﴾ أى هو المطلع على أمرى وأمركم ويعلم حقى وباطلكم لاتخفى عليه خافية ﴿ والذين آمنوا بالباطل ﴾ قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ماسوى الله باطل ﴿ وكفروا بالله ﴾ فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد ه قلت نعم فائدته انه ذكر الثانى لبيان قبح الاول فهو كقول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ أى المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ۞ قوله عز وجل ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ نزلت فى النضر بن الحرث حيث قال فامطر علينا حجارة من السماء ﴿ ولولا أجل مسمى ﴾ قال ابن عباس ماوعدتك انى لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة أعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر ﴿ لجاءهم العذاب وليأتينهم ﴾ يعنى العذاب وقيل الاجل ﴿ بغتة وهم لا يشعرون ﴾ باتيانه ﴿ يستعجلونك بالعذاب ﴾ أعادة تأكيدا ﴿ وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ أى جامعة لهم لايبقى منهم أحد الادخلها ﴿ يوم يغشاهم العذاب ﴾ أى يصيبهم ﴿ من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ أى جزاء ما كنتم تعملون

(يعلم مافى السموات والارض) من الخلق (والذين آمنوا بالباطل) بالشيطان (وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) المغبونون بالعقوبة يعنى أباجهل (قا و خا ٤ مس) وأصحابه (ويستعجلونك) يامحمد (بالعذاب ولولا أجل مسمى) وقت معلوم (لجاءهم العذاب) قبل وقته (وليأتينهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بنزوله (يستعجلونك) يامحمد (بالعذاب) فى الدنيا (وان جهنم لمحيطة) تحيط (بالكافرين) وهى تجمعهم جميعا (يوم يغشاهم) يأخذهم (العذاب من فوقهم) من فوق رؤسهم (ومن تحت أرجلهم) اذا ألقوا فى النار (ويقول) لهم (ذوقوا ما كنتم تعملون) بما كنتم تعملون و[illegible]

(وما يجحد بآياتنا) بعد ظهورها (الا الظالمون) أي المتوغلون في الظلم (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) آية بغير ألف مكي وكوفي غير حفص أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الناقة والعصا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) ينزل منها ما يشاء ولست أملك شيئا منها (وانما أنا نذير مبين) كلفت الانذار وابانته بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمي ان المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون في مكان دون مكان (ان في ذلك) أي في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى) وتذكرة (لقوم يؤمنون) دون المتعنتين (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) أي شاهدا بصدق ما أدعيه من الرسالة وانزال القرآن

﴿ وما يجحد بآياتنا الا الظالمون ﴾ الا المتوغلون في الظلم المكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات ﴿ قل انما الآيات عند الله ﴾ ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه ﴿ وانما أنا نذير مبين ﴾ ليس من شأني الا الانذار وابانته بما أعطيت من الآيات ﴿ أولم يكفهم ﴾ آية مغنية عما اقترحوه ﴿ انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات أو يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك ﴿ ان في ذلك ﴾ في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة ﴿ لرحمة ﴾ لنعمة عظيمة ﴿ وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب كتبوا فيها بعض ما تقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت ﴿ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا ﴾ بصدقي وقد صدقني بالمعجزات أو بتبليغي

وصفته في كتبهم ﴿ وما يجحد بآياتنا الا الظالمون ﴾ يعني اليهود ﴿ وقالوا ﴾ يعني كفار مكة ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ أي كما أنزل على الأنبياء من قبل وقيل أرادوا الآيات معجزات الأنبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك ﴿ قل انما الآيات عند الله ﴾ أي هو قادر على انزالها ان شاء أنزلها ﴿ وانما أنا نذير مبين ﴾ أي انما كلفت الانذار وليس انزال الآيات بيدي ﴿ أولم يكفهم انا أنزلنا ﴾ هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم انا أنزلنا ﴿ عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ معناه ان القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الأنبياء لأن معجزة القرآن تدوم على مر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها ﴿ ان في ذلك ﴾ يعني القرآن ﴿ لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ أي تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا ﴿ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا ﴾ قال ابن عباس معناه يشهد لي أني رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه

(وما يجحد بآياتنا) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الا الظالمون) الكافرون اليهود والنصارى والمشركون (وقالوا) وقالت اليهود والنصارى والمشركون (لولا أنزل عليه) هلا أنزل على محمد (آيات) علامات (من ربه) كما أنزل على موسى وعيسى [illegible] (قل انما الآيات عند الله) انما العلامات من عند الله [illegible] تجيء (وانما أنا نذير) رسول مخوف (مبين) بلغة تعلمونها (أولم يكفهم) أهل مكة يا محمد [illegible] (انا أنزلنا عليك الكتاب) جبريل بالقرآن [illegible] أمر والنهي وأخبار الأمم (ان في ذلك) في الذي أنزلت اليك جبريل به يعني القرآن (لرحمة) من العذاب لمن آمن به (وذكرى) عظة (لقوم يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قل) لهم يا محمد (كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) بأني رسوله

(فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) هم عبد الله بن سلام ومن معه (ومن هؤلاء) أي من أهل مكة (من يؤمن به) أو أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا في عهد رسول الله عليه السلام (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها (إلا الكافرون) إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه ككعب بن الأشرف وأضرابه (وما كنت تتلوا من قبله) من قبل القرآن (من كتاب ولا تخطه بيمينك) خص اليمين لأن الكتابة غالبا تكون باليمين أي ما كنت قرأت كتابا من الكتب ولا كنت كاتبا (إذا) أي لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة ومن الخط (لارتاب ❊ ٢٣ ❊ المبطلون) من {سورة العنكبوت} أهل الكتاب وقالوا الذي نجد نعته في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده وسماهم مبطلين لانكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ (بل هو) أي القرآن (آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) أي في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ إلا من المصاحف

لقوله ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ هم عبد الله بن سلام وأضرابه أو من تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ﴿ومن هؤلاء﴾ ومن العرب أو أهل مكة أو ممن في عهد الرسول من أهل الكتابين ﴿من يؤمن به﴾ بالقرآن ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ مع ظهورها وقيام الحجة عليها ﴿إلا الكافرون﴾ إلا المتوغلون في الكفر فإن جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيدلهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما أشار إليه بقوله ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم الشريفة على أمي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد ﴿إذا لارتاب المبطلون﴾ أي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الأقدمين وإنما سماهم مبطلين لكفرهم أو لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب أهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر ﴿بل هو﴾ بل القرآن ﴿آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يحفظونه لا يقدر أحد تحريفه

﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني أهل مكة ﴿من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ وذلك أن اليهود عرفوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي والقرآن حق فجحدوا والجحود إنما يكون بعد المعرفة ﴿وما كنت تتلوا﴾ يا محمد ﴿من قبله من كتاب﴾ معناه من كتب أي من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب ﴿ولا تخطه بيمينك﴾ أي ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي ﴿إذا لارتاب المبطلون﴾ معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي إليك لارتاب المشركون من أهل مكة وقالوا إنه يقرؤه من كتب الأولين أو ينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود [illegible] أنهم إذا شكوا فيه و[illegible] وقالوا إن الذي نجد نعته في التوراة لا يقرأ ولا [illegible] وليس هذا على ذلك النعت ﴿بل هو آيات بينات﴾ يعني القرآن ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدون نعته

والنهي والامثال (فالذين آتيناهم الكتاب) أعطيناهم [illegible] كعبد الله بن سلام وأصحابه (يؤمنون به) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ومن هؤلاء) من أهل مكة ([illegible]) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وما يجحد بآياتنا) [illegible] صلى الله عليه وسلم والقرآن (إلا الكافرون) كعب و[illegible] أصحابه وأبو جهل وأصحابه (وما كنت تتلوا) تقرأ (من قبله) قبل القرآن (من كتاب ولا تخطه) لا تكتب (بيمينك إذا) ولو كنت قارئا أو كاتبا (لارتاب المبطلون) لشك [illegible] اليهود و[illegible] مشركون لأن في كتابهم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب (بل هو) يعني نعته و[illegible] (آيات بينات) علامات [illegible] في صدور الذين أوتوا العلم) أعطوا العلم بالتوراة ويقال بل هو يعني القرآن آيات بينات مبينات بالحلال والحرام والأمر والنهي في صدور الذين أوتوا العلم أعطوا العلم بالقرآن

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) بالخصلة التي هي أحسن كالثواب وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتي هي أحسن (إلا الذين ظلموا منهم) بالإفراط في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة

آمنا بالله ونحن له مسلمون

ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن ﴿ الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد به ذووا العهد منهم ﴿ الا الذين ظلموا منهم ﴾ بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية ﴿ وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم ﴾ هو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم ﴿ والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الانزال ﴿ انزلنا اليك الكتاب ﴾ وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق

﴿ قوله عز وجل ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب ﴾ أي ولا تخاصموهم ﴿ الا بالتي هي أحسن ﴾ أي القرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه وأراد من قبل الجزية منهم ﴿ الا الذين ظلموا منهم ﴾ أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الآية منسوخة بآية السيف ﴿ وقولوا ﴾ أي للذين قبلوا الجزية اذا حدثوكم بشيء مما في كتبهم ﴿ آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ ﴿ خ ﴾ عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية ﴿ قوله عز وجل ﴿ وكذلك ﴾ أي كما أنزلنا اليهم الكتاب ﴿ أنزلنا اليك الكتاب

الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة ومعناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلتهم بالسيف والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة في الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذي به تتحقق المجادلة وقوله (وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) من جنس المجادلة بالاحسن وقال عليه السلام ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) أي أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية أو كما أنزلنا الكتب الى من قبلك أنزلنا اليك الكتاب

(ولا تجادلوا أهل الكتاب) لا تخاصموا اليهود والنصارى (الا بالتي هي أحسن) يعني بالقرآن (الا الذين ظلموا منهم) من وفد نجران بالملاعنة (وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا) (في …) يعني القرآن (وأنزل اليكم) في التوراة والانجيل (والهنا والهكم واحد) لا ولد له ولا شريك (ونحن له مسلمون) مخلصون له بالعبادة والتوحيد مقرون به (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب) يقول هكذا أنزلنا اليك جبريل بالكتاب لتقرأ عليهم ما فيه من الامر

من الفواحش لان [illegible] فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه [illegible] فلم يلبث ان [illegible] فلم يزل [illegible] الصلاة تنهى اذ [illegible] كنت فيها فان
في عمل [illegible] صلاتك [illegible] من [illegible] ٢٠ ﴿ ولذكر الله ﴾ ومن [illegible] من التنهية صلاة

صلى الله عليه وسلم [illegible] الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ والصلاة أكبر من سائر الحسنات وانما عبر عنها به للتعليل بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او لذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته ﴿ والله يعلم ما تصنعون ﴾ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة

والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصي والسيئات كما روى عن أنس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع من الفواحش شيئا الا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت حاله وقيل معنى الآية انه ما دام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان في الصلاة لشغلا وقيل اراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روى عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا أصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي رواية انه قيل يارسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لابد ان يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ أي انه أفضل الطاعات عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قلنا يارسول الله والغازي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب في سبيل الله دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد أشهر يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعيا الامر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون به غيره (خ) عن أبي هريرة وأبي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروى ان اعرابيا قال يارسول الله أي الاعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله وقال ابن عباس معناه ولذكر الله أكبر ذكر الله اياكم أفضل من ذكركم اياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء ذكر الله أكبر أي ان تبقى معه معصية ﴿ والله يعلم ما تصنعون ﴾ أي لا يخفى عليه شيء من أمره

عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه (ولذكر الله أكبر) أي والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له لان ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والاماني ولان ذكره لا يفنى وذكركم لا يبقى وقال سلمان ذكر الله أكبر من كل شيء وأفضل فقد قال عليه السلام الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وماذا يارسول الله قال ذكر الله وسئل أي الاعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله او ذكر الله أكبر من ان تحويه افهامكم وعقولكم او ذكر الله أكبر من [illegible] معه معصية
أو ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر [illegible] (والله يعلم ما تصنعون) [illegible] احسن الثواب

عن ذلك (ولذكر الله أكبر) [illegible]

بحكمة وتدبير (وتلك الامثال) الامثـال نعت والخبر (نضربها) نبينها (للنـاس) كان سفهاء قريش وجهلتهم
يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها الا العالمون) به وباسمائه
صفاته أى لا يعقل صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها الاهم لان الامثال والتشبيهات انما هى الطرق الى المعانى المستورة حتى
تبرزهـا وتصورها للافهام كما صورها هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه
تلا هذه الآية فقال العالم من
عقل عن الله فعمل بطاعته
واجتنب سخطه ودلت الآية
على فضل العلم عـلى العقل
(خلق الله السموات والارض
بالحق) أى محقـا يعنى لم
يخلقهما باطلا بل لحكمة
وهى ان تكونا مسـاكن
عباده وعبرة للمعتبرين منهم
ودلائل على عظم قدرته ألا
ترى الى قوله (ان فى ذلك
لآية للمؤمنين) وخصهم
بالذكر لانتفاعهم بها (اتل
ماأوحى اليك من الكتاب)
تقربا الى الله تعالى بقراءة
كلامه ولتقف على ماأمر به
ونهى عنه (وأقم الصلوة)
أى دم على اقامة الصلاة (ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء)
الفعـلة القبيحة كالزنا مثلا
(والمنكر) هو ماينكره الشرع
والعقل قيل من كان مراعيا
للصلاة جره ذلك الى أن ينتهى
عن السيئات يوما ما فقد روى
انه قيل يوما لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان فلانا يصلى
بالنهار ويسرق بالليل فقال ان
صلاته لتردعه وروى ان فتى
من الانصار كان يصلى معه
الصلوات ولا يدع شيأ
غيره (وتلك الامثال) هذه الامثال (نضربها) نبينها (للناس ومايعقلها) يعنى أمثال القرآن (الا العالمون) بالله الموحدون
(خلق الله السموات والارض بالحق) للحق لا للباطل (ان فى ذلك) فيما ذكرته من الامثال (لآية) لعبرة (للمؤمنين) بمحمد صلى
الله عليه وسلم والقرآن (اتل ماأوحى اليك من الكتاب) يقول اقرأ عليهم يا محمد ما أنزل اليك جبريل به يعنى القرآن (وأقم الصلاة)
أتم الصلوات الخمس (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء) المعاصى (والمنكر) مالا يعرف فى شريعة ولا سنة مادام الرجل فيها فهى تمنعه

﴿وتلك الامثال﴾ يعنى هذا المثل ونظائره ﴿نضربها للناس﴾ تقريبا لما بعد من افهامهم ﴿ومايعقلها﴾ ولا يعقل حسنها وفائدتها ﴿الا العالمون﴾ الذين يتدبرون الاشياء على ماينبغى وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴿خلق الله السموات والارض بالحق﴾ محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ﴿ان فى ذلك لآية للمؤمنين﴾ لانهم المنتفعون بها ﴿اتل ماأوحى اليك من الكتاب﴾ تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار مالم ينكشف له اول ماقرع سمعه ﴿واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روى ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله

القادر على كل شئ ويشتغل بعبادة من ليس بشئ أصلا ﴿وتلك الامثال﴾ أى الاشباه يعنى أمثال القرآن التى شبه بها أحوال الكفار من هذه الامة باحوال كفار الامم السابقة ﴿نضربها﴾ أى نبينها ﴿للناس﴾ أى لكفار مكة ﴿ومايعقلها الا العالمون﴾ يعنى مايعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عزوجل روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبدالله ان النبى صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴿خلق الله السموات والارض بالحق﴾ أى للحق واظهار الحق ﴿ان فى ذلك لآية﴾ أى دلالة ﴿للمؤمنين﴾ على قدرته وتوحيده ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿اتل ماأوحى اليك من الكتاب﴾ يعنى القرآن ﴿وأقم الصلوة﴾ فان قلت لم أمر بهذين الشيئين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهى الاعتقاد الحق ولسانية وهى الذكر الحسن وبدنية وهى العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيأ لا يمكنه ان يعتقده مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقى الذكر والعبادة البدنية وهما ممكنا التكرار فلذلك أمر بهما ﴿ان الصلوة تنهى عن الفحشاء﴾ أى ماقبح من الاعمال ﴿والمنكر﴾ أى مالا يعرف فى الشرع قال ابن مسعود وابن عباس فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده صلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء

(كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) أي كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت فإن ذلك بيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا
ماتقي البيوت وكذلك الأوثان لاتنفعهم في الدنيا والآخرة جعل حجم اتخذت حالا (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت)
لابيت أوهن من بيتها عن علي رضي الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإن تركه يورث الفقر (لو كانوا
يعلمون) ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى
الآية مثل المشرك الذي
يعبد الوثن بالقياس الى
المؤمن الذي يعبد الله مثل
عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة
الى رجل يبني بيتا بآجر
وجص أو ينحته من صخر
وكان أوهن البيوت اذا
استقريتها بيتا بيتا بيت
العنكبوت كذلك أضعف
الاديان اذا استقريتها دينا
دينا عبادة الاوثان لو كانوا
يعلمون وقال الزجاج في
جماعة تقدير الآية مثل
الذين اتخذوا من دون الله
أولياء لو كانوا يعلمون كمثل
العنكبوت (ان الله يعلم
مايدعون) بالياء بصري
وعاصم وبالتاء غيرهما غير
الاعشى والبرجمي وما بمعنى
الذي وهو مفعول يعلم
ومفعول يدعون مضمر
أي يدعونه يعني يعبدونه
(من دونه من شيء)من في
من شيء للتبيين (وهو
العزيز) الغالب الذي
لاشريك له (الحكيم) في
ترك المعاجلة بالعقوبة
وفيه تجهيل لهم حيث
عبدوا جمادا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل كل شيء (القادر)

معتمدا ومتكلا ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ﴾ فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك اوهن فإن لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب ﴿ وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ لابيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ماتعتمد به في الدين دينهم ﴿ ان الله يعلم ماتدعون من دونه من شيء ﴾ على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ عاصم وابو عمرو ويعقوب بالياء حملا على ماقبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ تعليل على المعنيين فإن من فرط الغباوة اشراك مالا يعد شيأ بمن هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا وصفه قادر على مجازاتهم

﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ﴾ لنفسها تأوي اليه وان بيتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذي يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا بآجر وجص أو نحته من صخر فكما ان أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لانها لاتضر ولاتنفع ﴿ وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ أشار الى ضعفه فإن الريح اذا هبت عليه أو لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صح ان أوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم أوهن الاديان ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أي ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ﴿ ان الله يعلم مايدعون من دونه من شيء ﴾ هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني ان الذي يدعون من دونه ليس بشيء ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم

من الاوثان (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) مسكنا (وان أوهن البيوت) أضعف البيوت (لبيت العنكبوت)يقول ان بيت
العنكبوت لايقيها من حر ولا برد كذلك الآلهة لاتنفع من عبدها في الدنيا ولا في الآخرة (لو كانوا يعلمون) هذا المثل ولكن
لا يعلمون ولا يصدقون بذلك (ان الله يعلم مايدعون) ما يعبدون (من دونه من شيء)من الاوثان انها لاتنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة
(وهو العزيز) بالنقمة لمن يعبدها (الحكيم) حكم أن لا يعبد

يبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) السبيل الذي أمروا بسلوكه هو الإيمان بالله ورسله (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا (وقارون وفرعون وهامان) أي وأهلكناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه (فكلا أخذنا بذنبه) فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هي ريح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) هي لمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني قارون (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح ﴿ سورة العنكبوت ﴾ ١٧ وفرعون (وما كان الله ليظلمهم)

اذا نظرتم اليها عند مروركم بها ﴿ وزين لهم الشيطان اعمالهم ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ السوي الذي بين الرسل لهم ﴿ وكانوا مستبصرين ﴾ متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا ﴿ وقارون وفرعون وهامان ﴾ معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ﴿ ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين ﴾ فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته ﴿ فكلا ﴾ من المذكورين ﴿ اخذنا بذنبه ﴾ عاقبنا بذنبه ﴿ فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ﴾ ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ﴿ ومنهم من اخذته الصيحة ﴾ كمدين وثمود ﴿ ومنهم من خسفنا به الارض ﴾ كقارون ﴿ ومنهم من اغرقنا ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ﴿ ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ بالتعريض للعذاب ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ﴾ فيما اتخذوه

منازلهم بالحجر واليمن ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ أي عبادتهم لغير الله ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ أي عن سبيل الحق ﴿ وكانوا مستبصرين ﴾ أي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين ﴿ وقارون وفرعون وهامان ﴾ أي أهلكنا هؤلاء ﴿ ولقد جاءهم موسى بالبينات ﴾ أي بالدلالات الواضحات ﴿ فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين ﴾ أي فائتين من عذابنا ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصى الصغار ﴿ ومنهم من أخذته الصيحة ﴾ يعني ثمود ﴿ ومنهم من خسفنا به الارض ﴾ يعني قارون وأصحابه ﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ يعني قوم نوح وفرعون وقومه ﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ أي بالهلاك ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ أي بالاشراك ﴿ قوله تعالى ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ﴾ يعني الاصنام يرجون نصرها ونفعها

ليعاقبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أي آلهة يعني مثل من أشرك بالله الاوثان في الضعف وسوء الاختيار

(وزين لهم الشيطان أعمالهم) في الشرك وحالهم في الشدة والرخاء (فصدهم) فصرفهم بذلك (عن السبيل) عن الحق والهدى (وكانوا مستبصرين) كانوا يرون أنهم على الحق ولم يكونوا على الحق (وقارون) أهلكنا قارون (وفرعون وهامان) وزير فرعون (ولقد جاءهم موسى بالبينات) بالامر والنهي والعلامات (فاستكبروا في الارض) عن الايمان ولم يؤمنوا بالآيات (وما كانوا سابقين) فائتين من عذاب الله (فكلا) فكل قوم (أخذنا بذنبه) في الشرك (فمنهم من [illegible] أرسلنا عليه حاصبا) حجارة [illegible] قوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) العذاب وهم قوم شعيب وصالح (ومنهم من خسفنا به) [illegible] بالارض [illegible] (ومنهم من أغرقنا) في البحر وهو فرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) [illegible] (ولكن [illegible] يظلمون) بالكفر والشرك وتكذيب الرسل (مثل الذين اتخذوا) عبدوا (من دون الله أولياء) أربابا

انامنزلون) منزلون شامى (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء بما كانوا يفسقون) بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله (ولقد تركنا منها) من القرية (آية بينة) هى آثار منازلهم الخربة وقيل الماء الاسود على وجه الارض (لقوم) يتعلق بتركنا أو ببينة (يعقلون والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) وافعلوا ماترجون به الثواب فى العاقبة أو خافوه (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) قاصدين الفساد (فكذبوه { الجزء العشرون } فاخذتهم الرجفة) ١٦ الزلزلة الشديدة أو صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت بها (فاصبحوا فى دارهم) فى بلدهم وأرضهم (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه فى معنى الاهلاك (وثمود) حمزة وحفص وسهل ويعقوب (وقد تبين لكم) ذلك يعنى ماوصفه من اهلاكهم (من مساكنهم) من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها فى أسفارهم

﴿ انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء ﴾ عذابا منها سمى بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ بسبب فسقهم ﴿ ولقد تركنا منها آية بينة ﴾ هى حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او آية ﴿ والى مدين اخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ﴾ وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ﴿ ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة ﴾ الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبرائيل لان القلوب ترجف بها ﴿ فاصبحوا فى دارهم ﴾ فى بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس ﴿ جاثمين ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿ وعادا وثمودا ﴾ منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تأويل القبيلة ﴿ وقد تبين لكم من مساكنهم ﴾ اى تبين لكم بعض مساكنهم أو اهلاكهم من جهة مساكنهم

انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا ﴾ أى عذابا ﴿ من السماء ﴾ قيل هو الخسف والحصب بالحجارة ﴿ بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها ﴾ أى من قريات لوط ﴿ آية بينة ﴾ أى عبرة ظاهرة ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يعنى أفلا يتدبرون الآيات تدبر ذوى العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هى الحجارة التى أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الامة وقيل هى ظهور الماء الاسود على وجه الارض * قوله تعالى ﴿ والى مدين ﴾ اى وارسلنا الى مدين ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وارسلنا الى ذرية مدين واولاده وعلى القول الثانى وأرسلنا الى أهل مدين * أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ﴾ أى افعلوا فعل من يرجوا اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه ﴿ ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة ﴾ أى الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض برجفة ﴿ فاصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ أى باركين على الركب ميتين ﴿ وعادا وثمود ﴾ أى وأهلكنا عادا وثمود ﴿ وقد تبين لكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ من مساكنهم ﴾ أى من

المخافين بالهلاك (انا منزلون على أهل هذه القرية) يعنى قريات لوط (رجزا) عذابا (من السماء) بالحجارة (بما كانوا يفسقون) يكفرون ويعصون (ولقد تركنا منها) تركناها يعنى قريات لوط (آية) علامة (بينة لقوم يعقلون) يصدقون ويعلمون ما فعل بهم فلا يقتدون بهم (والى مدين) وارسلنا الى مدين (أخاهم) نبيهم (شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله) { منازلهم } وحدوا الله (وارجوا اليوم الآخر) خافوا يوم القيامة (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) لا تعملوا فى الارض بالفساد والمعاصى (فكذبوه) بالرسالة (فاخذتهم الرجفة) الزلزلة بالعذاب (فاصبحوا فى دارهم) فصاروا فى مجمعهم (جاثمين) ميتين لا يتحركون (وعادا) أهلكنا قوم هود (وثمود) أهلكنا قوم صالح (وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكنهم) من خراب منازلهم ما فعل بهم

مهلكوا لم تفد تعريفا لأنها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التى قيل فيها أجور من قاضى سدوم وهذه القرية تشعر بانها قريبة من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا انها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم عليه السلام (ان اهلها كانوا ظالمين) أى الظلم قد استمر منهم فى الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم (قال) ابراهيم (ان فيها لوطا) أى أتهلكونهم وفيهم من هو برىء من الظلم وهو لوط (قالوا) أى الملائكة (نحن أعلم) منك (بمن فيها لننجينه) لننجينه يعقوب وكوفى غير عاصم (وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب ثم أخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعد مفارقتهم ابراهيم بقوله (ولما ان جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) ساءه مجيئهم وان صلة أكدت وجود الفعلين مرتبا أحدهما على الآخر كانهما وجدا فى جزء واحد من الزمان كانه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه ان يتناولوهم بالفجور سىء بهم مدنى وشامى وعلى (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع اذا كان مطيقا والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا فى العجز والقدرة وهو نصب على التمييز (وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك) وبالتخفيف مكى وكوفى غير حفص (وأهلك) الكاف فى محل الجر ونصب أهلك بفعل محذوف أى وننجى أهلك (الا امرأتك كانت من الغابرين)

لفظة لان المعنى على الاستقبال ﴿ان اهلها كانوا ظالمين﴾ تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وانواع المعاصى ﴿قال ان فيها لوطا﴾ اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم أو معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين اظهرهم ﴿قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله﴾ تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله أو تأقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب ﴿الا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين فى العذاب او القرية ﴿ولما ان جاءت رسلنا لوطا سىء بهم﴾ جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما ﴿وضاق بهم ذرعا﴾ وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع ﴿وقالوا﴾ لما راوا فيه اثر الضجرة ﴿لا تخف ولا تحزن﴾ على تمكنهم منا ﴿انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين﴾ وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير فى الثانى وموضع الكاف جر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل أو بالعطف على محلها باعتبار الاصل

﴿ان أهلها كانوا ظالمين قال﴾ يعنى ابراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله ﴿ان فيها لوطا قالوا﴾ أى قالت الملائكة ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين﴾ أى من الباقين فى العذاب ﴿ولما ان جاءت رسلنا لوطا سىء بهم﴾ أى ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاءه ما ساءه ﴿وضاق بهم ذرعا﴾ أى عجز عن تدبير أمرهم فحزن لذلك ﴿وقالوا لا تخف﴾ أى من قومك ﴿ولا تحزن﴾ علينا ﴿انا منجوك وأهلك﴾ أى انا مهلكوهم ومنجوك وأهلك ﴿الا امرأتك كانت من الغابرين﴾

لوط (ان أهلها كانوا ظالمين) مشركين اجترحوا الهلاك على أ[illegible]هم بعملهم الخبيث (قال ابراهيم) (ان فيها لوطا) كيف تهلكهم يا جبريل (قالوا) يعنى جبريل ومن معه من الملائكة (نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله) ابنتيه زاعورا وريثا (الا امرأته) واعلة المنافقة (كانت من الغابرين) تخلف مع المتخلفين بالهلاك (ولما أن جاءت رسلنا) جبريل ومن معه من الملائكة (لوطا) الى لوط (سىء بهم) [illegible] بمجيئهم (وضاق بهم ذرعا) اغتم بمجيئهم اغتماما شديدا لما خاف عليهم من عمل قومه الخبيث (وقالوا) يعنى جبريل ومن معه للوط (لا تخف) علينا (ولا تحزن) لا مرنا من الهلاك (انا منجوك) [illegible] (وأهلك) بنتيك (الا امرأتك) المنافقة (كانت من الغابرين) تخلف مع

على ذكر قبل قوم لوط (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة (وتأتون في ناديكم) مجلسكم ولا يقال للمجلس ناد الا مادام فيه أهله (المنكر) أي المضارطة والمجامعة والسباب والفحش والحذف بالحصى ومضغ العلك والفرقعة والسواك بين الناس (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب انكم أئنكم شامي وحفص وهو الموجود في الامام وكل واحدة بهمزتين كوفي غير حفص آينكم آئنكم بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو اينكم اينكم بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكي ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد (قال رب انصرني) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة لابراهيم بالولد والنافلة يعني اسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) اضافة

عليه لخبث طينتهم ﴿ أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل ﴾ وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ الاموال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق أو تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث ﴿ وتأتون في ناديكم ﴾ في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله ﴿ المنكر ﴾ كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل بالخذف ورمي البنادق ﴿ فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ﴾ في استقباح ذلك او في دعوة النبوة المفهومة من التوبيخ ﴿ قال رب انصرني ﴾ بانزال العذاب ﴿ على القوم المفسدين ﴾ بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ﴿ ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ﴾ بالبشارة بالولد والنافلة ﴿ قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ﴾ قرية سدوم والاضافة

﴿ أئنكم لتأتون الرجال ﴾ يعني انكم تقضون الشهوة من الرجال ﴿ وتقطعون السبيل ﴾ وذلك انهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء ﴿ وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ أي مجالسكم والنادي مجلس القوم ومتحدثهم ق عن أم هانئ بنت أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وتأتون في ناديكم المنكر قال كانوا يخذفون أهل الارض ويسخرون منهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الخذف هو رمي الحصى بين الاصابع قيل انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم أصابه قال أنا أولى به وقيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض وقيل كان اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار والصفير والخذف والرمي بالجلاهق واللوطية ﴿ فما كان جواب قومه ﴾ أي لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح ﴿ الا أن قالوا ﴾ يعني استهزاء ﴿ ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ﴾ أي ان العذاب نازل بنا فعند ذلك ﴿ قال رب انصرني على القوم المفسدين ﴾ أي بتحقيق قولي ان العذاب نازل بهم ❊ قوله عز وجل ﴿ ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ﴾ يعني من الله باسحق ويعقوب ﴿ قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ﴾ يعني قوم لوط والقرية سدوم

عملكم الخبيث (أئنكم لتأتون الرجال) ادبار الرجال (وتقطعون السبيل) نسل الولد ويقال تقطعون السبيل على من مر بكم من الغرباء (وتأتون في ناديكم المنكر) تعملون في مجالسكم المنكر نحو عشر خصال كانوا يعملونها في مجالسهم مثل الخذف بالبندق والفحش (ان) وغير ذلك (فما كان جواب قومه) فلم يكن جواب قوم لوط (الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) تجيء عذاب الله علينا ان لم نؤمن (قال) لوط (رب انصرني) أعني بالعذاب (على القوم المفسدين) المشركين (ولما جاءت رسلنا ابراهيم) جبريل ومن معه من الملائكة الى ابراهيم (بالبشرى) فبشروه بالولد (قالوا) لابراهيم (انا مهلكوا أهل هذه القرية) قريات

(وقال) ابراهيم (انى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهى من برية الشام ومن ثمة قالوا لكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته لوط وسارة وقد تزوجها ابراهيم (الى ربى) الى حيث أمرنى ربى بالهجرة اليه (انه هو العزيز) الذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لايأمرنى الا بما هو خير (ووهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) ولد ولده ولم يذكر اسمعيل لشهرته (وجعلنا فى ذريته النبوة) أى فى ذرية ابراهيم فانه شجرة الانبياء (والكتاب) والمراد به الجنس يعنى التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وآتيناه) أى ابراهيم (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه الى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له أو هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره (فى الدنيا) فيه دليل على انه تعالى قد يعطى الاجر فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى من أهل الجنة عن الحسن (ولوطا) أى واذكر لوطا (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح وهى اللواطة (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان أحدا قبلهم لم يقدم عليها قالوا لم ينز ذكر

واول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه ﴿وقال انى مهاجر﴾ من قومى ﴿الى ربى﴾ الى حيث امرنى ربى ﴿انه هو العزيز﴾ الذى يمنعنى من اعدائى ﴿الحكيم﴾ الذى لايأمرنى الا بما فيه صلاحى • روى انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب﴾ ولدا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسماعيل ﴿وجعلنا فى ذريته النبوة﴾ فكثر منهم الانبياء ﴿والكتاب﴾ يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة ﴿وآتيناه اجره﴾ على هجرته الينا ﴿فى الدنيا﴾ باعطاء الولد فى غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه آخر الدهر ﴿وانه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ انى عداد الكاملين فى الصلاح ﴿ولوطا﴾ عطف على ابراهيم او على ماعطف عليه ﴿اذ قال لقومه أنكم لتأتون الفاحشة﴾ الفعلة البالغة فى القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام فى الثانى ﴿ماسبقكم بها من احد من العالمين﴾ استئناف مقرر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا

وهو اول من صدق ابراهيم وأما فى أصل التوحيد فانه كان مؤمنا لان الانبياء لايتصور فيهم الكفر ﴿وقال﴾ يعنى ابراهيم ﴿انى مهاجر الى ربى﴾ الى حيث أمرنى ربى فهاجر من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشأم ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة ﴿انه هو العزيز﴾ أى الذى لايغلب والذى يمنعنى من أعدائى ﴿الحكيم﴾ الذى لايأمرنى الا بما يصلحنى * قوله تعالى ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب﴾ يقال ان الله لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله ﴿وآتيناه أجره فى الدنيا﴾ هو الثناء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا له فى الدنيا ﴿وانه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ أى فى زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح * قوله عز وجل ﴿ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة﴾ أى الفعلة القبيحة ﴿ماسبقكم بها من أحد من العالمين﴾ أى لم يفعلها أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال

صدقت يا ابراهيم (وقال) ابراهيم (انى مهاجر الى ربى) راجع الى طاعة ربى وخرج من حران الى فلسطين (انه هو العزيز) بالنقمة منهم (الحكيم) حكم التحويل من بلد الى بلد اقبل سلامة أمر الدين والزيادة (ووهبنا له) لابراهيم (اسحق) ولدا (ويعقوب) ولد الولد (وجعلنا فى ذريته) نسله (النبوة والكتاب) يقول أكرمنا ذريته بالنبوة والكتاب والولد الطيب وكان فيهم الانبياء والكتب (وآتيناه أجره فى الدنيا) أكرمناه بالنبوة والثناء الحسن والولد الطيب فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) مع آبائه المرسلين فى الجنة (ولوطا) أرسلنا لوطا الى قومه (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) اللواطة (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) يقول لم يعمل قبلكم أحد من العالمين

راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين فاتفقوا على تحريقه (فأنجاه الله من النار) حين قذفوه فيها (ان في ذلك) فيما فعلوا به وفعلنا (لآيات لقوم يؤمنون) روى انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم أُلقي ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها (وقال) ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا) حمزة وحفص مودة بينكم مدني وشامي وحماد ويحيي وخلف مودة بينكم مكي وبصري وعلي مودة بينكم الشموني والبرجمي النصب على وجهين على التعليل أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله تخذ الهه هواه

وما كافة أي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم أي مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبر الان وما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي مودة بينكم والمعنى ان الاوثان مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودة ومن اضاف المودة جعل بينكم اسما لا ظرفا كقوله شهادة بينكم ومن نون مودة ونصب بينكم فعلى الظرف (ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض) تتبرأ الاصنام من عابديها (ويلعن بعضكم بعضا) أي يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن فيلعن الاتباع القادة (ومأواكم النار) أي مأوى العابد والمعبود والتابع والمتبوع (ومالكم من ناصرين) ثمة (فآمن له) لابراهيم عليه السلام (وهو) (لوط) هو ابن أخي ابراهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه

قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم ﴿فأنجاه الله من النار﴾ أي فقذفوه في النار فأنجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ﴿ان في ذلك﴾ في انجائه منها ﴿لآيات﴾ هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها ﴿لقوم يؤمنون﴾ لانهم المنتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها ﴿وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا﴾ أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة هو المفعول الثاني بتقدير مضاف أو بتأويلها بالمودودة أي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة او ثانيا او خبر ان على ان ما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ﴿ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ أي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ﴿ومأواكم النار ومالكم من ناصرين﴾ يخلصونكم منها ﴿فآمن له لوط﴾ هو ابن اخيه

بعضهم لبعض وقيل قال لرؤساء الاتباع اقتلوه أو حرقوه ﴿فأنجاه الله من النار﴾ أي بان جعلها عليه بردا وسلاما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يصدقون ﴿وقال﴾ يعني ابراهيم لقومه ﴿انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا﴾ أي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ﴿ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ تتبرأ الاوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة ﴿ومأواكم النار﴾ يعني العابدين والمعبودين جميعا ﴿ومالكم من ناصرين﴾ أي مانعين من عذابه ﴿فآمن له لوط﴾ أي صدقه برسالته لما رأى معجزاته

(فأنجاه الله من النار) سالما (ان في ذلك) فيما فعلنا بقوم ابراهيم (لآيات) لعبرات (لقوم يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وقال) ابراهيم لقومه (انما اتخذتم) عبدتم (من دون الله أوثانا) أحجارا (مودة) صلة (بينكم في الحيوة الدنيا) لا تبقى (ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض) يتبرأ بعضكم من بعض (ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم) مصيركم (النار) يعني العابد والمعبود (ومالكم من ناصرين) من مانعين من عذاب الله (فآمن له لوط) فقال له لوط

واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير أن الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والقياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يعجزه الابداء وجب أن لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذى أنشأ النشأة الاولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (ان الله على كل شئ قدير) قادر (يعذب من يشاء) بالخذلان (ويرحم من يشاء) بالهداية أو بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالاعراض عن الله وبالاقبال عليه أو بمتابعة البدع وبملازمة السنة (واليه تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أى لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه (في الارض) الفسيحة (ولا في السماء) التى هى أفسح منها وابسط لو كنتم فيها (ومالكم من دون الله من ولى) يتولى أموركم (ولا نصير) ولا ناصر يمنعكم من عذابى (والذين كفروا بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته (ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى) جنتى (وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم حين دعاهم الى الايمان (الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون

الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغى ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرئ النشاءة كالرآفة ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى ﴿يعذب من يشاء﴾ تعذيبه ﴿ويرحم من يشاء﴾ رحمته ﴿واليه تقلبون﴾ تردون ﴿وما انتم بمعجزين﴾ ربكم عن ادراككم ﴿في الارض ولا في السماء﴾ ان فررتم من قضائه بالتوارى في الارض أو الهبوط في مهاويها او التحصن في السماء أو القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

﴿ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير﴾ يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ بدلائل وحدانيته او بكتبه ﴿ولقائه﴾ بالبعث ﴿اولئك يئسوا من رحمتى﴾ اى ييئسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضى للتحقق والمبالغة أو ايسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء ﴿واولئك لهم عذاب اليم﴾ بكفرهم ﴿فما كان جواب قومه﴾ قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر ﴿الا ان قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ وكان ذلك قول بعضهم لكن

عليه احداثهم مبدأ كذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ أى من البداءة والاعادة ﴿يعذب من يشاء﴾ عدلا منه ﴿ويرحم من يشاء﴾ تفضلا ﴿واليه تقلبون﴾ أى تردون ﴿وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء﴾ قيل معناه ولا من في السماء بمعجز والمعنى انه لا يعجزه أهل الارض في الارض ولا أهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء أى لو كنتم فيها ﴿ومالكم من دون الله من ولى﴾ أى يمنعكم منى ﴿ولا نصير﴾ أى ينصركم من عذابى ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ يعنى بالقرآن ﴿ولقائه﴾ أى البعث ﴿أولئك يئسوا من رحمتى﴾ يعنى الجنة ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ فهذا آخر الآيات في تذكير أهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى ﴿فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ قال ذلك

(ان الله على كل شئ) من الخلق والبعث والموت والحياة (قدير يعذب من يشاء) يميت من يشاء على الكفر فيعذبه (ويرحم من يشاء) يميت من يشاء على الايمان فيرحمه (واليه تقلبون) ترجعون بعد الموت فيجزيكم باعمالكم (وما أنتم) يا أهل مكة (بمعجزين) بفائتين من عذاب الله (في الارض) من أهل الارض (ولا في السماء) ولا من أهل السماء (ومالكم من دون الله) من عذاب الله (من ولى) قريب ينفعكم (ولا نصير) مانع يمنعكم من عذاب الله (والذين كفروا بآيات الله) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يعنى اليهود والنصارى وسائر الكفار (ولقائه) وكفروا بالبعث بعد الموت (أولئك) أهل هذه الصفة (يئسوا من رحمتى) من جنتى وهم اليهود والنصارى أن يكون في الجنة الاكل والشرب والجماع من جنته (وأولئك لهم عذاب أليم) وجيع (فما كان جواب قومه) لم يكن جواب قوم ابراهيم حيث دعاهم الى الله تعالى (الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) بالنار

قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالأمم قبله قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وان تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها فان قلت فالجمل الاعتراضية لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه أن ايراد قصة ابراهيم عليه السلام ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له بأن أباه ابراهيم عليه السلام كان مبتلى نحو ما ابتلي به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يامعشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب أمم من قبلكم لابد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل ثم سائر الآيات بعدها من توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه (أولم يروا) وبالتاء كوفي غير حفص (كيف يبدئ الله الخلق) أي قد رأوا ذلك وعلموه وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق (ان ذلك) أي الاعادة (على الله يسير) سهل (قل) يا محمد وان كان من كلام ابراهيم فتقديره وأوحينا اليه أن قل (سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة ... وبدأ وأبدأ بمعنى (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي البعث وبالمد حيث كان مكي وأبو عمرو وهذا دليل على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء أي ابتداء

جواب قومه ويحتمل ان تكون اعتراضا بذكر شأن النبي صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها التسلية الرسول عليه الصلاة والسلام والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو مامني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم في قومه ﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق﴾ من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ﴿ثم يعيده﴾ اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ﴿ان ذلك﴾ الاشارة الى الاعادة او الى ماذكر من الامرين ﴿على الله يسير﴾ اذ لا يفتقر في فعله الى شئ ﴿قل سيروا في الارض﴾ حكاية كلام الله لابراهيم أو محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ على اختلاف الاجناس والاحوال ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ بعد النشأة الاولى التي هي

﴿ قوله تعالى ﴿أولم يروا﴾ قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل أن تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انه وقعت معترضة في قصة ابراهيم وهي في تذكير أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أولم يروا أولم يعلموا ﴿كيف يبدئ الله الخلق﴾ أي خلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿ثم يعيده﴾ أي في الآخرة عند البعث ﴿ان ذلك على الله يسير﴾ أي الخلق الاول والخلق الثاني ﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ أي انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ أي ثم ان الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر

يبين لهم بلغة يفهمونها (أولم يروا) يخبروا كفار مكة في الكتاب (كيف يبدئ الله الخلق) من النطفة (ثم يعيده) يوم القيامة (ان ذلك) ابداءه واعادته (على الله يسير) هين (قل) يا محمد (سيروا) سافروا (في الارض فانظروا كيف بدأ) الله (الخلق) من النطفة وأهلكهم بعد ذلك (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) يخلق الله الخلق يوم القيامة

(لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خيرلكم) من الكفر (ان كنتم تعلمون) ان كان لكم علم بما هو خيرلكم مما هو شر لكم (انما تعبدون من دون الله أوثانا) أصناما (وتخلقون) وتكذبون أو تصنعون وقرأ أبو حنيفة وعلى رضى الله عنهما وتخلقون من خلق بمعنى التكثير فى خلق (افكا) وقرئ أفكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله (ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا) لايستطيعون ان يرزقوكم شيأ من الرزق (فابتغوا عندالله الرزق) كله فانه هو الرازق وحده لايرزق غيره (واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وماعلى الرسول الا البلاغ المبين) أى وان تكذبونى فلا تضرونى بتكذيبكم فان الرسل قبلى قد كذبتهم أممهم وماضروهم وانما ضروا أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم وأما الرسول فقد تم أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وان كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وماعليه ان يصدق ولايكذب وهذه الآية والآيات التى بعدها الى

لقومه اعبدوا الله ﴾ ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به أو بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر ﴿ واتقوه ذلكم خيرلكم ﴾ مما انتم عليه ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ الخير والشر وتميزون ماهو خير مما هو شر او كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل ﴿ انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ﴾ وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عندالله أو تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ماهم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ وتخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ﴿ ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا ﴾ دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لايجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لايستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم ﴿ فابتغوا عندالله الرزق ﴾ كله فانه المالك له ﴿ واعبدوه واشكروا له ﴾ متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره أو مستعدين للقائه بهما فانه ﴿ اليه ترجعون ﴾ وقرئ بفتح التاء ﴿ وان تكذبوا ﴾ وان تكذبونى ﴿ فقد كذب امم من قبلكم ﴾ من قبلى من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم ﴿ وماعلى الرسول الا البلاغ المبين ﴾ الذى زال معه الشك وماعليه ان يصدق ولايكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان

لقومه اعبدوا الله واتقوه ﴾ أى أطيعوا الله وخافوه ﴿ ذلكم خيرلكم ان كنتم تعلمون ﴾ أى ماهو خيرلكم مما هو شر لكم ولكنكم لاتعلمون ﴿ انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ﴾ أى تقولون كذبا وقيل تصنعون أصناما بايديكم وتسمونها آلهة ﴿ ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا ﴾ أى لايقدرون ان يرزقوكم ﴿ فابتغوا ﴾ أى فاطلبوا ﴿ عندالله الرزق ﴾ فانه القادر على ذلك ﴿ واعبدوه ﴾ أى وحدوه ﴿ واشكروا له ﴾ لانه المنعم عليكم بالرزق ﴿ اليه ترجعون ﴾ أى فى الآخرة ﴿ وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم ﴾ أى مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله ﴿ وماعلى الرسول الا البلاغ المبين ﴾

لقومه اعبدوا الله) وحدوا الله (قا و خا ٢ مس) (واتقوه) اخشوه وأطيعوه بالتوبة من الكفر والشرك وعبادة الاوثان (ذلكم) التوبة والتوحيد (خيرلكم) مما أنتم عليه (ان كنتم تعلمون) ذلك وتصدقون ولكن لاتعلمون ولاتصدقون (انما تعبدون من دون الله أوثانا) أحجارا (وتخلقون افكا) وتقولون كذبا وتنحتون بايديكم ما تعبدون من دون الله (ان الذين تعبدون من دون الله) من الاوثان (لايملكون لكم رزقا) لايقدرون ان يرزقوكم (فابتغوا عندالله الرزق) اطلبوا من الله الرزق (واعبدوه) وحدوه (واشكروا له) بالتوحيد (اليه ترجعون) بعد الموت فيجزيكم باعمالكم (وان تكذبوا) محمدا عليه السلام بالرسالة يامعشر قريش (فقد كذب أمم من قبلكم) رسلهم بالرسالة فأهلكناهم (وماعلى الرسول الا البلاغ) تبليغ الرسالة عن الله (المبين)

الف سنة الاخمسين عاما) كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش ألفا وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة لانه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا فكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد لان ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة ولان القصة سيقت لما اتى به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لنبينا عليه السلام وكان ذكر الالف أفخم وأوصل الى الغرض وجئ بالمميز أولا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة (فأخذهم الطوفان) هو ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما (وهم ظالمون) أنفسهم بالكفر (فانجيناه) أى نوحا (وأصحاب السفينة) وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم (وجعلناها) أى السفينة أو الحادثة أو القصة (آية) عبرة وعظة (للعالمين) يتعظون بها (وابراهيم) نصب باضمار اذكر بدل عنه (اذقال) بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها أو معطوف على نوح أى وأرسلنا ابراهيم أو ظرف (لقوم) لارسلنا يعنى أرسلناه حين بلغ من السن أو العلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وأبو حنيفة رضى الله عنهما وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم

الف سنة الاخمسين عاما ﴾ بعد المبعث اذ روى انه بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة ﴿ فاخذهم الطوفان ﴾ طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما ﴿ وهم ظالمون ﴾ بالكفر ﴿ فانجيناه ﴾ اى نوحا ﴿ واصحاب السفينة ﴾ ومن اركبه معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث ﴿ وجعلناها ﴾ اى السفينة او الحادثة ﴿ آية للعالمين ﴾ يتعظون ويستدلون بها ﴿ وابراهيم ﴾ عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم ﴿ اذقال

﴿ ألف سنة الاخمسين عاما ﴾ فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان احداهما أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السائل أنه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فان قال مائة سنة الاشهرا أو الاسنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق ٭ الفائدة الثانية هي لبيان ان نوحا صبر على أذى قومه صبرا كثيرا وأعلى مراتب العدد ألف سنة وكان المراد التكثير فلذلك أتى بعقد الالف لانه أعظم وأفخم وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أعلم ان الانبياء قد ابتلوا قبله وأن نوحا لبث في قومه ألف سنة الاخمسين عاما يدعوهم فصبر في الدعاء ولم يؤمن من قومه الا قليل فانت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من آمن بك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقى في قومه يدعوهم ألف سنة الاخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره ألفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك ٭ قوله تعالى ﴿ فأخذهم الطوفان ﴾ أى فأغرقهم ﴿ وهم ظالمون ﴾ قال ابن عباس مشركون ﴿ فانجيناه وأصحاب السفينة ﴾ يعنى من الغرق ﴿ وجعلناها ﴾ يعنى السفينة ﴿ آية ﴾ أى عبرة ﴿ للعالمين ﴾ قيل انها بقيت على الجودى مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة ٭ قوله تعالى ﴿ وابراهيم ﴾ أى وأرسلنا ابراهيم ﴿ اذقال

(الف سنة الاخمسين عاما) يدعوهم الى التوحيد فلم يجيبوه (فأخذهم الطوفان) فاهلكهم الله بالطوفان (وهم ظالمون) كافرون (فانجيناه) نوحا (وأصحاب السفينة) ومن آمن معه في السفينة (وجعلناها) سفينة نوح (آية) عبرة (للعالمين) بعدهم (وابراهيم) وأرسلنا ابراهيم الى قومه (اذقال

عندمن يملك الجزاء عليهما (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايا كم) أمروهم باتباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وأرادوا ليجتمع هذان الامران فى الحصول أن تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطايا كم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع أى ان تتبعوا سبيلنا حملنا خطايا كم وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا بعث نحن ولا أنتم فان كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفى قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أى أثقال أنفسهم يعنى أوزارهم بسبب كفرهم (وأثقالا مع أثقالهم) أى أثقالا أخر غير الخطايا التى ضمنوا للمؤمنين حملها وهى أثقال الذين كانوا سببا فى ضلالهم وهو كما قال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) يختلقون من الاكاذيب والاباطيل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم

﴿وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا﴾ الذى نسلكه فى ديننا ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت ثمة تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله ﴿وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون﴾ من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم ﴿وليحملن اثقالهم﴾ اثقال مااقترفته انفسهم ﴿واثقالا مع اثقالهم﴾ واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ ﴿وليسئلن يوم القيامة﴾ سؤال تقريع وتبكيت ﴿عما كانوا يفترون﴾ من الاباطيل التى اضلوا بها ﴿ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم

الآية فى أناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة فى أنفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت فى الذين أخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة الى ههنا مدنية وباقى السورة مكى * قوله ﴿وقال الذين كفروا﴾ يعنى من أهل مكة قيل قاله أبو سفيان ﴿للذين آمنوا﴾ أى من قريش ﴿اتبعوا سبيلنا﴾ يعنى ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ أى أوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله عز وجل بقوله ﴿وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون﴾ فى قولهم نحمل خطاياكم ﴿وليحملن أثقالهم﴾ أى أوزار أعمالهم التى عملوها بأنفسهم ﴿وأثقالا مع أثقالهم﴾ أى أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم فان قلت قد قال أولا وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ وقال ههنا وليحملن أثقالا مع أثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزارا بسبب اضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ رواه مسلم ﴿وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ أى سؤال توبيخ وتقريع لانه تعالى عالم بأعمالهم وافترائهم * قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث﴾ أى أقام ﴿فيهم﴾ يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده

بدر (وقال الذين كفروا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه (للذين آمنوا) على وسلمان وأصحابهما (اتبعوا سبيلنا) ديننا فى عبادة الاوثان (ولنحمل خطاياكم) ذنوبكم عنكم يوم القيامة (وماهم بحاملين من خطاياهم) ذنوبهم (من شئ) يوم القيامة (انهم لكاذبون) فى مقالتهم (وليحملن أثقالهم) أوزارهم يوم القيامة (وأثقالا) مثل أوزار الذين يتبعونهم (مع أثقالهم) مع أوزارهم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) يكذبون على الله (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم) فمكث فيهم

بما كنتم تعملون) بأن أجازيكم وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهم على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في الدين. روي أن سعد بن أبي وقاص لما أسلم نذرت أمه أن لا تأكل ولا تشرب حتى يرتد فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هو مبتدأ وخبر (لندخلنهم في الصالحين) في جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى الأنبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما وألحقني بالصالحين أو في مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت في المنافقين (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله) أي اذا مسه أذى من الكفار (جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله تعالى (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم) أي واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم أي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم فاعطونا نصيبنا من المغنم (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) أي هو أعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما في صدور هؤلاء من النفاق وما في صدور المؤمنين من الاخلاص ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين بقوله (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) أي حالهما ظاهرة

بما كنتم تعملون ﴾ بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه وأمه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت أن لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ﴾ في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله والمرسلين او في مدخلهم وهي الجنة ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله ﴾ بان عذبهم الكفرة على الايمان ﴿ جعل فتنة الناس ﴾ ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان ﴿ كعذاب الله ﴾ في الصرف عن الكفر ﴿ ولئن جاء نصر من ربك ﴾ فتح وغنيمة ﴿ ليقولن انا كنا معكم ﴾ في الدين فأشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول ﴿ اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين ﴾ من الاخلاص والنفاق ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا ﴾ بقلوبهم ﴿ وليعلمن المنافقين ﴾ فيجازي الفريقين

﴿ بما كنتم تعملون ﴾ أي صالح أعمالكم وسيآتها أي فاجازيكم عليها ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ﴾ أي في زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة * قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي ﴾ يعني أصابه بلاء من الناس افتتن ﴿ في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى انه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر ﴿ ولئن جاء نصر من ربك ﴾ أي فتح ودولة للمؤمنين ﴿ ليقولن ﴾ أي هؤلاء المنافقون للمؤمنين ﴿ انا كنا معكم ﴾ أي على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله تعالى فقال ﴿ أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ﴾ أي من الايمان والنفاق ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا ﴾ أي صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء ﴿ وليعلمن المنافقين ﴾ أي بترك الاسلام عند البلاء قيل نزلت هذه

فأخبركم (بما كنتم تعملون) من الخير والشر في الكفر والايمان (والذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (الآية) (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم في كل زمان (لندخلنهم في الصالحين) مع الصالحين في الجنة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين وعلي الأمين رضي الله عنهم (ومن الناس) وهو عياش بن أبي ربيعة المخزومي (من يقول آمنا بالله) صدقنا بتوحيد الله (فاذا أوذي في الله) عذب في دين الله (جعل فتنة الناس) عذاب الناس بالسياط (كعذاب الله) في النار دائما حتى كفر ورجع عن دينه (ولئن جاء نصر من ربك) فتح مكة (ليقولن) عياش وأصحابه (انا كنا معكم) على دينكم (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) بقلوب العالمين من الخير والشر ثم أسلم عياش وأصحابه بعد ذلك وحسن اسلامهم (وليعلمن) يرى ويميز (الله الذين آمنوا) في السر والعلانية (وليعلمن) يرى ويميز (المنافقين) يوم

بالايمان والتوبة (ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى أحسن جزاء أعمالهم فى الاسلام (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وصى حكمه حكم أمر فى معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول أمرته بان يفعل ومنه قوله ووصى بها ابراهيم بنيه أى وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا أو بايلاء والديه حسنا أى فعلا ذا حسن أو ما هو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله ﴿ وقولوا للناس ﴿ سورة العنكبوت ﴾ حسنا ويجوز ان يجعل حسنا

بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات ﴿ ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون ﴾ اى احسن جزاء اعمالهم والجزاء الحسن ان يجازى بحسنة حسنة واحسن الجزاء هو ان يجازى الحسنة الواحدة بالعشر وزيادة ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ بايتائه فعلا ذا حسن او كأنه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا ﴿ وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم ﴾ بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه ﴿ فلا تطعهما ﴾ فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل ﴿ الى مرجعكم ﴾ مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق ﴿ فأنبئكم

لنبطلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة ﴿ ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون ﴾ أى باحسن أعمالهم وهو الطاعة وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا * قوله عز وجل ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ معناه برأهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه ان يفعل بهما ما يحسن نزلت هذه الآية والتى فى سورة لقمان والاحقاف فى سعد بن أبى وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك الزهرى وأمه حمنة بنت أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بأمه قالت له أمه ما هذا الذى أحدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر ويقال يا قاتل أمه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما آخر وليلة فجاءها فقال يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى فكلى ان شئت وان شئت فلا تأكلى فلما أيست منه أكلت وشربت فانزل الله هذه الآية وأمره بالبر لوالديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما فى الشرك فذلك قوله تعالى ﴿ وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ وفى الحديث لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ثم أوعد بالمصير اليه فقال تعالى ﴿ الى مرجعكم فأنبئكم ﴾ أى أخبركم

من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيأ للضرب فتنصبه باضمار أولهما أو افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا أولهما معروفا ولا تطعهما فى الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لابد من اضمار القول معناه وقلنا (وان جاهداك) أيها الانسان (لتشرك بى ما ليس لك به علم) أى لا علم لك بالهيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كانه قال لتشرك بى شيأ لا يصح ان يكون الها (فلا تطعهما) فى ذلك فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (الى مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن أشرك (فأنبئكم

لنمحصن عنهم ذنوبهم دون الكبائر (ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) فى جهادهم (ووصينا الانسان) أمرنا الانسان سعد بن أبى وقاص (بوالديه) بمالك وحمنة بنت أبى سفيان (حسنا) برا بهما (وان جاهداك) أمراك وأراداك (لتشرك) لتعدل (بى ما ليس لك به علم) أنه شريكى ولك علم انه ليس لى شريك (فلا تطعهما) فى الشرك وكان أبواه مشركين (الى مرجعكم) مرجعك ومرجع أبويك (فأنبئكم)

الشرك والمعاصي (أن يسبقونا) أي يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة واشتمل صلة أن على مسند ومسند اليه سد مسد مفعولي كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر أنه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه وقالوا الاول في المؤمنين وهذا في الكافرين (ساء ما يحكمون) ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم أو نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم { الجزء العشرون } محذوف أي بئس حكما يحكمونه حكمهم (من كان يرجوا لقاء الله) أي يأمل ثوابه أو يخاف حسابه فالرجاء يحتملهما (فان أجل الله) المضروب للثواب والعقاب (لآت) لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله (وهو السميع) لما يقوله عباده (العليم) بما يفعلونه فلا يفوته شيء ما وقال الزجاج من الشرط ويرتفع بالابتداء وجواب الشرط فان أجل الله لآت كقولك ان كان زيد في الدار فقد صدق الوعد (ومن جاهد) نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان بدفع وساوسه أو الكفار (فانما يجاهد لنفسه) لان منفعة ذلك ترجع اليها (ان الله لغني عن العالمين) وعن طاعتهم ومجاهدتهم وانما أمر ونهى رحمة لعباده (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم) أي الشرك والمعاصي

الكفر والمعاصي فان العمل يعم فعل القلوب والجوارح ﴿ أن يسبقونا ﴾ أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وأم منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان أبطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ أي بئس الذي يحكمونه أو حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ﴿ من كان يرجوا لقاء الله ﴾ في الجنة وقيل المراد بلقائه الوصول الى ثوابه أو الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على أحواله فاما أن يلقاه ببشر لما رضي من أفعاله أو بسخط لما سخط منها ﴿ فان أجل الله ﴾ فان الوقت المضروب للقائه ﴿ لآت ﴾ لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو ما يستوجب به القربة والرضى ﴿ وهو السميع ﴾ لأقوال العباد ﴿ العليم ﴾ بعقائدهم وأفعالهم ﴿ ومن جاهد ﴾ نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات ﴿ فانما يجاهد لنفسه ﴾ لان منفعته لها ﴿ ان الله لغني عن العالمين ﴾ فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ﴾ الكفر

﴿ أن يسبقونا ﴾ أي يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم ﴿ ساء ما يحكمون من كان يرجوا لقاء الله ﴾ قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله ﴿ فان أجل الله لآت ﴾ يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى ان من يخشى الله ويأمله فيستعد له وليعمل لذلك اليوم ﴿ وهو السميع العليم ﴾ أي يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم أو يعاقبهم أو يعفو ﴿ قوله تعالى ﴿ ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ﴾ أي له ثوابه وهذا بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى والجهاد هو الصبر على الاعداء والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس ﴿ ان الله لغني عن العالمين ﴾ أي عن أعمالهم وعباداتهم وفيه بشارة وتخويف أما البشارة فلانه اذا كان غنيا عن الاشياء فلو أعطى جميع ما خلقه لعبد من عبيده لا شيء عليه لاستغنائه عنه وهذا يوجب الرجاء التام وأما التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو أهلكهم بعذابه فلا شيء عليه لاستغنائه عنهم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ﴾ أي

الله (أن يسبقونا) أن يفوتوا من عذابنا (ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون ويظنون لانفسهم ذلك (من كان يرجوا) يخاف { لنبطلنه } (لقاء الله) البعث بعد الموت (فان أجل الله) البعث بعد الموت (لآت) لكائن (وهو السميع) لمقالة كلا الفريقين يوم بدر (العليم) بما يصيبهم ثم نزل في علي وصاحبيه اذ افتخروا فقال (ومن جاهد) في سبيل الله يوم بدر (فانما يجاهد لنفسه) فله بذلك الثواب (ان الله لغني عن العالمين) عن جهاد العالمين (والذين آمنوا) علي وصاحباه (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (لنكفرن عنهم سيآتهم)

ومستقر قبل اللام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم روى انها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين أو في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله (ولقد فتنا) اختبرنا ﴿ ٣ ﴾ وهو موصول { سورة العنكبوت } باحسب او بلا يفتنون (الذين من قبلهم) بانواع الفتن فمنهم من يوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ومنهم من يمشط بامشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الايمان (وليعلمن الكاذبين) فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل ان يعلمه موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده انه يوجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطاء يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين (أم حسب الذين يعملون السيآت) أى

وانتهاك المحارم (ولقد فتنا الذين من قبلهم) ابتلينا الذين من قبل أصحاب محمد عليه السلام بعد النبيين بالهوى والبدعة وانتهاك المحارم (فليعلمن الله) لكى يرى الله ويميز الذين صدقوا) في ايمانهم باجتناب الهوى والبدعة وترك المحارم (وليعلمن الكاذبين) يعنى المكذبين في ايمانهم بالهوى والبدعة وانتهاك المحارم ثم نزل في أبى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وعتبة وشيبة ابنى ربيعة الذين بارزوا عليا بن أبى طالب رضى الله عنه وحمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب يوم بدر وتفاخر بعضهم على بعض فقال (أم حسب) أيظن (الذين يعملون السيآت) في الشرك

لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم آمنا هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتأديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص عن الخلود في العذاب روى انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته (ولقد فتنا الذين من قبلهم) متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه ﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ فليتعلق علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى فليميزن او ليجازين ٭ وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها ﴿ ام حسب الذين يعملون السيآت ﴾

أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر وكان أول من قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبى صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع أبواه وامرأته فانزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم ﴾ يعنى الانبياء فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل بفرعون وكان يسومهم سوء العذاب ﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا ﴾ أى في قولهم ﴿ وليعلمن الكاذبين ﴾ والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل ان آثار أفعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع ٭ قوله تعالى ﴿ أم حسب الذين يعملون السيآت ﴾ يعنى الشرك

﴿سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الحسبان وترجيح أحد النقيضين على الآخر نحو الظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم هو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقهما بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فإذا أردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطري الجملة فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان هنا أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله * فتركته جزر السباع ينشنه * ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل

المجلد الخامس

اللهم اجعلنا من الصادقين

﴿سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم﴾ سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل على استقلاله بنفسه وبما يضمر معه ﴿أحسب الناس﴾ الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أو ما يسد مسدهما كقوله ﴿أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ فإن معناه أحسبوا تركهم غير مفتونين

﴿تفسير سورة العنكبوت وهي مكية وآياتها تسع وستون﴾
﴿آية وكلماتها تسعمائة وثمانون كلمة وحروفها أربعة آلاف﴾
﴿ومائة وخمسة وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿الم أحسب الناس﴾ أي أظن الناس ﴿أن يتركوا﴾ أي بغير اختبار وابتلاء ﴿أن﴾ أي بأن ﴿يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ أي لا يبتلون في

﴿ومن السورة التي يذكر فيها العنكبوت وهي كلها مكية آياتها سبع وسبعون آية وكلماتها سبعمائة وثمانون كلمة وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (الم) يقول أنا الله أعلم (أحسب الناس) ويقال قسم أقسم به بقوله لقد فتنا الذين من قبلهم (أحسب الناس) أظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (أن يتركوا) يهملوا محمد صلى الله عليه وسلم (أن يقولوا) بأن يقولوا (آمنا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وهم لا يفتنون) لا يبتلون بالهوى والبدع

المجلد الخامس من التفسيرين الجليلين

المسبوك عليهما سطور الذهب بيان اللجين

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام الحبر النحرير حاوى فضيلتى البيان والبنان فى التقرير والتحرير كاشف قناع المشكلات وموضح دلائل المعضلات مظهر الكنايات والاشارات منبع العلى أفضل الورى علم الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة شيخ ديار العجم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريد دهره ووحيد عصره القاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى الشافعى المتوفى سنة (٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثانى المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة والأئمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى الشافعى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه سنة (٧٢٥) تغمده الله برحمته آمين

قد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسيرين النيرين * الاول المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبى البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفى الحنفى المتوفى سنة (٧٠١) عليه سحائب الرحمة والرضوان

الثانى تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابى طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشافعى المتوفى سنة (٨١٧)

تنبيه

يقول المتوسل الى الله احمد رفعت بن عثمان حلمى القره حصارى المصحح بدار الطباعة العامره اعانه الله على مشاق هذه الصناعة وضعت انوار التنزيل فوق الصحيفة ولباب التأويل تحتها مفصولا بينهما بجدول وكذلك وضعت مدارك التنزيل فوق الهامش وتنوير المقباس تحته مفصولا بينهما بجدول

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة

سنة ١٣١٩ هجرية

